

موسوعة

التعريفات للأوامر والنواهي

في الكتاب والسنة

«وبيان فوائد الأوامر ومضار النواهي»

« من موسوعة نضرة النعيم في مكارم

أخلاق الرسول الكريم»

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



عُني بها

عبد الله بن أحمد آل علاف الغامدي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين









### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين،  
أما بعد:

فقد أطلّعت على الموسوعة الرائعة، والمجموعة البارعة «موسوعة نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ» والتي هي من فكرة الأخ الحبيب عبد الرحمن بن ملّوح صاحب "دار الوسيلة"، وهو الرجل المفكر المبدع والمخترع المصنّع والمبتكر العجيب، والمهندس اللبيب، الذي خدم العلم وأهله باجتهاده وجهده وجهاده، ولا نزيهه على الله؛ فهو صاحب الفكرة المبتكرة لطباعة المصحف المعلم للتلاوة والتجويد.

وكذلك صاحب المسجل التالي للقرآن والمعلم للإنسان.

وصاحب فكرة موسوعة نصرة النعيم، والتي اعتبرها من الموسوعات المميزة في القرن الخامس عشر الهجري.

ومن أعظم الكتب التي يسرت للمسلمين الوصول إلى أحكام الدين، باتباع الأوامر واجتناب النواهي التي وردت في القرآن والسنة، وذلك ببيان الصفات المستحبة وفضل العمل بها، وبيان نقيضها من الصفات المذمومة والابتعاد عنها، كل ذلك موثقاً، تعريفٌ لغويٌّ واصطلاحِيٌّ، سهلٌ ممتعٌ، وقد أجاد هو وفريق العمل من العلماء والفضلاء في تنفيذها على أكمل وجه والله الحمد.

وقد استأذنه في أفراد التعريفات في كتاب مستقل تسهياً لوصول الباحثين وطلبة العلم والدعاة والمثقفين وعامة المسلمين إلى ذلك بيسر وسهولة.

وليكون كتاباً مختصاً بالتعريفات اللغوية والشرعية للصفات المستحبة والمذمومة، شحذاً للهمم في تنفيذ الأوامر والتقرب إلى الله بعملها، والابتعاد عن النواهي حتى لا تقع في المحذور والمحظور، وبالتالي نكتسب المغفرة والأجر.

ولمست فرحه بالاقتراح وقد وافق على ذلك بكل ارتياح فله الشكر الجزيل على خلقه الجميل. فبدأت بالعمل بعض استعراض الموسوعة وقراءتها عدة مرات خلال سنوات. وعمدت إلى ما أردت ونظرت إلى المنهج في الاستفادة مما قرّرت واخترت، فكان من ذلك ما ذكره فضيلة الشيخ صالح بن حميد في بيان المنهج العلمي للموسوعة..

.. رابعاً: إيراد الصفات المحمودة من الأخلاق وضدها من الصفات المذمومة ومحاولة الاستيعاب قدر الطاقة لأصول الألفاظ والمعاني حسبما اقتضتها طبيعة البحث وتوافرت فيه المعلومات، وهذا العنصر هو المقصود الأعظم من هذه الموسوعة.

وقد سلك في كتابة الصفات وصياغتها الخطوات التالية:

١- روعي في الصفات المحمودة والمذمومة ترتيبها على حروف المعجم.

٢- استوعبت الموسوعة في كل صفة من صفاتها: التعريف اللغوي والاصطلاحي و..

وعلى سبيل المثال لا الحصر صفة «التقوى» مثلاً سوف ترى في مادتها: تعريفاً لغوياً حيث تم الرجوع إلى كتب اللغة المعتمدة في هذا الشأن مثل «الصحاح» للجوهري، و«تاج العروس» للزبيدي، و«معجم مقاييس اللغة» لابن فارس، و«النهاية» لابن الأثير، و«لسان العرب» لابن منظور، و«المصباح المنير» للفيومي، فضلاً عن كتب المعاصرين.

وأما التعريف الاصطلاحي فيرجع فيه إلى كتب التعريفات مثل تعريفات الجرجاني والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، إضافة إلى ما في كتب الشروح والأحكام والسلوك، ثم بعد التعريف اللغوي أورد الباحثون نقولاً تبرز حقيقة التقوى وثمراتها في الدنيا والآخرة....

٣- روعي الاختصار والتركيز في التعريف اللغوي واشتقاقات الكلمة واستعمالاتها.

٤- روعي عند التعريف لكل صفة ذكر مرادفات هذه الصفة في الهامش وما اشتملت عليه من مباحث.

مثال ذلك: من الصفات المذمومة «صفة سوء المعاملة» ستجد في هامشها «المعاملة، سوء المعاشرة- سوء معاملة البهائم».

٥- ذُكر في بعض الصفات بعد التعريف اللغوي نقولٌ مهمة تزيد من تعريفها وتوضح المراد منها وتبين أقسامها وصلتها بغيرها من المواد. ا. هـ. بتصرف.

وبعد:

فقد أفردت التعريفات لكل صفةٍ وضدها، وأتبعتها بالفوائد لكل صفة مستحبة، وبيان المضار من كل صفة مذمومة، وهذه الفوائد والمضار، مستفادة من الآيات والأحاديث وتطبيقاتها العملية في هدي السلف الصالح.

أوردت ذلك رجاء أن ينتفع بها كل مُطلع متبع.



ليكون عالمًا عاملاً أمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر.

وراجعتها وأخرجتها كما يرى القارئ والقارئة.

سائلًا الله العلي العظيم أن ينفع بهذا العمل كما نفع بأصله. وأن يكتب الأجر والمثوبة لكل من ساهم في إعداده وطبعه ونشره بين إخوانه المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محبكم

عبد الله بن أحمد آل علاّف الغامدي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين

المسجد الحرام - رمضان ١٤٣٨ هـ

أولاً:  
الصفات المستحبة



## الابتهاال

## الابتهاال لغة:

من بهل التي تدل بحسب وضع اللغة على ثلاثة معان: أحدها: التّخلية، والثاني: جنس من الدّعاء، والثالث: قلة في الماء، وقد أخذ الابتهاال من البهل بمعناه الثاني، يقول ابن فارس: وأمّا الآخر (أي المعنى الثاني) فالابتهاال: التّضرّع إلى الله، والمباهلة يرجع إلى هذا؛ فإنّ المتباهلين يدعو كلّ واحد منهما على صاحبه، والبهل: اللّعن، وفي حديث ابن الصّبغاء قال: الذي بهله بريق، أي الذي لعنه ودعا عليه رجل اسمه بريق. والبهل والابتهاال في الدّعاء: الاسترسال فيه والتّضرّع<sup>(١)</sup>. وبهله الله بهلا: لعنه.

وعليه بهلة الله وبهلته أي لعنته. وفي حديث أبي بكر: «من ولي من أمور النّاس شيئاً فلم يعطهم كتاب الله فعليه بهلة الله» أي لعنة الله، وتضمّ باؤها وتفتح. وباهل القوم بعضهم بعضاً، وتباهلوا وابتهلوا: تلاعنوا. والمباهلة: الملاعنة، باهلت فلانا أي لاعتته، وقد عقد الفقهاء لذلك باباً أسماه الملاعنة لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [النور: ٦، ٧] ومعنى المباهلة: يقال: أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منّا، وفي حديث ابن عبّاس رضي الله عنه: من شاء باهلته أن الحقّ معي. وابتهل في الدّعاء إذا اجتهد، ومبتهل أي مجتهد في الدّعاء، والابتهاال: التّضرّع، والابتهاال: الاجتهاد في الدّعاء وإخلاصه لله تعالى وفي التّنزيل العزيز: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٦١]<sup>(٢)</sup> أي يخلص ويجتهد كلّ منّا في الدّعاء واللّعن على الكاذب منّا. وقال قوم: المبتهل: معناه في كلام العرب المسبّح الذّاكر لله، واحتجّوا بقول نابغة شيبان:

أقطع الليل أهة وانتحابا وابتهاالا لله أي ابتهاال

وقال قوم: المبتهل الدّاعي، وقيل في قوله تعالى ثُمَّ نَبْتَهِلْ ثُمَّ نلتعن.

(١) المفردات في غريب القرآن (٦٣).

(٢) انظر في السياق الذي وردت فيه هذه الآية: الأحاديث والآثار المذكورة في هذه الصفة في الموسوعة الأصل.

ويقال: ماله؟ بهله الله. أي لعنه الله، وماله؟ عليه بهلة الله. يريد اللعن.  
وفي حديث الدعاء: والابتهاال أن تمدّ يديك جميعا، وأصله التضرّع والمبالغة في السؤال<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحا:

الابتهاال أن تمدّ يديك إلى الله بالدعاء مخلصا متضرّعا<sup>(٢)</sup>.  
[تلاستزادة: انظر صفات: الاستخارة، الاستعانة، الدعاء، الضراعة، الاستغاثة.  
ويضد ذلك انظر صفات: الإصرار على الذنب، الإعراض، التفريط والإفراط، اليأس، والقنوط].

\*\*\*

### من فوائد (الابتهاال)

- (١) حبّ الله تعالى والإلحاح عليه بالسؤال والالتجاء إليه في الكرب والضيق وعند شدة اليأس.
- (٢) تعلق المسلم بربه في قضاء حوائجه.
- (٣) فيه راحة للنفس ونقاء للقلب.
- (٤) استجابة الله ﷻ دعاء المسلم وابتهااله ما لم يكن يدعو بجور أو ظلم.
- (٥) الدعاء يكون في كلّ الأحوال، والابتهاال غالبا ما يكون وقت الشدة.
- (٦) أن الابتهاال إلى الله برفع اليدين في الدعاء دليل على شدة إخلاص الداعي ووثوقه من إجابة المولى ﷻ - له.
- (٧) الابتهاال إلى الله تعقبه الإجابة السريعة من الله ﷻ على وفق مراد الله ﷻ.
- (٨) أن الابتهاال يكون للنفس وللغير ويستحبّ أن يسبقه وضوء.
- (٩) أن الابتهاال يفرّج الكرب ويزيح الغمّة.
- (١٠) الابتهاال مجلبة لنصر الله ووسيلة لدحر العدو.
- (١١) الابتهاال يرفع الرّوح المعنويّة للمقاتلين خاصّة إذا كان القائد المبتهل قريبا من الله ووثقا من نصره.

(١) لسان العرب (١١ / ٧٢)، ومختار الصحاح (٦٧)، ومقاييس اللغة (١ / ٣١٠). وانظر أيضا تفسير الطبري (٣ / ٢١١).  
وقال لبيد وذكر قوما هلكوا: «نظر الدّهر إليهم فابتهل». يعني دعا عليهم بالهلاك.  
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١ / ١٦٧).

## الاتباع

## الاتباع لغة:

مصدر أتبع المأخوذ من مادة (ت ب ع)، وتدلّ هذه المادة على التلوّ والقفو، يقال: تبعته القوم تبعاً، وتباعة بالفتح، إذا مشيت خلفهم أو مروا بك فمضيت معهم، وتبعته الشيء: سرت في أثره، والتابع: التالي، والجمع تبع وتبّاع وتبّعة. والتبع اسم للجمع.  
وقال أبو عبيد: أتبعته القوم إذا كانوا قد سبقوك فلحققتهم.  
وقال الفراء: أتبع أحسن من أتبع؛ لأنّ الأتباع أن يسير الرجل وأنت تسير وراءه. فإذا قلت أتبعته فكأنك قفوته..

وأتبع القرآن: اتّمت به وعمل بما فيه، وفي حديث أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه: «إنّ هذا القرآن كائن لكم أجراً وكائن عليكم وزراً، فاتّبِعُوا القرآن ولا يتّبِعَنَّكم القرآن، فإنّه من يتّبِع القرآن يهبط به على رياض الجنّة، ومن يتّبِع القرآن يزخّ في قفاه حتّى يقذف به في نار جهنّم» يقول: اجعلوه أمامكم ثمّ اتلوه كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ أي يتبعونه حقّ اتّباعه، وأراد لا تدعوا تلاوته والعمل به فتكونوا قد جعلتموه وراءكم.

وتابع بين الأمور متابعة وتباعاً: واطر، والى.

وتابع عمله وكلامه: أتقنه وأحكمه، ومنه حديث أبي واقد الليثي: تابعتنا الأعمال فلم نجد شيئاً أبلغ في طلب الآخرة من الزهد في الدنيا، أي أحكمناها وعرفناها. ويقال: تابع فلان كلامه، وهو يتبع للكلام إذا أحكمه، ويقال: هو يتابع الحديث إذا كان يسرده، وقيل: فلان متتابع العلم إذا كان علمه يشاكل بعضه بعضاً لا تفاوت فيه<sup>(١)</sup>.

والاتباع في الأصل: اقتفاء أثر الماشي، ثمّ استعمل في العمل بمثل عمل الغير، كما في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَحْسِنُونَ﴾ ثمّ استعمل في امتثال الأمر، والعمل بما يأمر به المتبوع فهو الائتمار<sup>(٢)</sup>.

## واصطلاحاً:

قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - : هو أن يتبع الرجل ما جاء عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وعن أصحابه، ثمّ هو من بعد في التابعين مخير.

(١) لسان العرب لابن منظور (١/ ٤١٦، ٤١٩)، وانظر الصحاح (٣/ ١١٩٠)، ومقاييس اللغة (١/ ٣٦٢).

(٢) تفسير التحرير والتنوير (٧/ ٤٢٣).

وقال ابن عبد البر - رحمه الله تعالى - : الاتباع ما ثبت عليه الحجّة، وهو اتباع كلّ من أوجب عليك الدليل اتباع قوله. فالرسول ﷺ هو المثل الأعلى في اتباع ما أمر به (١).

قال الشافعي - رحمه الله تعالى - : باب ما أبان الله لخلقه من فرضه على رسوله اتباع ما أوحى إليه وما شهد له به من اتباع ما أمر به، وأنّه ﷺ هاد لمن اتبعه. ثم ساق الآيات الدالة على هذه المعاني ومنها قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿الأحزاب: ١، ٢﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيحَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الباقية: ١٨] ثم قال - رحمه الله تعالى - : وما سنّ رسول الله ﷺ فيما ليس لله فيه حكم فبحكم الله سنة، وكذلك أخبرنا الله في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ. وقد سنّ رسول الله ﷺ مع كتاب الله، وسنّ فيما ليس فيه بعينه نصّ كتاب، وكلّ ما سنّ فقد ألزمتنا الله اتباعه، وجعل في اتباعه طاعته، وفي العنود (٢) عن اتباعه معصيته التي لم يعذر بها خلقا، ولم يجعل له من اتباع سنن رسول الله ﷺ مخرجا للآيات المذكورة. ولقول رسول الله ﷺ: «لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري، ممّا أمرت به أو نهيت عنه، فيقول لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»، وسنن رسول الله ﷺ مع كتاب الله وجهان: أحدهما: نصّ كتاب، فاتبعه رسول الله ﷺ كما أنزله الله، والآخر: جملة بين رسول الله ﷺ فيه عن الله معنى ما أراد بالجملة، وأوضح كيف فرضها عامّا أو خاصّا، وكيف أراد أن يأتي به العباد. وكلاهما اتبع فيه كتاب الله.

فلم أعلم من أهل العلم مخالفا في أنّ سنن النبي ﷺ من ثلاثة وجوه، فاجتمعوا منها على وجهين: أحدهما ما أنزل الله فيه نصّ كتاب فبين رسول الله ﷺ مثل ما نصّ الكتاب. والآخر ممّا أنزل الله فيه جملة كتاب، فبين عن الله معنى ما أراد. وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيهما.

والوجه الثالث (المختلف فيه) ما سنّ رسول الله ﷺ فيما ليس فيه نصّ كتاب. فمنهم من قال: جعل الله له بما افترض من طاعته وسبق في علمه من توفيقه لرضاه، أن يسنّ فيما ليس فيه نصّ كتاب. ومنهم من قال: لم يسنّ سنة قطّ إلا ولها أصل في الكتاب، كما كانت سنته لتبيين عدد الصلاة وعملها على أصل جملة فرض الصلاة، وكذلك ما سنّ من البيوع وغيرها من الشرائع؛ لأنّ الله

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٧ / ٥٤٨).

(٢) العنود: العتو والطغيان أو الميل والانحراف.

قال: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩] وقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] ما أحلّ وحرّم فإنّما بيّن فيه عن الله كما بيّن الصلاة.

ومنهم من قال: بل جاءته به رسالة الله فأثبتت سنّته بفرض الله.

ومنهم من قال: ألقى في روعه <sup>(١)</sup> كل ما سنّ (وسنّته الحكمة): الذي ألقى في روعه عن الله، فكان ما ألقى في روعه سنّته.

وأيّ هذا كان، فقد بيّن الله أنّه فرض فيه طاعة رسوله ﷺ، ولم يجعل لأحد من خلقه عذرا بخلاف أمر عرفه من أمر رسول الله ﷺ، وأن قد جعل الله بالنّاس كلّهم الحاجة إليه في دينهم، وأقام عليهم حجّته بما دلّهم عليه من سنن رسول الله ﷺ معاني ما أراد الله بفرائضه في كتابه، ليعلم من عرف منها ما وصفنا أنّ سنّته ﷺ إذا كانت سنّة مبيّنة عن الله معنى ما أراد من مفروضه فيما فيه كتاب يتلونه، وفيما ليس فيه نصّ كتاب سنّة أخرى فهي كذلك لا يختلف حكم الله ثمّ حكم رسوله، بل هو لازم بكلّ حال <sup>(٢)</sup>.

وقال الشاطبيّ - رحمه الله تعالى - : الكتاب (أي القرآن) هو المتّبع على الحقيقة، ومراتب النّاس بحسب اتّباعهم له. إنّ الله تعالى وضع هذه الشريعة حجة على الخلق كبيرهم وصغيرهم، مطيعهم وعاصيهم، برّهم وفاجرهم. لم يختصّ بها أحدا دون أحد، وكذلك سائر الشرائع إنّما وضعت لتكون حجة على جميع الأمم التي تنزل فيهم تلك الشرائع، حتّى إنّ المرسلين بها صلوات الله عليهم داخلون تحت أحكامها.

فأنت ترى أنّ نبينا محمدا ﷺ مخاطب بها في جميع أحواله وتقلّباته ممّا اختصّ به دون أمته، أو كان عامّا له ولأمته - فالشريعة هي الحاكمة على الإطلاق والعموم عليه وعلى جميع المكلفين، وهي الطّريق الموصّل والهادي الأعظم. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]. فهو عليه الصلاة والسلام أوّل من هداه الله بالكتاب والإيمان، ثمّ من اتّبعه فيه، والكتاب هو الهادي، والوحي المنزّل عليه مرشد ومبيّن لذلك الهدى، والخلق مهتدون بالجميع. ولما استنار قلبه وجوارحه عليه الصلاة والسلام وباطنه وظاهره بنور الحقّ علما وعملا، صار هو الهادي الأوّل

(١) الرّوع: بضم الرّاء بعدها واو ساكنة القلب والعقل.

(٢) الرسالة للشافعي (٨٥ - ١٠٥) بتصرف.

لهذه الأمة والمرشد الأعظم، حيث خصّه الله تعالى دون الخلق بإنزال ذلك النور عليه، واصطفاه من جملة من كان مثله في الخلقة البشرية اصطفاه أوليًا من جهة اختصاصه بالوحي الذي استنار به قلبه وجوارحه فصار خلقه القرآن، حتّى قال الله فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وذلك لأنّه حكم الوحي على نفسه حتّى صار في علمه وعمله على وفقه واقفا عند حكمه، فقد جاء بالأمر وهو به مؤتمر، وبالتهي وهو منته وبالوعظ وهو متعظ، وبالتخويف وهو أول الخائفين، وبالترجية وهو سائق دابة الرّاجين، وقد صارت الشريعة المنزلة عليه حجة حاكمة عليه، ودلالة على الصّراط المستقيم الذي سار عليه، فإذا كان الأمر كذلك، فسائر الخلق حريون بأن تكون الشريعة حجة حاكمة عليهم، ومنارا يهتدون بها إلى الحقّ، وشرفهم إنّما يثبت بحسب ما اتّصفوا به من الدخول تحت أحكامها، والأخذ بها قولاً واعتقاداً وعملاً، فمن كان أشدّ محافظة على اتّباع الشريعة فهو أولى بالشرف والكرم، ومن كان دون ذلك لم يمكن أن يبلغ في الشرف المبلغ الأعلى في اتّباعها، فالشرف إذا إنّما هو بحسب المبالغة في تحكيم الشريعة<sup>(١)</sup>.

#### السنن التركية حكمها حكم السنن الفعلية:

إذا فعل النبي ﷺ حكماً أو ترك حكماً فهو عبادة في حقنا إلا أن يقوم الدليل على اختصاصه ﷺ بذلك الحكم، وكذلك ترك النبي ﷺ لحكم، إذ إنّ التّرك وسيلة لبيان الأحكام كالفعل، فكما أنّ النبي ﷺ كان يبيّن الأحكام بفعله المجرد من القول، أو بالفعل الذي يساعده القول، كذلك كان يبيّن الأحكام بالتّرك المجرد من القول، أو بالتّرك الذي يساعده القول<sup>(٢)</sup>.

خلاصة الأمر في هذا، أنّ المسلم واجب عليه أن يتّبع منهج الله وشريعته، كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ لأنّ كمال الإنسان وترقيته لا يكون إلا عبر منهج العبادة الذي ورد في هذين المصدرين، والذي يعني إسلام النفس في كلّ ما تفعل وتذر لما يريد الله ويرضاه عبر الالتزام الكلي بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

وإذا كان الاتّباع كما سبق هو اتّباع النبي ﷺ فيما جاء عنه وعن أصحابه، فما جاء عنه أمران: القرآن بوصفه وحياً من الله تعالى إلى النبي ﷺ، والسنة النبوية المطهرة.

وكلّ ما جاء بالقرآن ملزم الاتّباع، حيث إنّهُ يحتوي على المنهج الكامل لحياة المجتمع

(١) الاعتصام (٢) / ٣٣٨ - ٣٤٠ باختصار.

(٢) أفعال الرسول ﷺ للدكتور محمد سليمان الأشقر (٢) / ١٥.

الإسلامي، وبالتالي فهو يشمل كل ما يحتاجه هذا المجتمع، وما يحتاجه الإنسان في حياته، من عقائد وأخلاق، وأحكام عملية تتصل بالعبادات والمعاملات التي تنظم علاقة الإنسان بأمثاله وبالمجتمع وبالأمم والعالم.

أما السنّة النبويّة فقد جاءت مكّملة للقرآن، وأوجب الله على الناس طاعة الرسول في قبول ما شرعه لهم وامثال ما يأمرهم به، وينهاهم عنه. إذن واجب للرسول ﷺ على الأمة أمران؛ الأوّل: الطاعة فيما أتى به. والثاني: أن يبلغوا عنه ما أخبرهم به.

والسنّة أقوال وأفعال وتقريرات، وكلّ الأقوال والتقريرات من الدين، وحبّة على المسلم أن يتبعها، والأفعال منها:

ما يتصل ببيان الشريعة وهذا واجب الاتباع (كصلاته، وصومه، وحبّه...).

ما يتصل بخاصّته هو، حيث قام الدليل على أنّها خاصّة بمحمّد ﷺ.

ما يتصل بمقتضى الجبلة البشريّة أو بمقتضى العادات الجارية، كالملبس، والمأكل والمشرب،... إلخ، وهذا يخضع لمقتضى الطبيعة الإنسانيّة.

ولكنّ هذا الاتباع ليس تقليدا أعمى، وإنما اتّباع بصير متفهّم واع يهتدي بالله وحكمته، وبالمقومات الكفيلة ببناء الإنسان بناء قويّاً راسخاً<sup>(١)</sup>.

### الاتباع دليل محبة الله ﷻ ورسوله ﷺ :

للمحبّة طرفان هما: المحبّ والمحبوب، وفيما يتعلّق بمحبّة الله ﷻ فإنّ طرفيها هما: محبّة العبد لربه ومحبة الربّ لعبده، ودليل الأولى هي اتّباع المصطفى ﷺ. أمّا الثانية فهي ثمرة ذلك الاتّباع ويؤكد ذلك قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١]، ولذلك أطلق على هذه الآية الكريمة آية المحبّة، يقول أبو سليمان الداراني: لما ادّعت القلوب محبة الله ﷻ أنزل الله هذه الآية محنة<sup>(٢)</sup> (أي اختباراً وامتحاناً لهذه القلوب). ومعنى هذه الآية - كما يقول الطبري - قل يا محمّد لو فد نصارى نجران إن كنتم تزعمون أنّكم تحبّون الله فحقّقوا قولكم الذي تقولونه إن كنتم صادقين باتّباعكم إياي فإنكم

(١) المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) مدارج السالكين (٣ / ٢٢).

تعلمون أنني رسول الله إليكم كما كان عيسى عليه السلام رسولا إلى من أرسله الله إليهم<sup>(١)</sup>. وقد فسّر بعضهم المحبة بالاتباع والطاعة من جانب العباد ومحبة الله لعباده بإنعامه عليهم بالغفران فقال: محبة العبد لله ورسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما ومحبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران<sup>(٢)</sup>. وقال سهل بن عبد الله: علامة حبّ الله حبّ القرآن وعلامة حبّ القرآن حبّ النبي صلى الله عليه وآله، وعلامة حبّ النبي صلى الله عليه وآله حبّ السنّة، وعلامة ذلك كلّ حبّ الآخرة<sup>(٣)</sup>، وهذه الآية الكريمة حاكمة على كلّ من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمّديّة بأنّه كاذب في نفس الأمر حتّى يتبع الشّرع المحمّديّ والدين النبويّ في جميع أقواله وأفعاله، والمراد بـ ﴿يُحِبُّكُمْ اللَّهُ﴾ أنّه يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إيّاه وهو محبته إيّاكم وهذا أعظم من الأوّل إذ ليس الشّأن أن تحبّ إنّما الشّأن أن تحبّ<sup>(٤)</sup>.

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى في الآية السابقة: يحبكم الله إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وفائدة الاتباع وثمرته محبة الله تعالى فإذا لم تحصل المتابعة فليست المحبة بحاصلة، وقال أيضا: وعلى ذلك فإنّه لا تنال محبة الله تعالى إلاّ باتباع الحبيب صلى الله عليه وآله<sup>(٥)</sup>، والخلاصة أنّ الاتباع علامة على صدق العبد في حبه لله تعالى وأنّ ثمره هذا الاتباع هي محبة الله تعالى وغفرانه.

### الاتباع في القرآن الكريم:

ورد الاتباع في القرآن الكريم مأمورا به ومنهيا عنه، فالمنهية عنه هو اتباع الهوى والشيطان والظنّ والكفّار وما أشبه ذلك، أمّا المأمور به فقد ورد على صور عديدة منها اتباع الرّسل، ومنها اتباع الوحي والشريعة والهدى وصالح المؤمنين، وسنصنّف آيات الاتباع المأمور به وفقا لما أمر باتّباعه.

[انظر أيضا صفات: الأسوة الحسنة، الحكم بما أنزل الله، مجاهدة النفس، الاعتصام، الطاعة.

وفي ضد ذلك انظر: صفات: اتباع الهوى، الابتداع، الغلو، القدوة السيئة، الإعراض، الحكم بغير ما أنزل الله].

(١) باختصار عن تفسير الطبري (٣ / ١٥٦).

(٢) تفسير القرطبي (٤ / ٤٠).

(٣) المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) تفسير ابن كثير (١ / ٣٥٨).

(٥) مدارج السالكين بتصرف (٣ / ٢٢ - ٣٩).

## من فوائد (الاتباع)

- (١) دليل المحبة الكاملة ويجلب محبة الله لعبده. (٨) السلامة من الاعتراض والأمن من الانتقاد.
- (٢) الاتباع مجلبة لرحمة الله تعالى ومغفرته (٩) صاحبه من أئمة الهدى فيكثر أجره بمقدار ورضوانه.
- (٣) الاتباع دليل الفلاح والهداية وقبول التوبة. (١٠) الاتباع فيما تركه ﷺ حكمه كحكم أتباعه فيما فعله ﷺ.
- (٤) يجلب التأيد والنصر والتمكين والعزة والفلاح.
- (٥) يحصل للعبد به السعادة وطيب العيش في الذين يقرأون القرآن ويعملون به.
- (٦) الخروج من هوى النفس وعبادة الذات. (١٢) لا يجوز اتباع الكذابين وطلاب السلطة الذين يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم.
- (٧) ضمان السلامة والأمن من الخطأ لعصمة المتبوع ﷺ.

## الاجتماع

## الاجتماع لغة:

جمع الشيء: ألف متفرقه، وأصل المعنى الضم، قال ابن فارس: الجيم والميم والعين، أصل واحد يدل على تضام الشيء، يقال: جمعت الشيء جمعا، وتجمع القوم، اجتمعوا من هنا وهنا، واجتمع القوم: انضموا، وهو ضد تفرقوا.

و جمع أمره وأجمعه وأجمع عليه: عزم عليه كأنه جمع نفسه له، والأمر مجمع، ويقال أيضا: أجمع أمرك ولا تدعه منتشرًا وأجمعت الشيء: جعلته جميعا، (أي مجتمعا)، ويقال: جمع الناس تجميعا: شهدوا الجمعة وقضوا الصلاة فيها. وجمع: شدد للكثرة. يقال: فلاة مجمعة ومجمعة: يجتمع الناس فيها ولا يتفرقون<sup>(١)</sup>.

وأجمع القوم: اتفقوا، وأجمع الرأي والأمر: عزم عليه.

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٩/ ٤٧-٤٨)، ومعجم متن اللغة لأحمد رضا (١/ ٥٦٨-٥٧٠). واللسان (ج م ع).

قال الشيخ أحمد شاكر في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾: أمرهم بالجماعة، ونهاهم عن التفرّق، وقد وردت الأحاديث المتعدّدة بالنّهي عن التّفرّق، والأمر بالاجتماع والاتّلاف، وقد وقع ذلك في هذه الأُمَّة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية إلى الجنّة ومسلّمة من عذاب النّار، وهم الذين على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه (١).

### واصطلاحاً:

لا يختلف معنى الاجتماع في الشّرع عن المعنى الذي يفيد في أصل اللّغة. وهو أن يلتقي المسلمون وينضمّ بعضهم إلى بعض ولا يتفرّقوا، أمّا الأمر الذي يجتمعون حوله فهو كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

وقال القرطبيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]: إنّ الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة لأنّ الفرقة هلكة والجماعة نجاة، روي عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه في الآية الكريمة أنّ حبل الله هو الجماعة (٢).

قال القرطبيّ: ويجوز أن يكون المعنى: ولا تفرّقوا متابعين الهوى والأغراض المختلفة بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾. وليس في الآية دليل على تحريم الاختلاف في الفروع؛ لأنّ الاختلاف ما يتعدّر معه الاتّلاف والجمع، وليست كذلك مسائل الاجتهاد؛ لأنّ الاختلاف فيها يسبّب استخراج الفرائض ودقائق معاني الشّرع، وما زالت الصّحابة - رضوان الله عليهم - يختلفون في أحكام الحوادث وهم مع ذلك متآلفون (٣).

وقال ابن كثير رضي الله عنه: أمرهم الله ﷻ في الآية الكريمة بالجماعة ونهاهم عن الفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعدّدة بالنّهي عن التّفرّق والأمر بالاجتماع والاتّلاف، وقد ضمن الله لهم (أي للمسلمين) العصمة من الخطأ عند اتّفاقهم (واجتماعهم)، وخيف عليهم (الخطأ) عند الافتراق والاختلاف، فقد وقع ذلك في هذه الأُمَّة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية إلى

(١) انظر عمدة التفسير لأحمد شاكر (٣/ ١٦). وراجع: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، المجلد الثاني، الجزء الرابع، (١٠٢-١٠٣).

(٢) تفسير القرطبي (٤/ ١٥٩) بتصرف.

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ١٥٩).

الجنة ومسلمة من النار، وهم الذين على ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه<sup>(١)</sup>. وقال أبو حيان: نهي المسلمون (في هذه الآية الكريمة) عن التفرق في الدين والاختلاف فيه كما اختلف اليهود والنصارى، وقيل: عن إحداهما ما يوجب التفرق ويحول معه الاجتماع<sup>(٢)</sup>.

### أهمية الاجتماع وحث الإسلام عليه:

قال الشافعي رحمه الله: وإذا كان للمسجد إمام راتب ففانت رجلاً أو رجلاً فيه الصلاة: صلوا فرادى، ولا أحب أن يصلوا فيه جماعة، فإن فعلوا أجزأتهم الجماعة فيه. وإنما كرهت ذلك لهم لأنه ليس مما فعل السلف قبلنا، بل قد عابه بعضهم.

قال الشافعي: وأحسب كراهية من كره ذلك منهم إنما كان لتفرق الكلمة، وأن يرغب الرجل عن الصلاة خلف إمام جماعة فيتخلف هو ومن أراد عن المسجد في وقت الصلاة، فإذا قضيت دخلوا فجمعوا، فيكون في هذا اختلاف وتفرق كلمة<sup>(٣)</sup>.

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله معلقاً على كلام الشافعي: والذي ذهب إليه الشافعي من المعنى في هذا الباب صحيح جليل، ينبىء عن نظر ثاقب، وفهم دقيق، وعقل درك لروح الإسلام ومقاصده، وأول مقصد للإسلام، ثم أجله وأخطرته: توحيد كلمة المسلمين، وجمع قلوبهم على غاية واحدة، هي إعلاء كلمة الله، وتوحيد صفوفهم في العمل لهذه الغاية. والمعنى الروحي في هذا اجتماعهم على الصلاة وتسوية صفوفهم فيها أولاً، كما قال رسول الله ﷺ: «لتسوّن صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم»، وهذا شيء لا يدركه إلا من أنار الله بصيرته للفقهاء في الدين، والغوص على درره، والسمو إلى مداركه، كالشافعي وأضرابه. وقد رأى المسلمون بأعينهم آثار تفرق جماعاتهم في الصلاة، واضطراب صفوفهم، ولمسوا ذلك بأيديهم، إلا من بطلت حاسته، وطمس على بصره. وإنك لتدخل كثيراً من مساجد المسلمين فتري قوما يعتزلون الصلاة مع الجماعة، طلباً للسنة كما زعموا! ثم يقيمون جماعات أخرى لأنفسهم، ويظنون أنهم يقيمون الصلاة بأفضل مما يقيمها غيرهم، ولئن صدقوا فقد حملوا من الوزر ما أضع أصلاً صلاتهم، فلا ينفعهم ما ظنّوه من الإنكار على غيرهم في ترك بعض السنن أو المندوبات. وتري قوما آخرين يعتزلون مساجد

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٩٧).

(٢) البحر المحيط (٣/ ٢١)، وقد ذكر آراء أخرى في تفسير هذه الآية، تنظر هناك.

(٣) الأم (١/ ١٣٦-١٣٧).

المسلمين، ثم يتخذون لأنفسهم مساجد أخرى، ضرارا وتفريقا للكلمة، وشقا لعصا المسلمين. نسأل الله العصمة والتوفيق، وأن يهدينا إلى جمع كلمتنا، إنه سميع الدعاء.

وهذا المعنى الذي ذهب إليه الشافعي لا يعارض حديث الباب<sup>(١)</sup>، فإن الرجل الذي فاتته الجماعة لعذر، ثم تصدق عليه أخوه من نفس الجماعة بالصلاة معه - وقد سبقه بالصلاة فيها - هذا الرجل يشعر في داخله نفسه كأنه متحد مع الجماعة قلبا وروحا، وكأنه لم تفته الصلاة. وأما الناس الذين يجمعون وحدهم بعد صلاة جماعة المسلمين فإنما يشعرون أنهم فريق آخر، خرجوا وحدهم، وصلوا وحدهم.

وقد كان عن تساهل المسلمين في هذا، وظنهم أن إعادة الجماعة في المساجد جائزة مطلقا -: أن فشت بدعة منكرة في الجوامع العامة، مثل الجامع الأزهر والمسجد المنسوب للحسين عليه السلام وغيرهما بمصر، وبلاد أخرى، فجعلوا في المسجد الواحد إمامين راتبين أو أكثر، ففي الجامع الأزهر - مثلا - إمام للقبلة القديمة، وآخر للقبلة الجديدة، ونحو ذلك في مسجد الحسين عليه السلام؛ وقد رأينا فيه أن الشافعية لهم إمام يصلي بهم الفجر في الغلس، والحنفيون لهم آخر يصلي الفجر بإسفار، ورأينا كثيرا من الحنفية من علماء وطلاب وغيرهم ينتظرون إمامهم ليصلي بهم الفجر، ولا يصلون مع إمام الشافعيين، والصلاة قائمة، والجماعة حاضرة، ورأينا فيهما وفي غيرهما جماعات تقام متعددة في وقت واحد، وكلهم أئمة، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، بل قد بلغنا أن هذا المنكر كان في الحرم المكي، وأنه كان يصلي فيه أئمة أربعة، يزعمونهم للمذاهب الأربعة، ولكننا لم نر ذلك، إذ لم ندرك هذا العهد بمكة، وإنما حججنا في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - يرحمه الله - وسمعنا أنه أبطل هذه البدعة، وجمع الناس في الحرم على إمام واحد راتب، ونرجو أن يوفق الله علماء الإسلام لإبطال هذه البدعة من جميع المساجد في البلدان، بفضل الله وعونه، إنه سميع الدعاء<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة انظر: صفات: الألفة، الإخاء، التناصر، الاعتصام، التعاون على البر والتقوى، التعارف، حسن العشرة، حسن المعاملة.

وفي ضد ذلك انظر صفات التفرق، التخاذل، التنازع، التعاون على الإثم والعدوان، الفتنة، سوء المعاملة، سوء الخلق].

(١) المراد الحديث الذي أورده الترمذي في فضل صلاة الجماعة.

(٢) انظر: سنن الترمذي، بتحقيق الشيخ أحمد شاكر (١/ ٤٣١ - ٤٣٢).

## من فوائد (الاجتماع)

- (١) يعمل على تحقيق وعي الأمة بفهم ذاتها فهما صحيحا، ممّا يساعد على توحيد أنماط التفكير والسلوك، وأساليب البحث والنظر على أساس إسلامي صحيح.
- (٢) يساعد المجتمع الإسلامي على مواجهة التّحدّيات.
- (٣) يساعد على تحقيق الاتّصال الجماعيّ بالنماذج الإسلاميّة المثاليّة.
- (٤) يساعد المجتمع الإسلاميّ على التّحرّر من التّبعيّة الفكرية والحضاريّة، والتي تتولّد عن عدم فهم الذات فهما صحيحا واعيا.
- (٥) يساعد على صياغة ضمير المسلم صياغة صحيحة من أجل الإبداع الحضاريّ ويشير طاقاته الإبداعية، ويقدم النموذج الإسلاميّ السّليم للإنسان الحضاريّ.
- (٦) يساعد على إبراز ما للإسلام من آثار عظيمة على المسلم؛ إذ يورثه القوّة والعزّة والمنعة.
- (٧) تحقيق المفاهيم الإسلاميّة الحقيقيّة للأمة، بعقيدها وأخلاقها، ممّا يتبلور في النّهاية في شكل حضارة إسلاميّة حقيقيّة معبرة عن المجتمع الإسلاميّ.
- (٨) تحقيق الألفة والعدالة والمحبة وكلّ العوامل المؤدّية إلى التّرابط في المجتمع الإسلاميّ.
- (٩) المحافظة على التّراث الثّقافيّ واللّغة العربيّة (لغة القرآن) واستمرارها.
- (١٠) القضاء على العصبية القبليّة، وعدّ القاعدة الدّينيّة الاجتماعيّة أساسا يتّسع لجميع الأمم والشّعوب.
- (١١) تتحقّق البركة في الاجتماع على الطّعام وغيره من أمور البرّ.
- (١٢) الاجتماع يحقّق مطلبا إسلاميا أصيلا، حتّى عليه الإسلام في صلاة الجمعة، وصلاة الجماعة، وأداء الحجّ.
- (١٣) يؤدّي الاجتماع إلى تحقيق الألفة بين المسلمين وانتشار التّعارف فيما بينهم، وبذلك تتحقّق المودّة ويسود الإخاء ويعمّ التّعاون.
- (١٤) في الاجتماع تقوية لجانب المسلمين ورفع روحهم المعنويّة انطلاقا من الاعتقاد بأنّ يد الله مع الجماعة، ومن كانت يد الله معه كان واثقا من نصر الله ﷻ.
- (١٥) الاجتماع قوّة متجدّدة للفرد والأسرة والمجتمع، بل ولكلّ العالم الإسلاميّ.

(١٦) الاجتماع يخيف الأعداء ويلقي الرعب في قلوبهم ويجعلهم يخشون شوكة الإسلام والمسلمين، ومن ثم يكون في الاجتماع عزّة للمسلمين في كل مكان.

(١٧) إن توحيد الصفوف واجتماع الكلمة هما الدعامات الوطيدة لبقاء الأمة، ودوام دولتها، ونجاح رسالتها.

(١٨) الاجتماع وسيلة من وسائل الأخلاق الفاضلة وذلك بانغماس الفرد في البيئات الصالحة، ذلك لأن من طبيعة الإنسان أن يكتسب من البيئة التي ينغمس فيها، ويتعايش معها ومع ما لديها من أخلاق وعادات وسلوك.

(١٩) بوجود الإنسان مع الجماعة تنشط روح المنافسة.

(٢٠) الاجتماع يذكي في الأفراد روح التفوق والرغبة في إظهار ما لديهم من قدرات، وهذا الدافع لا يتحرك إلا من خلال الجماعة.

(٢١) في وجود الفرد داخل الجماعة وازع أساسي له كي يتعد عن الرذائل خشية ما يصيبه من ضرر لو اطلع الآخرون على هذه الصفات القبيحة، ومن هنا يكون للاجتماع دوره الفعال في مكافحة الجريمة والرذيلة.

(٢٢) بالاجتماع وخاصة مع الصالحين والأسوياء ما يجعل المرء يشعر بأخلاق الجماعة ويحاول تقليدها واكتساب أخلاقها، ثم يتحمس للدفاع عنها.

(٢٣) في الاجتماع دواء ناجع لكثير من الأمراض النفسية كالانطواء والقلق، إذ إن وجود المرء مع الآخرين يدفع عنه داء الانطواء ويذهب القلق، وخاصة إذا علم أن إخوانه لن يتخلوا عنه وقت الشدة فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه.

(٢٤) وأخيرا فإن مجالسة أهل الذكر والاجتماع بهم وهم القوم لا يشقى جليسهم - غالبا ما يكون سببا لمغفرة الله ﷻ ورضوانه.

(٢٥) في الاجتماع طرد للشيطان وإغاظة له لأنه يهّم بالواحد والاثنين فإذا كانوا ثلاثة (وهو أقل الجمع) لم يهّم بهم الشيطان، كما أخبر المصطفى ﷺ.

## الاحتساب

### الاحتساب لغة:

الاحتساب مصدر احتسب وهو من مادة (ح س ب) التي تدل في اللغة على معان عديدة منها: العد، والكفاية<sup>(١)</sup>، ومن المعنى الأول (العد) قولهم: حسبت الشيء أحسبه حسبا وحسابنا، قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، ومن الباب الحسب الذي يعد من الإنسان، قال أهل اللغة معناه أن يعد آباء أشرفا، ومن هذا الباب قولهم: احتسب فلان ابنه إذا مات كبيرا، وذلك أن يعده في الأشياء المذخورة له عند الله، والاسم: الحسبة وهو الأجر أو احتساب الأجر، وفلان حسن الحسبة بالأمر إذا كان حسن التدبير، وهذا أيضا من الباب لأنه إذا كان حسن التدبير للأمر كان عالما بعداد كل شيء وموضعه من الرأي والصواب، ويقال: أحتسب بكذا أجرا عند الله، وفي الحديث: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا». أي طلبا لوجه الله تعالى وثوابه، فالاحتساب من الحسب كالاعتداد من العد، وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله احتسبه لأن له حينئذ أن يعتد عمله فجعل في حال مباشرة الفعل كأنه معتد به، والحسبة: الأجر وهي اسم من الاحتساب كالعدة من الاعتداد، وجمع الحسبة حسب، وأما قوله ﷺ ﴿وَرَزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ فجائز أن يكون معناه: من حيث لا يقدره ولا يظنه كائنا، من حسبت أحسب أي ظننت، وجائز أن يكون مأخوذا من حسبت أحسب، أي من حيث لم يحسبه لنفسه رزقا ولا عدّه في حسابه، قال الأزهري: وإنما سمّي الحساب في المعاملات حسابا لأنه يعلم به ما فيه كفاية ليس فيه زيادة على المقدار، ومعنى قولهم: احتسب فلان ابنا له: اعتد مصيبته به في جملة بلايا الله التي يثاب على الصبر عليها<sup>(٢)</sup>.

ومن المعنى الثاني (أي الكفاية، قولهم: أحسبني الشيء: كفاني، تقول أعطى فأحسب، أي أكثر حتى قال: حسبي، وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] يكفيك الله ويكفي من اتبعك<sup>(٣)</sup>. وقال القرطبي: قيل: المعنى كافيك الله

(١) لهذه المادة معنى ثالث هو الدلالة على جنس من الألوان، ومنه الحسبة: غبرة في كدرة يقال: جمل أحسب وناقة حساب وهو دون الورقة، وشعره أحسب: فيه سواد وغبرة. انظر المقاييس (٢/ ٦١) والجمهرة لابن دريد (١/ ٢٢١) ولسان العرب (١/ ٣١٦).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٦)، والنهاية لابن الأثير (١/ ٣٨٢) ولسان العرب لابن منظور (١/ ٣١٤-٣١٥).

(٣) لسان العرب (١/ ٣١٢) (ط. بيروت).

وكافي من أتبعك<sup>(١)</sup>، وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «يحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام» قال ابن الأثير: يكفيك ولو روي «بحسبك أن تصوم» أي كفايتك، أو كافيك، كقولهم: بحسبك قول السوء (والباء زائدة) لكان وجها.

والإحساب الكفاية، وفي أسماء الله تعالى: الحسيب وهو الكافي - فاعيل بمعنى مفعول - من أحسبني الشيء إذا كفاني، وقولهم: أحسبته (بالهمز) وحسبته (بالتشديد) أعطيته ما يرضيه حتى يقول: «حسبي»<sup>(٢)</sup>. وقول الله تعالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] قال القرطبي في تفسيره<sup>(٣)</sup>: المعنى كافينا الله من الإحساب وهو الكفاية، قال الشاعر:

فتملأ بيتنا أقطا وسمنا  
وحسبك من غنى شبع وري  
روي عن ابن عباس في هذه الآية قال: قالها إبراهيم الخليل عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال الناس «من المنافقين، وقيل ركب عبد القيس الذين مروا بأبي سفيان فدسهم إلى المسلمين ليشطوهم»: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ (أي أبو سفيان ومن معه) ﴿قَدْ جَعَلُوا لَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال الطبري في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ المعنى فإن تولّى يا محمد هؤلاء الذين جئتهم بالحق فأدبروا عنك ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة في الله فقل: حسبي الله (يعني) يكفيني ربي لا إله إلا هو لا معبود سواه، عليه توكلت وبه وثقت، وعلى عونه اتكلت، وإليه وإلى نصره استندت لأنه ناصرني ومعيني على من خالفني وتولّى عني منكم ومن غيركم من الناس وهو ربّ العرش العظيم.

#### الاحتساب اصطلاحاً:

قال الكفوي: الاحتساب: هو طلب الأجر من الله تعالى بالصبر على البلاء مطمئنة نفس المحتسب غير كارهة لما نزل بها من البلاء<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير القرطبي (٤٣ / ٧) وقد روى الرأي الأول عن الحسن والآخري عن الشعبي وابن زيد واختاره الفراء كما ذكر ابن منظور.

(٢) النهاية لابن الأثير (١ / ٣٨١) وانظر اللسان (١ / ٣١٢).

(٣) تفسير القرطبي (٤ / ٢٧٩ - ٢٨٢) باختصار وتصرف.

(٤) تفسير الطبري (٧ / ٥٦) باختصار.

(٥) في الأصل «مطمئنة نفسه غير كارهة له» وقد تصرفنا في العبارة بما يوضحها. انظر: الكليات للكفوي (ص ٥٧)، ويلاحظ أنه قد اقتصر على معنى واحد فقط للاحتساب وهو طلب الأجر عند الصبر على البلاء.

وقال ابن الأثير: الاحتساب في الأعمال الصالحة وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجو منها<sup>(١)</sup>.

إنه إذا كان الاحتساب بمعناه الذي ذكره الكفوي، أو بمعنييه اللذين ذكرهما ابن الأثير يعني أن يعد الإنسان صبره في المكاره وعمله الطاعة ضمن ما له عند الله ﷻ، فإن اكتفاء الإنسان بالله تعالى وثقته به واتكاله في نصرته على عونه كما يفهم من كلام الطبري<sup>(٢)</sup>، نوع من الاحتساب، كما أن رضا العبد بما قسم له مع الاكتفاء به، كما يؤخذ من تفسير القرطبي لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ [التوبة: ٥٩] احتساب أيضا<sup>(٣)</sup>. من ثم يكون الاحتساب ثلاثة أنواع هي:

- ١- احتساب الأجر من الله تعالى عند الصبر على المكاره، وخاصة فقد الأبناء إذا كانوا كبارا.
  - ٢- احتساب الأجر من الله تعالى عند عمل الطاعات يبتغى به وجهه الكريم كما في صوم رمضان إيماناً واحتساباً، وكذا في سائر الطاعات.
  - ٣- احتساب المولى ﷻ ناصراً ومعيناً للعبد عند تعرضه لأنواع الابتلاء من نحو منع عطاء أو خوف وقوع ضرر، ومعنى الاحتساب في هذا النوع الثالث الاكتفاء بالمولى ﷻ ناصراً ومعيناً والرضا بما قسمه للعبد إن قليلاً وإن كثيراً.
- [للاستزادة: انظر صفات: الإنابة- التوكل- الدعاء- الفرار إلى الله- الصبر والمصابرة- كظم الغيظ.
- وفي ضد ذلك: انظر صفات: الجزع- الحزن القنوط- الوهن- العجلة].

\*\*\*

### من فوائد (الاحتساب)

- (١) طريق موصل إلى محبة الله ورضوانه.
- (٢) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- (٣) الفوز بالجنة والنجاة من النار.
- (٤) حصول السعادة في الدارين.

(١) النهاية لابن الأثير (١/ ٣٨٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري لقوله تعالى في آخر سورة التوبة: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾... وقد نقلنا خلاصته آنفاً فارجع إليه.

(٣) انظر تفسير القرطبي (٨/ ١٦٧).

- (٥) الاحتساب في الطاعات يجعلها خالصة لوجه الله تعالى وليس لها جزاء إلا الجنة. إلى نعمة.
- (٦) الاحتساب في المكاره يضاعف أجر الصبر عليها.
- (٧) الاحتساب يبعد صاحبه عن شبهة الرّياء ويزيد من ثقته برّبّه.
- (٨) الاحتساب في المكاره يدفع الحزن ودليل على حسن الظنّ بالله تعالى.
- (٩) الاحتساب في الطاعات يجعل صاحبه قريء العين مسرور الفؤاد بما يدخره عند ربّه فيتضاعف رصيده الإيمانيّ وتقوى روحه المعنويّة.
- (١٠) الاحتساب دليل الرّضا بقضاء الله وقدره، ودليل على حسن الظنّ بالله تعالى.

## الإحسان

### الإحسان لغة:

ضدّ الإساءة، ورجل محسن ومحسان، الأخيرة عن سيبويه. والمحاسن في الأعمال: ضدّ المساويء. وقوله تعالى: ﴿وَيَذُرُّونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: ٢٢]، أي يدفعون بالكلام الحسن ما ورد عليهم من سيّء غيرهم. وحسنت الشّيء تحسينا: زينتّه، وأحسنت إليه وبه، وروى الأزهريّ عن أبي الهيثم أنّه قال في قوله تعالى في قصّة يوسف، على نبينا وعليه الصّلاة والسّلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠] أي قد أحسن إليّ<sup>(١)</sup>.

### الإحسان اصطلاحاً:

يختلف معنى الإحسان اصطلاحاً باختلاف السّياق الذي يرد فيه، فإذا اقترن بالإيمان والإسلام كان المراد به: الإشارة إلى المراقبة وحسن الطّاعة، وقد فسّره النّبّي ﷺ بذلك عند ما سأله جبريل: ما الإحسان؟ فقال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك...». أمّا إذا ورد «الإحسان» مطلقاً فإنّ المراد به فعل ما هو حسن، والحسن وصف مشتقّ من الحسن الذي يراد به اصطلاحاً - فيما يقول الجرجاني:

(١) لسان العرب (باختصار وتصرف) ج ١ ص ٨٧٧ وما بعدها (ط. دار المعارف).

«ما يكون متعلق المدح في العاجل والثواب في الآجل»<sup>(١)</sup>، وذهب التهانوي إلى أن لفظ الحسن يطلق ويراد به - اصطلاحاً - واحد من أمور ثلاثة:

الأول: كون الشيء ملائماً للطبع وضده القبح بمعنى كونه منافراً له.

الثاني: كون الشيء صفة كمال وضده القبح وهو كونه صفة نقصان وذلك مثل العلم والجهل.

الثالث: كون الشيء متعلق المدح وضده القبح بمعنى كونه متعلق الذم.

وقال المناوي: الإحسان إسلام ظاهر، يقيمه إيمان باطن، يكمله إحسان شهودي. وقال الراغب: الإحسان: فعل ما ينبغي فعله من المعروف، وهو ضربان: أحدهما: الإنعام على الغير، والثاني الإحسان في فعله وذلك إذا علم علماً محموداً، وعمل عملاً حسناً، ومنه قول علي عليه السلام: الناس أبناء ما يحسنون. أي منسوبون إلى ما يعلمون ويعملون.

وقال الكفوي: الإحسان: هو فعل (الإنسان) ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسناً به، كإطعام الجائع، أو يصير الفاعل به حسناً بنفسه، فعلى الأول: الهمزة في أحسن للتعدية وعلى الثاني للصيرورة<sup>(٢)</sup>.

#### حقيقة الإحسان:

فسر النبي ﷺ الإحسان حين سأله جبريل، صلوات الله وسلامه عليه، فقال: «هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». أراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة؛ فإن من راقب الله أحسن عمله، وهو تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]. ولذلك عظم الله ثواب أهل الإحسان، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] وقال ﷺ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة.

والفرق بين الإحسان والإنعام أن الإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره. تقول: أحسنت إلى نفسي، والإنعام لا يكون إلا لغيره.

(١) التعريفات للجرجاني (٩١).

(٢) كشف اصطلاحات الفنون (٢/ ١٤٨) وما بعدها والتوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرءوف المناوي (٤١) والمفردات للراغب (١١٩)، والكليات للكفوي (٥٣).

وقال الفيروز ابادي: الإحسان يقال على وجهين: أحدهما الإنعام على الغير. تقول: أحسن إلى فلان، والثاني إحسان في فعله. وذلك إذا علم علما حسنا، أو عمل عملا حسنا. والإحسان أعم من الإنعام، وقال: الإحسان من أفضل منازل العبودية؛ لأنه لبّ الإيمان وروحه وكماله. وجميع المنازل منطوية فيها، قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] وقال رسول الله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه». والإحسان يكون في القصد بتنقيته من شوائب الحظوظ، وتقويته بعزم لا يصحبه فتور، وبتصفيته من الأكدار الدالة على كدر قصده. ويكون الإحسان في الأحوال بمراعاتها وصونها غيرة عليها أن تحوّل<sup>(١)</sup>.

الإحسان - إذن - وفي معنى عام: المعاملة بالحسنى ممن لا يلزمه إلى من هو أهل لها. ذلك أنّ الحسنى يعني: ما كان محبوبا عند المعامل به، وليس لازما لفاعله.

### درجات الإحسان:

ويأتي الإحسان على درجات متعدّدة، وكلّها ينضوي تحت المفهوم الشامل السابق، وأعلى: ما كان في جانب الله تعالى، ممّا فسره النبي ﷺ بقوله في الحديث المشهور «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». ودونه التّقرّب إلى الله تعالى بالنّوافل.

وتأتي بعد ذلك مراتب أخرى للإحسان سواء في القصد والنية، أو في الفعل، والإحسان في النية يعدّ أمرا مهما، إذ لا بدّ أن تنقى تنقية سليمة وافرة، أمّا الإحسان في الفعل أي في المعاملة مع الخلق فيكون فيما زاد على الواجب شرعا، ويدخل فيه جميع الأقوال والأفعال ومع سائر أصناف الخلائق إلا ما حرّم الإحسان إليه بحكم الشرع.

ومن أدنى مراتب الإحسان، ما ورد في الصحيحين: «أن امرأة بغيا رأت كلبا يلهث من العطش، يأكل الثرى، فنزعت خفها وأدلته في بئر، ونزعت فسقته فغفر الله لها»، وفي الحديث الشريف «إن الله كتب الإحسان على كلّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذّبيحة» [رواه مسلم].

فإلى حقيقة الإحسان ترجع أصول وفروع وآداب المعاشرة كلّها في المعاملة والصّحبة، والعفو عن الحقوق الواجبة من الإحسان لقوله تعالى: ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]<sup>(٢)</sup>.

(١) لسان العرب لابن منظور (١٣/ ١١٥ - ١١٧)، وبصائر ذوي التمييز للفيروز ابادي (٢/ ٤٦٥ - ٤٦٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٤/ ٢٥٥، ٢٥٦).

ويقول ابن قيم الجوزية ما خلاصته: الإحسان على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الإحسان في القصد بتهذيبه علما وإبرامه عزا وتصفيته حالا.

الدرجة الثانية: الإحسان في الأحوال وهو أن تراعيها غيره، وتسترها نظرفا، وتصححها تحقيقا، والمراد بمراعاتها: حفظها وصونها غيره عليها أن تحوّل فإنها تمرّ مرّ السحاب، وتكون المراعاة أيضا بدوام الوفاء وتجنّب الجفاء...

الدرجة الثالثة: الإحسان في الوقت وهو ألا تزايل المشاهدة أبدا، ولا تخلط بهمتك أحدا، والمعنى في ذلك أن تتعلّق همّتك بالحقّ وحده، ولا تعلق همّتك بأحد غيره..<sup>(١)</sup>

### القيمة التربوية للإحسان:

قال أحد المعاصرين: الإحسان من عناصر التربية الواعية نأخذه من قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، والإحسان في صورته العليا صفة ربّ العالمين، لأنّ الإساءة تنتج عن الجهل والعجز والقصور وما إلى ذلك من أوصاف مستحيلة على الله تعالى. إنّه سبحانه تحدّث عن صنعه للكون الكبير، فقال: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، وطلب إلى الناس أن يفتشوا عن مأخذ في هذه الصّناعة يشينها، وهيئات ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾<sup>(٢)</sup> ثمّ أرجع البصر كرّرتيّن ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسيرٌ ﴿[الملك: ٣، ٤] سبحانه من خالق ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]، والله سبحانه عند ما نشر أبناء آدم فوق الثرى، وناط بهم رسالة الحياة، كلّفهم - كي يكونوا ربّانيين - أن يحسنوا العمل، وأن يبلغوا به درجة الكمال، وإذا غلبتهم طباعهم الضّعيفة فلم يصلوا إلى هذا الشّأن كرّروا المحاولات، ولم يستريحوا إلى نقص أو قصور، وعليهم أن يجاهدوا حتّى يبلغوا بأعمالهم درجة الكمال المستطاع، قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله كتب الإحسان على كلّ شيء...»<sup>(٣)</sup>، حتّى في معاملة الحيوان الأعجم، وقد مرّ المصطفى ﷺ على رجل واضع رجله على صفحة شاة، وهو يحدّ شفرتة، وهي تلحظ إليه ببصرها، فقال: «أفلا قبل هذا... أتريد أن تميتها موتتين؟ هلا أهددت شفرتك<sup>(٤)</sup> قبل أن تضجعها»<sup>(٤)</sup>، إنّ الإحسان يقتضي من المسلم ألا

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٨٠) وما بعدها.

(٢) انظر الحديث رقم (٤).

(٣) إحداد الشفرة يعني إمضاء آلة الذبح وهي السكين.

(٤) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، والحديث المذكور في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٠٤)، قال المنذري: الحديث صحيح على شرط البخاري، وقد رواه الطبراني في الكبير والأوسط، كما رواه الحاكم واللفظ له.

يضيّع وقته هباءً، وأن يصرف جهده إلى النَّافع من الأمور، فعن الشَّريد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من قتل عصفورا عبثاً عبث إلى الله يوم القيامة»<sup>(١)</sup> يقول: يا رب إن فلانا قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة»<sup>(٢)</sup>.

ويقول ماجد الكيلاني: يتضافر كل من العدل والإحسان في تحقيق الشَّعار الذي ترفعه فلسفة التربية الإسلامية وهو شعار بقاء النوع البشري ورفيَّه، وإذا كانت ثمرة العدل هي بقاء النوع البشري فإن الإحسان يثمر الرقيَّ لآته يعني التَّفَضُّل والعطاء دون مقابل من الجزاء أو الشُّكر، ويؤدِّي إلى توثيق الروابط وتوفير التَّعاون<sup>(٣)</sup>.

### الإحسان من أهم وسائل نهضة المسلمين:

إنَّ الإحسان يقتضي من المسلم إتقان العمل المنوط به إتقان من يعلم علم اليقين أن الله تعالى ناظر إليه مطَّلع على عمله، وبهذا الإتقان تنهض الأمم وترقى المجتمعات<sup>(٤)</sup>.

### إحسان الله إلى عباده:

إذا تدبَّر العبد، علم أن ما هو فيه من الحسنات من فضل الله؛ فشكر الله؛ تعالى فزاده من فضله عملاً صالحاً، ونعماً يفيضها عليه. وإذا علم أن الشَّرَّ لا يحصل له إلا من نفسه بذنوبه، استغفر وتاب؛ فزال عنه سبب الشَّرِّ؛ فيكون العبد دائماً شاكراً مستغفراً، فلا يزال الخير يتضاعف له، والشَّرُّ يندفع عنه. كما كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته: «الحمد لله»، فيشكر الله. ثمَّ يقول: «نستعينه ونستغفره»، نستعينه على الطَّاعة، ونستغفره من المعصية. ثمَّ يقول: «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا»، فيستعيذ به من الشَّرِّ الذي في النَّفس، ومن عقوبة عمله؛ فليس الشَّرُّ إلا من نفسه ومن عمل نفسه؛ فيستعيذ الله من شرِّ النَّفس أن يعمل بسبب سيِّئاته الخطايا، ثمَّ إذا عمل استعاذ بالله من سيِّئات عمله، ومن عقوبات عمله فاستعانه على الطَّاعة وأسبابها، واستعاذ به من المعصية وعقابها.

فعلم العبد بأنَّ ما أصابه من حسنة فمن الله، وما أصابه من سيِّئة فمن نفسه - يوجب له هذا وهذا.

فهو سبحانه فرَّق بينهما هنا، بعد أن جمع بينهما في قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

(١) عبث: أي شكاً بصوت عال مرتفع.

(٢) الترغيب والترهيب ٣ / ٢٠٤.

(٣) فلسفة التربية الإسلامية (باختصار وتصرف) ص ١٤٤.

(٤) المحاور الخمسة للقرآن الكريم (١٩٢).

فبيّن أنّ الحسنات والسيّئات، والنعم والمصائب، والطاعات والمعاصي، على قول من أدخلها في «من عند الله»، ثم بيّن الفرق الذي ينتفعون به، وهو أنّ هذا الخير من نعمة الله؛ فاشكروه يزدكم، وهذا الشرّ من ذنوبكم؛ فاستغفروه يدفعه عنكم<sup>(١)</sup>.

### بين الحسنة والإحسان:

قال الفيروزابادي: الحسنة يعبر بها عن كلّ ما يسرّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ نُصِبْتُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، أي خصب وسعة وظفر، أمّا الإحسان فإنه يقال على وجهين: أحدهما الإنعام على الغير، والثاني: الإحسان في الفعل أو العمل، وعلى هذا قول الإمام عليّ - كرم الله وجهه ورضي عنه - «الناس أبناء ما يحسنون» أي منسوبون إلى ما يعملونه من الأفعال الحسنة<sup>(٢)</sup>. والعلاقة بين الأمرين واضحة لأنّ من يحسن إلى نفسه بإخلاص التوحيد والعبادة، أو إلى غيره بالقول أو الفعل فإنّ ذلك يثمر له الحسنى وهي الجنّة، فالحسنة والإحسان كلاهما مأخوذان من الحسن الذي من شأنه أن يسرّ من يتحلّى به في الدنيا والآخرة.

### فمن معاني الحسنة:

١- التوحيد، وثمرته الجنّة، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. قال عكرمة: (المعنى) هل جزاء من قال لا إله إلا الله إلا الجنّة؟ وقال ابن زيد: هل جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة<sup>(٣)</sup>.

٢- ومن معانيها: النصر والغنيمة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وهذه ثمرة الإحسان المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

٣- ومن معانيها: المطر والخصب، وهي ثمرة من ثمرات إحسان الله على عباده وتفضله عليهم، وذلك ما أشار إليه المولى ﷺ ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

٤- ومن معانيها: العافية، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [الرعد: ٦]، وهذه كسابقتها من ثمار إحسان الله تعالى على عباده برّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.

(١) انظر: الحسنة والسيئة لابن تيمية (٤٩ - ٥٠) بتصرف يسير.

(٢) بصائر ذوي التمييز (٢ / ٤٦٥).

(٣) تفسير القرطبي (١٧ / ١٨٢)، وانظر تفسير ابن عباس رضي الله عنه لهذه الآية الكريمة فيما نقلناه عن ابن القيم في منزلة الإحسان.

٥- ومن معانيها: قول المعروف، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، وهذه ثمرة الإحسان بمعنى الفضل والعفو عن المسيء مع المقدرة على عقوبته ولو بمثل ما فعل، وهذا هو الإحسان المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

٦- ومن معانيها: فعل الخيرات، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وهذه ثمرة الإحسان إلى النفس بإعطائها ما وعد الله به المحسنين في قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ مِنْهُمْ رِزْقًا وَأَبْوَابُهَا كَانَتْ كَمَا كَانَتْ الشَّجَرَةُ طَيِّبَةً كَانَتْ ثَمَرُهَا حُلُوةً الْمَذَاقِ حَسَنَةَ الْمَنْظَرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿٣﴾﴾ [الذاريات: ١٥، ١٦] المعنى - كما ورد عن ابن عباس: كانوا محسنين في أعمالهم<sup>(١)</sup>.

من هذا يتضح الارتباط الكامل والعلاقة الجوهرية بين الإحسان بمعانيه كافة والحسنة في كل استخداماتها في القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>. فإذا كان الإحسان شجرة فالحسنة ثمرته، ولما كانت الشجرة طيبة كانت ثمرتها حلوة المذاق حسنة المنظر في الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup>.

### منزلة الإحسان:

قال ابن القيم رحمته: الإحسان من منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وهذه المنزلة هي لب الإيمان وروحه وكماله، وهي جامعة لما عداها من المنازل، فجميعها منظوية فيها، ومما يشهد لهذه المنزلة قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، إذ الإحسان جامع لجميع أبواب الحقائق، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، والإحسان الأول في الآية الكريمة هو - كما قال ابن عباس والمفسرون - هو قول لا إله إلا الله، والإحسان الثاني هو الجنة، والمعنى: هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد صلوات الله عليه إلا الجنة، وقد روي عن النبي صلوات الله عليه أنه قرأ الآية الكريمة ثم قال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هل جزاء من

(١) تفسير القرطبي (١٧ / ٣٥).

(٢) اقتبسنا معاني الحسنة من نزهة الأعين النواظر (٢٥٩ - ٢٦٠).

(٣) مدارج السالكين (٢ / ٤٧٩) بتصرف يسير.

أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة» وفي هذا الحديث إشارة إلى كمال الحضور مع الله ﷻ، ومراقبته، ومحبته، ومعرفته، والإنابة إليه، والإخلاص له ولجميع مقامات الإيمان.

### بين الإحسان والإنعام:

الإحسان أعم من الإنعام أو التفضل على الغير لأنه يشمل الإحسان إلى النفس كما يشمل الإحسان في النية والفعل.

### بين الإحسان والعدل:

وفيما يتعلّق بالعدل فإنّ الإحسان فوقه لأنه إذا كان العدل يعني أن يأخذ الإنسان ما له ويعطي ما عليه، فإنّ الإحسان يعني أن يأخذ الإنسان أقلّ ممّا له وأن يعطي أكثر ممّا عليه، فالإحسان بذلك زائد على العدل، وإذا كان تحريّ العدل من الواجبات فإنّ تحريّ الإحسان ندب وتطوّع، وكلاهما مأمور به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]. ففي هذه الآية الكريمة إشارة إلى الفضل مع العدل، فالعدالة لا بدّ منها لضبط الأمور وإنصاف بعضهم من بعض، وعند ما سأل عمر بن عبد العزيز محمّد بن كعب القرظيّ - رحمهما الله - قائلاً: صف لي العدل، قال: بخ، سألت عن أمر جسيم، كن لصغير الناس أبا، ولكبيرهم ابناً، وللمثل أخاً، وللنساء كذلك! وعاقب الناس على قدر ذنوبهم، ولا تضر بنّ في غضبك سوطاً واحداً فتكون من العادين. ذاك وصف العدل. أمّا الفضل فله سيرة أخرى لعلّ أقربها ما جاء عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ النّبّيّ صلّى الله عليه وآله قال له: «ألا أدلّك على أكرم أخلاق الدّنيا والآخرة؟ أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وذلك هو الإحسان»<sup>(١)</sup>.

### شمولية الإحسان واتساع دائرته:

من تأمل الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة في الإحسان يتّضح بجلاء أنّ الإحسان يشكّل مع العدل - جوهر العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وأنّ دائرة هذا الإحسان تتّسع لتشمل النّفس والأسرة والأقارب ثمّ المجتمع والإنسانيّة عامّة فالإحسان إلى النّفس وهي الدائرة الأولى في مجموعة الدوائر التي يدور الإحسان في فلکها تتضمّن إخلاص العبادة وكمال الطّاعة، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

(١) المحاور الخمسة (١٩٢).

أما الدائرة الثانية فتشمل الوالدين، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وفيما يتعلق بالأقارب وهي الدائرة الثالثة - فإنها تشمل قرابة النسب وقرابة الجوار وقد ورد الحث عليها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ [البقرة: ٨٣]، أما في الحديث الشريف فقد ورد الحث على الإحسان إلى الجار في قوله ﷺ: «وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً».

أما الدائرة الرابعة وهي أوسع من سابقتها فإنها تضم المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان والإحسان هنا ينصب أساساً على الجانب الضعيف في المجتمع كاليتامى والمساكين وأبناء السبيل ومن على شاكلتهم، يقول الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

أما الدائرة الخامسة وهي الأوسع والأرحب في العلاقات الإنسانية فتشمل الإحسان إلى المخالفين في العقيدة بالصفح عنهم، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَتَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تُزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣] (١).

ويمكننا أن نضيف إلى ذلك دائرة أكثر شمولاً من العلاقة السابقة، ألا وهي دائرة الحياة بكل ما فيها من نبات أو حيوان أو جماد وإلى ذلك يشير قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وانظر أيضاً الحديث الشريف: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء».

### مبادئ الإحسان كما جاءت في القرآن الكريم:

أما المبادئ التي تتطلب الإحسان بمعناها العام فقد فصلها القرآن الكريم والسنة المطهرة تفصيلاً يصعب حصره أو تحديده، ذلك أن الإحسان مطلوب في جميع الأحوال والأوقات، ومن أهم المبادئ التي تتجلى فيها علاقة الإحسان:

(١) أشار ماجد الكيلاني إلى هذه الدوائر الخمس بـ«فلسفة التربية الإسلامية» ص ١٤١.

١- مواجهة الملمات بالصبر عليها، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[هود: ١١٥]

٢- أداء الدية لولي القتل، وذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبِعْ بِالْمَعْرُوفِ

وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].

٣- معاملة المطلقات أو من ينوي طلاقهن، قال تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ

تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾

[البقرة: ٢٣٦]، وقوله سبحانه: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

٤- الحرب والجهاد، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ

الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وقوله ﷻ: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

يقول الشيخ الغزالي: هنا يذكر القرآن الكريم معنى آخر للإحسان، فالأمم لا تخدم رسالتها بالبخل وكرهية الإنفاق في سبيل الله، والحروب قديما وحديثا تتطلب مالا كثيرا... والعرب والمسلمون مكلفون بمعرفة هذه الحقيقة، ولن يسلم لهم دينهم وتبقى لهم بلادهم (حرة آية) إلا إذا توسعوا في الإنفاق الحربي، وأحسنوا تهيئة كل شيء لكسب المعركة، ويشهد لذلك ما جاء في آيات أخرى عن حقيقة الإحسان، ودائرته الرحبة، فهي تتطلب الصمود والبسالة إلى الرّمق الأخير، يقول المولى ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٥٧) فَانْتَهَمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧، ١٤٨] (١).

٥- مجاهدة النفس بكظم الغيظ ومحاربة الشح وكبح شهوة الانتقام، وهذا ما تشير إليه الآية

الكريمة ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. وتتضمن هذه الآية الكريمة الإحسان إلى المسيء بالعفو عنه،

(١) المحاور الخمسة (١٩٣) بتصرف.

يقول الشيخ الغزالي: كظم الغيظ مرتبة عالية، ولكن المرتبة الأعلى هي العفو عند المقدرة، وتلك درجة الإحسان<sup>(١)</sup>.

٦- الحوار الفكري والتواصل الثقافي، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٥٣].

٧- التّحاور بين المسلمين وأهل الكتاب، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

٨- الخصومة والخلافات، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [فصلت: ٣٤].

٩- معاملة اليتامى والضعفاء، يقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]

١٠- العلاقات السياسيّة والحريّة، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا الْقَارِئِينَ إِنَّمَا أَنْتُمْ مُنَادُونَ وَمِمَّا أُنشِئْتُمْ بِهِ حَسَنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الكهف: ٨٦-٨٨].

١١- العلاقات الاجتماعيّة وخاصّة ما يتعلّق بتبادل التّحيّة وردّ السّلام، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّمُ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء: ٨٦].

١٢- العلاقات الاقتصاديّة، يقول المولى ﷺ في قصّة قارون: ﴿ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص: ٧٧]، ويقول الله ﷻ: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمُ إِلَى الْهَلَكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥]. لقد تمّ الرّبط في هذه الآية الكريمة بين الإنفاق وهو المظهر الاقتصاديّ للإحسان وبين التهلكة (خراب المجتمع)، وسبب ذلك كما يقول بعض الباحثين: إنّ المجتمعات التي تقوم على الاستغلال والاحتكار تفرز الطّبقيّة، وتبذر بذور الصّراع الاجتماعيّ في الدّاخل، وتؤدّي إلى الصّراعات العالميّة في الخارج، وينتج عن ذلك شقاء الفريقين جميعاً، المستغلّون

(١) المرجع السابق ونفسه، والصفحة نفسها.

والمستغلّون، فالطبقة الأولى تقع فريسة للغربة والعزلة من ناحية وفقدان المحبّة وشيوع النفاق من ناحية أخرى، كما أنّه يتولّد لديها الشعور بالخوف وعدم الأمان من ناحية ثالثة، أمّا طبقة المستضعفين فإنّها تقع فريسة لمجموعة من الأخطار أهمّها: كره الطبقات العليا المحتكرة والحقّد عليها من ناحية ثمّ الإحساس بالغبن والإحباط من ناحية ثانية، وأخيراً فإنّها تميل إلى الجريمة والاستعداد للعنف من ناحية ثالثة.

إنّ تمكّن هذه الآفات الاجتماعية في كلتا الطبقتين هو التهلكة التي تشير إليها الآية الكريمة وتحذّر منها وتدعو إلى معالجتها بالإحسان والإنفاق<sup>(١)</sup>.

وهكذا نرى الإحسان يشمل الفرد والمجتمع والدولة والحياة بأسرها وأنّه لن تقوم تربية راشدة إلاّ إذا غرسنا معنى الإحسان في النفوس على أنّه من محابّ الله تعالى، وقد تضمّن الإحسان كما رأينا النوايا والمقاصد والعبادات كما تناول الأقوال والأفعال ليس هذا فحسب وإنّما شمل أيضا الإحسان إلى المخلوقات كافّة من حيوان وجماد ونبات.

[للاستزادة: انظر صفات: الإيمان- الإسلام العباد- الإخلاص- الإنفاق- بر الوالدين- البر حسن العشرة، حسن المعاملة- التقوى- السخاء- السماحة- الصدقة- الزكاة- العدل- العفو- الكلم الطيب.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإساءة- الأذى- سوء المعاملة- سوء الخلق- الشح- عقوق الوالدين- الكنز- التفریط والإفراط- الإعراض- اتباع الهوى- المن بالعطية- البخل- الغش].

\*\*\*

### من فوائد (الإحسان)

(١) للإحسان ثمرة عظيمة تتجلّى في تماسك بنیان المجتمع وحمايته من الخراب والتهلكة ووقايته من الآفات الاجتماعية الناجمة عن الخلل الاقتصادي<sup>(٢)</sup>.

(٢) الإحسان هو المقياس الذي يقاس به نجاح الإنسان في علاقته بالحياة- وهي علاقة ابتلاء<sup>(٣)</sup>.

(١) باختصار وتصرف عن: فلسفة التربية الإسلامية ص ١٤٣.

(٢) انظر في ذلك «العلاقات الاقتصادية» التي تشكل الميدان الثاني عشر من ميادين الإحسان ص ٧٥ من الموسوعة.

(٣) انظر تفصيلا أكثر عن علاقة الإنسان بالحياة وهي علاقة الابتلاء ج ١ ص ٥ وما بعدها من الموسوعة الأصل.

- (٣) المحسن يكون في معية الله ﷻ، ومن كان الله معه فإنه لا يخاف بأسا ولا رهقا.
- (٤) المحسن يكتسب بإحسانه محبة الله ﷻ.
- (٥) وإذا أحب الله العبد جعله محبوبا من الناس، وعلى ذلك فالمحسنون أحبباء للناس يلتفون حولهم ويدافعون عنهم إذا أهدق بهم الخطر.
- (٦) للمحسنين أجر عظيم في الآخرة حيث يكونون في مأمن من الخوف والحزن.
- (٧) من ثمرات الإحسان التمكين في الأرض.
- (٨) المحسن قريب من رحمة الله ﷻ.
- (٩) للمحسن البشري بخيري الدنيا والآخرة.
- (١٠) الإحسان هو وسيلة المجتمع للرقى والتقدم، وإذا كان صنوه أي العدل وسيلة لحفظ النوع البشري فإن الإحسان هو وسيلة تقدمه ورقية لأنه يؤدي إلى توثيق الروابط وتوفير التعاون<sup>(١)</sup>.
- (١١) الإحسان وسيلة لحصول البركة في العمر والمال والأهل.
- (١٢) الإحسان وسيلة لاستشعار الخشية والخوف من الله تعالى، كما أنه وسيلة لرجاء رحمته ﷻ.
- (١٣) الإحسان وسيلة لإزالة ما في النفوس من الكدر وسوء الفهم وسوء الظن ونحو ذلك.
- (١٤) الإحسان وسيلة لمساعدة الإنسان على ترك العجب بالنفس لما في الإحسان من نية صادقة.
- (١٥) الإحسان طريق يبصر لصاحبه طريق العلم ويفجر فيه ينابيع الحكمة.
- (١٦) الدفء بالحسنة- وهي إحدى صور الإحسان- يقضي على العداوات بين الناس ويبدلها صداقة حميمة ومودة رحيمة وتنظف بذلك نار الفتن وتنتهي أسباب الصراعات، أما الدفء بالسيئة، أي مقابلة السيئة بمثله فإنه يؤدي إلى تدهور العلاقات وإشعال نيران الفتن وتفاسم أسباب الصراع ويهبط بالنوع البشري إلى حضيض التخلف ويعرض بقاءه لخطر الفناء<sup>(٢)</sup>.

(١) أشار الدكتور الكيلاني في «فلسفة التربية الإسلامية» إلى هذه الفائدة وعدها إحدى وسيلتين يتحقق من خلالها شعار التربية الإسلامية، أما الوسيلة الأخرى فهي العدل.

(٢) انظر في هذه الفائدة المرجع السابق ص ١٤٤.

(١٧) إذا اقترن إسلام الوجه لله بالإحسان فإن ذلك يثمر الاستمسك بالعروة الوثقى التي يرجى معها خير الدنيا والآخرة، أي أن المحسن يحتاط لنفسه بأن يستمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه<sup>(١)</sup>.

(١٨) لبعض أنواع الإحسان ثمار خاصة تعود على المحسن بالخير العميم في الدنيا والآخرة، فمن ذلك:

أ- إحسان المرء وضوءه وخشوعه وركوعه يكفر السيئات الماضية، ويستمر التكفير ما استمر الإحسان.

ب- إحسان المرء إلى جاره علامة صادقة على حسن إسلامه.

ج- إحسان المرء في تربية بناته والسعي على رزقهن يجعل من هذه البنات ستر له من النار.

د- في الإحسان إلى النساء في الكسوة والطعام وما أشبه ذلك قيام بحقهن يثمر الترابط الأسري، ويحقق الاستقرار العائلي.

## الإخاء

### الإخاء لغة:

الأخ من النسب: معروف وهو من جمعك وإياه صلب أو بطن. وقد يكون الصديق والصاحب. وجمع الأخ إخوة وإخوان. قال أبو حاتم: قال أهل البصرة أجمعون: الإخوة في النسب، والإخوان في الصداقة. تقول: قال رجل من إخواني وأصدقائي فإذا كان أخاه في النسب قالوا إخوتي.

قال: وهذا غلط، يقال للأصدقاء وغير الأصدقاء إخوة وإخوان. قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] ولم يعن النسب، وقال: ﴿ أَوْ بِيُوتٍ إِخْوَانِكُمْ ﴾ [النور: ٦١]. وهذا في النسب، وقال: ﴿ فَأَخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥] والأخت: أنثى الأخ، صيغة على غير بناء المذكر والتاء بدل من الواو وليست التاء فيها بعلامة تأنيث. والجمع أخوات. وقال بعض النحويين: سمي الأخ أخا لأن قصده قصد أخيه.

وأصله من وخی أي قصد فقلبت الواو همزة. وأخى الرجل مؤاخاة وإخاء ووخاء. والعامّة تقول واخاه.

(١) انظر في تفسير العروة الوثقى، تفسير البحر المحيط ٧ / ١٨٥.

قال ابن سيدة: تقول: بيني وبينه أخوة وإخاء. وتقول آخيته على مثال فاعلته، وتأخيت أخا أي اتخذت أخا.

وفي الحديث: أن النبي ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار أي ألف بينهم بأخوة الإسلام والإيمان. والتآخي: اتخاذ الإخوان. وفي صفة أبي بكر: «لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخوة الإسلام». ويقال: تأخى الرجل: اتخذ أخًا أو دعاه أخًا.

وقال ابن الجوزي: الأخ: اسم يراد به المساوي والمعادل. والظاهر في التعارف: أنه يقال في النسب ثم يستعار في مواضع تدل عليها القرينة.

ويقال: تأخيت الشيء: أي تحريته<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحاً:

قيل: هو مشاركة شخص لآخر في الولادة من الطرفين أو من أحدهما أو من الرضاع، ويستعار لكل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صنعة أو في معاملة أو في مودة أو في غير ذلك من المناسبات.

قال ابن حجر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ يعني في التوادد وشمول الدعوة<sup>(٢)</sup>.

وقد آخى النبي ﷺ بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى ويستعين الأعلى بالأدنى.

وبهذا تظهر مؤاخاته ﷺ لعليّ لأنه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا من قبل البعثة واستمر. وكذا مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة لأن زيدا مولاهم<sup>(٣)</sup>.

وقال الكفوي: الأخ: كل من جمعك وإياه صلب أو بطن والإخوة تستعمل في النسب والمشابهة والمشاركة في شيء. وقال المناوي: الأخ هو الناشئ مع أخيه من منشأ واحد على السواء بوجه ما.

(١) لسان العرب (١٤ / ٢٣١٩)، ونزهة الأعين النواظر (١٣١).

(٢) فتح الباري (٧ / ٣١٧)، ومفردات الراغب (١٣)، والكليات للكفوي (٦٣)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٤١).

(٣) الفتح (٧ / ٣١٨).

## الإخاء في القرآن:

ذكر أهل التفسير أن الأخ في القرآن ورد على خمسة أوجه:

أحدها: الأخ من الأب والأم أو من أحدهما: ومنه قوله تعالى في سورة النساء ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ﴾ [النساء: ١١]. وفي المائدة ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾ [المائدة: ٣٠].

والثاني: من القبيلة: ومنه قوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ شَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤].

والثالث: في الدين والمتابعة: ومنه قوله تعالى في آل عمران ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وفي الحجرات: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

والرابع: في المودة والمحبة: ومنه قوله تعالى في «الحجر» ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلِيٍّ إِخْوَانًا﴾ [الحجر: ٤٧].

والخامس: الصاحب: ومنه قوله تعالى في (ص): ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً﴾ [ص: ٢٣] <sup>(١)</sup>.

وأياً كانت المعاني، فإن من طبيعة الإنسان أن يكون ألفا مألوفاً، ذلك أنه يستعين من خلال الألفة على أداء الرسالة المنوطة به في الدنيا لتحقيق أهداف الاستخلاف، والمؤاخاة من أهم أسباب حدوث الألفة بين الناس، لأنها كما يقول الماوردي: «تكسب بصادق الميل إخلاصاً، ومصافاة، وتحدث بخلوص المصافاة وفاء ومحاماة» <sup>(٢)</sup>.

وإذا كان الدين أكبر باعث على المؤاخاة والتآخي، فإنه بذلك يعزز الألفة والتجمع على تعاليم الدين من أجل صلاح الدنيا والحياة والمجتمع، وتأتي المؤاخاة عن طريقين:

الأول: الاتفاق بين المتآخيين بالطبيعة والعادات والميول والاتجاهات، ولذلك أسبابه ومنها:

١- التجانس في حال يجتمعان فيها ويأتلفان، وإذا قوي التجانس قوي الائتلاف، وإن ضعف كان ضعيفاً، ولذا كان التجانس أقوى أسباب المؤاخاة، والتجانس يعني المشاكلة، يقال هذا

(١) نزهة الأعين النواظر (١٣٢).

(٢) أدب الدنيا والدين (١٦٢).

يجانس هذا أي يشاكله، وقد روي عن النبي ﷺ: «الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»<sup>(١)</sup> فهي بالتجانس متعارفة، وبفقدته لا تتعارف بل تتناكر.

٢- وقوع الاتفاق بينهما، ذلك أنه بالتجانس والتشابه يحدث التواصل بين المتقين، ممّا يوجد بينهما توّحداً في الاتجاهات والآراء والميول والعادات.

٣- وعن التواصل الجزئيّ أو الكامل تقع المؤانسة، وسببها انبساط في النفوس وزوال الحواجز ممّا يجعل الأخ يأنس بأخيه.

٤- وإذا سقطت الحواجز النفسيّة وانبسطت النفوس نتيجة لذلك، وخلصت النيّة في المؤاخاة نتج عن ذلك مصافاة بين المتأخيين.

٥- وبتولّد الثقة المتبادلة بين الطرفين أو الأطراف المتأخية تنتج مودّة بينهما، وهي أدنى حالات الكمال في أحوال الإخاء.

٦- وإذا ما وجدت المودّة، واستحسن المتأخون ما يفعل كلّ واحد منهم تجاه الآخر تولّدت بينهم المحبّة اللازمة للمؤاخاة التامة.

٧- وإذا استحسن الأخ في أخيه فضائل نفسه، ومصارف تفكيره، وأحسن أخلاقه، تولّد عن ذلك نوع من الإخاء هو الإعظام والتعظيم.

الثاني: أخوة بالقصد: وهذه المؤاخاة تتمّ عن قصد ونيّة، أي يقصد الإنسان إليها قصداً، والباعث إليها أمران:

١- الرّغبة: وهي أن يظهر الإنسان رغبة في مؤاخاة إنسان آخر لظهور فضائل لديه، وتلك تبعث على إخائه، وبمعنى آخر: ظهور صفات جميلة من إنسان في غير تكلف، بحيث يستحسنها إنسان آخر فيقصد مؤاخاته. وينبغي أن تكون هذه الصفات أصيلة في الإنسان لا مجرد تكلف، فإنّ التّكلف يفسد الصّفة، بل ويفسد الإنسان المتكلف أيضاً، ولذا لا تصحّ مؤاخاته.

٢- الرّهبة أو الحاجة، وتعني رهبة الإنسان وخوفه من وحشة الانفراد، وبالتالي فهو في حاجة إلى اصطفاء إنسان يأنس بمؤاخاته.

وأياً ما كان أمر دوافع الإخاء فإنّ من يريد أن يؤاخى إنساناً فعلياً أن يتعرّف أحواله، ويتحرّى فيه صفات معيّنة تتمثّل فيما يلي:

(١) انظر الحديث رقم ٤٤ ص ١٠٨.

١- أن يكون متمسكا بتعاليم الدين الحنيف، لأن تارك الدين عدو نفسه، فلا ترجى منه منفعة غيره أو مودته أو مواصلته.

٢- أن يكون ذا عقل جيد، يهدي به إلى مرشد الأمور، لأن فاقده العقل لا تثبت معه مودة، ولا تدوم لصاحبه استقامة.

٣- أن يكون محمود الأخلاق، مرضي الفعال، مؤثرا للخير، أمرا به، كارها للشّرّ ناهيا عنه، ذلك أن مؤاخاة الشّرير تكسب العداة، وتفسد الأخلاق ولا خير في مودة تجلب عداوة، وتورث مذمة وملامة، فإن المتبوع تابع صاحبه.

٤- أن يكون لدى كل واحد منهما ميل إلى صاحبه، ورغبة في مؤاخاته، لأن ذلك أكد لحال المؤاخاة. فإذا ما تمت المؤاخاة ترتب على ذلك حقوق وواجبات تجاه الإخوان، وذلك كالإغضاء عن الهفوات، والنصح لهم والتناصح، ووجوب زيارتهم، ومودتهم، وغير ذلك من أمور من شأنها إشاعة الألفة والتألف بين الإخوان، وذلك كله بهدف تحقيق التماسك الاجتماعي المطلوب بما يعين على تحقيق أهداف رسالة الإسلام. وهذا ما تشير إليه الآيات والأحاديث الواردة في هذا المجال<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاجتماع - الاعتصام - الاستعانة - الإغاثة - الألفة - الإيثار - الإخلاص - تفريج الكربات - التعاون على البر والتقوى - التعارف - التناصر - صلة الرحم - المواسة المعاتبة - حسن العشرة - حسن المعاملة - حسن الخلق - حسن الظن. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإساءة - الإعراض - التخاذل - التعاون على الإثم والعدوان - البغض - التنازع - القسوة - قطيعة الرحم - الهجر - سوء الخلق - سوء المعاملة - سوء الظن - التفرق].

\*\*\*

### من فوائد (الإخاء)

من خلال ما سبق يتضح لنا عدة أمور؛ من أهمها ما يأتي:

الأول: أن الأخوة والمؤاخاة تأتي على مراتب:

(١) أخوة النسب والقرباة، وقد راعاها الإسلام، وجعلها ركيزة أساسية لصلة الرحم القائمة

في الأساس على وحدة العقيدة الدينية، مما يكون مدعاة إلى التعاون الاجتماعي.

(١) لمزيد التفاصيل: راجع: أدب الدنيا والدين (١٦٢ - ١٧٥).

(٢) الأخوة والمؤاخاة في الله سبحانه، حيث جعل الإسلام هذا النوع من الأخوة فوق كل أخوة ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾. وقد جعل الإسلام هذا التآخي من كمال الإيمان، حيث جعله رابطة قوية بين المسلم وأخيه المسلم، ومن كمال الإيمان أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه. وقد جعل الإسلام التآخي في الله مسئولية يتقلدها كل مسلم ويحافظ عليها بأمر الله تعالى، وبقدر المحافظة على هذه الأخوة تكون قوة الإيمان.

(٣) الأخوة في الإنسانية بحكم أن الإنسان مهما اختلفت عقيدته هو أخ للإنسان عليه أن يتوجه إليه بالدعوة لهديته وتزكيتة. وهذا من أهم خصائص المنهج القرآني.

الثاني: أن للأخوة مكانة سامية في الإسلام، ولذا يحرص على أن يراعي الإنسان المسلم حقوق الأخوة ومنها:

(١) نهي الإسلام عن الإتيان بأسباب التنازع والفرقة بين الإخوان، كالسخرية والهمز واللمز والتنازب بالألقاب السيئة، وكل ما يؤدي كالتجسس والغيبة والنميمة.

(٢) وللأخ على أخيه، أن يشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، وينصحه، ويسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا وجه دعوة ما، ويطعمه إذا جاع، ويسقيه إذا عطش، ويرد عن عرضه إذا انتهك أمامه، ويرد عليه ما ضاع منه إذا وجدته، ويحوطه من ورائه، ويتبع جنازته إذا مات.

(٣) وللأخ على أخيه أن يبدأه بالسلام، ويدعوه بأحب أسمائه إليه، وأن يوسع له في المجلس حباً وكرامة، وأن يحمل كل تصرفاته على حسن النية.

الثالث: أن الأخوة بهذا المعنى تحقق عدة فوائد مهمة للفرد والمجتمع الإسلامي والعالمي، من هذه الفوائد:

(١) تحقيق التماسك والترابط في المجتمع الإسلامي، حيث تربط الأخوة بين الأفراد وتشد من أواصر الصلة والمحبة والتعاون على البر والتقوى.

(٢) حماية المجتمع الإسلامي من أشكال الانحراف، ومن أمراض الضعف الحضاري، بحيث يستمر هذا المجتمع في قوته وعطائه.

(٣) حماية الفرد المسلم من نقاط ضعفه التي جبل عليها، وفي الوقت نفسه حماية المسلم الآخر من هذا الضعف وألوانه.

(٤) تحقيق التوازن الاجتماعي، بتحقيق معنى الأخوة السامي، فلا يستشعر الفرد المسلم

ألم الفوارق بين المسلم وأخيه المسلم سواء كان ذلك الفارق في المال أو في الجاه أو في غير ذلك، مما يحقق توازنا بين الفئات الاجتماعية.

(٥) توفير مهاد اجتماعي سليم للعلاقات الاجتماعية الإسلامية باعتبار أن شبكة العلاقات الاجتماعية هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع، ومن أجل ذلك فإن الأخوة هي الميثاق الذي يربط بين الأفراد، كما يربط بين المهاجرين والأنصار.

(٦) توفير اشتراك أفراد المجتمع كلهم في اتجاه واحد، من أجل القيام بوظيفة معينة ذات غايات محددة هي الغايات الإسلامية. معنى هذا أن أعلى وأسلم أخوة هي تلك الأخوة التي يربط بينها رباط العقيدة الصحيحة.

(٧) توفير الفرصة الكاملة للابتكار والأداء الممتاز في قلب المجتمع بالانسجام بين أفرادها، إذ لا يمكن أن يكون هناك أداء حضاري ممتاز للمجتمع في مجتمع فاقد خاصية الانسجام، لأن أفرادهم يتفرقون إلى ذرات متنافرة، ويتحلل في النهاية عجزاً تاماً عن أداء النشاط المشترك، أي أنه يفقد خاصية المجتمعية التي أساسها الأخوة. ولقد حقق الإسلام نموذج المجتمع المنسجم، حيث كان كل فرد مرتبطاً ارتباطاً واقعياً بكل الآخرين من أعضاء المجتمع بوساطة علاقة الأخوة، ولذا بلغ ذروة الأداء الحضاري.

(٨) إن مهاد الأخوة الإسلامية يتيح فرصة صحيحة لتناول أمور ومشكلات المجتمع من أجل علاجها هي، وبالتالي يمكن مواجهة هذه المشكلات وحلها حلاً سليماً.

(٩) تتيح الأخوة فرصة طيبة من أجل تحقيق التكافل الاجتماعي، وتحقيق العدل في المجتمع الإسلامي لأنها تبنى المجتمع على أساس من علاقات اجتماعية سليمة.

(١٠) تتيح الأخوة فرصة جيدة من أجل تحقيق صالح المجتمع، حيث لا تتضخم الدوات الإنسانية على حساب هذا الصالح، وفي أحداث التاريخ الإسلامي البرهان على ذلك.

## الإخبات

### الإخبات لغة:

الإخبات مصدر أخبت، وتدل مادة (خ ب ت) في الأصل على المفازة لانبات فيها أو على المظمئن من الأرض، وأخبت الرجل: قصد الخبت أو نزله، نحو أسهل (نزل السهل) وأنجد

(دخل في نجد) ثم استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع، والخشوع لله والاطمئنان إليه، يقال: أختبت إلى ربّه أي اطمأن إليه<sup>(١)</sup>.

قال الفراء في قوله تعالى: ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ٢٣] أي تخشعوا لربهم، قال: والعرب تجعل (إلى) في موضع اللام. وفيه خبته أي تواضع<sup>(٢)</sup>.

قال الثوري - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤] قال: المطمئنين الرّاضين بقضاء الله المستسلمين له. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٥]<sup>(٣)</sup>.

وبه فسّر ابن عباس رضي الله عنهما وقناة لفظ «المخبتين» وقالوا: هم المتواضعون.

وقال مجاهد: المخبت المطمئن إلى الله تعالى. قال: والخبث: المكان المطمئن من الأرض، وقال الأخفش: الخائفون، وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم.

وهذه الأقوال تدور على معنيين: التواضع، والسكون إلى الله تعالى، ولذلك عدّي بالي، تضمينا لمعنى الطمأنينة، والإنابة والسكون إلى الله<sup>(٤)</sup>.

### واصطلاحاً:

هو الخضوع والتذلل لله تعالى مع المحبة والتعظيم له<sup>(٥)</sup>.

قال ابن القيم رحمته: والإخبات من أول مقامات الطمأنينة.

كالسكينة، واليقين، والثقة بالله ونحوها. فالإخبات: مقدمتها ومبدؤها. وبه يكون ورود المأمّن من الرجوع والتردد.

إذ لما كان «الإخبات» أول مقام يتخلّص فيه السالك من التردد الذي هو نوع غفلة وإعراض.

(١) المقاييس (٢ / ٣٨)، ومفردات الراغب (١٠٤).

(٢) النهاية لابن الأثير (٢ / ٤)، الصحاح للجوهري. (١ / ٢٤٧)، ولسان العرب لابن منظور (٢ / ٢٧، ٢٨).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣ / ٢٢٢).

(٤) مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٦).

(٥) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

كذلك السالك إذا ورد مورد «الإخبات» تخلص من التردد والرجوع، ونزل أول منازل الطمأنينة بسفره، وجد في السير<sup>(١)</sup>.

وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: أن تستغرق العصمة الشهوة، وتستدرك الإرادة الغفلة، ويستهيوي الطلب السلوة.. و«العصمة» هي الحماية والحفظ، و«الشهوة» الميل إلى مطالب النفس، و«الاستغراق للشيء» الاحتواء عليه والإحاطة به.

يقول: تغلب عصمته شهوته وتقهرها وتستوفي جميع أجزائها. فإذا استوفت العصمة جميع أجزاء الشهوة: فذلك دليل على إخبته. ودخوله في مقام الطمأنينة، ونزوله أول منازلها، وخلاصه في هذا المنزل من تردد الخواطر بين الإقبال والإدبار، والرجوع والعزم، إلى الاستقامة والعزم الجازم، والجد في السير. وذلك علامة السكينة. وتستدرك إرادته غفلته. و«الإرادة» عند القوم: هي اسم لأول منازل القاصدين إلى الله، و«المريد» هو الذي خرج من وطن طبعه ونفسه، وأخذ في السفر إلى الله، والدار الآخرة. فإذا نزل في منزل «الإخبات» أحاطت إرادته بغفلته فاستدركها، واستدرك بها فارطها.

**فالحاصل:** أن عصمته وحمايته تقهر شهوته، وإرادته تقهر غفلته، ومحبتة تقهر سلوته.

**الدرجة الثانية:** أن لا يوحش قلبه عارض، ولا يقطع عليه الطريق فتنة. و«العارض» هو المخالف كالشيء الذي يعترضك في طريقك فيجيء في عرضها. ومن أقوى هذه العوارض: عارض وحشة التفرد فلا يلتفت إليه كما قال بعض الصادقين: انفرادك في طريق طلبك دليل على صدق الطلب، وقال آخر: لا تستوحش في طريقك من قلة السالكين، ولا تغتر بكثرة الهالكين. وأما «الفتنة» التي تقطع عليه الطريق: فهي الواردات التي ترد على القلوب، تمنعها من مطالعة الحق وقصده. فإذا تمكّن من منزلة «الإخبات» وصحة الإرادة والطلب لم يطمع فيه عارض الفتنة.

**الدرجة الثالثة:** أن يستوي عنده المدح والذم وتُدوم لائمته لنفسه.

فاعلم أنه متى استقرت قدم العبد في منزلة «الإخبات» وتمكّن فيها، ارتفعت همته، وعلت نفسه عن خطفات المدح والذم، فلا يفرح بمدح الناس، ولا يحزن لذمهم. هذا وصف من خرج

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٧).

عن حظّ نفسه، وتأهّل للفناء في عبودية ربّه، وصار قلبه مطّرحاً لأشعة أنوار الأسماء والصفات. وباشراً حلاوة الإيمان واليقين قلبه. والوقوف عند مدح الناس وذمهم: علامة انقطاع القلب، وخلوّه من الله، وأنه لم تباشره روح محبّته ومعرفته، ولم يذق حلاوة التعلّق به والطمأنينة إليه، ولا يذوق العبد حلاوة الإيمان، وطعم الصدق واليقين، حتّى تخرج الجاهليّة كلّها من قلبه.

فالنّفس جبل عظيم شاقّ في طريق السّير إلى الله ﷻ وكلّ سائر لا طريق له إلاّ على ذلك الجبل. فلا بدّ أن ينتهي إليه، ولكن منهم من هو شاقّ عليه، ومنهم من هو سهل عليه، وإنّه ليسير على من يسر الله عليه.

وفي ذلك الجبل أودية، وعقبات، وشوك، ولصوص يقتطعون الطّريق على السّائرين ولا سيّما أهل اللّيل المدلجون. فإذا لم يكن معهم عدد الإيمان، ومصايح اليقين تتقد بزيت الإخبات، تعلّقت بهم تلك الموانع. وتشبّثت بهم تلك القواطع. وحالت بينهم وبين السّير<sup>(١)</sup>.

فإنّ أكثر السّائرين فيه رجعوا على أعقابهم لما عجزوا عن قطعه واقتحام عقباته. والشّيطان على قلة ذلك الجبل يحذّر النّاس من صعوده وارتفاعه، ويخوّفهم منه فيتفق مشقة الصّعود وعود ذلك الموقف على قتله، وضعف عزيمة السّائر ونيتّه. فيتولّد من ذلك: الانقطاع والرّجوع. والمعصوم من عصمه الله.

وكلّما رقي السّائر في ذلك الجبل اشتدّ به صياح القاطع، وتحذيره وتخويفه. فإذا قطعه وبلغ قلّته انقلبت تلك المخاوف كلّهنّ أماناً، وحينئذ يسهل السّير، وتزول عنه عوارض الطّريق، ومشقة عقباتها ويرى طريقاً واسعاً آمناً يفضي به إلى المنازل والمناهل، وعليه الأعلام، وفيه الإقامة قد أعدت لركب الرّحمن.

فبين العبد وبين السّعادة والفلاح قوّة عزيمة، وصبر ساعة، وشجاعة نفس، وثبات قلب، والفضل بيد الله يؤتیه من يشاء. والله ذو الفضل العظيم<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التواضع - الخشوع - الخشية - الخوف - الرهبة - السكينة - الضراعة والتضرع - الطمأنينة - القنوت - اليقين.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض - الإصرار على الذنب - الجزع - الكبر والعجب - السخط - القلق - القنوط].

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٦).

(٢) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

## من فوائد (الإخبات)

- (١) أول درجات الطمأنينة والثقة بالله وحسن الظنّ به. والنّجاة في الآخرة.
- (٢) للمخبت البشري من الله بالجنة.
- (٣) الأمان من الفزع الأكبر يوم القيامة.
- (٤) الإخبات من الأحوال القلبية الموجبة للالتفات عمّا سوى الله.
- (٥) الإخبات يورث صاحبه العزة في الدّنيا والظنّ به.
- (٦) الإخبات يقي من الفتنة.
- (٧) بالإخبات ترتفع الهمة وتعلو النفس عن الرّغبة في المدح أو الخشية من الدّم.
- (٨) بالإخبات يباشر القلب حلاوة الإيمان واليقين.

## الإخلاص

## الإخلاص لغة:

مصدر أخلص يخلص وهو مأخوذ من مادة (خ ل ص) التي تدلّ على تنقية الشّيء وتهذيبه<sup>(١)</sup> والخالص كالصّافي إلّا أنّ الخالص ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه والصّافي قد يقال لما لا شوب فيه، ويقال خلّصته فخلص قال ابن منظور: خلص الشّيء بالفتح، يخلص خلوصاً وخلاصاً إذا كان قد نشب ثمّ نجا وسلم، وأخلصه وخلّصه، وأخلص لله دينه: أمحضه، وأخلص الشّيء: اختاره، وقريء ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [ص: ٨٣] والمخلصين - قال ثعلب: يعني بالمخلصين الذين أخلصوا العبادة لله تعالى. وبالمخلصين الذين أخلصهم الله ﷻ، فالمخلصون المختارون، والمخلصون: الموحدون. ولذلك قيل لسورة قلّ هو الله أحدّ سورة الإخلاص. قال ابن الأثير: لأنّها خالصة في صفة الله تعالى وتقدّس. أو لأنّ اللفظ بها قد أخلص التّوحيد لله ﷻ، وكلمة الإخلاص: كلمة التّوحيد. والإخلاص في الطّاعة: ترك الرّياء<sup>(٢)</sup>.

## واصطلاحاً:

وقال الكفويّ: الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده، وقيل تصفية

(١) مفردات الراغب (١٥٤).

(٢) لسان العرب (٧ / ٢٦). ونشب: أي تعلّق به شيء.

السِّرِّ والقول والعمل<sup>(١)</sup>. وقال المناويّ الإخلاص: تخليص القلب من كلّ شوب يكدر صفاءه، فكّل ما يتصوّر أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص منه يسمّى خالصا.

وقيل: الإخلاص عمل يعين على الإخلاص. وقيل الخلاص عن رؤية الأشخاص، وقيل تصفية العمل من التهمة والخلل<sup>(٢)</sup>.

وقال الجرجاني: الإخلاص: ألا تطلب لعملك شاهدا غير الله تعالى وقيل هو: تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفائه - الفطريّ - وتحقيقه أنّ كلّ شيء يتصوّر أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه يسمّى خالصا، قال تعالى: ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا﴾ [النحل: ٦٦]. فإنّما خلوص اللبّن أن لا يكون فيه شوب من الفرث والدّم، ومن كلّ ما يمكن أن يمتزج به<sup>(٣)</sup>.

وحقيقة الإخلاص: التبرّي عن كلّ ما دون الله تعالى، أمّا الإخلاص في الدّين فيقول فيه الرّاعب: إخلاص المسلمين أنّهم قد تبرأوا ممّا يدعي اليهود من التشبيه، والنصارى من التّليث، قال تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩، غافر: ١٤]، وقال ﷺ: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦].

وأجمعوا على أنّ الإخلاص في الطّاعة ترك الرّياء<sup>(٤)</sup>.

وقال الفضيل بن عياض: ترك العمل لأجل النّاس رياء، والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص: الخلاص من هذين. وفي رواية عنه: والإخلاص: أن يعافيك الله منهما<sup>(٥)</sup>.

### حقيقة الإخلاص:

فحقيقة الإخلاص، باعتباره التزاما في مواقف الحياة، لا مجرد تصوّر نظريّ، وهو «التّبرّي عن كلّ ما دون الله» يجعلنا ننظر إليه من زاويتين:

**الأولى:** من جهة تعلّقه بالعمل، أو من حيث كونه واقعا يتعلّق بحياة النّاس ومواقفها، أو من حيث كونه يتعلّق بسلوك الإنسان، من هذا القبيل نجد أن العمل الصّادر عن الإنسان - أيّا كان - إذا قصد به وجه الله، وظهرت الشّواهد على ذلك، فإنّه يعدّ عملا مخلصا، لأنّه خالص من الشّرك،

(١) الكليات للكفوي (٦٤).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٤٢).

(٣) التعريفات للجرجاني (١٣ - ١٤).

(٤) التعريفات (١٣)، والإحياء (٤ / ٤٠٠) وما بعدها.

(٥) مدارج السالكين (٣ / ٩٥) والتعريفات (١٣).

والرياء، والمرءاة، والشهرة. لأن العمل الإنساني قد يشوبه شيء ما من ذلك، فإذا صفا عن شوبه، وخلص منه سمّي خالصاً، فالإخلاص ينافي الإشراف، والرياء، والغش، والخداع، والاحتيال، والكذب، ولذا قد نجد بينه وبين الصدق قرابة معنى، وكذلك يمتدّ إلى معنى الصراحة، ويلتقي بمفهوم الوضوح، والأمانة والصفاء.

وإذا كانت كل المعاني السابقة من رياء وغش وخداع، واحتيال، وكذب، تمتدّ إلى الشرك بمعنى ما، فإنّ من الشرك ما هو خفيّ وما هو جليّ، وكذا الإخلاص، وكلاهما يرد على قلب المسلم ويكون ذلك في المقصود والنية، ولذا يأتي الفعل على قدر النية، إمّا مخلصاً أو غير مخلص، فمن كان قصده من عمله الرياء، فهو غير مخلص، ومن كان غرضه التّقرّب إلى الله تعالى فهو مخلص، إلا أنّ العادة جرت بتخصيص الإخلاص على قصد التّقرّب إلى الله تعالى وتخليصه من جميع ما يشوبه.

وكلّ عمل باعته التّقرّب إلى الله تعالى، وانضاف إليه خطرة بشرية حتّى صار العمل موسوماً بها، وأخفّ من جهتها من حيث الإتيان، فقد خرج العمل عن الإخلاص، وخرج عن أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى، وبالتالي خرج من أن يكون محققاً لإنسانية الإنسان، وكما يقول الإمام الغزالي: «كلّ حظّ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس، ويميل إليه القلب، قلّ أم كثر، إذا تطرّق إلى العمل تكدر به صفوه، وزال به إخلاصه، والإنسان مرتبط في حظوظه، منغمس في شهواته، قلّما ينفكّ فعل من أفعاله، وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس.

فلذلك قيل: من سلم له من عمره لحظة خالصة لوجه الله نجا، وذلك لعزّة الإخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب، بل الخالص هو الذي لا باعث له إلا طلب القرب من الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر ابن تيمية أنّ إخلاص الدّين هو الذي لا يقبل الله تعالى سواه، وهو الذي بعث الله به الأوّلين والآخرين من الرّسل، وأنزل به جميع الكتب، واتّفق عليه أئمة أهل الإيمان وهذا هو خلاصة الدّعوة النّبوية، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه<sup>(٢)</sup>.

بناء على ما سبق فإنّ الإخلاص هو تصفية السّر والقلب والعمل، والخالص هو الذي لا باعث له إلا طلب الحقّ، والإخلاص لا يكون إلا بعد الدّخول في العمل، والإخلاص لله؛ هو أن لا يفعل المخلص فعلاً إلا لله تعالى.

(١) إحياء علوم الدين (٤ / ٣٦٨)، ومفردات الراغب (١٥٤).

(٢) التحفة العراقية في أعمال القلوب (٥٨).

الثانية: من جهة معناه وشروطه كموقف يلتزم به الإنسان في حياته.

الإخلاص ينقسم بحسب ما يظهر من العبد، يمكن أن يشمل كل فعل الإنسان، ولذا يقال: إن الإخلاص أربعة أقسام: إخلاص في الأقوال، وإخلاص في الأفعال، وإخلاص في الأعمال أي العبادات، وإخلاص في الأحوال أي إلهامات القلب وواردات الغيب. والدّين شامل لكلّ هذا، وباعتبار أنّ الإخلاص التزام حيويّ أكثر ممّا هو تصوّر نظريّ، فإنّ موقف الإخلاص يستلزم عدّة أمور، وهي:

١- الاستمراريّة: حيث إنّ حياة الإنسان عبارة عن تواصل واستمرار، ومواقف الحياة مستمرة ومتكاملة، ولذا لا ينبغي أن يتفكك الإخلاص أو يتبعثر، لأنّه لا يتعلّق بالموقف المعاصر فقط، ولا بالماضي فقط، ولا بالمستقبل فقط، وإنّما هو موقف مستمرّ، ومن ثمّ كانت الاستمراريّة صفة أساسية في الإخلاص.

٢- التّكامل: بمعنى انضواء الشّخص بجميع مكوّناته في أهداف وجوده المستمدّة من الإطار الإسلاميّ للحياة، حتّى يتمكّن من بلوغ أكمل درجة ممكنة من صياغة الذات بطريقة متكاملة، وذلك عبر محبة قويّة لله وللحقّ والحقيقة، وللآخرين المخلصين، هذا إلى جانب التّكامل بين النّيّة والفعل.

٣- العلم: حيث إنّ الإخلاص يستلزم وعي الإنسان بوجوده في إطار التّعالم الإسلاميّة، وهذا الوعي لا يمكن أن يتمّ بغير معرفة، لأنّه لا يمكن أن يتأتّى عن جهل، وجاهل الإنسان لا يمكن أن يؤديّ إلى إخلاص حقيقيّ، ومن ثمّ كان العلم شرطاً ضرورياً لتحقيق الإخلاص، هذا إلى جانب ضرورة العلم بما يحقّق الإخلاص.

٤- التدرّج: باعتبار أنّ الإخلاص جهد بشريّ من أجل الوصول إلى كمال الإنسان بوصوله إلى حقيقة العبوديّة والتّحقّق بها، ولذا فإنّ الإنسان يتعثّر وينهض مراراً وتكراراً، بهدف بلوغ المرتبة العالية، إنّ التّجربة صعبة في مواقف حياة الإنسان، ولذا فهو يحتاج إلى التدرّج، وهذا شرط لكمال الإخلاص.

٥- الأمانة: باعتبارها رعاية لحقّ الله تعالى، وأداء للفرائض والواجبات، وهذا يتطلّب عدم الخيانة وحفظ الحقوق، وهي خير شاهد خارجيّ على الإخلاص، وخاصّة أنّ المنزقات التي يمكن أن تطيح بالأمانة اللازمة للإخلاص وفيرة، وهذه توفّر وخلصّة الأمر؛ أنّ الإخلاص تصفية للعمل والقول والعبادة ممّا يشوبها من رياء ومرآة أو خداع أو كذب، ويأتي في مراتب عديدة، وهي: طرح العمل وعدم رؤيته، فضلاً عن طرح طلب العوض عنه، والخجل من العمل مع بذل

الوسع والغاية فيه، مع رؤية التوفيق في العمل المخلص على أنه جود من الله تعالى، ثم إخلاصه بالخلاص منه، أي جعله خالصا لوجه الله تعالى<sup>(١)</sup>.

### الفرق بين الإخلاص والصدق:

قال الجرجاني: الفرق بين الإخلاص والصدق: أن الصدق أصل وهو الأول: والإخلاص فرع وهو تابع، وفرق آخر أن الإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في العمل، أما الصدق فيكون بالنية قبل الدخول فيه<sup>(٢)</sup>.

### لفظ الإخلاص في القرآن الكريم:

ورد لفظ الإخلاص في القرآن الكريم على وجوه:

الأول: قال في حق الكفار عند مشاهدتهم البلاء: ﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [يونس: ٢٢].

الثاني: في أمر المؤمنين: ﴿فَكَادَ عَوْهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

الثالث: في أن المؤمنين لم يؤمروا إلا به: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

الرابع: في حق الأنبياء: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ﴾ [ص: ٤٦].

الخامس: في المنافقين إذا تابوا: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦].

السادس: أن الجنة لم تصلح إلا لأهله: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الصفات: ٤٠].

السابع: لم ينج من شرك تلبس إبليس إلا أهله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [ص: ٨٣]<sup>(٣)</sup>.

وتتلخص هذه الوجوه في أمرين:

الأول: الدين لله سواء من المؤمنين عند الدعاء أو العبادة، أو من الكفار عند البلاء أو من المنافقين عند التوجه، ومن هذا النوع الإخلاص المطلق لله ﷻ.

الأخر: إخلاص الله عباده الذين اصطفاهم واختارهم سواء أكانوا من الأنبياء أو من غيرهم وسنحاول فيما يلي تصنيف ما ورد في القرآن الكريم متعلقا بهذه الصفة وفقا للسياقات التي ورد بها.

(١) لمزيد من التفاصيل: راجع: إحياء علوم الدين (٤/ ٣٧٦-٣٦٩). روضة التعريف بالحب الشريف (ج ٢/ ٤٧٢).

المنهاج في شعب الإيمان (٣/ ١١٤). المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (١٥٤).

(٢) التعريفات للجرجاني (٣١، ١٤).

(٣) بصائر ذوي التمييز (١/ ١٧٢).

[للاستزادة: انظر صفات: الإحسان- الأدب الأمانة- الاستقامة- الأسوة الحسنة- الصدق- المراقبة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الرياء- الإساءة التهاون- الخداع- الخيانة- القدوة السيئة- النفاق الشرك].

\*\*\*

### من فوائد (الإخلاص)

- (١) الإخلاص هو الأساس في قبول الأعمال (٧) يفرّج شدائد الإنسان في الدنيا. والأقوال.
- (٢) الإخلاص هو الأساس في قبول الدعاء. يشعر بالسعادة.
- (٣) الإخلاص يرفع منزلة الإنسان في الدنيا (٩) يقوّي إيمان الإنسان ويكرّره إليه الفسوق والآخرة. والعصيان.
- (٤) يبعد عن الإنسان الوسوس والأوهام. (١٠) يقوّي عزيمة الإنسان وإرادته في مواجهه الشدائد.
- (٥) يحرّر العبد من عبودية غير الله.
- (٦) يقوّي العلاقات الاجتماعية وينصر الله به الأمة. (١١) حصول كمال الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة.

### الأدب<sup>(١)</sup>

#### الأدب لغة:

اسم مأخوذ من مادة (أدب) التي تدلّ على معنى تجميع الناس إلى الطّعام والآدب هو الدّاعي لذلك، ومن هذا القياس أيضا الأدب لأنّه مجمع على استحسانه.

وقال ابن منظور: سمّي أدبا لأنّه يأدب النّاس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح. وقال أيضا: وأصل الأدب الدّعاء ومنه قيل للصّنيع يدعى إليه النّاس: مدعاة ومأدبة.

(١) صفة الأدب جامعة لجميع ما ورد في هذه الموسوعة من صفات محمودة لسيد المرسلين الصادق الأمين وصاحب الخلق العظيم محمد ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم فعليك بمراجعة الصفات المراد الاستشهاد بها وفق الموضوع قيد البحث.

وقال أبو زيد الأنصاري: الأدب: يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل، وقال الأزهرى نحوه. فالأدب اسم لذلك، والجمع: آداب مثل سبب وأسباب، وأدبته تأديبا: مبالغة وتكثير، ومنه قيل: أدبته تأديبا: إذا عاقبته على إساءته؛ لأنه سبب يدعو إلى حقيقة الأدب، وأدب يأدب أدبا «من باب ضرب»: صنع صنيعا، ودعا الناس إليه، فهو: أدب. على فاعل. قال الشاعر، وهو طرفة:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدب فينا ينتقـر<sup>(١)</sup>  
أي لا ترى الداعي يدعو بعضا دون بعض بل يعمهم بدعوته في زمان القلة، وذلك غاية الكرم، واسم الصنيع: المأدبة بضم الدال وفتحها.

وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه: «إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا من مأدبته» فقد قال فيه أبو عبيد: من قال مأدبة (بضم الدال) فإنه أراد التشبيه بالصنيع يصنعه الإنسان يدعو إليه الناس وذكر بيت طرفة، قال ومن قال مأدبة (بفتح الدال) فإنه يذهب إلى الأدب<sup>(٢)</sup>.

#### واصطلاحا:

قال المناوي: الأدب رياضة النفوس ومحاسن الأخلاق ويقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل.

وقيل: هو عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ.

وهو فيما يتعلق بالسلوك: حسن الأحوال في القيام والقعود وحسن الأخلاق والصفات الحميدة، والفرق بينه وبين التعليم: أن الأدب يتعلق بالمروءات والتعليم بالشرعيات أي أن الأول عرفي، والثاني شرعي، والأول دنيوي، والثاني ديني، وقال بعضهم: الأدب مجالسة الخلق على بساط الصدق ومطابقة الحقائق، وقيل الأدب عند أهل الشرع: الورع. وعند أهل الحكمة: صيانة النفس، وقال أهل التحقيق: الأدب الخروج من صدق الاختبار، والتضرع على بساط الافتقار<sup>(٣)</sup>.

(١) ديوان طرفة، تحقيق الدكتور علي الجندي (٧٩).

(٢) المصباح المنير (١٢)، وانظر لسان العرب (١/ ٢٠٦)، ومقاييس اللغة (١/ ٧٤).

(٣) التعريفات للجرجاني (١٥)، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/ ٧٩، ٨٠)، والتوقيف على مهمات التعاريف ومن المعاني الاصطلاحية للفظ «أدب» استخدامه اسما لما يتعلق بدراسة الشعر والنثر الفني وما إليها وسيذكر ابن القيم تعريفا لهذا النوع في الصفحة فيما بعد.

قال ابن القيم رحمته: وحقيقة الأدب: استعمال الخلق الجميل. ولهذا كان الأدب استخراجاً لما في الطبيعة من الكمال من القول إلى الفعل<sup>(١)</sup>.

وقيل هو الكلام الجميل الذي يترك في نفس سامعه أو قارئه أثراً قوياً يحمله على استعادته والاستزادة منه والميل إلى محاكاته<sup>(٢)</sup>، وهو الأخذ بمكارم الأخلاق، وبعبارة أخرى: الوقوف مع المستحسنات. أي: استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً. مثل: تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك<sup>(٣)</sup>.

وفي التلويح: التآديب قريب من الندب، إلا أن الندب لثواب الآخرة والتآديب لتهديب الأخلاق وإصلاح العادات. والأدب أدبان: أدب شريعة وأدب سياسة. فأدب الشريعة ما أدى الفرض، وأدب السياسة ما عمر الأرض. وكلاهما يرجع إلى العدل الذي به سلامة السلطان وعمارة البلدان<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْماً أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾. قال ابن عباس وغيره: أدبهم وعلموهم. وهذه اللفظة مؤذنة بالاجتماع. فالأدب: اجتماع خصال الخير في العبد، ومنه المأدبة، وهي الطعام الذي يجتمع عليه الناس.

وقال ابن القيم رحمته: علم الأدب هو علم إصلاح اللسان والخطاب وإصابة مواقفه، وتحسين ألفاظه عن الخطأ والخلل وهو شعبة من الأدب العام<sup>(٥)</sup>.

وعلى هذا فالأدب: استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً، وبتعبير آخر: الأخذ بمكارم الأخلاق، أو الوقوف مع المستحسنات.

فإذا تعلق الأمر باللغة كان الأدب معناه معرفة ما يحترز به من جميع أنواع الخطأ كما قال الجرجاني<sup>(٦)</sup>.

(١) تهذيب مدارج السالكين (٤٤٨).

(٢) تهذيب مدارج السالكين (٥٤٥).

(٣) الكليات للكفوي (٦٥).

(٤) فضل الله الصمد: (١/ ١٧٧ - ١٧٨).

(٥) في الكليات للكفوي أن الأدب اسم علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظاً أو كتابة وأصول اللغة والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والعروض والقوافي. انظر: الكليات (٦٨).

(٦) التعريفات (١٤).

**الأدب والتأديب والتأدب:**

يتفرّع عن الأدب بمعناه السابق أمران أو صفتان يرجعان إليه ويستعملان بمعناه هما:

التأدب: بمعنى التصرف اللائق الذي يتفق مع المروءة.

والتأديب: وهو تعليم فضيلة من الفضائل ومعاقبة من يخالف ذلك على إساءته وسميت المعاقبة تأديباً؛ لأنها تدعو إلى حقيقة الأدب بمعنى الرياضات المحمودة التي يتخرج بها الإنسان على فضيلة من الفضائل.

**أنواع الأدب:**

قال ابن القيم: والأدب ثلاثة أنواع: أدب مع الله ﷻ، وأدب مع رسول الله ﷺ وشرعه، وأدب مع خلقه.

**أولاً: الأدب مع الله ﷻ:**

الأدب مع المولى تبارك وتعالى ثلاثة أنواع:

أحدها: صيانة معاملته أن يشوبها بنقيصة.

الثاني: صيانة قلبه أن يلتفت إلى غيره.

الثالث: صيانة إرادته أن تتعلّق بما يملكك عليه.

فالأدب مع الله حسن الصحبة معه، بإيقاع الحركات الظاهرة والباطنة على مقتضى التعظيم والإجلال والحياء.

وحقيقة الأدب استعمال الخلق الجميل. ولهذا كان الأدب: استخراج ما في الطبيعة من الكمال من القوّة إلى الفعل.

فإنّ الله سبحانه هيأ الإنسان لقبول الكمال بما أعطاه من الأهليّة والاستعداد، التي جعلها فيه كامنة كالنار في الزناد. فألهمه ومكّنه، وعرفه وأرشده. وأرسل إليه رسله. وأنزل إليه كتبه لاستخراج تلك القوّة التي أهله بها لكماله إلى الفعل. قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۗ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۗ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۗ﴾ [الشمس: ٧-١٠].

فعبّر عن خلق النفس بالتسوية والدلالة على الاعتدال والتّمام. ثمّ أخبر عن قبولها للفجور والتّقوى. وأنّ ذلك نالها منه امتحاناً واختباراً. ثمّ خصّ بالفلاح من زكّاهها فنمّاهها وعلاها ورفعها

بآدابه التي أدب بها رسله وأنبياءه وأوليائه، وهي التقوى، ثم حكم بالشقاء على من دساها، فأخفاها وحقرها، وصغرها وقمعها بالفجور. والله سبحانه وتعالى أعلم.

أدب الرسول ﷺ مع الله ﷻ:

وجرت عادة القوم: أن يذكروا في هذا المقام قوله تعالى عن نبيه ﷺ، حين أراه ما أراه ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم: ١٧]. وصدر باب الأدب بهذه الآية.

وكانتهم نظروا إلى قول من قال من أهل التفسير: إن هذا وصف لأدبه ﷺ في ذلك المقام، إذ لم يلتفت جانبا، ولا تجاوز ما رآه، وهذا كمال الأدب، والإخلاق به: أن يلتفت الناظر عن يمينه وعن شماله، أو يتطلع أمام المنظور. فاللتفات زيغ، والتطلع إلى ما أمام المنظور: طغيان ومجاوزة. فكمال إقبال الناظر على المنظور: أن لا يصرف بصره عن يمينه ولا يسره. ولا يتجاوزة. هذا معنى ما حصّته عن شيخ الإسلام ابن تيمية، قدس الله روحه.

وفي هذه الآية أسرار عجيبة، وهي من غوامض الآداب اللائقة بأكمل البشر ﷺ: تواطأ هناك بصره وبصيرته، وتوافقا وتصادقا فيما شاهده بصره، فالبصيرة مواطئة له، وما شاهدته بصيرته فهو أيضا حق مشهود بالبصر، فتواطأ في حقه مشهد البصر والبصيرة.

ولهذا قال ﷺ: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ﴿ ١١ ﴾ أَمْ تَدْرُونَهُ عَلَىٰ مَا رَى ﴾ [النجم: ١١ - ١٢].

أي ما كذب الفؤاد ما رآه ببصره.

ولهذا قرأها أبو جعفر «ما كذب الفؤاد» - بتشديد الذال - أي لم يكذب الفؤاد البصر، بل صدقة وواطئة لصحة الفؤاد والبصر، أو استقامة البصيرة والبصر.

وكون المرئي المشاهد بالبصر حقا. وقرأ الجمهور «ما كذب الفؤاد» بالتخفيف. وهو متعد. و«ما رأى» مفعوله: أي: ما كذب قلبه ما رآه عيناه. بل واطأه وواقفه. فلمواطأة قلبه لقلبه، وظاهره لباطنه، وبصره لبصيرته: لم يكذب الفؤاد البصر. ولم يتجاوز البصر حدّه فيطغى ولم يمل عن المرئي فيزيغ، بل اعتدل البصر نحو المرئي. ما جاوزه ولا مال عنه، كما اعتدل القلب في الإقبال على الله، والإعراض عمّا سواه. فإنه أقبل على الله بكليته. وللقلب زيغ وطغيان، وكلاهما منتف عن قلبه وبصره. فلم يزيغ التفاتا عن الله إلى غيره. ولم يطغ بمجاوزته مقامه الذي أقيم فيه.

وهذا غاية الكمال والأدب مع الله جلّ وعلا الذي وصف رسوله ﷺ بقوله ﷻ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

أدب الأنبياء والرسل مع الله ﷻ:

وتأمل أحوال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم مع الله، وخطابهم وسؤالهم، كيف تجدها كلها مشحونة بالأدب قائمة به؟

قال المسيح ﷺ: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ، فَقَدْ عَلِمْتُهُ﴾ [المائدة: ١١٦]. ولم يقل: «لم أقله». وفرق بين الجوابين في حقيقة الأدب. ثم أحال الأمر على علمه سبحانه بالحال وسره، فقال ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي﴾ ثم برأ نفسه عن علمه بغيب ربه وما يختص به سبحانه، فقال: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ثم أنى على ربه، ووصفه بتفرد به بعلم الغيوب كلها، فقال: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ ثم نفى أن يكون قال لهم غير ما أمره ربه به وهو محض التوحيد- فقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ ثم أخبر عن شهادته عليهم، مدة مقامه فيهم. وأنه لا اطلاع له عليهم وأن الله ﷻ وحده هو المنفرد بعد الوفاة بالاطلاع عليهم. فقال: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ ثم وصفه بأن شهادته سبحانه فوق كل شهادة وأعم، فقال: ﴿وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ثم قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ﴾ وهذا من أبلغ الأدب مع الله في مثل هذا المقام. أي: شأن السيد رحمة عبيده والإحسان إليهم. وهؤلاء عبيدك ليسوا عبيدا لغيرك. فإذا عذبتهم مع كونهم عبيدك- فلولا أنهم عبيد سوء من أبخس العبيد، وأعتاهم على سيدهم، وأعصاهم له لم تعذبهم؛ لأن قربة العبودية تستدعي إحسان السيد إلى عبده ورحمته. فلماذا يعذب أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، وأعظم المحسنين إحسانا عبيده؟ لولا فرط عتوتهم، وإبائهم، عن طاعته، وكمال استحقاقهم للعذاب.

وقد تقدم قول ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ أي هم عبادك، وأنت أعلم بسرهم وعلايتهم، فإذا عذبتهم: عذبتهم على علم منك بما تعذبهم عليه. فهم عبادك وأنت أعلم بما جنوه واكتسبوه. وهذا هو إقرار واعتراف وثناء عليه سبحانه بحكمته وعدله، وكمال علمه بحالهم، واستحقاقهم للعذاب.

ثم قرأ: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. ولم يقل: «الغفور الرحيم» وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى. فإنه قال في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم إلى النار، فليس هو مقام

استعطاف ولا شفاعة، بل مقام براءة منهم. فلو قال «فإِنَّكَ أَنْتَ الْغُفُورُ الرَّحِيمُ» لأشعر باستعطافه ربه على أعدائه الذي قد اشتد غضبه عليهم. فالمقام مقام موافقة للرب في غضبه على من غضب الرب عليهم. فعدل عن ذكر الصفتين اللتين يسأل بهما عطفه ورحمته ومغفرته إلى ذكر العزة والحكمة، المتضمنتين لكمال القدرة وكمال العلم.

والمعنى: إن غفرت لهم فمغفرتك تكون من كمال القدرة والعلم، ليست عن عجز عن الانتقام منهم، ولا عن خفاء عليهم بمقدار جرائمهم. وهذا لأن العبد قد يغفر لغيره لعجزه عن الانتقام منه، ولجهله مقدار إساءته إليه. والكمال: هو مغفرة القادر العالم، وهو العزيز الحكيم. وكان ذكر هاتين الصفتين في هذا المقام عين الأدب في الخطاب.

وفي بعض الآثار «حملة العرش أربعة: اثنان يقولان: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، لك الحمد على حلمك بعد علمك. واثنان يقولان: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك» ولهذا يقترن كل من هاتين الصفتين بالأخرى، كقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.

وكذلك قول إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٧٩) وإذا مرّضت فهو يشفين ﴿الشعراء: ٧٨-٨٠﴾. ولم يقل «وإذا أمرضني» حفظاً للأدب مع الله.

وكذلك قول الخضر عليه السلام في السفينة ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]. ولم يقل «فأراد ربك أن أعيبها» وقال في الغلامين ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

وكذلك قول مؤمني الجن ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الجن: ١٠]. ولم يقولوا «أراده ربهم» ثم قالوا ﴿أَمَّا أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

وألطف من هذا قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]. ولم يقل «أطعمني».

وقول آدم عليه السلام ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. ولم يقل «رب قدرت علي وقضيت علي».

وقول أيوب عليه السلام ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. ولم يقل «فعافني وأشفني».

وقول يوسف لأبيه وإخوته ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ [يوسف: ١٠٠]. ولم يقل «أخرجني من الجب» حفظاً للأدب مع إخوته، وتفانياً عليهم أن لا يخجلهم بما جرى في الجب. وقال: ﴿ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾ [يوسف: ١٠٠] ولم يقل «رفع عنكم جهد الجوع والحاجة» أدبا معهم. وأضاف ما جرى إلى السبب، ولم يضيفه إلى المباشر الذي هو أقرب إليه منه، فقال: ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ فأعطى الفتوة والكرم والأدب حقه. ولهذا لم يكن كمال هذا الخلق إلا للرسول والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

ومن هذا أمر النبي ﷺ الرجل «أن يستر عورته، وإن كان خاليا لا يراه أحد. أدبا مع الله، على حسب القرب منه، وتعظيمه وإجلاله، وشدة الحياء منه، ومعرفة وقاره.

وقال بعضهم: الزم الأدب ظاهرا وباطنا، فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهرا، وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا.

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن. ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض. ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة.

وقيل: الأدب في العمل علامة قبول العمل.

والمقصود أن الأدب مع الله تعالى: هو القيام بدينه، والتأدب بأدابه، ظاهرا وباطنا.

ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله تعالى إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه وما يحب وما يكره، ونفس مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق علما وعملا وحالا).

من الأدب مع الله التأدب مع القرآن وتلاوته وتدبره ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ ﴾ [محمد: ٢٤] لأن في ذلك العلم والمعرفة بما أمر به الله ﷻ ونهى عنه وتعظيم شعائره وعدم انتهاك محارمه. كذلك فإنه أفضل السبل وأقربها إلى الثراء الروحي ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

ومن الأدب مع الله التوجه إليه سبحانه بالدعاء، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لِأَوْلَىٰ دُعَاؤِكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٧].

ودعا الرسول ﷺ إلى الاستعانة بالله ﷻ، واستعان به قائلا «اللهم أعني على شركك وذكرك وحسن عبادتك»، ومنه أيضا الثناء عليه وتسييحه وشكره على آلائه العظيمة وهو

القائل ﷺ ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل: ١٨] ومنه التوسل إليه بأسمائه الحسنی وصفاته العلیا والاستعاذة والاستغفار والاستعانة به والتضرع إليه والتوكل عليه في جميع أمورنا.

### الأدب مع الله ﷻ في العبادة:

قال ابن القیم - رحمه الله تعالى - سمعت شيخ الإسلام ابن تیمیة رحمته يقول: من كمال أدب الصلاة أن يقف العبد بين يدي ربّه مطرقا خافضا طرفه إلى الأرض، ولا يرفع بصره إلى فوق.

ومن الأدب مع الله في العبادة: السكون في الصلاة، وهو الدوام الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ [المعارج: ٢٣]. سئل عقبة ابن عامر عن قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ أهم الذين يصلون دائما؟ قال: لا، ولكنه إذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه.

قلت - ابن القیم - هما أمران: الدوام عليها والمداومة عليها. فهذا الدوام، والمداومة في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المعارج: ٣٤] والذين هم على صلاتهم يحافظون وفسر الدوام بسكون الأطراف والطمأنينة.

وأدبه في استماع القراءة: أن يلقي السمع وهو شهيد.

والمقصود: أن الأدب مع الله تبارك وتعالى: هو القيام بدينه والتأدب بأدابه ظاهرا وباطنا<sup>(١)</sup>.

ثانيا: الأدب مع الرسول ﷺ:

أما الأدب مع رسول الله ﷺ فيعني كمال التسليم له، والالتقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق. من مظاهر الأدب مع المصطفى ﷺ:

من الأدب مع الرسول الكريم أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو، وينهى ويأذن، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الحجرات: ١] وهذا باق إلى يوم القيامة ولم ينسخ، فالتقدم بين يدي سنّته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته، ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم.

قال مجاهد رحمته: لا تفتاتوا<sup>(٢)</sup> على رسول الله ﷺ. وقال أبو عبيدة: تقول العرب: لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب، أي لا تعجلوا بالأمر والنهي دونه. وقال غيره: لا تأمروا حتى يأمر، ولا تنهوا حتى ينهى.

(١) تهذيب مدارج السالكين (٤٥٠ - ٤٥١) بتصرف.

(٢) قال مجاهد: أي في تفسير الآية الكريمة.

ومن الأدب معه: أن لا ترفع الأصوات فوق صوته. فإنه سبب لحبوط الأعمال فما الظن برفع الآراء، ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به؟ أترى ذلك موجبا لقبول الأعمال. ورفع الصوت فوق صوته موجب لحبوطها؟

ومن الأدب معه: أن لا يجعل دعاءه كدعاء غيره. قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ لِيُنْذِرَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

ومن الأدب معه: أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع - من خطبة، أو جهاد، أو رباط - لم يذهب أحد منهم مذهبا في حاجته حتى يستأذنه. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢].

ومن الأدب معه: أن لا يستشكل قوله. بل

تستشكل الآراء لقوله، ولا يعارض نصه بقياس. بل تهدر الأقيسة وتلقى لنصوصه. ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولا، نعم هو مجهول، وعن الصواب معزول. ولا يوقف قبول ما جاء به ﷺ على موافقة أحد. فكل هذا من قلة الأدب معه ﷺ وهو عين الجرأة<sup>(١)</sup>.

ورأس الأدب معه ﷺ: كمال التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمله معارض خيال باطل، يسميه معقولا أو يحمله شبهة أو شكًا، أو يقدم عليه آراء الرجال، فيفرده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره، على عرضه على قول شيخه وإمامه، وذوي مذهبه وطائفته، ومن يعظمه، فإن أذنوا له نفذه وقبل خبره، وإلا أعرض عن أمره وخبره وفوضه إليهم، وربما حرفه عن مواضعه وسمى تحريفه: تأويلا، وحملا. فقال: نؤوله ونحمله<sup>(٢)</sup>. ولأن يلقي العبد ربه بكل ذنب على الإطلاق عدا الشرك بالله - خير له من أن يلقاه بهذه الحال.

يقول ابن القيم: ولقد خاطبت يوما بعض أكابر هؤلاء، فقلت له: سألتك بالله، لو قدر أن رسول الله ﷺ حي بين أظهرنا، وقد واجهنا بكلامه وبخطابه: أكان فرضا علينا أن نتبعه من غير أن نعرضه على رأي غيره كلامه ومذهبه، أم لا نتبعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس وعقولهم؟ فقال: بل كان الفرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفات إلى سواه.

(١) مدارج السالكين (٤٠٣-٤٠٦) بتصرف.

(٢) المرجع السابق (٤٠٣/٢) بتصرف.

فقلت: فما الذي نسخ هذا الفرض عنا؟ وبأي شيء نسخ؟ فوضع إصبعه على فيه. وبقي باهتا متحيراً. وما نطق بكلمة.

وإذا كان من الأدب في حياته ﷺ ألا نرفع أصواتنا فوق صوت النبي لقوله ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] فإن من الأدب معه ألا نرفع الأصوات فوق صوته ﷺ. فإنه سبب لحبوط الأعمال فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به؟ هكذا يكون الأدب مع رسول الله ﷺ لا مخالفة أمره وإشراك غيره ورفع الأصوات، وإزعاج الأعضاء بالصلاة عليه والتسليم، وعزل كلامه عن اليقين، عن أن يستفاد منه معرفة الله، أو يتلقى منه أحكامه. إن الجهال يعتمدون في باب معرفة الله على العقول المنهوكة المتحيرة المتناقضة. وفي الأحكام على تقليد الرجال وآرائها. والقرآن والسنة إنما نقرؤهما تبركاً، لا أنا نتلقى منهما أصول الدين ولا فروعه. ومن طلب ذلك ورامه عادينا وسعينا في قطع دابره، واستئصال شافته<sup>(١)</sup>. ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا يُجْتَرُونَ الْيَوْمَ إِنَّمَا لَانْتَصُرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰٓ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ أَنَّهُمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمْ ءَالَوَالِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ قَسَمُهُمْ حَرَجًا فَخَرَجَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبِرُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [المؤمنون: ٦٣ - ٧٤].

والنَّاصِح لنفسه العامل على نجاتها يتدبر هذه الآيات حق تدبرها ويتأملها حق تأملها وينزلها على الواقع فيرى العجب ولا يظننها اختصت بقوم كانوا فبانوا «فالحديث لك واسمعي يا جارة» والله المستعان<sup>(٢)</sup>.

(١) يتحدث ابن القيم هنا عن طائفة ضلَّت سبيل الحق وانتقصت من قيمة السنة المطهرة، وقد ظهر لهم أذنان في عصرنا الحاضر.

(٢) مدارج السالكين ٢ (٤٠٤ - ٤٠٥) بتصرف.

ثالثاً: الأدب مع الخلق:

وأما الأدب مع الخلق: فهو معاملتهم - على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم، فلكل مرتبة أدب. والمراتب فيها أدب خاص. فمع الوالدين: أدب خاص للأب منهما أدب هو أخص به، ومع العالم: أدب آخر، ومع السلطان: أدب يليق به وله ومع الأقران أدب يليق بهم. ومع الأجانب: أدب غير أدبه مع أصحابه وذوي أنسه. ومع الضيف: أدب غير أدبه مع أهل بيته. ولكل حال أدب: فلاأكل آداب. وللشرب آداب. وللركوب والدخول والخروج والسفر والإقامة والنوم آداب. وللتبول آداب. وللكلام آداب. وللسكون والاستماع آداب.

وأدب المرء: عنوان سعادته وفلاحه. وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبواره. فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب. فانظر إلى الأدب مع الوالدين: كيف نجى صاحبه من حبس الغار حين أطبقت عليهم الصخرة؟ والإخلال به مع الأم - تأويلاً وإقبالا - على الصلاة كيف امتحن صاحبه بهدم صومعته وضرب الناس له، ورميه بالفاحشة.

وتأمل أحوال كل شقي ومفتر ومدبر: كيف تجد قلة الأدب هي التي ساقته إلى الحرمان؟<sup>(١)</sup>. إن حسن الخلق والأدب هو مقام الاقتداء برسول الله ﷺ واتباع سنته بفضل من الله ﷻ القائل في كتابه: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢] وهو الذي أمرنا بذلك في قوله جلّ وعلا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. إن هذا هو مقام من أراد التخلق بأخلاق الشرع الحنيف وتأدب بأداب الله التي أدب بها عباده في كتابه الكريم، وما اتصف به الرسول الكريم ﷺ.

حيث قال الله ﷻ لرسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] والرسول ﷺ هو القائل: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»<sup>(٢)</sup>. ورواية أخرى «مكارم الأخلاق». ووصفت خلقه ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي عنها بقولها: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»

(١) مدارج السالكين ٢ (٤٠٦-٤٠٨) بتصرف.

(٢) مسلم (٢٥٥٣).

وعن القرآن قال ابن مسعود رضي الله عنه «إنّ هذا القرآن مأدبة الله فتعلّموا من مأدبته»<sup>(١)</sup>.

هذا هو الحال في هذه الدّنيا وأما في الآخرة فلا يوجد جائزة لمن كان حسن الخلق إلاّ الجنّة ونعيمها برفقة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حيث يقول: «إنّ أحبكم إليّ وأقربكم منّي مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا، الموطّون أكنافا»<sup>(٢)</sup>، الذين يألّفون ويؤلّفون، وإنّ أبعدكم منّي مجلسا يوم القيامة الثّراون<sup>(٣)</sup> المتشدّقون<sup>(٤)</sup> المتفهبون<sup>(٥)</sup>.

وقال عليه الصّلاة والسّلام: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق».

وقال عليه الصّلاة والسّلام: «إنّ أحسن النّاس إسلاما أحسنهم خلقا»<sup>(٦)</sup>.

وقال عليه الصّلاة والسّلام: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»<sup>(٧)</sup>.

ولهذا كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يدعو الله تعالى «اللهمّ كما أحسنت خلقي أحسن خلقي»<sup>(٨)</sup>.

إنّ العلاقة بين الأدب في التّعامل مع الخلق وحسن الخلق علاقة واضحة لا ريب فيها لأنّ حسن الخلق هو الجانب النّفسي الذي تنتج عنه الآداب الحميدة وأنواع السلوك المرضيّة، وحسن الخلق هو الذي يشكّل قواعد السلوك أو الأدب مع الخلق.

وقد كشف الصّادق المصدوق الذي أوتي جوامع الكلم القناع عن القاعدة الأساسيّة التي أساسها حسن الخلق وتطبيقها سلوك الأدب مع الخلق عند ما قال: «لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه»<sup>(٩)</sup>.

فمن باب المحبّة لله تعالى والإيمان به، والمحبّة لرسوله صلّى الله عليه وسلّم والتّصديق بما جاء به تؤخذ محبّة الخلق والأدب معهم ومعاملتهم بحسن الخلق ومن قام بذلك حصل على محبّة الله تعالى لأنّه

(١) انظر صفة تلاوة القرآن.

(٢) الموطّون أكنافا: الذين يألّفون ويؤلّفون.

(٣) الثّراون: الذين يكثرون الكلام.

(٤) المتشدّقون: المتوسعون في الكلام المستهزون.

(٥) المتفهبون: المتكبرون.

(٦) مسند أحمد (٦/ ٤٤٦) وأبو داود (٤٧٩٩).

(٧) أخرجه أحمد بإسناد جيد (٥/ ٨٩-٩٩) الترغيب والترهيب (٣/ ٤٩).

(٨) انظر هذه الأحاديث مخرجة في صفة حسن الخلق.

(٩) البخاري - الفتح (١/ ١٣).

يصبح محسنا صابرا طاهرا نقيًا تقيًا، وهنا يحوز المعية مع مولاه وينال محبته ورضاه، قال تعالى:

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وآيات حب الله للمؤمنين عديدة منها:

﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

[البقرة: ٢٢٢]، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ﴿إِنَّ

اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

إنَّ الإنسان إذا أحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه جاهد نفسه وطرح عنها مطامع النفس الأمارة بالسوء وحبها للكنز والتكاثر وما يجلبه ذلك من مذموم الأخلاق من طمع وكبر وحسد وظلم وغيرها من الصفات السالبة لمكارم الأخلاق ومحمودها واستبدل عوضا عنها الحب في الله ورسوله والإيثار والكرم والجود والسخاء بالمال والتواضع وأثرها بالإنفاق والزكاة، والصدقة والجهاد، وغذائها بالإحسان والرحمة والشفقة والرأفة والعفو والرفق والوفاء والتناصر والمداراة والستر، وتوجها بالعدل والقسط والأمانة والصدق. ويك ألم نعلم السبيل إلى ذلك كله وهو مدون في كتاب الله ﷻ؟ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

أو لم نعلم حديث الرسول الكريم ﷺ «ما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى والورع عمّا حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

أدب الحوار والمناظرة في الدعوة إلى الله:

الحوار في اللغة مصدر حاوره إذا راجعه في الكلام وجاوبه<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ

وَهُوَ مُحَاوِرُهُ﴾ [الكهف: ٣٧]: أي راجعه في الكلام ويجاوبه<sup>(٣)</sup>.

أما في الاصطلاح: فالمراد به كما قال المناوي:

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٢٦).

(٢) لسان العرب (٤/ ٢١٨) (ط. بيروت).

(٣) انظر تفسير القرطبي (١٠/ ٤٠٣).

هو المرادة في الكلام<sup>(١)</sup>: أي الأخذ والعطاء فيه، وهذا قريب من معنى المناظرة التي يراد بها النظر بالبصيرة من الجانبين المتحاورين في النسبة بين الشئيين إظهاراً للصواب<sup>(٢)</sup>، وكلاهما أي الحوار والمناظرة جدال بالتي هي أحسن.

وإذا كان الإسلام قد رفض المراء وتوعد الممارين<sup>(٣)</sup> فإنه أمر بالحوار سبيلاً للوصول إلى الحق وتبين الرأي السديد؛ لأن ذلك كما يقول الإمام الغزالي: تعاون على طلب الحق - وهو من الدين - شريطة أن يتحلى المتحاورون بما يلي:

- ١- ألا يشتغل به - وهو من فروض الكفايات - من لم يتفرغ من فروض الأعيان.
- ٢- ألا يرى المناظر (أو المحاور) فرض كفاية آخر أهم منه في وقته ومكانه.
- ٣- أن يكون المحاور أو المناظر يفتي برأيه لا بمذهب فلان أو فلان.
- ٤- أن يكون الحوار أو المناظرة في مسألة واقعة أو قريبة الوقوع لأن الصحابة - رضوان الله عليهم - ما تشاوروا إلا فيما تجدد من الوقائع أو ما يغلب وقوعه.
- ٥- أن تكون المناظرة (الحوار) في الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين، لأن في حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على أن ينصر كل واحد نفسه محققاً كان أو مبطلاً.
- ٦- أن يكون الحوار في طلب الحق، وذلك كناشد ضالّة لا يفرق بين أن تظهر الضالّة على يديه أو على يد من يعاونه.
- ٧- أن يرى محاوره معيناً له لا خصماً وأن يشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق.
- ٨- ألا يمنع مناظره أو محاوره من الانتقال من حجة إلى حجة ومن دليل إلى دليل، ومن تفحص مشاورات الصحابة - رضوان الله عليهم - ومفاوضات السلف، وجدها من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم وينظرون فيه.
- ٩- ألا يناظر أو يحاور إلا من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم<sup>(٤)</sup>.

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (١٤٨).

(٢) المرجع السابق (٣١٦).

(٣) انظر صفة الجدال والمراء (ج ٩ ص ٤٣٣٨) من هذه الموسوعة.

(٤) بتصرف واختصار من (إحياء علوم الدين) (١ / ٤٤) وما بعدها.

## الأدب مع النفس:

قال الماوردي رحمته: اعلم أنّ النَّفسَ مجبولة على شيمٍ مهملة وأخلاقٍ مرسلّة لا يستغني محمودها عن التّأديب، ولا يكتفي بالمرضيّ منها عن التّهذيب، لأنّ لمحمودها أضداداً مقابلة، يساعدها هوى مطاع، وشهوة غالبية، فإنّ أغفل تأديبها تفويضاً إلى العقل أو توكلّ على أن تنقاد إلى الأحسن بالطّبع، أعدمه التّفويض درك المجتهدين، وأعقبه التّوكلّ ندم الخائين، فصار من الأدب عاطلاً، لأنّ الأدب مكتسب بالتّجربة، أو مستحسن بالعادة ولكلّ قوم مواضعة، وكلّ ذلك لا ينال بتوقيف العقل، ولا بالانقياد للطّبع حتّى يكتسب بالتّجربة والمعاناة، ويستفاد بالدّربة والمعاطاة، ثمّ يكون العقل عليه قيماً، ولو كان العقل مغنياً عن الأدب لكان أنبياء الله عن الأدب مستغنين، وبعقولهم مكتفين<sup>(١)</sup>.

## الأدب اللازم للإنسان:

الأدب اللازم للإنسان عند نشأته وكبره أدبان:

أدب مواضعة واصطلاح، وأدب رياضة واستصلاح.

## أدب المواضعة والاصطلاح:

فأمّا أدب المواضعة والاصطلاح، فيؤخذ تقليداً على ما استقرّ عليه اصطلاح العقلاء، واتفق عليه استحسان الأدباء، وذلك مثل اصطلاحهم على مواضعات الخطاب، واتفقهم على هيئات اللباس، حتّى إنّ الإنسان إذا تجاوز ما اتفقوا عليه صار مجاوزاً للأدب، مستوجبا للذمّ.

## أدب الرياضة والاستصلاح:

أمّا أدب الرياضة والاستصلاح: فهو ما كان محمولاً على حال لا يجوز في العقل أن يكون بخلافها، ولا أن تختلف العقلاء في صلاحها وفسادها، وأوّل ذلك ألاّ يسبق المرء إلى حسن الظنّ بنفسه فيخفي عنه مذموم شيمه، ومساوي أخلاقه؛ لأنّ النَّفس بالشّهوات أمرّة، وعن الرّشد زاجرة، وإذا كانت النَّفس كذلك، فحسن الظنّ بها ذريعة إلى تحكيمها، وتحكيمها داع إلى سلاطتها وفساد الأخلاق بها، فإذا صرف حسن الظنّ عنها انحاز عن المعصية وفاز بالطّاعة.

## من صور أدب الرياضة والاستصلاح:

١ - مجانبة الكبر والإعجاب، وما ذلك إلّا لأنّهما يسلبان الفضائل، ويكسبان الرذائل، وليس لمن استوليا عليه إصغاء لنصح، ولا قبول لتأديب، لأنّ الكبر يكون بالمنزلة، والعجب يكون

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٢٦).

بالفضيلة، فالمتكبر يجلّ نفسه عن رتبة المتعلّمين، والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدّبين، وعلاوة على ذلك فإنّ الكبر يكسب المقت، ويلهي عن التآلف ويوغر صدور الإخوان، وأمّا الإعجاب فيخفي المحاسن، ويظهر المساويء، ويصدّ عن الفضائل [انظر تفصيلاً أكثر في صفة الكبر من الصفات المذمومة].

٢- التّحلّي بحسن الخلق: ذلك أنّ الإنسان إذا حسنت أخلاقه كثر مصافوه وقلّ معادوه، فتسهّلت عليه الأمور الصّعب ولانت له القلوب الغضاب، ومعنى حسن الخلق أن يكون المسلم: سهل العريكة، لين الجانب، طلق الوجه، قليل النّفور، طيب الكلمة، [انظر تفصيلاً أكثر في صفة حسن الخلق].

٣- التّحلّي بـ«الحياء»: الخير والشّرّ معانٍ كامنة تعرف بسمات دالّة. وسمة الخير: الدّعة والحياء، وسمة الشّرّ: القحة والبذاء، وكفى بالحياء خيراً أن يكون على الخير دليلاً، وكفى بالقحة والبذاء شراً أن يكونا إلى الشّرّ سبيلاً، وليس لمن سلب الحياء صادّ عن قبيح، ولا زاجر عن محذور، فهو يقدم على ما يشاء، ويأتي ما يهوى. [انظر تفصيلاً أكثر في صفة الحياء].

٤- التّحلّي بـ«الحلم»: ذلك أنّ الحلم من أشرف الأخلاق، وأحقّها بذوي الأبواب، لما فيه من سلامة العرض، وسلامة الجسد واجتلاب الحمد.

وللحلم أسباب تبعث عليه منها: الرّحمة والقدرة على الانتصار والتّرفّع عن السّباب [انظر تفصيل ذلك في صفة الحلم].

٥- التّحلّي بصفة الصّدق والتّخلّي عن الكذب: [انظر في ذلك: الصّدق (في الصفات المحمودة)، والكذب في الصفات المذمومة].

٦- التّخلّي عن الحسد: ذلك أنّ الحسد خلق ذميم يضرّ بالبدن، وفيه إفساد للدّين ولو لم يكن من ذمّ الحسد إلّا أنّه خلق دنيء لكانت النّزاهة عنه كرماً والسّلامة منه مغنماً، فكيف وهو بالنّفس مضرّ، وعلى الهّم مصرّ، حتّى ربّما أمضى بصاحبه إلى التّلف، من غير نكاية في عدوّ، ولا إضرار بمحسود.

[للاستزادة: انظر صفات: الإحسان - الإخلاص - الاستقامة - التواضع - حسن الخلق - حسن العشرة - حسن المعاملة - الحلم - الحياء - غض البصر - كظم الغيظ.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: اتباع الهوى - سوء الخلق - سوء المعاملة - العنف - الفجور - الفحش - الفضح - الكبر والعجب - الكذب - العتوّ].

## من فوائد (الالتزام بالأدب)

مع أنواع الأدب التي ذكرت في مقدّمة هذه الصّفّة، ومع تقدير أنّ الأدب هو الدّين كلّهُ، فإنّ الالتزام بالأدب يحقّق فوائد عديدة للإنسان المسلم كما يلي:

- (١) يصفّي سلوك الفرد ممّا يشينه وينتقصه.
- (٢) يجعل النّاس يتحلّون بالمحامد والمكارم ويتعدون عن المناقص.
- (٣) يجعل الإنسان يحترز عن الخطأ ويتحرّى الصّواب.
- (٤) يهدّب الأخلاق ويصلح العادات.
- (٥) يجعل الإنسان يلتزم بالمنهج الإلهي في الأرض ممّا يصلح أحواله.
- (٦) والالتزام بالأدب مع الله يحقّق التّقوى في قلب الإنسان.
- (٧) والالتزام بالأدب مع رسول الله يحقّق التّسليم والانقياد للطّاعة فيما أمر ونهى.
- (٨) والالتزام بأدب الشّريعة يؤدّي بالإنسان إلى القيام بأركان المنهج الإلهي.
- (٩) والالتزام بأدب السّياسة، يؤدّي بالإنسان إلى القيام بواجباته في حياته كلّ بما يستحقّه، وفي هذا ضمان لحسن سير الحياة.
- (١٠) يحقّق الالتزام بالأدب توجّهاً نفسياً وأثراً قوياً يحمل الإنسان على الاستزادة من الالتزام بضمان الأدب.
- (١١) يحقّق الالتزام بالأدب قاعدة اجتماعية قويّة تتيح مناخاً ملائماً للحياة الصّالحة.
- (١٢) يحقّق الالتزام بالأدب تحرّياً للخير، ودعوة إلى القيم الرّفيعة تمنع انفلات الإنسان وهبوطه إلى الأدنى، أو ارتكاب الأفعال الهابطة، بل تدعوه إلى التّسامي وقمع الشّهوات.
- (١٣) يحقّق الالتزام بالأدب وحدة، دائمة، وانسجاماً في الإنسان وسلوكه الفردي والاجتماعي.
- (١٤) يحقّق الالتزام بالأدب الوحدة في أدب التّلقي والتّعلّم.
- (١٥) يحقّق الالتزام بالأدب الإيجابيّة في الحياة، وإتاحة الفرصة للإبداع والابتكار، والحيويّة في السّلك.

## الإرشاد

## الإرشاد لغة:

مصدر أرشده إلى الشيء بمعنى دلّه عليه وهو مأخوذ من مادة (رش د) التي تدلّ على استقامة الطّريق، والمراد مقاصد الطّريق، وهو ابن رشدة إذا كان لنكاح صحيح. الرّشد والرّشد والرّشاد: نقيض الغيّ.

رشد الإنسان (بالفتح) يرشد رشداً (بالضمّ)، ورشد (بالكسر)، يرشد رشداً ورشادا فهو راشد ورشيد إذا أصاب وجه الأمر والطّريق.

وفي الحديث: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي». والراشد اسم فاعل من رشد يرشد رشداً.

يريد بالراشدين أبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً رحمة الله عليهم ورضوانه وإن كان عامّاً في كلّ من سار سيرتهم من الأئمة. ورشد أمره: رشد فيه.

والراشد: المستقيم على طريق الحقّ.

وأرشده الله، وأرشده إلى الأمر، ورشده: هداه.

واسترشده: طلب منه الرّشد. ويقال: استرشد فلان لأمره إذا اهتدى له، والرّشدي: اسم للرّشاد.

وفي أسماء الله تعالى الرّشيد؛ لأنّه يرشد الخلق إلى مصالحهم أي يهديهم ويدلّهم عليها، فهو فعيل بمعنى مفعول، وقيل هو الذي تنساق تدبيراته إلى غاياتها على سبيل السّداد من غير إشارة مشير ولا تسديد مسدّد أي أنّه فعيل بمعنى فاعل<sup>(١)</sup>.

## واصطلاحاً:

قال ابن الأثير: إرشاد الضّالّ هدايته الطّريق (المستقيم) وتعريفه به<sup>(٢)</sup>.

## الإرشاد في القرآن الكريم:

لم يرد لفظ الإرشاد في القرآن الكريم وإنّما وردت المادة (رش د) في صيغ أخرى منها:

الفعل يرشد مضارع رشد، ومنها: المصادر رشد- رشد- رشاد.

(١) لسان العرب (٣/ ١٧٥-١٧٦). والمعجم الوسيط: (١/ ٣٤٧)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣١٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٢٢٥).

وقد ذهب بعضهم إلى أن هناك فرقا بين الرشد والرشد؛ إذ الرشد يكون في الأمور الدنيوية والأخروية، والرشد لا يكون إلا في الأمور الأخروية فقد استعمل لفظ الرشد في القرآن الكريم على وجهين:

الأول: الصلاح في العقل والمال، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَمْتُمْ رُشِدًا﴾ [النساء: ٦] في حق القياس.

الآخر: التهدي للصلاح في الدين، وذلك قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١]...

ومنها أيضا: الصفات: راشد اسم فاعل من رشد يرشد، رشيد صفة من رشد يرشد، مرشد اسم فاعل من أرشد.

وسنذكر فيما يلي الآيات الكريمة التي وردت فيها هذه المادة مقتصرين على ما يتعلق بالرشد في معنى الاهتداء في أمر الدين.

[للاستزادة: انظر صفات: الاستقامة - الأسوة الحسنة - التبليغ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - التذكير - الدعوة إلى الله - النصيحة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف - اتباع الهوى - الإعراض - الغي والإغواء - الفسوق].

\*\*\*

### من فوائد (الإرشاد)

لا تخفى حاجة المجتمعات والأفراد إلى الإرشاد، والتوجيه، والدلالة على الخير وأبوابه وبهذا المعنى الواسع؛ فإن الإرشاد بمعنى الهداية والتعليم، والوعظ، من الأمور المهمة في الحياة. وهي تساعد على تحقيق عدة أمور:

- (١) الهداية إلى أبواب الخير وفعلها.
- (٢) يحقق للإنسان حياة مستقرة، ويهديه إلى الحق والصواب.
- (٣) يحقق للمجتمع حياة فيها سعادة ورشاد.
- (٤) يحقق التعلق بأهداف الإسلام وتوجيهاته والعمل من أجلها.
- (٥) تحقيق وتوفير الميل إلى التعاون مع الغير من أجل الخير.
- (٦) تحقيق وتنمية القدرة على القيادة والتبعية.

- (٧) تنمية روح المسئولية لدى الأفراد في المجتمع الإسلامي وتحملها.
- (٨) تنمية روح احترام النظم العامة والعمل بموجيها بعد تعلّمها وتشرّبها.
- (٩) تعميق الإحساس بالرّضا والشّعور بالسّعادة لدى الأفراد والمجتمعات.
- (١٠) مواجهة المشكلات الحياتية المتجدّدة، والعمل في ضوء مبادئ الإسلام على حلّها بالإرشاد والتّوجيه السّليمين.
- (١١) مساعدة الأفراد على الاندماج مع الجماعة الإسلامية والتّكيف مع مبادئها.
- (١٢) في الإرشاد إلى الخير تحقيق للأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.
- (١٣) في إرشاد رسول الله ﷺ إلى الخير ما يديني من الجنّة ويباعد عن النّار.
- (١٤) ينال المرشد إلى الخير مثل أجر من أرشده.
- (١٥) الإرشاد- حتّى في أمور الدّنيا- يكتب في حسنات العبد وهو في الإسلام صدقة.

## الاستئذان

### الاستئذان لغة:

طلب الإذن وهو مصدر استأذن، وتدلّ المادّة التي أخذ منها على أمرين: الأوّل: إذن كلّ ذي إذن، والآخر: العلم والإعلام، تقول العرب: قد أذنت بهذا الأمر، أي علمت، وأذنتي فلان، أعلمني، وفعله بإذني: أي بعلمي، وقال الخليل: ومن ذلك: أذن لي في كذا، ومن الباب الأذان؛ لأنّه إعلام بدخول الوقت، يقال: أذن بالشّيء إذنا وأذنا وأذانة: علم، وفي التّنزيل العزيز: ﴿فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩] أي كونوا على علم، وقد أذنته بكذا أي أعلمته، واستأذنت فلانا استئذانا طلبت إذنه وأذنت أكثرت الإعلام بالشّيء، وأذنتك بالشّيء أعلمتك به، قال الله ﷻ: ﴿فَقُلْ أَذْنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنبياء: ١٠٩] قال الشّاعر<sup>(١)</sup>:

أذنتنا ببينها أسماء

ويقال: فعلت كذا وكذا بإذنه؛ أي بعلمه؛ ويكون بإذنه وبأمره، وأذن له في الشّيء إذنا، أباحه

(١) هو الحارث بن حلّزة.. والبيت مطلع معلقته.

له، وأذن له عليه: أخذ له منه الإذن<sup>(١)</sup> ويأتي أذن أيضا بمعنى سمع نحو قوله تعالى: ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٥]، أي استمعت، وفي الحديث: «ما أذن الله لنبي كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن» يعني ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن أي يتلوه ويجهر به<sup>(٢)</sup>.

### واصطلاحاً:

قال الجرجاني: الإذن: فكّ الحجر وإطلاق التصرف لمن كان ممنوعاً شرعاً<sup>(٣)</sup>.

قال التهانوي: فكّ الحجر أي حجر كان، أي سواء كان حجر الرق أو الصغر أو غيرهما والذي فكّ منه الحجر يسمى مأذوناً، ويؤخذ من كلام التهانوي أنّ الإذن في كلام الجرجاني يراد به: الإذن عند الفقهاء<sup>(٤)</sup>. أمّا الاستئذان الذي تتعلّق به الصفة فقد أشار ابن حجر إلى بعض أنواعه فقال في الفتح:

الاستئذان: طلب الإذن في الدخول لمحلّ لا يملكه المستأذن<sup>(٥)</sup>.

### الاستئذان في القرآن الكريم:

ورد الإذن والاستئذان في القرآن الكريم في مواضع عديدة على وجوه مختلفة منها:

- ١- إذن المولى - سبحانه - بمعنى العلم أو الأمر ويكون ذلك للأنبياء والمؤمنين.
  - ٢- الاستئذان المطلوب شرعاً وسلوكاً، وهو يتعلّق بطلب إباحة شيء من الأشياء لا يملكها المستأذن. وسنصنّف الآيات الواردة في «الإذن والاستئذان» وفقاً لهذه الاستعمالات.
- [للاستزادة: انظر صفات: الأدب - إفشاء السلام - التعارف - تعظيم الحرمات - الاستقامة - الحياء - الطاعة - حسن الخلق.
- وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأذى - الإساءة - سوء الخلق - إطلاق البصر - انتهاك الحرمات - سوء المعاملة].

(١) لسان العرب لابن منظور (١ / ٥٤٥١)، وانظر كذلك الصحاح للجوهري (٥ / ٢٠٦٨، ٢٠٦٩)، والتعريفات للجرجاني

(١٦)، ومقاييس اللغة (١ / ٧٦).

(٢) انظر غريب الحديث لأبي عبيد ٢ / ١٤٠ (ط. الهند)، وقارن بـ «الغرابة في الحديث النبوي» ص ١٢٨.

(٣) التعريفات للجرجاني (١٦).

(٤) كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١ / ١٣٤).

(٥) الفتح (٣ / ١١).

## من فوائد (الاستئذان)

- (١) يتيح للإنسان أن يتصرف في بيته كما يشاء بما يرضي الله فيأذن لمن يريد ويرد من يريد بغير حرج.
- (٢) سدّ الدّرائع إذ إنّ عدم الاستئذان يستلزم وقوع النّظر على ما لا يحلّ، وقد يكون هذا سببا لفتنة بعد ذلك.
- (٣) الاستئذان يرفع الحرج عن المستأذن والمستأذن عليه.
- (٤) الاستئذان يشيع جوّ الأمان في المجتمع فيأمن كلّ عدم اقتحام البيت إلّا بإذنه.
- (٥) تؤدّي فضيلة الاستئذان إلى الغبطة والسّرور.
- (٦) الاستئذان يؤدّي إلى الأُنس وإزالة الرّهبة والخوف.
- (٧) الاستئذان يتيح الفرصة لصاحب البيت بأن يداري عوراته وكلّ ما يكره.
- (٨) بالاستئذان ترضى النفوس ولا ينزل بها الغضب وتحفظ الحرمات.

## الاستخارة

## الاستخارة لغة:

الاستخارة: مصدر استخار. وهي من مادّة (خ ي ر) التي تدلّ على العطف والميل، فالخير خلاف الشرّ، لأنّ كلّ أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه، والخيرة: الخيار، والاستخارة أن تسأل خير الأمرين لك، وتدلّ الاستخارة أيضا على الاستعطف، والأصل في ذلك استخارة الضبع، وهو أن تجعل خشبة في ثقبه بيتها حتّى تخرج من مكان إلى آخر، ثمّ استعملت الاستخارة في طلب الخيرة في الشّيء وهو استفعال منه. وتقول: خار الله لك: أي أعطاك ما هو خير لك، وجعل لك فيه الخيرة، وخار الله له: أعطاه ما هو خير له.

واستخار الله: طلب منه الخيرة، وخيرته بين الشّيئين: أي فوّضت إليه الخيار.

ويقال: استخر الله يخرك، والله يخير للعبد إذا استخاره.

وأما قولك: استخار المنزل: أي استنظفه، واستخار الرّجل: أي استعطفه ودعاه إليه، وفي

الحديث: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، الخيار الاسم من الاختيار وهو طلب خير الأمرين: إمّا إمضاء البيع أو فسخه، أمّا قوله ﷺ «تخيروا لنطفكم» فمعناه اطلبوا ما هو خير المناكح وأزكاها<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحاً:

الاستخارة: طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما<sup>(٢)</sup>.

وصلاة الاستخارة: هي أن يصلي المرء ركعتين من غير الفريضة في أي وقت من الليل أو النهار يقرأ فيهما بما شاء بعد الفاتحة، ثم يحمد الله ويصلي على نبيه ﷺ ثم يدعو بالدعاء الذي رواه البخاري من حديث جابر رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

### ضرورة الالتزام بالوارد في الاستخارة:

قال أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحاج - رحمه الله تعالى -: على المرء أن يحذر ممّا يفعله بعض الناس، ممّن لا علم عنده، أو عنده علم وليس عنده معرفة بحكمة الشرع الشريف في ألفاظه الجامعة للأسرار العليّة، لأنّ بعضهم يختارون لأنفسهم استخارة غير الواردة. وهذا فيه ما فيه من اختيار المرء لنفسه غير ما اختاره له من هو أرحم به وأشفق عليه من نفسه ووالديه، العالم بمصالح الأمور المرشد لما فيه الخير والنّجح والفلاح صلوات الله وسلامه عليه.

وبعضهم يستخير الاستخارة الشرعيّة ويتوقّف بعدها حتّى يرى مناماً يفهم منه فعل ما استخار فيه أو تركه أو يراه غيره. وهذا ليس بشيء، لأنّ صاحب العصمة ﷺ أمر بالاستخارة والاستشارة لا بما يرى في المنام، ولا يضيف إليها شيئاً، ويا سبحان الله! إنّ صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه قد اختار لنا ألفاظاً منتقاة جامعة لخيري الدنيا والآخرة، حتّى قال الراوي للحديث في صفتها على سبيل التّخصيص، والحضّ على التمسك بألفاظها وعدم العدول إلى غيرها:

(كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلّها كما يعلمنا السّورة من القرآن) ومعلوم أنّ القرآن لا يجوز أن يغيّر أو يزداد فيه أو ينقص منه، ثمّ انظر إلى حكمة أمره عليه الصّلاة والسّلام

(١) لسان العرب (٣/ ١٢٩٨ - ١٣٠٠)، الصحاح (٢/ ٦٥١ - ٦٥٢)، والمختار منه (١٩٥)، وفتح الباري (١١/ ١٨٣)، ومقاييس اللغة لأحمد بن فارس (٢/ ٢٣٢).

(٢) فتح الباري (١١/ ١٨٧).

(٣) انظر حديث الاستخارة.

المكلف بأن يركع ركعتين من غير الفريضة، وما ذاك إلا لأن صاحب الاستخارة يريد أن يطلب من الله تعالى قضاء حاجته، وقد قضت الحكمة أن من الأدب قرع باب من تريد حاجتك منه، وقرع باب المولى ﷺ إنما هو بالصلاة، فلما أن فرغ من تحصيل فضائل الصلاة الجمّة أمره صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام بالدعاء الوارد.

### فضل صلاة الاستخارة:

ولو لم يكن فيها من الخير والبركة إلا أن من فعلها كان ممثلاً للسنة المطهرة محصلاً لبركتها، ثم مع ذلك تحصل له بركة النطق بتلك الألفاظ التي تربو على كل خير يطلبه الإنسان لنفسه ويختاره لها. فيا سعادة من رزق هذا الحال، وينبغي للمرء أن لا يفعلها إلا بعد أن يتمثل ما ورد من السنة في أمر الدعاء، وهو أن يبدأ أولاً بالشاء على الله ﷻ ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يأخذ في دعاء الاستخارة الوارد ثم يختمه بالصلاة على النبي ﷺ، ثم الأفضل أن يجمع بين الاستخارة والاستشارة؛ فإن ذلك من كمال الامتثال للسنة، وقد قال بعض السلف: من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العلماء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذ ربّما زلّ، والعقل الفرد ربّما ضلّ. فعلى هذا، فمن ترك الاستخارة والاستشارة يخاف عليه من التعب فيما أخذ بسبيله لدخوله في الأشياء بنفسه دون الامتثال للسنة المطهرة وما أحكمته في ذلك.

قال النووي: وينبغي أن يفعل بعد الاستخارة ما ينشرح له، ولا يعتمد على انشراح كان فيه هوى قبل الاستخارة، بل ينبغي للمستخير ترك اختياره رأساً، وإلا فلا يكون مستخيراً لله، بل يكون غير صادق في طلب الخيرة وفي التبرّي من العلم والقدرة وإثباتها لله تعالى، فإذا صدق في ذلك تبرّأ من الحول والقوة ومن اختياره لنفسه<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاستعانة - الاستعاذة - الإنابة - التوكل - الدعاء - الذكر -

القنوت - الضراعة والتضرع.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض - الأمن من المكر - الكبر والعجب.]

\*\*\*

(١) بتصرف يسير من كتاب المدخل (٤/ ٣٦ - ٤٤). وفقه السنة للشيخ سيد سابق (١/ ٢١١ - ٢١٢).

## من فوائد (الاستخارة)

- (١) دليل على تعلق قلب المؤمن بالله ﷻ في (٧) الاستخارة تزيد ثواب المرء وتقربه من ربه وذلك لما يصحبها من الصلاة وسائر أحواله.
- (٢) الرضا بما قسم الله للإنسان وقدر.
- (٣) من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة.
- (٤) راحة الإنسان حيث يسعى بما تيسر له من الأسباب بعد أن يطلب الخير من الله وحيثما رضي وقنع فارتاح.
- (٥) الحاجة إليها ملحة في كل أمر صغير أو كبير.
- (٦) الاستخارة ترفع الروح المعنوية للمستخير فتجعله واثقا من نصر الله له.
- (٧) الاستخارة تزيد ثواب المرء وتقربه من ربه وذلك لما يصحبها من الصلاة وسائر أحواله.
- (٨) الاستخارة دليل على ثقة الإنسان في ربه ووسيلة للقرب منه.
- (٩) المستخير لا يخيب مسعاه وإنما يمنح الخيره ويبعد عن الندم.
- (١٠) في الاستخارة تعظيم لله وثناء عليه.
- (١١) في الاستخارة مخرج من الحيرة والشك وهي مدعاة للطمأنينة وراحة البال.
- (١٢) في الاستخارة امتثال للسنة المطهرة وتحصيل لبركتها.

## الاستعاذة

## الاستعاذة لغة:

الاستعاذة مصدر استعاذ وهي من مادة (ع وذ) التي تدل على الالتجاء إلى الشيء ثم يحمل على ذلك كل شيء لصق بشيء أو لازمه. قال الخليل:

تقول أعوذ بالله جل ثناؤه أي ألجأ إليه تبارك وتعالى عودا وعاذا، ويقال فلان عياذ لك أي ملجأ، ومن هذا قولهم: عاذ به يعوذ عودا وعاذا ومعادا: لاذ به ولجأ إليه واعتصم. ومعاذ الله أي عيادا بالله. قال الله تعالى: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ﴾ [يوسف: ٧٩] أي نعوذ بالله معادا أن نأخذ غير الجاني بجنايته، وروي عن النبي ﷺ، أنه تزوج امرأة من العرب فلما أدخلت عليه قالت: أعوذ بالله منك، فقال: لقد عدت بمعاذ فالحقي بأهلك.

والمعاذ في هذا الحديث: الذي يعاذ به. والمعاذ: المصدر والمكان والزمان. أي قد لجأت إلى ملجأ ولذت بملاذ. والله عَلَّمَ معاذ من عاذ به وملجأ من لجأ إليه، والملاذ مثل المعاذ، وهو عياذي أي ملجئي.

وعذت بفلان واستعدت به، أي لجأت إليه. وفي التنزيل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] معناه إذا أردت قراءة القرآن فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ووسوسته.

والعوذة والمعادة والتعويدة: الرقية يرقى بها الإنسان من فزع أو جنون لأنه يعاذ بها. وقد عوَّذَه، يقال: عوَّذت فلانا بالله وأسمائه وبالمعوذتين إذا قلت أعيدك بالله وأسمائه من كل ذي شر وكل داء وحاسد وعين.

والمعوذتان، بكسر الواو: سورة الفلق وتاليتها؛ لأنَّ مبدأ كل واحدة منهما «قل أعوذ». وأما التعاويذ التي تكتب وتعلق على الإنسان من العين فقد نهي عن تعليقها، وهي تسمى المعاذات أيضا<sup>(١)</sup>. وقال القرطبي: الاستعاذة في كلام العرب:

الاستجارة والتَّحِيْزُ إِلَى الشَّيْءِ عَلَى مَعْنَى الْاِمْتِنَاعِ بِهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ، يُقَالُ عَذْتُ بِفُلَانٍ وَاسْتَعَدْتُ بِهِ؛ أَي لَجَأْتُ إِلَيْهِ، وَهِيَ عِيَاذِي أَي مَلْجِئِي<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم: لفظ عاذ وما تصرف منه يدل على التَّحَرُّزِ وَالتَّحَصُّنِ وَالنَّجَاةِ، وَفِي أَصْلِهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ السَّتْرِ، وَالثَّانِي أَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْمَجَاوِرَةِ وَالاِلْتِصَاقِ، وَمِنَ الْأَوَّلِ قَوْلُهُمْ لِلْبَيْتِ الَّذِي فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ «عَوْذٌ» لِأَنَّهُ عَاذٌ بِالشَّجَرَةِ وَاسْتَرَّ بِأَصْلِهَا، وَكَذَلِكَ الْعَائِذُ قَدْ اسْتَرَّ مِنْ عَدُوِّهِ بِمَنْ اسْتَعَاذَ بِهِ مِنْهُ، وَمِنَ الْمَعْنَى الثَّانِي قَوْلُهُمْ لِلْحَمِّ إِذَا لَصِقَ بِالْعَظْمِ فَلَمْ يَتَخَلَّصْ مِنْهُ «عَوْذٌ» لِأَنَّهُ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَاعْتَصَمَ، وَفِي الْمَثَلِ أَطِيبَ اللَّحْمَ عَوْذَهُ (وهو ما التصق منه بالعظم)، وَكَذَلِكَ الْعَائِذُ قَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْمُسْتَعَاذِ بِهِ وَاعْتَصَمَ بِهِ وَلِزَمَهُ، وَالْقَوْلَانِ حَقٌّ، وَالاسْتَعَاذَةُ تَنْتَظِمُهُمَا جَمِيعًا، لِأَنَّ الْمُسْتَعِيزَ اسْتَرَّ بِمَعَاذِهِ اسْتَمْسَكَ بِهِ<sup>(٣)</sup>.

(١) الصحاح للجوهري (٢/ ٥٦٧)، والنهية لابن الأثير (٣/ ٣١٨)، ولسان العرب (٤/ ٣١٦٢)، ومقاييس اللغة (٤/ ١٨٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٦٤).

(٣) التفسير القيم ص ٥٣٨ - ٥٣٩ بتصرف واختصار.

## الاستعاذة اصطلاحاً:

هي اللجوء إلى الله ﷻ والاعتصام به من شر كل ذي شر<sup>(١)</sup>.

والاستعاذة تتضمن مستعاضاً به ومستعاضاً منه وصيغة، وستتناول ذلك بإيجاز - فيما يلي:

## المستعاض به:

ويسمى المعاض والمستعاض، وهو الله وحده، ولا تنبغي الاستعاذة إلا به جلّ وعلا وبأسمائه الحسنی وصفاته العلی، وكلماته التامة، «ولا يستعاض بأحد من خلقه، وقد أخبر سبحانه عمّن استعاض بخلقه أن استعاذته زادت طغياناً ورهقاً<sup>(٢)</sup>. قال تعالى حكاية عن مؤمني الجن ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] يقول ابن كثير في تفسيرها: كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البراري كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجن أن يصيبهم بشيء يسوءهم. فلما رأَت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم خوفاً وإرهاباً وذعراً حتى يبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذاً<sup>(٣)</sup>.

## المستعاض منه:

المستعاض منه هو كل ما يصيب الإنسان من الشر، وقد لخص ابن القيم - رحمه الله تعالى - أنواع هذا الشر فقال: الشر الذي يصيب الإنسان لا يخلو من قسمين: إما ذنوب وقعت منه، وهذا راجع إلى الإنسان نفسه، وإما شر يقع بالإنسان من غيره، وذلك الغير إما مكلف أو غير مكلف، والمكلف إما نظيره وهو الإنسان، أو ليس نظيره وهو الجنّي، وغير المكلف مثل الهوامّ وذوات الحمة<sup>(٤)</sup> ونحوها. وقد تضمنت المعوذتان<sup>(٥)</sup> الاستعاذة من هذه الشرور، ففي سورة الفلق الاستعاذة من:

١ - شرّ المخلوقات التي لها شرّ عموماً.

٢ - شرّ الغاسق إذا وقب (أي الليل إذا دخل وأقبل).

٣ - شرّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ. ٤ - شرّ الحاسد إذا حسد<sup>(٦)</sup>.

(١) قرّة عيون الموحدين للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ يرحمه الله (٥٥).

(٢) التفسير القيم ص ٥٤٢.

(٣) تفسير ابن كثير ٤ / ٥٤٧، وانظر أيضاً التفسير القيم في الموضوع السابق.

(٤) ذوات الحمة: كل ما يلدغ من العقارب والحيات ونحوها.

(٥) المعوذتان هما سورتا الفلق والناس.

(٦) التفسير القيم ص ٥٤٣، ٥٤٤.

أما سورة النَّاس فقد تضمنت الاستعاذة من الشَّرِّ الَّذِي هو سبب ظلم العبد نفسه (أي الشَّرِّ الدَّاخِلِيّ) وهو الوسوسة النَّاجمة عن الشَّيْطَان، وهو شَرٌّ دَاخِلٌ تحت التَّكْلِيفِ ويتعلق به النَّهْيُ، وهو شَرٌّ المَعَائِبِ، أمَّا الَّذِي في سورة الفلق فهو شَرُّ المَصَائِبِ، والشَّرُّ كُلُّه يرجع إمَّا إلى المَعَائِبِ وإمَّا إلى المَصَائِبِ، والوسواس هو الشَّيْطَان نفسه، وقد جاء وصفه بالخَنَّاس<sup>(١)</sup> لأنَّه كَلَّمَا ذكر الله انخنس، أي توارى واختفى، ثم إذا غفل الإنسان عاوده بالوسوسة<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت الاستعاذة في القرآن الكريم من الجهل (انظر الآيات ٨، ٩)، ومن الفحش (الآية ١٠، ١٢) ومن الظلم (آية ١١)، ومن المتكبرين الكافرين (آية ١٣)، ومن الرِّجْمِ (آية ١٤)، أمَّا في الحديث الشريف، فقد وردت الاستعاذة من شَرِّ السَّمْعِ والبصر واللِّسَانِ والقلب والفرج (حديث ٣) ومن الشَّرِّ كُلِّه عاجله وآجله (حديث ٧، ١٧)، ومن عذاب القبر وعذاب جهنم ومن فتنة المحيا وفتنة الممات وفتنة المسيح الدَّجَالِ (حديث ١٤) ومن شَرِّ المَرْأَةِ والخادم (حديث ١٦)، وشَرِّ الرِّيحِ وما أرسلت به (حديث ١٧)، ومن جار السَّوءِ في دار المَقَامِ (حديث ٢٤) ومن ضيق المَقَامِ يوم القيامة من شَرِّ ما عمل الإنسان (من الذَّنُوبِ والمعاصي) (حديث ٢٩، ٣١)، ومن سخط الله وعقوبته (حديث ٣٢)، ومن الهَمِّ والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وثقل الدَّيْنِ وغلبة الرِّجَالِ (حديث ٣٣)، ومن زوال النِّعْمَةِ وتحول العافية (حديث ٤٠)، وشَرِّ النَّفْسِ والشَّيْطَانِ (حديث ٤٦، ٤٧).

### حكم الاستعاذة وصيغتها:

الاستعاذة عند قراءة القرآن مطلوبة، والجمهور على أنَّها مندوبة، وذكر عن عطاء أنَّها واجبة<sup>(٣)</sup>. أمَّا صيغتها فقد اختار الجمهور أن يقول القارىء: أعوذ بالله من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وعلَّة اختيار ذلك ما وقع في النَّصِّ بلفظ الأمر الَّذِي معناه التَّرْغِيبُ، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، فحَضَّنَا اللهُ عَلَى قول «أعوذ بالله من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» عند القراءة وعلينا امثال هذا الَّذِي رَغَبْنَا فِيهِ عند افتتاحها<sup>(٤)</sup>.

(١) الخَنَّاس، مأخوذ من خنس ومعناها الاختفاء بعد الظهور، وقيل: الرجوع إلى الوراء والخَنَّاس مأخوذ من هذين المعنيين لأن العبد إذا غفل عن ذكر الله تعالى جثم على قلبه الشيطان وبذر فيه الوسواس التي هي أصل الذنوب كلها، فإذا ذكر العبد ربه، واستعاذ به انخنس وانقبض وولَّى هاربا لأنه جبان وضعيف يهرب عند ذكر الله تعالى. التفسير القيم لابن القيم ص ٦٠٦.

(٢) المرجع السابق ص ٦٠٧.

(٣) البحر المحيط ٥ / ٥١٧.

(٤) كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٩.

وقال ابن الباذش: والذي صار إليه معظم أهل الأداء «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» لما روى عبد الله بن مسعود وأبو هريرة وجبير بن مطعم رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه استعاذ عند القراءة بهذا اللفظ بعينه، وجاء تصديقه في التنزيل<sup>(١)</sup>.

أما الاستعاذة في المواطن الأخرى فحكمتها الندب أيضا<sup>(٢)</sup>، ولها صيغ عديدة جاءت بها الآيات مثل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]...، والأحاديث مثل: «اللهم إني أعوذ بك، أعوذ بالله وقدرته، أعوذ بكلمات الله التامات، اللهم أعوذ برضاك...، اللهم رب جبرائيل وميكائيل ورب إسرئيل أعوذ بك من كذا».

[للاستزادة: انظر صفات: الاستعانة- الاستغاثة- الاستخارة- الابتهاال- التوكل- الدعاء الضراعة والتضرع.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الغي والإغواء الفتنة- الغرور- الغفلة- الكبر والعجب].

\*\*\*

### من فوائد (الاستعاذة)

- (١) حصن حصين من الشيطان الرجيم.
- (٢) من استعاذ بالله واعتصم به أعاده الله.
- (٣) صمام أمن في الحياة وجنة من كل خطر.
- (٤) إظهار الضعف والذلة والانكسار لله وتلك حقيقة العبودية.
- (٥) الوقاية خير من العلاج.
- (٦) الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله.
- (٧) الاستعاذة تزيل الغضب وتريح النفس.
- (٨) الاستعاذة تقي الإنسان من شرور جوارحه.
- (٩) الاستعاذة مظهر من أهم مظاهر الاستغفار.
- (١٠) في الاستعاذة بالمعوذتين أثناء المرض أتباع لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وكفى بذلك بركة وخيرا.
- (١١) بالاستعاذة من جار السوء يحمي الإنسان نفسه ويصون عرضه.
- (١٢) الاستعاذة تقي الإنسان من ضرر الحيوان المؤذي كالأفاعي ونحوها.
- (١٣) بالاستعاذة من الشيطان يندفع الأثر النفسي السيء التاجم عن الحلم.
- (١٤) بالاستعاذة يتجنب الإنسان الضرر حتى يرحل من منزله الذي تعوذ فيه.

(١) كتاب الاقناع في القراءات السبع ١ / ١٥١.

(٢) تفسير القرطبي ١ / ٨٨.

## الاستعانة

## الاستعانة لغة:

مصدر استعان وهو من العون بمعنى المعاونة والمظاهرة على الشيء، يقال: فلان عوني أي معيني وقد أعتته، والاستعانة طلب العون، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، والعون الظهير على الأمر، الواحد والاثنان والجمع والمؤنث فيه سواء، وقد حكى في تكسيره أعوان، والعرب تقول: إذا جاءت السنة جاء معها أعوانها، يعنون بالسنة: الجذب، وبالأعوان: الجراد والذئب والأمراض. وتقول: أعتته إعانة واستعنته واستعنت به فأعاني وتعاونوا عليّ واعتونوا: أعان بعضهم بعضاً، وتعاونوا: أعان بعضنا بعضاً، والمعونة: الإعانة، ورجل معوان حسن المعونة، وكثير المعونة للناس وكلّ شيء أعانك فهو عون لك كالصوم عون على العبادة<sup>(١)</sup>.

## واصطلاحاً:

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : «الاستعانة: طلب العون من الله، ويطلب من المخلوق ما يقدر عليه من الأمور»<sup>(٢)</sup>.

## الاستعانة الإيمانية والاستعانة الشركية:

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : «إنّ العبد مجبول على أن يقصد شيئاً ويريده ويستعين بشيء ويعتمد عليه في تحصيل مراده، وهذا المستعان به على قسمين وهما:  
القسم الأول: ما يستعان به لنفسه فيكون هو الغاية الذي يعتمد عليه العبد ويتوكل عليه، ويعتضد به، ليس عنده فوقه غاية في الاستعانة.

والقسم الثاني: ما يكون تبعاً لغيره بمنزلة الأعضاء مع القلب، والمال مع المالك، والآلات مع الصانع. والناظر في أحوال الخلق يجد أنّ النفس لا بدّ لها من شيء تثق به وتعتمد عليه في نيل مطلوبها هو مستعانها سواء أكان ذلك هو الله أم غيره وإذا كان المستعان غير الله فقد يكون عامّاً، وهو الكفر كمن عبد غير الله مطلقاً أو سأل غير الله مطلقاً. وقد يكون خاصّاً في المسلمين ممّن غلب عليهم حبّ المال أو حبّ شخص أو حبّ الرّئاسة أو غير ذلك بحيث يعتمد عليها ويستعين

(١) لسان العرب لابن منظور (٥ / ٣١٧٩ - ٣١٨٠)، وانظر الصحاح للجوهري (٦ / ٢١٦٨ - ٢١٦٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ١٠٣).

بها، وما أكثر ما تستلزم العبادة الاستعانة، وصلاح العبد في عبادة الله واستعانتة به، ومضرتة وهلاكه وفساده في عبادة غير الله والاستعانة بما سواه، وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانتة في القرآن كثير جدًا؛ بل هو قلب الإيمان، وأول الإسلام وآخره، وهذا هو دين الإسلام العام الذي بعث به جميع الرسل، فلا يصرف لغير الله شيء من أنواع العبادة والاستعانة، إذ إن أنواع العبادة متعلقة كلها بألوهيته، والاستعانة متعلقة بربوبيته، والله رب العالمين لا إله إلا هو، ولا رب لنا غيره، لا ملك ولا نبي ولا غيره<sup>(١)</sup>.

### الاستعانة بالأعمال الصالحة:

جاء الأمر الإلهي بالاستعانة بالصبر والصلاة في الآية الكريمة ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقوله ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] فما معنى الاستعانة بذلك؟

### يقول الإمام الطبري في تفسير ذلك:

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾: أي استعينوا على الوفاء بعهدي الذي عاهدتموني في كتابكم، من طاعتي وأتباع أمري وترك ما تهوونه من الرياسة وحب الدنيا إلى ما تكرهونه من التسليم لأمري وأتباع رسولي محمد ﷺ بالصبر عليه والصلاة، وقد قيل: إن معنى الصبر في هذا الموضع الصوم، والصوم من معاني الصبر<sup>(٢)</sup>.

### الإنسان محتاج إلى الله في كل حال ولكل شأن:

قال ابن رجب - رحمه الله تعالى - : «العبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله ﷻ».

فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه الله، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله إلى من استعان به، فصار مخذولا وهو كذلك في أمور الدنيا لأنه عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضارّه، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه جميعا إلا الله ﷻ فمن أعانه الله فهو

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٧٤٣٤) بتصريف شديد، وتفسير الطبري (١/ ٢٩٨).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٩٨).

المعان ومن خذله الله فهو المخذول. وهذا هو تحقيق معنى قول العبد «لا حول ولا قوة إلا بالله». والمعنى أن العبد لا يتحوّل حاله من حال إلى حال ولا قوة له على ذلك إلا بالله ﷻ<sup>(١)</sup>.

### معنى الاستعانة:

وقد سَوَّى ابن القيم بين التوكّل والاستعانة وقال في تعريفهما: التوكّل والاستعانة: حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله تعالى، والإيمان بتفردّه بالخلق، والتدبير والضّرّ والنفع، والعطاء والمنع، وأنّه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وإن شاءه النَّاس، فيوجب له هذا اعتماداً عليه (واستعانة به)، وتفويضاً إليه وطمأنينه به، وثقة به، وبقينا بكفايته لما توكل عليه فيه واستعان به عليه، وأنّه مليّ به، ولا يكون إلا بمشيئته، شاء النَّاس ذلك أم أبوه<sup>(٢)</sup>.

### منزلة الاستعانة ومكانتها:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: الاستعانة تجمع أصليين: الثقة بالله، والاعتماد عليه، فإن العبد قد يثق بالواحد من النَّاس وهو مع ذلك لا يعتمد عليه لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه - مع عدم ثقته به - لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه فيحتاج إلى اعتماده عليه، مع أنّه غير واثق به، ومثل الاستعانة التوكّل إذ هو أيضاً يلتئم من هذين الأصليين (الثقة والاعتماد) وهذان الأصلان وهما: التوكّل (الاستعانة) من ناحية والعبادة من ناحية أخرى قد اقترنا في القرآن الكريم في مواضع عديدة منها:

١ - قوله سبحانه في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

٢ - قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾.

[هود: ١٢٣]

٣ - قول الله تعالى على لسان شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

٤ - قوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ﴾ [الرعد: ٣٠].

٥ - قوله - عزّ من قائل - حكاية عن المؤمنين: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

[الممتحنة: ٤]

(١) جامع العلوم والحكم (١٨٢) بتصرف.

(٢) مدارج السالكين (١ / ٩٤).

٦- قول الله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَبَنِّلْ إِلَيْهِ بَتِيلاً ۝٨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ

وَكَيْلاً ﴿ [المزمل: ٨، ٩].

فهذه ستة مواضع جمع فيها القرآن الكريم بين الأصلين وهما:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي بين العبادة والاستعانة أو ما في معناها وهو التوكّل<sup>(١)</sup>.

لماذا قدمت العبادة على الاستعانة؟

لتقديم العبادة على الاستعانة وما في معناها من التوكّل في آية الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وفي غيرها أسباب عديدة أشار إليها ابن القيم وغيره من العلماء، فقال ابن القيم: وتقديم العبادة على الاستعانة لما يلي:

١- لأنّ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها<sup>(٢)</sup>.

والاستعانة وسيلة إليها، ومن ثمّ يكون ذلك من قبيل تقديم الغايات على الوسائل.

٢- لأنّ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ متعلّق بالوهيّه - سبحانه - ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ متعلّق بربوبيته.

٣- ولأنّ تقديم العبادة على الاستعانة يتناسب مع تقديم اسم «الله» على لفظ «الرّب» المذكورين في أول السّورة<sup>(٣)</sup>.

حيث إنّ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قسم الرّب، فكان من الشّطر الأوّل، الذي هو ثناء على الله تعالى، لكونه أولى به، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قسم العبد، فكان من الشّطر الذي له، وهو ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السّورة.

٤- ولأنّ العبادة المطلقة تتضمّن الاستعانة من غير عكس، فكلّ عابد لله عبوديّة تامّة، مستعين، ولا ينعكس الأمر لأنّ صاحب الأغراض والشّهوات قد يستعين به على شهواته، فكانت العبادة أكمل وأنتم، ولهذا كانت قسم المولى ﷻ.

٥- ولأنّ الاستعانة جزء من العبادة من غير عكس (فقدّم الكلّ على الجزء).

٦- ولأنّ الاستعانة طلب منه سبحانه، والعبادة طلب له فقدّم ما هو له على ما هو منه.

(١) مدارج السالكين (١/ ٨٦-٨٧) بتصرف.

(٢) يشير ابن القيم بذلك إلى قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(٣) يشير بذلك الى قوله سبحانه في الآية الثانية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

٧- ولأنَّ العبادة لا تكون إلا من مخلص، والاستعانة تكون من مخلص ومن غير مخلص، ومن ثمَّ قدَّم ما هو محض الإخلاص.

٨- ولأنَّ العبادة حقُّ الله الذي أوجبه على العبد والاستعانة طلب العون على العبادة، وذلك بيان لصدقته التي تصدق بها عليك، وأداء حقِّه أهمُّ من التَّعرُّض لصدقته (فكان ذلك من باب تقديم الأهمِّ على المهمِّ).

٩- ولأنَّ العبادة شكر لنعمة عليك، والله يحبُّ أن يشكر، والإعانة فعله بك وتوفيقه لك، فإنَّ التزمتم عبوديَّته، ودخلت تحت رفقها أعانك عليها، فكان التزامها والدخول تحت رفقها سببا لنيل الإعانة، وكلِّما كان العبد أتمَّ عبوديَّته كانت الإعانة له من الله أعظم، ومن ثمَّ فإنَّ في تقديم العبادة تقديمًا للسبب على المسبَّب.

١٠- ولأنَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ الله، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ به، والذي له مقدَّم على ما به، لأنَّ ما له متعلِّق بمحبَّته ورضاه والذي (يكون) به متعلِّق بمشيئته، وما تعلق بمحبَّته، أكمل ممَّا تعلق بمجرد مشيئته، إذ الكون كلُّه متعلِّق بمشيئته كذلك، والملائكة والشياطين والمؤمنون والكفار والطاعات والمعاصي، والمتعلِّق بمحبَّته طاعاتهم وإيمانهم، فالكفار أهل مشيئته والمؤمنون أهل محبَّته، ولهذا لا يستقرُّ في النَّار شيء لله أبدا، وكلُّ ما فيها فإنَّه به تعالى وبمشيئته<sup>(١)</sup>.

#### أوجه الاستعانة بالله تعالى:

للرَّغبة إلى الله في طلب المعونة (الاستعانة) وجهان: أحدهما: أن يسأل الله تعالى من أظافه ما يقوِّي دواعيه ويسهِّل الفعل عليه، ومتى لطف له بأن يعلمه أنَّ له في فعله الثَّواب العظيم زاد ذلك في نشاطه ورغبته.

والآخر: أن يطلب (باستعانتها) بقاء كونه قادرا على طاعته المستقبلية بأن تجدد له القدرة حالا بعد حال<sup>(٢)</sup>.

#### تقسيم الناس بحسب الاستعانة:

يؤخذ من كلام ابن القيم أنَّ النَّاس بحسب العبادة والاستعانة أربعة أقسام:

القسم الأوَّل: أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، وهذا أجلُّ الأقسام وأفضلها.

(١) مدارج السالكين (١ / ٨٧ - ٨٨) بتصرف واختصار يسير.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن (١ / ٥٥).

القسم الثاني: أهل الإعراض عن العبادة والاستعانة به في مرضاته إن سأله أحدهم واستعان به، فعلى حظوظه وشهواته، لا على مرضاة ربّه وحقوقه.  
وهؤلاء هم شرّ البرية.

القسم الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة أو باستعانة ناقصة وهؤلاء صنفان:

١- القدرية القائلون بأن الله قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألفاظ وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له على الفعل، إذ قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق وإرسال الرّسل وتمكينه من الفعل، ولم يبق بعد هذا إعانة مقدورة يسأله إيّاها.

٢- من لهم عبادات وأوراد، ولكن حظهم ناقص من التوكّل والاستعانة فهؤلاء وأولئك لهم نصيب من التوفيق والنّفوذ والتأثير بحسب استعانتهم وتوكّلهم، ولهم من الخذلان والضعف والمهانة والعجز بحسب قلة استعانتهم وتوكّلهم، ولو توكّل العبد على الله حقّ توكّله (واستعان به حقّ استعانتة) في إزالة جبل عن مكانه وكان مأمورا بإزالته لأزاله.

القسم الرابع: هم أولئك الذين يشهدون تفرّد الله بالنّفع والضّر، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولم يدر مع ما يحبّه ويرضاه، ومع ذلك توكّل عليه واستعان به على حظوظه وشهواته وأغراضه، فقضيت له وأسعف بها سواء أكانت مالا أو جاها عند الخلق، هؤلاء لا عاقبة لهم ولا يعدو ما أعطوه أن يكون من جنس الملك الظاهر والأموال التي لا تستلزم الإسلام فضلا عن الولاية والقرب من الله تعالى<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاستخارة- الاستعاذة- الاستغاثة- التوسل- الضراعة والتضرع التوكّل- الدعاء.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الغرور الغفلة الكبر والعجب- القنوط].

\*\*\*

### من فوائد (الاستعانة)

(١) الاستعانة بالله من مظاهر عبادته وتوحيده. (٢) بالاستعانة بالله يواجه الإنسان الأخطار المحدقة به.

(١) مدارج السالكين (١/ ٩٠-٩٤) بتصرف واختصار.

- (٣) شعور المسلم بالقوة لأنه لا يواجه (٦) الاستعانة تذلل الصعاب وتقوي المرء مع المشاكل وحده بل معه ربه. إخوانه على ما لا يستطيعه بمفرده.
- (٤) نزع شعور العجز من نفسه. (٧) الاستعانة بالله تجعل الفرد المسلم وثيق الصلة بربه يجيبه إذا سأله، ويفرج عنه كربه، ويغفر له ذنبه.
- (٥) صلاح قلبه وسدّ خلّة روحه.

## الاستغاثة

### الاستغاثة لغة:

الاستغاثة مصدر استغاث وهو مأخوذ من الغوث بمعنى الإغاثة والنصرة عند الشدة، ويقال الغيث في المطر، واستغثته طلبت منه الغوث أو الغيث فأغاثني من الغوث، وغاثني من الغيث، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩] يصحّ أن يكون من الغيث، ويصحّ أن يكون من الغوث، وكذا يغاثوا يصحّ فيه المعنيان، والغواث بالضمّ: الإغاثة، وغوث الرجل، واستغاث: صاح واغوثاه. ويقول الواقع في البلية: أغثني أي فرج عني.

واستغاثني فلان فأغثته، والاسم الغياث. واستغثت فلانا فما كان لي عنده مغوثة، ولا غوث. وتقول: ضرب فلان فغوث تغويثا إذا قال: واغوثاه وأغاثه الله، وغاثه غوثا وغياثا وهو ما أغاثك الله به<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحا:

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : الاستغاثة طلب الغوث وهو لإزالة الشدة كالأستنصار طلب النصر، والاستعانة طلب المعونة<sup>(٢)</sup>.

### المغيث من أسماء الله الحسنى:

ومن أسماء الله ﷻ: (المغيث) وهو بمعنى المجيب لكن الإغاثة أخصّ بالأفعال، والإجابة أخصّ بالأقوال.

(١) لسان العرب (٦ / ٣٣١٢)، وانظر الصحاح (١ / ٢٨٩)، والمختار (٤٨٣)، ومقاييس اللغة (٤ / ٤٠٠)، ومفردات الراغب (٣٦٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ١٠٥).

## الفرق بين الاستغاثة والدعاء:

وقال بعض أهل العلم: الفرق بين الاستغاثة والدعاء. أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب وأما الدعاء فإنه أعم من ذلك؛ إذ إنه يكون من المكروب وغيره. فبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في دعاء المكروب، وينفرد الدعاء عنها في غير ذلك، فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة<sup>(١)</sup>.

وقال أبو عبد الله الحلبي - رحمه الله تعالى - : الغياث هو المغيث، وأكثر ما يقال غياث المستغيثين، ومعناه المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه، ومجيهم ومخلصهم<sup>(٢)</sup>.

## أنواع الاستغاثة:

١ - الاستغاثة غير المشروعة: قال ابن تيمية رحمه الله تعالى - في بيان معنى الاستغاثة المشروعة وغير المشروعة: من توّسل إلى الله تعالى بنبيه في تفريج كربة فقد استغاث به، سواء كان ذلك بلفظ الاستغاثة أو التوسّل أو غيرهما ممّا هو في معناهما، وقول القائل: أتوسّل إليك يا إلهي برسولك أو أستغيث برسولك عندك أن تغفر لي: استغاثة حقيقية بالرّسول في لغة العرب وجميع الأمم، والتّوسّل بالرّسول استغاثة به، وهذا لا يجوز إلا في حياته وحضوره لا في موته ومغيبه، وذلك كلّ فيما يقدر عليه من الأمور كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَسْتَضِرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢] وكقوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥]. أمّا فيما لا يقدر عليه إلا الله فلا يطلب إلا منه ﷻ. ولهذا كان المسلمون لا يستغيثون بالنبي ﷺ، ولا يستسقون به ولا يتوسّلون به بعد موته كما في صحيح البخاري:

«أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه استسقى بالعبّاس وقال: اللهمّ إنّنا كنّا إذا أجدبنا نتوسّل إليك بنبيّنا فتسقيننا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا فيسقون».

وأما التّوسّل بغير النبي ﷺ سواء سمّي استغاثة أو لم يسمّ، لا نعلم أحدا من السلف فعله، ولا روي فيه أثر؛ بل لا نعلم فيه إلا المنع<sup>(٣)</sup>.

(١) فتح المجيد (١٦٥-١٦٦) بتصرف شديد.

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١١١).

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ١٠١-١٠٥) بتصرف شديد.

٢- أمّا الاستغاثة المشروعة فتكون بالله ﷻ أو الأنبياء في حياتهم أو بالصّالحين من عباد الله حال حياتهم لا بعد موتهم فيما يقدر عليهم.

وقال ﷺ: والاستغاثة برحمته استغاثة به في الحقيقة كما أنّ الاستعاذة بصفاته استعاذة به في الحقيقة<sup>(١)</sup>.

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : ومن أنواع الشرك: طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتّوجّه إليهم، وهذا أصل شرك العالم؛ فإنّ الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فضلا عمّن استغاث به أو سأله أن يشفع له إلى الله<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاستعاذة - الاستعانة - الإغاثة - التعاون على البر والتقوى - الدعاء - التوسل - الضراعة والتضرع - الابتهاال.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض - الشرك - الغفلة - الكسل - القنوط - الكبر والعجب اليأس].

\*\*\*

### من فوائد (الاستغاثة)

- (١) فيها صرف الهمة كلّها إلى الله المتصرّف في الكون كلّه بكمال قدرته واليقين بأنّ الخلق ينفذون قدره وأمره.
- (٢) الاستغاثة في الأمور التي لا يقدر عليها إلّا الله من التّوحيد؛ فهي دليل الإيمان به وحده.
- (٣) بالاستغاثة تقوى عزيمة الإنسان لمعرفة أنّه بأنّ من يستغيث به قادر على إغاثته.
- (٤) الاستغاثة سبب من أسباب النّصر كما حدث للمسلمين يوم بدر.
- (٥) الاستغاثة تقوي الرّوح المعنويّة للمستغيث وتعلمه بأنّ الفرج قريب.
- (٦) الاستغاثة مجلبة للخير، وبها يعمّ الخير العباد والبلاد.

(١) المصدر السابق (١ / ١١١).

(٢) فتح المجيد (١٦٨).

## الاستغفار

### الاستغفار لغة:

الاستغفار مصدر قولهم: استغفر يستغفر وهو مأخوذ من مادة (غ ف ر) التي تدل على السّتر في الغالب الأعمّ فالغفر السّتر، والغفر والغفران بمعنى (واحد)، يقال: غفر الله ذنبه غفرا ومغفرة وغفرانا، قال الشاعر في الغفر:

فِي ظِلِّ مَنْ عَنَتِ الْوَجُوهَ لَهُ      مَلِكُ الْمَلُوكِ وَمَالِكُ الْغُفْرِ  
وقال ابن منظور: أصل الغفر التّغطية والسّتر.

يقال: اللهم اغفر لنا مغفرة وغفرا وغفرانا، وإِنَّكَ أَنْتَ الْغُفُورُ الْغَفَّارُ يَا أَهْلَ الْمَغْفِرَةِ. غفر الله ذنوبه أي سترها. واستغفر الله من ذنبه ولذنبه بمعنى، فغفر له ذنبه مغفرة وغفرا وغفرانا.

وفي الحديث: غفار غفر الله لها. قال ابن الأثير: يحتمل أن يكون دعاء لها بالمغفرة أو إخبارا أنّ الله تعالى قد غفر لها. واستغفر الله ذنبه، على حذف الحرف، طلب منه غفره. أنشد سيوييه:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ      رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ  
وتغافرا: دعا كلّ واحد منهما لصاحبه بالمغفرة.  
وامرأة غفور، بغير هاء<sup>(١)</sup>.

وقال الرّاعب: الغفر: إلباس ما يصونه عن الدّنس ومنه قيل: اغفر ثوبك في الدّعاء واصبغ ثوبك فإنّه أغفر للوسخ، والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب. والاستغفار طلب ذلك بالمقال والفعال، وقيل: اغفروا هذا الأمر بغفرته، أي استروه بما يجب أن يستر به<sup>(٢)</sup>.

الغفور والغفّار وغافر الذّنب من أسماء الله تعالى: الغفور الغفّار - جَلّ ثناؤه - وهما من أبنية المبالغة، ومعناها السّاتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم. والغفران والمغفرة من الله تعالى: أن يصون الله العبد من أن يمسه العذاب.. وغافر الذّنب اسم من أسماء الله الحسنى التي تضمّ إلى التسعة والتّسعين اسما المشهورة<sup>(٣)</sup>.

(١) لسان العرب (٥/ ٢٥، ٢٦) باختصار.

(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (٣٦٢).

(٣) المقصد الأسنى (٨٠).

قال الغزالي رحمته: العَفَّارُ: هو الذي أظهر الجميل وستر القبيح، والدُّنُوبُ من جملة القبائح التي سترها الله بإسبال السُّتر عليها في الدنيا، والتَّجَاوُزُ عن عقوبتها في الآخرة. والغفر هو السُّتر. والغفور بمعنى العَفَّار، ولكنه بشيء ينبيء عن نوع مبالغة لا ينبأ عنها العَفَّار. فالفعال ينبيء عن كثرة الفعل، والفعال ينبيء عن جودته وكماله وشموله<sup>(١)</sup>.

وقال الخطابي الحافظ - رحمه الله تعالى -: العَفَّار هو الذي يغفر ذنوب عباده مرّة بعد أخرى، كلما تكررت التوبة من الذنب تكررت المغفرة.

والعَفَّار: السُّتار لذنوب عباده، والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته، ومعنى السُّتر في هذا أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهّره في عيونهم<sup>(٢)</sup>.

### واصطلاحاً:

الاستغفار من طلب الغفران. والغفران: تغطية الذنب بالعمو عنه.

وهو أيضاً طلب ذلك بالمقال والفعال<sup>(٣)</sup>.

### الفرق بين الغفران والعمو:

قال الكفوي: إن الغفران يقتضي إسقاط العقاب ونيل الثواب ولا يستحقّه إلا المؤمن ولا يستعمل إلا في (حق) الباري تعالى، والعمو يقتضي إسقاط اللوم والندم ولا يقتضي نيل الثواب، ويستعمل في العبد أيضاً.

وقال أبو هلال العسكري: لا يقال غفر زيد لك إلا شاذاً قليلاً والشاهد على شذوذه أنه لا يتصرّف في صفات العبد كما يتصرّف في صفات الله تعالى، ألا ترى أنه يقال: استغفرت الله تعالى ولا يقال: استغفرت زيدا، والمحو أعمّ من العمو والغفران<sup>(٤)</sup>.

وهناك فروق بين الغفران وكلّ من السُّتر والصّفح. (انظر صفتي السُّتر والصّفح).

[للاستزادة: انظر صفات: الابتهاال - الإنابة - التوبة - الدعاء - الذكر - الضراعة والتضرع - القنوت.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإصرار على الذنب - الإعراض - الغفلة - الغرور - القنوط].

(١) المقصد الأسنى (٢٠٥).

(٢) شأن الدعاء للخطابي (٥٢، ٥٣).

(٣) له الأسماء الحسنی للشرباصي (٢ / ٢٦٣).

(٤) الكليات للكفوي (٦٦٦ - ٦٦٧)، والفروق لأبي هلال (١٩٥).

## من فوائد (الاستغفار)

- (١) الاستغفار يجلب الغيث المدرار (١٠) تيسير الرزق وذهاب الهم والغم للمستغفرين ويجعل لهم جنات ويجعل لهم أنهارا. (١١) إقبال الله على المستغفر وفرحه بتوبته.
- (٢) الاستغفار يكون سببا في إنعام الله ﷻ على المستغفرين بالرزق من الأموال والبنين. (١٢) وإذا مات تلقته الملائكة بالبشرى من ربه.
- (٣) تسهيل الطاعات، وكثرة الدعاء، وتيسير الرزق. (١٣) إذا كان يوم القيامة كان الناس في الحر والعرق، وهو في ظل العرش.
- (٤) زوال الوحشة التي بين الإنسان وبين الله. (١٤) إذا انصرف الناس من الموقف كان المستغفر تصغر الدنيا في قلبه.
- (٥) ابتعاد شياطين الإنس والجن عنه. (٦) المتقين.
- (٧) يجد حلاوة الإيمان والطاعة. (١٥) تحقيق طهارة الفرد والمجتمع من الأفعال السيئة.
- (٨) حصول محبة الله له. (١٦) دعاء حملة عرش ربنا الكريم له.
- (٩) الزيادة في العقل والإيمان.

## الاستقامة

## الاستقامة لغة:

مصدر استقام على وزن استفعل، وهو مأخوذ من مادة (ق وم) التي تدل على معينين: أحدهما جماعة من الناس والآخر انتصاب أو عزم، وإلى هذا المعنى ترجع الاستقامة في معنى الاعتدال، يقال قام الشيء واستقام: اعتدل واستوى. يقال استقام له الأمر. أي اعتدل.

وأما قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٦]: أي في التوجه إليه دون الآلهة، ومعنى الاستقامة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠]: عملوا بطاعته ولزموا سنة نبيه ﷺ.

وقول القائل: استقام فلان بفلان: أي مدحه وأثنى عليه.  
 وقال أبو إسحاق: استقام الشعر: اتزن. وقوم السلعة واستقامها: قدرها.  
 وقوام الأمر (بالكسر): نظامه وعماده، وكذلك ملاكه الذي يقوم به، أما القوام (بالفتح)  
 فمعناه العدل، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].  
 والقائم: الثابت، وكل من قام على شيء فهو ثابت عليه مستمسك به.  
 وفي قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣] المراد: المواظبة  
 على الدين القائمة به.

ويقال: فلان قائم بكذا إذا كان حافظاً له متمسكاً به.  
 قال ابن بري: «القائم على الشراء: الثابت عليه. والقيّم المعتدل، والملة القيمة المعتدلة  
 وكذلك الأمة القيمة»<sup>(١)</sup>.

معنى القيوم في أسماء الله تعالى: وأما القيوم في أسماء الله تعالى فمعناه: الذي يقوم بذاته، ولا  
 قوام له غيره، ولا يشترط في دوام وجوده وجود غيره، ويقوم به كل موجود حتى لا يتصور للأشياء  
 وجود، ولا دوام وجود إلا به<sup>(٢)</sup>.

وقال الخطابي رحمه الله: القيوم: القائم الدائم بلا زوال، ويقال: هو القيّم على كل شيء بالرعاية  
 له، ويقال: قمت بالشيء: إذا وليته بالرعاية والمصلحة<sup>(٣)</sup>.

#### واصطلاحاً:

الاستقامة: «هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولا  
 يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة وترك المنهيات كلها كذلك»<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن حجر - رحمه الله تعالى -: «الاستقامة كناية عن التمسك بأمر الله تعالى فعلاً  
 وتركاً»<sup>(٥)</sup>.

(١) لسان العرب ٦ (٣٧٨١-٣٧٨٧)، الصحاح (٥/ ٢٠١٦-٢٠١٨).

(٢) المقصد الأسنى للغزالي (١٣٢) بتصرف.

(٣) شأن الدعاء، للخطابي (٨٠، ٨١).

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١٩٣).

(٥) الفتح (١٣/ ٢٥٧).

ويقول الجرجاني: الاستقامة: هي كون الخطّ بحيث تنطبق أجزاءه المفروضة بعضها على بعض على جميع الأوضاع، وفي اصطلاح أهل العلم: هي الوفاء بالعهود كلّها، وملازمة الطّريق المستقيم برعاية حدّ التّوسّط في كلّ الأمور من الطّعام والشّرب واللبّاس، وفي كلّ أمر دينيّ ودنيويّ، فذلك هو الطّريق المستقيم.

وعرّف بعضهم الاستقامة بقوله: «أن يجمع بين أداء الطّاعة، واجتناب المعاصي؛ وقيل: الاستقامة ضدّ الاعوجاج، وهي مرور العبد في طريق العبوديّة بإرشاد الشّرع والعقل»<sup>(١)</sup>.

وأورد الماورديّ خمسة أوجه في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾: من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠].

أحدها: ثمّ استقاموا على أنّ الله ربّهم وحده وهو قول أبي بكر رضي الله عنه ومجاهد.

الثّاني: استقاموا على طاعته وأداء فرائضه، قاله ابن عبّاس والحسن وقتادة.

الثّالث: على إخلاص الدّين والعمل إلى الموت، قاله أبو العالية والسّديّ.

الرّابع: ثمّ استقاموا في أفعالهم كما استقاموا في أقوالهم.

الخامس: ثمّ استقاموا سرّاً كما استقاموا جهراً.

قال: «ويحتمل سادسا: أنّ الاستقامة أن يجمع بين فعل الطّاعات واجتناب المعاصي؛ لأنّ التّكليف يشتمل على أمر بطاعة يبعث على الرّغبة، ونهي عن معصية يدعو إلى الرّهبة»<sup>(٢)</sup>.

#### الاستقامة طريق النجاة:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «الاستقامة هي لزوم المنهج القويم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحقاف: ١٣]، إلى قوله: ﴿يَعْمَلُونَ﴾، وقال تعالى لرسوله صلّى الله عليه وآله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢] إلى قوله: ﴿بَصِيرٌ﴾، فبيّن أنّ الاستقامة بعدم الطّغيان، وهو مجاوزة الحدود. وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ

(١) التعريفات للجرجاني (١٩) بتصرف يسير.

(٢) النكت والعيون: تفسير الماوردي (٥/ ١٧٩، ١٨٠).

إِلَهُ وَحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُوهُ ﴿ [فصلت: ٦]. والمقصود من العبد الاستقامة وهي السداد. فإن لم يقدر عليها فالمقاربة. وعند مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «سددوا وقاربوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته منه وفضل» فجمع في هذا الحديث مقامات الدين كلّها. فأمر بالاستقامة وهي السداد، والإصابة في النيات والأقوال. وأخبر في حديث ثوبان أنّهم لا يطيقونها فنقلهم إلى المقاربة، وهي أن يقربوا من الاستقامة بحسب طاقتهم، كالذي يرمي إلى الغرض، وإن لم يصبه يقاربه. ومع هذا فقد أخبرهم أنّ الاستقامة والمقاربة لا تنجي يوم القيامة، فلا يركن أحد إلى عمله، ولا يرى أنّ نجاته به؛ بل إنّما نجاته برحمة الله وغفرانه وفضله. فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد. والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات. فالاستقامة فيها، وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله.

قال بعضهم: كن صاحب الاستقامة، لا طالب الكرامة؛ فإنّ نفسك متحرّكة في طلب الكرامة، وربّك يطالبك بالاستقامة. فالاستقامة للحال بمنزلة الروح من البدن، فكما أنّ البدن إن خلا عن الروح فهو ميّت فكذلك الحال إذا خلا عن الاستقامة فهو فاسد. وكما أنّ حياة الأحوال بها، فزيادة أعمال الزاهدين أيضا ونورها وزكاؤها بها، فلا زكاء للعمل ولا صحّة بدونها<sup>(١)</sup>.

وقال رحمه الله تعالى: «من هدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه، هدي هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنّته دار ثوابه، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنّم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط، ولينظر العبد الشبهات والشّهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم؛ فإنّها الكلايب التي بجنبتي ذاك الصراط تخطفه وتعوقه عن المرور عليه فإن كثرت هنا، وقويت فكذلك هي هناك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]»<sup>(٢)</sup>.

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٠٣-١٠٩)، وانظر بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣١١-٣١٣).

(٢) بتصرف من التفسير القيم (١٠٩).

إذا استقام القلب استقامت الجوارح:

قال ابن رجب - رحمه الله تعالى - : « أصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد، وقد فسّر أبو بكر رضي الله عنه الاستقامة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾: بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره، فمتى استقام القلب على معرفة الله، وعلى خشيته وإجلاله ومهابته ومحَبَّته وإرادته ورجائه ودعائه والتوكُّل عليه والإعراض عمَّا سواه، استقامت الجوارح كلُّها على طاعته، فإنَّ القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه. وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان، فإنَّه ترجمان <sup>(١)</sup> القلب والمعبر عنه <sup>(٢)</sup>.

وأورد الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠] ما يلي:

الاستقامة حقيقتها: عدم الاعوجاج والميل، والسَّين والتَّاء فيها للمبالغة في التَّقوُّم، فحقيقة استقام: استقلَّ غير مائل، ولا منحن. وتطلق الاستقامة أيضا على ما يجمع معنى حسن العمل والسَّير على الحقِّ والصدق، قال تعالى: ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦] وقال: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتِ﴾ [هود: ١١٢] فاستقاموا تشمل معنى الوفاء بما كلفوا به، وأول ما يشمل من ذلك أن يثبتوا على التوحيد، أي لا يغيروا ولا يرجعوا عنه، وعن أبي بكر: ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ لم يشركوا بالله شيئا، وعن عمر: استقاموا على الطَّريقة لطاعته ثم لم يروغوا وروغان الثعالب. وقال عثمان: ثم أخلصوا العمل لله، وعن علي: ثم أدوا الفرائض. وكلَّ هذه الأقوال ترجع إلى معنى الاستقامة في الإيمان وآثاره.

والاستقامة زائدة في المرتبة على الإقرار بالتوحيد؛ لأنَّها تشملها وتشمل الثبات عليه والعمل بما يستدعيه.

وجمع قوله: ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ أصلي الكمال الإسلامي، فقوله: ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ يشير إلى الكمال النَّفْساني وهو معرفة الحقِّ للاهتداء به، ومعرفة الخير لأجل العمل به.

(١) ترجمان: بفتح التاء وضمها وهو المعبر عن لسان بلسان آخر.

(٢) جامع العلوم والحكم (١٩٣-١٩٤) بتصرف يسير.

والخلاصة أنّ الاستقامة - كما يقول صاحب البصائر - كلمة آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد، وهي تتعلق بالأقوال والأفعال والنيّات، والاستقامة فيها وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله تبارك وتعالى<sup>(١)</sup>.

وقوله: استقاموا يشير إلى أساس الأعمال الصالحة، وهو الاستقامة على الحق، أي أن يكون وسطا غير مائل إلى طرفي الإفراط والتفريط...

فكمال الاعتقاد راجع إلى الاستقامة، فالاعتقاد الحق أن لا يتوغّل في جانب النفي إلى حيث ينتهي إلى التّعطيل، ولا يتوغّل في جانب الإثبات إلى حيث ينتهي إلى التشبيه والتّمثيل؛ بل يمشي على الخطّ الفاصل بين التشبيه والتّعطيل، ويستمرّ كذلك فاصلا بين الجبري والقدري، وبين الرجاء والقنوط، وفي الأعمال بين الغلو والتّفريط<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاتباع - الإيمان - الإخلاص - الإسلام - الأدب - التقوى - تعظيم الحرمات - حسن الخلق - الحجاب - حسن العشرة غض البصر - حسن المعاملة - الهدى. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاعوجاج - اتباع الهوى - الضلال - الفسوق - الفجور - العصيان - الفساد - الغي والإغواء - الفحش - التبرج - إطلاق البصر - الإعراض].

\*\*\*

### من فوائد (الاستقامة)

- (١) الاستقامة من كمال الإيمان وحسن (٥) صاحبها يثق به الناس، ويحبّون معاشرته. الإسلام.
- (٦) الاستقامة أعظم الكرامة.
- (٢) بها ينال الإنسان الكرامات ويصل إلى (٧) دليل اليقين ومرضاة ربّ العالمين. أعلى المقامات.
- (٣) استقامة القلوب استقامة للجوارح.
- (٤) المداومة عليها أفضل من كثير من الأعمال التي يتطوّر بها.

(١) بصائر ذوي التمييز (٤ / ٣١٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٤ / ٢٨٢ - ٢٨٤).

## الإسلام

## الإسلام لغة:

الإسلام مصدر أسلم وهو مأخوذ من مادة (س ل م) التي تدلّ في الغالب على الصّحة والعافية. فالسلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى. والله جلّ ثناؤه هو السّلام لسلامته ممّا يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفساد، ومن الباب الإسلام وهو الانقياد لأنّه يسلم من الإباء والامتناع ومن الباب أيضا السّلم وهو الصّلح<sup>(١)</sup>. الإسلام والاستسلام: الانقياد. يقال: فلان مسلم، وفيه قولان: أحدهما: هو المستسلم لأمر الله والثاني هو المخلص لله العبادة، من قولهم سلّم الشّيء لفلان أي خلّصه، وسلم الشّيء له، أي خلص له<sup>(٢)</sup>. قال الرّاعب: «والإسلام الدّخول في السّلم، وهو أن يسلم كلّ واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه. ومصدر أسلمت الشّيء إلى فلان إذا أخرجته إليه ومنه السّلم في البيع، والإسلام في الشّرع على ضربين:

أحدهما دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان، وبه يحقن الدّم حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل، وإياه قصد بقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، والثاني: فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر، كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام، في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ [يوسف: ١٠١] أي اجعلني ممّن استسلم لرضاك، ويجوز أن يكون معناه: اجعلني سالما عن أسر الشيطان... وقوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٦] أي الذين انقادوا من الأنبياء الذين ليسوا من أولى العزم لأولي العزم<sup>(٣)</sup>.

وقوله ﷺ: ﴿أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، قال: عني به الإسلام وشرائعه كلّها.

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٩٠).

(٢) اللسان - سلم (٢٠٨٠).

(٣) المفردات (٢٤٠).

والسّلم: الإسلام، قال الأحوص:

فذاذوا عدوّ السّلم عن عقري<sup>(١)</sup> دارهم... وأرسوا عمود الدّين بعد التّمايل ومنه قول امرئ القيس بن عابس:

فلمست مبدلاً بالله ربّنا ولا مستبدلاً بالسّلم ديننا<sup>(٢)</sup>

### واصطلاحاً:

إظهار القبول والخضوع لما أتى به محمّد ﷺ وقيل: إظهار الشريعة، والتزام ما أتى به النبي ﷺ وقيل: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك. وقيل: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً.

وقال الكفوي: الإسلام على نوعين:

الأول: دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان وإن لم يكف له اعتقاد، وبه يحقن الدّم.

الآخر: فوق الإيمان، وهو الاعتراف (أي الإقرار بالشهادتين). مع الاعتقاد بالقلب والوفاء بالفعل<sup>(٣)</sup>.

الفرق بين الإسلام والإيمان<sup>(٣)</sup>:

قال الغزالي رحمه الله: اختلفوا في أنّ الإسلام هو الإيمان أو غيره وإن كان غيره، فهل هو منفصل عنه يوجد دونه، أو مرتبط به يلزمه؟. فقيل: إنّهما شيء واحد، وقيل: إنّهما شيان لا يتواصلان، وقيل: إنّهما شيان، ولكن يرتبط أحدهما بالآخر.

والحق أنّ في هذا ثلاثة مباحث:

بحث عن موجب اللفظين في اللغة، وبحث عن المراد بهما في إطلاق الشرع، وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة.

المبحث الأول لغوي والثاني تفسيري، والثالث فقهي شرعي. المبحث الأول: في موجب

اللغة، والحقّ فيه أنّ الإيمان عبارة عن التّصديق. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف: ١٧]

(١) العقر: أصل كل شيء ومعظمه.

(٢) الصحاح للجوهري (٥/ ١٩٥٠). ولسان العرب (١٢/ ٢٩٣ ٢٩٥).

(٣) انظر: صفة الإيمان.

أي بمصدق، والإسلام عبارة عن التسليم، والاستسلام بالإذعان والانقياد وترك التمرد والإباء والعناد، وللتصديق محل خاص وهو القلب، واللسان ترجمان.

وأما التسليم؛ فإنه عام في القلب واللسان والجوارح، فإن كل تصديق بالقلب هو تسليم وترك الإباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان، وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح. فموجب اللغة أن الإسلام أعم، والإيمان أخص، فكان الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الإسلام، فإذا كل تصديق تسليم، وليس كل تسليم تصديقا.

**المبحث الثاني:** عن إطلاق الشرع، والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف، وقد ورد أيضا باستعمالهما على سبيل الاختلاف والتداخل، أما الترادف ففي قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَوْحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦]، وقال ﷺ «بني الإسلام على خمس...». وسئل رسول الله ﷺ مرة عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس. وأما الاختلاف فقوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: ١٤] ومعناه استسلمنا في الظاهر، فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط، وبالإسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح، وفي حديث جبريل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالْحَسَابِ وبالقدر خيره وشره»، فقال: فما الإسلام؟ فأجاب بذكر الخصال الخمس، فعبر بالإسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل.

وفي الحديث عن سعد أنه أعطى رجلا عطاء، ولم يعط الآخر. فقال له سعد: يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن. فقال ﷺ: «أو مسلم» فأعاد عليه، فأعاد رسول الله ﷺ، وأما التداخل فمما روي أيضا أنه سئل: فقيل أي الأعمال أفضل؟ فقال ﷺ: «الإسلام». فقال: أي الإسلام أفضل؟ فقال ﷺ: «الإيمان». وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل، وهو أوفق الاستعمالات في اللغة؛ لأن الإيمان عمل من الأعمال، وهو أفضلها، والإسلام هو تسليم إما بالقلب، وإما باللسان، وإما بالجوارح، وأفضلها الذي بالقلب، وهو التصديق الذي يسمى إيمانا، والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف، وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف، كله غير خارج عن طريق الاستعمال في اللغة.

**المبحث الثالث:** عن الحكم الشرعي. للإسلام والإيمان حكمان أخروي وديوي.

أما الأخرى: فهو الإخراج من النار، ومنه التخليد<sup>(١)</sup>.

أما الدنيوي فإنه يثبت بالإقرار بالشهادتين؛ لأن الإيمان (والإسلام) كما يقول العيني هو بالكلمة فإذا قالها حكمنا بإيمانه اتفاقاً بلا خلاف وتطبق عليه حينئذ أحكام المسلمين من حيث الدفن في مقابرهم والتزام مواريتهم وعدم أخذ الجزية... إلخ.

قال ابن تيمية رحمته: لفظ الإسلام يستعمل على وجهين: متعدياً كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥] ويستعمل لازماً كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

وهو يجمع معنيين أحدهما: الانقياد والاستسلام، والثاني: إخلاص ذلك، وإفراده وعنوانه<sup>(٢)</sup> قول «لا إله إلا الله»، وله معنيان:

أحدهما: الدين المشترك وهو عبادة الله وحده لا شريك له، الذي بعث به جميع الأنبياء، والثاني: ما اختص به محمد صلوات الله عليه من الدين والشريعة والمنهاج، وهو الشريعة والطريقة، وله مرتبتان: إحداهما: الظاهر من القول والعمل، وهي المباني الخمسة، والثانية: أن يكون ذلك الظاهر مطابقاً للباطن، وهو أعم من الإيمان فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، وبالتفسير الثاني يقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقوله: أمركم بالإيمان بالله وفسره بخصال الإسلام، وعلى هذا التفسير فالإيمان التام، والدين والإسلام سواء<sup>(٣)</sup>.

الإسلام في القرآن الكريم:

قال ابن الجوزي: الإسلام في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

أحدها: اسم للدين الذي تدين به ومنه قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

والثاني: التوحيد ومنه قوله تعالى: ﴿يُحَكِّمُ بِهِمُ النَّبِيِّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤].

والثالث: الإخلاص (إخلاص العبادة لله) ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ

لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

(١) انظر إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (١/ ١١٦-١١٧). والصحاح للجوهري (٥/ ١٩٥٠). وأصول الدعوة لعبد الكريم زيدان (ص ٩). وعمدة القاري (١/ ١٠٩) بتصرف يسير.

(٢) العنوان - بالضم والكسر - سمة الكتاب في الأصل، ثم استعمل سمة لكل شيء.

(٣) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٢٣٥-٢٣٦).

والرابع: الاستسلام، ومنه قوله عز من قائل: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

والخامس: الاقرار باللسان، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَمْ تَوْفِنَا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]<sup>(١)</sup>. ويمكن أن يضاف إلى ذلك وجه سادس وهو الإقرار باللسان والعمل بالأركان. [للاستزادة: انظر صفات: الإيمان- الاتباع- الإخلاص- الاستقامة- إقامة الشهادة- التوحيد الحج والعمرة- الزكاة- العبادة- الصلاة- الطاعة- معرفة الله ﷻ- الهدى- اليقين. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الكفر- الإلحاد- الشرك- النفاق- الضلال- الزندقة- الإعراض- ترك الصلاة- الفسوق- العصيان- الفساد- اتباع الهوى].

\*\*\*

### من فوائد (الإسلام)

- |   |   |
|---|---|
| (١) عصمة المال والدم والعرض.                          | (١٠) يخرج الناس من الظلمات إلى النور فيعزّ  |
| (٢) إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده. | الناس بالذلل إلى الله سبحانه فيحصلون على شرف العبودية له.   |
| (٣) تحقيق العدالة الاجتماعية والرحمة والمساواة.       | (١١) يحصل صاحبه ومتبعه على كمال الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة.                                      |
| (٤) القضاء على النظم الوضعية والمناهج الإلحادية.      | (١٢) الإسلام يحقق الأمان في المجتمع فيعيش كل فرد آمناً من أذى أخيه قولا وفعلا.                          |
| (٥) حفظ كرامة الإنسان وحقوقه ومكتسباته.               | (١٣) الإسلام يحقق التكافل بين الناس فيأخذ غنيهم بيد فقيرهم وقويهم بيد ضعيفهم ويصبح الجميع إخوة متحابين. |
| (٦) يورث هداية القلب.                                 | (١٤) الإسلام يورث التواضع ويكسو المسلم ثوب العزة.   |
| (٧) الفوز بالجنة والنجاة من النار.                    |   |
| (٨) حصول الألفة والمحبة والتآخي بين الناس.            |   |
| (٩) مصدر العزة والسعادة في الدارين.                   |   |

(١) نزهة الأعين النواظر (١٣٦) وما بعدها.

## الأسوة الحسنة

### الأسوة لغة:

اسم مصدر من الائتساء، وهي مأخوذة من مادة (أس و) التي تدلّ على المداواة والإصلاح، يقال: أسوت الجرح إذا داويته، ولذلك يسمّى الطيّب: الآسي، ويقال أسوت بين القوم إذا أصلحت بينهم، ومن هذا الباب لي في فلان أسوة (بالكسر والضّم) أي قدوة، أي إنّي اقتدي به، وأسيت فلانا إذا عزّيته، من هذا أي قلت له: ليكن لك بفلان أسوة، فقد أصيب بمثل ما أصبت به فرضي وسلّم.

وقال ابن منظور: الأسوة والإسوة: القدوة.

ويقال: إئتس به أي اقتد به وكن مثله. قال اللّيث:

فلان يأتسي بفلان أي يرضى لنفسه ما رضىه ويقتدي به، وكان في مثل حاله، والقوم أسوة في هذا الأمر أي حالهم فيه واحدة. والتّأسي في الأمور: الأسوة، وكذا المؤاساة<sup>(١)</sup>.

وقال البغويّ: هي فعلة من الائتساء كالقدوة من الاقتداء اسم وضع موضع المصدر، أي به اقتداء حسن<sup>(٢)</sup>.

### واصطلاحاً:

قال المناويّ: الأسوة: الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتّباع غيره إن حسنا وإن قبيحا وإن ساراً وإن ضاراً<sup>(٣)</sup>.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾ [المتحنة: ٤٤]: الأسوة كالقدوة، وهي اتّباع الغير على الحالة التي يكون عليها حسنة أو قبيحة<sup>(٤)</sup>.

قال القرطبيّ: واختلف في هذه الأسوة بالرّسول ﷺ، هل هي على الإيجاب أو على

(١) لسان العرب (١٤ / ٣٥). وانظر ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (١ / ٥٠)، والمقاييس لابن فارس (١ / ١٠٦).

(٢) تفسير البغوي (٣ / ٥١٩).

(٣) التوقيف (٥١)، والكليات للكفوي (١١٤).

(٤) أضواء البيان (٨ / ١٣٥).

الاستحباب على قولين: أحدهما على الإيجاب حتّى يقوم دليل على الاستحباب. الثاني على الاستحباب حتّى يقوم دليل على الإيجاب. ويحتمل أن يحمل على الإيجاب في أمور الدّين وعلى الاستحباب في أمور الدّنيا<sup>(١)</sup>.

لا بد للناس من مثل واقعية ونماذج قوية:

لا يتمّ كسر القيود إلا برؤية مثل، ورؤية نماذج من البشر تقدّم للناس أمثلة رائعة.

يرهب الإنسان القوّة ويحترم البطولة. وتأخذ المعاني الرائعة بجماع قلبه وتسري إلى فؤاده فتوقظ مشاعره وتفتّح أمامه معاني الحقّ، ويسهل عليه اتّباعه، وأعلى درجات القوّة قوّة الحقّ والدّعوة إليه والصّبر في سبيله. ولولا رسول الله ﷺ لما كان أصحاب رسول الله ﷺ القريبون منه، ولولا هؤلاء لما كان من بعدهم من النّاس، ولولا الفتح لما دخل النّاس في دين الله أفواجا، وليس شيء من هذا مادّيّا، ولكنّ القوّة المادّيّة تخضع في النّهاية لقوّة الحقّ. لقد تمّ الإصلاح الذي تمّ ببعثة محمّد ﷺ الذي غير صفحة التّاريخ. لقد تمّ ذلك بمحمّد ﷺ وأصحاب محمّد ﷺ، وكانوا العنصر العمليّ التّنفيذيّ، وكان الوحي العنصر الأوّل الذي كان يتلقاه محمّد ﷺ من خالق الأرض والسّماء ويبلّغه أصحابه. كان الوحي داعيا إلى كسر أغلال الجاهليّة، وكان الوسيلة القويّة إلى ذلك محمّد ﷺ وأصحابه الذين كانوا نماذج الحقّ والقوّة التي حطّمت الأغلال وأهابت بالنّاس أن يخرجوا أنفسهم من القيود الجائرة.

وليس للمسلمين من سبيل إلا هذا السبيل، طليعة تتأسّى خطوات محمّد ﷺ وأصحابه شبرا بشبر وذراعا بذراع في كلّ ظاهرة وخفيّة وفي كلّ دقيقة وجليّة، في العبادة والتّفكير والحرب والتّدبير والسياسة والدّعوة والجرأة والحكمة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ولا يصلح آخر هذه الأُمَّة إلا بما صلح عليه أولها. إنّ محمدا ﷺ لم يعمد إلى إصلاح اقتصاديّ أو أخلاقيّ أو صحّيّ أو سياسيّ أو إداريّ أو علميّ، ولكنّه عمد إلى إصلاح الإيمان، ودعا بدعوة التّوحيد، فكان من بعد ذلك كلّ إصلاح وكلّ قوّة وكلّ خير.

فرجل العقيدة هو السبيل الوحيد لعلاج أنواع الانحرافات، ورجل العقيدة أعظم ذخر نقدّمه للعقيدة وأكبر رصيد نعدّه في سبيل نصرتها<sup>(٢)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥٥-١٥٦).

(٢) مقتطفات من كتاب المسؤولية للشيخ محمد أمين المصري (٣٧-٤٠).

## أنواع الأسوة:

ذكر الشيخ صالح بن حميد أنّ الأسوة نوعان حسنة وسيئة، فالحسنة الاقتداء بأهل الخير والفضل والصّلاح في كلّ ما يتعلّق بمعالي الأمور وفضائلها.

والسيئة: تعني السير في المسالك المذمومة واتباع أهل السوء والاقتداء من غير حجة أو برهان<sup>(١)</sup>.  
أهمية القدوة الحسنة:

وهي تكمن في الأمور الآتية:

١- المثال الحيّ المرتقي في درجات الكمال، يثير في نفس البصير العامل قدرا كبيرا من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة.

٢- القدوة الحسنة تعطي الآخرين قناعة بأنّ بلوغ هذه الفضائل من الأمور المختلفة.

٣- الأتباع ينظرون إلى القدوة نظرة دقيقة فاحصة دون أن يعلم<sup>(٢)</sup>.

أصول القدوة:

الأصل الأوّل: الصّلاح وهو يتحقّق بثلاثة أركان. الرّكن الأوّل: الإيمان، والثاني: العبادة، والثالث: الإخلاص.

الأصل الثاني: حسن الخلق.

الأصل الثالث: موافقة القول العمل<sup>(٣)</sup>.

شواهد حية في مواقف القدوة:

يعدّ الصّحابة نموذجا أعلى في القدوة وعلى رأسهم إمام الأئمة نبينا محمّد ﷺ، والإمام أحمد في فتنه خلق القرآن، وكذلك العلماء العاملون على مرّ الزّمان<sup>(٤)</sup>.

أثر القدوة الحسنة في انتشار الإسلام:

إنّ من الوسائل المهمّة جدّا في تبليغ الدّعوة إلى الله، وجذب النّاس إلى الإسلام وامتثال

(١) مبادئ ونماذج في القدوة للشيخ صالح بن حميد (٥، ٦) بتصرف.

(٢) مبادئ ونماذج في القدوة للشيخ صالح بن حميد (٦-١١) بتصرف.

(٣) المرجع السابق (١١-٢٩) بتصرف.

(٤) المرجع السابق (٣٢-٣٨) بتصرف.

أوامره واجتناب نواهيه القدوة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزاكية مما يجعله أسوة حسنة لغيره، يكون بها نموذجاً يقرأ فيه الناس معاني الإسلام فيقبلون عليها، وينجذبون إليها؛ لأن التأثير بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثير بالكلام وحده.

إن الإسلام انتشر في كثير من بلاد الدنيا بالقدوة الطيبة للمسلمين التي كانت تبهر أنظار غير المسلمين وتحملهم على اعتناق الإسلام، والقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل بها سليم الفطرة راجح العقل من غير المسلمين على أن الإسلام حق من عند الله<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة، انظر صفات: الاتباع - الاستقامة - الطاعة - الولاء والبراء.

وفي ضد ذلك تنظر صفات: القدوة السيئة - الابتداع - اتباع الهوى - الإساءة - موالة الكفار - الاعوجاج - الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف].

\*\*\*

### من فوائد (الأسوة الحسنة)

- (١) رسول الله ﷺ هو المثل الأعلى في الأسوة الحسنة في أخلاقه وأفعاله وأقواله وسائر صفاته.
- (٢) والمسلم إذا راقب الله ﷻ في عباداته ومعاملاته وأجراها وفق ما أمر الله وما أمر رسوله كان متأسياً برسول الله ﷺ.
- (٣) دليل الحبّ لرسول الله ﷺ أن نتأسى به.
- (٤) إذا ظهر المسلم بمظهر التأسى برسول الله ﷺ أحبه الناس ووثقوا به وجعلوه قدوة يحتذى بها.
- (٥) المسلم المتتبع لنهج النبي ﷺ المقتفي أثر السلف يجد في نفسه سعادة ما بعدها سعادة لأنه يرى نفسه على بصيرة وهدى وينظر بنور ويسير في الطريق الصحيح.
- (٦) على العلماء أن يكونوا قدوة للناس في أعمالهم لأنهم لأهم موضع الأسوة.
- (٧) في الأخذ بالكتاب والسنة اقتداء برسول الله ﷺ.
- (٨) بالأسوة الحسنة يتحقق النجاح في مجال التربية.
- (٩) في التشدد والتطرف خروج عن الاقتداء برسول الله ﷺ.
- (١٠) التأسى في الدين يكون بنظر الإنسان إلى من هو فوقه وفي الدنيا بالنظر لمن هو دونه.
- (١١) من سنّ خيراً فاتخذته الناس قدوة وتأسوا به كان له أجره وأجر من عمل بمثل عمله.

(١) المرجع السابق (٧-٨) بتصرف.

## الإصلاح

## الإصلاح لغة:

مصدر أصلح يصلح وهو مأخوذ من مادة (ص ل ح) التي تدلّ على «خلاف الفساد» يقال: صلح الشيء يصلح صلاحاً، ويقال أيضاً: صلح (بفتح اللام) والمصدر صلوح، وذلك كما في قول الشاعر:

وكيف بأطراف إذا ما شتمتني وما بعد شتم الوالدين صلوح  
وقال ابن منظور: الإصلاح: نقيض الإفساد.

وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه. وأصلح الدابة:

أحسن إليها فصلحت. والصلح: تصالح القوم بينهم. والصلح: السلم. وقد اصطلحوا وصالحو وصالحووا واصلحوا واصلحوا مشددة الصاد قلبوا التاء صاداً، وأدغموها في الصاد بمعنى واحد. وقوم صلوح: متصلحون، كأنهم وصفوا بالمصدر.

والصلاح - بكسر الصاد -: مصدر كالمصالحة، والعرب تؤنثها، والاسم الصلح، يذكر ويؤنث. وأصلح ما بينهم وصالحهم مصالحة وصلاحاً<sup>(١)</sup>.

## واصطلاحاً:

مأخوذ من الصلح: وهو عقد يرفع النزاع وهو بمعنى المصالحة، وهو المسالمة خلاف المخاصمة، وأصله من الصلاح وهو ضد الفساد، ومعناه دالّ على حسنة الذات، وكم من فساد انقلب به إلى الصلاح بحسنه؛ ولهذا أمر الله تعالى به عند حصول الفساد والفتن بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أُمَّرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. قالوا: معناه جنس الصلح خير... فيعلم بهذا أنّ جميع أنواع الصلح حسنة؛ لأنّ فيه إطفاء الثائرة بين الناس، ورفع المنازعات الموبقات عنهم<sup>(٢)</sup>.

(١) لسان العرب لابن منظور (٢/ ٥١٦، ٥١٧). وانظر: مختار الصحاح (٣٦٧). ومقاييس اللغة (٣/ ٣٠٣).

(٢) تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي (٥/ ٢٩، ٣٠).

## من أنواع الإصلاح:

إصلاح ذات البين: ومعنى ذات البين: صاحبة البين، والبين في كلام العرب يأتي على وجهين متضادين: فيأتي بمعنى الفراق والفرقة، ويأتي بمعنى الوصل. وإصلاح ذات البين على المعنى الأول: يكون بمعنى إصلاح صاحبة الفرقة بين المسلمين، وإصلاحها يكون بإزالة أسباب الخصام، أو بالتسامح والعفو، أو بالتراضي على وجه من الوجوه، وبهذا الإصلاح يذهب البين وتنحل عقدة الفرقة. أمّا إصلاح ذات البين على المعنى الثاني، فيكون بمعنى إصلاح صاحبة الوصل والتحابب والتآلف بين المسلمين، وإصلاحها يكون برأب ما تصدّع منها، وإزالة الفساد الذي دبّ إليها بسبب الخصام والتنازع على أمر من أمور الدنيا<sup>(١)</sup>.

## الإصلاح في القرآن الكريم:

وقد ورد الإصلاح في القرآن الكريم في مواضع متعدّدة، منها قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام، يوصي أخاه هارون: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]. وهو هنا بمعنى الرفق.

ومنه قوله تعالى على لسان نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَنْقَوْمِ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَدَيْكَ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكَ إِلَىٰ مَا أَنهَيْتَكَ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]. وهو هنا بمعنى الإحسان. ومنه قوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٨٥].

قال المفسرون: الإصلاح هنا الطاعة، ضدّ الإفساد وهو المعصية.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِیُهْلِكَ الْقَرْيَةَ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧] والإصلاح هنا بمعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: الأضداد للأنباري: ٧٥، والأضداد للأصمعي والسجستاني وابن السكيت (٥٢، ٣٥١-٣٥٢، ٢٢٥). والأخلاق الإسلامية للميداني (٢/ ٢٣٠).

(٢) انظر: نزهة العيون للنواظر (٣٩٧/ ٣٩٨) بتصرف.

[للاستزادة: انظر صفات: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - التعاون على البر والتقوى - حسن المعاملة. العفو - المروءة - النصيحة - التقوى الصريح.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الفساد - التعاون على الإثم والعدوان - سوء المعاملة - العدوان].

\*\*\*

### من فوائد (الإصلاح)

- (١) الإصلاح بين المؤمنين إذا تنازعوا واجب (٥) اكتساب الحسنات والثواب الجزيل من لا بدّ منه لتستقيم حياة المجتمع ويتّجه نحو العمل المثمر.
- (٢) بالإصلاح تحلّ الموَدّة محلّ القطيعة، والمحبّة محلّ الكراهية، ولذا يستباح (٦) إصلاح ذات البين أفضل من نافلة الصيام والصلاة والصدقة.
- (٧) يثمر المغفرة للمتخاصمين عند الكذب في سبيل تحقيقه. المصالحة.
- (٣) الإصلاح بين الناس يغرّس في نفوسهم (٨) عدم الإصلاح يؤدّي إلى استشراف الفساد فضيلة العفو. وقسوة القلوب، وضياع القيم الإنسانية.
- (٤) الإصلاح منبعه النفوس السّامية ولذا كان الرّفعة.
- (٩) الإصلاح بين الناس عهد أخذ على النبي ﷺ يخرج بنفسه ويسعى للإصلاح بين الناس. المسلمين.

### الاعتبار

#### الاعتبار لغة:

مصدر «اعتبر» وهو مأخوذ من مادّة (ع ب ر) التي تدلّ على النفوذ والمضيّ في الشّيء، يقال: عبرت النّهر عبوراً، وعبر النّهر (بالفتح والكسر) شطّه.. والمعبر شطّ نهر هيّء للعبور، والمعبر سفينة يعبر عليها النّهر، ومن الباب العبرة، قال الخليل: عبرة الدّمع جريه، قال: والدّمع أيضا عبرة؛ لأنّ الدّمع يعبر أي ينفذ ويجري. فأما الاعتبار والعبرة فهما عند ابن فارس مقيسان من عبري النّهر

(أي شاطئيه) لأنَّ كلَّ واحد منهما مساو لصاحبه، فذاك عبر لهذا وهذا عبر لذاك، فإذا قلت اعتبرت الشيء، فكأنَّك نظرت إلى الشيء فجعلت ما يعينك عبرا لذاك فتساويا عندك، هذا اشتقاق الاعتبار. وقال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢] كأنَّه قال: انظروا إلى من فعل ما فعل فعوقب بما عوقب به، فتجنَّبوا مثل صنيعهم لئلا ينزل بكم مثل ما نزل بأولئك، ومن الدليل على صحَّة هذا القياس قول الخليل: عبَّرت الدنانير تعبيرا إذا وزنتها دينارا دينارا، والعبرة الاعتبار بما مضى<sup>(١)</sup>.

وقال الراغب: أصل العبر تجاوز من حال إلى حال، فأما العبور فيختصَّ بتجاوز الماء.. ومنه عبر النَّهر لجانبه حيث يعبر إليه (المرء) أو منه، واشتقَّ منه عبر العين للدمع والعبرة كالدمعة، وقيل عابر سبيل أي المارَّ وعبر القوم إذا ماتوا كأنَّهم عبروا قنطرة الدُّنيا، والاعتبار والعبرة (يكون) بالحالة التي يتوصَّل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً﴾<sup>(٢)</sup> وقال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ فاعتبروا يا أولي الأبصار<sup>(٣)</sup>، وفي حديث أبي ذر: «فما كانت صحف موسى؟ قال: كانت عبرا كلِّها»، والعبر جمع عبرة وهي كالموعظة ممَّا يتعظ به الإنسان ويعمل به ويعتبر ليستدلَّ به على غيره<sup>(٤)</sup> والعبرة أيضا: الاعتبار بما مضى، وقيل: العبرة الاسم من الاعتبار، والعرب تقول: اللهمَّ اجعلنا ممَّن يعبر الدُّنيا ولا يعبرها، أي ممَّن يعتبر بها ولا يموت سريعا حتَّى يرضيك بالطَّاعة، ويقال: عبرت عينه واستعبرت: دمعت وعبر عبرا واستعبر: بدت عبرته وحزن. وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه ذكر النَّبي صلَّى الله عليه وآله ثمَّ استعبر فبكى هو، استفعل من العبرة وهي تحلَّب الدمع<sup>(٥)</sup>.

### والاعتبار اصطلاحاً:

قال الكفوي: الاعتبار هو النَّظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنَّظر فيها شيء آخر من جنسها، وقيل: الاعتبار هو التَّدبُّر وقياس ما غاب على ما ظهر.

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٢٠٩، ٢١٠) (بتصرف يسير).

(٢) الآية ١٣ من سورة آل عمران و٢٦ من النازعات.

(٣) الآية ٢ من سورة الحشر.

(٤) مفردات الراغب (٣٢٠).

(٥) النهاية (٣/ ١٧١).

(٦) لسان العرب (عبر) ص ٢٧٨٢.

وقال المناوي: العبرة والاعتبار: الاتعاض، ويكون بمعنى الاعتداد بالشيء في ترتيب الحكم، وقال بعضهم: الاعتبار المجاوزة من عدوة دنيا إلى عدوة قصوى، ومن علم أدنى إلى علم أعلى<sup>(١)</sup>.  
وقال الجرجاني: الاعتبار: أن يرى الدنيا للفناء. والعاملين فيها للموت. وعمرانها للخراب.  
وقيل: الاعتبار اسم من المعتبرة، وهي رؤية فناء الدنيا كلها باستعمال النظر في فناء جزئها<sup>(٢)</sup>.  
كيفية التفكير والاعتبار:

قال الغزالي رحمه الله: اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب، ليستثمر منهما معرفة ثالثة. ومثاله أن من مال إلى العاجلة، وآثر الحياة الدنيا، وأراد أن يعرف أن الآخرة أولى بالإيثار من العاجلة فله طريقان: أحدهما: أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإيثار من الدنيا، فيقلده، ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر، فيميل بعمله إلى إيثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله، وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة. والطريق الثاني: أن يعرف أن الأبقى أولى بالإيثار، ثم يعرف أن الآخرة أبقى. فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة، وهو أن الآخرة أولى بالإيثار، ولا يمكن تحقق المعرفة بأن الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمعرفتين السابقتين.

فإحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتأملا وتدبرا. أما التدبر والتأمل والتفكير: فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة. وأما اسم التذكر والاعتبار والنظر؛ فهي مختلفة المعاني، وإن كان أصل المسمى واحدا؛ كما أن اسم الصّارم، والمهّند<sup>(٣)</sup>، والسيف؛ يتوارد على شيء واحد، ولكن باعتبارات مختلفة. فالصّارم يدل على السيف من حيث هو قاطع، والمهّند يدل عليه من حيث نسبه إلى موضعه، والسيف يدل دلالة مطلقة من غير إشعار بهذه الزوائد<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة، انظر صفات: التدبر - التأمل - التذكر - التذكير - التفكير.

وفي ضد ذلك، انظر صفات: الإعراض - البلادة والغباء - الغفلة - التفريط والإفراط - الضلال - سوء الخلق].

(١) الكليات للكفوي (١٤٧)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢٣٥).

(٢) كتاب التعريفات (٣٠).

(٣) المهّند: السيف المطبوع من حديد الهند.

(٤) إحياء علوم الدين (٤ / ٤٢٥ - ٤٢٦).

## من فوائد (الاعتبار)

- (١) كثرة التّفكّر والاعتبار تقوّي الإيمان بالله ﷻ. (٤) تجعله يعرف الدّنيا أنّها ظلّ زائل وأنّ  
 (٢) توسّع مدارك المؤمن وتدلّه على آيات الله الأخرى هي دار القرار.  
 تعالَى. (٥) يقنع المؤمن بما رزقه الله عمّا في أيدي  
 (٣) تكسب المؤمن خوفاً من الله ﷻ ومهابة من النّاس.  
 عقابه. (٦) يعيش المؤمن بسعادة واطمئنان.

## الاعتذار

## الاعتذار لغة:

الاعتذار مصدر اعتذر وهو مأخوذ من مادة (ع ذ ر) التي تدلّ على معان كثيرة غير منقادة ومنها:  
 العذر وهو روم الإنسان إصلاح ما أنكر عليه بكلام.  
 يقال منه: عذرته أعذره عذرا من باب ضرب، والاسم: العذر (بالضم) والجمع: أَعذار.  
 ويقال: فلان قام قيام تعذير فيما استكفيته، إذا لم يبلغ وقصّر فيما اعتمد عليه فيه. وقد تضمّ الدّال  
 بالإتباع فيقال «عذر»<sup>(١)</sup>.

ويقال: اعتذر فلان اعتذارا ومعذرة وعذرة من دينه فعذرتة، وهو معذور. وتقول: اعتذر إليّ،  
 طلب قبول معذرتة، واعتذر عن فعله أظهر عذره، وأمّا قولك: اعتذرت منه فمعناه شكوته، وعذر  
 الرّجل صار ذا عيب وفساد، ومثله أعذر، وأعذر فيه. أي بالغ في الأمر، ولهذا فإنّ معنى حديث  
 «أعذر الله إلى من بلغ من العمر ستين سنة» أي لم يبق فيه موضعا للاعتذار حيث أمهله طول هذه  
 المدّة ولم يعتذر. وأمّا عذر الرّجل (بالتّضعيف) فمعناه أنّه اعتذر ولم يأت بشيء، ولم يثبت له  
 عذر. وأعذر (بالألّف) يعني ثبت له عذره وجاءت الآية في التّوبة بالقراءتين على كلا المعنيين  
 وهي قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ [التوبة: ٩٠] بالتّثنية معناه أنّهم تكلفوا العذر ولا عذر لهم،  
 وبالتّخفيف: الذين لهم عذر، وعلى هذا ورد الأثر عن ابن عبّاس رضي الله عنهما رحم الله المُعذّرِين ولعن  
 الله المُعذّرِين، ويقال أعذر من أنذر أي بالغ في العذر، أي في كونه معذورا. ومن عذيري من فلان،

(١) الاتباع هنا الانسجام الصوتي بضم الدال تبعا لضمّة العين.

وعذيرك من فلان. قال عمرو بن معد يكرب:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

ومعناه: هلم من يعذرك منه إن أوقعت به، وذلك لأنه أهل للإيقاع به، فإن أوقعت به كنت معذورا. وقال بعضهم: أصل العذر من العذرة وهي الشيء النجس، ومنه سميت القلفة العذرة، فقيل عذرت الصبي إذا طهرته وأزلت عذرتة، وكذا عذرت فلانا: أزلت نجاسة ذنبه بالعفو كقولك غفرت له أي سترت ذنبه<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحا:

قال الجرجاني: الاعتذار: محو أثر الذنب<sup>(٢)</sup>.

وقال الكفوي: الاعتذار: إظهار ندم على ذنب تقرّ بأن لك في إتيانه عذرا<sup>(٣)</sup>.

وقال المناوي: الاعتذار: تحري الإنسان ما يمحو أثر ذنبه<sup>(٤)</sup>.

وقد سوى بعض العلماء بين العذر والاعتذار في المعنى. فقال الراغب الأصفهاني: العذر تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه<sup>(٥)</sup> وإلى مثل هذا ذهب الفيروزبادي في «البصائر»<sup>(٦)</sup>.

وقد فرّق الجرجاني بين الأمرين فذكر أن الاعتذار هو (تحري) محو أثر الذنب (كما سبق)، وأن العذر ما يتعذر على المعنى (فعله) على موجب الشرع إلا بتحمل ضرر زائد<sup>(٧)</sup>.

### أساليب الاعتذار:

قال الفيروزبادي - رحمه الله تعالى: الاعتذار على ثلاثة أضرب: أن يقول: لم أفعل، أو يقول:

(١) الصحاح (٢/ ٧٣٧ - ٧٤٠)، ولسان العرب (٢٨٥٤ - ٢٨٥٦). والمصباح المنير (٣٩٨ - ٣٩٩) والمقاييس (٤/ ٢٥٢)،

وبصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٦) والمفردات للراغب (٣٢٨).

(٢) التعريفات (٢٩) ونعتقد أن هذا في قبول الاعتذار؛ لأن المحو من شأن المعتذر إليه لا المعتذر ولعل المراد تحري الإنسان محو أثر الذنب.

(٣) الكليات (٣٠٨).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (٥٥).

(٥) المفردات (٣٢٧).

(٦) انظر بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٥).

(٧) التعريفات (١٥٣) والعبارة في الأصل: ما يتعذر عليه المعنى على موجب الشرع وقد أضفنا ما بين القوسين لتوضيح العبارة، والمعنى هو المريض ونحوه.

فعلت لأجل كذا فيذكر ما يخرج به عن كونه مذنباً، والثالث أن يقول: فعلت ولا أعود، ونحو هذا. وهذا الثالث هو التوبة، وكل توبة عذر، وليس كل عذر توبة<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة، انظر صفات: الألفة - حسن الخلق - حسن المعاملة - حسن العشرة - المحبة. وفي ضد ذلك، انظر صفات: الإساءة - سوء المعاملة الهجر - البغض - الكبر والعجب - الغرور].

\*\*\*

### من فوائد (الاعتذار)

- (١) الاعتذار يمحو الذنوب.
- (٢) استجلاب المنافع من المعتذر إليه.
- (٣) الأصل ألا يقدم الإنسان على ما يعتذر منه، فإن فعل فالاعتذار يصفّي القلوب.
- (٤) يرزق قابل الاعتذار مودة الله فهو أكثر معاذير من كل أحد.
- (٥) يرزق المعتذر والمعتذر إليه التواضع.
- (٦) المسلم الذي يقبل العذر من أخيه يشجعه على فعل الخير.
- (٧) الاعتذار يقي الناس من الهلاك.

### الاعتراف بالفضل

#### الاعتراف لغة:

مصدر اعترف بالشئ أي أقر به، وهو مأخوذ من مادة (ع ر ف) التي تدل على معنيين: الأول تتابع الشئ متصلًا ببعضه ببعض ومن ذلك عرف الفرس، والآخر السكون والطمأنينة ومنه المعرفة والعرفان، تقول عرف فلانا عرفانا ومعرفة، وهذا أمر معروف لأن من عرف شيئاً اطمأن إليه، ومن أنكره توخّش منه ونبا عنه. ومن هذا المعنى قولهم: اعترف بالشئ إذا أقر، كأنه عرفه فأقر به<sup>(٢)</sup>، وجاء في الصحاح: والاعتراف بالذنب: الإقرار به واعترفت القوم، إذا سألتهم عن خبر لتعرفه. وربّما وضعوا اعترف موضع عرف كما وضعوا عرف موضع اعترف<sup>(٣)</sup>، ويقال عرف بذنبه

(١) بصائر ذوي التمييز (٤ / ٣٦) بتصرف، وراجع: المفردات في غريب القرآن (٣٢٧) والكلديات للكفوي (٣٠٨).

(٢) باختصار وبعض تصرف عن مقاييس اللغة (٤ / ٢٨١).

(٣) الصحاح (٤ / ١٤٠٢).

عرفا واعترف (اعترافا): أقر<sup>(١)</sup>. وضدّ (الاعتراف) الجحود والنكران، وفي التنزيل: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ تَتْرُكُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].

وأما الفضل: فهو الإحسان وهو ضدّ النقص والتقصية، ويقال: رجل مفضل وامرأة مفضالة على قومها إذا كانت ذات فضل سمحة، وأفضل عليه وتفضل بمعنى. وأما المتفضل فهو الذي يدعي الفضل على أقرانه، وتقول: فضّلته على غيره تفضيلا: إذا حكمت له بذلك، وفاضلته فضيلته، إذا غلبته بالفضل. والفضلة والفضالة، ما فضل من شيء<sup>(٢)</sup>.

### الاعتراف بالفضل اصطلاحا:

ولا يختلف المعنى الاصطلاحي للاعتراف بالفضل عن معناه المألوف في اللغة، وهو أن يقّر المتفضل عليه من الناس بفضل من يصدر عنه الفضل ولا يجحده أو يتناساه، ولا شك أنّ المولى ﷺ هو صاحب الفضل في الأولى والآخرة، إذ هو المتفضل على أهل الدنيا مسلمهم وكافرهم بنعمه التي لا تحصى، وفي الآخرة يدخل عباده الصالحين الجنة ويورثهم دار المقامة من فضله.

### الاعتراف بالفضل في القرآن الكريم:

أمرنا الله تعالى في القرآن الكريم بالألّا ننسى الفضل فيما بيننا، وأن ننسب هذا الفضل إلى أهله، ولما كان الله ﷻ هو صاحب الفضل في الأولى والآخرة، فقد امتدحت آي الذكر الحكيم من يعترف بهذا الفضل له سبحانه، كما نعى على الكفار جحودهم ونكرانهم لفضله ﷻ، وفضل الأنبياء.

قال الطبري عند تفسير ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]: يقول تعالى ذكره: ولا تغفلوا أيها الناس، الأخذ بالفضل بعضكم على بعض فتتركوه، ولكن ليتفضل الرجل المطلق زوجته قبل مسيسها، فيكتمل لها تمام صداقها إن كان لم يعطها جميعه. وإن كان قد ساق إليها جميع ما كان فرض لها، فليتنفضل عليها بالعفو عما يجب له ويجوز له الرجوع به عليها، وذلك نصفه. فإن شحّ الرجل بذلك وأبى إلا الرجوع بنصفه عليها، فتتنفضل المرأة المطلقة عليه برّد جميعه عليه، إن كانت قد قبضته منه. وإن لم تكن قبضته، فلتعف عن جميعه. فإن هما لم يفعلا ذلك وشحّا وتركّا ما ندهما الله إليه - من أخذ أحدهما على صاحبه بالفضل - فلها نصف ما كان فرض لها في عقد النكاح وله نصفه<sup>(٣)</sup>.

(١) لسان العرب (ع ر ف) (ص ٢٨٩٩).

(٢) لسان العرب (٦ / ٣٤٢٨ - ٣٤٣٠). والصحاح (٥ / ١٧٩١ ١٧٩٢).

(٣) تفسير الطبري (٢ / ٥٦٧).

منزلة الاعتراف بالفضل:

لهذه الصفة منزلة جليلة لما يعود منها من خير على المجتمع بأسره حيث يؤدي ذلك إلى استقرار هذا المجتمع وتآلف أفراده وتشجيع ذوي الفضل أن يستمروا في تفضلهم الذي يلقي الاعتراف من الآخرين، ولما كان من طبع الإنسان أن يهتس إذا نسب إليه الخير، وتوجه إليه بالشكر، كان الاعتراف بالفضل باعثا على مرضاته، بعد مرضاة الله تعالى؛ لأن من يشكر الناس فإنما هو في الحقيقة يشكر المولى الذي أجرى الخير علي أيديهم، وقد جاء في الحديث: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»<sup>(١)</sup>.

ويفهم من ذلك أن من يشكر الناس فإنما يشكر الله ﷻ أيضا، والشكر لله يزيد في النعمة ويورث الرضا:

الشكر لله كنز لا نضاد له من يلزم الشكر لم يكسب به ندما  
وقال الآخر:

ومن يشكر المخلوق يشكر لربه ومن يكفر المخلوق فهو كفور<sup>(٢)</sup>  
[للاستزادة: انظر صفات: الإنصاف - الثناء - الشكر - المروءة - التودد - بر الوالدين - البر - حسن الخلق - الحمد.]

وفي ضد ذلك: انظر صفات: نكران الجميل - الجحود - عقوق الوالدين - التفريط والإفراط - الإساءة - الكبر والعجب].

\*\*\*

من فوائد (الاعتراف بالفضل)

- (١) اعتراف بالمنعم والنعمة.
- (٢) سبب من أسباب حفظ النعمة بل المزيد.
- (٣) لا يكون باللسان فقط بل اللسان يعبر عما في الجنان وكذلك يكون بعمل الجوارح والأركان.
- (٤) كثرة النعم من المنعم لا يمكن أن يؤدي الإنسان حقها، وبالشكر يؤدي حقها.
- (٥) يكسب رضا الرب ومحبه.

(١) انظر الحديث رقم (٢١).

(٢) انظر هذين البيتين وغيرهما في روضة العقلاء (ص ٣٤٩).

## الاعتصام

### الاعتصام لغة:

يقول ابن فارس: «العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدلّ على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله معنى واحد، من ذلك العصمة: أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه، واعتصم العبد بالله تعالى: إذا امتنع، واستعصم: التجأ... إلخ<sup>(١)</sup>.

والاعتصام: الاستمسك بالشيء، ومنه قول أبي طالب: ثمال<sup>(٢)</sup> اليتامى عصمة للأرامل. أي يمنعهم من الضياع والحاجة، والعصمة: المنع، واعتصم فلان بالله، إذا امتنع به، والعصمة: الحفظ، وعصم إليه: اعتصم به، وأعصمه: هيأ له شيئاً يعتصم به، وأعصم بالفرس: امتسك بعرفه. قال الزجاج: أصل العصمة الحبل، وكلّ ما أمسك شيئاً فقد عصمه، وأعصم الرجل بصاحبه إعصاماً إذا لزمه<sup>(٣)</sup>.

### الاعتصام بالكتاب والسنة اصطلاحاً:

اجتماع المسلمين على الاستعانة بالله، والوثوق به وعدم التفرّق عنه، والاجتماع على التمسك بعهدته على عباده، وهو الإيمان والطاعة أو الكتاب<sup>(٤)</sup> (والسنة) لأنّ من أطاع الرسول فبفرض الله ذلك في كتابه كما قال الله ﷻ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]<sup>(٥)</sup>.

### أنواع الاعتصام:

قال ابن القيم رحمته: الاعتصام نوعان: اعتصام بالله، واعتصام بحبل الله. قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنَعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٣٣١).

(٢) ثمال اليتامى: مطعمهم وعمادهم أو ظلهم وقيل مطعمهم في الشدة.

(٣) لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٤٠٤ - ٤٠٥).

(٤) اقتبسنا هذا التعريف من تفسير الكشاف. للعلامة الزمخشري (١/ ٢٠٦).

(٥) أوردت كتب الاصطلاحات تعريفاً للعصمة ولم تذكر الاعتصام، ومن ذلك تعريف الجرجاني للعصمة بأنها: ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها، انظر التعريفات (ص ١٥).

ومدار السعادة الدنيوية والأخروية: على الاعتصام بالله، والاعتصام بحبله، ولا نجاة إلا لمن تمسك بهاتين العصمتين.

فأما الاعتصام بحبله: فإنه يعصم من الضلالة، والاعتصام به: يعصم من الهلكة، فإن السائر إلى الله كالسائر على طريق نحو مقصده، فهو محتاج إلى هداية الطريق. والسلامة فيها، فلا يصل إلى مقصده إلا بعد حصول هذين الأمرين له. فالدليل كفيل بعصمته من الضلالة، وأن يهديه إلى الطريق، والعدة والقوة والسلاح التي بها تحصل له السلامة من قطاع الطريق وآفات.

فالاعتصام بحبل الله يوجب له الهداية واتباع الدليل. والاعتصام بالله يوجب له القوة والعدة والسلاح، والمادة التي يستلزمها في طريقه. ولهذا اختلفت عبارات السلف في الاعتصام بحبل الله، بعد إشارتهم كلهم إلى هذا المعنى.

فقال ابن عباس: تمسكوا بدين الله.

وقال ابن مسعود: هو الجماعة، وقال: «عليكم بالجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة»

وقال مجاهد وعطاء «بعهد الله» وقال قتادة والسدي وكثير من أهل التفسير: «هو القرآن».

وقال مقاتل: بأمر الله وطاعته، ولا تفرقوا كما تفرقت اليهود والنصارى.

قال صاحب المنازل: الاعتصام بحبل الله هو المحافظة على طاعته مراقبا لأمره.

ويريد بمراقبة الأمر: القيام بالطاعة لأجل أن الله أمر بها وأحبها، لا لمجرد العادة، أو لعل باعثة<sup>(١)</sup> سوى امتثال الأمر، كما قال طلق بن حبيب في التقوى: هي العمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله.

فالاعتصام بحبل الله يحمي من البدعة وآفات العمل، والله أعلم.

وأما الاعتصام به: فهو التوكّل عليه، والامتناع به، والاحتماء به، وسؤاله أن يحمي العبد ويمنعه، ويعصمه ويدفع عنه، فإن ثمرة الاعتصام به: هو الدفع عن العبد، والله يدافع عن الذين آمنوا، فيدفع عن عبده المؤمن إذا اعتصم به كل سبب يفضي<sup>(٢)</sup> به إلى العطب، ويحميه منه، فيدفع عنه الشبهات

(١) باعثة: دافعة.

(٢) يفضي: أي يصل به.

والشّهوات، وكيد عدوّه الظاهر والباطن، وشرّ نفسه، ويدفع عنه موجب أسباب الشرّ بعد انعقادها، بحسب قوّة الاعتصام به وتمكّنه، فتفقد في حقّه أسباب العطب، فيدفع عنه موجباتها ومسبباتها<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ أحمد شاكر في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]: أمرهم بالجماعة، ونهاهم عن التفرّق، وقد وردت الأحاديث المتعدّدة بالنهي عن التفرّق والأمر بالاجتماع والاتّلاف، وقد وقع ذلك في هذه الأُمَّة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة منها فرقة ناجية إلى الجنّة ومسلّمة من عذاب النّار، وهم الذين على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الألفة- الاجتماع- التعاون على البر والتقوى- التعارف.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التفرّق- التفريط والإفراط- التنازع- الضعف- الوهن].

\*\*\*

### من فوائد (الاعتصام)

- (١) دليل صلاح المرء واستقامته.
- (٢) يورث محبة الله ومحبة الناس.
- (٣) يثمر السعادة في الدارين.
- (٤) يجنب الإنسان مسالك الشيطان ومضلاته.
- (٥) دليل على صدق الإيمان ومحبة الرحمن.
- (٦) يقوي الأمة ويرفعها.
- (٧) في الاعتصام تجمّع، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب.
- (٨) الاعتصام بالله يدفع عن العبد ويحمي من الشّهوات والشبهات.

### الإغاثة

#### الإغاثة لغة:

مصدر قولهم: أغاثه يغيثه، وهو مأخوذ من مادّة (غ و ث)، التي تدلّ على الإعانة والنصرة عند الشدّة، أمّا مادّة (غ ي ث) الياثية فإنّها تدلّ على الحيا (المطر) النازل من السماء<sup>(٣)</sup>، وقيل:

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٩٥، ٤٩٧).

(٢) عمدة التفسير لأحمد شاكر (٣/ ١٦).

(٣) ابن فارس: مقاييس اللغة ٤/ ٤٠٠ (غ و ث)، ٤/ ٤٠٣ (غيث).

الغيث المطر في إبانته<sup>(١)</sup>، (أي في الوقت الذي يحتاج إليه فيه)، يقال من الأصل الأوّل (غ و ث): استغثته فأغاثني، أي استعنت به عند الشدّة فأعانني، ومن الأصل الثّاني (غ ي ث) استغثنا الله فغاثنا<sup>(٢)</sup> أي طلبنا المطر فأمدنا الله به، قال ذو الرّمّة: ما رأيت أفصح من أمة آل فلان، قلت لها كيف كان المطر عندكم؟ قالت: غثنا ما شينا (أي ما شئنا)<sup>(٣)</sup>.

وقال الجوهريّ: يقال: غوّث الرّجل: قال: واغوثاه، والاسم<sup>(٤)</sup> من ذلك: الغوث والغواث والغيث والغيث (بتثليث الغين)، يقال: أجاب الله دعاءه وغوثاه، ولم يرد بالفتح (أي بفتح أوّله) من الأصوات<sup>(٥)</sup> سواه، والقياس أن يأتي بالضمّ مثل البكاء والدّعاء، وبالكسر مثل النداء والصّياح، وشاهد ذلك قول العامريّ:

بعثتك مائزًا فلبثت حولا متى يأتي غواثك من تغيث؟<sup>(٦)</sup>

والاسم من الإغاثّة: الغياث، وأصله الغواث، صارت الواو ياء لكسر ما قبلها<sup>(٧)</sup>، والغيث: ما أغاثك الله به<sup>(٨)</sup>، وقال ابن منظور: الغواث بالضمّ: الإغاثّة، وقولهم: استغاث (مثل غوّث) أي صاح واغوثاه<sup>(٩)</sup>، قال الزبيديّ: هذا أصله، ثمّ إنهم استعملوه بمعنى: صاح ونادى طلبا للغوث<sup>(١٠)</sup>، وفي حديث هاجر (أمّ إسماعيل)، «.. فهل عندك غواث؟»، الغواث بالفتح كالغيث بالكسر من الإغاثّة بمعنى الإعانة<sup>(١١)</sup>، ومن ذلك الحديث: اللهمّ أغثنا، بالهمزة من الإغاثّة، أمّا الحديث الآخر: «فادع الله يغيثنا (بفتح الياء)، (فهو من الغيث)، يقال غاث الله البلاد يغيثها، إذا أرسل عليها المطر، أمّا ما جاء في حديث توبة كعب: «فخرجت قريش مغوثين لغيرهم» فالمعنى:

(١) الكليات للكفوي (٣ / ٣١٣).

(٢) المرجع السابق (١ / ١٧٣) بتصرف.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (٤ / ٤٠٣).

(٤) كذا قال الجوهري، ولعلّ الصّواب: المصدر لأنه سيذكر الاسم بعد ذلك وهو الغياث.

(٥) أي من الكلمات الدالة على صوت.

(٦) السابق، الصفحة نفسها، وقد ورد البيت منسوباً في اللسان (٢ / ١٧٤) لعائشة بنت سعد بن أبي وقاص. ومعنى مائزاً: أي جالبا للميرة وهي الطعام.

(٧) الصحاح (١ / ٢٨٩).

(٨) تاج العروس للزبيدي (٥ / ٢١٤).

(٩) لسان العرب (٢ / ١٧٥).

(١٠) تاج العروس (٥ / ٣١٣).

(١١) النهاية لابن الأثير (٣ / ٣٩٢)، واللسان (٢ / ١٧٤) ط. بيروت. انظر الحديث رقم (٣).

مغيثين فجاء به على الأصل ولم يعلّه، كما في استحوذ واستنوق، قال ابن الأثير، ولو روي مغيثين بالتشديد من غوث بمعنى أغيث - لكان وجهها<sup>(١)</sup>، وتأتي الإغاثة أيضا بمعنى التفرّيج، قال ابن سيده: يقول (المضطرّ) الواقع في بليّة: أغثنى، أي فرّج عني، واستغثت فلانا فما كان لي عنده مغوثة ولا غوث أي إغاثة<sup>(٢)</sup>، قال في اللسان: وغوث جائز في هذه المواضع، أن يوضع - وهو اسم - موضع المصدر - أي الإغاثة<sup>(٣)</sup> وقال الرّاعب: الغوث يقال في النّصرة، والغيث يقال في المطر. ويقال: استغثته: طلبت الغوث أو الغيث، فأعاثني من الغوث، وغاثني من الغيث، أمّا غوث فلا تكون إلا من الغوث، وقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩] فإنه يصحّ أن يكون من الغيث ويصحّ أن يكون من الغوث، وكذا يغاثوا يصحّ فيه المعنيان<sup>(٤)</sup>.

المغيث من أسمائه تعالى: قال صاحب موسوعة «له الأسماء الحسنى»: المغيث، اسم من الأسماء الحسنى الزائدة عن الأسماء المعروفة<sup>(٥)</sup>.

وقال الإمام ابن تيميّة: ومن أسماء الله ﷻ المغيث، وهو بمعنى «المجيب» لكنّ الإغاثة أخصّ بالأفعال، والإجابة أخصّ بالأقوال<sup>(٦)</sup>، ويمكن - لغة - أن يكون المعنى أنّه سبحانه هو الغياث الذي يقدّم العون والنّصرة للمضطرّين كما أنّه ينزل الغيث على العباد والبلاد، فهو سبحانه غياث المستغيثين الذين يطلبون الغوث (المعونة والنّصرة) أو الغيث (المطر الذي يحتاج إليه)، قال أبو عبد الله الحليمي - رحمه الله تعالى - الغياث هو المغيث، وأكثر ما يقال: غياث المستغيثين ومعناه: المدرك عباده في الشّدائد إذا دعوه وهو مجيبهم ومخلّصهم<sup>(٧)</sup>.

### الإغاثة اصطلاحاً:

الإغاثة تقديم الغوث وهو «التّخليص من الشّدّة والنقمة والعون على الفكّ من الشّدائد»<sup>(٨)</sup>.

(١) النهاية (٣/ ٢٩٣).

(٢) اللسان (٢/ ١٧٤)، وتاج العروس (٥/ ٢١٤)، ولم ترد كلمة المضطر في اللسان.

(٣) اللسان (٢/ ١٧٤).

(٤) المفردات للراغب (٥٥٠).

(٥) موسوعة له الأسماء الحسنى، للشيخ أحمد الشرباصي (٢/ ١١٥).

(٦) مجموع الفتاوى (١/ ١١١).

(٧) المرجع السابق، الصفحة نفسها، وقارن بصفة الاستغاثة.

(٨) تاج العروس للزبيدي (٥/ ٢١٤).

## الفرق بين الإغاثة والاستغاثة:

المراد بالاستغاثة هنا طلب الغوث أي النصرة والإعانة من قبل المضطرّ أو المحتاج، أما الإغاثة فهي تقديم ذلك العون ممّن وفقه الله تعالى لمن هو في حاجة إليه.

## الإغاثة واجب إسلامي أصيل:

إنّ تقديم العون والنصرة لمن يحتاج إليها سلوك إسلامي أصيل، وخلق رفيع تقتضيه الأخوة الصادقة، وقد كانت حياة رسول الله ﷺ خير مثال يحتذى فيما يتعلّق بإغاثة المظلوم أو الملهوف، وتقديم العون لكلّ من يحتاج إليه، وقد عرف بذلك حتّى قبل البعثة المباركة، وعند ما قال للسيدة خديجة رضي الله عنها «لقد خشيت على نفسي» أجابته في ثقة واطمئنان «كلّا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم وتقرّي الضيف، وتعين على نوائب الحق»<sup>(١)</sup>، وكأنّه قد استقرّ في الطّباع السليمة أنّ صنائع المعروف تقي مصارع السّوء، وأنّ من أغاث النّاس وأعانهم لا بدّ من أن يغيثه ربّه ويعينه، فالجزاء من جنس العمل. وبعد الإسلام أصبحت الإغاثة واجبا ينهض به القادرون وعملا من أعمال الخير يتنافس فيه المتنافسون، وأصبح من الحقائق المسلمة عندهم أنّ «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» كما أخبرهم بذلك المصطفى ﷺ وحثّهم عليه. وقد كان الصّحابة - رضوان الله عليهم - مضرب المثل في تقديم الغوث لمن هم في حاجة إليه. ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما حدث في عام الرّمادة<sup>(٢)</sup>، عندما أصاب النّاس جدب في المدينة وما حولها وكان ذلك في العام الثامن عشر للهجرة في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه الذي قال: «الله أكبر، بلغ البلاء مدّته فانكشف. وكتب إلى أمراء الأمصار». «أغيثوا أهل المدينة ومن حولها»<sup>(٣)</sup> وكان عمرو بن العاص واليا على مصر فأرسل يجيئه: إنّه سيصلهم غوث لا انقطاع له.

ولقد قام المسلمون - أخيرا - بجزء من واجبهم في هذا السبيل فكوّنوا هيئة الإغاثة الإسلاميّة.

إنّ المؤمنين بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، ألم يأن لهم أن يوقظوا هذا الخلق الإسلاميّ الرّفيع، ويحيوا سنّة نبيّهم ومجد أسلافهم فيتقدّموا طائعين راضين بتقديم الغوث لإخوان لهم شرّدتهم الحروب، ويتمت أطفالهم ورملت نساءهم الهجمات الشرسة من القوى الصليبيّة والصّهيوينيّة والإلحادية، إنّ على المسلمين ألا يتركوا إخوانهم فريسة في أيدي من لا يرجون لله

(١) البخاري - الفتح ١ (٣)، وانظر الحديث بتمامه في الأحاديث الواردة في الإغاثة معنى / حديث رقم (٩).

(٢) وسمي عام الرمادة لأن المدينة كانت تسفي إذا ريحت (أي أصابها الريح) ترابا كالرماد.

(٣) راجع أحداث عام الرمادة في تاريخ الطبري (٤ / ٩٦ - ١٠١) تحقيق أبي الفضل، ط. دار سويدان، بيروت.

وقارا، أولئك الذين يقدمون باسم الإنسانية بعض ما يفيض عندهم صدقة وإحسانا، إننا لسنا في حاجة إلى «إنسانية» هؤلاء الذين يمدون العدو بالسلاح ليقتل ويشرد ثم يقدمون لنا فائض الغذاء أو الدواء - فقط - إذا أئختنتنا الجراح، ما أحوج المسلمين اليوم إلى التمسك بهذا الخلق الإسلامي الرفيع الذي يجعل كل مسلم في أي مكان في الأرض مرفوع الهامة، رابط الجأش، واثقا من النصر، لأن إخوانا له يقدمون العون والإغاثة من منطلق إسلامي لا منة فيه، ولا مطمع من ورائه، إن فعلوا نجوا وإلا فليتنظروا زوال النعمة عنهم مصداقا لقوله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ أَقْوَامٍ نَعَمًا أَقْرَبُهَا عِنْدَهُمْ مَا كَانُوا فِي حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ، مَا لَمْ يَمْلُؤْهُمْ، فَإِذَا مَلَّوْهُمْ نَقَلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإخاء - الاستغاثة - التناصر - التعاون على البر والتقوى - الشهامة - تفرج الكربات - الإيثار - الرجولة - البر المروءة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التخاذل - الأثرة الإعراض - البخل - التفریط والإفراط - التهاون].

\*\*\*

### من فوائد (الإغاثة)

- (١) في إغاثة المظلوم والمكروب رضا الله ﷻ.
- (٢) الإغاثة تفتح لصاحبها طريقا إلى الجنة.
- (٣) الإغاثة كفيلة بتحقيق السلام الاجتماعي.
- (٤) بين أفراد الأمة وتحقق التضامن والتكافل بين المسلمين.
- (٥) إذا أغاث المسلم أخاه رزقه الله ﷻ بمن يغيثه عند شدته.
- (٦) الإغاثة نجاة من كرب يوم القيامة.
- (٧) بين أفراد الأمة وتحقق التضامن والتكافل بين المسلمين.
- (٨) الإغاثة نوع من الصدقة خاصة لمن لا يجد ما يتصدق به.
- (٩) في إغاثة المحتاجين ما يجعلهم يحبون إخوانهم ويتفانون في خدمتهم ويحافظون على أموالهم.
- (١٠) من أراد أن يغيثه الله يوم القيامة فعليه أن يتعد عن الغلول.
- (١١) إغاثة الملهوف من الأعمال التي تنجي صاحبها في الدنيا لا أن صنائع المعروف تقي مصارع السوء.
- (١٢) إغاثة المسلم للمسلم تفتح له طريق النصر وتجعله قادرا على صدّ العدوان.
- (١٣) في الإغاثة ما يساعد على إجابة الدعاء.

(١) الترغيب والترهيب للمنذري (٣/ ٣٩٠).

## إفشاء السلام

## الإفشاء لغة:

مصدر قولهم: أفشى بمعنى أذاع ونشر، قال في الصحاح: فشا الخبر يفشو فشواً، أي ذاع، وأفشاه غيره، وتفشى الشيء أي اتسع، وقال ابن منظور: يقال «فشا الشيء يفشو فشواً إذا ظهر، وهو عام في كل شيء ومنه إفشاء السرّ (في معنى إظهاره). وفي حديث الخاتم: فلما رآه أصحابه قد تختم به فشت خواتيم الذهب أي كثرت وانتشرت، وفي الحديث: أفشى الله ضيعته أي كثر عليه معاشه ليشغله عن الآخرة<sup>(١)</sup>.

## السلام لغة:

السلام في أصل اللغة السلامة، يقال: سلم يسلم سلاماً وسلامة ومنه قيل للجنة «دار السلام» لأنها دار السلامة من الآفات، والسلام (أيضاً) الاسم من التسليم، قال محمد بن يزيد (المبرد) السلام في لغة العرب أربعة أشياء، فمنها: سلّمت سلاماً (اسم مصدر)، ومنها السلام جمع سلامة، ومنها السلام اسم من أسماء الله تعالى، ومنها السلام شجر<sup>(٢)</sup>، ومعنى السلام الذي هو اسم مصدر من<sup>(٣)</sup> سلّمت أنه دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه، وتأويله التخليص. قال: وتأويل السلام «اسم الله» أنه ذو السلام الذي يملك السلام أي يخلص من المكروه، وقيل: لسلامته من النقص والعيب والفناء، وقيل: إنه سلم مما يلحق الغير من آفات الغير والفناء، وقال الراغب: السلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة قال تعالى: ﴿يَقْلِبِ سَلِيمٍ﴾ [الصفات: ٨٤] أي متعرّ من الدغل فهذا في الباطن، وقال تعالى: ﴿مُسَلِّمَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧١] فهذا في الظاهر، وقد سلم يسلم سلامة وسلاماً وسلّمه الله. والسلامة الحقيقية ليست إلا في الجنة، إذ فيها بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعزّ بلا ذلّ، وصحة بلا سقم، وجاء في الصحاح: السلام: السلامة، والسلام: الاستسلام والسلام الاسم من التسليم، والسلام: البراءة من العيوب، وقيل العافية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] معناه تسلماً وبراءة لا خير بيننا وبينكم

(١) الصحاح ٦/ ٢٤٥٥، لسان العرب (فشا) ص ٣٤١٨.

(٢) والسلام هنا لغة في السلم وهو الشجر المعروف.

(٣) في اللسان أن السلام مصدر سلّمت بتشديد اللام والصواب أنه اسم مصدر؛ لأن قياس مصدر فعّل هو التفعيل وليس فعلاً كما توهم عبارة ابن منظور وقد صرح بذلك الجوهري عندما قال: والسلام الاسم من التسليم.

ولا شرّ. وقال نحوه ابن عرفة. وقيل: قالوا سلاما، أي سدادا من القول وقصدا لا لغو فيه. وقيل: أي سلّموا سلاما.

وقوله تعالى: ﴿سَلِّمْهُنَّ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥] أي لا داء فيها، ولا يستطیع الشيطان أن يصنع فيها شيئا. وقد يجوز أن يكون السّلام جمع سلامة.

والسّلام: التّحيّة. وقال أبو الهيثم: السّلام والتّحيّة معناهما واحد، ومعناهما السّلامة من جميع الآفات.

قال الجوهري: والسّلم بالكسر: السّلام. والتّسليم: مشتقّ من السّلام، لسلامته من العيب والنّقص. وقيل: إنّ معناه: أنّ الله مطّلع عليكم فلا تغفلوا، وقيل معناه سلمت منّي فاجعلني أسلم منك من السّلامة بمعنى السّلام<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال بعضهم: السّلام ههنا الله ودليله ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ﴾ [الحشر: ٢٣]<sup>(٢)</sup>.

السّلام من أسماء الله تعالى: قال الغزالي: السّلام هو الذي تسلم ذاته عن العيب، وصفاته عن النّقص، وأفعاله عن الشرّ، حتى إذا كان كذلك، لم يكن في الوجود سلامة إلّا وكانت معزّية إليه صادرة منه<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن حجر رحمته: السّلام من أسماء الله تعالى، فقد جاء في حديث التّشهد: «فإنّ الله هو السّلام» وكذا ثبت في القرآن في أسماء الله تعالى: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ﴾ [الحشر: ٢٣] ومعنى السّلام: السّالم من النّقائص، وقيل: المسلم لعباده، وقيل: المسلم على أوليائه. ا. هـ.<sup>(٤)</sup>

وقال ابن منظور: والسّلام الله تعالى، اسم من أسمائه لسلامته من النّقص والفناء، وقيل معناه: أنّه سلم ممّا يلحق الغير من آفات الغير والفناء، وأنّه الباقي الدائم الذي تفنى الخلق ولا يفنى، وهو على كلّ شيء قدير<sup>(٥)</sup>.

(١) الصحاح ٥ / ١٩٥، ولسان العرب ١٢ / ٢٨٩ - ٢٩١، والمفردات للراغب ص ٢٣٩.

(٢) لسان العرب (١٢ / ٢٨٩ - ٣٠٠).

(٣) المقصد الأسنى (٦٩).

(٤) فتح الباري (١١ / ١٥).

(٥) لسان العرب (٤ / ٢٠٧٨) ط. دار المعارف.

## إفشاء السلام اصطلاحاً:

قال ابن حجر رحمته: إفشاء السلام المراد نشره سرّاً أو جهرًا<sup>(١)</sup>.

أو هو: نشر السلام بين الناس ليحيوا سنته ﷺ، أخرج البخاري في الأدب المفرد «إذا سلّمت فأسمع فإنّها تحية من عند الله» قال النووي: أقلّه أن يرفع صوته بحيث يسمعه المسلم عليه، فإن لم يسمعه لم يكن آتياً بالسنة<sup>(٢)</sup>.

## صبيغ السلام:

هي أن يقال: السلام عليكم، وسلام عليكم، هذا إذا كان السلام لمن لقيك من المسلمين، فإذا كان المرء مسلماً على الأموات فليقل: السلام على أهل الديار من المؤمنين، فإذا كان السلام موجّهاً إلى من يرجى إسلامه، فإنّ صبيغته هي: السلام على من أتبع الهدى، وستأتي صبيغ أخرى في الحديث الشريف وسلام، بحذف عليكم، ولم يرد في القرآن غالباً إلا منكرًا كقوله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٤].

فأمّا في تشهد الصلاة فيقال فيه معرّفًا ومنكرًا.

قال: وأمّا في السلام الذي يخرج به من الصلاة فروى الربيع عن الشافعي أنّه قال: لا يكفيه إلا معرّفًا، وأقل ما يكفيه (السلام عليكم) فإن نقص من هذا حرفا عاد فسلم. ووجهه أن يكون أراد بالسلام اسم الله فلم يجز حذف الألف واللام<sup>(٣)</sup>.

## السلام في القرآن الكريم:

قال ابن الجوزي: ذكر بعض المفسرين أن السلام في القرآن الكريم على أوجه:

أحدها: اسم من أسماء الله ﷻ ومنه قوله تعالى في الحشر: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ [الحشر: ٢٣].

والثاني: التّحية المعروفة، ومنه قوله تعالى في النور: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

والثالث: السلامة من كلّ شرّ، ومنه قوله تعالى في الواقعة: ﴿فَسَلِّمُكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾.

[الواقعة: ٩١]

(١) فتح الباري (١/ ١٠٣).

(٢) فتح الباري (١١/ ٢٠).

(٣) لسان العرب (١٢/ ٢٨٩ - ٣٠٠).

والرابع: الخير، ومنه قوله تعالى في سورة القدر: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥].  
قال ابن قتيبة: «خير هي»<sup>(١)</sup>.

والخامس: الثناء الجميل، ومنه قوله تعالى في الصفات: ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصفات: ١٠٩]،  
﴿سَلَّمَ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ [الصفات: ١٣٠]، ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ [الصفات: ٧٩].

والسادس: الجنة: ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]<sup>(٢)</sup>.

للاستزادة: انظر صفات: الكلم الطيب - الأدب - الإخاء - الألفة - التودد - حسن الخلق -  
طلاقة الوجه - الطمأنينة.

[وفي ضد ذلك: انظر صفات: اتباع الهوى - الإعراض - التفريط والإفراط - قطيعة الرحم -  
الكبر والعجب - العبوس - الهجر].

\*\*\*

### من فوائد (إفشاء السلام)

- |  |  |
|--|--|
| (١) السَّلام من أسماء الله تعالى وهو المسلم          | المودّة والمحبة ويشعر كلّ مسلم                 |
| لعباده المسلم على أوليائه.                           | بالاطمئنان تجاه الآخرين.                       |
| (٢) والجنة دار السَّلام فهي دار السَّلامة من الآفات. | (٦) البخل بالسَّلام أشدّ من البخل بالمال.      |
| (٣) والسَّلام أمان الله في الأرض وهو تحية            | (٧) قد يزيل العداوة وينهي الخصومة ويسلّ        |
| المؤمنين في الجنة وتحية أهل الإسلام في               | سخيمة الصدور.                                  |
| الدنيا.  | (٨) في المداومة عليه تمييز للمسلمين وكيد       |
| (٤) وهو طريق المحبة والتعارف بين                     | لأعداء الدين.                                  |
| المسلمين.  | (٩) من حافظ عليه حاز فضل الاتباع وجزاء الطاعة. |
| (٥) في إشاعة السَّلام بين المسلمين تنشأ              | (١٠) كلما زادت كلمات السَّلام زادت حسناته.     |

(١) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة (٥٣٤).

(٢) نزهة الأعين النواظر (٣٥٧-٣٥٨)، وانظر بصائر ذوي التمييز (٣/ ٢٥٢-٢٥٤).

## إقامة الشهادة

## أ- الإقامة نفة:

الإقامة مأخوذة من أقام الشيء أدامه، والشرع أظهره، والصلاة أدام فعلها.

## ب- والشهادة نفة:

من شهد المجلس يشهده شهودا، حضره وأطلع عليه، وعينه فهو شاهد، جمعه شهود وشهد وأشهاد، وشهد عند الحاكم لفلان على فلان بكذا يشهد، أدى ما عنده من الشهادة. وشهد على كذا: أخبره به خبرا قاطعا.

قال ابن فارس: الشهادة الإخبار بما قد شوهد.

## الشهادة اصطلاحا:

الشهادة: بيان الحق، سواء كان عليه أو على غيره، وهي خبر قاطع يختص بمعنى يتضمن ضرر غير المخبر فيخرج الإقرار. وقيل: إقرار مع العلم وثبات اليقين. والإقرار قد ينفك عن ذلك. ولذلك أكذب الله الكفار في قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] ولما كان الخبر الخاص مبينا للحق من الباطل سمي شهادة. وسمي المخبر به شاهدا، فلهذا شبهت الدلالة في كمال وضوحها بالشهادة. وشهد الرجل على كذا يشهد عليه شهادة: إذا أخبر به قطعا وشهد له بكذا يشهد به شهادة: إذا أدى ما عنده من الشهادة. والشهادة تقام بلفظ الشهادة. أعني: أشهد بالله، وتكون قسما ومنهم من يقول: إن قال (أشهد) يكون قسما (وإن لم يقل بالله)<sup>(١)</sup>.

وقال الراغب: الشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر<sup>(٢)</sup>.

وقال المناوي: الشهادة إخبار عن عيان بلفظ أشهد في مجلس القاضي بحق لغيره على غيره<sup>(٣)</sup>.

(١) الكليات للكفوي (٥٢٧-٥٢٨).

(٢) المفردات للراغب (٢٦٨).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢٠٩).

إقامة الشهادة<sup>(١)</sup>: هي الإخبار بحق للغير على آخر عن يقين في مجلس الحكم. قال الجرجاني: هي إخبار عن عيان بلفظ الشهادة في مجلس القاضي بحق للغير على آخر، فالإخبارات ثلاثة: إما بحق للغير على آخر، وهو الشهادة، أو بحق للمخبر على آخر، وهو الدعوى، أو بالعكس وهو الإقرار<sup>(٢)</sup>.

### لفظ الشهادة:

قال الإمام الفيومي: جرى على ألسنة الأمة، سلفها وخلفها في أداء الشهادة أشهد، مقتصرين عليه، دون غيره من الألفاظ الدالة على تحقيق الشيء، نحو أعلم وأتيقن، وهو موافق لألفاظ الكتاب والسنة أيضا فكان كالإجماع على تعيين هذه اللفظة، دون غيرها، ولا يخلو من معنى التعبّد، إذ لم ينقل غيره، ولعل السرّ فيه أن الشهادة اسم من المشاهدة، وهي الاطلاع على الشيء عيانا، فاشتراط في الأداء ما ينبأ عن المشاهدة، وأقرب شيء يدل على ذلك ما اشتق من اللفظ، وهو أشهد، بلفظ المضارع، ولا يجوز شهدت؛ لأن الماضي موضوع للإخبار عما وقع نحو قمت، أي؟ فيما مضى من الزمان، فلو قال شهدت: احتمل الإخبار عن الماضي، فيكون غير مخبر به في الحال، وعليه قوله تعالى، حكاية عن أولاد يعقوب **﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا﴾** [يوسف: ٨١]، لأنهم شهدوا عند أبيهم أولا بسرقة، حين قالوا إن ابنك سرق، فلما اتهمهم اعتذروا عن أنفسهم بأنهم لا صنع لهم في ذلك، وقالوا: وما شهدنا عندك سابقا بقولنا إن ابنك سرق، إلا بما عايناه من إخراج الصّواع<sup>(٣)</sup> من رحله، والمضارع موضوع للإخبار في الحال، فإذا قال أشهد، فقد أخبر في الحال، وعليه قوله تعالى: **﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾** [المنافقون: ١]: أي نحن الآن شاهدون بذلك، وأيضا، فقد استعمل أشهد في القسم، نحو (أشهد بالله لقد كان كذا) أي أقسم، فتضمّن لفظ أشهد معنى المشاهدة والقسم والإخبار في الحال، فكأن الشاهد قال: أقسم بالله لقد أطلعت على ذلك، وأنا الآن أخبر به، وهذه المعاني مفقودة في غيره من الألفاظ، فلهذا اقتصر عليه احتياطا، واتباعا للمأثور<sup>(٤)</sup>.

(١) تضم أداء الشهادة، والشهادة في المعاملات.

(٢) التعريفات للجرجاني (١٢٩)، لسان العرب (٣/ ٢٣٨ - ٢٤١)، (١٢/ ٥٠٣)، المصباح المنير (١/ ٣٤٨)، (٢/ ١٨٠).

(٣) الصّواع: المكيال أو الإناء يشرب فيه وبهما فسر قوله تعالى: **﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ أَمَلِكِ﴾**.

(٤) المصباح المنير (١/ ١٢٤).

الشهيد من أسماء الله تعالى الحسنی:

ذكر ابن القيم أنّ من أسماء الله: الشهيد أي الذي لا يغيب عنه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء؛ بل هو مطلع على كل شيء، مشاهد له، عليم بتفاصيله<sup>(١)</sup>.

الشهيد من أسماء النبي ﷺ:

ومن أسماء النبي ﷺ الشّاهد والشّهيد، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] قال: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: ٧٨] وقال أيضا: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

والشّهادة خبر قاطع؛ كذا في الصّحاح<sup>(٢)</sup>.

وأصلها: المعاينة، وفيه أيضا: الشّهيد الشّاهد ومعنى الاسمين: أنّه ﷺ يشهد على الأمم يوم القيامة بتبليغ الأنبياء رسالات الله إليهم، ويشهد على أمته بالتبليغ إليهم ولهم بالإيمان.

أخرج الشّيخان عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة، فيقال: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيدعى قومه، فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمّد وأمته». فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] والوسط العدل<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإصلاح - الإنصاف - التناصر - العدل والمساواة - القسط -

الصدق - الأمانة - الوفاء.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: شهادة الزور - الكذب - التخاذل - الظلم - نقض العهد].

\*\*\*

(١) انظر التفسير القيم (١٩٠ - ١٩٥).

(٢) الصّحاح للجوهري، مادة «شهد».

(٣) الرياض الأنيقة (١٨٣).

## من فوائد (إقامة الشهادة)

- (١) إقامة الشهادة مرضاة للربِّ ومسخطة (٦) شهادة الحقِّ مطلوبة في كلِّ المعاملات للشيطان.
- (٢) إقامة للعدل ودفع للظلم.
- (٣) تعيين على أداء الحقوق إلى أهلها.
- (٤) كتم الشهادة إثم عظيم وشرٌّ مستطير.
- (٥) العدل مبنيٌّ على إقامة الشهادة بالحقِّ، وبالعدل تقوى الأمم.
- (٦) إقامة الشهادة علامة الجراءة ودليل القوة في الدين.
- (٧) المسلم الذي يؤدِّي الشهادة على وجهها يطمئنُّ قلبه ويرضي ربّه.
- (٨) إقامة الشهادة علامة الجراءة ودليل القوة في الدين.
- (٩) إقامة الشهادة لله من ثمار اليقين.
- (١٠) طاعة لأوامر الله سبحانه.

## أكل الطيبات

## أكل الطيبات نغمة:

الأكل معروف وهو ما يطعمه الإنسان من صنوف الأغذية وغيرها.

والطيبّ خلاف الخبيث، قال ابن سيدة: طاب الشيء طيباً وطاباً: لذّ وزكا. وطاب الشيء أيضاً يطيب طيباً وطيبةً وتطيباً، وطعام طيبٌ للذي يستلذُّ الأكل طعمه.

وقد تكرّر في الحديث ذكر الطيبّ والطيبّات، وأكثر ما يرد بمعنى الحلال. ويقال أرض طيبةً للتي تصلح للنبات، وريح طيبةً إذا كانت ليست بشديدة، وطعمة طيبةً إذا كانت حلالاً، وامرأة طيبةً إذا كانت حصاناً<sup>(١)</sup> عفيفة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [النور: ٢٦] وكلمة طيبةً إذا لم يكن فيها مكروه، والكلمة الطيبة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. وليلة طيبةً أي آمنة كثيرة الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]<sup>(٢)</sup>.

(١) حصان: هي المرأة العفيفة وجمعها حصن.

(٢) لسان العرب (١/ ٥٦٣).

## واصطلاحاً:

قال الكفوي: الطيب: ما أفتاك قلبك أن ليس فيه جناح، وقيل: الطيب ما يستلذ من المباح. وقيل: الطيب ما لا يعصى الله في كسبه ولا يتأذى حيوان بفعله.

وقال الراغب: «وأصل الطيب ما تستلذه الحواس وما تستلذه النفس، والطعام الطيب في الشرع ما كان متناولاً من حيث ما يجوز وبقدر ما يجوز ومن المكان الذي يجوز»<sup>(١)</sup>.

الطيب من كل شيء مختار الله:

قال ابن القيم رحمته: «اختر الله ﷻ من كل جنس من أجناس المخلوقات أطيبه، واختصه لنفسه وارتضاه دون غيره، فإنه تعالى طيب لا يحب إلا الطيب، ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة إلا الطيب، فالطيب من كل شيء هو مختاره تعالى.

من سمات الطيبين أكل الطيبات:

وأما خلقه تعالى، فعام للنوعين، وبهذا يعلم عنوان سعادة العبد وشقاوته، فإن الطيب لا يناسبه إلا الطيب، ولا يرضى إلا به، ولا يسكن إلا إليه، ولا يطمئن قلبه إلا به. فله من الكلام الكلم الطيب الذي لا يصعد إلى الله - تعالى - إلا هو، وهو أشد شيء نفرة<sup>(٢)</sup> عن الفحش في المقال، والتفحش في اللسان والبذاء<sup>(٣)</sup>، والكذب والغيبة، والنميمة والبهت<sup>(٤)</sup>، وقول الزور، وكل كلام خبيث.

وكذلك لا يألّف من الأعمال إلا أطيبها، وهي الأعمال التي اجتمعت على حسنها الفطر السليمة مع الشرائع النبوية، وزكّتها العقول الصحيحة، فاتفق على حسنها الشرع والعقل والفطرة، مثل أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً، ويؤثر مرضاته على هواه، ويتجّب إليه جهده وطاقته، ويحسن إلى خلقه ما استطاع، فيفعل بهم ما يحبّ أن يفعلوا به، ويعاملوه به، ويدعهم ممّا يحبّ أن يدعوه منه، وينصحهم بما ينصح به نفسه، ويحكم لهم بما يحبّ أن يحكم له به، ويحمل أذاهم ولا يحملهم أذاه، ويكفّ عن أعراضهم، ولا يقابلهم بما نالوا من عرضه، وإذا رأى لهم حسناً أذاعه، وإذا رأى لهم سيئاً كتمه، ويقوم أذاهم ما استطاع فيما لا يبطل شريعة، ولا يناقض الله أمراً ولا نهياً.

(١) الكليات للكفوي (٢/ ٢٥٢)، والمفردات للراغب (٣٨).

(٢) النفرة مصدر النفور ومعناها هنا الابتعاد.

(٣) البذاء: الفحش في القول.

(٤) البهت: من بهت الرجل بيهته إذا قال عليه ما لم يفعله.

وله أيضا من الأخلاق أطيبها وأزكاها، كالحلم، والوقار، والسكينة، والرّحمة، والصّبر، والوفاء، وسهولة الجانب، ولين العريكة<sup>(١)</sup>، والصدّق، وسلامة الصّدر من الغلّ والغشّ والحقد والحسد، والتّواضع، وخفض الجناح لأهل الإيمان، والعزّة والغلظة على أعداء الله، وصيانة الوجه عن بذله وتذلّله لغير الله، والعفة، والشّجاعة، والسّخاء، والمروءة، وكلّ خلق اتّفقت على حسنه الشّرائع والفطر والعقول.

وكذلك لا يختار من المطاعم إلاّ أطيبها، وهو الحلال الهنيء المريء الذي يغذي البدن والرّوح أحسن تغذية، مع سلامة العبد من تبعته.

وكذلك لا يختار من المناكح إلاّ أطيبها وأزكاها، ومن الرّائحة إلاّ أطيبها وأزكاها، ومن الأصحاب والعشراء إلاّ الطيّبين منهم، فروحه طيّب، وبدنه طيّب، وخلقه طيّب، وعمله طيّب، وكلامه طيّب، ومطعمه طيّب، ومشربه طيّب، وملبسه طيّب، ومنكحه طيّب، ومدخله طيّب، ومخرجه طيّب، ومنقلبه طيّب، ومثواه<sup>(٢)</sup> كلّ طيّب. فهذا ممّن قال الله تعالى فيه: ﴿الَّذِينَ نُوفِّئُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] ومن الذين يقول لهم خزنة الجنة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] وهذه الفاء تقتضي السببية، أي: بسبب طيبكم ادخلوها. وقال تعالى: ﴿الْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِينَ﴾ [النور: ٢٦] وقد فسّرت الآية بأنّ الكلمات الخيثات للخيثيين، والكلمات الطيّبات للطيّبين، وفسّرت بأنّ النّساء الطيّبات للرّجال الطيّبين، والنّساء الخيثات للرّجال الخيثيين. وهي تعمّ ذلك وغيره، فالكلمات، والأعمال، والنّساء الطيّبات لمناسبتها من الطيّبين، والكلمات، والأعمال، والنّساء الخيثات لمناسبتها من الخيثيين، فالله ﷻ جعل الطيّب بحذافيره في الجنة، وجعل الخيث بحذافيره في النّار، فجعل الدّور ثلاثة: دارا أخلصت للطيّبين، وهي حرام على غير الطيّبين، وقد جمعت كلّ طيّب وهي الجنة، ودارا أخلصت للخيث والخبائث، ولا يدخلها إلاّ الخيثون وهي النّار، ودارا امتزج فيها الطيّب والخيث وخلط بينهما، وهي هذه الدّار، ولهذا وقع الابتلاء والمحنة بسبب هذا الامتزاج والاختلاط، وذلك بموجب الحكمة الإلهية، فإذا كان يوم معاد الخليقة، ميّز الله الخيث منالطيّب، فجعل الطيّب وأهله في دار

(١) ولين العريكة: أي سلس..

(٢) مثواه: المثوى المنزل. العريكة: الطبيعة.

على حدة لا يخالطهم غيرهم، وجعل الخبيث وأهله في دار على حدة لا يخالطهم غيرهم، فعاد الأمر إلى دارين فقط: الجنة وهي دار الطيبين، والنار، وهي دار الخبيثين، وأنشأ الله تعالى من أعمال الفريقين ثوابهم وعقابهم فجعل طيبات أقوال هؤلاء وأعمالهم وأخلاقهم هي عين نعيمهم ولذاتهم، وأنشأ لهم منها أكمل أسباب النعيم والسرور، وجعل خبيثات أقوال الآخرين وأعمالهم وأخلاقهم هي عين عذابهم وآلامهم، فأنشأ لهم منها أعظم أسباب العقاب والآلام، حكمة بالغة، وعزة باهرة قاهرة، ليري عبادَه كمال رُبوبيّته، وكمال حكّمته وعلمه وعدله ورحمته، وليعلم أعداؤه أنّهم كانوا هم المفترين الكذّابين، لا رسله البررة الصادقون. قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [النحل: ٣٨، ٣٩].

والمقصود أن الله ﷻ جعل للسعادة والشقاوة عنوانا يعرفان به، فالسعيد الطيب لا يليق به إلا طيب، ولا يأتي إلا طيبا ولا يصدر منه إلا طيب، ولا يلبس إلا طيبا، والشقي الخبيث لا يليق به إلا الخبيث، ولا يأتي إلا خبيثا، ولا يصدر منه إلا الخبيث، فالخبيث يتفجر من قلبه الخبيث على لسانه وجوارحه، والطيب يتفجر من قلبه الطيب على لسانه وجوارحه. وقد يكون في الشخص مادّتان، فأيهما غلب عليه كان من أهلها فإن أراد الله به خيرا طهره من المادّة الخبيثة قبل الموافاة. فيوافيه يوم القيامة مطهرا، فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار، فيطهر منها بما يوفقه له من التوبة النصوح، والحسنات الماحية، والمصائب المكفّرة، حتى يلقي الله وما عليه خطيئة، ويمسك عن الآخر موادّ التطهير، فيلقاه يوم القيامة بمادّة خبيثة، ومادّة طيبة وحكمته تعالى تأبى أن يجاوره أحد في داره بخبائثه، فيدخله النار طهرة له وتصفية وسبكا، فإذا خلصت سبيكة إيمانه من الخبيث، صلح حينئذ لجواره، ومساكنة الطيبين من عباده. وإقامة هذا النوع من الناس في النار على حسب سرعة زوال تلك الخبائث منهم وبطئها، فأسرعهم زوالا وتطهيرا أسرعهم خروجا، وأبطؤهم أبطؤهم خروجا، جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد. ولما كان المشرك خبيث العنصر، خبيث الذات، لم تطهر النار خبثه، بل لو خرج منها لعاد خبيثا كما كان كالكلب إذا دخل البحر، ثم خرج منه، فلذلك حرّم - الله تعالى - على المشرك الجنة. ولما كان المؤمن الطيب المطيب مبرّءا من الخبائث، كانت النار حراما عليه؛ إذ ليس فيه ما يقتضي تطهيره بها، فسبحان من بهرت حكمته العقول والألباب، وشهدت فطر عباده وعقولهم بأنّه أحكم الحاكمين، وربّ العالمين، لا إله إلا هو<sup>(١)</sup>.

الفرق بين الطيب والحلال:

قال الكفوي: الحلال: ما أفتاك المفتي أنه حلال.

والطيب: ما أفتاك قلبك أن ليس فيه جناح.

وقيل: الحلال: ما لا يعصى الله فيه، والطيب ما يستلذ من المباح<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الصلاح - الطاعة - القناعة - مجاهدة النفس - محاسبة النفس  
المراقبة - العفة - النزاهة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: أكل الحرام - اتباع الهوى - التطفيف - الربا - الغلول - السرقة الغش.]

\*\*\*

### من فوائد (أكل الطيبات)

- (١) طريق موصل إلى محبة الله وجنته.
  - (٢) سبب لإجابة الدعاء.
  - (٣) البركة في العمر، والنماء في المال.
  - (٤) السعادة في الدنيا، والفوز والنجاة في الآخرة.
  - (٥) يورث حلاوة المقال والفعال.
  - (٦) البركة في الذرية من ثمار الكسب الطيب
  - (٧) كسب الرجل من عمل يده رفعة وكرامة.
- «أيما عبد نبت جسمه من سحت فالنار أولى به».

### الألفة

#### الألفة لغة:

هي الاسم من الائتلاف وكلاهما مأخوذ من مادة (أل ف) التي تدل على انضمام الشيء إلى الشيء، والأشياء الكثيرة أيضا، ومن ذلك الألف لأنه اجتماع المئين، قال الخليل: ألفت الشيء ألفه، والألفة مصدر الائتلاف، وإلفك وإليفك: الذي تألفه، وكل شيء ضممت بعضه إلى بعض فقد ألفتة تأليفا، ويقال: ألفت الشيء إلفا فهو ألفت، وألفتته وأنا مؤلف.

(١) الكليات للكفوي (٢/ ٢٥٣). وقد ذكر في موضع آخر (٣/ ١٦٢) أن الطيب قد يستعمل ويراد به الطاهر والحلال والمستلذ مما يعني أن هناك ترادفا جزئيا بين هذه الألفاظ الثلاثة.

قال أبو زيد: أهل الحجاز يقولون: ألفت المكان والقوم، وألفت غيري أيضا: حملته على أن يألف، وأوالف الطير: التي بمكة وغيرها. ويقال: ألفت الطير موضع كذا، وهنّ مؤلفات لأنّها لا تبرح<sup>(١)</sup>.

ويقال للمألوف: إلف وألف، والمؤلف: ما جمع من أجزاء مختلفة ورتّب ترتيبا قدّم فيه ما حقّه التقديم، وأخر فيه ما حقّه أن يؤخر، وقول الله تعالى: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾ [قريش: ١] مصدر من ألف، والمؤلفة قلوبهم هم الذين يتحرّى فيهم بتفقدهم أن يصيروا من جملة من وصفهم الله بقوله: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِرَبِّكَ قُلُوبَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] وأوالف الطير: ما ألفت الدار، والألف: العدد المخصوص، وسمّي بذلك لكون الأعداد فيه مؤلفة. وألفت الدراهم أي بلغت بها الألف<sup>(٢)</sup>.

وقال الجوهريّ يقال: ألفه يألفه (بالكسر) أعطاه ألفا، وألفت القوم إيلافا، أي كملتهم ألفا، والإلف: الأليف، يقال: حنّت الإلف إلى الإلف، والجمع الأئف، والألاف: جمع ألف، ويقال: فلان قد ألف هذا الموضع (بالكسر) يألفه إلفا (أي اعتاده) وألفه إياه غيره، ويقال أيضا: ألفت الموضع إيلافا وكذلك ألفته مؤلفة وإلافا، ويقال: ألفت بين الشّيئين تأليفا فتألّفا وأتلفا، وتألّفته على الإسلام، ومن هذا المؤلفة قلوبهم، وقول الله تعالى: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾ [١] إلفهم [قريش: ١] معناها: أهلك أصحاب الفيل لأولف قريشا مكة، لتولف قريش رحلة الشتاء والصيف، أي تجمع بينهما<sup>(٣)</sup>.

وقيل الإيلاف: العهد والذّمام، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: قد علمت قريش أن أوّل من أخذ لها الإيلاف لهاشم، قال ابن الأثير: كان هاشم ابن عبد مناف أخذه من الملوك لقريش<sup>(٤)</sup>، وأورد ابن منظور في: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾ ثلاثة أوجه: لإيلاف، وإيلاف، ووجه ثالث لإلف قريش، فمن قرأ لإلافهم وإلفهم فهو من ألف يألف، ومن قرأ لإيلافهم، فهو من ألف يؤلف، يقال: ألف الشّيء وألفه إلفا وإلافا وألفانا: لزمه، وألفه إياه ألزمه، وفلان قد ألف هذا الموضع بالكسر (لا غير)، وقول الله تعالى قال: ﴿وَأَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِرَبِّكَ قُلُوبَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣]،

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (١/ ١٣١) بتصرف يسير.

(٢) المفردات للراغب (٢٠).

(٣) الصحاح للجوهري (٤/ ١٣٣١، ١٣٣٢).

(٤) النهاية (١/ ٦٠).

قال فيها أبو منصور: نزلت في المتحابين في الله، ﴿وَأَمْوَالَهُمْ فَلُوِبُهُمْ﴾ [التوبة: ٦٠] في آية الصدقات قوم من سادات العرب أمر الله تعالى نبيه ﷺ في أول الإسلام بتألفهم؛ أي بمقاربتهم وإعطائهم ليرغبوا من وراءهم في الإسلام، فلا تحملهم الحمية مع ضعف نيّاتهم على أن يكونوا إلبا مع الكفار على المسلمين، وقد نقلهم النبي ﷺ يوم حنين بمائتين من الإبل تألفا لهم<sup>(١)</sup>.

### الألفة اصطلاحاً:

الألفة والإلف: اجتماع مع التّام ومحبّة<sup>(٢)</sup>.

أمّا التّألف: فهو المداراة والإيناس لمن هم حديثو عهد بكفر ليثبتوا على الإسلام رغبة فيما يصل إلى أيديهم من المال<sup>(٣)</sup>.

وقال التّهانوي: الألفة (بالضّم): هي ميلان القلب إلى المألوف<sup>(٤)</sup>.

وقال الجرجاني: الألفة اتّفاق الآراء في المعاونة على تدبير المعاش<sup>(٥)</sup>.

### درجات الألفة:

قال التّهانوي: نقلا عن بعضهم: للألفة خمس درجات:

#### الأولى: النّظر في أفعال الصّانع

ويفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه الواحد

وهذا بمنزلة أن يذكر إنسان بخصاله الحميدة فتعلق مودّته بالقلب.

الثانية: كتمان الحبّ إذ يخفي الأليف حقيقة حاله مهما اعتراه في سبيل ذلك.

الثالثة: مرتبة تمنّي اللّقاء، وفيها لا يعنيه وجود أو هلاك لنفسه.

الرابعة: الإخبار والاستخبار، والأليف في هذا المقام يريد الإخبار والاستخبار عن أحوال مألوفه.

الخامسة: التّضرّع والخشوع للمألوف<sup>(٦)</sup>.

(١) لسان العرب (ألف) (١ / ١٠٨) ط. دار المعارف، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥ / ٣٧٨).

(٢) اقتبسنا هذا التعريف من قول الراغب (المفردات - ٢٠) والإلف اجتماع مع التّام ومنه الألفة (أي ومن هذا المعنى)، أما قيد المحبة فقد أخذناه من قول أبي منصور الأزهري في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بِكَ قُلُوبَهُمْ﴾ حيث قال: إنها نزلت في «المتحابين في الله».

(٣) النهاية لابن الأثير (١ / ٦٠)، ولسان العرب (١ / ١٠٨) ط. دار المعارف.

(٤) كشف اصطلاحات الفنون (١ / ١١٤)، المناوي في التوقيف (٦٠).

(٥) التعريفات (٣٥)، ويحتمل هنا أن يكون هذا التعريف للألفة (بكسر الهمزة) وقد جزم بذلك.

(٦) كشف اصطلاحات الفنون (١ / ١١٤)، ومن الواضح هنا أن الألفة المقصودة لا تكون إلّا مع جناب المولى ﷻ.

## الألفة وصلاح الإنسان:

ذكر الماوردي: أن الألفة الجامعة هي إحدى القواعد المهمة التي يصلح بها حال الإنسان، وذلك أن الإنسان مقصود بالأذية، محسود بالنعمة، فإذا لم يكن ألفا مألوفاً تخطفته أيدي حاسديه، وتحكمت فيه أهواء أعاديته، فلم تسلم له نعمة، ولم تصف له مدّة، فإذا كان ألفاً مألوفاً انتصر بالألفة على أعاديته، وامتنع من حاسديه، فسلمت نعمته منهم، وصفت له مدّته<sup>(١)</sup> عنهم، وإن كان صفو الزمان عسراً وسلمه خطراً<sup>(٢)</sup>.

## الألفة والعلاقات الاجتماعية:

يقول الدكتور علي خليل: هذه الألفة الجامعة بين الأفراد من خواص الجانب الاجتماعي في الشخصية المسلمة باعتبارها تجاذب يشدّ الفعل الاجتماعي المختار، والعلاقات والتفاعلات الاجتماعية بعضها إلى بعض، وهي تؤدي إلى القوة في الترابط والصحة في التوافق، والمتعة في التضام، وهي التي تشدّ بناء الجماعة المسلمة بعضه إلى بعض.

ووظيفتها الاجتماعية مهمة، لأنها داعية إلى التماسك الاجتماعي، واستقرار بنائه، ولها أهميتها الخاصة لكل من الفرد والجماعة لما فيها من داع إلى التناصر والسلامة الاجتماعية، ولما توفره من جو اجتماعي سليم صحيح لنمو الشخصية الاجتماعية، وقد حث النبي ﷺ على الألفة لأنها كما يقول الإمام الماوردي: «تجمع الشمل وتمنع الذل<sup>(٣)</sup>».

## أسباب الألفة ودواعيها:

أسباب الألفة خمسة، وهي: الدين، والنسب، والمصاهرة، والمودة، والبر. فأما الدين: فلائته يبعث على التناصر، ويمنع من التقاطع والتدابير.

وبمثل ذلك وصّى رسول الله ﷺ أصحابه، فروى سفيان عن الزهري عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا. وكونوا عباد الله إخواناً، لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» هذا وإن كان اجتماعهم في الدين يقتضيه، فهو على وجه التحذير من تذكر تراث الجاهلية، وإحـن<sup>(٤)</sup> الضلالة، فقد بعث رسول الله ﷺ والعرب أشدّ تقاطعاً وتعادياً،

(١) المدة هنا بمعنى معيشة الإنسان وأيام حياته.

(٢) أدب الدنيا والدين (١٤٨).

(٣) قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي للدكتور علي خليل مصطفى (٢٩٦-٢٩٧).

(٤) الإحن: جمع إحنة وهي الحقد في الصدر.

وأكثر اختلافًا وتماديًا، حتّى إنّ بنى الأب الواحد كانوا يتفرّقون أحزابًا، فتشور بينهم بالتّحزّب والافتراق أحقاد الأعداء وإحن البعداء، وكانت الأنصار أشدّهم تقاطعا وتعاديا، وكان بين الأوس والخزرج من الاختلاف والتّباین، أكثر من غيرهم، إلى أن أسلموا، فذهبت إحنهم، وانقطعت عداوتهم، وصاروا بالإسلام إخوانا متواصلين، وبألفة الدّین أعوانا متناصرين، قال الله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] يعني أعداء في الجاهليّة فألّف بين قلوبكم بالإسلام، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] يعني: حبًّا، وعلى حسب التّأليف على الدّین تكون العداوة فيه، إذا اختلف أهله، فإنّ الإنسان قد يقطع في الدّین من كان به بارًّا، وعليه مشفقا. هذا أبو عبيدة بن الجراح وقد كانت له المنزلة العالية في الفضل، والأثر المشهور في الإسلام. قتل أباه يوم بدر طاعة لله ﷻ ولرسوله ﷺ، حين بقي على ضلاله، وانهمك في طغيانه، فلم تعطفه عليه رحمة، ولا كفّه عنه شفقة، وهو من أبرّ الأبناء، تغليا للدّین على النّسب، ولطاعة الله تعالى على طاعة الأب. وعلة ذلك أنّ الدّین والاجتماع على العقد الواحد فيه لمّا كان أقوى أسباب الألفة، كان الاختلاف فيه من أقوى أسباب الفرقة.

وأما النّسب: وهو الثّاني من أسباب الألفة، فلأنّ تعاطف الأرحام، وحمية القرابة، يبعثان على التّناصر والألفة. وتمنعان من التّخاذل والفرقة، أنفة من استعلاء الأبعاد على الأقارب، وتوقيا من تسلّط الغرباء الأجانب. ولذلك حفظت العرب أنسابها، لمّا امتنعت عن سلطان يقهرها، ويكفّ الأذى عنها لتكون بها متضافرة على من ناوأها، متناصرة على من شاقّها وعاداها، حتّى بلغت بألفة الأنساب تناصرها على القويّ الأيد، وتحكّمت فيه تحكّم المتسلّط المتشطّط.

وأما المصاهرة: وهي الثّالث من أسباب الألفة، فلأنّها استحداث مواصلة، وتمازج مناسبة، صدرا عن رغبة واختيار، وانعقادا عن خبرة وإيثار، فاجتمع فيها أسباب الألفة، وموادّ المظاهرة، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] يعني بالمودّة المحبّة، وبالرحمة الحنوّ والشفقة، وهما من أوكد أسباب الألفة. وفيها تأويل آخر، قاله الحسن البصريّ رحمه الله: إنّ المودّة النّكاح، والرحمة الولد. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَيْنًا وَحَفْدَةً﴾ [النحل: ٧٢].

ولم تزل العرب تجتذب البعداء، وتتألّف الأعداء بالمصاهرة، حتّى يرجع النّافر مؤانسا، ويصير العدوّ مواليا، وقد يصير للّصّهر بين الاثنيين، ألفة بين القبيلتين، وموالة بين العشيرتين.

حكى عن خالد بن يزيد بن معاوية: أنه قال: كان أبغض خلق الله ﷺ إلي آل الزبير، حتى تزوجت منهم «رملة» فصاروا أحب خلق الله ﷺ إلي.

وأما المؤاخاة بالمودة: وهي الرابع من أسباب الألفة، فلائها تكسب بصادق الود إخلاصا ومصافاة، وتحدث بخلوص المصافاة وفاء ومحاماة، وهذا أعلى مراتب الألفة، ولذلك آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، لتزيد ألفتهم، ويقوى تضافرهم وتناصرهم.

وقيل: إنما سمى الصديق صديقا لصدقه، والعدو عدوا لعدوه عليك<sup>(١)</sup>. وقال ثعلب: إنما سمى الخليل خليلا؛ لأن محبته تتخلل القلب. فلا تدع فيه خللا إلا ملأته.

وأما البر: وهو الخامس من أسباب الألفة: فلائنه يوصل إلى القلوب أطافا، ويثنيها محبة وانعطافا، ولذلك ندب الله تعالى إلى التعاون به، وقرنه بالتقوى له، فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢] لأن له في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس، فقد تمت سعادته وعمت نعمته<sup>(٢)</sup>.

#### أثر الإسلام في التآليف بين الأمم:

ويقول الشيخ ابن عاشور: كان العرب جميعا قبل الإسلام في عداوة وحروب، فالأوس والخزرج كانت بينهم حروب دامت مائة وعشرين سنة قبل الهجرة، كان منها يوم بعاث، والعرب كانوا في حروب وغارات، وجميع الأمم التي دعاها الإسلام كانوا في تفرق وتخاذل، فصار الذين دخلوا في الإسلام إخوانا، أولياء بعضهم لبعض، لا يصددهم عن ذلك اختلاف انساب، ولا تباعد مواطن، ولقد حاول حكماؤهم، وأولو الرأي منهم التآليف بينهم، وإصلاح ذات بينهم، بأفانين الدعاية من خطابة، وجاه وشعر، فلم يصلوا إلى ما ابتغوا حتى ألف الله بين قلوبهم بالإسلام فصاروا بذلك التآليف بمنزلة الإخوان.

وقد امتن الله عليهم بتغيير أحوالهم من أشنع حالة إلى أحسنها: فحالة كانوا عليها هي حالة العداوة والتفاني والتقاتل. وحالة أصبحوا عليها وهي حالة الأخوة ولا يدرك الفرق بين الحاليتين إلا من كانوا في السوأى فأصبحوا في الحسنى، والناس إذا كانوا في حالة بؤس وضنك واعتادوها

(١) عدوه عليك: أي تجاوزه وتعديه.

(٢) أدب الدنيا والدين (١٤٩-١٥٠) بتصرف يسير.

صار الشقاء دأبهم، وذلت له نفوسهم، فلم يشعروا بما هم فيه، ولم يتفطنوا لوخيم عواقبه، حتى إذا هياً لهم الصلاح، وأخذ يتطرق إليهم استفاقوا من شقوتهم. وعلموا حالتهم ولأجل هذا المعنى جمعت الآية ذكر الحالتين وما بينهما فقالت: ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاجتماع - الإخاء الكلم الطيب - البر - التعاون على البر والتقوى - المحبة - حسن الخلق - صلة الرحم - التودد.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: البغض - التفرق - التنازع - القسوة - قطيعة الرحم].

\*\*\*

### من فوائد (الألفة)

- |  |  |
|--|--|
| (١) ألفة الصالحين بشارة.                                   | (٨) داعية إلى التناصر وسلامة المجتمع المسلم.   |
| (٢) تفيد الاجتماع والقوة.                                  | (٩) توفر جواً اجتماعياً سليماً لنمو الإنسان المسلم نمواً سليماً في إطار مبادئ الإسلام. |
| (٣) تحقق الاجتماع على الخير.                               | (١٠) داعية إلى التوحد الاجتماعي ونبذ أسباب الفرقة والمعاداة.                           |
| (٤) دليل البراءة من النفاق.                                | (١١) تشجيع التعاون بين المسلمين، وفي ذلك مدعاة لرضا الله - تعالى - ثم رضا الناس.       |
| (٥) دليل وجود الخير فيمن يألف ويؤلف.                       |  |
| (٦) محبة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين.                          |  |
| (٧) تحقق التماسك الاجتماعي وتشجيع روح المودة بين المسلمين. |  |

### الأمانة

#### الأمانة لغة:

الأمانة مصدر قولهم: أمن يأمن أمانة أي صار أميناً، وهو مأخوذ من مادة (أمن) التي تدلّ

(١) التحرير والتنوير (٤/ ٣٣، ٣٤).

على سكون القلب، ويقال: أمنت الرجل أمانة وأمانة وأماناً وآمنني يؤمنني إيماناً، ورجل أمانة: إذا كان يأمنه الناس ولا يخافون غائلته، وأمنة بالفتح إذا كان يصدّق ما سمع ولا يكذب بشيء، وقال الجوهري: الأمانة: الذي يصدّق بكلّ شيء وكذلك الأمانة مثال الهمزة، واستأمن إليه دخل في أمانه. وقال ابن منظور: الأمان والأمانة بمعنى، والأمانة: ضدّ الخيانة. وقال ابن الأثير: الأمانة جمع أمين، وهو الحافظ. وقوله ﷺ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥] قال أبو إسحاق: أراد ذا أمن، فهو آمن وأمن وأمين.

ورجل أمن وأمين بمعنى واحد.

ويقال: أمنتته على كذا، واتمنتته بمعنى.

وتقول: أؤتمن فلان على ما لم يسمّ فاعله، فإن ابتدأت به صيرت الهمزة الثانية واوا فنقول: أؤتمن. وقال الراغب: والأمن والأمان والأمانة في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة (تجعل الأمانة) اسماً لما يؤمن عليه الإنسان، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَخَوُّنُوا أَمْنَتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧] أي ما اتتمنتم عليه، وقول الله سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] قيل هي كلمة التوحيد وقيل: العدالة، وقيل: حروف التهجي، وقيل: العقل وهو صحيح؛ فإنّ العقل هو الذي لحصوله يتحصّل معرفة التوحيد وتجري العدالة وتعرف حروف التهجي، بل لحصوله تعلّم كلّ ما في طوق البشر تعلّمه، وفعل ما في طوقهم من الجميل فعله، وبه فضّل (الإنسان) على كثير ممّن خلقه<sup>(١)</sup>.

وقال الطبري: اختلف في معنى هذه الآية الكريمة، فقال بعضهم: المعنى أنّ الله تبارك وتعالى عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض والجبال على أنّها إن أحسنت أثبتت وجوزيت، وإن ضيقت عوقبت، فأبت حملها شفقاً منها ألا تقوم بالواجب عليها، وحملها آدم، إنّه كان ظلوماً لنفسه، جهولاً بالذي فيه الحظّ له، وقد استدلّ أبو جعفر على ذلك بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من أنّ الأمانة في الآية الكريمة هي الفرائض التي افترضها الله على عباده، وبما روي عنه أيضاً من قوله (أي ابن عباس) الأمانة: الطاعة عرضها الله عليها أي على السموات والأرض والجبال قبل أن يعرضها على آدم، فلم تطفها، فقال لآدم: يا آدم، إنّي قد عرضت الأمانة على

(١) الصحاح (٥ / ٢٠٧١)، ولسان العرب (١٣ / ٢١، ٢٢) مختصراً. ومفردات الراغب (٢٩)، ومقاييس اللغة (١ / ١٣٣).

السَّموات والأرض والجبال فلم تطقها، فهل أنت آخذها بما فيها؟ فقال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت فأخذها آدم فتحملها»<sup>(١)</sup>، قال الطبري: وقال آخرون: عني بالأمانة في هذا الموضع أمانات الناس، وذهب فريق ثالث إلى أن المراد بالأمانة هنا ائتمان آدم عليه الصلاة والسلام ابنه قابيل على أهله وولده<sup>(٢)</sup>، وأولى هذه الأقوال بالصواب ما قاله الذين قالوا إنه عني بالأمانة في هذا الموضع جميع معاني الأمانات في الدين، وأمانات الناس، وذلك أن الله ﷻ لم يخص بقوله «عرضنا الأمانة» بعض معاني الأمانات دون بعض<sup>(٣)</sup>.

وقال القرطبي: «الأمانة تعم جميع وظائف الدين، ونسب هذا القول لجمهور المفسرين، فالأمانة هي الفرائض التي اتتمن الله عليها العباد، واختلف في تفاصيل بعضها على أقوال: فقيل هي أمانات الأموال كالودائع وغيرها وقيل: في كل الفرائض، وأشدّها أمانة المال، وقيل: من الأمانة أن اتتمنت المرأة على فرجها، وقال بعضهم: غسل الجنابة أمانة، وقيل: الأمانة هي الصلاة (إن شئت قلت: صليت، وإن شئت قلت: لم أصل)، وكذلك الصيام وغسل الجنابة، وعلى ذلك فالفرج أمانة<sup>(٤)</sup>، والأذن أمانة، والعين أمانة، واللسان أمانة، والبطن أمانة واليد أمانة، والرجل أمانة، قال: «ولا إيمان لمن لا أمانة له»<sup>(٥)</sup>، وقيل: هذه الأمانة هي ما أودعه الله تعالى في السموات والأرض والجبال والخلق من الدلائل على ربوبيته أن يظهرها فأظهرها إلا الإنسان فإنه كتّمها وجحدّها، والمراد بالإنسان على ذلك هو الكافر والمنافق<sup>(٦)</sup>.

أما ما جاء في الحديث: «المؤذن مؤتمن»، أراد به: مؤتمن القوم الذي يثقون إليه، ويتخذونه أمينا حافظا. والأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوداعة والثقة والأمان. ويقال: رجل أمين وأمان أي له دين. وقيل: مأمون به ثقة. قال الأعشى:

ولقد شهدت التاجرال      أمّان مورودا شرابه

(١) تفسير الطبري المجلد العاشر ح ٢٢ ص ٣٨، ٣٩.

(٢) ذكر القرطبي أن الحكيم الترمذي قد اعترض على هذا الرأي، وتعجب من قائله لأن الآثار وظاهر النص وباطنه، كل ذلك يتعارض معه تعارضا واضحا، قلت: والأمر كما قال. انظر تفسير القرطبي ١٤ / ٢٥٦.

(٣) المرجع السابق (ص ٤٩).

(٤) أي حفظ الفرج.

(٥) أي لمن لم يحفظ هذه الأمانات التي استودعها الله إياه.

(٦) انظر هذه الآراء وغيرها في تفسير القرطبي ١٤ / ٢٥٣ - ٢٥٨.

والتاجر الأمان بالصِّمِّ والتَّشديد: هو الأمين<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الأنباري: والأمين من حروف الأضداد، يقال: فلان أمين، أي مؤتمن، وفلان أميني، أي مؤتمني الذي أأتمنه على أمري، قال الشاعر:  
ألم تعلمي يا أَسْمَ ويحك أنني حلفت يميناً لا أخون أميني  
أي مؤتمني<sup>(٢)</sup>.

#### واصطلاحاً:

قال الكفوي: الأمانة: كل ما افترض الله على العباد فهو أمانة كالصلاة والزكاة والصيام وأداء الدين، وأوكدها الودائع، وأوكده الودائع كتم الأسرار، وقال في موضع آخر: كل ما يؤتمن عليه من أموال وحرَم وأسرار فهو أمانة<sup>(٣)</sup>.

وقيل: هي خلق ثابت في النفس يعفّ به الإنسان عمّا ليس له به حقّ، وإن تهيّأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس، ويؤدّي به ما عليه أو لديه من حقّ لغيره، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس.

وهي أحد الفروع الخلقية لحبّ الحقّ وإيثاره وهي ضدّ الخيانة. وقد ظهر من تعريف الأمانة أنّها تشتمل على ثلاثة عناصر.  
الأوّل: عفة الأمين عمّا ليس له به حقّ.

الثاني: تأدية الأمين ما يجب عليه من حقّ لغيره.

الثالث: اهتمام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه، وعدم التفريط بها والتهاون بشأنها<sup>(٤)</sup>. أي بالأمانة.

#### أمانة الرسل:

والأمانة من أبرز أخلاق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فنوح وهود وصالح ولوط

وشعيب - في سورة الشعراء - يخبرنا الله ﷻ أنّ كل رسول من هؤلاء قد قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

(١) النهاية في غريب الحديث ١ / ٧١ ولسان العرب ١٣ / ٢٢.

(٢) الأضداد (٢٤).

(٣) الكليات للكفوي (١٧٦، ١٨٦) بتصرف يسير.

(٤) الأخلاق الإسلامية وأسسها (١ / ٦٤٦ - ٦٤٧).

ورسولنا محمد ﷺ قد كان في قومه قبل الرسالة وبعدها مشهورا بينهم بأنه الأمين. وكان الناس يختارونه لحفظ ودائعهم عنده. ولما هاجر ﷺ وكلّ علي بن أبي طالب بردّ الودائع إلى أصحابها.

وجبريل عليه السلام أمين الوحي، وقد وصفه الله بذلك في قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤].

### مجالات الأمانة:

والمجالات التي تدخل فيها الأمانة كثيرة منها:

الدين والأعراض والأموال والأجسام والأرواح والمعارف والعلوم والولاية والوصاية والشهادة والقضاء والكتابة ونقل الحديث والأسرار والرسالات والسمع والبصر وسائر الحواس، ولكل واحدة من التفصيل ما يناسبها<sup>(١)</sup>.

### الأمانة والتكليف:

قال النيسابوري: الأمانة هي الطاعة وهي التكليف، ثم ذكر أنّ التكليف هو الأمر بخلاف ما في الطبيعة<sup>(٢)</sup>، وهذا النوع ليس في السموات والأرض والجبال، لأنّ السموات لا يطلب منها الهبوط، والأرض لا يطلب منها الصعود ولا الحركة، والجبال لا يطلب منها السير، وكذا الملائكة مهتمون بالتسبيح والتتدیس، (وإنما في الإنسان وحده)، وسمي التكليف أمانة لأنّ من قصر فيه فعليه الغرامة ومن أذاه فله الكرامة، وعرض الأمانة بهذا المعنى على هذه الأجرام وإياؤها من حملها هو لعدم صلوحها لهذا الأمر، وقد خصّ بعضهم التكليف بقول: « لا إله إلا الله ﷻ»، قال النيسابوري: والأظهر عندي أنّ الأمانة هي الاستعداد الذي جبل كلّ نوع من المخلوقات عليه، وحمل الأمانة عبارة عن عدم أداء حقّها، كما يقال: فلان ركب عليه الدين، فكّل من أخرج ما في قوته إلى الفعل فهو مؤدّ للأمانة وقاض حقّها، وإلا فهو حامل لها، ولا ريب أنّ السموات مسخّرات بأمر الله كلّ يجري لأجل مسمي، والأرض ثابتة في مستقرّها، والجبال راسخة في أمكنتها، وهكذا كلّ نوع إلا الإنسان، فإنّ كثيرا من الأشخاص، بل أكثرها مائلة إلى أسفل سافلين، فلا جرم إن لم يقض حقّ الأمانة وانحطّ إلى رتبة الأنعام، فوصف بالظلمية لأنّه صرف الاستعداد في غير ما خلق لأجله، وبالجهولية لأنّه جهل عاقبة إفساد الاستعداد، أو علم ولم يعمل بعلمه،

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها (١/ ٦٤٦، ٦٤٧).

(٢) المراد بذلك: الأمر بما فيه حرية واختيار للمخلوق بخلاف ما يكون في طبيعة المخلوقات من إحداث أمور لا اختيار لها فيها.

فنفي عنه العلم لا تنفء ثمرته، وعلى ذلك فالمراد بالإنسان هو الآدميون، وحمل الشيء على بعض الجنس يكفي في صدقه على الجنس كله<sup>(١)</sup>.

لقد ذكر كثير من المفسرين ما يؤيد أن الأمانة هي التكليف عند ما قال: إن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه فأبى محمله، وحملها الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته، قال أبو حيان: أي أن الإنسان لم يكن حاله - فيما يصح منه من الانقياد لأمر الله ونواهيه، وهو حيوان صالح للتكليف - مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد<sup>(٢)</sup>، وقال ابن كثير: ما قيل في الآية الكريمة من الأقوال العديدة لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عوقب<sup>(٣)</sup>.

### الأمانة في القرآن الكريم:

ذكر ابن الجوزي - نقلا عن بعض المفسرين أن الأمانة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

أحدها: الفرائض ومنه قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مَخُونُوا لِلرَّسُولِ وَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ﴾ [الأفال: ٢٧].

الثاني: الوديعه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

الثالث: العفة (والصيانة)، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإيمان - إقامة الشهادة - الاستقامة - النزاهة - التبليغ - الصدق - كتمان السر - العفة - المسؤولية - الورع.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الخيانة - إفشاء السر - التهاون - شهادة الزور - التطفيف - الغلول التنصل من المسؤولية - الكذب - نقض العهد].

(١) تفسير النيسابوري (بهامش الطبري) مجلد ١٠ ح ٢٢ ص ٣٤، ٣٥.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٧ / ٢٤٤ (باختصار وتصرف).

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٥٣٠، وتجدر الإشارة إلى أن ابن كثير قد سبق الأستاذ العقاد بهذا الرأي وهو أن المراد بالأمانة هو التكليف وأن من لم يذكر ذلك من المفسرين بنصه ذكره بمقتضياته ومتعلقاته انظر: الإنسان في القرآن ص ٤٢.

(٤) نزهة الأعين النواظر (١ / ١٠٥، ١٠٦)، وقد أضفنا إلى الوجه الثالث لفظ (والصيانة) نقلا عن الفيروزابادي في البصائر (٢ / ١٥٣) ولم يذكر (الفيروزابادي) سوى الوجهين الأول والثالث.

## من فوائد (الأمانة)

- (١) الأمانة من كمال الإيمان وحسن الإسلام. (٥) الأمين يحبه الله ويحبه الناس.
- (٢) يقوم عليها أمر السموات والأرض. (٦) من أعظم الصفات الخلقية التي وصف الله بها عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨، والمعارف: ٣٢].
- (٣) هي محور الدين وامتحان رب العالمين.
- (٤) بالأمانة يحفظ الدين والأعراض والأموال والأجسام والأرواح والمعارف والعلوم والولاية والوصاية والشهادة والقضاء والكتابة...
- (٧) مجتمع تفسو فيه الأمانة مجتمع خير وبركة.

## الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

## المعروف لغة:

المعروف: كالعرف وهو ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه، وقوله تعالى: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ٥] أي مصاحباً معروفاً، قال الزجاج: المعروف هنا ما يستحسن من الأفعال.

وقوله ﷺ: ﴿وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١] قال بعض المفسرين فيها: إنها (الملائكة) أرسلت بالعرف والإحسان، وقيل: هو مستعار من عرف الفرس أي يتتابعون كعرف الفرس.

والعرف، والمعروف واحد ضد النكر. وقد تكرر ذكر المعروف في الحديث، وهو من الصفات الغالبة أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه. والمعروف: النصفة وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس، والمنكر ضد ذلك جميعه<sup>(١)</sup>.

## المنكر لغة:

النكر والنكراء: الدهاء والفتنة. ورجل نكّر ونكّر ونكّر من قوم مناكير: داه فطن. وامرأة نكراء، ورجل منكر داه، والإنكار: الجحود. والنكرة: إنكارك الشيء، وهو نقيض المعرفة.

(١) الصحاح للجوهري (٢/ ٨٣٧). ولسان العرب لابن منظور (٩/ ٢٣٩، ٢٤١).

قال ابن سيده: والصَّحِيحُ أَنَّ الْإِنْكَارَ الْمَصْدَرُ وَالنَّكَرُ الْأَسْمُ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠].

والإنكار: الاستفهام عما ينكره. والاستنكار: استفهامك أمرا تنكره. والمنكر من الأمر: خلاف المعروف، وقد تكرر في الحديث الإنكار والمنكر، وهو ضدّ المعروف، وكلّ ما قبّحه الشّرع وحرّمه وكرهه، فهو منكر، واستنكره فهو مستنكر، والجمع مناكير. والتّكبير والإنكار: تغيير المنكر<sup>(١)</sup>.

#### المعروف اصطلاحاً:

اسم جامع لكلّ ما عرف من طاعة الله والتّقرّب إليه، والإحسان إلى النّاس، وكلّ ما ندب إليه الشّرع، ونهى عنه من المحسّنات والمقبّحات.

#### والمنكر اصطلاحاً:

كلّ ما قبّحه الشّرع وحرّمه ونهى عنه<sup>(٢)</sup>.

#### الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الأمر بالمعروف: هو الإرشاد إلى المرشد المنجّية. والنّهي عن المنكر: الزّجر عمّا لا يلائم في الشّريعة. وقيل: الأمر بالمعروف الدّلالة على الخير. والنّهي عن المنكر: المنع عن الشّرّ. وقيل: الأمر بالمعروف: أمر بما يوافق الكتاب والسّنة. والنّهي عن المنكر: نهي عمّا تميل إليه النّفس والشّهوة. وقيل: الأمر بالمعروف: الإشارة إلى ما يرضي الله تعالى من أقوال العبد وأفعاله. والنّهي عن المنكر: تقييد ما تنفّر عنه الشّريعة والعقّة وهو ما لا يجوز في شرع الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

#### منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال النووي رحمته الله: اعلم أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر قد ضيّع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلّا رسوم قليلة جدّاً، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عمّ العقاب الصّالح والطّالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظّالم أو شك أن يعمّه الله

(١) لسان العرب ٥ / ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٢) المرجع السابق (٢٣٣).

(٣) التعريفات (٣٧).

تعالى بعقابه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].  
 فينبغي لطالب الآخرة، والساعي في تحصيل رضا الله ﷻ أن يعتني بهذا الباب؛ فإن نفعه عظيم لا سيما وقد ذهب معظمه، وعلى الأمر بالمعروف أن يخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته لأن الله تعالى قال: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مِنْ نَصْرِهِ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْصُرْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [٢] ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿ [العنكبوت: ٢، ٣] واعلم أن الأجر على قدر النصب ولا يتركه أيضا لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجهة عنده ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقا، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان، ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه. وإنما كان إبليس عدوا لنا لهذا، وكانت الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها، ونسأل الله الكريم توفيقنا وتوفيق أحبائنا وسائر المسلمين لمرضاته. وينبغي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يرفق ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، فقد قال الإمام الشافعي رحمته: «من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه»<sup>(١)</sup>، ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم الكل ممن تمكن منه بلا عذر ولا خوف. ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو أو لا يتمكن من إزالته إلا هو وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف. قال العلماء - رحمهم الله -: «لا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه عليه الأمر والنهي لا القبول، وكما قال الله ﷻ: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ﴾ [المائدة: ٩٩] ومثل العلماء هذا بمن يرى إنسانا في الحمام أو غيره مكشوف بعض العورة ونحو ذلك، قال العلماء: لا يشترط في الأمر والنهي أن يكون كامل الحال ممثلا ما يأمر به مجتنب ما ينهى عنه بل عليه الأمر، وإن كان مخلا بما يأمر به، والنهي وإن كان متلبسا بما ينهى عنه، فإنه يجب عليه شيئا: أن يأمر نفسه

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٢٤).

وبنهاها، ويأمر غيره وينهاها، فإذا أخلّ بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر. قال العلماء: ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات؛ بل ذلك جائز لأحد المسلمين.

قال إمام الحرمين: والدليل عليه إجماع المسلمين، فإنّ غير الولاية في الصدر الأوّل، والعصر الذي يليه كانوا يأمرون الولاية بالمعروف وينهونهم عن المنكر مع تقرير المسلمين إياهم وترك توبيخهم على التّشاغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير ولاية. ثمّ إنّها أمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشّيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرّمات المشهورة كالصلاة والصيام والزّنا والخمر ونحوها، فكلّ المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال ومما يتعلّق بالاجتهاد لم يكن للعوامّ مدخل فيه ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء، ثمّ العلماء إنّما ينكرون ما أجمع عليه، أمّا المختلف فيه فلا إنكار فيه<sup>(١)</sup>.

### القطب الأعظم في الدين:

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: «إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهمّ الذي ابتعث الله له النبيّين أجمعين، ولو طوي بساطه، وأهمل علمه وعمله لتعطّلت النبوّة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة<sup>(٢)</sup>، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلّا يوم التّناد، وقد كان الذي خفنا، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحى بالكليّة حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مدهانة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في أتباع الهوى والشّهوات استرسال البهائم، وعزّ<sup>(٣)</sup> على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم، فمن سعى في تلافي هذه الفترة، وسدّ هذه الثّلمة إمّا متكفلاً بعملها أو متقلداً لتفنيدها مجدداً لهذه السنّة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشمرّاً في إحيائها كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنّة أفضى الزّمان إلى إمامتها، ومستبداً بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإرشاد- الإنذار- التبليغ- التذكير- التعاون على البر والتقوى-

الدعوة إلى الله- النصيحة- الوعظ.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٢٣).

(٢) الفترة: هي السكون بعد الحدة، والهدوء بعد الشدّة.

(٣) عزّ: قلّ.

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٣٠٦).

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف - الغي والإغواء -  
الفسوق - التهاون].

\*\*\*

### من فوائد (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

- (١) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.  
يحرس آداب الأمة وفضائلها وأخلاقها  
(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام  
وحقوقها ويجعل لها شخصية وسلطانا  
هو أقوى من القوة وأنفذ من القانون.  
وأمن الحياة وضمان سعادة الفرد  
والمجتمع.  
(٣) يثبت معاني الخير والصلاح في الأمة.  
(٤) يزيل عوامل الشر والفساد من حياتها  
ويقضي عليها أولا فأولا حتى تسلم الأمة  
وتسعد.  
(٥) يهيء الجو الصالح الذي تنمو فيه الآداب  
والفضائل وتختفي فيه المنكرات  
والرذائل ويتربى في ظله الضمير العفيف  
والوجدان اليقظ.  
(٦) يكون الرأي العام المسلم الحر الذي  
(٧) يبعث الإحساس بمعنى الأخوة والتكافل  
والتعاون على البر والتقوى واهتمام  
المسلمين بعضهم ببعض.  
(٨) هو سبب النجاة في الدنيا والآخرة.  
(٩) هو سرّ أفضلية هذه الأمة. لقوله تعالى:  
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ  
بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ  
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].  
(١٠) هو سبب للنصر والتمكين في الدنيا.

### الإنبابة

#### الإنبابة لغة:

تدور مادة (ن وب) حول الرجوع. يقول ابن فارس «النون والواو والباء كلمة واحدة تدلّ  
على اعتياد مكان ورجوع إليه»<sup>(١)</sup>. تقول «أناب فلان إلى الشيء، رجع إليه مرّة بعد أخرى، وإلى الله

(١) مقاييس اللغة (٥ / ٣٦٧).

تاب ورجع<sup>(١)</sup>. وقال الراغب «الإنباء إلى الله تعالى: الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل»<sup>(٢)</sup>. وفي التنزيل العزيز: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم: ٣١] أي راجعين إلى ما أمر به، غير خارجين عن شيء من أمره. وقوله ﷻ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤] أي توبوا إليه وارجعوا. وقال الجوهرى: «أناب إلى الله أي أقبل وتاب».

وقال ابن الأثير: يقال أناب ينيب إنابة، فهو منيب، إذا أقبل ورجع، وفي حديث الدعاء: «وإليك أنيب»<sup>(٣)</sup>.

#### واصطلاحاً:

الإنباء: إخراج القلب من ظلمات الشبهات. وقيل: الإنباء: الرجوع من الكل إلى من له الكل.

وقيل: الإنباء: الرجوع من الغفلة إلى الذكر، ومن الوحشة إلى الأناج.

وقال الكفوي: الإنباء: الرجوع عن كل شيء إلى الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن القيم: الإنباء: الإسراع إلى مرضاة الله مع الرجوع إليه في كل وقت، وإخلاص العمل له<sup>(٥)</sup>.

#### أنواع الإنباء:

الإنباء إنباتان: إنباء لربوبيته. وهي إنباء المخلوقات كلها. يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم: ٣٣]. فهذا عام في حق كل داع أصابه ضرر. كما هو الواقع. وهذه «الإنباء» لا تستلزم الإسلام، بل تجامع الشرك والكفر. كما قال تعالى في حق هؤلاء: ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَاهُمْ﴾ [الروم: ٣٣-٣٤]. فهذا حالهم بعد إنباتهم.

والإنباء الثانية: إنباء أوليائه. وهي إنباء لإلهيته إنباء عبودية ومحبة، وهي تتضمن أربعة أمور:

(١) المعجم الوسيط (٢ / ٩٦١).

(٢) المفردات (نوب) (٥٠٨).

(٣) انظر: الصحاح، للجوهري (١ / ٢٢٩)، والنهاية، لابن الأثير (٥ / ١٢٣)، ولسان العرب، لابن منظور (١ / ٧٧٥).

(٤) التعريفات (٣٩)، والكلية للكفوي (٣٠٨).

(٥) مدارج السالكين، لابن القيم (١ / ٤٦٧) بتصرف.

محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه. فلا يستحق اسم «المنيب» إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع. وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك<sup>(١)</sup>.

### منزلة الإنابة:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «من نزل في منزل التوبة، وقام في مقامها نزل في جميع منازل الإسلام، فإذا استقرت قدمه في منزل التوبة نزل بعده في منزل الإنابة، وقد أمر الله تعالى بها في كتابه، وأثنى على خليله بها، فقال: ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٤] وقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنتَبِئٌ﴾ [هود: ٧٥]. وأخبر أن آياته إنما يتبصر بها ويتذكر، أهل الإنابة. فقال: ﴿أَفَأَمْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ إلى أن قال ﴿تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنتَبِئٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣]، كما أخبر تعالى أن ثوابه وجنته لأهل الخشية والإنابة. فقال: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [٣١] هَذَا مَا نُوعِدُونَ لِكُلِّ آوَابٍ حَفِيظٍ [٣٢] مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنتَبِئٍ [٣٣] أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ [٣٤-٣١]، وأخبر سبحانه أن البشرية منه، إنما هي لأهل الإنابة فقال: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَىٰ اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ [الزمر: ١٧]<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة انظر صفات: الإخبات - التوبة الخشوع - الخشية - الدعاء - الضراعة والتضرع - القنوت. وفي ضد ذلك، انظر صفات: الإعراض - الإصرار على الذنب - الغفلة - الكبر والعجب - الغفلة].

\*\*\*

### من فوائد (الإنابة)

- (١) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- (٢) دليل على سلامة النية وحسن الطوية.
- (٣) بشارة الله للمنيبين وهدايته لهم.
- (٤) معلم على صلاح العبد وقربه من ربه.
- (٥) دليل على حسن ظن العبد بربه.
- (٦) طريق موصل إلى الجنة.
- (٧) المنيب يُرزق خشية الله.

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٤٦٧) بتصرف.

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٤٦، ٤٦٧).

## الإنذار

## الإنذار لغة:

مصدر قولهم أنذر ينذر، وهو مأخوذ من مادة (ن ذ ر) التي تدلّ - كما يقول ابن فارس - على التخويف أو التّخوّف، قال: ومنه الإنذار أي الإبلاغ، ولا يكاد يكون إلّا في التّخويف، وتناذر القوم خوّف بعضهم بعضاً، ومنه أيضاً النّذر<sup>(١)</sup>، ووجه تسميته بذلك أنّ صاحبه يخاف إذا أخلف<sup>(٢)</sup>.

وقال الرّاعب: الإنذار إخبار فيه تخويف كما أنّ التّبشير إخبار فيه سرور، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤] والنّذير: المنذر ويقع على كلّ شيء فيه إنذار إنساناً كان أو غيره قال تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الدّاريات: ٥٠]<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن الأثير: أصل الإنذار الإعلام، يقال:

أنذرته أنذره إنذاراً إذا أعلمته، فأنا منذر ونذير أي معلم ومخوّف ومحدّر، ويقال نذرت به إذا علمته ومنه الحديث: كلّما عرف أن قد نذروا به هرب.. أي علموا وأحسّوا مكانه، أمّا قوله «أنذر القوم» فمعناه: احذر منهم واستعدّ لهم وكن منهم على علم وحذر<sup>(٤)</sup>.

وقال الفيروز ابادي: النّذيرة من الجيش: طليعتهم الذي ينذرهم أمر عدوّهم، ونذر بالشّيء كفرح، علمه فحذره، وأنذره بالأمر إنذاراً ونذراً، ويضمّ (نذراً)، وبضمّتين (نذراً)، ونذيراً: أعلمه وحذره وخوّفه في إبلاغه، والاسم من ذلك: النّذرى بالضمّ والنّذر (بضمّتين)، ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القمر: ١٦] أي إنذاري، والنّذير: الإنذار، كالنّذارة، (بالكسر) وهذه عن الإمام الشّافعي<sup>(٥)</sup> والمنذر (وجمعه نذر): صوت القوس، والرّسول، والشّيب، والنّبيّ ﷺ<sup>(٦)</sup>

(١) النّذر (بفتح فسكون) أن توجب على نفسك ما ليس بواجب (بصائر ذوي التمييز ٥ / ٢٤).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٥ / ٥١٤) بتصرف يسير.

(٣) المفردات للراغب (٧٤٢) تحقيق محمد أحمد خلف.

(٤) النهاية لابن الأثير (٥ / ٣٩).

(٥) أي أنّها وردت بهذا المعنى في كلام الشّافعي رحمه الله.

(٦) القاموس المحيط (نذر) (٦١٩) ط: بيروت.

ونذير القوم طليعتهم الذي يندرهم العدو، وتناذروه (أي الأمر) خوِّف منه بعضهم بعضاً، ومنه قول النابغة: تناذرها الرّاقون من سوء سمّها<sup>(١)</sup>.

ومنه أيضاً: قول الخنساء:

يا صخر ورّاد ماء قد تناذره أهل الموارد ما في ورده عار

وفهم من كلام الفيروز ابادي وغيره أنّ الفعل «تناذر» يستعمل متعدّياً بنفسه كما في بيتي النابغة والخنساء، وقد يستعمل لازماً كما في قولهم: «تناذر القوم» أي أنذر بعضهم بعضاً، أمّا الفعل: أنذر فإنّه يتعدّى إلى مفعوليه إمّا بالباء كما في قولهم: أنذرتهم به، أو بنفسه كما في قولهم: أنذرتهم إياه، وأمّا الثلاثي نذر فإنّه لا يتعدّى إلاّ بالباء الجارّة كقولهم: نذر القوم بالعدو<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن منظور: يقال: نذر بالشّيء وبالعدو: علمه فحذره، وأنذره بالأمر إنذاراً (المصدر)،

ونذرا (اسم المصدر)، ونذيرا (اسم مصدر أيضاً)، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ [الملك: ١٧] معناه فكيف كان إنذارى<sup>(٣)</sup>.

وقول الله عزّ من قائل: ﴿عُدْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات: ٦] قرئت: «عذرا أو نذرا» قال الزّجاج معناها المصدر وقد انتصبا على المفعول له (لأجله)، والمعنى فالملقى ذكر الإيعاز أو الإنذار.. والنذير: المحذّر، فعيل بمعنى مفعول، والجمع نذر، وقول الله ﷻ: ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]، قال ثعلب: هو الرّسول ﷺ، وقال أهل التّفسير<sup>(٤)</sup>: يعني النّبّي، كما قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وقال بعضهم: النذير هنا الشّيب ورجّح

(١) بصائر ذوي التمييز (٥ / ٣٤).

(٢) انظر القاموس المحيط (٦١٩) ط. بيروت.

(٣) قال أبو حيان: النذير: الإنذار، وقد أثبت ورش ياء نذيري ونكيري وحذفها باقي السبعة، واستشهد على استعمال النذير في معنى الإنذار بقول حسان ﷻ:

فأنذرت مثلها نصحا قريشا من الرّحمن إن قبلت نذيرا

البحر المحيط (٨ / ٢٩٦).

(٤) قال القرطبي: النذير معناها الإنذار وقد اختلف فيه فقيل: القرآن وقيل: الرّسول، وقيل: الشّيب، وقيل: الحمى، وقيل: موت الأصل والأقارب وقيل كمال العقل، (تفسير القرطبي ١٤ / ٣٥٣) (وانظر نصه كاملا في الآثار). وقال ابن كثير: روي عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما في هذه الآية: النذير الشّيب، وقال ابن أسلم: رسول الله ﷺ وعن قتادة قوله: احتجّ عليهم بالعمر والرّسل (تفسير ابن كثير ٣ / ٥٦٧).

الأزهريّ الرّأي الأوّل، ويقال: أنذرت القوم سير العدو إليهم فنذروا أي أعلمتهم ذلك فعلموا وتحرّزوا<sup>(١)</sup>. ومن أمثال العرب: «قد أعذر من أنذر» أي من أعلمك أنّه يعاقبك على المكروه منك فيما يستقبل، ثمّ أتيت المكروه فعاقبك فقد جعل لنفسه عذرا يكفّ به لائمة الناس عنه، والعرب تقول: عذراك لانذراك، أي أعذر ولا تنذر- والنّذير العريان رجل من خثعم<sup>(٢)</sup>، حمل عليه يوم ذي الخلصة عوف بن عامر فقطع يده ويد امرأته، وقيل: هو الزبير بن عمرو الخثعميّ وكان ناكحا في بني زبيد، فأرادت بنو زبيد أن يغيروا على خثعم فخافوا أن ينذر قومه فألقوا عليه براذع وأهداما واحتفظوا به فصادف غرّة ففلت منهم وأتى قومه فقال:

أنا المنذر العريان ينبذ ثوبه إذا الصدق لا ينبذ لك الثوب كاذب  
ومن أمثالهم: أنا النّذير العريان وإنّما قالوا ذلك لأنّ الرّجل إذا رأى الغارة قد فجئتهم وأراد إنذار قومه.

تجرّد من ثيابه وأشار بها ليعلم ذلك، ثمّ صار مثالا لكلّ شيء تخاف مفاجأته<sup>(٣)</sup>. وقال الزبيديّ: أو هو كلّ منذر بحق<sup>(٤)</sup>، وفي الحديث كان ﷺ إذا خطب احمرّت عيناه، وعلا صوته واشتدّ غضبه، كأنه منذر جيش يقول: صبّحكم ومساكم، المنذر هو المعلم الذي يعرف القوم بما يكون قد دهمهم من عدوّ أو غيره وهو المخوف أيضا<sup>(٥)</sup>.

### الإندار اصطلاحاً:

قال ابن المناويّ: الإندار: هو الإعلام بما يحذر، ولا يكاد يكون إلّا في تخويف يسع زمانه الاحتراز (منه)، فإن لم يسع كان إشعاراً<sup>(٦)</sup>. وقال الكفويّ: الإندار: هو إبلاغ الأمر المخوف منه، والتّهديد (به)، والتّخويف منه، قال: وذكر الوعيد مع الإندار واجب لا مع التّهديد<sup>(٧)</sup>.

(١) المراد أنّ صيغة فعل تستعمل مطاوعاً لصيغة أفعال.

(٢) خثعم قبيلة من قبائل العرب، وزبيد كذلك.

(٣) لسان العرب (نذر) (٥/ ٢٠٠-٢٠٣) ط. بيروت. بتصرف واختصار.

(٤) تاج العروس (١٤/ ٢٠١) ط. الكويت.

(٥) المرجعان السابقان (نذر).

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف (٦٤).

(٧) الكليات للكفوي (١/ ٣٣٨).

[للاستزادة: انظر صفات: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - الإرشاد. التبشير - التذكير - الدعوة إلى الله - الصدق - الوعظ - التبليغ.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض - الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف - الإهمال - التفريط والإفراط - التهاون].

\*\*\*

### من فوائد (الإنذار)

- (١) الإنذار يبريء ساحة المنذر من المسؤولية (٨) في الإنذار انقطاع عذر الكفار والمنافقين تجاه الآخرين. وإقامة الحجّة عليهم.
- (٢) قبول الإنذار دليل على خشية المنذر (٩) في اقتران الإنذار بالبشارة في كثير من آي الذكر الحكيم والأحاديث الشريفة دليل واتباعه الذكر.
- (٣) قبول الإنذار فيه بشارة بدخول الجنة.
- (٤) قبول الإنذار يؤذن بمغفرة الذنوب ووعد بالأجر والثواب.
- (٥) الإنذار فيه اقتداء برسول الله ﷺ.
- (٦) المنذر مؤتمن على قومه حريص عليهم.
- (٧) في إنذار الرسول ﷺ الأمة دليل على كمال شفقتة ورحمته بالأمة.
- (١٠) للإنذار وسائل عديدة فقد يكون بيوم الأزفة أو بالحسرة في القيامة وقد يكون بالقرآن أو بالشيب في الدنيا.

### الإنصاف

#### الإنصاف لغة:

مصدر قولهم: أنصف ينصف، وهو مأخوذ من مادة «ن ص ف» التي تدلّ على معنيين: أحدهما: شطر الشيء، والآخر: على جنس من الخدمة والاستعمال، فالأول: نصف الشيء

ونصفه شطره، وفي الحديث: «ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه». ومن ذلك الإنصاف في المعاملة، وكأنه الرضا بالنصف، والنصف: الإنصاف أيضا<sup>(١)</sup>.

والنصف أحد شقي الشيء، والنصف أيضا: النصفة، وهي الاسم من الإنصاف، قال الفرزدق:  
ولكنّ نصفا لو سببت وسبني بنو عبد شمس من مناف وهاشم  
يقال: أنصف النهار: أي انتصف، وأنصف (الشخص) إذا عدل، ويقال: أنصفه من نفسه،  
وانتصفت أنا منه، وتناصف القوم: أي أنصف بعضهم بعضا من نفسه<sup>(٢)</sup>. وقيل: إذا تعاطوا الحق  
بينهم<sup>(٣)</sup>. وأنصفت الرجل إنصافا: عاملته بالعدل والقسط<sup>(٤)</sup>. وقيل: إذا أعطيته الحق<sup>(٥)</sup>.

وقال الفيروز ابادي: يقال: نصفهم ينصفهم وينصفهم نصافا ونصافة إذا خدمهم، والنصف  
والنصفة: الاسم من الإنصاف، أي العدل، وتناصفوا:  
أنصف بعضهم بعضا، قال ابن هرمة:

من ذا رسول ناصح فمباغ عني عليه غير قيل الكاذب  
أنتى غرضت إلى تناصف وجهها غرض المحب إلى الحبيب الغائب  
يعني استواء المحاسن كأنّ بعض أجزاء الوجه أنصف بعضها في أخذ قسطه من الجمال<sup>(٦)</sup>.

وقال في القاموس: انتصف منه: استوفى حقه منه كاملا حتى صار كلّ على النصف سواء،  
كاستنصف منه، وتنصف السلطان سألته أن ينصفه<sup>(٧)</sup>.

وفي لسان العرب: النصف: أحد شقي الشيء، وقيل أحد جزأي الكمال، ونصف الشيء،  
وانتصفه، وتنصفه ونصفه: أخذ نصفه ونصف الشيء الشيء ينصفه: بلغ نصفه، وقيل: كلّ ما بلغ  
نصفه في ذاته فقد أنصف، وكلّ ما بلغ نصفه في غيره فقد نصف.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٥ / ٤٣١ - ٤٣٢).

(٢) الصحاح (٤ / ١٤٣٢ - ١٤٣٤).

(٣) الجمهرة لابن دريد (٣ / ٨٢).

(٤) المصباح المنير (٨٣٥).

(٥) الجمهرة (٣ / ٨٢).

(٦) باختصار وتصرف يسير عن بصائر ذوي التمييز (٥ / ٧١ - ٧٢).

(٧) القاموس المحيط (١١٠٧) ط. بيروت.

ومنصف الشيء: وسطه، والمنصف: نصف الطريق، وفي الحديث: حتى إذا كان بالمنصف أي الموضع الوسط بين الموضعين، ومنتصف الليل والنهار وسطه، ونصفت الشيء: إذا أخذت نصفه، وتنصيف الشيء جعله نصفين. والنصف والنصفة والإنصاف: إعطاء الحق، وقد انتصف منه (أخذ حقه)، وأنصف الرجل صاحبه إنصافاً، وقد أعطاه النصفة وقال بعضهم: أنصف إذا أخذ الحق وأعطى الحق، وتفسير ذلك أن تعطي لغيرك من نفسك النصف أي تعطيه من الحق كالذي تستحق لنفسك، يقال: انتصفت من فلان: أي أخذت حقي كاملاً حتى صرت أنا وهو على النصف سواء<sup>(١)</sup>، وفي حديث عمر رضي الله عنه مع زبناح بن روح:

متى ألق زبناح بن روح ببليدة لي النصف منها، يقرع السن من ندم النصف بالكسر، الانتصاف، ومن ذلك أيضاً قول علي رضي الله عنه «ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً» أي إنصافاً<sup>(٢)</sup>. ويأتي النصف والإنصاف والنصفة بمعنى الخدمة، يقال نصفه ينصفه وينصفه نصفاً ونصافة ونصافاً ونصافاً وأنصفه وتنصفه كله: خدمه<sup>(٣)</sup>، وأنشد الجوهري للتصّف بمعنى الخدمة قول حرقة بنت النعمان:

فبيننا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف<sup>(٤)</sup>  
وقد يأتي التنصّف بمعنى العبادة، وأنشد ابن بريّ شاهداً على ذلك قول الشاعر:  
فإنّ الإله تنصّفته بالأعماق والأحواب  
وقد يأتي التنصّف بمعنى طلب المعروف<sup>(٥)</sup>.

#### الإنصاف اصطلاحاً:

قال المناوي: الإنصاف: هو العدل في المعاملة بأن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا ما يعطيه، ولا ينيله من المضار إلا كما ينيله<sup>(٦)</sup>، وأضاف الراغب إلى ذلك: الإنصاف في الخدمة وهو أن يعطي صاحبه ما عليه بإزاء ما يأخذ من النفع<sup>(٧)</sup>.

(١) لسان العرب (٩ / ٣٣٢) ط. بيروت.

(٢) النهاية لابن الأثير (٥ / ٦٦).

(٣) لسان العرب (٩ / ٣٣٣) ط. بيروت.

(٤) الصحاح للجوهري (٤ / ١٤٣٣).

(٥) لسان العرب (٩ / ٣٣٣) ط. بيروت.

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف (٦٤).

(٧) المفردات (٤٧٥) تحقيق محمد أحمد خلف الله.

وقيل: هو استيفاء الحقوق لأربابها واستخراجها بالأيدي العادلة والسياسات الفاضلة. ويؤخذ من كلام اللغويين والمفسرين وشرّاح الحديث أنّه يمكن تعريف الإنصاف أيضا بأنه: أن تعطي غيرك من الحقّ مثل الذي تحبّ أن تأخذه منه لو كنت مكانه ويكون ذلك بالأقوال والأفعال، في الرضا والغضب، مع من نحبّ ومع من نكره.

### بين الإنصاف والعدل:

قال المناوي: الإنصاف والعدل توّمان نتيجهما علوّهمة وبراءة الذمّة باكتساب الفضائل وتجنّب الرذائل<sup>(١)</sup>.

### أنواع الإنصاف:

#### للإنصاف أنواع عديدة منها:

- أن ينصف المرء نفسه من نفسه، إذ كيف ينصف الناس من لا ينصف نفسه.
- أن ينصف المرء خالقه ﷻ، حيث لا يتصوّر أن ينصف المخلوقين من لا ينصف الخالق ﷻ.
- إنصاف النبي ﷺ.
- إنصاف العباد.

وسوف نتحدّث عن هذه الأنواع المختلفة بإيجاز فيما يلي:

#### أوّلا: إنصاف المرء نفسه من نفسه:

إنّ أولى درجات الإنصاف، أن يكون الإنسان منصفاً نفسه لأنّ من لم يفعل ذلك لا يستطيع إنصاف غيره انطلاقاً من القاعدة المعروفة [فاقد الشيء لا يعطيه] يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - ويدخل في الإنصاف: إنصاف المرء نفسه من نفسه، بالألا يدّعي لها ما ليس لها، ولا يخبّثها بتدنيسه لها، وتصغيره إيّاها وتحقيرها بمعاصي الله ﷻ، بل ينمّيها ويكبّرها ويرفعها بطاعة الله وتوحيده، وحبّه وخوفه ورجائه، والتوكّل عليه، والإنابة إليه، وإيثار مرضاته على مرضي الخلق ومحابّتهم.. إنّ إنصاف المرء نفسه من نفسه يوجب عليه معرفة ربّه وحقّه عليه، ومعرفة نفسه، وما خلقت له، وألا يزاحم بها مالكها وفاطرها ويدّعي لها الملكة والاستحقاق، ويزاحم مراد سيّده، ويدفعه بمراده هو، أو يقدم مراده (كالشّهوات مثلاً) ويؤثره على مراد مولاه، أو يقسم إرادته بين مراد سيّده ومراده هو، وهذه قسمة ضيزى مثل قسمة الذين قالوا: ﴿هَكَذَا لِلَّهِ بِرْزَعِهِمْ وَهَكَذَا﴾

(١) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٦٤).

لِشْرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى الْوَالِدِ  
 شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ [الأَنْعَام: ١٣٦]. فلينظر العبد ألا يكون من أهل هذه القسمة  
 بين نفسه وشركائه (من ناحية)، وبين الله ﷻ (من ناحية أخرى). وإلا يفعل لبس عليه وهو لا  
 يشعر، وكيف ينصف غيره من لم ينصف نفسه؟ فظلمها أقبح الظلم، وسعى في ضررها أعظم  
 السعي، ومنعها أعظم لذاتها من حيث ظنَّ أنه يعطيها إياها فأتعبها كلَّ التعب، وأشقاها كلَّ الشقاء  
 من حيث ظنَّ أنه يريحها ويسعدّها، وجدَّ كلَّ الجدِّ في حرمانها حظَّها من الله ﷻ وهو يظنُّ أنه ينيلها  
 حظوظها، كيف يرجي الإنصاف (للغير) ممَّن هذا إنصافه لنفسه؟ إذا كان هذا فعل العبد بنفسه،  
 فماذا تراه بالأجانب يفعل؟<sup>(١)</sup>

### ثانياً: إنصاف الله ﷻ:

قال ابن القيم: «طوبى لمن أنصف ربَّه فأقرَّ له بالجهل في علمه، والآفات في عمله، والعيوب  
 في نفسه، والتفريط في حقِّه، والظلم في معاملته، فإن أخذه بذنوبه رأى عدله، وإن لم يؤاخذها بها رأى  
 فضله، وإن عمل حسنة رآها من منته وصدقته عليه، فإن قبلها فمَنَّة وصدقة ثانية، وإن ردَّها فلكون  
 مثلها لا يصلح أن يواجه به، وإن عمل سيئة رآها من تخليته عنه وخذلانه له، وإمساك عصمته عنه،  
 وذلك من عدله فيه، فيرى في ذلك فقره إلى ربِّه، وظلمه في نفسه، فإن غفرها له فبمحض إحسانه  
 وجوده وكرمه. ونكتة

المسألة وسرَّها أنه لا يرى ربَّه إلا محسناً، ولا يرى نفسه إلا مسيئاً أو مفرطاً أو مقصراً، فيرى  
 كلَّ ما يسرُّه من فضل ربِّه عليه، وإحسانه إليه، وكلَّ ما يسوؤه من ذنوبه وعدل الله فيه<sup>(٢)</sup>. ومن  
 الإنصاف في حقِّ المولى ﷻ الإنصاف في معاملته، وفي هذا يقول ابن القيم أيضاً: «الإنصاف في  
 معاملة الله أن يعطي العبودية حقَّها، وأن لا يناع ربَّه صفات إلهيته، وأن لا يشكر على نعمه سواه،  
 ولا يستعين بها على معاصيه، ولا يحمد غيره، ولا يعبد سواه»<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: إنصاف النبي ﷺ:

وذلك بالقيام بحقوقه ﷺ من الإيمان به، ومحبتِّه وتقديمها على محبة الخلق كلِّهم،

(١) باختصار وتصرف عن زاد المعاد لابن القيم (٢/ ٤٠٨ - ٤١٠).

(٢) الفوائد (٤٩).

(٣) نقلاً عن كتاب الانصاف لابن غازي (٢٤).

وطاعته وتوقيره وتبجيله، وتقديم أمره وقوله على أمر غيره وقوله. فمن الظلم العظيم أن يخلّ العبد بشيء من حقوق النبي ﷺ الذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأرحم بهم وأرأف بهم من كلّ أحد من الخلق، وهو الذي لم يصل إلى أحد خير إلا على يديه. (١).

#### رابعاً: إنصاف العباد:

يقصد بإنصاف العباد أن يقوم المسلم بإنصاف الغير من نفسه أو ممن يحبّ، حتّى لو كان هذا الغير مخالفاً له في الرّأي، أو في الدّين، أو في المذهب، أو غير ذلك ممّا يقتضي التّحامل، أو يكون مظنّة للجور، ومن إنصاف النّاس - كما يقول ابن القيم: أن تؤدّي حقوقهم وألاّ تطالبهم بما ليس لك، وألاّ تحمّلهم فوق وسعهم، وأن تعاملهم بما تحبّ أن يعاملوك به، وأن تعفيهم ممّا تحبّ أن يعفوك منه، وأن تحكّم لهم أو عليهم بما تحكّم به لنفسك أو عليها (٢)، ولإنصاف العباد صور كثيرة ونماذج متعدّدة جاء بها القرآن الكريم والسّنّة المطهّرة، ودلّت عليها آثار سلفنا الصّالح، وهذا ما سوف نتناوله في الفقرة التالية.

#### القرآن الكريم يقدم المثل الأعلى للإنصاف:

إنّ إنصاف المرء أخاه في النّسب أو الدّين قد يكون أمراً معقولاً تقرّه الطّبائع السّليمة والفطر النّقيّة، أمّا إنصاف العدوّ وتبرّئة ساحته مع مخالفته لنا في الدّين فهذا ما لا يستطيعه إلاّ من تربّى على مائدة الإسلام وتشبّع بروح العدل والإنصاف التي جاء بها القرآن، يقول أبو حيان في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيماً﴾ [النساء: ١٠٥]، يتلخّص سبب النزول في «أنّ طعمة ابن أبيرق سرق درعا في جراب فيه دقيق لقتادة بن النّعمان، وخبأها عند يهودي، فحلف طعمة مالي بها علم، فاتّبعا أثر الدّقيق إلى دار اليهودي، فقال اليهودي: دفعها إليّ طعمة» (٣). فلما همّ الرّسول ﷺ بالقضاء في هذه المسألة نزلت الآيات الكريمة (انظر الشاهد الأول وهو الآيات ١٠٥ - ١١٣ من سورة النساء) مبرّرة ساحة هذا اليهودي ومنصفه.

يقول أحد العلماء المعاصرين معلّقاً على هذه الواقعة: يا لله! إنّه الإسلام! الإسلام وحده في

(١) الإنصاف لأبي الحسن ساعد بن عمر بن غازي (٢٤)، وقد نقل عن بهجة قلوب الأبرار للشيخ عبد الرحمن السعدي (٤١ - ٤٢).

(٢) زاد المعاد (٢ / ٤٠٧) بتصرف.

(٣) تفسير البحر المحيط (٣ / ٣٥٨).

تاريخ البشرية كلّ. وغير الإسلام لم يكن ضميره ليتحرك لتبرئة متّهم ينتمي إلى قوم بينه وبينهم كلّ ذلك العداوة.

ألا إنّها القمّة السّامقة التي لا يقيمها ابتداء إلاّ الإسلام، ولا يرقاها إلاّ المسلمون في كلّ التّاريخ. لقد كانت كلّ الظّروف «مشجّعة» على اتّهام ذلك اليهوديّ وتبرئة ذلك المنافق الذي ينتمي ولو شكلا إلى الإسلام!

فالعداوة بين المسلمين واليهود قائمة في المدينة، وكيد اليهود للمسلمين قائم واضح للعيان. إلاّ أنّ الإسلام ما جاء ليتستّر على انحرافات البشريّة أو يتسامح مع شيء منها! وما جاء ليجاري الجاهليّات فيما تقع فيه من انحراف. وإنّما جاء لينشأ الإنسان الصّالح في الأرض. إنّها ليست حادثا عارضا يمرّ فينسى، إنّها درس هائل في التّربية على الأفق الأعلى لا يقدره إلاّ الإسلام، ولا يقدر عليه إلاّ المسلمون. وإنّه لدرس في التّطبيق العمليّ للإنصاف الإلهيّ والعدل الرّبّانيّ الذي لم تعرفه أمة في التّاريخ، إلاّ الأمة التي ربّاه القرآن الكريم. تسع آيات كريمة تنزل لكشف ذلك المنافق الذي انضمّ إلى المشركين بعد فضحه، ولتبرئة ساحة ذلك اليهوديّ، وما كان الإسلام ليتألّف قلب المنافق لأنّه يحمل اسما مسلما على حساب الإنصاف والعدل الذي يريد إقامتهما في الأرض نبراسا لكلّ البشريّة.. لقد ذهب ابن أبيرق مع الشّيطان، وبقي ذلك الدّرس الرّبّانيّ الخالد درسا وعاه المسلمون وحفظوه، لتتعلّمه البشريّة منهم يوم تفيء إلى رشدها وتحبّ أن تعرف<sup>(١)</sup> الطّريق إلى ما فيه خيرها وسعادتها<sup>(٢)</sup>.

ومع أنّ هؤلاء اليهود هم أشدّ النّاس عداوة للذين آمنوا إلاّ أنّ هذه العداوة لم تمنع القرآن

(١) دراسات قرآنية (٤٦٦ - ٤٦٩) بتصرف وإيجاز.

(٢) أين هذا ممّا نشاهده في عالمنا المعاصر من ازدواجية في الحكم على الناس وعلى أعمالهم؟ إنّ ازدواجية المعايير هذه قد أوّرت كثيرا من النفوس حقدا ومرارة على الظالمين والطّغاة الذين لا يعرفون معنى الإنصاف، وكان من آثار ذلك ما نشاهده اليوم من أعمال إرهابية طائشة لا تفرق بين ظالم ومظلوم. ليت اليهود ومن يوالونهم يطبقون على غيرهم ما طبقه القرآن الكريم عليهم منذ خمسة عشر قرنا من الزمان فينصفون المسلمين الذين أوقعهم حظهم التعس تحت سيطرتهم، ويعاملونهم بما عاملهم به المسلمون يوما ما- ولا يزالون- متأسين بروح القرآن الكريم. إنه لا خلاص للعالم شرقه وغربه، شماله وجنوبه إلاّ بالتخلي بروح الإنصاف وإقامة العدل بين الناس جميعا بغض النظر عن جنسياتهم ودياناتهم وألوانهم، وإذا تم ذلك بالفعل جفت منابع الإرهاب وانقطعت حجة الإرهابيين، ونعم العالم كله بالسّلام وساده الأمن والأمان، وما ذلك على الله بعزيز.

الكريم من إنصافهم إن هم أحسنوا أو أحسن بعضهم، ومن مظاهر هذا الإنصاف ثناؤه ﷺ على بني إسرائيل ثناء عظيما، يبلغ بهم ذروة شاهقة من الرضا والتقدير، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] وقوله عزّ من قائل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، ثم في معظم الأحيان تبلغ حملته عليهم حدّا رهيبا من التّريع والتّديد، والذّمّ والتّوبيخ والسّبب في هذا الموقف القرآني هو الإنصاف التّام لهم، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقه، وكلّ ذي باطل ما يستحقّه، فهو يمدحهم إن أحسنوا وأطاعوا، وهو يذمّهم إن عاندوا وشاقّوا، وقد كان من تمام إنصافه ﷺ معهم أنّه دائما يستثني منهم القلّة الصّالحة - على ندرتها - كما قال تعالى: ﴿وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣] (١).

### إنصاف الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين لأهل الذمة:

لقد أمر النبي ﷺ بإنصاف أهل الذّمة والمستأمنين، ونهى عن ظلمهم في أحاديث كثيرة، فهو القائل ﷺ: «من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة» (٢). وقال ﷺ: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنّة» (٣). وإنّ ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما» (٤).

وحرص الخلفاء الراشدون والصّحابة على ذلك، فها هو عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يوصي بأهل الذّمة قائلا: «أوصيكم بذرمة الله فإنّها ذمّة نبيكم ورزق عيالكم».

وروى مسلم عن المستورد بن شدّاد القرشيّ أنّه حدّث عن عمرو بن العاص فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقوم الساعة والرّوم أكثر الناس».

فقال عمرو: أبصر ما تقول، قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: لئن قلت ذلك إنّ فيهم لخصالا أربعا: إنهم أحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرّة بعد فرّة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك». فانظر إلى إنصاف عمرو وذكره ما يعلمه من الخصال الحسنة للرّوم، مع أنّنا لا نشكّ في براءته منهم وعداوته لهم.

(١) انظر معركة الوجود بين القرآن والتلمود لعبد الستار سعيد (٧٢-٧٥) بتصرف.

(٢) أبو داود ٣ (٣٠٥٢).

(٣) يرح بفتح الياء والمراد أصلها يراح والمعنى لم يجد ريح الجنّة.

(٤) البخاري - الفتح ٦ (٣١٦٦).

وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة إلى خيبر ليخبرهم لهم الثمار، فأرادوا أن يرشوه، فقال عبد الله: «يا معشر اليهود، أنتم أبغض الخلق إليّ، قتلتم أنبياء الله ﷺ، وكذبتم على الله، وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم. فقال اليهود: بهذا قامت السموات والأرض»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ بن عبد البر: وفيه أنّ المؤمن وإن أبغض في الله لا يحمله بغضه على ظلم من أبغضه»<sup>(٢)</sup>.

لقد امتثل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه للمنهج الرباني الذي يكفل العدل بين الناس، والذي يعطي كلّ ذي حقّ حقه من المسلمين وغير المسلمين. ففي هذا الحقّ يتساوى عند الله المؤمنون وغير المؤمنون. قال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]<sup>(٣)</sup>. وقد أقرّ اليهود صنيع عبد الله بن رواحة لعلمهم أنّ العدل قد أمر الله ﷺ به الناس جميعاً، لأنّه واجب لكلّ أحد على كلّ أحد في جميع الأحوال. والظلم لا يباح منه شيء بحال، ولذا قالوا لعبد الله بن رواحة: (هذا الحقّ به تقوم السماء والأرض): أي بهذا الحقّ والعدل قامت السموات فوق الرءوس بغير عمد، والأرض استقرّت على الماء تحت الأقدام<sup>(٤)</sup>.

تناصف الصحابة - رضوان الله عليهم -: لإنصاف الصحابة - رضوان الله عليهم - غيرهم ممّن يحبون أو يكرهون أمثلة عديدة ونماذج مشرّفة ذكرنا كثيراً منها في الآثار فأغنى ذلك عن ذكرها هنا.

### إنصاف أهل السنة والجماعة للمبتدعة:

وإذا كنّا مأمورين بالإنصاف مع غير المسلمين فلأن نكون منصفين لأهل البدعة ممّن لم يخرجوا عن الإسلام أولى.

يقول ابن تيمية رحمته الله: كلّ من كان مؤمناً بما جاء به محمد ﷺ فهو خير من كلّ من كفر به، وإن كان في المؤمن بذلك نوع من البدعة سواء كانت بدعة الخوارج والشّيعية والمرجئة والقدرية

(١) الحديث أخرجه أحمد (٣/ ٣٦٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٢١): ورجاله رجال الصحيح، إلا أن أبا الزبير مدلس وقد عنعنه، وللحديث شواهد في موطأ مالك (٤٣٩)، وأبي داود (٣٤٧)، وابن ماجه (١/ ٥٥٧ - ٥٥٨)، والظاهر أن مجموع الأحاديث يحدث منها قوة تدل على أن له أصلاً.

(٢) التمهيد (٩/ ١٤٠).

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٣/ ٢٧٣) بواسطة الإنصاف (٥١).

أو غيرهم، فإن اليهود والنصارى كفّار كفرا معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام، والمبتدع إذا كان يحسب أنه موافق لرسول الله ﷺ لا مخالف له لم يكن كافراً به، ولو قدر أنه يكفر فليس كفره مثل كفر من كذب الرسول ﷺ<sup>(١)</sup>.

وقال - وهو يتحدث عن الصوفيّة وما أحدثوه من السماع والرّقص وتمزيق الثياب: «والذين شهدوا هذا اللغو متأولين من أهل الصدق والإخلاص غمرت حسناتهم ما كان لهم من السيئات أو الخطأ في مواقع الاجتهاد، وهذا سبيل كل صالحي الأمة في خطئهم وزلاتهم»<sup>(٢)</sup>.

وقال فيمن خالفوه وكفروه من أهل البدع:

«هذا، وأنا في سعة صدر لمن يخالفني، فإنه وإن تعدّى حدود الله في بتكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية فأنا لا أتعدّى حدود الله فيه، بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتمماً بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس حاكماً فيما اختلفوا فيه». إلى أن قال: «وذلك أنك ما جزيت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه»<sup>(٣)</sup>.

وأما ابن القيم رحمه الله فحين تحدّث عن الصوفيّة وشطحاتهم قال فيما قال: «... هذا ونحوه من الشّطحات التي ترجى مغفرتها بكثرة الحسنات، ويستغرقها كمال الصدق، وصحة المعاملة، وقوة الإخلاص، وتجريد التوحيد، ولم تضمن العصمة لبشر بعد رسول الله ﷺ ولو كان (كل) من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، ففسدت العلوم والصناعات، والحكم، وتعطلت معالمها»<sup>(٤)</sup>.

وإذا كانت هذه الشّطحات قد أوجبت فتنة على طائفتين من الناس: إحداهما حجبت بها (أي بالشّطحات) عن محاسن هذه الطائفة والأخرى: حجبت بما رأوه من محاسن القوم عن رؤية عيوب شطحاتهم وكلاهما تين الطائفتين معتد مفرط.

أما أهل العدل والإنصاف فهم هؤلاء الذين أعطوا كل ذي حقّ حقه، ولم يحكموا للصّحيح بحكم السّقيم، ولا للسّقيم بحكم الصّحيح، ولكن قبلوا ما يقبل وردّوا ما يرّد<sup>(٥)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (٣٥ / ٢٠١).

(٢) الاستقامة (١ / ١٩٧ - ١٩٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ٢٤٥ - ٢٤٦).

(٤) مدارج السالكين (٢ / ٤٠، ٤١).

(٥) مدارج السالكين (٢ / ٤١).

## آداب أهل الإنصاف:

التَّحَلِّي بِصِفَةِ الْإِنْصَافِ، وَسُلُوكِ دَرَبِ الْمُنْصِفِينَ يَلْزَمُ مَعَهُ التَّادُّبُ بِأَدَابِ خَاصَّةٍ، وَقَدْ التَزَمَ بِهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَعَلَى مَنْ يَسِيرُ عَلَى مَنْهَجِهِمْ أَنْ يَتَأَدَّبَ بِتِلْكَ الْأَدَابِ، وَأَهْمُهَا:

## ١- التَّجَرُّدُ وَتَحَرِّي الْقَصْدِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْمَخَالِفِينَ:

وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ تَلْتَبَسَ الْمَقَاصِدُ عِنْدَ الْكَلَامِ عَنِ الْمَخَالِفِينَ، فَهَنَّاكَ قَصْدُ حُبِّ الظُّهُورِ، وَقَصْدُ التَّشْفِي وَالْإِنْتِقَامِ، وَقَصْدُ الْإِنْتِقَامِ لِلنَّفْسِ أَوْ لِلطَّائِفَةِ الَّتِي يَنْتَمِي إِلَيْهَا النَّاقِدُ.. وَقَدْ حَذَّرَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ مَنْ يَرُدُّ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ مِنَ التَّبَاسِ الْمَقَاصِدَ فَقَالَ: «... وَهَكَذَا الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ مِنَ الرَّافِضَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَإِذَا غَلَّظَ فِي ذَمِّ بَدْعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ كَانَ قَصْدُهُ بَيَانُ مَا فِيهَا مِنْ إِفْسَادٍ لِيَحْذِرَ الْعِبَادَ، كَمَا فِي نِصُوصِ الْوَعِيدِ وَغَيْرِهَا. وَقَدْ يَهْجُرُ الرَّجُلُ عَقُوبَةَ وَتَعْزِيرًا وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ رَدُّهُ وَرَدُّعُ أَمْثَالِهِ لِلرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ، لَا لِلتَّشْفِي وَالْإِنْتِقَامِ» وَقَدْ انْتَبَهَ ابْنُ الْقَيْمِ رحمته إِلَى هَذَا الْأَمْرِ فَوَضَعَ قَاعِدَةً لِمَنْ يَرِيدُ أَنْ يَتَجَرَّدَ مِنَ الْهَوَى فَقَالَ: «وَكُلُّ أَهْلِ نَحْلَةٍ وَمَقَالَةٍ يَكْسُونَ نَحْلَتَهُمْ وَمَقَالَتَهُمْ أَحْسَنَ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ، وَمَقَالَةٌ مَخَالِفِيهِمْ أَقْبَحُ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ، وَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ بَصِيرَةً فَهُوَ يَكْشِفُ بِهَا حَقِيقَةَ مَا تَحْتَ الْأَلْفَاظِ مِنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَلَا تَغْتَرَّ بِاللَّفْظِ كَمَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

تَقُولُ هَذَا جَنَى النَّحْلِ تَمْدِحُهُ      وَإِنْ تَشَأْ قَلْتِ: ذَا قِيءِ الزُّنَابِيرِ  
مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصَفَهُمَا      وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سَوْءُ تَعْبِيرِ

## ٢- أهمية التبين والتثبت قبل إصدار الأحكام:

وَذَلِكَ امْتِثَالًا لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوهَا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤].

وَالتَّبَيُّنُ وَالتَّثَبُّتُ مِنْ خِصَائِصِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رحمته: «الْمُؤْمِنُ وَقَّافٌ حَتَّى يَتَبَيَّنَ» وَقَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رحمته: «وَمَتَى لَمْ يَتَبَيَّنْ لَكُمْ الْمَسْأَلَةُ لَمْ يَحِلَّ لَكُمْ الْإِنْكَارُ عَلَى مَنْ أَفْتَى أَوْ عَمِلَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ خَطْؤُهُ، بَلِ الْوَاجِبُ السَّكُوتُ وَالتَّوَقُّفُ».

## ٣- حمل الكلام على أحسن الوجوه، وإحسان الظن بالمسلمين:

فَالوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْسِنَ الظَّنَّ بِكَلَامِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، وَأَنْ يَحْمَلَ الْعِبَارَةَ الْمَحْتَمَلَةَ مَحْمَلًا حَسَنًا.

فقد حثَّ الرسول ﷺ على إحسان الظنِّ بالمسلم حين قال وهو يطوف بالكعبة: «ما أطيبك وأطيب ريحك، وما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه، وأن لا يظنَّ به إلا خيراً».

وقال سعيد بن المسيَّب: كتب إليَّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ: «أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظننَّ بكلمة خرجت من أمريء مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً».

#### ٤- ألا ينشر سيئات المخالف ويدفن حسناته:

فقد ذكَّر الرسول ﷺ عمر بحسنات حاطب فقال: «وما يدريك يا عمر لعلَّ الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

فكون حاطب من أهل بدر ترفعه ويذكر له في مقابل خطئه الفاحش، ولذا غفر له خطؤه.

#### ٥- النقد يكون للرأي وليس لصاحب الرأي:

فالتقد الموضوعي هو الذي يتجه إلى الموضوع ذاته وليس إلى صاحبه. وكان الرسول ﷺ إذا حدث خطأ من أحد أصحابه أو بعضهم. لا يسميهم غالباً وإنما يقول: «ما بال أقوام»، «ما بال رجال».

#### ٦- الامتناع عن المجادلة المفضية الى النزاع:

وقد حذَّر الرسول ﷺ من الجدل المفضي إلى الخصومة فقال: «إنَّ أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخصم».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا تمار أخاك فإنَّ المرء لا تفهم حكمته، ولا تؤمن غائلته...».

وقال مالك بن أنس: «المرء يقسي القلوب، ويورث الضغائن».

#### ٧- حمل كلام المخالف على ظاهره وعدم التعرض للنوايا والبواطن:

وقد علَّمتنا ذلك رسولنا الكريم ﷺ حينما قتل أسامة بن زيد المشرك بعد أن قال: لا إله إلا الله، فلما علم ﷺ أنكرك ذلك عليه، فقال أسامة: إنما قالها متعوذاً. فقال ﷺ: «هلاً شققت عن قلبه».<sup>(١)</sup>

(١) بتصرف وإيجاز عن: إصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفهم محمد بن صالح بن يوسف العلي (٦٩-١٠١)، ط دار الأندلس الخضراء، جدة.

[للاستزادة: انظر صفات: الإحسان - التوسط - العدل والمساواة - القسط - المروءة.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإساءة - البغى - الظلم - العدوان].

\*\*\*

### من فوائد (الإنصاف)

- (١) الإنصاف دليل على كمال الإيمان وصحة الإسلام.
- (٢) الإنصاف عامل أساسي في استقرار المجتمعات وشيوع المحبة بين الناس.
- (٣) إنصاف العبد من نفسه دليل على التجرد من الأنانية.
- (٤) بالإنصاف تسود المحبة ويشعر كل امريء بالطمأنينة ويأمن على نفسه وماله وعرضه.
- (٥) بالإنصاف تعود الحقوق إلى أصحابها وتعم روح العدالة، ويشعر الإنسان بأنه آمن في يومه وغده.
- (٦) بالإنصاف تنتزع صفات الحقد والكراهية والحسد لتحل محلها صفات الاحترام والحب والتنافس في الخيرات.
- (٧) بالإنصاف يشعر الفقير والضعيف واليتيم بما يطمئنه على مستقبله دون خوف من ظلم أو خشية من جور.
- (٨) بالإنصاف تشعر كل طوائف المجتمع بالأمان فتندفع كل طائفة إلى عملها دون خوف أو وجل أو شعور بالظلم ويصبح المجتمع خلية متألقة تعمها روح الإخاء والتسامح بغض النظر عن الاختلافات الدنيوية أو العرقية.
- (٩) بالإنصاف مع المخالفين في الرأي أو المذهب تسلم المجتمعات من المكائد والمؤامرات التي لا يلجأ إليها في العادة سوى المقهورين الذين يخشون على أنفسهم لو عملوا في النور.
- (١٠) بالإنصاف بين الدول والجماعات تجف إحدى منابع الإرهاب الدولي، وتفسد على شياطين الإنس والجن خططهم الخسيسة لزعزعة المجتمعات الآمنة.
- (١١) في تناصف العلماء والكبراء يعم التعاون فيما بينهم مما يعود بالخير على المجتمع بأسره.

## الإنفاق

### الإنفاق لغة:

مصدر أنفق، يقال: أنفق ينفق إنفاقاً فهو منفق، وتدور هذه المادة حول معنيين أحدهما يدل على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه، وصفة الإنفاق إنما هي من المعنى الأول، يقال نفق الشيء: فني، وأنفق الرجل افتقر أي ذهب ما عنده، قال ابن الأعرابي: ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا لَأْمَسَكُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠] والنفقة ما أنفقت، واستنفقت على العيال وعلى نفسك: والنفقة أيضاً: ما أنفق، والجمع نفاق (بالكسر)، ونفقات.

وقال الجوهري: رجل منفاق أي كثير النفقة.

وقال ابن علان: النفقة من الإنفاق وهو الإخراج. والنفقة: الدراهم ونحوها من الأموال وتجمع على نفقات وعلى نفاق (بالكسر) <sup>(١)</sup>.

### واصطلاحاً:

الإنفاق إخراج المال الطيب في الطاعات والمباحات <sup>(٢)</sup>.

والنفقة على العيال والأهل: مقدرة بالكفاية وتختلف باختلاف من تجب له النفقة في مقدارها، وهذا قال أبو حنيفة ومالك، وقال القاضي أبو يعلى من الحنابلة: هي مقدرة بمقدار لا يختلف في القلة والكثرة.

وقال ابن علان: النفقة هي سائر المؤن من كسوة ونفقة وسكن على من يعول من زوجة وولد وخادم <sup>(٣)</sup>.

من معاني النفقة في القرآن الكريم:

وردت النفقة في القرآن على وجوه منها:

(١) بمعنى فرض الزكاة: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] أي يزكون ويتصدقون.

(١) لسان العرب لابن منظور (٨ / ٤٥٠٨)، والصحاح (١ / ١٥٦٠)، وو دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٢ / ٢١٦)، ومقاييس اللغة ٥ / ٤٥٤.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٢ / ٥١٤).

(٣) المغني لابن قدامة (٧ / ٥٦٤، ٥٦٥).

(٢) بمعنى التطوع بالصدقات: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤] أي يتطوعون بالصدقة وشبهها: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [الرعد: ٢٢].

(٣) بمعنى الإنفاق في الجهاد: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وقوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

(٤) بمعنى الإنفاق على العيال والأهل: ﴿وَإِنْ كُنْ أُولَتْ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦]. وكذلك: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧].

(٥) بمعنى الفقر والإملاق. كقوله تعالى: ﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠] <sup>(١)</sup>.

#### الإنفاق والقرض الحسن:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في معنى قول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. صدر سبحانه الآية بألفاظ أنواع الخطاب، وهو الاستفهام المتضمن معنى الطلب، وهو أبلغ في الطلب من صيغة الأمر.

والمعنى: هل أحد يبذل هذا القرض الحسن، فيجازى عليه أضعافاً مضاعفة؟

وسمّي ذلك الإنفاق قرضاً حسناً حثاً للنفوس، وبعثاً لها على البذل؛ لأنّ الباذل متى علم أنّ عين ماله يعود إليه ولا بدّ طوّعت له نفسه، وسهل عليه إخراجها، فإن علم أنّ المستقرض ملىء وفي محسن، كان أبلغ في طيب فعله وسماحة نفسه، فإن علم أنّ المستقرض يتجر له بما اقترضه، وينمي له ويثمره حتى يصير أضعاف ما بذله كان بالقرض أسمح وأسمح، فإن علم أنّه مع ذلك كلّه يزيده من فضله وعطائه أجزاً آخر من غير جنس القرض، فإن ذلك القرض حظّ عظيم، وعطاء كريم؛ فإنّه لا يتخلّف عن قرضه إلا لآفة في نفسه من البخل والشحّ، أو عدم الثقة بالضمان. وذلك من ضعف إيمانه. ولهذا كانت الصدقة برهاناً لصاحبها. وهذه الأمور كلّها تحت هذه الألفاظ التي تضمّنتها الآية، فإنّه سمّاها قرضاً، وأخبر أنّه هو المقرض - لا قرض حاجة - ولكن قرض إحسان

(١) بصائر ذوي التمييز (٥/ ١٠٤ - ١٠٧) باختصار.

إلى المقرض واستدعاء لمعاملته، وليعرف مقدار الربح فهو الذي أعطاه ماله واستدعى منه معاملته به ثم أخبر عما يعطيه فوق ذلك من الزيادة وهو الأجر الكريم، وحيث جاء هذا القرض في القرآن قيده بكونه حسنا، وذلك يجمع أموراً ثلاثة:

أولها: أن يكون من طيب ماله، لا من رديئه وخبيثه.

ثانيها: أن يخرج طيبة به نفسه، ثابتة عند بذله، ابتغاء مرضاة الله.

ثالثها: أن لا يمن به ولا يؤذي.

فالأول يتعلق بالمال، والثاني يتعلق بالمنفق بينه وبين الله، والثالث بينه وبين الآخذ.

وأما قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] فقد شبه الله سبحانه النفقة في سبيله سواء كان المراد بها الجهاد أو جميع سبل الخير بمن بذر بذرا فأنبتت كل حبة منه سبع سنابل اشتملت كل سنبل على مائة حبة. والله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك بحسب حال المنفق وإيمانه وإخلاصه وإحسانه، ونفع نفقته وقدرها، ووقوعها موقعها. فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص، والتثبيت عند النفقة، وهو إخراج المال بقلب ثابت، قد انشرح صدره بإخراجه وشرحت به نفسه وخرج من قلبه قبل خروجه من يده، فهو ثابت القلب عند إخراج غير جزع ولا هلع، ولا متبعتة نفسه، ترجف يده وفؤاده. ويتفاوت بحسب نفع الإنفاق وبحسب مصادفته لموقعه، وبحسب طيب المنفق وزكائه. وتحت هذا المثل من النفقة: أنه سبحانه شبه الإنفاق بالبذر، فالمنفق ماله الطيب لله، لا لغيره، باذر ماله في أرض زكية، فمغله<sup>(١)</sup> بحسب بذره، وطيب أرضه وتعاهد البذر بالسقي، ونفي الدغل والنبات الغريب عنه. فإذا اجتمعت هذه الأمور ولم يحرق الزرع نار، ولا لحقته جائحة جاء أمثال الجبال، وكان مثله كمثل جنة برودة فتربى الأشجار هناك أتم تربية. فنزل عليها من السماء مطر عظيم القطر فرواها ونماها. فأتت أكلها ضعفى ما يؤتیه غيرها، لسبب ذلك الوابل فإن لم يصبها وابل فطل، فيكفيها لكرم منبتها، فتزكو على الطل، وتنمو عليه، وفي هذا إشارة إلى نوعي الإنفاق الكثير والقليل. فمن الناس من يكون إنفاقه وابلًا، ومنهم من يكون إنفاقه طلاً. والله لا يضيع مثقال ذرة...<sup>(٢)</sup>.

(١) مغله: أي حاصد ما أغله.

(٢) التفسير القيم لابن القيم (١٤٨-١٥١) بتصرف يسير.

[للاستزادة: انظر صفات: الإحسان- الإيثار- البر- الزكاة- الصدقة- السخاء- الجود- الكرم.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأثرة- البخل- الشح- الكنز].

\*\*\*

### من فوائد (الإنفاق)

- (١) الإنفاق من كمال الإيمان وحسن الإسلام. (٩) تزكية النفس وتطهيرها بإخراج الشح منها.
- (٢) دليل حسن الظن بالله والثقة به. (١٠) الإنفاق سبب بركة المال ونمائه ووقاية
- (٣) أداء شكر نعمة الله ﷻك بالمال إذ إنَّ المالك
- (٤) سبب نيل حبِّ الله ﷻك وحبِّ الخلق. (١١) الإنفاق طريق موصل إلى الجنة.
- (٥) تقوية العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأمة. (١٢) الإنفاق يجعل لصاحبه مكانة اجتماعية
- (٦) مواساة الفقراء والمحتاجين وسدِّ حاجة
- (٧) الإسهام في حلِّ مشكلة الفقر التي أعجزت
- (٨) إشاعة التراحم والتواؤد في المجتمع بدلا من
- (٩) الموقوف. (١٣) الإنفاق يدعم الروابط الأسرية ويقوي
- (١٠) المعوزين. (١٤) الإنفاق يكفر فتنة الرجل في أهله وجاره.
- (١١) العالم المعاصر. (١٥) المنفق يستظل بظلِّ الله ﷻك.
- (١٢) الكريمة ومدعاة لنصرة الله ﷻك. (١٦) الإنفاق دليل الطبع السليم والأريحية
- (١٣) الشحناء والبغضاء.

### الإيثار

#### الإيثار لغة:

الإيثار مصدر قولهم آثره عليه يؤثره إيثارا بمعنى فضله وقدمه وهو مأخوذ من مادة (أثر) التي تدلُّ على تقديم الشيء<sup>(١)</sup> ومن ذلك قولهم: الأثير وهو الكريم عليك الذي تؤثره بفضلك

(١) لهذه المادة معنيان آخران هما: رسم الشيء الباقي، وذكر الشيء انظر هذين المعنيين وأمثلهما في مقاييس اللغة لابن فارس (١/٥٣).

وصلتك، وجمع الأثير أثراء، والمآثر ما يروى من مكارم الإنسان، ويستعار الأثر للفضل والإيثار للتفضل، وفي التنزيل: ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٩١]. وآثر أن يفعل كذا: فضل وقدم، قال الأصمعي: آثرتك إيثاراً أي فضلتك وضده الأثرة من قولهم استأثر بالشيء انفرد به أو اختص به نفسه، وفي الحديث: قال ﷺ للأَنْصار: «إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا». والاستثثار: الانفراد بالشيء. والمآثرة بفتح الثاء وضمها: المكربة وآثرت فلانا على نفسي من الإيثار وهو الاختيار والتفضل<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحاً:

قال القرطبي: الإيثار هو تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدنيوية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة<sup>(٢)</sup>.

### درجات الإيثار:

قال ابن القيم رحمته: الإيثار على درجات:

**الأولى:** أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يخرم عليك ديناً، ولا يقطع عليك طريقاً، ولا يفسد عليك وقتاً. يعني أن تقدمهم على نفسك في مصالحهم، مثل أن تطعمهم وتجوع، وتكسوهم وتعري، وتسقيهم وتظمأ، بحيث لا يؤدي ذلك إلى ارتكاب إتلاف لا يجوز في الدين. وكل سبب يعود عليك بصلاح قلبك ووقتك وحالك مع الله فلا تؤثر به أحداً، فإن آثرت به فإنما تؤثر الشيطان على الله وأنت لا تعلم.

**الثانية:** إيثار رضا الله على رضا غيره وإن عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن وضعف عنه الطول والبدن وإيثار رضا الله ﷻ على غيره: هو أن يريد ويفعل ما فيه مرضاته، ولو أغضب الخلق وهي درجة الأنبياء. وأعلاها للرسل عليهم صلوات الله وسلامه. وأعلاها لأولي العزم منهم وأعلاها لنبينا ﷺ وعليهم؛ فإنه قاوم العالم كله، وتجرّد

للدعوة إلى الله، واحتمل عداوة البعيد والقريب في الله تعالى، وآثر رضا الله على رضا الخلق من كل وجه، ولم يأخذه في إيثار رضاه لومة لائم بل كان همه وعزمه وسعيه كله مقصوداً على إيثار مرضاة الله وتبليغ رسالاته، وإعلاء كلماته، وجهاد أعدائه؛ حتى ظهر دين الله على كل دين وقامت حجته على العالمين وتمت نعمته على المؤمنين، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة،

(١) النهاية لابن الأثير (٢٢١)، والصحاح للجوهري (٥٧٥٢) ولسان العرب (١ / ٢٦).

(٢) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) (١٨ / ١٨).

وجاهد في الله حقَّ جهاده وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه فلم ينل أحد من درجة هذا الإيثار ما نال - صلوات الله وسلامه عليه.

هذا وقد جرت سنة الله - التي لا تبدل لها - أن من آثر مرضاة الخلق على مرضاته: أن يسخط عليه من آثر رضاه، ويخذله من جهته، ويجعل محنته على يديه، فيعود حامده دأماً، ومن آثر مرضاته ساخطاً<sup>(١)</sup>، فلا على مقصوده منهم حصل، ولا إلى ثواب مرضاة ربه وصل. وهذا أعجز الخلق وأحمقهم.

قال الشافعي رحمه الله: رضا الناس غاية لا تدرك فعليك بما فيه صلاح نفسك فالزمه.

ومعلوم أن لا صلاح للنفس إلا بإيثار رضا ربها ومولاها على غيره، ولقد أحسن من قال:

فليتك تحلو والحياة مريرة      وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر      وبينني وبين العالمين خراب

إذا صحّ منك الودّ فالكلّ هيّن      وكلّ الذي فوق التراب تراب

الثالثة: أن تنسب إيثارك إلى الله دون نفسك، وأنه هو الذي تفرّد بالإيثار لا أنت، فكأنك سلّمت الإيثار إليه، فإذا أثرت غيرك بشيء؛ فإنّ الذي أثره هو الحقّ لا أنت فهو المؤثر على الحقيقة، إذ هو المعطي حقيقة<sup>(٢)</sup>.

الأسباب التي تعين على الإيثار:

(١) تعظيم الحقوق: فإن عظمت الحقوق عنده، قام بواجبها ورعاها حقّ رعايتها واستعظم إضاعتها، وعلم أنه إن لم يبلغ درجة الإيثار لم يؤدّها كما ينبغي فيجعل إيثاره احتياطاً لأدائها.

(٢) مقت الشحّ: فإنه إذا مقته وأبغضه التزم الإيثار؛ فإنه يرى أنه لا خلاص له من هذا المقت البغيض إلا بالإيثار.

(٣) الرغبة في مكارم الأخلاق: وبحسب رغبته فيها يكون إيثاره؛ لأنّ الإيثار أفضل درجات مكارم الأخلاق<sup>(٣)</sup>.

(١) ومن أثر: معطوف على «حامده» والمعنى يعود الذي أثره من الخلق ساخطاً عليه.

(٢) أي الحقوق.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٣٠٣ - ٣٠٤) بتصرف.

الفرق بين الإيثار والسخاء والجود:

السَّخَاءُ أعلى مراتب العطاء والبذل، وهذه المراتب هي:

الأولى: ألا ينقصه<sup>(١)</sup> البذل ولا يصعب عليه العطاء وهذه مرتبة السَّخَاءِ.

الثانية: أن يعطي الأكثر - ويبقى له شيئاً أو يبقي - مثل ما أعطى، وهذا هو الجود.

الثالثة: أن يؤثر غيره بالشيء مع حاجته إليه وهذه مرتبة الإيثار<sup>(٢)</sup>.

الإيثار والأثرة:

الأثرة عكس الإيثار؛ لأن الأثرة تعني استئثار المرء عن أخيه بما هو محتاج إليه، قال ابن القيم: وهي المرتبة التي قال فيها رسول الله ﷺ: «ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر: صفات: السخاء - البر - الجود - الشهامة - الكرم - الصدقة - الزكاة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأثرة - البخل - الشح].

\*\*\*

### من فوائد (الإيثار)

- |                                      |  |
|--------------------------------------|--|
| (١) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.  | (٧) الإيثار دليل علو الهمة والبعد عن صفة الأثرة الدميمة.                 |
| (٢) طريق موصل إلى محبة الله ورضوانه. | (٨) الإيثار يجلب البركة وينمي الخير.                                     |
| (٣) حصول الألفة والمحبة بين الناس.   | (٩) الإيثار من علامات الرحمة التي توجب لصاحبها الجنة ويعتق بها من النار. |
| (٤) دليل سخاء النفس وارتقائها.       | (١٠) الإيثار طريق موصل إلى الفلاح لأنه يقي الإنسان من داء الشح.          |
| (٥) مظهر من مظاهر حسن الظن بالله.    |  |
| (٦) علامة على حسن الخاتمة.           |  |

(١) كما في الأصل، ولعل الصواب «يقضه» من قولهم (أقضى مضجعه) أي ألمه وآذاه.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٠٤).

(٣) المرجع السابق (٢/ ٣٠٩) بتصرف.

## الإيمان

## الإيمان لغة:

مصدر آمن وهو مأخوذ من مادة (أم ن) التي تدلّ على معنيين هما: الأمانة التي هي ضدّ الخيانة ومعناها سكون القلب، والتصديق الذي هو ضدّ التكذيب، ومن المادة أيضا الأمان وضدّه الخوف. أمّا الإيمان فضدّه الكفر، وقد أخذ هذا المعنى الأخير (من التصديق) بإجماع أهل العلم كما يقول ابن منظور، وهو راجع إلى معنى الأمان؛ لأنّ العبد إذا آمن بالله أمّنه الله وصار في أمانه، قال ﷺ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وإنّما قيل للمصدّق بالله مؤمن لأنّه لما صدّقه: استسلم له وأمن كلّ من كان على مثل تصديقه فلم يستحلّ ماله ودمه وعرضه فأمنه من كان مثله، فيكون المؤمنون بعضهم في أمان بعض.

من ذلك قول الرسول ﷺ حين سئل من المؤمن؟ قال: «من آمن جاره بوائقه» وإذا كان الإيمان صفة للعبد عدّي بالباء واللّام فليل: آمن بالله والله؛ لأنّه يرجع إلى معنى التصديق وإذا تكلم به في صفة الله لم تدخل عليه اللّام أو الباء. لأنّه يراد به الأمان<sup>(١)</sup>.

المؤمن في أسماء الله تعالى: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى «المؤمن» وهو الذي يصدق عباده وعده، فهو من الإيمان (بمعنى) التصديق، أو يؤمّنهم في القيامة من عذابه، فهو من الأمان والأمن الذي هو ضدّ الخوف<sup>(٢)</sup>.

وقال القرطبي: المؤمن هو المصدّق لرسله بإظهار معجزاته عليهم، ومصدّق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب، ومصدّق الكافرين ما أوعدهم من العقاب، وقيل المؤمن الذي يؤمّن أوليائه من عذابه، ويؤمّن عباده من ظلمه؛ يقال: آمنه من الأمان كما قال تعالى: ﴿وَأَمِّنْهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]، فهو مؤمن، وقال النّابغة:

المؤمن العائذات الطّير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند<sup>(٣)</sup>

(١) انظر في ذلك مقاييس اللغة (١/ ١٣٣)، اللسان (١٤٠، ١٤١)، والصاح (٥/ ٢٠٧١).

(٢) النهاية في غريب الحديث ١/ ٦٩.

(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ٣١.

## واصطلاحاً:

تحدّث عن الإيمان اصطلاحاً طوائف عديدة من أهل العلم من الفقهاء وأهل الحديث والمتكلمين والمفسّرين وغيرهم.

وقد تناول ذلك كلّ من التّهانويّ والعينيّ فقالا ما خلاصته:

معنى الإيمان باعتبار عرف الشّرع اختلف فيه أهل القبلة على أربع فرق:

**الأولى:** الإيمان فعل القلب فقط أي تصديق الرّسول ﷺ في كلّ ما علم مجيئه به بالضرورة تصديقاً جازماً مطلقاً.

**الثانية:** الإيمان عمل (إقرار) باللسان فقط بشرط حصول المعرفة بالقلب، فإن لم تحصل كان صاحب ذلك مؤمناً الظاهر كافر السريّة.

**الثالثة:** الإيمان عمل القلب واللسان أي الاعتقاد الجازم والإقرار بالشهادتين، وقد نسب هذا إلى أبي حنيفة وعامة الفقهاء وبعض المتكلمين.

**الرابعة:** الإيمان فعل القلب واللسان وسائر الجوارح، وقد نسب القول بذلك إلى أصحاب الحديث ومالك والشافعيّ والأوزاعيّ، ولأصحاب الحديث بعد ذلك أقوال ثلاثة:

**الأول:** المعرفة إيمان كامل وهي الأصل ثمّ بعد ذلك كلّ طاعة إيمان على حدة، وكذلك الجحود وإنكار القلب كفر، ثمّ بعد ذلك كلّ معصية كفر على حدة.

**الثاني:** الإيمان اسم للطاعات كلّها، فرائضها ونوافلها وهي بجملتها إيمان واحد، وترك الفرائض وحده هو الذي ينقص الإيمان بخلاف النوافل.

**الثالث:** الإيمان اسم للفرائض دون النوافل<sup>(١)</sup>.

وقد اقتصر الجرجانيّ على رأي الطائفة الثالثة عند ما عرّف الإيمان بأنّه: الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان. قيل فيمن شهد (أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله) وعمل ولم يعتقد فهو منافق ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق، ومن أخلّ بالشهادة فهو كافر<sup>(٢)</sup>. وذكر بعضهم رأي

(١) بتلخيص عن الإمامين العينيّ والتّهانويّ في المرجعين السابقين، عمدة القاريّ (١ / ١١١)، وكشاف اصطلاحات الفنون (١ / ١٣٧).

(٢) التعريفات للجرجانيّ (٤١).

الطائفة الرابعة مقتصرًا عليه فقال: وقيل في معناه: تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان<sup>(١)</sup>، أمّا ابن حجر فقد اقتصر على الطائفة الأولى عند ما قرّر: أنّ الإيمان هو تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به عن ربه<sup>(٢)</sup>.

وقال الكفويّ: الإيمان عرفاً: هو الاعتقاد الزائد على العلم، وشرعاً: هو إمّا فعل القلب فقط أو اللسان فقط أو فعلهما جميعاً، أو هما مع سائر الجوارح<sup>(٣)</sup>.

### بماذا نؤمن؟

جاء في حديث جبريل المشهور بيان لأصل الإيمان الذي هو التصديق الباطن وفيه تفصيل لما يجب أن نؤمن به، وذلك جواباً عن قوله ﷺ: «فأخبرني ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال ﷺ «صدقت»<sup>(٤)</sup>. فقسّم الإيمان بحسب ما يؤمن به إلى ستة أقسام هي:

- ١- الإيمان بالله تعالى.
- ٢- الإيمان بالملائكة.
- ٣- الإيمان بكتب الله.
- ٤- الإيمان بالرسول.
- ٥- الإيمان باليوم الآخر.
- ٦- الإيمان بالقدر.

يقول الشيخ أبو بكر الجزائريّ فيما يتعلّق بالأصناف الأربعة الأولى: المسلم يؤمن بالله تعالى بمعنى أنّه يصدّق بوجود الرّبّ تبارك وتعالى، وأنّه ﷻ فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة ربّ كلّ شيء ومليكه، لا إله إلا هو، ولا ربّ غيره، وأنّه جلّ وعلا موصوف بكّل كمال، منزّه عن كلّ نقص، ويؤمن كذلك بربوبيّته لجميع العالمين، كما أنّه يؤمن بالوحيّة الله تعالى لجميع الأوّلين والآخرين، وأنّه لا إله غيره، ولا معبود بحقّ سواه، والمسلم يؤمن أيضاً بما لله تعالى من أسماء حسنى، وصفات عليا، ولا يشرك غيره فيها ولا يتأوّلها فيعطلها، ولا يشبّهها بصفات المحدثين فيكيّفها أو يمثّلها؛ فهو يثبت لله تعالى ما أثبتته لنفسه، وأثبتته له رسوله ﷺ من

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٣٧٣).

(٢) فتح الباري (١/ ٤٦).

(٣) انظر الكليات للكفوي (٢١٣) وقد أفاض في شرح هذا التعريف في الصفحات (٢١٣-٢١٧) ونقل كلامه بحذافيره يخرج عن أغراض هذه الموسوعة فليرجع إلى هناك من شاء.

(٤) انظر الحديث بتمامه في صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ١٥٧.

الأسماء والصفات، وينفي عنه تعالى ما نفاه عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ من كل عيب ونقص إجمالاً وتفصيلاً.

ويؤمن المسلم بملائكة الله تعالى، وأنهم خلق من أشرف خلقه وعباد مكرّمون من عباده، خلقهم من نور، كما خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجنّ من مارج من نار. وأنه تعالى وكلهم بوظائف، فمنهم الحفظة على العباد، والكاتبون لأعمالهم، ومنهم الموكّلون بالجنة ونعيمها، ومنهم الموكّلون بالنار وعذابها، ومنهم المسبّحون الليل والنهار لا يفترّون، وأنه تعالى فاضل بينهم، فمنهم الملائكة المقربون؛ كجبريل وميكائيل وإسرافيل، ومنهم دون ذلك.

ويؤمن المسلم بجميع ما أنزل الله تعالى من كتاب، وما أتى بعض رسله من صحف، وأنها كلام الله أوحاه الله إلى رسله ليبلّغوا عنه شرعه ودينه وأن أعظم هذه الكتب الأربعة «القرآن الكريم» المنزل على نبيّنا محمد ﷺ، و«التّوراة» المنزلة على نبيّ الله موسى عليه السلام، و«الزّبور» المنزل على نبيّ الله داود عليه السلام، و«الإنجيل» المنزل على عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام، وأن «القرآن الكريم» هو أعظم هذه الكتب، والمهيمن عليها، والناسخ لجميع شرائعها وأحكامها، ويؤمن المسلم بأن «القرآن الكريم» هو الكتاب الشّامل لأعظم تشريع ربّانيّ، تكفّل منزله لمن أخذ به أن يسعد في الدارين، وتوعدّ من أعرض عنه فلم يأخذ به بالشقاوة في الدارين، وأنه الكتاب الوحيد الذي ضمن الله سلامته من النقص والزيادة، ومن التّبديل والتّغيير، وبقائه حتّى يرفعه إليه عند آخر أجل هذه الحياة.

ويؤمن المسلم بأنّ الله تعالى قد اصطفى من النّاس رسلاً وأوحى إليهم بشرعه، وعهد إليهم بإبلاغه لقطع حجّة النّاس عليه - سبحانه - يوم القيامة، وأرسلهم بالبيّنات والهدى، وأيدهم بالمعجزات، ليخرجوا النّاس من الظّلمات إلى النّور.

وأنهم وإن كانوا بشراً يجري عليهم الكثير من الأعراض البشريّة فيأكلون ويشربون، ويمرضون ويصحّون، وينسون ويذكرون، ويموتون ويحيون، فهم أكمل خلق الله تعالى على الإطلاق وأفضلهم بلا استثناء، وأنه لا يتمّ إيمان عبد إلّا بالإيمان بهم جميعاً جملة وتفصيلاً. ويؤمن المسلم بأنّ النّبيّ محمّداً بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشيّ العربيّ المنحدر من صلب إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام، هو عبد الله ورسوله أرسله إلى كافّة النّاس أحمرهم وأبيضهم، وختم بنبوته النّبوات وبرسالته الرّسالات، فلا نبيّ بعده، ولا رسول، أيده بالمعجزات، وفضّله على سائر الأنبياء، كما فضّل أمته على سائر الأمم. فرض محبّته، وأوجب طاعته، وألزم متابعتة، وخصّه بخصائص لم تكن لأحد سواه منها: الوسيلة، والكوثر، والحوض، والمقام المحمود.

ويؤمن المسلم بأن لهذه الحياة الدنيا ساعة أخيرة تنتهي فيها، ويوما آخر ليس بعده من يوم، ثم تأتي الحياة الثانية في الدار الآخرة فيبعث الله سبحانه الخلائق بعثا ويحشرهم إليه جميعا ليحاسبهم فيجزى الأبرار بالنعيم المقيم في الجنة، ويجزي الفجار بالعذاب المهين في النار. وأنه يسبق هذا أشراف الساعة وأماراتها، كخروج المسيح الدجال، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وغير ذلك من الآيات، ثم ينفخ في الصور نفخة الفناء والصعق، ثم نفخة البعث والنشور، والقيام لرب العالمين، ثم تعطى الكتب، فمن أخذ كتابه بيمينه، ومن أخذ كتابه بشماله، ويوضع الميزان، ويجري الحساب، وتنصب الصراط، وينتهي الموقف الأعظم باستقرار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

ويؤمن المسلم بأن نعيم القبر وعذابه، وسؤال الملكين فيه حق وصدق، ويؤمن كذلك بقضاء الله وقدره وحكمته ومشيتته، وأنه لا يقع شيء في الوجود حتى أفعال العباد الاختيارية إلا بعد علم الله بها وتقديره، وأنه تعالى عدل في قضائه وقدره حكيم في تصرفه وتدييره، وأن حكمته تابعة لمشيئته. ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به تعالى. ا. هـ (١).

معنى الإيمان باليوم الآخر:

يقول بعض الباحثين: معنى ذلك بصورة إجمالية:

الإيمان بكل ما أخبر به الله ﷻ في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونييمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاة والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلها جميعا (٢).

وقد اهتم القرآن الكريم اهتماما عظيما باليوم الآخر، فقرره في كل موقع، ونبه إليه في كل مناسبة، وأكد وقوعه بشتى الأساليب. ومن مظاهر هذا الاهتمام:

- ربط الإيمان بالله بالإيمان باليوم الآخر في آيات كثيرة (٣).

- تفصيل القرآن للأحداث التي تحدث في ذلك اليوم.

- كثرة الأسماء التي سمى بها (٤).

(١) بتصرف واختصار شديد من كتاب منهاج المسلم (١٠ - ٤٨).

(٢) الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقضه. د/ محمد نعيم ياسين ص ٦٤.

(٣) راجع الآيات الواردة في ذلك مع الهوامش.

(٤) راجع أسماء القيامة والآيات الواردة فيها.

## الإيمان بالقدر:

قال الإمام النووي: اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه: أن الله تبارك وتعالى قدّر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة على حسب ما قدّرها سبحانه، وقال الخطّابي: قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله ﷻ العبد وقهره على ما قدّره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمونه، وإنما معناه الإخبار عن تقدّم علم الله بما يكون من اكتساب العبد وصدور ذلك عن تقدير منه وخلق لأعماله خيرها وشرّها، والقدر - على ذلك - اسم لما صدر مقدّرا عن فعل القادر، والقضاء في هذا (السياق) معناه الخلق كما في قوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] أي خلقهن<sup>(١)</sup>.

## الفرق بين الإيمان والإسلام:

(انظر صفة الإسلام).

## استعمالات اسم الإيمان في لسان الشرع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : اسم الإيمان تارة يذكر مفردا غير مقرون باسم الإسلام ولا باسم العمل الصالح ولا غيرهما، وتارة يذكر مقرونا، إمّا بالإسلام كما في حديث جبريل المشهور، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وغيرها. وإمّا مقرونا مع العمل الصالح وذلك في مواضع من القرآن كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البروج: ١١]. وإمّا مقرونا بالذين أوتوا العلم، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الروم: ٥٦].

ويذكر أيضا لفظ المؤمنين مقرونا بالذين هادوا والنصارى والصّابئين ثم يقول: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

فالمؤمنون في ابتداء الخطاب غير الثلاثة، والإيمان الآخر عمّهم كما عمّهم في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥٤ / ١٥٥) باختصار وتصرف.

(٢) مجموعة الفتاوى (١٧ / ١٣، ١٤) والآية ٧ من سورة البينة.

ورود اسم «الإيمان» في القرآن:

وقد ورد اسم الإيمان في التنزيل العزيز على أوجه منها:

الأول: بمعنى إقرار اللسان كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ [المنافقون: ٣]. أي آمنوا باللسان وكفروا بالجنان.

الثاني: بمعنى التصديق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]

الثالث: بمعنى التوحيد وكلمة الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥]. أي يكفر بكلمة التوحيد.

الرابع: إيمان يخالطه شرك ويلاسه. كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]. فهم مؤمنون موحدون توحيد الربوبية مشركون في توحيد الألوهية والأسماء والصفات.

الخامس: بمعنى الصلاة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]. أي صلاتكم<sup>(١)</sup>.

وقال أبو القاسم (الراغب): الإيمان يستعمل تارة (في القرآن) اسما للشريعة التي جاء بها محمد ﷺ ويوصف به كل من دخل في شريعته، مقرا باللهو بنبوته، وتارة يستعمل على سبيل المدح، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق (تصديق) بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح، ويقال لكل واحد من الاعتقاد، والقول الصادق والعمل الصالح: إيمان، إلا أن الإيمان هو التصديق الذي يحصل معه الأمن<sup>(٢)</sup>.

وقد جعل ابن الجوزي الإذعان للحق على سبيل التصديق وجها مستقلا أطلق عليه «الإيمان الشرعي»، وهو ما جمع الأركان الثلاثة المذكورة؛ وهي الإقرار والاعتقاد والعمل بمقتضى ذلك، ومثل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥]، ثم ذكر وجها

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروز ابادي (٣/ ١٥٠).

(٢) المرجع السابق (٣/ ١٥١) نقلا عن الراغب الأصفهاني في المفردات.

سابعاً عن بعض المفسرين هو الدعاء ومثّل له بقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا﴾ [يونس: ٩٨] أي دعوا<sup>(١)</sup>.

ونخلص من ذلك إلى أنّ لفظ «الإيمان» وما اشتقّ منه قد ورد في القرآن الكريم على أوجه هي:

- ١- الإقرار.
- ٢- التصديق.
- ٣- التوحيد.
- ٤- إيمان يخالطه شرك.
- ٥- الصلاة.
- ٦- الإيمان الشرعي وهو ما جمع بين الإقرار والتصديق والعمل بمقتضاهما.
- ٧- الدعاء.

وفيما يتعلّق بالسياق اللغوي<sup>(٢)</sup> الذي ورد فيه اللفظ وجدناه، إمّا أن يرد مفرداً، وإمّا أن يقترن بالإسلام أو العمل الصالح أو العلم أو بأصحاب الديانات الأخرى<sup>(٣)</sup> أو بما ينبغي الإيمان به، وسنحاول تصنيف الآيات التي ورد فيها لفظ الإيمان بمراعاة الأمرين جميعاً قدر الإمكان.

#### الإيمان المطلق مستلزم للأعمال:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الإيمان المطلق مستلزم للأعمال بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥]، فنفي الإيمان عن غير هؤلاء، فمن كان إذا ذكر بالقرآن لا يفعل ما فرضه الله عليه من السجود لم يكن من المؤمنين، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله عزّ من قائل: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٨١]، وقد بيّن سبحانه في هذه الآيات أنّ الإيمان له لوازم وله أضداد

(١) نزهة الأعين النواظر (١٤٦).

(٢) المراد بالسياق اللغوي جملة الألفاظ التي أحاطت باللفظ عند استخدامه في الجملة.

(٣) انظر ما نقلناه آنفاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٧/ ١٣).

موجودة، ومن أصداده موادّة من حدّ الله ورسوله، ومن هذا الباب قوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»، وقوله عليه الصّلاة والسّلام «لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه»<sup>(١)</sup> وأشباه هذا كثير<sup>(٢)</sup>.

### الإيمان المقترن بالإسلام أو العمل الصالح يحتمل وجوها عديدة:

إذا قرن الإيمان بالإسلام أو بالعمل الصّالح فإنّه قد يراد به ما في القلب من الإيمان (أي التّصديق الجازم)، ولكن هل يراد به أيضا المعطوف<sup>(٣)</sup>، ويكون من باب عطف الخاصّ على العامّ؟ أو لا يكون داخلا فيه وإنّما لازم له؟ أو لا يكون هذا ولا ذاك؟ للنّاس في ذلك ثلاثة أقوال<sup>(٤)</sup>، ثمّ خلص إلى القول بأنّ لأئمّة السنّة في تفسير الإيمان أقوالا كلّها صحيح، فمنهم من يقول: هو قول وعمل. ومنهم من يقول: هو قول وعمل ونية. ومنهم من يقول: هو قول وعمل ونية واتباع للسنّة، ومنهم من يقول هو قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، فالذين يقولون هو قول وعمل، فإنّه يدخل في القول<sup>(٥)</sup> قول القلب واللسان جميعا، وفي العمل عمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أنّ لفظ القول لا يفهم منه إلّا القول الظّاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأمّا العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنّة فلأنّ ذلك كلّه لا يكون محبوبا لله إلّا باتباع السنّة، وأولئك لم يريدوا كلّ قول وكلّ عمل، وإنّما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال، ومقصودهم الرّدّ على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط، وأمّا الذين جعلوه أربعة أقسام (قول، وعمل، ونية، واتباع للسنّة) ففسّروا مرادهم بما قاله سهل بن عبد الله التّستريّ عند ما سئل: ما الإيمان؟ فقال: قول وعمل ونية، وسنة، لأنّ الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة<sup>(٦)</sup>.

والخلاصة أنّ لفظ الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنّة يراد به ما يراد بلفظ البرّ، ولفظ التّقوى، ولفظ الدّين، فإنّ النّبّيّ ﷺ بيّن أنّ الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله،

(١) انظر الحديث رقم (٨٤) وفيه «لا يدخل الجنة» بدلا من «لا يؤمن». ولعلها رواية أخرى وقف عليها شيخ الإسلام.

(٢) باختصار وتصرف يسير عن الفتاوى ٧/ ١٦٠ - ١٦١.

(٣) الفتاوى ٧/ ١٦٢، وقد وقع فيه - خطأ - المعطوف عليه بدلا من المعطوف.

(٤) أي ذهب بعضهم إلى أن المعطوف جزء من الإيمان، وبعضهم إلى أنه لازم له، وبعضهم إلى أنه مغاير له.

(٥) انظر في مسمى القول والكلام: صفة الكلم الطيب.

(٦) الفتاوى ٧/ ١٧٠ - ١٧١ بتصرف واختصار.

وأدناها إمطة الأذى عن الطّريق، وكذلك لفظ البرّ يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق، وكذلك لفظ التقوى، وكذلك لفظ الدّين أو دين الإسلام<sup>(١)</sup>.

### أصل الإيمان:

وأصل الإيمان تصديق وإقرار ومعرفة وهو من باب قول القلب المتضمّن عمل القلب، والأصل في عمل القلب التّصديق والعمل تابع له، ولهذا فسّر النّبىّ ﷺ الإيمان بإيمان القلب وبخضوعه<sup>(٢)</sup>، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وفسّر الإسلام باستسلام مخصوص هو المباني (أي الأركان) الخمس، وقد قال ﷺ أيضا: «الإسلام علانية والإيمان في القلب»، إشارة إلى أنّ أعمال الإسلام يراها الناس، وما في القلب من تصديق ومعرفة وحبّ وخشية ورجاء فهذا باطن، لكن له لوازم تدلّ عليه، مصداق ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة جميعا أنّ النّبىّ ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم» ففسّر المسلم بأمر ظاهر وهو سلامة النّاس منه، وفسّر المؤمن بأمر باطن هو أن يأمنوه على دمائهم وأموالهم، وهذه الصّفة أعلى من تلك، فإنّ من كان مأمونا سلم النّاس منه، وليس كلّ من سلموا منه يكون مأمونا فقد يترك أذاهم، وهم لا يأمنون إليه، خوفا أن يكون ترك أذاهم لرغبة أو رهبة، لا لإيمان في قلبه<sup>(٣)</sup>. يؤكّد هذا أيضا ما جاء في حديث عمرو بن عبسة أنّ رجلا قال للنّبىّ ﷺ: ما الإسلام؟ قال: «إطعام الطّعام ولين الكلام» قال: فما الإيمان؟ قال: السّماحة والصّبر حيث إنّ إطعام الطّعام عمل ظاهر وكذلك لين الكلام، وأمّا السّماحة والصّبر فخلقان في النّفس<sup>(٤)</sup>.

### التصديق والإيمان ليسا مترادفين:

نفى ابن تيميّة التّرادف التّام بين الإيمان والتّصديق عند ما ذهب إلى أنّ الإيمان أخصّ منه<sup>(٥)</sup> لأنّه تصديق يستعمل على نحو مخصوص، فأمن بمعنى صدّق لا تستعمل متعدّية بنفسها ولا

(١) المرجع السابق (١٧٩ / ٧) باختصار.

(٢) يشير ﷺ بذلك إلى ما جاء في حديث جبريل عند ما سأله: ما الإيمان؟.

(٣) باختصار وتصرف يسير عن «الفتاوى» (٧ / ٢٦٣ - ٢٦٤).

(٤) المرجع السابق (٢٦٤).

(٥) وهذا لا ينفي أن يكون هناك ترادف جزئي أي أنهما قد يستعملان أحيانا في نفس السياق كأن يقال: ما أنت بمصدّق لي، وما أنت بمؤمن لي.

بالباء، وإنّما متعدية باللام فقط، فهذا فرق في الاستعمال اللغوي، وأمّا من جهة الدلالة أو المعنى فقال - رحمه الله تعالى - : إنَّ الإيمان ليس مرادفاً للفظ التصديق في المعنى، لأنَّ كلَّ مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللّغة صدقت، كما يقال: كذبت. وأمّا لفظ الإيمان فلا يستعمل إلّا في الخبر عن غائب، ولهذا يقال للشّهود صدّقناهم ولا يقال آمنّا لهم، ذلك أنّ الإيمان مشتقّ من الأمن (أو الأمانة) ولذلك فهو يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر، ولم يستعمل لفظ آمن له في القرآن إلّا في هذا النوع، والاثنان إذا اشتركا في معرفة الشّيء، يقال صدّق أحدهما صاحبه ولا يقال آمن له لأنّه لم يكن غائبا عنه، وعلى ذلك قوله سبحانه: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١] أي يصدّقهم فيما أخبروا به ممّا غاب عنه، وهم مأمونون<sup>(١)</sup> عنده على ذلك فاللفظ متضمّن مع التصديق معنى الائتمان والأمانة.

(ومن وجوه الفرق أيضا) أنّ لفظ الإيمان في اللّغة لم يقابل بالتكذيب كما قوبل به لفظ التصديق، وإنّما قوبل به لفظ الكفر. يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختصّ بالتكذيب، لأنّ قائلا لو قال: أعلم أنّك صادق لكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك...

لكان كفره أعظم، فلمّا كان الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب فقط، وإنّما يكون تكديبا ومخالفة وامتناعا بلا تكذيب، ولمّا كان الأمر كذلك لزم أن يكون الإيمان تصديقا مع موافقة وموالاتة وانقياد لا مجرد التصديق، وهنا يكون الإسلام جزء مسمّى الإيمان، كما كان الامتناع مع التصديق جزء مسمّى الكفر، ومن ثمّ وجب أن يكون كلّ مؤمن مسلما متقادا للأمر وهذا هو العمل.

ومن وجوه الفرق أيضا ما قال به بعضهم (بعض اللّغويين) من أنّ الإيمان أصله في اللّغة من الأمن الذي هو ضدّ الخوف، وعلى ذلك يكون معنى آمن: صار داخلا في الأمن وأنشدوا على ذلك بيت النّابغة<sup>(٢)</sup>:

المؤمن العائذات الطير يمسخها ركبان مكة بين الغيل والسبّد

(١) في الأصل (٢٩٢) «وهو مأمون عنده على ذلك» والسياق يقتضي ما أثبتناه.

(٢) في الفتاوى «وأنشدوا... ثم بياض» في الأصل لم يستطع المحقق إكماله، وقد أكملناه بفضل الله تعالى اعتمادا على ما ذكرته المصادر الأخرى.

وإذا سلّمنا بأنّ الإيمان أصله التّصديق، فهو تصديق مخصوص كما أنّ الصّلاة دعاء مخصوص، والحجّ قصد مخصوص، والصّيام إمساك مخصوص، وهذا التّصديق له لوازم تدخل في مسماه عند الإطلاق، لأنّ انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم<sup>(١)</sup>.

### الإيمان ومكارم الأخلاق:

يقول ابن تيميّة - رحمه الله تعالى - : لفظ الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ البرّ، ولفظ التّقوى، ولفظ الدّين.

وقد بينّ ﷺ أنّ الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطّريق، فكان كلّ ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان<sup>(٢)</sup>، وإذا كان الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، وأنّه لا بدّ فيه من شيئين: الأوّل تصديق بالقلب وإقراره ومعرفته وهذا هو التّوحيد، والآخر عمل القلب وهو التّوكّل على الله وحده ونحوه مثل حبّ الله ورسوله، وحبّ ما يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده<sup>(٣)</sup> كانت أعمال القلب من الحبّ والإخلاص والخشية والتّوكّل ونحوها داخلة في الإيمان بهذا المعنى، وكانت هذه الأخلاق الفاضلة ونحوها داخلة في الإيمان، وأمّا البدن فلا يمكن أن يتخلّف عن مراد القلب، لأنّه إذا كان في القلب معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، ولهذا قال النّبى ﷺ: «ألا إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب»، وقال أبو هريرة رضي عنه: «القلب ملك والأعضاء جنوده فإذا طاب الملك طابت جنوده.

إنّه إذا كان عمل القلب من الأمور الباطنة، وعمل الجسد من الأمور الظّاهرة، فإنّ الظّاهر تابع للباطن لازم له، متى صلح الباطن صلح الظّاهر، وإذا فسد فسدت، ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلّي العابث: لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه<sup>(٤)</sup>، وهكذا فإنّه لما كانت الطّاعات كلّها داخلة في الإيمان لم يفرّق الله ﷻ بينها وبينه في قوله سبحانه: ﴿حَبَّ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧]، فأدخل في الإيمان جميع الطّاعات لأنّه سبحانه حبّب إليهم ذلك حبّ تدين، وكره إليهم الكفر والفسوق وسائر المعاصي كراهة

(١) بتلخيص وتصرف من الفتاوى (٧/ ٢٨٦ - ٢٩٧).

(٢) المرجع السابق (٧/ ١٧٩).

(٣) الفتاوى (٧/ ١٨٧).

(٤) المرجع السابق (٧/ ٤٢ - ٤٣) بتصرف واختصار.

تدين، ومن ذلك قوله ﷺ: «من سرته حسنته وسأته سيئته فهو مؤمن» لأن الله سبحانه حبب إلى المؤمنين الحسنات وكره إليهم السيئات<sup>(١)</sup>.

إن الأخلاق الفاضلة من نحو صدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر وتلاوة القرآن، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه وأمثال ذلك، كلها داخله في مفهوم العبادة، وذلك أن العبادة هي الغاية المحبوبة لله والمرضية له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وبها أرسل الله جميع الرسل، كما قال نوح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، والدين كله داخل في العبادة التي تتضمن غاية الدل لله بغاية المحبة له<sup>(٢)</sup>، ومن هنا تكون فضائل الأخلاق ومكارمها داخله في إطار الدين وركنا أساسيا من أركانه.

إن هذه الأخلاق الإيمانية - كما أطلق عليها ابن تيمية - هي وجه من الوجوه التي يتفاضل فيها الناس فيما يتعلق بزيادة الإيمان ونقصه، يقول - رحمه الله تعالى - من المعلوم بالذوق الذي يجده كل مؤمن أن الناس يتفاضلون في حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه والتوكل عليه، والإخلاص له، وفي سلامة القلوب من الرياء والكبر والعجب والرحمة للخلق والنصح لهم، ونحو ذلك من الأخلاق الإيمانية<sup>(٣)</sup>، ومصدق هذا قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»<sup>(٤)</sup>.

#### الإيمان هو مصدر الإلزام الخلفي:

إنه لما كانت الأخلاق من الإيمان بهذه المثابة، كان الإيمان هو مصدر الإلزام الخلفي<sup>(٥)</sup> بمعنى أن الإيمان له قوته الإيجابية التي تعمل على تنمية المشاعر وتنقيتها، وأن القوة الإيمانية

(١) المرجع السابق (١٠ / ١٤٩ - ١٥٠) بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق (١٠ / ١٥٢). وانظر صفة «العبادة».

(٣) انظر الأخلاق الإيمانية في مواطنها من هذه الموسوعة.

(٤) بتصرف واختصار عن الفتاوى ٧ (٥٦٤).

(٥) ذهب بعضهم إلى أن الذوق أو الوجدان هو مصدر هذا الإلزام، وذهب فريق آخر إلى أنه العقل، وفريق ثالث إلى أنه الضمير، وفريق رابع إلى أنه العرف. انظر هذه الآراء تفصيلا في «النظرية الخلفية عند ابن تيمية» ص ١١١.

ترك بصماتها على اتجاهات السلوك الإنساني، ولا سيما في مجال العلاقات الإنسانية<sup>(١)</sup>، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]. لقد نصت هذه الآيات على خمس صفات للمؤمن الحق، وهذه الخمس - كما يقول ابن تيمية تتضمن ما عداها، فإنه سبحانه ذكر وجل القلوب إذا ذكر الله، وزيادة الإيمان إذا تليت الآيات، مع التوكل على الله، وإقام الصلاة، والإنفاق، فكان هذا مستلزما للباقي، لأن وجل القلب عند ذكر الله يقتضي خشيته والخوف منه<sup>(٢)</sup>، وإذا كان وجل القلب من ذكر الله يتضمن خشيته ومخافته، فذلك يدعو صاحبه إلى فعل المأمور وترك المحذور<sup>(٣)</sup>، وقد استخلص من ذلك بعض الباحثين أن الالتزام الخلقي الناتج عن الإيمان تكون له دوما مصادر أو روافده التي تزيده وتزيد من عمقه وثباته سواء في مجال الإقدام على الخير، أو في مجال الابتعاد عن الشر، وكلاهما لازم للآخر حسبما تقتضي بذلك طبيعة الإيمان<sup>(٤)</sup>.

(للاستزادة: انظر صفات: الإسلام - الاتباع الاستقامة - الإحسان - الإخلاص - الأمانة - بر الولدين - البر - التقوى - التوحيد - الدعوة إلى الله - الصدق - الصلاح - العبادة - الطاعة - اليقين. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الكفر - الشرك - الإلحاد - الضلال - العصيان - الإعراض - الزندقة - النفاق - الفسوق - الرياء - الغي والإغواء - الردة - الفجور].

\*\*\*

### من فوائد (الإيمان)

- (١) الرضا بالقضاء والصبر على البلاء إذ كلفه (٣) سلامة النفس من أمراضها والسكينة من عند الله. والرضا في القلب.
- (٢) بذل كل معروف ومحبوب للرب الخالق، (٤) الطاعة الكاملة مع الحب الغامر لمن كان وترك كل مكروه له سبحانه. سببا لكل خير وهو الرب العظيم سبحانه.

(١) النظرية الخلقية عند ابن تيمية ص ٩٤.

(٢) الفتاوى (٧/ ١٩).

(٣) المرجع السابق (٧/ ٢٠).

(٤) النظرية الخلقية عند ابن تيمية ص ٩٤.

- (٥) ما فات في الدنيا يعوّض في الآخرة. (١١) الفطنة والحذر من لوازم الإيمان.
- (٦) حبّ ما يحبه الله ﷻ من النّبيين والصّالحين والأعمال والأخلاق، وبغض ما يبغضه الله سبحانه من الأشرار والمفسدين والأعمال والأخلاق؛ لأنّ من أحبّ أحداً أحبّ ما يحبه وأبغض ما يبغضه.
- (٧) التّسليم الكامل لشرعه بل هوى نفس المؤمن وراحة فؤاده في تحكيم شرعه في القليل والكثير والعظيم والحقير.
- (٨) شرط قبول كلّ الأعمال.
- (٩) نيل الرّضا والحبّ والإنعام من الله ﷻ.
- (١٠) الحياة الطّيبة في الدنيا والفوز بالجنّة في الآخرة.
- (١١) الفطنة والحذر من لوازم الإيمان.
- (١٢) الإيمان ينجّي من دخول النّار ومن البقاء فيها.
- (١٣) الإيمان الكامل يستلزم العمل الصّالح.
- (١٤) الإيمان هو التّطبيق الفعليّ للإسلام فمن أسلم بلسانه لا بدّ أن يصدّق بقلبه ويعمل بجوارحه حتّى يكون مؤمناً «قل آمنتم بالله ثمّ استقم».
- (١٥) يولّد الإيمان الحقيقيّ حلاوة في القلب تجعل صاحبها لا ينفكّ عن تحصيل أسبابها.
- (١٦) يجعل النّفس مطمئنّة راضية قانعة بما يقدره الله ويقضيه عليها ولها.

## البر

### البر لغة:

البرّ مصدر برّ يبرّ وهو مأخوذ من مادّة (ب ر ر) التي تدلّ على معان عديدة، ومن هذه المعاني الصّدق، يقول ابن فارس: «فأما الصّدق فقولهم: صدق فلان وبرّ، وبرّت يمينه صدقت، وأبرّها أمضاها على الصّدق، وتقول برّ الله حجّك وأبرّه، وحجّة مبرورة أي قبلت قبول العمل الصّادق، ومن ذلك قولهم: يبرّ ربّه أي يطيعه وهو من الصّدق، قال الشّاعر:

لا همّ لولا أنّ بكرا دونكا يبرّك النّاس ويفجرونكا<sup>(١)</sup>

ومنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (١/ ١٧٦).

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية: البرّ هنا اسم جامع للخير، وتقدير الآية «ولكنّ البرّ من آمن» حذف المضاف كما حذف في قوله سبحانه: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهل القرية، وقيل المعنى: «ولكنّ ذا البرّ» كما في قوله تعالى: ﴿هُمَّ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، وذلك أنّ النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة وفرضت الفرائض، وصرفت القبلة إلى الكعبة، وحدت الحدود أنزل الله هذه الآية فقال (ما معناه): ليس البرّ كلّهُ أن تصلّوا، ولا تعملوا (شيئاً) غير ذلك، ولكنّ ذا البرّ من آمن بالله... إلخ. قال بذلك ابن عبّاس ومجاهد والضّحّاك وغيرهم، ويجوز أن يكون البرّ بمعنى البارّ والبرّ، لأنّ المصدر قد يطلق ويراد به اسم الفاعل، كما يقال: رجل عدل أي عادل، وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنْ أَصْحَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [الملك: ٣٠] أي غائراً، وهذا اختيار أبي عبيدة<sup>(١)</sup>.  
وأما قول النّابغة:

عليهنّ شعث عامدون لبرّهم

فقالوا: أراد الطّاعة وقيل: أراد الحجّ.. وقولهم للسّابق: الجواد المبرّ هو من هذا؛ لأنّه إذا جرى صدق وإذا حمل عليه صدق<sup>(٢)</sup>.

ومن معاني البرّ أيضاً حسن الخلق كما جاء في الحديث «البرّ حسن الخلق» والبرّ الخير، والبرّ: الصّلاح، يقال برّ يبرّ إذا صلح، والبرّ: الصّلة، يقال: برّ رحمه يبرّه إذا وصله، والبرّ الطّاعة، كما في قولهم: برّ ربّه، يقال: رجل برّ بذي قرابته. وبارّ من قوم بررة وأبرار، والمصدر البرّ. وتبارّوا، تفاعلوا: من البرّ، وفي حديث الاعتكاف: «ألبرّ يردن»، أي الطّاعة والعبادة، ومنه الحديث: «ليس من البرّ الصّيام في السّفرة». وفي كتاب قريش والأنصار: وإنّ البرّ دون الإثم أي أنّ الوفاء بما جعل على نفسه دون الغدر والنكث. وبرّت يمينه: صدقت. وأبرّها: أمضاها على الصّدق. والبرّ: الصّادق<sup>(٣)</sup>.

#### البر اصطلاحاً:

وقد اختلف العلماء في تفسير البرّ فقال بعضهم: البرّ الصّلاح، وقال بعضهم: البرّ الخير، قال ابن منظور: ولا أعلم تفسيراً أجمع منه؛ لأنّه يحيط بجميع ما قالوا، قال: وجعل لبيد البرّ التّقى حيث يقول: وما البرّ إلاّ مضمّرات من التّقى.

(١) تفسير القرطبي ٢ / ٢٣٨.

(٢) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ١ / ١٧٦.

(٣) انظر: الصحاح للجوهري (٢ / ٥٨٨) والنهاية لابن الأثير (١ / ١١٦). ولسان العرب لابن منظور (٤ / ٥١ - ٥٤).

قال أبو منصور: البرّ خير الدّنيا والآخرة فخير الدّنيا ما ييسره الله تعالى للعبد من الهدى والنّعمة والخيرات، وخير الآخرة الفوز بالنّعيم الدّائم في الجنّة، جمع الله لنا بينهما بكرمه ورحمته<sup>(١)</sup>.  
قال ابن الأثير في أسماء الله تعالى (البرّ) وهو العطف على عباده ببرّه ولطفه<sup>(٢)</sup>. والأبرار معناها المتّقون<sup>(٣)</sup>.

### مسمّى البرّ وعلاقته بالإيمان:

قال الإمام ابن تيمية: لفظ البرّ إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنَ اتَّقَى﴾ [البقرة: ١٨٩]، وأيضا فإنّ البرّ إذا أطلق كان مسمّاه مسمّى التقوى، والتّقوى إذا أطلقت كان مسمّاه مسمّى البرّ ثمّ قد يجمع بينهما كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]،<sup>(٤)</sup> فعطف التقوى على البرّ، وعطف الشّيء على الشّيء في القرآن الكريم وسائر الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع اشتراكهما في الحكم الذي ذكر لهما<sup>(٥)</sup>، وقد يكون مسمّاه إذا أطلق هو مسمّى الإيمان فقد روي أنّهم سألوا عن الإيمان فأنزل الله هذه الآية ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآلَمَاتِ الْبِرِّ وَآلَمَاتِ الْبِرِّ وَعَاقَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَأَيْتَمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَاقَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقد فسّر البرّ بالإيمان، وفسّر بالتّقوى، وفسّر بالعمل الذي يقرب إلى الله، والجميع حقّ، فقد روي مرفوعا إلى النبيّ ﷺ أنّه فسّر البرّ بالإيمان وجاء في الأثر أنّ رجلا جاء إلى أبي ذرّ فسأله عن الإيمان فقرأ الآية السابقة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾...

(١) النهاية لابن الأثير (١ / ١١٦).

(٢) انظر النهاية لابن الأثير (١ / ١١٦).

(٣) كشف اصطلاحات الفنون (١ / ١٧١).

(٤) الفتاوى ٧ / ١٦٥.

(٥) الفتاوى ٧ / ١٧٢ وقد ذكر هنا أنواع المغايرة، وذكر أنّ أعلاها التباين، وأدناها عطف الشّيء على الشّيء لاختلاف الصفتين ويقع بينهما عطف الشّيء على لازمه وعطف الجزء على الكل.

إلخ الآية فقال الرجل: ليس عن البرِّ سألتك، فقال (أبو ذر): جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه، فقرأ الذي قرأت عليك، فقال له الذي قلت لي، فلما أبى أن يرضى قال له: إن المؤمن الذي إذا عمل الحسنة سرته، ورجا ثوابها، وإذا عمل السيئة ساءته وخاف عقابها<sup>(١)</sup>. والرسول ﷺ يشير في هذا الحديث إلى ما يسببه فعل الحسنة أو الخير من إحساس نفسي بالسعادة، وما يعقبه من راحة قلبية غامرة، الأمر الذي يعكس بدوره فاعلية الإيمان - وكذلك البرِّ الذي بمعناه - في تنمية قوة الشعور بالالتزام الخلقي تجاه عمل الخير، كما ترى أبعاد هذا الشعور لدى النفس المؤمنة، حتى إذا ما عمل هذا المؤمن عملاً خلقياً فاضلاً، ظهرت عليه الاثار النفسية الناتجة عن إنجاز ذلك العمل من سرور وسكينة، والأمر بالعكس بالنسبة لفعل السيئة أو الشرِّ، لأن الأصداء النفسية التي يسببها تراخي قبضة الإلزام الخلقي، والتهاون فيه، تظهر سماتها في مظاهر الحزن والهم والقلق التي تبدو لدى المؤمن<sup>(٢)</sup>.

### أنواع البرِّ:

والبرُّ نوعان: صلة، ومعروف.

فأما الصلة: فهي التبرُّع ببذل المال في الجهات المحدودة لغير عوض مطلوب، وهذا يبعث عليه سماحة النفس وسخاؤها، ويمنع منه شحها وإباؤها قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وأما النوع الثاني من البرِّ فهو: المعروف: ويتنوع أيضاً نوعين: قولاً وعملاً. فأما القول: فهو طيب الكلام وحسن البشر، والتودد بجميل القول، وهذا يبعث عليه حسن الخلق، ورقة الطبع، ويجب أن يكون محدوداً كالسخاء؛ فإنه إن أسرف فيه كان ملقاً مذموماً وإن توسّط واقتصد فيه كان معروفًا وبراً محموداً.

وأما العمل: فهو بذل الجاه والمساعدة بالنفس والمعونة في النائية، وهذا يبعث عليه حب الخير للناس وإيثار الصلاح لهم، وليس في هذه الأمور سرف ولا لغايتها حدّ بخلاف النوع الأول؛ لأنها وإن كثرت فهي أفعال خير تعود بنفعين: نفع على فاعلها في اكتساب الأجر وجميل الذكر، ونفع على المعان بها في التخفيف عنه والمساعدة له<sup>(٣)</sup>.

(١) الفتاوى ٧ / ١٨١.

(٢) النظرية الخلقية عند ابن تيمية لمحمد عبد الله عفيفي ص ٩١ - ٩٢.

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي (١٨٤ و ٢٠٠ - ٢١٥).

وجوه استعمال البر في القرآن الكريم:

ورد البر في القرآن الكريم على أوجه منها:

أولاً: البر بالفتح أربعة:

الأول: بمعنى الصادق جلّ اسمه وعلا: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

الثاني: في مدح عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدِي﴾ [مريم: ٣٢].

الثالث: في مدح يحيى بن زكريا: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ [مريم: ١٤].

الرابع: في ساكني ملكوت السماء: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥، ١٦].

ثانياً: أما البر بالكسر فأربعة:

الأول: بمعنى البار: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

الثاني: بمعنى الخير: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

الثالث: بمعنى الطاعة والخير: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ [البقرة: ٤٤].

الرابع: بمعنى تصديق اليمين: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾.

[البقرة: ٢٢٤]

وقد جاء البر في معنى صلة الرحم: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنَّاكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِينِكُمْ

أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ [المتحنة: ٨]. أي تصلوا أرحامكم<sup>(١)</sup>.

قال الماوردي رحمه الله: إن البر من أسباب الألفة: لأنه يوصل إلى القلوب ألقافاً يثنيها محبة

وانعطافاً، ولذلك ندب الله تعالى إلى التعاون به، وقرنه بالتقوى له، فقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى

الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢] لأن له في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين

رضا الله تعالى ورضا الناس، فقد تمت سعادته وعمت نعمته.

[للاستزادة: انظر صفات: الإنفاق - بر الوالدين - التقوى - حسن الخلق - حسن المعاملة -

حسن العشرة - الصدقة - صلة الرحم - التقوى.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: قطيعة الرحم - عقوق الوالدين - البخل - الشح - سوء الخلق -

سوء المعاملة].

(١) بصائر ذوي التمييز (٢ / ٢١١).

## من فوائد (البر)

- (١) طريق موصل إلى الجنة.  
 (٢) زيادة في العمر وبركة في المال والنسل.  
 (٣) من أسباب سعادة المرء في الدارين.  
 (٤) دليل على حسن الخاتمة.  
 (٥) نيل محبة الناس ومحبة الله ﷻ.  
 (٦) البر يؤدّي إلى الألفة وشيوع روح المحبة في المجتمع.  
 (٧) التاجر البارّ يخرج من زمرة الفجار يوم القيامة.
- (٨) الأبرار تعمّر بهم الأرض وذلك بخلاف الفجار الذين يخربونها وهي عامرة.  
 (٩) البرّ ينجي من العذاب يوم القيامة.  
 (١٠) البرّ إحدى الصفات التي لا تكتمل مكارم الأخلاق إلّا بها وهو أعلى درجات الصدق.  
 (١١) بالبرّ تطمئنّ النفوس الحائرة وتهدأ القلوب الفزعة وتستقرّ الجماعات.

## بر الوالدين

## بر الوالدين لغة:

البرّ مصدر مأخوذ من مادة «ب ر ر» التي يقول عنها ابن فارس: الباء والرّاء في المضاعف أربعة أصول (أي لها أربعة معان أصلية) هي: الصدق، وحكاية صوت، وخلاف البحر، ونبت. ويرجع برّ الوالدين إلى المعنى الأول وهو الصدق. يقول صاحب المقاييس: فأما الصدق فقولهم صدق فلان وبرّ، وبرّت يمينه: صدقت، وأبرّها أمضاها على الصدق، وتقول برّ الله حجّك وأبرّه، وحجّة مبرورة أي قبلت قبول العمل الصادق، ومن ذلك قولهم: يبرّ ربّه أي يطيعه وهو من الصدق، ومن هذا الباب قولهم: هو يبرّ (والديه) وذا قرابته، وأصله الصدق في المحبة يقال (في الوصف منه) رجل برّ وبارّ<sup>(١)</sup> وجمع البرّ أبرار وجمع البارّ بررة<sup>(٢)</sup> وجاء في الصحاح: البرّ خلاف العقوق تقول بررت والدي (بفتح الرّاء الأولى وكسرهما) أبرّه برّا فأنا برّ به وبارّ به والمضارع منه

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٧٨).

(٢) الصحاح للجوهري (٢/ ٥٨٨)، والقاموس المحيط (٤٤٤)، ولسان العرب «برر» (٢٥٣) ط. دار المعارف. وقد اقتصر في الصحاح على لغة الكسر (بررت) ومن ثم يكون المضارع بالفتح لا غير.

على وزن يفعل عند من يكسر الراء وعلى وزن يفعل عند من يفتحها تقول: قد برّ والده يبرّه ويبرّه برّا فيبرّ على بررت ويبرّ على بررت<sup>(١)</sup>، والبرّ إذا أضيف إلى الوالدين أو ذي القرابة كان معناه ضدّ العقوق يقول ابن منظور: وهو (البرّ) في حقّهما وحقّ الأقربين من الأهل ضدّ العقوق<sup>(٢)</sup> ومن معاني البرّ أيضا: الصلّة، والجنّة، والخير، والطاعة، والحجّ، والاتّساع في الإحسان، وحسن الخلق<sup>(٣)</sup>، وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨] قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى: البرّ وهو العطف على عباده ببرّه أي بإحسانه ولطفه<sup>(٤)</sup>.

### البر بالوالدين اصطلاحا:

الإحسان إلى الوالدين والتعطف عليهما والرّفق بهما والرّعاية لأحوالهما وعدم الإساءة إليهما، وإكرام صديقيهما من بعدهما<sup>(٥)</sup>.

وقد جاء البرّ في القرآن الكريم بمعنى صلة الرّحم - أيضا - قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ [المتحنة: ٨]، أي تصلوا أرحامكم.

قال الماوردي رحمه الله: إنّ البرّ من أسباب الألفة: لأنّه يوصل إلى القلوب أطافا يشيها محبة وانعطافا، ولذلك ندب الله تعالى إلى التّعاون به، وقرنه بالتّقوى له، فقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢] لأنّ له في التّقوى رضا الله تعالى، وفي البرّ رضا النّاس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا النّاس، فقد تمّت سعادته وعمّت نعمته.

[للاستزادة: انظر صفات: الإنفاق - بر الوالدين - التقوى - حسن الخلق - حسن المعاملة - حسن العشرة - الصدقة - صلة الرّحم - التقوى.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: قطيعة الرّحم - عقوق الوالدين - البخل - الشح - سوء الخلق - سوء المعاملة].

(١) اللسان «بر» (٢٥٣).

(٢) وقد عرف ابن منظور العقوق هنا بأنه «الإساءة إليهم والتضييع لحقوقهم. انظر اللسان الموضوع السابق.

(٣) انظر مادة (ب ر ر) في المعاجم الآتية: الصحاح، المقاييس، اللسان، القاموس (٦)، النهاية (١ / ١١٦).

(٤) النهاية (١ / ١١٦).

(٥) بصائر ذوي التمييز، للفيروز ابادي (٢ / ٢١١).

## من فوائد (بر الوالدين)

- (١) من كمال الإيمان وحسن الإسلام.  
 (٢) من أفضل العبادات وأجلّ الطاعات.  
 (٣) طريق موصل إلى الجنة.  
 (٤) الزيادة في الأجل والنماء في المال والنسل  
 (٥) رفع الذكر في الآخرة وحسن السيرة في الناس.  
 (٦) من برّ آباءه برّه أبنائه والجزاء من جنس العمل.  
 (٧) برّ الوالدين يفرّج الكرب.  
 (٨) من حفظ وذّ أبيه لا يُطفئ الله نوره.

## البشارة

## البشارة لغة:

البشارة بضمّ الباء وكسرهما الاسم من قولهم بشره بالأمر يبشره بشرا وبشورا، ويتعدّى بالهمزة فيقال أبشره، وبالتضعيف فيقال بشّره، ويقال أيضا بشر بالشّيء إذا استبشر به وبابه طرب. وكلّه مأخوذ من مادة (ب ش ر) التي تدلّ على الظهور والحسن.

يقول ابن فارس: الباء والشين والراء أصل واحد: هو ظهور الشّيء مع حسن وجمال، فالبشرة ظاهر جلد الإنسان. وسُمّي البشر بشرا لظهورهم، والبشير الحسن الوجه، والبشارة الجمال، قال: الأعشى:

ورأت بأنّ الشّيب جا نبه البشاشة والبشارة

ويقال: بشّرت فلانا أبشّره تبشيرا، وذلك يكون بالخير وربّما حمل عليه غيره من الشّرّ لضرب من التّبكيث، فأما إذا أطلق الكلام إطلاقا فالبشارة بالخير والتّذارع بغيره. ويقول الرّازي: والبشارة المطلقة لا تكون إلّا بالخير وإنّما تكون بالشّرّ إذا كانت مقيدة به كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وتبأشر القوم بشّر بعضهم بعضا، والبشر المبشّر، والمبشّرات الرّياح التي تبشّر بالغيث، ويقول صاحب اللسان: والتبشير يكون بالخير والشّرّ كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] والاسم البشري. وقوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]. والاسم البشارة بالكسر والضمّ. وتقول: أبشر بخير، بقطع الألف، وبشّرت بكذا، بالكسر، أبشر أي استبشّرت به. وتبأشر القوم أي بشّر بعضهم بعضا. والبشارة أيضا: ما يعطاه المبشّر بالأمر وفي حديث توبة كعب «فأعطيته ثوبيّ بشارة»، والبشير: المبشّر الذي يبشّر القوم بأمر خير أو شرّ.

وقال الزجاج: معنى يبشرك يسرك ويفرحك وبشرت الرجل أبشره إذا أفرحته. قال: وأصل هذا كله أن بشرة الإنسان تنبسط عند السرور ومن هذا قولهم فلان يلقاني ببشر أي بوجه منبسط<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحاً:

كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب<sup>(٢)</sup>.

### ورود البشارة في القرآن الكريم:

وردت البشارة في القرآن على اثني عشر وجهاً لاثني عشر قوماً باثني عشرة كرامة:

الأول: بشارة أرباب الإنابة بالهداية: ﴿وَأَنبَأُوا إِلَى اللَّهِ هُمُ الْبَشَرَى﴾ إلى قوله: ﴿هَدَيْنَاهُمُ اللَّهَ﴾.

[الزمر: ١٧، ١٨]

الثاني: بشارة المخبتين والمخلصين بالحفظ والرعاية: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

الثالث: بشارة المستقيمين بثبات الولاية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ إلى

قوله: ﴿وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠].

الرابع: بشارة المتقين بالفوز والحماية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [١٣] لَهُمُ الْبَشَرَى﴾.

[يونس: ٦٣، ٦٤]

الخامس: بشارة الخائفين بالمغفرة والوقاية: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ

بِالْغَيْبِ فَبَشِرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١].

السادس: بشارة المجاهدين بالرضا والعناية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾ إلى قوله:

﴿يُبَشِّرُهُمُ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة: ٢٠، ٢١].

السابع: بشارة العاصين بالرحمة والكفاية: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ﴾ إلى قوله:

﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٦].

(١) انظر: النهاية لابن الأثير (١ / ٩٤). ولسان العرب لابن منظور (١ / ٢٨٧)، ومختار الصحاح للرازي (٤٦) ومقاييس اللغة لابن فارس (١ / ٢٥١).

(٢) التعريفات للجرجاني (٤٥) وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١ / ١٧١).

الثامن: بشارة المطيعين بالجنة والسعادة ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥].

التاسع: بشارة المؤمنين بالعطاء والشفاعة ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢].

العاشر: بشارة المنكرين بالعذاب والعقوبة ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨]، ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]. وهذه استعارة ولكن تنبيه أن أسر ما يسمعه الخبير بما ينالهم من العذاب.

الحادي عشر: بشارة الصابرين بالصلوات والرحمة ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٧].

الثاني عشر: بشارة العارفين باللقاء والرؤية ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٧]<sup>(١)</sup>.

ووردت البشارة وما اشتق منها في القرآن الكريم في مواضع عديدة وجاءت في بعض الايات صفة للمولى ﷺ وفي بعضها صفة للمصطفى ﷺ ونسبت للرياح في بعض الايات. لقد اقترنت البشارة بالندارة خاصة في صفة الأنبياء والمرسلين وانفردت وحدها في بعض الأحيان، أما المبشرون فقد كانوا أصنافا عديدة منهم المؤمنون والمحسنون والصابرون... إلخ. (انظر تصنيف الايات)

[للاستزادة: انظر صفات: البشاشة- السرور طلاقة الوجه- الفرح.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التنفير- التعسير- العبوس- التطير].

\*\*\*

### من فوائد (البشارة)

(١) حصول الفرح بعد الشدة. (٢) انشراح الصدر وسعادة القلب.

(١) بصائر ذوي التمييز، للفيروز ابادي (٢/ ٢٠٠-٢٠٢).

- (٣) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.  
 (٤) سبب لاستقرار النفس وراحة البال.  
 (٥) دليل حسن الخاتمة.  
 (٦) حبّ المبشّر لمن يبشّره واستثنائه به.  
 (٧) البشارة تجلب الطمأنينة وسكون النفس وترفع الرّوح المعنويّة.  
 (٨) تعود البشارة بالنّفع العاجل للمبشّر كما في حديث كعب بن مالك.

### البشاشة

#### البشاشة لغة:

مصدر بشّ، وهو مأخوذ من مادّة (ب ش ش) التي تدلّ بحسب وضع اللّغة على معنى واحد هو اللّقاء الجميل والضّحك إلى الإنسان سرورا به، أنشد ابن دريد:

لا يعدم السّائل منه وفرّا      وقبلاه به بشاشة وبشاشرا  
 بشّ يبشّ بشّا وبشاشة والبشاشة: طلاقة الوجه. والبشّ: اللّطف في المسألة، والإقبال على الرّجل، وقيل: هو أن يضحك له، وقيل فرح الصّديق بالصّديق، ولقاؤه لقاء جميلا. ويقال: رجل هسّ بشّ: أي طلق الوجه طيّب. ويقال للوجه: البشيش، فيقال فلان مضىء البشيش. ويقال: تبشيش به أي آنسه وواصله<sup>(١)</sup>.

والبشّ: اللّطف في المسألة والإقبال على الرّجل وقيل: هو أن يضحك له ويلقاه لقاء جميلا، والبشاشة طلاقة الوجه، وبشاشة اللّقاء: الفرح بالمرء والانبساط إليه والأنس به، ورجل هسّ بشّ وبشاشّ: طلق الوجه طيّب، وقد بششت به (بالكسر) أبشّ بشّا وبشاشة<sup>(٢)</sup>.

#### واصطلاحا:

هي سرور يظهر في الوجه يدلّ به على ما في القلب من حبّ اللّقاء والفرح بالمقابلة. [للاستزادة: انظر صفات: التودد- حسن السمات- السرور- طلاقة الوجه- الرضا- الفرح].  
 [وفي ضد ذلك: انظر صفات: الجفاء- الحزن العبوس- القنوط- الوهن- اليأس].

(١) لسان العرب (٢٨٨-٢٨٩)، والصحاح (٣/٩٩٦)، وتاج العروس (٤/٢٨٣)، ومقاييس اللغة.

(٢) اللسان (مادة بشش وطلق).

## من فوائد (البشاشة)

انظر فوائد صفة (طلاقة الوجه).

## البصيرة والفراسة

## البصيرة لغة:

البصيرة على وزن فعيلة بمعنى مفعلة مأخوذة من مادة (ب ص ر) التي تدل على العلم بالشيء، يقال هو بصير به. قال الراغب: «البصر يقال للجارحة الناظرة (أي العين) نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّمَحَ الْبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧]، ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر نحو قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].. وجمع البصر أبصار وجمع البصيرة بصائر قال تعالى: ﴿فَمَا أَعَنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٦] ولا يكاد يقال لجارحة بصيرة، ويقال من الأول (البصر) أبصرت، ومن الثاني (البصيرة) أبصرت به وبصرت به وقلما يقال: بصرت في الحاسة إذا لم تضمّنه رؤية القلب.. وقوله ﷺ: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] أي على معرفة وتحقق، والضّرير يقال له بصير على سبيل العكس (كذا قالوا) والأولى أن ذلك يقال دعاء له من قوة بصيرة القلب لا لما قالوه، ولهذا لا يقال له مبصر ولا باصر. ويقول صاحب اللسان: يقال: بصر به بصرا وبصارة وأبصره وتبصره: نظر إليه هل يبصره. قال سيويه: بصر صار مبصرا، وأبصره إذا أخبر بالذي وقعت عينه عليه، وحكاه اللحياني: بصر به، بكسر الصاد: أي أبصره. وأبصرت الشيء: رأيته، وباصره: نظر معه إلى شيء أيهما يبصره قبل صاحبه. وبصر بصارة: صار ذا بصيرة، وبصره الأمر تبصيرا وتبصرة: فهمه إياه. وقال الأخفش في قوله: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ [طه: ٩٦]، أي علمت ما لم يعلموا به من البصيرة، وقال اللحياني: والبصيرة: عقيدة القلب. قال الليث: البصيرة اسم لما اعتقد في القلب من الدين وتحقيق الأمر، وقيل: البصيرة الفطنة، تقول العرب: أعمى الله بصائر أي فطنه، عن ابن الأعرابي، وفعل ذلك على بصيرة: أي على عمد، وعلى غير بصيرة: أي على غير يقين. التبصّر. التأمّل والتعرّف، والتبصير: التعريف والإيضاح، ورجل بصير بالعلم: عالم به. ويقال للفراسة الصادقة: فراسة ذات بصيرة<sup>(١)</sup>.

(١) لسان العرب (٤ / ٦٤ - ٦٦)، ومقاييس اللغة (١ / ٢٥٣)، ومفردات الراغب (٤٩).

ومن أجل أنّ الفراسة بعض إطلاقات البصيرة وهما المقصودتان هنا فقد جئنا بتعريف الفراسة أيضا.

قال الأصمعيّ: يقال فارس بين الفروسة والفراسة والفروسيّة، وإذا كان فارسا بعينه ونظره فهو بين الفراسة، (بكسر الفاء)، ويقال: إنّ فلانا لفارس بذلك الأمر إذا كان عالما به. ويقال هو يتفرّس إذا كان يتثبّت وينظر. ويقال: رجل فارس بين الفروسة والفراسة في الخيل، وهو الثبات عليها والحدق بأمرها، ورجل فارس بالأمر أي عالم به بصير.

والفراسة (بكسر الفاء): في النظر والتثبّت والتأمل للشئ والبصر به، يقال: إنّ لفارس بهذا الأمر إذا كان عالما به. والفراسة، (بالكسر): الاسم من قولك: تفرّست فيه خيرا. وتفرّس في الشئ: توّسمه، والاسم الفراسة بالكسر.

واستعمل الزّجاج منه أفعل فقال: أفرس الناس أي أجودهم وأصدقهم فراسة ثلاثة: العزيز في يوسف - على نبينا وعليه الصّلاة والسّلام - وابنة شعيب في موسى - على نبينا وعليهم الصّلاة والسّلام - وأبو بكر في تولية عمر بن الخطّاب رضي الله عنه (١).

#### واصطلاحا:

قال الجرجانيّ: البصيرة هي قوّة القلب المنور بنور الله يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها. وهي بمثابة البصر للنفس يرى به صور الأشياء وظواهرها. وقال الكفويّ: البصيرة قوّة في القلب تدرك بها المعقولات (٢).

والبصير: اسم من أسماء الله الحسنى. والبصير هو المبصر لجميع المبصرات، وفي «النهاية»: أنّ البصير هو الذي يشاهد الأشياء كلّها، ظاهرها وخفيّها، والبصر في حقّه تعالى عبارة عن الصّفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات.

وقيل: البصير المتّصف بالبصر لجميع الموجودات، فيعلم تعالى جميع المبصرات تمام العلم، وتنكشف له تمام الانكشاف والتّجلى، فهو يبصر خائنة الأعين وما تخفى الصدور. يشاهد ويرى، ولا يغيب عنه ما في السّموات العلى، وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وهو الحاضر الذي لا يغيب (٣).

(١) لسان العرب (٦/ ١٥٩ - ١٦٠)، المصباح المنير (١/ ٥٦ - ٥٧)، محيط المحيط (٤٢، ٦٨٣)، نزهة الأعين النواظر (١٩٩ - ٢٠٠).

(٢) التعريفات (٤٦)، والكليات للكفوي (١/ ٤٢٩).

(٣) موسوعة له الأسماء الحسنى (١٥٥)، وبعضه في المقصد الأسنى (٩١).

## منزلة الفراسة:

قال ابن القيم رحمته: ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] منزلة الفراسة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] قال مجاهد رحمته: المتفرسين.

وقال: ابن عباس رضي الله عنهما: للناظرين، وقال قتادة: للمعتبرين، وقال مقاتل: للمتفكرين.

ولا تنافي بين هذه الأقوال، فإن الناظر متى نظر في آثار ديار المكذبين ومنزلهم، وما آل إليه أمرهم أورثه فراسة وعبرة وفكرة، وقال تعالى في حق المنافقين: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلا تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]، فالأول: فراسة النظر والعين، والثاني: فراسة الأذن والسمع.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته يقول: علّق معرفته إياهم على المشيئة، ولم يعلّق تعريفهم بلحن خطابهم على شرط، بل أخبر به خبراً مؤكداً بالقسم، فقال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠] وهو تعريض الخطاب، وفحوى الكلام ومغزاه.

والمقصود: أنه سبحانه أقسم على معرفتهم من لحن خطابهم، فإن معرفة المتكلم وما في ضميره من كلامه: أقرب من معرفته بسيماها وما في وجهه، فإن دلالة الكلام على قصد قائله وضميره أظهر من السيماء المرئية، والفراسة تتعلق بالنوعين بالنظر والسمع.

## والفراسة ثلاثة أنواع:

إيمانية. وسببها: نور يقذفه الله في قلب عبده، يفرّق به بين الحق والباطل، والحالي<sup>(١)</sup> والعاطل<sup>(٢)</sup>، والصادق والكاذب.

وحقيقتها: أنها خاطر يرد على القلب ينفي ما يضادّه. وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً فهو أحدّ فراسة.

وأصل هذا النوع من الفراسة: من الحياة والنور اللذين يهبهما الله تعالى لمن يشاء من عباده فيحيا القلب بذلك ويستنير، فلا تكاد فراسته تخطئ، قال الله تعالى: ﴿أَوْمَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] كان ميتاً بالكفر والجهل، فأحياه الله بالإيمان والعلم، وجعل له القرآن والإيمان نوراً يستضيء به في الناس على قصد السبيل، ويمشي به في الظلم والله أعلم.

(١) الحالي: المملوء بالإيمان.

(٢) العاطل: الخالي.

الفراصة الثانية: فراصة الرياضة والجوع والسهر والتخلّي، فإنّ النفس إذا تجرّدت عن العوائق صار لها من الفراصة والكشف بحسب تجرّدها، وهذه فراصة مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدلّ على إيمان ولا على ولاية، وكثير من الجهّال يغترّ بها، وللرهبان فيها وقائع معلومة، وهي فراصة لا تكشف عن حقّ نافع ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها جزئيّ من جنس فراصة الولاية، وأصحاب عبارة الرّؤيا والأطباء ونحوهم.

الفراصة الثالثة: الفراصة الخلقية، وهي التي صنّف فيها الأطباء وغيرهم واستدلّوا بالخلق على الخلق لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل. ومعظم تعلق الفراصة بالعين، فإنّها مرآة القلب وعنوان ما فيه، ثمّ باللسان، فإنّه رسوله وترجمانه.

وأصل هذه الفراصة: أنّ اعتدال الخلقة والصّورة: هو اعتدال المزاج والرّوح، وعن اعتدالها يكون اعتدال الأخلاق والأفعال، وبحسب انحراف الخلقة والصّورة عن الاعتدال يقع الانحراف في الأخلاق والأعمال. هذا إذا خلّيت النفس وطبيعتها.

وفراصة المتفرّس تتعلّق بثلاثة أشياء: بعينه، وأذنه، وقلبه، فعينه للسّيماء والعلامات، وأذنه: للكلام وتصريحه وتعريضه، ومنطوقه ومفهومه، وقلبه للعبور والاستدلال من المنظور والمسموع إلى باطنه وخفيّه، فيعبر إلى ما وراء ظاهره، وهو في ذلك كالصّير فيّ ينظر للجوهر من ظاهر السّكّة والنّقد فيعرف الصّحيح من الزّائف.

### البصيرة تنجم عن الفكرة:

الفكرة هي تحديق القلب نحو المطلوب الذي قد استعدّ له مجملاً، ولما يهتد إلى تفصيله وطريق الوصول إليه، فإذا صحّت الفكرة أوجبت البصيرة، إذ هي نور في القلب يبصر به الوعد، والجنّة والنّار، وما أعدّ الله في هذه لأوليائه؛ لأنّ البصيرة نور يقذفه الله في قلب يرى به حقيقة ما أخبرت به الرّسل فيتحقّق مع ذلك انتفاعه بما دعت إليه الرّسل وتضرّره بمخالفتهم؛ وهذا معنى قول العارفين «البصيرة» تحقّق الانتفاع بالشيء والتضرّر به، والبصيرة ما خلّصك من الحيرة إمّا بإيمان أو بعيان<sup>(١)</sup>.

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٥٠٣ - ٥٠٥) بتصرف.

الفرق بين الفراسة (البصيرة) والظن:

الفرق بين الفراسة والظن أن الظن يخطئ ويصيب وهو يكون مع ظلمة القلب ونوره ولهذا أمر تعالى باجتناّب كثير منه وأخبر أن بعضه إثم<sup>(١)</sup>.

وأما الفراسة فقد أثنى الله على أهلها ومدحهم، وهي لا تحدث إلا لقلب قد تطهر وتصفى وتنزه من الأذناس وقرب من الله تعالى فأصبح صاحبه ينظر بنور الله الذي جعله في قلبه، ذلك لأن القلب إذا قرب من الله انقطعت عنه معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وإدراكه، وكان تلقّيه من مشكاة قريبة من الله بحسب قربه منه، وأضاء الله له النور بقدر قربه فرأى في ذلك النور ما لم يره البعيد والمحجوب وصار قلبه كالمرآة الصافية تبدو فيها صور الحقائق على ما هي عليه فلا تكاد تخطئ له فراسة.

بين الفراسة والغيب:

ليست الفراسة من علم الغيب بل علام الغيوب قذف الحق في قلب قريب مستبشر بنوره غير مشغول بنقوش الأباطيل والخيالات والوساوس التي تمنعه من حصول صور الحقائق فيه، وإذا غلب على القلب النور فاض على الأركان وبادر من القلب إلى العين فكشف بعين بصره بحسب ذلك النور<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإيمان - التأمل - التبين (الثبت) - التدبر - حسن الظن - التفكير - التقوى. اليقين].

وفي ضد ذلك: نظر صفات: البلادة والغباء - سوء الظن - الشك - الطيش - الغفلة - الوسوسة - الوهم].

\*\*\*

### من فوائد (البصيرة والفراسة)

- (١) الفراسة الإيمانية نظر إلى الأشياء بنور الله. (٤) المتفرّس المؤمن يثق به الناس ويطمئنون إليه.
- (٢) تشعر المؤمن بكرامته على الله. (٥) معظم تعلق الفراسة بالعين والقلب.
- (٣) قوّة الفراسة على حسب قوّة الإيمان. (٦) بعض الفراسة يحصل بالرياضة ولا علاقة لها بالإيمان ومعظم أصحابها مشعوذون.

(١) انظر صفة: الظن، الشك.

(٢) الروح لابن القيم ص ٢١٥.

## البكاء

## البكاء لغة:

مصدر قولهم بكى يبكي بكاء وبكى، فهو باك، والجمع بكاء وبكبي، وهذا المصدر مأخوذ من مادة (ب ك ي) التي تدلّ في أصل اللغة على معنيين:

الأول: بمعنى خروج الدمع، والآخر: نقصان الشيء وقلته<sup>(١)</sup>. ويرجع البكاء هنا إلى المعنى الأول، وهو يقصر ويمدّ فيقال فيه: البكا والبكاء. قال النحويون: من قصره أجره مجرى الأدوية والأمراض، ومن مدّه أجره مجرى الأصوات كالثغاء والرّغاء والدعاء، وأنشد الخليل في قصره ومدّه:

بكت عيني وحق لها بكاها وما يغني البكاء ولا العويل

وذكر ابن منظور عن الفراء وغيره: أنّ البكاء بالمدّ يكون إذا أردت الصوت الذي يكون مع البكاء، وإذا قصرت أردت الدموع وخروجها. ويقول الكفوي: البكاء يمدّ إذا كان الصوت أغلب، ويقصر إذا كان الحزن أغلب، وقيل: هو بالقصر خروج الدمع فقط، وبالمدّ خروج الدمع مع الصوت، والمرء إن تهيأ للبكاء قيل: أجهش، فإن امتلأت عينه دموعاً قيل: اغرورقت، فإن سالت قيل: دمعت وهمعت.

والفعل منه بكى، يقال: بكيت فلانا وبكيت عليه وبكيت أيضاً هيّجته للبكاء، وأبكيتته إذا صنعت به ما يبكيه، قال الشاعر:

الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمر

ويقال: استبكيته وأبكيتته بمعنى واحد والبكبي الكثير البكاء ووزنه فاعيل. ويقال: رجل باك والجمع بكاء وبكبي، فأما «بكاء» بكسر الباء في قوله ﷺ: «إنا معاشر الأنبياء بكاء» فإنه مأخوذ من بكأ التي تدلّ على القلة، قال أبو عبيد: معناه: قليلة دموعهم<sup>(٢)</sup>.

(١) من هذا المعنى قولهم للناقة القليلة اللبن هي بكيتة، وبكوت تكبؤ بكاء (ممدودة) أي قلّ لبنها، وقال زيد النخيل: وقالوا عامر سارت إليكم بألف أو بكاء منه قليل

وقال الأسعر الجعفي:

بل ربّ عرجلة أصابوا خلّة دأبوا وحارداً ليلهم حتى بكاء

قال: حارد قلّ فيه المطر، وبكأ: مثله، (وأصله بكأ).

(٢) انظر مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ٢٨٦)، الكليات للكفوي (١/ ٤٢٩)، ولسان العرب (١/ ٨٢-٨٣) ط. بيروت، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٦٨).

## البكاء اصطلاحاً:

هو إراقة الدموع من أثر الخوف من الله أو للتعبير عن حزن في الفؤاد.

## والبكاء أنواع:

- (١) بكاء خشية من الله تعالى.
- (٢) بكاء عند سماع القرآن.
- (٣) بكاء الاعتبار والتدبر والخوف من الوعيد.
- (٤) بكاء الرحمة لفقدان عزيز.
- (٥) بكاء التصنع وهو غير مستحب.
- (٦) بكاء الاعتراض وهو المصحوب بحركات وأصوات تدل على الاعتراض على قدر الله. وهذا مذموم ومحرم.
- (٧) بكاء الخوف من حوادث الدنيا وتغييراتها وتقلباتها. وهو يؤلّد المرض والاكتئاب.

## البكاء بين المدح والذم:

المفروض أن يكون البكاء خشية من الله تعالى، وخوفاً منه، وطمعاً في رحمته، فهذا هو البكاء المحمود، أو أن يكون البكاء من سماع القرآن وما فيه بعد تدبره وتأمله، أو أن يكون لمعنى إنساني نبيل كما فعل سيّد البشر ﷺ حين مات ابنه إبراهيم، وهذا كله من البكاء المحمود المشروع. أما بكاء التصنع وما فيه، سواء كان ذلك لإثبات صدق قول أو دعوى أو ما إلى ذلك كما فعل إخوة يوسف، فهذا من البكاء المذموم؛ لأنّه لا يكاد يدل على صدق الإنسان في فعله أو فعّاله، وقد قيل: إنّ المصنوع لا يخفى، وقال حكيم:

إذا اشتبكت دموع في خدود تبيّن من بكى ممّن تباكى<sup>(١)</sup>

وقد ذهب العلماء إلى القول بأنّ البكاء إنّما يكون عند تلاوة القرآن، يقول القرطبي: «ينبغي لمن قرأ سجدة أن يدعو فيها بما يليق باياتها، فإن قرأ سورة السّجدة ﴿الْم ﴿١﴾ تَزِيلُ ﴿﴾... قال: اللهم اجعلني من السّاجدين لوجهك، المسبّحين بحمدك، وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك، وإن قرأ سجدة سبحان قال: اللهم اجعلني من الباكين إليك، الخاشعين لك، وإن قرأ ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًا﴾ [مريم: ٥٨] خروا سجداً وبكياً قال: اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم،

(١) راجع تفسير القرطبي (٩/ ٩٦).

المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك»<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الخشوع- الخشية التذکر- تذکر الموت- التوبة- الرجاء- الخوف- الورع.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: اتباع الهوى- البلادة والغباء- الجفاء- الغفلة- القسوة الإعراض طول الأمل].

\*\*\*

### من فوائد (البكاء)

- (١) البكاء دليل على خشية الله ومراقبته. (٤) البكاء طريق موصل إلى محبة الله ورضوانه.  
 (٢) البكاء دليل على صلاح العبد واستقامته. (٥) البكاء دليل على رقة القلب واستجابته.  
 (٣) البكاء يورث الخوف من الله وهو علامة (٦) البكاء سمة من سمات الخاشعين.  
 على صحة الإيمان.

### التأمل

#### التأمل لغة:

مصدر تأمل وهو مأخوذ من مادة (أمل) التي تفيد معنيين:

الأول: التثبت والانتظار، والثاني: الحبل من الرمل ومن المعنى الأول قول الخليل: الأمل الرجاء تقول أمّلته أوّملته تأميلاً، وأمّلته أمّله أملاً وإملة على بناء جلسة، وهذا لما فيه من الانتظار. والتأمل: التثبت في النظر، قال الشاعر (زهير):

تأمل خليلي هل ترى من ظعائن      تحمّلن بالعلياء من فوق جرثوم  
وقال المرار:

تأمل ما تقول وكنّت قدما      قطاميّاً تأمّله قليلاً  
القطاميّ الصّقر وهو يكتفي بنظرة واحدة<sup>(١)</sup>.

(١) المرجع السابق (١١ / ٨١).

وقال ابن منظور: (يقال) تأملت الشيء أي نظرت إليه متبثًا له، وتأمل الرجل: تثبت في الأمر والنظر<sup>(٢)</sup>.

### التأمل اصطلاحاً:

هو تدقيق النظر في الكائنات بغرض الاتعاظ والتذكّر، وقال الكفوي: التأمل هو استعمال الفكر، ونقل عن بعض الأفاضل: أن قولهم: تأمل بلا فاء إشارة إلى الجواب القوي، وبالفاء إلى الجواب الضعيف وبالفاء واللام (فليتأمل) إلى الجواب الأضعف قال: ومعنى «تأمل»: أن في هذا المحلّ دقة، ومعنى «فتأمل» أن في هذا المحلّ أمراً زائداً على الدقة بتفصيل، ومعنى «فليتأمل»، هكذا مع زيادة اللام والفاء، أي تأمل ما سبق مع زيادة في الدقة، بناء على أن كثرة الحروف تدلّ على كثرة في المعنى<sup>(٣)</sup>.

### تأمل القرآن:

قال ابن القيم: أمّا التأمل في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه. وجمع الفكر على تدبّره وتعقله. وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبّر، قال الله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبّر القرآن، وإطالة التأمل فيه وجمع الفكر على معاني آياته. فإنّها تطلع العبد على معالم الخير والشرّ بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما، ومال أهلها، وتتلّ<sup>(٤)</sup> في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة. وتثبت قواعد الإيمان في قلبه. وتشيّد بنيانه، وتوطّد أركانه. وتريه صورة الدنيا والاخرة، والجنة والنار في قلبه. وتحضره بين الأمم وتريه أيام الله فيهم. وتبصّره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله. وتعرّفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصّل إليه، وما لسالكه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطّريق وآفاتهما. وتعرّفه النّفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصحّحاتها وتعرّفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم،

(١) ومن المعنى الثاني: الأمل وجمعه أمل ومن ذلك ما أنشده ابن الأعرابي: وقد تجشّمت أميل الأمل، أي أعظم الأمل. انظر مقاييس اللغة (١/ ١٤٠).

(٢) لسان العرب (١١/ ٢٧).

(٣) الكليات (٢/ ٦٠) بتصرف يسير.

(٤) تلّ الشيء في يده - بالمشناة الفوقية - : وضعه فيها.

وأحوالهم وسيماهم. ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه. وافتراقهم فيما يفترون فيه.

وبالجملة تعرفه الرب المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه. وتعرفه مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه.

فهذه ستة أمور ضروري للعبد معرفتها، ومشاهدتها ومطالعتها. فتشاهده الآخرة حتى كأنه فيها، وتغيبه عن الدنيا حتى كأنه ليس فيها، وتميز له بين الحق والباطل في كل ما اختلف فيه العالم، فتريه الحق حقاً، والباطل باطلاً، وتعطيه فرقاناً ونوراً يفرق به بين الهدى والضلال، والغى والرشد، وتعطيه قوة في قلبه، وحياء وسعة وانشراحاً وبهجة وسروراً. فيصير في شأن والناس في شأن آخر.

فإن معاني القرآن دائرة على التوحيد وبراهينه، والعلم بالله وما له من أوصاف الكمال، وما ينزه عنه من سمات النقص، وعلى الإيمان بالرسل، وذكر براهين صدقهم، وأدلة صحة نبوتهم، والتعريف بحقوق مرسلهم، وعلى الإيمان بملائكته، وهم رسله في خلقه وأمره، وتديبرهم الأمور بإذنه ومشيئته، وما جعلوا عليه من أمر العالم العلوي والسفلي، وما يختص بالنوع الإنساني منهم، من حين يستقر في رحم أمه إلى يوم يوافي ربه ويقدم عليه، وعلى الإيمان باليوم الآخر وما أعد الله فيه لأولياءه من دار النعيم المطلق، التي لا يشعرون فيها بألم ولا نكد ولا تنغيص، وما أعد لأعدائه من دار العقاب الوبيل التي لا يخالطها سرور ولا رخاء ولا راحة ولا فرح؛ وعلى تفصيل ذلك أتم تفصيل وأبينه؛ وعلى تفاصيل الأمر والنهي، والشرع والقدر، والحلال والحرام، والمواعظ والعبر، والقصص والأمثال، والأسباب والحكم، والمبادئ والغايات، في خلقه وأمره.

فلا تزال معانيه تنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل<sup>(١)</sup>، وتحثه على التضرع<sup>(٢)</sup> والتخفف للقاء اليوم الثقيل، وتهديه في ظلم الاراء والمذاهب إلى سواء السبيل. وتصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل وتبعته على الازدياد من التعم بشكر ربه الجليل، وتبصره بحدود الحلال والحرام، وتوقفه عليها لئلا يتعداها فيقع في العناء الطويل، وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق والتحويل. وتسهل عليه الأمور الصعاب والعقبات الشاقة

(١) الوبيل: الوخيم وزنا ومعنى.

(٢) التضرع: الإسراع.

غاية التسهيل. وتناديه كلما فترت<sup>(١)</sup> عزماته، وونى<sup>(٢)</sup> في سيره: تقدّم الرّكب وفاتك الدليل. فاللحاق اللّحاق، والرّحيل الرّحيل، وتحذو به وتسير أمامه سير الدليل وكلّما خرج عليه كمين من كمانن العدو أو قاطع من قطاع الطّريق نادته: الحذر الحذر، فاعتصم بالله، واستعن به، وقل: حسبي الله ونعم الوكيل.

وفي تأمل القرآن وتدبره، وتفهمه أضعاف أضعاف ما ذكرنا من الحكم والفوائد<sup>(٣)</sup>.

### الفرق بين التأمل والتفكير والتدبر:

قد يظنّ المرء للوهلة الأولى أنّ هذه الصّفات الثلاثة مترادفة أي أنّها ذات معنى واحد، ولكن لا يلبث هذا الظنّ أن يتلاشى عند التّحقيق العلمي؛ لأنّ بينها فروقا دقيقة تحتمّ أن نجعلها صفات مستقلة، فالتأمّل في أصل اللّغة مأخوذ من مادّة (أم ل) التي تدلّ على التّثبت. والانتظار، والتّفكّر مأخوذ من مادّة (ف ك ر) التي تدلّ على تردّد القلب في الشّيء، أمّا التدبّر فمأخوذ من مادّة (د ب ر) التي يقصد بها النّظر في عواقب الأمور.

ومن النّاحية الاصطلاحية نجد التّفكّر يشير إلى جولان الفكرة وهي القوّة المطرقة للعلم بحسب نظر العقل وذلك للإنسان دون الحيوان كما يقول الرّاعب<sup>(٤)</sup>، ولا يقال هذا إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب، ولهذا روي: «تفكّروا في آلاء الله ولا تفكّروا في الله».

وقد عرّفه الجرجانيّ بأنّه تصرّف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب<sup>(٥)</sup>، ونقل عن بعضهم: أنّ الفكر مقلوب عن الفك، لكن يستعمل الفكر في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى الحقيقة، أمّا الفك فيكون في الأمور الحسيّة لا المعنويّة، وهذا دليل على ما ذهب إليه فقهاء اللّغة العربيّة من دوران المادّة حول معنى (عامّ) واحد، مع اختلاف في التّفصيل ولا يشترط في التّفكّر إدامة النّظر ولا أن يتجاوز الحاضر إلى ما يؤول إليه الشّيء مستقبلا. أمّا التأمّل فقد روعي فيه إدامة النّظر والتّثبت إذ جاء في تعريفه أنّه «تدقيق النّظر في الكائنات بغرض الاتعاض

(١) فترت: ضعفت.

(٢) وني: أبطأ.

(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٨٥ - ٤٨٧).

(٤) انظر المفردات للراغب (٣٧٤).

(٥) التعريفات (٦٦).

والتدبّر<sup>(١)</sup> أي إنّه قد روعي إدامة الفكر واستمراريّته ومن ثمّ فلا تكون النظرة الواحدة تأمّلاً وإن كان يمكن أن تكون من قبيل التّفكّر.

وإذا انتقلنا إلى التدبّر وجدناه يعني (اصطلاحاً) النظر في عواقب الأمور وما تصير إليه الأشياء أي إنّه يتجاوز الحاضر إلى المستقبل لأنّ التدبّر يعني التّفكير في دبر الأمور ومن ثمّ عرفه الجرجاني بأنّه عبارة عن النظر في عواقب الأمور<sup>(٢)</sup>، وكلّ من التدبّر والتّفكّر من عمل القلب وحده إلّا أنّ التّفكّر تصرّف القلب بالنظر في الدليل والتدبّر تصرّفه بالنظر في العواقب، وكلاهما لا يشترط فيه الديمومة أو الاستمرار بخلاف التأمّل، وهناك فرق جوهريّ آخر بين التأمّل وكلّ من التّفكّر والتدبّر يتمثل في أنّ التأمّل قد يحدث بالبصر وحده أو بالبصر يعقبه التّفكّر، أمّا التّفكّر والتدبّر فبالبصيرة وحدها إذ هما من أعمال القلب (أو العقل).

والخلاصة أنّ التأمّل قد يكون بالبصر مع استمرار وتأنّ يؤدّي إلى استخلاص العبرة، وأنّ التّفكّر جولان الفكر في الأمر الذي تكون له صورة عقلية عن طريق الدليل. أمّا التدبّر؛ فإنّه يعني النظر العقليّ إلى عواقب الأمور.

وهكذا رأينا أنّ هذه المعاني الثلاثة وإن كانت متقاربة إلّا أنّها ليست واحدة وإذا ذكر بعض أهل العلم أنّها مترادفة فإنّما يقصد فقط الترادف الجزئيّ الذي قد يوجد في بعض الأحيان دون بعضها الآخر.

### التأمّل في القرآن الكريم:

لم يرد لفظ التأمّل في القرآن الكريم صراحة ولكن أشارت إليه عديد من الايات التي تأمر بالنظر في خلق الله والتثبت في رؤية عجائب الكون وآثار السابقين، وقد نعت آيات كثيرة على المشركين عدم تأملهم فيما تشاهده أعينهم ويقع تحت أيديهم من عجائب صنع الله، وقد اقترنت آيات كثيرة بالأفعال «يروا، ينظروا» بصيغة المضارع التي تدلّ على الاستمرار وإدامة الرؤية أو النظر. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أولم يروا كيف بيديّ الله الخلق ثمّ يعيدهنّ إنّ ذلك على الله يسيرٌ ﴿١٩﴾ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثمّ الله ينشئ النشأة الآخرة إنّ الله على كلّ شيء قديرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ١٩، ٢٠].

(١) انظر التعريف الاصطلاحي للتأمّل، وقد عرفه الكفوي بأنه استعمال الفكر مطلقاً، انظر الكليات (٢/ ٦٠).

(٢) التعريفات (٥٦).

إنَّ التَّأمُلَ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَنَعَى عَنِ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ عَدَمَ تَنْبِيهِمْ لَهُ وَغَفْلَتِهِمْ عَنْهُ مِمَّا جَعَلَهُمْ فِي غِيْهِمْ يَعْمَهُونَ، يَتَعَلَّقُ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا:

التَّأمُلُ فِي عَجَائِبِ صَنْعِ اللَّهِ ﷻ مِنْهَا التَّأمُلُ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَمِنْهَا التَّأمُلُ فِي إِحْيَاءِ اللَّهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَمِنْهَا التَّأمُلُ فِي آثَارِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، وَقَدْ كَانَ تَأْمُلُ ذَلِكَ حَرِيًّا بِأَنْ يَرُدَّهُمْ إِلَى الصَّوَابِ وَيَحْمِلَهُمْ عَلَى التَّصَدِيقِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ، وَلَكِنْ أَتَى لَهُمْ ذَلِكَ، وَقَدْ صَارُوا كَالْبَهَائِمِ الَّتِي لَا عَقْلَ لَهَا فَلَا تَسْتَنْبِطُ شَيْئًا مِمَّا تَرَاهُ الْأَعْيُنُ، وَلَوْ كَانُوا يَعْقِلُونَ لَمَا فَاتَهُمْ اسْتِخْلَاصُ الْعِبَرِ وَالْوَصُولُ إِلَى التَّنَائِجِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩].. وسوف نذكر فيما يلي الآيات الكريمة التي تحضُّ على التَّأمُلِ وفقاً للسياقات التي وردت فيها<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التدبر - التفكير - التذكر - الوعظ - التبين (الثبت) - تذكر الموت - التذكير - النظر والتبصر.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض - البلادة والغباء - العجلة - الغفلة - طول الأمل - الجهل].

\*\*\*

### من فوائد (التأمل)

- (١) التَّأمُلُ نَافِعٌ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، حَيْثُ (٤) التَّأمُلُ يُؤدِّي بِالْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ إِيمَانَهُ عَنِ يَعْرِفُ بِهِ الْعَبْدُ مَعَالِمَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.
- (٢) التَّأمُلُ خَيْرٌ مَعِينٌ عَلَى التَّقْوَى وَالْمَوْعِظَةِ. الْخَاصَّةُ.
- (٣) التَّأمُلُ قِيَمَةٌ عَقْلِيَّةٌ كَبْرَى تَجْعَلُ صَاحِبَهَا فِي (٥) التَّأمُلِ دَلِيلَ الْبَصْرِ.
- مَأْمَنٌ مِنْ تَقَلُّبِ الْأَيَّامِ وَصُرُوفِ الزَّمَانِ. (٦) التَّأمُلُ رَأْسُ رِجَاحَةِ الْعَقْلِ.

(١) لم تذكر كتب الوجوه والنظائر وجوها للفظ التأمل لأنه لم يرد بنصه في القرآن الكريم، وقد صنفتنا الآيات الواردة بالمعنى وفقاً للأشياء المتأمل كخلق السماوات والأرض وأحوال السابقين ونحو ذلك مما تراه مفصلاً في ص ٨٤٨ وما بعدها.

## التأني

## التأني لغة:

لفظ التَّأْنِي مصدر تَأْنَى ومعناه ترفَّق وانتظر وهو مأخوذ من مادة (همزة/ نون/ الحرف المعتل) التي تدلُّ بحسب أصل اللغة على أربعة معان:

الأوَّل: البطء وما أشبهه من الحلم وغيره.      الثاني: ساعة من الزَّمان.

الثالث: إدراك الشيء.      الرابع: ظرف من الظُّروف.

والتَّأْنِي هنا مأخوذ من المعنى الأوَّل، يقول الخليل: الأناة: الحلم، والفعل منه أُنِيَ وتَأْنَى واستأْنَى، وأنشد بيت الكمي:

قَف بِاللِّدْيَارِ وَقِفْ زَائِرٌ      وَتَأْنِ أَنْ يَكْغِيرَ صَاغِرٌ  
ويروى وتأني، ويقال للتَّمَكُّثِ في الأمور التَّأْنِي ومنه الحديث الشَّرِيفُ الَّذِي قِيلَ فِيهِ مَنْ  
يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، رأيتك أذيت وأنيت يعني أحررت المجيء وأبطأت، ويقال من  
الأناة: رجل أُنِيَ ذُو أناة قال الشاعر:

واحلم فذو الرأْي الأنيّ الأحلم

ويقال: تَأْنَى في الأمر أي ترفَّق، واستأْنَى به أي انتظر به يقال: استؤْنِي به حولا أي انتظر به  
حولا، ويقال: تَأْنَيْتُكَ حَتَّى لَا أُنَاةَ بِي، والأناة هي الاسم على وزن قناة؛ قال النابغة:  
الرَّفَقُ يَمُنُّ وَالْأُنَاةُ سَعَادَةٌ... فاستأن في رفق تلاق نجاجا.

وأصل هذا كله وني يني (ونا) ونيا من بابي تعب ووعد. والأناة الحلم أبدلت الواو المفتوحة  
في الونة همزة فصارت أناة.

يقول الراغب: يقال آنيت الشيء إيناء أي أحرته عن أوانه والأناة التَّؤْدَةُ، وتَأْنَى فلان تَأْنِيًا وَأُنِيَ يَأْنِي  
فهو آن أي وقور واستأْنَيْتُهُ انتظرت أوانه. والاسم من ذلك الأناة على فعال، قال الحطيئة:

وَأْنَيْتُ الْعِشَاءَ إِلَى سَهِيلٍ      أَوْ الشَّعْرَى فَطَالَ بِي الْأَنْهَاءُ

ويقال امرأة أناة أي رزينة لا تصخب ولا تفحش، وقال اللحياني: هي التي فيها فتور عن  
القيام والعود والمشى، وقال الأزهري: هي التي فيها فتور لنعمتها، قال الشاعر:

أناة كأن المسك تحت ثيابها      وريح خزامى الطلِّ في دمث الرَّمْلِ<sup>(١)</sup>

(١) الصحاح (٦/ ٢٢٧٣)، لسان العرب (١٦١)، المصباح المنير (٦٧٣)، ومفردات الراغب (ص ٣٩). ومقاييس اللغة،  
لأحمد بن فارس (١/ ١٤١). وكتاب العين (٨/ ٤٠٠).

## واصطلاحاً:

التَّائِي عدم العجلة في طلب شيء من الأشياء والتَّمَهَّل في تحصيله والترَّفَق فيه<sup>(١)</sup>.  
التَّائِي عند نزول القرآن:

وجملة ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤] ناشئة على ما تقدّم من التَّنويه بالقرآن وما اشتمل عليه من تصاريف إصلاح النَّاس. فلَمَّا كان النَّبِيُّ ﷺ حريصاً على صلاح الأمة شديد الاهتمام بنجاتها لا جرم أنَّه خطر بقلبه الشَّريف عقب سماع تلك الايات رغبة أو طلباً في الإكثار من نزول القرآن وفي التَّعجيل به إسراعاً بعظمة النَّاس وصلاحهم فعَلَّمه الله أن يكل الأمر إليه؛ فَإِنَّه أعلم بما يناسب حال الأمة العام.

ومعنى ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي من قبل أن يتمَّ وحي ما قضي وحيه إليك، أي ما نَفَذَ إنزاله فَإِنَّه هو المناسب، فالمنهْي عنه هو سؤال التَّعجيل أو الرَّغبة الشَّديدة في النَّفس التي تشبه الاستبطاء لا مطلق مودَّة الازداد، فقد قال النَّبِيُّ ﷺ في شأن قصَّة موسى مع الخضر ﷺ: «وددنا أن موسى صبر حتَّى يقصَّ الله علينا من أمرهما أو من خبرهما».

ويجوز أن يكون معنى العجلة بالقرآن العجلة بقراءته حال إلقاء جبريل آياته. فعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان النَّبِيُّ ﷺ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل حرصاً على الحفظ وخشية من النسيان فأنزل الله ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ الآية. وهذا كما قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦] كما في صحيح البخاري.

وعلى هذين التَّأويلين يكون المراد بقضاء وحيه إتمامه وانتهاءه، أي انتهاء المقدار الَّذي هو بصدد النزول.

وعن مجاهد وقتادة أن معناه: لا تعجل بقراءة ما أنزل إليك لأصحابك ولا تمله عليهم حتَّى تتبيَّن لك معانيه. وعلى هذا التَّأويل يكون قضاء الوحي تمام معانيه. وعلى كلا التفسيرين يجري اعتبار موقع قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]<sup>(٢)</sup>.

(١) لم تذكر كتب المصطلحات لفظ التَّائِي مصطلحاً وقد أخذنا هذا من جملة كلام المفسرين وخاصة التحرير والتنوير (١٦ / ٣١٦).

(٢) التحرير والتنوير، (ج ٦ / ٣١٦ - ٣١٧).

فإذا ما كان التَّائِي مطلوباً من النَّبِيِّ ﷺ حين تنزل القرآن عليه؛ فإنَّ التَّائِي يكون مطلوباً من الإنسان في أمور حياته كلها.

[للاستزادة: انظر صفات: التدبر - التفكير - النظر والتبصر - التأمل - التبيين (الثبت).  
وفي ضد ذلك انظر صفات: العجلة - الطيش - التفريط والإفراط].

\*\*\*

### من فوائد (التائي)

- (١) أنَّ التَّائِي وعدم العجلة يؤدي إلى إجابة (٤) التَّائِي يؤدي إلى عدم وقوع العالم في كراهية الدعاء.
- (٢) الأناة والحلم من الصفات التي يحبها الله إلى عدم وقوعه في الخطأ.
- ورسوله. (٥) التَّائِي نوع من السكينة المحمودة.
- (٣) بالتَّائِي يتبين القضاء ويصلح أمر القضاة.

### التبتل

#### التبتل لغة:

التَّبَتَّل مصدر تَبَتَّل بمعنى انقطع للعبادة وأخلص فيها وهو مأخوذ من مادة (ب ت ل) التي تدل على إبانة الشيء من غيره، يقال بتلت الشيء إذا أبنته، يقول ابن منظور: التبتل: القطع. بتله يبتله ويبتله بتلا، وبتَّله، فانبتل وتبتَّل: أبانه من غيره.

البتول والبتيل والبتيلة من النخل: الفسيلة المنقطعة عن أمها المستغنية عنها.

وتبتَّل إلى الله تعالى: انقطع وأخلص. وفي التنزيل: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَىٰ يَوْمِ تَبْيَلًا﴾ [المزمل: ٨]، جاء المصدر فيه على غير طريق الفعل، وله نظائر، ومعناه: أخلص له إخلاصاً، والتَّبَتَّل: الانقطاع عن الدنيا إلى الله تعالى، وكذلك التَّبَتِيل: يقال للعباد إذا ترك كل شيء أو أقبل على العبادة، قد تبتَّل أي قطع كل شيء إلا أمر الله وطاعته.

والبتول من النساء: المنقطعة عن الرجال، لا أرب لها فيهم، وبها سميت مريم البتول. وقيل لفاطمة عليها السلام: البتول، لانقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمة عفاً وفضلاً وديناً وحسباً. وقيل لانقطاعها عن الدنيا الله.

وامرأة مبتلة الخلق: أي منقطعة الخلق عن النساء لها عليهن فضل<sup>(١)</sup>. قال ابن حجر رحمته: في باب ما يكره من التبتل المراد بالتبتل هنا الانقطاع عن النكاح وما يتبعه من الملاذ إلى العبادة، وأما المأمور به في قوله تعالى: ﴿وَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتَلًا﴾، فقد فسره مجاهد فقال: أخلص له إخلاصا، وهو تفسير معنى، وإلا فأصل التبتل الانقطاع، والمعنى: انقطع إليه انقطاعا، لكن لما كانت حقيقة الانقطاع إلى الله، إنما تقع بإخلاص العبادة له فسرها بذلك، ومنه (صدقة بتلة) أي منقطعة عن الملك.

ومريم البتول لانقطاعها عن التزويج إلى العبادة. وقيل لفاطمة البتول إما لانقطاعها عن الأزواج غير عليّ أو لانقطاعها عن نظائرها في الحسن والشرف<sup>(٢)</sup>.

### التبتل في الاصطلاح:

يراد بالتبتل في الاصطلاح أحد أمرين:

١- التبتل: الانقطاع إلى الله في العبادة وإخلاص النية انقطاعا يختص به. وإلى هذا المعنى أشار المولى بقوله: ﴿قُلْ اللَّهُ تَمَرَّذَهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

٢- التبتل: الانقطاع عن النكاح.

والأول مأمور به شرعا والثاني منهى عنه<sup>(٣)</sup> والبتول صفة للسيدة مريم أخذت من هذا المعنى الثاني لأنها انقطعت عن الأزواج. يقول التهانوي: البتول: هي العذراء المنقطعة عن الأزواج<sup>(٤)</sup>. ومن الأول أخذ وصف السيدة فاطمة عليها السلام لأن المعنى كما يقول التهانوي أيضا: المنقطعة إلى الله عن الدنيا المتصلة به في العقبى وهذا نعت فاطمة عليها السلام<sup>(٥)</sup>.

### درجات التبتل:

قال الهروي رحمته: التبتل على درجات:

(١) مقاييس اللغة (١/ ١٩٥)، ولسان العرب (١/ ٢٠٦).

(٢) فتح الباري (٩/ ٢٠).

(٣) مفردات الراغب (٣٦).

(٤) كشف اصطلاحات الفنون (١/ ٢٠٤).

(٥) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها، بتصرف يسير.

منها: تجريد الانقطاع عن الحظوظ واللحوظ إلى العالم، خوفاً أو رجاءاً، أو مبالاة بحال.  
قال ابن القيم رحمته: التبتل يجمع أمرين: اتصلاً وانفصالاً، لا يصحّ إلا بهما.  
فالانفصال: انقطاع قلبه عن حظوظ النفس، المزاحمة لمراد الربّ منه، وعن التفات قلبه إلى ما سوى الله، خوفاً منه، أو رغبة فيه، أو مبالاة به، أو فكراً فيه. بحيث يشغل قلبه عن الله.  
والاتصال: لا يصحّ إلا بعد هذا الانفصال.  
وهو اتصال القلب بالله، وإقباله عليه، وإقامة وجهه له، حباً وخوفاً ورجاءاً، وإنبابة وتوكلًا<sup>(١)</sup>.  
[للاستزادة: انظر صفات: الإخلاص - الإنابة - الخوف - التقوى - الرجاء - الطاعة -  
التوكل - الخشوع - الخشية - الزهد - الورع - الاحتساب.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض - الغفلة - العصيان - الفجور - القسوة - الإساءة].

\*\*\*

### من فوائد (التبتل)

- (١) دليل على إيمان العبد والقرب من الربّ.
- (٢) التبتل من مسالك استجابة الدعاء.
- (٣) ينقي القلب وينير الفؤاد.
- (٤) دليل على قوة الصلّة وتمام الإخلاص.
- (٥) يثمر عظيم الثواب ورضا ربّ الأرباب.

### التبليغ والتبيين

#### التبليغ لغة:

مصدر قولهم: بلغ يبلغ تبليغاً، وهو مأخوذ من مادة (ب ل غ) التي تدلّ على «الوصول إلى الشيء»، ومن ذلك: بلغت المكان إذا وصلت إليه، ومن هذا الباب قولهم: هو أحقق بلغ وبلغ أي أنّه مع حماقته يبلغ ما يريد. والبلغة ما يتبلغ به من عيش، كأنّه يراد أنّه يبلغ رتبة المكثّر إذا رضي وقنع، وكذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح، لأنّه يبلغ بها ما يريد. ولي في هذا بلاغ: أي كفاية<sup>(٢)</sup>.

(١) مدارج السالكين (٣١).

(٢) مقاييس اللغة (بتصرف يسير) ١ / ٣٠٢.

وقال الراغب: البلوغ والبلاغ الانتهاء إلى أقصى المقصد والتمهي مكانا كان أو زمانا أو أمرا من الأمور المقدّرة، وربما يعبر به عن المشاركة على الانتهاء، والبلاغ: التبليغ في نحو قوله ﷺ ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢]. والبلاغ أيضا: الكفاية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَّغًا لِّقَوْمٍ عَكِيدِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٦] (١).

وقال الجوهري: الإبلاغ: الإيصال وكذلك التبليغ، والاسم منه: البلاغ، يقال بلّغت الرسالة، وبالغ فلان في أمره إذا لم يقصّر فيه. وتبّلع بكذا، أي اكتفى به، وتبّلت به العلة أي اشتدت، والبلاغة: الفصاحة وبلغ فلان (بالضم) إذا صار بليغا (٢)، وقال ابن منظور: بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغا وبلغه تبليغا أو وصل الشيء إليه وتبّلع بالشيء: وصل إلى مراده، وبلغ مبلغ فلان ومبلغته، والبلاغ في حديث الاستسقاء «واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين» هو ما يتبّلع به ويتوصّل إلى الشيء المطلوب.

#### التبليغ اصطلاحا:

التبليغ من الصفات التي يجب اعتقادها للرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، وقد عرفه العلماء فقالوا: التبليغ: أن يبلغ الرسول كل ما أمر بتبليغه فلا يخفي منه شيئا، ولا يكتمه بحال من الأحوال وألا تحمله رهبة على أن يكتم بعضا مما أوحى إليه وأمر بإبلاغه للناس (٣).

ويؤخذ مما ذكر القرطبي وغيره من المفسرين:

أن التبليغ منوط أيضا بحملة العلم من هذه الأمة بحيث يجب عليهم ألا يكتموا شيئا من أمر هذه الشريعة وأن يبلغوها للناس ومن ثم يكون التبليغ: تبليغ النبي ﷺ كل ما أمر بتبليغه من الوحي، وتبليغ حملة العلم من أمته أمور الشريعة إلى كل من لم تبلغه دون خوف أو وجل.

#### التبليغ ووظيفة الرسل الكرام:

يقول الشيخ عبد الله بن جبرين: مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله الاعتقاد الجازم بأنه ﷺ مرسل من ربه ﷻ، وقد حمّله الله هذه الشريعة كرسالة، وكلفه بتبليغها إلى الأمة، وفرض

(١) المفردات للراغب (٦٠).

(٢) الصحاح (٤/ ١٣١٦).

(٣) عقيدة المؤمن، لأبي بكر الجزائري (٢٧٢).

على جميع الأمة تقبل رسالته والسير على نهجه<sup>(١)</sup>. وأنه من الأمور التي يحصل بها التأثير والتحقق لأداء هذه الشهادة والانتفاع بها تبليغه الرسالة<sup>(٢)</sup>: لقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، وهذا تكليف من ربه تعالى، فلا بد من حصوله مع أن هذا هو وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام ومحمد ﷺ من جملتهم، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَّغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، وقال عز من قائل: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، وقد شهد له صحابته رضي الله عنهم بهذا البلاغ والبيان، وقد اشتهر أنه ﷺ بدأ بدعوة أهل بلده وقومه، ثم بدعوة العرب في أنحاء الجزيرة، ثم بمن وراءهم، فكان يرسل الرسل إلى القبائل في البوادي والقرى للدعوة إلى الله وقبول هذه الرسالة، ثم بعث الدعاة إلى اليمن والبحرين وغيرهما، ثم بعث كتبا تتضمن الدعوة إلى هذه الشريعة إلى ملوك الفرس والروم وغيرهم، فما توفي حتى انتشرت دعوته، واشتهر أمره عند القريب والبعيد، وقد قام صحابته من بعده بالدعوة إلى دينه وقاتل من أبى وامتنع من قبولها حتى يدخل في الإسلام أو يعطي الجزية، حتى بلغت هذه الدعوة أقطار الأرض في أقصر مدة...»<sup>(٣)</sup>.

أمر النبي ﷺ بالتبليغ ودعاؤه للمبليغين:

قال الإمام ابن تيمية: أمر النبي ﷺ الأمة أن يبليغ عنه من شهد لمن غاب، ودعا للمبليغين بالدعاء المستجاب، فقال في الحديث الصحيح: «بليغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»، وقال أيضا في خطبته في حجة الوداع: «ألا ليلبغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع»، وقال أيضا: «نصر الله امرأ سمع منا حديثا فبليغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل فقه غير فقيهه، ورب حامل فقهه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم<sup>(٤)</sup>: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم». وفي هذا دعاء منه لمن بلغ حديثه وإن لم يكن فقيها، ودعاء لمن بلغه

(١) الشهاداتتان (٣٩).

(٢) من الأمور الأخرى التي يحصل بها ذلك: أهليته لهذه الرسالة وعصمته من الخطايا، وعموم رسالته، وختم النبوة به.. انظر تفصيل ذلك في المرجع السابق (٣٩-١٠١).

(٣) الشهاداتتان (٤٩) بتصرف.

(٤) المعنى: أن هذه الخلال الثلاث تستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والدغل والشر (النهاية لابن الأثير (٣/ ٣٨١).

وإن كان المستمع أفقه من المبلِّغ لما أعطى المبلِّغون من النَّصرة، ولهذا قال سفيان بن عيينة: لا تجد أحدا من أهل الحديث إلا وفي وجهه نصرة لدعوة النَّبيِّ ﷺ ولم يزل أهل العلم في القديم والحديث يعظّمون نقلته حتّى قال الشافعيّ رحمه الله إذا رأيت رجلا من أهل الحديث فكأنّني رأيت رجلا من أصحاب النَّبيِّ ﷺ، وإنّما قال الشافعيّ ذلك لأنّهم في مقام الصّحابة - رضوان الله عليهم - من تبليغ حديث النَّبيِّ ﷺ، وقال الشافعيّ أيضا: أهل الحديث حفظوا فلهم علينا الفضل لأنّهم حفظوا<sup>(١)</sup> لنا<sup>(٢)</sup>.

### أنواع التبليغ:

قال ابن حجر: التبليغ على نوعين، أحدهما وهو الأصل - أن يبلّغه بعينه، وهو خاصّ بما يتعبّد بتلاوته وهو القرآن، وثانيهما: أن يبلّغ ما يستنبط من أصول ما تقدّم إنزاله فينزل عليه موافقته فيما استنبطه، إمّا بنصّه وإمّا بما يدلّ على موافقته بطريق الأولى<sup>(٣)</sup>.

وقال القرطبيّ رحمه الله في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩].

يعمّ المنصوص عليه والمستنبط لشمول اسم الهدى للجميع<sup>(٤)</sup>.

### حكم تبليغ العلم:

قال القرطبيّ - رحمه الله تعالى - استدللّ العلماء على وجوب تبليغ العلم الحقّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكُتُبِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، وتحقيق الاية هو أنّ العالم إذا قصد كتمان العلم عصى، وإذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ إذا عرف أنّه مع غيره، وأمّا من سئل فقد وجب عليه التبليغ لهذه الاية، ولقوله ﷺ: «من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»<sup>(٥)</sup>. أمّا ما يتعلّق بـ «غير البيّنات والهدى» فإنّه يجوز كتمه وعدم تبليغه، لا سيّما إن كان مع ذلك خوف، وقد ترك

(١) حفظ الأولى من الحفظ نقيض النسيان، وهو التعاهد وقلة الغفلة والثانية من الحفظ الذي هو نقيض الضياع.

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ١١).

(٣) الفتح (١٣ / ٥١٦) كتاب التوحيد. كذا نصه، والمراد: أن التبليغ إما أن يكون تبليغ نصّ بعينه كالقرآن. وإمّا أن يكون استنباطا ثم تنزل من الله آية تدلّ على موافقة الرسول ﷺ.

(٤) تفسير القرطبي (١ / ١٨٥).

(٥) تفسير القرطبي (١ / ١٨٥)، والحديث في سنن ابن ماجه، المقدمة (٩٨)، رقم الحديث (٢٦٦).

أبو هريرة ذلك حين قال: «حفظت عن رسول الله ﷺ وعائين، فأما أحدهما فبثته، وأما الآخر فلو بثته قطع هذا البلعوم<sup>(١)</sup>، قال البخاري: وهذا الذي لم يبثه أبو هريرة وخاف على نفسه فيه الفتنة أو القتل إنما هو مما يتعلق بأمر الفتن والنص على أعيان المرتدين والمنافقين، ونحو هذا مما لا يتعلق بالبيئات والهدى»<sup>(٢)</sup>.

### التبيين لغة:

التبيين مصدر قولهم «بين» الشيء أي جعله بينا واضحا لا غموض فيه ولا خفاء، يقول ابن منظور: بان الشيء بيانا: أتضح فهو بين، وأبان الشيء فهو مبين، والتبيين: الإيضاح، والمبين: البين، ومنه قول الله تعالى: ﴿حَمَّ ۝١ وَأَلَكْتَبِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف: ١، ٢] أي والكتاب البين، وقيل: معنى المبين أنه بين طرق الهدى من طرق الضلالة، وأبان كل ما تحتاج إليه الأمة، أما البيان فيعني إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسان وأصله: الكشف والظهور<sup>(٣)</sup>.

### التبيين اصطلاحا:

لم يرد لفظ التبيين ضمن المصطلحات المذكورة في مؤلفات هذا الفن، بيد أن مرادفه وهو لفظ البيان قد عرفه الجاحظ بقوله: البيان: اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع<sup>(٤)</sup>.

### بين التبيين والتبليغ:

العلاقة بين التبيين والتبليغ واضحة تماما، ذلك أن التبليغ لا بد أن يكون واضحا بينا لا لبس فيه ولا غموض، ومن أراد أن يبلغ شيئا فعليه أن يبلغه بلغة القوم المبلغين به، مصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] وكان

(١) انظر الحديث في الفتح (١/ ٢٦١).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ١٨٦).

(٣) لسان العرب ١/ ٤٠٦ (ط. دار المعارف).

(٤) البيان والتبيين للجاحظ (١/ ٧٦).

رسول الله ﷺ يخاطب أبناء القبائل بلغاتهم، ويترتب على هذا أن يكون الداعية عارفا بلغة القوم الذين يدعوهم وأن يستخدم هذه اللغة على نحو لا غموض فيه ولا التباس.

[للاستزادة: انظر صفات: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - الإنذار - الإرشاد - التذكير - الدعوة إلى الله - النصيحة - الوعظ.

وفي ضد ذلك: الإعراض - الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف - الإهمال - التهاون - الغي والإغواء - الكسل].

\*\*\*

### من فوائد (التبليغ)

- (١) التبليغ هو أساس نشر الإسلام في شتى بقاع الأرض.
- (٢) التبليغ يكسب المبلغ نصرة بدعاء الرسول ﷺ للمبلغين.
- (٣) التبليغ يجعل الغائب بمنزلة الشاهد فيتساوى بذلك من شهد ومن لم يشهد.
- (٤) في تبليغ الله عن الشهداء ما يحفز الهمم على الاستشهاد ويطمئن قلوب أهلهم أتهم في الجنة.
- (٥) التبليغ يقطع حجة الكفار الذين لم يدخلوا في الإسلام كبرا وعنادا.
- (٦) التبليغ وسيلة الملائكة السّياحين الذين ينقلون سلام الأمة إلى المصطفى ﷺ.
- (٧) في التبليغ ما يقطع حجة المعاندين ويبشّر المتقين.
- (٨) في التبليغ ما ينشر معرفة الناس بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.
- (٩) التبليغ يعود بالنفع على المبلغ وبالأجر على المبلغ.
- (١٠) في تبليغ الله ﷻ عن الشهداء ما ثبت فؤاد النبي ﷺ حيث أخبره المولى بأنه رضي عنهم ورضوا عنه.

### من فوائد (التبيين)

- (١١) التبيين يعين المبلغ على أداء رسالته.
- (١٢) التبيين يقطع حجة المعاندين الذين يحتجون بغموض ما يدعون إليه.
- (١٣) التبيين مثل التبليغ من وظيفة الرسل الكرام وأتباعهم من الدعاة والعلماء.
- (١٤) التبيين من الوسائل الناجعة لإنجاح الدعوة والوصول بها إلى تحقيق هدفها المنشود.

## التبين (التثبت)

## التبين لغة:

مصدر تبين إذا تثبت في الأمر، والتثبت في الأمر والتأني فيه، وقرأ قوله ﷺ: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤] وقرأ: فتثبتوا؟، والمعنيان متقاربان. ويقال: تبينت الأمر أي تأملته وتوسمته، واستبنت الشيء إذا تأملته حتى تبين لك. والبيان: ما بين به الشيء من الدلالة وغيرها. وبان الشيء بيانا: اتضح، فهو بين، وكذلك أبان الشيء فهو مبين. وأبنته أنا أي أوضحته، واستبان الشيء: ظهر. واستبنته أنا: عرفته وتبين الشيء: ظهر<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عقب قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]: يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذبا أو مخطئا فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه وقد نهى الله ﷻ عن اتباع سبيل المفسدين ومن ههنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في الأمر نفسه، وقبلها آخرون لأننا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق، وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال<sup>(٢)</sup>.

ويقول الجاحظ: البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع<sup>(٣)</sup>.

## واصطلاحا:

التبين مرتبة من مراتب وصول العلم يراد بها ما يحصل من العلم بعد الالتباس. يقول الكفوي: اعلم أن مراتب وصول العلم إلى النفس: الشعور ثم الإدراك ثم الحفظ ثم التذكر ثم الذكر ثم الرأي وهو استحضار المقدمات وإزالة الخاطر فيها ثم التبين وهو علم يحصل بعد الالتباس ثم الاستبصار وهو العلم بعد التأمل... إلخ<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب (١٣ / ٦٧ - ٦٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٠٨) ط. دار إحياء الكتب العربية.

(٣) البيان والتبيين للجاحظ (١ / ٧٦).

(٤) الكليات للكفوي (١ / ٨٩).

[للاستزادة: انظر صفات: التأنى - التدبر - التذكر - التفكير - العلم - النظر والتبصر.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الجهل - الطيش العجلة - الغفلة - التفریط والإفراط].

\*\*\*

### من فوائد (التبين)

- (١) حفظ الأرواح وصيانة الدماء. (٤) يثمر الثقة بالنفس.  
(٢) دليل رجاحة العقل وسلامة التفكير. (٥) البعد عن الشك وهو جس الشيطان.  
(٣) يقي المجتمع من مخاطر القرارات السريعة (٦) التبين يحفظ حقوق الأفراد والجماعات ولا  
غير المدروسة. يجعلها عرضة للظن.

### التدبر

#### التدبر لغة:

التدبر مصدر تدبر وهو مأخوذ من مادة (د ب ر) التي يقول عنها ابن فارس: أصل هذا الباب أن جلّه في قياس واحد وهو آخر الشيء وخلفه خلاف قبله. فمعظم الباب أن التدبر خلاف القبل، وفي الحديث لا تدابروا، وهو من الباب، وذلك أن يترك كل واحد منهما الإقبال على صاحبه بوجهه..<sup>(١)</sup>

وقال ابن منظور: دبر الأمر وتدبره: نظر في عاقبته، واستدبره: رأى في عاقبته ما لم ير في صدره، وعرف الأمر تدبراً أي بأخيرة، قال جرير:

ولا تتقون الشر حتى يصيبكم ولا تعرفون الأمر إلا تدبراً

والتدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤل إليه عاقبته، والتدبر في الأمر: التفكير فيه، وفلان ما يدري قبال الأمر من دباره أي أوله من آخره، ويقال: إن فلانا لو استقبل من أمره ما استدبره لهدي لوجهة أمره أي لو علم في بدء أمره ما علمه في آخره لاسترشد لأمره، وقال أكتثم بن صيفي لبنيه: يا بني، لا تتدبروا أعجاز أمور قد ولت صدورها<sup>(٢)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٣٢٤).

(٢) لسان العرب (٤/ ٢٧٣) دار صادر.

## واصطلاحاً:

النَّظَرُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ التَّفَكُّرِ، إِلَّا أَنَّ التَّفَكُّرَ تَصَرَّفَ الْقَلْبُ بِالنَّظَرِ فِي الدَّلِيلِ وَالتَّدَبُّرَ تَصَرَّفَهُ بِالنَّظَرِ فِي الْعَوَاقِبِ<sup>(١)</sup>.

## تدبر القرآن:

أَمَّا تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ فَهُوَ تَحْدِيقُ نَاطِرِ الْقَلْبِ إِلَى مَعَانِيهِ وَجَمْعُ الْفِكْرِ عَلَى تَدَبُّرِهِ<sup>(٢)</sup> وَتَعَقُّلُهُ وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِإِنْزَالِهِ لَا مَجْرَدَ تِلَاوَتِهِ بِلَا فَهْمٍ وَلَا تَدَبُّرٍ.

## الناس عند سماع القرآن أنواع:

قال تعالى في آياته المشهودة: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿[ق: ٣٦، ٣٧].

قال ابن القيم رحمته: الناس ثلاثة: رجل قلبه ميّت، فذلك الذي لا قلب له، فهذا ليست الاية ذكرى في حقه.

الثاني: رجل له قلب حيّ مستعد، لكنّه غير مستمع للايات المتلوّة، التي يخبر بها الله عن الايات المشهودة، إمّا لعدم ورودها، أو لوصولها إليه وقلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضراً، فهذا أيضاً لا تحصل له الذكرى، مع استعداد وجود قلبه.

والثالث: رجل حيّ القلب مستعدّ، تليت عليه الايات، فأصغى بسمعه، وألقى السمع وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، ملقي السمع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالايات المتلوّة والمشهودة.

فالأول: بمنزلة الأعمى الذي لا يبصر.

والثاني: بمنزلة البصير الطامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه، فكلاهما لا يراه.

والثالث: بمنزلة البصير الذي قد حدّق إلى جهة المنظور، وأتبعه بصره، وقابله على توسط

من البعد والقرب، فهذا هو الذي يراه.

فسبحان من جعل كلامه شفاء لما في الصدور.

(١) انظر التعريفات للجرجاني (٥٤).

(٢) مدارج السالكين (١ / ٤٧٥) وقد استعمل في الأصل «تأم» وهو بمعنى التدبر.

فاعلم أنّ الرّجل قد يكون له قلب وقاد، مليء باستخراج العبر، واستنباط الحكم، فهذا قلبه يوقعه على التّذكّر والاعتبار، فإذا سمع الايات كانت له نورا على نور. وهؤلاء أكمل خلق الله. وأعظمهم إيمانا وبصيرة، حتّى كأنّ الذي أخبرهم به الرّسول مشاهد لهم، لكن لم يشعروا بتفاصيله وأنواعه، حتّى قيل: إنّ مثل حال الصّديق مع النّبي ﷺ، كمثّل رجلين دخلا دارا، فرأى أحدهما تفاصيل ما فيها وجزئياته، والاخر وقعت يده على ما في الدّار ولم ير تفاصيله ولا جزئياته، لكن علم أنّ فيها أمورا عظيمة، لم يدرك بصره تفاصيلها، ثمّ خرجا فسأله عمّا رأى في الدّار فجعل كلّما أخبره بشيء صدّقه، لما عنده من شواهد، وهذه أعلى الدّرجات الصّديقيّة، ولا تستبعد أن يمنّ الله المنان على عبد بمثل هذا الإيمان. فإنّ فضل الله لا يدخل تحت حصر ولا حساب.

فصاحب هذا القلب إذا سمع الايات وفي قلبه نور من البصيرة ازداد بها نورا إلى نوره. فإن لم يكن للعبد مثل هذا القلب فألقى السّمع وشهد قلبه ولم يغب حصل له التّذكّر أيضا ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: ٢٦٥] والوايل والطلّ في جميع الأعمال وآثارها وموجباتها. وأهل الجنّة سابقون مقربون وأصحاب يمين وبينهما في درجات التّفصيل ما بينهما<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاعتبار - التأمل التذكر - التفكير - الوعظ - النظر والتبصر - التبين.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض - الطيش - التفريط والإفراط - اتباع الهوى].

\*\*\*

### من فوائد (التدبر)

- (١) يفضي إلى رسوخ الإيمان في القلب.
  - (٢) يجعل الإنسان راغبا راهبا.
  - (٣) النّجاة من الغرور.
  - (٤) الحزم والفتنة من ثمراته.
  - (٥) دقة التّمييز بين الطّيب والخبيث والفاسد والصّحيح.
- وانظر أيضا فوائد صفة التفكير.

## التذكر

## التذكر لغة:

مصدر تذكّر على وزن تفعلّ وهذا الوزن يفيد التدرّج والارتقاء شيئاً فشيئاً، يقول الجوهري: وذكرت الشيء بعد النسيان وذكرته بلساني وبقلي، وتذكرته وأذكرته غيري وذكرته بمعنى (واحد) قال الله تعالى: ﴿وَأَذَكَّرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] أي ذكره بعد نسيان وأصله اذتكر فأدغم، والتذكرة ما تستذكر به الحاجة<sup>(١)</sup>... ونقل في اللسان عن الفراء قوله: يكون الذكرى بمعنى الذكر، ويكون بمعنى التذكّر، في قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، والذكر والذكرى، بالكسر: نقيض النسيان، وكذلك الذكرة<sup>(٢)</sup>.

## واصطلاحاً:

قال ابن القيم رحمه الله في منزلة التذكّر: والتذكّر تفعلّ من الذكر، وهو ضدّ النسيان، وهو حضور صورة المذكور العلميّة في القلب، واختير له بناء التّفعلّ لحصوله بعد مهلة وتدرّج، كالتبصّر والتّفهم والتّعلم.

## العلاقة بين التذكر والتفكير:

قال ابن القيم: فمنزلة التذكّر من التّفكّر منزلة حصول الشيء المطلوب بعد التّفتيش عليه، ولهذا كانت آيات الله - المتلوّة والمشهودة ذكرى، كما قال في المتلوّة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ (٥٣) هُدَى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿[غافر: ٥٣، ٥٤] وقال عن القرآن: ﴿وَإِنَّهُ لَنَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: ٤٨]، وقال في آياته المشهودة: ﴿أَنفَافٌ يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿[ق: ٦ - ٨].

فالتبصرة آلة البصر، والتذكرة آلة الذكر، وقرن بينهما وجعلهما لأهل الإنابة؛ لأنّ العبد إذا أناب إلى الله أبصر مواقع الايات والعبر، فاستدلّ بها على ما هي آيات له. فزال عنه الإعراض

(١) الصحاح (٢/ ٥٦٥).

(٢) لسان العرب (٤/ ٣٠٨ - ٣٠٩)، المصباح المنير (١/ ٢٢٣).

بالإنابة، والعمى بالتبصرة، والغفلة بالتذكرة؛ لأنَّ التبصرة توجب له حصول صورة المدلول في القلب بعد غفلته عنها.

فترتيب المنازل الثلاثة أحسن ترتيب، ثمَّ إنَّ كلاً منها يمدُّ صاحبه ويقويه ويثمره.

وقال تعالى في آياته المشهودة: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾<sup>(١)</sup> [ق: ٣٦، ٣٧].

والنَّاس ثلاثة: رجل قلبه ميّت، فذلك الَّذي لا قلب له، فهذا ليست الاية ذكرى في حقّه.

الثاني: رجل له قلب حيّ مستعدّ، لكنّه غير مستمع للايات المتلوّة، التي يخبر بها الله عن الايات المشهودة، إمّا لعدم ورودها، أو لوصولها إليه، ولكنَّ قلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضراً، فهذا أيضاً لا تحصل له الذّكرى، مع استعداده ووجود قلبه.

والثالث: رجل حيّ القلب مستعدّ، تليت عليه الايات، فأصغى بسمعه، وألقى السّمع وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، ملقي السّمع، فهذا القسم هو الَّذي ينتفع بالايات المتلوّة والمشهودة.

فالأوّل: بمنزلة الأعمى الَّذي لا يبصر.

والثاني: بمنزلة البصير الطّامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه، فكلاهما لا يراه.

والثالث: بمنزلة البصير الَّذي قد حدّق إلى جهة المنظور، وأتبعه بصره، وقابله على توسّط من البعد والقرب، فهذا هو الَّذي يراه.

فسبحان من جعل كلامه شفاء لما في الصّدور.

فاعلم أنّ الرّجل قد يكون له قلب وقاد، مليء باستخراج العبر، واستنباط الحكم، فهذا قلبه يوقعه على التّدكّر والاعتبار، فإذا سمع الايات كانت له نورا على نور. وهؤلاء أكمل خلق الله. وأعظمهم إيماناً وبصيرة، حتّى كأنَّ الَّذي أخبرهم به الرّسول مشاهد لهم.

فصاحب هذا القلب إذا سمع الايات وفي قلبه نور من البصيرة ازداد بها نورا إلى نوره. فإن لم يكن للعبد مثل هذا القلب فألقى السّمع وشهد قلبه ولم يغب حصل له التّدكّر أيضاً<sup>(٢)</sup>.

(١) محييص: أي محيد ومهرب. انظر تفسير الطبري (١٧ / ٢٣).

(٢) مدارج السالكين (١ / ٤٧٤ - ٤٧٧) باختصار.

## التذكر في القرآن الكريم:

ورد التذکر والتذكر في القرآن الكريم في مواضع عديدة اقترن بعضها بالاستفهام الإنكاري كما في قوله سبحانه: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠، السجدة: ٤] واقترن بعضها بلفظ «لعل» التي تفيد الحث على التذكر ببيان الأسباب الداعية إليه، وجاءت آيات أخرى تمدح المتذكرين وتجعل الذكرى من صفات أولى الألباب، وقد سجّلت آيات أخرى على الإنسان قلة تذكره أو عدم تذكره مع وجود الداعي لذلك من تلاوة آي القرآن أو جعل الليل والنهار خلفه أو إطالة العمر ونحو ذلك. وسنقوم فيما يلي بتصنيف الآيات الكريمة الواردة في التذكر تبعاً لسياقاتها التي أشرنا إليها.

[للاستزادة: انظر صفات: الاعتبار- التأمل التفكر- تذكر الموت- التذكير.

وفي ضد ذلك انظر صفات: الإعراض- اتباع الهوى- التفريط والإفراط- الغفلة- طول الأمل].

\*\*\*

## من فوائد (التذكر)

- (١) يجعل المسلم على صلة مع ربه عند ما يتذكر آلاءه. خاصة ما حدث للأمم السابقة
- (٢) يديم النظر في مخلوقات الله فيزداد إيماناً ويقيناً. (٨) بالتذكر يتغلب الإنسان على هوى الشيطان
- (٣) تنعكس على صاحبه ملامح النجاة والفتنة والذكاء. ويمدّه بالبصيرة النافذة ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].
- (٤) يكسب الوجه نضارة واستنارة.
- (٥) يحبه الله والملائكة المقربون وعباد الله الصالحون. (٩) التذكر يرفع الروح المعنوية لصاحبه ويجعله
- (٦) التذكر يزيل الغفلة ويمدّ صاحبه بزيادة من الإيمان لا ينفد. ضمن أولى الألباب ويدخله في المنيين.
- (٧) التذكر يبعث على العظة والاعتبار. (١٠) التذكر يبعد الإنسان عن الذنوب ويحثه على الإنابة.

## تذكر الموت (قصر الأمل)

## ١- التذکر لغة:

قال ابن منظور: الذكر: الحفظ للشيء تذكره، والذكر جري الشيء على لسانك. واستذكره:

كأذكره، وأذكره إياه: ذكره، والاسم الذكري. يكون الذكري بمعنى الذكر ويكون بمعنى التذكر، والذكر والذكري بالكسر نقيض النسيان وكذلك الذكرة.

والتذكرة: ما تستذكر به الحاجة.

والتذكر: تذكر ما أنسيته. وذكرت الشيء بعد النسيان وذكرته بلساني وبقلبي وتذكرته وأذكرته غيري وذكرته بمعنى.

قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] أي ذكر بعد نسيان وأصله اذتكر فأدغم<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم: والتذكر: تفعل من الذكر وهو ضد النسيان. واختير له بناء التفعّل لحصوله بعد مهلة وتدرج. كالتبصّر والتفهّم والتعلّم.

### التذكر اصطلاحاً:

هو حضور صورة المذكور العلميّة (أي التي يعلم بها) في القلب<sup>(٢)</sup>.

### أنواع التذكر:

قال الراغب: الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتباراً لإحرازه والذكر يقال اعتباراً لاستحضاره وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول ولذلك قيل الذكر ذكران: ذكر بالقلب وذكر باللسان وكل واحد منهما ضربان، ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ وكل قول يقال له ذكر فمن الذكر باللسان قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠] ومن الذكر عن النسيان قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣] ومن الذكر بالقلب واللسان معاً قوله تعالى: ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْكَدَ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]<sup>(٣)</sup>.

### ٢- الموت لغة:

قال ابن منظور: الموت والموتان ضد الحياة.

(١) لسان العرب: (٤ / ٣٠٨، ٣٠٩). وانظر محيط المحيط: (٣٠٩).

(٢) مدارج السالكين (١ / ٤٤٢).

(٣) مفردات الراغب (١٧٩).

والموات، بالصَّمِّ: الموت. مات يموت موتاً والأصل فيه موت. والموت: خلق من خلق الله تعالى. ورجل ميت وميِّت، وقيل: الميت الذي مات، والميِّت والمات: الذي لم يمت بعد. قيل وهذا خطأ وإنما ميِّت يصلح لما قد مات ولما سيموت. قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾. [الزمر: ٣٠]

وجمع بين اللغتين عدي بن الرِّعَاء فقال:

ليس من مات فاستراح بميت      إنما الميت ميِّت الأحياء  
وقوم موتى وأموات وميِّتون وميتون.

وفي التنزيل العزيز: ﴿لِنَحْيِيَّ بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا﴾ [الفرقان: ٤٩] قال الرَّجَّاج: الميت هو الميت بالتشديد إلا أنه يخفف والمعنى واحد، ويستوي فيه المذكر والمؤنث.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]. قال أبو إسحاق: إن قال قائل كيف ينههم عن الموت وهم إنما يماتون؟ قيل: إنما وقع هذا على سعة الكلام وما تكثر العرب استعماله، والمعنى الزموا الإسلام، فإذا أدرككم الموت صادفكم مسلمين.

وحديث دعاء الانتباه: «الحمد لله الذي أحياناً بعد ما أماتنا وإليه التَّشور». وسمي النَّوم موتاً لزوال العقل والحركة.

والميتة: ضرب من الموت. وجمعها ميت. ومنه ما جاء في حديث الفتن: «فقد مات ميتة جاهلية».

### أنواع الموت:

الموت يقع على أنواع بحسب أنواع الحياة:

فمنها ما هو بإزاء القوَّة النَّامية الموجودة في الحيوان والنبات كقوله تعالى: ﴿يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ٥٠].

ومنها زوال القوَّة الحسيَّة كقوله تعالى: ﴿يَلَيَّتِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ [مريم: ٢٣].

ومنها زوال القوَّة العاقلة، وهي الجهالة، كقوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأعام: ١٢٢].

ومنها الحزن والخوف المكدر للحياة كقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ

بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧].

ومنها المنام كقوله تعالى: ﴿وَالَّتِي لَمَّ تَمَّتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقد قيل: المنام الموت الخفيف، والموت: النوم الثقيل.

والمستमित المستقتل الذي لا يبالي الموت في الحرب وفي حديث بدر «أرى القوم مستميتين» أي مستقتلين، وهم الذين يقاتلون على الموت<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحا:

قال الجرجاني: الموت: صفة وجودية خلقت ضدًا للحياة.

وقال ابن الجوزي: الموت: حادث تزول معه الحياة<sup>(٢)</sup>.

### ٣- وتذكر الموت اصطلاحا:

حضور صورته وأهواله وما بعده في القلب وانعكاسها على الجوارح سلوكا. قال ابن الجوزي: الواجب على العاقل أخذ العدة لرحيله؛ فإنه لا يعلم متى يفجؤه أمر ربه، ولا يدري متى يستدعى؟ وإني رأيت خلقا كثيرا غرهم الشباب ونسوا فقدان الأقران، وألهاهم طول الأمل.

وربما قال العالم المحض لنفسه: أشغل بالعلم اليوم ثم أعمل به غدا، فيتساهل في الزلل بحجة الراحة، ويؤخر الأهبة لتحقيق التوبة ولا يتحاشى من غيبة أو سماعها، ومن كسب شبهة يأمل أن يمحوها بالورع.

وينسى أن الموت قد يبغته. فالعاقل من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه. فإن بغته الموت رئي سعيدا، وإن نال الأمل ازداد خيرا<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضا: إذا علم الإنسان بأن الموت يقطعه عن العمل، عمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته.

فإن كان له شيء من الدنيا وقف وقفا وغرس غرسا وأجرى نهرا، ويسعى في تحصيل ذرية تذكر الله بعده فيكون الأجر له، أو أن يصنّف كتابا من العلم؛ فإنّ تصنيف العالم ولده المخلد. وأن يكون عاملا بالخير عالما فيه فينقل من فعله ما يقتدي الغير به فذلك الذي لم يمت<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب (٢/ ٩٠-٩٤) بتصرف. وانظر بصائر ذوي التمييز (٤/ ٥٣٦-٥٣٨) ومحيط المحيط (١٦٨).

(٢) التعريفات (٢٣٥). ونزهة الأعين النواظر (٥٦٩).

(٣) صيد الخاطر (٦-٧).

(٤) المرجع السابق (١٢).

من معاني الموت في القرآن:

- قال ابن الجوزي: ذكر بعض المفسرين أن الموت في القرآن على أوجه:  
 أحدها: الموت نفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].  
 الثاني: الضلال، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].  
 الثالث: الجذب، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٩].  
 الرابع: الجماد، ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: ٢١] يعني الأوثان.  
 الخامس: الكفر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [آل عمران: ٢٧]  
 وهو الكافر<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاستغفار - التذكير - التفكير - التوبة - الذكر - الخوف - الخشية  
 الدعاء - الرجاء - الضراعة والتضرع - الورع - اليقين.  
 وفي ضد ذلك: انظر صفات: طول الأمل - الإعراض - الأمن من المكر - التفريط والإفراط -  
 الغفلة - اللهو واللعب - الكبر والعجب].

\*\*\*

### من فوائد (تذكر الموت)

- (١) إن تذكر الموت بصورة دائمة يجعل المسلم (٤) كثير من الناس وعلى مر التاريخ يسعفهم  
 الله بالحظ ويمد لهم الأسباب فتتوفر لهم  
 الحماية الصحيّة والسعادة الدنيويّة  
 ويتبعد عن المخالفات الشرعيّة.  
 (٢) ويجعل المؤمن يعمل في حياته ما يدوم له  
 أجره بعد موته.  
 (٣) بما أن الموت حتم على كل حيّ وتبدأ بعده  
 مرحلة السؤال والحساب فلا بدّ من  
 التّدكّر والتّدبّر قبل فوات الأوان.

(١) نزهة الأعين النواظر (٥٧٠).

(٥) أحزم الناس وأملكهم لشأنه أكثرهم ذكرا (٧) إن من أشد الحياء من الله ﷻ تذكّر الموت واستعدادا للموت. والعمل لما بعده.

(٦) تذكّر الموت يدفع المرء إلى الحياء من الله فلا (٨) موت المسلم وغسله وتكفينه والصلاة عليه يقارف المعصية. وحمله إلى المقابر ودفنه كلّها مظاهر تذكير وإنذار لكلّ أحد بأن هذا مصيره ولا يأخذ معه إلا ما قدّم من خير أو شرّ.

## التذكير

### التذكير لغة:

مصدر ذكّر وهو مأخوذ من مادة (ذك ر) التي تدلّ كما يقول ابن فارس على أصلين عنهما يتفرّع كلم الباب: الأوّل الذّكر خلاف الأنثى، ومن ذلك قولهم: المذكر التي ولدت ذكرا والمذكّر التي تلد الذّكران عادة، والأصل الآخر: الذّكر خلاف النسيان ومن ذلك قولهم ذكرت الشيء خلاف نسيتّه ثمّ حمل عليه الذّكر باللسان، ويقول اجعله منك على ذكر أي لا تنسه.

والذّكر: الحفظ للشيء تذكّره. والذّكر أيضا: الشيء يجري على اللسان ذكّره يذكّره ذكّرا وذكّرا. وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣] أي: ادرسوا ما فيه. وتذكّره وأذكّره وأذكّره وأذكّره، قلبوا تاء افتعل في هذا مع الدالّ بغير إدغام، وأذكّره إياه: ذكّره، والاسم الذّكرى. قال الفراء: يكون الذّكرى بمعنى الذّكر، ويكون بمعنى التذكّر في قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] والذّكر والذّكرى، بالكسر: نقيض النسيان، وكذلك الذّكرة، قال كعب بن زهير:

أَنْبَى أَلَمَّ بِكَ الْخِيَالُ يَطِيفٌ وَمَطَافُهُ لَكَ ذِكْرَةٌ وَشَعُوفٌ<sup>(١)</sup>

وتقول: ذكّرتّه ذكّرى، غير مجرّاة. ويقال: اجعله منك على ذكّري وذكّري، وما زال ذلك منّي على ذكّري وذكّري والضّمّ أعلى. أي تذكّر، وقال الفراء: الذّكر ما ذكرته بلسانك، والذّكر: بالقلب. والتذكّرة ما تستذكر به الحاجة.

(١) طاف الخيال: يطيف طيفا ومطافا، والشعوف: الولوع بالشيء حتى لا يعدل عنه.

وذكره إياه وبه جعله يذكره، والناس وعظهم ومنه ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ١] (١).  
واستذكر الشيء: درسه للذكر، والاستذكار:

الدراسة للحفظ، والتذكر: تذكر ما أنسيته. وذكرت الشيء بعد النسيان، وذكرت به بلساني  
وبقلبي وتذكرته وأذكرته غيري، وذكرت به بمعنى قال الله تعالى: ﴿وَأَذَكَّرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] أي  
ذكر بعد نسيان وأصله: اذتكر فأدغم.

وقال الراغب: الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من  
المعرفة، وهو كالحفظ، إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه والذكر يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة  
يقال (الذكر) لحضور الشيء القلب أو القول ولذلك قيل الذكر ذكران: ذكر بالقلب وذكر باللسان  
وكل واحد منهما ضربان: ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ وكل قول يقال له  
ذكر، فمن الذكر باللسان، قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] ومن  
الذكر عن النسيان قوله سبحانه: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَيْتُهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣]  
ومن الذكر بالقلب واللسان معاً قوله تعالى: ﴿فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ  
ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠] والذكرى كثرة الذكر قال تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٤٣]  
وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] والتذكرة ما يتذكر به الشيء، وهو  
أعم من الدلالة والأمانة قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٩] (٢).

### التذكير اصطلاحاً:

لم يرد التذكير مصطلحاً في الكتب التي تهتم بإيراد المعاني الاصطلاحية بيد أنه يمكن  
استنباط تعريف له من خلال تعريفهم للذكر من ناحية ومن خلال كتب اللغة والتفسير من ناحية  
أخرى فتقول: التذكير: أن تجعل غيرك يستحضر ما تذكره به بغرض الاتعاظ والخروج من ميدان  
الغفلة والنسيان إلى مجال المشاهدة والحضور. أو هو أن تجعل المخاطب على ذكر مما تظن أنه  
غافل عنه إما حقيقة وإما على سبيل التغافل فيخرج بذلك من دائرة الغفلة والنسيان إلى مجال  
الذكرى التي تنفع المؤمنين.

[للاستزادة: انظر صفات: الإرشاد- التذكر- الدعوة إلى الله- النصيحة- الوعظ.

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٣٥٨)، لسان العرب (٤/ ٣٠٨)، ومفردات الراغب (١٩٢)، كشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ٣١٨).

(٢) مفردات الراغب (١٧٩).

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض - التفريط والإفراط - التهاون - الغي والإغواء - الهجر].

\*\*\*

### من فوائد (التذكير)

- (١) في التذكير تنفيذ لأمر الله ﷻ.  
 (٢) يصل المسلم بربه.  
 (٣) ينبهه إلى غفلاته ويبعده عن زلّاته.  
 (٤) يدخل تحت باب التعاون على البرّ والتقوى.  
 (٥) التذكير ينتفع به المؤمن، بل هو دليل على كمال هذا الإيمان.  
 (٦) التذكير حق واجب على كلّ مسلم تجاه إخوانه المسلمين بقدر استطاعته ومؤهلاته.  
 (٧) فيه صلاح المجتمع وسعادة الدارين.

## التسبيح

### التسبيح لغة:

مصدر سَبَّح وهو مأخوذ من مادة (س ب ح) التي تدور حول معنيين: الأول: جنس من العبادة والاخر جنس من السعي<sup>(١)</sup>، فالأول السبحة وهي الصلاة، وتختصّ بذلك ما كان نفلا غير فرض، يقول الفقهاء: يجمع المسافر بين الصلاتين ولا يسبّح بينهما أي لا يتنفل بينهما بصلاة، ومن هذا الباب: التسبيح وهو تنزيه الله - جلّ ثناؤه - من كلّ سوء، والتنزيه التبعيد والعرب تقول: سبحان من كذا، أي ما أبعده، قال الأعشى:

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر

وقال قوم: تأويله: عجباً له إذا يفخر وقولهم:

سبحان الله: معناه تنزيهاً لله من الصّاحبة والولد، وقيل: تنزيه الله تعالى عن كلّ ما لا ينبغي له أن يوصف به، قال: ونصبه أنّه في موضع فعل على معنى تسبيحها له، تقول: سبحت الله تسبيحاً أي نزّهته تنزيهاً، قال: وكذلك روي عن النبي ﷺ، وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، قال: منصوب على المصدر، المعنى أسبّح الله تسبيحاً.

(١) ومن ذلك السباحة العوم في الماء والسباح من الخيل الحسن مد اليمين في الجري.

وسبَّح الرَّجُل: قال سبحانه الله، وفي التنزيل: ﴿كُلُّ قَدْعَلَمَ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ﴾ [النور: ٤١]، قال رؤبة: سبَّحن واسترجعن من تأله.

وسبَّح: لغة، حكى ثعلب سبَّح تسيبها وسبَّحانا، وعندني أن سبَّحانا ليس بمصدر سبَّح، إنما هو مصدر سبَّح. وفي التهذيب: سبَّحت الله تسيبها وسبَّحانا بمعنى واحد. فالمصدر تسيبها، والاسم سبَّحان يقوم مقام المصدر<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحاً:

قال ابن حجر: التسيب يعني قول سبحانه الله، ومعناه: تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل.

ويطلق التسيب ويراد به جميع ألفاظ الذكر، وجماع معناه. وقال الجرجاني: التسيب تنزيه الحق عن نقائص الإمكان والحدوث<sup>(٢)</sup>.

### تسيب المخلوقات:

أما قوله تعالى: ﴿تَسْبِيحُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، قال أبو إسحاق: قيل إن كل ما خلق الله يسبِّح بحمده، وإن صرير السقف، وصرير الباب من التسيب، فيكون على هذا الخطاب للمشركين وحدهم: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وجائز أن يكون تسيب هذه الأشياء بما الله به أعلم لا نفقه منه إلا ما علمناه، قال: وقال قوم: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]: أي ما من دابة إلا وفيه دليل أن الله ﷻ خالقه وأن خالقه حكيم مبرراً من الأسواء ولكنكم، أيها الكفار، لا تفقهون أثر الصنعة في هذه المخلوقات، قال أبو إسحاق: وليس هذا بشيء؛ لأن الذين خوطبوا بهذا كانوا مقرين أن الله خالقهم وخالق السماء والأرض ومن فيهن، فكيف يجهلون الخلق وهم عارفون بها؟ قال الأزهرى: ومما يدل على أن تسيب هذه المخلوقات تسيب تعبدت به قول الله ﷻ للجبال: ﴿يَجِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ [سبأ: ١٠]، ومعنى أوبي سبَّحي مع داود النهار كله إلى الليل، ولا يجوز أن يكون معنى أمر الله ﷻ للجبال بالتأويب إلا تعبد لها، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ

(١) مقاييس اللغة (٣/ ١٢٥)، واللسان (٢/ ٤٧٢).

(٢) فتح الباري (١١/ ٢١٠)، والتعريفات للجرجاني (٥٨).

لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ﴿[الحج: ١٨] فسجود هذه المخلوقات عبادة منها لخالقها لا نفقها عنها كما لا نفقه تسيبها، وكذلك قوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْجِبَارَةِ لِمَا يُنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَشَقُّ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] وقد علم الله هبوطها من خشيتها ولم يعرفنا ذلك فنحشش نؤمن بما أعلمنا، ولا ندعي بما لا نكلف بأفهامنا من علم فعلها كيفية نحدّها.

ومن صفات الله ﷻ: السَّبُّوحُ الْقُدُّوسُ، قال أبو إسحاق: السَّبُّوحُ الَّذِي يَنْزَهُ عَنِ كُلِّ سَوْءٍ، وَالْقُدُّوسُ: الْمُبَارِكُ، وَقِيلَ: الطَّاهِرُ، وَقَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: سَبُّوحٌ قُدُّوسٌ مِنْ صِفَةِ اللَّهِ ﷻ لِأَنَّهُ يَسْبَحُ وَيُقَدِّسُ، وَيُقَالُ: سَبُّوحٌ قُدُّوسٌ، قَالَ اللَّحْيَانِيُّ: الْمَجْتَمِعُ عَلَيْهِ فِيهَا الضَّمُّ، قَالَ: سَبُّوحٌ: إِتْمَانٌ قَوْلُهُمْ سَبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، فَلَيْسَ بِمَنْزِلَةِ سَبْحَانَ لَأَنَّ سَبُّوحًا قُدُّوسًا صِفَةٌ، كَأَنَّكَ قُلْتَ ذَكَرْتَ سَبُّوحًا قُدُّوسًا فَنَصَبْتَهُ عَلَى إِضْمَارِ الْفِعْلِ الْمَتْرُوكِ إِظْهَارَهُ، كَأَنَّهُ خَطَرَ عَلَى بَالِهِ أَنَّهُ ذَكَرَهُ ذَاكِرٌ، فَقَالَ: سَبُّوحًا أَيْ ذَكَرْتَ سَبُّوحًا، أَوْ ذَكَرَهُ هُوَ نَفْسَهُ فَأَضْمَرَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَمَّا رَفَعَهُ فَعَلَى إِظْهَارِ الْمَبْتَدَأِ وَتَرَكَ إِظْهَارَ مَا يَرْفَعُ، كَتَرَكَ إِظْهَارَ مَا يَنْصَبُ. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بِنَاءٌ عَلَى فَعُولٍ، بَضْمٌ أَوَّلُهُ، غَيْرَ هَذَيْنِ الْأَسْمِينَ الْجَلِيلَيْنِ.

وسبحات وجه الله، بضم السين والباء: أنواره وجلاله وعظمته.

قال ابن شميل: سبحات وجهه نور وجهه، وفي حديث آخر: حجاب النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره. سبحات وجه الله: جلاله وعظمته، وهي في الأصل جمع سبحة، وقيل: أضواء وجهه، قيل: سبحات الوجه محاسنه، لأنك إذا رأيت الحسن الوجه، قلت: سبحان الله، وقيل: معناه تنزيه له أي سبحان وجهه. قال: وأقرب من هذا كله أن المعنى: لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور، كما خر موسى على نبينا وعلينا، صعقا وتقطع الجبل دكا لما تجلّى الله ﷻ.

### من معاني التسبيح:

قد يكون التسبيح بمعنى الصلاة والذكر، تقول: قضيت سبحتي؛ وروي أن عمر رضي الله عنه جلد رجلين سبحا بعد العصر أي صلّيا. وعليه فسر قوله: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧] يأمرهم بالصلاة في هذين الوقتين، وقال الفراء: حين تمسون المغرب والعشاء، وحين تصبحون صلاة الفجر، وعشيا العصر، وحين تظهرون الأولى. وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ﴾

وَالْإِبْكَرِ ﴿ [آل عمران: ٤١] أي وصل، وقوله ﷺ: ﴿ فَلَؤَلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ [الصفات: ١٤٣] أراد من المصلين قبل ذلك، وقيل: إنما ذلك لأنه قال في بطن الحوت: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠] يقال: إن مجرى التسبيح فيهم كمجرى النفس من لا يشغلنا عن النفس شيء. وقوله: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ [القلم: ٢٨] أي تستنون، وفي الاستثناء تعظيم الله والإقرار بأنه لا يشاء أحد إلا أن يشاء الله، فوضع تنزيه الله موضع الاستثناء.

والسبحة: الدعاء وصلاة التطوع، والنافلة، يقال: فرغ فلان من سبحته أي من صلاة النافلة، سميت الصلاة تسبيحا لأن التسبيح تعظيم الله وتنزيهه من كل سوء، قال ابن الأثير: وإنما خصت النافلة بالسبحة وإن شاركتها الفريضة في معنى التسبيح، لأن التسبيحات في الفرائض نوافل، فقيل لصلاة النافلة سبحة لأنها نافلة كالتسبيحات والأذكار في أنها غير واجبة، وقد تكرر ذكر السبحة في الحديث كثيرا، فمنها: «اجعلوا صلاتكم معهم سبحة» أي نافلة، ومنها: «كنا إذا نزلنا منزلا لا نسبح حتى نحل الرحال»، أراد صلاة الضحى، بمعنى أنهم كانوا مع اهتمامهم بالصلاة لا يباشرونها حتى يحطوا الرحال ويريحوا الجمال رفقا بها وإحسانا. والسبحة: التطوع من الذكر والصلاة، قال ابن الأثير: وقد يطلق التسبيح على غيره من أنواع الذكر مجازا كالتحميد والتمجيد وغيرهما، وسبحة الله: جلاله.

وقال ابن عرفة الملقب بنفطويه في قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٧٤، ٧٦] أي سبحه بأسمائه ونزهه عن التسمية بغير ما سمى به نفسه. قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وهي صفاته التي وصف بها نفسه... وكل من دعا الله بأسمائه فقد أطاعه ومدحه ولحقه ثوابه. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش، وليس أحد أحب إليه المدح من الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

### التسبيح في القرآن الكريم:

قال صاحب البصائر: التسبيح ورد في القرآن على نحو من ثلاثين وجها، منها للملائكة، ومنها لنبينا محمد ﷺ، ومنها لغيره من الأنبياء، ومنها للحيوانات والجمادات، ومنها للمؤمنين

(١) لسان العرب (٢/ ٤٧١ - ٤٧٤).

خاصة، ومنها لجميع الموجودات.

- أما التي للملائكة: فدعوى جبريل عليه السلام في وصف العبادة: ﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٦].
- الثاني: دعوى الملائكة في حال الخصومة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].
- الثالث: تسيبهم الدائم من غير سامة: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].
- الرابع: تسيبهم المعرّي عن الكذب: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠].
- الخامس: تسيبهم المقترن بالسجدة: ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ، يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].
- السادس: تسيبهم مقترنا بتسيب الرعد على سبيل السياسة والهيبة: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خَيْفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣].
- السابع: أنّ حملة العرش والكرسي في حال الطواف بالعرش والكرسي مستغرقون في التسيب والاستغفار: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧]، ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥].
- وأما التي لنبينا محمد ﷺ: فالأول: تسيب مقترن بسجدة اليقين، والعبادة: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (٩٨) ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٨ - ٩٩].
- الثاني: تسيب في طرفي النهار، مقترن بالاستغفار من الزلّة: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيَاكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ [غافر: ٥٥].
- الثالث: تسيب في بطون الدياجر والخلوة: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦].
- الرابع: تسيب في الابتداء، والانتهاء، حال العبادة: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٤٨) ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُورِ﴾ [الطور: ٤٨ - ٤٩].

الخامس: تسبيح مقترن بالطلوع، والغروب لأجل الشهادة: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠].

السادس: تسبيح دائم لأجل الرضا والكرامة: ﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٣٠].

السابع: تسبيح لطلب المغفرة: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣].

وأما التي للأنبياء فالأول لذكرها علامة على ولادة يحيى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [آل عمران: ٤١]

قال رب اجعل لي آية إلى قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١].

الثاني: في وصيته لقومه محافظة على وظيفة التسبيح: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مریم: ١١]

الثالث: في موافقة الجبال، والظباء، والحيتان، والطيور لداود في التسبيح: ﴿يُسَبِّحَنَّ بِالْعُشِيِّ

وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨].

الرابع: في نجاة يونس من ظلمات البحر وبطن الحوت ببركة التسبيح: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ

الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣].

وأما التي لخواص المؤمنين، فالأول في أمر الله تعالى لهم بالجمع بين الذكر والتسبيح دائما:

﴿أذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

الثاني: في ثناء الحق تعالى على قوم إذا ذكر الله تجدهم سجدوا له وسبحوا: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا

وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٥].

الثالث: في أناس يتخذون في المساجد مجالس ويواظبون على التسبيح والذكر: ﴿فِي بُيُوتٍ

أذْنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ رِجَالٌ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٧].

أما التي في الحيوانات، والجمادات، فالأول: في أن كل نوع من الموجودات مشغول بنوع من

التسبيحات: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

الثاني: في أن الطيور في الهواء مصطفة لأداء ورد التسبيح: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدَمٍ صَلَاتَهُ،

وَسَبِّحَهُ﴾ [النور: ٤١].

وأما التي للعامّة. فالأوّل: على العموم في تسبيح الحقّ على الإحياء والإماتة: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [الحديد: ٢، ١].

الثاني: في أنّ كلّ شيء في تسبيح الحقّ على إخراج أهل الكفر، وإزعاجهم: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَابِ﴾ [الحشر: ١، ٢].

الثالث: أنّ الكلّ في التّسبيح، ومن خالف فعله مستحقّ للذّمّ والشّكايّة: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ١، ٢].

الرابع: في أنّ الكلّ في التّسبيح للقدس والطّهارة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾. [الجمعة: ١-٣].

الخامس: في أنّ الكلّ في التّسبيح على تحسين الخلقة والصّورة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَصُورَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [التغابن: ١].

السادس: في الملامة والتّعير من أصحاب ذلك النّسيان بعضهم لبعض من جهة التّقصير في تسبيح الحقّ تعالى: ﴿الرُّأْفَلُ لَكَوَلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨] (١).

[للاستزادة: انظر صفات: التكبير - الحمد - الحوقلة - تلاوة القرآن - التهليل - الثناء - الذكر - الكلم الطيب.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأمن من المكر الجحود - الغفلة - اللهو واللعب - التفريط والإفراط - الإعراض].

\*\*\*

### من فوائد (التسبيح)

- (١) يصل المؤمن برّبّه. (٣) وسيلة تعجّب يعلن بها المسلم إعجابه بما  
 (٢) يعمّق الإيمان في القلب بالاستحضار الدائم يملأ نفسه من استحسان أو ضيقه ممّا هو  
 لعظمة الله. محطّ الاستنكار.

(١) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٨٥ - ٢٨٩).

- (٤) وسيلة قربي إلى الله واستزادة من فيض (٩) التحلي به يؤدّي إلى الجنة والرضوان.  
عطائه.  
(١٠) وسيلة الفقراء في إدراك درجات ثواب  
الأغنياء.  
(٥) يبقى اللسان رطبا بذكر الله.  
(٦) شعار بين المسلمين يتعارفون ويتواصلون (١١) فيه كسب حبّ الله ومرضاته.  
منه.  
(١٢) يحمي من غائلات الشياطين.  
(٧) تنبيه الإمام حين يسهو في الصلاة.  
(١٣) صدقة على جوارح الإنسان.  
(٨) من الوسائل العالية في تحصيل الثواب.

## التعارف

### التعارف لغة:

مصدر تعارف القوم أي عرف بعضهم بعضا وهو من مادة (ع ر ف) التي تدلّ على السكون والطمأنينة، يقول ابن فارس: العين والرّاء والفاء أصلان صحيحان يدلّ أحدهما على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة.. ومن هذا المعرفة والعرفان تقول: عرف فلان فلانا عرفانا ومعرفة وهذا أمر معروف وهذا يدلّ على ما قلناه من سكونه إليه؛ لأنّ من أنكر شيئا توخّش منه ونبا عنه<sup>(١)</sup>، والعرفان: العلم، عرفه يعرفه وعرفانا ومعرفة. وتعارف القوم عرف بعضهم بعضا<sup>(٢)</sup>.

### التعارف اصطلاحا:

هو أن يعرف الناس بعضهم بعضا بحسب انتسابهم جميعا إلى أب واحد وأمّ واحدة ثمّ بحسب الدين والشعوب والقبائل، بحيث يكون ذلك مدعاة للشّفقة والألفة والوئام لا إلى التّنافر والعصبيّة<sup>(٣)</sup>.  
أهمية التعارف في الإسلام:

قال الشيخ أبو بكر الجزائري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا

وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]:

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (٤ / ٢٨١).

(٢) لسان العرب (٩ / ٢٣٦ / ٢٣٧).

(٣) أغفلت كتب التعريفات ذكر التعارف مصطلحا فاقتبسنا ذلك من جملة أقوال المفسرين.

هذا نداء هو آخر نداءات الله تعالى عباده في هذه السورة، وهو أعمّ من النداء بعنوان الإيمان فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ من آدم وحواء باعتبار الأصل، كما أنّ كلّ آدمي مخلوق من أبوين أحدهما ذكر والآخر أنثى ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ وبطون وأفخاذ وفصائل، كلّ هذا لحكمة التعارف فلم يجعلكم كجنس الحيوان لا يعرف الحيوان الآخر، ولكن جعلكم شعوبا وقبائل وعائلات وأسرا لحكمة التعارف المقتضي للتعاون، إذ التعاون بين الأفراد ضروري لقيام مجتمع صالح سعيد.

فتعارفوا وتعاونوا ولا تتفرّقوا لأجل التفاخر بالأنساب. فإنّه لا قيمة للحسب ولا للنسب إذا كان المرء هابطا في نفسه وخلقه وفسادا في سلوكه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

إنّ الشرف والكمال فيما عليه الإنسان من زكاة روحه وسلامة خلقه وإصابة رأيه وكثرة معارفه<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإخاء- الاجتماع- الألفة- البر- التناصر- التعاون على البر والتقوى تفريج الكربات- المحبة- المواساة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض- الغي والإغواء- التفرق- التعاون على الإثم والعدوان- الضلال- الهجر- البغض].

\*\*\*

### من فوائد (التعارف)

- (١) يقوّي روابط الأخوة في الله.
- (٢) يجد المسلم له أعوانا وأنصارا حيثما كان.
- (٣) يورث الحبّ في الله وينمّيه.
- (٤) يقضي على التناحر والتخاصم بين أفراد المجتمع المسلم.
- (٥) يزيل التمايز الطبقيّ ويبدله بالألفة والوئام.
- (٦) وهو سبيل للتعاون على البرّ والتقوى.
- (٧) يورث السكينة والطمأنينة في القلب؛ لأنّ من عرف شيئا اطمأنّ إليه.

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٤/ ٢٩٥).

## التعاون على البر والتقوى

## التعاون لغة:

مصدر تعاون وهو مأخوذ من «العون» الذي يراد به المظاهرة على الشيء يقال: فلان عونى أي معيني وقد أعتته، والعون أيضا الظهير على الأمر، الواحد والاثان والجمع والمؤنث فيه سواء، وقد حكى في تكسيره أعوان، والعرب تقول: إذا جاءت السنة جاء معها أعوانها يعنون بالسنة الجذب وبالأعوان الجراد والذئب والأمراض. وتقول: أعتته إعانة واستعنته واستعنت به فأعاني وتعاونوا عليّ واعتنونا: أعان بعضهم بعضا، وتعاونت أعان بعضنا بعضا. والمعونة: الإعانة، ورجل معوان حسن المعونة، وكثير المعونة للناس وكلّ شيء أعانك فهو عون لك، كالصوم عون على العبادة<sup>(١)</sup>.

قال الفيروزآبادي - رحمه الله تعالى - والعوين: اسم للجمع، واستعنته وبه فأعاني، قال تعالى: ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: ٩٥].

وتعاون الأعوان: إعانة بعضهم بعضا. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] وعاونه معاونة وعوانا<sup>(٢)</sup>.

## أقسام الناس في باب التعاون:

قال الماوردي - رحمه الله تعالى - «تنقسم أحوال من دخل في عداد الإخوان أربعة أقسام: منهم من يعين ويستعين، ومنهم من لا يعين ولا يستعين، ومنهم من يستعين ولا يعين، ومنهم من يعين ولا يستعين.

فأما المعين والمستعين فهو معاوض منصف يؤدي ما عليه ويستوفي ماله، فهو كالمقرض يسعف عند الحاجة ويستردّ عند الاستغناء، وهو مشكور في معونته، ومعدور في استعانته، فهذا أعدل الإخوان.

وأما من لا يعين ولا يستعين فهو متروك قد منع خيره وقمع شرّه فهو لا صديق يرجى، ولا عدو يخشى، وإذا كان الأمر كذلك فهو كالصورة الممثلة، يروقك حسناتها، ويخونك نفعها، فلا هو مذموم لقمع شرّه، ولا هو مشكور لمنع خيره، وإن كان باللوم أجدر.

(١) لسان العرب لابن منظور (٥ / ٣١٧٩ - ٣١٨٠). وانظر الصحاح للجوهري (٦ / ٢١٦٨ - ٢١٦٩).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٤ / ١١٣).

وأما من يستعين ولا يعين فهو لئيم كل، ومهين مستذل قد قطع عنه الرغبة وبسط فيه الرهبة، فلا خيره يرجى ولا شره يؤمن، وحسبك مهانة من رجل مستثقل عند إقلاله، ويستثقل عند استقلاله فليس لمثله في الإخاء حظ، ولا في الوداد نصيب.

وأما من يعين ولا يستعين فهو كريم الطبع، مشكور الصنع، وقد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء، فلا يرى ثقيلًا في نائبة، ولا يقعد عن نهضة في معونة.

فهذا أشرف الإخوان نفسا وأكرمهم طبعًا فينبغي لمن أوجد له الزمان مثله، وقل أن يكون له مثل؛ لأنه البرّ الكريم والدّرّ اليتيم، أن يثني عليه خنصره، ويعضّ عليه بناجذه ويكون به أشدّ ضنًا منه بنفائس أمواله، وسنيّ ذخائره؛ لأنّ نفع الإخوان عام، ونفع المال خاصّ، ومن كان أعمّ نفعًا فهو بالادّخار أحقّ، ثمّ لا ينبغي أن يزهد فيه لخلق أو خلقين ينكرهما منه إذا رضي سائر أخلاقه، وحمد أكثر شيمه؛ لأنّ اليسير مغفور والكمال معوز<sup>(١)</sup>.

#### التعاون واجب ديني وضرورة اجتماعية:

قال ابن خلدون - رحمه الله تعالى - : إنّ الاجتماع الإنسانيّ ضروريّ، ويعبّر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدنيّ بالطبع أي لا بدّ له من الاجتماع وبيانه أنّ الله سبحانه خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصحّ حياتها وبقاؤها إلاّ بالغذاء وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركّب فيه من القدرة على تحصيله إلاّ أنّ قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفّية له بمادّة حياته منه ولو فرضنا منه أقلّ ما يمكن فرضه وهو قوت يوم واحد من الحنطة مثلاً فلا يحصل إلاّ بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكلّ واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتمّ إلاّ بصناعات متعدّدة من حدّاد ونجّار وفاخوريّ وهب أنّه يأكله حبّاً من غير علاج فهو أيضاً يحتاج في تحصيله حبّاً إلى أعمال أخرى أكثر من هذه الزراعة والحصاد والدّراس الذي يخرج الحبّ من غلاف السّنبّل ويحتاج كلّ واحد من هذه إلى آلات متعدّدة وصناعات كثيرة أكثر من الأولى بكثير، ويستحيل أن تفي بذلك كلّ أو ببعضه قدرة الواحد فلا بدّ له من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتّعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف، وكذلك يحتاج كلّ منهم أيضاً في الدّفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه؛ لأنّ الله سبحانه لمّا ركّب الطّباع في الحيوانات كلّها وقسّم القدر بينها جعل حظوظ

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (٢١١-٢١٣) بتصرف.

كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكمل من حظّ الإنسان، فقدرة الفرس مثلا، أعظم بكثير من قدرة الإنسان، وكذا قدرة الحمار والثور والأسد والفيل أضعاف من قدرته. ولما كان العدوان طبيعياً في الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختصّ بمدافعة ما يصل إليه من عادية غيره، وجعل للإنسان عوضاً عن ذلك كله الفكر واليد، فاليد مهيأة للصنائع بخدمة الفكر، والصنائع تحصّل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدّة في سائر الحيوانات للدّفاع. فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيّما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة، ولا تفي قدرته أيضاً باستعمال الآلات المعدّة للمدافعة لكثرتها وكثرة الصنائع والمواعين المعدّة لها، فلا بدّ في ذلك كله من التّعاون عليه بأبناء جنسه، وما لم يكن ذلك التّعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتمّ حياته لما ركّبه الله تعالى عليه من الحاجة إلى الغذاء في حياته، ولا يحصل له أيضاً دفاع عن نفسه لفقدان السّلاح، فيكون فريسة حيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر، وإذا كان التّعاون حصل له القوت للغذاء والسّلاح للدّفاع، وتمّت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه، فإذن هذا الاجتماع ضروريّ للنوع الإنسانيّ، وإلا لم يكمل وجودهم وما أَرادَه الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إيّاهم<sup>(١)</sup>.

### البر والتقوى:

انظر في المعنى اللّغوي لهذين اللَّفظين في صفتي: «البرّ» و«التّقوى».

### التعاون على البر والتقوى اصطلاحاً:

لا يختلف المعنى اللّغويّ للفظ التّعاون عن معناه الذي تقرّر له في عرف الشّرع، ومن ثمّ يمكن تعريف صفة التّعاون على البرّ والتّقوى بأنّها: أن يظاهر المسلم أخاه وبعينه في فعل الخيرات، وعلى طاعة الله ﷻ وتجنّب معصيته.

[للاستزادة: انظر صفات: الإخاء - الاجتماع الإغاثة - الألفة - التناصر - تفريج الكربات -

المحبة - المواساة - البرّ.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التعاون على الإثم والعدوان - التخاذل - الأثرة - البخل - الشح

التفرق - الأذى - التنازع].

(١) المقدمة لابن خلدون (٤١ - ٤٣) بتصرف يسير.

## من فوائد (التعاون على البر والتقوى)

- (١) إمكان إنجاز الأعمال الكبيرة التي لا يقدر (٨) الشعور بالمساواة في الإنسانية يدفع إليه عليها الأفراد. ويحض عليه.
- (٢) شعور الفرد بالقوة ونزع شعور العجز من (٩) ينزع الحقد من القلوب الضعيفة ويزيل نفسه. أسباب الحسد.
- (٣) دليل حبّ الخير للآخرين. (١٠) طريق موصل إلى محبة الله ورضاه وجنته.
- (٤) مواجهة الأخطار المحدقة بالإنسان ممن (١١) سبب من أهم أسباب الألفة والمحبة بين حوله من الإنسان والحيوان. الناس.
- (٥) ثمرة من ثمرات الإيمان فضلا عن كونه (١٢) يحقق سنة الله في خلقه ويوافق طبيعة الأشياء وفي هذا يقول الشاعر:
- (٦) أساس التّقدّم والإنتاج والنّجاح والتّفوّق. الناس للنّاس من بدو وحاضرة
- (٧) من ثمرات الأخوة الإسلامية. بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

## تعظيم الحرمات

## تعظيم الحرمات:

تتكوّن صفة تعظيم الحرمات من لفظين هما:  
التّعظيم والحرمات وسنعرض أوّلا للمعنى اللّغويّ لكلّ منهما ثم نذكر المعنى الاصطلاحيّ لتعظيم الحرمات.

## التعظيم لغة:

التّعظيم في اللّغة مصدر عَظَمَ يقال عَظَمَ فلان الأمر تعظيما بمعنى فخمه وبيّله، وهذا المصدر مأخوذ من مادة (ع ظ م) التي تدور حول معنى الكبر والقوّة كما يقول ابن فارس<sup>(١)</sup>، وأصل ذلك العظم خلاف اللّحم يقول الرّاعب<sup>(٢)</sup> وعظم الشّيء أصله كبر عظمه، ثم استعير لكلّ

(١) المقاييس (٤/ ٣٥٥).

(٢) المفردات (٣٣٩) بتصرف يسير.

كبير فأجري مجراه محسوسا كان أو معقولا عينا كان أو معنى. «والعظيم» إذا استعمل في الأعيان فأصله أن يقال في الأجزاء المتصلة و «الكثير» يقال في الأجزاء المنفصلة، ثم قد يستعمل العظيم أيضا في الأشياء المنفصلة الأجزاء نحو: جيش عظيم ومال عظيم، وذلك في معنى الكثير، ويقول الجوهري: عظم الشيء عظما كبر فهو عظيم، وعظم الشيء أكثره ومعظمه ويقال: أعظم الأمر وعظمه أي فخمه والتعظيم: التبجيل، واستعظمه عده عظيما واستعظم وتعظم، تكبر، والاسم العظم، وتقول أصابنا مطر لا يتعاضمه شيء أي لا يعظم عنده شيء، والعظيمة والمعظمة: النَّازلة الشديدة، والإعظام والعظام (شيء) كالوسادة تعظم به المرأة عجيزتها. والعظمة الكبرياء، وعظمة الذراع أيضا لمستغلظها، والعظم واحد العظام، وعظم الرجل خشبة بلا أنساع ولا أداة<sup>(١)</sup>، والعظم خلاف الصغر يقال منه عظم الشيء يعظم عظما وعظامه: كبر، وعظم الشيء كبره. والعظيم من صفات المولى ﷺ ويسبح العبد ربه فيقول سبحان ربي العظيم، العظيم هنا الذي جاوز قدره وجل عن حدود العقول حتى لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته. والعظم في صفات الأجسام كبر الطول والعرض والعمق، والله تعالى جل عن ذلك قال النبي ﷺ، أما الركوع فعظموا فيه الرب، أي اجعلوه في أنفسكم ذا عظمة. وعظمة الله سبحانه. لا تكيف ولا تحد ولا تمثل بشيء، ويجب على العباد أن يعلموا أنه عظيم كما وصف نفسه وفوق ذلك بلا كيفية ولا تحديد<sup>(٢)</sup> وعظمت القوم: سادتهم وذوو شرفهم، وعظم الشيء ومعظمه جلّه وأكثره، وعظم الصلاة الفريضة كما جاء في حديث «لا يقوم فيها إلا إلى عظم صلاة» قال ابن منظور: كأنه أراد لا يقوم إلا إلى الفريضة<sup>(٣)</sup>.

### الحرمان لغة:

الحرمان في اللغة جمع حرمة<sup>(٤)</sup> وهي ما لا يحل انتهاكه وهي مأخوذة من مادة (ح ر م) التي تدور حول معنى «المنع والتشديد»، يقال: الحرام: ضدّ الحلال، والحريم: حريم البئر وهو ما حولها، يحرم على غير صاحبها أن يحفر فيه، والحرمان مكة والمدينة، سميا بذلك لحرمتها وأنه حرم أن يحدث فيهما أو يؤوى محدث، ويقال: أحرم الرجل بالحج؛ لأنه يحرم عليه ما كان حلالا

(١) الصحاح (١٩٨٧ / ٥) وما بعدها.

(٢) اللسان (٣٠٠٤) وما بعدها. ط. دار المعارف.

(٣) اللسان (ط. دار المعارف) (ص ٣٠٠٦).

(٤) جاء في تفسير التحرير والتنوير (١٧ / ٢٥٢) أن الحرمان جمع حرمة بضمين، وذكر أن معناها (ما يجب احترامه) وأن الاحترام هو: اعتبار الشيء ذا حرم وذلك كناية عن عدم الدخول فيه أي عدم انتهاكه بمخالفة أمر الله في شأنه.

له من الصّيد والنساء وغير ذلك، وأحرم الرّجل دخل في الشّهر الحرام قال الشّاعر:

قتلوا ابن عفّان الخليفة محرماً فمضى ولم أرمثله مقتولاً

ويقال أيضاً المحرم الذي له ذمّة، والحريم:

الذي حرّم مسّه فلا يدنى منه، ويقال بين القوم حرمة ومحرمه (بفتح الراء وضمها) وذلك مشتقّ من أنّه حرام إضاعته وترك حفظه<sup>(١)</sup>.

وقال الرّاعب: الحرام: الممنوع منه إمّا بتسخير إلهي كما في قوله تعالى: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢]، وإمّا بمنع قهري كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢] وإمّا بمنع من الشّرع كما في قوله سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ [الأنعام: ١٤٥]<sup>(٢)</sup>.

وقال في الصّحاح: الحرم بالضمّ الإحرام، قالت عائشة رضي الله عنها: «كنت أطيبه صلى الله عليه وسلم لحله وحرمه»، أي عند إحرامه، وحرمة الرّجل: حرمة وأهله، ورجل حرام أي محرم ومن الشّهور أربعة حرم وهي ذو القعدة وذو الحجّة والمحرم ورجب، والحرمة بالكسر: الغلّة، والحرمة أيضاً الحرمان، والحرمي المنسوب إلى الحرم، وعن الأصمعيّ يقال: إن لي محرمات (بضم الراء وفتحها) فلا تهتكها، والمحرم أول الشّهور (الهجرية) وأحرم الرّجل إذا دخل في حرمة لا تهتك قال زهير: وكم بالقنان من محلّ ومحرم وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ قال ابن عبّاس رضي الله عنهما هو المحارف<sup>(٣)</sup> (أي الذي لم يوسع له في رزقه)، ويقال: أحرمت عن الشّيء، إذا أمسكت عنه، وذكر الرّجّاجي عن اليزيديّ أنّه قال: سألت عمّي عن قول النّبّي صلى الله عليه وسلم: «كلّ مسلم عن مسلم محرم» قال المحرم: الممسك، ومعناه أنّ المسلم ممسك عن مال المسلم وعرضه<sup>(٤)</sup>. وعليه؛ فالحرّمات جمع حرمة، وهي ما يجب احترامه وحفظه من الحقوق والأشخاص، والأزمنة والأماكن، وتعظيمها: توفيتها حقّها وحفظها عن الإضاعة<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر في ذلك مقاييس اللغة (٢/ ٤٥).

(٢) مفردات الراغب (ص ١١٤) وقد ذكر الراغب نوعين آخرين ولم يمثل لهما هما: الممنوع منه بحكم العقل أو الممنوع منه من جهة من ترتسم أمره.

(٣) الصّحاح (٥/ ١٨٩٨).

(٤) لسان العرب (ص ٨٤٧)، ط. دار المعارف.

(٥) مدارج السالكين (٢/ ٧٧).

**الحرّمات اصطلاحاً:**

يراد بالحرمة اصطلاحاً: الحكم بطلب ترك فعل ينتهض فعله سبباً للعقاب، وهي بذلك ترادف التّحرّم أمّا الفعل الذي وقع عليه في ذلك فيسمّى حراماً ومحظوراً<sup>(١)</sup>.

أمّا حرّمات الله ففيها أقوال منها:

- ١- المراد بها في قول مجاهد: مكّة، والحجّ، والعمرة، وما نهى الله عنه من معاصيه كلّها.
- ٢- وعن زيد بن أسلم أنّ الحرّمات المرادة هنا خمس هي: الكعبة الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام (مكّة المكرمة)، والشّهر الحرام، والمحرّم حتّى يحلّ.
- ٣- وقال ابن عاشور: حرّمات الله تشمل كلّ ما أوصى الله بتعظيم أمره فتشمل مناسك الحجّ كلّها.

**تعظيم الحرّمات اصطلاحاً:**

ورد في تعظيم الحرّمات أقوال عديدة أهمّها:

- ١- قال الطّبريّ ما خلاصته: تعظيم الحرّمات يعني اجتناب المرء ما أمر الله باجتنابه في حال إحرامه تعظيماً منه لحدود الله أن يواقعها وحرّمه أن يستحلّها.
- ٢- وقال النّيسابوريّ: تعظيم الحرّمات: العلم بوجودها والقيام بحقوقها.
- ٣- وقال الرّمخسريّ: تعظيم الحرّمات: العلم بأنّها واجبة المراعاة والحفظ، والقيام بمراعاتها.
- ٤- وقال القرطبيّ: الحرّمات المقصودة هنا (في الآية الكريمة) هي أفعال الحجّ ويدخل في ذلك تعظيم المواضع<sup>(٢)</sup>.

درجات تعظيم الحرّمات:

ويأتي تعظيم الحرّمات على درجات ثلاث:

الدرجة الأولى: تعظيم الأمر والنّهي، بحيث لا يعارضها بترخّص جاف، ولا يعارضها بتشدّد غال، ولا يحمل الأمر والنّهي على علة توهن الانقياد لهما. وهناك أمور تنافي تعظيم الأمر والنّهي:

(١) انظر في هذا التعريف وشرحه، كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٢/ ١٢٩ وما بعدها).

(٢) انظر في هذه الأقوال المراجع الآتية: تفسير ابن كثير (٣/ ١٩)، ٢، وتفسير الطبريّ (جامع البيان) ج ١٧ ص ١١١، ١١٢، تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ١٧/ ٢٥٢، وغريب القرآن للنيسابوري (بهامش الطبريّ) ١٧/ ٧٥، والكشاف للزمخشري (٣/ ١١، ١٢)، وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج ١٢/ ٥٤.

أحدها: التّرخّص الذي يمنع صاحبه عن كمال الامتثال.

الثاني: الغلوّ الذي يتجاوز بصاحبه حدود الأمر والنهي. الأوّل: تفريط، والثاني: إفراط. ومن الأمور التي تؤدّي إلى عدم تعظيم الأمر والنهي: تأويل الأمر والنهي بعلّة تعود عليهما بالإبطال، كما تأوّل بعضهم تحريم الخمر بأنّه معلّل بإيقاع العداوة والبغضاء، والتعرّض للفساد، فإذا أمن من هذا المحذور منه جاز شربه.

الدرجة الثانية: «تعظيم الحكم أن يبغى له عوج، أو يدافع بعلم، أو يرضى بعوض». ومعنى هذا تعظيم الحكم الكونيّ القدريّ بالألّا يطلب له عوجاً أو يرى فيه عوجاً؛ بل يراه كلّه مستقيماً، لأنّه صادر عن عين الحكمة، فلا عوج فيه. ومن كمال التّعظيم أن لا يرضى العبد بعوض يطلبه بعمله وإن طلب ثواب الله وجزاء عمله. الدرجة الثالثة: «تعظيم الحقّ سبحانه، وهو أن لا يجعل دونه سبباً، ولا يرى عليه حقّاً، أو ينازع له اختياراً».

وهذه الدرجة تتضمّن تعظيم الحاكم سبحانه، صاحب الخلق والأمر والتي قبلها تتضمّن تعظيم قضائه لا مقضيّه، والأولى تتضمّن تعظيم أمره. وفي هذه الدرجة يتيقّن المسلم من أنّ الذي يوصله إلى الله هو الله، ولا يتوصّل إلى رضاه إلاّ به، ما دلّ على الله إلاّ الله، ولا هدى إليه سواه. ولا يرى لأحد من الخلق حقّاً على الله، بل الحقّ لله على خلقه.

فالحقّ في الحقيقة لله على عبده، وحقّ العبد هو ما اقتضاه جوده وبرّه وإحسانه إليه بمحض جوده وكرمه.

ويعني هذا أن لا ينازع المسلم اختيار الله بل يرضى بما اختاره له؛ فإنّ ذلك من تعظيم الله ومن تعظيم حرّمات الله<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإيمان- التقوى الصلاة- الطاعة- الزكاة- الصوم- الحج والعمرة- العبادة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: انتهاك الحرّمات ترك الصلاة- العصيان- التفريط والإفراط- الفسوق- الفجور- الفساد].

(١) مدارج السالكين (٢/ ٥١٦-٥٢٣) بتصرف.

## من فوائد (تعظيم الحرمات)

- (١) دليل قوّة الإيمان وتمام الإذعان وكمال (٤) ما يجتمع فيه أكثر من سبب من أسباب العبوديّة. التعظيم حرمة أعظم مما يجتمع فيه أقلّ.
- (٢) يتّسع مدلوله حتّى يشمل ما لله ﷻ وأنبيائه (٥) سبب لنيل أعلى الدّرجات. وسائر الخلق حتّى الكافر المعاهد.
- (٣) أسباب التّعظيم منها ما يرجع للإنسان أو بدافع الحبّ. الزّمان أو المكان.
- (٦) يباعد بين الإنسان وبين ارتكاب المعاصي

## التفاؤل

## الفأل لغة:

ضدّ الطّيرة<sup>(١)</sup> والجمع فئول، وتفاءلت به<sup>(٢)</sup> والفأل: أن يكون الرّجل مريضا فيسمع آخر يقول يا سالم، أو يكون طالب ضالّة فيسمع آخر يقول يا واجد فيقول تفاءلت بكذا، ويتوجّه له في ظنّه كما سمع أنّه يبرأ من مرضه أو يجد ضالّته. والفأل يكون فيما يحسن وفيما يسوء. قال أبو منصور: من العرب من يجعل الفأل فيما يكره أيضا. وفي نوادر الأعراب يقال: لا فأل عليك بمعنى لا ضير عليك ولا طير عليك ولا شرّ عليك، وفي الحديث «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصّالح»، والفأل الصّالح: الكلمة الحسنّة. وقال: وهذا يدلّ على أنّ من الفأل ما يكون صالحا ومنه ما يكون غير صالح، وإنّما أحبّ النّبي ﷺ الفأل؛ لأنّ النّاس إذا أمّلوا فائدة الله ورجوا عائده عند كلّ سبب ضعيف أو قويّ فهم على خير، ولو غلطوا في وجهة الرّجاء فإنّ الرّجاء لهم خير، ألا ترى أنّهم إذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشّرّ؟ وإنّما أخبر النّبي ﷺ عن الفطرة كيف هي وإلى أيّ شيء تنقلب<sup>(٣)</sup>.

(١) الطيرة المشار إليها هنا من الصفات المذمومة وهي الاسم من قولهم تطيرت من كذا وبه أي تشاءمت به وهي من الفأل الرديء. انظر الصحاح (٢/ ٧٢٨).

(٢) والتفاؤل هو المصدر من هذا الفعل يقال تفاءلت تفاؤلا والصيغة هنا تدل على المطاوعة وهي قبول أثر الفعل أي أن المتفائل قد قبل وتأثر بما رأى من فأل حسن أو سمع من كلمة طيبة. انظر في معاني صيغة تفاعل (شرح الشافية للرضي (١/ ٩٩).

(٣) لسان العرب (١١/ ٥١٣-٥١٤).

قال الماوردي: فأما الفأل ففيه تقوية للعزم، وباعث على الجدد، ومعونة على الظفر؛ فقد تفاعل رسول الله ﷺ في غزواته وحروبه. وروى أبو هريرة «أن رسول الله ﷺ سمع كلمة فأعجبته، فقال: أخذنا فألك من فيك».

فينبغي لمن تفاعل أن يتأول بأحسن تأويلاته، ولا يجعل لسوء الظنّ على نفسه سبيلا، فقد قال النبي ﷺ: «إنّ البلاء موكل بالمنطق». وروى أن يوسف عليه السلام شكّا إلى الله تعالى طول الحبس، فأوحى الله تعالى إليه: يا يوسف، أنت حبست نفسك حيث قلت: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ ولو قلت: العافية أحبّ إليّ لعوفيت. وحكي أن المؤمل بن أميل الشاعر لما قال يوم الحيرة: شفا المؤمل يوم الحيرة النّظر لبيت المؤمل لم يخلق له بصير عمي، فأتاه آت في منامه، فقال له هذا ما طلبت (١).

#### واصطلاحاً:

الفأل هو الكلمة الصّالحة أو الكلمة الطيّبة أو الكلمة الحسنة مصداق ذلك ما جاء في الحديث الشريف من أنه ﷺ سئل ما الفأل؟ فقال: «الكلمة الصّالحة يسمعونها أحدكم» وجاء في حديث أنس رضي الله عنه: «أنّ الفأل: الكلمة الحسنة والكلمة الطيّبة».

ومن ثمّ يكون المراد بالتفاؤل: انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظنّ، وتوقع الخير بما يسمعه من الكلم الصّالح أو الحسن أو الطيّب.

[للاستزادة: انظر صفات: البشارة- البشاشة الرضا- التوكل- حسن الظن.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التطير- العبوس- التنفير- القنوط- سوء الظن- الوسوسة].

\*\*\*

#### من فوائد (التفاؤل)

- (١) حسن الظنّ بالله تعالى.
- (٢) يجلب السعادة إلى النفس والقلب.
- (٣) ترويح للمؤمن وسرور له.
- (٤) في الفأل تقوية للعزائم ومعونة على
- الظفر وباعث على الجدد.
- (٥) في التفاؤل اقتداء بالسنة المطهرة وأخذ بالأسوة الحسنة حيث كان المصطفى ﷺ يتفاعل في حروبه وغزواته.

(١) انظر أدب الدنيا والدين (٢٠).

## تفريج الكربات

## أ- التفريج لغة:

مصدر فرّج وهو مأخوذ من مادة (ف ر ج) قال ابن منظور: الفرّج: الخلل بين الشئيين والجمع فروج لا يكسر على غير ذلك. قال ابن الأعرابي: فتحات الأصابع يقال لها التفاريج واحدها تفراج.

والفرجة: الراحة من حزن أو مرض، وقيل: التفصّي من الهمّ. وقد فرج له يفرج فرجا وفرجة. ويقال: ما لهذا الهمّ من فرجة، ولا فرجة ولا فرجة. يقال: فرّج الله غمّك تفريجا، وكذلك فرج الله عنك غمّك يفرج بالكسر فرجا: كشفه وأذهب. وهو لغة في فرّج. وتفريج الغمّ تكشف<sup>(١)</sup>.

## واصطلاحا:

كشف الهمّ وإذهاب الغمّ ورفع الضرر.

## ب- الكربات لغة:

الكربات جمع كربة، والكرب مصدر كرب وهو مأخوذ من مادة (ك ر ب) التي تدلّ على الشدّة والقوّة يقال مفاصل مكربة أي شديدة قوّة وأصله الكرب وهو عقد غليظ في رشاء الدلو، ومن الباب الكرب وهو الغمّ الشديد<sup>(٢)</sup>. قال ابن منظور: الكرب، على وزن الضرب مجزوم الرّاء: الحزن والغمّ الذي يأخذ بالنفس. وجمعه كروب. وكربه الأمر والغمّ يكربه كربا اشتدّ عليه، فهو مكروب وكريب، والاسم الكربة. وفي الحديث: كان إذا أتاه الوحي كرب له. أي أصابه الكرب<sup>(٣)</sup>.

## واصطلاحا:

قال ابن حجر رحمته: الكرب (بفتح الكاف وسكون الرّاء بعدها موحدّة) هو ما يدهم المرء ممّا يأخذ بنفسه فيغمّه ويحزنه<sup>(٤)</sup>.

## تفريج الكربات اصطلاحا:

يمكن - في ضوء ما سبق - أن نعرّف تفريج الكربات بأنّه: رفع الضّر وإذهاب ما يدهم الإنسان ويأخذ بنفسه فيغمّه ويحزنه.

(١) لسان العرب (٢/ ٣٤٢-٣٤٢). انظر: محيط المحيط: (٦٨١).

(٢) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (٥/ ١٧٤).

(٣) لسان العرب (١/ ٧١١-٧١٢). انظر: محيط المحيط: (٧٤٤-٧٧٥).

(٤) فتح الباري (١١/ ١٥٠).

[للاستزادة: انظر صفات: الإغاثة- السرور التناصر- الاجتماع- الإخاء- الألفة- البر- التعاون على البر والتقوى- المواساة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأثرة- البخل- التخاذل- الشح].

\*\*\*

### من فوائد (تفريج الكربات)

- (١) الفرج الأعظم يأتي من الله ﷻ فهو ينجي والابتعاد عما حرم الله من أعظم أسباب تفريج كل مكروب يستغيثه في الدنيا والآخرة. الكربات واستجابة الدعوات.
- (٢) النبي ﷺ علم أصحابه أدعية يقولهها ذو (٥) من أعظم أسبابه التزام آدابه من الأذكار الكرب فيفرج عنه. والأدعية الثابتة عن النبي ﷺ.
- (٣) سبب لتفريج كربات القيامة وأهوالها. (٦) سبب لنيل القرب من الله والمحبة من الناس.
- (٤) الإيثار والطاعة وبرّ الوالدين والإحسان.
- (٧) دليل حبّ الخير للآخرين.

## التفكير

### التفكير لغة:

التفكير مأخوذ من مادة (ف ك ر) التي تدلّ - كما يقول ابن فارس - على تردّد القلب في الشيء، يقال تفكّر إذا ردّد قلبه معتبرا<sup>(١)</sup>. ولفظ التفكير مصدر لتفكّر أو أنّها اسم (اسم مصدر) من فكّر التي مصدرها التفكير، ومن المادة أيضا أخذ الفكر والفكر، يقول صاحب اللسان: والفكر التأمل وإعمال الخاطر في الشيء قال سيبويه: ولا يجمع الفكر، وحكى ابن دريد في جمعه أفكارا. والفكرة: كالفكر، وقد فكر في الشيء وأفكر فيه وتفكّر بمعنى، ورجل فكّير: كثير الفكر. والتفكير اسم التفكير، وقال الجوهري: التفكير: التأمل والاسم: الفكر، والمصدر: الفكر بالفتح<sup>(٢)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٤ / ٤٤٦).

(٢) لسان العرب (٥ / ٦٥).

## واصطلاحاً:

تصرّف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب<sup>(١)</sup>.

## حقيقة التفكير:

قال ابن القيم رحمته: أصل الخير والشر من قبل التفكير؛ فإن الفكر مبدأ الإرادة والطلب في الزهد والتترك والحب والبغض. وأنفع الفكر الفكر في مصالح المعاد وفي طرق اجتلابها وفي دفع مفسد المعاد وفي طرق اجتنابها، فهذه أربعة أفكار هي أجل الأفكار، ويليهما أربعة: فكر في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها، وفكر في مفسد الدنيا وطرق الاحتراز منها، فعلى هذه الأقسام الثمانية دارت أفكار العقلاء. ورأس القسم الأول الفكر في آلاء الله ونعمه وأمره ونهيه وطرق العلم به وبأسمائه وصفاته من كتابه وسنة نبيه وما والاهما، وهذا الفكر يشمر لصاحبه المحبة والمعرفة، فإذا فكر في الآخرة وشرفها ودوامها وفي الدنيا وخسستها وفنائها أثمر له ذلك الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا، وكلما فكر في قصر الأمل وضيق الوقت أورثه ذلك الجهد والاجتهاد وبذل الوسع في اغتنام الوقت. وهذه الأفكار تعلي همته وتحببها بعد موتها وسفولها وتجعله في واد والناس في واد. ويلتزم هذه الأفكار الأفكار الرديئة التي تجول في قلوب أكثر الخلق. كالفكر فيما لم يكلف الفكر فيه ولا أعطي الإحاطة به من فضول العلم الذي لا ينفع، كالفكر في كيفية ذات الرب مما لا سبيل للعقول إلى إدراكه<sup>(٢)</sup>.

## الحث على التفكير والتدبر:

قال الغزالي رحمته: كثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار، ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التأمل - التأنى - التبيين (الثبت) - التدبر - تذكر الموت - التذكير -

الذكر - النظر والتبصر.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: اتباع الهوى - الأمن من المكر - لبلادة والغباء - العجلة -

الغفلة - اللهو واللعب - الإعراض].

(١) التعريفات للجرجاني (٦٦).

(٢) الفوائد (٢٥٥).

(٣) الإحياء (٤ / ٤٢٣).



قال ابن منظور: وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧] أي جزاء تقواهم. وقيل معناه: ألهمهم تقواهم. وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]، أي هو أهل أن يتقى عقابه، وأهل أن يعمل بما يؤدي إلى مغفرته. قال أبو بكر: رجل تقى ويجمع أتقياء، معناه أنه موق نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصالح، وأصله من وقيت نفسي أقيها<sup>(١)</sup>.

### التقوى اصطلاحاً:

قال الراغب: التقوى في تعارف الشرع: حفظ النفس عما يؤثم وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات، لما روي: الحلال بين والحرام بين، ومن رتع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه، وقال الجرجاني: التقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص وفي المعصية يراد بها التترك والحذر، وقيل هي: «الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته وصيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك»، وقيل: هي المحافظة على آداب الشريعة ومجانبة كل ما يبعد المرء عن الله تعالى، وقيل: هي ترك حظوظ النفس ومباينة الهوى.

وقال الفيروز آبادي: التقوى البالغة الجامعة: اجتناب كل ما فيه ضرر وهو المعصية، والفضول، فعلى ذلك تنقسم إلى فرض ونفل.

وقيل: هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك. وقيل: هي امتثال أوامره تعالى واجتناب نواهيه، بفعل كل مأمور به وترك كل منهي عنه حسب الطاقة. قال الحلبي: حقيقة التقوى فعل المأمور به والمندوب إليه واجتناب المنهي عنه والمكروه المنزه عنه لأن المراد من التقوى وقاية العبد نفسه من النار وهو إنما يقي نفسه من النار بما ذكرت<sup>(٢)</sup>.

من معاني كلمة التقوى في القرآن:

ورد لفظ التقوى في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

١ - الخوف والخشية كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ

شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

(١) المقاييس لابن فارس (٦ / ١٣١)، والمفردات للراغب (ص ٥٣٠)، والصحاح للجوهري (٦ / ٢٥٢٧) ولسان العرب لابن منظور (١٥ / ٤٠٢).

(٢) التعريفات للجرجاني (٦٥)، وانظر شعب الإيمان للبيهقي (٧ / ١٥٧)، ودليل الفالحين (١ / ٦٤٢)، والمفردات للأصفهاني (ص ٥٣٠)، وبصائر ذوي التمييز (٢ / ٣٠٠).

٢- العبادة كما في قوله تعالى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

٣- ترك المعصية كما في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩] أي لا تعصوه.

٤- التوحيد كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣] أي للتوحيد.

٥- الإخلاص كما في قوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]<sup>(١)</sup>.

### بين التقوى والورع:

التقوى تقارب الورع إلا أن بينهما فروقا منها:

- ١- التقوى أخذ عِدَّة، والورع دفع شبهة.
- ٢- التقوى متحقق السبب، والورع مظنون السبب.
- ٣- التقوى احتراز عما يتقاه الإنسان ويحصل به الحيلولة بينه وبين ما يكره، والورع تجاف بالنفس عن الانبساط فيما لا يؤمن عاقبته<sup>(٢)</sup>.

### بشارات القرآن للمتقين:

بشر القرآن الكريم المتقين ببشارات عديدة منها:

العون والنصرة، والتكريم، والعلم والحكمة، وتكفير الذنوب وتعظيم الأجر، والمغفرة، واليسر والسهولة في الأمر، والخروج من الغم والمحنة، ومنها الرزق الواسع في الدنيا، والنجاة من العقوبة في الآخرة، ومنها التوفيق والعصمة والفوز بالمراد، وشهادة الله لهم بالصدق، ومحبة الله وإكرامه ونيل الوصال وقبول الصدقة والصفاء وكمال العبودية، ومنها المقام الأمين والجنات والعيون والأمن من البلية وعزّ الفوقية وزوال الحزن والخوف من العقوبة والزّوجات الحسان

(١) كشف الأسرار لابن العماد (ص ٢٢٢ وما بعدها)، وقارن ببصائر ذوي التمييز للفيروز ابادي (٢/ ٣٠٠)، ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (٢١٩) وما بعدها.

(٢) بتصرف يسير من: نزهة الأعين النواظر (٢١٩).

(الكواعب الأتراب) في الجنة، وأعظم من هذا كله القرب من الحضرة الإلهية عند الفوز بمقعد صدق عند مليك مقتدر<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاستقامة- الإيمان- الخشية- الخوف- الطاعة- تعظيم الحرمات- الخشوع- السكينة- الورع- الإخلاص.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الضلال- العصيان- الفجور- النفاق- الرياء- الغفلة- انتهاك الحرمات].

\*\*\*

### من فوائد (التقوى)

- (١) معية الله تعالى للمتقين.  
(٢) البشرى بالتكريم للمتقين.  
(٣) تكفير الذنوب وتعظيم الأجر.  
(٤) الوعد بالمغفرة وزوال الخوف من النفوس.  
(٥) اليسر والسهولة في الأمر.  
(٦) في التقوى تكفير للذنوب وتعظيم للأجر  
من الله ﷻ.  
(٧) العون والنصرة من الله للمتقين.  
(٨) الأمن من البلية ونيل الوصال والقربة.  
(٩) عزّ فوقية على سائر الخلق.  
(١٠) الخروج من الهمّ والمحنة والوعد بالرزق الواسع.  
(١١) النجاة من العذاب والعقوبة.  
(١٢) الفوز بالجنة.  
(١٣) التوفيق والشهادة لهم بالصدق.  
(١٤) محبة الله للمتقين.

### التكبير

#### التكبير لغة:

مصدر «كَبُرَ» وهو مأخوذ من مادة (ك ب ر) التي تدلّ على خلاف الصّغر<sup>(٢)</sup>، وإذا كان الصّغر يدلّ على القلّة والحقارة؛ فإنّ الكبر يدلّ على الكثرة والعظمة، والوصف منهما صغير وكبير

(١) انظر الآيات الدالة على هذه البشارات في بصائر ذوي التمييز (٥/ ٣٠٠-٣٠٣)، وقارن بفوائد الصفة.  
(٢) كذا قال ابن فارس في المقاييس (٥/ ١٥٣)، وقد ذكر معنى الصغر في مادة (ص غ ر) في (٣/ ٢٩٠)، واستتجنا معنى الكبر من جملة ما قاله في الموضوعين.

وهما كما يقول الراغب: من الأسماء المتضايقة التي تقال عند اعتبار بعضها ببعض، فالشيء قد يكون صغيراً في جنب شيء، وكبيراً في جنب غيره<sup>(١)</sup>، ويستعملان في الكمية المتصلة (غير القابلة للتجزئة) وذلك كالكثير والقليل في الكمية المنفصلة كالعدد، وربما يتعاقب الكثير والكبير في شيء واحد بنظرين مختلفين نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا آيَاتٌ كَثِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩] وكثير، قرئ بهما، وأصل ذلك في الأعيان ثم استعير للمعاني نحو قوله ﷺ ﴿لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩] والكبير من صفات المولى ﷺ وكذلك المتكبر، قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى المتكبر والكبير» أي العظيم ذو الكبرياء، وقيل المتعالي عن صفات الخلق، وقيل المتكبر على عتاة خلقه، والتاء فيه للتفرد والتخصيص لا تاء التعاطي والتكلف<sup>(٢)</sup>، والكبرياء هي العظمة والملك، وقيل هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بهما سوى الله تعالى، وهذان الوصفان (المتكبر - ذو الكبرياء) مأخوذان من الكبر بالكسر وهو العظمة، يقال كبر يكبر أي عظم فهو كبير، أمّا وصفه ﷺ بأنه: «أكبر» كما في حديث الأذان «الله أكبر» فاختلف في معناه على وجهين:

الأول: أن معناه «الله الكبير» فوضع أفعل موضع فاعيل (أي أن التفضيل على غير بابه) وذلك كما في قول الفرزدق:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا      بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ  
أي عزيمة طويلة.

الآخر: أن المعنى «الله أكبر من كل شيء» أي أعظم فحذفت «من» من أسلوب التفضيل لوضوح معناها و«أكبر» خبر والأخبار يجوز حذفها وحذف ما تعلق بها، وقيل معناه الله أكبر من أن يعرف كنه كبريائه وعظمته، وإنما قدر له ذلك؛ لأن أفعل التفضيل (الذي مؤنثه فعلى) يلزمه الألف واللام أو الإضافة كالأكبر وأكبر القوم، وراء أكبر في الأذان والصلاة ساكنة للوقف، فإذا وصل بكلام ضم<sup>(٣)</sup>.

(١) مثال ذلك أن يقال: الفيل الصغير حيوان كبير فهو صغير إذا أضيف إلى سائر الفيلة وكبير إذا أضيف إلى القط أو الفأر أو غير ذلك من الحيوانات الصغار. انظر مفردات الراغب (٤٢١).

(٢) يشير ابن الأثير هنا إلى أن صيغة تفعل في تكبر التي اشتق منها الوصف متكبر تفيد معنى التفرد وليست على معناها الشائع وهو التكلف في مثل تشجع وتحلم أي تكلف الحلم والشجاعة، وقد يفيد تكبر هذا المعنى أيضا إذا أضيف إلى الإنسان.

(٣) النهاية (٤/ ١٤٠).

وقال الإمام الغزالي: المتكبر هو الذي يرى الكلّ حقيراً بالإضافة إلى ذاته، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه، فينظر إلى غيره نظر الملوك إلى العبيد، فإن كانت هذه الرؤية صادقة كان التكبر حقاً وكان صاحبها متكبراً حقاً، ولا يتصور ذلك على الإطلاق إلا لله ﷻ وإن كان ذلك التكبر والاستعظام باطلاً، ولم يكن ما يراه من التفرّد بالعظمة كما يراه، كان التكبر باطلاً ومذموماً، وكلّ من رأى العظمة والكبرياء لنفسه على الخصوص دون غيره كانت رؤيته كاذبة ونظره باطلاً، إلا الله ﷻ<sup>(١)</sup>.

وقال الجوهري: الكبر في السنّ يقال فيه: كبر الرجل يكبر كبراً أي أسنّ، وكبر بالضمّ يكبر أي عظم فهو كبير وكبار فإذا أفرط قيل كَبَّارٌ بالتشديد، والكبر بالكسر العظمة وكذلك الكبرياء، والتكبير التعظيم والتكبر والاستكبار التّعظم، وذكر ابن منظور أنّ كبر الأمر تكون بمعنى جعله كبيراً وتكون بمعنى: قال: الله أكبر، أمّا أكبر في قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ [يوسف: ٣١] فأكثر المفسرين يقولون أعظمه<sup>(٢)</sup>.

وروي عن مجاهد أنّه قال: أكبرنه «حُضِنَ» وليس ذلك بالمعروف في اللّغة، وروى الأزهري عن ابن جبير بن مطعم عن أبيه: أنّه رأى النبي ﷺ يصليّ قال: فكبر وقال: الله أكبر كبيراً، ثلاث مرّات... قال أبو منصور: نصب كبيراً؛ لأنّه أقامه مقام المصدر لأنّ معنى قوله: الله أكبر: أكبر الله كبيراً بمعنى تكبيراً، يدلّ على ذلك ما روي عن الحسن: أنّ نبيّ الله ﷺ كان إذا قام إلى صلاته من الليل قال: لا إله إلا الله، الله أكبر كبيراً، ثلاث مرّات، فقوله كبيراً بمعنى تكبيراً فأقام الاسم مقام المصدر الحقيقي، وقوله: الحمد لله كثيراً، أي أحمد الله حمداً كثيراً<sup>(٣)</sup> والتكبير في قوله تعالى: ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] معناه تعظيم الله بالذكر له وهو التكبير يوم الفطر<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥]، جاء في تفسيرها أنّ المعنى: لتعظّموه على ما أرشدكم إليه من الشرائع<sup>(٥)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿وَكَبِّرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، قال

(١) المقصد الأسنى ص ٧٥.

(٢) لسان العرب (٣٨٠٨)، ومعنى أعظمه أي وجدنه عظيماً ومن ثم يكون «أفعل» هنا لمصادفة الشيء على صفة كما قولهم: قاتلناكم فما أجبناكم أي ما وجدناكم جبناءً.

(٣) المرجع السابق (٣٩١٠).

(٤) انظر تفسير الطبري (٩٢ / ٢).

(٥) تفسير القرطبي ٢ / ٣٠٨.

القرطبي: المعنى: عظمه عظمة تامّة، يقال: أبلغ لفظ للعرب في معنى التّعظيم والإجلال: الله أكبر<sup>(١)</sup> أي وصفه بأنّه أكبر من كلّ شيء.

### التكبير اصطلاحاً:

قال المناوي: يقال: التّكبير لتعظيم الله بقولك: الله أكبر ولعبادته ولاستشعار تعظيمه<sup>(٢)</sup>.

### أنواع التّكبير:

قال الإمام النّيسابوري: التّكبير أنواع منها:

- ١- تكبيره في صفاته بأن يعتقدونها كلّها من صفات الجلال والإكرام وفي غاية العظمة ونهاية الكمال، وأنها منزّهة عن سمات التّغيّر والزّوال والحدوث والانتقال.
- ٢- تكبير الله في أحكامه، وهو أن يعتقد أنّ أحكامه كلّها جارية على سنن الصّواب، وقانون العدالة<sup>(٣)</sup>.

### التكبير في العيدين:

قال ابن قدامة- رحمه الله تعالى-: يستحبّ للنّاسي إظهار التّكبير في ليلتي العيدين في مساجدهم ومنازلهم وطرفهم، مسافرين كانوا أو مقيمين. ومعنى إظهار التّكبير رفع الصّوت به، واستحبّ ذلك لما فيه من إظهار شعائر الإسلام، وتذكير الغير... ثمّ قال: قال القاضي (يعني أبا يعلى): التّكبير في الأضحى مطلق ومقيّد؛ فالمقيّد عقيب الصّلوات، والمطلق في كلّ حال في الأسواق، وفي كلّ زمان. وأمّا الفطر فمسنونه مطلق غير مقيّد<sup>(٤)</sup>.

والتّكبير أن يقول: «الله أكبر الله أكبر، لا إله إلّا الله والله أكبر والله الحمد» وهذا مروى عن عمر وعليّ، وابن عبّاس رضي الله عنهم. وروى عن عليّ رضي الله عنه أيضاً، وعن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم: «أن يقول: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلّا الله، والله أكبر، الله أكبر والله الحمد»<sup>(٥)</sup>.

(١) السابق ١٠ / ٣٤٥.

(٢) التّوقيف على مهمات التعارف ص ١٠٧، وانظر أيضاً المفردات للراغب.

(٣) غرائب القرآن للنّيسابوري (٨ / ١٠٤) بهامش الطبري.

(٤) المغنى (٣ / ٢٥٥-٢٥٦) بتصرف.

(٥) المرجع السابق (٢٨٩-٢٩٠)، وينظر زاد المعاد (١ / ٤٤٩).

## مواطن التكبير:

التكبير بمعنى تعظيم المولى ﷺ مطلوب من المسلم في كل وقت أو - بعبارة أخرى - لا يتحرى له وقت بعينه، أما التكبير بمعنى قول «الله أكبر» فإن اقترن بالتسبيح والتحميد والتهليل فإنه نوع من الذكر. أما إذا انفرد فإن له مواطن معينة وأوقاتا معلومة ومناسبات يطلب فيها، ويمكننا في ضوء ما جاءت به السنة المطهرة أن نذكر أهم هذه المواطن فيما يلي:

- ١- التكبير في الأذان والإقامة ممن يقوم بذلك.
- ٢- التكبير ممن يسمع الأذان أو الإقامة.
- ٣- التكبير عند الدخول في الصلاة (تكبيرة الإحرام).
- ٤- التكبير عند الركوع والسجود، وعند رفع الرأس من السجود.
- ٥- التكبير خلف الصلوات.
- ٦- التكبير في خطبة صلاة الاستسقاء، وفي صلاة الاستسقاء ذاتها.
- ٧- التكبير في صلاة الجنازة (أربع تكبيرات).
- ٨- التكبير في صلاة العيدين، في الأولى سبعا وفي الثانية خمسا.
- ٩- التكبير في خطبتي العيدين، في الأولى تسعا وفي الثانية سبعا<sup>(١)</sup>.
- ١٠- التكبير في ليلة عيد الفطر من أول ليلة العيد إلى دخول الإمام للصلاة، ويرفع المسلم صوته بالتكبير في الطرق والأسواق ونحوها.
- ١١- التكبير لرؤية هلال شوال.
- ١٢- التكبير عقب الصلوات من صبح يوم عرفة إلى عقب عصر آخر أيام التشريق<sup>(٢)</sup>.
- ١٣- التكبير عند الخروج للحج قبل الإهلال، وعند الرجوع منه أو من العمرة.
- ١٤- التكبير عند رمي الجمرات مع إلقاء الحصيات.
- ١٥- التكبير عند الصعود من منى إلى عرفات.

(١) المغني لابن قدامة (٢/ ٢٤٢)، وانظر الترغيب والترهيب (٢/ ١٥٦) هامش (١).

(٢) الترغيب والترهيب (٢/ ١٥٦)، هامش ١ (فضلا عن كتب الفقه).

١٦- التكبير عند الطواف خاصة عند إتيان الركن.

١٧- التكبير عند الجهاد، وعند القفول منه خاصة على الشرف، وعند اعتلاء الشايا (المرتفعات).

١٨- التكبير للمسافر عموماً عند الشرف<sup>(١)</sup> من الأرض، وعند الخروج للسفر.

١٩- التكبير عند الذبح، قال ابن حجر: وفي هذا الحديث ما يدل على استحباب التكبير مع التسمية في الذبح<sup>(٢)</sup> (عموماً)، أي في الأضحية وغيرها.

٢٠- التكبير عند سماع خبر مفرح.

٢١- التكبير عند ختم القرآن، عند آخر كل سورة من الضحى إلى آخر القرآن<sup>(٣)</sup>.

٢٢- التكبير (ضمن الأذان) في أذن المولود

اقتداء بما فعله المصطفى ﷺ مع الحسن بن علي.

٢٣- التكبير عند قيام الليل.

حكم التكبير:

تناول الفقهاء بالتفصيل أحكام التكبير في كتب الفقه ونوجز ذلك فيما يلي:

أولاً: الوجوب، وذلك في تكبيرة الإحرام، إذ لا تنعقد الصلاة بدونها لأنها ركن منها<sup>(٤)</sup>، أمّا تكبير الخفض للركوع والسجود والرفع من السجود فالمشهور من مذهب أحمد أنه واجب، وعنه أيضاً أنه غير واجب وهو مذهب أكثر الفقهاء<sup>(٥)</sup>.

ثانياً: التكبير في الأذان والإقامة سنة مؤكدة، لأن الأذان والإقامة كذلك، وقال قوم هو فرض كفاية<sup>(٦)</sup>.

(١) الشرف من الأرض: الأماكن المرتفعة، ويمكن أن يقاس على ذلك صعود الطائرات، ولما كان الوارد أن السنة عند النزول هي التسبيح فإن ذلك يجيز لنا أن نفعل ذلك عند هبوط الطائرات.

(٢) فتح الباري (٩/ ٢٠).

(٣) المغني لابن قدامة (١/ ٥٩٥).

(٤) المغني لابن قدامة (١/ ٥٠٥-٥٠٦)، وفقه السنة للشيخ سيد سابق (١/ ١٣٣).

(٥) المغني (١/ ٥٣٤).

(٦) قال بذلك أكثر الحنابلة وأصحاب مالك، انظر التفاصيل والأدلة في المغني (١/ ٢٢٧).

ثالثاً: التكبير في أيام التشريق مستحب، والظاهر أنه لا يختص بوقت دون وقت، ولقد قصره بعضهم على أعقاب الصلوات، ومنهم من خص ذلك بالمكتوبات دون النوافل، ومنهم من خصه بالرجال دون النساء، وبالجماعة دون المنفرد، وبالمؤداة دون المقضية، وبالمقيم دون المسافر<sup>(١)</sup>.

رابعاً: التكبير في صلاة العيدين يأخذ حكم الصلاة ذاتها وهي فرض كفاية، أما إظهار التكبير في ليالي العيد فهو مستحب، وفي عيد الفطر أكثر، لقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقيل: والتكبيرات في العيدين سنة وليس بواجب<sup>(٢)</sup> (على الكفاية).  
خامساً: التكبير في الجنائز ركن من أركانها (وهي لا تعتقد بدونه).

سادساً: التكبير في الطواف، وعند رمي الجمار من السنن، ومن لم يكبر فلا شيء عليه<sup>(٣)</sup>.  
سابعاً: التكبير في المواطن الأخرى التي ذكرناها قبلاً من قبيل السنن التي يثاب فاعلها، ولا يعاقب تاركها إلا إذا صحب ذلك رفض للسنة ورغبة عنها.  
[للاستزادة: انظر صفات: التسبيح - التهليل الحمد - الحوقلة - الذكر - الكلم الطيب - الشكر الدعاء.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض - الغفلة - اللهو واللعب - اللغو - الكبر والعجب - الشرك].

\*\*\*

### من فوائد (التكبير)

إنَّ للتكبير بمعنييه أي - قول «الله أكبر» أو تعظيم المولى سبحانه بما يليق بجلاله وكماله - كلُّ فوائد الذكر (انظر فوائد صفة الذكر) ولا يمنع هذا أن يكون للتكبير - بوصفه نوعاً خاصاً من الذكر - فوائد خاصة به يمكن استنباطها من جملة الأحاديث الواردة فيه. فمن ذلك:

(١) أنَّ التكبير في العيدين وعند القفول من الغزو أو الحج أو العمرة يظهر فرح المسلمين وفيه

شكر للخالق ﷻ.

(١) انظر تفصيل هذه الأحكام وأدلتها في فقه السنة للشيخ سيد سابق (١ / ٣٢٦) وما بعدها.

(٢) المغني لابن قدامة (٢ / ٢٢٤)، و (٢ / ٢٤٢)؛ وفقه السنة (١ / ٣٢٠).

(٣) حكى بعضهم الإجماع على أن من لم يكبر لا شيء عليه، انظر فقه السنة (١ / ٧٣٤).

- (٢) أن التكبير من دواعي إجابة الدعاء وخاصة في الاستسقاء.
- (٣) «الله أكبر» من غراس الجنة فمن سره أن يرى ذلك في الآخرة فعليه بذلك في الدنيا.
- (٤) التكبير (مع التسبيح والتحميد والتمجيد) مدعاة لأن تحف الملائكة بصاحبه ويباهي الله به هؤلاء الملائكة.
- (٥) التكبير يزحزح صاحبه عن النار.
- (٦) في التكبير عند رمي الجمار أتباع لسنة المصطفى ﷺ.
- (٧) التكبير عقب الصلاة ثلاثا وثلاثين يجعل صاحبه ممن يدرك من سبقه ولا يلحق به من بعده في الأجر إلا من فعل مثله.
- (٨) التكبير من أساليب التعجب، والإعجاب عند المسلمين.

## تكريم الإنسان

### التكريم لغة:

مصدر قولهم: كرمته أكرمه، وهو مأخوذ من مادة (ك ر م) التي تدل على معنيين: أحدهما: شرف الشيء في نفسه، أو شرف في خلق من الأخلاق، يقال: رجل كريم، ونبات كريم، وأكرم الرجل: إذا أتى بأولاد كرام، واستكرم: اتخذ عرقا كريما. والكرم في الخلق: يقال: هو الصّفيح عن ذنب المذنب.

والآخر: الكرم، وهو القلادة، وسمي العنب كرما لأنه مجتمع الشعب، منظوم الحب<sup>(١)</sup>. ومن المعنى الأول أخذ تكريم الإنسان في معنى تشريفه وتعظيم شأنه.

وذكر الراغب الفضل والفضيلة من معاني الكرم، وأن من ذلك قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ وفيها أيضا: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال الجوهري: التكريم والإكرام بمعنى (واحد)، والاسم منه الكرامة<sup>(٣)</sup>. وجاء في

(١) مقاييس اللغة (٥ / ١٧١ - ١٧٢).

(٢) المفردات في غريب القرآن ٢ (٤٦).

(٣) الصحاح (٥ / ٢٠٢١).

القاموس: يقال أكرمه وكرّمه: عظّمه ونزّهه. والكريم: الصّفوح، ورجل مكرام: مكرم للنّاس، وله عليّ كرامة أي عازاة.

واستكرم الشّيء: طلبه كريما، أو وجده كريما، وتكرّم عنه وتكارم: تنزّه. والمكروم، والمكرمة، والأكرومة: فعل الكرم، وكرّم السّحاب تكريما كثر ماؤه، والكريمان: الحجّ والجهاد، ومنه قوله ﷺ: «خير النّاس مؤمن بين كريمين» قيل معناه: بين فرسين يغزو عليهما، أو بعيرين يستقى عليهما<sup>(١)</sup>، وقال ابن الأثير معنى الحديث: بين أبوين مؤمنين، وقيل بين أب مؤمن هو أصله، وابن مؤمن هو فرعه، والكريم: هو الذي كرّم نفسه عن التّدنّس بشيء من مخالفة ربّه، والتّكرمة: الموضع الخاصّ لجلوس الرّجل من فراش أو سرير ممّا يعدّ لإكرامه، وهي (على وزن) تفعلة من الكرامة<sup>(٢)</sup>.

والمكارمة: أن تهدي لإنسان شيئا ليكافئك عليه، وهي مفاعلة من الكرم<sup>(٣)</sup>. أمّا الكريم فهو الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل، ويقال: تكرّم فلان عمّا يشينه: إذا تنزّه وأكرم نفسه عن الشّائئات، والمكرم المتكرم على كلّ أحد، والتّكرم (أيضا) تكلف الكرم، قال: المتلمّس: تكرم لتعتاد الجميل، ولن ترى أكرم إلا بأن يتكرّما وكريمة القوم، كريمهم وشريفهم، الهاء<sup>(٤)</sup> فيه للمبالغة، وفي الحديث: إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه<sup>(٥)</sup>.

### الكريم من أسماء المولى ﷺ وصفاته:

قال الغزاليّ: الكريم: هو الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرّجاء، ولا يبالي كم أعطى، ولا من أعطى، وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى، وإذا جفي عاتب وما استقصى، ولا يضيع من لاذ به والتجأ، ويغنيه عن الوسائل والشّفعاء، فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم المطلق وذلك هو الله تعالى، فقط<sup>(٦)</sup>.

(١) القاموس المحيط (١٤٨٩) ط. بيروت.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٦٨)، وانظر الحديث في المسند ٥/ ٤٣٠.

(٣) المرجع السابق (١٦٧).

(٤) كثيرا ما يعبرون عن تاء التأنيث بالهاء لأنه يوقف عليها بالهاء، ويزعم الكوفيون أن الهاء هي الأصل والتاء بدل منها.

(٥) لسان العرب (١٢/ ٥١٢) ط. بيروت، وانظر أيضا: النهاية (٤/ ١٦٧)، وفي رواية ابن ماجه اذا أتاكم كريم كرم، سنن ابن ماجه (٣٧١٢).

(٦) المقصد الأسنى ص ١١٧.

## تكريم الإنسان اصطلاحاً:

قال القرطبي ما خلاصته: تكريم الإنسان هو ما جعله الله له من الشرف والفضل وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال<sup>(١)</sup>.

وقال الطبري: تكريم الإنسان (بني آدم) هو تسليط الله ﷻ إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن كثير: تكريم الله للإنسان يتجلى في خلقه له على أحسن الهيئات وأكملها وفي أن جعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً، يفقه بذلك كله ويتنفع به ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدنيوية<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو حيان: تكريم بني آدم: جعلهم ذوي كرم بمعنى الشرف والمحاسن الجمّة، كما تقول: ثوب كريم وفرس كريم أي جامع للمحاسن وليس من كرم المال (في شيء).

وقال جده وما جاء عن أهل التفسير من تكريمهم وتفضيلهم بأشياء ذكروها هو على سبيل التمثيل لا الحصر في ذلك<sup>(٤)</sup>.

## أنواع التكريم:

للتكريم أنواع عديدة يمكن تلخيصها في أمور ثلاثة هي: تكريم الله للإنسان، وتكريم الإنسان لنفسه، وتكريم الإنسان لأخيه الإنسان.

## أولاً: تكريم الله للإنسان:

لتكريم الله للإنسان صور عديدة لا يمكن إحصاؤها نذكر منها ما يلي:

١ - اختص الله الإنسان بأن خلقه بيديه ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ص: ٧١ - ٧٤]. ﴿ثُمَّ سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي وَجَعَلْتُ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة: ٩]. وهذا يدل على علو مكانة الروح التي حلت في الإنسان وأن لها

(١) تفسير القرطبي (١٠ / ٢٩٣).

(٢) تفسير الطبري (١٥ / ٨٥).

(٣) بتصرف عن تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣ / ٥٥).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٥٨).

منزلة سامية، وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذي استقبله به الوجود، وبذلك الموكب الذي تسجد فيه الملائكة ويعلن فيه الخالق جل شأنه تكريم هذا الإنسان، بقوله عز من قائل: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١].

٢- الصورة الحسنة، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَصَوْرَكَ فَاَحْسَنَ صُورَكَ﴾ [التغابن: ٣]. والقامة المعتدلة، كما قال ﷺ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]<sup>(١)</sup>. والأكل باليدين والعمل بهما، وذلك لا يستطيعه غالب الحيوان.

وتكريم الله للإنسان بهديته هداية عامة بما جعل فيه بالفطرة، من المعرفة وأسباب العلم.. ففي كل أحد ما يقتضي معرفته بالحق ومحبه له، وقد هداه ربه إلى أنواع من العلم يمكنه أن يتوصل بها إلى سعادة الدنيا والآخرة، وجعل في فطرته محبة لذلك مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣-٤]، وقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْتَهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] (والنجدان هما الخير والشر)<sup>(٢)</sup>.

٤- ومنحه العقل والنطق والتّمييز (لأن الإنسان يمكنه أن يعرف غيره كل ما عرفه) بخلاف سائر الحيوان، كما قال ﷺ ﴿الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤]. وبهذا تمكن الإنسان من معرفة الخط (الكتابة) إذ به يقدر الإنسان على إيداع العلوم التي استنبطها هو أو غيره الدفاتر فتبقى على وجه الأرض مصونة من الانداس، محفوظة عن الانطماس، مصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٣-٤]. وبذلك كرم الله الإنسان بهذه الفطرة التي تجمع بين الطين والتفخة. وكرمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته فاستأهل بها الخلافة في الأرض.

تكريم الله للإنسان بتسخير ما في السماء والأرض:

٥- بعد أن خلق الله الإنسان أكرمه بالنعم العظيمة التي لا تعد ولا تحصى لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، ومن هذه النعم تسخير ما في السماء الأرض ليرزقه بها، وهو القائل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ﴾ [الأنبياء: ١٦]، وقد سأل الله ﷻ الإنسان

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (بتصرف واختصار)، مجلد (١٥ / ٦٢ - ٦٤).

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤ / ٢٩٥، وفي تفسير النجدين، تفسير ابن كثير ٤ / ٥٤٧.

عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ٣] <sup>(١)</sup>، وقوله: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٣١]. ومن هذه النعم إنزال الله الماء من السماء وخلق منه كل شيء حي لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢].

لقد سخر الله ﷻ للإنسان - تكريما له - ملكوت السموات بما تشتمل عليه من نجوم وشموس وأقمار وجعل في نظامها البديع ما ينفع الإنسان من تعاقب الليل والنهار واختلاف في الفصول ودرجات الحرارة ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٣]. والمراد بهذا التسخير هو تمكين الله ﷻ للإنسان من أن يستخدم ما خلقه الله في تطبيقات عملية نافعة له في مجالات حياته المختلفة دون ثمن يدفعه مقابل ذلك، مثل استخدامه لضياء الشمس ودفئها، ومعرفة السنين والحساب بدوران هذه الأفلاك حول نفسها من ناحية وحول بعضها من ناحية أخرى، قال تعالى: ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ [يونس: ٥]، وبمنازل القمر قدر ﷻ الأيام والشهور التي يحسب بها عمر الإنسان على الأرض، فقال ﷻ: ﴿ وَلْيَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [غافر: ٦٧]، وقدّر بها فصول السنة التي تحكم محاصيله الزراعية وأمورا عديدة أخرى تعينه على حياته فقال عز من قائل: ﴿ وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ الَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَتَّبِعُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلُنُهُ نَفْصِيلاً ﴾ [الإسراء: ١٢]، وخلق الله ﷻ النجوم والكواكب وأشار إلى عظمتها بقوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسْرٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [الواقعة: ٧٥، ٧٦]، فكانت مواقع النجوم هي وسيلة الإنسان التي يهتدي بها إلى الاتجاهات المختلفة لقوله تعالى:

(١) السؤال هنا سؤال إنكاري بمعنى النفي. والمعنى: لا خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض.

﴿ وَعَلَّمْتِ وَيَأْتِجِمُ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦]. وبها نحدد جهة القبلة، وهذه كلها نعم في السماء خلقها الله وسخرها للإنسان تكريماً له.

٦- وكرم الله الإنسان بتفضيله على كثير من خلقه فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠] وكرم الله بني الإنسان بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيرها لهم بقوله ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ [الرحمن: ١٠]. وقوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢].

وحملهم في البر والبحر ورزقهم من كل غذاء نباتي أو حيواني الطيفه وألده، لقوله تعالى لهم: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩].

٧- ومن التكريم تحميل الإنسان الأمانة ونفي الجبر عنه وإعطاؤه الحرية كاملة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [النجم: ٣٩]، ﴿ كُلُّ أَمْرٍ إِيمًا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾ [الطور: ٢١]. وبهذا تحمّل الإنسان مسؤوليته عن نفسه كأمانة وهو مسئول عنها، ويكمن فيها عنصر التكليف بحمايتها وصيانتها وتكريمها كفرد وأسرة ومجتمع. وبهذا التكريم يكون الإنسان قيماً على نفسه، محتملاً تبعه اتجاهه وعمله، وهذه هي الصفة الأولى التي كان بها الإنسان إنساناً: حرية الاتجاه، وفردية التبعة، وهذه الحرية استخلف في دار العمل، ومن العدل أن يلقي جزاء اتجاهه وثمرة عمله في دار الحساب.

تكريم الله للإنسان بمحبته له وهدايته إياه بإرسال الرسل - عليهم الصلاة والسلام -:

٨- من أجل مظاهر التكريم من المولى للإنسان أن أرسل الرسل لهداية الخلق ودعاهم لما يحييهم وضمن لهم الفوز في الدنيا والآخرة، وجعل خاتمهم محمداً ﷺ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، فكان من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان تكريماً له نعمة الإسلام ونعمة الإيمان ونعمة الإحسان، وأن هدانا الله إليها، فقال عز من قائل: ﴿ فَمَنْ أَتَّبِعْ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [طه: ١٢٣]، ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وأرسل لنا

خاتم الأنبياء والمرسلين محمدًا ﷺ برسالته العالمية لتكريم البشر جميعاً، فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال عزّ من قائل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]. وقال ﷺ: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦]، ومن مظاهر هذا التكريم حصر مظاهر شرف الإنسان في العبودية لله وحده، وتحريره من عبادة الأصنام والأوثان والبشر، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]. ومن ذلك جعل التقوى هي المعيار الأساسي الذي يتفاضل به بنو البشر وليس الجنس أو اللون أو المال ونحو ذلك، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

#### حب الله للإنسان وذكره في الملاء الأعلى:

٩- ومن أروع مظاهر تكريم المولى سبحانه للإنسان، أن جعله أهلاً لحبه ورضاه، وأرشده في القرآن الكريم إلى ما يجعله خليقاً بهذا الحب، وأول ذلك اتباع رسول الله ﷺ فيما دعا الناس إليه كي يحيوا حياة طيبة في الدنيا ويظفروا بالنعيم المقيم في الآخرة، فقال عزّ من قائل: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقد أشار المولى إلى ثمره هذا الاتباع وما أحلاها من ثمره، ألا وهي التمتع بخيري الدنيا والآخرة، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] ومن تلك المظاهر التي يحيا بها البشر، وينعم بها المجتمع الإنساني، وتجلب رضا الله وحبه ما نصّت عليه الآيات الكريمة التي أعلنت هذا الحب الإلهي بكلّ وضوح:

(١) للمحسنين، وذلك قوله تعالى: ﴿ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وقد ورد إعلان هذا الحب في أربعة مواضع أخرى من الذكر الحكيم<sup>(١)</sup>.

(٢) للمتقين، وذلك قوله ﷺ: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ٧٦]، وجاء مثل ذلك في موضعين آخرين من القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر الآيات الواردة في: آل عمران/ ١٣٤، ١٤٨، المائدة/ ١٣، ٩٣.

(٢) انظر الآيات الواردة في: التوبة/ ٤، ٧.

(٣) للمقسطين، وذلك في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، وجاء إعلان هذا الحب لأهل العدل والإنصاف في موضعين آخرين<sup>(١)</sup>.

(٤) للمتطهرين وذلك كما في قوله سبحانه: ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقوله عز من قائل: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

(٥) للصابرين، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

(٦) للمتوكلين، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(٧) للتوابين، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

(٨) للمجاهدين المتوحيدي الصفوف، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِينَ مَرْضُوضًا﴾ [الصف: ٤]<sup>(٢)</sup>.

أما ذكره سبحانه للإنسان في الملاء الأعلى فقد جاء في القرآن الكريم في قوله عز من قائل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، كما جاء ذلك في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاءهم خير منهم، وإن تقرب مني شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

معية الله للإنسان:

١٠- ومن أجل مظاهر تكريمه ﷻ للإنسان تقريبه منه ومعيته له ويتجلى هذا القرب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، أما معيته سبحانه فإنها تتحقق في مظاهر عديدة منها:

أ- معية المراقبة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله

(١) انظر الآيات الواردة في: الحجرات/ ٩، الممتحنة/ ٨.

(٢) وانظر في معية الله للإنسان وما يقتضيه ذلك من حياد منه سبحانه في صفة الحياة.

(٣) البخاري- الفتح (٧٥٣٦)، ومسلم (٢٦٧٥) واللفظ له.

(٤) انظر «صفة الذكر».

سبحانه (لبنی اسرائیل): ﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ١٢].

ب- معية النصرة والتأييد والهداية وذلك كما جاء على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢]، وكقوله سبحانه لموسى وهارون ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ مَأْمُونٌ ﴾ [طه: ٤٦]، وكما جاء على لسان الرسول الخاتم محمد ﷺ لأبي بكر، في قوله تعالى ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَحْنُ اللَّهُ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠].

وهذه المعية ليست قاصرة على الأنبياء وحدهم وإنما تشمل المؤمنين الطائعين أيضاً، مصداق ذلك قوله تعالى للمؤمنين ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلِكُمْ ﴾ [محمد: ٣٥].

ج- معية التوفيق والمحبة، وقد جعلها الله تعالى للمتقين والصابرين وأهل الإحسان فقال ﷻ ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤] (ومثلها في التوبة: ٣٦، ١٢٣)، وقال عز من قائل: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣] (ومثل ذلك في البقرة: ٢٤٩، والأنفال: ٣٦)، أما معية الله للمحسنين فقد أثبتها الذكر الحكيم في موضعين: قوله ﷻ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

#### حفظ الإنسان ورعايته:

١١- ومن مظاهر تكريم الإنسان أن يحظى برعاية الله ﷻ وحفظه من سوء، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠]، وسخر له الملائكة لحفظه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [الطارق: ٤]، وحفظه من وساوس وإغواء الشيطان بتمكينه من الاستعاذة برب العالمين ليحميه من كيد هذا الشيطان الرجيم، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت: ٣٦]، وعلمنا ربنا كيف نستعيد به من الشيطان ومن كل شر في المعوذتين: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ <sup>(١)</sup>. ومن تكريم الله ﷻ للإنسان

(١) انظر: صفة الاستعاذة.

المسلم أن جعل في القرآن شفاء لعلل النفس والجسد وجعله بصائر للناس، فقال تعالى: ﴿ هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٠] <sup>(١)</sup>، وتتضمن هذه البصائر القرآنية حقوق الإنسان الشرعية العامة والخاصة وتجعلهم يقفون على ما لهم ويعرفون ما عليهم، فيؤدّون الواجبات المتعلقة بالنفس وبالغير، وقبل ذلك وبعده ما يجب عليهم من عبادة الواحد القهار فيحفظون بذلك دينهم وأنفسهم وعقولهم وأموالهم وأعراضهم، كما أرشد القرآن إلى مكارم الأخلاق وحثّ عليها، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٩].

١٢- تحريم دم الإنسان وماله وعرضه وتشديد النكير وتغليظ العقوبة على من يفعل ذلك يقول الله ﷻ: ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢]. وسنّ الله ﷻ الشرائع السماوية العادلة الرادعة لحماية هذه النفس الإنسانية لقوله ﷻ: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

١٣- ومن تكريم الإنسان في الإسلام إعطاء حق المساواة لكل فرد مع الآخرين، فلا يتفاضل أحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وبهذا الحق يتساوى الناس جميعاً في تطبيق أحكام الشرع الحنيف، ويحصلون جميعاً على فرص متكافئة في العمل والتعليم والعلاج ونحو ذلك، لا فرق بين غنيّ وفقير وشريف ووضيع، وقويّ وضعيف، وعربيّ وعجميّ، وفي ظلّ مجتمع المساواة يسود الإنصاف وتعمّ العدالة وتنتشر الألفة، ويتلاشى الكبر، ولا أدلّ على ذلك من هذا التطبيق العملي المتمثّل في فرائض الصلاة والصيام والحجّ حيث يقف المصلّون والصائمون والحجاج جميعاً أمام الله سواء.

١٤- وأخيراً يأتي التكريم الأعظم في الآخرة بما أعدّه الله للطّائعين من الكرامة في دار المقام حيث يدخلهم الجنّة يتمتّعون فيها بنصرة النعيم ويحظون بالرضوان والفضل العظيم، وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢].

(١) انظر: صفة النظر والتبصر.

ثانيا: تكريم الإنسان لنفسه:

#### أ- بالعلم والمعرفة:

١- إنَّ الإنسان إذا علم أنَّه مكرَّم من الله ﷻ، وأنَّ من تكريم الله له قربه منه ومعيتته له فإنَّ أبسط مظاهر تكريمه لنفسه أن يعمل عقله وقلبه وجوارحه بأن يتفكَّر ويتأمَّل ويتدبَّر في ملكوت الله ﷻ ونعمه التي لا تعدُّ ولا تحصى، فمتى ما تعلَّم المرء كيف يقرأ باسم ربِّه الكريم كرم فكره وقلبه بمعرفة الله ﷻ في كلِّ شيء يراه، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

ومتى ما أقبل الإنسان بفكره وقلبه على الله بإخلاص ونية حسنة أقبل الله عليه وزاده نورا على نور وهداه إلى سبل الخير والتقوى وفقهه في الدين، مصداقا لقوله ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»<sup>(١)</sup>. فالإنسان يكرم نفسه بالعلم والمعرفة حتى يكون أهلا لتكريم الله له، ومن يفعل ذلك وهو مؤمن بالله فيقدم عملا فكريا أو ثقافيا، أو اكتشافا علميا يثري به الحياة، يلحق من الناس التَّكريم والثَّناء العطر ومن الله ﷻ عظيم الجزاء في الدُّنيا والآخرة.

#### ب- تكريم الإنسان نفسه بالعبادة والطاعة:

من تكريم الإنسان نفسه أن يزيكها بالعبادة ويطهرها بالطَّاعة، وذلك دون تطرّف أو غلوّ، ذلك أنَّ التيسير والرفق بالنفس من الأمور التي دعانا إليها القرآن وحثنا على اتباعها الرسول الكريم ﷺ فقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال ﷺ: «إنَّ هذا الدِّينَ متين فأوغل فيه برفق»<sup>(٢)</sup>، وإذا فعلنا ذلك كنَّا أهلا لمعيتة الله ﷻ، ويكون ذلك بالتقوى والإحسان والصبر وغيرها من مظاهر الطَّاعة، وهذه المعية تجعل الإنسان موقنا بأنَّ الله ﷻ رقيب عليه مطلع على سرِّه وعلانته ومن ثمَّ فعله العمل بموجب ذلك أي بغاية الإخلاص والحياء والخوف والخشية وأن يعبد الله بأقواله وأفعاله كأنه يراه، وإذا علم أنَّ معية النَّصر والتأييد لا تكون إلا للرسول وأهل الإيمان، فلا شكَّ أنَّ من تكريمه لنفسه أن يجعلها من أهل هذا الإيمان، ولما كانت هذه المعية الإيمانية تتأكد من خلال التوفيق والمحبة وأن لها شروطها التي اقترنت بها، فإنَّ الإنسان (المسلم) لا بدَّ أن يكرم نفسه بأن يجعلها ممَّن تنطبق عليه شروط هذه المعية من التقوى والصبر والإحسان.

(١) البخاري- الفتح ١ (٧١)، وانظر صفة الفقه.

(٢) انظر هذا الحديث وغيره في صفة «الغلو»، وقارن أيضا بصفة «الرفق».

أما التَّقْوَى وهي الصِّفَةُ الْأُولَى الَّتِي اقترنت بها المَعِيَّةُ فالمراد بها العبادة مطلقاً، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «واسم التَّقْوَى» إذا أُفرد دخل فيه فعل كلٌّ مأمور به وترك كلٌّ محظور، ونقل عن ابن حبيب قوله: «التَّقْوَى أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنْ اللَّهِ، تَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ وَأَنْ تَتْرَكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنْ اللَّهِ، تَخَافُ عَذَابَ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

فالتَّقْوَى الَّتِي تَقْتَضِي المَعِيَّةَ هنا تشمل الطَّاعَاتِ بِأَسْرَها وأنواع العبادة بكاملها من صلاة وصوم وحجٍّ وغيرها، وقوله على نور من الله تقتضي التَّبَصُّرَ والتَّفَكُّرَ والتَّدَبُّرَ، وهذا يُوَدِّي إلى العلم والحكمة والمعرفة، أمَّا رجاء رحمة الله فإنه يشمل الرَّجَاءَ والرَّغْبَةَ فيما عند الله ﷻ. وإذا انتقلنا إلى الصِّفَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي اقترنت بالمَعِيَّةِ فهي الصَّبْرُ والصَّبْرُ يشمل: صبر على الطَّاعَةِ وصبر عن المَعْصِيَةِ، وصبر على أقدار الله<sup>(٢)</sup>.

وأما الصِّفَةُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي نَصَّ الْقُرْآنُ عَلَى اقترانها بالمَعِيَّةِ فهي الإحسان، وركنه هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والإحسان بمعناه الشَّامِلُ الَّذِي يَتَضَمَّنُ إِحْسَانَ الْعَمَلِ مِثْلَ الْفَضْلِ، وَكُظْمِ الْغَيْظِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالتَّصَدَّقِ وَالزَّكَاةِ وَنَحْوِهَا، وَالْإِخْلَاصَ التَّامَّ فِي كُلِّ ذَلِكَ<sup>(٣)</sup>. من أعمال البرِّ والتَّقْوَى، فكلُّهَا أَعْمَالٌ يَفْعَلُهَا الْإِنْسَانُ ابْتِغَاءَ الْحَسَنَاتِ مِنْ اللَّهِ ﷻ وَمَرْضَاتِهِ تَعَالَى.

أما أَجَلَ مَظَاهِرِ تَكْرِيمِ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ فَهُوَ جَعْلُهَا أَهْلًا لِحَبِّ اللَّهِ ﷻ وَرَسُولِهِ ﷺ وَيَكُونُ ذَلِكَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ أَوَّلًا، ثُمَّ بِاتِّبَاعِ رَسُولِهِ ﷺ ثَانِيًا، ثُمَّ بِالِاسْتِمْرَارِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ: التَّقْوَى وَالْإِحْسَانَ وَالصَّبْرَ مِنْ نَاحِيَةِ، وَالْعَدْلَ وَالْقِسْطَ وَالتَّطَهَّرَ وَالتَّوَكَّلَ وَالتَّوْبَةَ وَالْجِهَادَ<sup>(٤)</sup> مِنْ نَاحِيَةِ ثَانِيَةِ، أَمَّا الْأَمْرُ الثَّلَاثُ الَّذِي يَكْرِمُ الْإِنْسَانَ بِهِ نَفْسَهُ وَيَجْعَلُهَا أَهْلًا لِلْمَعِيَّةِ وَالْقُرْبَ مِنْ اللَّهِ ﷻ فَهُوَ الذِّكْرُ وَالدُّعَاءُ وَنَحْوَهُمَا مِنَ الْاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِعَانَةِ وَالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وَلَا يُوْجَدُ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الطَّمَأْنِينَةِ، وَتِلْكَ السَّكِينَةُ اللَّتِي تَمَثَّلَانِ غَايَةَ السَّعَادَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَقَدْ كَانَ الْمَصْطَفَى ﷺ خَيْرَ مَنْ يَقْتَدَى بِهِ فِي هَذَا الْمَجَالِ حَيْثُ كَانَ يَصْبِحُ ذَاكِرًا وَيُظَلُّ ذَاكِرًا حَتَّى يَمْسِيَ، وَكَانَ بِذَلِكَ الذِّكْرِ فِي مَعِيَّةِ مَوْلَاهُ.

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٦٣).

(٢) انظر صفة الصبر في هذه الموسوعة.

(٣) انظر صفة الإحسان في هذه الموسوعة، وقارن بما ذكره الشيخ الغزالي في كتابه «المحاور الخامسة» حيث ذكر معاني الإحسان في القرآن الكريم ص ١٩٢ وما بعدها.

(٤) انظر الفقرة الخاصة بمعية الله للإنسان واقتران ذلك بكل هذه الصفات.

## ج- تكريم الإنسان نفسه بالحفظ والصيانة والتزكية:

على الإنسان الذي يكرّم نفسه أن يحفظ هذه النفس التي حرّمها الله تعالى بالعفّة والتطهّر، وأن يصونها عن كلّ ما يندسها أو يشينها من الموبقات المهلكة مثل الزنا واللواط والخمر والميسر، ونحو ذلك ممّا يذلّ النفس وينتقص من كرامتها وعزّتها، ناهيك عمّا يؤذي الجسد والعقل من المخدّرات وما في حكمها، إنّ الإنسان بذلك يجعل نفسه في فريق السعداء في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ<sup>(١)</sup> مَنْ زَكَّاهَا<sup>(٢)</sup> وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، المعنى كما يقول ابن تيميّة رحمته: «قد أفلح من كبرها وأعلاها بالطّاعة، وخسر من أخفاها وحقّرها وصغّرها بمعصية الله تعالى، فالطّاعة والبرّ تكبر النفس وتعزّها وتعليها حتى تصير أشرف شيء وأكبره، وأزكاه وأعلاه، ويكون ذلك بالإيمان بآيات الله وسننه الكونيّة وآياته العلميّة، فبالتّفكّر والتدبّر لهذه الآيات، وبالفهم والتّعقل لآيات القرآن تزكو النفس وتسمو وتعلو على مدارج هذه الكمالات حتى تكون مع الأبرار<sup>(٣)</sup>، وقد صدق الله العظيم إذ قال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ<sup>(٤)</sup> عَلَى الْأَرْبَابِ يُنظَرُونَ<sup>(٥)</sup> تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٤].

## د- الأخذ بالأسباب:

على المرء إذا أراد أن يكرّم نفسه أن يصونها عن ذلّ سؤال الخلق، ولا يتأتّى له ذلك إلا إذا سعى في طلب الرزق موقنا أنّ الله تعالى هو الرزاق ذو القوّة المتين وأنه المتكفّل بذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ<sup>(٦)</sup> فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣]، وإذا فعل ذلك فإنّ عليه أن يرضى بما قسم الله له من الرزق الحلال، فإذا سعى وكدح ورزق ما قدر الله له أن يرزقه ورضى بذلك انكسرت حواجز الشك والقلق، وتخلّص من وساوس الشيطان وحبّ التكاثر من أجل استهلاك زائف في دنيا فانية، وأنه لا بدّ ملاق ربّه ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ<sup>(٧)</sup>﴾ [الانشقاق: ٦]، بذلك فقط تصبح نفسه عزيزة بإيمانها، قويّة بعزّتها، لا تغرّها الدنيا ولا يعميها الطّمع حيث آمنت بقوله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ<sup>(٨)</sup>﴾ [الحديد: ٢٠]، واعتقدت بأنّ النجاح والرزق بيد الله تعالى،

(١) أقسم الله تعالى على ذلك بسبعة أشياء هي: ١- الشمس، ٢- القمر، ٣- النهار، ٤- الليل، ٥- السماء، ٦- الأرض، ٧- النفس.

(٢) التفسير القيم (٥١١ - ٥١٢). وانظر هامش (٥١١) بتصرف يسير.

(٣) انظر صفة «التكاثر».

يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۖ ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۖ ﴿٤﴾﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۖ ﴿٥﴾﴾ [الطلاق: ٤، ٥].

إنَّ الارتباط بين التقوى والتوكل وقضاء الله وقدره من ناحية وبين الرزق من ناحية أخرى كفيلا أن يحرر الإنسان من الخوف من فقدان الرزق، ذلك أنَّ الرزق قد تكفل به المولى ﷻ في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ۗ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦]، وليس على الإنسان إلا أن يأخذ بالأسباب التي أجملتها الآية الكريمة: ﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا كُنَّا نَسْتَعِينُ ۗ ﴿٧﴾﴾ ويعتقد جازما أن الله وحده صاحب الفضل في توفير هذا الرزق له وتأمينه من الخوف أيًا كان نوعه من مرض أو جوع أو عدو أو نحو ذلك، ولا مهرب من ذلك كله إلا بالفرار إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ ۗ ﴿٥٠﴾﴾ [الذاريات: ٥٠].

إنَّ الإنسان الذي يكرّم نفسه حقًا هو الذي لا ينسى نصيبه من الدنيا ولكنه في الوقت نفسه لا ينسى نصيبه من الآخرة، فالآخرة كما قال تعالى: ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى ۗ ﴿١٦﴾﴾ [الأعلى: ١٦]، وتحصيل نصيب الآخرة يكون بالإنفاق وإخراج الزكاة والمواساة وإغاثة الملهوف ونحو ذلك، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧].

والخلاصة أنَّ الإنسان الذي يكرّم نفسه هو الذي يستحقُّ التَّكْرِيمَ من الله ﷻ ومن النَّاسِ، وتكريم النَّفس يكون بإعمال قواها العقلية بالتفكير والتدبُّر والتأمُّل، وقواها القلبية بالحبِّ والتذكُّر والإيمان، وقواها البدنية بالسَّعي للرزق وبالعبادة والعمل الصَّالح، إذ هما وسيلة العبد إلى التَّقَرُّبِ منه سبحانه، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ۗ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة: ٣٥]، كلُّ ذلك تزكية للنفس وسموُّها وقد قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ ﴿٩﴾﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۗ ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

### ثالثا: تكريم الإنسان لأخيه الإنسان:

نصَّ القرآن الكريم في مواضع عديدة على تكريم الإنسان للإنسان بوجه عام، وجاءت السنَّة المطَّهرة مؤيِّدة ومبيِّنة هذا التَّكْرِيمَ الذي يشمل الأناسي جميعا، والله ﷻ القائل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ۗ ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١] واصفا إياه عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۗ ﴿٤﴾﴾. فشمِل ذلك التَّكْرِيمَ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ، الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، الْمَرِيضَ وَالسَّلِيمَ، الْمَسَافِرَ وَالْمَقِيمَ، الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ، الْحَيَّ وَالْمَيِّتَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَشْمَلُهُ لَفْظُ «إِنْسَانٍ» أَوْ «آدَمِيٍّ».

إلا أن القرآن والسنة قد أكدوا في غير موضع على أنواع خاصة من التكريم لأنواع خاصة من الناس، اهتماما بها وتذكيرا بما لها من حقوق على المجتمع الإنساني.

وعلى رأس قائمة الذين ينبغي تكريمهم ورعايتهم الوالدين الذين جعل الله الإحسان إليهما تاليا لعبادته ﷻ مما يدل على عظيم شأن البرّ بهما وتكريمهما يقول الله تبارك: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

ويتسع نطاق هذا التكريم ليشمل ذوي الأرحام الذين قال الله فيهم: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال ﷻ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

ومن هذا المنطلق الرحيم ينطلق الإنسان في تكريم أخيه الإنسان بالإحسان إليه، وحسن الظنّ به، وحسن معاملته، والتعامل معه بالرفقة والشفقة والتسامح، والتواصي بالحق وبالمرحمة مصداقا لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧]، وفي دائرة التواصي بالحق تدخل النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي دائرة المرحمة يدخل الفضل والتناصر والتعاون على البرّ والتقوى، وهذه الأمور يتحقق تكريم الإنسان لأخيه الإنسان في أروع صورته وأبهى حلله وما ذلك إلا لأنّ مبنَى حقوق الإنسان التي أمرنا أن نتواصى بها قائمة على أنّ الإنسان مكرم لتكريم الله تعالى له، ومنحه إياه ذلك، وذلك التكريم يرتبط بعبودية الإنسان لربّه وإيمانه به<sup>(١)</sup>.

وهذا الرّباط الإيمانيّ يعدّ المسلمون جميعا إخوة في الدّين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وهذه الرّابطة الإيمانيّة تفرض على كلّ منهم الالتزام بعدل الإسلام وسماحته، والبرّ بالناس جميعا حتّى ولو خالفونا في الرّأي أو العقيدة ويقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

إنّ حقوق الإنسان مرتبطة بأداء ما عليه من واجب، ويقدر ما يلتزم من مسئوليّة إزاء حقوق الآخرين، وقد جعل الإسلام للحرّيّة الشّخصيّة حدودا لا ينبغي تجاوزها ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا

(١) الإنسان المعاصر، الإسلام وحقوق الإنسان للدكتور عبد الرحيم سعيد التلب ص ٤٤.

تَعْتَدُوهَا ﴿ [البقرة: ٢٢٩]، وقال ﷺ: ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوتِلَتْ لِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ٤٢]، وبهذا فإن الحرّية الإسلامية ليست أتباعاً للهوى أو جرياً وراء الشهوات وتحقيق المكاسب المادّية بالحق أو بالباطل، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾ [القصاص: ٥٠]، وقال ﷺ: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨]، بل على العكس من ذلك على الإنسان أن يتبع شريعة الله الحاكمة، قال تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣]، وكما نهى الإسلام الإنسان عن أن يتبع هواه في الحكم على حقوق الآخرين فإنه نهى أيضاً عن أتباع هوى الغير من الضالّين المضلّين، قال تعالى: ﴿ وَأَن أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠].

تكريم المرأة:

لقد اتّخذ تكريم المرأة في الإسلام صوراً عديدة ومظاهر متنوّعة منها على سبيل المثال:

١- ضرورة المحافظة على حياتها، وقد جاء ذلك عندما نعى القرآن الكريم على عرب الجاهلية ما كانوا يقدمون عليه من وأدهن<sup>(١)</sup>. يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨، ٩]، وقد وسم القرآن الكريم هؤلاء الجاهلين بسوء حكمهم وخطأ تقديرهم عند ما كانوا يشعرون بالهوان ويتوارون من الخجل عندما يرزق أحدهم بالبنت فقال عزّ من قائل: ﴿ وَإِذَا بُشِرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِرَ بِهِ أَيَسْكُتُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩]، ويستنكر إليه مثل هذا التصرف بقوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

٢- إعطاؤها الحقّ كاملاً في ممارسة العبادة والحصول على الأجر العظيم والمغفرة من الله ﷻ إن هي فعلت ما أمر الله تبارك وتعالى به، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ

(١) الوأد: يعني إهالة التراب على الفتاة وهي حيّة حتى تموت.

وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَتِ وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَتِ وَالْحَفِظِينَ  
فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا  
عَظِيمًا ﴿ [الأحزاب: ٣٥].

٣- يسر الإسلام السبيل أمام المرأة لتتفرغ لأجل مهمة في الحياة وهي حفظ النسل والقيام  
عليه بالرعاية والتعليم والتربية والتهديب وهي كما قال الشاعر:

هي الأخلاق تنبت كالتنبات إذا سقيت بماء المكرمات  
تقوم إذا تعهدتها المربي على ساق الفضيلة ثممرات  
ولم أر للخلائق من محل يهذبها كحوض الأمهات<sup>(١)</sup>

وحتى تستطيع الأم القيام بهذه المهمة فلا بد من أن يتهيأ لها من يكفل أمر القيام بمعاشها  
والسعي على رزقها ورعاية مصالحها، ولذلك فقد ارتبطت قوامه الرجال على أمور الأسرة بدرجة  
الرجولة وبالإنفاق، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا  
أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

٤- حق المعاشرة بالمعروف أو المفارقة بالمعروف، يقول الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ  
بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وقال ﷺ: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

[الطلاق: ٢]

٥- جعل الإسلام للمرأة نصيباً مفروضاً في تركة الرجل سواء أكانت هذه المرأة أمّاً أو ابنة أو  
زوجة أو أختاً، وضمن لها بذلك الحق في الحياة الحرّة الكريمة في حياة أهلها أو بعد رحيلهم.

#### تكريم الأقليات في المجتمع الإسلامي:

لقد قضى الإسلام قضاء مبرماً على كافة أنواع التمييز العنصري القائم على اختلاف اللون أو  
الجنس، فالأبيض كالأسود والعربي كالعجمي لا يتفاضلون ولا يتميزون إلا بالتقوى والعمل  
الصالح، فأكرم الناس أبقاهم كما جاء في الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى  
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَعُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. أمّا غير

(١) هذه أبيات شعر لكبير شعراء العراق معروف عبد الغني الوصافي.

المسلم فإنه يعيش مكرماً لا يجوز لأحد أن ينتقصه أو ينتهك عرضه أو ماله أو دمه، أو يجبره على ما يكره، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال المصطفى ﷺ: حائثاً على استقرار وتلاحم المجتمع بكافة عناصره:

«من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «ألا من ظلم معاهداً أو انتقص منه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

ومن مظاهر التكريم نهي الإسلام عن التعذيب سواء كان المعذب مسلماً أو ذمياً، روى عروة ابن الزبير أن هشام بن حكيم وجد رجلاً وهو (وال) على حمص يشتمس ناساً من القبط في أداء الجزية، فقال: ما هذا؟

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا»<sup>(٣)</sup>. ولو لم يعرف هشام أن هذا الوعيد يشمل المعذبين من أهل الذمة كما يشمل المسلمين لما ذكر به الوالي الذي كان يقوم - عن جهل بقواعد الإسلام السمحة - بتعذيب بعض القبط.

[للاستزادة: انظر صفات: الإنصاف - الألفة - بر الوالدين - حسن العشرة - حسن الخلق - حسن المعاملة - صلة الرحم - عيادة المريض - كفالة اليتيم التعاون على البر والتقوى - المواساة - المروءة. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأذى - الإساءة - الاستهزاء - السخرية - العدوان - عقوق الوالدين - قطيعة الرحم - نكران الجميل - القسوة - الجحود - سوء المعاملة].

\*\*\*

### من فوائد (تكريم الإنسان)

(١) لتكريم الإنسان في الإسلام قيمة عظيمة تدفع المسلم للاعتزاز بكرامته وعدم التفريط فيها مما يجعله يرفض الظلم ويأبى الضيم فيعيش مرفوع الهامة قوي العزيمة رابط الجأش لا يخشى في الحق لومة لائم.

(١) البخاري - الفتح ٦ (٣١٦٦).

(٢) أبو داود ٣ (٣٠٥٢).

(٣) المرجع السابق ٣ (٣٠٤٥).

(٢) إن قناعة المسلم بتكريم الله له ولغيره من البشر تجعله يحافظ على أرواح الناس ويتعد عن إيذائهم أو إرهابهم لأنه مطالب بأن يكرم من كرمه الله ورسوله، ومن يكرمه ربه ينبغي ألا يهينه أحد ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

(٣) إن تكريم الإنسان يدفع المؤمن الحق إلى شكر المولى ﷻ على تلك النعم العظيمة التي حباه بها وفضله على كثير ممن خلق.

(٤) إن من عرف إكرام الله له، لا بد وأن يتعد عن معاصيه، وإذا غلبه الشيطان فعصى، فعليه المبادرة بالتوبة.

(٥) إن تكريم الخادم كما أمر الإسلام - كفيل بأن يقضي على الحقد والحسد من هؤلاء الخدم الذين قد تدفعهم الإهانات المنافية لروح الإسلام إلى ارتكاب حماقات تصل إلى حد القتل.

(٦) إن تكريم الإسلام للمرأة (أما وبتنا وزوجا) يجعلها تشعر بقيمتها في المجتمع، وتعزز بدورها في بناء الأسرة، ولا شك أن المرأة إذا كانت راضية بنفسها، موفورة الكرامة ستحوّل بيتها إلى جنة وارفة الظلال، وصدق شاعر النيل إذ قال:

الأم مدرسة إذا أعمدتها أعمدت شعباً طيب الأعراق

(٧) تكريم الإسلام - ومن ثم المسلمين لأهل الذمة من المعاهدين والكتائب وغيرهم يجعل هؤلاء يستشعرون عظمة الإسلام، ويوحد كلمة المجتمع فيصبح آمنًا من الدسائس والمكائد التي يلجأ إليها من هضمت حقوقهم أو انتهكت حرمتهم، ويجعل من هؤلاء الذميين عناصر صالحة تعمل وتعطي دون خوف أو وجل.

(٨) إن تكريم المحارب - حتى وإن كان كافراً - يحمي البشرية من تلك المجازر الجماعية التي تقشعر لها الأبدان ويروح فيها الضحايا من النساء والولدان، وما ضحايا لبنان والبوسنة وغيرهما على أيدي سفاحي العصر الحديث عنا ببعيد، ولو كان هؤلاء يعرفون كرامة الإنسان كما أقرها الإسلام ما سمعنا عن هذه الأهوال التي يشيب لها الوليد.

(٩) إن كرامة الإنسان تحتم على من يقوم باحتلال أرض الغير ألا يطرد أهلها من ديارهم وألا يروّعهم وألا يأكل من ثمار أرضهم إلا بإذنهم، وألا تنتهك حرمت بيوتهم وألا تضرب نساؤهم أو يعذب ذووهم.

(١٠) إن تكريم سلطان الله في الأرض كفيلا بأن يقضي على الفوضى ويقطع دابر الشقاق، ويجعل له من الهيبة ما يخيف المجرمين.

(١١) إكرام الإنسان إذا كان غريبا أو لاجئا يشعره بعظمة الإسلام، ويفرّج كربته.

(١٢) إكرام الإنسان إذا كان شيخا فيه بشارة للمكرم بأنه سيعيش طويلا وأنه سيرزق بمن يكرمه حينذاك.

(١٣) إن من يعرف إكرام الله له بخلقه من طين، وتسويته، ونفخه فيه من روحه، لا يتكبر ولا يتجبر ولا يمنع خيرا رزقه إياه.

(١٤) إن من يعرف أن الله أكرمهم فسخر له ما في الكون ورزقه السمع والبصر والفؤاد، لا بد أن يدفعه ذلك إلى ذكر الله، وإن نسي نسيه الله يوم القيامة.

(١٥) إن من يعذب الناس ويتهتك بذلك آدميتهم ولا يعاب بكرامتهم عليه أن ينتظر عذاب الله يوم القيامة، فإذا منعه تكريم الإنسان من ذلك فقد أمن العذاب - من هذه الجهة - يوم القيامة.

## تلاوة القرآن

### التلاوة لغة:

مصدر تلا الشيء يتلوه، وهذا المصدر مأخوذ من مادة (ت ل و) التي تدل بحسب وضع اللغة على معنى واحد هو الاتباع يقال: تلوته إذا تبعته، ومنه تلاوة القرآن؛ لأن القارئ يتبع آية بعد آية، ويختلف مصدر الفعل «تلا» باختلاف الشيء المتلو، يقول الراغب: تلا الشيء أي تبعه متابعة ليس بينها ما ليس منها، وذلك يكون تارة بالجسم وتارة بالاعتداء في الحكم، والمصدر حينئذ هو التلو والتلو، وتارة بالقراءة وتدبر المعنى، والمصدر في هذه الحالة هو «التلاوة».

وقال ابن منظور: تلوته أتلوه وتلوت عنه تلوًا، كلاهما: خذلته وتركته، وتلوته تلوا: تبعته. يقال: ما زلت أتلوه حتى أتليت أي تقدمته وصار خلفي.

وأتليت: أي سبقته وتلوت القرآن: تلاوة: قرأته، وعم به بعضهم كل كلام.

وقوله ﷺ: ﴿فَأَتَلَيْتَ ذِكْرًا﴾ [الصفات: ٣] قيل: هم الملائكة، وجائز أن يكون الملائكة وغيرهم ممن يتلون ذكر الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] معناه يتبعونه حق اتباعه ويعملون به حق عمله.

وقوله ﷻ: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢] قال عطاء: على ما تحدّث وتقصّ، وقيل: ما تتكلّم به كقولك فلان يتلو كتاب الله أي يقرؤه ويتكلّم به<sup>(١)</sup>.

### التلاوة اصطلاحاً:

ويراد بترتيل القرآن: تلاوته تلاوة تبيّن حروفها ويتأتّى في أدائها ليكون أدنى إلى فهم المعاني. والتلاوة عند القراء: قراءة القرآن الكريم متتابعاً كالأوراد والأسباع<sup>(٢)</sup>.

### الفرق بين القراءة والتلاوة:

القراءة أعمّ من التلاوة فكلّ تلاوة قراءة وليس كلّ قراءة تلاوة، لا يقال تلوت رقعتك وإنّما يقال في القرآن في شيء إذا قرأته وجب عليك اتّباعه، كذا قال الرّاعب، ويفهم منه أنّ التلاوة خاصّة بالقرآن الكريم مع الاتّباع وليست القراءة كذلك، وفرّق التّهانويّ بين القراءة والتلاوة والأداء فقال: والفرق بينها وبين الأداء والقراءة: أنّ الأداء الأخذ عن المشايخ، والقراءة تطلق عليهما معا أي الأداء والتلاوة إذ هي أعمّ منهما<sup>(٣)</sup>.

من معاني التلاوة في القرآن الكريم:

ذكر أهل التفسير أنّ التلاوة في القرآن على أوجه:

أحدها: القراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ قَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ قَاتُلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].  
والثاني: الاتّباع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا لِلَّهِ﴾ [الشمس: ٢].

والثالث: العمل، ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، أي يعملون به حق عمله، قاله مجاهد في تفسيره (١ / ٨٧).

والرابع: الرواية كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(١) لسان العرب (١٤ / ١٠٢ - ١٠٤)، ومقاييس اللغة (١ / ٣٥١)، والمفردات للراغب ص ٧٥.

(٢) فتح الباري (٨ / ٧٠٧)، وكشاف اصطلاحات الفنون (١ / ٢٢٤).

(٣) المفردات للراغب (٧٥)، وكشاف اصطلاحات الفنون (١ / ٢٤٤).

الخامس: الإنزال كما في قوله تعالى: ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مِوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾ [القصص: ٣] (١).

#### حسن التلاوة:

قال ابن بطال: المراد بقوله ﷺ: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» المد والتّرتيل، والمهارة في القرآن جودة التلاوة بجودة الحفظ فلا يتلعثم ولا يتشكك وتكون قراءته سهلة بتيسير الله تعالى كما يسره على الكرام البررة (٢).

#### حسن الصوت مطلوب:

وقال ابن حجر رحمه الله: والذي يتحصّل من الأدلّة أنّ حسن الصّوت بالقرآن مطلوب، فإن لم يكن حسنا فليحسنه ما استطاع. ومن جملة تحسينه أن يراعي فيه قوانين النغم؛ فإن الحسن الصّوت يزداد حسنا بذلك، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه، وغير الحسن ربّما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الأداء المعترف عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يف تحسين الأداء، فإن وجد من يراعيهما معا فلا شك في أنّه أرجح من غيره لأنّه يأتي بالمطلوب من تحسين الصّوت ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء والله أعلم (٣).

#### مراتب التلاوة:

اتفق الباحثون في علم التجويد على أنّ للقراءة ثلاث مراتب: هي الترتيل والحدرد والتدوير، وأضاف بعضهم مرتبة رابعة هي التحقيق، وزاد آخرون مرتبة خامسة أطلقوا عليها «الزممة» وقد جاء في القرآن الكريم الحثّ على الترتيل خاصّة (٤). ويكاد يجمع العلماء على أنّه أفضل الأنواع يليه التدوير ثم الحدرد، وسنعرض بإيجاز لهذه الأنواع لغة واصطلاحاً حتّى يتبيّن المراد: قال صاحب نهاية القول المفيد:

#### ١ - الترتيل في اللغة:

مصدر مأخوذ من قولهم رتل فلان كلامه إذا أتبع بعضه بعضاً على مكث وتفهم من غير

(١) نزهة الأعين النواظر (٢٢١، ٢٢٢)، وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١ / ٤٧٠)، والمجمل لابن فارس: (١٠٥)، والمفردات للراغب (ص ٧٥).

(٢) فتح الباري (١٣ / ٥٢٨).

(٣) فتح الباري (٨ / ٦٩٠).

(٤) انظر الآيات الواردة في الترتيل. فيما بعد.

عجلة وهو الذي نزل به القرآن، قال تعالى: ﴿وَوَكَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢] وروى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ أَنْ يُقْرَأَ الْقُرْآنَ كَمَا أَنْزَلَ»، وقد أمر الله تعالى به نبيه فقال: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] قال ابن عباس: (معناه) بينه، وقال مجاهد تأن فيه، وقال الضحّاك انبذه حرفا حرفا، كأن الله تعالى قال: تثبت في قراءتك وتمهل فيها وافصل الحرف من الحرف الذي بعده<sup>(١)</sup>.

### وفي الاصطلاح:

قال ابن حجر: يراد بترتيل القرآن تلاوته تلاوة تبيّن حروفها ويتأنّى في أدائها ليكون (ذلك) أدنى إلى فهم المعاني<sup>(٢)</sup>. وهو: القراءة بتؤدة واطمئنان وإخراج كل حرف من مخرجه، وإعطاؤه حقه ومستحقّه مع تدبّر المعاني<sup>(٣)</sup>.

### ٢- الحدر في اللغة:

مصدر حدر يحدر إذا أسرع وهو من الحدر الذي هو الهبوط؛ لأن الإسراع من لازمه.

### الحدر في الاصطلاح:

إدراج القراءة وسرعتها مع مراعاة أحكام التجويد من إظهار وإدغام وقصر ومدّ ووقف إلى آخره، سئل الأهوازي عن الحدر فقال: الحدر هو القراءة السّميحة العذبة الألفاظ التي لا تخرج القارئ عن طبع العرب العرباء وعمّا تكلمت به الفصحاء بعد أن يأتي بالرواية عن إمام من أئمة القراءة<sup>(٤)</sup>.

### ٣- التدوير في اللغة: مصدر دوّر الشيء جعله مدوّرا.

التدوير في الاصطلاح: هو عبارة عن التوسّط بين الحدر والترتيل، قال صاحب نهاية القول المفيد وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة ممّن روى مدّ المنفصل<sup>(٥)</sup> ولم يصل فيه حدّ الإشباع كابن عامر والكسائي<sup>(٦)</sup>.

(١) نهاية القول المفيد (١٦).

(٢) فتح الباري (٨/ ٧٠٧).

(٣) البرهان في تجويد القرآن (٦)، والمراد ب«مستحق الحرف» ما يعرض له في التركيب مثل الإخفاء والإدغام وغير ذلك.

(٤) نهاية القول المفيد (١٥)، وانظر هداية القاري (٤٣)، والبرهان في تجويد القرآن (٦).

(٥) المراد بمدّ المنفصل: أي إطالة الصوت بحرف الد من ثلاث إلى ست حركات. إذا جاء بعده الهمزة بحيث تكون الهمزة في كلمة مستقلة مثل قوله تعالى: ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

(٦) نهاية القول المفيد (١٥)، والبرهان في تجويد القرآن (٦).

## التحقيق:

ذهب كثير من علماء الأداء إلى أنّ التّحقيق مرتبة مستقلة من مراتب التّلاوة. وذهب آخرون إلى أنّه نوع من التّرتيل. وهو في اللّغة: مصدر حقّقت الشّيء إذا بلغت يقينه، ومعناه المبالغة في الشّيء بالإتيان على حقيقته من غير زيادة فيه ولا نقص عنه. وهو عند علماء التّجويد إعطاء الحروف حقّها من إشباع المدّ وتحقيق الهمز وإتمام الحركات وتوفية الغنّات وتفكيك الحروف (وهو بيانها) وإخراج بعضها من بعض بالسّكت والتّرسل والتّؤدة والوقف على الوقوف الجائزة والإتيان بالظّهار والإدغام على وجهه وهو الذي يستحسن ويستحبّ الأخذ به للمتعلّمين، من غير أن يتجاوز به حدّ الإفراط.

يقول الشيخ مكّي نصر: ذكر بعض شرّاح الجزريّة أنّ التّرتيل نوع من التّحقيق عند الأكثرين فكلّ تحقيق ترتيل ولا عكس، وفرّق بعضهم بينهما بأنّ التّحقيق يكون للرياضة والتّعليم، وبأنّ التّرتيل يكون للتّدبر والتّفكّر والاستنباط.

الزمزمة: هي القراءة في النّفس خاصّة<sup>(١)</sup>.

## أيّ هذه الأنواع أفضل؟

اختلف العلماء - رحمهم الله - في الأفضل. هل هو التّرتيل مع قلة القراءة أو السّرعة مع كثرة القراءة؟ قال ابن الجزريّ والصّواب ما عليه معظم السّلف والخلف وهو أنّ التّرتيل والتّدوير مع قلة القراءة أفضل من السّرعة مع كثرتها؛ لأنّ المقصود من القرآن فهمه والتّدبر فيه والعمل به، وتلاوته وحفظه وسيلة إلى فهم معانيه<sup>(٢)</sup>.

## من آداب التّلاوة:

لتلاوة القرآن الكريم آداب عديدة أفردها بعض العلماء بالتّصنيف ولخصّها السيوطيّ وزاد عليها في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) أمورا عديدة، فمن ذلك: استحباب الوضوء؛ لأنّ القرآن الكريم أفضل الأذكار، وكان ﷺ يكره أن يذكر الله إلا على طهر، قال إمام الحرمين: ولا تكره القراءة للمحدث؛ لأنّه صحّ أنّ النّبّي ﷺ كان يقرأ مع الحدث (الأصغر) وإذا كان يقرأ تعرّضت له

(١) نهاية القول المفيد (١٦).

(٢) نهاية القول المفيد (١٧)، وقد نقل عن بعض أئمة القراءة أن ثواب التّرتيل أرفع قدرا، وثواب كثرة القراءة أكثر عددا فالأول كمن تصدق بجوهرة عظيمة والثاني كمن تصدق بعدد من الدنانير.

ريح أمسك عن القراءة حتى يستتم خروجها وأما الجنب والحائض فتحرم عليهما القراءة وإن كان يجوز لهما النظر في المصحف وإمراره على القلب أي التلاوة بغير صوت.

من السنة القراءة في مكان نظيف وأفضل ذلك المسجد، يسن أن يستاك تعظيماً وتطهيراً.  
- أن يجلس القارئ مستقبلاً القبلة متخسّعاً بسكينة ووقار مطرقاً رأسه.  
من السنة التّعوذ قبل القراءة.

تسنّ التلاوة بالتدبر والتفهم إذ هو المقصود الأعظم والمطلوب الأهمّ وبه تنشرح الصدور (انظر صفة التدبر).

يستحبّ البكاء عند قراءة القرآن. والتبكي لمن لا يقدر على ذلك. كما يسنّ التحزّن والخشوع<sup>(١)</sup>.

### القرآن الكريم لغة:

القرآن في اللغة مصدر قرأ بالهمزة، وتدلّ المادّة التي اشتقّ منها (ق ر أ) على جمع واجتماع وهذا المعنى يشار إليها فيه مادّة (ق ر ي)، فمن الأصل المهموز يقال: ما قرأت هذه الناقة سلى قطّ كأنه يراد أنّها ما حملت قطّ قال عمرو بن كلثوم:

ذراعـي عيـطـل أدمـاء بـكر هـجان اللـون لم تقـرأ جـنينا

ومن الثّاني: القرية لاجتماع النّاس فيها. ومن المادّة الأولى أخذ لفظ القرآن كأنه سمّي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك<sup>(٢)</sup>، قال الجوهريّ: يقال قرأت الشّيء قرآناً جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم ما قرأت هذه الناقة سلى قطّ، وما قرأت جنينا أي لم تضمّ رحمها على ولد.

(ويقال) قرأت الكتاب قراءة وقرآناً ومنه سمّي القرآن قال أبو عبيدة: سمّي القرآن لأنّه يجمع

السّور فيضمّها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧].

أي جمعه وقراءته، وقوله عزّ من قائل ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصِتْ لَهُ﴾ [القيامة: ١٨].

أي قراءته قال ابن عبّاس: (معناه) فإذا بيّناه لك بالقراءة فاعمل بما بيّناه لك<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر هذه الآداب وغيرها في الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١ / ١٨).

(٢) المقاييس (٥ / ٧٨)، والصحاح (١ / ٦٥).

(٣) كتاب التعريفات (ص ١٨١)، والمفردات للراغب (٤٠٢).

## القرآن اصطلاحاً:

قال الجرجاني: القرآن هو الكتاب المنزّل على الرسول ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة لها.

وقال الراغب: القرآن في الأصل مصدر مثل رجحان. قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبِئْ قُرْآنَهُ، ﴿القيامة: ١٧، ١٨﴾. وقد خصّ بالكتاب المنزّل على محمد ﷺ فصار له كالعلم كما أنّ التّوراة (علم) لما أنزل على موسى، والإنجيل علم لما أنزل على عيسى، ونقل الراغب عن بعض العلماء قوله: وتسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمره كتبه؛ بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار إليه سبحانه ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١] وقوله ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] (١)، وقد لخصّ بعض الباحثين المحدثين آراء القدماء في التعريف الاصطلاحيّ للقرآن فقال: القرآن: الكلام المنزّل من عند الله على رسول الله ﷺ المتعبّد بتلاوته، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المعجز بسورة من جنسه، المجموع عليه (٢).

## فضل تلاوة القرآن وحفظه:

إنّ لتلاوة القرآن الكريم وحفظه وتعهّده بالقراءة من الفضل ما لا يخفى، ويكفي لإثبات ذلك ما جاءت به الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وأثار الصحابة - رضوان الله عليهم - فمن الآيات قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (٢٩) لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَنَزِدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿فاطر: ٢٩، ٣٠﴾، وقد كان قتادة رضي الله عنه إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القراء (٣)، وذلك لما أثبتته لهم من الأجر العظيم والثواب المضاعف، فهم لا ينعمون بالأجر وافيًا وإنما يزيدهم الله إكرامًا وفضلاً، قال القرطبي: هذه الزيادة هي الشفاعة في الآخرة (٤)، وقد ربط المولى رحمه الله بين تلاوة القرآن والإيمان به، فقال: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ. وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١]. وقد جاء عن ابن مسعود في تفسير هذه الآية أنّ من حقّ التلاوة أن يقرأه

(١) دراسات في علوم القرآن ومناهج المفسرين (١٣).

(٢) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، للمرصفي (٤٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٢).

(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٤٥).

كما أنزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله<sup>(١)</sup>، وهنا ربط واضح بين التلاوة الحقة والإيمان بكتاب الله، أما الذين أوتوا الكتاب فليل: هم أصحاب النبي ﷺ، والكتاب على هذا هو القرآن، وقيل هم من أسلم من بنى إسرائيل، والصواب - كما قال القرطبي أن الآية تعم<sup>(٢)</sup>، وحق التلاوة يجوز أن يكون بمعنى الاتباع أو العمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه، ويجوز أن تكون بمعنى: يقرءونه - كما ذكرنا عن ابن مسعود أنفاً - ولا تعارض بين الرأيين «لأن بترتيل ألفاظه وفهم معانيه يكون الاتباع لمن وفق»<sup>(٣)</sup>.

لقد شبه المصطفى ﷺ الذي يقرأ القرآن بالأترجة<sup>(٤)</sup>. ريحها طيب وطعمها طيب، كما أخبرنا ﷺ أن الماهر مع السفرة الكرام البررة، وأن الذي يقرأ القرآن ويتتبع<sup>(٥)</sup> فيه وهو عليه شاق له أجران. وأي فضل وأي شرف يرنو إليه مسلم يعلم ما أخبر به ﷺ من أن القرآن يأتي يوم القيامة يليسه تاج الكرامة، ويجعله ممن يؤلفه، وعندما يتم الرضوان يقال له: اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها، وأخبر الصادق المصدوق أيضاً: «أن القرآن يأتي شفيحاً لأصحابه يوم القيامة، وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة»<sup>(٦)</sup>.

لقد عقد القرطبي في مقدمة تفسيره باباً أسماه «باب ذكر جمل من فضائل القرآن، والترغيب فيه، وفضل طالبه وقارئه ومستمعه والعامل به»، وقال رحمته: اعلم أن هذا الباب واسع كبير نذكر منه نكتاً تدل على فضله، وما أعد الله لأهله، إذا أخلصوا الطلب لوجهه، وعملوا به، فأول ذلك أن يستشعر المؤمن من فضل القرآن أنه كلام رب العالمين، غير مخلوق، كلام من ليس كمثله شيء، وصفة من ليس له شبيه ولا ند، فهو من نور ذاته جل وعز، وأن القراءة أصوات القراء ونغماتهم، وهي أكسابهم التي يؤمرون بها إيجاباً في بعض العبادات وندباً في بعضها الآخر، ويثابون عليها ويعاقبون على تركها، هذا مما أجمع عليه المسلمون، ونطقت به الآثار، ودل عليه المستفيض من الأخبار، ولولا أنه سبحانه جعل في قلوب عباده من القوة ما جعله، ليتدبروه وليعتبروا به وليتدكروا

(١) انظر الأثر رقم (١٦) وقارن بالمصادر التي ذكرت هناك.

(٢) انظر تفسير القرطبي (٢ / ٩٥)، وقد نسب الرأي الأول لقتادة والآخر لابن زيد.

(٣) المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) الأترجة ثمرة جامعة لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون.

(٥) التتبع، هو التردد في القراءة لضعف الحفظ، والأجران أحدهما بالقراءة والآخر لمحاولة الحفظ.

(٦) تفسير القرطبي (٢ / ٩٥).

ما فيه من طاعته وعبادته، لضعفت واندكت بثقله، أو لتضعضت له، وأنى تطيقه؟ وهو القائل: ﴿لَوْ أُنزِلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُتَّصِدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، فأين قوّة القلوب من قوّة الجبال؟ ولكن الله رزق عباده من القوّة على حمله ما شاء أن يرزقهم فضلا منه ورحمة، ثم ذكر الأحاديث والآثار الواردة في فضل القرآن وتلاوته<sup>(١)</sup>.

### ثمرات قراءة القرآن:

لقراءة القرآن من الثمرات ما لا يحصى، وقد جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة، والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين وقد لخصها الشيخ مصطفى عمارة فيما يأتي:

- ١- إن قارئ القرآن في مصافّ العظماء ومن أفضل الناس، وأعلاهم درجة.
- ٢- يكتسب القارئ عن كلّ حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها.
- ٣- تشمل القارئ ظلّة الرحمة ويحاط بالملائكة وتنزل عليه السكينة.
- ٤- يضيء الله قلب القارئ، ويقيه ظلمات يوم القيامة ويبعد عنه الشدائد.
- ٥- القارئ رائحته زكية ومذاقه حلو كالأنرجة، ومن هنا فهو جليس صالح يقرب إليه الصالحون العاملون ليشموا منه عطره، وينفحوا من شذاه.
- ٦- قارئ القرآن لا يحزنه الفزع الأكبر لأنّه في حماية الله ولأنّ القرآن يشفع له.
- ٧- قارئ القرآن سبب في رحمة والديه، وإغداقهما بالنعيم ويمدّهما الله بالأنوار المتلائة جزاء قراءة ابنهما.
- ٨- قارئ القرآن يرقى إلى قمة المعالي في الجنة ويصعد إلى ذروة النعيم.
- ٩- يغبط الصالحون قارئ القرآن ويتمنون أن يكونوا في درجته السامية عند الله تعالى، ويودّون أن يعملوا مثله.
- ١٠- قارئ القرآن تدعو له الملائكة الكرام بالرحمة والمغفرة.
- ١١- قارئ القرآن مستمسك بالعروة الوثقى، ويتمتع بالشفاء الناجع ويعصم من الزيغ، وينجو من الشدائد.

(١) مقدمة تفسير القرطبي (١/ ٤-٩)، وقد أوردنا ما صحّ من ذلك في قسمي الأحاديث والآثار، ولم نذكرها هنا تجنبا للتكرار.

١٢- قارئ القرآن من أهل الله وخاصته المتقربين إليه، ومن العاملين الشغوفين بطاعة الله والقانتين له<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نضيف إلى هذه الثمار ثمرات أخرى يانعة منها:

١٣- قارئ القرآن يرتفع به درجات في الدنيا أيضا إذ يرفع الله به أقواما ويخفض آخرين (ممن أعرضوا عنه أو هجروه).

١٤- قارئ القرآن يكتب عند الله من الذاكرين والقانتين.

١٥- قارئ القرآن ممن يشهد لهم رسول الله ﷺ يوم القيامة.

١٦- الماهر بالقرآن يبعث يوم القيامة مع السفارة الكرام البررة.

١٧- قارئ القرآن يتبعد عنه الشياطين وتخرج من بيته.

١٨- قارئ القرآن يستنير عقله ويمتلئ قلبه بالحكمة وتتفجر منه ينابيع العلم.

١٩- قارئ القرآن فيه قبس من النبوة (غير أنه لا يوحى إليه).

٢٠- حامل القرآن لا يجهل مع من يجهل لأن القرآن في جوفه يحميه من الحدة والغضب.

٢١- بالقرآن الكريم تعمر القلوب والبيوت، ويعمها الخير والبركة.

٢٢- قراءة القرآن تورث القلب خشوعا والنفس صفاء.

٢٣- قارئ القرآن يسأل الله به فيجيبه فضلا منه وكرما.

٢٤- أهل القرآن يذكرهم الله فيمن عنده وكفى بذلك فضلا وشرفا.

٢٥- في القرآن غنى لأهله تسعد به قلوبهم كما يسعد صاحب الأموال بما له، وهو غنى لا دخل فيه.

#### فضل تلاوة بعض سور وآيات القرآن:

القرآن الكريم كله كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن أنعم الله عليه بقراءته كله أو حفظه كله، فتلك هي الغاية العليا، والمنزلة السامية التي تشرئب إليها الأعناق، أما إذا لم يتيسر ذلك، فإن الله ﷻ لم يحرم غير القادر أو غير المستطيع، وجعل لقراءة بعض السور

(١) الترغيب والترهيب (٢/ ٣٨٥) (بحاشية الصفحة). وقد تصرفنا في بعض العبارات ولخصنا بعضها.

أو الآيات من الثواب الجزيل والأجر العظيم ما يطيب به خاطر القارئ ويجعله مطمئناً إلى سعة رحمة الله تعالى وعظيم فضله. فمن ذلك:

- ١- قراءة الفاتحة وهي أم الكتاب.
- ٢- قراءة آية الكرسي.
- ٣- قراءة خواتيم سورة البقرة.
- ٤- قراءة البقرة وآل عمران.
- ٥- قراءة البقرة أو عشر آيات منها.
- ٦- قراءة خواتيم آل عمران.
- ٧- قراءة سورة الكهف.
- ٨- قراءة عشر آيات من سورة الكهف.
- ٩- قراءة سورة السجدة.
- ١٠- قراءة سورة يس.
- ١١- قراءة سورة ص.
- ١٢- قراءة سورة الدخان.
- ١٣- قراءة سورة الفتح.
- ١٤- قراءة سورة الملك ﴿تَبْرَكَ الَّذِي يَدِرُّهُ الْمَلِكُ﴾ [الملك: ١].
- ١٥- قراءة سورة البينة ﴿لَوْ يَكْفُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البينة: ١].
- ١٦- قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].
- ١٧- قراءة المعوذتين ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

#### حكم القراءة ومقدار ما يقرأ:

قراءة القرآن سنة من سنن الإسلام، والإكثار منها مستحب حتى يكون المسلم مستتيراً الفؤاد بما يقرأ من كتاب الله، والتلاوة مع إخلاص النية وحسن القصد عبادة يؤجر عليها المسلم بدليل ما ورد عن ابن مسعود من قوله ﷺ «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة... الحديث»، وما جاء في حديث أبي أمامة «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه...»، وكان السلف رضوان الله عليهم يحافظون على قراءة القرآن<sup>(١)</sup>.

أمّا القدر الذي تنبغي قراءته فإنه يختلف باختلاف الناس يقول النووي: وقد كانت للسلف عادات مختلفة في القدر الذي يهتمون فيه، فكان جماعة منهم يهتمون في كل شهرين ختمة وآخرون في كل شهر ختمة. وآخرون في كل عشر ليال ختمة، وآخرون في كل سبع

(١) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان (١٩٠).

ليال ختمة، وهذا فعل الأكثرين من السلف،... ووصل الأمر ببعضهم إلى أن ختم أربعاً في الليل وأربعاً في النهار، قال النووي والمختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له فيه فهم ما يقرأ، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو فصل الحكومات بين المسلمين أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة للمسلمين فليقتصر على قدر لا يحصل له بسببه إخلال بما هو مرصد (مكلف) به، ولا فوت كماله، ومن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل، أو الهزيمة في القراءة<sup>(١)</sup>. وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة مستدلين بالحديث الشريف «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»<sup>(٢)</sup>. قلت: الختم في أقل من ذلك أدخل في الكراهة<sup>(٣)</sup>.

#### الأوقات التي تستحب فيها القراءة:

قال النووي: أفضل القراءة ما كان في الصلاة، وأما في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل، والنصف الأخير منه أفضل من الأول، والقراءة بين المغرب والعشاء مستحبة. وأما قراءة النهار، فأفضلها ما بعد صلاة الصبح، ولا كراهة في القراءة في وقت من الأوقات، ولا في أوقات النهي عن الصلاة (النافلة)<sup>(٤)</sup>.

ومن السنة كثرة الاعتناء بالقراءة في شهر رمضان، وفي العشر الأخير منه أفضل وليالي الوتر أكد ومن ذلك العشر الأول من ذي الحجة ويوم عرفة<sup>(٥)</sup>.

#### سور مخصوصة في صلوات مخصوصة:

قال النووي: السنة أن يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة بعد الفاتحة في الركعة الأولى سورة السجدة بكمالها، وفي الثانية ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ بتمامها، ولا يفعل ما يفعله كثير من الأئمة من الاقتصار على آيات من كل واحدة منهما مع تمطيط القراءة، بل ينبغي أن يقرأهما بكمالهما ويترجم قراءته مع ترتيل، والسنة أن يقرأ في صلاة الجمعة في الركعة الأولى سورة الجمعة بكمالها،

(١) الهزيمة: هي الإسراع الزائد.

(٢) قال النووي في الأذكار: رويناه بأسانيد صحيحة؛ وجاء في سنن أبي داود ٢ / ٥٦ حديث رقم ١٣٩٤.

(٣) الأذكار النووية (١٤٤).

(٤) الأذكار النووية (١٤٦).

(٥) التبيان في آداب حملة القرآن ص ١٤.

وإن شاء ﴿سَبِّحْ أَسْمَرَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وفي الثانية ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَنْشِيَةِ﴾ وكلاهما صحيح عن رسول الله ﷺ، والسنة في صلاة العيد في الركعة الأولى سورة (ق)، وفي الثانية سورة (القمر)، وإن شاء «سَبِّحْ» «وهل أتاك»، وكلاهما صحيح عن رسول الله ﷺ، ويقرأ في ركعتي سنة الصبح بعد الفاتحة في الأولى بـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفي الثانية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وإن شاء قرأ في الأولى ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٢٦]، وفي الثانية ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] وكلاهما صحيح من فعل رسول الله ﷺ، ويقرأ في سنة المغرب في الأولى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفي الثانية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ويقرأ بهما أيضا في ركعتي الطواف، وركعتي الاستخارة ويقرأ من أوتر بثلاث ركعات في الركعة الأولى ﴿سَبِّحْ أَسْمَرَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وفي الثانية ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفي الثالثة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾<sup>(١)</sup>.

#### سور مخصوصة في أوقات ومواضع مخصوصة:

أما في غير الصلاة فمن المستحب أن يقرأ سورة الكهف يوم الجمعة، كما يستحب أيضا أن يقرأها ليلة الجمعة لما جاء في حديث الدارمي: من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق<sup>(٢)</sup>، ويستحب الإكثار من تلاوة آية الكرسي في جميع المواطن، وأن يقرأها كل ليلة إذا أوى إلى فراشه، وأن يقرأ المعوذتين، وقل هو الله أحد، وخواتيم البقرة، ومن السنة أيضا أن يقرأ المعوذتين، عقب كل صلاة. وأن يقرأ إذا استيقظ من نومه آخر آل عمران من قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾... (الآية ١٩٠ - إلى آخر السورة) لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يقرأ خواتيم آل عمران إذا استيقظ<sup>(٣)</sup>، ويستحب أن يقرأ عند المريض بالفاتحة، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين وعند الميت سورة يس<sup>(٤)</sup>.

(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (١٤٠-١٤٢) (بتصرف يسير).

(٢) رواه الدارمي في فضائل القرآن، في فضل سورة الكهف، قال محقق التبيان، وهو حديث صحيح. انظر التبيان (١٤١).

(٣) في البخاري - الفتح ٨ (٤٥٧٢) «استيقظ رسول الله، فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران»، وانظر الحديث بتمامه في قسم الأحاديث رقم (٤٩).

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن (١٤٠-١٤٦).

[للاستزادة: انظر صفات: التسييح - التكبير الحمد - الذكر - الكلم الطيب - التهليل - الحوقلة الدعاء - الشكر - الخشوع.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: هجر القرآن - الغفلة - اللغو - اللهو واللعب - الإعراض].

\*\*\*

### من فوائد (تلاوة وقراءة القرآن)

- (١) القرآن عصمة لمن اعتصم به وحرز من النار فيتبعون أحسنه أولئك على هدى من ربهم وكلّ لمن عمل بما جاء به.
- (٢) من تلا القرآن وأراد به رضا مولاه كان من المفلحين.
- (٣) تلاوة القرآن تهدي المؤمن إلى صراط مستقيم وتشفي صدور قوم مؤمنين.
- (٤) القرآن هو جبل الله المتين فمن تمسك به وتلاه حق تلاوته فاز بنعيم الدنيا والآخرة.
- (٥) الذين يستمعون القرآن من عباده المؤمنين
- (٦) والاستماع إلى القرآن والإصغاء إليه بأدب وتعظيم فيه مهابط الرحمة وعميمها.
- (٧) سبب من أسباب انشراح الصدر.
- (٨) فيه الشفاء من أدواء الجسم والنفس.
- (٩) فوائد القرآن كثيرة لا تحصى.
- (١٠) وانظر ثمرات القرآن (ص ١١٨٢) من الموسوعة الأصل.

### التناصر

#### التناصر لغة:

التناصر مصدر قولهم: تناصر القوم إذا نصر بعضهم بعضاً وهو مأخوذ من مادة (ن ص ر) التي تدلّ على إتيان خير أو إيتائه فمن المعنى الأول قولهم: نصرت بلد كذا إذا أتيت، قال الراعي: إذا دخل الشهر الحرام فودعي بلاد تميم وانصري أرض عامر ولذلك يسمّى المطر نصراً، يقال نصرت الأرض فهي منصور (أي مطرت). والنصر بمعنى العطاء من هذا، ومثاله قول رؤبة: إنّي وأسطار سطر سطر لقاتل يا نصر نصرا نصرا ومن المعنى الثاني قولهم: نصر الله المسلمين أي آتاهم الظفر على عدوهم.

والنَّصِير: النَّاصِر وجمعه أنصار مثل شريف وأشرف وجمع النَّاصِر نصر مثل صاحب وصحب، قال الشاعر:

والله سمَّى ناصرك الأنصارا

ويقال: استنصره على عدوه، سأله أن ينصره عليه، وتناصروا نصر بعضهم بعضا، وانتصر منه واستنصر بمعنى، وقيل: انتصر منه انتقم، وقال الراغب: النَّصْر والنَّصْرَة العون، كما في قوله تعالى: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣] وقوله ﷺ: ﴿وَأَنْصُرُوا أَلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، ونصرة الله للعبد ظاهرة (أي إعانتة له) أما نصره العبد لله فهي نصرته لعباده، والقيام بحفظ حدوده، ورعاية عهوده، واعتناق أحكامه، واجتناب نهيه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحديد: ٢٥] وقوله ﷺ: ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] والانتصار والاستنصار: طلب النصرة كما في قوله عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩] وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَسْتَنْصِرُكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

يقول ابن منظور: النَّصْر إعانة المظلوم، يقال: نصره على عدوه ينصره نصرا، وفي الحديث «انصر أخاك ظالما، أو مظلوما»، وتفسيره أن يمنعه من الظلم إن وجد ظالما، وإن كان مظلوما أعانه على ظالمه، والاسم النَّصْرَة (وهي ما يقدم للعون).

والأنصار: أنصار النبي ﷺ غلبت عليهم الصفة، فجرى مجرى الأسماء وصار كأنه اسم الحيي ولذلك أضيف إليه بلفظ الجمع فقيل: أنصاري، وقالوا: رجل نصر، وقوم نصر، فوصفوا بالمصدر كرجل عدل وقوم عدل، وقوله ﷺ: ﴿مَنْ كَانَتْ يَطْنُ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الحج: ١٥]

معناه: من ظن من الكفار أن الله لا يظهر محمدا ﷺ على من خالفه فليختنق غيظا حتى يموت كمدا، فإن الله ﷻ يظهره ولا ينفعه غيظه وموته حنقا، فالهاء في قوله ﴿أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ﴾ للنبي محمد ﷺ.

ويقال: انتصر الرجل إذا امتنع من ظالمه، قال الأزهرى: يكون الانتصار من الظالم الانتصاف والانتقام، وانتصر منه: انتقم، قال تعالى مخبرا عن نوح ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصُرْ﴾ [١٠] ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ﴾ [القمر: ١٠، ١١] كأنه قال لربه انتقم منهم، كما قال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ

عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ [نوح: ٢٦] وقال الراغب: وإنما قال فانتصر ولم يقل انصر تنبيها على أن ما يلحقني يلحقك من حيث إنني جئتهم بأمرك فإن نصرته فقد انتصرت لنفسك.

والتناصر: التعاون على النصر، وتناصروا نصر بعضهم بعضا. وفي الحديث «كلّ المسلم على المسلم محرّم، أخوان نصيران» أي هما أخوان يتناصران ويتعاقدان، والنصير فعيل بمعنى فاعل أو مفعول، لأنّ كلّ واحد من المتناصرين ناصر ومنصور، وقد نصره ينصره نصرا إذا أعانه على عدوّه وشدّد منه، ومنه حديث الضيف المحروم «فإنّ نصره حقّ على كلّ مسلم ومسلمة حتّى يأخذ بقري ليلته». وقيل: يشبه هذا أن يكون في المضطرّ الذي لا يجد ما يأكل ويخاف على نفسه التّلف، فله أن يأكل من مال أخيه بقدر حاجته الضرورية وعليه الضّمان<sup>(١)</sup>.

### التناصر اصطلاحا:

يذكر التناصر ويراد به اصطلاحا أحد أمرين:

الأول: تناصر المسلمين ويراد به: أن يقدم كلّ منهم العون لأخيه ليدفع عنه الظلم إن كان مظلوما ويردّه عن ظلمه إن كان ظالما.

الثاني: التناصر بين العبد وربّه ويراد به: أن يلتزم المسلم بتقديم النصرة لعباد الله وأن يلتزم بحدوده ﷻ بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، وإذا فعل ذلك أعانه الله وأعطاه ما يظفر به تنفيذاً لوعده ﷻ ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ؟﴾ [الحج: ٤٠]<sup>(٢)</sup>.

### ضرورة التناصر وأهميته:

للتناصر أهميّة عظيمة في حياة الأمة، وبدونه يصبح المجتمع الإسلاميّ مكشوفاً أمام أعدائه معرضاً للهزيمة في كلّ وقت وعلى العكس من ذلك؛ فإنّ التزام المجتمع بنصر الله من ناحية ونصرة بعضهم البعض من ناحية أخرى يؤدّي حتماً إلى ظفر المسلمين وظهورهم على عدوّهم تحقيقاً لوعده ﷻ ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ﴾ ونصر المسلم لربّه يكون بتقديم العون لأخيه المسلم، وقيامه بحفظ حدود الله واجتنابه لمعاصيه، وفي هذه الحالة فقط؛ فإنّ عليه أن يتيقن من

(١) باختصار وتصرف يسير عن: مقاييس اللغة (٥/ ٤٣٥)، وبصائر ذوي التمييز (٥/ ٦٩)، والصحاح (٢/ ٨٢٨) ومفردات الراغب (٤٩٥)، ولسان العرب ط. دار المعارف ص (٤٤٤).

(٢) لم نجد في كتب المصطلحات تعريفاً للتناصر فيما عدا ما ذكره الكفوي في كلياته (٢/ ١٠٣)، من أن التناصر: هو التعاون، وهذا أقرب إلى أن يكون تفسيراً لغويّاً، وقمنا باستنباط ما ذكرناه من كتب التفسير وكتب شرح الأحاديث.

نصر الله له لأنّ التناصر تفاعل من الجانبين، فإذا حدث أحدهما حدث الآخر لا محالة، وممّا لا يشكّ فيه كذلك أنّ نصر المسلم لأخيه بتقديم العون له إن كان مظلوماً، وردعه عن ظلمه إن كان ظالماً، يثبت دعائم المجتمع الإسلاميّ. فتسود فيه روح التعاون والألفة، واحترام الحقوق، والتزام الواجبات، وتكون محصّلة ذلك مجتمعاً قوياً متآلفاً لا شحنةاء فيه ولا بغضاء ممّا يجعل نسيج الأمة كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً.

إنّ الأخذ بيد المظلوم، والضرب على يد الظالم يؤدّي إلى نجاة المجتمع بأسره ووصوله إلى برّ الأمان.

إنّ ما ينطبق على الأفراد فيما يتعلّق بالتناصر ينطبق أيضاً على الدول التي تدين بالإسلام، فإذا ظلمت دولة وجدت من الدول كافة ما يقدم لها العون والمساعدة حتّى يتحقّق لها النصر على البغاة والظالمين، وإذا كان الباغي مسلماً فعليه أن يتيقّن أنّ ردعه عن ظلمه ما هو إلّا نصرة له وقيام بتنفيذ أمر الله حتّى يفيء إلى الحقّ والعدل. إنّ التناصر هو صفة المسلمين أفراداً وجماعات ودولاً، أمّا أن ينكفأ كلّ فرد أو كلّ دولة على شأنه الخاصّ؛ فإنّ ذلك كفيل بتعرّض الجميع للضّياح ولن يفيد في هذه الحالة أن يتّصف هذا أو ذاك بالإسلام، لأنّ الإسلام الحقيقيّ يقتضي تنفيذ ما أمر الله به، ومن ذلك تحقيق التناصر فيما بين المسلمين بعضهم وبعض من ناحية وفيما بينهم وبين ربّهم من ناحية أخرى.

[للاستزادة: انظر صفات: الإخاء- الإغاثة- التعاون على البر والتقوى- تفريغ الكربات- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- المواصاة- الاجتماع- الألفة- المحبة.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: التخاذل- الأثرة- التهاون- التفرق- التنازع- الفتنة- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف- البغض].

\*\*\*

### من فوائد (التناصر)

- (١) يرضي الرّبّ ﷻ ويسخط الشيطان.
- (٢) يكون في إحقاق الحقّ ورفع الظلم عن المظلوم.
- (٣) يعلو به جانب المؤمن ويقوى إيمانه.
- (٤) تقوى شوكة المؤمنين ويمتنعون من أعدائهم.
- (٥) سبب في تكوين المجتمع المسلم القويّ المتعاون.

- (٦) يفشي المحبة بين المؤمنين.  
 (٧) التناصر يساعد على انتشار الحق وهزيمة  
 على الله.  
 (٩) في التناصر نجاة من النار.  
 (١٠) في التناصر عز للمسلمين وذل لأعدائهم.

## التهيل

### التهيل لغة:

مصدر هَلَّل وهو مأخوذ من مادة (ه ل ل) التي تدل على رفع الصوت ثم يتوسع فيه. فيسمى الشيء الذي يصوت عنده ببعض ألفاظ الهاء واللام (المضعفة) ثم يشبه بهذا المسمى غيره فيسمى به والأصل قولهم: أهل بالحج رفع صوته بالتلبية، واستهل الصبي صارخا صوت عند ولادته، قال ابن أحرر في الإهلال:

يهل بالفرق ركبانه كما يهل الركاب المعتمر  
 ويقال: انهل المطر في شدة صوبه وصوته انهلالا.

وقال الراغب: والإهلال رفع الصوت عند رؤية الهلال، ثم استعمل لكل صوت وبه شبه إهلال الصبي، وقوله **﴿وَمَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾** [البقرة: ١٧٣] أي ما ذكر عليه غير اسم الله وهو ما كان يذبح لأجل الأصنام، وقيل الإهلال والتهلل أن يقول: لا إله إلا الله، ومن هذه الجملة ركبت هذه اللفظة كقولهم التبسمل والبسملة، والتحول والحوقلة إذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومنه الإهلال بالحج، وتهلل السحاب ببرقه تلالاً ويشبه في ذلك بالهلال، وثوب مهلل خفيف النسج، ومنه شعر مهلهل أي رقيق، والخلاصة أن اشتقاق التهيل فيه لعلماء العربية رأيان: الأول: أنه مصدر ل «هَلَّل» التي تدل على الصوت. الآخر: أنه مصدر لفعل منحوت من قوله «لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>.

هَلَّل الرَّجُل، أي قال: لا إله إلا الله. ويقال: قد أكثرت من الهيلة أي من قول: لا إله إلا الله، وكذا قولهم: قد أخذنا في الهيلة، إذا أخذوا في التهيل، وهو مثل قولهم: حوّل الرجل وحوّل إذا

(١) مقاييس اللغة (٦/ ١١)، مفردات الراغب (ص ٥٤٤).

قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وكذا حيعل الرجل إذا قال حيي على الصلاة. قال الخليل: العرب تفعل هذا إذا كثرت أعمالهم للكلمتين ضموا بعض حروف إحداهما إلى بعض حروف الأخرى. قال أبو العباس: أربع كلمات هي الحوقلة، والبسمة، والسبحلة، والهيللة، أحرفها جاءت هكذا، قيل له: فالحمدلة؟ قال: لا وأنكره، يقال أيضا: أهل الرجل أي رفع صوته بذكر الله تعالى عن نعمة أو رؤية شيء يعجبه<sup>(١)</sup>.

### التهيليل اصطلاحا:

لم تذكر كتب المصطلحات هذا اللفظ: بيد أنه من الممكن أن نستخلص ذلك من جملة أقوال اللغويين فنقول: التهيليل: أن يرفع المسلم صوته بقول لا إله إلا الله. انظر تفاصيل تعريف ذلك في صفة «التوحيد».

[للاستزادة: انظر صفات: التسبيح - التكبير - التوحيد - الحمد - الحوقلة - الذكر - الكلم الطيب - تعظيم الحرمات.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الشرك - الإعراض - الغفلة - الكفر - اللغو - اللهو واللعب].

\*\*\*

### من فوائد (التهيليل)

- (١) فيه مغضبة للشيطان ومرضاة للرحمن. (٤) التهيليل يفتح الأعين العمي والآذان الصمّ
- (٢) فيه تحصيل للثواب وأمن من العذاب. والقلوب الغلف.
- (٣) التهيليل من العبد يقربه من الله ويكون (٥) فيه تأس بأخلاق الرسول ﷺ.
- كدويّ النحل حول العرش. (٦) فيه تكفير للسيئات.

### التواضع

#### التواضع لغة:

مصدر تواضع أي أظهر الضعة، وهو مأخوذ من مادة (وض ع) التي تدل على الخفض للشيء وحطه، يقال: وضعته بالأرض وضعا، ووضعت المرأة ولدها. والوضائع قوم ينقلون من

(١) لسان العرب (٨/ ٤٦٨٨ - ٤٦٩٢). والصحاح (٦/ ١٨٥١ - ١٨٥٣). والمصباح المنير (٢/ ٦٣٩).

أرض إلى أرض يسكنون بها، والوضع الرجل الدني، والدابة تضع في سيرها وضعا وهو سير سهل يخالف المرفوع قال الشاعر<sup>(١)</sup>:

مرفوعهـــــــــــــــــا زول وموضـــــــــــــــــوعها كـــــــــــــــــم ر صوب لجب وسط ريح

وقال الراغب في مفرداته: الوضع أعم من الحط ومنه الموضع قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦] و[المائدة: ١٣] وقد يستعمل هذا في الإيجاد والخلق كما في قوله سبحانه: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠]. ويقال رجل وضع بين الضعة في مقابل: رفيع بين الرفعة، وقال في الصحاح «ووضع الرجل (بالضم) يُوْضِعُ ضِعَةً وَضِعَةً أَي صَارَ وَضِيعًا، ووضع منه فلان أي حط من درجته والتواضع التذلل، والاتضاع أن تخفض رأس البعير لتضع قدمك على عنقه فتركب قال الكمي:

إذا اتضعونا كـــــــــــــــــارهين لبيـــــــــــــــــعة أنا خوا لأخرى والأزمــــــــــــــــة تجذب  
ورجل موضع أي مطرح ليس بمستحكم الخلق<sup>(٢)</sup>.

قلت: وصيغة تفاعل من هذا الأصل تدل على الإظهار كما في تغافل بمعنى أظهر الغفلة وإن لم يكن غافلا على الحقيقة وكما في تعامى أي أظهر العمى، وتباكى أظهر البكاء، ومن هنا تكون صفة التواضع سمة لمن أظهر الضعة والدل لله ورسوله والمؤمنين وإن كان المرء عزيزا في نفسه كما قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

### واصطلاحا:

إظهار التنزل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، وقيل: هو تعظيم من فوقه لفضله، وفي الرسالة القشيرية: التواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض في الحكم<sup>(٣)</sup>.

### درجات التواضع:

للتواضع ثلاث درجات:

الأولى: التواضع للدين، وهو أن لا يعارض بمعقول منقولاً. ولا يتهم للدين دليلاً، ولا يرى

(١) البيت ينسب إلى طرفة بن العبد (ديوانه ص ١٧١) تحقيق د. الجندي.

(٢) المقاييس لابن فارس (٦/ ١١٨)، والمفردات (٥٢٥ وما بعدها)، والصحاح (٣/ ١٣٠٠).

(٣) مدارج السالكين (٦/ ١٣٤). وفتح الباري (١١/ ٣٤١)، دليل الفالحين لابن علان (٣/ ٥٠).

إلى الخلاف سييلا. والتّواضع للدين: هو الاتقياد لما جاء به الرّسول ﷺ والاستسلام له والإذعان وذلك بثلاثة أشياء:

الأول: أن لا يعارض شيئا ممّا جاء به بشيء من المعارضات الأربعة السّارية في العالم، المسماة بالمعقول، والقياس، والدّوق، والسّياسة.

الثاني: أن لا يتّهم دليلا من أدلّة الدين، بحيث يظنّه فاسد الدّلالة، أو ناقص الدّلالة أو قاصرهما، أو أنّ غيره كان أولى منه. ومتى عرض له شيء من ذلك فليتّهم فهمه، وليعلم أنّ الآفة منه، والبلية فيه، كما قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وأفتته من الفهم السّقيم  
ولكن تأخذ الأذهان منه على قدر القرائح والفهوم

وهكذا في الواقع حقيقة: أنّه ما اتّهم أحد دليلا للدين إلّا وكان المتّهم هو الفاسد الذّهن، المأفون في عقله وذهنه. فالآفة من الذّهن العليل لا في نفس الدّليل. وإذا رأيت من أدلّة الدين ما يشكل عليك، وينبؤ فهمك عنه فاعلم أنّه لعظمته وشرفه استعصى عليك، وأنّ تحته كنزاً من كنوز العلم، فلم تؤت مفتاحه بعد، هذا في حقّ نفسك. وأمّا بالنسبة إلى غيرك، فاتّهم آراء الرّجال على نصوص الوحي وليكن ردّها أيسر شيء عليك للتّصوص، فما لم تفعل ذلك فلست على شيء. قال الشّافعيّ: أجمع المسلمون على أنّ من استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يحلّ له أن يدعها لقول أحد<sup>(١)</sup>.

الثالث: أن لا يجد إلى خلاف النّص سييلا ألّبتة، لا بباطنه، ولا بلسانه، ولا بفعله، ولا بحاله؛ بل إذا أحسّ بشيء من الخلاف فهو كخلاف المقدم على الرّنا، وشرب الخمر، وقتل النّفس. بل هذا الخلاف أعظم عند الله من ذلك، وهو داع إلى النّفاق وهو الذي خافه الكبار والأئمّة على نفوسهم.

الدّرجة الثّانية: أن ترضى بما رضي الحقّ به لنفسه عبداً من المسلمين أخوا، وأن لا تردّ على عدوك حقّاً، وأن تقبل من المعتذر معاذيره.

ومعنى: أن لا تردّ على عدوك حقّاً: أي لا تصحّ لك درجة التّواضع حتّى تقبل الحقّ ممّن تحبّ وممّن تبغض، فتقبله من عدوك، كما تقبله من وليك.

(١) انظر صفات: الاتباع والابتداع والعبادة والمحبة.

الدَّرَجَةُ الثَّلَاثَةُ: أَنْ تَتَضَعُ لِلْحَقِّ، فَتَنْزِلَ عَنْ رَأْيِكَ وَعَوَائِدِكَ فِي الْخِدْمَةِ، وَرُؤْيَا حَقِّكَ فِي الصَّحْبَةِ، وَعَنْ رِسْمِكَ فِي الْمَشَاهِدَةِ.

وحاصل ذلك: أَنْ تَعْبُدَ الْحَقَّ سَبْحَانَهُ بِمَا أَمَرَكَ بِهِ عَلَى مَقْتَضَى أَمْرِهِ لَا عَلَى مَا تَرَاهُ مِنْ رَأْيِكَ وَلَا يَكُونُ الْبَاعِثُ لَكَ دَاعِي الْعَادَةِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ بَاعِثُكَ عَلَى الْعِبُودِيَّةِ مَجْرَدُ رَأْيٍ وَمُوَافَقَةِ هَوَى وَمَحَبَّةِ وَعَادَةٍ؛ بَلِ الْبَاعِثُ مَجْرَدُ الْأَمْرِ. وَالرَّأْيُ وَالْمَحَبَّةُ وَالْهَوَى وَالْعَوَائِدُ مَنْفَعَةٌ تَابِعَةٌ لَا أَنَّهَا مَطَاعَةٌ بَاعِثَةٌ. وَأَمَّا نَزْوُهُ عَنْ رُؤْيَا حَقَّةٍ فِي الصَّحْبَةِ فَمَعْنَاهُ: أَنْ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ حَقًّا عَلَى اللَّهِ لِأَجْلِ عَمَلِهِ فَمَتَى رَأَى لِنَفْسِهِ عَلَيْهِ حَقًّا فَسَدَتْ الصَّحْبَةُ (١).

### الفرق بين التواضع والذل والمهانة:

والفرق بين التواضع والمهانة (أو الذل) أَنَّ التَّوَّاضِعَ يَتَوَلَّدُ مِنْ بَيْنِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ سَبْحَانَهُ وَمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَنِعْوَتِ جَلَالِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَإِجْلَالِهِ، وَمِنْ مَعْرِفَتِهِ بِنَفْسِهِ وَتَفَاصِيلِهَا وَعِيُوبِ عَمَلِهَا وَأَفَاتِهَا، فَيَتَوَلَّدُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ خَلْقٌ هُوَ التَّوَّاضِعُ وَهُوَ انْكَسَارُ الْقَلْبِ لِلَّهِ وَخَفْضُ جَنَاحِ الذَّلِّ وَالرَّحْمَةِ لِعِبَادِهِ فَلَا يَرَى لَهُ عَلَى أَحَدٍ فَضْلًا وَلَا يَرَى لَهُ عِنْدَ أَحَدٍ حَقًّا بَلِ يَرَى الْفَضْلَ لِلنَّاسِ عَلَيْهِ وَالْحَقُّوقَ لَهُمْ قَبْلَهُ، وَهَذَا خَلِقَ إِنَّْمَا يُعْطِيهِ اللَّهُ ﷻ مِنْ يَحِبُّهُ وَيَكْرَمُهُ وَيَقْرَبُهُ (٢).

وَأَمَّا الْمَهَانَةُ (الذَّلُّ) فَهِيَ الدَّنَاءَةُ وَالخَسَّةُ وَبِذَلِ النَّفْسِ أَوْ ابْتِدَالِهَا فِي نَيْلِ حَظِّهَا وَشَهْوَاتِهَا كَتَوَاضِعِ السَّفَلِ فِي نَيْلِ شَهْوَاتِهِمْ وَتَوَاضِعِ طَالِبِ كُلِّ حَظٍّ لِمَنْ يَرْجُو نَيْلَ حَظِّهِ مِنْهُ فَهَذَا كُلُّهُ ضِعَةٌ لَا تَوَاضِعُ وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَحِبُّ التَّوَّاضِعَ وَيَبْغِضُ الضُّعَّةَ وَالْمَهَانَةَ (٣).

والتَّوَّاضِعُ الْمَحْمُودُ عَلَى نَوْعَيْنِ: النَّوْعُ الْأَوَّلُ: تَوَاضِعُ الْعَبْدِ عِنْدَ أَمْرِ اللَّهِ امْتِثَالًا وَعِنْدَ نَهْيِهِ اجْتِنَابًا فَإِنَّ النَّفْسَ لَطَلِبَ الرَّاحَةِ تَتَلَكَّأُ فِي أَمْرِهِ فَيَبْدُو مِنْهَا نَوْعَ إِبَاءٍ وَشُرُودٍ هَرَبًا مِنَ الْعِبُودِيَّةِ وَتَثَبَتْ عِنْدَ نَهْيِهِ طَلِبًا لِلظُّفْرِ بِمَا مَنَعَ مِنْهُ، فَإِذَا وَضَعَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ فَقَدْ تَوَاضَعَ لِلْعِبُودِيَّةِ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: تَوَاضِعُ لِعِظْمَةِ الرَّبِّ وَجَلَالِهِ وَخُضُوعِهِ لِعِزَّتِهِ وَكِبْرِيَاءِهِ فَكَلَّمَا شَمَخَتْ نَفْسُهُ ذَكَرَ عِظْمَةَ الرَّبِّ تَعَالَى وَتَفَرَّدَهُ بِذَلِكَ وَغَضِبَهُ الشَّدِيدَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ ذَلِكَ فَتَوَاضَعَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَانْكَسَرَ لِعِظْمَةِ اللَّهِ قَلْبُهُ وَاطْمَأَنَّ لِهَيْبَتِهِ، وَأَخْبَتَ لِسُلْطَانِهِ، فَهَذَا غَايَةُ التَّوَّاضِعِ، وَهُوَ يَسْتَلْزِمُ الْأَوَّلَ

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٣٤٨ - ٣٥١).

(٢) انظر صفات: معرفة الله والإخبات والخوف والخشية والخشوع.

(٣) انظر صفات الذل والمعصية.

من غير عكس، والمتواضع حقيقة من رزق الأمرين معا<sup>(١)</sup>.  
 [للاستزادة: انظر صفات: الاتباع- الإخبات- الأدب- إفشاء السلام- الإنابة- البشاشة-  
 الحياء- الخشوع- الرضا- الزهد- السماحة- طلاقة الوجه- الطمأنينة.  
 وفي ضد ذلك: انظر صفات: الابتداع- التكلف- الجفاء- الذل- الكبر والعجب- الغرور-  
 الطغيان- العتو].

\*\*\*

### من فوائد (التواضع)

- (١) التواضع خلق كريم من أخلاق المؤمنين (٥) يحب الله المتواضعين ويكلؤهم برعايته ودليل محبة رب العالمين.  
 (٢) وهو طريق موصل إلى مرضاة الله وإلى (٦) المتواضعون آمنون من عذاب الله يوم الفزع جنته.  
 (٣) وهو السبيل إلى القرب من الله ومن ثم (٧) وهو دليل على حسن الخاتمة وعلى حسن الخلق.  
 (٨) التواضع يؤدي إلى حصول النصر والبركة القرب من الناس.  
 (٤) التواضع عنوان سعادة العبد في الدارين. في المال والعمر.

### التوبة

#### التوبة لغة:

التوبة مصدر قولك: تاب يتوب وهو مأخوذ من مادة (ت وب) التي تدل على الرجوع، يقال: تاب من ذنبه، أي رجع عنه توبة ومتابا، والوصف منه تائب، والتوب: ترك الذنب على أجمل الوجوه وهو أبلغ وجوه الاعتذار؛ فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه:

إما أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول فعلت لأجل كذا، أو يقول: فعلت وأسأت وقد أقلعت، ولا رابع لذلك وهذا الأخير هو التوبة، يقال: تاب إلى الله أي تذكّر ما يقتضي الإنابة، نحو قوله سبحانه: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١] أي عودوا إلى طاعته وأنيبوا إليه.. ويقال: تاب

(١) الروح لابن القيم، ص ٢١٠-٢١١.

الله عليه أي قبل منه التوبة، والتائب يقال لباذل التوبة ولقابل التوبة فالعبد تائب إلى الله. والله تائب على عبده، والتواب العبد الكثير التوبة، وذلك بتركه كل وقت بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركا لجميعه، وقد يقال لله ﷻ ذلك (أي تواب) وذلك لكثرة قبوله توبة العباد حالا بعد حال، والمتاب في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: ٧١] يقصد به التوبة التامة وهي الجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل.

وجاء في الصحاح: التوبة الرجوع من الذنب، وفي الحديث: «الندم توبة» وكذلك التوب مثله، خلافا للأخفش الذي ذهب إلى أن التوب جمع توبة مثل عوم وعمومة، ويقال تاب إلى الله توبة ومتابا، وقد تاب الله عليه، وفقه للتوبة وعاد عليه بالمغفرة. واستتبت فلانا عرضت عليه التوبة أو سألته أن يتوب، والتابة في قول الشاعر:

تبت إليك فتقبّل تائبتي

يراد بها التوبة، أبدلت الواو ألفا لضرب من الخفة<sup>(١)</sup>.

#### التوبة في الاصطلاح:

قال الراغب: التوبة في الشرع: ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة.

وقال الجرجاني: التوبة هي الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيام بكل حقوق الرب، وقيل: التوبة الاعتراف والندم والإقلاع.

وقيل: التوبة في الشرع: الندم على معصيته من حيث هي معصية، مع عزم ألا يعود إليها إذا قدر عليها.

فقولهم على معصية: لأن الندم على المباح أو الطاعة لا يسمى توبة، وقولهم من حيث هي معصية: لأن من ندم على شرب الخمر لما فيه من الصّداع أو خفة العقل أو الإخلال بالمال والعرض لم يكن تائبا شرعا، وقولهم: مع عزم ألا يعود، زيادة تقرير؛ لأن الندم على الشيء لا يكون إلا كذلك، ولذلك ورد في الحديث «الندم توبة». وقولهم: إذا قدر عليها، إشارة إلى أن من سلب القدرة على معصية مثل الزنا وانقطع طمعه عن عود القدرة إليه لم يكن ذلك توبة منه.

(١) انظر مقياس اللغة (١/ ٣٥٧)، ومفردات الراغب (٧٥) والصحاح (١/ ٩٢)، ولسان العرب (١/ ٤٥٤).

## التوبة النصوح:

قال الجرجاني: التوبة النصوح هي توثيق العزم على ألا يعود بمثله. وقيل هي ألا يبقى (التائب) على عمله أثرا من المعصية سرا وجهرا، وهذه التوبة هي التي تورث صاحبها الفلاح عاجلا وآجلا.

وقال التهانوي: التوبة النصوح وهي من أعمال القلب تعنى تنزيه القلب عن الذنوب، وعلامتها أن يكره العبد المعصية ويستقبحها فلا تخطر له على بال ولا ترد في خاطره أصلا.

## معاني التوبة وأنواعها:

قال صاحب التعريفات: التوبة على ثلاثة معان: أولها: الندم. وثانيها: العزم على ترك العود إلى ما نهى الله عنه. وثالثها: السعي في أداء المظالم.

## أما أنواعها:

فقليل هي نوعان: توبة الإنابة وتوبة الاستجابة، فتوبة الإنابة أن تخاف من الله من أجل قدرته عليك، وتوبة الاستجابة أن تستحي من الله لقربه منك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وقيل: بل ثلاثة:

التوبة الصحيحة: وهي أنه إذا اقترف العبد ذنبا تاب عنه بصدق في الحال.

والتوبة الأصح: وهي التوبة النصوح (وقد سبق تعريفها).

والتوبة الفاسدة: هي التوبة باللسان مع بقاء لذّة المعصية في خاطر<sup>(١)</sup>.

## التوبة والإنابة والأوبة:

يقال لمن خاف العقاب هو صاحب توبة، ولمن يتوب بطمع الثواب هو صاحب إنابة، ولمن يتوب لمحض مراعاة أمر الله فهو صاحب أوبة. وقيل: التوبة صفة عامّة للمؤمنين. قال تعالى:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١]. والإنابة صفة الأولياء والمقربين. قال تعالى:

﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣] والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين. قال تعالى: ﴿نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ

أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠] <sup>(٢)</sup>.

(١) التعريفات (٧٤)، وكشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٢٣٣).

(٢) راجع: لسان العرب، مادة: أوب، وتوب.

إطلاقات الكلمة في القرآن الكريم:

وردت كلمة التَّوْبَةِ في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

١- بمعنى التَّجَاوُزِ والعَفْوِ. وهذا مقيّد بعلى، كقوله تعالى: ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

٢- بمعنى الرَّجُوعِ والإِنَابَةِ. وهذا مقيّد بإلى، كقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ

الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

٣- بمعنى النَّدَامَةِ. وهذا غير مقيّد لا ب (إلى) ولا ب (على): كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَبَتُّمُ فَهُوَ

حَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٣].

شروط التوبة:

قال النووي- رحمه الله تعالى-: التَّوْبَةُ واجبة من كلِّ ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلّق بحقِّ آدميِّ فلها شروط ثلاثة وهي:

١- أن يقلع عن المعصية.

٢- أن يندم على فعلها.

٣- أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدا. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصحَّ توبته<sup>(١)</sup>.

ويزاد شرط رابع إذا كان الذَّنْبُ يتعلّق بحقِّ آدميِّ: أن يبرأ من حقِّ صاحبه؛ فإن كان مالا أو نحوه ردّه إليه، وإن كان حدّ قذف مكّنه منه أو طلب عفوّه، وإن كان غيبة استحلّه منها، هذا إذا لم يترتّب على ذلك مفسدة أعظم. ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحّت توبته من ذلك الذنب<sup>(٢)</sup>.

التوبة من ترك المأمور أولى من التوبة من فعل المحظور:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى-: من تاب توبة عامّة كانت هذه التوبة مقتضية لغفران الذنوب، وإن لم يستحضر أعيان الذنوب إلّا أن يعارض هذا العامّ معارض يوجب التخصيص مثل أن يكون بعض الذنوب لو استحضره لم يتب منه، لقوّة حبه إيّاه، أو لاعتقاده أنّه

(١) يتفق ما ذكره الإمام النووي مع قول أهل السنة الذي لخصه التهانوي فقال: قال أهل السنة شروط التوبة ثلاثة: ترك المعصية في الحال، وقصد تركها في الاستقبال، والندم على فعلها في الماضي انظر كشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٢٣٣).

(٢) رياض الصالحين (١١، ١٢) بتصرف، وانظر مدارج السالكين (١/ ٣٠٥).

حسن ليس بقبيح، فما كان من ذنب لو استحضره لم يتب منه لم يدخل في التوبة، وأمّا ما كان لو استحضره بعينه لكان ممّا يتوب منه؛ فإنّ التوبة العامّة شاملة له. وأمّا التوبة المطلقة:

وهي أن يتوب توبة مجملة، فإنّها لا تستلزم التوبة من كلّ ذنب. فهذه لا توجب دخول كلّ فرد من أفراد الذنوب فيها ولا تمنع دخوله كاللفظ المطلق، لكن هذه تصلح أن تكون سببا لغفران المعين، كما تصلح سببا لغفران الجميع، بخلاف التوبة العامّة فإنّها مقتضية للغفران العام.

وكثير من الناس لا يستحضر عند التوبة إلا بعض المعاصي المتصنّفات بالفاحشة أو مقدّماتها أو بعض الظلم باللسان أو اليد، وقد يكون ما تركه من المأمور الذي يجب عليه في باطنه وظاهره من شعب الإيمان وحقائقه أعظم ضررا عليه ممّا فعله من بعض الفواحش؛ فإنّ ما أمر الله به من حقائق الإيمان التي بها يصير العبد من المؤمنين حقّا أعظم نفعاً من نفع ترك بعض الذنوب الظاهرة، كحبّ الله ورسوله، فإنّ هذا أعظم الحسنات الفعلية. والناس في غالب أحوالهم لا يتوبون توبة عامّة مع حاجتهم إلى ذلك؛ فإنّ التوبة واجبة على كلّ عبد في كلّ حال، لأنّه دائماً يظهر له ما فرط فيه من ترك مأمور أو ما اعتدى فيه من فعل محظور، فعليه أن يتوب دائماً<sup>(١)</sup>.

شمول التوبة لكل مراتب الدين (الإسلام، الإيمان، الإحسان):

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : التوبة هي حقيقة دين الإسلام، والدين كلّ داخل في مسمى التوبة وهذا استحقّ التائب أن يكون حبيب الله. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وإنّما يحبّ الله من فعل ما أمر به. وترك ما نهي عنه. فإذا التوبة هي الرجوع عمّا يكرهه الله ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً. ويدخل في مسمّاها الإسلام، والإيمان، والإحسان. وتتناول جميع المقامات. ولهذا كانت غاية كلّ مؤمن، وبداية الأمر وخاتمته وهي الغاية التي وجد لأجلها الخلق. والأمر والتوحيد جزء منها، بل هو جزؤها الأعظم الذي عليه بناؤها.

وأكثر الناس لا يعرفون قدر التوبة ولا حقيقتها، فضلاً عن القيام بها علماً وعملاً وحالاً. ولم يجعل الله تعالى محبته للتوابين إلا وهم خواصّ الخلق لديه، ولولا أنّ التوبة اسم جامع لشرائع الإسلام وحقائق الإيمان لم يكن الرّبّ تعالى يفرح بتوبة عبده ذلك الفرح العظيم، فجميع ما يتكلّم فيه الناس من المقامات والأحوال هو تفاصيلها وآثارها<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠ / ٣٢٨ - ٣٣٠) بتصرف.

(٢) مدارج السالكين (١ / ٣٠٦، ٣٠٧).

[للاستزادة: انظر صفات: الاستغفار- الإنابة الدعاء- الرجاء- الضراعة والتضرع- الخوف- الخشية- تذكر الموت- الإخبات.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإصرار على الذنب- طول الأمل- اتباع الهوى- الإعراض- الغفلة- القنوط- التفریط والإفراط- اللهو واللعب].

\*\*\*

### من فوائد (التوبة)

- (١) التوبة من كمال الإيمان وحسن الإسلام. (٧) يتجلى الله على التائب برضوانه وإحسانه.
- (٢) سبب حبّ الله تعالى ورضاه؛ لأنّ الله يحبّ (٨) يقبل الله على التائب أضعاف إقبال عبده التّوّابين ويحبّ المتطهّرين. عليه بطاعته.
- (٣) سعة رحمة الله تعالى للتائب. (٩) تسبّب التوبة ذهاب الضيق وإزالة الهمّ.
- (٤) ضعف الإنسان لكون الخطيئة جزءاً منه. (١٠) الرجاء في العفو والتوبة ما دامت الرّوح في الجسد إلى طلوع الشّمس من مغربها، وقبل الغرغرة. تاب العبد منه وإن كان شركاً.
- (٥) عموم وشمول مغفرة الله ورحمته لكلّ ذنب
- (٦) حرمة المسلم (عرضه وماله) فلا تقبل التوبة (١١) وجوب التوبة على العموم وعلى من حقوق العباد إلّا بأن يأخذ حقّه أو الخصوص والمبادرة بها. يعفو.
- (١٢) المعاصي سواد والتوبة جلاؤها.

### التوحيد

#### التوحيد لغة:

مصدر قولهم: «وحدّ يوحد» وهو مأخوذ من مادّة (وح د) التي تدلّ على الانفراد، يقول ابن فارس: ومن ذلك الوحدة، (ومنه) هو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله، قال الشّاعر:  
يا واحد العرب الّذي ما في الأنام له نظير  
والواحد أيضاً: المنفرد، وقول عبيد (بن الأبرص):  
والله لو موت ما ضرّني وما أنا إن عشت في واحده

يريد: ما أنا (على ما يرام) إن عشت في خلّة واحدة تدوم، لأنّه لا بدّ لكلّ شيء من انقضاء<sup>(١)</sup>. وقال الرّاعب: الواحد في الحقيقة هو الشّيء الذي لا جزء له البتّة، ثمّ يطلق على كلّ موجود حتّى إنّ ما من عدد إلّا ويصحّ أن يوصف به فيقال عشرة واحدة ومائة واحدة وألف واحد، وإذا وصف الله تعالى بالواحد فمعناه هو الذي لا يصحّ عليه التّجزؤ ولا التّكثّر، ولصعوبة هذه الوحدة قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]<sup>(٢)</sup>. قال القرطبي: كان المشركون إذا قيل لهم: «لا إله إلّا الله» نفروا وكفروا، (وإذا ذكر الذين من دونه) - أي: الأوثان- يظهر في وجوههم البشر والسّرور، ومعنى «اشمأزت» قيل: «انقبضت، وقيل: نفرت واستكبرت وكفرت وتعصّت، وقيل: أنكرت»<sup>(٣)</sup>.

والوحد: المفرد، ويوصف به غير الله تعالى، كقول الشّاعر:

على مستأنس وحاد

وأحد مطلقا لا يوصف به غير الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

ويقال: رجل وحد، ووحد، ووحد أي: منفرد. وفلان واحد دهره، وفلان لا واحد له، وفلان واحد أهل زمانه، أي: لا نظير له. والجمع: وحدان مثل شابّ وشبان، وراع ورعيان، وأحدان وأصله: وحدان (أبدلت الواو همزة)، ويقال: لست في هذا الأمر بأوحد، ولا يقال للأثنى وحداء. وقولهم: أعط كلّ واحد منهم على حدة أي: على حياله<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن منظور: يقال: وحد فلان يوحد أي بقي وحده، ويقال أيضا وحد ووحد وفرد وفرد... ونقل عن ابن سيده أنّه يقال في (مصدر) وَحَدٌ وَوَحْدٌ وَحَادَةٌ وَوَحْدًا، وقولهم توحد: بقي وحده، وفي حديث ابن الحنظليّة وكان رجلا متوحّدا أي منفردا لا يخالط النّاس ولا يجالسهم، وأوحد الله جانبه أي بقيّ وحده وأوحده للأعداء، وتوحد برأيه تفرّد به<sup>(٦)</sup>، وتوحدّه الله

(١) مقاييس اللغة (٦، ٩٠، ٩١).

(٢) المفردات (٥١٤، ٥١٥).

(٣) تفسير القرطبي (١٥ / ١٧٢).

(٤) المفردات (٥١٥).

(٥) الصحاح للجوهري (٢ / ٥٤٨)، وقارن أيضا بالمفردات (٥١٦).

(٦) لسان العرب «وحد» (٤٧٨٠).

بعصمته أي عصمه ولم يكله إلى غيره وأوحدت الشاة فهي موحد أي وضعت واحدا<sup>(١)</sup>، وقولهم: مررت به وحده مصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يغير عن المصدر، وهو بمنزلة إفرادا وإن لم يتكلم به، وأصله أوحدته بمروري إيحادا ثم حذفت زيادته فجاء على الفعل ومثله قولهم: عمرك الله، والعرب تنصب «وحده» في الكلام كله لا ترفعه ولا تخفضه إلا في ثلاثة أحرف: نسيج وحده، وعير وحده، وجحيش وحده<sup>(٢)</sup>، ووجه النصب أنه مصدر أي توحد وحده، وقال (الكوفيون)<sup>(٣)</sup> إنه نصب على أنه صفة، وقال أبو عبيد: وقد يدخل الأمران فيه جميعا، أمّا قولهم نسيج وحده فمدح، وأمّا جحيش وحده وعير وحده فموضوعان موضع الذم، وهما اللذان لا يشاوران أحدا ولا يخالطان (غيرهما)، وفيهما مع ذلك مهانة وضعف، وقيل معنى قولهم: نسيج وحده أنه لا ثاني له<sup>(٤)</sup>، وفي حديث عمر رضي الله عنه من يدلني على نسيج وحده ومنه أيضا حديث عائشة رضي الله عنها تصف عمر رضي الله عنه «كان نسيج وحده»<sup>(٥)</sup>. والوحد: حدة كل شيء، يقال وحد الشيء يحد حدة، وكل شيء على حدة فهو ثاني آخر، يقال: ذلك على حدته، وهما على حدتهما، وهم على حدتهم وفي حديث جابر ودفن أبيه: فجعله في قبر على حدة أي منفردا وحده وهي مثل عدة وزنة من الوعد والوزن، قال ابن سيدة: وحدة الشيء توحد، يقال: هذا الأمر على حدته وعلى وحده، وقولهم: أوحدته الناس أي تركوه وحده، وأمّا قوله عليه السلام ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فإن أكثر القراء على تنوين أحد وقد قرأه بعضهم بترك التنوين وقرئ أيضا بإسكان الدال، وأجودها الرفع في المرور (أي في الوصل)، وإنما كسر التنوين لسكونه وسكون اللام من لفظ الجلالة، ومن حذف التنوين فالتقاء الساكنين أيضا. وروي في التفسير أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١] **اللَّهُ الصَّمَدُ** [الإخلاص: ١، ٢]. ومعنى ذلك نفي النسب عن الله الواحد - تعالى عما يقول المشركون علوا كبيرا - لأن الأنساب إنما تكون للمخلوقين، والله تعالى صفته

(١) الصحاح (٢/ ٥٤٨).

(٢) هكذا نقل ابن منظور عن أبي عبيد، وقد أضاف الراغب إلى هذه الثلاثة قولهم رجل وحده. انظر المفردات (٥١٥).

(٣) في الأصل وقال أصحابنا أي أصحاب أبي عبيد والمراد بهم الكوفيون، وقال ابن الأثير: هو منصوب عند أهل البصرة على الحال أو المصدر وعند أهل الكوفة على الظرف. النهاية (٥/ ١٦٠).

(٤) لسان العرب «وحد» (٤٧٨٠) وما بعدها (ط. دار المعارف).

(٥) النهاية (٥/ ١٦٠) وفي اللسان «كان رضي الله عنه أحوذيا نسيج وحده» المعنى أنه ليس له شبيهه في رأيه وجميع أموره (اللسان

أنه لم يلد ولدا ينسب إليه، ولم يولد فينسب إلى والده، ولم يكن له مثل - ولا يكون - فيشبهه به<sup>(١)</sup>، وقال القرطبي: معنى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: أي الواحد الوتر الذي لا شبيه له ولا نظير ولا صاحبة، ولا ولد ولا شريك<sup>(٢)</sup>، وذكر الطبري في سبب نزولها أن المشركين سألوا النبي عن نسب رب العزة، وقيل إن اليهود سألوه فقالوا: هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله، فأنزلت جوابا لهم<sup>(٣)</sup>.

وجوه استعمال لفظ الواحد: قال الراغب: الواحد لفظ مشترك يستعمل على ستة أوجه:

الأول: ما كان واحدا في الجنس أو في النوع كقولنا الإنسان والفرس واحد، في الجنس وزيد وعمرو واحد في النوع.

الثاني: ما كان واحدا بالاتصال إمّا من حيث الخلقة كقولك شخص واحد وإمّا من حيث الصناعة كقولك حرفة واحدة.

الثالث: ما كان واحدا لعدم نظيره إمّا في الخلقة كقولك الشمس واحدة وإمّا في دعوى الفضيلة كقولك فلان واحد دهره وكقولك نسيح وحده.

الرابع: ما كان واحدا لامتناع التجزي فيه إمّا لصغره كالهباء وإمّا لصلابته كاللّماس.

الخامس: لمبدأ العدد كقولك واحد اثنان.

السادس: لمبدأ الخط كقولك النقطة الواحدة.

والوحدة كلّها عارضة وإذا وصف الله تعالى بالواحد فمعناه هو الذي لا يصحّ عليه التجزي ولا التكثر ولصعوبة هذه الوحدة قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ والوحد المفرد ويوصف به غير الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

وجوه استعمال «أحد» في القرآن الكريم:

قال ابن الجوزي: ذكر بعض المفسرين أن الأحد في القرآن على أربعة أوجه:

(١) لسان العرب «وحد» (٤٧٨٢) ط. دار المعارف.

(٢) تفسير القرطبي (٢٠ / ١٦٧).

(٣) تفسير القرطبي (١٢ / ٢٢١).

(٤) المفردات (٥١٤، ٥١٥) وقد أدمج جليله الوجهين الخامس والسادس فجعلهما وجها واحدا وقد فصلناهما ليكتمل العدد الذي ذكره في صدر كلامه وهو ستة وقد تبعه في ذلك الفيروزبادي في البصائر (٥ / ١٧١) فذكر أن الوجوه ستة ولم يذكر عند التفصيل سوى خمسة أوجه.

أحدها: الله ﷻ، ومنه قوله تعالى في البلد: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ يقول أهلكت ما لا لبدا ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ [البلد: ٥-٧].

والثاني: محمد ﷺ، ومنه قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِذْ نَصَّبُواكَ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

وقوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوا فِيكُمْ أَحَدًا﴾ [الحشر: ١١].

والثالث: بلال بن حمامة ومنه قوله تعالى في "الليل": ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ [الليل: ١٩] أي في بلال عند أبي بكر حين اشتراه وأعتقه من نعمة تجزى.

والرابع: بمعنى الواحد ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] (١).

الواحد والأحد من أسماء الله تعالى وصفاته:

قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى «الواحد» وهو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر، وقيل الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل (٢)، وقال الأزهرى: الواحد من صفات الله تعالى معناه أنه لا ثاني له، ويجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد، فأما أحد فلا ينعت به غير الله تعالى لخلوص هذا الاسم الشريف له جل ثناؤه تقول: وحدت الله وأحدته، وهو الواحد الأحد، وروي عن النبي ﷺ أن رجلا ذكر الله وأوماً بإصبعيه، فقال له أحد أحد أي أشر بإصبع واحدة، وأما قول الناس: توحد الله بالأمر وتفرد فإنه وإن كان صحيحاً فإنني لا أحب أن ألفظ به في صفة الله تعالى إذ لا يوصف ﷻ إلا بما وصف به نفسه في التنزيل أو في السنة، ولم أجد المتوحد في صفاته ولا المتفرد، وإنما تنتهي في صفاته إلى ما وصف به نفسه ولا نجأوزه إلى غيره لمجازه في العربية (٣).

وقال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : ليس في الموجودات ما يسمى أحداً في الإثبات مفرداً غير مضاف إلا الله تعالى، بخلاف النقي وما في معناه: كالشروط والاستفهام، فإنه يقال: هل عندك

(١) نزهة الأعين النواظر (١١٥-١١٦).

(٢) النهاية (٥/١٥٩).

(٣) لسان العرب «وحد» (٤٧٨١-٤٧٨٢) ط. دار المعارف، والنهاية لابن الأثير ٥/١٩٥.

أحد، وإن جاءني أحد من جهتك أكرمته»<sup>(١)</sup> وذلك أنه سبحانه هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله<sup>(٢)</sup>.

#### الفرق بين الواحد والأحد:

قال أبو منصور الأزهري وغيره: الفرق بينهما أن الأحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد تقول ما جاءني أحد، والواحد اسم بني لمفتح العدد تقول: جاءني واحد من الناس، ولا تقول جاءني أحد، فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير، والأحد منفرد بالمعنى؛ وقيل: الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله ﷻ<sup>(٣)</sup>، وأما اسم الله ﷻ «أحد» فإنه لا يوصف شيء بالأحدية غيره لا يقال رجل أحد، ولا درهم أحد كما يقال رجل واحد أي فرد، لأن أحدا صفة من صفات الرب ﷻ التي استخلصها لنفسه ولا يشركه فيها شيء، وليس ذلك كقولك: الله واحد، وهذا شيء واحد<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو هلال العسكري: الفرق بين واحد وأحد أن معنى الواحد أنه لا ثاني له فلذلك لا يقال في التثنية واحدان، كما يقال رجل ورجلان ولكن قالوا: اثنان حين أرادوا أن كل واحد منهما ثان للآخر<sup>(٥)</sup>.

#### وقال النيسابوري: الفرق بين الواحد والأحد من ثلاثة أوجه:

الأول: أن الواحد يدخل في الأحد والأحد لا يدخل فيه.

الثاني: أنك إذا قلت فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقال: لكنه يقاومه اثنان، وليس كذلك الأحد.

والثالث: أن الواحد يستعمل في الإثبات والأحد يستعمل في النفي فيفيد العموم<sup>(٦)</sup>. ولعل وجه تخصيص الله بالأحد هو هذا المعنى<sup>(٧)</sup>.

(١) الفتاوى ١٧ / ٢٣٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٦٠٩.

(٣) لسان العرب «وحد» (٤٧٨٢) ط. دار المعارف.

(٤) لسان العرب «وحد» (٤٧٨١) ط. دار المعارف.

(٥) الفروق لأبي هلال (١٣٤).

(٦) وقد يستعمل الأحد في الإثبات أيضا كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦].

(٧) غرائب القرآن و رغائب الفرقان (بهامش الطبري) مجلد (١٢ جزء ٣ ص ٢٠٤).

## التوحيد اصطلاحاً:

قال الجرجاني: التوحيد ثلاثة أشياء معرفة الله بالرّبوبيّة، والإقرار بالوحدانيّة، ونفي الأنداد عنه جملة<sup>(١)</sup>.

وقال ابن منظور: التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد: ذو الوحدانيّة والتّوحد<sup>(٢)</sup>.

وقال صاحب البصائر: التوحيد الحقيقي الذي هو سبب النّجاة ومادّة السّعادة في الدّار الآخرة هو ما بينه الله تعالى وهدانا إليه في كتابه العزيز: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقال الإمام محمّد بن عبد الوهّاب: التوحيد:

هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرّسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده<sup>(٣)</sup>.

وقال الدّكتور ناصر العمر: التوحيد شرعاً:

إفراد الله بحقوقه، وهو لله ثلاثة حقوق: حقوق ملك، وحقوق عبادة، وحقوق أسماء وصفات<sup>(٤)</sup>.

## أنواع التوحيد:

قال الفيروز ابادي: التوحيد توحيديان:

الأول: توحيد الرّبوبيّة، وصاحب هذا التوحيد يشهد قيوميّة الرّبّ فوق عرشه يدبّر أمر عباده وحده فلا خالق ولا رازق ولا معطي ولا مانع ولا مميت ولا محيي ولا مدبّر لأمر المملكة (والملكوت) ظاهراً وباطناً غيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا تتحرّك ذرّة إلا بإذنه، ولا يجري حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة في السّموت ولا في الأرض.. إلا وقد أحصاها علمه وأحاطت بها قدرته، ونفذت فيها مشيئته واقتضتها حكمته.

(١) التعريفات (٧٣).

(٢) لسان العرب «وحد».

(٣) مجموعة التوحيد، الرسالة الثالثة، (٧٠).

(٤) التوحيد أولاً (١٥).

والآخر: توحيد الألوهية ويعني أن يجمع الموحد همه وقلبه وعزمه وإرادته وحركاته على أداء حقه والقيام بعبوديته<sup>(١)</sup>.

وقال شارح كتاب التوحيد: التوحيد نوعان:

توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد في الطلب والقصد وهو توحيد الألوهية والعبادة<sup>(٢)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: التوحيد ثلاثة أنواع:

١- أما توحيد الربوبية: فهو الذي أقر به الكفار على زمن الرسول ﷺ ولم يدخلهم في الإسلام، وقاتلهم الرسول ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم، وهو توحيد بفعله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ ﴿٣١﴾ [يونس: ٣١] وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُصِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

٢- توحيد الألوهية: وهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد كاللذات، والتذرع، والنحر، والرّجاء، والخوف، والتوكّل، والرّغبة، والرّهبة، والإنابة.

٣- توحيد الذات والأسماء والصفات: قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] وقال عزّ من قائل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين أن التوحيد ينقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة، ثم عرفها قائلاً: توحيد الربوبية: وهو إفراد الله ﷻ بالخلق والملك والتدبير، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا الله، ولا مدبر إلا الله. إذ هو سبحانه المتفرد بالخلق، والمتفرد بالملك، والمتفرد بالتدبير...

(١) بصائر ذوي التمييز (٥/ ١٧٢).

(٢) فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل شيخ (١٥).

(٣) مجموعة التوحيد لابن تيمية (٧، ٨).

وما يوجد من المخلوق من صنع الأشياء أو الملك أو التدبير فكّله ناقص، وهم غير مستقلين به، بل ذلك من خلق الله ﷻ (أجراه على أيديهم) أمّا المنفرد بذلك على وجه الاستقلال فهو الله ﷻ.

أمّا توحيد الألوهية فهو مستمدّ من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] أي (إفراد المولى ﷻ بالعبادة). والعبادة مبنية على شيئين: المحبة، والتعظيم. ففي المحبة يكون الرجاء، وفعل الأوامر طلبا للوصول إلى محبة الله ﷻ وثوابه. والتعظيم: به يترك الإنسان المناهي التي نهى الله عنها ويخاف من عقابه، وللعبادة - أيضا - شرطان، أولهما: الإخلاص لله. وثانيهما: المتابعة لرسول الله ﷺ.

وأمّا توحيد الأسماء والصفات فيعني إفراد المولى ﷻ بأسمائه وصفاته وذلك بإثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه، ونفي ما نفاه عن نفسه، والسكوت عمّا سكت عنه الله ورسوله، أو أثباته إثباتا بلا تمثيل، ونفيا بلا تعطيل<sup>(١)</sup>.

#### أسس توحيد الأسماء والصفات:

يقوم توحيد الأسماء والصفات على ثلاثة أسس، من حاد عنها لم يكن موحدًا لربه في الأسماء والصفات:

الأساس الأول: تنزيه الله عن مشابته الخلق، وعن أيّ نقص.

الأساس الثاني: الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة، دون تجاوزها بالنقص منها أو الزيادة عليها أو تحريفها أو تعطيلها.

الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات<sup>(٢)</sup>.

#### أدلة هذا التوحيد:

أمّا الأسماء فقد دلّ عليها قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤].

(١) الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد (٨-١٧) بتصرف وإيجاز، وانظر أيضا فتاوي الشيخ العثيمين (٢/ ١١٢) وما بعدها.

(٢) التوحيد أولا (٣٢١) نقلا عن منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات / للشنقيطي (٣، ٥).

وأما الصفات فقد دلّ عليها إقراره ﷺ لقول الصحابي في الحديث الذي أخرجه البخاري: «إنها صفة الرحمن».

وهذا التوحيد لا يكفي في حصول الإسلام، بل لابدّ مع ذلك من الإتيان بلازمه من توحيد الربوبية والألوهية، ولم يكن الكفار ينكرون هذا النوع، إلا أنّ بعضهم قد ينكر بعضه، إمّا جهلاً، وإمّا عنادا<sup>(١)</sup>.

#### اشتمال الفاتحة على التوحيد بأنواعه المختلفة:

قال ابن قيم الجوزية: اشتملت سورة الفاتحة على أنواع التوحيد الثلاثة التي اتفقت عليها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وهو نوعان (إجمالاً) هما التوحيد العلمي المتعلّق بالأخبار والمعرفة.

والثاني: التوحيد القصدى الإرادى أي المتعلّق بالقصد والإرادة، وهذا الثاني نوعان: توحيد في الربوبية وتوحيد في الألوهية. (فتصبح الأنواع ثلاثة تفصيلاً).

فأمّا توحيد العلم: فمداره على إثبات صفات الكمال، وعلى نفي التشبيه والمثال، والتّزويه عن العيوب والنقائص، وقد دلّ على هذا شيئان: مجمل ومفصل.

أمّا المجمل فإثبات الحمد له سبحانه، وأمّا المفصل: فذكر صفة الإلهية والربوبية والرّحمة<sup>(٢)</sup> والملك، وعلى هذه الأربع مدار الأسماء والصفات، فأما تضمّن الحمد لذلك فإنّ الحمد يتضمّن مدح المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله، مع محبّته والرّضا عنه والخضوع له فلا يكون حامداً من جحد صفات المحمود ولا من أعرض عن محبّته والخضوع له... ومن المعلوم بالفطر والعقول السليمة والكتب السماوية أنّ فاقد صفات الكمال لا يكون إلهاً ولا مدبّراً، ولا ربّاً بل هو مذموم معيب ناقص ليس له حمد في الأولى ولا في الآخرة، وإنّما الحمد في الأولى والآخرة لمن له صفات الكمال، ونعوت الجلال التي لأجلها استحقّ الحمد. أمّا دلالة الأسماء الخمسة وهي: الله، الرّب، الرحمن، الرحيم، الملك فمبنية على أصلين:

الأصل الأوّل: أنّ أسماء الرّبّ تبارك وتعالى دالة على صفات كماله. فهي مشتقة من

(١) التوحيد أولاً (٢٢).

(٢) ذكر ابن القيم في الصفحة التالية أن الأسماء الدالة على ذلك خمسة هي: الله، الرب، الرحمن، الرحيم، الملك. ومن ثمّ تكون الصفات أربعاً والأسماء خمساً فليتأمل.

الصِّفَات فهي أسماء وهي أوصاف وبذلك كانت حسنى، إذ لو كانت ألفاظا لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال، ولشاع وقوع أسماء الانتقام والغضب في مقام الرحمة والإحسان... وأيضا لو لم تكن أسماؤه مشتملة على معان وصفات لم يسغ أن يخبر عنه بأفعالها، فلا يقال: يسمع ويرى ويعلم ويقدر ويريد، ذلك أن ثبوت أحكام الصِّفَات فرع ثبوتها لأنه إذا انتفى أصل الصِّفة استحال ثبوت حكمها، ونفي معاني أسماؤه بِحِكْم من أعظم الإلحاد فيها<sup>(١)</sup>.

أما الأصل الثاني: فهو أن الاسم من أسماؤه تبارك وتعالى كما يدل على الذات والصِّفة التي اشتق منها بالمطابقة فإنه يدل على دالتين أخريين بالتضمين واللزوم، فيدل على الصِّفة نفسها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصِّفة، فاسم السميع (مثلا) يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة وعلى الذات وحدها وعلى السمع وحده بالتضمن، ويتفاوت الناس في معرفة اللزوم وعدمه، ومن هنا يقع اختلافهم في كثير من الأسماء والصِّفات والأحكام، فإن من علم أن الفعل الاختياري لازم للحياة، وأن السمع والبصر لازم للحياة الكاملة، وأن سائر الكمال من لوازم الحياة الكاملة أثبت من صفات الرب وصفاته وأفعاله ما ينكره من لم يعرف لزوم ذلك، ولا عرف حقيقة الحياة ولوازمها وكذلك سائر صفاته كذلك<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم: إذا تقرّر هذان الأصلان فاسم الله دال على جميع الأسماء الحسنى والصِّفات العليا بالدلالات كلها، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم «الله» وهو دال على كونه مألوها معبودا تأله الخلائق محبة وتعظيما وخضوعا وفزعا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المتضمنين لكمال الملك والحمد، وإلهيته وربوبيته ورحمته وملكه مستلزمة لجميع صفات كماله، إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحيي، ولا سميع ولا بصير، ولا قادر ولا متكلم ولا فعال لما يريد، ولا حكيم في أفعاله وعلى ذلك:

فصفات الجلال والكمال أخصّ باسم «الله» وصفات الفعل والقدرة والتفرد بالضر والنفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة، وكمال القوة، وتدبير أمر الخليقة أخصّ باسم «الرب».

(١) ذكر الشيخ للإلحاد صورا أخرى عديدة، انظر (٣٨، ٣٩) من المدارج، وقارن بصفة الإلحاد.

(٢) ضرب ابن القيم لذلك أسئلة عديدة، من ذلك على سبيل المثال اسم العلي فإن من لوازم هذا الاسم العلو المطلق، بكل اعتبار، فله العلو المطلق من جميع الوجوه: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، ومن جحد علو الذات فقد جحد لوازم اسمه «العلي» مدارج السالكين (١ / ٤٠).

وصفات الإحسان والجود والبرّ والحنان والمنّة، والرّافة واللّطف أخصّ باسم «الرّحمن» الذي الرّحمة وصفه، والرّحيم الذي هو راحم لعباده.

وصفات العدل والقبض والبسط، والخفض والرّفيع، والعطاء والمنع، والإعزاز والإذلال، والقهر والحكم ونحوها أخصّ باسم «الملك»<sup>(١)</sup>.

### التوحيد أصل الدين:

قال ابن تيميّة: «والتّوحيد هو أصل الدّين الذي لا يقبل الله من الأوّلين والآخرين ديناً غيره، وبه أرسل الله الرّسل، وأنزل الكتب، كما قال الله: ﴿ وَسَأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]... وقد ذكر الله ﷻ عن كلّ من الرّسل أنّه افتتح دعوته بأن قال لقومه: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود: ٥٠، ٦١].

والمشركون - من قريش وغيرهم - الذين أخبر القرآن بشركهم واستحلّ النّبى ﷺ دماءهم وأموالهم، وسبى حريمهم وأوجب لهم النّار - كانوا مقرّين بأنّ الله وحده خلق السّموات والأرض كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [لقمان: ٢٥].

وكان المشركون الذين جعلوا مع الله آلهة أخرى مقرّين بأنّ آلهتهم مخلوقة، ولكنهم كانوا يتخذونهم شفعاء ويتقربون بعبادتهم إليه كما قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبَهُوا اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨]<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: الدّاخلون في الإسلام إذا لم يحقّقوا التّوحيد وآتباع الرّسول، بل دعوا الشّيوخ الغائبين واستغاثوا بهم، فلهم من الأحوال الشّيطانيّة نصيب بحسب ما فيهم ممّا يرضي الشّيطان. ومن هؤلاء قوم فيهم عبادة ودين مع نوع جهل.

(١) مدارج السالكين (١ / ٣٣ - ٤٣) باختصار وتصرف. وانظر أيضاً شرح العقيدة الطحاوية (٨٩) حيث ذكر تحت عنوان أنواع التوحيد التي دعت إليها الرّسل نوعين: هما توحيد في الإثبات والمعرفة، والآخر توحيد في الطلب والقصد (ص ٨٩ وما بعدها) وقد لخصّ كلام ابن القيم هنا.

(٢) قاعدة جليّة في التوسل والوسيلة، ابن تيميّة (١٦، ١٧) باختصار.

ودين الإسلام مبني على أصليين: على أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيء، وعلى أن يعبد الله بما شرعه على لسان نبيه ﷺ. وهذان هما حقيقة قولنا:

(أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله). فالإله هو الذي تأله القلوب عبادة واستعانة ومحبة وتعظيمًا وخوفا ورجاء وإجلالا وإكراما. والله ﷻ له حق لا يشركه فيه غيره، فلا يعبد إلا الله، ولا يدعى إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يطاع إلا الله<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: وقوله أي محمد بن عبد الوهاب - «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا» أي: يوحّدوه بالعبادة، فلا بدّ من التّجرد من الشّرك في العبادة، ومن لم يتجرّد من الشّرك في هذه العبادة لم يكن آتيا بعبادة الله وحده، بل هو مشرك قد جعل الله ندا.. وفيه أيضا: أنّ العبادة هي التّوحيد؛ لأنّ الخصومة فيه. وفي بعض الآثار الإلهية: (إني والجنّ والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، أرزق ويشكر سواي، خيرني إلى عبادي نازل، وشرهم إليّ صاعد، أتحبب إليهم بالنعم، ويتبعضون إليّ بالمعاصي ... )<sup>(٢)</sup>.

معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله):

قال شارح العقيدة الطحاوية: «هذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلّهم، وإثبات التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي والإثبات المقتضي للحصر، فإنّ الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال.

ولهذا- والله أعلم- لما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، قال بعده: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]. فإنّه قد يخطر ببال أحد خاطر شيطانيّ: هب أنّ إلهنا واحد، فلغيرنا إله غيره، فقال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

وقد اعترض صاحب «المنتخب» على النحويين في تقدير الخبر في «لا إله إلا هو» فقالوا: تقديره: لا إله في الوجود إلا الله، فقال: يكون ذلك نفيا لوجود الإله. ومعلوم أنّ نفي الماهية أقوى في التوحيد الصّرف من نفي الوجود، فكان إجراء الكلام على ظاهره والإعراض عن هذا الإضمار أولى. وقد أجاب أبو عبد الله المرسيّ في «ريّ الظّمان» فقال: هذا كلام من لا يعرف لسان العرب،

(١) المرجع السابق (١٧٩، ١٨٠) بإيجاز.

(٢) فتح المجيد- شرح كتاب التوحيد (٢٨).

فإن (إله) في موضع المبتدأ على قول سيبويه، وعند غيره اسم (لا)، وعلى التقديرين فلا بد من خبر المبتدأ، وإلا فما قاله من الاستغناء عن الإضمار فاسد<sup>(١)</sup>.

وقد علق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز على ذلك فقال: ما قاله صاحب المنتخب ليس بجيد، وهكذا ما قاله النحاة وأيده الشيخ أبو عبد الله المرسي من تقدير الخبر بكلمة (في الوجود) ليس بصحيح؛ لأن الآلهة المعبودة من دون الله كثيرة وموجودة، وتقدير الخبر بلفظ «في الوجود لا يحصل به المقصود من بيان أحقية الوهية الله سبحانه، وبطلان ما سواها»؛ لأن لقاتل أن يقول: كيف تقولون: «لا إله في الوجود إلا الله»؟ وقد أخبر الله سبحانه عن وجود آلهة كثيرة للمشركين، كما في قوله سبحانه: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [هود: ١٠١]، وقوله سبحانه: ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾ [الأحقاف: ٢٨] الآية.

فلا سبيل إلى التخلص من هذا الاعتراض وبيان عظمة هذه الكلمة وأنها كلمة التوحيد المبطله لآلهة المشركين وعبادتهم من دون الله، إلا بتقدير الخبر بغير ما ذكره النحاة، وهو كلمة «حق»؛ لأنها هي التي توّضح بطلان جميع الآلهة وتبين أن الإله الحق والمعبود بالحق هو الله وحده، كما نبّه على ذلك جمع من أهل العلم منهم أبو العباس ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم وآخرون - رحمهم الله -.

ومن أدلة ذلك قوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ﴾ [لقمان: ٣٠] فأوضح سبحانه في هذه الآية أنه هو الحق، وأن ما دعاه الناس من دونه هو الباطل، فشمّل ذلك جميع الآلهة المعبودة من دون الله من البشر والملائكة والجنّ وسائر المخلوقات، واتّضح بذلك أنه المعبود بالحق وحده، ولهذا أنكر المشركون هذه الكلمة وامتنعوا من الإقرار بها لعلمهم بأنها تبطل آلهتهم؛ لأنهم فهموا أن المراد بها نفي الألوهية بحق عن غير الله - سبحانه -، ولهذا قالوا جواباً لنبينا محمد ﷺ لما قال لهم: «قولوا لا إله إلا الله» أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب، وقالوا أيضاً: ﴿أَبْنَا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصفات: ٣٦] وما في معنى ذلك من الآيات. وبهذا التقدير يزول جميع الإشكال ويتّضح الحق المطلوب<sup>(٢)</sup>.

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١٠٩ - ١١١).

(٢) تعليق الشيخ عبدة العزيز بن باز في هامش (ص ١٠٩ - ١١٠) شرح العقيدة الطحاوية.

وقال الشيخ عبد الله بن جبرين: معنى لا إله إلا الله، هو عبادة الله وترك عبادة ما سواه، وهو الكفر بالطّاغوت والإيمان بالله، فتضمّنت هذه الكلمة العظيمة أنّ ما سوى الله ليس بإله، وأنّ إلهية ما سواه من أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحقّ العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، فتضمّنت نفي الإلهية عمّا سواه، وإثباتها له وحده لا شريك له، وذلك يستلزم الأمر باتّخاذها إلهًا وحده، والنهي عن اتّخاذ غيره معه إلهًا، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات... وقد دخل في الإلهية جميع أنواع العبادة الصّادرة عن تأله القلب لله بالحبّ والخضوع، والانقياد له وحده لا شريك له، فيجب إفراد الله تعالى بها كالّدعاء والخوف والمحبة، والتوكّل والإنابة والتوبة والذّبح والنذر والسجود، وجميع أنواع العبادة، فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئًا ممّا لا يصلح إلاّ من العبادات لغير الله فهو مشرك ولو نطق بـ «لا إله إلاّ الله، إذ لم يعمل بما تقتضيه من التّوحيد والإخلاص».

#### شروط كلمة التوحيد:

لشهادة أن لا إله إلاّ الله شروط يجب على كلّ مسلم أن يحقّقها وهي:

- ١- العلم: ودليله قول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. وقوله ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلاّ الله دخل الجنّة» والمراد: العلم الحقيقيّ بمدلول الشهادتين، وما تستلزمه كلّ منهما من العمل.
- ٢- اليقين: وضده الشكّ والتّوقّف، أو مجرد الظنّ والرّيب، والمعنى: أن من أتى بالشهادتين فلا بدّ أن يوقن بقلبه ويعتقد صحّة ما يقوله من أحقيّة إلهية الله تعالى وصحّة نبوة محمّد ﷺ وبطلان ما عدا ذلك.
- ٣- القبول المنافي للردّ: ذلك أنّ هناك من يعلم معنى الشهادتين ويوقن بمدلولهما، ولكنه يردهما كبرا وحسدا، وهذه حالة علماء اليهود والنصارى، فقد شهدوا بإلهية الله وحده، وعرفوا محمداً ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك لم يقبلوه، قال تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]... وهكذا كان المشركون يعرفون معنى «لا إله إلاّ الله» ولكنهم يستكبرون عن قبوله، ومصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

٤- الانقياد: والفرق بينه وبين القبول: أن الانقياد هو الاتباع بالأفعال، والقبول: إظهار صحة معنى ذلك بالقول. والانقياد: هو الاستسلام والإذعان، وعدم التعقب بشيء من أحكام الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].

٥- الصدق: ودليله قول المصطفى ﷺ: «من قال لا إله إلا الله صادقا من قلبه دخل الجنة»<sup>(١)</sup>. فأما من قالها بلسانه وأنكر مدلولها بقلبه فإنها لا تنجيه، وذلك حال المنافقين.

٦- الإخلاص: ودليله قوله سبحانه: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]. وقوله ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه».

٧- المحبة لله ورسوله: وكل ما يحبه الله ورسوله من الأعمال والأقوال وكذلك محبة أوليائه وأهل طاعته. سئل ذو النون المصري رحمه الله: متى أحبّ ربّي؟ فقال: إذا كان ما يبغضه أمرّ عندك من الصبر.

٨- الكفر بما يعبد من دون الله: وأخذ هذا الشرط من قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه»<sup>(٢)</sup>... الحديث»<sup>(٣)</sup>.

منزلة التوحيد ومكانته:

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي: «اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله ﷻ. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]. وقال هود عليه السلام: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. ولهذا كان أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم. بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه، بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بلغ أو ميّز عند من يرى ذلك. ولم

(١) الشهادتان.. معناها وما تستلزمه كل منهما (٢٢، ٢٣).

(٢) انظر في الشروط السبعة الأولى كتاب: الشهادتان (١٠٦-١١٣)، وكتاب مختصر شرح أركان الإسلام (٢١-١٢٦). وقد افرد الأخير بالشرط الثامن.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٧٧، ٧٨).

يوجب أحد منهم على وليه أن يخاطبه حينئذ بتجديد الشهادتين وإن كان الإقرار بالشهادتين واجبا باتفاق المسلمين، ووجوبه يسبق وجوب الصلاة، لكن هو أدنى هذا الواجب قبل ذلك... فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» وهو أول واجب، وآخر واجب. فالتوحيد أول الأمر وآخره، أعني توحيد الألوهية...»<sup>(١)</sup>.

#### شفاعة المصطفى ﷺ خاصة بالموحدين:

قال الإمام ابن تيمية: لا ينتفع بشفاعة النبي ﷺ إلا أهل التوحيد المؤمنون دون أهل الشرك، ولو كان المشرك محباً له ومعظماً إياه لم تنقذه شفاعته من النار، وإنما ينجيه من النار التوحيد والإيمان به ﷺ، ولهذا فإن أبا طالب وغيره ممن يحبونه ولم يقرّوا بالتوحيد الذي جاء به لم يكن ليخرج من النار بشفاعته ولا بغيرها. ودليل ذلك قوله ﷺ جواباً عما سألته: أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة، قال عليه الصلاة والسلام: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه، وقد اختار المصطفى عليه الصلاة والسلام الشفاعة وجعلها خاصة بمن مات لا يشرك بالله شيئاً.

[للاستزادة: انظر صفات: الإيمان- الإحسان الإسلام- التهليل- العبادة- الكلم الطيب- التكبير- العلم- الحكم بما أنزل الله- الطاعة- معرفة الله ﷻ.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الشرك- الإلحاد- الكفر- النفاق- الزندقة- الحكم بغير ما أنزل الله- الضلال-].

\*\*\*

#### من فوائد (التوحيد)

- (١) التوحيد أعظم أسباب انشراح الصدر لأنه أعظم درجات التأدب مع الله ﷻ.
- (٢) من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.
- (٣) يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة من خردل، وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.

(١) باختصار وتصرف عن مجموع الفتاوى (١٥٣، ١٥٤).

- (٤) به تغفر الذنوب وتكفر السيئات.
- (٥) هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة.
- (٦) يجترز به من الشيطان.
- (٧) يدفع شر الحاسد.
- (٨) الموحدون يشفع لهم الرسول ﷺ.
- (٩) الموحدون يشفعون بإذن الله لذويهم يوم القيامة مما يدل على عظيم مكانتهم عند الله.
- (١٠) يحصل لصاحبه الهدى والكمال والأمن التام في الدنيا والآخرة.
- (١١) السبب الأساسي لنيل رضا الله وثوابه.
- (١٢) أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد.
- (١٣) أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات، ويسلّيه عن المصيبات.
- (١٤) بالتوحيد يحرم مال الموحد ودمه.
- (١٥) إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان.
- (١٦) أنه يخفف عن العبد المكاره، ويهون عليه الالام.
- (١٧) يحرر العبد من رقّ المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العزّ الحقيقي والشرف العالي.
- (١٨) إذا تحقّق تحقّقًا كاملاً تضاعف به الأعمال.
- (١٩) تكفل الله لأهله بالفتح والنصر في الدنيا والعزّ والشرف وحصول الهداية والتيسير ليسر وإصلاح الأحوال.
- (٢٠) يدفع الله تعالى عن الموحد شرور الدنيا والآخرة، ويمنّ عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة بذكره.
- (٢١) التوحيد الخالص يدفع الرياء والغلّ وغيرهما من كبائر الباطن.
- (٢٢) الصلاة والصدقة من الأبناء لا تنفع سوى الموحدين<sup>(١)</sup>.

(١) اقتبسنا بعض هذه الفوائد عن ابن القيم في بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٥)، وزاد المعاد (٢/ ٢٣-٢٨) وانظر أيضا ناصر العمر في «التوحيد أولا» (٨٠-٨٢).

## التودد

## التودد لغة:

مصدر تودّد إلى فلان، وهو مأخوذ من مادة (ودد) التي تدلّ على المحبة يقال وددته أحببته ووددت أن ذلك كان: إذا تمنّيته، والمصدر في باب المحبة الودّ وفي باب التمنيّ الودادة، وقال الراغب: الودّ محبة الشيء وتمنيّ كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين أي المحبة والتمنيّ، على أن التمنيّ يتضمّن معنى الودّ، لأن التمنيّ هو تشهّي حصول ما نوّده، وقوله ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] وقوله - عزّ من قائل - ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] إشارة إلى ما أوقع بينهم من الألفة المذكورة في قوله: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِرَبِّكَ قُلُوبَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣]، وفي المودة التي تقتضي المحبة المجردة جاء قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣].

وقال ابن منظور: الودُّ الحبُّ يكون في جميع مداخل الخير. ودّ الشيء ودًّا وودًّا وودًّا وودادًا وودادًا وودادًا ووددةً وموددةً: أحبه. ووددت الشيء أودّه، وهو من الأمانة قال الفراء: هذا أفضل الكلام، يقال: ودك ووديدك. كما تقول حبك وحبيبك، والودّ الوديد، والجمع أودّ مثل قده وأقدح وذئب وأذؤب، وهما يتوادان وهم أوداء. ووددت الرجل أوده ودًا إذا أحببته، وتودّد إليه: تحبّب، وتودّده: اجتلب وده، عن ابن الأعرابي، أنشد:

أقول: تودّدتني إذا ما لقيتني برفق، ومعروف من القول ناصع<sup>(١)</sup>

وقال ابن الأثير: الودود في أسماء الله تعالى، فعول بمعنى مفعول، من الودّ والمحبة. يقال: وددت الرجل إذا أحببته، فالله تعالى ودود أي محبوب في قلوب أوليائه، قال: أو هو فعول بمعنى فاعل أي يحبّ عباده الصالحين بمعنى يرضى عنهم<sup>(٢)</sup>.

## واصطلاحاً:

هو التّواصل الجالب للمحبة، أو هو التّواصل على المحبة<sup>(٣)</sup>، وقال الجرجاني: التّودّد هو طلب مودة الأكفاء بما يوجب ذلك.

(١) لسان العرب (٣/ ٤٥٣ - ٤٥٥). ومقاييس اللغة (٦/ ٧٥).

(٢) النهاية (٥/ ١٦٥).

(٣) فتح الباري - ابن حجر (١٠/ ٤٥٤). ومفردات الراغب (ص ٥١٦). وكتاب التعريفات للجرجاني (ص ٧٥).

الوداد مرتبة من مراتب المحبة:

قال ابن القيم رحمته: الخامسة - من مراتب المحبة - الوداد: وهو صفو المحبة وخالصها ولبها<sup>(١)</sup>.

الودود من أسماء الله تعالى:

وفيه قولان:

أحدهما: أنه المودود. قال البخاري رحمته في صحيحه: الودود الحبيب.

والثاني: أنه الوادّ لعباده، أي المحبّ لهم.

وقرنه باسمه (الغفور): إعلاماً بأنه يغفر الذنب ويحبّ التائب منه، فحفظ التائب نيل المغفرة منه.

وعلى القول الأوّل (الودود) يكون في معنى سرّ الاقتران، أي اقتران (الودود بالغفور)، استدعاء مودة العباد له، ومحبتهم إياه باسم الغفور<sup>(٢)</sup>.

بين التواد والتعاطف والتراحم:

قال ابن أبي جمرة: الذي يظهر أنّ التّراحم والتّوادد والتّعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف، فأما التّراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر، وأما التّوادد فالمراد به التّواصل الجالب للمحبة كالتّزاور والتّهادي. وأما التّعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضاً كما يعطف الثوب عليه ليقويه<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإخاء - حسن الخلق - حسن العشرة - حسن المعاملة - الحنان - الرفق - العطف - الرأفة - الرحمة - المحبة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأذى - الإساءة - الإعراض - التحقير - سوء المعاملة - العنف - القسوة - الجهل].

\*\*\*

(١) تهذيب مدارج السالكين (٥٢٠).

(٢) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) فتح الباري - ابن حجر (١٠ / ٤٥٣ - ٤٥٤).

## من فوائد (التودد)

- (١) يزيد الألفة ويقوّي التضافر والتناصر. (٥) يزيل ما بين النفوس من الإحن والأحقاد.
- (٢) يقرب بين الناس وينشر الرأفة والرحمة (٦) إنّه مدعاة إلى حسن الثناء على الإنسان من بينهم. الله والناس.
- (٣) يترجم عن قوّة النفس المسلمة بتمسكها (٧) يسدّ الخلل في المجتمع الإسلامي ويقوّي بحبل الله المتين. العلاقات الاجتماعية فيه.
- (٤) ما تواصلت حبال المودة بين الناس إلا بسط الله عليهم رداء الرحمة والغفران.

## التوسط

## التوسط لغة:

مصدر تَوَسَّطَ الشَّيْءُ وهو مأخوذ من مادة (وس ط) التي تدلّ على العدل والنصف، وأعدل الشَّيْءُ أوسطه ووسطه، ويقال هو أوسطهم حسبا إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلا، ووسط الشَّيْءِ: ما بين طرفيه.

ويكون ساكنا، فتقول: وسط القوم، وحيثنذ فهو ظرف.

ويكون متحرّكا فتقول: جلست في وسط الدار، وذلك لأنّه اسم.

والضابط في ذلك أنّ كلّ موضع يصلح أن يكون فيه كلمة (بين) فهو ساكن، وإلا فهو متحرّك.

وقال ثعلب: إنّ كلّ ما كان مصمّتا يكون متحرّكا بالفتح، وما كان أجزاء مخلخلة يكون ساكنا (وسط). وقد يكون كلّ واحد مكان الآخر. وأوسط الشَّيْءِ أفضله وخياره كوسط المرعى خير من طرفيه وكوسط الدابة للركوب خير من طرفيها لتمكّن الراكب، وفي التنزيل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: عدلا أو خيارا.

وتقول: تَوَسَّطَ وسط الشَّيْءِ: أي صار بأوسطه، ويقال: وسطت القوم أوسطهم وسطا ووسطة أي تَوَسَّطْتَهُمْ.

وأما قولهم: فلان من أوسط قومه: أي من أشرفهم وأحسبهم.  
وكذلك الوسيط: الحسيب والحسن، ومنه سميت الصلاة الوسطى، لأنها أفضل الصلوات وأعظمها أجراً، ولذلك خصت بالمحافظة عليها، وقيل لأنها وسط بين صلاتي الليل وصلاتي النهار.  
وقال الراغب: وسط الشيء ماله طرفان متساويا القدر، ويقال ذلك في الكمية المتصلة بالجسم الواحد إذا قلت وسطه صلب وضربت وسط رأسه بفتح السين، ويقال بسكون السين في الكمية المنفصلة، كشيء يفصل بين جسمين نحو وسط القوم، والوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان، يقال هذا أوسطهم حسبا إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلاً. وكالجود الذي هو بين البخل والسرف... وتارة يقال فيما له طرف محمود وآخر مذموم كالخير والشر أو الجودة والرداءة، تقول من هذا المعنى: شيء وسط: أي بين الجيد والرديء، ويقال: فلان وسط في قومه، إذا كان أوسطهم نسبا وأرفعهم مجداً. وفي صفة نبينا ﷺ، أنه كان من أوسط قومه: أي خيارهم. فوسط الوادي: خير مكان فيه، وكذلك كان نبينا ﷺ من خير مكان في نسب العرب، وأمتة أيضاً كذلك جعلت وسطاً أي خياراً<sup>(١)</sup>.

#### والتوسط اصطلاحاً:

أن يتحرى المسلم الاعتدال ويتعد عن التطرف قولاً وفعلاً بحيث لا يقصر ولا يغالي، وقال الراغب: التوسط: القصد المصون عن الإفراط والتفريط<sup>(٢)</sup>.

#### خير الأمور الوسط:

قال ابن الأثير - رحمه الله تعالى - في بيان أفضلية التوسط: كل خصلة محمودة لها طرفان مذمومان: فالسخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم، وتجنبه يكون بالتعري منه، والبعد عنه، فكلما ازداد منه بعداً ازداد إلى الوسط تقرباً؛ ولذلك فإن أبعد الجهات والمقادير والمعاني من كل طرفين وسطها، فإذا كان في الوسط، فقد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان<sup>(٣)</sup>.

(١) لسان العرب لابن منظور (٨ / ٤٨٣١ - ٤٨٣٤) بتصرف، والصحاح للجوهري (٣ / ١١٦٧ - ١١٦٨)، ومقاييس اللغة - لابن فارس (٦ / ١٠٨)، ومفردات الراغب (٥٢٢).

(٢) استنبطنا التعريف الأول من كتب التفسير والثاني من مفردات الراغب (ص ٥٣٣).

(٣) النهاية (٥ / ١٨٤). ولسان العرب (٨ / ٤٨٣٣).

## التوسط خصيصة لأهل الملة ولأهل السنة:

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : أهل السنة والجماعة: «الفرقة الناجية» وسط في النحل كما أنّ ملة الإسلام وسط في الملل، فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين، لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى، ولم يجفوا عنهم كما جفت اليهود. وهم وسط في شرائع دين الله، فلم يحرّموا على الله أن ينسخ ما شاء ويمحو ما شاء ويثبت ما شاء، كما قالت اليهود. ولا جوزوا لأكابر علمائهم وعبادهم أن يغيروا دين الله فيأمرّوا بما شاءوا وينهوا عمّا شاءوا كما يفعله النصارى. وهم كذلك وسط في باب صفات الله تعالى: فإنّ اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة، والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصّة به، هذا في باب يطول حصره. وأمّا أهل السنة والجماعة في الفرق فهم وسط كذلك، فهم في باب أسماء الله وصفاته وسط بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه، حتّى يشبّهوه بالعدم والموات، وبين أهل (التمثيل والتشبيه) الذين يضربون له الأمثال ويشبّهونه بالمخلوقات. وأمّا هم: فيؤمنون بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وأما في باب الخلق والأمر، فهم وسط بين المكذّبين بقدره الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيتته الشاملة وخلقه لكلّ شيء، وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطّلون الأمر والنهي والثواب والعقاب، فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وأما أهل السنة والجماعة فوسطيتهم في إيمانهم بأنّ الله على كلّ شيء قدير، فيقدر أن يهدي العباد، ويقلب قلوبهم، وأنّه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن إنفاذ أمره وأنّه خالق كلّ شيء من الأعيان والصفات والحركات، كما يؤمنون في الوقت نفسه أنّ العبد له قدرة ومشية وعمل وأنّه مختار، ولا يسمّونه مجبوراً (أي فيما كلّف به) إذ إنّ المجبور من أكره على خلاف اختياره، والله ﷻ جعل العبد مختاراً لما يفعله فهو مختار مريد، والله خالقه وخالق اختياره.

وهم في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلّدين في النار ويخرجونهم من الإيمان بالكليّة، ويكذّبون بشفاعة النبي ﷺ وبين المرجئة الذين يقولون: إيمان الفسّاق مثل إيمان الأنبياء، والأعمال الصالحة

ليست من الدين والإيمان، ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكليّة، فيؤمن أهل السنّة والجماعة بأنّ فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنّة وأنهم لا يخلّدون في النار، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان أو مثقال خردلة من إيمان. وهم في أصحاب رسول الله ﷺ وسط بين الغالية الذين يغالون في عليّ عليه السلام وأهل البيت، فيفضّلون عليّاً على أبي بكر وعمر، ويعتقدون أنّه الإمام المعصوم دونهما، وأنّ الصحابة ظلموا وفسقوا، وكفروا الأمة بعدهم كذلك، وربما جعلوه نبياً وإلهاً، وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان، ويستحلّون دماءهما ودماء من تولّاهما، ويستحبّون سبّ عليّ وعثمان ونحوهما، ويقدحون في خلافة عليّ عليه السلام وإمامته. ووسطيتهم في سائر أبواب السنّة راجع لتمسّكهم بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وما اتّفق عليه السّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان<sup>(١)</sup>.

أما ابن القيم - رحمه الله تعالى - فإنّه يحضّ على الأخذ بالوسط؛ لأنّ فيه النّجاة من الظلم، فقال: الوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتّفريط هو العدل وهو الذي عليه بناء مصالح الدّنيا والآخرة، بل حتّى مصلحة البدن لا تقوم إلّا به؛ لأنّه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه أو نقص عنه ذهب من صحّته وقوّته بحسب ذلك، ومثل ذلك الأفعال الطّبيعيّة كالنّوم والسّهو والأكل والشّرب والحركة والرّياضة والخلوة والمخالطة وغير ذلك، إذا كانت وسطاً بين الطرفين المذمومين كانت عدلاً وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصاً وأثّمرت نقصاً<sup>(٢)</sup>.

### وسطية الشريعة:

قال الشّاطبيّ - رحمه الله تعالى - : الشّريعة جارية في التّكليف بمقتضاها على الطّريق الوسط الأعدل الأخذ من الطّرفين بقسط لا ميل فيه، الدّاخل تحت كسب العبد من غير مشقّة عليه ولا انحلال؛ بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلّفين غاية الاعتدال...، فإن كان التّشريع لأجل انحراف المكلّف، أو وجود مظنّة انحرافه عن الوسط إلى أحد الطّرفين، كان التّشريع رادّاً إلى الوسط الأعدل، لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر ليحصل الاعتدال فيه، وفعل الطّبيب الرّفيق يحمل المريض على ما فيه صلاحه بحسب حاله وعادته، وقوّه مرضه

(١) انتهى بتصرف من مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧٠ - ٣٧٥).

(٢) الفوائد (١٣٩).

وضعفه، حتى إذا استقلت صحته هياً له طريقاً في التدبير وسطاً لا ثقاً به في جميع أحواله، فهكذا تجد الشريعة أبداً في مواردها ومصادرها جارية على هذا الترتيب الوسط المعتدل، فإذا نظرت إلى كليات الشريعة فتأملتها وجدتها حاملة على التوسط، فإن رأيت ميلاً إلى جهة طرف من الأطراف فذلك لعلاج انحراف واقع أو متوقع في أحد الجانبين، فطرف التشديد - وعامة ما يكون في التخويف والترهيب والزجر - يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الانحلال في الدين، وطرف التخفيف - وعامة ما يكون في الترجية والترغيب والترخيص - يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد، فإذا لم يكن انحراف إلى هذا أو ذاك رأيت التوسط لائحاً، ومسلك الاعتدال واضحاً، وهو الأصل الذي يرجع إليه والمعقل الذي يلجأ إليه<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الجود - الشجاعة - العدل والمساواة - القسط - الإنصاف.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الغلو - الإسراف - التفريط والإفراط - العدوان].

\*\*\*

### من فوائد (التوسط)

- |   |   |
|---|---|
| (١) السلامة من الزيادة والنقصان.        | (٩) فيه أمان من الملل.  |
| (٢) الأمان من الفقر والحاجة.            | (١٠) فيه مخالفة لطريق الشيطان.  |
| (٣) حصول البركة والنماء.                | (١١) التوسط هو الاعتدال والقصد وفي ذلك الخير كله.                                 |
| (٤) دليل كمال العقل وتمام الرشد.        | (١٢) التوسط مدار الفضائل في كثير من الأمور، فالشجاعة مثلاً وسط بين الجبن والتهور. |
| (٥) ضمان النجاة حتى الممات.             |   |
| (٦) ضمان الاستمرار في الخير.            |   |
| (٧) هو صفة مميزة للأمة.                 |   |
| (٨) فيه تأس بالرسول ﷺ وبالأصحاب الكرام. |   |

(١) الموافقات (٢/ ١٦٣ - ١٦٨) بتصرف.

## التوسل

## التوسل لغة:

قال ابن فارس: الواو والسّين واللام أصل له معنيان متباينان جدًّا: الأوّل: الرّغبة والطلب يقال: وسل إذا رغب، والواصل الرّاعب إلى الله ﷻ وهو في قول لبيد:  
أرى النّاس لا يبدرون ما قدر أمرهم بلّى كلّ ذي دين إلى الله واسل  
ومن ذلك القياس الوسيلة. والآخر: السرقة<sup>(١)</sup>.  
والوسيلة: ما يتقرّب به إلى الغير والجمع الوسل والوسائل، والتّوسيل والتّوسل واحد،  
يقال: وسل فلان إلى ربّه وسيلة، وتوسّل إليه بوسيلة أي تقرّب إليه بعمل<sup>(٢)</sup>.  
وتقول: توسّل إليه بوسيلة إذا تقرّب إليه بعمل، كما تقول: توسّل إليه بكذا: أي تقرّب إليه  
بحرمة أصرة تعطفه عليه<sup>(٣)</sup>.

## واصطلاحاً:

قال الرّاعب: الوسيلة التّوصل إلى الشّيء برغبة، وهي أخصّ من الوسيلة لتضمّنها معنى  
الرّغبة، وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحريّ مكارم الشّريعة<sup>(٤)</sup>.  
قال الجرجاني: الوسيلة ما يتقرّب به إلى الغير، أو هو: كلّ سبب مشروع يوصل إلى المقصود<sup>(٥)</sup>.  
التوسل في الكتاب والسنة ولغة الصحابة والمحدثين:  
قال ابن تيمية: «لفظ الوسيلة فيه إجمال واشتباه يجب أن تعرف معانيه، ويعطى كلّ ذي حقّ  
حقّه، فيعرف ماورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه، وما كان يتكلّم به الصّحابة ويفعلونه ومعنى  
ذلك، ويعرف ما أحدثه المحدثون<sup>(٦)</sup> في هذا اللفظ ومعناه.

(١) مقاييس اللغة (٦/ ١١٠).

(٢) الصحاح (٥/ ١٨٤١).

(٣) لسان العرب (٨/ ٤٨٣٧ - ٤٨٣٨).

(٤) مفردات الرّاعب (٥٢٣، ٥٢٤).

(٥) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (ص ١٨ بتصرف).

(٦) أي المحدثين في عصر ابن تيمية.

فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه، وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يتغونها إليه: هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات.

والثاني: لفظ الوسيلة في الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ «سلوا الله لي الوسيلة»... وهذه الوسيلة أمرنا الله أن نسألها للرسول ﷺ.

وأما التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته. والتوسل في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به، والسؤال به كما يقسمون بغيره من الأنبياء والصالحين، ومن يعتقدون فيه الصلاح<sup>(١)</sup>.

### أنواع التوسل وأحكامه:

قال ابن تيمية: «لفظ التوسل يراد به ثلاثة معان. أحدها: التوسل بطاعة النبي ﷺ فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

والثاني: التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته. والثالث: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته، ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة، أو عن من ليس قوله حجة. وهذا هو الذي قاله أبو حنيفة وأصحابه إنه لا يجوز ونها عنه حيث قالوا: لا يسأل بمخلوق.

قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: «بمعاهد العز من عرشك». وقال أبو يوسف: بمعهد العز من عرشه هو الله فلا أكره هذا، وأكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام...

قال القدوري: المسألة بخلقه لا تجوز؛ لأنه لا حق للخلق على الخالق فلا تجوز وفاقا<sup>(٢)</sup>.

### التوسل بدعاء الصالح لا بذاته:

قال ابن تيمية: «وأما التوسل بدعائه وشفاعته فهو جائز بإجماع المسلمين، ومنه قول عمر

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٩٩-٢٠٢، ١/ ٣٥٦).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٠٢-٢٠٣).

ابن الخطّاب رحمته الله : «اللهم إنّنا كنّا إذا أجدبنا توّسّلنا إليك بنبيّنا فتسقيننا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا»، فإنّه توسّل بدعائه لا بذاته، ولهذا عدلوا عن التّوسّل به إلى التّوسّل بعمّه العباس ولو كان التّوسّل هو بذاته لكان هذا أولى من التّوسّل بالعباس»<sup>(١)</sup>.

«إنّ دعاء الملائكة والأنبياء بعد موتهم وفي مغيبهم وسؤالهم والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم في هذه الحال، ونصب تماثيلهم بمعنى طلب الشّفاة منهم هو من الدّين الذي لم يشرعه الله ولا ابتعث به رسولا ولا أنزل به كتابا وليس هو واجبا ولا مستحبّا باتّفاق المسلمين، ولا فعله أحد من الصّحابة والتّابعين لهم بإحسان، ولا أمر به إمام من أئمّة المسلمين، وإن كان ذلك ممّا يفعله كثير من النّاس ممّن له عبادة وزهد، ويذكرون فيه حكايات ومنامات فهذا كلّه من الشّيطان... فهذا كلّه ليس بمشروع، ولا واجب ولا مستحبّ باتّفاق أئمّة المسلمين، ومن تعبّد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة، وهو يعتقدّها واجبة أو مستحبة فهو ضالّ مبتدع بدعة سيّئة لا بدعة حسنة باتّفاق أئمّة الدّين؛ فإنّ الله لا يعبد إلّا بما هو واجب أو مستحبّ... وعلم أنّه لم يكن النّبيّ صلّى الله عليه وآله بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للنّاس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصّالحين ولا يستشفعوا بهم، لا بعد مماتهم ولا في مغيبهم فلا يقول أحد: يا ملائكة الله اشفّعوا لي عند الله، سلوا الله لنا أن ينصرنا أو يرزقنا أو يهدينا... ولا يكتب أحد ورقة ويعلّقها عند القبور، ولا يكتب أحد محضرا أنّه استجار بفلان ويذهب بالمحضر إلى من يعمل بذلك المحضر»<sup>(٢)</sup>.

### حكم الإقسام على الله بمخلوقاته:

قال ابن تيميّة: «قد تبين أنّ قول القائل: أسألك بكذا نوعان: فإنّ الباء قد تكون للقسم، وقد تكون للسّبب، فقد تكون قسما به على الله وقد تكون سؤالا بسببه.

فأمّا الأوّل: فالقسم بالمخلوقات لا يجوز على المخلوق فكيف على الخالق؟

وأما الثّاني: وهو السّؤال بالمعظم كالسّؤال بحقّ الأنبياء، فهذا فيه نزاع وقد تقدّم... ومن النّاس من يجوز ذلك فنقول: قول السّائل الله تعالى أسألك بحقّ فلان، وفلان من الملائكة والأنبياء والصّالحين وغيرهم، أو بجاه فلان أو بحرمة فلان يقتضي أنّ هؤلاء لهم عند الله جاه وهذا صحيح... ولكن ليس نفس مجرد قدرهم وجاههم ممّا يقتضي إجابة دعائه إذا سأل الله بهم

(١) المرجع السابق (١ / ٢٠١).

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ١٥٩ - ١٦١).

حتى يسأل الله بذلك، بل جاههم ينفعه أيضا إذا اتبعهم وأطاعهم فيما أمروا به عن الله أو تأسى بهم فيما سنّوه للمؤمنين، وينفعه أيضا إذا دعوا له وشفّعوا فيه، فأما إذا لم يكن منهم دعاء ولا شفاعاة ولا منه سبب يقتضي الإجابة لم يكن متشفّعا بجاههم ولم يكن سؤاله بجاههم نافعا له عند الله».

ويقول في موضع آخر: ومعلوم أنّ السؤال لله بهذه المخلوقات أو الإقسام عليه بها من أعظم البدع المنكرة في دين الإسلام، ومما يظهر قبحه للخاص والعام<sup>(١)</sup>.

وذلك مبنيّ عنده على ما يلي:

«اتفق العلماء على أنّه لا يجوز لأحد أن ينذر لغير الله لا لنبي ولا لغير نبي، وأنّ هذا النذر شرك لا يوفى به، وكذلك الحلف بالمخلوقات لا تنعقد به اليمين، ولا كفارة فيه حتى لو حلف بالنبي ﷺ لم تنعقد يمينه ولم يجب عليه كفارة عند جمهور العلماء، فإذا لم يجز أن يحلف بها الرجل ولا يقسم بها على مخلوق، فكيف يقسم بها على الخالق جلّ جلاله؟»<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الضراعة والتضرع تلاوة القرآن- الشفاعاة- الدعاء- الاستغاثة- الاستغفار- الابتغال.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض- اتباع الهوى- الإصرار على الذنب- الغفلة- القنوط اليأس].

\*\*\*

### من فوائد (التوسل)

- (١) دليل قوة إيمان الإنسان وحسن ظنه برّبه. (٣) دليل خضوع الإنسان وتذلل له لربّه الرّحمن.
- (٢) من أعظم أسبابه العمل الصالح من (٤) قرب استجابة الله ﷻ لعباده وتفريجه الشخص المتوسّل نفسه. كرباتهم.

## التوكل

### التوكل لغة:

التوكل مصدر توكل يتوكل وهو مأخوذ من مادة (وكل) التي تدلّ على اعتماد على الغير في

(١) المرجع السابق (١/ ٢١٣، ٢٩٠).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٨٦).

أمر ما، ومن ذلك التوكّل وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك، وواكل فلان إذا ضيّع أمره متكلاً على غيره والوكال في الدابة: أن يسير بسير الآخر. وقال الراغب: التوكيل أن تعتمد على غيرك وتجعله نائباً عنك، وتواكل القوم إذا اتكل كل على الآخر، والاسم من التوكيل الوكالة (بالفتح والكسر). والاسم: التكلان، وتقول: اتكلت على فلان في أمري إذا اعتمدته، ويقال: فلان وكلة أو تكلة، أي عاجز يكل أمره إلى غيره، كما يقال: فرس واكل يعني يتكل على صاحبه في العدو، ويحتاج إلى الضرب.

والمتوكّل على الله: الذي علم أنّ الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده، ولا يتوكّل على غيره. قال ابن سيده: يقال وكل بالله وتوكّل عليه واتكل بمعنى استسلم إليه، ويقال توكّل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلانا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه، ووكل إليه الأمر سلّمه، ووكله إلى رأيه وكلا ووكولا: تركه<sup>(١)</sup>.

#### الوكيل من أسماء الله الحسنى:

قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى «الوكيل» وهو القيم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أنّه يستقلّ بأمر الموكول إليه<sup>(٢)</sup>.

وقال الغزالي: الوكيل هو الموكول إليه الأمور ولكنّ الموكول إليه ينقسم إلى من يوكل إليه بعض الأمور، وذلك ناقص، وإلى من يوكل إليه الكلّ، وليس ذلك إلاّ الله ﷻ. والموكول إليه ينقسم إلى من يستحقّ أن يكون موكولاً إليه، لا بذاته ولكن بالتفويض والتوكيل، وهذا ناقص، لأنّه فقير إلى التفويض والتولية؛ وإلى من يستحقّ بذاته أن تكون الأمور موكولة إليه والقلوب متوكّلة عليه، لا بتولية وتفويض من جهة غيره، وذلك هو الوكيل المطلق، والوكيل أيضاً ينقسم إلى من يفني بما وكلّ إليه وفاء تاماً من غير قصور، وإلى من لا يفني بالجميع. والوكيل المطلق هو الذي الأمور موكولة إليه، وهو مليّ بالقيام بها، وفيّ بإتمامها، وذلك هو الله تعالى فقط<sup>(٣)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٦/ ١٣٦) (مع تصرف يسير) والمفردات للراغب (ص ٥٣١)، الصحاح (٥/ ١٨٤٥) ولسان العرب (٨/ ٤٩٠٩).

(٢) النهاية (٥/ ٢٢١).

(٣) المقصد الأسنى ص ١٢٩.

وقد ورد لفظ «الوكيل» في القرآن الكريم مرّات عديدة<sup>(١)</sup> وذكر فيه المفسّرون أقوالاً منها: حفيظاً لكم<sup>(٢)</sup>، كفيلاً بأموركم، شريكاً (عن مجاهد) وقيل غير ذلك<sup>(٣)</sup>.

قال الشنقيطي في أضوائه: المعاني كلّها متقاربة، ومرجعها إلى شيء واحد هو أنّ الوكيل: من يتوكّل عليه، فتفوّض الأمور إليه، ليأتي بالخير ويدفع الشرّ.

وهذا لا يصحّ إلاّ لله وحده جلّ وعلا. ولهذا حدّر من اتّخاذ وكيل دونه لأنّه لا نافع ولا ضارّ ولا كافي إلاّ هو وحده جلّ وعلا، عليه توكلنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل<sup>(٤)</sup>.

من أسماء رسول الله ﷺ: المتوكّل. كما في الحديث: «... وسميتك المتوكّل» وإنّما قيل له ذلك ﷺ لقناعته باليسير والصبر على ما كان يكره<sup>(٥)</sup>.

### واصطلاحاً:

صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح ودفع المضارّ من أمور الدّنيا والآخرة، وكلة الأمور كلّها إليه، وتحقيق الإيمان بأنّه لا يعطي ولا يمنع ولا يضرّ ولا ينفع سواه<sup>(٦)</sup>.

وقال الجرجاني: التوكّل هو الثّقة بما عند الله واليأس عمّا في أيدي النّاس<sup>(٧)</sup>.

### الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكّل:

قال ابن قيم الجوزيّة: التوكّل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه. فمن أنكر الأسباب لم يستقم معه التوكّل.

ولكن من تمام التوكّل: عدم الرّكون إلى الأسباب.

وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها.

(١) انظر الشواهد القرآنية ١٠، ١١، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢١، ٢٤.

(٢) انظر تفسير الطبري مجلد ٨ جزء ١٥ ص ١٥.

(٣) انظر تفسير القرطبي (١٠ / ٢١٣).

(٤) أضواء البيان (٣ / ٣٦٧).

(٥) فتح الباري (٨ / ٤٥٠).

(٦) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٤٠٩).

(٧) التعريفات (٧٤).

فالأَسباب محلّ حكمة الله وأمره ونهيه.

والتَّوَكَّلُ متعلّق برَبوبيّته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبوديّة الأسباب إلّا على ساق التَّوَكَّلِ ولا يقوم ساق التَّوَكَّلِ إلّا على قدم العبوديّة<sup>(١)</sup>.

### بين التوكّل والاتّكال:

إنّ الأخذ بالأسباب مع تفويض أمر النّجاح لله تعالى والثّقة بأنّه عَلَيْكَ لا يضيع أجر من أحسن عملاً، هو من التَّوَكَّلِ المأمور به، أمّا القعود عن الأسباب وعدم السّعي فليس من التَّوَكَّلِ في شيء وإنّما هو اتّكال أو تواكل حدّثنا منه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونهى عن الأسباب المؤدّيّة إليه، مصداق ذلك ما جاء في حديث معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا معاذ، تدري ما حقّ الله على العباد وما حقّ العباد على الله؟» قال (معاذ): قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنّ حقّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقّ العباد على الله عَلَيْكَ ألاّ يعذب من لا يشرك به شيئاً» قال: قلت: يا رسول الله، أفلا أبشّر النّاس؟ قال: «لا تبشّروهم فيتكلّوا»<sup>(٢)</sup>، وهنا يضع الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاعدة جليّة، هي أنّ كلّ ما يؤدّي إلى ترك العمل أو ما يكون مظنّة للاتّكال أو التّواكل ليس من التَّوَكَّلِ في شيء، وقد جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما يؤكّد هذه الحقيقة، ففي الحوار الذي رواه أبو هريرة عن المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمر بن الخطّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذا الحوار - كما جاء في رواية مسلم: قال عمر: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي، أبعثت أبا هريرة بنعليك، من لقي يشهد ألاّ إله إلّا الله مستيقنا بها قلبه، بشّره بالجنّة؟ قال: «نعم»، قال (عمر): فلا تفعل، فإنّي أخشى أن يتكلّ النّاس عليها، فخلّهم يعملون». قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فخلّهم يعملون»<sup>(٣)</sup>. ويفهم من الحديث والذي قبله أنّ الاتّكال يعني ترك العمل وعدم الأخذ بالأسباب وأنّ ذلك ليس من التَّوَكَّلِ في شيء.

### بين التوكّل والتفويض:

بين التَّوَكَّلِ على الله وتفويض الأمر إليه علاقة العموم والخصوص إذ التّفويض أوسع من معنى التَّوَكَّلِ، والتَّوَكَّلِ أحصّ من التّفويض، قال صاحب المنازل: والتّفويض ألطف إشارة،

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٢٥).

(٢) مسلم (٣٠).

(٣) انظر الحديث بتمامه في صحيح مسلم ج ١ ص ٦٠، ٦١ ولم نذكره ضمن أحاديث الصفة لأنّه في الاتّكال (التواكل)، وشتان ما هما.

وأوسع معنى من التوكّل، والتوكّل يكون بعد وقوع السبب، أمّا التفويض فإنّه يكون قبل وقوع السبب وبعده، والتفويض هو عين الاستسلام، أمّا التوكّل فهو شعبة منه (١).

وقال ابن القيم: يعني بذلك من يفوض أمره إلى الله يتبرأ من الحول والقوة، ويفوض الأمر لصاحب الأمر من غير أن يقيم المفوض إليه مقام نفسه في مصالحه، بخلاف التوكّل، فإنّ الوكالة تقتضي أن يقوم الوكيل مقام الموكل.

وقال - رحمه الله تعالى - : لو قال قائل: التوكّل فوق التفويض، وأجلّ منه وأرفع لكان مصيباً، ولهذا كان القرآن الكريم مملوءاً به (أي بالتوكّل) أمراً وإخباراً عن خاصّة الله وأوليائه، وصفوة المؤمنين، وأمر الله به رسوله في مواضع عديدة من كتابه (٢)، وسمّاه المتوكّل (٣).

أمّا التفويض فلم يجيء في القرآن الكريم إلّا فيما حكاه المولى ﷺ عن مؤمن آل فرعون، وذلك قوله ﷺ: ﴿وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤]، ثمّ خلص إلى القول: إنّ اتّخاذ المولى ﷺ وكيلاً هو محض العبوديّة، وخالص التوحيد، إذا قام به صاحبه حقيقة، وهو بذلك أوسع من التفويض، وأعلى وأرفع (٤).

#### بين التوكّل والثقة بالله ﷺ:

نقل ابن القيم عن صاحب المنازل قوله: الثقة:

سواد عين التوكّل، ونقطة دائرة التفويض. وذكر من أمثلة ذلك ما جاء في القرآن الكريم عن أمّ موسى ﴿فَإِذَا خِفتِ عَلَيْهِ فَكَلِمَتِهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ [القصص: ٧] قال: فإنّ فعلها هذا هو عين ثقّتها بالله تعالى، إذ لولا كمال ثقّتها برّبّها لما ألقت بولدها في تيّار الماء، قال ابن القيم: والمراد أنّ الثقة خلاصة التوكّل ولبّه، كما أنّ سواد العين أشرف ما فيها، أمّا العلاقة بين الثقة والتفويض فتتلخّص في أنّ الثقة هي التي يدور عليها التفويض، قال: وكثير من الناس يفسّر التوكّل

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٤٣.

(٢) انظر الآيات الواردة في التوكّل أرقام ١، ٢، ٤، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٤، وقد ذكر ابن القيم أنّ الأمر بالتوكّل للرسول ﷺ قد جاء في أربعة مواضع، ولكنها في الحقيقة تسعة مواضع، وربما كانت هذه الأربعة هي التي حضرت الشيخ ولم يرد الاستقصاء.

(٣) انظر الحديث رقم (٣).

(٤) مدارج السالكين ٢/ ١٤٥.

بالثقة<sup>(١)</sup>. ومنهم من يفسره بالتفويض، ومنهم من يفسره بالتسليم ومقام التوكّل يشمل ذلك كله». قلت: ومما يدلّ على صحّة ما قال ابن القيم من شمول معنى التوكّل لكلّ من التفويض والثقة ما ذكره الإمام الغزاليّ في تعريف التوكّل حيث قال: التوكّل مشتقّ من الوكالة، يقال: وكل أمره إلى فلان: أي فوضه إليه واعتمد عليه فيه، ويسمّى المفوض إليه: متكلًا عليه ومتوكّلًا عليه متى اطمأنت إليه نفسه ووثق به، ولم يتهمه فيه بتقصير، ولم يعتقد فيه عجزًا أو قصورًا، وهو (التوكّل) عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده<sup>(٢)</sup>.

### مواطن التوكّل:

إنّ التوكّل على الله ﷻ مطلوب في كلّ شؤون الحياة، بيد أنّ هناك مواطن كثيرة ورد فيها الحضّ على التوكّل والأمر به للمصطفى ﷺ والمؤمنين، وقد ذكر الفيروز آبادي من ذلك:

١- إن طلبتم النصر والفرج فتوكّلوا عليه: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

٢- إذا عرضت عن أعدائك فليكن رفيقك التوكّل: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

٣- إذا عرض عنك الخلق فاعتمد على التوكّل: ﴿إِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [التوبة: ١٢٩].

٤- إذا تلي القرآن عليك أو تلوته فاستند على التوكّل: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

٥- إذا طلبت الصلح والإصلاح بين قوم لا تتوسّل إلى ذلك إلّا بالتوكّل: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

٦- إذا وصلت قوافل القضاء فاستقبلها بالتوكّل: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

(١) انظر مثلاً تعريف الجرجاني للتوكّل الذي ذكرناه آنفاً ص ١٤٩، ١٥٠.

(٢) إحياء علوم الدين ٢/ ٢٥٩.

- ٧- إذا نصبت الأعداء حبالا المكر فادخل أنت في أرض التوكل: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَفْقَهُمْ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيَّانَتْ لِلَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس: ٧١].
- ٨- إذا عرفت أن مرجع الكل إلى الله وتقدير الكل فيها لله فوطن نفسك على فرش التوكل: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].
- ٩- إذا علمت أن الله هو الواحد على الحقيقة، فلا يكن اتكالك إلا عليه: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ﴾ [الرعد: ٣٠].
- ١٠- إذا كانت الهداية من الله، فاستقبلها بالشكر والتوكل: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].
- ١١- إذا خشيت بأس أعداء الله والشيطان والغدار فلا تلتجئ إلا إلى باب الله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].
- ١٢- إذا أردت أن يكون الله وكيلك في كل حال، فتمسك بالتوكل في كل حال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].
- ١٣- إذا أردت أن يكون الفردوس الأعلى منزلك فانزل في مقام التوكل: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢].
- ١٤- إن شئت أن تنال محبة الله فانزل أولا في مقام التوكل: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].
- ١٥- إذا أردت أن يكون الله لك، وتكون لله خالصا فعليك بالتوكل: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]. ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩] <sup>(١)</sup>.
- [للاستزادة: انظر صفات: الاستعانة- التقوى- الطاعة- القنوت- حسن الظن- الطمأنينة- الصبر والمصابرة- اليقين.
- وفي ضد ذلك: انظر صفات: الغرور- الكبر والعجب- القلق- الشك- سوء الظن].

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز ابادي. (٢/ ٣١٣-٣١٥).

## من فوائد (التوكل)

- (١) أنه من كمال الإيمان وحسن الإسلام. (٨) راحة البال واستقرار الحال.
- (٢) يجلب محبة الله تعالى ومعونته ونصره وتأييده. (٩) لا يمنع الأخذ بالأسباب المشروعة المباحة
- (٣) دوام طلب المعونة من الله الملك ليقين المتوكل بالعجز التام عن تحصيل ما يريد (١٠) يحقق طاعة الله ورسوله ﷺ.
- وتمام قدرة الله على إنجاز كل ما يريد (١١) يحقق رضا الله، فيجعل للعبد مخرجا وفوق ما يريد.
- (٤) الحفظ والمنعة من الشيطان الرجيم ومن (١٢) يهيباً صاحبه للفوز بصحبة النبيين في البشر اللئيم.
- (٥) الوقوف على الحدود الشرعية وعدم الخوض في الحرام. (١٣) من أسباب سعة الرزق.
- (٦) ترك المزاحمة مع الناس؛ لأن المتوكل لا يخاف فوت شيء قدر له. (١٤) به تمام المعونة من الله ﷻ مما يدفع عن المتوكل شر الأشرار من الشيطان ومن كل من يكيد.
- (٧) قطع الطمع فيما في أيدي الناس توكلًا على ما عند الله.

## التيسير

## التيسير لغة:

مصدر يسر وهو مأخوذ من مادة (يسر) التي تدل بحسب وضع اللغة على معنيين: أحدهما يدل على انفتاح شيء وخفته والآخر على عضو من الأعضاء<sup>(١)</sup>، ويرجع التيسير الذي معنا إلى المعنى الأول، ومنه اليسر ضد العسر واليسرات القوائم الخفاف، ومن الباب يسرت الغنم إذا كثر لبنها ونسلها، ويقال: رجل يسر ويسر أي حسن الانقياد، واليسار: الغنى... ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] يقال: تيسر كذا

(١) ومن هذا المعنى: اليسار لليد، يقال: تيسروا إذا أخذوا ذات اليسار، ويقال ياسروا وهو أجود (مقاييس اللغة ٦/ ١٥٦).

واستيسر أي تسهّل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦] أي تسهّل وتهبأ ومنه أيسرت المرأة تيسرت في كذا أي سهّلته وهبأته، أمّا قوله تعالى: ﴿فَسُنِّيْهِمْ لِلسَّرِيِّ﴾ [الليل: ٧]، ﴿فَسُنِّيْهِمْ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ١٠]، فهذا وإن كان قد أعاره لفظ التيسير فهو على حسب ما قال الله ﷻ ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١، والتوبة: ٣٤]<sup>(١)</sup>، واليسير واليسور: السهّل، واليسير يقال (أيضا) في الشّيء القليل، والميسرة واليسار عبارة عن الغنى، والمياسرة: الملاينة. وفي الحديث إنّ هذا الدّين يسر، اليسر هنا ضدّ العسر أراد أنّه سهل سمح قليل التّشديد، وفي الحديث (أيضا) «يسرّوا ولا تعسّروا» وفي الحديث الآخر «من أطاع الإمام وياسر الشريك» أي ساهله. أمّا ما جاء في قوله ﷺ «تياسروا في الصّدق» فمعناه: تساهلوا فيه ولا تغالوا. واليسر واليسر يستعملان في معنى اللين والانقياد، أمّا اليُسْر بضمّ الياء واليسر (بضمّتين) فهو نقيض العسر، والعسر واليسرى: الأمر السهّل. قال الجوهري يقال يسره الله لليسرى: أي وفّقه لها<sup>(٢)</sup>، وقال بعض المفسّرين المراد بها الخلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدّنيا وهو من قولهم قد يسرت غنم فلان إذا تهيأت للولادة<sup>(٣)</sup>.

#### واصطلاحا:

اليسر عمل فيه لين وسهولة وانقياد أو هو رفع المشقّة والخرج عن المكلف بأمر من الأمور لا يجهد النّفس ولا يثقل الجسم<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: حسن العشرة - حسن المعاملة - الرفق - تفرّج الكربات.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التعسير - الجفاء سوء المعاملة - الغلو - التنفير - التفريط والإفراط].

\*\*\*

(١) يريد أن ذلك من باب المشاكلة قال في اللسان: البشارة في الأصل الفرح (ثم استعملت في الحزن) وكذلك التيسير يستعمل في اليسرى أي السهّل، فإن جمعت في كلامين أحدهما خير والآخر شرّ جاز التيسير فيهما.

(٢) انظر المقاييس (١٥٦ / ٦) ومفردات الراغب (ص ٥٥١) والصحاح (٢ / ٨٥٦) واللسان (ص ٤٩٥٧) وما بعدها (ط. دار المعارف).

(٣) تفسير الطبري (٣٠ / ١٤٣).

(٤) تفسير القاسمي (٣ / ٤٢٧).

## من فوائد (التيسير)

- (١) القيام بأوامر الله تعالى كاملة. (٥) المداومة على الأمر والقدرة على الاستمرار  
 (٢) سمة ظاهرة في الدين تتجلى في عقائده وعدم الانقطاع.  
 (٦) من يسر أمور الناس يسر الله له أمره.  
 (٣) يجلب معونة الله للعبد.  
 (٧) من اختار الأيسر - ما لم يكن إثماً - فهو متبع  
 (٤) الرجل السهل يجبه الخلق لما يبذله لهم. لسنة النبي ﷺ.

## التيمن

## التيمن لغة:

مصدر تيمن وهو مأخوذ من مادة (ي م ن) التي تدور في استعمالها المختلفة حول قياس واحد هو الجارحة أي يمين اليد، يقول ابن فارس: الياء والميم والنون، كلمات من قياس واحد.

فاليمين: يمين اليد ويقال: اليمين: القوة يقول الأصمعي في قول الشماخ:

إذا ما راوية رفعت لمجد تلقاهم أعراباً باليمين

أراد اليد اليمنى، واليمين: البركة، وهو ميمون (أي مبارك)، واليمين الحلف، وكل ذلك من اليد اليمنى، وكذلك اليمن، وهو بلد (لأنه عن يمين الكعبة) ويقال (منه) رجل يمان وسيف يمان، وسمي الحلف يمينا؛ لأن المتحالفين كأن أحدهما يصفق يمينه على يمين صاحبه<sup>(١)</sup>، وقال الراغب: اليمين أصله الجارحة... وقوله تعالى: ﴿لَا تَخَذُوا مِيثَاقَهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥] أي منعناه ودفعناه فعبّر عن ذلك الأخذ باليمين كقولك خذ يمين فلان عن تعاطي الهجاء، وقيل معناه بأشرف جوارحه وأشرف أحواله، وقوله سبحانه: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧] أي أصحاب السعادات والميامن وذلك على حسب تعارف الناس في العبارة عن الميامن باليمين، واستعير اليمين للتيمن والسعادة...

وقوله: «الحجر الأسود يمين الله» أي به يتوصل إلى السعادة المقربة إليه، ومن اليمين يتأول

(١) المقاييس لابن فارس (٦/ ١٥٩).

اليمن. يقال: هو ميمون النقيبة أي مبارك، والميمنة ناحية اليمين<sup>(١)</sup> وجاء في الصحاح: ويقال: أيمن الرجل، ويمن، ويامن: إذا أتى اليمين وكذلك إذا أخذ في سيره يمينا، يقال: يامن يا فلان بأصحابك، أي خذ بهم يمنة ولا تقل تيامن، والعامّة تقوله<sup>(٢)</sup>. واليمن: البركة، وقد يمن فلان على قومه فهو ميمون: إذا صار مباركا عليهم، والأيامن خلاف الأشائم... واليمنة بالفتح: خلاف اليسرة والأيمن والميمنة خلاف الأيسر والميسرة.. وقوله تعالى: ﴿تَأْتُونَنَا نَ الْيَمِينِ﴾ [الصفات: ٢٨٨]. قال ابن عباس رضي الله عنه: أي من قبل الدّين فتزيّنون لنا ضلالتنا كأنه أراد تأتوننا عن المأتى السهل<sup>(٣)</sup>، وقيل من النّاحية التي كان فيها الحقّ فتصرفونا عنها<sup>(٤)</sup>، وقال الزّجاج: هذا قول الكفّار للذين أضلّوهم أي كتمتم تخدعوننا بأقوى الأسباب فكتمتم تأتوننا من قبل الدّين فترونا أنّ الدّين والحقّ ما تضلّوننا به وتزيّنون لنا ضلالتنا: كأنه أراد تأتوننا عن المأتى السهل، وقيل معناه كتمتم تأتوننا من قبل الشّهوة لأنّ اليمين موضع الكبد، والكبد مظنّه الشّهوة والإرادة، وقال أبو منصور (الأزهري): اليمن في كلام العرب على وجوه: يقال لليد اليمنى: يمين، واليمين: القوّة والقدرة، واليمين: المنزلة.

يقول الأصمعي: هو عندنا باليمين أي بمنزلة حسنة، وقوله في الحديث: إنّه كان يحبّ التّيمّن في جميع أموره ما استطاع، التّيمّن: الابتداء في الأفعال باليد اليمنى والرجل اليمنى، والجانب الأيمن وفي الحديث فأمرهم أن يتيامنوا عن الغميم أي يأخذوا عنه يمينا وفي حديث غيره: فينظر أيمن منه فلا يرى إلّا ما قدّم أي عن يمينه، قال ابن السكيت: يقال: يامن بأصحابك وشائم بهم أي خذ بهم يمينا وشمالا، ولا يقال تيامن بهم ولا تياسر بهم... قال ابن الأنباريّ العامّة تغلط في معنى تيامن فتظنّ أنّه أخذ عن يمينه. وليس كذلك معناه عند العرب، إنّما يقولون: تيامن إذا أخذ ناحية اليمن، وتشاءم إذا أخذ ناحية الشّام، (ويقولون): يامن إذا أخذ عن يمينه<sup>(٥)</sup>، ويفهم من جملة ما

(١) باختصار وتصرف يسير عن المفردات للراغب (٥٥٢) وقد تأول الراغب قول الشماخ «تلقاها عرابة باليمين» على أنه بمعنى تلقاها باليمن والسعادة.

(٢) هكذا قال الجوهري، وقد أثبت ابن منظور صيغة تيامن في معنى ذهب به ذات اليمين انظر اللسان (٤٩٦٨) ط دار المعارف، ولكنه نقل عن ابن السكيت وابن الأنباري أن ذلك من كلام العامّة.

(٣) الصحاح (٦/ ٢٢١٩، ٢٢٢٠).

(٤) المفردات للراغب (٥٥٣).

(٥) انظر لسان العرب (٤٩٦٧، ٤٩٧١).

ذكره الجوهريّ وابن منظور أنّه يقال تيمّن ويامن إذا أخذ جهة اليمين وهو المراد هنا ويقال تيامن إذا أخذ ناحية اليمن، ويستعمل في هذا المعنى الأخير أيضا الأفعال: أَيَمَّنَ وَيَمَّنَ وَيَأْمَنُ وَيَتَيَمَّنُ.

معنى كلمة اليمين في القرآن:

قال بعض المفسرين: اليمين ورد في القرآن على أوجه منها:

الأول: بمعنى القوة، قال تعالى: ﴿فَرَأَعْتَلَيْهِمْ صُرُبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصفات: ٩٣]. أي بالقوة، قيل: ومنه قوله تعالى: ﴿لَاخُذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥].

الثاني: بمعنى القسم: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، ﴿بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩].

الثالث: بمعنى العهد: قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾ [القلم: ٣٩]. أي عهود.

الرابع: بمعنى الجارحة: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى﴾ [طه: ١٧]، ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد: ١٢]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [الحاقة: ١٩]، [الانشقاق: ٧].

الخامس: بمعنى ناحية الشيء قال تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٧]. ﴿وَنَدْبَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]<sup>(١)</sup>.

### التيمن اصطلاحاً:

قال ابن الأثير: التيمّن: الابتداء في الأفعال باليد اليمنى والرجل اليمنى والجانب الأيمن<sup>(٢)</sup>، وقال ابن حجر: قال النووي: قاعدة الشرع المستمرة استحباب البداءة باليمين في كلّ ما كان من باب التّكريم والتّزيين وما كان بضدّهما استحباب فيه التّياسر<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الأسوة الحسنة - الأدب - حسن الخلق.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التشامل - القدوة السيئة - سوء الخلق].

(١) بصائر ذوي التمييز (٥ / ٤٠٦ - ٤١٠) بتصرف. وانظر نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (٦٤١ - ٦٤٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٥ / ٣٠٢).

(٣) الفتح (١ / ٣٢٥).

## من فوائد (التيمن)

- (١) من أدلة كمال الإيمان وحسن الإذعان. (٨) التيمّن من لوازم كمال الوضوء سواء في  
 (٢) فيه القوّة والبركة. غسل اليدين أو الرّجلين.  
 (٣) من حسن الاتّباع. (٩) يستحبّ البدء بالرّجل اليمنى في التّنعل  
 (٤) التيمّن في كلّ الأمور المعظمة من شعائر الإسلام. والبدء في الغسل بالشّق الأيمن.  
 (٥) مخالفة أهل الشّرك، إذ إنّ شعارهم استعمال (١٠) استحباب الصّلاة عن يمين الإمام وفي  
 (٦) فيه مرضاة الرّبّ ومحبة النّبىّ ﷺ. ميمنة المسجد.  
 (٧) من السنّة عند دخول المسجد البدء بالرّجل (١١) في الأكل والشّرب ينبغي تناول الطّعام  
 اليمنى وعند الخروج أن يبدأ بالرّجل والشّراب باليد اليمنى.  
 اليسرى. (١٢) إذا وزّع طعام أو شراب فمن السنّة أن يعطي الإنسان من يجلس عن يمينه حتّى ولو كان الجالس على يساره أعلى منزلة.

## الثبات

## الثبات لغة:

مصدر ثبت، وهو مأخوذ من مادّة (ث ب ت) التي تدلّ على دوام الشّيء يقال ثبت ثباتاً وثبوتاً (أي دام واستقرّ) فهو ثابت ويقال رجل ثبت وثبتت أي متّبتت في الأمور، وقال الراغب: الثّبات ضدّ الزّوال ومنه قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ [الأنفال: ٤٥] ويقال ذلك للموجود (الثّابت) بالبصر أو البصيرة فيقال: فلان ثابت عندي، ونبوّة المصطفى ﷺ ثابتة، والإثبات والتّثبيت يقالان تارة بالفعل لما يخرج من العدم إلى الوجود نحو أثبت الله كذا، وتارة لما يثبت بالحكم نحو أثبت الحاكم على فلان كذا. وثبته وتارة لما يكون بالقول مثل أثبت التّوحيد وصدق النّبوة، وقول الله تعالى: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ أي ليثبّطوك ويحيروك، وقال الجوهريّ معناه ليجرّحوك جراحة لا تقوم معها، ويقال تثبت الرّجل في الأمر، واستثبت بمعنى (واحد) هو الثّبات وعدم العجلة.

ورجل ثبت أي ثابت القلب، قال الشاعر:

ثبت إذا ما صيح بالقوم وقر

ويقال أيضا فلان ثبت الغدر إذا كان لا يزلّ لسانه عند الخصومات، أمّا قولهم رجل ثبت فمعناه أنه مثبّت في الأمور، ويقال رجل ثبت الجنان أي ثابت القلب، ورجل له ثبت عند الحملة أي ثبات، وتقول أيضا لا أحكم بكذا إلا بثبت أي بحجّة، ويطلق الثبّت كذلك على الرّجل إذا كان عدلا ضابطا والجمع منه أثبات، والثبّت: الثابت العقل، تقول منه: ثبت (بالضّم) أي صار ثيبا<sup>(١)</sup>.

### الثبات اصطلاحا:

الثبات هو عدم احتمال الزوال بتشكيك المشكك، والثابت هو الموجود الذي لا يزول بتشكيك المشكك، والإثبات عند القراء ضدّ الحذف<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: جهاد الأعداء- الرجولة- الصدق- العزم والعزيمة- علو الهمة- النظام- قوة الإرادة- القوة- اليقين- الصبر.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التولي- التخلف عن الجهاد- الضعف- صغر الهمة- الوهن].

\*\*\*

### من فوائد (الثبات)

- (١) دليل كمال الإيمان وحسن التوكّل على (٤) دليل على تمكّن حبّ العقيدة والصبر عليها الله ﷻ. وعلى تكاليفها حتّى الممات.
- (٢) دليل قوّة النفس ورباطة الجأش. (٥) يكسب المسلم قوّة في الجهاد.
- (٣) لا ينتشر الحقّ إلاّ به ولا يزهق الباطل إلاّ (٦) الثبات من السبيل الهادية إلى الجنّة.
- بالثبات على الحقّ. (٧) في الثبات تأسّ بالرسول ﷺ.

(١) انظر مقاييس اللغة (١/ ٣٩٩)، والمفردات للراغب (٧٨) بإيجاز وتصرف يسير، والصحاح (١/ ٢٤٥)، ولسان العرب (٤٦٧) وما بعدها.

(٢) كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/ ٢٦٤).

## الثناء

## الثناء لغة:

هو الاسم من قولهم: أثنى على فلان، والمصدر إثناء، يقال أثنى على فلان خيرا، قال الراغب: والثناء ما يذكر في محامد الناس فيثنى حالا فحالا ذكره، وقال ابن منظور: الثناء: تعمدك لثني على إنسان بحسن أو قبيح، وقد طار ثناء فلان أي ذهب في الناس، والفعل أثنى، يقال: أثنى فلان على الله ثم على المخلوقين يثنى إثناء أو ثناء، يستعمل في القبيح من الذكر وضده (أي والحسن منه)، قال ابن الأعرابي: يقال: أثنى إذا قال خيرا أو شرا.

وسميت سور القرآن مثنائي؛ لأنها تثنى على مرور الأوقات وتكرّر فلا تدرس<sup>(١)</sup> ولا تنقطع دروس سائر الأشياء التي تضحّل وتبطل على مرور الأيام. ويصحّ أن يكون ذلك من الثناء تنبيها على أنه أبدا يظهر منه ما يدعو إلى الثناء على الله وعلى من يتلوه ويعلمه ويعمل به، وقال ابن منظور في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧]: يجوز أن يكون - والله أعلم - من المثاني أي ممّا أثنى به على الله تبارك وتقدس؛ لأنّ فيها (أي في آي سورة الفاتحة) حمد الله وتوحيده، وذكر ملكه يوم الدين، والمعنى ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يثنى بها على الله، وآتيناك القرآن العظيم<sup>(٢)</sup>.

## واصطلاحا:

قال الجرجاني: الثناء للشيء: فعل ما يشعر بتعظيمه<sup>(٣)</sup>.

وقال الكفوي: هو الكلام الجميل. وقيل: هو الذكر بالخير، وقيل: هو الإتيان بما يشعر بالتعظيم مطلقا، سواء كان باللسان أو بالجنان أو بالأركان، وسواء كان في مقابلة شيء أو لا<sup>(٤)</sup>.

## الفرق بين الثناء والحمد والشكر:

الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري، نعمة كان أو غيرها يقال: حمدت الرجل

(١) تدرس: أي تبلى وتفنى.

(٢) الصحاح (٦ / ٢٢٩٦). لسان العرب (١ / ٥١٧). ومفردات الراغب (ص ٨٢). والمصباح المنير (٨٥ - ٨٦).

(٣) التعريفات للجرجاني (٧٢).

(٤) الكليات للكفوي (٢ / ١٢٤).

على إنعامه وحمدته على شجاعته، وأما الشكر، فعلى النعمة خاصة، ويكون بالقلب واللسان والجوارح، قال الشاعر:

أفادتكم النعماء منّي ثلاثة يدي ولساني والضّمير المحجّباً  
وعلى هذا فبين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه، يجتمعان في الثناء باللسان على النعمة، وينفرد الحمد في الثناء باللسان على النعمة، وعلى ما ليس بنعمة من الجميل الاختياري، وينفرد الشكر بالثناء بالقلب والجوارح على خصوص النعمة فالحمد أعمّ متعلّقاً وأخصّ آلة، والشكر بالعكس<sup>(١)</sup>.

### الفرق بين الحمد والمدح:

قال ابن القيم رحمته إنّ الحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه، فلا بدّ فيه من اقتران الإرادة بالخير، بخلاف المدح فإنّه إخبار مجرد<sup>(٢)</sup>.

بيد أنّ الثناء لا يكون إلّا قولياً بخلاف نظيره فإنّهما يكونان بالقول والفعل، وقيل: الحمد لله ثناء على الله بأسمائه وصفاته الحسنی، والشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه<sup>(٣)</sup>. وقيل: الحمد في كلام العرب هو الثناء الكامل، وهو نقيض الذمّ، وهو أعمّ من الشكر<sup>(٤)</sup>. قلت: والثناء أعمّ منهما إذا كان باللسان، وكلّ حامد لربه بلسانه أو شاكر له فهو مثن عليه بما هو أهله، وقد سوى بعض العلماء بين الثناء والحمد فيما يتعلّق بكونهما من فعل اللسان، بخلاف الشكر الذي قد يكون باللسان وبالجوارح وبالقلب<sup>(٥)</sup> قال القرطبي: الصّحيح أنّ الحمد ثناء على الممدوح<sup>(٦)</sup> بصفاته من غير سبق إحسان، والشكر ثناء على المشكور بما أولاه من إحسان، وقد أثنى الله ﷻ بالحمد على نفسه، وافتتح به كتابه<sup>(٧)</sup>.

(١) مقدمة الواسطية للشيخ خليل هراس (٥٠-٥١).

(٢) بدائع الفوائد (٢/٩٣).

(٣) تفسير الطبري ١/٤٦.

(٤) تفسير القرطبي ١/١٣٢.

(٥) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) بين المدح والحمد فرق يتمثل في أن المدح يكون قبل الإحسان وبعده، أما الحمد فلا يكون إلا بعد الإحسان، ومن ناحية أخرى فإن المدح قد ينهى عنه، قال تعالى: ﴿فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، أما الحمد فمأمور به، انظر ص ٤ من «الحمد في القرآن الكريم» للشيخ محمد خليفة.

(٧) مقصود القرطبي بذلك افتتاح سورة الفاتحة بالآية الكريمة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

الثناء على الله ﷻ في القرآن الكريم:

لقد تضمّن القرآن الكريم آيات عديدة تتضمّن ثناء على المولى ﷻ، وإذا كان من الثناء ما يشعر بتعظيم من يثنى عليه فإنّ حمد الله لأوّ تسبيحه وتكبيره تدخل كلّها في باب الثناء وسوف نكتفى هنا بما ورد فيه ثناء مباشر على المولى ﷻ أو ثناء منه سبحانه على من رضى من خلقه أمّا الآيات الخاصّة بالحمد والشكر والتّسبيح والتّهلّيل ونحوها ممّا يتضمّن الثناء عليه سبحانه فقد ذكرت في الصّفات المعقودة لها ممّا أغنى عن إعادتها هنا<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الحمد- الذكر- الشكر- الكلم الطيب- الاعتراف بالفضل.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الهجاء- نكران الجميل- الإعراض- التفريط والإفراط- الكبر والعجب].

\*\*\*

### من فوائد (الثناء)

- (١) يجلب المحبّة ويوسّع الرّزق.
- (٢) مظهر من مظاهر الالتزام بالسنة.
- (٣) عظم الثّواب من ثمراته ورضاء ربّ الأرباب
- (٤) دليل الرضا وسمت العرفان بالجميل.
- (٥) الثناء على الله يجتلب إحاطة الملائكة.
- (٦) الثناء على النّبى ﷺ يفتح باب قبول الدّعاء.
- (٧) الافتتاح بالثناء يفتح باب التّوفيق.

### جهاد الأعداء

#### الجهاد لغة:

الجهاد مثل المجاهدة مصدر قولهم جاهد يجاهد، وذلك مأخوذ من مادّة (ج ه د) التي تدلّ في الأصل على المشقّة، ثمّ يحمل على هذا الأصل ما يقاربه، ومصدر الثلاثي من ذلك قولهم: جهد (بالفتح)، وجهد (بالضمّ) وكلاهما يعني إمّا: الوسع والطّاقة أو التعب والمشقّة، ومن ثمّ يكون الاختلاف بين الفتح والضمّ راجعا إلى اختلاف اللهجات، فهو بالضمّ لغة أهل الحجاز،

(١) انظر الآيات الكريمة الواردة في صفات: الحمد، الشكر، التسبيح، التهلّيل.

وبالفتح في لغة غيرهم، وقال بعض اللغويين: إنَّ الجهد بالفتح المشقَّة، وبالضَّمّ الوسع والطَّاقة، ومن الجهد بمعنى المشقَّة قولهم جهد دابته وأجهدها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها، ومن المشقَّة أيضا: جهد الرّجل فهو مجهود، يقال أصابهم قحوط من المطر فجهدوا جهدا شديدا، وجهد عيشهم بالكسر أي نكد واشتدّ.

ومن الجهد بمعنى الطَّاقة قوله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩].

أي طاقتهم، قال ابن منظور: قال الفراء: الجهد في هذه الآية الطَّاقة، تقول هذا جهدي أي طاقتي، وقرأ جهدهم بالفتح من قولك اجهد جهدك في هذا الأمر أي ابلغ غايتك، ولا يقال اجهد جهدك، وقيل: إذا كان المعنى هو المشقَّة أو الغاية فالفتح لا غير، وإذا كان الوسع والطَّاقة فيجوز الفتح والضَّمّ، ويراد بالجهد في حديث أمّ معبد «شاة خلفها الجهد عن الغنم» الهزال، ومن ذلك قولهم: جهد الرّجل إذا هزل، قال الجوهريّ: يقال جهد الرّجل فهو مجهود (من المشقَّة)، يقال: أصابهم قحوط من المطر فجهدوا جهدا شديدا، وجهد عيشهم (بالكسر) أي نكد واشتدّ.

ومن الجهد (بالضم) ما جاء في حديث الصدقة: أي الصّدقة أفضل؟ قال: جهد المقلّ أي قدر ما يحتمله حال القليل المال.

والاجتهاد: أخذ النَّفس ببذل الطَّاقة وتحمّل المشقَّة، يقال جهدت رأبي وأجهدته: أتعبته بالفكر، وجاهد العدو مجاهدة وجهادا: قاتله، وفي الحديث: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»، الجهاد محاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطَّاقة من قول أو فعل، والمراد بالنية: إخلاص العمل لله، أي إنّه لم يبق بعد فتح مكّة هجرة؛ لأنّها قد صارت دار إسلام، وإنّما هو الإخلاص في الجهاد وقتال الكفّار، والجهاد (أيضا) المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللّسان أو ما أطاق من شيء، قال الرّاعب: والجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظّاهر، ومجاهدة الشّيطان، ومجاهدة النَّفس؛ وتدخل ثلاثها في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨] وقال عليه الصّلاة والسّلام: جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم، والمجاهدة تكون باليد واللسان، قال ﷺ: «جاهدوا الكفّار بأيديكم وألسنتكم»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٤٨٦)، المفردات للراغب (ص ١٠١)، الصحاح (٢/ ٤٦٠)، ولسان العرب (مادة جهد) (ص ٧١٠) (ط دار المعارف) والمصباح المنير (ص ١٢٢).

## اصطلاحاً:

قال الرّاعب: الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو، وقال الجرجاني: هو الدّعاء إلى الدّين الحقّ، وقد جمع ابن حجر بين هذين النوعين من الجهاد وأضاف غيرهما فقال: الجهاد بذل الجهد في قتال الكفّار. ويطلق أيضاً على مجاهدة النّفس والشّيطان والفسّاق والكفّار. فأما مجاهدة النّفس، فعلى تعلّم أمور الدّين ثمّ على العمل بها ثمّ على تعليمها.

وأما مجاهدة الشّيطان، فعلى دفع ما يأتي به من الشّبّهات وما يزيّنه من الشّهوات.

وأما مجاهدة الكفّار، فتقع باليد والمال واللّسان والقلب.

وأما مجاهدة الفسّاق، فباليد ثمّ اللّسان، ثمّ القلب<sup>(١)</sup>.

## مراتب الجهاد:

قال ابن القيم: لمّا كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعاً على جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال النّبىّ ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله»، كان جهاد النّفس مقدّماً على جهاد العدو في الخارج، وأصلاً له، فإنّه ما لم يجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أمرت به، وتترك ما نهيت عنه، ويحاربها في الله، لم يمكنه جهاد عدوّه في الخارج. فهذان العدوّان: عدوّ الخارج وعدوّ النّفس وبينهما عدوّ ثالث لا يمكنه جهادهما إلاّ بجهاده وهو واقف بينهما يثبّط العبد عن جهادهما، فكان جهاده هو الأصل لجهادهما وهو الشّيطان، فهذه الأعداء الثلاثة أمر العبد بمحاربتها وجهادها، وقد بلي بمحاربتها في هذه الدّار، وسلّطت عليه امتحاناً من الله له وابتلاء، فأعطى الله العبد مدداً وعدة وأعواناً وسلاحاً لهذا الجهاد، وأخبرهم أنّه مع المتّقين ومع المحسنين، ومع الصّابرين ومع المؤمنين، وأنّه يدافع عن عباده المؤمنين ما لا يدافعون عن أنفسهم؛ بل بدفاعه عنهم اتصروا على عدوّهم. وهذه المدافعة عنهم بحسب إيمانهم، وعلى قدره، فإنّ قوي الإيمان، قويت المدافعة، فمن وجد خيراً، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلاّ نفسه. وأمرهم أن يجاهدوا فيه حقّ جهاده.

## واختلفت عبارات السّلف في حقّ الجهاد:

فقال ابن عبّاس: هو استفراغ الطّاقة فيه، وألاً يخاف في الله لومة لائم. وقال مقاتل: اعملوا لله حقّ عمله واعبدوه حقّ عبادته.

(١) ابن حجر، فتح الباري (٥ / ٦) ومفردات الرّاعب (ص ١١٠) وكتاب التعريفات للجرجاني (ص ٨٤).

## أقسام الجهاد:

قال ابن القيم رحمته: أقسام الجهاد أربعة: جهاد النفس، و جهاد الشيطان، و جهاد الكفار، و جهاد المنافقين. أما جهاد النفس فقد أفردنا له صفة خاصة باعتباراه الجهاد الأكبر<sup>(١)</sup>.

## جهاد الشيطان:

لَمَّا كَانَ الشَّيْطَانُ عَدُوًّا مَبِينًا لِلْإِنْسَانِ مِنْذُ خَلَقَ اللهُ ﷻ هَذَا الْإِنْسَانَ، فَقَدْ أَمَرَنَا اللهُ ﷻ أَنْ نَتَّخِذَهُ عَدُوًّا، يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، وَمِنْ ثَمَّ وَجِبَتْ مَجَاهِدَتُهُ، لَا أَنْ ذَلِكَ يَمَهِّدُ السَّبِيلَ أَمَامَ الْإِنْسَانَ لِكَيْ يَجَاهِدَ نَفْسَهُ وَهِيَ عَدُوٌّ الدَّخِلُ، وَيَجَاهِدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَهَذِهِ عِدَاوَةُ الْخَارِجِ، وَلَا يُمْكِنُ جِهَادُهُمَا إِلَّا بِمَجَاهِدَتِهِ وَالتَّصَدِّي لِه، وَتَعْنِي هَذِهِ الْمَجَاهِدَةُ - كَمَا ذَكَرْنَا قَبْلًا - دَفْعَ مَا يَأْتِي بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَمَا يَزِينُهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ<sup>(٢)</sup>.

## ولجهاد الشيطان - كما يقول ابن القيم - مرتبتان:

الأولى: جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك.

الثانية: جهاده على ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات، فالمرتبة الأولى يكون بعدها اليقين والثانية يكون بعدها الصبر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فَأَخْبَرَ اللهُ ﷻ أَنَّ إِمَامَةَ الدِّينِ إِنَّمَا تَنَالُ بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ، فَالصَّبْرُ يَدْفَعُ الشَّهَوَاتِ وَالْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةَ، وَالْيَقِينُ يَدْفَعُ الشُّكُوكَ وَالشُّبُهَاتِ<sup>(٣)</sup>.

## جهاد الكفار والمنافقين ومن في حكمهم:

وأما جهاد الكفار والمنافقين فمراتبه أربعة:

بالقلب، واللسان، والمال، والنفس. و جهاد الكفار أخص باليد، و جهاد المنافقين أخص باللسان. وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات فعلى ثلاث مراتب: باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر في ذلك: صفة «مجاهدة النفس» في مجلد (٨) ص (٣٣٠٣ - ٣٣١٦) من هذه الموسوعة.

(٢) انظر: صفة «الغنى والإغواء» في مجلد (١١) ص (٥١٤٤) من هذه الموسوعة، وخاصة ما ذكرنا عن تدرج الشيطان في هذا الإغواء وكيفية مقاومته في كل العقبات التي يضعها أمام الإنسان.

(٣) زاد المعاد (٣/ ١٠).

(٤) المرجع السابق (٣/ ١١).

## حكم الجهاد:

جهاد النفس في ذات الله تعالى وجهاد الشيطان فرض عين لا ينوب فيه أحد عن أحد. أما جهاد الكفار والمنافقين ومن في حكمهم من أهل البدع، فهو فرض كفاية قد يكتفى فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصود الجهاد<sup>(١)</sup>. وأكمل الخلق عند الله تعالى من كمل مراتب الجهاد كلها، وهم متفاوتون في منازلهم عند الله تفاوتهم في هذه المراتب<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الثبات - الرجولة - الشجاعة - الشرف - العزة - القوة - قوة الإرادة - علو الهمة - العزم والعزيمة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التخلف عن الجهاد - التولى - التخاذل - الجبن - الكسل - الضعف - صغر الهمة - الوهن].

\*\*\*

## من فوائد (جهاد الأعداء)

- (١) الجهاد من كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- (٢) هو دليل على حسن الظن بالله وقوة اليقين.
- (٣) الجهاد لإعلاء كلمة الله فيه عز الإسلام والمسلمين وقمع الشرك وأعوانه.
- (٤) لولا الجهاد لاستفحل الشر وفسدت الأرض.
- (٥) فيه تمحيص للقلوب واختبار للنفوس.
- (٦) الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون.
- (٧) من أسباب التمكين في الأرض.
- (٨) الجهاد فيه إرضاء لله وإذلال ودحر للشيطان وأعوانه.
- (٩) من أفضل كسب المؤمن غنائم الجهاد.
- (١٠) جهاد الأعداء والانتصار عليهم فيه شفاء لصدور المؤمنين، وإذهاب لغيب قلوبهم.
- (١١) به ينال العبد أعلى الجنان ويقرب من عرش الرب الرحمن.
- (١٢) من أسمى معاني الجهاد إعلان العبودية لله تعالى ودحض ما سواها.
- (١٣) ليس ثمة عمل يعدل الجهاد في سبيل الله.
- (١٤) من الضرورة بمكان أن يسأل العبد ربه الشهادة في سبيل الله دائما.

(١) المراجع السابق (١١ / ١٢).

(٢) المرجع السابق (١٢).

## الجود

## الجود لغة:

مصدر قولهم: جاد الرجل بماله يجود جودا، وهو مأخوذ من مادة (ج ود) التي تدلّ على التّسّمح بالشيء وكثرة العطاء، يقال: رجل جواد بين الجود، وقوم أجواد، والجود (بفتح الجيم) المطر الغزير، وفرس جواد: يجود بمدخر عدوه، وقيل: هو الفرس الذّريع والسّريع، والجمع جياد، قال تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْإِحْيَادُ﴾ [ص: ٣١] ويقال: في الفرس جودة، وفي المال جود، وفي المطر جود، ويقال: شيء جيّد على (وزن) فيعمل والجمع جياد، وجياد بالهمز على غير قياس، أمّا في المطر فيقال: مطر جائد، والجمع جود مثل صاحب وصحب، وفي وصف الرّجل يقال: رجل جواد أي سخّي، وقوم جود وأصلها جود (وسكنت الواو لأنّها حرف علّة) وأجواد وأجاود، وجوداء وكذلك امرأة جواد ونسوة جود، مثل نوار ونور، قال أبو شهاب الهذليّ: صنّاع بإشفاها حصان بشكرها جواد بقوت البطن والعرق ذاخر والفعل من ذلك: جاد، يقال: جاد الشيء جودة وجودة أي صار جيّدا، والجيّد (هنا) ضدّ الرّديء، وجاد الفرس أي صار رائعا، وجاد الرّجل بماله يجود جودا، وجاد عليه بماله: تكرم، به وأجاد الرّجل إذا كان معه فرس جواد، وأجدت الشيء فجادا، وجود: مثله، وربّما قالوا: أجودت الشيء بدون إعلال، كما قالوا أطال (بالإعلال) وأطول (بالتّصحيح)، ويقال: شاعر مجواد أي يجيد كثيرا، واستجدت الشيء: عدته جيّدا، واستجاده طلب جوده، وجاودت الرّجل فجذته أي غلبته بالجود، ويقال جيدت الأرض: سقاها الجود، ومنه الحديث: «تركت أهل مكّة وقد جيّدوا» أي مطروا مطرا جودا، وأجاده: قتله، وجاد بنفسه عند الموت يجود جودا وجنودا، قارب أن يقضي، والعرب تقول: هو يجود بنفسه معناه يسوق بنفسه من قولهم: إنّ فلانا ليجاد إلى فلان أي يساق إليه، وفي الحديث فإذا ابنه إبراهيم عليه السلام، يجود بنفسه أي يخرجها ويدفعها كما يدفع الإنسان ماله يجود به، قال: والجود الكرم يريد أنّه كان في النّزع، وسياق الموت، والجوديّ موضع، وقيل: جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه وعلى نبيّنا أفضل الصّلاة والسّلام<sup>(١)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (١/ ٤٩٣)، مفردات الراغب (ص ١٠٢، ١٠٣)، والصحاح (٢/ ٤٦٠)، ولسان العرب مادة «جود» (ص ٧٢٢، ط. دار المعارف).

## واصطلاحاً:

قال التّهانويّ: إفادة ما ينبغي لا لعوض ولا لغرض.

وقال الجرجانيّ: الجود صفة هي مبدأ إفادة ما ينبغي لا لعوض، فلو وهب واحد كتابه (لمن هو) من غير أهله أو من أهله لغرض دنيويّ أو أخرويّ لا يكون جوداً<sup>(١)</sup>.

وقال الزبيديّ: الجواد، هو الذي يعطي بلا مسألة صيانة للأخذ من ذلّ السؤال. وقال:

وما الجود من يعطي إذا ما سألته ولكن من يعطي بغير سؤال<sup>(٢)</sup>

وقال الكفويّ: الجود هو صفة ذاتية للجواد ولا يستحق بالاستحقاق ولا بالسؤال<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإحسان - الإغاثة - الإنفاق - التعاون على البر والتقوى -

السخاء - السماحة - الكرم - تفريج الكربات - الإيثار - المروءة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: البخل - الشح الكنز - الإسراف - الأثرة].

\*\*\*

## من فوائد (الجود)

(١) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام. (٤) رفعة مكانته في الآخرة وحبّ المولى له.

(٢) دليل حسن الظنّ بالله تعالى. (٥) قليل أعداؤه وحسّاده.

(٣) حبّ النَّاس له وقرّبهم منه. (٦) حسن ثناء النَّاس عليه.

## الحجاب

## الحجاب لغة:

لفظ الحجاب يستعمل في اللّغة مراداً به أحد أمرين: الأوّل أن يكون مصدراً، ومعناه حينئذ

(١) المفردات للراغب (ص ١٠٢) وكشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٢٧٩) والتعريفات للجرجاني (ص ٨٤) بتصرف يسير.

(٢) تاج العروس، للزبيدي (٤/ ٤٠٣).

(٣) الكليات للكفوي (ص ٣٥٢).

المنع ويرادفه الحجب، يقال: حجب الشيء يحجبه حجاباً وحجاباً منعه، يقول ابن فارس: الحاء والجيم والباء أصل واحد وهو المنع، يقال حجبتة عن كذا أي منعتة. وقال الراغب: الحجب والحجاب: المنع من الوصول.

الآخر أن يكون اسماً، ويراد به: السّتر أو السّاتر، قال في الصّحاح: الحجاب: السّتر وحجاب الجوف: ما يحتجب بين الفؤاد وسائره<sup>(١)</sup> (أي الجوف) والحاجبان: العظمان فوق العينين بالشعر واللحم، وهذا على التشبيه كأنهما تحجبان شيئاً يصل إلى العينين، والحاجب: المانع عن السلطان، قال الجوهري: حاجب العين جمعه حواجب وحاجب الأمير (أو السلطان) جمعه: حجّاب، وحواجب السّمس نواحيها وذلك على التشبيه بحواجب الإنسان، والحجبة رأس الورك، وهذا على التشبيه أيضاً لإشرافها عليه.

ويقال: احتجب الملك عن الناس (في معنى امتنع)، واستحجبه ولاءه الحجابة (أي جعله حاجباً له)، ويقال: قد احتجب وتحجّب إذا اكتنّ من وراء حجاب. وامرأة محجوبة: قد سترت بستر. والحجاب: اسم ما احتجب به، وكلّ ما حال بين شيئين: حجاب، والجمع حجب لا غير. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ معناه: ومن بيننا وبينك حاجز في النّحلة والدين. وفي حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه أن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «إنّ الله يغفر للعبد ما لم يقع الحجاب» قيل: يا رسول الله، وما الحجاب؟ قال: «أن تموت النّفس، وهي مشرّكة، كأنّها حجبت بالموت عن الإيمان».

وقال ابن شميل في حديث ابن مسعود: من اطّلع الحجاب واقع ما وراءه، أي إذا مات الإنسان واقع ما وراء الحجابين: حجاب الجنّة وحجاب النّار لأنّهما قد خفيا. وقيل اطّلع الحجاب: مدّ الرّأس لأنّ المطالع يمدّ رأسه ينظر من وراء الحجاب وهو السّتر<sup>(٢)</sup>.

### واصطلاحاً:

قال الكفوي: الحجاب: كلّ ما يستر المطلوب، ويمنع من الوصول إليه فهو حجاب، كالسّتر

(١) هذه عبارة الصّحاح (١/ ١٠٧) وأوضح منها عبارة ابن فارس في المقاييس (٢/ ١٤٣) «وحجاب الجوف: ما يحجب بين

الفؤاد وسائر الجوف».

(٢) لسان العرب ١ (٢٩٨ - ٣٠٠). مختصراً ومختار الصّحاح (١/ ١١٢).

والبيّاب والجسم والعجز والمعصية<sup>(١)</sup>.

والحجاب المقصود من أمر الله ورسوله ستر الوجه وسائر البدن سترًا كاملاً بحيث لا يبين منه شيء<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ عبد الرحمن ناصر بن السعدي في قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. وهذا لكمال الاستتار، ويدل ذلك على أنّ الزينة التي يحرم إبدائها يدخل فيها جميع البدن.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ كالثياب الجميلة، وجميع البدن كلّ من الزينة<sup>(٣)</sup>.

من معاني كلمة الحجاب في القرآن الكريم:

ذكر أهل التفسير أنّ الحجاب في القرآن على أوجه، منها:

أحدها: السور، ومنه قوله تعالى في الأعراف: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الأعراف: ٤٦].

الثاني: الستر، ومنه قوله تعالى في «مريم»: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ [مريم: ١٧]. وفي

الأحزاب: ﴿فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وهو الستر الشرعي.

الثالث: الجبل، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَّتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] ذكره ابن الأثير في النهاية.

الرابع: المنع، ومنه قوله تعالى في المطففين: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]<sup>(٤)</sup>.

زينة المرأة وحجابها:

قال ابن مسعود رضي الله عنه الزينة زينتان: زينة ظاهرة، وزينة باطنة لا يراها إلا الزوج.

(١) الكلبيات، للكفوي (٣٦٠).

(٢) الحجاب والسفور (١٤٦).

(٣) تفسير الكريم المنان (٥/ ٢٠١، ٢٠٢).

(٤) النهاية، لابن الأثير (١/ ٣٤٠).

فأما الزينة الظاهرة: فالثياب، وأما الزينة الباطنة: فالكحل والسوار والخاتم<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمته: أظهر القولين عندي قول ابن مسعود رحمته: إن الزينة الظاهرة: هي ما لا يستلزم النظر إليها رؤية شيء من بدن المرأة الأجنبية، وإنما قلنا هذا القول هو الأظهر؛ لأنه هو الأحوط، وأبعدها عن أسباب الفتنة وأطهرها لقلوب الرجال والنساء، ولا يخفى أن وجه المرأة هو أصل جمالها، ورؤيته من أعظم أسباب الافتتان بها - كما هو معلوم - والعجاري على قواعد الشرع الكريم هو تمام المحافظة والابتعاد عن الوقوع فيما لا ينبغي.

وقال أيضا: فقد أوضحنا أن المراد بها (آية الحجاب) يدخل فيه ستر الوجه وتغطيته عن الرجال، وأن ستر المرأة وجهها عمل بالقرآن كما قالته عائشة رحمته<sup>(٢)</sup>.

قال ابن تيمية: وقوله: ﴿أَوْسَايِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] قالوا: احتراز عن النساء المشركات، فلا تكون المشركة قابلة للمسلمة ولا تدخل المشركة معهن الحمّام. وليس للدّميات أن يطلعن على الزينة الباطنة، ويكون الظهور والبطون بحسب ما يجوز لها إظهاره. ولهذا كان أقرارها تبدي لهنّ الباطنة، وللزوج خاصّة ما ليس للأقارب<sup>(٣)</sup>.

وقد نصّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته على وجوب احتجاب المرأة عن الرجال الأجانب فقال في الفتاوى المطبوعة أخيرا [ص ١١٠ ج ٢ من الفقه و٢٢ من المجموع]: «وحقيقة الأمر أن الله جعل الزينة زينتين: زينة ظاهرة، وزينة غير ظاهرة، ويجوز لها إبداء زينتها الظاهرة لغير الزوج وذوي المحارم وكانوا قبل أن تنزل آية الحجاب كان النساء يخرجن بلا جلباب يرى الرجل وجهها ويديها، وكانت إذ ذاك يجوز لها أن تظهر الوجه والكفين وكان حينئذ يجوز النظر إليها؛ لأنه يجوز لها إظهاره ثمّ لما أنزل الله آية الحجاب بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا اللَّيْئُ قُلُوبًا لِّأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] حجب النساء عن الرجال ثمّ قال: والجلباب هو الملاءة وهو الذي يسميه ابن مسعود وغيره الرداء وتسميه العامة الإزار، وهو الإزار الكبير الذي يغطي رأسها وسائر بدنها ثمّ قال فإذا كنّ مأمورات بالجلباب؛ لئلا يعرفن وهو ستر الوجه أو ستر الوجه بالنقاب كان الوجه واليدان من الزينة التي أمرت أن لا تظهرها للأجانب، فما بقي يحلّ للأجانب

(١) نزهة الأعين النواظر (٢٤٦). وانظر بصائر ذوي التمييز: (٢/ ٤٣٣).

(٢) أضواء البيان (٦/ ٢٠٠).

(٣) مجموعة رسائل في الحجاب والسفور (١١٩).

النَّظَرُ أَي إِلَى الثِّيَابِ الظَّاهِرَةِ (١).

أدلة وجوب الحجاب:

وقد ساق الشيخ محمد الأمين الشنقيطي أدلة وجوب الحجاب من الكتاب والسنة على النحو التالي:

١- قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾: أنهن يسترن بها جميع وجوههن، ولا يظهر منهن شيء إلا عين واحدة تبصر بها، وممن قال به ابن مسعود، وابن عباس، وعبيدة السلماني وغيرهم.

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، من أن استقراء القرآن يدل على أن معنى إلا ما ظهر منها الملاءة فوق الثياب، وأنه لا يصح تفسير إلا ما ظهر منها بالوجه والكفين.

وأن عامة المفسرين من الصحابة فمن بعدهم فسروا الآية مع بيانهم سبب نزولها، بأن نساء أهل المدينة كن يخرجن بالليل لقضاء حاجتهن خارج البيوت، وكان بالمدينة بعض الفساق يتعرضون للإماء، ولا يتعرضون للحرائر، وكان بعض نساء المؤمنين يخرجن في زي ليس متميزا عن زي الإماء، فيتعرض لهن أولئك الفساق بالأذى ظنا منهم أنهن إماء. فأمر الله نبيه ﷺ أن يأمر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين أن يتميذن في زيهن عن زي الإماء وذلك بأن يدنين عليهن من جلابيهن، فإذا فعلن ذلك ورآهن الفساق، علموا أنهن حرائر، ومعرفتهم بأنهن حرائر لا إماء هو معنى قوله ﷺ: ﴿ذَلِكَ أَدْقُ أَنْ يُعْرَفَنَّ﴾ فهي معرفة بالصفة لا بالشخص. وهذا التفسير منسجم مع ظاهر القرآن - كما ترى -.

وفي الجملة: فلا إشكال في أمر الحرائر بمخالفة زي الإماء ليهابهن الفساق، ودفع ضرر الفساق عن الإماء لازم، وله أسباب أخر ليس منها إدناء الجلابيب (٢).

وقال أيضا: وإذا علمت أن حكم آية الحجاب عام، وأن ما ذكرنا معها من الآيات فيه الدلالة على احتجاب جميع بدن المرأة عن الرجال الأجانب، علمت أن القرآن دل على الحجاب، ولو فرضنا أن آية الحجاب خاصة بأزواجه ﷺ فلا شك أنهن خير أسوة لنساء المسلمين في الآداب

(١) مجموعة رسائل في الحجاب والسفور (٩٨-٩٩).

(٢) أضواء البيان (٦/ ٥٨٦-٥٨٨).

الكريمة المقتضية للطهارة التامة وعدم التدنّس بأنجاس الرّيبة، فمن يحاول منع نساء المسلمين - كالدّعاة للسّفور والتبرّج والاختلاط اليوم - من الاقتداء بهنّ في هذا الأدب السّماويّ الكريم المتضمّن سلامة العرض والطّهارة من دنس الرّيبة غاشّ لأمّة محمّد ﷺ مريض القلب - كما ترى - واعلم أنّه مع دلالة القرآن على وجوب احتجاب المرأة عن الرّجال الأجنبيّ، قد دلّت على ذلك أيضا أحاديث نبويّة.

٣- فمن ذلك ما أخرجه الشّيخان في صحيحيهما وغيرهما من حديث عقبه بن عامر الجهنيّ رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «إياكم والدّخول على النساء». فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحموم؟ قال: «الحموم الموت» أخرج البخاريّ هذا الحديث في كتاب النّكاح في باب: لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم... إلخ.

ومسلم في كتاب السّلام في باب: تحريم الخلوة بالأجنبيّة والدّخول عليها، فهذا الحديث الصّحيح صرّح فيه النبيّ ﷺ بالتحذير الشّديد من الدّخول على النساء، فهو دليل واضح على منع الدّخول عليهنّ، وسؤالهنّ متاعا إلا من وراء حجاب؛ لأنّ من سألهنّ متاعا لا من وراء حجاب، فقد دخل عليها، والنبيّ ﷺ حدّره من الدّخول عليها، ولما سأله الأنصاريّ عن الحموم الذي هو قريب الرّوج الذي ليس محرما لزوجه كأخيه وابن أخيه وعمّه وابن عمّه ونحو ذلك. قال له ﷺ: «الحموم الموت»، فسُمّي دخول قريب الرّجل على امرأته وهو غير محرّم لها باسم الموت، ولا شك أنّ تلك العبارة هي أبلغ عبارات التحذير؛ لأنّ الموت هو أفظع حادث يأتي على الإنسان في الدّنيا.

فتحذيره ﷺ هذا التحذير البالغ من دخول الرّجال على النساء، وتعبيره عن دخول القريب على زوجة قريبه باسم الموت، دليل صحيح نبويّ على أنّ قوله تعالى: ﴿فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ عامّ في جميع النساء - كما ترى -. إذ لو كان حكمه خاصّا بأزواجه ﷺ، لما حدّث الرّجال هذا التحذير البالغ العامّ من الدّخول على النساء، وظاهر الحديث التحذير من الدّخول عليهنّ ولو لم تحصل الخلوة بينهما، وهو كذلك، فالدّخول عليهنّ، والخلوة بهنّ كلاهما محرّم تحرّما شديدا بانفراده، كما قدّمنا أنّ مسلما رضي الله عنه أخرج هذا الحديث في باب تحريم الخلوة بالأجنبيّة والدّخول عليها فدلّ على أنّ كليهما حرام.

وقال ابن حجر في فتح الباري في شرح الحديث المذكور: إياكم والدّخول، بالنّصب على التحذير، وهو تنبيه المخاطب على محذور ليتحرّز عنه - كما قيل: إياك والأسد.

وتقدير الكلام اتقوا أنفسكم أن تدخلوا على النساء، وتضمن منع الدخول منع الخلوة بها بطريق الأولى.

٤- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ ﴿يُحْمِرْنَ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطن فاختمرن بها) <sup>(١)</sup>. وعن صفية بنت شيبة: (أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: لما نزلت هذه الآية ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِحُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ أخذن أزهرن فشققنها من قبل الحواشي، فاختمرن بها. انتهى من صحيح البخاري <sup>(٢)</sup>. قال ابن حجر في الفتح في شرح هذا الحديث: قوله: فاختمرن: أي غطين وجوههن، وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر، وهو التتبع.

قال الفراء: كانوا في الجاهلية تسدل المرأة خمارها من ورائها وتكشف ما قدامها فأمرن بالاستتار <sup>(٣)</sup>.

انتهى محل الغرض من فتح الباري. وهذا الحديث الصحيح صريح في أن النساء الصحابيات المذكورات فيه فهمن أن معنى قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِحُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ يقتضي ستر وجوههن، وأنهن شققن أزهرن، فاختمرن أي سترن وجوههن بها امتثالاً لأمر الله في قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِحُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ المقتضي ستر وجوههن، وبهذا يتحقق المنصف: أن احتجاب المرأة عن الرجال وسترها وجهها عنهم ثابت في السنة الصحيحة المفسرة لكتاب الله تعالى، وقد أثنت عائشة رضي الله عنها على تلك النساء بمسارعتهن لامثال أوامر الله في كتابه. ومعلوم أنهن ما فهمن ستر الوجوه من قوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِحُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ إلا من النبي؛ لأنه موجود وهن يسألنه عن كل ما أشكل عليهن في دينهن، والله - جلّ وعلا - يقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. فلا يمكن أن يفسرنها من تلقاء أنفسهن. وقال ابن حجر في فتح الباري: ولا بن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم عن صفية ما يوضح ذلك، ولفظه: ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن فقالت: إن لنساء قريش فضلا، ولكن والله ما رأيت

(١) البخاري - الفتح ٨ (٤٧٥٨ - ٤٧٥٩). والمروط: جمع مرط، وهو الإزار.

(٢) البخاري - الفتح ٨ (٤٧٥٩).

(٣) معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٤٩) باختلاف في لفظه، وينظر فتح الباري (٨ / ٣٤٧).

أفضل من نساء الأنصار أشدّ تصديقا بكتاب الله، ولا إيمانا بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ بِحُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ فانقلب رجالهنّ إليهنّ يتلون عليهنّ ما أنزل فيها، ما منهنّ امرأة إلا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأنّ على رءوسهنّ الغربان. انتهى محلّ الغرض من فتح الباري، ومعنى معتجرات: مختمرات كما جاء موضحاً في رواية البخاريّ المذكورة آنفاً. فترى عائشة رضي الله عنها مع علمها، وفهمها وتقها أثنت عليهنّ هذا الثناء العظيم، وصرحت بأنّها ما رأت أشدّ منهنّ تصديقا بكتاب الله، ولا إيمانا بالتنزيل. وهو دليل واضح على أنّ فهمهنّ لزوم ستر الوجوه من قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ بِحُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ من تصديقهنّ بكتاب الله وإيمانهنّ بتنزيله، وهو صريح في أنّ احتجاج النساء عن الرجال وسترهنّ وجوههنّ تصديق بكتاب الله وإيمان بتنزيله كما ترى، فالعجب كلّ العجب ممّن يدعي من المنتسبين للعلم أنّه لم يرد في الكتاب ولا في السنّة، ما يدلّ على ستر المرأة وجهها عن الأجنب، مع أنّ الصحابيّات فعلمن ذلك ممثلات أمر الله في كتابه إيمانا بتنزيله، ومعنى هذا ثابت في الصحيح كما تقدّم عن البخاريّ، وهذا أعظم الأدلّة وأصرحها في لزوم الحجاب لجميع نساء المسلمين كما ترى<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاتباع - غض البصر - الحياء - العفة - حسن السمات - حفظ الفرج - الستر - الغيرة - المروءة - التقوى.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: التبرج - إطلاق البصر - اتباع الهوى - الزنا - الفتنة - انتهاك الحرمات - التفريط والإفراط - العصيان].

\*\*\*

### من فوائد (الحجاب)

- (١) في الحجاب طهارة لقلب المؤمن والمؤمنة.
- (٢) في الحجاب ما يمنع إيذاء المؤمنات بقصد أو بغير قصد.
- (٣) الحجاب أمام الرّجل دليل على الهيبة والتّوقير.
- (٤) الحجاب يمنع الشيطان من أن يستشرف المرأة أي ينظر إليها ويتعرّض لها.
- (٥) في التزام الحجاب تنفيذٌ لأمر الله تعالى وأتباع لأوامره.

(١) أضواء البيان (٦ / ٥٩٢ - ٥٩٥).

- (٦) في الحجاب سكينه ووقار لمن يرتديه.
- (٧) الحجاب سمة للحرائر، أما التبرج والبروز فهو سمة للإماء.
- (٨) الحجاب وسيلة من وسائل الحيلة التي شرعها الله ﷻ لحفظ أعراض المسلمين.
- (٩) في الحجاب ما يرضي الله ﷻ ويسخط الشيطان ويسدّ عليه بعض منافذ سهامه القاتلة، وهو بذلك يحمي النساء من التعرّض للإيذاء من شياطين الإنس والجنّ.
- (١٠) التزام الحجاب فيه عمل بسيرة الصحابة والسلف الصالح الذين كانوا أطهر قلوباً وأنقى سريرة.
- (١١) في الحجاب نشر للفضيلة وهدم للرذيلة.
- (١٢) الحجاب مظهر من مظاهر تميّز الأُمَّة الإسلاميّة، وفيه مخالفة لليهود والنصارى وغيرهم.
- (١٣) المحافظة على الحجاب والدعوة إليه دليل على عفة النفس، ومظهر من مظاهر التقوى وتعظيم حرمات الله ﷻ.

## الحج والعمرة

### الحج لغة:

مصدر قولهم حجّ يحجّ هو ومأخوذ من مادّة (ح ج ج) التي تدلّ على أربعة معان: الأول: القصد، وكلّ قصد حجّ، والثاني: الحجّة وهي السنة، والثالث: الحجاج - (بفتح الحاء وكسرهما) - وهو العظم المستدير حول العين، والرابع الحجججة بمعنى النكوص<sup>(١)</sup> والحجّ المذكور هنا إنّما يرجع إلى المعنى الأوّل وهو القصد أو القصد للزيارة، يقال: ورجل محجوج أي مقصود، وحجّة يحجّه حجّاً: قصده. وقد حجّ بنو فلان فلاناً إذا أطالوا الاختلاف إليه. قال المنخبل السعديّ:

وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجّون سبّ<sup>(٢)</sup> الزبيرقان المزعفرا  
قال ابن السكّيت: يكثرون الاختلاف إليه. هذا الأصل، ثمّ تعورف استعماله في القصد إلى مكّة للنسك والحجّ إلى البيت خاصّة. تقول: حججت البيت أحجّه حجّاً. إذا قصدته. ورجل

(١) انظر أمثلة هذه المعاني وشواهداها في مقاييس اللغة (٢/ ٣٠٠).

(٢) السبّ - بكسر السين: العمامة والمراد شخص الزبيرقان.

حَاجٌّ: وقوم حجاج، وحجيج، والحجيج جماعة الحاج، والحج بالكسر: الاسم، والحجة: المرّة الواحدة، وهو من الشّواذ؛ لأنّ القياس بالفتح والحجة السنّة، والجمع الحجج.

ويقال للرجل الكثير الحجّ: إنّه لحجاج.

قال سيوييه: وقالوا حجة واحدة، يريدون عمل سنة واحدة. قال الأزهرى: الحجّ قضاء نسك سنة واحدة. وبعض يكسر الحاء، فيقول: الحجّ والحجة، وقرئ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] والفتح أكثر.

وذو الحجّة: شهر الحجّ، سمّي بذلك للحجّ فيه، وامرأة حجة ونسوة حواج بيت الله بالإضافة إذا كنّ قد حججن، وإن لم يكنّ قد حججن، قلت: حواج بيت الله. وأحججت فلانا: إذا بعثته ليحجّ، ويوم الحجّ الأكبر هو يوم النحر<sup>(١)</sup>.

#### واصطلاحاً:

قصد بيت الله إقامة للنسك، وقال الجرجاني: قصد لبيت الله تعالى بصفة مخصوصة في وقت مخصوص بشرائط مخصوصة. وقال الحافظ في الفتح: الحجّ في الشّرع: القصد إلى البيت الحرام بأعمال مخصوصة.

وقال العيني: الحجّ قصد إلى زيارة البيت الحرام على وجه التّعظيم بأفعال مخصوصة<sup>(٢)</sup>.

#### العمرة لغة:

العمرة والاعتمار: الزيارة التي فيها عمارة البيت<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨] إمّا من العمارة التي هي حفظ البناء أو من العمرة التي هي الزيارة، أو من قولهم عمرت بمكان كذا أي أقمت به، وقال ابن فارس: إنّ العمرة بمعنى الزيارة إنّما هي مأخوذة من مادّة (ع م ر) التي تدلّ على الصّباح والجلبة، يقال اعتمر الرجل إذا

(١) انظر: الصحاح للجوهري (١/ ٣٠٤)، والنهاية لابن الأثير (١/ ٣٤٠، ٣٤١)، ولسان العرب لابن منظور (٢/ ٢٢٦، ٢٢٩)، ومفردات الراغب (١٧٠)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣٠). والقاموس المحيط (حجج) (ص ٢٣٤) ط. بيروت.

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني (٨٢)، وفتح الباري (٣/ ٣٧٨)، وعمدة القاري للعيني (٩/ ١٢١)، ودليل الفالحين لابن علان (٤/ ٧٣).

(٣) في الأصل عمارة الود ولا معنى له هنا ولعله تصحيف.

أهلّ بعمرته، وذلك رفعه صوته للتلبية للعمرة، وقول ابن أحمَر:

يَهْلُ بِالْفَرْقِ دَرَكِبَانَهَا كَمَا يَهْلُ الرَّكَّابُ الْمُعْتَمِرُ  
فقال قوم: هو الذي ذكرناه من رفع الصوت عند التلبية بالعمرة، وقال قوم: هو المعتمر وأي ذلك كان فهو من العلو والارتفاع.

وقال الجوهري: والعمرة في الحج وأصلها من الزيارة، والجمع: العمر، وقال ابن منظور، وقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، قال الزجاج: معنى العمرة في العمل: الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة فقط. والفرق بين الحج والعمرة: أن العمرة تكون للإنسان في السنة كلها، والحج وقت واحد في السنة. وتام العمرة أن يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة، والحج لا يكون إلا مع الوقوف بعرفة يوم عرفة<sup>(١)</sup>.

والعمرة مأخوذة من الاعتمار، وهو الزيارة، ومعنى اعتمر في «قصد البيت» أنه إنما خص بهذا لأنه قصد بعمل في موضع عامر، ولذلك قيل للمحرم بالعمرة معتمر، وقال كراع: الاعتمار: العمرة، سماها بالمصدر وهو الزيارة والقصد، وفي حديث الأسود قال: خرجنا عمّاراً فلما انصرفنا مررنا بأبي ذر فقال: أحلقتم الشعر وقضيتم التفث عمّاراً؟ أي معتمرين<sup>(٢)</sup>.

#### واصطلاحاً:

زيارة البيت الحرام على وجه مخصوص وبشروط مخصوصة.

#### الحج عبادة العمر:

قال الغزالي رحمه الله في الإحياء: إنّ الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتام الإسلام وكمال الدين. فعلى كل حاج ومعتمر أن يبدأ بالتوبة، وردّ المظالم، وقضاء الديون، وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع، ويردّ ما عنده من الودائع، ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وإيابه، كما ينبغي أن يلتمس رفيقاً صالحاً محبباً للخير معيناً عليه، إن ذكر الله أعانه، وإن جبن شجّعه، وإن عجز قوّاه، وإن ضاق صدره صبره<sup>(٣)</sup>.

(١) المفردات (٣٤٧)، ومقاييس اللغة (٤/ ١٤١)، والصحاح (٢/ ٧٥٧)، ولسان العرب (٣١٠٢) ط. دار المعارف.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (٣١٠٢) ط. دار المعارف.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٢٣٩ - ٢٤٧).

[للاستزادة: انظر صفات: الإسلام- الإيمان- الزكاة الصلاة- تعظيم الحرمات- العبادة- التكبير- التهليل.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: العصيان- اتباع الهوى- الإعراض- الغفلة- الفسوق- التهاون].

\*\*\*

### من فوائد (الحج والعمرة)

- (١) الفوز بالجنة والنجاة من النار.
- (٢) طهارة النفس والبدن من أوزار الذنوب.
- (٣) إعلان العبودية لله وحده وخلع ما سواه.
- (٤) التجرد والتحرر من شهوات النفس وملذاتها.
- (٥) ينمي روح المحبة والتعاون بين المسلمين.
- (٦) يدعو إلى الوحدة الشاملة الكاملة بين المسلمين.
- (٧) إذلال للشيطان ومرضاة للرحمن.
- (٨) يشعر بالمساواة بين الناس وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.
- (٩) تعليم المؤمنين البذل والفداء.

### الحذر

#### الحذر لغة:

تدور مادة (ح ذر) حول معنى التَّحَرُّز والتَّيَقُّظ، يقول ابن فارس «الحاء والذال والراء» أصل واحد، وهو التَّحَرُّز والتَّيَقُّظ. يقال: حذر يحذر حذرا.  
ورجل حذر وحذور، وحذريان: متيقظ متحرز.  
وحذار بمعنى احذر<sup>(١)</sup>.  
ويرى الراغب أن الاحتراز مقيد بكونه عن مخيف فيقول: الحذر: احتراز عن مخيف، يقال: حذر حذرا وحذرته<sup>(٢)</sup>.  
وقد دارت كلّ تفريعات المادة حول المعنيين السابقين، يقول الجوهري: «الحذر والحذر:

(١) المقاييس (٢/ ٣٧).

(٢) المفردات (١٠٩).

التَّحَرَّزَ، وقد حذرت الشَّيءَ أحذره حذرا. ورجل حذر وحذر أي متيقِّظ متحرِّز، والجمع حذرون وحذاري وحذرون<sup>(١)</sup>.

ويقول صاحب اللسان: الحذر والحذر: الخيفة. حذره يحذره حذرا واحتذره (الأخيرة عن ابن الأعرابي).. ورجل حذر وحذر، وحاذورة وحذريان: متيقِّظ شديد الحذر والفرع، متحرِّز. والتَّحذِير: التَّخْوِيف، والحذار: المحاذرة.

والمحذورة: الفرع بعينه<sup>(٢)</sup>، وجعل الفيومي الحذر بمعنى الاستعداد والتَّأهَّب فقال: حذر حذرا من باب تعب واحتذر واحترز كلُّها بمعنى استعدَّ وتأهَّب فهو حاذر... وحذر الشَّيءَ إذا خافه، فالشَّيءُ محذور أي مخوف<sup>(٣)</sup>.

ومن قرأ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٥٦] أي مستعدِّون، ومن قرأ: حذرون فمعناه: إِنَّا نَخَافُ شَرَّهُمْ، وقال الفراء في قوله: ﴿حَذِرُونَ﴾: روي عن ابن مسعود أَنَّهُ قَالَ: مؤدُون، أي ذوو أداة من السَّلاح.

وقال الزجاج: الحاذر: المستعدُّ والحذر: المتيقِّظ. وقد حذَّره الأمر، وأنا حذيرك منه أي محذِّرك منه<sup>(٤)</sup>.

وقال الفيروز آبادي في قوله تعالى: ﴿حُدُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] أي ما فيه الحذر من السَّلاح وغيره<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن كثير في معنى الآية الكريمة: يأمر الله ﷻ عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوِّهم وهذا يستلزم التَّأهَّب لهم بإعداد الأسلحة والعدد، وتكثير العدد بالنَّقير في سبيل الله<sup>(٦)</sup>.

#### واصطلاحا:

قال الرَّاغِب: هو احتراز عن مخيف، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) الصحاح (٢/ ٦٢٦).

(٢) اللسان: مادة (حذر) (٥/ ١٧٥)، وانظر القاموس (٢/ ٦).

(٣) المصباح المنير (٤/ ١٧٦).

(٤) اللسان: مادة (حذر) (٥/ ١٧٥).

(٥) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٤٤١).

(٦) تفسير ابن كثير (١/ ١٣٧).

(٧) الكليات للكفوي (٢/ ٢٦٩).

وقال الكفوي: الحذر هو اجتناب الشيء خوفاً منه<sup>(١)</sup>.

الفرق بين الحذر والرّهبة:

الحذر فيه خوف شديد والرّهبة فيها خوف مع تحير<sup>(٢)</sup>.

من معاني كلمة الحذر في القرآن الكريم:

وقد ورد الحذر في القرآن على ثلاثة أوجه، منها:

الأول: بمعنى الخوف والخطر: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]. أي يخوفكم.

الثاني: بمعنى الإباء والامتناع: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٤١]. أي امتنعوا.

الثالث: بمعنى كتمان السرّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤]. أي مظهر ما تكتُمون<sup>(٣)</sup>.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك معنى الاستعداد والتأهب، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ

الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].

وقال الفيروز ابادي رحمه الله: ثم يختلف الحذر: تارة من فتنة الأولاد: ﴿عَدُوا لَكُمْ

فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، وتارة حذر النبي ﷺ من مكر المنافقين: ﴿هُرِّعُوا فَاَحْذَرُوهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]،

وتارة حذرهم ﷺ من فتنة اليهود: ﴿وَاحْذَرُوهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]،

وتارة حذر المنافقون من فضيحتهم بنزول القرآن: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾

[التوبة: ٦٤]، وحذر فرعون وهامان من عسكر موسى بن عمران: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٥٦]،

وحذر المسلم ممن يخالف الرحمن: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣]<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الحيلة - الوقاية الخوف - الخشية - التقوى - الفطنة - البصيرة -

النظر والتبصر - اليقظة.

(١) المفردات (١٠٩)، والكلبيات للكفوي (٢/ ٢٦٩).

(٢) الكلبيات للكفوي (٢/ ٣٠٣).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٤٤١).

(٤) المعنى يختلف الحذر بحسب ما يحذر أو يحذر منه.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأمن من المكر - العجلة - الغرور - الطيش - التفريط والإفراط - الغفلة - التهاون].

\*\*\*

### من فوائد (الحذر)

- (١) الحذر يوصل إلى السلامة وتحقيق المطلوب في الدنيا والآخرة.
- (٢) الحذر صفة إيمانية تقي المؤمن شر المعاصي. ومن الشر وأهله والشيطان وشركه، ومن النفس وهواها.
- (٣) النبي ﷺ ضرب المثل الأعلى في تحذير أمته فما من شيء من الشر إلا وحذرهم منه.
- (٤) على المؤمنين أن يحذروا وينصح بعضهم بعضاً حتى يكونوا مجتمعاً سليماً معافى.
- (٥) دليل اليقظة والإدراك عند المسلم.
- (٦) أخذ الأهبة والاستعداد لمواجهة الأعداء.
- (٧) الحذر من أهل النفاق والذين في قلوبهم زيغ واجب إيماني.
- (٨) التسوية وتأخير الواجبات مما حذرنا منه رسول الله ﷺ.

### حسن الخلق

#### الحسن لغة:

الحاء والسّين والنون أصل واحد، فالحسن ضدّ القبح، يقال: رجل حسن، وامرأة حسنة، وحسّانة، والحسن: الجمال.

وهو نعت لما حسن. يقال: حسن الشيء وحسن يحسن حسناً فيهما فهو حاسن وحسن. قال الجوهري: تقول قد حسن الشيء وإن شئت خففت الضمة فقلت: حسن الشيء، والحسان بالضم أحسن من الحسن، وأحاسن القوم حسانهم، وفي الحديث: «أحاسنكم أخلاقاً الموطأون أكنافاً» وهي الحسنى (مؤنث الأحسن).

وقوله تعالى: ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٦]. قيل أراد الجنة، وكذلك قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. فالحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى،

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]. قال ابن جني: هي مصدر بمنزلة الحسنى، ومعنى الآية: حسنا أي قولاً ذا حسن. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]. أي باستقامة وسلوك الطريق الذي درج السابقون عليه. والحسنة ضد السيئة، والمحاسن في الأعمال ضد المساويء. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نُرْزِقُكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨]. الذين يحسنون التأويل، وقوله تعالى: ﴿وَيَذَرُونَهُ بِالْحُسْنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ [الرعد: ٢٢]. أي يدفعون بالكلام الحسن ما ورد عليهم من سيء غيرهم، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]. قال أبو إسحاق: يكون تاماً على المحسن، والمعنى: تاماً من الله على المحسنين، ويكون تاماً الذي أحسن أي على الذي أحسنه موسى من طاعة الله واتباع أمره<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَا لِيَ تَيْسِيرَ إِلَا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤]. قيل: هو أن يأخذ من ماله ما ستر عورته وسد جوعته، وقوله ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧]. أحسن يعني حسّن، يقول: حسّن خلق كل شيء، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠] تأنيث الأحسن، يقال: الاسم الأحسن، والأسماء الحسنى، ولو قيل في غير القرآن الحسن. لجاز، والحسنة النعمة<sup>(٢)</sup>.

### الخلق لغة:

الخلق اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها، وهو مأخوذ من مادة (خ ل ق) التي تدل على تقدير الشيء، قال ابن فارس ومن هذا المعنى «الخلق» وهي السجية لأن صاحبه قد قدر عليه، وفلان خليق بكذا.

وأخلق به، أي ما أخلقه، أي هو ممن يقدر فيه ذلك، والخلاق النصب لأنه قد قدر لكل أحد نصيبه<sup>(٣)</sup>. وقال الراغب: الخلق والخلق (والخلق) في الأصل واحد لكن خص الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخلق بالقوى والسجيا المدركة بالبصيرة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. والخلاق أيضا ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقته،

(١) على الرأي الأول يكون الذي صفة لموسى عليه السلام، وعلى الثاني يكون صفة للعمل.

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٥٧)، والقاموس المحيط (٤/ ٢١٥-٢١٦)، ولسان العرب (١٣/ ١١٥-١١٧).

(٣) مقاييس اللغة (٢/ ٢١٤).

فأقنع بما قسم المليك فإنها قسم الخلائق بيننا علامها  
والخلقة بالكسر: الفطرة، ويقال: خلق فلان لذلك بالضم كأنه ممن يقدر فيه ذلك وترى فيه  
مَخَائِلَهُ، والخُلُقُ والخُلُقُ السَّجِيَّةُ، يقال: خَالِصِ الْمُؤْمِنِ وَخَالِقِ الْفَاجِرِ» ويقال: فلان يَتَخَلَّقُ بغير  
خُلُقِهِ أَي يَتَكَلَّفُهُ، قال الشاعر:

يا أيها المتحلي غير شيمته إن التخلُّق يأتي دونه الخلق<sup>(٢)</sup>

### الخلق اصطلاحاً:

قال الماوردي: الأخلاق: غرائز كامنة، تظهر بالاختيار، وتقهر بالاضطرار<sup>(٣)</sup>.  
وقال الجرجاني: الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من  
غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً  
بسهولة سميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي  
مصدر ذلك خلقاً سيئاً، وإنما قلنا إنه هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الدور بحالة  
عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه<sup>(٤)</sup>.

### حسن الخلق اصطلاحاً:

قال القزويني رحمته الله: ومعنى حسن الخلق: «سلامة النفس نحو الأرفق الأحمَد من الأفعال،  
وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى، وقد يكون فيما بين الناس».  
أما ما يتعلق بذات الله ﷻ فهو: «أن يكون العبد منشراح الصدر بأوامر الله تعالى ونواهيه،  
يفعل ما فرض عليه، طيب النفس به، سلسا نحوه، وينتهي عما حرّم عليه، راضياً به، غير متضجر  
منه، ويرغب في نوافل الخير، ويترك كثيراً من المباح لوجهه تعالى وتقدس، إذا رأى أن تركه أقرب  
إلى العبودية من فعله مستبشراً لذلك، غير ضجر منه، ولا متعسر به».  
أما في المعاملات بين الناس فهو «أن يكون سمحاً لحقوقه، لا يطالب غيره بها، ويوفي ما

(١) المفردات للراغب (١٥٨).

(٢) الصحاح (٤/ ١٤٧١).

(٣) تسهيل النظر وتعجيل الظفر، للماوردي (٥).

(٤) التعريفات للجرجاني (١٠٤)، إحياء علوم الدين (٣/ ٥٨).

يجب لغيره عليه منها، فإن مرض ولم يعد، أو قدم من سفر فلم يزر، أو سلّم فلم يردّ عليه، أو ضاف فلم يكرم، أو شفع فلم يجب، أو أحسن فلم يشكر، أو دخل على قوم فلم يمكّن، أو تكلم فلم ينصت له، أو استأذن على صديق فلم يؤذن له، أو خطب فلم يزوّج، أو استمهّل الدّين فلم يمهل، أو استنقص منه فلم ينقص، وما أشبه ذلك ولم يغضب، ولم يعاقب، ولم يتنكّر من حاله حال، ولم يستشعر في نفسه أنّه قد حفي وأوحش، وأنّه لا يقابل كلّ ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثله، بل يضمّر أنّه لا يعتدّ بشيء من ذلك، ويقابل كلّ ما هو أحسن وأفضل وأقرب منه إلى البرّ والتّقوى، وأشبه بما يحمد ويرضى، ثمّ يكون في إيفاء ما يكون عليه، كهو في حفظ ما يكون له، فإذا مرض أخوه المسلم عاده، وإن جاء في شفاة شفّعه، وإن استمهله في قضاء دين أمهله، وإن احتاج منه إلى معونته أعانه، وإن استسمحه في بيع سمح له، ولا ينظر إلى أنّ الذي يعامله كيف كانت معاملته إيّاه فيما خلا، وكيف يعامل النّاس، إنّما يتخذ الأحسن إماما لنفسه، فينحو نحوه ولا يخالفه»<sup>(١)</sup>.

وقال الماورديّ رحمته: حسن الخلق، أن يكون سهل العريكة، لينّ الجانب، طلق الوجه، قليل النّفور، طيب الكلمة<sup>(٢)</sup>.

### حقيقة حسن الخلق وأركانه :

وحقيقته أنّه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصّة بها بمنزلة الخلق لصورتها الظّاهرة وأوصافها ومعانيها، ولها أوصاف حسنة وقيحة.

والثّواب والعقاب يتعلّقان بأوصاف الصّورة الباطنة أكثر ممّا يتعلّقان بأوصاف الصّورة الظّاهرة، ولذا تكرّرت الأحاديث في مدح حسن الخلق وذمّ سوءه<sup>(٣)</sup>.

وقال أحدهم: حسن الخلق قسمان: أحدهما مع الله عزّ وجلّ وهو أن تعلم أن كلّ ما يكون منك يوجب عذرا، وأنّ كلّ ما يأتي من الله يوجب شكرا، فلا تزال شاكرا له معذرا إليه سائرا إليه بين مطالعة منته وشهود عيب نفسك وأعمالك.

والثّاني: حسن الخلق مع النّاس: وجماعه أمران: بذل المعروف قولاً وفعلاً، وكفّ الأذى قولاً وفعلاً. وهذا إنّما يقوم على أركان خمسة: العلم والجود والصّبر وطيب العود

(١) مختصر شعب الايمان، للقرظيني (١١٦-١١٧).

(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي (٢٣٧).

(٣) غذاء الألباب، شرح منظومة الآداب، لمحمد السافريني الحنبلي (١/٣٥٣-٣٥٤).

وصحة الإسلام:

(١) أما العلم: فلأنه يعرف معالي الأخلاق وسفاسفها فيمكنه أن يتّصف بهذا ويتحلّى به، ويترك هذا ويتخلّى عنه.

(٢) وأما الجود: فسماحة نفسه وبذلها وانقيادها لذلك، إذا أرادها منها.

(٣) وأما الصبر: فلأنه إن لم يصبر على احتمال ذلك والقيام بأعبائه لم يتهيأ له.

(٤) وأما طيب العود: فأن يكون الله تعالى خلقه على طبيعة منقادة سهلة الانقياد، وسريعة الاستجابة لداعي الخيرات.

(٥) وأما صحة الإسلام: فهي جماع ذلك، والمصحح لكل خلق حسن، فإنه بحسب قوة إيمانه وتصديقه بالجزاء، وحسن موعود الله وثوابه، يسهل عليه تحمّل ذلك ويلدّ له الاتّصاف به. والله الموفق والمعين<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإسلام- الإحسان- الأدب- الألفة- البر- بر الوالدين- البشاشة- حسن السمات- حسن الظن- حسن العشرة- حسن المعاملة- الحياء- الصبر والمصابرة- الجود- العلم- الكلم الطيب- التواضع- الرضا- غض البصر. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإساءة- البذاءة- السفاهة- سوء الخلق- الفجور- سوء الظن- إطلاق البصر- الحقد- البخل- الحسد- البغض- النميمة- الاستهزاء- الاعوجاج- السخرية- سوء المعاملة- إطلاق البصر].

\*\*\*

### من فوائد (حسن الخلق)

- (١) حسن الخلق من أفضل ما يقرب العبد إلى (٣) حسن الخلق يألف الناس ويألفه الناس.  
الله تعالى.
- (٢) إذا أحسن العبد خلقه مع الناس أحبه الله  
والناس.
- (٤) لا يكرّم العبد نفسه بمثل حسن الخلق ولا  
يهينها بمثل سوئه.

(١) تهذيب السنن لابن القيم، شرح سنن أبي داود: (١٣ / ١٣٠).

- (٥) حُسْنُ الخلق سبب في رفع الدَّرَجَاتِ وعلوُّ الهمم. (١١) يدرك المرء بحسن خلقه درجة الصَّائم القائم.
- (٦) حسن الخلق سبب في حبِّ رسول الله ﷺ والقرب منه يوم القيامة. (١٢) حسن الخلق من أكثر ما يدخل النَّاسَ الجنة.
- (٧) حسن الخلق يدلُّ على سِجَاة النَّفْسِ وكرم الطَّبَعِ. (١٣) حسن الخلق يجعل صاحبه مَمَّنْ ثقلت موازينه يوم القيامة.
- (٨) حسن الخلق يحوِّل العدوَّ إلى الصَّديق. (١٤) حسن الخلق يحرم جسد صاحبه على النَّارِ.
- (٩) حسن الخلق سبب لعفو الله وجمال لغفرانه. (١٥) حسن الخلق يصلح ما بين الإنسان وبين النَّاسِ.
- (١٠) يمحو الله بحسن الخلق السيِّئات. (١٦) وبالخلق الحسن يكثر المصافون ويقلُّ المعادون.

### حسن السَّمْتِ

#### السَّمْتُ لغةً:

مصدر سمت يسمت أي قصد وهو مأخوذ من مادَّة (س م ت) التي تدلُّ كما يقول ابن فارس على نهج وقصد وطريقة، يقال: سمت إذا أخذ النهج، وكان بعضهم يقول: السَّمْتُ: السير بالظَّنِّ والحَدْسِ، وهو قول القائل:

#### ليس بها ربع لسمت السَّمات

ويقال: إن فلانا لحسن السَّمْتِ إذا كان مستقيماً بالطَّريقة متحرِّياً لفعل الخير، ومن ذلك التَّسميت في الدَّعاء كقوله ﷺ في حديث الأكل «سَمُّوا ودنَّوا وسمَّتوا» أي إذا فرغتم فادعوا بالبركة لمن طعمتم عنده، وتسميت العاطس (عند من رواه بالسَّين) قيل إنَّه مشتقٌّ من السَّمْت وهو الهيئة الحسنَّة، أي جعلك الله على سمت حسن؛ لأنَّ هيئته تنزعج للعطاس، وقال في الصَّحاح: التَّسميت: ذكر اسم الله تعالى على الشَّيء، وتسميت العاطس أن تقول له: يرحمك الله بالسَّين والشَّين جميعاً، قال ثعلب: والاختيار بالسَّين لأنَّه مأخوذ من السَّمْت وهو القصد والمحبَّة، والسَّمْت (أيضاً) هيئة أهل الخير يقال: ما أحسن سمتَه أي هديَه، والسَّمْت: الطَّرِيق، والسَّمْت:

حسن النحو في مذهب الدين، يقول ابن منظور: والفعل منه سمت يسمت (بضم الميم وكسرها)، يقال إنه لحسن السمّت. أي حسن القصد والمذهب في دينه ودينه، قال الفراء: يقال: سمت لهم يسمت سمّتا، إذا هيأ لهم وجه العمل ووجه الكلام والرأي، يقال: وهو يسمت سمته أي يقصد قصده، وفي حديث حذيفة: ما أعلم أحدا أشبه سمّتا وهديا ودلا برسول الله ﷺ من ابن أمّ عبد، يعني ابن مسعود، قال خالد بن جنية: السمّت أتباع الحق والهدى، وحسن الجوار، وقلة الأذية، والسمّت مصدر قولهم تسمّته سمّتا إذا قصد نحوه (١).

أما الحسن في اللغة فهو مصدر حسن الشيء إذا كان مبهجا مرغوبا فيه، والحسن على ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل أو البصيرة ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحسّ، وأكثر ما جاء في القرآن من الحسن فللمستحسن من جهة البصيرة، وقال في الصحاح: الحسن نقيض القبح وجمعه محاسن على غير قياس (٢).

#### واصطلاحا:

السمّت: حسن النحو في مذهب الدين، وإنه لحسن السمّت، أي حسن القصد والمذهب في دينه ودينه. وقال أبو عبيد: السمّت يكون في حسن الهيئة والمنظر من جهة الخير والدين. لا من جهة الجمال والزينة.

والسمّت أيضا: هيئة أهل الخير، يقال: ما أحسن سمته أي هديه (٣).

#### حسن السمّت اصطلاحا:

وعلى ضوء ما سبق يكون حسن السمّت اصطلاحا هو: حسن المظهر الخارجي للإنسان من طريقة الحديث والصمت، والحركة والسكون والدخول والخروج والسيرة العملية في الناس بحيث يستطيع من يراه أو يسمعه أن ينسبه لأهل الخير والصلاح والديانة والفلاح (٤).

(١) انظر مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٩٩)، والنهاية لابن الأثير (٢/ ٣٩٧)، والصحاح (١/ ٢٥٤)، ولسان العرب مادة: سمت (ص ٢٠٨٧ ط. دار المعارف).

(٢) مفردات الراغب (ص ١١٨)، والصحاح (٥/ ٢٠٩٩).

(٣) استعمل علماء الهيئة لفظ السمّت مصطلحا في معنى آخر هو كما يقول الجرجاني: بأنه خط مستقيم واحد يقع عليه الميزان مثل هذا. وقال التهانوي: السمّت عند أهل الهيئة (الفلك) قوس من الأفق محصور بين الدائرة السمّية وبين دائرة السموت المسمّاة بدائرة المشرق والمغرب... إلخ. انظر كتاب التعريفات للجرجاني (ص ١٢٧)، وكشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي (٣/ ١٣٥).

(٤) قمنا باستنباط هذا التعريف من جملة ما ذكره العلماء عن كل من الحسن والسمّت.

[للاستزادة: انظر صفات: الأدب- حسن الخلق- الوقار- الحياء- الطهارة.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: سوء الخلق- الإهمال- البذاذة- الطيش- النجاسة].

\*\*\*

### من فوائد (حسن السمّت)

- (١) من أخلاق الأنبياء والصالحين.  
(٢) دليل كمال الإيمان ورجاحة العقل.  
(٣) يكسب المرء احترام الآخرين وحبهم.  
(٤) يكسب المرء الهيبة والوقار.  
(٥) يقصد بالتعلّم والطلب أكثر من النقل من الكتب.  
(٦) يدلّ في كثير من الأحيان على صفاء القلب ونقاء السريرة.

### حسن الظنّ

#### حسن الظن لغة:

الحسن لغة: انظر صفة (حسن الخلق).  
أما الظنّ في اللغة فإنه مصدر قولهم ظنّ يظنّ ظناً وهو مأخوذ من مادّة (ظ ن ن) التي تدلّ على معنيين: أحدهما اليقين والآخر الشكّ.  
فأما اليقين فقول القائل: ظننت ظناً أي أيقنت قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] أراد- والله أعلم-: يوقنون. والعرب تقول ذلك وتعرفه، قال شاعرهم وهو دريد بن الصّمّة:  
فقلت لهم: ظنّوا بألّفي مدجج سراتهم في الفارسي المـسرد  
أراد: أيقنوا، ومن هذا الباب مظنة الشيء: وهو معلمه ومكانه، والأصل الآخر: الشكّ: يقال:  
ظننت الشيء، إذا لم تتيقنه، والذين الظنون: الذي لا يدري أيقضى أم لا<sup>(١)</sup>.

(١) شاعر جاهلي، أدرك الإسلام ولم يسلم، وكان من ألد أعداء النبي ﷺ قتل سنة ٨ هـ. يوم حنين وهو في صفوف المشركين.  
والبيت من قصيدة له يرثي فيها أخاه عبد الله وروايتها في الأغاني (١٠ / ٣٠) هكذا:  
وقللت لعراض وأصحاب عارض ورهط بني السوء والقوم شهدي  
علانية ظنّوا بألّفي مدجج سراتهم في الفارسي المـسرد

وقال الراغب: الظنّ: اسم لما يحصل عن أمانة ومتى قويت أدت إلى العلم ومتى ضعفت جدّا لم تتجاوز حدّ التّوهم<sup>(١)</sup>.

وقال ابن منظور: الظنّ شكّ ويقين. إلاّ أنّه ليس بيقين عيان إنّما هو يقين تدبّر، فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلاّ علم. وفي التّنزيل العزيز: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً﴾ [الحاقة: ٢٠] أي علمت.

وقال الجوهري: الظنّ معروف. وقد يوضع موضع العلم. والظنّين: الرّجل المتّهم. والظنّة: التّهمة، والجمع الظنن، ومظنّة الشّيء موضعه ومألفه الذي يظنّ كونه فيه. والجمع المظانّ. قال النّابغة:

فإن يك عامر قد قال جهلا فإن مظنّة الجهل الشّباب  
والظنون: الرّجل السيّء الظنّ<sup>(٢)</sup>.

#### الظن اصطلاحاً:

قال الكفوي: الظنّ: أخذ طرفي الشكّ بصفة الرّجحان وقال أيضاً: والرّاجح إن قاربه إمكان المرجوح يسمّى ظناً، أو هو التردّد الرّاجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم<sup>(٣)</sup>.

وقال التّهانوي: الظنّ: عند الفقهاء: التردّد بين أمرين استويا أو ترجّح أحدهما على الآخر، وعند المتكلّمين: الظنّ تجويز أمرين أحدهما أرجح من الآخر والمرجوح يسمّى بالوهم<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن العربي: الظنّ تجويز أمرين في النفس لأحدهما ترجيح على الآخر<sup>(٥)</sup>.

وعلى هذا فحسن الظنّ ترجيح جانب الخير على جانب الشرّ.

من معاني كلمة «الظنّ» في القرآن الكريم:

ورد الظنّ في القرآن مجملاً على أوجه:

بمعنى اليقين، وبمعنى الشكّ، وبمعنى التّهمة، وبمعنى الحساب.

(١) مقاييس اللغة (٣ / ٤٦١).

(٢) انظر: الصحاح للجوهري (٦ / ٢٢٦٠). والتعريفات للجرجاني (١٤٤). لسان العرب لابن منظور (١٣ / ٢٧٢).

(٣) كليات أبي البقاء الكفوي (١ / ٨٩، ٩٠، ٣ / ٦٢، ١٧٤).

(٤) كشفا اصطلاحات الفنون (٣ / ١٥٤٧).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٤ / ١٧١٢).

فالذي بمعنى اليقين قوله تعالى:

- ١- ﴿يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَكُّوا رَبَّهُمْ﴾ [البقرة: ٤٦].
- ٢- ﴿وَلَقَدْ أَتَى الْفِرَاقُ﴾ [القيامة: ٢٨].
- ٣- ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ [الحاقة: ٢٠].
- ٤- ﴿وَأَنَا ظَنَنْتَا أَن لَنْ نَعْجَزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الجن: ١٢].
- ٥- ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤].
- ٦- ﴿وَضُنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾ [فصلت: ٤٨].
- ٧- ﴿وَضُنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢].
- ٨- ﴿وَضُنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]. يعني المتخلفين عن غزوة تبوك.

وأما الذي بمعنى الشك والتهمة فمنه قوله تعالى:

- ١- ﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ١٥].
  - ٢- ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠].
  - ٣- ﴿وَلَقَدْ ظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا﴾ [الفتح: ١٢].
  - ٤- ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].
  - ٥- ﴿وَضُنُّوا أَنَّهُمْ مَانَعَتْهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢]. يعني بني قريظة وحصونهم.
  - ٦- ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦].
- وأما الذي بمعنى الحساب فمنه قوله تعالى:

- ١- ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَنْ يَحُورَ﴾ (١٤) ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٤، ١٥].
- ٢- ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَبْرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ... الآية [فصلت: ٢٢].

والظن في كثير من الأمور مذموم. ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ

الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦].

وقال: ﴿أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾ [الحجرات: ١٢] <sup>(١)</sup>.

ضابط معنى الظن في القرآن الكريم:

قال الكفوي: عن مجاهد قال: كل ظن في القرآن فهو يقين وهذا يشكل في كثير من الآيات، وقال الزركشي: للفرق بينهما (أي الظن بمعنى اليقين والظن بمعنى الشك) ضابطان في القرآن: أحدهما: أنه حيث وجد الظن محمودا مثابا عليه فهو اليقين، وحيث وجد مذموما متوعدا عليه بالعذاب فهو الشك.

والثاني: أن كل ظن يتصل به أن المخففة فهو شك نحو قوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ﴾ [الفتح: ١٢]، وكل ظن يتصل به أن المشددة فهو يقين كقوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ [الحاقة: ٢٠] والمعنى في ذلك أن: «أن» المشددة للتأكيد فدخلت في اليقين والمخففة بخلافها فدخلت في الشك <sup>(٢)</sup>.

أقسام الظن وأحكامه:

وصفوة القول أن الظن لا يخرج عن أمور خمسة:

الأول: الظن المحرم، وهو سوء الظن بالله. ويقابله وجوب حسن الظن بالله.

الثاني: حرمة سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة، والمطلوب حسن الظن بهم.

الثالث: الظن المباح، وهو الذي يعرض في قلب المسلم في أخيه بسبب ما يوجب الريبة، وهذا الظن لا يحقق.

الرابع: الظن المندوب إليه، وهو حسن الظن بالأخ المسلم وعليه الثواب.

الخامس: الظن المأمور به، وهو الظن فيما لم ينص عليه دليل يوصلنا إلى العلم، وقد تعبدنا الله بالاعتصار على الغالب الظني فيه، كقبول شهادة العدول وتحري القبله وتقويم المستهلكات وأروش الجنایات التي لم يرد نص في تقديرها <sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز (٣/ ٥٤٥-٥٤٧).

(٢) كليات الكفوي (٣/ ١٦٥).

(٣) انظر منهج الدعوة الاسلامية في البناء الاجتماعي (٤١٢).

[للاستزادة: انظر صفات: الأدب - حسن الخلق - حسن المعاملة - حسن العشرة - اليقين .  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإساءة - سوء الخلق - سوء الظن - الطيش].

\*\*\*

### من فوائد (حسن الظن)

- (١) طريق موصل إلى الجنة .  
(٢) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام .  
(٣) يولد الألفة والمحبة بين المسلمين .  
(٤) يهيئ المجتمع الصالح المتماسك ويحقق ورحمته .  
(٥) برهان على سلامة القلب وطهارة النفس .  
(٦) علامة على حسن الخاتمة .  
(٧) لا يأتي إلا عن معرفة قدر الله ومدى مغفرته .  
(٨) يحافظ على أعراض المسلمين .

### حسن العشرة

#### العشرة لغة:

اسم من المعاشرة، والمعاشرة مصدر قولهم عاشرت فلانا إذا خالطته، وكلاهما مأخوذ من مادة (ع ش ر) التي تدل على المخالطة والمداخلة، قال ابن فارس: وإثما سميت عشيرة الرجل بذلك لمعاشرة بعضهم بعضا، وأرجع الرّاجع اشتقاق العشيرة إلى العدد (عشرة)، فقال: والعشيرة أهل الرجل الذين يتكثّر بهم، أي يصيرون له بمنزلة العدد الكامل، وذلك أنّ العشيرة هي العدد الكامل، قال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ وَعَشِيرَتُهُمْ﴾ [التوبة: ٢٤] فصارت العشيرة اسما لكل جماعة من أقارب الرجل الذين يتكثّر بهم، ويقال عاشرته: صرت له كعشيرة في المصاهرة.

وقال ابن منظور: عشيرة الرجل: بنو أبيه الأذنون، وقيل: هم القبيلة، والجمع عشائر. قال أبو علي: قال أبو الحسن: ولم يجمع جمع السلامة. قال ابن شميل: العشيرة العامة مثل بني تميم وبني عمرو ابن تميم، والعشير القبيلة، والعشير: المعاشر، والعشير: القريب والصديق، والجمع عشراء. وعشير المرأة: زوجها لأنه يعاشرها وتعاشره، كالصديق والمصادق، قال ساعدة بن جؤيّة: رآته على يأس، وقد شاب رأسها وحين تصدى للهوان عشيرها أراد لإهانتها وهي عشيرته. وقال النبي ﷺ للنساء: «إنكنّ أكثر أهل النار»، فقيل: لم يا رسول الله؟ قال: «لأنكنّ تكثرن اللعن وتكفرن العشير».

العشير: الزوج. وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحج: ١٣] أي لبس المعاشر<sup>(١)</sup>. وفي تعريف: حسن، انظر: حسن الخلق، وحسن السمات.. وغيرهما.

### العشرة اصطلاحاً:

لا تختلف العشرة في الاصطلاح عن معناها في اللغة الذي هو المخالطة والمداخلة في أمور الحياة، فإذا تعلقت العشرة بالنساء كان المراد بها ما يتعلّق بأمر البيت والنّفقة والتّحدّث مع الزوج وغير ذلك من أمور الحياة. وتدخل العشرة الحسنة بذلك ضمن التّكاليف المتعلّقة بأحوال النّساء خاصّة، لأنّ القوم قبل الإسلام كانوا يسيئون معاشرّة نساءهم<sup>(٢)</sup>. يقول القرطبيّ في معنى قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] أي على ما أمر الله به من حسن المعاشرّة، والخطاب للجميع، إذ لكلّ أحد عشرة، زوجا كان أو وليّاً، ولكنّ المراد بهذا الأمر في الأغلب الأزواج<sup>(٣)</sup>.

### حسن العشرة اصطلاحاً:

إذا تعلقت العشرة بالنّساء فالمراد بها (اصطلاحاً) توفية حقّ المرأة من المهر والنّفقة، وألّا يعبس في وجهها بغير ذنب، وألّا يكون فظاً ولا غليظاً، ولا مظهرًا ميلاً إلى غيرها وقيل: حسن العشرة (مع المرأة) أن يتصنّع لها كما تتصنّع له<sup>(٤)</sup>.

وإذا تعلقت العشرة بعامة النّاس فقد قالوا: إذا أردت حسن المعاشرّة فالتق عدوك وصديقك بالطلاقة، ووجه الرّضا والبشاشة، ولا تنظر في عطفك، ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات. وإذا جلست فلا تتكبّر على أحد، تحفّظ من تشبيك أصابعك، ومن العبث بلحيتك، ومن اللّعب بخاتمك، وتخليل أسنانك، وإدخال إصبعك في أنفك، وكثرة بصاقك، وكثرة التّمطّي والثّأؤب في وجوه النّاس وفي الصّلاة، وليكن مجلسك هادئاً، وحديثك منظوماً مرتباً، واصغ إلى كلام مجالسك. واسكت عن المضاحك، ولا تتصنّع المرأة في التّزيّن، ولا تلحّ في الحاجات. ولا تشجّع أحداً على الظلم، وإذا خاصمت فأنصف، وتحفّظ من جهلك، وتجنّب عجلتك، وتفكّر في حجّتك، ولا تكثر الإشارة بيدك، ولا الالتفات إلى من وراءك، واهدى غضبك وتكلم، وإذا قرّبك

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٢٥)، المفردات للراغب (٣٤٧)، ولسان العرب لابن منظور (٤/ ٤٧٥).

(٢) أخذنا هذا من كلام الفخر الرازي (١٠/ ١٢).

(٣) القرطبي ٥/ ٩٧.

(٤) السابق، الصفحة نفسها.

سلطان فكن منه على حذر، واحذر انقلابه عليك، ولا يحملنك لطفه بك على أن تدخل بينه وبين أهله وحشمه، وإن كنت لذلك مستحقاً عنده. وإيّاك وصديق العافية فإنّه أعدى الأعداء، ولا تجعل مالك أكرم من عرضك. ولا تجالس الملوك؛ فإن فعلت فالنزم ترك الغيبة، ومجانبة الكذب، وصيانة السرّ، وقلة الحوائج، وعليك بتهديب الألفاظ، والمذاكرة بأخلاق الملوك والحذر منهم، وإن ظهرت المودّة ولا تتجشّأ بحضرتهم، ولا تخلّل أسنانك بعد الأكل عندهم، ولا تجالس العامة، فإن فعلت فأداب ذلك ترك الخوض في حديثهم، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم، والتّغافل عمّا يجري من سوء ألفاظهم، وإيّاك أن تمازح لبيبا أو سفيها؛ فإنّ اللّيب يحقد عليك، والسّفية يتجرّأ عليك، ولأنّ المزاح يخرق الهيبة، ويذهب بماء الوجه، ويعقب الحقد، ويذهب بحلاوة الإيمان والودّ، ويشين فقه الفقيه، ويجرّأ السّفية، ويميت القلب، ويباعد عن الرّبّ تعالى، ويكسب الغفلة والدّلّة. ومن بلي في مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإخاء - الأدب - حسن الخلق - حسن المعاملة - الحياء - الكلم الطيب البشاشة - طلاقة الوجه.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: سوء المعاملة - سوء العشرة - الأذى - سوء الخلق - سوء الظن - العبوس - الجفاء - القسوة].

\*\*\*

### من فوائد (حسن العشرة)

- (١) عمل يرضي الله ﷻ ويبارك فيه.
- (٢) يشيع الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة.
- (٣) يقوّم روابط المجتمع وينمي الصّلات الاجتماعية الحميدة.
- (٤) يخلص المستخدمين والعامل وأرباب الحرف لرؤسائهم وأولياء أمورهم إن أحسنوا عشرتهم.
- (٥) يحرص هؤلاء على مصلحة من هم لهم تابعون.
- (٦) يعطي القدوة والمثل لمن هم دونه في حسن العشرة.
- (٧) يزيل الأحقاد والعداوة والحسد من القلوب.

(١) المستطرف (١/ ١٨٦ - ١٨٧).

## حسن المعاملة

## حسن المعاملة لغة:

الحسن لغة: (انظر صفة حسن الخلق)، أما المعاملة فهي: مصدر عامل، وهذا المصدر مأخوذ من مادة (ع م ل) التي تدلّ على كلّ فعل يفعل، قال الخليل: عمل يعمل عملا فهو عامل، ويقال: اعتمل الرجل إذا عمل بنفسه، قال في الصحاح: والتعميل تولية العمل يقال: عمّلت فلانا على البصرة: وليته إيّاها.

وقال ابن منظور: عاملت الرجل أعامله معاملة، والمعاملة في كلام أهل العراق: هي المساقاة في كلام الحجازيين<sup>(١)</sup>.

وقال الفيومي: وعاملته في كلام أهل الأمصار يراد به التصرف من البيع ونحوه. قال النووي<sup>(٢)</sup>: والمساقاة على إطلاقها أن يدفع الرجل إلى آخر شجره ليقوم بسقيه وعمل سائر ما يحتاج إليه بجزء معلوم له من ثمره.

وقيد الشافعي<sup>(٣)</sup> بقوله: «على ما يكفل الرفق بالعامل وصاحب العمل»<sup>(٢)</sup>.

## المعاملة اصطلاحاً:

قال التهانوي: المعاملة عند الفقهاء عبارة عن العقد على العمل ببعض الخرج (التّاج) وتطلق المعاملات أيضا على الأحكام الشرعية المتعلقة بأمر الدنيا باعتبار بقاء الشخص كالبيع والشراء والإجارة ونحوها. وجعلها أصحاب الشافعي ركناً من أركان الفقه؛ فقالوا: الأحكام الشرعية إما أن تتعلق بأمر الآخرة وهي العبادات أو بأمر الدنيا وهي إما أن تتعلق ببقاء الشخص وهي العبادات أو بأمر الدنيا وهي إما أن تتعلق ببقاء الشخص وهي المعاملات أو ببقاء النوع باعتبار المنزل وهي المناكحات أو باعتبار المدينة وهي العقوبات<sup>(٣)</sup>.

ومما تقدّم يمكن القول بأن حسن المعاملة: هو الموقف الحسن الثابت الصادق الذي يتّخذه المؤمن أثناء تعامله مع الآخرين في سائر المعاملات على ما يكفل الرفق بالمتعاملين.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ١٤٤)، ولسان العرب: (١١/ ٤٧٦)، والصحاح (٥/ ١٧٧٥)، والمصباح المنير للفيومي (٤٣٠).

(٢) المجموع شرح المذهب: (١٤/ ٤٠٠).

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٣/ ١٠٣٦)، وراجع المقدمة (١/ ٣٢).

## أقسام المعاملة:

ويمكن تقسيم المعاملة إلى:

دنيوية: وهي ما كان في موقع العقود أو نيتها من بيع وشراء وسلم<sup>(١)</sup> ومساقاة ومزارعة وقروض ورهن وغير ذلك.

وأخروية: وهي ما يبذله المسلم من جهد أو مال أو زمن من غير عوض دنيوي ابتغاء الأجر والثواب من الله. وهو مفتقر إلى النية.

وقد ينطبق هذا على المعاملات الدنيوية إذا قصد بها منفعة المسلمين بما يرضي الله ﷻ وتيسير مصالحهم.

## حسن المعاملة اصطلاحاً:

أن يفى الإنسان بما أبرمه من عقود مع الآخرين مع الرّفق بهم والإحسان إليهم هذا في النّاحية الدنيوية، أمّا فيما يتعلّق بأمر الآخرة فتعني أن يصدق الإنسان في تعامله مع خالقه وأن يخلص نيته في عبادته مصداقاً لقوله ﷻ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»<sup>(٢)</sup>.

## شمول حسن المعاملة:

إنّ الأمر بحسن المعاملة يتضمّن أموراً عديدة منها: الوفاء بالعهود والعقود مع الله ﷻ ومع الناس، وفيما يتعلّق بأمر الناس؛ فإنّ حسن المعاملة يقتضي البعد عن الغش والتدليس وعدم إحصار الكيل والميزان، كما يشمل الرّفق بمن يتعامل معهم من المسلمين، ولا شك أنّ امتزاج أحكام الشريعة بالأخلاق الحسنة الفاضلة يؤدي إلى تنفيذ القوانين والأحكام؛ لأنّ الوازع الديني يساعد على التحلّي بمكارم الأخلاق، فإذا اجتمع الوازع الديني مع الوازع الأخلاقيّ بما فيهما معا من خشية الله ويقظة الضمير، أدّى ذلك إلى احترام القوانين، ومن ثمّ تأمين ما ترمي إليه من عدل وإحسان، وهكذا فإنّ إضافة الوازع الدينيّ والأخلاقيّ إلي الوازع القانوني في مجال تنفيذ القوانين المتّفقة مع الشرع يؤدي بالضرورة إلى تدعيم سلطة الدولة الإسلاميّة في مجال تطبيق القانون على الكافة؛ لأنّ سلطة الدولة وحدها قاصرة عن تأمين هذا التنفيذ المثاليّ إن لم يشدّ

(١) السّلم: في الشرع: عقد يوجب الملك في الثمن عاجلاً وفي المثلثن آجلاً.

(٢) استخلصنا هذا التعريف من جملة أقوال المفسرين والفقهاء.

أزرها في ذلك مؤيّدات الدين والأخلاق وزواجرهما التي تنبع من الشّرع ومن ضمير الإنسان وهذا وحده هو الضّمان الحقيقي للحياة الاجتماعيّة الفاضلة<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: البشاشة- حسن الخلق- حسن العشرة- الشفقة- الشهامة- طلاقة الوجه.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: سوء المعاملة- الإساءة- الأذى- الاستهزاء- التحقير- السخرية العبوس- الكبر والعجب].

\*\*\*

### من فوائد (حسن المعاملة)

- (١) حسن المعاملة مع الله يورث التّقوى (٤) المرأة رقيقة العاطفة متحفّزة المشاعر فبقدر الورع، ومع النّاس يكسب ثقة الآخرين فيه وثقته مع نفسه.
- (٢) تقوم على اليسر، والصّفح، والتّجاوز، (٥) زيادة الألفة والمحبة بين المسلمين. والسّاحة وطلاقة الوجه، والأمانة، والصدّق، وسائر الأخلاق الحميدة.
- (٣) الشّفقة والرّحمة بالعمّال والمستخدمين (٦) تجلب البركة والخير للمتعاملين. (٧) دليل حبّ الخير للآخرين.
- (٨) ترغّب غير المسلم في الدّخول في الإسلام. تدفعهم إلى الإخلاص والمحافظة على الأموال وسلامتها.

### حفظ الأيمان

#### الحفظ لغة:

مصدر قولهم حفظ يحفظ وهو مأخوذ من مادّة (ح ف ظ) التي تدلّ على مراعاة الشّيء، يقال حفظت الشّيء حفظاً، والغضب الحفيظة، وذلك أنّ تلك الحال تدعو إلى مراعاة الشّيء، والتّحفّظ: قلة الغفلة، والحفاظ: المحافظة على الأمور<sup>(٢)</sup>.

(١) بإيجاز وتصرف يسير عن الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية (٣٢٥).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٢ / ٨٧).

قال الراغب ما خلاصته: الحفظ يقال تارة لهيئة النفس التي بها يثبت ما يؤدّي إليه الفهم وبضاده التسيان كما في حفظ القرآن الكريم مثلا، ثم استعمل في كل تفقد وتعهد ورعاية وقوله سبحانه: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] كناية عن العفة. أمّا قوله سبحانه: ﴿حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، أي يحفظن عهد الأزواج عند غيبتهم بسبب أن الله تعالى يحفظهن أن يطلع عليهن، وقرأ ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ بالنصب أي بسبب رعايتهن حق الله تعالى لا لرياء وتصنع منهن.

وقال الجوهري: حفظت الشيء حفظا أي حرسه، وحفظته أيضا بمعنى استظهرته. والحفظة: الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم، والمحافظة: المراقبة، والحفيظ: المحافظ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، والتحفّظ: التيقّظ وقلة الغفلة. وقال في اللسان: والحفيظ من صفات الله ﷻ لا يعزب عن حفظه مثقال ذرة في السماوات والأرض<sup>(١)</sup>.

#### الحفظ اصطلاحاً:

لا يختلف معنى الحفظ في اللغة عن معناه في الاصطلاح، بيد أن المراد به هنا هو معنى المراعاة والتعهد وليس الاستظهار.

#### الأيمان لغة:

الأيمان جمع يمين، واليمين: القسم؛ لأنهم كانوا يتماسحون بأيمانهم فيتحالفون. وفي الحديث: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه ثم ليفعل الذي هو خير»، والجمع: أيمن وأيمان، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ﴾ [القلم: ٣٩] وهي مؤنثة. وأيمن الله (بضم الميم وفتحها، والهمزة تفتح وتكسر) اسم وضع للقسم، وأيم الله وإيم الله بفتح الهمزة وكسرها. وإذا كسرت فالألف ألف قطع. كل ذلك بمعنى اسم وضع للقسم. والتقدير أيمن الله قسماً.

وهمزة أيمن همزة وصل عند سيبويه. وقال الفراء: جمع يمين وهمزته همزة قطع، ويحذفون النون لكثرة الاستعمال<sup>(٢)</sup>.

(١) مفردات الراغب (١٢٤) بتصرف، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٤٨٠)، ولسان العرب (٧/ ٤٤١-٤٤٢).

(٢) لسان العرب (١٣/ ٤٦٢-٤٦٣). وانظر بصائر ذوي التمييز (٥/ ٤٠٧-٤٠٨). ونزهة الأعين النواظر (٦٤١). ومختار

الصحاح (٧٤٥). ومقاييس اللغة (٦/ ١٥٨).

قال ابن حجر رحمته: وأصل اليمين في اللغة اليد وأطلقت على الحلف لأنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كل يمين صاحبه، وقيل لأن اليد اليمنى من شأنها حفظ الشيء فسمي الحلف بذلك لحفظ المحلوف عليه، وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه بها. ويجمع اليمين أيضا على أيمن كرغيف وأرغف.

#### اليمين اصطلاحا:

هي توكيد الشيء بذكر اسم أو صفة لله <sup>(١)</sup>.

قال الجرجاني: اليمين في الشرع تقوية أحد طرفي الخبر بذكر الله تعالى، أو التعليق؛ فإن اليمين بغير الله ذكر للشرط والجزاء حتى لو حلف أن لا يحلف. وقال: إن دخلت الدار فعبدي حرّ يحنث، فتحريم الحلال يمين كقوله تعالى: ﴿لِمَنْ حُرِّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلَةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [التحريم: ١، ٢] <sup>(٢)</sup>.

#### حفظ الأيمان اصطلاحا:

وعلى هذا يكون معنى حفظ الأيمان ضبط المحلوف عليه في النفس فلا يحنث وإذا حنث كفر.

#### أنواع اليمين:

اليمين الغموس: هو الحلف على فعل أو ترك ماض كاذبا.

اليمين اللغو: ما يحلف ظاناً أنه كذا، وهو خلافه، وقال الشافعي رحمته: ما لا يعقد الرجل قلبه عليه، كقوله: لا والله وبلى والله.

اليمين المنعقدة: الحلف على فعل أو ترك آت.

يمين الصبر: هي التي يكون الرجل فيها متعمدا الكذب قاصدا لإذهاب مال مسلم، سميت به لصبر صاحبه على الإقدام عليها مع وجود الزواجر من قلبه.

وقال ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]: قال ابن جرير: لا تتركوها بغير تكفير <sup>(٣)</sup>.

(١) فتح الباري (١١ / ٥٢٥).

(٢) كتاب التعريفات (٢٥٩ - ٢٦٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢ / ٩٤).

صيغة اليمين:

قال ابن حجر رحمته: وجملة ما ذكر في «كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم»: أربع ألفاظ: أحدها: والذي نفسي بيده، وكذا: نفس محمد بيده فبعضها مصدر بلفظ لا<sup>(١)</sup> وبعضها بلفظ أيم<sup>(٢)</sup>.

ثانيها: لا ومقلب القلوب<sup>(٣)</sup>. ثالثها: والله. رابعها: ورب الكعبة.

وأما قوله: «لاها الله إذا» فيؤخذ منه مشروعيتها من تقريره لا من لفظه إذ هو من كلام أبي بكر رحمته في حديث أبي قتادة رقم (٤٣٢١) في غزوة حنين فليُنظر هناك<sup>(٤)</sup>.

انعقاد اليمين:

قال ابن حجر رحمته: بم تنعقد اليمين؟

قد جزم ابن حزم وهو ظاهر كلام المالكية والحنفية بأن جميع الأسماء، أي (أسماء الله الحسنى) الواردة في القرآن والسنة الصحيحة وكذا الصفات صريح في اليمين تنعقد به وتجب لمخالفته الكفارة. والمشهور عند الشافعية والحنابلة أنها ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يختص به كالرحمن ورب العالمين وخالق الخلق فهو صريح تنعقد به اليمين سواء قصد الله أو أطلق.

ثانيها: ما يطلق عليه وقد يقال لغيره لكن بقيد كالرب والحق فتنعقد به اليمين إلا إن قصد به غير الله.

ثالثها: ما يطلق على السواء كالحي والموجود والمؤمن، فإن نوى غير الله أو أطلق فليس بيمين وإن نوى به الله انعقد على الصحيح<sup>(٥)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التقوى - الطاعة مجاهدة النفس - كظم الغيظ - الحلم - إقامة الشهادة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: اللغو - اللهو واللعب - شهادة الزور - التهاون - الحمق - الغضب].

(١) يشير بذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي نفييل «... لا والذي نفسي محمد بيده...» انظر الفتح (١١ / ٥٣٢).

(٢) يشير بذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة «وأيم الذي نفسي محمد بيده» انظر الفتح (١١ / ٥٣٣).

(٣) يشير بذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم «لا ومقلب القلوب» الفتح (١١ / ٥٣١).

(٤) فتح الباري (١١ / ٥٣٤)... وسيأتي فيما بعد.

(٥) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

### من فوائد (حفظ الأيمان)

- (١) من تمام الإيمان وحفظ الإسلام.  
 (٢) تعظيم المولى ﷺ.  
 (٣) تبعث على الصدق والثبات.  
 (٤) تخفيف الله ﷻ عن الحانث بالكفارة رحمة به.  
 (٥) يحمي الإنسان من جريان اللسان باليمين  
 وتعوّده عليه وقد يجره ذلك إلى اليمين  
 الكاذبة فيقع في سخط الله.  
 (٦) المؤمن يتورّع أن يلوذ بيمينه أو يورّي.

### حفظ الفرج

#### حفظ الفرج لغة:

انظر في الحفظ لغة: حفظ الأيمان.

أما الفرج فهو في اللغة مأخوذ من مادة (ف ر ج) التي تدلّ على تفتح في الشيء، من ذلك الفرجة في الحائط وغيره ومعناها الشقّ، والفرج ما بين رجلي الفرس، قال امرؤ القيس:

لها ذنب مثل ذيل العرو س تسدّ به فرجها من دبر  
 والفروج الثغور التي بين مواضع المخافة، والفرج ما بين الرجلين، وكني به عن السوءة وكثر  
 حتى صار كالصريح فيه، قال تعالى: ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحریم: ١٢] وحفظ الفرج عفه عن الزنا.  
 وفي الكلّيات للكفوي: كلّ آية ذكر فيها حفظ الفروج فهو من الزنا إلا قوله تعالى: ﴿قُلْ  
 لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠] فإن المراد بها الاستتار. والمحافظة  
 والحفاظ الذبّ عن المحارم والمنع لها عند الحروب وصونها من العدو<sup>(١)</sup>.

#### واصطلاحاً:

قال البغوي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَعْيُنِهِمْ يَحْفَظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥]: الفرج اسم  
 يجمع سوءة الرجل والمرأة، وحفظ الفرج التّعفّف عن الحرام<sup>(٢)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٤٩٨)، والمفردات (٣٧٥)، ولسان العرب: (٢/ ٣٤٢، ٧/ ٤٤٢)، وانظر بصائر ذوي التمييز (٢/ ٤٨٠-٤٨٢).

(٢) معالم التنزيل (١٨/ ٣٠٣).

## أهمية حفظ الفرج للفرد والمجتمع:

لقد امتدح المولى ﷺ الحافظين فروجهم والحافظات، وجعل ذلك من سمات الفلاح وعلامات الفوز في الدار الآخرة، فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ١ - ٥]، وقد وعد الله هؤلاء المفلحين بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١]، وإذا كان ذلك هو الجزاء في الآخرة، فما أثر ذلك في الحياة الدنيا؟

إنَّ حفظ الفروج وما يستلزمه من غصُّ البصر والعفة عن المحارم يؤدِّي إلى تماسك بنيان المجتمع وسلامته من الأمراض الاجتماعية الفتاكة كاختلاط الأنساب، والأمراض الصحَّية المهلكة كمرض الإيدز الذي انتشر في المجتمعات الفاجرة الماجنة بصورة تؤدِّي إلى الخراب والدَّمار، أمَّا على المستوى الفردي فإنَّ حفظ الفرج يجنِّب صاحبه ويلات الزنا - وما أكثرها - وقد أشار إلى بعض ذلك الإمام ابن القيم عند ما قال: الزنا يجمع خلال الشرِّ كلَّها من قلة الدِّين، وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الغيرة<sup>(١)</sup>، فلا تجد زانيا معه ورع، ولا وفاء بعهد، ولا صدق في حديث، ولا محافظة على صديق، إذ الغدر والكذب والخيانة وقلة الحياء وعدم المراقبة وعدم الأنفة للحرم وذهاب الغيرة من شعبه وموجباته<sup>(٢)</sup> ومفهوم ذلك أنَّ الذي يحافظ على فرجه يقي نفسه هذه الخلال السيِّئة ويتَّصف بأضدادها من كمال الدِّين والمروءة والغيرة والوفاء والمراقبة ونحوها ممَّا يسعد المرء في الدنيا والآخرة.

## بم تحفظ الفروج؟

إذا كان الإسلام قد أمر بحفظ الفروج من الزنا وما يشبهه ويلحق به من سفاح<sup>(٣)</sup> وبغاء<sup>(٤)</sup>

(١) انظر مضار الزنا وآثاره المدمرة في صفة «الزنا» في هذه الموسوعة.

(٢) غذاء الألباب للسفاريني الحنبلي ٢ / ٣٤٥ (نقلا عن روضة المحبين لابن القيم).

(٣) السفاح: يراد به الزنا يعقبه الزواج ممن زنى بها قبله.

(٤) البغاء: هو الفجور والزنا (خاصة إذا كان ذلك بأجر).

ولواط<sup>(١)</sup> ومساحقة<sup>(٢)</sup> واستمناء<sup>(٣)</sup> وعهارة<sup>(٤)</sup>، فإنه قد أوضح بجلاء لا ريب فيه الطرق الكفيلة بحماية الفرد والمجتمع من هذه الآفات المهلكة، فحثّ على العفة والطهارة، وأمر بغضّ البصر ونهى عن التبرجّ وغلظ عقوبة الزنا<sup>(٥)</sup>، ليس ذلك فحسب، ولكنه حثّ على الزواج لمن يقدر عليه تحصينا لفرجه، وبالصوم لمن لا يقدر على الزواج، وما ذلك إلا ليقوي المسلم من ثوران الشهوة وسطوة الغريزة من ناحية، والمحافظة على النسل وتقوية المجتمع الإسلامي بما ينجم عن الزواج من تكثير عدد المسلمين واستمرارية وجودهم من ناحية أخرى.

### حث الإسلام على الزواج:

حثّ القرآن الكريم في مواطن عديدة على الزواج تحصينا للفرج وحفاظا على المجتمع، ووقاية من الانحراف أو الانجراف نحو مقتضيات رغبة طائشة، فقال عزّ من قائل: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢]. وجعله المصطفى ﷺ من سنته، وذلك كما جاء في حكاية الرهط الذين تقالوا عبادته ﷺ، وقال أحدهم: «أما أنا فأعتزل النساء فلا أتزوج أبدا... الحديث، وهنا ردّ عليه الرسول الكريم بأنّه: «يتزوج النساء»، وقال تعقيبا على ذلك: فمن رغب عن سنتي فليس مني. قال ابن حجر: والمراد من ذلك أنّ من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني يلمح بذلك إلى طريق الرهبانية التي ابتدعوها تشدداً وما وقّوا بما التزموه، أمّا طريقة النبي ﷺ الحنيفة السمحة فإنّ منها التزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل<sup>(٦)</sup>.

### حفظ الفرج من مقاصد الزواج:

ذكر الإمام الغزاليّ تكثير النسل وإبقاءه على أنّه المقصد الأوّل للزواج وجعل حفظ الفرج وكسر الشهوة المقصد الثاني فقال: فيه (أي النكاح) فوائد خمسة:

- 
- (١) اللواط: أن يأتي الرجل الرجل في دبره.
  - (٢) المساحقة: أن تفعل المرأة بالمرأة مثلما يفعله بها الرجل.
  - (٣) الاستمناء: استخراج المنى على غير وجه شرعي.
  - (٤) العهارة: أن يأتي المرأة للفجور بها ليلاً، ثم غلبت على الزنا مطلقاً.
  - (٥) عقبتنا لهذه الأمور الخمسة (العفة والطهارة وغض البصر والتبرج والزنا) صفات خاصة، يرجع إليها في مواضعها من الموسوعة.
  - (٦) فتح الباري (٨ / ٩).

- ١- الولد، وهو الأصل وله وضع النكاح والمقصود به إبقاء النسل<sup>(١)</sup>.
- ٢- كسر الشهوة، والمراد التحصن من الشيطان، وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة، وغضّ البصر وحفظ الفرج.
- ٣- ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر ونحوهما إراحة وتقوية لها على العبادة، ذلك أنّ النفس ملول، وهي عن الحق نفور، لأنّه على خلاف طبعها، فلو كلّفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت، وإذا روّحت في بعض الأوقات قويت ونشطت، وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكره ويروّح القلب، وينبغي أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات، ولذلك قال تعالى: ﴿لَيْسَ كُنَّ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]. وقال عليّ عليه السلام: روّحوا القلوب ساعة فإنّها إذا أكرهت عميت.

- ٤- في الزواج تفرغ القلب عن تدبير المنزل وتهيئة أسباب المعيشة ولو تكفل المرء بجميع أشغال المنزل لضاع أكثر أوقاته، ولم يتفرغ للعلم والعمل، والمرأة الصالحة عون على الدّين بهذه الطّريق.
- ٥- مجاهدة النفس ورياضتها بالرّعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل، والصّبر على أخلاقهنّ والسّعي في إصلاحهنّ وإرشادهنّ إلى طريق الدّين، ورعايتهنّ، وهذه كلّها أعمال عظيمة الفضل لما فيها من الرّعاية والولاية، والأهل والولد رعيّة، وفضل الرّعاية عظيم، ولا يحترز منها إلّا من خاف القصور عن القيام بحقّها<sup>(٢)</sup>.

وقال السّفارينّي: النّكاح مأمور به شرعا، وهو مستحسن وضعا وطبعا؛ لأنّ به بقاء النّسل وعمار الدّنيا، وعبادة الله، والقيام بالأحكام، وهو سنّة لذي شهوة ولا يخاف الزّنا ولو كان فقيرا، والاشتغال به أفضل من التّخلّي لنوافل العبادة، ويباح لمن لا شهوة له، ويجب على من يخاف الزّنا رجلا كان أو امرأة، علما كان الخوف أو ظنا، وهو مقدّم على الحجّ الواجب كما نصّ عليه

(١) ذكر الغزالي (إحياء علوم الدين ٢ / ٢٤) للولد من أنواع القرية ما يلي:

- ١- موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان.
- ٢- طلب محبة الرسول صلى الله عليه وآله في التكثير من مباهاته الأمم.
- ٣- طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده.
- ٤- طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبل أبيه... وقد أفاض رحمته في شرح ذلك، واستقصاء ما قال يخرج عن أغراض هذه الموسوعة.
- (٢) إحياء علوم الدين (بتصرف واختصار) ص ٢٤ - ٣١.

الإمام أحمد بن حنبل، وتعرض الكراهية للنكاح إذا كان النكاح غير ذي شهوة لأنه يمنع من تزوجها من الإحصان (العفة) بغيره، ويضربها بحبسها على نفسه<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاستقامة- الإيمان- الحياء- الشرف- العفة- الحجاب- النزاهة- الغيرة- غض البصر- الوقاية- المراقبة- الخوف- تعظيم الحرمات.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الزنا- الدياثة- اتباع الهوى- الأذى- التبرج- إطلاق البصر- التفریط والإفراط- الغي والإغواء- الفحش- الفجور].

\*\*\*

### من فوائد (حفظ الفرج)

- (١) الفلاح والفوز برضوان الله ﷻ في الدنيا والآخرة. (٨) ينشر الأمن ويحفظ الأعراض بين أفراد المجتمع.
- (٢) من حفظ الفرج يكون قد حفظ النسل وطهارة الإنجاب.
- (٣) وبه ينشأ المجتمع النظيف النقي من الدنس وأدران الزنى.
- (٤) يحفظ القلوب من التعلق بالمحرمات.
- (٥) يحفظ المسلمين من أن يسري فيهم داء الزنى وما يتبعه من الأوبئة.
- (٦) يحفظ الصحة العامة من عادات الأمراض الفتاكة التي تنتج عن انتشار الزنى كالزهرى والإيدز كما هو الآن في المجتمعات الغربية.
- (٧) يمنع المفاسد ويطهر الدّم ويؤلف القلوب.
- (٨) ينشر الأمن ويحفظ الأعراض بين أفراد المجتمع.
- (٩) هو عفاف يمتاز به أصحاب الشرائع السماوية عن غيرهم من عبّاد الصنم والدهريين والكفرة وغيرهم.
- (١٠) في حفظ الفرج بالزواج فوائد عديدة ذكرها الإمام الغزالي منها التفرغ للعلم والعمل، وترويح النفس وإيناسها، ومجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية للأهل والولاية عليهم<sup>(٢)</sup>.
- (١١) يزيد في الحسنات ويرفع الدرجات.
- (١٢) النية الصالحة فيه تحوله من عادة إلى عبادة.

(١) انظر هذه الأحكام تفصيلاً في غذاء الألباب، شرح منظومة الآداب للسفاري الحنبلي (٢/ ٤٣٢-٤٣٤).

(٢) انظر الفقرة الخاصة بـ«حفظ الفرج» من مقاصد الزواج.

## حق الجار

## الحق لغة:

مصدر قولهم حق الشيء: وجب وهو مأخوذ من مادة (ح ق ق) التي تدل على إحكام شيء وصحته، فالحق نقيض الباطل، ويقال: حاق فلان فلانا: إذا ادعى كل واحد منهما، فإذا غلبه على الحق قيل حقه وأحقه، واحتق الناس في الدين: إذا ادعى كل واحد الحق. وقال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ﴾<sup>(١)</sup> قال واجب علي، ومن قرأها حقيق على فمعناها: حريص على، ويقال استحقق لقحها: إذا وجب، وقال الجوهري: الحق خلاف الباطل والحق: واحد الحقوق، وقولهم: لحق لا أتيك، هو يمين للعرب يرفعونها بغير تنوين إذا جاءت بعد اللام، وإذا أزالوا عنها اللام قالوا: حقا لا أتيك، والحاقة: القيامة، سميت بذلك لأن فيها حواق الأمور، وقولهم: أحققت الشيء: أي أو جبهته، واستحققت: أي استوجبت. وتحقق عندي الخبر: صح. وحققت قوله وظنه تحقيقا: أي صدقت. وكلام محقق أي رصين، وثوب محقق إذا كان محكم النسخ<sup>(٢)</sup>.

## الجار لغة:

قال الراغب: الجار من يقرب مسكنه منك، وهو من الأسماء المتضايقة؛ فإن الجار لا يكون جارا لغيره إلا وذلك الغير جار له كالأخ والصديق، ولما استعظم حق الجار عقلا وشرعا عبّر عن كل من يعظم حقه أو يستعظم حق غيره بالجار، قال تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦] وقد تصوّر من الجار معنى القرب فقيل لمن يقرب من غيره جاره وجاوره، وتجاوز (معه) قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠] وباعتبار القرب قيل: جار عن الطريق (أي لم يلتزمه وإنما انحرف قريبا منه) ثم جعل ذلك أصلا في العدول عن كل حق فبني منه الجور، قال تعالى: ﴿وَمِنْهَا جَاوِرٌ﴾ [النحل: ٩] أي عادل عن المحجة. وجمع الجار (جيران)، و(جاوره مجاورة، وجوارا) من باب قاتل: والاسم (الجوار) بالضم: إذا لاصقه في السكن، وحكى ثعلب عن ابن الأعرابي: الجار الذي يجاورك بيت بيت، و(الجار): الشريك في العقار: مقاسما كان، أو غير مقاسم، و(الجار): الخفير، و(الجار): الذي يجير غيره، أي يؤمنه مما يخاف، و(الجار):

(١) حَقِيقٌ عَلَىٰ بتشديد الياء قراءة الحسن ونافع وقراءة الجمهور ﴿عَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٠٥].

(٢) مقاييس اللغة، (٢/ ١٧)، والصحاح (٤/ ١٤٦١).

المستجير أيضا، وهو الذي يطلب الأمان، و (الجار): الحليف، و (الجار): الناصر، و (الجار): الزوج، و (الجار) أيضا: الزوجة، ويقال فيها أيضا (جارة)، و (الجارة): الضرة، قيل لها جارة: استكراها للفظ الضرة، و (كان ابن عباس ينام بين جارتيه)، أي زوجته<sup>(١)</sup>.

### حق الجار اصطلاحا:

امثال الوصية بالجار بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة. كالهدية، والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله، ومعاونته فيما احتاج إليه، إلى غير ذلك. وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه حسية كانت أو معنوية<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر رحمته: واسم الجار يشمل المسلم والكافر، والعابد والفاسق، والصديق والعدو، والغريب والبلدي، والنافع والضار، والقريب والأجنبي والأقرب دارا والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها ثم أكثرها وهلم جرا إلى الواحد، وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى كذلك، فيعطى كل حقه بحسب حاله<sup>(٣)</sup>.

أما حق الجار تفصيلا فقد أشار إليه الحديث الثالث عشر والأثران الحادي عشر والثاني عشر، فلتنظر هناك «من الموسوعة الأصل».

### حد الجوار:

وقال: واختلف في حد الجوار: فجاء عن علي رحمته - «من سمع النداء فهو جار»، وقيل «من صلى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار»، وعن عائشة - رحمها - «حد الجوار أربعون دارا من كل جانب»، وعن الأوزاعي مثله، وأخرج البخاري في (الأدب المفرد) مثله عن الحسن<sup>(٤)</sup>.

وقال القرطبي: الجار يطلق ويراد به الداخل في الجوار، ويطلق ويراد به المجاور في الدار وهو الأغلب<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن حجر أيضا: والجار القريب: من بينهما قرابة والجار الجنب بخلافه وهذا قول

(١) المصباح المنير (١ / ٢٤). ولسان العرب (٤ / ١٥٣ - ١٥٥). ومختار الصحاح (١١٦)، ومفردات الراغب، (ص ١٠٣).

(٢) فتح الباري (١٠ / ٤٥٦).

(٣) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) فتح الباري (١٠ / ٤٥٦).

(٥) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

الأكثر، وأخرجه الطَّبْرِيُّ بسند حسن عن ابن عَبَّاسٍ، وقيل الجار القريب: المسلم والجار الجنب غيره وأخرجه أيضا الطَّبْرِيُّ عن نوف البكالي أحد التابعين<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الأدب - تكريم الإنسان - حسن الخلق - إفشاء السلام - التودد - حسن المعاملة - حسن العشرة - طلاقة الوجه - الشهامة.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأذى - الإساءة - سوء المعاملة - اتباع الهوى - الإعراض - سوء الخلق - السفاهة].

\*\*\*

### من فوائد (حق الجار)

- (١) حفظ حقَّ الجار من كمال الإيمان وحسن (٦) المكافأة على الإحسان بأحسن منه. الإسلام.
- (٢) تعظيم حقَّ الجار. بل بتحمّل أذاهم وقضاء حوائجهم وكشف كربهم.
- (٣) حسن العلاقة بين الجيران ترضي الله ﷻ وتسخط الشيطان وسوءها يسخط الله ﷻ ويرضي الشيطان.
- (٤) اسم الجار يشمل عموم أنواع المجتمع فإذا حسنت العلاقة بين الجيران وسادهم الحبُّ والوثام سعد المجتمع كلّه.
- (٥) إنَّ جار الخير يعود خيره عليه وعلى جيرانه وجار السوء يعود سوءه عليه وحده.
- (٧) حسن الجوار ليس بكفٍّ أذاك عن جيرانك فاحفظ حقَّهما فلا يريا منك إلا خيرا.
- (٨) الملكان المجاوران لك أشدَّ الجيران قربا فاحفظ حقَّهما فلا يريا منك إلا خيرا.
- (٩) حسن الجوار باب من أبواب الجنة وسوءه باب من أبواب النار.

### الحكمة

#### الحكمة لغة:

مصدر قولهم حكم أي صار حكيمًا، وهو مأخوذ من مادة (ح ك م) التي تدلُّ على المنع أو

(١) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

المنع للإصلاح<sup>(١)</sup>، ومن هذا الأصل أخذ أيضا الحكم في معنى المنع من الظلم، وحكمة اللجام<sup>(٢)</sup> لأنها تمنع الدابة عما لا يريده صاحبها، والحكمة لأنها تمنع من الجهل.

يقول الجوهرى: الحكم مصدر قولك: حكم بينهم يحكم أي قضى، ويقال حكم له أو عليه، والحكم أيضا: الحكمة (المانعة من الجهالة)<sup>(٣)</sup>، والحكيم العالم، والحكيم: صاحب الحكمة، والحكيم: المتقن للأمر، وقد حكم أي صار حكيما.

قال النمر بن تولب:

وأبغض بغيضك بغضا رويذا إذا أنت حاولت أن تحكما  
أي إذا حاولت أن تكون حكيما. ويقال أحكمت الشيء فاستحكمت أي صار محكما. ويقال (أيضا) حكمت السفيه وأحكمته: إذا أخذت على يده، قال جرير:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا  
ويقال حكمت الرجل تحكيما: إذا منعه مما أراد، ويقال حكمته في مالي: إذا جعلت إليه الحكم فيه، واحتكموا إلى فلان وتحاكموا بمعنى أي تخاصموا إلى الحاكم، والمحكم هو الشيخ المجرب المنسوب إلى الحكمة، وأما الذي في الحديث «إن الجنة للمحكّمين» فهم قوم من أصحاب الأخدود حكّموا وخيّروا فاختراروا الثبات على الإسلام مع القتل<sup>(٤)</sup>.

واستحكم الرجل إذا تناهى عما يضره في دينه ودنياه، وقول الله تعالى: ﴿كَتَبْنَا لَهُ آيَاتِنَا ثُمَّ فَضَّلْنَا مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١] فمعناه كما قال أهل التفسير: أحكمت آياته بالأمر والنهي والحلال والحرام، ثم فضلت بالوعد والوعيد.

(١) ذهب إلى الرأي الأول ابن فارس في مقاييسه ٢ / ٩١، وإلى الآخر الراغب في مفرداته (ص ١٢٦).  
(٢) الحكمة ما أحاط بحكي الدابة سميت بذلك لأنها تمنعه من الجري الشديد (لسان العرب (٩٥٤) ط دار المعارف، وقال الجوهرى: حكمة اللجام ما أحاط بالحنك (الصحاح ٥ / ١٩٠٢).  
(٣) في الأصل: والحكم: الحكمة من العلم ولعل في هذا إشارة إلى معنى الحكم في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ فالحكم بمعنى الحكمة التي هي علم مانع من الجهالة.  
(٤) ما ذكرناه هو رأي الجوهرى، وقد ورد في تفسيره قولان آخران: الأول: المحكمون هم الذين يقعون في يد العدو فيخبرون بين الشرك والقتل فيختارون القتل، وهذا يشمل أصحاب الأخدود وغيرهم، انظر اللسان (ص ٩٥٢). الآخر: المحكمون: هم المخصصون بالحكمة، انظر مفردات الراغب (١٢٨). وقد وردت رواية أخرى بالكسر ويكون المراد بالمحكم هو المنصف من نفسه وقد رجح في اللسان (تبع لابن الأثير) رواية الفتح للحديث الآخر الذى رواه كعب: «إن في الجنة دارا لا يدخلها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو محكم في نفسه». (اللسان الموضوع السابق).

وقال الراغب في مفرداته: الحكم بالشيء أن تقضي بأنه كذا أو كذا ألزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه، والحكمة: إصابة الحقّ بالعلم والعقل، ويختلف معنى الحكمة باختلاف من يتّصف بها، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وهذا وصف به لقمان في قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ ونبه على جملتها (أي الحكمة) بما وصفه به، فإذا قيل في الله تعالى هو حكيم فمعناه بخلاف معناه إذا وصف به غيره، ومن هذا الوجه قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ وإذا وصف به القرآن فلتضمّنه الحكمة، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ وقيل معنى الحكيم المحكم كما في قوله ﷺ: ﴿أُحْكَمَتْ آيَاتُهُ﴾ وكلاهما صحيح فإنّه محكم ومفيد للحكم (أي الحكمة) ففيه المعنيان جميعاً<sup>(١)</sup>.

الحكيم من أسماء الله ﷻ: قال ابن منظور: الله ﷻ أحكم الحاكمين، وهو الحكيم، له الحكم ﷻ، قال الليث: الحكم الله تعالى، وقال الأزهري من صفات الله: الحكم والحكيم والحاكم ومعاني هذه الأسماء متقاربة، وعلينا الإيمان بأنها من أسمائه، وقال ابن الأثير في أسماء الله تعالى الحكم والحكيم وهما بمعنى الحاكم، وهو القاضي فهو فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها فهو فعيل بمعنى مفعول، وقيل الحكيم: ذو الحكمة وهي عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم<sup>(٢)</sup>.

وقال الغزالي: الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، والله ﷻ هو الحكيم الحقّ، لأنّه يعلم أجلّ الأشياء بأجلّ العلوم، إذ أجلّ العلوم هو العلم الأزليّ الدائم الذي لا يتصوّر زواله، المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق إليه خفاء ولا شبهة ولا يتّصف بذلك إلا علم الله ﷻ<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:- اسم الحكيم له سبحانه - من لوازمه ثبوت الغايات المحمودة المقصودة له بأفعاله، ووضع الأشياء في مواضعها، وإيقاعها على أحسن الوجوه<sup>(٤)</sup>.

(١) بتصرف يسير عن المراجع الآتية: مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٩١)، والصحاح للجوهري (٥/ ١٩٠٢)، ولسان العرب لابن منظور (٩٥١-٩٥٤) (ط. دار المعارف)، والمفردات للراغب (ص ١٢٦، ١٢٧).

(٢) لسان العرب: السابق (٩٥١) (ط. دار المعارف).

(٣) المقصد الأسنى ص ١٢٠.

(٤) التفسير القيم ص ٣١.

## الحكمة اصطلاحاً:

قال الكفوي: الحكمة عند العلماء هي استعمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها، وقال بعضهم هي: العلم النافع المعبر عنه بمعرفة ما لها وما عليها المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] (١).

وقد ذكر الجرجاني والتّهانوي وابن حجر للحكمة تعريفات عديدة تختلف باختلاف نوع الحكمة من ناحية واختلاف من يتناولها من العلماء من ناحية أخرى وأهم هذه التعريفات:

## ١- عند المفسرين:

الحكمة: معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به وهو التكليف الشرعية (٢).

## ٢- عند المحدّثين:

قال ابن حجر: واختلف في المراد بالحكمة فقليل: الإصابة في القول. وقيل: الفهم عن الله، وقيل ما يشهد العقل بصحته، وقيل نور يفرّق به بين الإلهام والوسواس. وقيل: سرعة الجواب بالصواب. وقيل: غير ذلك (٣)، ثم نقل عن الإمام النووي قوله: في الحكمة أقوال كثيرة مضطربة صفا لنا منها: أنّ الحكمة هي العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده، والحكيم من حاز ذلك (٤).

## ٣- عند أهل السلوك:

نقل التّهانوي تعريفين للحكمة هما:

أ- الحكمة معرفة آفات النفس والشيطان والرياضات.

ب- الحكمة هيئة للقوة العقلية العملية المتوسطة بين الجبرزة (وهي هيئة تصدر بها الأفعال بالمكر والحيلة) وبين البلاهة وهي الحمق، والحكمة بهذا المعنى أحد أجزاء العدالة المقابلة للجور (٥).

(١) الكليات للكفوي (٢/ ٢٢٢).

(٢) كشف اصطلاحات الفنون للتّهانوي (١/ ٣٧٠).

(٣) فتح الباري (٧/ ١٢٦).

(٤) المرجع السابق (١/ ٥٤٩).

(٥) كذا قال التّهانوي والكشاف (١/ ٣٧٢). وذكر الجرجاني أن الجبرزة في إفراط هذه القوة وذكر البلاهة بدلا من البلاهة، وقال إن المراد بالبلاهة هو التفريط. انظر كتاب التعريفات (ص ٩٧).

من معاني كلمة الحكمة في القرآن الكريم:

وذكر أهل التفسير أنّ الحكمة في القرآن على ستة أوجه:

أحدها: الموعظة: ومنه قوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر: ٥].

الثاني: السنّة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٥١].

الثالث: الفهم: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

الرابع: النبوة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

الخامس: القرآن: أمره ونهيه: ومنه قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

السادس: علوم القرآن: ومنه قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ

فَقَدْ أُوتِيَ حَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]<sup>(١)</sup>. وقد أورد ابن الجوزي للمفسرين في هذه الآية سبعة

أقوال:

١- أنّ المراد بالحكمة القرآن، قاله ابن مسعود رضي الله عنه.

٢- علوم القرآن: ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ونحو ذلك، قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

٣- النبوة: روي عن ابن عباس أيضا، وأسباط والسدي.

٤- الفقه والعلم: رواه ليث عن مجاهد.

٥- الإصابة: رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد.

٦- الخشية لله، قاله الربيع عن أنس رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

٧- العقل في الدين: قاله ابن زيد<sup>(٣)</sup>.

(١) هناك معان أخر أوردتها كتب التفسير تضمنها تصنيفنا للآيات الكريمة في الصفحات التالية.

(٢) وقع تصحيح في نسخة نزهة الأعين النواظر فذكر «الخشية» بدلا من الخشية، وصوبنا كلامه من تفسير القرطبي (٣/ ٢٣٠) وقد ذكر أربعة أوجه أخرى فانظرها هناك.

(٣) وقد وردت هذه الأقوال في حاشية النسخة المحققة، وقال المحقق إن هذا من عمل الناسخ ولم يقدم دليلا على أن ذلك ليس من كلام ابن الجوزي سوى الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا.

وأما الحكيم فقد ورد في القرآن على خمسة أوجه:

- ١- بمعنى الأمور المقضية على وجه الحكمة: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٤].
  - ٢- بمعنى اللوح المحفوظ: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٤].
  - ٣- بمعنى الكتاب المشتمل على قبول المصالح: ﴿ الرَّتِّلَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ [يونس: ١].
  - ٤- بمعنى القرآن العظيم المبين لأحكام الشريعة: ﴿ يَسَّ (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ [يس: ١، ٢].
  - ٥- المخصوص بصفة الله ﷻ تارة مقرونا بالعلو والعظمة: ﴿ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١] وتارة مقرونا بالعلم والدراية: ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾، وتارة مقرونا بكمال الخبرة: ﴿ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾ [هود: ١]، وتارة مقرونا بكمال العزة: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾<sup>(١)</sup>.
- [للاستزادة انظر صفات: الإيمان - الفطنة - الفقه - العلم - السكينة - الورع - النظر والتبصر. وفي ضد ذلك: انظر صفات: السفاهة - الطيش - العجلة - اتباع الهوى - الغفلة - الجهل - البلادة والغباء].

\*\*\*

### من فوائد (الحكمة)

- (١) الإصابة في القول والسداد في الفعل. (٤) الحكمة دليل كمال العقل.
- (٢) الحكيم يعمل على وفق الشرع، ويصيب في القول والفعل والتفكير ويسير على هدي من الله ونور. (٥) يلبس صاحبها تاج الكرامة في الدنيا والآخرة.
- (٣) وأجمل فوائد الحكمة أنها تدل على (٦) ينفع الله بصاحبها طلاب العلم ومريدي الخير.
- (٧) يدرأ الله بصاحبها أبوابا كثيرة من الشر.
- (٨) أنها سمة من سمات الأنبياء والصالحين والبعد عما سواه. والعلماء العالمين.

## الحكم بما أنزل الله

## الحكم لغة:

الحكم مصدر قولهم: حكم يحكم حكما، وهو مأخوذ من مادة (ح ك م) التي تدلّ على المنع من الظلم، وسمّيت حكمة الدابة بذلك لأنها تمنعها عن فعل ما لا يريد صاحبها، يقال: حكمت الدابة وأحكمتها إذا منعته، ويقال أيضا حكمت السفينة، وأحكمتها: إذا أخذت على يديه، قال جرير:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم  
إني أخاف عليكم أن أغضبا

ويقال: حكم فلان في كذا، إذا جعل أمره إليه، والمحكم المجرب المنسوب إلى الحكمة، قال طرفة:

ليت المحكم والموعوظ صوتكما<sup>(١)</sup>

أراد بالمحكم الشيخ المنسوب إلى الحكمة<sup>(٢)</sup>.

تحت التراب إذا ما الباطل انكشفا

أراد بالمحكم الشيخ المنسوب إلى الحكمة<sup>(٣)</sup>.

وقال الراغب: حكم أصله منع منعاً لإصلاح، والحكم بالشيء أن تقضي بأنه كذا، أو ليس بكذا، سواء ألزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَّمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨] ويقال: حاكم وحكام لمن يحكم بين الناس<sup>(٤)</sup>.

وقيل: الحكم: العلم والفقه والقضاء بالعدل، ويروى: «إن من الشعر لحكمة» وهو بمعنى الحكم، ومنه الحديث: الخلافة في قريش والحكم في الأنصار، خصّهم بالحكم لأن أكثر فقهاء الصحابة فيهم، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكم، لأنه يمنع الظالم من الظلم.

(١) صوتكما: بالنصب لأن المراد عاذليّ كبّ صوتكما والخبر متعلق الظرف (تحت التراب). وانظر ديوان طرفة (ص ٢١٥). قال محققه: المحكم: الشيخ المجرب المنسوب إلى الحكمة، أي الذي أحكمته التجارب. ولعل الشاعر يقصد بهذا البيت أن يدعو لصاحبه ألا يكونا على قيد الحياة حينما ينكشف الباطل وتضح الحقيقة، لكيلا يزداد حزنها على ما ناله من ظلم بسبب جور الأمير وطغيانه.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٩١).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص ١٢٦-١٢٧).

(٤) لسان العرب لابن منظور (١٢/ ١٤٠-١٤١).

وقيل: الحكم: الحكمة من العلم، وفي الحديث في صفة القرآن: وهو الذكر الحكيم، أي الحاكم لكم وعليكم، أو هو المحكم الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب. وحاكمه إلى الحكم: دعاه، وحكموه بينهم: أمره أن يحكم، ويقال: حكّمنا فلانا فيما بيننا أي أجزنا حكمه بيننا<sup>(١)</sup>.

### الحكم والحكيم من أسماء الله الحسنى:

والله ﷻ أحكم الحاكمين، وهو الحكيم له الحكم، قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى الحكم والحكيم، هما بمعنى الحاكم، وهو القاضي، فهو فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها، فهو فعيل بمعنى مفعول، وقيل: الحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم، والحكيم يجوز أن يكون بمعنى الحاكم مثل قدير بمعنى قادر، وعليم بمعنى عالم<sup>(٢)</sup>.

وقال الزجاج: فالله تعالى، هو الحاكم، وهو الحكم بين الخلق؛ لأنه الحكم في الآخرة ولا حكم غيره. والحكام في الدنيا إنما يستفيدون الحكم من قبله تعالى علواً كبيراً<sup>(٣)</sup>.

### الحكم بما أنزل الله اصطلاحاً:

الحكم: هو سياسة الناس والقضاء بينهم وتدبير أمورهم طبقاً للأحكام الشرعية. والحكم بما أنزل الله هو العمل بالحكم الشرعي، الذي عرفه الجرجاني بقوله: هو عبارة عن حكم الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين.

وقال المناوي: الحكم عند الأصوليين خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف من حيث كونه كذلك.

وقال الكفوي: الحكم (في الشرع) هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير، وهو مدلول الأمر والنهي والإيجاب والتّحريم ويسمى هذا بالاختصاصات الشرعية،

(١) لسان العرب (١٢ / ١٤٠ - ١٤١).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى لأبي إسحق الزجاج، (٤٤). ومعنى من قبله تعالى: أي من قبل اتباع أحكامه وشرعه الذي أنزله على الرسل في الكتب السماوية الصحيحة.

(٣) باختصار وتصرف يسير عن المراجع الآتية: التعريفات للجرجاني (٩٧)، والتوقيف على مهمات التعريف للمناوي (١٤٥)، والكليات للكفوي (٣٨١).

وأثر الخطاب المترتب على الأفعال الشرعية يسمّى بالتصريفات المشروعة، وهو نوعان: الأول: دنيوي كالصحة في الصلاة، والملك في البيع.

والآخر: أخروي كالثواب والعقاب، وجميع المسببات الشرعية عن الأسباب الشرعية، كل ذلك محكوم لله تعالى ثبت بحكمه وإيجاده وتكوينه.

والحكم الشرعي ما لا يدرك لولا خطاب الشارع، سواء ورد الخطاب في عين هذا الحكم، أو في صورة يحتاج إليها هذا الحكم كالمسائل القياسية، إذ لولا خطاب الشارع في المقيس عليه لا يدرك الحكم في المقيس<sup>(١)</sup>.

شمولية الحكم بما أنزل الله:

إن الحكم بما أنزل الله يتضمن أعمال شريعة الإسلام في كل ما يتعلق بأمر العباد والبلاد في المعاملات، والجنايات والعلاقات الدولية والتجارية، وما أشبه ذلك مما يعرف بالقوانين الحاكمة، كل ذلك ينبغي أن يكون بما أنزله الله في كتابه، أو جاءت به السنة التي تبين للناس ما نزل إليهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقوله عز من قائل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

ويقتضي ذلك أن تكون الأحكام التي وردت بها السنة الشريفة مما أنزل الله؛ لأنها بيان لما أنزله ﷺ يقول الإمام الشافعي: ومن البيان (المشار إليه في الآية الكريمة) ما سنّه رسول الله ﷺ مما ليس فيه نصّ حكم إذ قد فرض الله في كتابه طاعة نبيه ﷺ والانتهاج إلى حكمه، فمن قبل عن رسول الله ق ففرض الله قبل<sup>(٢)</sup>.

ويتضمن الحكم بما أنزل الله أيضا الحكم بما أجمعت عليه الأمة أو قيس على حكم جاء به الكتاب أو أوردته السنة. يقول صاحب المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: عرّف الأصوليون الحكم الشرعي بأنه خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالافتضاء أو التخيير أو الوضع<sup>(٣)</sup>.

(١) باختصار وتصرف يسير عن المراجع الآتية: التعريفات للجرجاني (٩٧)، والتوقيف على مهمات التعريف للمناوي (١٤٥)، والكلبيات للكفوي (٣٨١).

(٢) الرسالة (٢٢).

(٣) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف حامد العالم (٢٤).

أما الاقتضاء؛ فإنه يتناول اقتضاء الوجود واقتضاء العدم، إمّا مع الجزم، أو مع جواز التّرك، فيتناول الواجب والمحظور، والمندوب، والمكروه.

وأما التّخيير فهو الإباحة<sup>(١)</sup>.

وأما الوضع فهو جعل اللفظ دليلاً على المعنى، والمراد به هنا: جعل الله الشّيء سبباً أو شرطاً أو مانعاً صحيحاً أو فاسداً.

والحكم الشرعيّ نوعان: تكليفيّ ووضعيّ، ولكلّ منهما أقسام، أمّا أقسام التّكليفيّ فخمسة: الإيجاب والتّذب، والتّحريم والكرهة والإباحة، وأقسام الحكم الشرعيّ الوضعيّ المتعلّق بأفعال المكلفين قد يكون طلباً أو تخييراً، وقد يكون جعلاً للشّيء سبباً أو شرطاً أو مانعاً وهو خطاب الوضع وقد اختلف العلماء في هذه الآية الكريمة ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]: هل هي في المسلمين أو في الكفار؟ فروي عن الشعبيّ أنّها في المسلمين، وروي عنه أنّها في اليهود، وروي عن طاوس أيضاً أنّها في المسلمين، وأنّ المراد بالكفر فيها كفر دون كفر، وأنّه ليس الكفر المخرج من الملة، وروي عن ابن عبّاس في هذه الآية أنّه قال: ليس الكفر الذي تذهبون إليه، رواه عنه ابن أبي حاتم والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشّيخين ولم يخرجاه، قاله ابن كثير.

قال بعض العلماء: والقرآن العظيم يدلّ على أنّها في اليهود؛ لأنّه تعالى ذكر فيما قبلها أنّهم يحرفون الكلم من بعد مواضعه، وأنّهم يقولون (إن أو تيتم هذا) يعني الحكم المحرّف الذي هو غير حكم الله فخذوه، وإن لم تؤتوه: أي المحرّف؛ بل أو تيتم حكم الله الحقّ «فاحذروا»، فهم يأمرّون بالحدّ من حكم الله الذي يعلمون أنّه حقّ.

وقد قال الله تعالى بعدها: ﴿وَكُنِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥] الآية، فدلّ على أنّ الكلام فيهم، وممن قال بأنّ الآية في أهل الكتاب ما ذكره البراء بن عازب وحذيفة بن اليمان وابن عبّاس وأبو مجلز وأبو رجاء العطارديّ وعكرمة، وعبيد الله بن عبد الله، والحسن البصريّ وغيرهم، وزاد الحسن: وهي علينا واجبة، نقله عنهم ابن كثير.

وقال القرطبيّ في تفسيره: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾،

(١) المحصول في علم أصول الفقه للرازي (١ / ١٠٧).

﴿الظالمون﴾، و﴿الفاسقون﴾. نزلت كلّها في الكفار ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث البراء، وعلى هذا المعظم<sup>(١)</sup>، فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة.

وقيل: فيه إضمار، أي ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ ردّاً للقرآن وجحداً لقول الرسول ﷺ فهو كافر، قاله ابن عباس، ومجاهد، فالاية عامّة على هذا. قال ابن مسعود والحسن: هي عامّة في كلّ من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار، أي معتقداً ذلك ومستحلاً له، فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنّه مرتكب محرّم فهو من فساق المسلمين وأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له<sup>(٢)</sup>.

### الحكم بغير ما أنزل الله:

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : نزلت هذه الآيات بسبب الحكم في الحدود والقصاص والديات، أخبر أنّ التوراة يحكم بها ﴿النبيوت الذين أسلموا للذين هادوا والرتينون والأخبار﴾ [المائدة: ٤٤] وهذا عام في النبيين جميعهم، ثمّ لما ذكر الإنجيل قال: ﴿وليحكوا أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ [المائدة: ٤٧] لأنّ الإنجيل بعض ما في التوراة، والحكم بما أنزل الله فيه حكم بما في التوراة أيضاً، ثمّ قال للرسول ﷺ: ﴿وإن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾ [المائدة: ٤٩]، أمره أن يحكم بما أنزل الله إليه على من قبله<sup>(٣)</sup> ونقله عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله الآية الكريمة ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].. عند ما قيل له: ما هذا الكفر؟ قال: كفر لا يتقل عن الملة، مثل الإيمان بعضه دون بعض، فكذلك الكفر<sup>(٤)</sup>.

### من العبادة الحكم بما أنزل الله:

قال الشيخ عبد العزيز بن باز: وفسر العلماء رحمهم الله - العبادة بمعان متقاربة من أجمعها ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهذا يدلّ على أنّ العبادة تقتضي الانقياد التام لله تعالى وأمرها ونهيها

(١) المعظم: أي معظم التابعين والمفسرين. وسنذكر هذه الآراء بشيء من التفصيل في «الآثار» الواردة في هذه الصفة.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (ج ٢ - ٩٠ - ٩١).

(٣) الفتاوى ١١٣ / ١٩ (بتصرف يسير).

(٤) الفتاوى ٧ / ٢٥٤.

واعتمادا وقولا وعملا، وأن تكون حياة المرء قائمة على شريعة الله يحل ما أحل الله ويحرم ما حرم، ويخضع في سلوكه وأعماله وتصرفاته كلها لشرع الله متجردا من حظوظ نفسه، ونوازع هواه، ليستوي في هذا الفرد والجماعة، والرّجل والمرأة فلا يكون عابدا لله من خضع لربّه في بعض جوانب حياته وخضع للمخلوقين في جوانب أخرى، وهذا المعنى يؤكده قول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] وقال ﷺ: ﴿أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] وما روي أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به». فلا يتم إيمان العبد إلا إذا آمن بالله ورضي حكمه في القليل والكثير، وتحاكم إلى شريعته وحدها في كل شأن من شئونه في الأنفس والأموال والأعراض، وإلا كان عابدا لغيره، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ فمن خضع لله ﷻ، وأطاعه وتحاكم إلى وحيه فهو العابد له ومن خضع لغيره وتحاكم إلى غير شرعه فقد عبد الطَّاغُوتَ، وانقاد له كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّحَكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ والعبودية لله وحده والبراءة من عبادة الطَّاغُوتِ والتحاكم إليه من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، فالله سبحانه هو ربّ الناس وإلههم، وهو الذي خلقهم، وهو الذي يأمرهم وينهاهم ويحييهم ويميتهم ويحاسبهم، ويجازيهم وهو المستحق للعبادة دون كل ما سواه، قال تعالى ألا له الخلق والأمر فكما أنه الخالق وحده فهو الأمر سبحانه والواجب طاعة أمره، وقد حكى الله عن اليهود أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، لما أطاعوهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال، قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وقد روي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه ظن أن عبادة الأحبار والرهبان إنما تكون في الذبح لهم، والنذر لهم والسجود والرکوع لهم فقط وذلك عند ما قدم على النبي ﷺ مسلما وسمعه يقرأ هذه الآية فقال: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم يريد بذلك النصارى، حيث كان نصرانيا قبل إسلامه قال ﷺ: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم فتحلونه». قال: بلى قال: «فتلك عبادتهم».

قال ابن كثير في تفسيره: ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ أي الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام، وما حلله فهو الحلال، وما شرعه أتبع وما حكم به نفذ لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون أي تعالى، وتقدس، وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأولاد، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

إذا علم أن التحاكم إلى شرع الله من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فإن التحاكم إلى الطواغيت والرؤساء والعرافين ينافي الإيمان بالله ﷻ وهو كفر وظلم وفسق يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، ويقول: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ويقول ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰنْسِقُونَ﴾ وبين تعالى أن الحكم بغير ما أنزل الله حكم الجاهلين، وأن الإعراض عن حكم الله تعالى سبب في حلول عقابه وبأسه الذي لا يرد عن القوم الظالمين، يقول سبحانه: ﴿وَأِنْ أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفٰنْسِقُونَ ﴿٤١﴾ أَفَحُكْمَ الْجٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

وإن القارى لهذه الآية والمتدبر لها، يتبين له أن الأمر بالتحاكم إلى ما أنزل الله أكد بمؤكدات ثمانية؛ الأول: الأمر به في قوله تعالى: ﴿وَأِنْ أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ الثاني: أن لا تكون أهواء الناس ورجباتهم مانعة من الحكم به بأي حال من الأحوال، وذلك في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾. الثالث: التحذير من عدم تحكيم شرع الله في القليل والكثير والصغير والكبير، يقول سبحانه: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾. الرابع: أن التولي عن حكم الله وعدم قبول شيء منه ذنب عظيم موجب للعقاب الأليم، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾. الخامس: التحذير من الاغترار بكثرة المعرضين عن حكم الله؛ فإن الشكور من عباد الله قليل، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفٰنْسِقُونَ﴾.

السادس: وصف حكم بغير ما أنزل الله بأنه حكم الجاهلية يقول سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

السابع: تقرير المعنى العظيم بأن حكم الله أحسن الأحكام وأعدلها، يقول ﷺ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا﴾. الثامن: إن مقتضى اليقين هو العلم بأن حكم الله هو خير الأحكام وأكملها وأتمها وأعدلها وأن الواجب الانقياد له مع الرضا والتسليم، يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْلِهِ يُوقِنُونَ﴾. وهذه المعاني الموجودة في آيات كثيرة من القرآن تدل عليها أقوال الرسول ﷺ وأفعاله فمن ذلك قول الله سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية، وقوله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ وروى عن الرسول ﷺ أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»<sup>(١)</sup>.

وقوله لعدي بن حاتم: «أليس يحلّون ما حرم الله فتحلّونه ويحرّمون ما أحلّ الله فتحرمونه» قال: بلى، قال: «فتلك عبادتهم» وقال ابن عباس رضي الله عنهما لبعض من جادله في بعض المسائل: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر»، ومعنى هذا أن العبد يجب عليه الانقياد التام لقوله تعالى، وقول رسوله وتقديمهما على قول كل واحد، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة.

وإذا كان من مقتضى رحمته وحكمته ﷺ أن يكون التّحاكم بين العباد بشرعه ووحيه؛ لأنّه المنزّه عمّا يصيب البشر من الضّعف والهوى والعجز والجهل، فهو سبحانه الحكيم العليم اللطيف الخبير، يعلم أحوال عباده وما يصلحهم، وما يصلح لهم في حاضرهم ومستقبلهم، ومن تمام رحمته أن تولّى الفصل بينهم في المنازعات والخصومات وشئون الحياة، ليتحقّق لهم العدل والخير والسعادة بل والرضا والاطمئنان النّفسي، والرّاحة القلبية، ذلك أنّ العبد إذا علم أنّ الحكم الصادر في القضية التي يخاصم فيها، هو حكم الله الخالق العليم الخبير، قبل ورضي وسلّم حتّى ولو كان الحكم خلاف ما يهوى ويريد، بخلاف ما إذا علم أنّ الحكم صادر من أناس بشر مثله، لهم أهواؤهم وشهواتهم، فإنّه لا يرضى ويستمرّ في المطالبة والمخاصمة ولذلك لا ينقطع النزاع ويدوم الخلاف، وأنّ الله ﷻ إذ يوجب على العباد التّحاكم إلى وحيه رحمة بهم وإحسانا إليهم، فإنّه سبحانه يبيّن الطّريق العامّ لذلك أتمّ بيان وأوضحه بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا

(١) قال النووي: حديث صحيح روينا في كتاب الحجّة بإسناد صحيح.

الْأَمْنَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾  
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْبِ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٨، ٥٩].

والآية وإن كان فيها التوجيه العام للحاكم والمحكوم والراعي والرعية؛ فإن فيها مع ذلك توجيه القضاة والحكام إلى الحكم بالعدل، فقد أمرهم بأن يحكموا بالعدل، وأمر المؤمنون أن يقبلوا ذلك الحكم الذي هو مقتضى - ما شرعه الله سبحانه وأنزله على رسوله، وأن يردوا الأمر إلى الله ورسوله في حال التنازع والاختلاف. ومما تقدم يتبين لك أيها المسلم أن تحكيم شرع الله، والتحاكم إليه مما أوجبه الله ورسوله، وأنه مقتضى العبودية لله والشهادة بالرسالة لنبية محمد ﷺ وأن الإعراض عن ذلك أو شيء منه، موجب لعذاب الله وعقابه وهذا الأمر سواء بالنسبة لما تعامل به الدولة رعيته أو ما ينبغي أن تدين به جماعة المسلمين في كل مكان وزمان وفي حال الاختلاف والتنازع الخاص والعام سواء كان بين دولة وأخرى أو بين جماعة وجماعة، أو بين مسلم وآخر الحكم في ذلك كله سواء، فالله سبحانه له الخلق والأمر وهو أحكم الحاكمين، ولا إيمان لمن اعتقد أن أحكام الناس وآراءهم خير من حكم الله ورسوله أو تماثلها وتشابهها، أو تركها وأحل محلها الأحكام الوضعية والأنظمة البشرية، وإن كان معتقدا أن أحكام الله خير وأكمل وأعدل فالواجب على عامة المسلمين وأمرائهم وحكامهم، وأهل الحل والعقد فيهم، أن يتقوا الله ﷻ ويحكموا شريعته في بلدانهم ويقوا أنفسهم ومن تحت ولايتهم عذاب الله في الدنيا والآخرة، وأن يعتبروا بما حل في البلدان التي أعرضت عن حكم الله وسارت في ركاب من قلدهم الغربيين وأتبع طريقتهم، من الاختلاف والتفرق وضروب الفتن وقلة الخيرات وكون بعضهم يقتل بعضا، ولا يزال الأمر عندهم في شدة، ولن تصلح أحوالهم ويرفع تسلط الأعداء عليهم سياسيا وفكريا إلا إذا عادوا إلى الله سبحانه، وسلوكوا سبيله المستقيم الذي رضيه لعباده وأمرهم به ووعدهم به جنات النعيم وصدق سبحانه إذ يقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَعْيَتْ نَفْسُكَ فَاسْتَجِبَ لِأَمْرِهِ فَاسْتَبَدَلَ أَحْكَامَ الْمَخْلُوقِ الضَّعِيفِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وما أسفه رأي من لديه كلام الله تعالى لينطق بالحق ويفصل في الأمور ويبين الطريق ويهدي الضال ثم ينبذ ليأخذ

بدلاً منه أقوال رجل من الناس أو نظام دولة من الدول، ألم يعلم هؤلاء أنهم خسروا الدنيا والآخرة فلم يحصلوا الفلاح والسعادة في الدنيا، ولم يسلموا من عقاب الله وعذابه يوم القيامة.

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز: أسأل الله أن يجعل كلمتي هذه مذكرة للقوم ومنبهة لهم للتفكير في أحوالهم والنظر فيما فعلوه بأنفسهم وشعوبهم فيعودوا إلى رشدهم، ويلزموا كتاب الله وسنة رسوله ليكونوا من أمة محمد ﷺ حقاً وليرفع ذكرهم بين شعوب الأرض كما ارتفع به السلف الصالح والقرون المفضلة من هذه الأمة حتى ملكوا الأرض وسادوا الدنيا. ودانت لهم العباد، كل ذلك بنصر الله الذي ينصر المؤمنين الذين استجابوا له ولرسوله، ألا ليتهم يعلمون أي كثر أضعوا، وأي جرم ارتكبوا، وما جرّوه على أممهم من البلاء والمصائب قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤]، وجاء في الحديث عنه ﷺ ما معناه «أن القرآن يرفع من الصدور والمصاحف في آخر الزمان حين يزهّد فيه أهله ويعرضون عنه تلاوة وتحكيماً» فالحذر الحذر أن يصاب المسلمون بهذه المصيبة، أو تصاب بها أجيالهم المقبلة بسبب صنيعهم، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

وأوجه نصيحتي أيضاً إلى أقوام من المسلمين يعيشون بينهم وقد علموا الدين، وشرع رب العالمين، ومع ذلك لا زالوا يتحاكمون عند النزاع إلى رجال يحكمون بينهم بعبادات وأعراف ويفصلون بينهم بعبارات ومسجّعات مشابهين في ذلك صنيع أهل الجاهلية الأولى وأرجو ممن بلغته موعظتي هذه منهم أن يتوب إلى الله وأن يكفّ عن تلك الأفعال المحرّمة ويستغفر الله ويندم على ما فات، وأن يتواصى مع إخوانه من حوله على إبطال كل عادة جاهلية أو عرف مخالف لشرع الله؛ فإن التوبة تجب ما قبلها والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وعلى ولاية أمور أولئك الناس وأمثالهم أن يحرصوا على تذكيرهم وموعظتهم بالحق وبيانه لهم وإيجاد الحكام الصالحين بينهم ليحصل الخير بإذن الله ويكفّ عباد الله عن محارمه وارتكاب معاصيه وما أحوج المسلمين اليوم إلى رحمة ربهم التي يغيّر الله بها حالهم ويرفعهم من حياة الذل والهوان إلى حياة العز والشرف، وأسأل الله بأسمائه الحسني، وصفاته العلى، أن يفتح قلوب المسلمين لتفهم كلامه وتقبل عليه سبحانه، وتعمل بوحيه، وتعرض عمّا يخالف شرعه، وتجعل الحكم والأمر له وحده، لا شريك له كما قال تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠].

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين<sup>(١)</sup>.

الحكم في القرآن الكريم:

وردت «الحكم» في القرآن على نيف وعشرين وجها نذكر منها:

حكم الله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ [التين: ٨].

حكم نوح في شفاعته ابنه ﴿ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [هود: ٤٥]<sup>(٢)</sup> وحكم يوسف الصديق بتعبير

الرؤيا لأهل الأسجان ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [يوسف: ٦٧].

وحكم إخوة يوسف عند توقف بعضهم عن الرواح إلى كنعان ﴿ حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ أَبِى أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ

لِى ﴾ [يوسف: ٨٠].

وحكم سيد الأنبياء بما تضمنه القرآن ﴿ وَإِنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٩].

وحكم من الله بالحق إذا اختلف المختلفان ﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾.

[الشورى: ١٠]

وحكم بتقديم الأرواح وتأخيرها من الرحمن ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لِمُعَقَّبٍ لِحُكْمِهِ ﴾ [الرعد: ٤١].

وحكم بتخليد الكفار في النيران ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمْتَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٨].

الحكم الجاهلي الذي طلبه الجهال من أهل الكفر والطغيان ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

الحكم في القيامة بين جميع الإنس والجان ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [النحل: ١٢٤].

حكم الكفار في دعوى مساواتهم مع أهل الإيمان ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

وقوله سبحانه: ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [الصافات: ١٥٤].

وعدّد الإمام الفيروز آباديّ مواضع أخرى للحكم يرجع إليها كاملة في بصائر ذوي التمييز<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاتباع - الإيمان - الحكمة - الولاء والبراء - الإسلام - التقوى -

تعظيم الحرمات - العدل والمساواة - الأمانة.

(١) انظر رسالة الحكم بما أنزل الله لسماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز.

(٢) والمراد حكم الله في ردّ شفاعته لابنه لأنه عمل غير صالح.

(٣) انظر بصائر ذوي التمييز (٢ / ٤٨٨ - ٤٩٠).

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الابتداع - الحكم بغير ما أنزل الله - انتهاك الحرمات - موالاتة الكفار - العصيان الشرك - الخيانة - الغي والإغواء - اتباع الهوى - الإصرار على الذنب - الإعراض - التفريط والإفراط].

\*\*\*

### من فوائد (الحكم بما أنزل الله)

- (١) يكسب رضا الله والسعادة في الدارين.
- (٢) من علامات اليقين بتشريع رب العالمين.
- (٣) الحاكم بما أنزل الله لا يعدم أجراً أصاب أم أخطأ.
- (٤) يحفظ لأهل الذمة حقوقهم.
- (٥) الحكم بما أنزل الله من صفة النبيين والصدّيقين.
- (٦) فيه منجاة من الفتن وخلص من كل المحن.
- (٧) فيه الردع للمجرمين والرضا للمستضعفين.
- (٨) فيه عصمة من أكل الحقوق وظلم الناس.
- (٩) هو أعلى أنواع العبادة وأسمائها.
- (١٠) فيه أمان من الهوى والعجز.

### الحلم

#### الحلم لغة:

مصدر حلم فلان أي صار حليماً، وهو مأخوذ من مادة (ح ل م) التي تدل على ترك العجلة<sup>(١)</sup>، يقال: حلمت عنه أحلم فأنا حليم، قال ابن فارس: الحلم خلاف الطيش، وقال الجوهريّ الحلم (بالكسر) الأناة، وقيل هو: الأناة والعقل وهو نقيض السفه وجمعه أحلام وحلوم، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ بِالْحَلْمِ بِهَذَا﴾. وقولك: حلم (بالضم) يحلم حلماً: أي صار حليماً. وتقول: تحلّم (مشدداً) أي تكلف الحلم قال المتلمس: تحلّم عن الأذنين واستبق ودهم ولن تستطيع الحلم حتى تحلماً كما تقول: حلمه تحليماً: أي جعله حليماً.

(١) لهذه المادة في اللغة معنيان آخران هما: تثقب الشيء والرؤية المنامية. انظر في هذين المعنيين وأمثلهما: مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٩٣).

وأحلمت المرأة: إذا ولدت الحلمات، والرّجل المحلّم: الذي يعلم الحلم. ويقال: حلم الرّجل في منامه يحلم حلما، إذا رأى رؤيا، وحلم يحلم حلما تأتي وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة وقوّة<sup>(١)</sup>.

#### من أسماء الله الحسنى «الحليم»:

قال الغزالي - رحمه الله تعالى -: الحليم: هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ثم لا يستفزّه غضب، ولا يعتريه غيظ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن منظور في معناه: والحليم في صفة الله ﷻ معناه: الصّبور: وقيل: هو الذي لا يستخفّه عصيان العصاة ولا يستفزّه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكلّ شيء مقدارا فهو منته إليه<sup>(٣)</sup>.

وقيل حلم الله: هو تأخيره العقوبة عن المستحقّ لها، فيؤخّر العقوبة عن بعض المستحقّين. ثمّ قد يعدّ بهم، وقد يتجاوز عنهم، وقد يعجل العقوبة لبعضهم<sup>(٤)</sup>.

وقال الزّجاجي: يقال: حلم فلان عن فلان إذا لم يقابله على إساءته ولم يجازه عليها، فالله ﷻ حليم عن عباده؛ لأنّه يعفو عن كثير من سيئاتهم ويمهلهم بعد المعصية ولا يعاجلهم بالعقوبة والانتقام ويقبل توبتهم بعد ذلك<sup>(٥)</sup>.

#### الحلم اصطلاحا:

اختلف في الحلم اصطلاحا على أقوال أهمّها:

الأوّل: قال الرّاعب: الحلم ضبط النفس والطّبع عند هيجان الغضب<sup>(٦)</sup>.

الثّاني: قال الجاحظ: الحلم ترك الانتقام عند شدّة الغضب مع القدرة على ذلك<sup>(٧)</sup>.

الثّالث: قال الجرجاني: الحلم هو الطّمأنينة عند سورة الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظّالم (أي مجازاته بظلمه)<sup>(٨)</sup>.

(١) لسان العرب (٢/ ٩٧٩ - ٩٨١)، والصّاحح للجوهري (٥/ ١٩٠٣ - ١٩٠٤)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٩٣).

(٢) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى (١٠٣)، والآية ٦١ من سورة النحل.

(٣) لسان العرب (٩٨٠) (ط. دار المعارف).

(٤) موسوعة له الأسماء الحسنى (١/ ١٨٢).

(٥) اشتقاق أسماء الله للزّجاجي (٩٦).

(٦) مفردات الرّاعب (١٢٩)، وقد عرفه الماوردي (أدب الدنيا والدين (٢٦١) بالتعريف نفسه ولكنه لم يذكر الطبع.

(٧) تهذيب الأخلاق (٢٣).

(٨) التعريفات (٩٢).

الرابع: قال ابن المناوي: الحلم هو احتمال الأعلى الأذى من الأدنى أو رفع المؤاخذه عن مستحقها بالجناية في حق مستعظم. أو هو رزاة في البدن يقتضيها وفور العقل<sup>(١)</sup>.

### الحلم بالحلم:

قال ابن حبان - رحمه الله تعالى -: الحلم منه ما يكون سجيّة وطبعاً ومنه ما يكون تجربة وتكلفاً، ومنه ما يكون مركباً منهما معاً، وأول الحلم: المعرفة ثم الثبّت، ثم العزم، ثم التصبّر، ثم الصبر، ثم الرضا، ثم الصمت، والإغضاء، وما الفضل إلا للمحسن لمن أساء، فأما من أحسن إلى المحسن، وحلم عمّن لم يؤذّه، فليس ذلك بحلم ولا إحسان، والناس بالنسبة للمرء ضروب ثلاثة: رجل أعزّ منك ورجل أنت أعزّ منه، ورجل ساواك في العزّ، فالتّجاهل على من أنت أعزّ منه لؤم، وعلى من هو أعزّ منك جنف وعلى من هو مثلك هراش كهراش الكلبين، ونقار كنقار الديكين، ولا يفترقان إلا عن الخدش والعقر والهجر ولا يكاد يوجد التّجاهل وترك التّجالم إلا من سفيهين، وقد قيل:

ما تمّ حلم ولا علم بلا أدب ولا تجاهل في قوم حليمه ان  
وما التّجاهل إلا ثوب ذي دنس وليس يلبسه إلا سفيهان  
فالواجب على العاقل إذا غضب واحتدّ أن يذكر كثرة حلم الله عنه مع تواتر انتهاكه محارمه  
وتعدّيه حرّماته ثم يحلم ولا يخرج غيظه إلى الدّخول في أسباب المعاصي.

ولذلك قال محمّد بن السّعديّ لابنه عروة لَمَّا وليّ اليمن: إذا غضبت فانظر إلى السّماء فوقك وإلى الأرض تحتك، ثم عظم خالقهما.

### والحلم على ضريين:

أحدهما: ما يرد على النّفس من قضاء الله من المصائب التي امتحن الله بها عباده فيصبر العاقل تحت ورودها ويحلم عن الخروج إلى ما لا يليق بأهل العقل.

والآخر: ما يرد على النّفس بضدّ ما تشتهيه من المخلوقين فمن تعودّ الحلم فليس بمحتاج إلى التّصبّر لاستواء العدم والوجود عنده<sup>(٢)</sup>.

(١) التوقيف على مهمات التعريف (١٤٦).

(٢) من روضة العقلاء (٢٠٨ - ٢١٤) بتصرف.

## بيان الأسباب الدافعة للحلم:

قال الماورديّ - رحمه الله تعالى - : الحلم من أشرف الأخلاق وأحقّها بذوي الألباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد.

وأَسباب الحلم الباعثة عليه عشرة وهي :

(١) الرّحمة للجّهال، وذلك من خير يوافق رقة، وقد قيل في منشور الحكم: من أوكد أسباب الحلم رحمة الجهّال.

(٢) القدرة على الانتصار، وذلك من سعة الصّدر وحسن الثّقة.

(٣) التّرفّع عن السّباب، وذلك من شرف النّفس وعلوّ الهمة. وقد قيل: إنّ الله تعالى سمّى نبيّه يحيى عليه السلام سيّداً وذلك لحلمه ولذلك قال الشّاعر:

لا يبلغ المجد أقوام وإن كرموا      حتّى يذلّوا وإن عزّوا لأقوام  
ويشتموا فتري الألوان مسفرة      لا صفح ذلّ ولكن صفح أحلام

(٤) الاستهانة بالمسيء، وذلك عن ضرب من الكبر ومن مستحسنه ما روي أنّ مصعب بن الزّبير لما وليّ العراق جلس يوماً لعطاء الجند، وأمر مناديه فنادى: أين عمرو بن جرموز؟ وهو الذي قتل أباه الزّبير بن العوّام رضي الله عنه فقيل له: إنّّه قد تباعد في الأرض. فقال: أو يظنّ الجاهل أنّي أقيده بأبي عبد الله؟ فليظهر آمنّا ليأخذ عطاءه موفّراً.

(٥) الاستحياء من جزاء الجواب، والباعث عليه صيانة النّفس وكمال المروءة، ولذلك قيل: ما أفحش حلّيم ولا أوحش كريم.

(٦) التّفضّل على السّاب، ويبعث عليه الكرم وحبّ التّألّف، وقد حكى عن الأحنف بن قيس أنّه قال: ما عاداني أحد قطّ إلا أخذت في أمري بإحدى ثلاث خصال: إن كان أعلى منّي عرفت له قدره، وإن كان دوني رفعت قدره عنه، وإن كان نظيري تفضّلت عليه.

(٧) استتلاف السّباب وقطع سببه، والباعث عليه الحزم، وقد قال الشّعبيّ - رضي الله عنه - : ما أدركت أمّي فأبرّها، ولكن لا أسبّ أحداً فيسبّها ولذلك قيل: في إعراضك صون أعراضك. وقد قال الشّاعر:

وفي الحلم ردع للسّفية عن الأذى      وفي الخرق إغراء فلاتك أخرقا

وقال آخر:

قل ما بدا لك من زور ومن كذب حلمي أصم وأذني غير صماء

(٨) الخوف من العقوبة على الجواب، ويبعث عليه ضعف النفس وربما أوجبه الرأي واقتضاه الحزم وقد قيل: الحلم حجاب الآفات. وقال الشاعر في هذا:

ارفق إذا خفت من ذي هفوة خرقا ليس الحلِيم كمن في أمره خرق

(٩) الرّعاية ليد سالفة وحرمة لازمة: والباعث عليه الوفاء وحسن العهد.

(١٠) المكر وتوقع الفرص الخفيّة: ويبعث عليه الدّهاء، وقد قال بعض الأدباء:

غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله. قال إياس بن قتادة:

تعاقب أيدينا ويحلم رأينا ونشتم بالأفعال لا بالتكلم

فهذه عشرة أسباب تدعو إلى الحلم، وبعض الأسباب أفضل من بعض، وإذا كان بعض أسبابه مفضولا؛ فإنّ ذلك لا يقتضي أنّ نتيجته من الحلم مذمومة، وإنّما الأولى بالإنسان أن يدعو للحلم أفضل أسبابه، وإن كان الحلم كلّ فضلا، وإن عري الحلم عن أحد هذه الأسباب كان ذلّا ولم يكن حلما، ولذلك قال الشاعر:

من يدعي الحلم أغضبه لتعرفه لا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب

ومن أحكم أبيات في تدبير الحلم والغضب ما قال أبو حاتم:

إذا أمن الجهّال جهلك مرّة فعرضك للجهّال غنم من الغنم

فعمّ عليه الحلم والجهل والقه بمنزلة بين العداوة والسلم

إذا أنت جاريت السفيه كما جرى فأنت سفيه مثله غير ذي حلم

ولا تعضين عرض السفيه وداره بحلم فإن أعياء عليك فبالصم

فيرجوك تارات ويخشاك تارة ويأخذ فيما بين ذلك بالحزم

فإن لم تجد بدا من الجهل فاستعن عليه بجهّال فذاك من العزم

وقال الماوردي: وهذه من أحكم أبيات وجدتها في تدبير الحلم والغضب، وهذا التدبير إنّما

يستعمل فيما لا يجد الإنسان بدا من مقارفته ولا سبيل إلى أطراحه ومشاركته، إمّا لخوف شرّه، أو للزوم أمره.

وأما من أمكن أطراحه، ولم يضرَّ إبعاده فالهوان به أولى، والإعراض عنه أصوب، وهو في هذه الحال استفاد بتحريك الغضب فضائله وأمن بكفّ نفسه عن الانقياد له، وصار الحلم مدبراً للأمر المغضبة، بقدر لا يعتريه نقص بعدم الغضب، ولا يلحقه زيادة بفقد الحلم ولو عزب عنه الحلم حتّى انقاد لغضبه ضلّ عنه وجه الصواب فيه، وضعف رأيه عن خبرة أسبابه ودواعيه حتّى يصير بليد الرأى مغمور الرؤية مقطوع الحجّة مسلوب العزاء، قليل الحيلة مع ما يناله من أثر ذلك في نفسه وجسده حتّى يصير أضرب عليه ممّا غضب له، فينبغي لذي اللبّ السويّ والحزم القويّ أن يتلقّى قوّة الغضب بحلمه فيصدّها، ويقابل دواعي شرّته بحزمه فيردّها ليسعد بحميد العاقبة<sup>(١)</sup>.

### بين الحلم وكظم الغيظ:

قال الغزاليّ - رحمه الله تعالى -: الحلم أفضل من كظم الغيظ؛ لأنّ كظم الغيظ عبارة عن التّحلّم أي تكلف الحلم، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلّا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعود ذلك صار ذلك اعتياداً فلا يهيجه الغيظ، وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب وهذا هو الحلم الطّبيعيّ، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوّة الغضب وخضوعها للعقل، ويكون ابتداءه التّحلّم وكظم الغيظ تكلفاً ويعتاد ذلك حتّى يصير خلقاً مكتسباً<sup>(٢)</sup>.

وقال الجاحظ: وهذه الحال (أي حال الحلم) محمودة ما لم تؤدّ إلى ثلم جاه أو فساد سياسة وهي بالرّؤساء والملوك أحسن؛ لأنّهم أقدر على الانتقام من مغضبهم، ولا يعدّ فضيلة حلم الصّغير عن الكبير وإن كان قادراً على مقابله في الحال؛ فإنّه وإن أمسك فإنّما يعدّ ذلك خوفاً لا حلماً<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الرفق - الشفقة - الصبر والمصابرة - كظم الغيظ - اللين - التّأني - حسن الخلق - حسن العشرة - حسن المعاملة.]

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الجهل - السفاهة - الطيش - العنف - الغضب - الفحش - القسوة - الفضح - سوء المعاملة - سوء الخلق - العجلة].

\*\*\*

(١) أدب الدنيا والدين (٣٠٣-٣١٠) بتصرف.

(٢) إحياء علوم الدين (٣/١٧٦) بتصرف.

(٣) تهذيب الأخلاق (٢٣).

## من فوائد (الحلم)

- (١) صفة تكسب المرء محبة الله ورضوانه. (٨) قد يكتسبه الإنسان بالتعود وبالرغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل.
- (٢) دليل كمال العقل وسعة الصدر، وامتلاك النفس.
- (٣) معاونة الملائكة له.
- (٤) إعانة الناس له ووقوفهم في صفه.
- (٥) يحتاج المرء أحيانا إلى الخروج عنه لردع السفيه.
- (٦) لا يكون إلا مع القدرة على إنزال العقوبة وإلا فهو ضعف وذل.
- (٧) قليل من الخلق من يتصف به.
- (٩) صفة من صفات الله سبحانه، وهي من صفات أوليائه أيضا.
- (١٠) تعمل على تألف القلوب ونشر المحبة بين الناس.
- (١١) تزيل البغض وتمنع الحسد وتميل القلوب.
- (١٢) يستحق صاحبها الدرجات العلى والجزاء الأوفى.

## الحمد

## الحمد لغة:

مصدر قولهم: حمد يحمد، وهو مأخوذ من مادة (ح م د) التي تدل كما يقول ابن فارس<sup>(١)</sup> على خلاف الذم، يقال: حمدت فلانا أحمده (مدحته)، ورجل محمود ومحمد، إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة.

قال الأعشى يمدح النعمان:

إليك أبيت اللعن كان كلالها إلى الماجد الفرع الجواد المحمّد  
وتقول العرب: حمادك أن تفعل كذا أي غايتك وفعلك المحمود منك غير المذموم. وذكر  
الراغب: أن الحمد أخص من المدح؛ لأن المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره أو من غير  
اختياره، والحمد لا يكون إلا لما فيه اختيار كبذل المال ونحوه<sup>(٢)</sup>.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٠٠).

(٢) الصحاح (٢/ ٤٦٦).

قال الجوهري: والتَّحْمِيدُ أبلغ من الحمد، والحمد أعم من الشُّكر، والمحمَّد الذي كثرت خصاله المحمودة، والمحمدة خلاف المذمَّة، وأحمد فلان صار أمره إلى الحمد، وأحمدته أي وجدته محموداً، وقولهم في المثل: العود أحمد أي أكثر حمداً.

قال الشاعر:

فلم تجر إلا جئت في الخير سابقاً ولا عدت إلا أنت في العود أحمد

ويقال رجل حمدة أي يكثر حمد الأشياء، ويقول فيها أكثر ممَّا فيها. ونقل صاحب اللسان أن الحمد: الشُّكر: قاله اللحياني والأخفش.

الحمد: الثناء. قاله الأزهرى وهو نقيض الذم.

والحمد: الجزاء قاله سيبويه. ويقال: رجل حمدة كثير الحمد، ومثله حماد. ويقال: فلان يتحمَّد الناس بجوده أي يريهم أنه محمود.

ومن أمثالهم: من أنفق ماله على نفسه فلا يتحمَّد به إلى الناس، إنما يُحمد على إحسانه إلى الناس، وحمده وحمده، وأحمده وجده محموداً، ويقال: أتيت موضع كذا فأحمدته أي صادفته محموداً موافقاً، وذلك إذا رضيت سكناه أو مرعاه.

وقال بعضهم: أحمد الرجل إذا رضي فعله ومذهبه ولم ينشره.

وقال اللحياني: أحمد الرجل (بالضم) فعل ما يحمد عليه وصار أمره إلى الحمد، والمحمَّد: الذي كثرت خصاله المحمودة وقد سمِّي به نبينا ﷺ.

والتَّحْمِيدُ: حمدك الله ﷻ مرَّة بعد مرَّة، وأحمد إليك الله: أشكره إليك، أو معناه: أحمد معك الله أو أشكر إليك نعمه وأحدثك بها.

والمقام المحمود: المقام الذي يحمد فيه جميع الخلق رسول الله ﷺ لتعجيل الحساب والإراحة من طول الوقوف<sup>(١)</sup>.

#### الحمد اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الحمد: هو الثناء على الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها

(١) لسان العرب (٣/ ١٥٥-١٥٨) ط. بيروت.

وقال ابن القيم: الحمد: إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه.

وقال الراغب: الحمد لله تعالى: هو الثناء عليه بالفضيلة<sup>(١)</sup>.

### الفرق بين الحمد والمدح والشكر والثناء:

الحمد: أخص من المدح وأعم من الشكر؛ فإن المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره ومما يكون منه وفيه بالتسخير. فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه: كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه، والمدح يكون في الثاني دون الأول، والشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة: فكل شكر حمد وليس كل حمد شكرا، وكل حمد مدح وليس كل مدح حمدا<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: إن كل واحد من المدح والحمد يتضمّن العلم بما يحمد به غيره ويمدحه فلا يكون مادحا ولا حامدا من لم يعرف صفات المحمود والممدوح فإن تجرّد عن العلم كان كلاما بغير علم، فإن طابق فصدق وإلا فكذب. وقد جاء في السنّة ما هو أخص من الحمد وهو الثناء الذي هو تكرار المحامد كما في قول النبي ﷺ لأهل قباء: «ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم به» فإذا كان قد أثنى عليهم والثناء حمد متكرّر فما يمنع حمده لمن شاء من عباده؟ ثمّ الصحيح في تسمية النبي ﷺ محمّدا أنّه الذي يحمده الله وملائكته وعباده المؤمنون وأمّا من قال الذي يحمده أهل السماوات وأهل الأرض فلا ينافي حمد الله تعالى بل حمد أهل السماوات والأرض له بعد حمد الله له فلمّا حمده الله حمده أهل السماوات والأرض، وبالجملة، فإذا كان الحمد ثناء خاصا على المحمود لم يمتنع أن يحمد الله من يشاء من خلقه كما يشي عليه فالصواب في الفرق بين الحمد والمدح أن يقال: الإخبار عن محاسن الغير إمّا أن يكون إخبارا مجردا من حب وإرادة أو مقرونا بحبه وإرادته: فإن كان الأول فهو المدح، وإن كان الثاني فهو الحمد، فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، ولهذا كان خبرا يتضمّن الإنشاء بخلاف المدح؛ فإنّه خبر مجرد، فالقائل إذا قال: الحمد لله أو قال ربنا لك الحمد؛ تضمّن كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه تعالى باسم جامع محيط متضمّن لكل فرد من أفراد الحمد المحقّقة والمقدّرة. وذلك يستلزم إثبات كل كمال يحمد عليه الرّبّ تعالى ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه ولا تنبغي إلا لمن هذا شأنه وهو الحميد المجيد<sup>(٣)</sup>.

(١) كتاب التعريفات (٩٣)، وبدائع الفوائد (٢ / ٩٣)، والمفردات (١٣١).

(٢) المفردات للراغب (١٣١)، وبصائر ذوي التمييز (٢ / ٤٩٩).

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم (٢ / ٩٣).

معنى اسم الله «الحميد»:

قال الغزاليّ: الحميد هو المحمود المثني عليه، والله ﷻ هو الحميد بحمده لنفسه أزلا وبحمد عباده له أبدا، ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلو والكمال<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى الحميد، أي المحمود على كل حال فعيل بمعنى مفعول<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: في ذكر أسماء الألوهية والربوبية والرحمة والملك بعد الحمد<sup>(٣)</sup> (ما يدل) على إيقاعه على مضمونها ومقتضاها أي أنه محمود في إلهيته، محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود، ورب محمود ورحمن محمود، وملك محمود، فله بذلك جميع أقسام الكمال والجلال<sup>(٤)</sup>.

### أقسام الحمد:

قسّم بعضهم الحمد كما يلي:

- ١- الحمد القوليّ هو حمد اللسان وثناؤه على الحقّ بما أثنى به على نفسه على لسان أنبيائه
- ٢- الحمد الفعليّ: هو الإتيان بالأعمال البدنية ابتغاء لوجه الله تعالى
- ٣- الحمد الحاليّ: هو الذي يكون بحسب الروح والقلب كالاتّصاف بالكمالات العلمية والعملية والتخلّق بالأخلاق الإلهية.
- ٤- الحمد اللغويّ: هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل باللسان وحده.
- ٥- الحمد العرفيّ: فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعمًا وهو أعمّ من أن يكون فعل اللسان أو الأركان<sup>(٥)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإيمان - التسبيح - التكبير - التهليل - الثناء - الشكر - الحوقلة -

الشكر - الاعتراف بالفضل .

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الغفلة - نكران الجميل - الجحود].

(١) المقصد الأسنى ١٣٠ .

(٢) النهاية لابن الأثير ١ / ٤٣٦ .

(٣) أي في سورة الفاتحة .

(٤) التفسير القيم ص ٣٥ .

(٥) انظر كتاب التعريفات للجرجاني ص ٩٣ وما بعدها .

## من فوائد (الحمد)

- (١) إنّه من أعلى مقامات الإيمان. (٧) انشغال الإنسان بذكر ربّه عن الغيبة  
 (٢) محبة الله ﷻ ونصرته. والتميمة، وعن كل ما يسخط الله ﷻ.  
 (٣) جلب النعم المفقودة والمحافظة على (٨) قوّة البدن وعافيته.  
 (٤) مجاورة العبد ربّه ﷻ في أعلى مقامات (٩) أفضل من عتق الرقاب، والصّدقة بحرّ  
 الجنّة. المال.  
 (٥) غفران الذنوب وستر العيوب. (١٠) يجعل العبد دائماً مطمئناً لقضاء الله  
 (٦) مجاورة الحمّادين سعادة لمن جاورهم (١١) ينفي عن العبد صفة المعترض على  
 وجالسهم. قضاؤه المهمل لشكر نعمائه.  
 (١٢) الحمد من أجمل الصفات التي تحلّى بها رسول الله ﷺ وأوصى بها أمته.

## الحنان

## الحنان لغة:

مصدر حنّ يحنّ حناناً وهو مأخوذ من مادة (ح ن ن) التي تدلّ على الإشفاق والرّقة وقد يكون ذلك مع صوت بتوجّع، وأصل الحنين ترجيع النّاقة صوتها إثر ولدها، ويقال منه حنّ المرأة على ولدها، قال الرّاعب: والحنين: النزاع المتضمّن للإشفاق، يقال حنّ المرأة والنّاقة لولدها اشتاقت إليه وقد يكون مع ذلك صوت ولذلك يعبر بالحنين عن الصّوت الدالّ على النزاع والشّفقة، أو متصوّر بصورته؛ وعلى ذلك حنين الجذع ولما كان الحنين متضمّناً للإشفاق، والإشفاق لا ينفكّ من الرّحمة عبّر عن الرّحمة به في نحو قوله سبحانه: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مریم: ١٣]، ومنه قيل: الحنّان المّنّان، وحنانيك: إشفاقاً لك بعد إشفاق وتثنيته كتثنية لبيك وسعديك.

وقال الجوهري: الحنين الشّوق وتوقان النّفس. تقول منه: حنّ إليه يحنّ حنيناً فهو حانّ، والحنان: الرّحمة، يقال منه: حنّ عليه يحنّ حناناً، والحنّان بالتّشديد: ذو الرّحمة، وتحنّن عليه: ترخّم، والعرب تقول: حنانك، وحنانيك يا ربّ بمعنى أي رحمتك، والحنّة رقة القلب؛ عن كراع،

وذكر ابن منظور: أن الحنان يكون بمعنى الرّحمة وبمعنى الرّزق، وبمعنى البركة، وبمعنى الهيبة، وبمعنى الوقار، ويكون أيضا بمعنى شدّة البكاء والطّرب، واستحنّ: استطرب وتحنّ عليه أي تعطف<sup>(١)</sup>.

### الحنان من أسماء الله ﷻ:

قال ابن الأعرابي: الحنان بتشديد النون بمعنى الرّحيم، وقال ابن الأثير: الحنان الرّحيم بعباده، وهو فعّال من حنّ؛ للمبالغة، وقال أبو إسحاق: الحنان في صفة الله تعالى ذو الرّحمة والتّعطف، وقال الرّازي: ومن صفاته تعالى: الحنان وهو المتعطف عليهم بالرّحمة، قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ قال: رحمة، وقال مجاهد: تعطف من الله، قال: وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: والله ما أدري ما الحنان؟ وروي عنه من طريق آخر أنه قال: الحنان الرّحمة، وقد جاء الوصف على فعّال الدّالة على المبالغة؛ لأنّ من شأنه التّعطف بالرّحمة والتّحنّ<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ الشّرباصي: والحنان اسم الله تبارك وتعالى، وهو على وزن فعّال من الحنّة وهي الرّحمة ومعناه: الرّحيم بعباده المتعطف عليهم المقبل على من أعرض عنه<sup>(٣)</sup>.

### واصطلاحا:

قال القرطبي: قال جمهور المفسّرين: الحنان هو الشّفقة والرّحمة والمحبّة وهو فعل من أفعال النّفس.

وقال ابن الأعرابي: الحنان مشدّدا من صفة الله تعالى: الرّحيم، والحنان مخفّفا: هو العطف والرّحمة<sup>(٤)</sup>، وقال ابن كثير: الحنان هو المحبّة في شفقة وميل<sup>(٥)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الرحمة - الرفق - الشفقة - العطف - اللين - الرأفة - بر الوالدين - حسن المعاملة - حسن العشرة.]

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الجفاء - القسوة - العنف - عقوق الوالدين - سوء المعاملة].

(١) انظر مفردات الراغب (١٣٣)، ومقاييس اللغة (٢ / ٢٤)، والنهاية لابن الأثير (١ / ٥٤٢)، والصحاح (٥ / ٢١٠٤)، واللسان مادة «حنّ» (١٠٢٩) ط. دار المعارف.

(٢) انظر المراجع السابقة، وكتاب الزينة للرازي (٢ / ٢٢١).

(٣) انظر المراجع السابقة، وموسوعة «له الأسماء الحسنی» للشرباصي.

(٤) تفسير القرطبي (١١ / ٨٧، ٨٨).

(٥) تفسير ابن كثير (٣ / ١١٣).

## من فوائد (الحنان)

- (١) إنّه من ثمرة الرّحمة التي يرزقها الله ﷻ من (٤) إنّه صفة من صفات الأنبياء والصّحابة يشاء من عباده. والتّابعين وهم خير من يتأسّى بهم.
- (٢) طريق موصل إلى محبّة الله سبحانه ورضاه (٥) يعطي القدوة والمثل فيصبح العدوّ حبيبا وجنته. والكافر مسلما.
- (٣) يؤلّف بين القلوب ويجمع بين الأحبّة (٦) يرقّق القلب فيجعله يرحم من هو دونه من ويتّج المجتمع المسلم. البهائم والطّيور وغيرها.

## الحوقلة

## الحوقلة لغة:

تقال على وجهين:

- الأوّل: مصدر حوقل الرّجل إذا قال لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، وهي كلمة منحوتة من هذه العبارة ونظيرها هلّل الرّجل إذا قال: لا إله إلاّ الله.
- قال ابن منظور: هلّل الرّجل إذا قال: لا إله إلاّ الله، وقد هيلل الرّجل إذا قال ذلك.. وهو مثل قولهم حولق الرّجل وحوقل إذا قال: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله وأنشد:
- فداك من الأقوام كلّ مبخل يحولق إمّا سألته العرف سائل
- وقال الخليل: يقال حيعل الرّجل: إذا قال حيّ على الصّلاة قال: والعرب تفعل هذا، إذا كثر استعمالهم للكلمتين ضمّوا بعض حروف إحداها إلى بعض حروف الأخرى.
- وقال أبو العبّاس: وهذا في أربع كلمات هي: الحوقلة، والبسملة، والسّبحة، والهيللة، أحرفها جاءت هكذا. قيل له: والحمدلة، قال: لا أنكره.
- أما المعنى الآخر للحوقلة فإنّها تكون مصدرا لقولهم: حوقل الرّجل حوقلة وحيقالا، إذا كبر وفتّر عن الجماع، قال الرّاجز:
- يا قوم قد حوقلت أو دانيت وبعده حيقال الرّجال الموت
- قال الجوهريّ: وقلت لأبي العوث: ما الحوقلة؟ قال: هن الشّيخ المحوقل<sup>(١)</sup>.

(١) لسان العرب (٨ / ٤٦٨٨ - ٤٦٩٢)، الصحاح. (٤ / ١٦٧٢)، والمصباح المنير (٢ / ٦٣٩).

أما الحول في اللغة فأصله تغيير الشيء وانفصاله عن غيره، وباعتبار التغيير قيل: حال الشيء يحول حوؤلاً، واستحال تهيأً لأن يحول، وباعتبار الانفصال قيل حال بيني وبينك كذا وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، فإشارة إلى ما قيل في وصفه «يقلب القلوب» وهو أن يلقي في قلب الإنسان ما يصرفه عن مراده لحكمة تقتضي ذلك... يقال: الحال لما يختص به الإنسان وغيره من الأمور المتغيرة في نفسه وجسمه وقنيتيه، والحول ماله من القوة في أحد هذه الأمور الثلاثة، ومنه قيل لا حول ولا قوة إلا بالله<sup>(١)</sup>. وقال الجوهري: الحول يكون بمعنى الحيلة والقوة وبمعنى السنة، وقال ابن سيده: الحول والحيل والحيلة: الحذق وجودة النظر، والقدرة على دقة التصرف<sup>(٢)</sup>.

### الحوقلة اصطلاحاً:

الحوقلة في الاصطلاح لا تختلف عن الحوقلة في معناها الأول وهو قول المسلم: لا حول ولا قوة إلا بالله مع اعتقاد لذلك وتصديق به.

قال ابن الأثير - رحمه الله تعالى - : الحوقلة لفظة مبنية من قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله» بتقديم اللام على القاف ويكون تركيبها من «لا حول ولا قوة إلا بالله»، وأما الحوقلة بتقديم القاف على اللام فيكون تركيبها من «لا حول ولا قوة إلا بالله» والمعنى بهذا اللفظ: إظهار الفقر إلى الله تعالى بطلب المعونة على ما يزاوله من الأمور، وهو حقيقة العبودية. وقيل المعنى: لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بمعونة الله<sup>(٣)</sup>.

### قاعدة لا حول ولا قوة إلا بالله:

ليس في الوجود الممكن سبب واحد مستقل بالتأثير، بل لا يؤثر سبب ألبتة إلا بانضمام سبب آخر إليه وانتفاء مانع يمنع تأثيره. هذا في الأسباب المشهودة بالعيان، وفي الأسباب الغائبة والأسباب المعنوية كتأثير الشمس في الحيوان والنبات، فإنه موقوف على أسباب آخر، من وجود محل قابل، وأسباب آخر تنضم إلى ذلك السبب. وكذلك حصول الولد موقوف على عدة أسباب غير وطء الفحل، وكذلك جميع الأسباب مع مسبباتها، فكل ما يخاف ويرجى من المخلوقات فأعلى غاياته أن يكون جزء سبب غير مستقل بالتأثير، فإنه لو فرض أن ذلك سبب مستقل وحده

(١) مفردات الراغب (١٣٧).

(٢) الصحاح (٤ / ١٦٧٩)، اللسان (١٠٥٥) ط. دار المعارف.

(٣) جامع الأصول (٤ / ٣٩٨) بتصريف يسير.

بالتأثير لكانت سببته من غيره لا منه، فليس له من نفسه قوّة يفعل بها؛ فإنّه لا حول ولا قوّة إلا بالله، فهو الذي بيده الحول كلّه والقوّة كلّها، فالحول والقوّة التي يرجى لأجلهما المخلوق ويخاف إنّما هما لله وبيده في الحقيقة. فكيف يخاف ويرجى من لا حول له ولا قوّة، بل خوف المخلوق ورجاؤه أحد أسباب الحرمان ونزول المكروه بمن يرجوه ويخافه؛ فإنّه على قدر خوفك من غير الله يسلط عليك، وعلى قدر رجائك لغيره يكون الحرمان. وهذا حال الخلق أجمعه وإن ذهب عن أكثرهم علما وحالا، فما شاء الله كان ولا بدّ، وما لم يشأ لم يكن، ولو اتفقت عليه الخليفة<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإنابة- التسييح- التكبير- التهليل- الذكر- الاستغفار.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض- الغرور- الغفلة- الإصرار على الذنب].

\*\*\*

### من فوائد (الحوقلة)

- (١) باب من أبواب الجنة إذا داوم عليها العبد. (٥) المداومة عليها تجلو القلب وتطمئن النفس وتهذبها.
  - (٢) العمل بها يؤدّي إلى معرفة الإنسان لحقيقة نفسه، وكذلك معرفته بقدر ربّه. (٦) تفتح الباب لتكفير السيئات وعلوّ الدرجات.
  - (٣) تحقيقها يباعد بين الإنسان وبين العجب والكبر. (٧) الحوقلة من الأسباب التي تؤدّي إلى
  - (٤) صفة من صفات الأنبياء والصّحابة وإجابة الدّعاء. (٨) الحوقلة تردّ كيد الشيطان وتدمره.
- في الدّنيا والآخرة.

### الحياء

#### الحياء لغة:

مصدر قولهم حيي وهو مأخوذ من مادّة (ح ي ي) التي تدلّ على الاستحياء الذي هو ضدّ الوقاحة، قال أبو زيد يقال حييت منه أحيا إذا استحييت.

(١) الفوائد (٧١-٧٢).

وقال الجوهري: واستحياءه واستحيا منه بمعنى (واحد) من الحياء، ويقال: استحيت (بياء واحدة) وأصله استحييت فأعلوا الياء الأولى وألقوا حركتها على الحاء، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا ❀ أَي لا يستبقي، والحياء مقصور: المطر والخصب، والحياء ممدود: الاستحياء، والحياء أيضا رحم الناقة والجمع أحيية عن الأصمعي<sup>(١)</sup>.

وقال ابن منظور: الحياء: التوبة والحشمة، يقال: حيي منه حياء، واستحيا، واستحي حذفوا الياء الأخيرة كراهية التقاء الياءين، و(الصيغتان) الأخيرتان تتعديان بحرف وبغير حرف، يقولون: استحيا منك واستحياك واستحي منك واستحاك، والحياء يكون بمعنى الاستحياء بدليل قول جرير:

لولا الحياء لها جني استعبار ولزرت قبرك، والحبيب يزار

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الحياء شعبة من الإيمان»، قال بعضهم: كيف جعل الحياء وهو غريزة شعبة من الإيمان وهو اكتساب؟ والجواب في ذلك: أن المستحي ينقطع بالحياء عن المعاصي، فصار كالإيمان الذي يقطع عنها، ويحول بين المؤمن وبينها<sup>(٢)</sup>، وقال ابن الأثير في هذا الحديث: وإنما جعله بعض الإيمان لأن الإيمان ينقسم إلى: ائتمار بما أمر الله به، وانتهاء عما نهى الله عنه، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الإيمان<sup>(٣)</sup>.

أما الحديث الآخر وهو قوله ﷺ: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» فله تأويلان: أحدهما ظاهر وهو المشهور: أي إذا لم تستح من العيب ولم تخش العار مما تفعله فافعل ما تحدثك به نفسك من أغراضها حسنا كان أو قبيحا، ولفظه أمر، ومعناه توبيخ وتهديد، وفيه إشعار بأن الذي يردع الإنسان عن مواجهة السوء هو الحياء، فإذا انخلع منه كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة، وتعاطي كل سيئة.

والثاني أن يحمل الأمر على بابه، ويكون المعنى: إذا كنت في فعلك آمنا أن تستحيي منه لجريك فيه على سنن الصواب، وليس من الأفعال التي يستحيا منها، فاصنع منها ما شئت<sup>(٤)</sup>، قال

(١) مفردات الراغب (١٤٠)، مقاييس اللغة (٢/ ١٢٢) والصحاح (٦/ ٢٣٢٤).

(٢) لسان العرب (١٤/ ٢١٧).

(٣) النهاية (١/ ٤٧٠).

(٤) النهاية (٥/ ٤٧١).

ابن القيم - رحمه الله تعالى - : فالمعنى على الأول يكون تهديدا كما في قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، وعلى الثاني إذنا وإباحة، ولا يمكن حمل الحديث على المعنيين جميعا لما بين الإباحة والتهديد من المنافاة، واعتبار أحد المعنيين يوجب عدم اعتبار الآخر<sup>(١)</sup>.

وأضاف الإمام العيني إلى هذين معنيين آخرين هما:

١ - معنى الوعيد، أي افعل ما شئت تجاز به.

٢ - أنه على طريق المبالغة في الدّم، أي ترك الحياء أعظم ممّا تفعله، قال - رحمه الله تعالى - والحديث للتّنويه بشأن الحياء والحثّ عليه<sup>(٢)</sup>، وقال ابن سيده: معنى الحديث: أن من لم يستح ما شاء على جهة الدّم لترك الحياء، وليس يأمره بذلك وإنما هو أمر بمعنى الخبر<sup>(٣)</sup>.

ويقال رجل حيي أي ذو حياء، ووزنه فعيل، والأثني بالهاء، يقال: امرأة حيية، قال الأزهري: للعرب في هذا الحرف لغتان: استحي الرجل يستحي، بياء واحدة، واستحيا يستحي، بياءين، والقرآن نزل بهذه اللّغة الثانية في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا﴾ [البقرة: ٢٦].

والثلاثي منه قولهم: حييت منه أحيا، وتقول في الجمع حيوا، كما تقول خشوا ورضوا، ذهبت الياء لالتقاء الساكنين، وفي حديث البراق (ودنوت منه لأركبه فتحيا مني) أي انقبض وانزوى ولا يخلو أن يكون مأخوذا من الحياء على سبيل التمثيل، لأن من شأن الحيي أن ينقبض، أو يكون أصله: تحوى أي تجمّع فقلبت واوه ياء، وأما قوله ﷺ: ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ [الفصص: ٤] فمعناه: يستفعل من الحياة أي يتركهنّ أحياء، وليس فيه إلا لغة واحدة (وهي إثبات الياءين) وحياء النّاقة يقصر ويمدّ لغتان عن اللّيث، وقال الأزهري حياء النّاقة والشاة وغيرهما ممدود، إلا أن يقصره شاعر ضرورة، وإنما سمّي حياء من الاستحياء لأنه يستر من الأدمي ويكنى عنه من الحيوان، ويستفحش التصريح باسمه<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن القيم: الحياء (الذي هو الاستحياء) مشتق من الحياة، ومن ذلك أيضا: الحيا

(١) الدّاء والدّواء (١٣٢).

(٢) نقلا عن فضل الله الصمد للجيلاني (٢ / ٥٤).

(٣) نقلا عن لسان العرب (١٤ / ٢١٨).

(٤) لسان العرب (١٤ / ٢١٧ - ٢١٩) ط. بيروت بتصرف واختصار.

للمطر، لكنّه مقصور، وعلى حسب حياة القلب، يكون فيه قوّة خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والرّوح فكلّما كان القلب أحيّا كان الحياء أتمّ<sup>(١)</sup>.

### الحياء اصطلاحاً:

تغيّر وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به<sup>(٢)</sup>.

وقال الجرجاني: هو انقباض النّفس من شيء وتركه حذراً عن اللّوم فيه<sup>(٣)</sup>.

ويقال: خلق يبعث على ترك القبح ويمنع من التّقصير في حقّ ذي الحقّ<sup>(٤)</sup>.

وقال الرّاعب: الحياء انقباض النّفس عن القبائح وتركها<sup>(٥)</sup>.

وقال المناوي: الحياء انقباض النّفس عن عادة انبساطها في ظاهر البدن لمواجهة ما تراه نقصاً، حيث يتعدّد عليها الفرار بالبدن.

وقيل: هو التّرقّي عن المساوىء خوف الدّم.

وقيل: هو انقباض النّفس من شيء حذراً من الملام<sup>(٦)</sup>.

وقال الجاحظ: الحياء من قبيل الوقار وهو غصّ الطّرف والانبساط عن الكلام حشمة للمستحيا منه، وهو عادة محمودة ما لم تكن عن عيٍّ، ولا عجز<sup>(٧)</sup>.

وذكر ابن مسكويه: أنّ الحياء من الفضائل التي تدخل تحت العقّة، بل هو أولها ثمّ عرفه بقوله:

الحياء: هو انحصار النّفس خوف إتيان القبائح والحذر من الدّم والسّب<sup>(٨)</sup>.

وقال ابن علّان: خلق يبعث على ترك القبيح من الأقوال والأفعال والأخلاق يمتنع صاحبه من التّقصير في حقّ ذي الحقّ.

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٧٠).

(٢) الفتح (١/ ٥٢).

(٣) التعريفات (٩٤).

(٤) رياض الصالحين (٢٧٢)، الفتح (١/ ٥٢).

(٥) مفردات الرّاعب (١٤٠).

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف (١٥٠).

(٧) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٢٣).

(٨) تهذيب الأخلاق في التربية لابن مسكويه (١٧) باختصار يسير.

وقيل: هو ملكة راسخة للنفس توزعها (تدفعها) على إيفاء الحقوق وترك القطيعة والعقوق<sup>(١)</sup>.

وقال ابن مفلح الحنبلي: وحقيقة الحياء خلق يبعث على فعل الحسن وترك القبيح<sup>(٢)</sup>.

وقال النووي: روينا عن أبي القاسم الجنيد - رحمه الله تعالى - قوله: الحياء رؤية الآلاء (النعم) ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى حياء<sup>(٣)</sup>، ومعنى هذه العبارة أن الحياء: حالة للنفس تتولد من رؤية أمرين هما: رؤية النعم من ناحية ورؤية التقصير من ناحية أخرى وهذا التصور خاص بالحياء من المولى ﷺ.

وقال فضل الله الجيلاني: الحياء تغيير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يلام به ممّا كان قبيحا حقيقة<sup>(٤)</sup>.

الحيي من صفات الله ﷻ: ومن صفات المولى ﷺ (الحيي) كما في الحديث: «إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده...» ومعناه على هذا: المبالغ في الحياء.

والغرض والغاية من وصف الله تعالى به فعل ما يسرّ وترك ما يضرّ والعطاء من غير سؤال<sup>(٥)</sup>.

وقال الفيروز آبادي: وأمّا حياء الربّ تبارك وتعالى من عبده، فنوع آخر لا تدركه ولا تكيّفه العقول فإنّه حياء كرم وبرّ وجود، فإنّه كريم يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراء، ويستحي أن يعذب شبيبة شابت في الإسلام<sup>(٦)</sup>.

### أنواع الحياء:

الحياء قسمان: غريزي، ومكتسب. والحياء المكتسب: هو الذي جعله الشارع من الإيمان، وهو المكلف به دون الغريزي، وقد ينطبع الشخص بالمكتسب حتى يصير كالغريزي.

(١) دليل الفالحين (٣/ ١٥٨).

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٢٢٧).

(٣) رياض الصالحين (٢٤٦).

(٤) فضل الله الصمد (٢/ ٥٤).

(٥) بذل المجهود (٨/ ٣٢٨) بتصرف.

(٦) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٥١٧).

وقد كان رسول الله ﷺ قد جمع له النوعان، فكان الغريزي أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان في المكتسب في الذروة العليا<sup>(١)</sup>.

وقال المناوي: الحياء نوعان: نفساني وهو المخلوق في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة والجماع بين الناس، وإيماني وهو أن يمتنع المسلم من فعل المحرم خوفا من الله<sup>(٢)</sup>. ونقل صاحب الآداب الشرعية عن غير واحد قولهم: قد يكون الحياء تخلفا واكتسابا كسائر أعمال البر، وقد يكون غريزة واستعماله على مقتضى الشرع يحتاج إلى كسب ونية وعلم<sup>(٣)</sup>.

### المعاصي تذهب الحياء:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : من عقوبات المعاصي ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير وذهابه ذهاب الخير أجمعه فقد جاء في الحديث الصحيح «الحياء خير كله». والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء من العبد، حتى ربما انسلخ منه بالكليّة حتى إنّه ربّما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله، ولا باطلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعل، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع. وإذا رأى إبليس طلعة وجهه حيا وقال: فديت من لا يفلح، ومن لا حياء فيه ميّت في الدنيا شقي في الآخرة، وبين الذنوب وقلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين، وكلّ منهما يستدعي الآخر ويطلبه حيثما، ومن استحيا من الله عند معصيته استحيا الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من معصيته لم يستح الله من عقوبته<sup>(٤)</sup>.

### مظاهر الحياء وأقسامه:

قال ابن القيم: قسّم الحياء إلى عشرة أوجه: حياء جنائية، وحياء تقصير، وحياء إجلال، وحياء كرم، وحياء حشمة، وحياء استحقار النفس (استصغارها)، وحياء محبة، وحياء عبودية، وحياء شرف وعزة، وحياء المستحيي من نفسه.

(١) فتح الباري (١٠ / ٥٢٢ - ٥٢٣).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (١٥٠).

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢ / ٢٢٧).

(٤) الداء والدواء (١٣١ - ١٣٣).

١- فأما حياء الجناية: فمنه حياء آدم عليه السلام، لما فرّ هاربا في الجنّة. قال الله تعالى: «أفرارا منّي يا آدم؟» قال: لا يا ربّ. بل حياء منك.

٢- وحياء التّقصير: كحياء الملائكة الذين يسبّحون اللّيل والنّهار لا يفترون، فإذا كان يوم القيامة قالوا سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك.

٣- وحياء الإجلال: وهو حياء المعرفة، وعلى حسب معرفة العبد برّبّه يكون حياؤه منه.

٤- وحياء الكرم: كحياء النّبِيِّ صلى الله عليه وآله من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب، وطوّلا الجلوس عنده، فقام واستحيى أن يقول لهم: انصرفوا.

٥- وحياء الحشمة: كحياء عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن المذي لمكان ابنته منه.

٦- وحياء الاستحقار، واستصغار النّفس:

كحياء العبد من ربّه تعالى حين يسأله حوائجه، احتقارا لشأن نفسه، واستصغارا لها. وقد يكون لهذا النوع سببان:

أحدهما: استحقار السائل نفسه. واستعظام ذنوبه وخطاياها.

الثاني: استعظام مسأله (وهو المولى صلى الله عليه وآله).

٧- وأمّا حياء المحبّة: فهو حياء المحبّ من محبوبه، حتّى إنّه إذا خطر على قلبه في غيبته هاج الحياء من قلبه، وأحسّ به في وجهه ولا يدري ما سببه.

وكذلك يعرض للمحبّ عند ملاقاته محبوبه ومفاجأته له روعة شديدة. ومنه قولهم «جمال رائع» وسبب هذا الحياء والرّوعة ممّا لا يعرفه أكثر النّاس.

فإذا فاجأ المحبوب محبّه، ورآه بغتة، أحسّ القلب بهجوم سلطانه عليه فاعتراه روعة وخوف.

٨- وأمّا حياء العبوديّة: فهو حياء ممتزج من محبّة وخوف، ومشاهدة عدم صلاح عبوديّته لمعبوده، وأنّ قدره أعلى وأجلّ منها. فعبوديّته له توجب استحياءه منه لا محالة.

٩- وأمّا حياء الشّرف والعزّة: فحياء النّفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذل أو عطاء أو إحسان. فإنّه يستحيى مع بذله حياء شرف نفس وعزّة.

١٠- وأما حياء المرء من نفسه: فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص، وقناعتها بالدون. فيجد نفسه مستحييا من نفسه، حتى كأن له نفسين، يستحيي بإحداهما من الأخرى، وهذا أكمل ما يكون من الحياء. فإن العبد إذا استحيى من نفسه فهو بأن يستحيى من غيره أجدر<sup>(١)</sup>.

### الحياء والأمر بالمعروف:

الحياء الحقيقي لا يمنع من الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر: قال صاحب «فضل الله الصمد»: فإن قيل إن صاحب الحياء قد يستحيي أن يواجه بالحق، فيترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة، فأقول إن ذلك ليس بحياء حقيقة، بل هو عجز وخور ومهانة وإنما أطلقوا عليه حياء تشبيها ومجازا<sup>(٢)</sup>، وإنما يكون الحياء حقيقيا حيث يكون قبح المستحيا منه حقيقيا، فلا يدخل فيه الانقباض عما يستقبحه الناس وهو في الحقيقة حسن، ولا الانقباض عما هو في الأصل قبيح ولكن الانقباض عنه يؤدي إلى ما هو أقبح منه، مثال ذلك ما يقع من بعض خمرعات النساء، يعرض لها فاجر في خلوة يحاول استكراهاها، فتنبض نفسها عن أن تستغيث وتصرخ، لأنها تستقبح أن يشيع عنها أن فاجرا تعرض لها، ولو عقلت لعلمت أن شيوع ذلك ليس بقبيح إذا اقترن بإبائها عن الفاحشة، والناس يشنون عليها بالعفة والحزم والثبات إذا سمعوا أنها انتهرته وصرخت بأهلها فجاءوا ودفعوه، وعلى ذلك فالحياء في قوله ﷺ «الحياء لا يأتي إلا بخير» هو الحياء الحقيقي.

وقد ثبت أنه ﷺ كان أشد حياء من العذراء في خدرها وهو لنا في ذلك قدوة - لا يقوم دون غضبه شيء إذا انتهكت حرمة الله<sup>(٣)</sup>.

### مم يتولد الحياء؟

قال الجنيد - رحمه الله تعالى - الحياء رؤية الآلاء (أي النعم)، ورؤية التقصير، ويتولد بينهما الحياء<sup>(٤)</sup>.

(١) مدارج السالكين (٢ / ٢٧٢) باختصار وتصرف يسير.

(٢) فضل الله الصمد (٢ / ٥٤).

(٣) فضل الله الصمد (٢ / ٦٩١، ٦٩٢).

(٤) رياض الصالحين (٢٤٦).

وقال أبو الفدا (إسماعيل الهروي): يتولّد الحياء من التّعظيم المنوط بالحب<sup>(١)</sup>.  
قال ابن القيم: يعني أنّ الحياء حالة حاصلة من امتزاج التّعظيم بالموّدة، فإذا اقترنا تولّد بينهما الحياء<sup>(٢)</sup>.

وقال غيرهما: تولّد من شعور القلب بما يستحيى منه (ونفرته عنه)، فيتولّد من هذا الشعور والنّفرة حالة هي الحياء<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم: ولا تنافي بين هذه الأقوال، لأنّ للحياء عدّة أسباب، وكلّ أشار إلى بعضها<sup>(٤)</sup>.  
وقد يتولّد الحياء من علم العبد بنظر الحقّ إليه، فيجذبه ذلك إلى تحمّل المجاهدة ويحمّله على استقباح الجنائية، ويسكته عن الشكوى<sup>(٥)</sup>.

وقد أشار ابن القيم إلى هذه الدرّجة في مطلع حديثه عن الحياء عند ما ذكر الآيات الكريمة التي تدلّ على رؤية المولى ﷻ لعباده ظواهرهم وبواطنهم وعلى كونه رقيبا عليهم، وذلك قوله سبحانه: ﴿الرَّيِّعُ لِمَا يَرَى﴾ [العلق: ١٤]، وقوله عز من قائل: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]<sup>(٦)</sup>.

وجاء في حديث جبريل المشهور: ما الإحسان؟ قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك<sup>(٧)</sup>.

وقال ابن القيم في شرح العبارة السابقة: يعني أنّ العبد متى علم أنّ الرّبّ تعالى ناظر إليه أورثه هذا العلم حياء منه سبحانه، فيجذبه إلى احتمال أعباء الطّاعة، وذلك كمثّل العبد إذا عمل الشّغل بين يدي سيّده، فإنه يكون نشيطا فيه، محتملا لأعبائه، ولا سيّما مع الإحسان من سيّده، والله ﷻ لا يغيب نظره عن عبده، فإذا ما غاب نظر العبد عن كون المولى ناظرا إليه تولّد من ذلك

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٧٤) نقلا عن منازل السالكين لأبي الفداء.

(٢) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) المرجع السابق (٢/ ٢٧٥).

(٤) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) نقلا عن مدارج السالكين (٢/ ٢٧٥).

(٦) مدارج السالكين (٢/ ٢٦٧)، وانظر آيات أخرى عديدة في هذا المعنى في صفات العلم والمراقبة.

(٧) انظر صفة الإحسان.

قلّة الحياء والقحة، هذا ولاستقباح الجناية النّاشيء عن الحياء درجتان أخريان، دنيا وهي الاستقباح الحاصل عن ملاحظة الوعيد، وعليها: وهي الاستقباح الحاصل عن المحبة. ومن الحياء ما يتولد من تحقّق القلب بالمعيّة الخاصّة مع الله ﷻ، قال ابن القيم: والمعيّة مع الله نوعان:

عامّة: وهي معيّة العلم والإحاطة المستفادة من قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤].. وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْا بِهِ نَفْسَهُ﴾ [ق: ١٦].

وقوله سبحانه: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الشورى: ١١]. وقوله سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، وقوله سبحانه: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقوله سبحانه: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨].

خاصة: وهي التي أشار إليها سبحانه في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] وقوله - عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] وقوله - سبحانه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وهذه المعيّة معيّة قرب تتضمن الموالاة والنصر والحفظ وكلا المعيتين مصاحبة منه للعبد، لكن الأولى مصاحبة اطلاع وإحاطة، والثانية مصاحبة موالاة ونصر وإعانة. وقرب الله ﷻ من العبد فهو - أيضا نوعان:

الأول: قرب من داعيه بالإجابة، وذلك كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. ولهذا نزلت هذه الآية جوابا للصّحابة ﷺ عند ما سألوا رسول الله ﷺ: «ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه؟»<sup>(١)</sup>.

(١) هذا أحد الأقوال في سبب نزول الآية وهناك أقوال أخرى عديدة انظرها في تفسير القرطبي (٢/ ٣٠٨)، والقرب بالإجابة أيضا أحد ثلاثة أقوال أوردها القرطبي أما الثاني فهو القرب بالعلم، والثالث قربه سبحانه من أوليائه بالإفضال والإنعام.

والثاني: قربه من عبده بالإثابة، وشاهده قوله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وأقرب ما يكون الرب من عبده وهو في جوف الليل».

وهذا القرب لا ينافي كمال مباينة الرب لخلقه، واستواءه على عرشه إذ هو ليس كقرب الأجسام بعضها من بعض، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومن ذلك على سبيل المثال أن أهل السنة وهم أولياء رسول الله ﷺ وأحبّاءه، الذين هو عندهم أولى بهم من أنفسهم وأحبّ إليهم منها، يجدون نفوسهم أقرب إليه، وهم في الأقطار النائية عنه من بعض جيران حجرته في المدينة (المنورة) (١).

### الحياء أصل لكل خير:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلّها وأعظمها قدراً وأكثرها نفعاً، بل هو خاصّة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتها الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يقر الضيف، ولم يوف بالوعد، ولم تؤد أمانة، ولم تقض لأحد حاجة، ولا تحرى الرجل الجميل فأثره، والقبیح فتجنّبته، ولا ستر له عورة، ولا امتنع من فاحشة. وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤد شيئاً من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقاً، ولم يصل له رحماً، ولا برّ له والداً؛ فإنّ الباعث على هذه الأفعال إمّا ديني، وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإمّا دنيويّ علويّ، وهو حياء فاعلها من الخلق. فقد تبين أنّه لولا الحياء إمّا من الخالق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها. ثمّ قال رحمه الله: إنّ للإنسان أمرين وزاجرين، أمر وزاجر من جهة الحياء، فإذا أطاعه امتنع من فعل كلّ ما يشتهي، وله أمر وزاجر من جهة الهوى والطبيعة، فمن لم يطع أمر الحياء وزاجره، أطاع أمر الهوى والشهوة ولا بدّ (٢).

[للاستزادة: انظر صفات: الاستقامة - الإيمان العفة - غض البصر - المراقبة - حفظ الفرج -

حسن الخلق.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض - الكبر والعجب - الغرور - اتباع الهوى - المجاهرة

بالمعصية - إطلاق البصر - سوء الخلق - التفريط والإفراط].

\*\*\*

(١) باختصار وتصرف عن مدارج السالكين (٢/ ٢٧٥ - ٢٧٩).

(٢) مختصر من كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢٧٧).

## من فوائد (الحياء)

- (١) من خصال الإيمان وحسن الإسلام.  
 (٢) هجر المعصية خجلا من الله ﷻ.  
 (٣) الإقبال على الطاعة بوازع الحب لله ﷻ.  
 (٤) يبعد عن فضائح الدنيا والآخرة.  
 (٥) أصل كل شعب الإيمان.  
 (٦) يكسو المرء الوقار فلا يفعل ما يخل بالمروءة والتوقير ولا يؤذي من يستحق الإكرام.
- (٧) لا يمنع من مواجهة أهل الباطل ومرتكبي الجرائم.  
 (٨) هو دليل على كرم السجية وطيب المنبت.  
 (٩) صفة من صفات الأنبياء والصحابة والتابعين.  
 (١٠) يعد صاحبها من المحبوبين من الله ومن الناس.

## الحِيطة

## الحِيطة لغة:

يقال: حَاطَ يَحُوِّطُ حَوْطًا وَحِيْطَةً وَحِيْطَةً وَحِيَاطَةً ومعناه: حفظه وتعهدده. وأما قول الهذلي:  
 وأحفظ منزلي وأحوط عرضي وبعض القوم ليس بندي حياط  
 فحياط هنا بمعنى: حياطة.

وتقول احتاط الرجل: أي إنه أخذ أموره بالأحزم، وأيضا قولك: احتاط الرجل لنفسه: أي أخذ بالأوثق. والحِيطة أيضا: الصيانة والكلاءة والرعاية والحوطة والحِيطة: الاحتياط، وحاطه الله حوطا وحياطة: صانه وكلاءه ورعاه. وفي حديث العباس: «قلت: يا رسول الله، ما أغنيت عن عمك - يعني أبا طالب - فإنه كان يحوطك». يقال حاطه يحوطه حوطا، إذا حفظه وصانه وذبت عنه وتوفّر على مصالحه، ويقال حوط كرمه تحويطا: بنى حوله حائطاً فهو كرم محوط<sup>(١)</sup>.

## الحِيطة اصطلاحا:

إذا كانت الحِيطة في اللغة بمعنى الاحتياط؛ فإنه يمكن تعريفها اصطلاحا بما يعرف به الاحتياط ومن ثم تكون الحِيطة: استعمال ما فيه الحياطة أي الحفظ وذلك بأخذ الأمور بالأحزم والثقة.

(١) لسان العرب (٢/ ١٠٥٢)، والصحاح (٣/ ١١٢٠)، والمصباح المنير (١/ ١٥٦)، ومقاييس اللغة (٢/ ١٢٠).

للاستزادة: انظر صفات: الحذر - الوقاية - اليقظة - الخوف - الخشية.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الحمق - الطيش العجلة - اتباع الهوى - الأمن من المكر - الغرور.

\*\*\*

### من فوائد (الحَيطة)

- (١) البعد عن مواطن الزلل وعثرات الطُّرق. (٥) لا ينافي التَّوَكُّل على الله ﷻ إذ هو من الأسباب العادية التي في قدرة الإنسان.
- (٢) الوصول إلى برِّ الأمان والسَّلامة من الأخطار.
- (٦) صفة تحلَّى بها الأنبياء وتابعوهم ومن سار على دربهم.
- (٣) دليل على نباهة العقل وثقابة الفكر.
- (٤) يجنب الإنسان أخطارا كثيرة.
- (٧) من الصِّفات المحمودة التي أوصى الله بها رسوله ﷺ والمؤمنين معه.

## الخشوع

### الخشوع لغة:

مصدر خشع يخشع وهو مأخوذ من مادّة (خ ش ع) التي تدلّ كما يقول ابن فارس على معنى واحد هو التّطامن، يقال خشع فلان إذا تطامن وطأطأ رأسه وهو قريب المعنى من الخضوع، إلا أنّ الخضوع في البدن وهو الإقرار بالاستخداء، والخشوع في البدن والصّوت والبصر، قال تعالى: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ [القلم: ٤٣]، قال ابن دريد: الخاشع: المستكين والرائع، وقال الرّاعب: الخشوع الضّراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضّراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ولذلك قيل فيما روي: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح.

وذكرت كتب اللّغة أنّ الخشوع هو الخضوع، يقال خشع يخشع خشوعاً، واختشع وتخشّع: رمى ببصره نحو الأرض، وغضّه وخفض صوته، وقوم خشّع: متخشّعون، وخشع بصره: انكسر، ولا يقال اختشع بصره، قال ذو الرّمّة:

تجلّى السّرى عن كلّ خرق<sup>(١)</sup> كأنّه صفيحة سيف، طرفه غير خاشع

(١) الخرق من الأرض بفتح الخاء: البعيدة مستوية كانت أو غير مستوية. والخرق: بكسر الخاء من الفتيان الظريف في سماحة ونجدة. لسان العرب (٢/ ١١٤٢).

واختشع إذا طأطأ صدره وتواضع، وقوله تعالى: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨]: أي سكنت، وكل ساكن خاضع خاشع. والخاشع: الرّاكع، في بعض اللّغات، والتّخشّع: تكلف الخشوع، والتّخشّع لله: الإخبات والتّذلل. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ [فصلت: ٣٩]. قال الرّجّاج: الخاشعة المتغيّرة المتهشّمة، وأراد المتهشّمة النبات، وبلدة خاشعة: أي مغبرة لا منزل بها، وإذا يبست الأرض ولم تمطر قيل: قد خشعت. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾ [فصلت: ٣٩] والعرب تقول: رأينا أرض بني فلان خاشعة هامدة ما فيها خضراء<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحاً:

قيام القلب بين يدي الرّبّ بالخضوع والذّل وقيل: هو الانقياد للحقّ. وقال الجنيد: الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب. قال ابن القيم رحمته: والحقّ أنّ الخشوع معنى يلتئم من التعظيم والمحبة والذّل والانكسار<sup>(٢)</sup>.

وحكى ابن حجر عن الفخر الرّازي في تفسيره أنّ الخشوع تارة يكون من فعل القلب كالخشية، وتارة من فعل البدن كالسكون، وقيل: لا بدّ من اعتبارهما، وقال غيره: هو معنى يقوم بالنفس يظهر عنه سكون في الأطراف يلائم مقصود العبادة.

### درجات الخشوع:

قال ابن القيم: قال صاحب المنازل: وهو أي الخشوع على ثلاث درجات: الأولى: التذلل للأمر، والاستسلام للحكم، والاتّضاع لنظر الحقّ. أمّا التذلل للأمر فهو تلقّيه بذلّة القبول والانقياد والامتثال مع مواطأة الظاهر الباطن، وإظهار الضّعف، والافتقار للهداية. وأمّا الاستسلام للحكم فيشمل الحكم الشرعيّ بعدم معارضته برأي أو شهوة، كما يشمل الحكم القدريّ بعدم تلقّيه بالتسخّط والكرهية والاعتراض، وأمّا الاتّضاع لنظر الحقّ فهو اتّضاع القلب والجوارح، وانكسارها لنظر الرّبّ إليها وإطلاعه على تفاصيل ما فيها.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٨٢)، والمفردات، للراغب (١٤٨)، والصحاح للجوهري (٣/ ١٢٠٤)، والنهاية لابن الأثير (٢/ ٣٤)، ولسان العرب لابن منظور (٨/ ٧١).  
(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٥٥٨-٥٥٩) بتصرف، وفتح الباري (٢/ ٢٦٤).

الثانية: ترقب آفات النفس والعمل، ورؤية فضل كل ذي فضل، ويتحقق ذلك بانتظار ظهور نقائص نفسك وعملك وعيوبها لك، وذلك يجعل القلب خاشعاً لا محالة لمطالعة عيوب نفسه وأعماله ونقائصهما من الكبر والعجب، وضعف الصّدق، وقلة اليقين، وتشئت النيّة، أمّا رؤية فضل كل ذي فضل فيتحقق بمراعاة حقوق النَّاس وأدائها، ولا ترى أنّ ما فعلوه من حقوقك عليهم؛ فلا تعاوضهم عليها، فإنّ هذا من رعونات النفس وحماقاتهما، ولا تطالبهم بحقوق نفسك، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: العارف لا يرى له على أحد حقاً، ولا يشهد له على غيره فضلاً، ولذلك لا يعاتب، ولا يطالب، ولا يضارب.

الثالثة: حفظ الحرمة عند المكاشفة، وتصفية القلب من مرآة الخلق، ويعني ذلك ضبط النفس بالذّل والانكسار عن البسط والإذلال الذي تقتضيه المكاشفة لآئها توجب بسطاً يخاف منه شطح إن لم يصحبه خشوع يحفظ الحرمة. مع إخفاء أحواله عن الخلق جهده<sup>(١)</sup>.

من معاني كلمة الخشوع في القرآن:

ذكر بعض المفسرين أنّ الخشوع في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها: الدّل. ومنه قوله تعالى في طه: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨].

والثاني: سكون الجوارح. ومنه قوله تعالى في المؤمنين: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.

[المؤمنون: ٢]

والثالث: الخوف. ومنه قوله تعالى في الأنبياء: ﴿وَيَدْعُونَكَ رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا

خَاشِعِينَ﴾ [آية: ٩٠].

والرابع: التواضع. ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [آية: ٤٥]<sup>(٢)</sup>.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك وجه خامس وهو: اليبس والجمود، وذلك كما في قوله تعالى:

﴿تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ [فصلت: ٣٩].

[للاستزادة: انظر صفات: الإخبات - التواضع الخوف - الخشية - السكينة - الورع - الرهبة.

(١) مدارج السالكين (١ / ٥٥٩ - ٥٦٠) باختصار وتصرف يسير.

(٢) انظر: نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (٢٧٦).

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الغرور - الكبر والعجب - الإصرار على الذنب - الغفلة - الأمن من المكر].

\*\*\*

### من فوائد (الخشوع)

- (١) يورث الخوف والرّهبة من الله ﷻ.
- (٢) مظهر من مظاهر الإيمان وحسن الإسلام.
- (٣) دليل على صلاح العبد واستقامته.
- (٤) إعلان العبوديّة لله ونبذ ما سواه.
- (٥) تكفير الذّنوب وتعظيم الأجر.
- (٦) النّجاة من العذاب والعقوبة.
- (٧) الفوز بالجنّة.
- (٨) الخشوع يرفع صاحبه يوم القيامة.
- (٩) الخشوع يؤدّي إلى غصّ البصر وخفض الجناح.
- (١٠) الخشوع يبعد القسوة من القلب.
- (١١) الخشوع في الصّلاة يؤدّي إلى الفلاح.
- (١٢) من خشع قلبه لا يقربه شيطان.

### الخشية

#### الخشية لغة:

الخشية مصدر خشى وهو مأخوذ من مادّة (خ ش ي) التي تدلّ على خوف وذعر، وقد تستعمل مجازاً في معنى العلم، قال الشّاعر:

ولقد خشيت بأنّ من تبع الهدى سكن الجنان مع النّبىّ محمّد

وقال الرّاعب: الخشية هي خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه،

ولذلك خصّ العلماء بها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقوله

سبحانه: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣]، أي لمن خاف خوفاً اقتضاه معرفته بذلك من نفسه.

وقال ابن منظور: الخشية: الخوف. يقال خشى الرّجل يخشى خشية أي خاف. قال ابن برّي:

ويقال في الخشية الخشاة، وقال الشّاعر:

كأغلب من أسود كراء ورد يردّ خشاية الرّجل الظالم

ويقال: هذا المكان أخشى من ذلك أي أشدّ خوفاً، وخاشى: فاعل من الخشية. وخاشيت

فلانا: تاركته. وخشاه بالأمر تخشية أي خوّفه. يقال: خشيه يخشاه خشياً وخشية وخشاة ومخشاة

ومخشية وخشيانا وتخشاه كلاهما خافه وهو خاش وخش وخشيان، والأنتى خشيا وجمعهما معا خشايا. وقوله ﷺ: ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠] قال الفراء: معنى (فخشينا) أي فعلنا، وقال الزجاج: فخشينا من كلام الخضر، ومعناه: كرهنا، ولا يجوز أن يكون فخشينا عن الله (١).

### واصطلاحاً:

الخشية: خوف يشوبه تعظيم (٢)، وقيل هي الخوف المقرون بإجلال. وقيل: هي تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل يكون تارة بكثرة الجنابة من العبد، وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته (٣).

### الفرق بين الخشية والخوف:

قال الفيروز آبادي: الخشية أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله تعالى، فهي خوف مقرون بمعرفة، قال النبي ﷺ: «إني أتقاكم الله وأشدكم له خشية». فالخوف حركة، والخشية انجماع وانقباض وسكون. فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبه للمحبين، والوجل للمقربين، وعلى قدر العلم والمعرفة تكون الخشية. قال رسول الله ﷺ «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى» فصاحب الخوف يلتجأ إلى الهرب والإمساك، وصاحب الخشية يلتجأ إلى الاعتصام بالعلم، ومثلهما كمثل من لا علم له بالطب ومثل الطبيب الحاذق فالأول يلتجئ إلى الحمية والهرب، والطبيب يلتجئ إلى معرفته بالأدوية والأدواء. وكل واحد إذا خفته هربت منه، إلا الله، فإنك إذا خفته هربت إليه فالخائف هارب من ربه إلى ربه (٤).

وقال الكفوي: الخشية أشد من الخوف لأنها مأخوذة من قولهم شجرة خاشية أي يابسة وهو موات بالكلية، والخوف النقص مطلقاً من قولهم ناقه خوفاء أي بها داء وليس بفوات، ولذلك خصت الخشية بالله في قوله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الرعد: ٢١] والخشية تكون من عظم المخشي وإن كان الخاشي قويا، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمرا يسيرا.

(١) الصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٢٧)، ولسان العرب لابن منظور (١٤/ ٢٢٨، ٢٢٩)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٨٤).

(٢) المفردات للراغب (١٤٩).

(٣) التعريفات، للجرجاني (١٠٣).

(٤) انظر بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٢/ ٥٤٤-٥٤٦)، ودليل الفالحين لابن علان (٢/ ٣٦٧).

وأيضاً فإن أصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خصّ بها العلماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] على قراءة نصب لفظ الجلالة<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الرجاء- التقوى- الخشوع- الخوف- الرهبة- الورع- الإخبات- الإنابة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: العصيان- الغرور- الفجور- الكبر والعجب- القسوة- الغفلة- الأمن من المكر].

\*\*\*

### من فوائد (الخشية)

- |                                     |   |
|-------------------------------------|---|
| (١) الفوز بالجنة والنّجاة من النار. | (٤) سبب سعادة العبد في الدنيا والآخرة.  |
| (٢) الأمن من الفزع الأكبر.          | (٥) دليل هداية القلب.                   |
| (٣) تتمر محبة الله وطاعته.          | (٦) البعد عن الوقوع في المعاصي والذنوب. |

### خفض الصوت

#### الخفض لغة:

يطلق الخفض على معان متعدّدة، معظمها متقارب، فالخفض ضدّ الرّفْع، تقول: خفضه يخفضه خفضاً، فانخفض واختفض، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣] أي ترفع قوماً إلى الجنة، وتخفض قوماً إلى النار، أو تخفض أهل المعاصي، وترفع أهل الطّاعة، أو تخفض قوماً فتحطّهم عن مراتب آخرين ترفعهم إليها<sup>(٢)</sup>.

والخفض الدّعة، يقال: عيش خافض، وهم في خفض من العيش<sup>(٣)</sup>، وعيش خفض، أي في دعة وخصب<sup>(٤)</sup> ومن ذلك ما أنشده الصّاعانيّ:

(١) الكلبيات، للكفوي (٢/ ٣٠٢).

(٢) ينظر اللسان (خفض)، والتاج (١٠/ ٤٨) وقارن بالمحيط في اللغة (٤/ ٢٣٧)، والقاموس المحيط (٢/ ٣٤١)، والكلبيات للكفوي (٢/ ٣١١).

(٣) الصحاح (٣/ ١٠٧٤).

(٤) المحيط في اللغة (٤/ ٢٣٧).

لا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضُ الْعَيْشِ فِي دَعَاةٍ نَزَّوعَ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانٍ  
تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَمْتَ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانٍ  
والخفض: السَّير اللِّين، ضِدَّ الرَّفْع، يقال: بيني وبينك ليلة خافضة أي هَيَّنة السَّير<sup>(١)</sup>  
والخفض: غَضُّ الصَّوْت، يقال خَفَّضَ عَلَيْكَ الْقَوْلَ<sup>(٢)</sup> وقد جعل الزَّيْدِيُّ هذا المعنى من المجاز  
فقال: ومن المجاز، الخفض: غَضُّ الصَّوْت ولينه وسهولته، وصوت خفيض ضِدَّ رَفِيع<sup>(٣)</sup> ويطلق  
الخفض أيضا على لين الجانب والتواضع كقوله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾  
[الإسراء: ٢٤] أي تواضع لهما، ولا تتعزز عليهما، ومنه خَفَّضَ الْأَمْرَ أَي هَوَّنَهُ وَخَفَّضَ رَأْسَ الْبَعِيرِ  
أَي مَدَّهُ إِلَى الْأَرْضِ لِتَرْكَبَهُ، وخفض العدل: ظهور الجور عليه إذا فسد النَّاسُ<sup>(٤)</sup>، والخفض:  
العيش الطَّيِّبَ وعيش خفض وخافض ومخفوض وخفيض خصيب في دعة<sup>(٥)</sup>.

### الصوت لغة:

تدور هذه المادَّة حول الشَّيء المسموع، يقول ابن فارس: (الصَّاد والواو والتَّاء) أصل  
صحيح وهو الصَّوْت، وهو جنس لكلِّ ما وقر في أذن السَّامِع، يقال: هذا صوت زيد، ورجل  
صَيِّت، إذا كان شديد الصَّوْت، وصائت إذا صاح<sup>(١)</sup>.

ويقول ابن منظور: الصَّوْت: الجرس، معروف مذكَّر... وقد صات يصوت ويصات صوتا  
وأصات، وصوَّت به كلُّه نادى. ويقال: صوَّت يصوَّت تصويِّتا، فهو مصوَّت، وذلك إذا صوَّت  
بإنسان فدعاه... وفي الحديث: (كان العباس رجلا صَيِّتا): أي شديد الصَّوْت عاليه، يقال: هو  
صَيِّت وصائت<sup>(٢)</sup>.

### خفض الصوت اصطلاحا:

ألا يرفع الإنسان صوته عن القدر المعتاد خاصَّة في حضور من هو أعلى منه مكانة<sup>(٣)</sup>.

(١) التاج (١٠ / ٤٧)، وقارن بالصَّاح (٣ / ١٠٧٤).

(٢) الصَّاح (٣ / ١٠٧٤)، واللسان (خفض).

(٣) التاج (١٠ / ٤٨ - ٧١).

(٤) ينظر التاج السابق.

(٥) اللسان (خفض).

(٦) المقاييس (٣ / ٣١٨، ٣١٩).

(٧) اللسان صوت، وانظر التاج (٣ / ٨٩).

(٨) لم تذكر كتب المصطلحات تعريفا محددًا لهذه الصفة وقد استنبطنا ذلك مما ذكره المفسرون عند قول الله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦ / ٣٠٣) وما بعدها.

[للاستزادة: انظر صفات: الأدب - حسن الخلق - حسن المعاملة - الضراعة والتضرع - الصمت وحفظ اللسان - حسن العشرة - الرفق - الشفقة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: البذاءة - الجفاء - سوء المعاملة - سوء الخلق - السفاهة].

\*\*\*

### من فوائد (خفض الصوت)

- (١) دليل حسن الأدب والّلطف في الطّلب.
- (٢) التّشبه بأشرف المرسلين وسيد الخلق أجمعين.
- (٣) دليل توقير المسلم للنّبي ﷺ.
- (٤) باب من أبواب قبول الدّعاء.
- (٥) علامة إخلاص الدّين لله.
- (٦) فيه محافظة على شعور المسلمين بعدم إيذائهم برفع الصّوت لا سيّما إن كانوا من الضّيفان.
- (٧) خفض الصّوت في المسجد دليل السّكينة، وهو للمؤمن زينة، وفيه توقير للبيت وربّه.

### الخوف

#### الخوف لغة:

تدلّ مادّة (خ وف) على الدّعر والفرع، يقول ابن فارس: الخاء والواو والفاء أصل واحد يدلّ على الدّعر والفرع، يقال خفت الشّيء خوفاً وخيفة<sup>(١)</sup>.

وخاف الرّجل يخاف خوفاً وخيفة ومخافة فهو خائف... والأمر منه خف بفتح الخاء... وخاوفه فخافه يخوفه: غلبه في الخوف، أي كان أشدّ خوفاً منه. والإخافة التّخويف. يقال: وجع مخيف أي يخيف من رآه<sup>(٢)</sup>.

والتّخويف والإخافة والتّخوّف: الفرع، وقوله:

أتهجر بيتاً بالحجاز تلعّفت به الخوف والأعداء أم أنت زائرهم؟  
إنّما أراد بالخوف المخافة فأنث لذلك.

(١) المقاييس (٢/ ٢٣٠).

(٢) الصحاح (٤/ ١٣٥٨، ١٣٥٩).

وتخوّفت عليه الشّيء أي خفت، وتخوّفه كخافه، وأخافه إيّاه إخافة وإخافا (عن اللّحياني) وخوّفه<sup>(١)</sup>.

وخوف الرّجل: جعل النّاس يخافونه، وفي التّنزيل العزيز: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥] «أي يجعلكم تخافون أوليائه، وقال ثعلب: معناه: يخوّفكم بأوليائه. والخيفة: المخافة، وفي التّنزيل: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾<sup>(٢)</sup>.

والخيفة: الخوف، والجمع خيف، وأصله الواو، قال صخر الغيّ الهذلي:

فلا تقعدنّ على زخّية وتضمير في القلب وجدا وخيفا<sup>(٣)</sup>

والمخاف والمخيف: موضع الخوف... وطريق مخوف ومخيف: تخافه النّاس ووجع مخوف ومخيف: يخيف من رآه... وحائط مخوف، إذا كان يخشى أن يقع هو... وثغر متخوّف ومخيف: يخاف منه، وقيل إذا كان الخوف يجيء من قبله<sup>(٤)</sup>، وقد أطلق الخوف على عدّة معان منها: القتل، والقتال، والعلم، وأديم أحمر يعدّ منه أمثال السيور ثمّ يجعل على تلك السيور شذر تلبسه الجارية، ويطلق على الفرع كما سبق<sup>(٥)</sup>.

ويقال: تخوّفناهم أي تنقصناهم تنقضا اقتضاه الخوف منه... والتخوّف ظهور الخوف من الإنسان، قال: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧]. والخيفة الحالة التي عليها الإنسان من الخوف، قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾ [طه: ٦٦]، والتخويف من الله تعالى هو الحثّ على التّحرّز، وعلى ذلك قوله - تعالى -: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ [الزمر: ١٦] والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرّعب كاستشعار الخوف من الأسد؛ بل إنّما يراد به الكفّ عن المعاصي واختيار الطّاعات، ولذلك قيل: لا يعدّ خائفا من لم يكن للذنوب تاركا<sup>(٦)</sup>. ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه»<sup>(٧)</sup>.

(١) اللسان «خوف» (٩ / ٩٩) ط. بيروت.

(٢) اللسان «خوف»، وانظر سورة الأعراف / ٢٠٥ مكية.

(٣) الصحاح (٤ / ١٣٥٩).

(٤) اللسان «خوف» (٩ / ١٠٠) ط. بيروت.

(٥) اللسان «خوف» (٩ / ١٠٠)، وانظر القاموس (٣ / ١٣٩) «خوف».

(٦) المفردات للراغب (١٦١، ١٦٢) ببعض تصرف.

(٧) اللسان «خوف» (٩ / ١٠٠).

## واصطلاحاً:

عرّفه العلماء عدّة تعريفات تبعاً لاختلاف نظرة كلّ منهم، فيقول الرّاعب: الخوف: توقّع مكروه عن أمانة مظنونة أو معلومة. ويضادّه الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيويّة والأخرويّة<sup>(١)</sup>.

ويقول الجرجاني: الخوف توقّع حلول مكروه أو فوات محبوب<sup>(٢)</sup>. وقيل: اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف، وقيل: فزع القلب من مكروه يناله أو من محبوب يفوته<sup>(٣)</sup>.

## منزلة الخوف:

قال ابن رجب الحنبلي رحمته: إنّ الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه، ونصب لهم الأدلّة الدالّة على عظمتهم وكبريائه ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال، ووصف لهم شدّة عذابه ودار عقابه التي أعدّها لمن عصاه ليتّقوه بصالح الأعمال، ولهذا كرّر ﷻ - في كتابه ذكر النار وما أعدّه فيها لأعدائه من العذاب والنكال، وما احتوت عليه من الزّقوم والضّريع والحميم والسلاسل والأغلال، إلى غير ذلك ممّا فيها من العظائم والأهوال، ودعا عباده بذلك إلى خشيته وتقواه والمسارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبّه ويرضاه، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه، فمن تأمل الكتاب الكريم وأدار فكره فيه وجد من ذلك العجب العجائب، وكذلك السنّة الصّحيحة التي هي مفسّرة ومبيّنة لمعاني الكتاب، وكذلك سير السلف الصّالح أهل العلم والإيمان من الصّحابة والتّابعين لهم بإحسان، من تأملها علم أحوال القوم وما كانوا عليه من الخوف والخشية والإخبات، وأنّ ذلك هو الذي رقاهم إلى تلك الأحوال الشريفة والمقامات السنيّة، من شدّة الاجتهاد في الطّاعات والانكفاف عن دقائق الأعمال والمكروهات فضلاً عن المحرّمات<sup>(٤)</sup>.

وقال رحمته: القدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك، بحيث صار باعثاً للنّفوس على التّشمير في نوافل الطّاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات والتّبسّط في فضول المباحات، كان ذلك فضلاً محموداً، فإن تزايد على ذلك بأن أورت مرضاً أو موتاً، أو همّاً لازماً، بحيث يقطع عن السّعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله ﷻ لم يكن محموداً<sup>(٥)</sup>.

(١) المفردات (١٦١).

(٢) التعريفات (١٠١).

(٣) دليل الفالحين لابن علان (٢/ ٢٨٥).

(٤) التخويف من النار لابن رجب (٦، ٧).

(٥) التخويف من النار لابن رجب (٢١).

وقال الحافظ ابن حجر رحمته: إنَّ الخوف من المقامات العلية، وهو من لوازم الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَحَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَآخِشُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال صلوات الله: «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية». وكلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد له خشية ممن دونه، وقد وصف الله تعالى الملائكة بقوله: ﴿يَحَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، والأنبياء بقوله: ﴿الَّذِينَ يَلْعَنُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]. وإنما كان خوف المقرّبين أشد؛ لأنهم يطالبون بما لا يطالب به غيرهم فيراعون تلك المنزلة، ولأن الواجب لله منه الشكر على المنزلة فيضاعف بالنسبة لعلو تلك المنزلة، فالعبد إن كان مستقيما فخوفه من سوء العاقبة لقوله - تعالى - : ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأفصال: ٢٤] أو نقصان الدرجة بالنسبة، وإن كان مائلا فخوفه من سوء فعله. وينفعه ذلك مع الندم والإقلاع؛ فإن الخوف ينشأ من معرفة قبح الجناية والتصديق بالوعد عليها، وأن يحرم التوبة، أو لا يكون ممن شاء الله أن يغفر له، فهو مشفق من ذنبه طالب من ربه أن يدخله فيمن يغفر له <sup>(١)</sup>.

من معاني كلمة الخوف في القرآن الكريم:

قال الفيروزابادي: وقد ورد الخوف في القرآن الكريم على وجوه منها:

الأول: بمعنى القتل والهزيمة: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾ [النساء: ٨٣]، ﴿وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ [البقرة: ١٥٥]، أي القتل.

الثاني: بمعنى الحرب والقتال: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفْتُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩]، أي إذا انجلى الحرب، ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ١٩]، أي الحرب.

الثالث: بمعنى العلم والدراية: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا﴾ [البقرة: ١٨٢]، أي علم، ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، أي يعلما، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَمِينِ﴾ [النساء: ٣]، أي علمتم.

الرابع: بمعنى النقص: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧]، أي تنقص.

الخامس: بمعنى الرعب والخشية من العذاب والعقوبة: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] (١).

[للاستزادة: انظر صفات: الإنابة- الخشوع- الخشية- الرجاء- الرهبة- الإخبات- القنوت- الورع- البكاء.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأمن من المكر الفجور- العصيان- الغفلة- الكبر والعجب- الإصرار على الذنب].

\*\*\*

### من فوائد (الخوف)

- |  |   |
|--|---|
| (١) الفوز بالجنة والنجاة من النار.     | (٨) يبعد الإنسان عن الوقوع في المعاصي والسيئات.                           |
| (٢) الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة. | (٩) يجعل الإنسان يخلص عمله لله تعالى. وأن لا يضيّعه بالتّرك أو المعصية.   |
| (٣) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.    | (١٠) يورث المسلم الشفقة على الخلق.  |
| (٤) يثمر محبة الله وطاعته.             | (١١) يحمل الإنسان المسلم على التخلّق بالأخلاق الحسنة وتجنّب الكبر والعجب. |
| (٥) سبب لسعادة العبد في الدارين.       |   |
| (٦) دليل على صفاء القلب وطهارة النفس.  |   |
| (٧) سبب لهداية القلب.                  |   |

### الدعاء

#### الدعاء لغة:

مأخوذ من مادة (دع و) التي تدلّ في الأصل على إمالة الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، ومن هذا الأصل الدعاء في معنى الرغبة إلى الله ﷻ، وهو واحد الأدعية، والفعل من ذلك دعا يدعو، والمصدر الدعاء والدّعى، أمّا الدّعوة فهي المرّة الواحدة من الدعاء، ومنه الحديث الشريف «فإنّ دعوتهم تحيط من ورائهم أي تحوطهم وتكفهم وتحفظهم، ويستعمل الدعاء أيضا

(١) بصائر ذوي التمييز لليفروزابادي (٢/ ٥٧٨، ٥٧٩).

بمعنى النداء، يقال من ذلك دعا الرجل الرجل دعوا ودعاء: ناداه، ودعوت فلانا أي صحت به واستدعيته كذلك، ويقال: دعاه الأمير أي ساقه، وداعيا في قول الله سبحانه: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] معناه: داعيا إلى توحيد الله وما يقرب منه.

والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة، والنبي ﷺ داعي الله تعالى وكذلك المؤذن<sup>(١)</sup>. وقال الراغب: وقد يستعمل الدعاء في معنى التسمية كقولك دعوت ابني زيدا أي سمّيته. ويقال: دعوت الله إذا سألته وإذا استغثته، ومنه قول الله ﷻ: ﴿قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] أي سلّه، أمّا الدعاء إلى الشيء فهو الحثّ على قصده، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥] وتأتي الدعوى في معنى الدعاء كما في قوله عزّ من قائل: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]<sup>(٢)</sup>، أمّا الدعوة فهي المسألة الواحدة وجمعها دعوات، وتطلق أيضا على نفاسة القدر كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ [غافر: ٤٣]<sup>(٣)</sup>.

#### الدعاء اصطلاحا:

قال الطيّبي: هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له<sup>(٤)</sup>، وقال المناوي: هو لسان الافتقار بشرح الاضطرار، وقيل: هو شفيع الحاجة ونجحها باللّجاجة، وقيل: هو طلب كشف الغمّة بتطلّع موضع القسمة<sup>(٥)</sup>.

#### الفرق بين الدعاء والنداء:

قال الراغب: الدعاء مثل النداء إلا أنّ النداء قد يقال بـ «يا» أو أيا ونحو ذلك من أدوات النداء من غير أن يضمّ إليه الاسم، أمّا الدعاء فلا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو: يا فلان، وقد يستعمل كلّ منهما في موضع الآخر<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر مقاييس اللغة ٢/ ٢٨٠، ولسان العرب (دعا)، والصحاح للجوهري ٦/ ٢٣٣٧.

(٢) المفردات للراغب ص ١٧٠.

(٣) فتح الباري ١١/ ٩٤.

(٤) فتح الباري ١١/ ٩٥ وهذا التعريف يتناول دعاء العبادة.

(٥) التوقيف على مهمات التعريف ١٦٦، وهذا التعريف يتناول دعاء المسألة المتضمن لدعاء الثناء والعبادة.

(٦) المفردات ص ١٧٠.

## أقسام الدعاء:

لفظ الدعاء والدعوة في القرآن الكريم يتناول معنيين:

الأول: دعاء العبادة، والآخر دعاء المسألة.

ودعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه، وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود (بحق) (١).

أما دعاء العبادة فهو الذي يتضمن الثناء على الله بما هو أهله ويكون مصحوبا بالخوف والرجاء (٢).

والدعاء في القرآن يراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما وهما متلازمان، فالعبد يدعو للتفجع أو دفع الضرّ دعاء المسألة ويدعو خوفا ورجاء دعاء العبادة فكلّ دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكلّ دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، وقد ورد المعنيان جميعا في قوله سبحانه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥٥) ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦].

أما قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] فإنه يتناول نوعي الدعاء أيضا، وبكلّ منهما فسرت الآية، قيل: المعنى: أعطيه إذا سألتني، وقيل أثيبه إذا عبدني، والقولان متلازمان.

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ولكنه في دعاء العبادة أظهر، ولهذا أعقبه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ وقد فسّر الدعاء في الآية بهذا وبهذا، وأما قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣] فالمراد به دعاء العبادة المتضمن دعاء المسألة، وأما قوله سبحانه: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، فهذا هو دعاء العبادة والمعنى اعبدوه وحده وأخلصوا عبادته (٣)،

(١) الفتاوى ١٧ / ١٠، وانظر أيضا الفتاوى ١٠ / ٢٣٧، وعن الموضع الأول أخذ ابن القيم في تفسيره، انظر التفسير القيم ص ٢٤٠.

(٢) هذا فحوى كلام الإمامين ابن تيمية وابن القيم في الموضوعين السابقين لكنهما لم يصرحا بذلك.

(٣) الفتاوى ١٧ / ١٣.

وذلك بخلاف قوله تعالى: ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمُ فِدَعْوَاهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ [القصص: ٦٤] فهذا دعاء المسألة، يكتهم الله تعالى ويخزيهم يوم القيامة بأن يروا أن شركاءهم لا يستجيبون لدعوتهم، وليس المراد عبدوهم<sup>(١)</sup>.

### فوائد إخفاء الدعاء:

لقد أمر الله ﷻ بإخفاء الدعاء في آية الأعراف: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، والدعاء هنا وإن كان يشمل نوعي الدعاء إلا أنه ظاهر في دعاء المسألة المتضمن دعاء العبادة ولهذا أمر بإخفائه وإسراؤه وفي هذا الإخفاء فوائد عديدة منها:

- ١- أنه أعظم إيماناً لعلم صاحبه أن الله يسمع الدعاء الخفي.
- ٢- أنه أعظم في الأدب والتعظيم.
- ٣- أنه أبلغ في التضرع والخشوع.
- ٤- أنه أبلغ في الإخلاص.
- ٥- أنه أبلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء.
- ٦- أنه دليل على قرب الداعي من مولاه القريب منه، وليس من مسألة البعيد للبعيد. وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بعينه عندما قال (في الحديث الصحيح) عندما رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر: «اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وهذا القرب من الداعي إنما هو قرب خاص، وليس قرباً عاماً من كل أحد، فهو سبحانه قريب من داعيه، وقريب من عابديه، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

٧- أنه (أي إخفاء الدعاء) أدعى إلى دوام الطلب والسؤال.

٨- أنه أبعد للداعي من القواطع والمشوشات.

٩- أن فيه إخفاء للنعمة (أي نعمة الإقبال والتعبّد) عن أعين الحاسدين.

١٠- أن الدعاء نوع من الذكر متضمن للطلب منه، والثناء عليه بأسمائه الحسنى وأوصافه العلى فهو ذكر وزيادة، وقد قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُّ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ

الْقَوْلُ ﴿ [الأعراف: ٢٠٥] فأمر الله نبيّه في هذه الآية أن يذكره في نفسه، قال مجاهد وابن جريج: أمر أن يذكر في الصدر بالتضرّع والاستكانة دون رفع الصوت أو الصياح<sup>(١)</sup>.

### الاعتداء في الدعاء:

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : الاعتداء في الدعاء علي وجوه منها: الجهر الكثير والصياح، ومنها أن يدعو الإنسان لنفسه (بما لا يستحق) بأن تكون له منزلة نبي، أو يدعو في محال، أو أن يدعو طالبا معصية، أو أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : الاعتداء في الدعاء يكون تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من المعونة على المحرمات، وتارة بأن يسأل ما لا يفعله الله كأن يسأل تخليده إلى يوم القيامة، أو بأن يرفع عنه منازل البشريّة من الحاجة إلى الطعام والشراب ونحو ذلك ممّا فيه اعتداء لا يحبه الله، ولا يحبّ سائله، وأعظم المعتدين عدوانا هم الذين يدعون معه غيره، إذ إنّ أعظم العدوان الشرك، ومن العدوان أن يدعو غير متضرّع، ومن لم يسأل مسألة مسكين متضرّع خائف فهو معتد.

ومن الاعتداء أيضا أن يعبد بما لم يشرع، أو يثني عليه بما لم يثن على نفسه، ولا أذن فيه، فإنّ هذا اعتداء في دعائه الذي هو ثناء وعبادة، وهو نظير الاعتداء في دعاء المسألة والطلب<sup>(٣)</sup>.

### آداب الدعاء:

قال الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى - : من آداب الدعاء:

- ١- أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل.
- ٢- أن يغتتم الأحوال الشريفة كحال الزحف، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلاة، وعند إفطار الصائم، وحالة السجود، وفي حال السفر.
- ٣- أن يدعو مستقبل القبلة، مع خفض الصوت بين المخافتة والجهر، وأن لا يتكلف السجع في الدعاء فإنّ حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرّع والتكلف لا يناسبه.

(١) باختصار وتصرف عن الفتاوى ١٧ / ١٥ - ٢٠، والتفسير القيم ٢٤٦ - ٢٥٠.

(٢) تفسير القرطبي ٧ / ١٤٤.

(٣) الفتاوى ١٧ / ٢٢ - ٢٣.

٤- الإخلاص في الدعاء والتضرع والخشوع والرغبة والرغبة، وأن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه.

٥- أن يلح في الدعاء ويكون ثلاثاً، كما ينبغي له أن لا يستبطأ الإجابة.

٦- أن يفتح الدعاء ويختتمه بذكر الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ ثم يبدأ بالسؤال.

٧- التوبة ورد المظالم والإقبال على الله ﷻ بكنه الهمة، وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة، وتحري أكل الحلال<sup>(١)</sup>.

### الدعاء في القرآن الكريم:

ولفظ الدعاء ورد في القرآن على وجوه منها:

الأول: بمعنى القول: ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَلِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٥].

الثاني: بمعنى العبادة: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: ٧١].

الثالث: بمعنى النداء: ﴿وَلَا تَسْمِعُ الضَّمُّ الدُّعَاءَ﴾ [النمل: ٨٠، الروم: ٥٢].

الرابع: بمعنى الاستعانة والاستغاثة: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣].

الخامس: بمعنى العذاب والعقوبة: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [المعارج: ١٧]. أي تعذب.

السادس: بمعنى العرض: ﴿وَيَنْقُورِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ﴾ [غافر: ٤١]. أي عرضها

عليكم، والسؤال نحو ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، والتسمية: نحو ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: العبادة- الاستخارة- الاستعانة- الاستغاثة- التوحيد- الذكر-

الابتهاال القنوت- الإنابة- الخوف- الرجاء- التوسل- الرغبة والترهيب- الاستغفار- الشاء- الحمد- الشكر.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض- الغرور القنوط- اليأس- اتباع الهوى- الكبر

والعجب].

(١) مستفاد من إحياء علوم الدين (٣٠٤-٣٠٧).

(٢) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

## من فوائد (الدعاء)

- (١) سرعة الفرج وتفريج الكرب. (٧) يعدّ من أجلّ أنواع العبادة، فيقصد لذاته  
 (٢) إلقاء الهمّ على الرّبّ لحسن الظنّ بالقرب. كما يقصد لقضاء الحاجة ولدفع المضرة.  
 (٣) سلاح يتّقى به العدوّ وسوء القضاء. (٨) يدعو المسلم إلى التعرّف على الآداب  
 (٤) يجلب المصالح ويدفع المفاسد. الشرعيّة.  
 (٥) يشغل العبد بذنبه وعيبه عن عيب غيره. (٩) يشعر المسلم بأنّه في معيّة الحقّ دوماً.  
 (٦) مداومة الشّعور بالضعف والحاجة، فلا يزال يدعو حتّى ينال حاجته.

## الدعوة إلى الله

## الدعوة لغة:

تكون مصدراً لقولهم: دعا فلان إلى كذا دعوة، وهو مأخوذ من مادّة (دع و) التي تدلّ كما يقول ابن فارس على: إمالة الشّيء إليك بصوت وكلام يكون منك، وجاء في الصّحاح يقال: دعوت فلانا، أي صحت به واستدعيته، ودعوت الله له وعليه دعاء، وتكون الدّعوة (أيضاً) المرّة الواحدة من الدّعاء، وتكون أيضاً الاسم من قولهم: دعا الرّجل دعوا ودعاء: قال ابن منظور والاسم الدّعوة.

والدّعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو النّاس إلى بدعة أو دين، والنّبىّ ﷺ داعي الله تعالى، وكذلك المؤدّن. وفي التّهذيب: المؤدّن داعي الله، والنّبىّ ﷺ داعي الأمّة إلى توحيد الله وطاعته<sup>(١)</sup>.

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى -: إذا كانت الدّعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلّها وأفضلها فهي لا تحصل إلّا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بدّ في كمال الدّعوة من البلوغ في العلم، إلى حدّ أقصى يصل إليه السّعي، ويكفي هذا في شرف العلم أنّ صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء<sup>(٢)</sup>.

(١) لسان العرب لابن منظور (١٤ / ٢٥٨ - ٢٥٩).

(٢) التفسير القيم (٣١٩).

قال ابن كثير رحمته في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾: أي دعا عباد الله إليه ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]: أي وهو في نفسه مهتد بما يقول فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعدّد وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر، ويأتونه، بل ياتمر بالخير ويترك الشرّ ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى، وهذه عامّة في كلّ من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد، ورسوله صلّى الله عليه وآله أولى الناس بذلك <sup>(١)</sup>.

### الدعوة إلى الله اصطلاحاً:

هي دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والعمل <sup>(٢)</sup>.

أقسام الدعوة إلى الله: نقل الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ عن ابن القيم - رحمه الله تعالى - قوله في معنى قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]: ذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو: فإنّه إمّا أن يكون طالباً للحقّ محبباً له مؤثراً له على غيره إذا عرفه، فهذا يُدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال. وإمّا أن يكون مشتغلاً بضدّ الحقّ، ولكن لو عرفه أثره واتبّعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب. وإمّا أن يكون معانداً معارضا فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجدل إن أمكن <sup>(٣)</sup>.

### الدعوة إلى الله وآدابها:

تبليغ الدعوة إلى الله يكون بالقول وبالعمل وبسيرة الداعي التي تجعله قدوة حسنة لغيره فتجذبهم إلى الإسلام <sup>(٤)</sup>.

ولا بدّ أن يستعين الداعي إلى الله بأساليب الدعوة الإسلامية، وهي:

١ - الحكمة. ٢ - الوعظ عن طريق الترغيب والترهيب.

٣ - الجدل والحوار وإقامة الحجّة. ٤ - القدوة.

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ١٠٠).

(٢) تفسير الطبري (١١ / ٥٣).

(٣) فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (٨٦ - ٨٧).

(٤) أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان (٤٧٠).

- ٥- الجهاد.
- ٦- التربية والتعليم.
- ٧- استخدام العلم ونظرياته واكتشافاته. ٨- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٩- الإعلام.
- ١٠- التأليف والكتابة والتحقيق والتخريج.
- ١١- دروس المساجد.
- ١٢- الخروج إلى القرى والمساجد والمدن.
- ١٣- الاهتمام بالعقل.
- ١٤- الاهتمام بالروح وتزكية النفس وأعمال البر<sup>(١)</sup>.

من أسس الدعوة إلى الله الاستقامة على أمر الله:

دعا الإسلام إلى الاستقامة وجعلها أعلى المقامات. وأسلوبه في الدعوة إليها أسلوب يستهوي الأفئدة ويؤثر في النفوس ويحملها على التزامها والتعلق بأهدابها. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي إن الذين آمنوا بالله إيماناً حقاً واستقاموا على الطريق الذي رسمه لعباده فإن الملائكة تنزل عليهم عند الموت قائمة لهم: لا تخافوا ممّا أمامكم من أهوال القبر ولا تحزنوا على ما تركتم وراءكم من أموال وأولاد وأبشروا بالجنة التي وعدكم الله بها. وإن هؤلاء الذين قالوا ربنا الله واستقاموا يتولّاهم الله برحمته ورضاه كلّما التزموا الاستقامة وساروا على الجادة دون اعوجاج أو انحراف<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإرشاد- التذكير- النصيحة- الوعظ- اللين- الأسوة الحسنة- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- البشارة- الإنذار- التبليغ- التعاون على البر والتقوى. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض- الغي والإغواء- الكسل- التهاون- التعاون على الإثم والعدوان- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف- التفريط والإفراط].

\*\*\*

(١) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر لخالد ابن عبد الكريم الخياط (١٠٤، ١٠٥).

(٢) انظر كتاب «إسلامنا» لسيد سابق ص ١٤٦-١٤٧.

## من فوائد (الدعوة إلى الله)

- (١) الفوز بالجنة والنجاة من النار.  
 (٢) دلالة الناس على الخير وهدايتهم إليه.  
 (٣) دليل على صلاح العبد واستقامته.  
 (٤) ثمر محبة الله ومحبة الناس.  
 (٥) التشبه بالأنبياء والصالحين وسلوك مسالكهم.  
 (٦) في القيام بها نشر للفضيلة ومحاربة للرذيلة.  
 (٧) بها تصلح الأفراد وتسعد الشعوب.  
 (٨) بها يتقرب العبد من ربه ويفوز بمحبته.
- (٩) باب من أبواب النصيحة إلى الله ورسوله  
 والمؤمنين لا يفوز بها إلا الصالحون.  
 (١٠) تكسب الداعي بركة دعوة المصطفى  
 ﷺ بأن ينصر الله وجهه.  
 (١١) تشرح للعالم كله سبل الإسلام السمحة  
 وترد على الدعاوى الباطلة التي يلصقها  
 المغرضون بالدين الحنيف.  
 (١٢) للداعي أجر عظيم يتضاعف بعدد الذين  
 يستجيبون له.

## الذكر

## الذكر لغة:

تدور مادة (ذك ر) حول معنيين: الأول الذكورة ضد الأنوثة وما شابهها، والثاني: الذكر ضد النسيان، يقول ابن فارس: (الذال والكاف والراء) أصلان عنهما يتفرع كلم الباب، فالمذكر التي ولدت ذكرا، والمذكور: التي تلد الذكران عادة والأصل الآخر: ذكرت الشيء، خلاف نسيته، ثم حمل عليه الذكر باللسان، ويقولون: اجعله منك على ذكر أي لا تنسه<sup>(١)</sup>.

والذكر والذكرى خلاف النسيان، وكذلك الذكرة، يقول الشاعر:

أنى ألم بك الخيال يطيف ومطافه لك ذكرة وشعوف<sup>(٢)</sup>

والذكر يأتي بمعنى الحفظ للشيء، وهو أيضا الشيء يجري على اللسان، ومنه قولهم ذكرت لفلان حديث كذا وكذا، أي قلته له. تقول: ذكره يذكره ذكرا وذكرا.

(١) المقاييس (٢/ ٣٥٨).

(٢) الصحاح (٢/ ٦٦٤)، وانظر اللسان «ذكر». والشعوف: الولوع بالشيء حتى لا يعدل عنه.

ومن المجاز: الذِّكْرُ: الصَّيْتُ يكون في الخير والشرِّ، والذِّكْرُ: الثَّناء ويكون في الخير فقط... ورجل مذکور أي يثنى عليه بخير، ومن المجاز: الذِّكْرُ: الشَّرْفُ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي القرآن شرف لك ولهم، وقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤] أي شرفك.

كما يطلق الذِّكْرُ على معانٍ آخر منها: الصَّلَاةُ لله تعالى، والدَّعاء إليه، ويطلق أيضا على الطَّاعة، والشُّكر، والدَّعاء، والتَّسبيح، وقراءة القرآن، وتمجيد الله وتهليله وتسيبحة والثناء عليه بجميع محامده، والذِّكْرُ أيضا: الكتاب الَّذي فيه تفصيل الدِّين ووضع الملل، وكلُّ كتاب من الأنبياء ذكْر، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وحمل على خصوص القرآن وحده أيضا<sup>(١)</sup>.

وقيل: الذِّكْرُ: ما ذكرته بلسانك وأظهرته.

والذِّكْرُ بالقلب، يقال: ما زال مِنِّي على ذكر: أي لم أنسه<sup>(٢)</sup> والذِّكْرُ: كثرة الذِّكْر، وهو أبلغ من الذِّكْر، قال تعالى: ﴿ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٤٣] وقال أيضا: ﴿ وَذِكْرٌ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ والتَّذكُّرُ: ما يتذكَّر به الشَّيء وهو أعمُّ من الدَّلالة والأمانة، قال تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذكُّرِ مُعْرِضِينَ ﴾ [المدثر: ٤٩] <sup>(٣)</sup> والاستذكار: الدَّراسة للحفظ، والتَّذكُّرُ: طلب شيء فات<sup>(٤)</sup>. واستذكر الرَّجُل ربط في إصبعه خيطا ليذكر به حاجته. وذكرت الشَّيء بعد النسيان، وتذكَّرت، وأذكرته غيري وذكَّرت به معني، قال الله تعالى: ﴿ وَأَذْكَرٌ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف: ٤٥] أي ذكر بعد نسيان، وأصله اذتكر فأدغم<sup>(٥)</sup>.

### واصطلاحا:

التَّخْلُصُ من الغفلة والنسيان<sup>(٦)</sup> ويقول الرَّاغِبُ: «الذِّكْرُ تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وتارة يقال لحضور الشَّيء القلب أو القول، ولذلك قيل الذِّكْرُ ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللسان»<sup>(٧)</sup>.

(١) تاج العروس للزبيدي (٦ / ٣٧٦ - ٣٧٨)، وقارن باللسان «ذكر»، والقاموس المحيط (٢ / ٣٦).

(٢) اللسان «ذكر» (٤ / ٣٠٨) (ط. بيروت).

(٣) المفردات (١٨٠).

(٤) المحيط في اللغة (٦ / ٢٣٥).

(٥) اللسان «ذكر» (٤ / ٣٠٩) (ط. بيروت).

(٦) مدارج السالكين (٢ / ٤٥١).

(٧) المفردات (١٧٩).

منزلة الذكر:

يبين ابن القيم منزلة الذكر وأهميته فيقول:

وهي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائما يترددون. والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقتها صارت الأجساد لها قبورا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقه انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل؛ والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب. إذا مرضنا تدأويننا بذكركم فنترك الذكر أحيانا فننتكس به يستدفعون الآفات، ويستكشفون

الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم التوازل فإليه مفرعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون.. يدع القلب الحزين صاحكا مسرورا، ويوصل الذكر إلى المذكور، بل يدع الذكر مذكورا.

وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة.

والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة، بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال قياما وقعودا، وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان، وهو غراسها فكذلك القلوب بور خراب، وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذكر في ذكره استغراقا.

ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقا،.. به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار. زين الله به السنة الدارين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء. وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته<sup>(١)</sup>.

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٤٠ - ٤٤١).

## درجات الذكر:

قال ابن القيم عن درجات الذكر: «وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الذكر الظاهر ثناء أو دعاء أو رعاية».

فأما ذكر الثناء فنحو «سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر».

وأما ذكر الدعاء فنحو ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[الأعراف: ٢٣]

وأما ذكر الرعاية فمثل قول الذاكر «الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي».

الدرجة الثانية: الذكر الخفي وهو الخلاص من القيود، والبقاء مع الشهود، ولزوم المسامرة.

الدرجة الثالثة: الذكر الحقيقي، وهو شهود ذكر الحق إياك، والتخلص من شهود ذكرك».

وقد سمّي هذا الذكر حقيقياً؛ لأنه منسوب إلى الربّ تعالى فذكر الله لعبده هو الذكر

الحقيقي، وهو شهود ذكر الحق عبده<sup>(١)</sup>... إلخ.

## الدلالات العامة للذكر:

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - والمراد بالذكر: الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في

قولها، والإكثار منها، مثل الباقيات الصالحات، وهي:

«سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة

والحسبلة<sup>(٢)</sup> والاستغفار ونحو ذلك. والدعاء بخيري الدنيا والآخرة، ويطلق ذكر الله أيضا ويراد به

المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن، وقراءة الحديث، ومدارسة العلم،

والتنفل بالصلاة، ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضاره لمعناه

ولكن يشترط ألا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف

إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه ازداد

كمالاً. فإن وقع ذلك في عمل صالح ممّا فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالاً، فإن صحّ

التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال.

(١) مدارج السالكين (٢٤٥٢ - ٤٥٣).

(٢) الحسبلة: هي قول الذاكر: حسبي الله ونعم الوكيل.

وقال الفخر الرازي: المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد. والذكر بالقلب: التفكير في أدلة الذات والصفات وفي أدلة التكليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله. والذكر بالجوارح، هو أن تصير مستغرقة في الطاعات ومن ثم سمي الله الصلاة ذكرا فقال: ﴿فَأَسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]. ونقل عن بعضهم، قال: الذكر على سبعة أنحاء: فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء، وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضاء<sup>(١)</sup>.

وقال ابن القيم رحمته: وذكر الله يتضمن ذكر أسمائه وصفاته وذكر أمره ونهيه وذكره بكلامه، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح. وذلك لا يتم إلا بتوحيده. فذكره الحقيقي يستلزم ذلك كله ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو الفرج ابن الجوزي: الذكر يقال على وجهين: أحدهما الذكر بالقلب. والثاني: الذكر باللسان. وهو في الموضوعين حقيقي، ويستعار في مواضع تدل عليها القرينة<sup>(٣)</sup>.

آداب الذكر وحكمه:

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى -: ينبغي أن يكون الذكر على أكمل الصفات، فإن كان جالسا في موضع استقبال القبلة وجلس متخشعا متدبلا بسكينة ووقار، مطرفا رأسه، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز، ولو كان ذلك (أي ترك الذكر ذلك) بغير عذر كان تاركا للأفضل، وينبغي أن يكون الموضوع الذي يذكر فيه خاليا نظيفا، ولهذا مدح الذكر في المساجد والأماكن الشريفة، وقد جاء عن أبي ميسرة «لا يذكر الله تعالى إلا في مكان طيب»، وينبغي للذاكر أيضا أن يكون فمه نظيفا، فإن كان فيه تغير أزاله بالسواك (ونحوه)، وإن كان فيه نجاسة أزالها بالماء، فإن ذكر ولم يفعل، فهو مكروه وليس بحرام، وهو محبوب في جميع الأحوال، إلا في أحوال ورد الشرع باستثنائها منها: عند الجلوس على قضاء الحاجة، وفي حالة الجماع وفي حالة الخطبة لمن يسمع صوت الخطيب، وفي القيام في الصلاة لأن عليه الاشتغال بالقراءة، وفي حالة النعاس، ولا يكره في الطريق، ولا في الحمام<sup>(٤)</sup>.

(١) فتح الباري (١١ / ٢١٢ - ٢١٣).

(٢) الفوائد (١٧٤).

(٣) نزهة الأعين النواظر (٣٠١).

(٤) الأذكار النووية ص ١٧ - ١٨.

معاني كلمة الذكر في القرآن الكريم:

ذكر أهل التفسير أنّ الذكر في القرآن على أوجه منها:

أحدها: الذكر باللسان. ومنه قوله تعالى في [البقرة: ٢٠٠]: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ وغيرها.

الثاني: الذكر بالقلب: ومنه قوله تعالى في [آل عمران: ١٣٥]: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾، وقيل هو الندم.

الثالث: الحديث. ومنه قوله تعالى في [يوسف: ٤٢]: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾. ومثله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [مریم: ٤١] ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾ [مریم: ٥١].

الرابع: الخبر. ومنه قوله تعالى في [الكهف: ٨٣]: ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.

الخامس: العظة. ومنه قوله تعالى في [الأنعام: ٤٤]: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

السادس: الوحي. ومنه قوله تعالى في [الصفات: ٣]: ﴿فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا﴾.

السابع: القرآن. ومنه قوله تعالى في [الأنبياء: ٥٠]: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾.

الثامن: التوراة والكتب السابقة. ومنه قوله تعالى في [النحل: ٤٣]: ﴿فَسَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ﴾.

التاسع: الشرف. ومنه قوله تعالى في [الزخرف: ٤٤]: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.

العاشر: الطاعة. ومنه قوله تعالى في [البقرة: ١٥٢]: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾. أي أطيعوني أغفر لكم.

الحادي عشر: البيان. ومنه قوله تعالى في [الأعراف: ٦٣]: ﴿أَوْعِجَّتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

الثاني عشر: الصلوات الخمس. ومنه قوله تعالى في [البقرة: ٢٣٩]: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾.

الثالث عشر: صلاة الجمعة. ومنه قوله تعالى في سورة [الجمعة: ٩]: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا

الْبَيْعَ﴾.

الرابع عشر: صلاة العصر. ومنه قوله تعالى في [ص: ٣٢]: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾.

الخامس عشر: الرسول. ومنه قوله تعالى في [الطلاق: ١٠، ١١]: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠﴾

رَسُولًا ۝ قِيلَ: إِنْ أَنْزَلَ هَاهُنَا بِمَعْنَى أَرْسَلَ.

وهذه الآيات التي استشهد بها لهذه المعاني تحتملها وغيرها<sup>(١)</sup>.

وقال ابن القيم: جاء الذكر في القرآن على عشرة أوجه:

الأول: الأمر به مطلقاً ومقيّداً وذلك كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا

كثيرًا ۝٤١﴾ وَسَيُحَوِّثُكُمْ بِكَرِهٍ وَأَصِيلًا ۝ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

الثاني: النهي عن ضده من الغفلة والنسيان كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

الثالث: تعليق الفلاح باستدامته وكثرته كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

[الجمعة: ١٠]

الرابع: الثناء على أهله، والإخبار بما أعدّ الله لهم من الجنة والمغفرة، كقوله تعالى: ﴿إِنْ

الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ۝ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ

لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝ [الأحزاب: ٣٥].

الخامس: الإخبار عن خسران من لها عنه غيره. كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ

أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ [المنافقون: ٩].

السادس: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له، كقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ۝

[البقرة: ١٥٢]

السابع: الإخبار أنه أكبر من كل شيء، كقوله تعالى: ﴿آتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ

الصَّلَاةَ ۝ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۝ [العنكبوت: ٤٥].

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها، وذلك كما ختم به الحجّ في قوله

تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۝

[البقرة: ٢٠٠]، وختم به الصلاة كقوله ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ

(١) نزهة الأعين النواظر (٣٠٢-٣٠٦)، ونحوه في بصائر ذوي التمييز (٣/ ١٣-١٥).

﴿النساء: ١٠٣﴾. وختم به الجمعة كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته وأنهم أولو الألباب دون غيرهم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [١٩٠] الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴿[آل عمران: ١٩٠، ١٩١]..

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال وروحها، فقد قرنه بالصلاة كقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وكذلك قرنه بالصيام وبالْحَجِّ وغيرها<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التسبيح - التكبير التهليل - الثناء - الدعاء - الشكر - الحمد - الحوقلة - التقوى - الطمأنينة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض - الغفلة - اللغو - اللهو واللعب - اتباع الهوى - الغرور - الكبر والعجب - الضلال - السخط].

\*\*\*

#### من فوائد (الذكر)

قال ابن القيم رحمته: في الذكر أكثر من مائة فائدة منها<sup>(٢)</sup>:

- (١) أنه يطرد الشيطان ويقمعه.
- (٢) أنه يرضي الرحمن عز وجل.
- (٣) أنه يزيل الهم والغم عن القلب.
- (٤) أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.
- (٥) أنه يقوي القلب والبدن.
- (٦) أنه ينور الوجه والقلب.
- (٧) أنه يجلب الرزق.
- (٨) أنه يكسو الذكور المهابة والحلاوة والنضرة.
- (٩) أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحي الدين ومدار السعادة والنجاة.
- (١٠) أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٤١ - ٤٤٤).

(٢) لفظ فائدة هنا يشمل أمرين: الأول فائدة للذكر والآخر فائدة عن الذكر، وقد ذكر من النوع الأول ثلاثا وسبعين، ومن النوع الثاني خمس فوائد، ولذلك قال - رحمه الله تعالى - في الذكر ولم يقل للذكر.

- (١١) أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله ﷻ.
- (١٢) أنه يورثه القرب منه، فعلى قدر ذكره الله ﷻ يكون قربه منه.
- (١٣) أنه يفتح له بابا عظيما من أبواب المعرفة.
- (١٤) أنه يورثه الهيبة لربه ﷻ وإجلاله، لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل؛ فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه.
- (١٥) أنه يورثه ذكر الله تعالى له كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلا وشرفا.
- (١٦) أنه يورثه حياة القلب.
- (١٧) أنه قوت القلب والروح، فإذا فقد العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.
- (١٨) أنه يورث جلاء القلب من صدئه.
- (١٩) أنه يحطّ الخطايا ويذهبها.
- (٢٠) أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى.
- (٢١) من ذكر الله تعالى ﷻ ذكره ربه، ولذكر الله أكبر.. قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] <sup>(١)</sup>.
- (٢٢) أن العبد إذا تعرّف إلى الله تعالى بذكره في الرّخاء عرفه في الشّدّة.
- (٢٣) أنه ينجّي من عذاب الله تعالى.
- (٢٤) أنه سبب تنزيل السّكينة، وغشيان الرّحمة، وحفوف الملائكة بحلقات الذّكر.
- (٢٥) أنه سبب اشتغال اللّسان عن الغيبة والنّميمة والكذب والفحش والباطل.
- (٢٦) أن مجالس الذّكر مجالس الملائكة، ومجالس اللّغو والغفلة مجالس الشّياطين، فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدّنيا والآخرة.

(١) ذكر ابن القيم في الفائدة الحادية والعشرين «أن ما يذكر به العبد ربه.. يذكر به عند الشدة» ثم ذكر في الفائدة الثانية والعشرين ان العبد اذا تعرف الى الله بذكره في الرخاء عرفه في الشدة» وهما في الحقيقة شيء واحد، وما ذكرناه هنا يتضمن ذكر الله تعالى لمن يذكره في الرخاء والشدة معا، انظر في ذلك احياء علوم الدين ٢ / ٢٩٤.

- (٢٧) أنه يسعد الذّكر بذكره ويسعد به جلسه، وهذا هو المبارك أينما كان.
- (٢٨) أنه يؤمّن العبد من الحسرة يوم القيامة.
- (٢٩) أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإزالة الله تعالى العبد يوم الحرّ الأكبر في ظلّ عرشه، وهذا الذّكر مستظلّ بظلّ عرش الرحمن ﷻ.
- (٣٠) أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذّكر أفضل ما يعطي السائلين.
- (٣١) أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها.
- (٣٢) أنه غراس الجنّة.
- (٣٣) أن العطاء والفضل الذي رتبّ عليه لم يرتبّ على غيره من الأعمال.
- (٣٤) أن دوام ذكر الرّبّ تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده.
- (٣٥) أن الذّكر نور للذّكر في الدّنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصّراط.
- (٣٦) لمّا كان الذّكر متيسّرا للعبد في جميع الأوقات والأحوال فإنّ الذّكر وهو مستقلق على فراشه يسبق (في الفضل والخير) القائم الغافل.
- (٣٧) الذّكر يفتح باب الدّخول إلى الله ﷻ، فإذا فتح الباب ووجد الذّكر ربّه فقد وجد كلّ شيء.
- (٣٨) في القلب خلّة وفاقة لا يسدها شيء البتّة إلا ذكر الله ﷻ، فإذا صار القلب بحيث يكون هو الذّكر بطريق الأصالة، واللّسان تبع له فهذا هو الذّكر الذي يسدّ الخلّة ويفني الفاقة.
- (٣٩) أن الذّكر يجمع المتفرّق ويفرّق المجتمع، ويقرب البعيد ويبعد القريب، فيجمع ما تفرّق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه، والعذاب كلّ العذاب في تفرقتها وتشتتها عليه وانفراطها له، والحياة والنّعيم في اجتماع قلبه وهمّه وعزومه وإرادته. ويفرّق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه. ويفرّق أيضا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياها وأوزارها حتّى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحلّ. ويفرّق أيضا ما اجتمع على حربه من جند الشيطان.
- (٤٠) أن الذّكر ينه القلب من نومه، ويوقظه من سنته.

- (٤١) أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمّر إليها السالكون.
- (٤٢) أن الذكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه. وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق.
- (٤٣) أن الذكر يعدل حتى عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل والضرب بالسيف في سبيل الله ﷻ.
- (٤٤) أن الذكر رأس الشكر، فما شكر الله تعالى من لم يذكره.
- (٤٥) أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطبا بذكر الله.
- (٤٦) أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى.
- (٤٧) أن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة وشفائها ودواؤها في ذكر الله تعالى.
- (٤٨) الذكر أصل موالاة الله ﷻ، ورأسها، والغفلة أصل معاداته ورأسها، لأن العبد لا يزال يذكر ربه ﷻ حتى يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه.
- (٤٩) أنه ما استجلبت نعم الله ﷻ واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله تعالى.
- (٥٠) أن الذكر يوجب صلاة الله ﷻ وملائكته على الذكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز.
- (٥١) أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليجلس في مجالس الذكر.
- (٥٢) أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه.
- (٥٣) أن الله ﷻ يباهي بالذاكرين ملائكته.
- (٥٤) من داوم على الذكر دخل الجنة مستبشرا فرحا بما أنعم الله عليه<sup>(١)</sup>.
- (٥٥) الذكر يحقق الغاية التي من أجلها شرعت الأعمال كالصلاة ونحوها، قال تعالى:
- ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

(١) عبارة ابن القيم «مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك».

- (٥٦) إكثار الذكر في الأعمال يجعل الذّاكر أفضل أهل ذلك العمل، فأفضل الصّوام أكثرهم ذكرا لله ﷻ في صومهم، وأفضل المتصدّقين أكثرهم ذكرا لله تعالى... وهكذا.
- (٥٧) إدامة الذكر تنوب عن التّطوّعات وتقوم مقامها (ممن لا يقدر عليها) سواء كانت هذه التّطوّعات بدنيّة (كالجهاد) أو ماليّة (كالصدقة) أو بدنيّة ماليّة كحجّ التّطوّع.
- (٥٨) ذكر الله ﷻ من أكبر العون على طاعته ﷻ فإنّه يحبّها للعبد ويسهّلها عليه. ويجعل قرّة عينه فيها.
- (٥٩) أنّ ذكر الله ﷻ يسهّل الصّعب، ويسرّ العسير ويخفّف المشاقّ. فما ذكر الله ﷻ على صعب إلاّ هان، ولا على عسير إلاّ تيسر، ولا مشقّة إلاّ خفّت، ولا شدّة إلاّ زالت، ولا كربة إلاّ انفرجت.
- (٦٠) أنّ ذكر الله ﷻ يذهب عن القلب مخاوفه كلّها. فليس للخائف الذي قد اشتدّ خوفه أنفع من ذكر الله ﷻ.
- (٦١) الذّكر يعطي الذّاكر قوّة (عظيمة) حتّى إنّ ليفعل مع الذّكر ما لم يظنّ فعله بدونه.
- (٦٢) الذّاكرون هم السّابقون يوم القيامة.
- (٦٣) الذّكر سبب لتصديق الرّبّ ﷻ عبده، لأنّه يخبر عن الله بأوصاف كماله، ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد، صدّقه ربّه، ومن صدّقه الله تعالى، لم يحشر مع الكاذبين، ورجي له أن يحشر مع الصّادقين.
- (٦٤) الملائكة تبني للذّاكر دورا في الجنّة ما دام يذكر، فإذا أمسك عن الذّكر، أمسكت الملائكة عن البناء.
- (٦٥) الذّكر سدّ بين العبد وبين جهنّم - والعياذ بالله تعالى - فإذا كان ذكرا دائما محكما، كان سدّا محكما لا منفذ فيه، وإلاّ فبحسبه.
- (٦٦) الملائكة تستغفر للذّاكر كما تستغفر للتائب.
- (٦٧) بالذّاكرين تتباهى الجبال والقفار وتستبشر بمن عليها من الذّاكرين.
- (٦٨) كثرة الذّكر أمان من النّفاق، فإنّ المنافقين قليلو الذّكر لله تعالى، كما أخبر عنهم سبحانه بقوله: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].
- (٦٩) يحصل الذّاكر من اللدّة ما لا يحصل لغيره، ولذا سمّيت مجالس الذّكر رياض الجنّة.
- (٧٠) يكسو الذّكر صاحبه نضرة في الدّنيا ونورا في الآخرة.

(٧١) في تكثير الذّكر تكثير لشهود العبد يوم القيامة.

(٧٢) في الذّكر اشتغال عن الكلام الباطل من الغيبة والنّميمة واللّغو ونحو ذلك من حيث إنّ اللّسان لا يسكت البتّة، وهو إمّا لسان ذاك، وإمّا لسان لاغ، ولا بدّ من أحدهما، والنّفس إن لم تشغلها بالحقّ شغلتك بالباطل..

(٧٣) لا سبيل إلى تفريق جمع الشّياطين التي تحوط بالإنسان إلاّ بذكر الله ﷻ.

(٧٤) الذّكر يجعل الدّعاء مستجاباً<sup>(١)</sup>.

## الرأفة

### الرأفة لغة:

مصدر قولهم: رؤف به يرؤف رأفة ورأفة وهو مأخوذ من مادّة (رأف) التي تدلّ كما يقول ابن فارس على الرّقة والرّحمة، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢] وقرئت رأفة، والرّأفة أشدّ الرّحمة، وقيل هي أرقّ من الرّحمة، ولا تكاد تقع في الكراهة، والرّحمة قد تقع في الكراهة للمصلحة، يقول أبو زيد: رؤفت بالرجل أرؤف رأفة ورأفة، ورأفت به أرأف (كذلك) ورثفت به رأفاً، قال: كلّ من كلام العرب<sup>(٢)</sup> والرّءوف اسم للمولى ﷻ وصفة من صفات رسوله الكريم ﷺ: الرّءوف من أسماء الله الحسنى: من صفات الله ﷻ التي سمّي بها «الرّءوف» ومعناها الرّحيم لعباده العظوف عليهم بالطفاه وفيه لغتان قرأ بهما جميعاً: رءوف على فعول وهي قراءة أهل المدينة ورؤف على فعل، فمن الأوّل قول كعب بن مالك الأنصاريّ رحمته:

نطيع نبيّنا ونطيع ربّنا هو الرّحمن كان بنا رءوفاً  
ومن الثّاني قول جرير:

يرى للمسلمين عليه حقّاً كفعل الوالد الرّؤف الرّحيم  
فالله ﷻ هو الرّءوف لأنّه المتناهي في الرّحمة بعباده لا راحم أرحم منه ولا غاية وراء رحمته،

(١) بتلخيص وتصرف عن صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص ٨٢-١٥٣، وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله تعالى - ثلاثاً وسبعين، واستخلصنا الفائدة الرابعة والسبعين مما ذكره عن الذّكر والدّعاء وأيهما أفضل، أما ما ذكره رحمته من الفوائد أرقام ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، فهي فوائد عن الذّكر وليست فوائد له.  
(٢) انظر مقاييس اللغة (٢/ ٤٧١)، والصّاح (٤/ ١٣٦٢).

وقد يقال أيضا «رأف» بسكون الهمزة، ومن ذلك قول الشاعر:

فَأَمَّنُوا بِنَبِيِّ لَا أَبَا لَكُمْ      ذِي خَاتَمٍ صَاغَهُ الرَّحْمَنُ مَخْتُومًا  
رَأْفَ رَحِيمٍ بِأَهْلِ الْبَرِّ يَرْحَمُهُمْ      مَقْرَبٌ عِنْدَ ذِي الْكُرْسِيِّ مَرْحُومًا  
ونقل ابن منظور عن الفراء أنه يقال (أيضا) رئف بكسر الهمزة<sup>(١)</sup>.

وقال الغزالي: الرَّؤْفُ (معناه) ذُو الرَّأْفَةِ، والرَّأْفَةُ شِدَّةُ الرَّحْمَةِ<sup>(٢)</sup>، وقال ابن الأثير: هو الرَّؤْفُ بعباده العطوف عليهم بألطفه<sup>(٣)</sup>.

الرءوف من صفة المصطفى ﷺ والمؤمنين: جاء وصف النبي ﷺ بالرءوف والرحيم في قوله ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] فالرءوف (هنا) شديد الرحمة، (والرحيم) الذي يريد لهم الخير، وقيل رءوف بالطائعين ورحيم بالمدنبيين، قال ابن عباس: سمّاه (المولى) باسمين من أسمائه، وفي الجمع بينهما دلالة على أن في كل منهما معنى ليس في الآخر على نحو ما ذكره أهل العلم.

يقول النيسابوري: ومن رأفته ﷺ أنه أمر بالرفق كما قال: إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ومن رحمته قيل له ﴿فِيمَا رَحِمْتَهُ مِنَّ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وههنا نكتة وهي أن رأفته ورحمته لما كانت مخلوقة اختصت بالمؤمنين فقط وكانت رأفته ﷺ ورحمته للناس عامة ﴿إِنَّكَ﴾ بالله بالناس لرؤفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] وهناك نكتة أخرى هي أن رحمته ﷺ عامة للعالمين وأما رحمته المضمومة إلى الرأفة فخاصة بالمؤمنين، وكأن الرأفة إشارة إلى ظهور أثر الدعوة في حقهم فالمؤمنون أمة الدعوة والإجابة جميعا وغيرهم أمة الدعوة فقط<sup>(٤)</sup>.

### الرأفة اصطلاحاً:

قال الكفوي: الرأفة مبالغة في رحمة مخصوصة هي رفع المكروه وإزالة الضرر<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر الصحاح (٤/ ١٣٦٢)، ولسان العرب (١٥٣٤) (ط. دار المعارف).

(٢) المقصد الأسنى ١٤٠.

(٣) النهاية لابن الأثير ٢/ ١٧٦.

(٤) زاد المسير (٣/ ٥٢١)، وغرائب القرآن للنيسابوري (بهامش الطبري) (ج ١١ ص ٤٦).

(٥) الكليات للكفوي (ص ٣٧٨).

**بين الرحمة والرأفة:**

قال بعض العلماء الرحمة هي أن يوصل إليك المسار، والرأفة هي أن يدفع عنك المضار، والرأفة إنما تكون باعتبار إفاضة الكمالات والسعادات التي بها يستحق الثواب، والرحمة من باب التزكية والرأفة من باب التخلية، وذكر الرحمة بعد الرأفة مطرد في القرآن الكريم لتكون أعم وأشمل<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الأثير: الرأفة أرق من الرحمة، ولا تكاد تقع في الكراهة، والرحمة (قد) تقع في الكراهة للمصلحة<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الرحمة - الرفق - الشفقة - العطف - الحنان.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإساءة - سوء المعاملة - العنف - القسوة].

\*\*\*

**من فوائد (الرأفة)**

- (١) مدعاة لرضى الله ورسوله ﷺ وتكون (٤) من رزق الرأفة فقد جمع كثيرا من خصال سببا في دخول الجنة.
- (٢) صاحبها يحمل صفة يتحلى بها رسول الله ﷺ. (٥) أن صاحبها ينال درجة عالية من الأجر؛ لأنها أشد الرحمة وأرقها.
- (٣) أنها سبب للألفة والمحبة بين عباد الله المسلمين.

**الرجاء****الرجاء لغة:**

الرجاء مصدر قولهم رجوت فلانا أرجوه وهو مأخوذ من مادة (رج و) التي تدل على الأمل الذي هو نقيض اليأس، ممدود. يقال رجوت فلانا رجوا ورجاء ورجاوة. ويقال ما أتيتك إلا رجاءة الخير، وترجيت، ترجية بمعنى رجوته.

(١) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها (بتصرف يسير).

(٢) النهاية ٢ / ١٧٦.

قال بشر يخاطب ابنته:

فرجّي الخير وانتظري إياي إذا ما القارظ العنزيّ آبا  
وقيل: الأمل أكبر من الرجاء؛ لأنّ الرجاء معه خوف. قال في اللسان: وقد يكون الرجاء،  
والرجاء بمعنى الخوف. قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]. أي تخافون عظمة الله.  
قال أبو ذؤيب:

إذا لسعته النحل لم يرح لسعها وخالفها في بيت نوب عواسل  
قال الراغب: ووجه ذلك أنّ الرجاء والخوف يتلازمان قال تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا  
يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]. وقال عزّ من قائل: ﴿وَأَخْرُوجُ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦]، ويقال:  
أرجت الناقة: دنا نتاجها، وحقيقته: جعلت لصاحبها رجاء في نفسها بقرب نتاجها<sup>(١)</sup>.

#### الرجاء اصطلاحاً:

تأمل الخير وقرب وقوعه، وفي الرسالة القشيرية: الرجاء تعليق القلب بمحبوب في المستقبل.

قال ابن القيم رحمته: الرجاء هو النظر إلى سعة رحمة الله.

وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الربّ تبارك وتعالى والارتياح لمطالعة كرمه.

وقيل: هو الثقة بجود الربّ تعالى.

وقال الراغب: الرجاء ظنّ يقتضي حصول ما فيه مسرة.

وقال المناوي: الرجاء ترقيب الانتفاع بما تقدّم له سبب ما<sup>(٢)</sup>.

#### الفرق بين الرجاء والتمني:

والفرق بينه وبين التمني: أنّ التمني يصاحبه الكسل.

ولا يسلك صاحبه طريق الجدّ، والرجاء على الضدّ من ذلك. ومن الوجهة اللغوية فإنّ أداة

(١) انظر الصحاح للجوهري (٦ / ٢٣٥٢)، والمفردات، للراغب (١٩٠)، ولسان العرب (١٤ / ٣٠٩ - ٣١٠)، ومدارج السالكين (١ / ٣٧).

(٢) مدارج السالكين (١ / ٣٧)، التوقيف على مهمات التعاريف (١٧٤)، والمفردات، للراغب (١٩)، والتعريفات للجرجاني (١٠٩).

الرجاء «لعلّ» وأداة التمني «ليت». كما أنّ الرجاء يفيد إمكان الوقوع بخلاف التمني الذي يفيد تعذر الوقوع أو استحالته<sup>(١)</sup>.

من معاني كلمة الرجاء في القرآن الكريم:

وقد ورد الرجاء في القرآن على ستة أوجه:

أولها: بمعنى الخوف: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]. أي ما لكم لا تخافون. ومنه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبا: ٢٧]، وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ٥].  
الثاني: بمعنى الطمع: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧] ﴿أُوَلِّيكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾. [البقرة: ٢١٨]

الثالث: بمعنى توقع الثواب: ﴿يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَنْ تَكْبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

الرابع: الرجا المقصور بمعنى الطرف: ﴿وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ [الحاقة: ١٧].

الخامس: الرجاء المهموز: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١] أي احبسه.

السادس: بمعنى الترك والتأخير: ﴿تُرْجَىٰ مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١]: تؤخر، ﴿وَأَخْرُوتَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦]<sup>(٢)</sup>.

#### حقيقة الرجاء:

قال ابن القيم رحمته: الرجاء هو عبوديّة، وتعلّق بالله من حيث اسمه: البرّ المحسن فذلك التعلّق والتعبّد بهذا الاسم، والمعرفة بالله: هو الذي أوجب للعبد الرجاء من حيث يدري ومن حيث لا يدري. فقوّة الرجاء على حسب قوّة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته، وغلبة رحمته غضبه ولولا روح الرجاء لعطلت عبوديّة القلب والجوارح، وهدمت صوامع ويبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا. بل لولا روح الرجاء لما تحرّكت الجوارح بالطاعة. ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات. ولي من الأبيات:

لولا التعلّق بالرجاء تقطعت  
نفس المحبّ تحسّرا وتمزّقا  
لولا الرجا يحدو المطي لما سرت  
بحمولها لديارهم ترجو اللقا

(١) انظر مدارج السالكين (١ / ٣٧).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٣ / ٥٠).

فتأمل هذا الموضوع حق التأمل يطلعك على أسرار عظيمة من أسرار العبودية والمحبة، فكل محبة مصحوبة بالخوف والرجاء. وعلى قدر تمكّنها من قلب المحب يشتد خوفه ورجاؤه، ولكن خوف المحب لا يصحبه وحشة. بخلاف خوف المسيء. ورجاء المحب لا يصحبه علة، بخلاف رجاء الأجير، وأين رجاء المحب من رجاء الأجير وبينهما كما بين حالهما؟<sup>(١)</sup>

قال الحافظ ابن حجر رحمته: المقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجيا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور. وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع، وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصي، وترجو أن تنجو.<sup>(٢)</sup>

[للاستزادة: انظر صفات: الاستغفار - الضراعة والتضرع - حسن الظن - الخوف - الرغبة - الدعاء - العبادة - الرهبة - الاستغاثة - الابتهاال - الإنابة - التوبة - القنوت - تذكر الموت. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض - سوء الظن - الغرور - التفريط والإفراط - اليأس - اتباع الهوى القنوط - الغفلة - القلق - الكبر والعجب - الجزع].

\*\*\*

### من فوائد (الرجاء)

(١) إظهار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه العبد من ربه، ويترقبه من إحسانه، وأنه لا يستغنى عن فضله وإحسانه طرفة عين.

(٢) أنه سبحانه يحب من عباده أن يؤمّلوه ويرجوه، ويسألوه من فضله.

(٣) أن الرجاء حاد يحدو بالعبد في سيره إلى الله، ويطيّب له المسير، فلولا الرجاء لما سار أحد، فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحبّ ويزعجه الخوف ويحدوه الرجاء.

(٤) أن الرجاء يطرحه على عتبة المحبة، ويلقيه في دهليزها، فإنه كلما اشتد رجاءه، وحصل له ما يرجوه، ازداد حباً لله تعالى وشكراً له، ورضى به وعنه.

(٥) أنه يبعث العبد على أعلى المقامات، وهو مقام الشكر، الذي هو خلاصة العبودية، فإنه إذا حصل له مرجوة كان أدعى لشكره.

(١) انظر مدارج السالكين: (١ / ٤٣ - ٤٤).

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر (١١ / ٣٠١).

(٦) أنه يوجب للعبد المزيد من معرفة الله وأسمائه ومعانيها، والتعلق به، فإن الراجي متعلق بأسمائه الحسنی، متعبّد بها، داع بها.

(٧) أن الرجاء مستلزم للخوف، والخوف مستلزم للرجاء، فكلّ راج خائف، وكلّ خائف راج، ولأجل هذا حسن وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف.

(٨) أن العبد إذا تعلق قلبه برجاء ربّه فأعطاه ما رجاه كان ذلك ألطف موقعا وأحلى عند العبد وأبلغ من حصول ما لم يريجه، وهذا أحد الأسباب والحكم في جعل المؤمنين بين الرجاء والخوف في هذه الدار، فعلى قدر رجائهم وخوفهم يكون فرحهم في القيامة بحصول مرجوهم واندفاع مخاوفهم.

(٩) أن الله ﷻ يريد من عبده تكميل مراتب عبوديته، من الذل والانكسار والتوكّل والاستعانة، والخوف، والرجاء، والصبر والشكر، والرضى والإنابة، وغيرها. ولهذا قدر عليه الذنب وابتلاه به لتكمل مراتب عبوديته بالتوبة التي هي من أحسن عبوديات عبده إليه، فكذا تكميلها بالرجاء والخوف.

(١٠) أن في الرجاء من الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله ما يوجب تعلق القلب بذكره، ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه وصفاته.

## الرجولة

### الرجولة لغة:

الرجل: الذكر من نوع الإنسان خلاف المرأة.

وفي هذا يقول الراغب: الرجل مختص بالذكر من الناس، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩] ويقال رجلة للمرأة: إذا كانت متشبهة بالرجل في بعض أحوالها. قال الشاعر: لم ينالوا حرمة الرجولة<sup>(١)</sup>.

وقيل: إنما يكون رجلا فوق الغلام، وذلك إذا احتلم وشبّ، وتصغيره رجيل ورويجل، على غير قياس، والجمع رجال. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدِينَ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]،

(١) المفردات، للراغب (١٨٩).

ورجالات جمع الجمع، وقد يجمع رجل أيضا على رجلة. وقد يكون الرجل صفة يعني بذلك الشدة والكمال.

وقيل: في جمع الرجل: أراجل، وترجلت المرأة: صارت كالرجل، وفي الحديث: «أنه لعن المترجلات من النساء». يعني اللاتي يتشبهن بالرجال في زيهم وهياتهم، فأما في العلم والرأي فمحمود، وفي رواية: «لعن الله الرجل من النساء» بمعنى المترجلة، ويقال: امرأة رجلة إذا تشبهت بالرجال في الرأي والمعرفة. وفي الحديث: «كانت عائشة رضي الله عنها رجلة الرأي».

والرجلة، بالضم: مصدر الرجل، والراجل والأرجل، يقال: رجل جيد الرجلة، ورجل بين الرجولة والرجلة والرجلية والرجولية وهي من المصادر التي لا أفعال لها. وهذا أرجل الرجلين أي أشدهما، أو فيه رجلية ليست في الآخر<sup>(١)</sup>.

#### الرجولة اصطلاحاً:

لم تعرف كتب المصطلحات لفظ الرجولة بيد أنها عرفت الرجل. يقول الكفوي: واسم الرجل شرعا موضوع للذات من صنف الذكور من غير اعتبار وصف مجاوزة حد الصغر أو القدرة على المجامعة أو غير ذلك، فيتناول كل ذكر من بني آدم<sup>(٢)</sup>. ومن هنا يمكن تعريف الرجولة بأنها اتصاف المرء بما يتصف به الرجل عادة.

#### الرجولة والفتوة والمرءة والإنسانية:

هذه صفات أربع يرجع اشتقاقها إلى جنس الذكور وما يتحلون به من صفات القوة ونحوها، فالرجولة نسبة إلى الرجل والفتوة ترجع إلى الفتى، والمرءة إلى المرء، والإنسانية ترجع إلى الإنسان، وفي المجال الأخلاقي (أو الاصطلاحي)، نجد المقصود بالمرءة والإنسانية<sup>(٣)</sup> أعم من نظيريهما الفتوة والرجولة لأن المرء أو الإنسان قد يكون فتى شاباً أو رجلاً كهلاً، والرجولة في أظهر معانيها تعني اتصاف الإنسان بما يوصف به الرجال عادة من نحو تحمّل الأعباء الثقّال ومن أبرز ذلك تحمّل الرّسل الكرام لأعباء الرّسالة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ﴾ [الأنبياء: ٧]، ومن ذلك صدق الرجل فيما عاهد عليه ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ

(١) لسان العرب لابن منظور (١١ / ٢٦٥ - ٢٦٧).

(٢) الكليات للكفوي (١ / ٣٩٣).

(٣) سؤى ابن القيم بين صفتي المرءة والإنسانية وجعلهما مترادفين انظر مدارج السالكين ٢ / ٣٦٦.

عَلَيْهِ ﴿ [الأحزاب: ٢٣]، ومنها حبّ التّطهّر ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا ﴾ [التوبة: ١٠٨]، ومنها أنّ الرّجل لا تشغله العوارض عن ذكر الله والعمل للأخرة، مصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَا نُفِيهِمْ تَحْرَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [النور: ٣٧]، فالرّجل الحقّ على ذلك هو من يتحمّل الأعباء وينهض بها ويصدق العهد ويحبّ التّطهّر ولا تشغله سفاسف الأمور عن معاليها، أمّا الفتوة فإنّها تعني اتّصاف المرء بما يوصف به الفتى من النّجدة والنشاط وتوقّد الذّكاء، قال طرفة:

إذا القوم قالوا من فتى؟ خلت أننى... عنيت، فلم أكسل ولم أتبلّد<sup>(١)</sup>

وقال بعض الشعراء:

إنّ الفتى حمّال كلّ ملّمة ليس الفتى بمنعم الشّبّان

ولا تتوقّف الفتوة على المال أو الجاه وإتّما على شرف الأعمال والخصال.

قد يدرك الشّرف الفتى، ورداؤه... خلق، وجيب قميصه مرقوع<sup>(٢)</sup>

لقد لا حظ العرب بعض هذه المعاني، فقال الجوهريّ: الفتى: السّخيّ الكريم<sup>(٣)</sup>، يقال: هو فتى بين الفتوة، ويتأكّد هذا المعنى اللّغويّ للفتوة بما جاء في الذّكر الحكيم من وصف أهل الكهف بأنهم ﴿ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ وفي هذا إشارة واضحة إلى أنّ صفة الفتوة فيهم تفيد قوة تحمّلهم وصلابة عزمهم وكمال عقولهم المتمثّل في الإيمان بالله تعالى، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: ذكر الله تعالى أنّهم فتية وهم الشّبّاب وهم أقبل للحقّ وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ورسوله شبابا، وأمّا الشيوخ من قريش فعامّتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلّا القليل<sup>(٤)</sup>.

وبهذا يتّضح أنّ الفتوة تشير إلى معان ذات قيمة أخلاقيّة عظمى، حتّى وإن كانت في الأصل لا تشعر بمدح ولا ذمّ كما يقول الفيروز ابادي<sup>(٥)</sup>، ثمّ انتقلت اللفظة بعد ذلك للدلالة على معنى

(١) ديوان طرفة/ المعلقة.

(٢) عن لسان العرب ١٥ / ١٤٦ (ط. بيروت).

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤) تفسير ابن كثير (٣ / ٧٨).

(٥) بصائر ذوي التمييز ٤ / ١٧١.

«استعمال الأخلاق الكريمة مع الخلق» كما يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى -<sup>(١)</sup> ومعنى هذه العبارة أنّ الفتوة هي التطبيق العملي والتنفيذ الفعلي لما تقتضيه الأخلاق الحميدة التي لا بدّ أن يتحلّى بها من اتّصف بالفتوة، وقد عدّها - ﷺ - تعالى - من منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقال: حقيقة هذه المنزلة هي الإحسان إلى الناس وكفّ الأذى عنهم، واحتمال أذاهم «وهي إذن نتيجة حسن الخلق واستعماله (أي إخراجها إلى حيّز الوجود بعد أن كان هيئة راسخة في النفس). وأقدم من تكلم في الفتوة جعفر الصادق ثمّ الفضيل بن عياض، والإمام أحمد بن حنبل، وسهل بن عبد الله التستريّ والجنيّد، (ومن سار على نهجهم)، وقد سئل جعفر الصادق عن الفتوة فقال للسائل: ما تقول أنت؟ قال: إن أعطيت شكرت، وإن منعت صبرت، فقال (جعفر): لكن المروءة عندنا: إن أعطينا أثرنا، وإن منعنا شكرنا.

وقال الفضيل: الفتوة الصّفح عن عثرات الإخوان.

وقال الإمام أحمد: الفتوة: ترك ما تهوى لما تخشى.

وقال الجنيّد: الفتوة ألاّ تنافر فقيرا ولا تعارض غنيا.

وقال المحاسبّي: الفتوة أن تنصف ولا تتنصف.

وقال الترمذّي: الفتوة أن تكون خصيما لربك على نفسك، وقيل: هي ألا ترى لنفسك فضلا على غيرك<sup>(٢)</sup>.

وقد لخصّ ابن القيم - رحمه الله تعالى - هذه الأقوال عند ما ذكر أنّ أصل الفتوة عندهم هي أن يكون العبد أبدا في أمر (خدمة) غيره<sup>(٣)</sup>.

وهذا الخلق الرفيع لا يتأتّى بكماله إلا لرسول الله ق - كما يقول الدقاق - فإنّ كلّ أحد يقول يوم القيامة: نفسي نفسي، وهو يقول: أمّتي أمّتي<sup>(٤)</sup>.

وفيما يتعلّق بالفرق بين المروءة<sup>(٥)</sup> والفتوة فيتمثّل في أنّ بينهما عموما وخصوصا يقول ابن

(١) مدارج السالكين ٢ / ٣٥٣.

(٢) انظر هذه الأقوال وغيرها في: مدارج السالكين ٢ / ٣٥٤، وبصائر ذوي التمييز ٤ / ١٧٠ وما بعدها.

(٣) مدارج السالكين ٢ / ٣٥٥.

(٤) مدارج السالكين ٢ / ٣٥٥، وبصائر ذوي التمييز ٤ / ١٧١.

(٥) انظر صفة «المروءة» ووفقا لما ذكر ابن القيم فإن الإنسانية والمروءة يستويان في المعنى.

القيم موضحاً لهذا الفرق: الفتوة نوع من أنواع المروءة إذ المروءة استعمال ما يجمل ويزين مما هو مختص بالعبد، أو متعد إلى غيره، وترك ما يدنس ويشين مما هو مختص أيضاً به أو متعلق بغيره، أما الفتوة فهي استعمال الأخلاق الكريمة مع الخلق<sup>(١)</sup>، أي إن المروءة تتعلق بالنفس وبالغير، والفتوة تتعلق بالغير فقط إذ هي أن يكون المرء في خدمة غيره، أما صفة الإنسانية فهي والمروءة سواء.

### الرجولة في القرآن الكريم:

قال ابن الجوزي: الرجال جمع: رجل، فهو اسم لذكور بني آدم بعد البلوغ، وقيل: إنه اسم مأخوذ من القوة. وذكر بعض المفسرين أن الرجال في القرآن على عشرة أوجه:

أحدها: الرسل ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ﴾ [الأنبياء: ٧].

الثاني: الصابرون من أصحاب النبي ﷺ في الغزوات: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾. [الأحزاب: ٢٣]

الثالث: أهل قباء ومنه قوله تعالى: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْظُرُوا ﴾ [براءة: ١٠٨].

الرابع: المحافظون على أوقات الصلاة. ومنه قوله تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَا نُلْهِمِهِمْ تَجَرَّةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [النور: ٣٧].

الخامس: المقهورون من مؤمني أهل مكة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ ﴾ [الفتح: ٢٥].

السادس: فقراء المسلمين. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴾. [ص: ٦٢]

السابع: المشاة. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [البقرة: ٢٣٩] وقوله تعالى: ﴿ يَا تُوكَ رِجَالًا ﴾ [الحج: ٢٧].

الثامن: الأزواج ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. وقوله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ [النساء: ٣٤].

التاسع: الذكور. ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١]. وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

العاشر: الكفار ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ﴾ [الأعراف: ٤٨]<sup>(١)</sup>.  
 للاستزادة: انظر صفات: الشجاعة- الشهامة- القوة- قوة الإرادة- المروءة- الشرف- العزة- النبيل- الثبات- النزاهة- جهاد الأعداء- العزم والعزيمة- المسؤولية- علو الهمة- الطموح- العفة.  
 وفي ضد ذلك: انظر صفات: التخاذل- التهاون- الخنوثة- الذل- الجبن- الضعف- الوهن- الكسل- صغر الهمة- التخلف عن الجهاد التولي- التفريط والإفراط- اللهو واللعب- اتباع الهوى].

\*\*\*

### من فوائد (الرجولة)

- (١) نشر الفضيلة ودحض الرذيلة.
- (٢) صيانة الأعراض وحفظ الأموال.
- (٣) ثمر الثبات على الحق.
- (٤) تورث الحب وتثمر الصدق.
- (٥) تمنح ثقة الآخرين واطمئنانهم له.
- (٦) ترهب المفسدين والمرجفين.
- (٧) تبث الأمان من الغدر.

### الرحمة

#### الرحمة لغة:

تدور مادة (رح م) حول معنى الرقة والعطف والرأفة، يقول ابن فارس: الرء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة. يقال من ذلك رحمه يرحمه إذا رقق له وتعطف عليه، والرحم والمرحمة والرحمة بمعنى<sup>(٢)</sup>.

(١) الأعين النواظر: لابن الجوزي (٣٢٦-٣٢٨).

(٢) المقاييس لابن فارس (٢/٤٩٨).

ويقول الجوهري: الرَّحْمَةُ: الرَّقَّةُ والتَّعَطُّفُ.

والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحمت عليه، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضا... ورجل مرحوم ومرحوم، شدد للمبالغة، والرَّحِمُ بالضَّمَّة: الرَّحْمَةُ. قال تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ [الكهف: ٨١].  
والرَّحْمَةُ المغفرة، وقوله تعالى في وصف القرآن ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢] أي فصلناه هاديا وذا رحمة. رَحِمَهُ رُحْمًا وَرُحْمًا وَرَحْمَةً وَرَحْمَةً (حكى الأخيرة سيبويه) ومرحمة، وقال الله ﷻ: ﴿وَنَوَاصِرًا يُلَاصِبُونَ وَنَوَاصِرًا يُلَاصِبُونَ﴾ [البلد: ١٧] أي أوصى بعضهم بعضا برحمة الضَّعِيفِ والتَّعَطُّفِ عليه، وترحمت عليه أي قلت: رحمة الله عليه<sup>(١)</sup>.

وتطلق الرَّحْمَةُ ويراد الرِّزْقُ، فقد نقل ابن منظور عن الأزهري قوله: قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿أَتَيْعَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ [الإسراء: ٢٨] أي رزق. ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾ [هود: ٩] أي رزقا ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ [يونس: ٢١] أي حيا وخصبا بعد مجاعة، وأراد بالناس الكافرين. وترحم عليه: دعا له بالرَّحْمَةِ. واسترحمه: سأله الرَّحْمَةَ.

وسمى الله الغيث رحمة لأنه برحمته ينزل من السماء، والرَّحْمُوتُ من الرَّحْمَةِ، يقال: لأن ترهب خيرا من أن ترحم، لم يستعمل على هذه الصيغة إلا مزوجا<sup>(٢)</sup>.  
وأمَّ الرَّحِمِ مَكَّةُ، والمرحومة: من أسماء مدينة رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.  
والرَّحِمُ علاقة القرابة، ثم سميت رحم الأنثى رحما من هذا؛ لأنَّ منها ما يكون ما يرحم ويرق له من ولد<sup>(٤)</sup>.

### واصطلاحا:

قال الجرجاني: هي إرادة إيصال الخير<sup>(٥)</sup>.

وقال الجاحظ: الرَّحْمَةُ خلق مركب من الودِّ والجزع، والرَّحْمَةُ لا تكون إلا لمن تظهر منه لراحمه خلة مكروهة، فالرَّحْمَةُ هي محبة للمرحوم مع جزع من الحال التي من أجلها رحم.

(١) الصحاح للجوهري (٥ / ١٩٢٩) رحم.

(٢) لسان العرب (١٢ / ٢٣٠) ط. بيروت.

(٣) القاموس المحيط (٤ / ١١٨) رحم.

(٤) المقاييس (٢ / ٤٩٨).

(٥) التعريفات (١١٠).

وقال الكفوي: الرَّحمة حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب وتكون مبدأً للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان<sup>(١)</sup>.

معنى الرحمن الرحيم:

قال ابن الأثير - رحمه الله تعالى - : في أسماء الله تعالى «الرحمن الرحيم» وهما اسمان مشتقان من الرحمة، مثل ندمان ونديم. وهما من أبنية المبالغة ورحمن أبلغ من رحيم. والرحمن خاص بالله لا يسمّى به غيره، ولا يوصف. والرحيم يوصف به غير الله تعالى، فيقال: رجل رحيم، ولا يقال رحمن. والرحمة من صفات الذات لله تعالى والرحمن وصف، وصف الله تعالى به نفسه وهو متضمن لمعنى الرحمة<sup>(٢)</sup>.

وقال الخطّابي: ذهب الجمهور إلى أنّ «الرحمن» مأخوذ من الرحمة. ومعناه ذو الرحمة لا نظير له فيها.

ثم قال: فالرحمن ذو الرحمة الشاملة للخلق، والرحيم خاص بالمؤمنين<sup>(٣)</sup>. قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وقال الغزالي: الرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة. والرحمة تستدعي مرحوماً، ولا مرحوم إلا وهو محتاج. والذي ينقضي بسببه حاجة المحتاج من غير قصد وإرادة وعناية بالمحتاج لا يسمّى رحيمًا، والذي يريد قضاء حاجة المحتاج ولا يقضيها، فإن كان قادراً على قضائها لم يسمّ رحيمًا، إذ لو تمت الإرادة لوفى بها، وإن كان عاجزاً فقد يسمّى رحيمًا باعتبار ما اعتوره من الرقة، ولكنه ناقص. وإنما الرحمة التامة إفاضة الخير على المحتاجين وإرادته لهم عناية بهم، والرحمة العامة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق، ورحمة الله، لأ، تامة وعامة، أما تمامها: فمن حيث أنه أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها. وأما عمومها:

فمن حيث شمولها المستحق وغير المستحق، وعمّ الدنيا والآخرة، وتناول الضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنهما. فهو الرحيم المطلق حقاً.

(١) تهذيب الأخلاق للجاحظ (ص ٢٤)، والكلبيات للكفوي (٢/ ٣٧٦).

(٢) النهاية لابن الأثير (٢/ ٢١٠).

(٣) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٣/ ٣٥، ٥٤).

وقال - رحمه الله تعالى - : والرَّحمة لا تخلو عن رقة مؤلمة تعترى الرَّحيم، فتحرَّكه إلى قضاء حاجة المرحوم. والرَّبِّ، ﷻ، منزَّه عنها. فلعلَّكَ تظنُّ أنَّ ذلك نقصان في معنى الرَّحمة، فاعلم أنَّ ذلك كمال وليس بنقصان في معنى الرَّحمة.

أمَّا أنَّه ليس بنقصان فمن حيث إنَّ كمال الرَّحمة بكمال ثمرتها. ومهما قضيت حاجة المحتاج بكمالها لم يكن للمرحوم حظٌّ في تألُّم الرَّاحم وتفجَّعه، وإنَّما تألُّم الرَّاحم لضعف نفسه ونقصانها. ولا يزيد ضعفها في غرض المحتاج شيئاً، بعد أن قضيت حاجته.

وأمَّا أنَّه كمال في معنى الرَّحمة، فهو أنَّ الرَّحيم عن رقة وتألُّم يكاد يقصد بفعله دفع ألم الرِّقة عن نفسه، فيكون قد نظر لنفسه وسعى في غرض نفسه، وذلك ينقص عن كمال معنى الرَّحمة. بل كمال الرَّحمة أن يكون نظره إلى المرحوم لأجل المرحوم، لا لأجل الاستراحة من ألم الرِّقة.

أمَّا الرَّحمن فهو أخصُّ من الرَّحيم، ولذلك لا يسمَّى به غير الله، ﷻ. والرَّحيم قد يطلق على غيره، ولذلك جمع الله، ﷻ، بينهما، فقال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]. فيلزم من هذا الوجه أن يفرِّق بين الاسمين فمن ثمَّ يكون المفهوم من الرَّحمن نوعاً من الرَّحمة هي أبعد من مقدورات العباد، وهي ما يتعلَّق بالسَّعادة الأخروية. فالرَّحمن هو العطوف على العباد، بالإيجاد أولاً، وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السَّعادة ثانياً، وبالإسعاد في الآخرة ثالثاً، والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعاً.

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : الرَّحمة سبب واصل بين الله ﷻ وبين عباده، بها أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها يسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم، فبينهم وبينه سبب العبودية، وبينه وبينهم سبب الرَّحمة<sup>(١)</sup>.

من معاني كلمة «الرَّحمة» في القرآن الكريم:

وقد وردت الرَّحمة في القرآن على أوجه منها:

١ - بمعنى أرزاق الإنسان والحيوان: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ١٠٠].

٢ - بمعنى قطرات ماء الغيث (المطر): ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

- ٣- بمعنى العافية من الابتلاء والامتحان: ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ [الزمر: ٣٨].
- ٤- بمعنى النجاة من عذاب النيران: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [النور: ١٠، ١٤، ٢٠، ٢١].
- ٥- بمعنى النصرة على أهل العدوان: ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧].
- ٦- بمعنى الألفة والمحبة بين أهل الإيمان: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧].
- ٧- بمعنى (وصف) الكتاب المنزل على موسى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْنَا مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: ١٧].
- ٨- بمعنى الجنة دار السلام والأمان: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].
- ٩- بمعنى صفة الرحيم الرحمن: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]<sup>(١)</sup>.

#### الرحمة تقتضي الحزم لا الإهمال:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : إنَّ الرَّحْمَةَ صِفَةٌ تَقْتَضِي إِيْصَالَ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ إِلَى الْعَبْدِ، وَإِنْ كَرِهَتْهَا نَفْسُهُ وَشَقَّتْ عَلَيْهَا. فَهَذِهِ هِيَ الرَّحْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ.

فأرحم الناس من شقَّ عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك. فمن رحمة الأب بولده: أن يكرهه على التآدب بالعلم والعمل، ويشقَّ عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلَّة رحمته به، وإن ظنَّ أنَّه يرحمه ويرفقه ويريحه. فهذه رحمة مقرونة بجهل ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين تسليط أنواع البلاء على العبد، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته: من رحمته به.

#### الابتلاء من صور رحمة الله بعباده:

قال ابن القيم: ومن رحمته سبحانه: ابتلاء الخلق بالأوامر والنواهي رحمة لهم وحمية لا حاجة منه إليهم بما أمرهم به. ومن رحمته: أن نغص عليهم الدنيا وكدرها؛ لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنوا إليها ويرغبوا عن النعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إليها بسياط الابتلاء والامتحان

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٢/ ٥٥-٥٨). باختصار.

فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيتهم، وأماهم ليحييهم. ومن رحمته بهم: أن حذرهم نفسه؛ لئلا يغتروا به فيعاملوه بما لا تحسن معاملته به. ومن رحمته أن أنزل لهم كتبا، وأرسل لهم الرسل لكنّ الناس افترقوا إلى فريقين؛ فأما المؤمنون: فقد أتصل الهدى في حقهم بالرحمة فصار القرآن لهم هدى ورحمة. وأما الكافرون: فلم يتصل الهدى بالرحمة فصار لهم القرآن هدى بلا رحمة.

وهذه الرحمة المقارنة للهدى في حقّ المؤمنين رحمة عاجلة وآجلة، فأما العاجلة فما يعطيهم الله في الدنيا من محبة الخير والبرّ وذوق طعم الإيمان ووجدان حلاوته، والفرح والسرور والأمن والعافية. قال تعالى: ﴿قُلْ يَفْضَلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] فأمرهم ﷺ بأن يفرحوا بفضلهم ورحمته، فهم يتقبلون في نور هداه ويمشون به في الناس ويرون غيرهم متحيرا في الظلمات، فهم أشدّ الناس فرحا بما آتاهم ربهم من الهدى والرحمة. وغيرهم جمع الهمّ والغمّ والبلاء والألم والقلق والاضطراب مع الضلال والحيرة.

وهذه الرحمة التي تحصل للمهتدين تكون بحسب هداهم، فكلمّا كان نصيب الواحد من الهدى أتمّ كان حظّه من الرحمة أوفر، فتجد الصحابة كانوا أرحم الأمة كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

والصديق أرحم الأمة بالأمة، فقد جمع الله له بين سعة العلم وسعة الرحمة. وهكذا الرجل كلما اتسع علمه اتسعت رحمته. وقد وسع ربنا كلّ شيء رحمة وعلما فوسعت رحمته كلّ شيء، وأحاط بكلّ شيء علما، فهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، بل هو أرحم بالعبد من نفسه، كما هو أعلم بمصلحة العبد من نفسه<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الرأفة - الرفق - الحنان - الشفقة - العطف - المحبة - التيسير - تفريج الكربات - حسن العشرة - حسن المعاملة.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: القسوة - العنف - سوء المعاملة - العتو - التعسير - الجفاء - الطغيان].

\*\*\*

(١) بتصرف شديد من إغاثة اللفهان (٢/ ١٧٢ - ١٧٥). انظر حكمة الابتلاء بالضراء في المجلد الأول ص ١٢.

## من فوائد (الرحمة)

- (١) سعة رحمة الله تعالى حتى إنها تسع كل شيء.  
(٦) الاجتماع على الحق دليل الرحمة والافتراق دليل الشقاء.
- (٢) لا يستحق رحمة الله تعالى إلا الراحمون الموفقون.  
(٧) الجنة هي دار الرحمة لا يدخلها إلا الراحمون برحمة الله.
- (٣) ثمر الرحمة محبة الله تعالى ومحبة الناس.  
(٨) برحمة الله تعالى يوفق العبد لترك المعاصي، ونيل الدرجات.
- (٤) الرحمة في الإسلام عامة وشاملة لا تخص أحدا دون أحد، ولا نوعا دون نوع.  
(٩) التعويل عليها لا على كثرة العمل.
- (٥) من آثار رحمة الله تعالى إنزال المطر، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وغفران الذنوب. والابتلاء بشتى المصائب والعيوب.  
(١٠) دليل رقة القلب وسمو النفس.  
(١١) إشاعة الرحمة بين أفراد المجتمع ترفع من مستواه وتجمع شمله.

## الرضا

## الرضا لغة:

الرضا مصدر رضي يرضى وهو مأخوذ من مادة (رض و) التي تدل على خلاف السخط. وفي حديث الدعاء: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك. وتثنية الرضا رضوان ورضيان، والاسم الرضاء (بالمد) والرضا (بالقصر)، قال القحيف العقيلي:

إذا رضيت عليّ بنو قشير لعمـر الله أعجبني رضاها  
ولا تنبـو سـيوف بني قشير ولا تمضي الأسننة في صفاها

عداه بعلى لأنه إذا رضيت عنه أحبته وأقبلت عليه. فلذلك استعمل على بمعنى عن. وقوله ﷺ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨] معناه أن الله تعالى رضي عنهم أفعالهم ورضوا عنه ما جازاهم به.

وقال الراغب: رضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرا بأمره ومنتھيا عن نهيہ. وأرضاه: أعطاه ما يرضى به. وترضاه طلب رضاه، قال:

إذا العجوز غـضبت فطالـق ولا ترضـاها ولا تماـق  
وفي الصّحاح: الرّضوان: الرّضا، وكذلك الرّضوان، بالرّضْم، والمرضاة مثله. والمرضاة والرّضوان مصدران، وقيل في عيشة راضية أي مرضية أي ذات رضى. والرّضوان: الرّضا الكثير، ولما كان أعظم الرّضا رضا الله - سبحانه - خصّ لفظ الرّضوان في القرآن بما كان من الله ﷻ قال سبحانه: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال عزّ من قائل: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة: ٢١].

ويقال: رضيت به صاحبا، وأرضيته عنّي ورضيته، بالتشديد أيضا، فرضي، وتراضى القوم: أظهر كلّ واحد منهم الرّضا بصاحبه ورضيه<sup>(١)</sup>.

#### الرضا اصطلاحا:

هو سرور القلب بمرّ القضاء. وقيل: الرّضا ارتفاع الجزع في أيّ حكم كان، وقيل الرّضا هو صحّة العلم الواصل إلى القلب. فإذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرّضا. وقيل استقبال الأحكام بالفرح. وقيل: سكون القلب تحت مجاري الأحكام. وقيل: نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد فإنّه اختار له الأفضل. وهو ترك السّخط<sup>(٢)</sup>. وقال المناوي: الرّضا طيب نفسى للإنسان بما يصيبه أو يفوته مع عدم التّغيير، وقول الفقهاء يشهد على رضاها أي إذنها جعلوا الإذن رضا لدلالته عليه.

#### أنواع الرضا:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته: من لزم ما يرضى الله من امتثال أوامره واجتناب نواهيه لا سيّما إذا قام بواجبها ومستحبها فإنّ الله يرضى عنه، كما أنّ من لزم محبوبات الحقّ أحبّه الله. كما قال في الحديث الصّحيح الذي في البخاري: «من عادى لي وليّا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرّب

(١) لسان العرب لابن منظور (١٤ / ٣٢٤)، والصحاح للجوهري (٢٣٥٣) ومقاييس اللغة (٢ / ٤٠٢)، ومفردات الراغب (ص ١٩٧).

(٢) التعريفات للجرجاني (ص ١١١)، مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ١٨٥)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوى (ص ١٧٨).

إلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ...» الحديث. وذلك أَنَّ الرِّضَا نَوْعَانِ:

أحدهما: الرِّضَا بِفِعْلٍ مَا أَمَرَ بِهِ وَتَرَكَ مَا نَهَىٰ عَنْهُ. وَيتناول ما أباحه الله من غير تعدٍّ محظور.

﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩].

وهذا الرضا واجب.

ولهذا ذم من تركه بقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا

إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٥٨، ٥٩].

والنوع الثاني: الرضا بالمصائب: كالفقر والمرض والذل. فهذا رضا مستحب في أحد قولي العلماء، وليس بواجب، وقد قيل: إنه واجب، والصحيح أن الواجب هو الصبر. كما قال الحسن: الرضا غريزة، ولكن الصبر معول المؤمن. وقد روي في حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إن استطعت أن تعم بالرضا مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا». وأما الرضا بالكفر والفسوق والعصيان: فالذي عليه أئمة الدين أنه لا يرضى بذلك، فإن الله لا يرضاه كما قال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقال: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّكَ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله بعد أن ساق حديثين: الأول: قوله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا».

والثاني: قوله: «من قال حين يسمع النداء رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا غفرت له ذنوبه». قال رحمه الله: هذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين، وإليهما ينتهي. وقد تضمن الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته. والرضا برسوله، والانقياد له، والرضا بدينه والتسليم له. ومن اجتمعت له هذه الأربعة فهو الصديق حقا.

وهي سهلة بالدعوى واللسان، وهي من أصعب الأمور عند حقيقة الامتحان. ولا سيما إذا

(١) الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠ / ٦٨٣٦٨١).

جاء ما يخالف هوى النفس ومرادها، من ذلك تبيّن<sup>(١)</sup> أنّ الرضا كان لسانه به ناطقا. فهو على لسانه لا على حاله.

فالرضا بالهيئته يتضمّن الرضا بمحبّته وحده، وخوفه، ورجائه، والإنابة إليه، والتبتّل إليه، وانجذاب قوى الإرادة والحبّ كلّها إليه، فعل الرّاضي بمحبوبه كلّ الرضا. وذلك يتضمّن عبادته والإخلاص له، والرّضا بربوبيّته يتضمّن الرضا بتدبيره لعبده. ويتضمّن إفراده بالتوكّل عليه، وبالاستعانة به والثقة به، والاعتماد عليه، وأن يكون راضيا بكلّ ما يفعل به. فالأول: يتضمّن رضاه بما يؤمر به. والثاني: يتضمّن رضاه بما يقدره عليه.

وأما الرضا بنبيّه رسولا فيتضمّن كمال الانقياد له، والتّسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقّى الهدى إلّا من مواقع كلماته ولا يحاكم إلّا إليه، ولا يحكّم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتّة. لا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه، ولا يرضى في ذلك بحكم غيره ولا يرضى إلّا بحكمه.

فإن عجز عنه كان تحكيمة غيره من باب غذاء المضطرّ إذا لم يجد ما يقينه إلّا من الميتة والدم. وأحسن أحواله: أن يكون من باب التراب الذي إنّما يتيمّم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور.

وأما الرضا بدينه: فإذا قال، أو حكم، أو أمر، أو نهى، رضي كلّ الرضا، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلّم له تسليما، ولو كان مخالفا لمراد نفسه أو هواها، أو قول مقلّده وشيخه وطائفته<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاتباع - السرور - الصبر والمصابرة - اليقين - السماحة - القناعة - الزهد.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: السخط - الجزع - القلق - الغضب - الحسد - الحقد - الغل].

\*\*\*

(١) هكذا في الأصل ولعلّ المراد: ومن تبيّن أنّ الرضا.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ١٧٩، ١٨٠) وراجع: بصائر ذوي التمييز (٣ / ٧٩ - ٨١).

## من فوائد (الرضا)

- (١) يثمر محبة الله ورضاه وتجنب سخطه. (٧) طريق إلى الفوز برضوان الله تعالى.
- (٢) دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام. (٨) يضيف على الإنسان المسلم راحة نفسية وروحية.
- (٣) الفوز بالجنة والنجاة من النار. (٩) يجنب المسلم الأزمات النفسية من قلق زائد وتوتر.
- (٤) مظهر من مظاهر صلاح العبد وتقواه. (١٠) طريق واضح إلى تحقيق السلام الاجتماعي.
- (٥) الوعد بالبشرى في الآخرة.
- (٦) دليل حسن ظن العبد بربه.

## الرغبة والترغيب

## الرغبة لغة:

الرغبة مصدر قولهم رغب في الشيء، وهو مأخوذ من مادة (رغ ب) التي تدل في أصل اللغة على معنيين:

أحدهما: طلب لشيء، والآخر سعة في شيء.

فمن الأصل الأول: الرغبة في الشيء: الإرادة له، تقول: رغبت في الشيء، فإذا لم ترده قلت: رغبت عنه، ومن المعنى الثاني قولهم: الشيء الرغيب: الواسع الجوف، يقال: حوض رغيب، وسقاء رغيب، والرغبة العطاء الكثير، والجمع رغائب، قال الشاعر:

ومتى تصبك خصاصة فارح الغنى وإلى الذي يعطي الرغائب فارغب

وذكر الرغيب أن أصل الرغبة هو السعة في الشيء مطلقاً، وأن الرغب والرغبة والرغبي السعة في الإرادة، والرغبة العطاء الكثير إما لكونه مرغوباً فيه وإما لسعته.

والرغبة أيضاً: السؤال والطعم. وأرغبني في الشيء ورغبني، بمعنى (واحد).

ورغبة: أعطاه ما رغب، والرغباء: الضراعة والمسألة. وفي حديث الدعاء: «رغبة ورهبة إليك».

قال ابن الأثير: أعمل لفظ الرغبة وحدها، ولو أعملهما معاً، لقال: رغبة إليك ورهبة منك، ولكن لما جمعتهما في النظم، حمل أحدهما على الآخر.

وفي حديث عمر رضي الله عنه قالوا له عند موته: جزاك الله خيرا فعلت وفعلت، فقال: راغب وراهب: أراد إئتني راغب فيما عند الله، وراهب من عذابه، فلا تعويل عندي على ما قلت من الوصف والإطراء. ورجل رغبوت: من الرّغبة. وقد رغب إليه ورغبه هو. وفي الحديث أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «أتتني أمي راغبة»... قال الأزهرى: قولها أتتني أمي راغبة، أي طائعة، تسأل شيئا. يقال: رغبتم إلى فلان في كذا وكذا: أي سألته إياه. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «كيف أنتم إذا مرج الدين، وظهرت الرّغبة؟»، وقوله: «ظهرت الرّغبة» أي كثر السؤال وقلت العفة، ومعنى ظهور الرّغبة: الحرص على الجمع، مع منع الحق.

ويقال: إنّه لو هوب لكلّ رغبة، أي لكلّ مرغوب فيه.

وقال يعقوب: الرّغبي والرّغباء مثل النّعمى والنّعماء. وفي الحديث أن ابن عمر كان يزيد في تلييته: والرّغبي إليك والعمل. وفي رواية: والرّغباء بالمدّ وهما من الرّغبة كالنّعمى والنّعماء من النّعمة.

ودعا الله رغبة ورغبة، عن ابن الأعرابي. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، قال: ويجوز رغبا ورهبا.

قال: ويقال: الرّغبي إلى الله تعالى والعمل أي الرّغبة، وأصبت منك الرّغبي، أي الرّغبة الكثيرة.

وفي حديث ابن عمر: «لا تدع ركعتي الفجر، فإنّ فيهما الرّغائب»، قال الكلابي: الرّغائب ما يرغب فيه من الثّواب العظيم، يقال: رغبية ورغائب، وقال غيره: هي ما يرغب فيه ذو رغب النّفس، ورغب النّفس سعة الأمل وطلب الكثير، ومن ذلك صلاة الرّغائب، واحدتها رغبية، والرّغبية: الأمر المرغوب فيه <sup>(١)</sup>.

#### الرغبة اصطلاحاً:

قال في الكلّيات: رغب فيه: أراده بالحرص عليه ومن ثمّ تكون الرّغبة: إرادة الشّيء بالحرص عليه <sup>(٢)</sup>.

وذكر المناوي: أن الرّغبة إرادة الشّيء مع حرص عليه، فإذا قيل رغب فيه وإليه اقتضى

(١) لسان العرب (١/ ٤٢٢ - ٤٢٣)، بصائر ذوي التمييز (٢/ ٨٩)، والمفردات للراغب (١٩٨)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤١٥).

(٢) الكلّيات للكفوي (٤٨٢).

الحرص عليه، وإذا قيل رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه<sup>(١)</sup>.

### بين الرغبة والابتغاء:

الابتغاء في اللغة مصدر قولهم: ابتغى الشيء بمعنى طلبه، ويقال أيضا: بغى الرجل حاجته أو ضالته إذا طلبها، والبغية الطلبة<sup>(٢)</sup>.

أما في الاصطلاح فهو كما قال المناوي: الاجتهاد في الطلب، وقيل هو الاشتداد في طلب شيء ما، وأصله مطلق الطلب والإرادة<sup>(٣)</sup>.

وبالموازنة بين تعريف كل من الرغبة والابتغاء يتضح أنهما متقاربان جدًا، بيد أنه لوحظ في الرغبة معنى الحرص وفي الابتغاء معنى الشدة والاجتهاد، وكلاهما قد يستعمل - في بعض السياقات - استعمال الآخر.

### الفرق بين الرغبة والرجاء:

والفرق بين الرغبة والرجاء أن الرجاء طمع، والرغبة طلب. فهي ثمرة الرجاء، فإنه إذا رجا الشيء طلبه. والرغبة من الرجاء كالهرب من الخوف، فمن رجا شيئًا طلبه ورغب فيه، ومن خاف شيئًا هرب منه.

والمقصود: أن الراجي طالب، والخائف هارب، وأن الرغبة: هي الرجاء بالحقيقة؛ لأن الرجاء طمع يحتاج إلى تحقيق، أي طمع في مغيب عن الرجاء مشكوك في حصوله، وإن كان متحققًا في نفسه، كرجاء العبد دخوله الجنة؛ فإن الجنة متحققة لا شك فيها، وإنما الشك في دخوله إليها، وهل يوافي ربه بعمل يمنعه منها أم لا؟. بخلاف الرغبة، فإنها طلب، وإذا قوي الطمع صار طلبًا.

وأولها: رغبة تتولد من العلم، فتبعث على الاجتهاد المنوط بالشهود، وتصون السالك عن الفترة والكسل.

وتتصاعد الرغبة حتى تكون رغبة لا تبقي من المجهود مبذولًا، ولا تدع للهمة ذبولًا، ولا تترك غير القصد مأمولًا.

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (١٧٩).

(٢) لسان العرب (٧٦ / ١٤)، ط. بيروت.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٣٥.

فرغبته لا تدع من مجهوده مقدورا له إلا بذله ولا تدع لهمة وعزيمته فتورا ولا خمودا، وعزيمته في مزيد، ولا تترك في قلبه نصيبا لغير مقصوده.

فإذا اكتملت رغبته اكتمل معها خلق الرعاية الإيمانية، وهي: مراعاة العلم وحفظه بالعمل، ومراعاة العمل بالإحسان والإخلاص، وحفظه من المفسدات وصيانته<sup>(١)</sup>.

### الترغيب:

أما الترغيب فهو مصدر قولهم: رغب في الشيء أي أوجد فيه الرغبة إليه، ويكون ذلك بتحسينه وتزيينه، لأن النفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وما جاء به الشرع الحنيف كله - بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ - لا يعدو أن يكون ترغيبا في الخيرات وترهيبا من المعاصي والموبقات، وثمره ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرغبة من عقابه، وقد لخص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موته حياة المؤمن الحق، عند ما قالوا له: جزاك الله خيرا فعلت وفعلت، فقال: راغب وراهب قال ابن الأثير: المعنى: راغب فيما عند الله وراهب من عذابه<sup>(٢)</sup>.

### الترغيب في الجنة ونعيمها:

لقد حفلت أي الذكر الحكيم، ووردت الأحاديث الشريفة بوصف الجنة وما أعدّه الله فيها للمتقين ﴿جَزَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ [النبا: ٣٦]، ترغيبا للمؤمنين وحثا لهم على الطاعات وتحمل مشاق العباداة، ذلك أن الإنسان إذا علم أن الله قد أعد له دارا فيها كل ما تشتهي النفس وتلذ الأعين ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من أهل هذه الجنة وسعى لها سعيها فكان من المتقين، ومن المحسنين، ومن الدّٰكرين ومن المخبّتين، ومن المنفقين، ومن الأوابين المنيبين الذين ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، وسوف نذكر عقب آيات وأحاديث الرغبة، طرفا ممّا رغب الله به عباده في الطاعة بذكر الآيات والأحاديث الواردة في وصف الجنة ونعيمها وما أعدّه الله فيها لأهل طاعته.

(١) تهذيب مدارج السالكين (٣٠٧).

(٢) هذا أحد قولين في تفسير عبارة أمير المؤمنين، والقول الآخر أن من قال هذا إما راغب فيما عندي أو راهب مني، والرأي الأول أصح، انظر النهاية ٢ / ٢٣٧.

[للاستزادة: انظر صفات: الطموح - العبادة علو الهمة - النشاط - الرهبة - الإخبات - الدعاء  
الإناابة - الخوف - القنوت - الطاعة.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: صغر الهمة - الكسل - القنوط - اليأس - الوهن - الغرور -  
الغفلة - التفریط والإفراط].

\*\*\*

### من فوائد (الرغبة والترغيب)

- (١) الرغبة إلى الله تعالى وما عنده فيها خير (٧) يطمئن إلى الآخرة ويرجو المغفرة.  
كثير.  
(٢) تقرب العبد من الله زلفى.  
(٣) تجعل عمله خالصا لله.  
(٤) يكثر من العبادة والقربات إلى الله ﷻ.  
(٥) يكون قدوة صالحة في مجتمعه.  
(٦) تجعل الفرد سعيدا مسرورا في دنياه.  
(٧) تمنحه زهدا فيما في أيدي الناس.  
(٨) يثق الناس فيه لزهده فيهم ورغبته في الله  
وحده.  
(٩) تقضي على داء الحرص والجشع في  
المجتمع لرغبة الناس فيما عند الله  
وحده.  
(١٠) تجعل الفرد سعيدا مسرورا في دنياه.

### أما الترغيب فله فوائد عديدة منها:

- (١١) يجعل العبد يتوق إلى ما أعدّه الله للطّائعين فيزداد طاعة وتقوى.  
(١٢) يورث الصبر على المكاره في الدنيا رجاء أن يعوّض عنه بالنعم المقيم في الآخرة.  
(١٣) الترغيب يولد الأمل، ويبعث على النشاط والعمل للآخرة.  
(١٤) الترغيب يحبب إلى المسلم الطّاعات وينأى به عن المعاصي، ويدفع به إلى مقاومة  
الشيطان.

### الرفق

#### الرفق لغة:

أصل المادّة يدلّ على موافقة ومقاربة بلا عنف، يقول ابن فارس: الرّاء والفاء والقاف أصل  
واحد يدلّ على موافقة ومقاربة بلا عنف، فالرفق خلاف العنف.

وفي الحديث «إن الله - جل ثناؤه - يحب الرفق في الأمر كله» هذا هو الأصل، ثم يشتق منه كل شيء يدعو إلى راحة وموافقة. يقال: رفق بالأمر، وله، وعليه يرفق رفقا، ورفق يرفق، ورفق (الرجل): لطف، ورفق بالرجل وأرفق بمعنى، حكاه أبو زيد، وكذلك ترفق به، ويقال: أرفقته: أي نفعته، وأولاه رافقة أي رفقا، وهو به رقيق: لطيف.

ويقول الليث: الرفق: لين الجانب، ولطافة الفعل، وصاحبه رقيق، وقد رفق يرفق، وإذا أمرت قلت: رفقا، ومعناه: أرفق رفقا، ويقول ابن الأعرابي: رفق: انتظر، ورفق: إذا كان رقيقا بالعمل، ويقول أبو زيد: رفق الله بك ورفق عليك رفقا ومرفقا، وأرفقك الله إرفاقا، وفي حديث المزارة: نهانا عن أمر كان بنا رافقا، أي ذا رفق، والرفق: لين الجانب وهو خلاف العنف، وفي الحديث «ما كان الرفق في شيء إلا زانه» وفي الحديث: «في إرفاق ضعيفهم وسد خلتهم»، أي إيصال الرفق إليهم، وفي الحديث الآخر: «أنت رقيق والله الطيب»، أي أنت ترفق بالمرضى وتلطّفه والله الذي يبرئه ويعافيه.

والرفق والمرفق والمرفق: ما استعين به، وقد ترفق به وارتفق، وفي التنزيل ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦] <sup>(١)</sup>.

وقال في النهاية: وفي حديث الدعاء: «وألحطني بالرفيق الأعلى» الرفيق: جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين وهو اسم جاء على فعيل، ومعناه الجماعة كالصديق والخليط يقع على الواحد والجمع، وقيل معناه: أي بالله ﷻ يقال: (الله رقيق بعباده)، من الرفق والرّافة فهو فعيل بمعنى فاعل <sup>(٢)</sup>.

#### واصطلاحا:

هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل، وهو ضدّ العنف <sup>(٣)</sup>.

#### حقيقة الرفق:

قال الغزالي في الإحياء: اعلم أنّ الرفق محمود ويضادّه العنف والحدّة. والعنف نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسّلامة، وقد يكون سبب الحدّة الغضب

(١) انظر مقاييس اللغة (٢/ ٤١٨)، والقاموس ٣/ ٢٣٦.

(٢) انظر النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٤٦)، ولسان العرب، لابن منظور (١٠/ ١١٨)، والصحاح (٤/ ١٤٨٢).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٤٤٩)، ودليل الفالحين، لابن علان (٣/ ٨٩).

وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال. ولأجل هذا أثنى رسول الله ﷺ على الرفق وبالغ فيه، قال سفيان الثوري لأصحابه: «تدرون ما الرفق؟». قالوا: قل يا أبا محمد، قال: أن تضع الأمور في مواضعها: الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه. وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق، كما قيل:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلل

مضرك وضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق، ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر، فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: ومن أسمائه تعالى: "الرفيق" في أفعاله وشرعه. ومن تأمل ما احتوى عليه شرعه من الرفق وشرع الأحكام شيئا بعد شيء وجريانها على وجه السداد واليسر ومناسبة العباد وما في خلقه من الحكمة إذ خلق الخلق أطوارا ونقلهم من حالة إلى أخرى بحكم وأسرار لا تحيط بها العقول، وهو تعالى يحب من عباده أهل الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف. والرفق من العبد لا ينافي الحزم، فيكون رفيقا في أموره متأنيا، ومع ذلك لا يفوت الفرص إذا سنحت، ولا يهملها إذا عرضت<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الرحمة - حسن المعاملة - حسن العشرة - الرأفة - الشفقة - العطف الحنان - حسن الخلق - اللين.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: سوء المعاملة - العنف - القسوة - الجفاء - التعسير - الإساءة - سوء الخلق].

\*\*\*

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي (٣/ ١٨٤ - ١٨٥).

(٢) توضيح الكافية الشافية (١٢٣).

## من فوائد (الرفق)

- (١) طريق موصل إلى الجنة.
- (٢) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- (٣) يثمر محبة الله ومحبة الناس.
- (٤) ينمي روح المحبة والتعاون بين الناس.
- (٥) دليل على صلاح العبد وحسن خلقه.
- (٦) ينشأ مجتمعاً سالماً من الغل والعنف.
- (٧) عنوان سعادة العبد في الدارين.
- (٨) الرفق يزين الأشياء.
- (٩) رفق الوالي بالرعية مدعاة لأن يرفق الله بالرعية.
- (١٠) حظ الإنسان من الخير هو بمقدار حظّه من الرفق.
- (١١) الرفق بالحيوان في إطعامه أو ذبحه من مظاهر الإحسان.
- (١٢) الرفق دليل على فقه الرجل وأناته وحكمته.

## الرهبة والترهيب

## الرهبة لغة:

الرهبة مصدر قولهم رهب، يقال رهب بكسر ثانيه - يرهب - بالفتح - رهبة ورهبا (بالضم) ورهبا (بالتحريك) أي خاف وكل ذلك مأخوذ من مادة (ر ه ب) التي تدل كما يقول ابن فارس على معنيين:

أحدهما الخوف والآخر الدقة والخفة<sup>(١)</sup>، والرهبة في هذه الصفة ترجع إلى المعنى الأول: يقال: رهبه إذا خافه، وتقول: أرهبه واسترهبه إذا أخافه، وترهب غيره إذا توعدّه، والاسم من ذلك: الرهب والرهباء، تقول: الرهباء من الله والرغباء إليه، وفي حديث الدعاء: «رغبة ورهبة» وفسر قول الله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَهُبُوهُمْ ﴾ [الأعراف: ١١٦] استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس، يقال: ترهب الرجل: إذا صار راهبا يخشى الله، والترهب: التعبّد وهو استعمال الرهبة، والرهب مقابل الرغب، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا ﴾ [الأنبياء: ٩٠] والرهبانية: غلو في تحمّل التعبّد من فرط الرهبة وهي بدعة ابتدعوها لم يشرعها الحق ﷻ<sup>(٢)</sup>.

(١) من هذا المعنى قولهم: الرهب: الناقة المهزولة، والرهاب الرقاق من النصال. انظر مقاييس اللغة ٢/ ٤٤٧.

(٢) انظر مقاييس اللغة ٢/ ٤٤٧، والمفردات للراغب (٢٠٩)، والصحاح للجوهري (٢/ ٢٨٠، ٢٨١)، ولسان العرب (١/ ٤٣٦، ٤٣٧) (ط. بيروت).

وَرَهَبَ الشَّيْءَ رَهَبًا وَرَهَبًا وَرَهَبَةً: خافه. والاسم: الرَّهَب، وتقول: أرهبه واسترهبه إذا أخافه. وترهب غيره إذا توعدده. والرهباء اسم من الرهب، واسترهبه: استدعى رهبته حتى رهبه الناس، وبذلك فسّر قوله ﷺ: ﴿وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦] أي أرهبوهم. وترهب الرجل إذا صار راهبا يخشى الله. والترهب: التبعّد، وهو استعمال الرهبة<sup>(١)</sup>.

### الرهبة اصطلاحاً:

يقول الراغب: الرهبة والرهب مخافة مع تحرّز واضطراب<sup>(٢)</sup>.  
أمّا الرّاهب (في النصرانيّة) فهو العامل بالرياضة الشّاقّة، وترك المأكولات اللذيذة، والملبوسات اللّينة، وقد منع ذلك ديننا الحنيف لقوله ﷺ: «لا رهبانيّة في الإسلام»<sup>(٣)</sup>.  
وقال الجرجاني: الرّاهب: هو العابد في النصرانيّة (الذي له) من الرّياضة والانقطاع من الخلق، والتّوجّه إلى الحقّ (ما ليس لغيره)<sup>(٤)</sup>.

### الترهيب:

أمّا التّرهيب فهو مصدر قولهم: رهّب من الشّيء بمعنى أخافه منه خوفاً شديداً ترتعد له فرائصه، ويتحقّق بذلك رهبة منه تخالج شعوره وتدفع صاحبها إلى البعد عنه وعمّا يؤدّي إليه من أعمال في هذه الحياة الدّنيا.

### لماذا الترهيب من عذاب الآخرة؟

إنّ الجزاء العاجل الذي يلقاه الطّائعون والعصاة في هذه الحياة الدّنيا لا يردع العصاة، ولا يكافيء الطّائعين على النّحو الذي يستحقّه كلّ منهم للأسباب الآتية:

أولاً: لأنّ كلّ هذه الجزاءات الدّنيويّة مقدّمات للعدالة الإلهيّة الشّاملة الكاملة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلِئَلَّمَا تُوَفَّقُوا أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْفَيْكَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ثانياً: لأنّ ضروب السّعادة والتّعاسة في الدّنيا مختلطة بعضها ببعض، فالصّالحون يدفعون في

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٤٧٧)، والصحاح للجوهري (٢/ ٢٨٠، ٢٨١)، ولسان العرب لابن منظور (١/ ٤٣٦، ٤٣٧)، والمفردات للراغب (٢٠٩).

(٢) المفردات (٢٠٩).

(٣) كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٣/ ١٦).

(٤) التعريفات للجرجاني (١١٤)، وما بين الأقواس زيادة اقتضاها السياق.

الواقع ثمن أخطائهم، حتّى ما كان منها لهما<sup>(١)</sup>، من آلامهم، وما يلقون من عقبات في هذه الدّنيا، قال تعالى في حقّ المؤمنين: ﴿فَأَثْبِكُم مَّعَمَّا يَغْمُرُ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، ثمّ إنّ أحلك القلوب ظلمة لا تعدم أن تفعل بعض الخير، وتنال عنها مكافأة مضمونة من طيّبات هذه الحياة الدّنيا، بحيث تبقى جرائمهم دون مقاصّة تنتظر الفصل في يوم الدّين.

ثالثاً: لأنّ ما يحدث لنا من خير وشرّ في هذه الدّنيا لا بدّ وأن ينظر إليه على أنّه ابتلاء.

وانطلاقاً من هذه الأمور الثلاثة تنبع ضرورة الجزء الأخرى<sup>(٢)</sup>، وقد تحدّثنا في صفة الرّغبة عن هذا الجزء الذي أعدّه الله للطّائعين، وسنحاول هنا أن نذكر من آيات الذّكر الحكيم والأحاديث الشّريفة ما يجعل العصاة يقفون على ما أعدّه الله لهم حتّى تتحقّق رهبتهم منه، ويعلموا سلفاً عاقبة عصيائهم ومخالفة أمر ربّهم وما سوف يسامون من عذاب.

[للاستزادة: انظر صفات: الخوف - الخشوع الخشية - الإخبات - الإنابة - الطاعة - الدعاء - القنوت.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأمن من المكر العصيان - الغفلة - الفجور - السخط - الكبر والعجب].

\*\*\*

### من فوائد (الرّهبة)

- (١) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام. (٥) سبب سعادة العبد في الدارين
- (٢) الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة. (٦) تشيع المسالمة بين النّاس.
- (٣) طريق موصل إلى محبّة الله وجنته. (٧) ثمر حسن الخلق وطهارة النّفس
- (٤) مظهر من مظاهر صلاح العبد واستقامته. والعزوف عن التّنافس في الدّنيا.

(١) اللّمم: صغائر الذنوب.

(٢) بتلخيص وتصرف عن دستور الأخلاق في القرآن للشيخ دراز (٢٦١ - ٢٦٢). وقد صنّف الشيخ دراز هذه العقوبات الأخرى إلى:

أ- الجانب الحرمانى مثل حبوط الأعمال وخيبة الأمل واليأس من الرحمة.

ب- الجانب الإيماني المتمثل في تنكيس الرّؤوس وسواد الوجوه.

ج- عقوبات بدنية تتمثل فيما يلقونه في جهنم وساءت مصيرها، انظر دستور الأخلاق في القرآن (٣٨٧ - ٤٠٠).

**أما الترهيب فإن له فوائد عديدة منها :**

- (٨) يجعل العصاة والمستهترين يقفون على حقيقة ما لهم في الآخرة.  
 (٩) يزود المؤمن بما يدفع به إغواء الشيطان فيقلع عن المعاصي.  
 (١٠) يعجل بتوبة التائبين حتى لا يدركهم الموت وهم عصاة.  
 (١١) الترهيب يورث الخوف من عذاب الله ﷻ ويولد الرهبة حتى تصير طبعاً في الإنسان توصله إلى تقوى الله ﷻ.

وانظر أيضاً فوائده: الخوف - الخشية - التقوى.

**الزكاة (\*)****الزكاة لغة:**

أصل المادة يدل على الزيادة والنماء، يقول ابن فارس: الزاي والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة، ويقال: الصدقة زكاة المال. قال بعضهم: سميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال، وهو زيادته ونماؤه. وقال بعضهم: سميت زكاة لأنها طهارة، قالوا: وحبّة ذلك قوله - جل ثناؤه - ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣] والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين، وهما النماء والطهارة<sup>(١)</sup>.

ويرى الرّاعب أنّ النّمّو فيها ناتج من بركة الله تعالى فيقول: «أصل الزّكاة: النّمّو الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأموال الدنيوية والأخروية يقال زكا الزرع يزكو إذا حصل منه نمو وبركة... ومنه الزّكاة لما يخرج الإنسان من حقّ الله تعالى إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة، أو لتزكية النفس أي تنميتها بالخيرات والبركات، أولهما جميعاً، فإنّ الخيرين موجودان فيها<sup>(٢)</sup>.

وتطلق الزّكاة على معان، فهي: الصّلاح، ورجل تقيّ زكيّ أي زاك من قوم أتقياء أذكيا، وقد زكا زكاءً وزكواً وزكّي وزكّاهُ اللهُ، وزكّي نفسه تزكّيه مدحها، وتزكّي أي تصدّق.

(\*) هذه المادة عامة في زكاة الأموال والأبدان وزكاة النفس وطهارتها.

(١) المقاييس (٣/ ١٧) «زكا».

(٢) المفردات (٢١٨) «زكا».

والزكاة: زكاة المال معروفة، وهو تطهيره، والفعل منه زكى يزكي تزكية، إذا أدى عن ماله زكاته... وقيل الزكاة: صفوة الشيء، وزكاه إذا أخذ زكاته<sup>(١)</sup>.

والزكاء - ممدودٌ -: النماء والرّيع، زَكَ يَزْكُو زَكَاءً وَزُكُوءًا... والزَّكَاءُ: ما أخرج الله من الثمر. وأرض زكيّة طيبة سميّة... والزّرع يزكو زكاء، ممدود أي نما، وأزكاه الله، وكلّ شيء يزداد وينمي فهو يزكو زكاء<sup>(٢)</sup>.

والزّكا مقصور: الشّفع من العدد... والعرب تقول للفرد خسا وللزوجين اثنين زكا<sup>(٣)</sup> وزكا الرجل يزكو زكوا، تنعم وكان في خصب... ورجل زكأة أي موسر.. وقيل: إنّه لملىء زكأة أي حاضر التّقد عاجله، ويقال: قد زكاه إذا عجّل نقده.

وقول الله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٣]، معناه: وفعلنا ذلك رحمة لأبويه وتزكية له، أقام الاسم (وهو الزكاة) مقام المصدر (وهو التزكية)<sup>(٤)</sup>.

#### الزكاة اصطلاحاً:

اسم لأخذ شيء مخصوص من مال مخصوص على أوصاف مخصوصة لطائفة مخصوصة<sup>(٥)</sup>.

وعند الجرجاني «عبارة عن إيجاب طائفة من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص»<sup>(٦)</sup>.

قال الماوردي: الصدقة زكاة، والزكاة صدقة، يفترق الاسم ويتفق المسمّى<sup>(٧)</sup>.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: إنّما سمّيت الزكاة صدقة، لأنّه مأخوذ من الصدق في مساواة الفعل للقول والاعتقاد<sup>(٨)</sup>.

(١) اللسان «زكا»، والقاموس (٤ / ٣٣٩).

(٢) الصحاح (٦ / ٢٣٦٨) نما، وانظر اللسان نما والقاموس (٤ / ٣٣٩)، والمصباح المنير (١ / ٢٥٤) «زكا».

(٣) لسان العرب (١٤ / ٣٥٩) ط. بيروت، وقارن ب «الصحاح» (٦ / ٣٦٨) والقاموس المحيط (٤ / ٣٣٩).

(٤) لسان العرب (١٤ / ٣٥٨).

(٥) المجموع شرح المذهب (٥ / ٣٢٥).

(٦) التعريفات (١١٤).

(٧) فقه الزكاة للقرضاوي (١ / ٤٠).

(٨) المصدر السابق (١ / ٤١).

وقال: مشابهة الصدق هاهنا للصدقة: أن من أيقن من دينه أن البعث حق، وأن الدار الآخرة هي المصير، وأن هذه الدار الدانية قنطرة إلى الأخرى، وباب إلى السوأي أو الحسنى عمل لها، وقدّم ما يجده فيها، فإن شكّ فيها، أو تكاسل عنها، وأثر عليها بخل بماله، واستعدّ لآماله، وغفل عن ماله<sup>(١)</sup>.

وقال الفيروزآبادي: الزكاة النّمّو الحاصل عن بركة الله تعالى. ويعتبر ذلك بالأموال الدنيويّة والأخرويّة، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ [الكهف: ١٩]. هذه المادّة عامّة في زكاة الأموال والأبدان، وزكاة النّفس وطهارتها إشارة إلى ما يكون حلالا لا يستوضح عقباه. ومنه الزكاة لما يخرج الإنسان من حقّ الله تعالى إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيه من رجاء البركة، أو لتزكية النّفس أي تنميتها بالخيرات والبركات، أو لهما جميعا؛ فإنّ الخيرين موجودان فيها. وقرن الله تعالى الزكاة بالصلاة في القرآن تعظيما لشأنها.

#### تزكية النفس:

وبزكاة النّفس وطهارتها يصير الإنسان زاكيا بحيث يستحقّ في الدنّيا الأوصاف المحمودّة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة، وهو أن يتحرّى الإنسان ما فيه تطهيره. واسم الزكاة ينسب تارة إلى العبد لاكتسابه ذلك نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ [الشمس: ٩]. وتارة إلى الله تعالى لكونه فاعلا لذلك في الحقيقة نحو: ﴿بَلِ اللّٰهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩]. وتارة إلى النّبىّ ﷺ لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم. نحو: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. وتارة إلى العبادة التي هي آله في ذلك نحو: ﴿وَحَسَنًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً﴾ [مريم: ١٣]. وقوله تعالى: ﴿لَأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]. أي زكّى الخلق عن طريق الاجتباء، وهو أن يجعل سبحانه بعض عباده عالما وطاهر الخلق لا بالتعلّم والممارسة بل بقوة إلهيّة، كما يكون لكلّ الأنبياء والرّسل. ويجوز أن يكون تسميته بالزكّي لما يكون عليه في الاستقبال وفي الحال. والمعنى سيتزكّى.

من معاني الزكاة في القرآن:

ورد في القرآن على أوجه منها:

١- بمعنى الأقرب إلى المصلحة كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨].

(١) فقه الزكاة للقرضاوي (١/ ٤١).

- ٢- بمعنى الحلال كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ [الكهف: ١٩].
- ٣- بمعنى الحسن واللطافة كما في قوله تعالى: ﴿أَقَلَّتْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤] أي ذات جمال.
- ٤- بمعنى العلاج والصيانة كما في قوله تعالى: ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رُحْمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾ [الكهف: ٨١].
- ٥- بمعنى الاحتراز عن الفواحش كما في قوله تعالى: ﴿مَا زَكَّيْنَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ [النور: ٢١].
- ٦- بمعنى الإقبال على الخدمة (أي الطاعة) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ١٨].
- ٧- بمعنى التوحيد والشهادة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمَكُمُ الْآيَاتِ﴾ [عبس: ٧].
- ٨- بمعنى الثناء والمدح كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].
- ٩- بمعنى النقاء والطهارة كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩].
- ١٠- بمعنى أداء الزكاة الشرعية كما في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. وأيضا قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البينة: ٥]<sup>(١)</sup>.
- ولها نظائر كثيرة في القرآن<sup>(٢)</sup>.
- [للاستزادة: انظر صفات: الإنفاق- الإحسان- البر- الصدقة- المواساة- بر الوالدين- العبادة- صلة الرحم- الطاعة.
- وفي ضد ذلك: انظر صفات: البخل- الردة- الشح- العصيان- الفسوق- الكنز- قطيعة الرحم].

\*\*\*

### من فوائد (الزكاة)

- (١) أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام. (٢) تطهير المال من حقوق الغير فيه.

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٣١٣٢/، ١٣٥) بتصرف.

(٢) ذكر الفيروز آبادي أربعة معان أخرى للفظ الزكاة ترجع إلى ما سبق.

- (٣) برهان صدق الإيمان، ووقاية للنفس من (٨) المساعدة على حلّ معضلة الفقر التي شحّتها. أعجزت العالم المعاصر.
- (٤) مواساة الفقراء والمحتاجين وسدّ حاجة (٩) إحلال التّراحم بدلا من التّحاسد والتّباض. المعوزين.
- (٥) سبب بركة المال ونمائه، وخيرها وبرّها (١٠) في تكليف الفقير بإخراج زكاة الفطر إذا كان يجد قوت يومه تربية له على خلق العطاء حتّى يستشعر عزّ العطاء بدلا من ذلّ الأخذ.
- (٦) المال مال الله والعبد وكيل عليه يصرفه حيث أمر سيّده ومالكه الحقيقي، (١١) بها تدفع النّقم وتستجلب النّعم.
- فإخراجها يؤدّي شكر نعمة المال. (١٢) الفلاح مضمون لمن زكّى نفسه وطهرها
- (٧) تقوية العلاقات الاجتماعيّة بين أفراد الأُمَّة كّلها. بالتّقوى والعبادة.

## الزهد

### الزهد لغة:

تدلّ مادّة «زهد» على القلّة في كلّ شيء، يقول ابن فارس: «الزّاء والهاء والدّال» أصل يدلّ على قلّة الشّيء. والزّهيد: الشّيء القليل، وهو مزهد: قليل المال. ويقال: رجل زهيد: قليل المطعم، وهو ضيق الخلق أيضا، وقال بعضهم: الزّهيد: الوادي القليل الأخذ للماء، والزّهاد: الأرض التي تسيل من أدنى مطر<sup>(١)</sup>، وقد أيد الرّاغب ما ذهب إليه ابن فارس، فالمادّة تدور عنده حول هذا المعنى. تقول: الزّهيد: الشّيء القليل، والزّاهد في الشّيء: الرّاغب عنه، والرّاضي منه بالزّهيد أي القليل كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزّاهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠] (٢).

وقد تطرّقت المعاجم إلى هذا المعنى فيقول صاحب الصّحاح: والمزهد: القليل المال، وفي الحديث: «أفضل النّاس مؤمن مزهد». والزّهيد القليل... وفلان يزهد عطاء فلان أي يعدّه زهيدا

(١) المقاييس (٣/ ٣٠).

(٢) المفردات (٢٢٠).

قليلاً<sup>(١)</sup>، ويقول الزمخشري: «وفلان زاهد زهيد بين الزهادة والزهد وهي قلة الطعم، وقدم إليهم طعاما فتزاهدوه أي رأوه زهيدا قليلا وتحاقروه.

ومن المجاز واد زهيد: قليل الأخذ للماء، ورجل زهيد: أي قليل الخير. وهو زهيد العين يقنعه القليل<sup>(٢)</sup>.

وزهيد الأرض ضيقها لا يخرج منها كثير ماء وجمعه زهدان. والزهد: الحقيق، وعطاء زهيد قليل.

وازدهد العطاء استقله... وفي الحديث «ليس عليك حساب ولا على مؤمن مزهد» ومنه حديث ساعة الجمعة «فجعل يزهدا» أي يقللها، وفي حديث عليّ عليه السلام «إنك لزهد» وفي حديث خالد: كتب إلى عمر رضي الله عنه «أن الناس قد اندفعوا في الخمر، وتزاهدوا الحدّ أي احتقروه وأهانوه ورأوه زهيدا»<sup>(٣)</sup>. والزهد بفتح الحين الزكاة؛ لأن زكاة المال أقل شيء فيه<sup>(٤)</sup>.

والزهد ضد الرغبة، يقال: فلان يزهد في الشيء أي يرغب عنه، وهو من الأصل الأول أيضا؛ لأنه لا يزهد إلا في القليل أو الحقيق، يقول الجوهري: «الزهد خلاف الرغبة. تقول: زهد في الشيء وعن الشيء: خلاف الترغيب فيه»<sup>(٥)</sup> وزهده في الأمر: رغبه عنه، وفي حديث الزهري: وسئل عن الزهد في الدنيا فقال: هو ألا يغلب الحلال شكره، ولا الحرام صبره، أراد ألا يعجز ويقصر شكره على ما رزقه الله من الحلال، ولا صبره عن ترك الحرام<sup>(٦)</sup>، وفلان يتزهد: أي يتعبد<sup>(٧)</sup>.

### واصطلاحاً:

قيل: هو بغض الدنيا والإعراض عنها، وقيل:

هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة، وقيل: هو أن يخلو قلبك ممّا خلت منه يدك<sup>(٨)</sup>.

(١) الصحاح (٢ / ٤٨١).

(٢) أساس البلاغة (١٩٧).

(٣) اللسان (٣ / ١٩٧) بتصرف - ط. بيروت.

(٤) أساس البلاغة (١٩٧) «بتصرف».

(٥) الصحاح (٢ / ٤٨١).

(٦) لسان العرب (٣ / ١٩٧).

(٧) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٨) التعريفات للجرجاني (١١٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الزهد المشروع: هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله، كما أن الورع المشروع: هو ترك ما قد يضر في الدار الآخرة.

وهو ترك المحرمات والشبهات التي لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرجح منها، كالواجبات، فأما ما ينفع في الدار الآخرة، فالزهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]. كما أن الاشتغال بفضول المباحات، هو ضد الزهد المشروع، فإن اشتغل بها عن فعل واجب أو فعل محرّم كان عاصياً، وإلا كان منقوصاً عن درجة المقرّبين إلى درجة المقتصدین<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الجوزي: الزهد: عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوباً بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شيء ليس مرغوباً فيه، ولا مطلوباً في نفسه لم يسمّ زاهداً. كمن ترك التراب لا يسمّى زاهداً وإنه ليس الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والقوة واستمالة القلوب فحسب، بل الزهد أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم: إن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذته في منازل الآخرة. وعلى هذا صنّف المتقدمون كتب الزهد، كالزهد لعبد الله بن المبارك، وللإمام أحمد، ولوكيع، ولهناد بن السري، وغيرهم.

ومتعلّقه سنّة أشياء لا يستحقّ العبد اسم الزهد حتّى يزهد فيها: وهي المال، والصّور، والرّياسة، والنّاس، والنّفس، وكلّ ما دون الله.

وليس المراد رفضها من الملك، فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما. ولهما من المال والملك والنساء ما لهما. وكان نبينا صلى الله عليه وآله من أزهد البشر على الإطلاق. وله تسع نسوة، وكان عليّ بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير وعثمان رضي الله عنهم من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وغيرهم كثير<sup>(٣)</sup>.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (مج ١٠ ص ٢١).

(٢) مختصر منهاج القاصدين (٣٢٤) بتصرف.

(٣) مدارج السالكين (٢/ ١٣، ١٤).

## حقيقة الزهد:

وقال الإمام الغزالي: الزَّهْدُ هو عبارة عن انصراف الرَّغْبَةِ عن الشَّيْءِ إلى ما هو خير منه. وكلُّ من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فإنَّما عدل عنه لرغبته عنه، وإنَّما عدل إلى غيره لرغبته فيه<sup>(١)</sup>، فحالُه بالإضافة إلى المرغوب (المعدول) عنه تسمَّى زهدًا، وبالإضافة إلى المعدول إليه (المرغوب فيه) يسمَّى رغبةً وحبًّا، ومن ثمَّ يستدعي حال الزَّهْدِ مرغوبًا عنه ومرغوبًا فيه هو خير من المرغوب عنه، وشرط المرغوب عنه أن يكون هو أيضًا مرغوبًا فيه بوجه من الوجوه، ومن رغب عمدًا ليس مطلوبًا في نفسه لا يسمَّى زاهدًا، وشرط المرغوب فيه أن يكون عنده خيرا من المرغوب عنه...»<sup>(٢)</sup>.

## أقسام الزهد وأحكامه:

قال ابن القيم رحمته: الزَّهْدُ أقسام:

(١) زهد في الحرام: وهو فرض عين.

(٢) وزهد في الشبهات: وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحق بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًا.

(٣) وزهد في الفضول، وهو زهد فيما يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره، وزهد في النَّاسِ، وزهد في النَّفْسِ حيث تهون عليه نفسه في الله.

(٤) وزهد جامع لذلك كله، وهو الزَّهْدُ فيما سوى ما عند الله، وفي كلِّ ما يشغلك عن الله، وأفضل الزَّهْدِ إخفاء الزَّهْدِ، وأصعبه الزَّهْدُ في الحفظ<sup>(٣)</sup>.

ما يعين على الزهد:

والذي يصحَّ هذا الزَّهْدُ ثلاثة أشياء:

أحدها: علم العبد أنَّ الدُّنْيَا ظِلٌّ زَائِلٌ، وخيال زائر، فهي كما قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ، ثُمَّ يَسِيحُ فَنَرْنَهُ مَصْفُورًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ [الحديد: ٢٠] وسمَّها الله مَتَاعُ الْغُرُورِ ونهى عن

(١) يقال: رغب عن الشيء كرهه، ورغب فيه: أحبه.

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٢١٧).

(٣) الفوائد (١١٨).

الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين، وحدّثنا مثل مصارعهم، وذمّ من رضي بها، واطمأنّ إليها.

الثاني: علمه أنّ وراءها دار أعظم منها قدرا، وأجلّ خطرا، وهي دار البقاء، فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها.

والثالث: معرفته وإيمانه الحقّ بأنّ زهده فيها لا يمنعه شيئا كتب له منها، وأنّ حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها فمتى تيقن ذلك تلج له صدره، وعلم أنّ مضمونه منها سيّئته. فهذه الأمور الثلاثة تسهّل على العبد الزهد في الدنيا وتثبت قدمه في مقامه<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التواضع - الرضا القناعة - الورع - اليقين - الطاعة - تذكر الموت. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الطمع - طول الأمل - الكبر والعجب - العصيان].

\*\*\*

### من فوائد (الزهد)

- |   |  |
|---|--|
| (١) فيه تمام التوكّل على الله.  | (٨) راحة في الدنيا وسعادة في الآخرة.                                 |
| (٢) يغرس في القلب القناعة.  | (٩) حبّ النَّاس له حيث أنّه لا يزاحمهم على دنياهم.                   |
| (٣) صرف المسلم عن التعلّق بالملذّات الفانية إلى العمل من أجل النعيم المقيم. | (١٠) فيه التأسّي برسول الله ﷺ وصحابته الكرام.                        |
| (٤) فيه كبح جماح النَّفس إلى الشهوات.                                       | (١١) الاطمئنان إلى جناب الله والرّضى بما قسم.                        |
| (٥) يؤصّل العفّة والنّزاهة في نفوس المؤمنين.                                | (١٢) يؤصّل في النَّفس حبّ الإنفاق في سبيل الله وعدم التعلّق بالدنيا. |
| (٦) يعلم المسلم كيف يسدّد هدفه إلى الدار الآخرة.                            | (١٣) يخرج نفسه من عبوديّة الشيطان والدنيا والنفس.                    |
| (٧) الزاهد يحبّه الله ويقرّبه إليه.   |  |

(١) جامع العلوم والحكم، مختصرا (٢٥٤ - ٢٥٥).

## الستر

## الستر لغة:

مصدر قولهم سترت الشيء أستره وأستره إذا غطيته، وهذا المصدر مأخوذ من مادة (س ت ر) التي تدل على التغطية أو الغطاء، قال ابن فارس: السين والتاء والراء كلمة تدل على غطاء. وقال الراغب: الستر تغطية الشيء، يقال: سترت الشيء فاستتر أي غطيته فتغطى، كما يقال: تستر أي تغطى (في هذا المعنى) ويقال أيضا: ستر الشيء سترًا وسترًا: أخفاه، أنشد ابن الأعرابي: ويسترون الناس من غير ستر والستر والستر ما يستتر به، قال تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠]، وجمع الستر أستار، وستور، وستر، ويقال امرأة ستيرة أي ذات ستارة، وجارية مسترة أي مخدرة، وقول الله ﷻ: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] أي حجابا على حجاب، والأول مستور بالثاني يراد بذلك كثافة الحجاب، ويقال إنه مفعول بمعنى فاعل أي ساتر كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ [مريم: ٦١] أي آتيا. وفي الحديث الشريف: «إِنَّ اللَّهَ حَيِّي سَتِيرٍ يَحِبُّ السَّتْرَ» فعيل هنا بمعنى فاعل أيضا، أي من شأنه وإرادته، حبّ الستر والصون.

والستر: ما استترت به من شيء كائنا ما كان وهو أيضا الستار والستارة والجمع الستائر.

والستر والمستر، والستارة، والإستار كالستر، وفي الحديث: «أَيُّمَا رَجُلٍ أَغْلَقَ بَابَهُ عَلَى امْرَأَةٍ، وَأَرْخَى دُونَهَا إِسْتَارَةً فَقَدْ تَمَّ صِدَاقُهَا»، الإستارة من الستر، قيل: لم تستعمل إلا في هذا الحديث، أو لم تسمع إلا فيه، والستر أيضا: الحياء، يقال: ما لفلان ستر ولا حجر، فالستر الحياء، والحجر العقل<sup>(١)</sup>.

## الستير من صفات المولى ﷻ:

ورد الستير والستير صفة للمولى ﷻ قال ابن الأثير في قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَيِّي سَتِيرٍ يَحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ» ستير: فعيل بمعنى فاعل، أي من شأنه وإرادته حبّ الستر والصون<sup>(٢)</sup> وقد أورد النسائي صيغة أخرى في هذه الصفة وهي ستير بتشديد التاء مكسورة وذلك في قوله ﷺ:

(١) مقاييس اللغة (٣/ ١٣٢)، مفردات الراغب (٢٢٩)، الصحاح (٢/ ٦٧٧)، النهاية (٢/ ٣٤١)، ولسان العرب (٤/ ٣٤٣-٣٤٥).

(٢) النهاية (٢/ ٣٤١) وانظر: اللسان (٤/ ٣٤٤).

في الحديث الذي رواه عطاء عن يعلى «إن الله ﷻك حليم حيي ستر... الحديث» قال الإمام السندي في الحاشية: معناه أنه ﷻك تارك للقبائح، ساتر للعيوب والفضائح، يحب الحياء والستر من العبد؛ ليكون متخلقا بأخلاقه تعالى<sup>(١)</sup> وقد روى أبو داود مثل ذلك ولم يذكر (حليم)<sup>(٢)</sup>.

### الستر اصطلاحاً:

قال المنذري: الستر على المسلم تغطية عيوبه، وإخفاء هناته.

وقال ابن حجر: معنى قوله «ستر مسلماً» أي رآه على قبيح فلم يظهره للناس، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه، ومن الستر أيضاً: أن يستتر الإنسان إذا وقع منه شيء. قال ابن حجر: والذي يظهر أن الستر محله في معصية قد انقضت، والإنكار في معصية قد حصل التلبس بها فيجب عليه الإنكار وإلا رفعه إلى الحاكم<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام النووي: المراد بالستر الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك، فيستحب ألا يستر عليه إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة؛ لأن الستر على هذا يطمعه في الإيذاء والفساد... وأما جرح الرواة والشهود والأمناء على الصدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم، فلا يحل الستر عليهم إذا رأى منهم ما يقدر في أهليته، وليس هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة<sup>(٤)</sup>.

### الفرق بين الستر والغفران:

قال الكفوي في الكليات: الغفران يقتضي إسقاط العقاب، وقيل الثواب، ولا يستحقه إلا المؤمن، ولا يستعمل إلا في الباري ﷻك، أما الستر فهو أخص من ذلك إذ يجوز أن يستر ولا يغفر والغفران لا يكون إلا في الآخرة (أما الستر فيكون في الدنيا أيضاً)<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو هلال: الغفران أخص. وهو يقتضي إيجاب الثواب، والستر سترك الشيء بستر، ثم استعمل في الإضراب عن ذكر الشيء، فيقال: ستر فلان إذا لم يذكر ما أطلع عليه من عثرات، وستر

(١) سنن النسائي (١ / ٢) وانظر: حاشية السندي أسفل الصفحة المذكورة.

(٢) انظر: سنن أبي داود (٤ / ٣٩) (الحديث رقم ٤٠١٢).

(٣) الترغيب والترهيب (٣ / ٢٣٧)، وفتح الباري (٥ / ١١٧) (حديث ٢٤٤٢).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦ / ١٣٥)، وانظر الآداب الشرعية (١ / ٢٣٥).

(٥) الكليات للكفوي (٦٦٦).

الله عليه خلاف فضحه، ولا يقال لمن يستر عليه في الدنيا إنه غفر له، لأن الغفران ينبأ عن استحقاق الثواب على ما ذكرنا، ويجوز أن يستر في الدنيا على الكافر والفاسق<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاستغفار- النبيل العفة- الحياء- المداراة- الوقاية.

وفي ضد ذلك: انظر صفات الفضح- الإساءة- سوء الخلق- المجاهرة بالمعصية- الطيش].

\*\*\*

### من فوائد (الستر)

- (١) السّتر صفة في الإنسان يحبّها الله ﷻ.
- (٢) إنّ من مقتضى أسمائه الحسنى السّتر فهو ستير يحبّ أهل السّتر.
- (٣) العبد إذا فعل المعصية واسترجع ستره الله في الدنيا وذكره بها في الآخرة ثمّ عفا عنه.
- (٤) السّتر يطفى نار الفساد المتأجّجة في المجتمع.
- (٥) السّاتر لعيوب النّاس يرى في نفسه سعادة وسرورا.
- (٦) السّاتر لعيوب نفسه يسلم من ألسنة النّاس وسخط الله ﷻ.
- (٧) السّتر علاج اجتماعي جميل يختفي تحته كثير من أمراض المجتمع ثمّ لا تنتشر.
- (٨) السّتر يثمر حسن الظنّ بالله تعالى وبالنّاس.
- (٩) من ستر عيب غيره ستره الله في الدنيا والآخرة.
- (١٠) قد يؤدّي ستر عيوب النّاس إلى المحبّة والتّعاطف بينهم.
- (١١) كتم الأسرار نوع من السّتر يحمّد عليها صاحبها من النّاس ومن الله سبحانه.

### السّخاء

#### السّخاء لغة:

مصدر قولهم: سخا يسخو ويسخى، وهو مأخوذ من مادّة (س خ ي / و) التي تدلّ كما يقول ابن فارس على اتّساع في الشّيء وانفراج فيه، والأصل في ذلك قولهم: سخيت القدر وسخوتها إذا

(١) الفروق اللغوية (١٩٥، ١٩٦).

جعلت للنار تحتها مذهباً، وقيل: السَّخْوَاءُ: الأرض السهلة، والسَّخَاوِي من الأرض: الواسعة البعيدة الأطراف، والسَّخَاوِي: ما بعد غوره.

وقيل: السَّخَاوَةُ والسَّخَاءُ: الجود، والسَّخِيّ: الجواد والجمع أسخياء وسخواء، ويقال: امرأة سَخِيَّة من نسوة سَخِيَّات وسخايا، يقال: سَخِيت نفسي عنه: تركته ولم تنازعني نفسي إليه، وسخو الرَّجُل يسخو سخاء وسخاوة أي صار سَخِيًّا، وفلان يتسَخَّى على أصحابه أي يتكَلَّف السَّخَاءُ. وقيل: السَّخَاءُ هو الجود والكرم، ومن ثمَّ يكون السَّخِيّ هو الجواد الكريم<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحاً:

قال الماورديّ - رحمه الله تعالى -: حدّ السَّخَاءُ: بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة، وأن يوصل إلى مستحقّه بقدر الطَّاقَة<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر - رحمه الله تعالى -: السَّخَاءُ: بمعنى الجود، وهو بذل ما يقتنى بغير عوض<sup>(٣)</sup>. وقال الجاحظ: السَّخَاءُ بذل المال من غير مسألة ولا استحقاق، وهذا الفعل مستحسن ما لم ينته إلى السَّرْف والتَّبذِير؛ فإنَّ من بذل جميع ما يملكه لمن لا يستحقّه لم يسمَّ سَخِيًّا بل يسمَّى مَبْذِراً مَضِيئاً<sup>(٤)</sup>.

### أنواع السخاء ودرجاته:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: إذا كان السَّخَاءُ محموداً فمن وقف على حدّه سمّي كريماً وكان للحمد مستوجباً، ومن قصّر عنه كان بخيلاً وكان للذمّ مستوجباً. والسَّخَاءُ نوعان: فأشرفهما سخاؤك عمّا بيد غيرك، والثاني سخاؤك ببذل ما في يدك، فقد يكون الرَّجُل من أسخى النَّاسِ، وهو لا يعطيهم شيئاً لأنّه سخا عمّا في أيديهم، وهذا معنى قول بعضهم: السَّخَاءُ أن تكون بمالك متبرّعاً، وعن مال غيرك متورّعاً<sup>(٥)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٣/ ١٤٦)، الصحاح (٦/ ٢٣٧٣)، المصباح المنير (١/ ١٠٣)، تاج العروس (١٩/ ٥١٠)، لسان العرب (٣٧٣/ ١٤) (ط. بيروت).

(٢) أدب الدنيا والدين (٢٢٦). والوابل الصيب لابن القيم (٥٣).

(٣) فتح الباري (١٠/ ٤٥٧).

(٤) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٢٦).

(٥) الوابل الصيب (٥٣).

وقال ابن قدامة المقدسي - رحمه الله تعالى - : اعلم أنّ السّخاء والبخل درجات: فأرفع درجات السّخاء الإيثار، وهو أن تجود بالمال مع الحاجة إليه. وأشدّ درجات البخل، أن يبخل الإنسان على نفسه مع الحاجة، فكم من بخيل يمسك المال، ويمرض فلا يتداوى، ويشتهي الشهوة فيمنعه منها البخل.

فكم بين من يبخل على نفسه مع الحاجة، وبين من يؤثر على نفسه مع الحاجة. فالأخلاق عطايا يضعها الله ﷻ حيث يشاء. وليس بعد الإيثار درجة في السّخاء. وقد أثنى الله - تعالى - على أصحاب رسول الله ﷺ بالإيثار، فقال: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، وكان سبب نزول هذه الآية قصة أبي طلحة، لما أثر ذلك الرجل الجود بقوته وقوت صبيانه<sup>(١)</sup>.

#### الفرق بين السخاء والجود:

قال أبو هلال العسكري: الفرق بين السّخاء والجود أنّ السّخاء هو أن يلين الإنسان عند السؤال ويسهل مهره (إعطاءه) للسائل من قولهم سخوت النار إذا ألتتها... ولذلك لا يقال لله تعالى: سخّي، والجود كثرة العطاء من غير سؤال، من قولك: جادت السماء إذا جادت بمطر غزير، والله تعالى جواد لكثرة عطائه فيما تقتضيه الحكمة<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإنفاق - الإيثار الجود - الكرم - الإغاثة - البر - بر الوالدين - الصدقة - صلة الرحم - المواساة - الإحسان - الزكاة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: البخل - الشح الكنز - قطيعة الرحم - التفریط والإفراط].

\*\*\*

#### من فوائد (السخاء)

- (١) صاحبه محمود في الدنيا والآخرة.
- (٢) دليل الزهد في الدنيا وحب الآخرة.
- (٣) تستغفر الأرض والحفظة لموت السّخي.
- (٤) يكسب السيادة في الدنيا والآخرة.
- (٥) طريق من طرق النبيين والسلف الصالح.
- وانظر فوائد صفتي: الكرم والجود.

(١) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي (٢٠٥، ٢٠٦).

(٢) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري (١٦٧).

## السرور

## السرور لغة:

جمع ابن فارس تفريعات مادة (س ر ر) في ثلاثة أشياء: إخفاء الشيء، وما كان من خالصه، ومستقره. يقول في هذا: «السَّين والرَّاء» يجمع فروعه إخفاء الشيء، وما كان من خالصه، ومستقره. لا يخرج شيء منه عن هذا. فالسَّر: خلاف الإعلان. يقال: أسررت الشيء إسراراً، خلاف أعلنته.

وأما الذي ذكرناه من محض الشيء وخالصه فالسَّر: خالص الشيء، ومنه السَّرور؛ لأنه أمر خال من الحزن... وأما الذي ذكرناه من الاستقرار فالسَّرير، وجمعه سرر وأسرة<sup>(١)</sup>.

ويرى الراغب أن تفريعات المادة يجمعها أصل واحد، «هو: خلاف الإعلان.. والسَّر: هو الحديث المكتوم في النفس... والسَّرور: ما ينكتم من الفرح قال تعالى: ﴿وَلَقَنَّهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]... والسَّرير: الذي يجلس عليه من السَّرور، إذ كان ذلك لأولي النعمة، وجمعه أسرة وسرر، وسرير الميِّت تشبيهاً به في الصَّورة، وللتفائل بالسَّرور الذي يلحق الميِّت برجوعه إلى جوار الله تعالى وخلاصه من سجنه المشار إليه بقوله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن»<sup>(٢)</sup> فالسَّرور عند ابن فارس بمعنى الفرح الذي لا يخالطه حزن، وعند الراغب ما ينكتم من الفرح، وجعله الجوهريّ خلاف الحزن عند ما قال: «والسَّرور خلاف الحزن. تقول: سرّني فلان مسرةً. وسرّ هو، على ما لم يسمّ فاعله»<sup>(٣)</sup>. وجعله ابن منظور بمعنى الفرح فيقول: «والسَّر والسَّراء والسَّرور والمسرة، كلّها الفرح... يقال: سررت برؤية فلان، وسرّني لقاءه، وقد سررتَه أسره أي فرحته»<sup>(٤)</sup>. ونقل ابن القيم عن صاحب المنازل أن معنى سرّه: أثر في أسارير وجهه، فإنه تبرق منه أسارير الوجه، يقول الشاعر:

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه      برقت كبرق العارض المتهايل<sup>(٥)</sup>

(١) المقاييس (٣/ ٦٧، ٦٨، ٦٩).

(٢) المفردات (٢٢٨، ٢٢٩).

(٣) الصحاح (٢/ ٦٨٢).

(٤) اللسان «سرر»، وقارن بالمحيط لابن عباد (٨/ ٢٣٨)، والقاموس (٢/ ٤٨)، والتاج (٦/ ٥١٣).

(٥) مدارج السالكين (٣/ ١٦٦).

## واصطلاحاً:

هو لذّة في القلب عند حصول نفع أو توقّعه، أو اندفاع ضرر<sup>(١)</sup>، وقيل حقيقة السّرور التذاذ وانسراح يحصل في القلب فقط، من غير حصول أثره في الظاهر<sup>(٢)</sup>.  
وقيل: هو حالة نفسانيّة تعرض عند حصول شيء لذيد<sup>(٣)</sup>.

## الفرق بين السّرور والحبور والفرح والاستبشار:

السّرور: اسم لاستبشار جامع وهو الخالص المنكتم، والحبور: ما يرى أثره في الظاهر أي ما يرى حبه في ظاهر البشرة، وهما مستعملان في الأمر المحمود، والفرح: ما يورث أشراً وبطراً، ولذلك كثيراً ما يذمّ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] فالأولان ما يكونان عن القوّة الفكريّة، والفرح: ما يكون عن القوّة الشّهويّة.

أما الاستبشار: فهو استفعال من البشري ويعني السّرور بالبشارة. والبشارة: هي أول خبر صادق وسميت بذلك لأنّها تؤثّر في بشرة الوجه، وهي نوعان: سارة، ومحنة فإذا أطلقت فهي للسّرور.

وقال أبو هلال العسكري: الفرق بين السّرور والفرح أنّ السّرور لا يكون إلا بما هو نفع أو لذّة على الحقيقة، وقد يكون الفرح بما ليس بنفع ولا لذّة كفرح الصبي بالرقص والعدو والسباحة وغير ذلك ممّا يتعبه ويؤذيه ولا يسمّى ذلك سروراً، ونقيض السّرور الحزن، ونقيض الفرح الغم<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الفرح - البشارة - البشاشة - طلاقة الوجه - التفاؤل - الكلم الطيب - الرضا.

و ضد ذلك: انظر صفات: الحزن - العبوس - القسوة - الكرب - التنفير].

\*\*\*

(١) الكليات للكفوي (٣ / ٢٧، ٢٨).

(٢) تاج العروس (٦ / ٥١٣).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (٤٠٣).

(٤) الكليات للكفوي (٣ / ٢٨)، ومدراج السالكين (٣ / ١٦٨)، (١٦٩)، والفروق لأبي هلال العسكري (٢٦١).

## من فوائد (السرور)

(١) باب من أبواب تحصيل الثواب ورضا ربِّ (٣) فيه تأسُّ بسيد المرسلين وخاتم الأرباب.

النبيِّين ﷺ.

(٢) يبعث على التآلف والحبِّ ويقوّي روابط المجتمع الإسلاميّ.

## السكينة

## السكينة لغة:

السكينة مأخوذة من مادة (س ك ن) التي تدلّ على خلاف الاضطراب والحركة، يقال: سكن الشيء إذا ذهب حركته فاستقرّ وثبت، ومن هذا الباب: السكينة وهي الوقار، وقيل، الوداعة والوقار<sup>(١)</sup>، وقد يراد بها الرحمة وهي في الحديث الشريف «يا مسكينة عليك السكينة» بمعنى الوقار والوداعة والأمن، وقيل أراد بها هاهنا الرحمة كما في قول ابن مسعود: السكينة مغنم، والسكينة التي تحملها الملائكة: قيل: هي الطمأنينة، وقيل: هي النصر، وقيل هي الوقار وما يسكن به الإنسان<sup>(٢)</sup>، أمّا السكينة في قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فقد جاء في تفسيرها أنّها: الطمأنينة والوقار. وقيل: هي تثبيتهم على الرضا والتسليم<sup>(٣)</sup>، أمّا السكينة التي تكلم على لسان عمر رضي الله عنه فهي أيضا بمعنى الوقار والسكون، وقيل الرحمة، وقيل غير ذلك، وأمّا السكينة في حديث الدّفْع من عرفة «عليكم السكينة» فهي الوقار والتّأني في الحركة والسّير<sup>(٤)</sup>.

## السكينة اصطلاحاً:

قال الجرجاني: هي ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزّل الغيب وهي نور في القلب يسكن إليه شاهده ويطمئنّ، وقيل: هي زوال الرّعب<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر مقاييس اللغة (٣/ ٨٨)، والصحاح (٥/ ٢١٣٦).

(٢) لسان العرب مادة «سكن».

(٣) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٨٩).

(٤) النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٨٦).

(٥) التعريفات للجرجاني (١٢٥)، والتوقيف للمناوي (١٩٦).

وقال ابن القيم: هي الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة الخوف فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات<sup>(١)</sup>.

#### استعمالات لفظ السكينة:

يستعمل لفظ السكينة ويراد به واحد من ثلاث:

- ١- سكينة بني إسرائيل التي أعطوها في التَّابوت.
- ٢- السكينة التي أنزلها الله على قلب رسوله والمؤمنين.
- ٣- السكينة التي تنطق على لسان المحدثين.

#### درجات السكينة:

للسكينة التي تنزل على قلب المؤمن، وهي التي تسمى سكينة الوقار درجات ثلاث:  
الأولى: سكينة الخشوع، وهي ثمرة السكينة الثانية أي تلك التي تنزل على قلب الرسول والمؤمنين.

الثانية: السكينة عند المعاملة بمحاسبة النفوس، وملاطفة الخلق، ومراقبة الحق.

الثالثة: السكينة التي توجب الرضا بما قسم الله عَلَيْكَ وتمنع من الشطح الفاحش<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الطمأنينة- الوقار- الإيمان- اليقين- الرهبة- الرجاء- الصلاة- الإناة العبادة- الورع- الإخبات- الخشوع- الخشية- الضراعة والتضرع.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: القلق- الطيش- العجلة- العنف- الغلو- القسوة- القنوط- الغرور الغفلة- اللهو واللعب].

\*\*\*

#### من فوائد (السكينة)

(١) علامة رضا الله عن العبد كما تنص عليه (٢) سمة العلماء وصفة الأولياء، والمتشبه بهم الآيات.  
إن شاء الله في زمرة بهم.

(١) مدارج السالكين (٢/ ٥٢٥).

(٢) باختصار عن مدارج السالكين (٢/ ٥٣١-٥٣٢).

- (٣) علامة اليقين والثقة برّب العالمين .  
 (٤) فيها طاعة لله وتأسّ برسول الله ﷺ .  
 (٥) السكينة تثبت قلوب المؤمنين وتزيدهم ثقة وإيماناً .  
 (٦) السكينة تؤدّي إلى الرضا بما قسم الله ﷻ وتمنع من الشطط والغلوّ .  
 (٧) السكينة عند معاملة الخلق تؤدّي إلى اللطف في هذه المعاملة وهذا يجلب المحبة ويشيع الألفة .
- (٨) السكينة تثمر الخشوع وتجلب الطمأنينة وتلبس صاحبها ثوب الوقار .  
 (٩) السكينة تنطق صاحبها بالصواب والحكمة وتحول بينه وبين قول الخنا والفحش واللغو وكلّ باطل .  
 (١٠) السكينة من الأمور التي تسكن الخائف وتسليّ الحزين والضّجر .

## السلم

### السلم لغة :

السلم (بفتح السين وكسرهما) مأخوذ من مادّة (س ل م) التي تدلّ على الصّحة والعافية في كلّ ما اشتقّ منها، قال ابن فارس: ومن هذا الباب: السلم بمعنى الصّلاح، وهو يذكّر ويؤنث، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١] وقال الرّاغب: السلم والسّلامة: التّعري من الآفات الظّاهرة والباطنة، والسّلام والسّلم والسّلم:

الصّلاح، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَىٰ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسْتُمْ مُمُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤] قيل نزلت فيمن قتل بعد إقراره بالإسلام ومطالبته بالصّلاح<sup>(١)</sup>، وقال ابن منظور: من معاني السلم: الاستسلام، والتّسالم: التّصالح. والمسالمة: المصالحة. وفي حديث الحديبية: «أنّه أخذ ثمانين من أهل مكّة سلماً»؛ قال ابن الأثير: يروى بكسر السين وفتحها، وهما لغتان للصّلاح، وهو المراد في الحديث على ما فسّره الحميديّ في غريبه؛ وقال الخطّابي: إنّ السلم، بفتح السين واللام، يريد الاستسلام والإذعان كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ [النساء: ٩٠]؛ أي الانقياد، وهو مصدر يقع على الواحد والاثنين والجمع؛ قال: وهذا هو الأشبه بالقضيّة، فإنّهم لم يؤخذوا عن صلح، وإنّما

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٩٠)، والمفردات للراغب (٢٤٠).

أخذوا قهرا وأسلموا أنفسهم عجزا، وللأول وجه، وذلك أنهم لم يجبر معهم حرب، إنما لما عجزوا عن دفعهم أو النجاة منهم، رضوا أن يؤخذوا أسرى ولا يقتلوا، فكأنهم قد صولحوا على ذلك، فسمي الانقياد صلحا، وهو السلم؛ ومنه كتابه بين قريش والأنصار: وإن سلم المؤمنين واحد لا يسالم مؤمن دون مؤمن، أي لا يصلح واحد دون أصحابه، وإنما يقع الصلح بينهم وبين عدوهم باجتماع ملئهم على ذلك؛ قال: ومن الأول حديث أبي قتادة: «لأتيناك برجل سلم» أي أسير، لأنه استسلم وانقاد. واستسلم أي انقاد. ومنه الحديث: «أسلم سالمها الله»، هو من المسالمة وترك الحرب، ويحتمل أن يكون دعاء وإخبارا، إما دعاء لها أن يسالمها الله ولا يأمر بحربها، أو أخبر أن الله قد سالمها ومنع من حربها. وحكي السلم والسلم الاستسلام وضد الحرب أيضا<sup>(١)</sup>.

#### السلام من أسماء الله ﷻ:

قال ابن منظور: السلام الله ﷻ، اسم من أسمائه (الحسنى) لسلامته من النقص والعيب والفناء (حكاه ابن قتيبة)، وقيل معناه: أنه سلم مما يلحق الغير من آفات الغير والفناء، وأنه الباقي الدائم الذي تفنى الخلق ولا يفنى<sup>(٢)</sup>.

وقال الغزالي: السلام (في أسماء الله تعالى معناه) الذي تسلم ذاته عن العيب وصفاته عن النقص وأفعاله عن الشر، حتى إذا كان كذلك، لم يكن في الوجود سلامة إلا وكانت معزية إليه، صادرة منه، وأفعاله سبحانه سالمة كلها عن الشر المطلق المراد لذاته، لا لخير حاصل في ضمنه أعظم منه.

وقال - رحمه الله تعالى - كل عبد سلم عن الغش والحقد والحسد، وسلم قلبه عن إرادة الشر، وجوارحه عن الآثام والمحظورات، وسلم عقله من أسر الشهوة والغضب، فهو الذي يأتي الله تعالى بقلب سليم، وهو السلام من العباد، أما السلام المطلق الحق فهو الله ﷻ وحده<sup>(٣)</sup>.

#### واصطلاحا:

قال الكفوي: السلم (بالكسر والسكون) ضد الحرب، وهو أيضا الإسلام، والسلم بمعنى

(١) انظر النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٣٩٢)، وتفسير أسماء الله الحسنى (٣١) والمقصد الأسنى للغزالي (٦٧).

(٢) لسان العرب (١٢/ ٢٩٠) ط. بيروت، وقارن بالنهاية لابن الأثير (٢/ ٣٩٢).

(٣) بتصرف واختصار عن المقصد الأسنى (٦٩ - ٧٠).

الصِّلح يفتح ويكسر، ويذكَر ويؤنَّث (١).

قال ابن كثير: السِّلْم: المسالمة والمصالحة والمهادنة (٢).

وقال ابن حجر: قال أبو عبيدة: السِّلْم والسِّلْم واحد وهو الصِّلح.

وقال أبو عمر: والسِّلْم بالفتح الصِّلح، والسِّلْم بالكسر الإسلام (٣).

قال الفيروز آبادي: والسَّلَام والسِّلْم والسِّلْم: الصِّلح. وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ

السَّلَامَ لَسْتُمْ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤] قيل: نزلت فيمن قتل بعد إقراره بالإسلام ومطالبته بالصِّلح (٤).

مسائل السلم:

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

[الأنفال: ٦١] فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ إنما قال «لها» لأنَّ السِّلْم مؤنثة. ويجوز

أن يكون التانيث للفعلة. والجنوح الميل. يقول: إن مالوا إلى المسالمة؛ أي الصِّلح، فمل إليها.

الأخرى: وقد اختلف في هذه الآية، هل هي منسوخة أم لا؟ فقال قتادة وعكرمة نسخها:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي هُوَ اللَّهُ حَتَّى تَمُوتَ﴾ [التوبة: ٥] ﴿وَقُلْنَا لِلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]

وقالا: نسخت براءة كل موادعة، حتى يقولوا لا إله إلا الله. وقال ابن عباس: الناسخ لها ﴿فَلَا تَهْتُوا

وَنَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ [محمد: ٣٥] وقيل: ليست بمنسوخة، بل أراد قبول الجزية من أهل الجزية. وقد

صالح أصحاب رسول الله ﷺ في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بعده الأئمة كثيرا من بلاد

العجم، على ما أخذوه منهم، وتركوهم على ما هم فيه، وهم قادرون على استئصالهم. وكذلك

صالح رسول الله ﷺ كثيرا من أهل البلاد على ما يؤدونه؛ من ذلك خيبر، وإن كان للمسلمين

مصلحة في الصِّلح، لنفع يجلبونه، أو ضرر يدفعونه، فلا بأس أن يبتدأ المسلمون (به) إذا احتاجوا

إليه. وقد صالح رسول الله ﷺ أهل خيبر، على شروط نقضوها فنقض صلحهم. وما زالت

(١) الكليات للكفوي (٥٠٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٣٥).

(٣) فتح الباري (٦/ ٣١٨).

(٤) بصائر ذوي التمييز (٣/ ٢٥٤).

الخلفاء والصّحابة على هذه السّبيل التي شرعناها سالكة، وبالوجوه التي شرحناها عاملة. قال القشيري: إذا كانت القوّة للمسلمين فينبغي ألاّ تبلغ الهدنة سنة. وإذا كانت القوّة للكفار جاز مهادنتهم عشر سنين، ولا تجوز الزيادة.

وقال الشافعي رحمته: لا تجوز مهادنة المشركين أكثر من عشر سنين، على ما فعل النبي صلى الله عليه وآله عام الحديبية؛ فإن هودن المشركون أكثر من ذلك فهي منتقضة؛ لأنّ الأصل فرض قتال المشركين حتّى يؤمنوا أو يعطوا الجزية. ودلّ على جواز صلح المشركين ومهادنتهم دون مال يؤخذ منهم، إذا رأى ذلك الإمام وجهها <sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: إفشاء السلام - تكريم الإنسان - العدل والمساواة - العفو - الصلح الصفح - التناصر. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الحرب والمحاربة - البغي - العدوان - الطغيان - الظلم الفتنة - التنازع].

\*\*\*

### من فوائد (السلم)

- (١) السلم استسلام لأمر الله يثمر محبة الله تعالى (٥) كلّ دعوة الإسلام إلى الأمم هي سلم لأنّ ومرضاته.
- (٢) في السلم تنتشر الدعوة إلى الله بأمان واطمئنان. (٦) مع أنّ الإسلام يدعو إلى السلم فلا يعني
- (٣) وفيه حقن الدماء وصون الأبرياء. ذلك الدلّة والخضوع لأعداء الله؛ لأنّ
- (٤) مسالمة العدو أمر مشروع إذا كان فيه المسلمين أعزّة بعزّة الله تعالى. مصلحة للمسلمين وتقوية لشوكتهم.

### السماحة

#### السماحة لغة:

مصدر سَمَحَ يَسْمَحُ سَمَاحَةً وَسَمَاحًا وَسُمُوحَةً، وتدلّ مادّة (س م ح) كما يقول ابن فارس

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨ / ٣٩ - ٤١).

على معنى السّلاسة والسّهولة، يقال: سمح (بفتح السين) وتسمّح وسامح، فعل شبيهاً فسّهّل فيه وأنشد ثعلب في هذا المعنى:

ولكن إذا ما جلّ خطب فسامحت به النفس يوماً كان للكره أذهباً  
ويقال أيضاً سمّح (بضمّ الميم)، وأسّمَح: إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء، وذلك لسهولة ذلك عليه. قال الجوهريّ: السّماح والسّماحة: الجود، وسمح به أي جاد به، وسمح لي أعطاني، والوصف من ذلك: سمح وسميح ومسمح ومسمح. قال ابن منظور: ويقال: رجل سمح وامرأة سمحة من رجال ونساء سماح وسمحاء فيهما، ويقال رجل سميح ومسمح ومسمح، والجمع مساميح (للمذكّر والمؤنث).

وفي الحديث: «يقول الله ﷻ: أسمحو العبدي، كإسماحه إلى عبادي»، الإسماح: لغة في السّماح، يقال: سمح وأسّمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء، وقيل: إنّما يقال في السّخاء سمح، وأمّا أسّمح، فإنّما يقال في المتابعة والانقياد، ويقال: أسمحت نفسه إذا انقادت، والصّحيح الأوّل، وسمح لي فلان أي أعطاني، وسمح لي بذلك يسمح سماحة.  
وأسّمح وسامح: وافقني على المطلوب. أنشد ثعلب:

لو كنت تعطي حين تسأل سامحت لك النفس واحلّولك كلّ خليل  
والمسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا.

وقال ابن الأعرابيّ: سمح له بحاجته، وأسّمح أي سهّل له.  
وفي الأثر: أنّ ابن عبّاس سئل عن رجل شرب لبنا محضاً، أيتوضأ؟ قال: اسمح يسمح لك.  
معناه سهّل سهّل لك وعليك.

وقولهم: الحنيفيّة السّمحة ليس فيها ضيق ولا شدّة، ولقد سمح بالضمّ سماحة وجاد بما لديه<sup>(١)</sup>.

### السماحة اصطلاحاً:

السّماحة في الاصطلاح تقال على وجهين:

الأوّل: ما ذكره الجرجانيّ من أنّ المراد بها: بذل ما لا يجب تفضّلاً، أو ما ذكره ابن الأثير من

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٩٨)، والمصباح (١/ ٣٧٦) واللسان (٢/ ٤٨٩ - ٤٩٠)، والمصباح (١/ ٣٠٨).

أنَّ المقصود بها: الجود عن كرم وسخاء<sup>(١)</sup>.

الآخر: في معنى التسامح مع الغير في المعاملات المختلفة ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها التي تتجلى في التيسير وعدم القهر، وسماحة المسلمين التي تبدو في تعاملاتهم المختلفة سواء مع بعضهم أو مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

#### سماحة نفس المسلم:

من طبيعة النفس السمحة أن يكون صاحبها هيناً ليناً يتقبل ما يجري به القضاء والقدر بالرضا والتسليم، ويحاول أن يجد لكل ما يجري به ذلك حكمة مرضية وإن كان مخالفا لهواه ويراقب دائما قول الله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، وهو من أجل ذلك يستقبل كل ما يأتيه من قبل الله ﷻ بغاية الرضا، ويلاحظ جوانب الخير في كل ما تجري به المقادير، وهو لذلك يترقب المستقبل بتفاؤل وأمل كما يستقبل الواقع بانسراح لما يحب وإغضاء عما يكره وبذلك يسعد نفسه ويريح قلبه، وهذا من كمال العقل، لأن العاقل هو الشخص الواقعي أي الذي يسعد نفسه وقلبه بالواقع الذي لا يملك دفعه أو رفعه، ويعامل الناس بالتسامح لأنه لا يملك أن يطوع الناس جميعا لما يريد لأنهم مثله ذوي طبائع متباينة وإرادات مختلفة<sup>(٢)</sup>.

#### من ظواهر سماحة النفس:

لسماحة النفس مظاهر عديدة أشار إلى أهمها صاحب الأخلاق الإسلامية ومنها:

أولاً: طلاقة الوجه واستقبال الناس بالبشر<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: مبادرة الناس بالتحية والسلام والمصافحة وحسن المحادثة<sup>(٤)</sup> لأن من كان سمح النفس بادر إلى ذلك.

ثالثاً: حسن المصاحبة والمعاشرة والتغاضي عن الهفوات<sup>(٥)</sup>، لأن من كان سمح النفس كان حسن المصاحبة لإخوانه ولأهله ولأولاده ولخدمه ولكل من يخالطه أو يراعه<sup>(٦)</sup>.

(١) التعريفات للجرجاني (١٢٧)، والنهاية لابن الأثير (٢ / ٣٩٨).

(٢) باختصار وتصرف عن الأخلاق الإسلامية لحبنة الميداني (٢ / ٤٥٧ - ٤٥٩).

(٣) انظر صفة «طلاقة الوجه»، حيث ذكرنا الأحاديث والآثار الدالة على ذلك.

(٤) انظر صفة «إفشاء السلام» و«الكلم الطيب» في هذه الموسوعة.

(٥) انظر صفتي «حسن العشرة» و«حسن المعاملة»، حيث بسطنا القول في هذه المظاهر.

(٦) بتصرف واختصار عن الأخلاق الإسلامية للميداني (٢ / ٤٦٣ - ٤٧١).

وسائل اكتساب سماحة النفس:

من الوسائل الناجعة لاكتساب هذا الخلق الحميد ما يلي:

١- التأمل في التّريغيات التي رغب الله بها من يتحلّى بهذا الخلق، وتأمّل الفوائد التي يجنيها  
سمح النَّفس في العاجل والآجل.

٢- التأمل في المحاذير التي يقع فيها نكد النَّفس، وما يجلبه ذلك من مضارّ ومتاعب  
وخسائر مادّيّة ومعنويّة.

٣- الاقتناع الإيماني بسلطان القضاء والقدر، لأنّ علم الإنسان بأنّ المقادير أمور مرسومة  
ولا رادّ لها وأنها تجري وفقاً للحكمة الإلهيّة يجلب الطّمانينة وثبات القلب وراحة البال<sup>(١)</sup> وعليه  
أن يعلم أنّ ما ينزل بالناس ممّا يحبّون أو يكرهون إنّما هو من عند الله وبقضائه وقدره، أمّا  
الحسنات فمن فضل الله ﷻ، وأمّا السيّئات فبسبب من الإنسان، إمّا لأنّ ذنبه هو السّبب في  
استحقاق العقوبة، وإمّا لأنّ تربيته وتأديبه يقتضيان إذاقته بعض ما يكره من مصائب وآلام أي أنّ  
مصلحة الإنسان نفسه هي التي اقتضت أن يصيبه من الله بعض ما يكره من صروف الحياة<sup>(٢)</sup>.

نماذج من سماحة الإسلام والمسلمين:

قال الشيخ محمّد الصّادق عرجون تحت عنوان: «سماحة المعاملة في تصرّفات القادة  
والأمراء في فتوح الشام»: والنّاظر في تصرّفات قادة الفتوحات الإسلاميّة من أصحاب رسول الله ﷺ  
وأمرائه وولائه وتلاميذهم من التّابعين وتابعيهم يرى أنّهم كانوا أحرص على الرّفق والسّماحة في  
تنفيذ العهود والمصالحات ممّا جعل المعاهدين والمصالحين يتعاونون مع المسلمين في صدق  
وإخلاص؛ نتيجة لما رأوه من العدالة الرّحيمة في معاملة المسلمين لهم.

وقال الشيخ: تطبيق سماحة الإسلام من أعظم أسباب سرعة انتشاره. وفي هذه السّياسة  
الحكيمة الرّحيمة أوضح إجابة عن تساؤل المتسائلين عن أسباب السّريعة الهائلة التي طوى فيها  
الإسلام أكثر المعمور من الأرض تحت ظلّه الظليل.

ويتجلّى إبراز هذه المبادئ في أمور:

أولاً: أنّ هذه المبادئ السّميحة الرّاشدة تنقض الفكرة المتعنّطة الجاحدة التي يردّها أعداء

(١) الأخلاق الإسلاميّة للميداني (٢/ ٤٧١) باختصار.

(٢) المرجع السابق (٢/ ٤٧٢).

الإنسانية، بتصوير فتوحاته غزوا مادياً لنهب ثروات الأمم، واغتصاب خيراتها وحرمانها من نعم الله عليها فيما أنعم به من مصادر الثروة الاقتصادية.

وتصوير هذه الفتوحات بأنها إكراه للناس بقوة السلاح على الدخول في دين الإسلام. لأنّ النظرة العابرة، بله التّاقدة الفاحصة، في فتوحات الإسلام، تردّ ذلك وتدفع في صدر زاعميه؛ لأنّ هذه الفتوحات، كما دونها التاريخ الصّادق بأقلام جهابذته من أبناء الإسلام، أو غيرهم من طلاب الحقائق الذين ينشدونها في مقارّها من واقع الأحداث، مهما كلّفهم ذلك من تعب ومشقة، أصدق شاهد على عدالة الإسلام وسماحته.

فهذا أبو عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة الإسلامية، وعظيم فتوح المصالحات. نقرأ في مصالحته لأهل الشّام أنّه صالحهم على الإبقاء على معابدهم من البيع والكنائس داخل المدن وخارجها مصونة، لا يهدم منها شيء، ولا يغيّر من معالمها شيء. وصالحهم على حقن دمائهم وحفظ حياتهم.

وصالحهم على الدّفاع عنهم وحمائيتهم من اعتداء من يهّمّ بالاعتداء عليهم. وصالحهم على أنّ من قاتلهم أو نأواهم وجب على المسلمين أن يقاتلوه دونهم، ويدفعوه عنهم بقوة السلاح. فهل هذه المبادئ التي تلزم المسلمين أن يحافظوا على معابد أهل الدّمة والمعاهدين داخل المدن وخارجها، وتلزمهم بحماية دمائهم أن تسفك والدّفاع عنهم. يمكن أن يشتّم منها رائحة غزو ماديّ لنهب ثروات أو جمع أموال؟ أو يتصوّر فيها اعتداء على حرّية الأديان؟.

ثانياً: إنّ هذه المصالحات التي تعتمد على العدل والرّحمة. والتي قامت على الرّفق بأهل الدّمة كان لها أثرها الخطير الذي استهدفه الإسلام من فتوحاته.

فقد رأى أهل الدّمة وفاء المسلمين لهم بشروطهم، وشاهدوا حسن سيرتهم فيهم، وجربوا معاملتهم، فوقفوا معهم مخلصين، وصاروا عوناً للمسلمين على أعدائهم، فكانوا يخبرونهم بأحوال أعدائهم، ليكونوا منهم على حذر واستعداد لملاقاتهم.

بهذه المعاملة السّمحة، وبهذه السّماحة في المعاملة فتحت بلاد الشّام، ولم تكن هذه السّياسة الحكيمة الرّحيمة في معاملة أهل الدّمة هي منهج أبي عبيدة وحده، بل كانت المنهج الذي أقام الإسلام دعائمه، وثبّت في شريعته أعلامه. وأعلى في آفاقها منائره، فهو ليس منهجاً خاصّاً لأمر فتح المصالحة أبي عبيدة توصل إليه باجتهاده، وفرضه على ولاته الذين عملوا تحت إمرته؛ وإنما هو منهج عامّ في

شريعة الإسلام؛ ينبع من مصدرها الأصيلين: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة<sup>(١)</sup>.  
 [للاستزادة: انظر صفات: تكريم الإنسان - التيسير - الجود - السخاء - الكرم - المروءة -  
 اللين المواساة - الإحسان - الصفا - الشهامة.  
 وفي ضد ذلك: انظر صفات: الانتقام - البخل - التعسير - الشح - الكنز - الإساءة - الجفاء].

\*\*\*

### من فوائد (السماحة)

- (١) يحبها الله ورسوله والملائكة المقربون.
- (٢) يضيفها الله على وجوه المؤمنين لتكون لهم علامة مميزة في الدنيا والآخرة.
- (٣) السّمح محبوب لدى أهله ومجتمعه.
- (٤) السّماحة في البيع والشراء باب عظيم من أبواب كسب الرّزق وتكثيره.
- (٥) السّماحة تجلب التّيسير في الأمور كلّها.
- (٦) بالسّماحة يغنم الإنسان أكبر قدر من السّعادة وهناءة العيش.
- (٧) يجلب سّمع النّفس الخير الدّنيويّ حيث يميل النّاس إلى التّعامل معه فيكثر عليه الخير بكثرة محبّيه والمتعاملين معه<sup>(٢)</sup>.
- (٨) السّماحة في التّعامل مع أصحاب الدّيانات الأخرى تجلب لهم الطّمانينة والأمن فيؤدّي ذلك إلى حبّهم للمتسامحين معهم ومعاونتهم ثمّ الدّخول في هذا الدّين الذي يقرّ مبدأ التّسامح مع الآخرين وقد حدث ذلك عقب الفتح الإسلاميّة<sup>(٣)</sup>.

### السّماع<sup>(\*)</sup>

#### السّماع لغة:

مصدر قولهم: سمع يسمع سمعا وسماعا، وهو مأخوذ من مادّة (س م ع) التي تدلّ على

(١) الموسوعة في سماحة الإسلام (١/ ٤٢٥ - ٤٤٢) باختصار.

(٢) اقتبسنا هاتين الفائدتين من «الأخلاق الإسلامية» ٢/ ٤٦٠.

(٣) انظر أثر سماحة الإسلام في نفوس أهل البلاد المفتوحة ص ٢٢٨٨.

(\*) المقصود سماع التدبر والتفكير لا مجرد السّماع.

إدراك الشيء بالأذن، يقال: سمعت الشيء سمعا أدركته بأذني، ويعبر بالسمع تارة عن الأذن كما في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، وتارة عن الفعل (أي إدراك الشيء بالأذن) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢] وتارة عن الفهم كما في قولهم (لم تسمع ما قلت) أي لم تفهم، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١] أي فهمنا وارتسمنا، أما قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١] يجوز أن يكون معناه فهمنا وهم لا يفهمون، وأن يكون معناه فهمنا وهم لا يعملون بموجبه، ومن ثم يكونون في حكم من لم يسمع.

والاستماع: الإصغاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ [ق: ٤١]، ويقال: تسمعت إليه، فإذا أدغمت قلت: اسمعت إليه، وقرأ ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَا الْأَعْلَى﴾ [الصفوات: ٨] يقال: تسمعت إليه، وسمعت إليه، وسمعت له كله بمعنى، وقول الله تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ عَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ [النساء: ٤٦] أي لا سمعت، وقوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِ، وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦] أي ما أبصره وأسمعه على التعجب، ويقال سمع به، أي شهّر به، وفي الحديث «من فعل كذا سمع الله به سامع خلقه» والتسميع: التشنيع، ويقال أيضا (في ضد ذلك) سمع به إذا رفعه من الخمول ونشر ذكره، والسميع: السامع، والسميع: المسموع، وهو من أسماء الله ﷻ والسمع آلة السمع كما في الحديث الشريف «ملا الله مسامعه» أو المسامع هنا جمع سمع على غير قياس<sup>(١)</sup>.

### السمع اصطلاحاً:

قال المناوي: السماع فهم (السامع) ما كوشف به من البيان<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم: وحقيقة السماع تنبيه القلب على معاني المسموع وتحريكه عنها طلباً أو هرباً، وحباً أو بغضاً<sup>(٣)</sup>.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١٠٢)، ومفردات الراغب (٢٤٢)، ولسان العرب (٨/ ١٦٢)، والصحاح (٣/ ١٢٣) بتصرف واختصار.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف ص ١٩٧.

(٣) مدارج السالكين (١/ ٥١٧).

من أسماء الله تعالى «السميع»:

قال الغزالي رحمته: السميع هو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي، فهو يسمع السر والتجوى، بل ما هو أدق من ذلك وأخفى. ويدرك دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، يسمع حمد الحامدين فيجازيهم، ودعاء الداعين فيستجيب لهم، ويسمع بغير أصمخة وآذان، كما يفعل بغير جارحة ويتكلم بغير لسان، وسمعه منزّه عن أن يتطرق إليه الحدثنان... والسمع في حقه تعالى عبارة عن صفة ينكشف بها كمال صفات المسموعات<sup>(١)</sup>.

وقال ابن منظور: والسميع من صفاته سَمِعَ وأسمائه، لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي، فهو يسمع بغير جارحة، وفعيل: من أبنية المبالغة وفي التنزيل: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٣]، وهو الذي وسع سمعه كل شيء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، وقال في موضع آخر: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى﴾ [الزخرف: ٨٠]، قال الأزهري والعجب من قوم فسروا السميع بمعنى المسمع فرارا من وصف الله بأن له سمعا، وقد ذكر الله الفعل في غير موضع من كتابه فهو سميع ذو سمع بلا تكييف ولا تشبيه بالسَّمْع من خلقه، ولا سمعه كسمع خلقه، ونحن نصف الله بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف قال: ولست أنكر في كلام العرب أن يكون السميع سامعا، ويكون مسمعا، والظاهر الأكثر من كلام العرب أن يكون السميع بمعنى السامع، مثل عليم وعالم، وقدير وقادر، ومناد سميع: مسمع كخبير ومخبر، وأذن سمعة وسمعة وسميعة وسامعة وسماعة ومسموعة<sup>(٢)</sup>.

سمع الإنسان:

قال الغزالي رحمته: للعبد من حيث الحسّ حظّ في السمع، لكنّه قاصر، لأنّه لا يدرك جميع المسموعات، بل ما قرب من الأصوات، ثمّ إنّ إدراكه بجارحة وأداة معرّضة للآفات، فإن خفي الصوت قصر (سمع البشر) عن الإدراك، وإن بعد لم يدرك، وإن عظم الصوت ربّما بطل السمع واضمحّل، وإنّما حظّه الدينيّ أمران:  
أحدهما: أن يعلم أنّ الله سَمِعَ سميع، فيحفظ لسانه.

(١) المقصد الأسنى (٩٠).

(٢) لسان العرب «س م ع» (٨ / ١٦٤). والنهاية لابن الأثير (٢ / ٤٠١).

الثاني: أن يعلم أنه لم يخلق له السَّمْع إلا ليسمع كلام الله وحديث رسوله ﷺ فيستفيد به الهداية إلى طريق الله ﷻ<sup>(١)</sup>.

### السمع والسماع في القرآن الكريم:

السَّمْع قوّة في الأذن بها تدرك الأصوات، ويعبر تارة بالسَّمْع عن الأذن نحو: ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] وتارة عن فعله كالسَّمْع نحو: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُونَ﴾ وتارة عن الفهم، وتارة عن الطّاعة، تقول: اسمع ما أقول لك ولم تسمع ما قلت: أي لم تفهم.

وقوله: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣، والنساء: ٤٦] أي فهمنا ولم نأتمر لك. وقوله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥، والنساء: ٤٦] أي فهمنا وارتسمنا، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١] يجوز أن يكون معناه: فهمنا وهم لا يعملون بموجبه، وإذا لم يعمل بموجبه، فهو في حكم من لم يسمع، قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣] أي أفهمهم بأن جعل لهم قوّة يفهمون بها. وقوله: ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ [النساء: ٤٦]، فغير مسمع يقال على وجهين:

أحدهما: دعاء على الإنسان بالصّم، والثاني: أن يقال: أسمع فلانا إذا سببته، وذلك متعارف في السّب، وروي أن أهل الكتاب كانوا يقولون ذلك للنبي ﷺ يوهمون أنهم يعظمونه ويدعون له، وهم يدعون عليه بذلك وكلّ موضع أثبت فيه السَّمْع للمؤمنين أو نفي عن الكافرين أو حثّ على تحرّيه، فالقصد به إلى تصوّر المعنى والتّفكّر فيه. وأمّا قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠] أي إنّك لا تفهمهم لكونهم كالموتى في افتقادهم - لسوء فعلهم - القوّة العاقلة التي هي الحياة المختصّة بالإنسانيّة، وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُثَوَّلَ لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦] أي يقوله فيه تعالى: من وقف على عجائب حكمته، ولا يقال فيه: ما أبصره وما أسمع له لما تقدّم ذكره، وأنّ الله تعالى لا يوصف إلا بما ورد به السَّمْع، وقوله في صفة الكفّار: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨] معناه: أنهم يسمعون ويبصرون في ذلك اليوم ما خفي عنهم وذلّوا عنه اليوم، لظلمهم أنفسهم وتركهم النظر، وقوله: ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤١]

(١) المقصد الأسنى (٩١).

أى يسمعون منك لأجل أن يكذبوا، ﴿سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [المائدة: ٤١] أى يسمعون لمكانهم، والاستماع: الإصغاء، وقوله: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ [يونس: ٣١] أى من الموجد لأسماعهم وأبصارهم والمتولَّى بحفظها، والمسمع والمسمع: خرق الأذن، وفي دعاء النبي ﷺ «يا من لا يشغله سمع عن سمع، ويا من لا تغلظه المسائل، ويا من لا يبرمه إلحاح الملحّين ارزقني برد عفوك وحلاوة رحمتك، وروح قربك».

وقد ورد السَّمع في التنزيل على وجوه:

الأول: بمعنى الإفهام: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠] أى لا تفهمهم.

الثاني: بمعنى إجابة الدعاء ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

الثالث: بمعنى فهم القلب: ﴿أَوَلَمْ يَلْقَ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعزُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢] أى سمع الفؤاد ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النساء: ٤٦] أى سمعنا بقلوبنا وأطعنا بجوارحنا.

الرابع: بمعنى سماع جارحة الأذن: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] ﴿نَقَعْدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ﴾ [الجن: ٩] ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: ٤٦] أى سمعنا بالآذان، وعصينا بالجنان.

الخامس: بمعنى سمع الحق تعالى المنزه عن الجارحة والآلة المقدّس عن الصّماخ<sup>(١)</sup> والمحارة ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤] ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤] ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠]<sup>(٢)</sup>.

وقد اقتصر ابن الجوزي على وجهين اثنين هما:

الأول: إدراك السَّمع للمسموعات، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وقوله - عز من قائل - ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

الثاني: سماع القلب، وهو قبوله للمسموع، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ [هود: ٢٠]، وقوله ﷻ: ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١]<sup>(٣)</sup>.

(١) الصّماخ: الخرق الذي يفضي إلى الرأس، والمحارة للأذن جوفها.

(٢) بصائر ذوي التمييز: (٣/ ٢٥٧) وما بعدها.

(٣) نزهة الأعين النواظر (٣٤٦).

## منزلة السماع:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - أمر الله بالسماع في كتابه. وأثنى على أهله. وأخبر أن البشري لهم، فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا﴾ [المائدة: ١٠٨]. وقال ﴿وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: ١٦].

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمِعْ وَأَنْظِرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ [النساء: ٤٦]. وقال: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلُوعَاتِ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأَلْبَابُ﴾. وقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

وجعل السماع منه والسماع منهم دليلا على علم الخير فيهم، وعدم ذلك دليلا على عدم الخير فيهم. فقال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَآسْمَعَهُمْ وَلَا أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]. وأخبر عن أعدائه: أنهم هجروا السماع ونهوا عنه. فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦].

فالسَّماع رسول الإيمان إلى القلب وداعيه ومعلمه. وكم في القرآن من قوله: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ وقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾؟ [الحج: ٤٦] الآية.

فالسَّماع أصل العقل، وأساس الإيمان الذي انبنى عليه. وهو رائده وجليسه ووزيره. ولكن الشَّان كلَّ الشَّان في المسموع. وفيه وقع خبط النَّاس واختلافهم. وغلط منهم من غلط.

## أنواع السامعين:

وأصحاب السَّماع، منهم: من يسمع بطبعه ونفسه وهواه. فهذا حظُّه من مسموعه: ما وافق طبعه.

ومنهم: من يسمع بحاله وإيمانه ومعرفته

وعقله. فهذا يفتح له من المسموع بحسب استعداده وقوته ومادته.

ومنهم: من يسمع بالله، لا يسمع بغيره. كما في الحديث الإلهي الصحيح «فبني يسمع، وبني

يبصر» وهذا أعلى سماعا، وأصحَّ من كلِّ أحد.

والكلام في «السمع» - مدحا وذمًا - يحتاج فيه إلى معرفة صورة المسموع، وحقيقته وسببه، والباعث عليه، وثمرته وغايته. فهذه الفصول الثلاثة يتحرر أمر «السمع» ويتميز النافع منه والضار، والحق والباطل، والممدوح والمذموم.

### أنواع المسموع:

فأما «المسموع» فعلى ثلاثة أضرب:

أحدها: مسموع يحبه الله ويرضاه. وأمر به عباده. وأثنى على أهله. ورضي عنهم به.

الثاني: مسموع يبغضه ويكرهه. ونهى عنه. ومدح المعرضين عنه.

الثالث: مسموع مباح مأذون فيه. لا يحبه ولا يبغضه. ولا مدح صاحبه ولا ذمه. فحكمه حكم سائر المباحات: من المناظر، والمشام، والمطعومات، والملبوسات المباحة. فمن حرم هذا النوع الثالث فقد قال على الله ما لا يعلم. وحرم ما أحل الله. ومن جعله ديناً وقربة يتقرب به إلى الله، فقد كذب على الله، وشرع ديناً لم يأذن به الله. وضاهأ بذلك المشركين.

### السمع المرضي:

إنَّ السَّمْعَ المرضيَّ أي ذلك الذي مدحه الله في كتابه. وأمر به وأثنى على أصحابه، وذمَّ المعرضين عنه ولعنهم. وجعلهم أضلَّ من الأنعام سبيلاً. وهم القائلون في النار ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]. وهو سماع آياته المتلوَّة التي أنزلها على رسوله. فهذا السَّمْعُ أساس الإيمان الذي يقوم عليه بناؤه. وهو على ثلاثة أنواع: سماع إدراك بحاسة الأذن. وسماع فهم وعقل. وسماع فهم وإجابة وقبول. والثلاثة في القرآن.

فأما سماع الإدراك: ففي قوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۙ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۗ﴾ [الجن: ١، ٢]. وقوله ﴿يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ ۗ﴾ [الأحقاف: ٣٠] الآية. فهذا سماع إدراك اتصل به الإيمان والإجابة.

وأما سماع الفهم: فهو المنفَى عن أهل الإعراض والغفلة. بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الضُّمَمَ الدُّعَاءَ ۗ﴾ [الروم: ٥٢]، وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۗ﴾ [فاطر: ٢٢].

فالتخصيص هاهنا لإسماع الفهم والعقل. وإلا فالسمع العام الذي قامت به الحجة: لا تخصيص فيه.

ومنه قوله تعالى ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]. أي لو علم الله في هؤلاء الكفار قبولا وانقيادا لأفهمهم، وإلا فهم قد سمعوا سمع الإدراك ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ أي ولو أفهمهم لما انقادوا ولا انتفعوا بما فهموا؛ لأن في قلوبهم من داعي التولي والإعراض ما يمنعهم عن الانتفاع بما سمعوه.

وأما سماع القبول والإجابة: ففي قوله تعالى حكاية عن عباده المؤمنين أنهم قالوا ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]. فإن هذا سمع قبول وإجابة مثمر للطاعة. والتحقق: أنه متضمن للأنواع الثلاثة. وأنهم أخبروا بأنهم أدركوا المسموع وفهموه. واستجابوا له.

ومن سمع القبول: قوله تعالى ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] أي قابلون منهم مستجيبون لهم. هذا أصح القولين في الآية.

والمقصود: أن سماع خاصة الخاصة المقرين: هو سماع القرآن بالاعتبارات الثلاثة: إدراكا وفهما، وتدبرا، وإجابة. وكل سماع في القرآن مدح الله أصحابه، وأثنى عليهم، وأمر به أولياءه: فهو هذا السماع.

وهو سماع الآيات، لا سماع الأبيات. وسماع القرآن، لا سماع مزامير الشيطان، وسماع كلام رب الأرض والسماء لا سماع قصائد الشعراء، وسماع المرشد، لا سماع القصائد، وسماع الأنبياء والمرسلين، لا سماع المغنين والمطربين.

فهذا السماع حاد يحدو القلوب، إلى جوار علام الغيوب، وسائق يسوق الأرواح إلى ديار الأفراح. ومحرك يثير ساكن العزمات، إلى أعلى المقامات وأرفع الدرجات. ومناد ينادي للإيمان. ودليل يسير بالركب في طريق الجنان. وداع يدعو القلوب بال مساء والصباح. من قبيل فالتق الإصباح «حي على الفلاح، حي على الفلاح».

فلم يعدم من اختار هذا السماع إرشادا لحجة، وتبصرة لعبارة، وتذكرة لمعرفة، وفكرة في آية، ودلالة على رشد، وردا على ضلالة، وإرشادا من غي، وبصيرة من عمى، وأمرا بمصلحة، ونهيا عن مضرة ومفسدة، وهداية إلى نور، وإخراجا من ظلمة، وزجرا عن هوى. وحثا على تقى. وجلاء لبصيرة، وحياء لقلب، وغذاء ودواء وشفاء. وعصمة ونجاة، وكشف شبهة، وإيضاح برهان، وتحقيق حق، وإبطال باطل.

ونحن نرضى بحكم أهل الذوق في سماع الأبيات والقصائد. وناشدهم بالذي أنزل القرآن هدى وشفاء ونورا وحياة: هل وجدوا ذلك - أو شيئاً منه - في الدّف والمزمار؟ ونعمة الشّادن ومطربات الألحان؟ والغناء المشتمل على تهيج الحبّ المطلق الذي يشترك فيه محبّ الرّحمن، ومحبّ الأوطان، ومحبّ الإخوان، ومحبّ العلم والعرفان، ومحبّ الأموال والأثمان، ومحبّ النّسوان والمردان، ومحبّ الصّلبان.

فهو يثير من قلب كلّ مشتاق ومحبّ لشيء ساكنه. ويزعج قاطنه. فيثور وجده، ويبدو شوقه. فيتحرّك على حسب ما في قلبه من الحبّ والشوق والوجد بذلك المحبوب كائنا ما كان. ولهذا تجد لهؤلاء كلّهم ذوقاً في السّماع، وحالاً ووجداً وبكاء.

ويا لله العجب! أيّ إيمان ونور وبصيرة وهدى ومعرفة تحصل باستماع أبيات بالحنان وتوقعات. لعلّ أكثرها قيلت فيما هو محرّم بيغضه الله ورسوله، ويعاقب عليه: من غزل وتشبيب بمن لا يحلّ له من ذكر أو أنثى؟ فإنّ غالب التّعزّل والتّشبيب إنّما هو في الصّور المحرّمة. ومن أندر النّادر تغزّل الشاعر وتشبيبه في امرأته، وأمه وأمّ ولده، مع أنّ هذا واقع لكنّه كالشّعة البيضاء في جلد الثور الأسود. فكيف يقع لمن له أدنى بصيرة وحياة قلب أن يتقرّب إلى الله، ويزداد إيماناً وقرباً منه وكرامة عليه، بالتذاذه بما هو بغيض إليه، مقيت عنده، يمقت قائله والرّاضي به؟ وترقى به الحال حتّى زعم أنّ ذلك أنفع لقلبه من سماع القرآن والعلم النّافع. وسنّة نبيّه ﷺ؟! يا لله! إنّ هذا القلب مخسوف به، ممكور به منكوس. لم يصلح لحقائق القرآن وأذواق معانيه، ومطالعة أسرارها. فبلاه بقرآن الشّيطان، كما في معجم الطّبراني وغيره - مرفوعاً وموقوفاً - «إنّ الشّيطان قال: يا ربّ، اجعل لي كتاباً. قال: كتابك الوشم. قال: اجعل لي مؤذناً. قال: مؤذّنك المزمار. قال: اجعل لي بيتاً. قال: بيتك الحمّام.

قال: اجعل لي مصائد. قال: مصائدك النّساء. قال اجعل لي طعاماً. قال: طعامك ما لم يذكر عليه اسمي».

### السماع المنهي عنه:

وهو ما يبغضه الله ويكرهه، ويمدح المعرض عنه فهو سماع كلّ ما يضرّ العبد في قلبه ودينه كسماع الباطل كلّّه، إلّا إذا تضمّن رده وإبطاله والاعتبار به وقصد أن يعلم به حسن ضده، وكسماع اللّغو الذي مدح التّاركين لسماعه والمعرضين عنه بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]، وقوله ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، قال محمّد بن الحنفية: هو

الغناء (ومعنى مَرَّوا كراما) كما قال الحسن أو غيره: أكرموا نفوسهم عن سماعه، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الغناء ينبت التفاق في القلب كما ينبت الماء البقل<sup>(١)</sup>.

### السماع المباح:

لم يتحدث ابن القيم عن أمثلة هذا النوع وقد فصل الإمام الغزالي أنواعه، وذكر منها: غناء الحجيج لأشعار تصف الكعبة والمقام وزمزم وسائر المشاعر لما في ذلك من تهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى، ومنها ما يعتاده الناس لتحريض الناس على الغزو، ومنها: السماع في أوقات السرور تأكيدا للسرور وتهيجا له إن كان ذلك السرور مباحا<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التأمل - التدبر - التفكير - تلاوة القرآن - الذكر.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض - الغفلة - اللهو واللعب].

\*\*\*

### من فوائد (السماع)

- (١) السماع رسول الإيمان إلى القلب وداعيه (٥) محرّك يثير ساكن العزمات إلى أعلى ومعلّمه. المقامات وأرفع الدرجات.
- (٢) أصل العقل وأساس الإيمان. (٦) هو دليل يسير بالركب في طريق الجنان
- (٣) تنبيه القلب على معاني المسموع وتحريكه وداع يدعو القلوب بالمساء والصباح. عنه.
- (٧) هو طريق التدبّر وسبيل التفكير.
- (٤) السماع حاد يحدو القلوب إلى جوار علام الغيوب.

### الشجاعة

#### الشجاعة لغة:

مصدر شجع فلان أي صار شجاعا وهو مأخوذ من مادة (ش ج ع) التي تدلّ على الجرأة

(١) مدارج السالكين: (١/ ٥١٧-٥٢٣) بتصرف.

(٢) بتصرف واختصار عن الغزالي، انظر إحياء علوم الدين ٢/ ٢٧٧ ٢٧٩.

والإقدام، قال ابن فارس: ومن ذلك قولهم الرجل الشجاع وهو المقدم، والشجعة من النساء: الجريئة، وقال ابن منظور: شجع شجاعة: اشتد عند البأس. والشجاعة: شدة القلب في البأس. ويقال: رجل شجاع وشجاع، وشجاع وأشجع، من قوم شجاع وشجعان، وشجعان. والمرأة شجاعة وشجعة وشجيعة وشجعاء، وقيل: لا توصف به المرأة. وتشجع فلان: أي تكلف الشجاعة. وشجعت: إذا قلت له أنت شجاع أو قويت قلبه. ورجل مشجوع: أي مغلوب بالشجاعة<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحاً:

قال الجاحظ: الشجاعة هي الإقدام على المكاره والمهالك عند الحاجة إلى ذلك، وثبات الجأش عند المخاوف مع الاستهانة بالموت<sup>(٢)</sup>.

وقال المناوي: هي الإقدام الاختياري على مخاوف نافعة في غير مبالاة<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن حزم - رحمه الله تعالى -: هي بذل النفس للدود عن الدين أو الحریم أو عن الجار المضطهد أو عن المستجير المظلوم، وعمّن هضم ظلماً في المال والعرض، وسائر سبل الحق سواء قلّ من يعارض أو كثر<sup>(٤)</sup>.

وقال الجرجاني: هي هيئة حاصلة للقوة الغضبية، بين التهور والجبن، بها يقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها، كالقتال مع الكفار ما لم يزيدوا على ضعف المسلمين<sup>(٥)</sup>.

وقيل: هي الصبر والثبات والإقدام على الأمور النافع تحصيلها أو دفعها وتكون في الأفعال والأقوال<sup>(٦)</sup>.

### الفرق بين الشجاعة والصبر والكرم:

تلتقي هذه الصفات في بعض الأحيان ولكنها تنفصل في أحيان أخرى بحسب السياق، يقول

(١) لسان العرب (٤/ ٢٢٠٠ - ٢٢٠١). والصحاح: ٣/ ١٢٣٧ - ١٢٣٨، ومقاييس اللغة (٣/ ٢٤٨).

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ (ص ٢٧).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (ص ٢٠٢).

(٤) مداواة النفوس (٨٠).

(٥) التعريفات (١٢٥)، وكشاف اصطلاحات الفنون (٤/ ١٢٩).

(٦) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص ٥٤).

الكفويّ: الكرم إن كان بمال فهو جود وإن كان بكفّ ضرر مع القدرة فهو عفو، وإن كان ببذل النفس فهو شجاعة، وقال أيضا: الصّبر في المحاربة شجاعة، وفي إمساك النفس عن الفضول قناعة، وفي إمساك كلام الضّمير كتمان، وقد لخصّ رحمته العلاقة بين هذه المصطلحات بقوله: إن اختلاف الأسمي (المصطلحات) يكون باختلاف المواقع<sup>(١)</sup>.

### منزلة الشجاعة بين الفضائل:

قال الطّروطوشي: واعلم أنّ كلّ كريهة ترفع، أو مكرمة تكتسب لا تتحقّق إلا بالشّجاعة، ألا ترى أنّك إذا هممت أن تمنح شيئا من مالك خار طبعك، ووهن قلبك، وعجزت نفسك، فشحت به، وإذا حققت عزمك، وقويت نفسك، وقهرت ذلك العجز، أخرجت المال المضمون به، وعلى قدر قوّة القلب وضعفه تكون طيبة النفس بإخراجه، أو كراهية النفس لإخراجه مع إخراجه، وعلى هذا النمط جميع الفضائل، مهما لم تقارنها قوّة نفس لم تتحقّق، وكانت مخدوعة. فالجبان يفرّ عن أمّه وأبيه. والشّجاع يقاتل عمّن لا يثوب به إلى رحله، بقوّة القلب يصاب امتثال الأوامر والانتها عن الرّواجر، وبقوّة القلب يصاب اكتساب الفضائل، وبقوّة القلب ينتهي عن اتّباع الهوى والتّضمّخ بالرذائل. وبقوّة القلب يصبر الجليس على إيذاء الجليس وجفاء الصّاحب، وبقوّة القلب يكتم الأسرار ويدفع العار، وبقوّة القلب يقتحم الأمور الصّعب، وبقوّة القلب يتحمّل أثقال المكاره، وبقوّة القلب يصبر على أخلاق الرّجال، وبقوّة القلب تنفّذ كلّ عزيمة أوجبها الحزم والعدل.

وليس الصّبر والشّجاعة وقوّة النفس أن تكون مصرّا في المحال<sup>(٢)</sup> لجوجا في الباطل، ولا أن تكون جلدا عند الضّرب، صبورا على التّعب، مصمّما على التّغريير والتّهوّر؛ فإنّ هذه صفة الحمير والخنازير، ولكن أن تكون صبورا على أداء الحقوق عليك، صبورا على سماعها وإلقائها إليك، غالبا لهواك، مالكا لشهواتك، ملتزما للفضائل بجهدك، عاملا في ذلك على الحقيقة التي لا يحيلك عنها حياة ولا موت، حتّى يكون عندك موتك على الخير الذي أشار به العلم وأوجه العدل، خيرا من البقاء على ما أوجب رفض العلم والعدل<sup>(٣)</sup>.

(١) الكليات للكفوي (٥٣، ٦٥).

(٢) المحال: الجدل.

(٣) سراج الملوك للطّروطوشي (٢/ ٦٦٨ - ٦٧٠) بتصرف يسير.

وقال الأبيهيي - رحمه الله تعالى - : اعلم أنّ الشجاعة عماد الفضائل، ومن فقدّها لم تكمل فيه فضيلة يعبر عنها بالصبر وقوّة النفس. قال الحكماء:

وأصل الخير كلّ في ثبات القلب، والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه: الوجه الأوّل إذا التقى الجمعان، وتزاحف العسكران وتكالحت الأحداق بالأحداق، برز من الصّفّ إلى وسط المعترك يحمل ويكرّ وينادي هل من مبارز، والثاني إذا نشب القوم واختلطوا، ولم يدر أحد منهم من أين يأتيه الموت، يكون رابط الجأش، ساكن القلب، حاضر اللبّ، لم يخالطه الدهش، ولا تأخذه الحيرة، فيتقلّب تقلّب المالك الأمور، القائم على نفسه. والثالث إذا انهزم أصحابه يلزم السّاقّة، ويضرب في وجوه القوم، ويحول بينهم وبين عدوّهم، ويقوّي قلوب أصحابه، ويزجي الضّعيف، ويمدّهم بالكلام الجميل، ويشجّع نفوسهم، فمن وقع أقامه، ومن وقف حمّله، ومن كبا به فرسه حماه حتّى ييأس العدو منهم. وهذا أحمدهم شجاعة، وعن هذا قالوا: إنّ المقاتل من وراء الفارّين كالمستغفر من وراء الغافلين، ومن أكرم الكرم الدّفاع عن الحرم<sup>(١)</sup>.

#### أصل الشجاعة وعوامل تقويتها:

يقول الرّاعب: الشجاعة إن اعتبرت وهي في النفس، فصرامة القلب على الأهوال، وربط الجأش في المخاوف، وإن اعتبرت بالفعل فالإقدام على موضع الفرصة، وهي فضيلة بين التّهوّر والجبن، وهي تتولّد من الفرع والغضب إذا كانا متوسّطين؛ فإنّ الغضب قد يكون مفرطاً كمن يحتدّ سريعاً من أشياء صغيرة، وقد يكون مقصّراً كمن لا يغضب من الاجترار على حرمه وشمّ أبيه وأمه، وقد يكون متوسّطاً على ما يجب في وقت ما يجب، وبقدر ما يجب، وكذلك الفرع قد يكون مفرطاً فيتولّد منه الجبن الهالع، ومقصّراً فيتولّد عنه الوقاحة والغمارة كمن لا يفرع من شتم آبائه وتضييع حرمه وأصدقائه، وقد يكون متوسّطاً كما يجب وبقدر ما يجب ولكونهما أعني الغضب والفرع على حالين محمود ومذموم صارا يحمدان تارة ويذمّان أخرى؛ فإنّ الغضب في نحو قوله تعالى: وَعَظِبَ اللهُ عَلَيْهِمُ وَالْفِرْعَ فِي نَحْوِ قَوْلِ الشّاعِرِ فزعت لظلمة... إلخ... محمودان، والتّهوّر هو الثبات المذموم في الأمور المعطبة<sup>(٢)</sup>.

وأصلها في القلب بثبوت وقوته وسكونه عند المهمّات والمخاوف، وهي خلق نفسي، ولكن

(١) المستطرف (١/ ٣١٠).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص ٣٢٨).

لها موادّ تمدّها، فأعظم ما يمده وينمّيه: الإيمان، وقوّة التوكّل على الله، وكمال الثقة به سبحانه، وعلم العبد أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويمدّه أيضا الإكثار من ذكر الله والثناء عليه. قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. ومن أسباب تقوية هذا الخلق الفاضل أيضا التمرين؛ فإنّ الشجاعة، وإن كان أصلها في القلب؛ فإنّها تحتاج إلى تدريب النّفس على الإقدام وعلى التكلّم بما في النّفس، بإلقاء المقالات والخطب في المحافل، فمن مرّن نفسه على ذلك، لم يزل به الأمر حتّى يكون ملكة له، كذلك يدرب نفسه على مقارعة الأعداء ولقائهم والجسارة في ميادين القتال فيقوى بذلك قلبه ونفسه، فلا يزال به الأمر حتّى لا يبالي بلقاء الأعداء ولا ترعجه المخاوف. والإخلاص لله وعدم مراعاة الخلق سبب بالغ في تقوية ذلك؛ فإنّ المخلص الذي لا يريد إلّا وجه الله وثوابه لا يبالي بلوم اللّائمين، إذا كان في ذلك رضا لربّ العالمين. فمتى قوي إيمان العبد بالله وبقضائه وقدره، وقوي يقينه بالثواب والعقاب وتمّ توكله على الله وثقته بكفاية الله، وعلم أنّ الخلق لا يضرّون ولا ينفعون وأنّ نواصيهم بيد الله، وعلم الآثار الجليلة الناشئة عن الشجاعة، قوي قلبه واطمأنّ فؤاده، وأقدم على كلّ قول وفعل ينفع الإقدام عليه.

ولا بدّ لمن كانت هذه حاله أن يمدها الله بمدد من عنده لا يدركه بحوله ولا قوّته. وكمال زينة هذا الخلق النبيل: أن يكون موافقا للحكمة؛ فإنّه إذا زاد عن حدّ الحكمة خشي أن يكون تهوّرا وسفها وإلقاء باليد إلى التهلكة، وذلك مذموم، كما يذمّ الجبن والخور.

فالشجاعة المحمودة تتوسّط خلقين مذمومين، وهما الجبن والتهوّر، وتكون محمودة، إذا كان المقصود بها نصر الحقّ وردّ الباطل وتحصيل المنافع العامّة والمصالح المشتركة<sup>(١)</sup>.

### أنواع الشجاعة

قال الراغب: أنواع الشجاعة خمسة:

- ١- سعيّة كمن أقدم لثوران غضب وتطلّب غلبة.
- ٢- وبهيمة كمن حارب توصّلا إلى مأكّل أو منكح.

(١) بتصرف شديد من الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٥٤-٦٠).

٣- وتجريبيّة كمن حارب مرارا فظفر. فجعل ذلك أصلا يبيني عليه.

٤- وجهاديّة كمن يحارب ذبّا عن الدين.

٥- وحكميّة وهي ما تكون في كلّ ذلك عن فكر وتمييز وهيئة محمودة بقدر ما يجب وعلى ما يجب، ألا ترى أنّه يحمد من أقدم على كافر غضبا لدين الله أو طمعا في ثوابه أو خوفا من عقابه أو اعتمادا على ما رأى من إنجاز وعد الله في نصرته أوليائه، فإنّ كلّ ذلك محمود وإن كان محض الشّجاعة هو أن لا يقصد بالإقدام حوز ثواب أو دفع عقاب.

والفرق بين المقدم في الحرب لمحض الحكمة وإخلاص الدّين، وبين المقدم لغير ذلك هو أنّ المقدم لغير الحكمة والإخلاص يخاف الموت أكثر ممّا يخاف المذمّة الصّادقة والمقدم للحكمة والإخلاص بالضّد من ذلك؛ فإنّه يختار الموت الحميد على الحياة الذّميّة، ولذلك قال عليّ - رضي الله تعالى عنه -: (أيّها النّاس إنكم إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون من ميتة علي فراش).

ومن الشّجاعة المحمودة مجاهدة الإنسان نفسه أو غيره، وكلّ واحد منهما ضربان: مجاهدة النّفس بالقول: وذلك بالتّعلّم. وبالفعل: وذلك بقمع الشّهوة، وتهذيب الحميّة. ومجاهدة الغير بالقول. وذلك تزيين الحقّ وتعليمه، وبالفعل وذلك مدافعة الباطل ومتعاطيه بالحرب<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الثبات - الرجولة جهاد الأعداء - القوة - قوة الإرادة - العزم والعزيمة - النبل - علو الهمة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الجبن - التخاذل التهاون - التولى - التخلف عن الجهاد - صغر الهمة - الضعف - الوهن].

\*\*\*

### من فوائد (الشجاعة)

(١) دليل على حسن الظنّ بالله والتوكّل عليه.

(٢) أصلها الذي يمدّها الإيمان بالله والصّبر، وهي أصل لكلّ فضيلة من النّجدة والمروءة والنّخوة.

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٢٨-٣٢٩).

- (٣) الشجاع يحبّه كلّ الخلق ويهابونه حتّى الأعداء.  
 (٤) خلق وسط بين التّهوّر والجبن.  
 (٥) تظهر في مواطن الشدّة والمحنة.  
 (٦) تبعث في نفس الإنسان قوّة غير مدركة حين يقرأ عن الشجعان الأقوياء.  
 (٧) الرّجل الشجاع درع لأمتّه وصون لها.  
 (٨) الشجاعة تكون في كثير من الأحيان حاسمة لبعض المواقف الشائكة.

## الشرف

### الشرف لغة:

مصدر قولهم شرف يشرف، وهو مأخوذ من مادّة (ش ر ف) الّتي تدلّ على علوّ وارتفاع، فالشّرف: العلوّ، والشّريف: الرّجل العالى، ويقال للذّي غلبه غيره بالشّرف مشروف واستشرفت الشّيء إذا رفعت بصرك تنظر إليه، ويقال للأشرف: الواحد شرف، والمشرف: المكان تشرف عليه وتعلوه، ومشارف الأرض: أعاليها، ويقال إنّ الشّرفة: خيار المال واشتقاقه من الشّرفة الّتي تشرف بها القصور، والجمع شرف.

وقال ابن منظور: الشّرف: الحسب بالأباء، شرف يشرف شرفا وشرفة وشرافة وشرفة فهو شريف أي علا في دين أو دنيا والجمع أشرف وشرفاء.

والشّرف والمجد لا يكونان إلّا بالأباء. قال: والحسب والكرم يكونان وإن لم يكن له آباء لهم شرف. يقال: هو شرف قومه وكرمهم أي شريفهم وكرمهم.

والشّرف: مصدر الشّريف من النّاس، وشريف وأشراف، مثل نصير وأنصار، وشهيد وأشهاد، والجمع شرفاء وأشراف والشّرفة أعلى الشّيء، والشّرف كالشّرفة والجمع أشرف والشّرف: كلّ نشز من الأرض قد أشرف على ما حوله.

واستعمل أبو إسحاق الرّجاج الشّرف في القرآن فقال: أشرف آية في القرآن آية الكرسيّ. وقد شرفه وشرف عليه وشرفه: جعل له شرفا. وشارفت الرّجل: فاخرته أينا أشرف وفي الحديث: أنّ النّبىّ ﷺ قال: «ما ذئبان عاديان أصابا فريقة غنم بأفسد فيها من حبّ المرء المال والشّرف لدينه». يريد أنّه يتشرف للمباراة والمفاخرة<sup>(١)</sup>.

(١) لسان العرب (٩/ ١٦٩ - ١٧١)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٦٣).

## الشرف اصطلاحاً:

قال الكفوي: الشرف محرّكة: العلوّ والمكان العالي، وشرفه كنصره: غلبه شرفاً أو طاله في الحسب<sup>(١)</sup>.

## الفرق بين الشرف والعزة:

الفرق بين العزّة والشرف أنّ العزّة تتضمّن معنى الغلبة والامتناع. فأما قولهم عزّ الطّعام فهو عزيز فمعناه قلّ حتّى لا يقدر عليه، فشبهه بمن لا يقدر عليه، لقوّته ومنعته؛ لأنّ العزّ بمعنى القلّة، والشرف إنّما هو في الأصل شرف المكان، ومنه قولهم:

أشرف فلان على الشّيء إذا صار فوقه، ومنه قيل شرفة القصر، وأشرف على التّلف إذا قاربه، ثمّ استعمل في

كرم النّسب ف قيل للقرشيّ شريف، وكلّ من له نسب مذکور عند العرب شريف ولهذا لا يقال لله تعالى شريف كما يقال له عزيز<sup>(٢)</sup>.

## الفرق بين الشرف والمجد:

أنّ المجد لا يكون إلّا بالأباء وعلوّ النّسب، والشرف يكون بذلك وبغيره<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الرجولة- العزم والعزيمة- العزة- النبيل- النزاهة. - علو الهمة- الشهامة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات:- الذل- صغر الهمة- الضعف- التهاون- الدياثة- التفريط والإفراط].

\*\*\*

## من فوائد (الشرف)

- (١) شرف المرء بحسن فعاله لا بحسب آبائه. (٣) الشرف يحجب المرء عن السّقوط في قبيح الأفعال.  
(٢) شرف المرء يجلب له المحبّة بين أهله.

(١) الكليات للكفوي (٥٣٩).

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (١٤٨).

(٣) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) إذا شرف المرء بحسن عمله اكتسب (٦) الشرف إذا اتخذ ذريعة لأغراض غير رضوان الله وغنم محبته. مشروعة أضل صاحبها وأهلكه.

(٥) محمد ﷺ سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة وأشرفهم بحسن خلائقه وكرم أصله.

## الشفاعة

### الشفاعة لغة:

الشفاعة مصدر قولهم شفع يشفع وهو مأخوذ من مادة (ش ف ع) التي تدل على مقارنة الشئيين، من ذلك الشفع خلاف الوتر، تقول: كان فردا فشفعته، قال جل ثناؤه ﴿وَالشَّفَعُ وَالْوَتْرُ﴾ [الفجر: ٣]، قال أهل التفسير: الوتر الله تعالى، والشفع: الخلق، وشفع فلان لفلان إذا جاء ملتصقا بطلبه ومعينا له، والشفعة في الدار من هذا؛ لأنه يشفع بها ماله، وقال الراغب: الشفع ضم الشيء إلى مثله، ومن ذلك: الشفعة التي هي طلب مبيع في شركته بما بيع به ليضمه إلى ملكه، والشفعة: الزيادة، وهي أن يشفعك فيما تطلب حتى تضمه إلى ما عندك فتزيده وتشفعه بها، أي تزيده بها أي إنّه كان وترا، فضم إليه ما زاده وشفعه به. وقد كان الرجل في الجاهلية إذا أراد بيع منزل أتاه رجل فشفع إليه فيما باع فشفعه وجعله أولى بالمبيع ممن بعد فبسببه سميت شفعة. وشفع: أيضا طلب، وتقول: شفع لي يشفع شفاعة وتشفع. والشفيع: الشافع.

والجمع شفعاء، واستشفع بفلان على فلان، وتشفع له إليه فشفعه فيه. وقال الفارسي: استشفعه طلب منه الشفاعة، أي قال له: كن لي شافعا، واستشفعته إلى فلان أي سألته أن يشفع لي إليه. وفي التنزيل: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]. أي من انضم إلى غيره وعاونه وصار شفعا له، أو شفيعا في فعل الخير والشر فعاونه وقواه شاركه في نفعه وضره، وقيل الشفاعة هاهنا أن يشرع الإنسان للآخر طريق خير أو شر فيقتدي به فيصير كأنه شفع له، وقول الله ﷻ ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣] أي يدبر الأمر وحده لا ثاني له في فصل الأمر إلا أن يأذن للمدبرات والمقسمات من الملائكة فيفعلون ما يفعلونه بعد إذنه. وتقول: شفعت في الأمر شفعاء وشفاعة: طالبت بوسيلة وذمام.

والشفاعة: الدعاء، والشفاعة: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها غيره. والشافع: الطالب

لغيره، يتشفع به إلى المطلوب، يقال: تشفّعت بفلان إلى فلان فشفّعتني فيه. وتشفّعت إليه في فلان فشفّعتني فيه تشفيعا. والمشفّع: الذي يقبل الشفاعة، والمشفّع الذي تقبل شفاعته. واستشفّعت بفلان فشفّعت لي، وشفّعه: أجاز شفاعته ومنه قوله عليه الصّلاة والسّلام «القرآن شافع مشفّع»<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحا:

قال الرّاعب: الشّفاة الانضمام إلى آخر ناصر له وسائلا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى، ومنه الشّفاة يوم القيامة<sup>(٢)</sup>. وقال الجرجاني وابن المناوي: هي السّؤال في التّجاوز عن الذّنوب من الذي وقعت الجناية في حقّه<sup>(٣)</sup> وقال الكفوي: هي سؤال فعل الخير وترك الضّر عن الغير على سبيل الضّراعة<sup>(٤)</sup>. وقال المناوي (نقلا عن الحرالي): الشّفاة وصلة بين الشّفيع والمشفوع له لمزيد وصلة بين الشّفيع والمشفوع عنده<sup>(٥)</sup>.

### أنواع الشفاعة:

قال ابن أبي العزّ - رحمه الله تعالى - في شرحه للعقيدة الطّحاوية: الشّفاة أنواع:  
النّوع الأوّل: الشّفاة العظمى الخاصّة بنبيّنا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

النّوع الثّاني: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنّة.

النّوع الثّالث: شفاعته ﷺ في قوم آخرين قد أمر بهم إلى النّار أن لا يدخلوها.  
النّوع الرّابع: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنّة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

النّوع الخامس: الشّفاة في أقوام ليدخلوا الجنّة بغير حساب وهم السّبعون ألفا.

(١) لسان العرب (٨/ ١٨٣)، والصحاح (٣/ ١٢٣٨)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٢٠١٣)، والمفردات للراغب (٢٦٣)، ومختار الصحاح (٣٤٠) مادة «ش ف ع». والمصباح المنير (٣١٧).

(٢) المفردات للراغب (٢٦٣).

(٣) التعريفات للجرجاني (١٣٣)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢٠٦).

(٤) الكليات للكفوي (٥٣٦).

(٥) التوقيف (٢٠٦).

النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمّن يستحقّه. كشفاعته في عمّه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه.

النوع السابع: شفاعته ﷺ أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة.

النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممّن دخل النار فيخرجون منها.

وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبّيون والمؤمنون<sup>(١)</sup>.

الفرق بين الشفاعة الشرعية والشفاعة الشريكية:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : عند قوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿ [الزمر: ٤٣، ٤٤]. أخبر الله في كتابه أنّ الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض، وهو الله وحده. فهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه، ليرحم عبده. فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه.

فصارت الشفاعة في الحقيقة إنّما هي له، والذي يشفع عنده إنّما يشفع بإذنه له وأمره له، بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده. وهذا ضدّ الشفاعة الشريكية التي أثبتتها المشركون ومن وافقهم، وهي التي أبطلها الله سبحانه في كتابه، بقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] وقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وِلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَنْفَعُونَ﴾ [الأنعام: ٥١] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: ٤].

فأخبر سبحانه أنّه ليس للعباد شفيع من دونه، بل إذا أراد الله سبحانه رحمة عبده أذن هو لمن يشفع فيه. كما قال تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣] وقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فالشفاعة بإذنه ليست شفاعة من دونه، ولا الشافع شفيع من دونه، بل شفيع بإذنه.

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٥٢٥ - ٢٥٧) بتصرف واختصار.

والفرق بين الشفيعين، كالفرق بين الشريك والعبد المأمور. فالشفاعة التي أبطلها الله: شفاعة الشريك فإنه لا شريك له، والتي أثبتها: شفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع، ولا يتقدم بين يدي مالكة حتى يأذن له. ويقول: اشفع في فلان. ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيّد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد، الذين جردوا التوحيد وخلّصوه من تعلّقات الشرك وشوائبه، وهم الذين ارتضى الله سبحانه. قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]. وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده: هم الرسل والملائكة المقربون. وهم عبيد محض، لا يسبقونه بالقول، ولا يتقدمون بين يديه، ولا يفعلون شيئاً إلا بعد إذنه لهم، وأمرهم. ولا سيّما يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً. فهم مملوكون مربوبون، أفعالهم مقيدة بأمره وإذنه. فإذا أشرك بهم المشرك، واتّخذهم شفعاء من دونه، ظناً منه أنه إذا فعل ذلك تقدّموا وشفعوا له عند الله، فهو من أجهل الناس بحقّ الرّبّ سبحانه وما يجب له. ويمتنع عليه.

فإنّ هذا محال ممتنع، شبيه قياس الرّبّ تعالى على الملوك والكبراء، حيث يتخذ الرّجل من خواصّهم وأولياهم من يشفع له عندهم في الحوائج. وبهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام، واتّخذ المشركون من دون الله الشفيع والوليّ. فالشفعاء عند المخلوقين: هم شركاؤهم. فإنّ قيام مصالحهم بهم. وهم أعوانهم وأنصارهم، الذين قيام أمر الملوك والكبراء بهم.

ولولا هم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس، فلحاجتهم إليهم يحتاجون إلى قبول شفاعتهم. وإن لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع. لأنّهم يخافون أن يردّوا شفاعتهم فتنتقض طاعتهم لهم، ويذهبون إلى غيرهم. فلا يجدون بداً من قبول شفاعتهم على الكره والرّضى. فأما الغنيّ الذي غناه من لوازم ذاته، وكلّ ما سواه فقير إليه بذاته. وكلّ من في السّموات والأرض عبيد له، مقهورون بقهره، مصروفون بمشيئته. لو أهلكهم جميعاً لم ينقص من عزّه وسلطانه وملكته وربوبيّته وإلهيته مثقال ذرّة، قال سبحانه في سيّدة آي القرآن، آية الكرسيّ: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزّمر: ٤٤]. فأخبر أنّ حال ملكه للسّموات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلّها له وحده، وأنّ أحدا لا يشفع عنده إلا بإذنه، فإنّ ليس بشريك، بل مملوك محض. بخلاف شفاعة أهل الدّنيا بعضهم عند بعض.

## شروط قبول الشفاعة:

وسرّ الفرق بين الشّفاعتين: أنّ شفاعة المخلوق للمخلوق، وسؤاله للمشفوع عنده، لا يفتقر فيها إلى المشفوع عنده، لا خلقاً، ولا أمراً، ولا إذناً، بل هو سبب محرّك له من خارج كسائر الأسباب التي تحرك الأسباب. وهذا السبب المحرّك قد يكون عند المتحرّك لأجله ما يوافق، كمن يشفع عنده في أمر يحبه ويرضاه، وقد يكون عنده ما يخالفه، كمن يشفع إليه في أمر يكرهه، ثمّ قد يكون سؤاله، وشفاعته أقوى من المعارض، فيقبل شفاعة الشّافع، وقد يكون المعارض الذي عنده أقوى من شفاعة الشّافع، فيردّها ولا يقبلها، وقد يتعارض عنده الأمران، فيبقى متردداً بين ذلك المعارض الذي يوجب الردّ، وبين الشّفاعة التي تقتضي القبول، فيتوقّف إلى أن يترجّح عنده أحد الأمرين بمرجّح، فشفاعة الإنسان عند المخلوق مثله: هي سعي في سبب منفصل عن المشفوع إليه يحركه به، ولو على كره منه، فمنزلة الشّفاعة عنده منزلة من يأمر غيره، أو يكرهه على الفعل، إمّا بقوة وسلطان، وإمّا برغبة، فلا بدّ أن يحصل للمشفوع إليه من الشّافع إمّا رغبة ينتفع بها، وإمّا رهبة منه تندفع عنه بشفاعته، وهذا بخلاف الشّفاعة عند الرّبّ سبحانه، فإنّه ما لم يخلق شفاعة الشّافع، ويأذن له فيها، ويحبّها منه، ويرضى عن الشّافع، لم يمكن أن توجد. والشّافع لا يشفع عنده لحاجة الرّبّ إليه، ولا لرهبته منه، ولا لرغبته فيما لديه، وإنّما يشفع عنده مجرد امتثال لأمره وطاعة له. فهو مأمور بالشفاعة، مطيع بامتثال الأمر. فإنّ أحداً من الأنبياء والملائكة، وجميع المخلوقات لا يتحرّك بشفاعة ولا غيرها إلاّ بمشيئة الله تعالى وخلق. فالرّبّ ﷻ هو الذي يحرك الشّفيع حتّى يشفع، والشّفيع عند المخلوق هو الذي يحرك المشفوع إليه حتّى يقبل. والشّافع عند المخلوق مستغن عنه في أكثر أموره. وهو في الحقيقة شريكه.

ولو كان مملوكه وعبيده. فالمشفوع عنده محتاج إليه فيما يناله منه من النّفع بالنّصر، والمعونة. وغير ذلك. كما أنّ الشّافع محتاج إليه فيما يناله منه: من رزق، أو نصر، أو غيره، فكلّ منهما محتاج إلى الآخر<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التوسل - التعاون على البر والتقوى - التناصر - الضراعة والتضرع - الإخاء.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض - التخاذل - القسوة - التعاون على الإثم والعدوان].

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/ ٢٢٠ - ٢٢٣) بتصرف.

## من فوائد (الشفاعة)

- (١) من دلائل كمال الإيمان وحسن الإسلام. (٥) هي للمسلمين أحب من فضائل أعمالهم.
- (٢) دليل كمال شفقة النبي ﷺ. (٦) دليل حب الخير للآخرين وحسن الظن
- (٣) بها ترفع الدرجات وتقال العثرات وتقضى الحاجات. ٣٣٠
- (٧) يحتاج إليها كل الخلق يوم القيامة حتى الفضلاء والمقربون.
- (٤) دليل حب الله ورضاه عن الشافع والمشفوع به لمن وقعت منه، ووسيلة (٨) دليل رقة قلب الشافع ورحمته بغيره.
- الحب والرضا لمن يتطلع إليه. (٩) تزيد من الألفة والترابط بين الأفراد في المجتمع الإسلامي.

## الشفقة

## الشفقة لغة:

هي الاسم من الإشفاق، وكذلك الشفق وهي مأخوذة من مادة (ش ف ق) التي تدل - كما يقول ابن فارس - على رقة في الشيء فمن ذلك قولهم أشفقت من الأمر إذا رقت وحاذرت، وربما قالوا شفقت، وقال أكثر أهل اللغة لا يقال إلا أشفقت وأنا مشفق (وشفيق).

فأما قول القائل: كما شفقت على الزاد العيال، فليس من هذا الباب وإنما معناه بخلت به، إذا قلت أشفقت منه فإنما تعني حذرته.

ويقال شفقت وأشفقت بمعنى واحد وأنكر ذلك أهل اللغة، والشفق يأتي على معان منها: بمعنى الشفقة وذلك كما في قول الشاعر (إسحاق بن خلف) أو ابن المعلّى:

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا والموت أكرم نزال على الحرم  
والشفق: بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب من العتمة، وقيل: هي الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء.

قال ابن الأثير في مواقيت الصلاة: حتى يغيب الشفق.

الشفق من الأضداد: يقع على الحمرة التي ترى في المغرب بعد مغيب الشمس وبه أخذ الشافعي، وعلى البياض الباقي في الأفق الغربي وبه أخذ أبو حنيفة.

وقال القراء: سمعت بعض العرب يقول: عليه ثوب كأنه الشفق، الشفق هنا الحمرة. ويأتي الشفق أيضا بمعنى الرديء من الأشياء، وبمعنى الخيفة (الخوف) تقول أنا مشفق عليك أي أخاف، وأشفتت عليه (خفت) أن يناله مكروهه، وأشفق عليه: حذر، وأشفق منه جزع.

وقال ابن منظور: الشفق والشفقة: الخيفة من شدة النصح والشفق أيضا الشفقة، وهو أن يكون الناصح - من عدم بلوغ النصح خائفا على المنصوح<sup>(١)</sup>، والشفيق: الناصح الحريص على صلاح المنصوح، وقول الله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦] أي كنا في أهلنا خائفين لهذا اليوم، وشفيق بمعنى مشفق مثل أليم بمعنى مؤلم، وفي حديث بلال أنه كان يفعل ذلك شفقا من أن يدركه الموت، الشفق (هنا) والإشفاق: الخوف. والشفق والشفقة (أيضا) رقة من نصح أو حب يؤدي إلى خوف<sup>(٢)</sup>.

#### اصطلاحاً:

قال الراغب: الإشفاق (والشفقة) عناية مختلطة بخوف؛ لأن المشفق يحب المشفق عليه، ويخاف ما يلحقه (من أذى) فإذا عدّي ب «من» فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عدّي ب «في» فمعنى العناية فيه أظهر<sup>(٣)</sup>.

وقال المناوي: الشفقة: صرف الهمة إلى إزالة المكروه عن الناس<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: تفريج الكربات - الحنان - الرأفة - الرحمة - الرفق - العطف - التيسير الإحسان - تكريم الإنسان. وفي ضد ذلك: انظر صفات: التخاذل - سوء المعاملة - العنف - القسوة - التعسير - الإساءة].

(١) في الأصل أن يكون الناصح من بلوغ النصح خائفا على المنصوح، ولعله سقط في المطبوعة لأن الخشية تكون من عدم البلوغ لا من البلوغ.

(٢) انظر في ذلك: مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١٩٧) الصحاح للجوهري (٤/ ١٥٠١)، ولسان العرب (شفق) (ص ٢٢٩٢) ط. دار المعارف، والنهاية لابن الأثير (٢/ ٤٨٧).

(٣) المفردات للراغب (٢٦٤)، وإلى مثل هذا ذهب كل من الكفوي (في الكليات ص ٤٦٩)، والفيروز آبادي (في البصائر ص ٣٣) إلا أنهما ذكرا «على» بدلا من «في» لمعنى العناية ولا تعارض بين الرأيين؛ لأن الفعل أشفق يعدى بكليهما للمعنى نفسه.

(٤) وإلى مثل هذا ذهب الجرجاني في التعريفات (١٢٧) إلا أن هناك تصحيحا إذا وردت «الشفقة» بفاء ساكنة تليها عين مفتوحة، وقد جاء التصويب من المصادر الأخرى التي ربما أخذت عن نسخ صحيحة.

## من فوائد (الشفقة)

- (١) طريق موصل إلى الجنة.  
 (٢) دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.  
 (٣) تنمر الألفة والمحبة بين الناس.  
 (٤) مظهر من مظاهر مراقبة الله ﷻ.  
 (٥) الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة.  
 (٦) دليل على قرب العبد من ربه ومحبه له.

## الشكر

## الشكر لغة:

مصدر شكر يشكر، وهو مأخوذ من مادة (ش ك ر) التي تدل على «الثناء على الإنسان بمعروف يوليئه» ويقال: إن حقيقة الشكر الرضا باليسير، ومن ذلك فرس شكور إذا كفاه لسمنه العلف القليل.

قال: الأعشى:

ولا بد من غزوة في المصبي ف رهب تكل الوقاح الشكورا<sup>(١)</sup>  
 وقال الراغب: الشكر تصوّر النعمة وإظهارها، وقيل: هو مقلوب عن الكشر أي الكشف: وبضاده الكفر الذي هو نسيان النعمة وسترها. وقيل أصله من عين شكري أي ممتلئة. فالشكر على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن منظور: «الشكر، عرفان الإحسان ونشره، وهو مأخوذ من قولك: شكرت الإبل تشكر إذا أصابت مرعى فسمنت عليه، والشكران خلاف النكران. والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل.

ويقال: شكره وشكر له يشكر شكرا وشكورا وشكرانا.

ويقال أيضا: شكرت الله، وشكرت لله، وشكرت بالله، وكذلك شكرت نعمة الله، ورجل شكور: كثير الشكر، وهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وظف عليه من عبادته<sup>(٣)</sup>.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٠٧) وقد ذكر لهذه المادة ثلاثة معان آخر هي الامتلاء ونوع من النبات والنكاح. انظر هذه المعاني وأمثالها في (ص ٢٠٨) من المرجع نفسه.

(٢) المفردات للراغب (٢٦٥).

(٣) لسان العرب (٤/ ٢٣٠٥-٢٣٠٨). والصحاح (٢/ ٧٠٢-٧٠٣).

## واصطلاحاً:

قال الكفوي: الشكر كل ما هو جزاء للنعمة عرفاً، وقال أيضاً: أصل الشكر: تصوّر النعمة وإظهارها، والشكر من العبد: عرفان الإحسان، ومن الله المجازاة والثناء الجميل<sup>(١)</sup>.

وقال المناوي: الشكر: شكران: الأول شكر باللسان وهو الثناء على المنعم، والآخر: شكر بجميع الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر الاستحقاق، والشكور الباذل وسعه في أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقاداً واعترافاً<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم: الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبةً، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة<sup>(٣)</sup>.

وقيل: هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع<sup>(٤)</sup>.

معنى اسم الله (الشكور):

قال الإمام الغزالي: الشكور (في أسماء الله تعالى) هو الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيماً في الآخرة غير محدود، ومن جازى الحسنة بأضعافها يقال إنه شكر تلك الحسنة، ومن أثنى على المحسن أيضاً يقال: إنه شكر، فإن نظرت إلى معنى الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق إلا الله ﷻ لأن زيادته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة، ذلك أن نعيم الجنة لا آخر له، والله ﷻ يقول: ﴿كُلُوا وَشَرِبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]. وإن نظرنا إلى معنى الثناء فإن ثناء كل من يكون على فعل غيره، والرب ﷻ إذا أثنى على أعمال عباده فقد أثنى على فعل نفسه، لأن أعمالهم من خلقه، فإن كان الذي أعطى فأتى شكوراً، فالذي أعطى وأثنى على المعطي أحق بأن يكون شكوراً، ومن ثنائه ﷻ على عباده قوله سبحانه ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقوله - جلّ من قائل: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]، كل ذلك وما يجري مجراه عطية منه سبحانه<sup>(٥)</sup>.

(١) الكليات للكفوي (٥٢٣).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٠٦-٢٠٧).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٤) لابن القيم.

(٤) بصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٣٩).

(٥) المقصد الأسنى (١٠٥-١٠٦).

وقال ابن منظور - رحمه الله تعالى - : والشُّكُور من صفات الله - جلَّ اسمه - معناه : أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد ، فيضاعف لهم الجزاء ، وشكره لعباده : مغفرته لهم وإنعامه على عباده وجزاؤه بما أقامه من العبادة .

وقال ابن سعدي : وأما الشُّكُور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربِّه بطاعته وأدائه ما وُظِّف عليه من عبادته .

ومن أسماء الله الحسنى الشُّكُور ، وهو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقيِّ النَّافع ، ويعفو عن الكثير من الزَّلَل ، ولا يضيع أجر من أحسن عملاً ، بل يضاعفه أضعافاً مضاعفة بغير عدِّ ولا حساب .

ومن شكره أنه يجزي بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة . وقد يجزي الله العبد على العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل ، وليس عليه حق واجب بمقتضى أعمال العباد ، وإنما هو الذي أوجب الحقَّ على نفسه كرماً منه وجوداً ، والله لا يضيع أجر العاملين إذا أحسنوا في أعمالهم وأخلصوها لله تعالى <sup>(١)</sup> .

#### الفرق بين الشاكر والشكور:

قال المناوي : إنَّ الشَّاكِر من يشكر على الرَّخَاء .

والشُّكُور من يشكر على البلاء .

وقيل : الشَّاكِر من يشكر على العطاء . والشُّكُور من يشكر على المنع .

وإذا وصف البارئ بالشُّكُور فالمراد إنعامه على عباده <sup>(٢)</sup> .

منزلة الشكر من الإيمان وثناء الله على الشاكرين :

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : قرن الله سبحانه الشكر بالإيمان ، وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به فقال : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ﴾ [النساء : ١٤٧] أي إن وفَّيتم ما خلقكم له ، وهو الشكر والإيمان فما أصنع بعذابكم ؟ . وأخبر سبحانه أن أهل الشكر هم المخصوصون بمثته عليهم من بين عباده . فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا

(١) شرح الشافية الكافية ، شرح عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٢٥ ، ١٢٦) .

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٠٧) .

أَهْتُولَاءَ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَنْ بَيْنَنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿[الأنعام: ٥٣]. وقسم الله ﷻ الناس إلى شكور وكفور، فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله، وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله. قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿[الإنسان: ٣] وهذا كثير في القرآن. يقابل سبحانه بين الشكر والكفر فهو ضده. وعلق الله سبحانه المزيد بالشكر والمزيد منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿[إبراهيم: ٧]. وأوقف سبحانه الجزاء على المشيئة كثيرا وأطلق ذلك في الشكر. فقال تعالى: ﴿ وَسَجَّزَى الشَّاكِرِينَ ﴿[آل عمران: ١٤٥]، وقال ﷻ: ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿[آل عمران: ١٤٤] بل قد جعل الشكر هو الغاية من خلقه وأمره، فقال تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿[النحل: ٧٨]. وأخبر سبحانه أنه إنما يعبد من شكره، ومن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته فقال: ﴿ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿[البقرة: ١٧٢] وقد أثنى الله سبحانه على أول رسول بعثه إلى أهل الأرض بالشكر. فقال: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿[الإسراء: ٣]. كما أثنى سبحانه على خليله إبراهيم بشكره نعمه.

فقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿[النحل: ١٢٠، ١٢١] فأخبر عنه سبحانه بصفات ثم ختمها بأنه شاكر لأنعمه، فجعل الشكر غاية خليله. وأمر الله ﷻ عبده موسى أن يتلقى ما آتاه من النبوة والرسالة وتكليمه إياه بالشكر. فقال تعالى: ﴿ يَمْوِسَّىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿[الأعراف: ١٤٤]. بل جعل الله ﷻ أول وصية وصى بها الإنسان بعد ما عقل عنه بالشكر له وللوالدين. فقال: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿[لقمان: ١٤]. كما أخبر سبحانه أن رضاه في شكره فقال: ﴿ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴿[الزمر: ٧] (١).

(١) عدة الصابرين (١١٨ - ١٢١) بتصرف.

القواعد التي يقوم عليها الشكر:

قال الفيروز ابادي - رحمه الله تعالى - : الشكر أعلى منازل السالكين، وفوق منزلة الرضا، فإنه يتضمن الرضا وزيادة، والرضا مندرج في الشكر، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه، وهو نصف الإيمان ومبناه على خمس قواعد:

(١) خضوع الشاكر للمشكور.

(٢) وحبّه له.

(٣) واعترافه بنعمته.

(٤) والثناء عليه بها.

(٥) وألا يستعملها فيما يكره.

فمتى فقد منها واحدة اختلت قاعدة من قواعد الشكر<sup>(١)</sup>.

أنواع الشكر:

والشكر على ثلاثة أضرب: شكر القلب وهو تصوّر النعمة. وشكر اللسان. وهو الثناء على المنعم وشكر سائر الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه، وقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣] معناه اعملوا ما تعملونه شكرا لله. وقيل شكرا مفعول لقوله اعملوا، وذكر اعملوا ولم يقل اشكروا لينبه على التزام الأنواع الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان وسائر الجوارح وقوله سبحانه: ﴿أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]، ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [النمل: ٤٠]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]. ففيه تنبيه أن توفية شكر الله صعب ولذلك لم يشن بالشكر من أوليائه إلا على اثنين، قال في إبراهيم عليه السلام: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ﴾ [النحل: ١٢١]، وقال في نوح: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] وإذا وصف الله بالشكر في نحو قوله: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧] إنما يعني به إنعامه على عباده<sup>(٢)</sup>.

العلاقة بين الشكر والصبر:

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - الشكر يتضمن الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية وقال بعض الأئمة: الصبر يستلزم الشكر ولا يتم إلا به، وبالعكس فمتى ذهب أحدهما ذهب

(١) بصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٤، ٣٣٤) بتصريف شديد.

(٢) المفردات للراغب (٢٦٥ - ٢٦٦).

الآخر. فمن كان في نعمة ففرضه الشكر، والصبر<sup>(١)</sup>. أما الشكر فواضح، وأما الصبر فعن المعصية، ومن كان في بليّة ففرضه الصبر والشكر، أما الصبر فواضح، وأما الشكر فالقيام بحق الله في تلك البليّة، فإن الله على العبد عبوديّة في البلاء، كما له عليه عبوديّة في النعماء<sup>(٢)</sup>.

### الشكر والابتلاء (بالخيرات):

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - وقوله: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ أي نخبركم بالمصائب تارة وبالنعم تارة أخرى فننظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿وَتَبْلُوكُمْ﴾ يقول: نتليكم بالشر والخير فتنة بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهوى والضلال<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : كل ما يلقي العبد في هذه الدار لا يخلو من نوعين: أحدهما يوافق هواه ومراده، والآخر لا يوافق، وهو محتاج إلى الصبر في كل منهما (فإنه مختبر وممتحن).

**النوع الأول:** الموافق لغرضه فكالصحة والسلامة والجاه والمال وأنواع الملاذ المباحة وهو أحوج بشيء إلى الصبر فيها من وجوه: أحدها: أن لا يركن إليها ولا يغرّب بها، ولا تحمله على البطر والأشر والفرح المذموم الذي لا يحب الله أهله.

**الثاني:** أن لا ينهمك في نيلها ويبالغ في استقصائها، فإنها تنقلب إلى أضدادها.

**الثالث:** أن يصبر على أداء حق الله فيها ولا يضيعه فيسلبها.

**الرابع:** أن يصبر عن صرفها في الحرام فلا يمكن نفسه من كل ما تريده منها فإنها توقعه في الحرام، فإن احتراز كل الاحتراز أوقعته في المكروه، ولا يصبر على السراء إلا الصديقون.

قال بعض السلف: البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر ولا يصبر على العافية إلا الصديقون. وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ابتلينا بالضرّاء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والأزواج والأولاد وإنما كان الصبر على فتنة السراء أعظم لأنه مقرون بالقدرة، والجائع عند غيبة الطعام أقدر منه على الصبر عند حضوره<sup>(٤)</sup>.

(١) ففرضه الشكر والصبر: أي الواجب عليه الشكر والصبر.

(٢) الفتح (١١ / ٣١١).

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ١٧٨.

(٤) عدة الصابرين (٦٦٦٤) بتصرف يسير.

الفرق بين الشكر والحمد:

الشكر كالحمد في أنّهما وصف باللّسان بإزاء النّعمة، إلّا أنّ الحمد يكون باللّسان وبالقلب، بخلاف الشّكر فإنّه يقع بالجوارح. والنّعمة مقيّدة في الشّكر بوصولها إلى الشّاكر بخلافها في الحمد.

ويختصّ الشّكر بالله تعالى، بخلاف الحمد<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاعتراف بالفضل الشاء- الحمد- الطاعة- العبادة- الكلم الطيب.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الجحود- الإعراض- الغرور- الكبر والعجب- نكران الجميل- الكفر (كفر النعمة)].

\*\*\*

### من فوائد (الشكر)

- (١) من كمال الإيمان وحسن الإسلام إذ إنّ (٥) كثرة النّعم من المنعم لا يمكن أن يؤدّي نصف والنّصف الآخر الصبر.
- (٢) اعتراف بالمنعم والنعمة.
- (٣) سبب من أسباب حفظ النعمة بل المزيد.
- (٤) لا يكون باللّسان فقط بل اللّسان يعبر عمّا إليهم.
- (٥) يكسب رضا الرّبّ ومحبّته.
- (٦) الإنسان الشّكور قريب من النّاس حبيب.
- (٧) لا يكون باللّسان فقط بل اللّسان يعبر عمّا إليهم.
- (٨) في الجنان وكذلك يكون بعمل الجوارح (٨) فيه دليل على سموّ النّفس ووفور العقل.
- (٩) الشّكور قرير العين، يحبّ الخير للآخرين والأركان.
- ولا يحسد من كان في نعمة.

### الشهامة

#### الشهامة لغة:

مصدر: شهم شهامة وهو مأخوذ من مادّة (ش ه م) التي تدلّ على الذّكاء، يقول ابن فارس:

(١) الكليات للكفوي (٥٣٥).

الشين والهاء والميم أصل يدلّ على ذكاء، يقال من ذلك رجل شهم، وربّما قالوا للمذعور مشهوم، وهذا صحيح؛ لأنّه إذا تفرّج بدا ذكاء قلبه، ويقولون: إنّ الشّهام: السّعلاة فإن صحّ هذا فهو أيضا من الذّكاء.

الشّهم: الذّكيّ الفؤاد المتوقّد، الجلد، والجمع شهام، وقد شهم الرّجل، بالضمّ، شهامة وشهومة إذا كان ذكيا، فهو شهم أي جلد. والشّهم: السيّد النّجد النّافذ في الأمور، والجمع شهوم. وفرس شهم: سريع نشيط قويّ. وشهم الفرس يشهمه شهما: زجره. وقال الفراء: الشّهم في كلام العرب الحمول الجيّد القيام بما حمّل، الذي لا تلقاه إلّا حمولا طيّب النّفس بما حمّل وفي الحديث: كان شهما أي نافذا في الأمور ماضيا<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحا:

الحرص على ما يوجب الذّكر الجميل في العظام، وقال بعضهم: هي الحرص على الأمور العظام توقّعا للذّكر الجميل<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإغاثة - التناصر - الرجولة - الشجاعة - علو الهمة - قوة الإرادة - المواساة - النبل - النزاهة - المواساة - المروءة - العفة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإمعة - الجبن السفاهة - صغر الهمة].

\*\*\*

### من فوائد (الشهامة)

- (١) تورث الذّكر الجميل.
- (٢) تُنبئ عن علو الهمة وإبائه النّفس.
- (٣) تعود بالخير على صاحبها وعلى المجتمع.
- (٤) تعين على التّحلّي بالصفّات الحسنة.
- (٥) تدفع إلى أعلى المقامات وأرفع الدّرجات.
- (٦) تشيع الأمن والطّمانينة في المجتمع.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٢٣)، ولسان العرب (١٢/ ٣٢٨)، والنهاية لابن الأثير (٢/ ٥١٦).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٠٨).

## الشورى

## الشورى لغة:

اسم للمشاورة، وكلاهما مأخوذ من مادة (ش ور) التي تدلّ على أخذ شيء من شيء<sup>(١)</sup>، وقال بعض أهل اللغة: من هذا الباب شاورت فلانا في أمري، وهو مشتقّ من شور العسل وكأنّ المستشار يأخذ الرّأي من غيره، يقال: شاوره في الأمر مشاورة. طلب منه المشورة. وأشار به: عرفه. وأشار إليه وعليه بيده وبعينه وبحاجبه: أوماً. وأشار عليه بكذا: أمره وارتآه له، وبين له وجه المصلحة، ودلّه على الصّواب<sup>(٢)</sup>. وفي المصباح: أشار في كذا (أي جعل التّعدية ب (في) لا بالباء. واستشرته راجعته لأرى رأيه، فأشار عليّ بكذا أي أراني ما عنده فيه من المصلحة فكانت إشارته حسنة. والاسم: المشورة. والشورى: اسم من أشار عليه بكذا، بمعنى استخراج الرّأي. ومنه أهل المشورة ومجلس الشورى، وهي مصدر بمعنى التّشاور. والمشورة: الشورى، وكذا المشورة بضمّ الشين، تقول: شاوره في الأمر واستشاره بمعنى. وفلان خير شير أي يصلح للمشاورة. وجمعه شوراء، والمشيرة: الإصبع السّبابة<sup>(٣)</sup>.

## واصطلاحاً:

استنباط المرء الرّأي من غيره فيما يعرض له من مشكلات الأمور، ويكون ذلك في الأمور الجزئية التي يتردّد المرء فيها بين فعلها وتركها<sup>(٤)</sup>.

## شروط المستشار:

وقد اشترطوا لأهلية المستشار شروطاً خمسة: ١ - عقل كامل مع تجربة سالفة، قال أبو الأسود الدؤليّ:

وما كلّ ذي لبّ بمؤتيك نصحه ولا كلّ مؤت نصحه بلبيب  
ولكن إذا ما استجمعا عند صاحب فحقّ له من طاعة بنصيب

(١) مقياس اللغة (٣/ ٢٢٦)، قال ابن فارس ولهذه المادة معنى آخر هو إبداء شيء وإظهاره وعرضه مثل قولهم: شرت الدابة شورا إذا عرضتها، والمكان الذي يعرض فيه الدواب هو المشوار.

(٢) لسان العرب (٤/ ٤٣٧)، ومختار الصحاح (٣٥٠).

(٣) المصباح المنير للفيومي (٣٥٠ - ٣٥١).

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب (٢٩٤).

٢- أن يكون ذا دين وتقى: فقد ورد في الأثر عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: من أراد أمرا فشاور فيه امرءا مسلما وفقه الله لأرشد أموره.

٣- أن يكون ناصحا ودودا، فإن النصح والمودة يصدقان الفكرة ويمحضان<sup>(١)</sup> الرأي.

٤- أن يكون سليم الفكر من هم قاطع، وغم شاغل، فإن من عارضت فكره شوائب الهموم لا يسلم له رأي، ولا يستقيم له خاطر.

٥- ألا يكون له في الأمر المستشار فيه غرض يتابعه، ولا هوى يساعده، فإن الأغراض جاذبة والهوى صاّد<sup>(٢)</sup>، والرأي إذا عارضه الهوى وجاذبته الأغراض فسد<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإرشاد- التعاون على البر والتقوى- التناصر- القدوة الحسنة- النظام الاجتماع].

وفي ضد ذلك: انظر صفات: اتباع الهوى- التفرق- التنازع- التهاون- التفريط والإفراط].

\*\*\*

### من فوائد (الشورى)

(١) الشورى من مبادئ الإسلام السمحة في نظام الحكم.

(٢) النبي ﷺ شاور المؤمنين ليطيب بذلك قلوبهم وليشجعهم على المضي في نشر الدين والدعوة إلى الله ﻋﻠﻴﻪ ﺳﻼﻡ.

(٣) لقد مدح الله المؤمنين بانتهاجهم مبدأ الشورى بينهم.

(٤) الشورى: تبعث في الناس حبّ التعاون مع المسؤولين وتشجعهم على تحمّل مسؤولياتهم أمام مجتمعهم.

(٥) شورى- ما يدعونه- الديمقراطية تعتمد رأي الأكثرية مهما كان شأنها، وشورى الإسلام تعتمد رأي العلماء الأتقياء المخلصين من رجال الأمة.

(١) يمحصان: يخلصان الرأي.

(٢) صاّد: مانع صارف.

(٣) أدب الدنيا والدين (٢٦٢).

(٦) الشورى والتشاور كما تكون في الأمور العامة بين الحاكم والمحكومين تكون أيضا في الأمور الخاصة بين أفراد الأسرة في المجتمع.

(٧) إذا وردت النصوص الواضحة في المسألة فلا مشورة بعدها.

(٨) لا يستشار إلا من عرف بالأمانة والإخلاص والعلم.

(٩) من استشاره أخوه المسلم، فعليه أن ينصحه فيما يعلم.

## الصبر والمصابرة

### الصبر لغة:

مصدر صبر يصبر وهو مأخوذ من مادة (ص ب ر) التي تدل بحسب وضع اللغة على معان ثلاثة: الأول الحبس، والثاني: أعالي الشيء، والثالث: جنس من الحجارة، وقد اشتق الصبر المراد هنا من المعنى الأول وهو الحبس، يقال: صبرت نفسي على ذلك الأمر أي حبستها، والمصبورة المحبوسة على الموت، ومن الباب ما ورد من نهيه ﷺ عن قتل شيء من الدواب صبرا.

وقال الراغب: الصبر: الإمساك في ضيق، يقال صبرت الدابة بمعنى حبستها بلا علف، ويقال صبر فلان عند المصيبة صبرا وصبرته أنا حبسته. قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] أي احبس نفسك معهم.

وقال عنتره يذكر حربا كان فيها:

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو إذا نفس الجبان تطاع  
يقول: حبست نفسا صابرة<sup>(١)</sup>.

وقيل: أصل الكلمة من الشدة والقوة، ومنه الصبر للدواء المعروف بشدة مرارته وكرهته.

قال الأصمعي: إذا لقي الرجل الشدة بكمالها قيل لقيها بأصبارها، وقيل مأخوذ من الجمع والضم، فالصابر يجمع نفسه، ويضمها عن الهلع. والتصبر: تكلف الصبر<sup>(٢)</sup>.

(١) لسان العرب (٤/ ٤٣٨).

(٢) الصحاح للجوهري (٢/ ٧٠٦، ٧٠٧)، ولسان العرب، لابن منظور «ص ب ر» (٤/ ٤٣٨)، والمقاييس (٣/ ٣٢٩).

أما الصبر الجميل في قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]، فالمراد به الصبر الذي لا جزع فيه ولا شكوى<sup>(١)</sup>، وقال ابن جريج عن مجاهد إن المعنى: لا أشكو ذلك لأحد<sup>(٢)</sup>.

وقال مجاهد أيضا: «الصبر الجميل: الذي لا جزع فيه»<sup>(٣)</sup> وقال أبو حيان: المعنى: أتجمل لكم في صبري فلا أعاشركم على كآبة الوجه، وعبوس الجبين، بل على ما كنت عليه معكم (من قبل)<sup>(٤)</sup> وقال ابن تيمية: الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه<sup>(٥)</sup>.

### من معاني الصبر:

قال الفيروز ابادي: وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا، وإن كان في محاربة سمي شجاعة، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً، وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً<sup>(٦)</sup>، وإن كان عن شهوة الفرج سمي عفة، وإن كان عن شهوة طعام سمي شرف نفس، وإن كان عن إجابة داعي الغضب سمي حلماً<sup>(٧)</sup>.

قال ابن القيم: والاسم الجامع لذلك كله «الصبر» وهذا يدلّك على ارتباط مقامات الدين كلّها بالصبر<sup>(٨)</sup>.

### معنى اسم الله الصبور:

قال ابن منظور في أسماء الله تعالى: الصبور «وهو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام. وهو من أبنية المبالغة، ومعناه قريب من معنى الحليم. والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم. قال أبو إسحاق: الصبور في صفة الله تعالى: الحليم. وفي الحديث

(١) تفسير القرطبي ٩/ ١٥٢.

(٢) السابق ٩/ ٢٤٧.

(٣) تفسير ابن كثير مجلد ٢ ص ٤٨٩.

(٤) تفسير البحر المحيط ٥/ ٢٩٠.

(٥) انظر الأثر رقم ٨.

(٦) في الكلبيات للكفوي (٥٦٠)، والصبر في إمساك النفس عن الفضول قناعة.

(٧) بصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٨٣)، وانظر: التعريفات للجرجاني (ص ١٣١)، وفي المفردات للراغب (ص ٢٧٣): الصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه باختلاف مواقعه وزاد على ما هنا: وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحابة صدر ويضاده الضجر.

(٨) مدارج السالكين (٣/ ١٦٥).

«لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله ﷻ». أي أشدّ حلماً على فاعل ذلك وترك المعاقبة عليه<sup>(١)</sup>.  
قال الزّجاج: الصّبور فعول بمعنى فاعل، ومعنى الصّبر والصّبور في اسم الله تعالى قريب من معنى الحلِيم<sup>(٢)</sup>.

وقال الغزاليّ: الصّبور هو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه، بل ينزل الأمور بقدر معلوم ويجريها على سنن محدود، لا يؤخّرها عن آجالها المقدّرة لها، ولا يقدّمها على أوقاتها، بل يودع كلّ شيء في أوانه على الوجه الذي يجب أن يكون كما ينبغي<sup>(٣)</sup>.

#### الصبر اصطلاحاً:

قال الرّاعب: هو حبس النّفس على ما يقتضيه العقل والشّرع أو عمّا يقتضيان حبسها عنه. وقال الجاحظ: الصّبر عن الشّدائد خلق مركّب من الوقار والشّجاعة. وقال المناويّ: الصّبر: قوّة مقاومة الأهوال والآلام الحسيّة والعقليّة<sup>(٤)</sup>.

وقيل: هو حبس النّفس عن الجزع والتّسخط، وحبس اللّسان عن الشّكوى، وحبس الجوارح عن التّشويش.

وقيل: هو ترك الشّكوى من ألم البلوى لغير الله إلا إلى الله؛ لأنّ الله تعالى أثنى على أيّوب عليه السلام بالصّبر بقوله ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤] مع دعائه في دفع الضّر عنه بقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فعلم أنّ العبد إذا دعا الله تعالى في كشف الضّر عنه لا يقدر في صبره.

وقيل: هو خلق فاضل من أخلاق النّفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوّة من قوى النّفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.

وقيل: هو الثّبات على أحكام الكتاب والسّنّة.

وقيل: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

وقيل: هو الثّبات مع الله، وتلقّي بلائه بالرّحمة والسّعة.

(١) الصحاح للجوهري (٢/ ٧٠٦)، ولسان العرب (٤/ ٤٣٨)، التعريفات للجرجاني (١٣١).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٥).

(٣) المقصد الأسنى للغزالي (١٤٩).

(٤) مفردات الرّاعب (٥٢٧٣)، والتوقيف على مهمات التعاريف (٢١٢).

وقيل: هو ثبات القلب عند موارد الاضطراب<sup>(١)</sup>.

### مراتب الصبر:

قال الفيروز ابادي: مراتب الصبر خمسة: صابر ومصطبر، ومتصبر، وصبور، وصبّار. فالصّابر أعمّها، والمصطبر: المكتسب للصبر، المبتلى به، والمتصبر: متكلف الصبر حامل نفسه عليه، والصبور: العظيم الصبر الذي صبره أشد من صبر غيره، والصبّار: الشديد الصبر فهذا في القدر والكمّ والذي قبله في الوصف والكيف<sup>(٢)</sup>.

### أنواع الصبر:

قال أبو عمر: سألت الحلبي عن الصبر، قال: ثلاثة أنواع: الصبر على طاعة الجبار، والصبر عن معاصي الجبار، والصبر على الصبر على طاعته وترك معصيته<sup>(٣)</sup>. وقال ابن القيم: الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام: صبر الأوامر والطاعات حتى يؤديها، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها<sup>(٤)</sup>.

وقال الفيروز ابادي: الصبر على ثلاثة أنواع:

- (١) صبر بالله. (٢) صبر مع الله. (٣) صبر لله<sup>(٥)</sup>.

### أهمية الصبر:

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : «قد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعاً. وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، وجعل الإمامة في الدين موروثاً عن الصبر واليقين بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سجدة: ٢٤]. فإن الدين كله علم بالحق وعمل به، والعمل به لا بدّ

(١) مدارج السالكين (١/ ١٦٢، ١٦٣)، والتوقيف (٢١٢).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٧٨) ومدارج السالكين (٢/ ١٦٥).

(٣) ذكر في بصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٧٥) النوعين الأولين وعبر عن الثالث بقوله: صبر على امتحان الله.

(٤) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ١٦٥)، ودليل الفالحين (١/ ١٣٧).

(٥) البصائر (٣/ ٣٧٦).

فيه من الصبر. بل وطلب علمه يحتاج إلى الصبر. كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: عليكم بالعلم فإن طلبه لله عبادة، ومعرفة خشية، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، ومذاكرته تسبيح، به يعرف الله ويعبد، وبه يمجد الله ويوحد، يرفع الله بالعلم أقواما يجعلهم للناس قادة وأئمة يهتدون بهم وينتمون إلى رأيهم.

فجعل البحث عن العلم من الجهاد، ولا بد في الجهاد من الصبر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العصر]، وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾﴾. فالعلم النافع هو أصل الهدى، والعمل بالحق هو الرشد، وضد الأول الضلال، وضد الثاني الغي.

فالضلال العمل بغير علم، والغي اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم: ١، ٢] فلا ينال الهدى إلا بالعلم ولا ينال الرشد إلا بالصبر. ولهذا قال علي: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا انقطع الرأس بان الجسد، ثم رفع صوته فقال ألا لا إيمان لمن لا صبر له»<sup>(١)</sup>.

### المصابرة:

المصابرة مفاعلة - من الصبر، ويكثر استعمال هذه الصيغة - كما يقول الصبريون - في أحد أمرين؛ المشاركة في الأمر كما في نحو قاتل فلان فلانا أي أنهما اشتركا معا في القتال، الآخر: الموالاة والمتابعة في الأمر كما في قول الله تعالى: ﴿وَقَاسَمُهُمَا إِيَّيْكُمْ لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢١] أي والى في القسم<sup>(٢)</sup>، وعلى ذلك فإن المصابرة قد تعني:

١ - المشاركة في الصبر كأن يصبر الإنسان عن المعاصي، ويصبر الشيطان على الإغواء وحينئذ تكون الغلبة لأكثرهما صبرا.

٢ - موالاة الصبر ومتابعته سواء كان صبرا عن المعاصي أو صبرا على الطاعات.

(١) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) انظر في معاني هذه الصيغة: شذا العرف في فن الصرف للشيخ الحملاوي (٤١) وقد تفيد هذه الصيغة معان أخر، منها: التكثير والمبالغة كما في: ضاعفت الشيء بمعنى ضعفته.

وكما أمرنا المولى ﷺ بالصبر فقد أمرنا أيضا بالمصابرة في قوله عز من قائل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

فما معنى المصابرة التي أمرنا بها؟

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - إجابة عن هذا التساؤل: «قيل في قوله تعالى ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ .. الآية» أنه انتقال من الأدنى إلى الأعلى، فالصبر دون المصابرة<sup>(١)</sup>.

وقيل: اصبروا بنفوسكم على طاعة الله، وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله.

وقيل: اصبروا في الله، وصابروا بالله، (أي أن الصبر يكون في طاعة الله والمصابرة تكون في الاستعانة بالله).

وقيل: اصبروا على النعماء، وصابروا على البأساء والضراء وقال - رحمه الله تعالى - فالصبر مع نفسك، والمصابرة بينك وبين عدوك<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

وقال رحمه الله في تفسير الآية الكريمة مؤكدا هذا المعنى الأخير: أمرهم بالصبر، وهو حال الصابر في نفسه، والمصابرة مقاومة الخصم في ميدان الصبر، فإنها مفاعلة تستدعي وقوعها بين اثنين - كالمشاتمة والمضاربة<sup>(٤)</sup> - وهي إذن حال المؤمن في الصبر مع خصمه، أما المرابطة فهي الثبات وال لزوم والإقامة على الصبر والمصابرة، فقد يصبر العبد ولا يصابر، وقد يصابر ولا يرباط، وقد يصبر ويصابر ويرباط من غير تعبد بالتقوى، فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله: التقوى، وأن الفلاح موقوف عليها، فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وهذا الذي ذهب إليه ابن القيم هو عين ما رجحه الطبري عند ما قال: وأولى التأويلات في ذلك قول من قال: «اصبروا على دينكم وطاعة ربكم، وذلك أن الله لم يخصص من معاني الصبر على الدين والطاعة شيئا فيجوز إخراجه من ظاهر التنزيل، ومن ثم يكون الأمر بالصبر على جميع

(١) ويشير هذا إلى أن الصيغة «فاعل» تنفيذ الموالاة في الصبر والمبالغة فيه.

(٢) يشير بهذا القول إلى أن المراد بالمصابرة المشاركة في الصبر وكأن الإنسان يصبر على الجهاد مثلا (جهاد النفس أو جهاد العدو) فيصلب عليه بمثل ما صبر.

(٣) مدارج السالكين / ١ - ١٦٦، - ١٦٧.

(٤) يشير بذلك إلى المعنى الصبر في الأول للصيغة وقد ذكرناه آنفا.

(٥) التفسير القيم لابن قيم الجوزية ص، ٢١٧.

معاني طاعة الله فيما أمر ونهى صعبها وشديدها وسهلها وخفيفها، أمّا المصابرة فيقصد بها مصابرة الأعداء من المشركين لأنّ المعروف من كلام العرب في المفاعلة أن تكون من فريقين أو اثنين فصاعداً، ولا تكون من واحد إلا قليلاً، وإذا كان ذلك كذلك فإنّما أمر المؤمنون أن يصابروا غيرهم من أعدائهم وألا يكون عدوّهم أصبر منهم<sup>(١)</sup>.

وقال النيسابوري: المراد بالصبر جهاد النفس بالرياضات، وبالمصابرة: مراقبة القلب عند الابتلاءات<sup>(٢)</sup>.

وقال القرطبي: المصابرة: في قول زيد بن أسلم: «مصابرة الأعداء» وقال الحسن: «على الصلوات الخمس»، وقيل: إدامة مخالفة النفس عن شهواتها فهي تدعو وهي تنزع<sup>(٣)</sup>، وقال عطاء والقرظي (محمّد بن كعب): صابروا الوعد الذي وعدتم، أي لا تياسوا وانتظروا الفرج.

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - والقول الأوّل (أي قول زيد بن أسلم) هو رأي الجمهور، ومثله قول عنتره:

فلم أرحباً صابروا مثل صبرنا ولا كافحوا مثل الذين نكافح  
أي صابروا العدو في الحرب، ولم يبد منهم جبن ولا خور<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو حيّان: أمر الله تعالى بالصبر والمصابرة والرّباط، فقيل اصبروا وصابروا بمعنى واحد للتوكيد<sup>(٥)</sup>، ثم ذكر الآراء الأخرى التي ذكرها القرطبي<sup>(٦)</sup>، وذكر ابن كثير - رحمه الله تعالى - أنّ الصبر على الصلوات، والمصابرة على النفس والهوى<sup>(٧)</sup>.

قلت: ولا تنافي بين هذه الأقوال جميعاً لأنّ الصيغة تحتملها معاً، وقد قرّر علماء الأصول

(١) ذكر - رحمه الله تعالى - آراء عديدة في تفسير معنى الصبر والمصابرة، ثم وازن بينها ورجح أولى الآراء بالقبول، انظر هذه الآراء في المجلد ٣ ج ٤ ص ١٤٨، ١٤٩.

(٢) تفسير النيسابوري (بهامش الطبري) مجلد ٤ ج ٤ ص ١٧٥.

(٣) يشير صاحب هذا الرأي إلى أن معنى المفاعلة هنا هو المداومة.

(٤) تفسير القرطبي (٤/ ٣٢٢ - ٣٢٣).

(٥) وهو يشير هنا إلى أن الصيغة تفيد معنى التكثير والمبالغة.

(٦) انظر تفسير البحر المحيط (٣/ ١٥٦).

(٧) تفسير ابن كثير (١/ ٤٥٤).

«أن المعاني المحتملة (لللفظ أو الصيغة) مرادة لله تعالى»<sup>(١)</sup>.

### من مظاهر المصابرة:

ذكر ابن القيم وغيره للمصابرة صوراً عديدة، وأشكالاً متنوّعة، ذكرناها فيما سبق، ونضيف إليها:

١- المثابرة في إنجاز الأعمال والمواظبة عليها، طالما أنّ هذا العمل في طاعة الله تعالى، وفي هذا يلتقي معنى الاصطبار مع المصابرة، قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥]، وقال تعالى ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

٢- متابعة الأعمال وعدم اليأس من إنجازها لما في هذا من إدامة للصبر عليها، وانتظار للفرج الموعود في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]<sup>(٢)</sup>.

### الصبر على الابتلاء:

الابتلاء في اللغة مصدر قولهم: ابتلى الله العبد ابتلاءً إذا اختبره في صبره وشكره<sup>(٣)</sup>.

أمّا في الاصطلاح فقد قال الكفوي: الابتلاء في الأصل هو التّكليف بالأمر الشّاقّ لكنّه لمّا استلزم الاختبار إلى من يجهل العواقب ظنّ ترادفهما<sup>(٤)</sup>، وقال المناوي: البلاء كالبليّة: الامتحان، وسمّي الغمّ بلاءً لأنّه يبلي الجسم<sup>(٥)</sup>. وقال بعض الباحثين المحدثين: الابتلاء هو المظهر العمليّ لعلاقة العبوديّة بين الله والإنسان، ومعنى هذه العلاقة كمال الطّاعة لكمال المحبّة، والحياة الدّنيا هي الزّمن المقرّر لهذا الابتلاء، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ [الملك: ٢]<sup>(٦)</sup>. وينقسم الابتلاء إلى قسمين:

الأوّل: الابتلاء بالشّرّ، وهو مناط الصّبر.

(١) انظر في هذه القاعدة الأصولية الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/ ٢٢٧)، وانظر أيضاً المبحث الخامس «المعاني المحتملة مرادة» من كتاب بحوث في علوم القرآن لعبد الغفور جعفر (٢٠٥-٢٢٩).

(٢) قال في مختار الصحاح «المثابرة على الأمر: المواظبة عليه، انظر مادة «ث ب ر» (٨٣) ط. دار الكتب المصرية.

(٣) انظر في المعنى اللغوي للابتلاء: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (١/ ٢٩٢)، وقارن بالصحاح (٦/ ٢٢٨٤).

(٤) معنى الترادف: هو أن يكون للابتلاء والاختبار المعنى نفسه.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف (٨٣).

(٦) ماجد الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية (١٦٣).

الثاني: الابتلاء بالخير، وهو مناط الشكر<sup>(١)</sup>.

وفيما يتعلّق بالنوع الأوّل، فإنّه يشمل الابتلاء بالمحن والكوارث ونقص الأموال والأنفس والثّمرات مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وهنا يكون الصبر والرّضا هما المقياس الحقيقيّ للإيمان الصادق.

### ضرورة الابتلاء بالشرّ:

قال ابن القيم رحمه الله: سأل رجل الشافعي رحمه الله - فقال: يا أبا عبد الله، أيهما أفضل للرجل أن يمكن (فيشكر الله ﷻ) أو يتلى (بالشرّ فيصبر)؟

فقال الشافعي: لا يمكن حتّى يتلى، فإن الله ابتلى نوحا وإبراهيم ومحمّدا - صلوات الله عليهم أجمعين - فلما صبروا مكّنهم، فلا يظنّ أحد أن يخلص من الألم البتّة<sup>(٢)</sup>.

### الصبر والمصابرة في القرآن الكريم:

ورد الصبر في القرآن الكريم في سياقات عديدة منها:

١ - الثناء على أهله كقوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٢ - الاستجابة لأمر الله تعالى بالصبر وإيجاب معيّته لهم تلك المعية التي تتضمّن حفظهم لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٣ - الإخبار أنّ أهل الصبر مع أهل العزائم ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ [الشورى: ٤٣].

٤ - يورث صاحبه الإمامة ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤].

٥ - اقترانه بمقامات الإسلام والإيمان<sup>(٣)</sup>.

٦ - إطلاق البشرى لأهل الصبر على الابتلاء بمصائب الحياة الدّنيا ومصاعبها بأنّ جزاءهم

(١) انظر صفة الشكر (٢٣٩٧) من هذا المجلد، وقارن بصفة «تكريم الإنسان» (١١٣٥).

(٢) الفوائد لابن القيم (٢٨٣) (بتصرف يسير).

(٣) لم يذكر الفيروز آبادي آية معينة لهذا المعنى، ويمكن التمثيل لذلك بقوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَاصْبِرُوا وَرَاطِبُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

على صبرهم هو الحصول على صلوات من ربهم ورحمة وهداية إلى السراط المستقيم بإذن الله  
كقوله تعالى: ﴿وَلَنَبِّئَنكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ  
الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

٧- إن الصابرين بأنفسهم على طاعة الله والتكاليف المنوطة بهم والتقوى ومجاهدة النفس  
ونهبها عن الهوى وتركيتها ومحاسبتها ومراقبتها عند الابتلاءات جزاؤهم أن يوفى لهم أجورهم  
بغير حساب لقوله تعالى: ﴿أَمْزَنَ هُوَ فَبِئْتِ أُنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ [الزمر: ٩، ١٠]، وأولئك الصابرين  
لهم عقبى الدار، لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤].

٨- ضمان النصر والمدد لهم كقوله: ﴿بَلِّغْ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ  
رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥] <sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التآني- الثبات- الحلم- الزهد- العفة- كتمان السر-  
الاحتساب- الرضا- الاستعانة- مجاهدة النفس- محاسبة النفس.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الجزع- العجلة القنوط- اليأس- إفشاء السر- الوهن].

\*\*\*

### من فوائد (الصبر والمصابرة)

- (١) ضبط النفس عن السأم والملل، لدى القيام (٣) ضبط النفس عن الغضب والطيش، لدى  
بأعمال تتطلب الدأب والمثابرة خلال  
مدّة مناسبة، قد يراها المستعجل مدّة  
طويلة.
- (٢) ضبط النفس عن العجلة والرّعونّة، لدى  
العمل.
- (٤) ضبط النفس عن الخوف لدى مثيرات  
المعنويّة.
- (٤) ضبط النفس عن الخوف لدى مثيرات  
الخوف في النفس.

- (٥) ضبط النفس عن الطَّمع لدى مثيرات (١٠) يثمر محبة الله ومحبة الناس.  
الطَّمع فيها<sup>(١)</sup>.
- (٦) ضبط النفس عن الاندفاع وراء أهوائها (١٢) الفوز بالجنة والنَّجاة من النَّار.  
وشهواتها وغرائزها. (١٣) معية الله للصَّابرين.
- (٧) ضبط النفس لتحمل المتاعب والمشقات (١٤) الأمان من الفزع الأكبر يوم القيامة.  
والآلام الجسدية والنفسية، كلما كان في هذا التحمل خير عاجل أو آجل.
- (٨) دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام. (١٦) صلاة الله ورحمته وبركاته على  
الصَّابرين. (٩) يورث هداية في القلب.

## الصدق

### الصدق لغة:

مصدر قولهم صدق يصدق صدقا<sup>(٢)</sup> وهو مأخوذ من مادة (ص د ق) التي تدل على قوة في الشيء قولاً أو غير قول، من ذلك الصدق خلاف الكذب لقوته في نفسه ولأن الكذب لا قوة له، وهو باطل، وأصل هذا من قولهم. شيء صدق، أي صلب<sup>(٣)</sup>، ورمح صدق، ويقال صدقوهم القتال، وفي خلاف ذلك كذبوهم، وقال الراغب: الصدق والكذب أصلهما في القول ماضيا كان أو مستقبلا وعدا كان أو غيره، ولا يكونان في القول إلا في الخبر دون غيره من أصناف الكلام ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] وقال ابن منظور: الصدق: نقيض الكذب، يقال: صدقه الحديث: أنبأ بالصدق، وصدقت القوم: قلت لهم صدقا، ورجل صدوق أبلغ من

(١) الفوائد من (١-٥) عن كتاب الأختلاف الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (٣٠٦-٣٠٧) بتصرف يسير.

(٢) في اللسان أنه يقال أيضا صدقا بفتح الصاد وتصداقا وما ذكرناه أشهر - لسان العرب «ص د ق» (١٠/١٩٣).

(٣) لم يرتض ابن درستويه هذا الاشتقاق فقال: ليس الصدق من الصلابة في شيء ولكن أهل اللغة أخذوه (أي هذا المعنى) من قول النابغة: في حالك اللون صدق غير ذي أود قال: وإنما الصدق: الجامع للأوصاف المحمودة... قال الخليل: الصدق الكامل من كل شيء. انظر اللسان (١٠/١٩٦) ط. بيروت.

الصَّادِق، والصَّديق الدائم التَّصديق، ويكون أيضا الَّذي يصدِّق قوله بالعمل، والصَّديق المبالغ في الصِّدق<sup>(١)</sup>.

والصَّديقون في قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] جمع صديق، وهو المبالغ في الصِّدق أو التَّصديق أو هو الَّذي يحقِّق بفعله ما يقوله بلسانه، وقيل: هم فضلاء أتباع الأنبياء الَّذين يسبقون إلى تصديقهم كأبي بكر رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>. أمَّا الصَّادِقون الَّذين أمرنا المولى بأن نكون معهم في قوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] فهم الَّذين خرجوا مع النبي صلَّى الله عليه وآله لا مع المنافقين، والمعنى: كونوا على مذهب الصَّادقين وسيلهم، وقيل: هم الأنبياء، وقيل: هم الموفون بما عاهدوا، وقيل: هم المهاجرون، وقيل: هم الَّذين استوت ظواهرهم مع بواطنهم<sup>(٣)</sup>، والَّذي جاء بالصِّدق وصدِّق به في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

فقد قيل في تفسيره: الَّذي جاء بالصِّدق هو رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وقيل: جبريل عليه السلام. أمَّا الَّذي جاء به فهو محمَّد صلَّى الله عليه وآله جاء بالصِّدق أي جاء بـ«لا إله إلا الله» وروي عن مجاهد قوله «الَّذي جاء بالصِّدق وصدِّق به» هم أصحاب القرآن والمؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون: هذا ما أعطيتمونا فعملنا فيه بما أمرتمونا» قال ابن كثير: وهذا القول عن مجاهد يشمل كلَّ المؤمنين، فإنَّ المؤمنين يقولون الحقَّ ويعملون به، والرَّسول صلَّى الله عليه وآله أولى النَّاس بالدَّخول في هذه الآية؛ لأنَّه جاء بالصِّدق وصدِّق المرسلين وآمن بما أنزل إليه من ربِّه والمؤمنون كلَّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله. وحكي عن زيد بن أسلم: أنَّ الَّذي جاء بالصِّدق هو الرَّسول صلَّى الله عليه وآله وأنَّ الَّذي صدِّق به هم المسلمون<sup>(٤)</sup>.

### الصدق اصطلاحاً:

قال الرَّاعِب: الصِّدق مطابقة القول الضَّمير والمخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم

(١) المقاييس (٣/ ٣٣٩)، والمفردات للراغب (٢٧٧)، ولسان العرب لابن منظور (١٠/ ١٩٢).

(٢) باختصار وتصرف يسير عن القرطبي (٥/ ٢٧٢).

(٣) المرجع السابق (٨/ ٢٨٨) بتصرف واختصار.

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٨ - ٥٩).

يكن صدقا تامًا، بل إمّا ألا يوصف بالصدق، وإمّا أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على نظرين مختلفين، كقول كافر إذا قال من غير اعتقاد: محمّد رسول الله، فإنّ هذا يصحّ أن يقال: صدق لكون المخبر عنه كذلك، ويجوز أن يقال كذب لمخالفة قوله ضميره، وبالوجه الثّاني، إكذاب الله المنافقين حيث قالوا ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] <sup>(١)</sup>.

وقال الجرجاني: مطابقة الحكم للواقع، وهذا هو ضدّ الكذب <sup>(٢)</sup>.  
وقيل: استواء السرّ والعلانية والظاهر والباطن بألا تكذب أحوال العبد أعماله، ولا أعماله أحواله.

وجعلوا الإخلاص لازماً، والصدق أعمّ، فقالوا: كلّ صادق مخلص، وليس كلّ مخلص صادقاً.

وسئل الجنيد رحمته الله عن الصدق والإخلاص أيهما واحد أم بينهما فرق؟ فقال: بينهما فرق. الصدق أصل، والإخلاص فرع، والصدق أصل كلّ شيء، والإخلاص لا يكون إلا بعد الدّخول في الأعمال، والأعمال لا تكون مقبولة إلاّ بهما <sup>(٣)</sup>.

قال القشيري: الصدق أن لا يكون في أحوالك شوب <sup>(٤)</sup>، ولا في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب.

وقد لخصّ الماوردي رحمته الله دواعي الصدق فقال:

- ١- العقل: من حيث كونه موجبا لقبح الكذب.
- ٢- الشّرع: حيث ورد بوجوب اتّباع الصدق وحظر الكذب، والله سبحانه لم يشرع إلاّ كلّ خير.
- ٣- المروءة: لأنّها مانعة من الكذب باعثة على الصدق.
- ٤- حبّ الاشتهار بالصدق: فمن يتمتّع بهذا الاشتهار بين النّاس، لا يردّ عليه قوله، ولا يلحقه ندم <sup>(٥)</sup>.

(١) المفردات للراغب (٢٧٧).

(٢) التعريفات للجرجاني (١٣٢).

(٣) دليل الفالحين (١ / ٢٠٢).

(٤) الشوب: هو ما اختلط بغيره من الأشياء.

(٥) أدب الدنيا والدين (٢٦١ - ٢٦٢).

## مجالات الصدق:

قال ابن القيم رحمته: والصدق ثلاثة: قول وعمل وحال.  
فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها.  
والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد.  
والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص. واستفراغ الوسع  
وبذل الطاقة.

فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق. وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به  
تكون صديقته. كما فعل أبو بكر - رضي الله تعالى عنه -<sup>(١)</sup>.  
وقد أخبر - سبحانه - أنه أكرم عباده المتقين بأن جعل لهم: مدخل صدق ومخرج صدق  
ولسان صدق وقدم صدق ومقعد صدق.

وحقيقة الصدق في هذه الأشياء هو الحق الثابت المتصل بالله، الموصل إلى الله. وهو ما كان  
به وله من الأقوال والأعمال. وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup>.

قال الفيروز ابادي: والصدق: الرجل الكثير الصدق. وقيل: الصديق: من لم يصدر منه  
الكذب أصلاً. وقيل: من صدق بقوله واعتقاده، وحقق صدقه، قال تعالى في حق إبراهيم: ﴿إِنَّهُ كَانَ  
صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١].

فالصدقون: قوم دون الأنبياء في الفضيلة، ولكن درجاتهم ثاني درجة النبيين. وفي الجملة،  
منزلة الصدق من أعظم منازل القوم، الذي نشأ منه جميع منازل السالكين. وهو الطريق الأقوم  
الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين. وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان  
الجنان من أهل النيران. وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعته، ولا واجه  
باطلاً إلا أزاله وصرعه. فهو روح الأعمال، ومحل الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال،  
والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال<sup>(٣)</sup>.

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٨١).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٨٢).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٩٧-٣٩٨).

الرسول ﷺ إمام الصادقين:

لقد كانت حياته ﷺ أفضل مثال للإنسان الكامل الذي اتَّخذ من الصدق في القول والأمانة في المعاملة خطأ ثابتاً لا يحيد عنه قيد أنملة، وقد كان ذلك فيه بمثابة السَّجِيَّة والطَّبع فعرَّف بذلك حتَّى قبل البعثة، وكان لذلك يلقَّب بالصادق الأمين، واشتهر بهذا وعرف به بين أقرانه، وقد اتَّخذ ﷺ من الصدق الذي اشتهر به بين أهله وعشيرته مدخلاً إلى المجاهرة بالدعوة، إذ إنَّه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] جمع أهله وسألهم عن مدى تصديقهم له إذا أخبرهم بأمر من الأمور، فأجابوا بما عرفوا عنه قائلين: ما جرَّبنا عليك إلا صدقا، روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾... [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصِّفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» لبطن قريش حتَّى اجتمعوا، فجعل الرَّجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدِّقي؟». قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلا صدقا. قال: «فإنِّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد».

فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتمنا؟

فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١، ٢].

وقد كان الصدق من خصائص أقواله ﷺ، يقول صاحب جلاء الأفهام ما خلاصته: لقد كان ﷺ محفوظ اللسان من تحريف في قول واسترسال في خبر يكون إلى الكذب منسوبا وللصدق مجانبا..

وكانت قريش كلَّها تعرف عنه ذلك، ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرِّسالة لجعلوها دليلاً على تكذيبه في الرِّسالة، ومن لزم الصدق في صغره كان له في الكبر ألزم، ومن عصم منه في حق نفسه كان في حقوق الله أعصم<sup>(١)</sup>.

وبعد البعثة المباركة كان تصديق الوحي له مدعاة لأن يطلق عليه أصحابه «الصادق المصدوق»<sup>(٢)</sup>، وصدق الله ﷻ إذ قال: ﴿مَاضِلٌ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٢-٤].

(١) انظر: الخصلة السادسة من فضائل أقواله ق (٤٤٣) من هذه الموسوعة.

(٢) انظر الحديث رقم (٣٦) الذي جاء فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه «سمعت الصادق المصدوق ﷺ...».

تسمية أبي بكر رضي الله عنه بالصدّيق:

لما كان حادث الإسراء والمعراج، وأخبر به المصطفى صلّى الله عليه وآله قريشا، اختلف الناس بين مصدّق ومرتاب، ومندهش ومتحير، وقد ارتدّ نفر عن الإسلام عند ما حكّموا عقولهم القاصرة، وتجاربههم التي ألفوها، لكنّ أبا بكر عند ما أخبر بذلك لم يخالجه شكّ أو يقع في نفسه ريب وأعلن بملء فيه أنّ الرّسول صادق فيما أخبر به، وقد روى الحاكم في المستدرک عنه قوله: «لئن قال ذلك لقد صدق». فتعجّبوا وقالوا: أو تصدّقه أنّه ذهب اللّيلة إلى بيت المقدس وعاد قبل أن يصبح؟ فقال: «وما يعجّبكم من ذلك! فو الله إنّي لأصدّقه بما هو أبعد من ذلك، أصدّقه في خبر السّماء في غدوة أو روحة» ثمّ أقبل على النّبّي صلّى الله عليه وآله يسأله عن وصفه، وكلّما ذكر شيئا قال: صدقت. أشهد أنّك رسول الله، فقال النّبّي صلّى الله عليه وآله: «وأنت يا أبا بكر الصدّيق»<sup>(١)</sup> فمنئذ سمي بالصدّيق، وقيل سمي بالصدّيق لتصدّيقه هذه الواقعة حين كذبها الناس<sup>(٢)</sup>.

#### فضل الصدق وأثره:

قال صاحب البصائر: أمر الله سبحانه أهل الإيمان أن يكونوا مع الصّادقين، وخصّص المنعم عليهم بالنّبیین والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين، فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّدّيقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصّدّيقِينَ وَالشّهداءِ وَالصّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]، فهم أهل الرّفيق الأعلى، وحسن أولئك رفيقا ولا يزال الله يمدّهم بنعمه وألطافه، ويزيدهم إحسانا منه وتوفيقا، ولهم مزية المعية مع الله، فإنّ الله تعالى مع الصّادقين. وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم من الإيمان، والإسلام، والصدّقة، والصّبر، وبأنّهم أهل الصدق فقال: ﴿وَلَكِنَّ الْإِبْرَءَانَ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧] إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، وهذا صريح في أنّ الصدق بالأعمال الظّاهرة والباطنة، وأنّ الصدق هو مقام الإسلام والإيمان.

وقسم سبحانه الناس إلى صادق ومنافق، فقال: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصّدّيقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ

الْمُنْفِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

(١) المستدرک (٣/ ٦٢ - ٦٣)، وانظر أيضا سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٩).

(٢) الرحيق المختوم (٢٧).

والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما يحارب الآخر. وأخبر سبحانه أنه في القيامة لا ينفع العبد وينجيّه من عذابه إلا صدقه، فقال تعالى:

﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَجَزِيَّتَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [الزمر: ٣٣-٣٥]، والذي جاء بالصدق هو من شأنه الصدق في قوله، وعمله، وحاله.

وقد أمر سبحانه رسوله أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق، فقال: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٠].

لسان الصدق - قدم الصدق - مدخل ومخرج الصدق - مقعد الصدق: وأخبر عن خليله إبراهيم عليه السلام، أنه سأله أن يجعل له لسان صدق في الآخرين. وبشر عباده أن لهم قدم صدق، ومقعد صدق؛ فقال: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءٰمَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَسَبُوا صِدْقًا وَأَنَّهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: ٢]، وقال: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥]. فهذه خمسة أشياء: مدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق، ومقعد الصدق، وقدم الصدق. وحقبة الصدق في هذه الأشياء هو الحق الثابت المتصل بالله، الموصل إلى الله، وهو ما كان به وله من الأعمال والأقوال. وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة.

أما لسان الصدق فهو الثناء الحسن من سائر الأمم بالصدق وليس بالكذب؛ كما قال عن بعض الأنبياء: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٠]، والمراد باللسان ههنا الثناء الحسن، فلما كان باللسان وهو محله عبر عنه به؛ لأن اللسان يراد به ثلاثة معان: هذا، واللغة كقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ۗ ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقوله - عز من قائل -: ﴿ وَأَخْتَلَفُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴾ [الروم: ٢٢]، ﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَكْرِبِيٌّ ﴾ [النحل: ١٠٣]، ويراد به الجارحة نفسها كقوله: ﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ ﴾ [القيامة: ١٦].

وأما قدم الصدق ففسر بالجنة، وفسر بمحمد ﷺ، وفسر بالأعمال الصالحة. وحقبة القدم: ما قدموه، ويقدمون عليه يوم القيامة، وهم قدموا الأعمال والإيمان بمحمد ﷺ، ويقدمون على الجنة؛ ومن فسره بالأعمال وبالنبى ﷺ فلا تهم قدموها، وقدموا الإيمان به بين أيديهم.



وأما مقعد الصدق، فهو الجنة عند ربهم تبارك وتعالى .  
ووصف ذلك كله بالصدق مستلزم ثبوته واستقراره، وأنه حق، وأنه متصل بالحق سبحانه،  
كان به وله .

فمدخل الصدق ومخرج الصدق أن يكون دخوله وخروجه حقًا ثابتًا لله تعالى ومرضاته،  
متصلاً بالظفر ببغيته، وحصول المطلوب، وهو ضدّ مخرج الكذب ومدخله الذي لا غاية له  
يوصل إليها. ولا له ساق ثابتة يقوم عليها؛ كمخرج أعدائه يوم بدر. ومخرج الصدق كمخرجه هو  
وأصحابه في ذلك الغزو. وكذلك مدخله المدينة كان مدخل صدق بالله والله وابتغاء مرضاة الله،  
فاتصل به التأيد، والظفر، والنصر، وإدراك ما طلبه في الدنيا والآخرة؛ بخلاف مدخل الكذب الذي  
رام أعداؤه أن يدخلوا به المدينة يوم الأحزاب؛ فإنه لم يكن بالله ولا لله بل محاذاة لله ورسوله ﷺ،  
فلم يتصل به إلا الخذلان والبوار.

وكذلك مدخل من دخل من اليهود والمحاريبين لرسول الله ﷺ حصن بني قريظة؛ فإنه لما  
كان مدخل كذب أصابهم منه ما أصابهم. وكلّ مدخل ومخرج كان بالله والله وصاحبه ضامن على  
الله، فهو مدخل صدق ومخرج صدق، ولذلك فسّر مدخل الصدق ومخرجه بخروجه من مكة،  
ودخوله المدينة. ولا ريب أن هذا على سبيل التمثيل؛ فإن هذا المدخل والمخرج من أجل مداخله  
ومخارجه ﷺ؛ وإلا فمدخله ومخارجه كلّها مداخل صدق ومخارج صدق إذ هي بالله، والله،  
وبأمره، ولا بتغاء مرضاته. وما خرج أحد من بيته أو دخل سوقاً أو مدخلاً آخر إلا بصدق أو كذب.  
فمدخل كلّ أحد ومخرجه لا يعدو الصدق والكذب.

فهو صدق غير كذب، وحقّ غير باطل، ودائم غير زائل، ونافع غير ضارّ، وما للباطل  
ومتعلقاته إليه سبيل ولا مدخل.

#### علامة الصدق:

من علامات الصدق طمأنينة القلب إليه، ومن علامات الكذب حصول الريبة؛ كما في  
الترمذي مرفوعاً: «الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»، وفي الصحيحين: «إنّ الصدق يهدي إلى البرّ،  
وإنّ البرّ يهدي إلى الجنة وإنّ الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإنّ الرجل ليكذب حتى  
يكتب عند الله كذاباً»، فجعل الصدق مفتاح الصّدقيّة ومبدأها، وهي غايته، فلا ينال درجتها كاذب  
البتّة، لا في قوله، ولا في عمله، ولا في حاله. ولا سيّما كاذب على الله في أسمائه وصفاته، بنفي ما

أثبتته لنفسه، أو بإثبات ما نفاه عن نفسه، فليس في هؤلاء صدّيق أبداً، وكذلك الكذب عليه في دينه، وشرعه بتحليل ما حرّمه، وتحريم ما أحلّه، وإسقاط ما أوجبّه، وإيجاب ما أسقطه، وكرهه ما أحبّه، واستحباب ما لم يحبّه، كلّ ذلك مناف للصّدقيّة. وكذلك الكذب معه في الأعمال بالتحلّي بحلية الصادقين المخلصين، الزاهدين المتوكّلين وليس منهم. وكانت الصّدقيّة كمال الإخلاص، والانقياد والمتابعة في كلّ الأمور؛ حتّى إنّ صدق المتبايعين يحلّ البركة في بيعهما، وكذبهما يمحو بركة بيعهما. كما في الصّحيحين: قال رسول الله ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرّقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما»<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإخلاص - الأمانة - البر - الوفاء - الإيمان - الاستقامة - الطمأنينة - إقامة الشهادة - اليقين].

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الكذب - الافتراء - الإفك - البهتان - الخيانة - نقض العهد - الغدر - شهادة الزور].

\*\*\*

### من فوائد (الصدق)

- (١) الصّدق طريق الأبرار إلى الجنّة.
- (٢) الصّادقون هم أحبّاب الله المقربون.
- (٣) مدح الله أنبياءه وخلّاصه بأنهم مصدّقون
- (٤) الصّادقون يحبّهم النّاس ويثقون بهم
- (٥) الصّادق يعتزّ بنفسه ويرفع نفسه بين أفراد مجتمعه.
- (٦) الصّدق يرفع الأعمال ويعلي شأنها.
- (٧) الصّدق دليل القوّة وسمة الثّقة بالنفس.
- (٨) الصّدق منجاة والكذب مهوأة.
- (٩) الصّدق في الحديث يجعله مؤثراً في القلوب.
- (١٠) الصّادق محشور مع النّبیین والشّهداء والصّالحين.

(١) بصائر ذوي التمييز (٣٩٨-٤٠٣)، وقارن بمدارج السالكين (٢/ ٢٨١) وما بعدها.

## الصدقة

## الصدقة لغة:

اسم لما يتصدق به وهو مأخوذ من مادة (ص د ق) التي تدل على قوّة في الشيء قولاً أو غيره، ومن ذلك أخذ الصدق لقوّته في نفسه، ومن الصدق أخذت الصدقة، لأنها تدل على صدق العبوديّة لله - تعالى - والصدقة ما تصدّقت به على الفقراء (أو المساكين)، والمتصدّق هو الذي يعطي الصدقة، ولا يقال ذلك للذي يسأل الصدقة ليأخذها، والعامّة تغلط في ذلك، وقال بعض أهل اللغة: إنّ المتصدّق يقال للاثنين جميعاً أي الذي يعطي الصدقة والذي يسألها، والمتصدّق يقال به على معنيين: الذي يصدّقك في حديثك، والذي يأخذ صدقات الغنم (ونحوها)، وقول الله - تعالى -: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ [الحديد: ١٨] بتشديد الصاد أصله المتصدّقين فقلبت التاء صاداً وأدغمت في الصاد، والصدقة ما أعطيتها في ذات الله للفقراء، يقال تصدّق عليه (أعطاه الصدقة)، وفي الحديث لما قرأ القارئ قوله تعالى: ﴿وَلَتَنْظُرَنَّهُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨].

قال ﷺ: «تصدّق رجل من ديناره، ومن درهمه، ومن ثوبه»، أي ليتصدّق، لفظه الخبر، ومعناه الأمر كقولهم: أنجز حرّاً ما وعد، أي لينجز. ويقال صدّق عليه في معنى تصدّق كما في قوله ﷺ: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ [القيامة: ٣١]، وفي حديث الزكاة لا تؤخذ في الصدقة هرمة ولا تيس إلا أن يشاء المصدّق.

رويت بفتح الصاد مخففة وبفتح الدال وكسرها، فعلى رواية فتح الدال - وهي لأبي عبيد - صاحب الماشية وعلى رواية الكسر - وهي للجمهور - عامل الزكاة، وقال أبو موسى (المديني): الرواية بتشديد الصاد مفتوحة، وتشديد الدال مكسورة وهو صاحب المال وأصله المتصدّق، والصدقة في هذا الحديث هي المفروضة أو الواجبة، قال الراغب: وقد يسمّى الواجب صدقة إذا تحرّى صاحبها الصدق في فعله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، ويقال أيضاً لما يتجافى عنه الإنسان من حقّه: تصدّق به، وذلك قوله ﷺ: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقوله - عزّ من قائل -: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. أجرى ما يسامح به المعسر مجرى الصدقة، وعلى هذا ما ورد

عن النبي ﷺ: «ما تأكله العافية<sup>(١)</sup> فهو صدقة»، وقول الله ﷻ: ﴿فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] ويحتمل أن يكون من الصدق أو من الصدقة<sup>(٢)</sup>.

### واصطلاحاً:

قال الجرجاني: هي العطية يتغى بها المثوبة من الله - تعالى - وقال الراغب: ما يخرج الإنسان من ماله على وجه القرية كالزكاة، لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به، والزكاة للواجب<sup>(٣)</sup>.

وقال التهانوي: الصدقة: عطية يراد بها المثوبة لا التكرمة؛ لأن بها يظهر الصدق في العبودية، وهي أعم من الزكاة، وقد تطلق عليها أيضاً<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإيمان - الإخلاص التقوى - الإسلام - اليقين - الأمانة - البر - الوفاء - الاستقامة - الطمأنينة - إقامة الشهادة - الزكاة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: البخل - الشح الجحود - قطيعة الرحم - الكنز - نكران الجميل].

\*\*\*

### من فوائد (الصدقة)

- (١) طهرة للنفس، وقربة إلى الله ﷻ.
- (٢) طريق موصل إلى محبة الله ورضوانه.
- (٣) تثمر سعادة الدين والدنيا.
- (٤) دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- (٥) حفظ الإنسان في ماله وبدنه.
- (٦) دليل على الزهد.
- (٧) طاعة لله ورسوله ﷺ.
- (٨) باب من أبواب التكافل الاجتماعي.
- (٩) تثمر محبة الناس.

(١) العافية والعافي كل طالب رزق من إنسان أو بهيمة أو طائر. وجمعها العوافي، انظر النهاية (٣/ ٢٦٦).  
 (٢) بتصريف يسير من المراجع الآتية: مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٣٣٩)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٥٠٦)، ولسان العرب، لابن منظور (ص ٢٤١٩) (ط. دار المعارف)، والمفردات، للراغب (ص ٢٧٨).  
 (٣) التعريفات، للجرجاني (١٣٨)، والمفردات للراغب (٢٧٨)، وقارن بالتوقيف على مهمات التعريف، للمناوي (٢١٤).  
 (٤) كشف اصطلاحات الفنون، للتهانوي (٤/ ٢٦٠).

## الصفح

## الصفح لغة:

الصفح مصدر «صفح يصفح» إذا عرض عن الذنب وتجاوز عنه، فهو من مادة (ص ف ح) التي تدلّ علي عرض الشيء، ومن ذلك صفح الشيء عرضه، والصفح الجنب، وصفحاً كل شيء جانبا، وصفحة الرجل: عرض وجهه. ونظر إليه بصفح وجهه، وصفحته أي بعرضه.

وصفح عنه يصفح صفحا: أعرض عن ذنبه فلم يؤاخذه به، وحقيقته: ولأه صفحة وجهه، وهو صفوح وصفح: أي عفو. والصفوح: الكريم لأنه يصفح عمّن جنى عليه. واستصفح ذنبه: استغفره إياه، وطلب أن يصفح له عنه. وفي حديث عائشة تصف أباهما رضي الله عنهما: «صفوح عن جاهلين» أي كثير الصفح والعفو والتجاوز عنهم. والصفوح من أبنية المبالغة.

وقال الفيروز آبادي: والصفح أبلغ من العفو، وقد يعفو الإنسان ولا يصفح. وصفح عنه: أوليته صفحة جميلة معرضا عن ذنبه، أو لقيت صفحته متحاميا عنه أو تجاوزت الصفحة التي أثبتت فيها ذنبه من الكتاب إلى غيرها من قولهم: تصفحت الكتاب. وقوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ﴾ [الزخرف: ٨٩] أمر للنبي صلّى الله عليه وآله أن يخفف على نفسه كفر من كفر.

وقوله: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥] أمر للنبي صلّى الله عليه وآله بالتجاوز عن جنایات المؤمنين. وقوله: ﴿وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَعَفَّرُوا﴾ [التغابن: ١٤] إشارة إلى الآباء والأزواج بالعفو عن الأولاد والعيال. وقوله: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ [النور: ٢٢] إشارة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالتجاوز عن ذنب مسطح بن أثاثة فيما أخطأ من الخوض في حديث الإفك <sup>(١)</sup>.

## واصطلاحا:

قال القرطبي رحمته الله: الصفح: إزالة أثر الذنب من النفس، صفحت عن فلان، إذا عرضت عن ذنبه، وقد ضربت عنه صفحا، إذا عرضت عنه وتركته. وقال الراغب: الصفح: ترك الذنب <sup>(٢)</sup>.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٧٢)، ولسان العرب، (٢/ ٥١٢ ٥١٥). وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٤٢١-٤٢٢)، والنهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٧١)، والمفردات للراغب (ص ف ح).

بين العفو والصفح:

الصفح أبلغ من العفو؛ لأنّ الصّفح تجاوز عن الذّنوب بالكلّيّة واعتباره كأن لم يكن، أمّا العفو فإنّه يقتضي إسقاط اللّوم والذّم فقط، ولا يقتضي حصول الثّواب<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: العفو - الرأفة - الرحمة السّماحة - كظم الغيظ - النبل - الشّهامة - الرضا.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الانتقام - سوء المعاملة - الشّماتة - العدوان - الحقد - النّقمة - البغض].

\*\*\*

### من فوائد (الصفح)

- (١) الصّفح أعمق من العفو. إذ يزيل الله به أثر (٤) الصّفح يقوّي رابطة التّآخي بين أفراد الضّغائن. المجتمع ويجعلهم متحابّين متّحدين.
- (٢) أمر الله المؤمنين بالصفح حتّى عن الدّ الأعداء (٥) الأمة التي يتحلّى معظم أفرادها بالصفح، كي يذوقوا حلاوة الإيمان، فيدخلوا فيه.
- (٣) الصّفح من مستلزمات الإحسان، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. والإحسان أعلى درجات الإيمان.

## الصلاة

### الصلاة لغة:

اسم مصدر من قولهم صلّى صلاة وهو مأخوذ من مادّة (ص ل و / ي) التي تدلّ على أمرين: الأوّل: النّار وما أشبهها من الحمّى، والآخر جنس من العبادة، يقول ابن فارس: فأما الأوّل فقولهم صليت العود بالنّار، والصّلاة ما يصطلى به وما يذكى به النّار ويوقد. وأمّا الثّاني فالصّلاة هي الدّعاء، يقول المصطفى ﷺ: «إذا دعى أحدكم إلى طعام فليجب، فإن كان مفطراً فليأكل، وإن كان صائماً فليصل» أي فليدع لهم بالخير والبركة.

(١) الكلبيات للكفوي (٦٦٦) بتصرف.

والصلاة هي التي جاء بها الشرع من الركوع والسجود وسائر حدود الصلاة، فأما الصلاة من الله تعالى فالرحمة، ومن ذلك الحديث: اللهم صل على آل أبي أوفى يريد بذلك الرحمة<sup>(١)</sup>.  
 أما الصلاة فقال كثير من أهل اللغة هي الدعاء والتبريك والتمجيد، يقال صلّيت له أي دعوت له وزكّيت...، وصلاة الله للمسلمين: هو في التحقيق تزكّيته إيّاهم، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧] والصلاة من الملائكة هي الدعاء والاستغفار كما هي من الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]<sup>(٢)</sup>، وقال ابن الأثير: وقولنا في التشهد: الصلوات لله أي الأدعية التي يراد بها تعظيم الله تعالى، هو مستحقّها لا تليق بأحد سواه، وأما قولنا: اللهم صل على محمّد فمعناه عظّمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دعوته وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وتضعيف أجره ومثوبته، وقيل المعنى: لما أمر الله بالصلاة عليه ولم تبلغ قدر الواجب من ذلك أحلناه على الله وقلنا اللهم صل أنت على محمّد، لأنك أعلم بما يليق به<sup>(٣)</sup>.

وقال الجوهري: هي أيضا واحدة الصلوات المفروضة وهو اسم يوضع موضع موضع المصدر تقول: صلّيت صلاة ولا تقل تصلية، ويقال: صلّيت العصا بالنار إذا ليتها وقومتها. والمصلّي: تالي السابق: يقال صلّى الفرس: إذا جاء مصليا وذلك لأنّ رأسه عند صلاه، والصلّا ما عن يمين الذنب وشماله، وهما صلوان يقال: أصلت الفرس إذا استرخى صلواها، وذلك إذا قرب نتاجها، والصلّاء بالكسر: الشواء. لأنّه يصلّى بالنار، يقال صلّيت اللحم وغيره أصلية صلّا إذا شويته، وفي الحديث أنّه ﷺ أتى بشاة مصلية أي مشوية<sup>(٤)</sup> والصلّاء أيضا: صلاء النار فإن فتحت الصّاد قصرت (حذفت الهمزة) وقلت صلا النار.

وقال ابن منظور: الصلاة: الركوع والسجود، فأما قوله ﷺ: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد». فإنّه أراد لا صلاة فاضلة أو كاملة، والجمع صلوات، والصلاة الدعاء والاستغفار، والصلاة من الله الرحمة.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٣٠٠).

(٢) المفردات للراغب (٢٨٥).

(٣) النهاية لابن الأثير (٣/ ٥٠).

(٤) الصحاح (٦/ ٢٤٠٢).

ومن الصلوة بمعنى الاستغفار حديث سودة: أنها قالت يا رسول الله، إذا متنا صلى لنا عثمان بن مظعون حتى تأتينا، فقال لها: «إن الموت أشد مما تقدّرين»، قال شمر: قولها صلى لنا أي استغفر لنا عند ربّه، وكان عثمان مات حين قالت سودة ذلك، وقال الزّجاج: الأصل في الصلوة اللّزوم، يقال: قد صلي واصطلي إذا لزم، ومن هذا من يصلي في النّار أي يلزم النّار<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الأثير: وقال بعضهم إن أصل الصلوة في اللّغة التّعظيم، وسمّيت العبادة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرّب<sup>(٢)</sup>، وقال السّهيلي: إن أصل الصلوة انحناء وانعطاف من الصّلوين ثم قالوا صلى عليه بمعنى انحنى عليه، ثم سمّوا الرّحمة حنوًا وصلوة إذا أرادوا المبالغة فيها (أي الرّحمة) فقولك صلى الله على محمّد أرقّ وأبلغ من قولك رحم الله محمّدًا في الحنوّ والعطف، والصلوة أصلها في المحسوسات وعبر بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيّدًا، ومنه قيل: صليت على الميت دعوت له دعاء من يحنو عليه ولذلك لا تكون الصلوة بمعنى الدّعاء على الإطلاق، فلا تقول صليت على العدو أي دعوت عليه وإنما يقال صليت عليه في معنى الحنوّ والرّحمة والعطف؛ لأنّها فعي انعطاف، ومن أجل ذلك عدّيت في اللفظ بـ«على» ولا تقول في الدّعاء إلا صليت له بمعنى دعوت له فتعدّي الفعل باللام إلا أن تريد الشرّ والدّعاء على العدو<sup>(٣)</sup>.

#### واصطلاحًا:

أقوال وأفعال مفتوحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، بشرائط مخصوصة. على تفصيل لدى المذاهب<sup>(٤)</sup>.

#### أحوال المصلين:

قال ابن القيم رحمته: والناس في الصلوة على مراتب خمس:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها لكن قد ضيّع مجاهدة

نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوسوس والأفكار.

(١) لسان العرب (١٤ / ٤٦٤، ٤٦٥) وما بعدها.

(٢) النهاية لابن الأثير (٣ / ٥٠).

(٣) انظر في هذا الرأى ومناقشته: الغرابة في الحديث النبوي للبركاوي (١٧٨).

(٤) الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري وجماعته (١ / ١٧٥). وانظر أيضا الفروع لابن مفلح (١ / ٢٨٥).

الثالث: من يحافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوسوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئا منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضع بين يدي ربه ﷻ ناظرا بقلبه إليه، مراقبا له ممتلئا من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوسوس والخطرات، وارتفعت حججها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه ﷻ قرير العين به.

فالقسم الأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه، والرابع مثاب، والخامس مقرب من ربه ﷻ<sup>(١)</sup>.

#### الصلاة على رسول الله ﷺ:

وصلاة الله على رسوله: رحمته له وحسن ثنائه عليه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] فالصلاة من العبد دعاء ومن الملائكة دعاء واستغفار، ومن الله رحمة، وبه سميت الصلاة لما فيها من الدعاء والاستغفار.

وفي الحديث: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ..» قال أبو بكر: الصَّلوات معناها التَّرحُّم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] أي يترحمون.

وتكون الصلاة بمعنى الدعاء: وفي الحديث قوله ﷺ: «إِذَا دَعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيَجِبْ، فَإِنْ كَانَ مَفْطَرًا فَلْيَطْعَمْ، وَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيَصَلِّ». قوله: فليصل: يعني فليدع لأرباب الطعام بالبركة والخير. ومنه قوله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاتٍ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ عَشْرًا». وكل داغ فهو مصل<sup>(٢)</sup>.

(١) الوابل الصيب (٣٨-٣٩).

(٢) لسان العرب (١٤ / ٤٦٥)، وجلاء الأفهام لابن القيم (١٠٦-١٠٧).

وأما قولنا: اللهم صل على محمد، فمعناه عظمه في الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وتضعيف أجره ومثوبته<sup>(١)</sup>.

وقيل: المعنى لما أمرنا الله سبحانه بالصلاة عليه ﷺ ولما نبغ قدر الواجب من ذلك أحلناه على الله، اللهم صل أنت على محمد، لأنك أعلم بما يليق به.

وهذا الدعاء قد اختلف فيه هل يجوز إطلاقه على غير النبي ﷺ، أو لا؟. والصحيح أنه خالص له، ولا يقال لغيره.

وقال الخطابي: الصلاة التي بمعنى التعظيم والتكريم لا تقال لغيره، والتي بمعنى الدعاء والتبريك تقال لغيره. ومنه: «اللهم صل على آل أبي أوفى» أي ترحم وبارك<sup>(٢)</sup>.

معنى صلاة الله والملائكة والإنس والجن:

قال ابن الأعرابي: الصلاة من الله رحمة، ومن المخلوقين (الملائكة والإنس والجن): القيام والركوع والسجود والدعاء والتسبيح. والصلاة من الطير والهوام التسبيح<sup>(٣)</sup>.

وقيل: أصلها في اللغة التعظيم، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب تعالى وتقديسه. وقوله في التشهد: «الصلوات لله» أي الأدعية التي يراد بها تعظيم الله هو مستحقة لا تليق بأحد سواه.

من معاني كلمة «الصلاة» في القرآن الكريم:

وقد ورد لفظ الصلاة في القرآن على أوجه منها:

- ١- بمعنى الدعاء: ﴿إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].
- ٢- بمعنى الاستغفار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٥٦].
- ٣- بمعنى الرحمة: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب: ٤٣].
- ٤- بمعنى صلاة الخوف: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٢].

(١) بصائر ذوي التمييز (٣/ ٤٣٦-٤٣٨).

(٢) لسان العرب (١٤/ ٤٦٦).

(٣) تهذيب اللغة (١٢/ ٢٣٧).

- ٥- بمعنى صلاة الجنازة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤].
- ٦- بمعنى صلاة السفر: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١].
- ٧- بمعنى صلاة الأمم الماضية: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ [مريم: ٣١].
- ٨- بمعنى كنائس اليهود: ﴿وَبِيعٌ وَصَلَوَاتٌ﴾ [الحج: ٤٠].
- ٩- بمعنى الصلوات الخمس: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] وفي غيرها.
- ١٠- بمعنى الإسلام: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ [القيامة: ٣١] أي لا أسلم<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإسلام- الإيمان التقوى- الطاعة- العبادة- الاستقامة- القنوت الضراعة والتضرع- الذكر- الخشوع- الخشية- الخوف- الفرار إلى الله- تلاوة القرآن- تعظيم الحرمات- التوسل- السكينة- الطمأنينة- اليقين.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: ترك الصلاة- العصيان- الكفر- الفسوق- انتهاك الحرمات- الأمان من المكر- التخاذل- الإلحاد- الزندقة- اتباع الهوى- المجاهرة بالمعصية- الشرك- الإعراض التفريط والإفراط- التهاون- الكسل- اللهو واللعب- الكبر والعجب- الفجور- الهجر- الغي والإغواء].

\*\*\*

### من فوائد (الصلاة)

- (١) حضور القلب واستشعار عظمة الله في الصلاة.
- (٢) إذا أحضر المصلّي قلبه في صلاته، فإنّه يخرج من صلاته وقد غفرت خطاياهم.
- (٣) الصلاة راحة للنفس، فإذا أداها حقّ أدائها، وجد نشاطاً وراحة وروحاً.
- (٤) الدنيا سجن المؤمن يشعر فيها بالضيق، إذا دخل في الصلاة وجدها قرّة عينيه ونعيم روحه وجنة قلبه ومستراحه في الدنيا.
- (٥) كما أنّها للجسم رياضة بدنية تقويه وتفيده، فإنّها رياضة للروح تقويها وتنعشها.

(١) بصائر ذوي التمييز: ٣/ ٤٣٦-، ٤٣٨.

(٦) الصَّلَاةُ صلة بين العبد وربِّه، وتذكُّر العبد بدوام مراقبته اللهُ ﷻ فيحسن باطنه كما يحسن ظاهره.

(٧) من أسباب إشاعة النُّظافة بين المؤمنين.

(٨) توحيد اتِّجاه جميع المصلِّين إلى بيت الله الحرام إشعار بوجوب توحيد القلوب على أمر الله وطاعته وأن يكون المسلمون كالجسد الواحد متعاونين متآزرين.

(٩) الصَّلَاةُ الجامعة: كالجمعة والجماعات وغيرها تجمع المصلِّين ليقفوا على أحوال بعضهم بعضاً وليتعلَّموا ويتعاونوا ويتآخروا في دين الله، ومن أجل هذا شرع بناء المساجد في الإسلام، وعدَّ بناؤها من أكبر القربات عند الله.

(١٠) تقوِّي خلق المراقبة والخشية اللهُ ﷻ.

(١١) تكرار الصَّلَاة في اليوم والليلة خمس مرَّات يكون تطهيراً روحياً للمسلم، يتطهَّر بها من غفلات قلبه وزلَّات لسانه ومقترفات جوارحه.

(١٢) الصَّلَاةُ قوَّة خلقية هائلة، وفيها إحياء للضمائر المؤمنة تأمرها بالخير وتنهها عن الشرِّ<sup>(١)</sup>.

## الصلاح

### الصلاح لغة:

مصدر «صلح» الشيء يصلح ويصلح صلاحاً وهو ضدُّ الفساد، ويقال فيه أيضاً صلح صلوحاً، والوصف منه صالح وصلح، والجمع صلحاء وصلوح، ورجل مصلح في أعماله وأموره، وقد أصلحه اللهُ، والمصلحة: الصَّلاح وجمعها مصالح والاستصلاح نقيض الاستفساد، والصلح: السِّلم، والصلح: تصالح القوم بينهم<sup>(٢)</sup>.

قال الرَّاعِب: قوبل الصَّلاح في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسَّيئة. قال تعالى: ﴿خَطَاؤُكُمْ أَعْمَالًا صَلِحَةً وَأَخْرَسَتِيًّا﴾ [التوبة: ١٠٢]. وقال ﷻ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

(١) العبادة في الإسلام للقرضاوي (٢٢١).

(٢) الصحاح (١/ ٣٨٣)، ولسان العرب (٢/ ٥١٦) (ط. بيروت)، والقاموس المحيط (١/ ٢٩٣).

والصِّلح يختصّ بإزالة التّفار بين النَّاس، يقال منه: اصطلحوا وتصالحوا. قال تعالى: ﴿وَالصِّلِحُ حَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحا، وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارة يكون بالحكم له بالصِّلح<sup>(١)</sup>.

وذلك كما في قوله سبحانه: ﴿وَأصْلِحْ بِاللَّهِمْ﴾ [محمد: ٢]. وقوله - عزّ من قائل -: ﴿وَأصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحاف: ١٥]، وقوله - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]. والصِّلح بكسر الصّاد مصدر كالمصالحة، والاسم منهما «الصِّلح» يذكّر ويؤنث.

يقال أصلح ما بينهم (إصلاحا)، وصالحوهم مصالحة وصلاحا. والعرب تؤنث ذلك. قال بشر بن أبي خازم:

يسومون الصِّلح بذات كهف وما فيها لهم سلع وقار  
وقوله: وما فيها أي وما في المصالحة، ولذلك أنث الصِّلح.

#### واصطلاحا:

قال الكفوي: الصِّلح هو سلوك طريق الهدى، وقيل: هو استقامة الحال على ما يدعو إليه (الشّرع) والعقل<sup>(٢)</sup>، والصّالح: المستقيم الحال في نفسه، وقال بعضهم: هو القائم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد، والكمال في الصِّلح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى الأنبياء والمرسلين.

وقيل: التّغيير إلى الاستقامة في الحال وضده الفساد.

وقيل: هو حسن الهيئة والمنظر من جهة الخير والدّين لا من جهة الجمال والزّينة<sup>(٣)</sup>.

من معاني كلمة «الصِّلح» في القرآن الكريم:

ذكر أهل التّفسير أنّ الصِّلح في القرآن على أوجه:

الأول: الإيمان ومنه قوله - تعالى - في «الرّعد»: ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلِحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣].

الثّاني: علو المنزلة. ومنه قوله - تعالى - في «البقرة»: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

(١) المفردات، للراغب (٢٨٥).

(٢) الكليات للكفوي (٥٦١)، ولفظ الشّرع إضافة يستقيم بها المعنى وهو غير موجود في الأصل.

(٣) الفتح (١٠ / ٥٢٦).

الثالث: تسوية الخلق. ومنه قوله تعالى في «الأعراف»: ﴿لِيَنبَأَ الَّذِينَ هُمْ أَتَيْنَا بِالصَّالِحَاتِ﴾ [الأعراف: ١٨٩]، أي: سوي الخلق.

الرابع: يكون بمعنى الرفق، ومنه قوله - تعالى -: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧] أي الرفاقين بك.

الخامس: يكون بمعنى الإحسان كما في قوله - سبحانه - ﴿إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾. [هود: ٨٨]

السادس: يكون بمعنى الطاعة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]، يعني مطيعين لله ﷻ.

السابع: يكون بمعنى الأمانة، قال تعالى ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]. يعني ذا أمانة<sup>(١)</sup>.

### أهل الصلاح:

قال الكفوي - نقلا عن بعضهم -: من كان مستورا ليس بمهتوك ولا صاحب ريبة وكان مستقيم الطريقة، وسليم الناحية من الأذى قليل السوء، ليس يعاقر النبيذ، وليس بقذاف للمحصنات، ولا معروفا بكذب، فهذا عندنا من أهل الصلاح.

### اقتران الإيمان بالعمل الصالح:

كثيرا ما اقترن الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم، وقد وعد الله ﷻ من جمع بين هذين بالحياة الطيبة في الدنيا والتعميم المقيم في الآخرة.

وفي عديد من آي الذكر الحكيم ورد الصلاح سمة للأنبياء ودعوة لهم كما ورد الحث عليه في هذه الأمة وفيمن سبقها من الأمم، كما سيوضح ذلك من التصنيف التالي للآيات الكريمة:

[للاستزادة: انظر صفات: الاستقامة - الإخبات - الإنابة - الإصلاح - التقوى - حسن السمات - الخشوع - الخوف - الخشية - الطاعة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الفساد - الاعوجاج - الغي والإغواء - الطغيان - الضلال - الفسوق - العصيان].

(١) نزهة الأعين النواظر (٣٩٧، ٣٩٨)، وكشف الأسرار عن معنى الوجوه والنظائر (٢٩٩).

## من فوائد (الصلاح)

- (١) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.  
 (٢) به تجلب النعم وتدفع النقم.  
 (٣) علامة على حسن الخاتمة.  
 (٤) يثمر محبة الله، ثم محبة الناس.  
 (٥) طريق موصل إلى الجنة.  
 (٦) وقاية من خطر الذنوب والمعاصي.  
 (٧) الصّلاح سبيل إلى الاستخلاف في الأرض.  
 (٨) طريق إلى الحياة الطيبة.  
 (٩) سبيل إلى النصر في الدنيا والآخرة.

## صلة الرحم

## الصلة لغة:

الصّلة والوصل في اللغة مصدر «وصل يصل صلة ووصلا» وتدلّ مادّة (وصل ل) على «ضمّ شيء إلى شيء حتى يعلقه، من ذلك الوصل (والصلة) ضدّ الهجران، والوصل (أيضا) وصل الثوب والخفّ ونحوهما، ويقال هذا وصل هذا أي مثله، يقال: وصلت الشيء وصلا وصلة ووصلة، ووصل إليه ووصولا أي بلغ وأوصله غيره، وقد يستعمل وصل بمعنى اتّصل: أي دعا بدعوى الجاهلية، وهو أن يقال: يا فلان، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ﴾ [النساء: ٩٠] أي يتّصلون، وكلّ شيء اتّصل بشيء فما بينهما وصلة، وأي اتّصال وذريعة، يقال: توّصل إليه، أي تلطّف في الوصول إليه، والتواصل ضدّ التّصارم، ووصله توصيلا إذا أكثر من وصله. والوصل خلاف الفصل، واتّصل الشيء بالشيء لم ينقطع<sup>(١)</sup>.

## الصّلة اصطلاحا:

وحقيقة الصّلة في هذه الصّفة (صلة الرّحم): العطف والرّحمة، أمّا صلة الله لمن وصل رحمه فهي عبارة عن لطفه بهم ورحمته إيّاهم وعطفه عليهم بإحسانه ونعمه، أو صلّتهم بأهل ملكوته الأعلى وشرح صدورهم لمعرفته وطاعته<sup>(٢)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٦/ ١١٥)، والصحاح للجوهري (٥/ ١٨٤٢)، ولسان العرب لابن منظور (٨/ ٤٨٥٠، ط- دار المعارف).

(٢) مسلم بشرح النووي (١٦/ ١١٢، ١١٣)، الصحاح للجوهري (٥/ ١٨٤٢). وقد أشار الإمام النووي إلى حقيقة الصلة عند شرحه لقول المصطفى ﷺ «الرّحم معلّقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعته الله».

**الرحم لغة:**

الرحم لغة: اسم مشتق من مادة «رح م» التي تدل على الرقة والعطف والرأفة، والرحم والرحم (علاقة) القرابة، وقد سميت رحم الأنثى رحما من هذا، لأن منها ما يكون ما يرحم ويرق له من ولد، والرحمة والرحم: الرقة والتعطف، يقال: رحمته وترحمت عليه (لنت له وتعطفت عليه)، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضا، والرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، والرحيم قد يكون بمعنى المرحوم كما يكون بمعنى الراحم<sup>(١)</sup>.

**الرحم اصطلاحا:**

قال النووي: اختلفوا في حدّ الرحم التي يجب وصلها، فقيل: كلّ رحم محرّم، بحيث لو كان أحدهما أنثى والآخر ذكرا حرمت مناكحتهما، وقيل: هو عامّ في كلّ رحم من ذوي الأرحام<sup>(٢)</sup> في الميراث يستوي فيه المحرم وغيره. وهذا هو الصحيح لقوله ﷺ: «إنّ أبرّ البرّ أن يصل الرجل أهل وذيّ أبيه»<sup>(٣)</sup>.

**صلة الرحم اصطلاحا:**

قال النووي: صلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك<sup>(٤)</sup>. وقد أوضح ابن منظور العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي فقال: هي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، والعطف عليهم، والرّفق بهم، والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا أو أساءوا، وقطع الرحم ضدّ ذلك كلّّه، فكأنّه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر والصلة الجائزة والعطيّة<sup>(٥)</sup>.

**حكم صلة الرحم ودرجاتها:**

قال القاضي عياض: لا خلاف أنّ صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة والأحاديث

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٤٩٨)، الصحاح (٥/ ١٩٢٩).

(٢) ذو الرحم عند أهل الفرائض من الفقهاء هو القريب الذي ليس بذئ سهم مقدر ولا عصة ذكرا كان أو أنثى. انظر: كشف اصطلاحات الفنون (٣/ ٨٠).

(٣) مسلم بشرح النووي (١٦/ ١١٣).

(٤) المرجع السابق (٢/ ٢٠١).

(٥) لسان العرب (٨/ ٤٨٥١).

تشهد لهذا، ولكن الصلّة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة بالكلام ولو بالسّلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة فمنها واجب، ومنها مستحبّ. ولو وصل بعض الصلّة، ولم يصل غايتها لا يسمّى قاطعا، ولو قصر عمّا يقدر عليه وينبغي له لا يسمّى واصلا<sup>(١)</sup>.

### الصلّة بر وإحسان:

قال أبو البركات بدر الدّين محمّد الغزّي:

ويكون حسن العشرة والصّحبة للأهل والولد بالمداراة، وسعة الخلق والنّفس، وتمام النّفقة، وتعليم الأدب والسّنّة، وحملهم على الطّاعة، لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقَوُّدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦٦]. والصفح عن عثراتهم والغض عن مساوئهم في غير إثم أو معصية<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإحسان- البر- بر الوالدين- تكريم الإنسان- الاعتراف بالفضل- المروءة- المحبة- التودد- الإنفاق- الصدقة- حسن العشرة- حسن المعاملة- حسن الخلق. وفي ضد ذلك: انظر صفات: قطيعة الرحم- الإساءة- الجحود- عقوق الوالدين- نكران الجميل- الكبر والعجب- سوء الخلق- سوء المعاملة].

\*\*\*

### من فوائد (صلة الرحم)

- (١) علامة كمال الإيمان وحسن الإسلام. (٥) استصحاب معيّة النّصر، والتأييد من الله القويّ العزيز للواصل.
- (٢) تحقّق السّعة في الأرزاق والبركة في الأعمار. (٦) للأرحام حقّ وإن كانوا كفّارا، أو فجّارا، أو مبتدعة.
- (٣) اكتساب رضى الرّبّ ثمّ محبّة الخلق. (٧) تقويّ الصلّة بقرب العلاقة وهي للأقرب أفراد الأسرة الواحدة والأسر المرتبطة بالمصاهرة والنّسب حتّى يعمّ المجتمع كلّهُ.
- (٤) تقوية أو اصر العلاقات الاجتماعيّة بين أفراد الأسرة الواحدة والأسر المرتبطة بالمصاهرة والنّسب حتّى يعمّ المجتمع كلّهُ.

(١) مسلم بشرح النووي (١٦ / ١١٢، ١١٣).

(٢) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة للغزّي (ص ٥١).

## الصمت وحفظ اللسان

## الصمت:

## الصمت لغة:

مصدر قولهم: صمت يصمت إذا سكت، وهو مأخوذ من مادة (ص م ت) التي تدل على إبهام وإغلاق، يقال من ذلك صمت الرجل وأصمت إذا سكت، ومنه قولهم: لقيت فلانا ببلدة إصمت، وهي القفر التي لا أحد بها، كأنها صامتة ليس بها ناطق، ويقال ماله صامت ولا ناطق فالصامت الذهب والفضة، والناطق: الإبل والغنم والخيول، والصموت الدرع اللينة التي إذا صبها الرجل على نفسه لم يسمع لها صوت، وباب مصمت: قد أبهم إغلاقه، والصامت من اللبن: الخائر، لأنه إذا كان كذلك فأفرغ في إناء لم يسمع له صوت.

وقال الجوهري: يقال: صمت يصمت صمتا وصموتا وصماتا، وأصمت وقيل: أصمت معناه أطال السكوت مثله، والتصميت: التسميت ومثله السكوت، ورجل صميت أي سكت والصمته بالضم مثل السكته، ويقال: رميته بصماته وسكاته، أي بما صمت به وسكت، وفي حديث أسامة رضي الله عنه: «لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت عليه يوم أصمت فلم يتكلم». قال الأزهري معناه: «ليس بيني وبينه أحد» وقال ابن الأثير: يقال صمت العليل وأصمت فهو صامت ومصمت إذا اعتقل لسانه، ومنه الحديث الآخر أن امرأة من أحمرس حجّت مصمته أي: ساكتة لا تتكلم. وفي حديث علي رضي الله عنه: «لا صمت يوما إلى الليل» معناه: لا تصمت يوما إلى الليل<sup>(١)</sup>. وفي حديث صفة التمرة أنها صمته للصغير. أي أنه إذا بكى أسكت بها.

والصمته هي الاسم من: صمت، وقيل الصمته المصدر، وما سوى ذلك فهو اسم، ومن أمثالهم: إنك لا تشكو إلى مصمت، أي لا تشكو إلى من لا يعبا بشكواك، من قولهم صمت الرجل شكا إليه فنزع إليه من شكايته<sup>(٢)</sup>.

(١) نسب الكسائي هذه العبارة إلى العرب أيضا، وقال إنها تروى بالرفع والنصب والنجر في (يوم) فمن نصب أراد لا تصمت يوما إلى الليل، ومن رفع أراد «لا يصمت يوم إلى الليل» ومن خفض فعلى الإضافة.

(٢) المقاييس (٣/ ٣٠٨)، الصحاح (١/ ٢٥٦)، النهاية (٣/ ٥١)، لسان العرب (٣/ ٢٤٩٢)، ط. دار المعارف.

**الصمت اصطلاحاً:**

قال الكفوي: الصمت إمساك عن قول الباطل دون الحق<sup>(١)</sup>.  
وقال المناوي: الصمت: فقد الخاطر بوجود حاضر، وقيل: سقوط النطق بظهور الحق،  
وقيل: انقطاع اللسان بظهور العيان<sup>(٢)</sup>.

**الفرق بين السكوت والصمت:**

الفرق بينهما من وجوه:

- ١- أنّ السكوت هو ترك التكلّم مع القدرة عليه، وبهذا القيد الأخير يفارق الصمت؛ فإنّ القدرة على التكلّم غير معتبرة فيه.
- ٢- كما أنّ الصمت يراعى فيه الطول النسبيّ فمن ضمّ شفّيته أنا يكون ساكتاً ولا يكون صامتاً إلا إذا طالت مدّة الضمّ.
- ٣- السكوت إمساك عن الكلام حقّاً كان أو باطلاً، أمّا الصمت فهو إمساك عن قول الباطل دون الحقّ.

**حفظ اللسان:****الحفظ لغة:**

انظر حفظ في صفة (حفظ الأيمان).

**اللسان لغة:**

اللسان في اللغة هو جارحة الكلام، وقد يكنى به عن الكلمة فتؤنّث حينئذ كما في قول أعشى  
باهلة: إنّي أتتني لسان لا أسرّ بها.

فمن ذكره قال في الجمع ثلاثة ألسنة ومن أنّه قال: ثلاث ألسن؛ لأنّ ذلك قياس ما جاء على  
فعال من المذكر والمؤنّث وإن أردت به اللغة أنثت، واللسن بالتحريك الفصاحة، وقد لسن  
بالكسر فهو لسن وألسن، وقوم لسن. ويقال: لسنته إذا أخذته بلسانك، والملسون: الكذّاب،  
واللسن: الكلام واللغة، واللسن بالتحريك: الفصاحة؛ يقال لكلّ قوم لسن: أي لغة يتكلّمون بها

(١) الكليات للكفوي (٥٠٧).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٢١٨).

واللّسان: اللّغة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ النَّسْتِكُمْ وَالْمُنْكِرُ ﴾ [الروم: ٢٢] ومن ذلك قولهم: فلان يتكلّم بلسان قومه. أي بلغتهم، واللّسان أيضا الرّسالة، واللّسان: المقول، واللّسان: الثّناء، والإلّسان: إبلاغ الرّسالة، وألسنه ما يقول أي أبلغه، وألسن عنه بلّغ، ولسنه يلسنه لسانا: كان أجود لسانا منه، ولسنه: كلّمه، ولسنه أخذه بلسانه، وفي حديث عمر رضي الله عنه وذكر امرأة فقال: إن دخلت عليك لستك، أي أخذتك بلسانها، يصفها بالسلّاطة وكثرة الكلام والبذاء، ولسان القوم: المتكلّم بلسانهم، وقوله في الحديث: لصاحب الحقّ اليد واللّسان، اليد: اللّزوم (والقوّة)، واللّسان: التّقاضي، ولسان الميزان: عذبتة، ولسان النّار ما يتشكّل منها على شكل اللّسان<sup>(١)</sup>.

### حفظ اللسان اصطلاحا:

أن يصون المرء لسانه عن الكذب، والغيبة والنّميمة، وقول الزّور، وغير ذلك ممّا نهى عنه الشّارع الحكيم.

قال الجاحظ: ومن الأخلاق الفاضلة: اللهجة وهي الإخبار عن الشّيء على ما هو به، وهذا الخلق مستحسن، ما لم يؤدّ إلى ضرر مجحف، فإنّه ليس بمستحسن صدق الإنسان إن سئل عن فاحشة كان قد ارتكبها، إذ لا يفى صدقة بما يلحقه في ذلك من العار والمنقصة الباقية اللازمة<sup>(٢)</sup>.

### خطر اللسان:

قال الإمام الغزالي رحمته الله: إنّ اللّسان من نعم الله العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة. فإنّه صغير جرمه<sup>(٣)</sup>، عظيم طاعته وجرمه، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلّا بشهادة اللّسان، وهما غاية الطّاعة والعصيان. وأعضا الأعضاء على الإنسان اللّسان، فإنّه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه. وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله، والحذر من مصائده وحبائله. وإنّه أعظم آلة للشّيطان في استغواء الإنسان.

واللّسان رحب الميدان، ليس له مردّد، ولا لمجاله منتهى وحدّد. له في الخير مجال رحب، وله

(١) الصحاح (٦ / ٢١٩٥)، ولسان العرب (١٣ / ٣٨٧)، ط. بيروت.

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٢٦) بتصرف يسير.

(٣) جرم: الجرم الجسد.

في الشَّرِّ ذيل سحب، فمن أطلق عذبة<sup>(١)</sup> اللسان، وأهمله مرخيَّ العنان<sup>(٢)</sup> سلك به الشَّيطان في كلِّ ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار، إلى أن يضطرَّه إلى البوار، ولا يكبَّ النَّاس في النَّار على مناخرهم إلَّا حصائد ألسنتهم، ولا ينجو من شرِّ اللسان إلَّا من قيده بلجام الشَّرِّ، فلا يطلقه إلَّا فيما ينفعه في الدُّنيا والآخرة، ويكفَّه عن كلِّ ما يخشى غائلته في عاجله وآجله.

ذلك أنَّ خطر اللسان عظيم، ولا نجاة من خطره إلَّا بالصَّمت، فلذلك مدح الشَّرِّع الصَّمت وحثَّ عليه. فقال ﷺ: «من صمت نجا»<sup>(٣)</sup>.<sup>(٤)</sup>

### فضل الكلام والصمت:

يقول الماوردي: اعلم أنَّ الكلام ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر، ويخبر بمكونات السرائر، لا يمكن استرجاع بواده، ولا يقدر على ردِّ شوارده، فحقَّ على العاقل أن يحترز من زله، بالإمساك عنه، أو بالإقلال منه. وفي شروط الكلام يقول الماوردي: واعلم أنَّ للكلام شروطاً لا يسلم المتكلِّم من الزلل إلَّا بها، ولا يعرى من النَّقص إلَّا بعد أن يستوفيها. وهي أربعة:

**الشرط الأوَّل:** أن يكون الكلام لداع يدعو إليه، إمَّا في اجتلاب نفع، أو دفع ضرر. ذلك أن مالا داعي له هذيان، وما لا سبب له هجر، ومن سامح نفسه في الكلام إذا عنَّ، ولم يراع صحَّة دواعيه، وإصابة معانيه، كان قوله مردوِّلاً، ورأيه معلولاً.

**الشرط الثاني:** أن يأتي به في موضعه، ويتوخَّى به إصابة فرصته؛ لأنَّ الكلام في غير حينه لا يقع موقع الانتفاع به، وما لا ينفع من الكلام فقد تقدَّم القول بأنَّه هذيان وهجر، فإنَّ قدَّم ما يقتضي التَّأخير كان عجلة وخرقا، وإنَّ أخر ما يقتضي التَّقديم كان توانيا وعجزا، لأنَّ لكلِّ مقام قولا، وفي كلِّ زمان عملا.

**الشرط الثالث:** أن يقتصر منه على قدر حاجته، فإنَّ الكلام إن لم ينحصر بالحاجة، ولم يقدر بالكفاية، لم يكن لحدِّه غاية، ولا لقدره نهاية، وما لم يكن من الكلام محضورا كان إمَّا حصرا إن قصر، أو هذرا إن كثر.

(١) عذبة اللسان: طرفه.

(٢) العنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة.

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٥٠٣). وانظر «موسوعة أطراف الحديث النبوي» (٨ / ٣٨٧).

(٤) انظر إحياء علوم الدين (٣ / ١٠٨).

الشَّرط الرَّابِع: اختيار اللَّفْظ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ، لِأَنَّ اللَّسَانَ عَنَوَانَ الْإِنْسَانَ، يَتَرَجَّمُ عَنْ مَجْهُولِهِ، وَيُرْهَنُ عَنْ مَحْصُولِهِ، فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ بِتَهْذِيبِ أَلْفَاظِهِ حَرِيًّا، وَبِتَقْوِيمِ لِسَانِهِ مَلِيًّا. وَمَنْ آدَابَ الْكَلَامَ: قَالَ ﷺ: وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْكَلامِ آدَابًا إِنْ أَغْفَلَهَا الْمُتَكَلِّمُ أَذْهَبَ رَوْنُقَ كَلَامِهِ وَطَمَسَ بَهْجَةَ بَيَانِهِ، وَلِهَا النَّاسُ عَنْ مَحَاسِنِ فَضْلِهِ، بِمَسَاوِيٍّ أَدْبِهِ، فَعَدَلُوا عَنْ مَنَاقِبِهِ، بِذِكْرِ مِثَالِهِ. وَمَنْ آدَابَهُ:

١- أَنْ لَا يَتَجَاوَزَ فِي مَدْحٍ، وَلَا يَسْرِفَ فِي ذَمٍّ، وَإِنْ كَانَتْ النَّزَاهَةُ عَنِ الذَّمِّ كَرَمًا، وَالتَّجَاوُزُ فِي الْمَدْحِ قَلْقًا يَصْدُرُ عَنْ مَهَانَةٍ؛ وَالسَّرْفُ فِي الذَّمِّ انْتِقَامٌ يَصْدُرُ عَنْ شَرٍّ، وَكِلَاهُمَا شَيْنٌ، وَإِنْ سَلِمَ مِنَ الْكُذْبِ.

٢- أَنْ لَا تَبْعَثَهُ الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ فِي وَعْدٍ أَوْ وَعِيدٍ يَعْجِزُ عَنْهُمَا، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِمَا؛ فَإِنَّ مَنْ أَطْلَقَ بِهِمَا لِسَانَهُ، وَأَرْسَلَ فِيهِمَا عَنَانَهُ، وَلَمْ يَسْتَثْقِلْ مِنَ الْقَوْلِ مَا يَسْتَثْقِلُهُ مِنَ الْعَمَلِ صَارَ وَعْدُهُ نَكْثًا، وَوَعِيدُهُ عَجْزًا.

٣- أَنَّهُ إِنْ قَالَ قَوْلًا حَقَّقَهُ بِفِعْلِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ صَدَّقَهُ بِعَمَلِهِ، فَإِنَّ إِسْرَالَ الْقَوْلِ اخْتِيَارًا، وَالْعَمَلُ بِهِ اضْطِرَارًا، وَأَنَّ يَفْعَلَ مَا لَمْ يَقُلْ أَجْمَلُ مِنْ أَنْ يَقُولَ مَا لَمْ يَفْعَلْ.

٤- أَنْ يَرَاعِيَ مَخَارِجَ كَلَامِهِ بِحَسَبِ مَقَاصِدِهِ وَأَعْرَاضِهِ، فَإِنْ كَانَ تَرْغِيبًا قَرَنَهُ بِاللِّينِ وَاللِّطْفِ، وَإِنْ كَانَ تَرْهِيبًا خَلَطَهُ بِالْخَشُونَةِ وَالْعَنْفِ، فَإِنَّ لَيْنَ اللَّفْظِ فِي التَّرْهِيْبِ، وَخَشُونَتَهُ فِي التَّرْغِيْبِ، خُرُوجٌ عَنِ مَوْضِعِهِمَا، وَتَعْطِيلٌ لِلْمَقْصُودِ بِهِمَا، فَيَصِيرُ الْكَلَامُ لَغْوًا، وَالْغَرَضُ الْمَقْصُودُ لِهَوَا.

٥- أَلَّا يَرْفَعَ بِكَلَامِهِ صَوْتًا مُسْتَكْرَهًا، وَلَا يَنْزِعَ لَهُ أَنْزَعًا مُسْتَهْجِنًا، وَلِيَكْفَ عَنْ حَرَكَةِ تَكُونِ طِيْشًا، وَعَنْ حَرَكَةِ تَكُونِ عِيًّا، فَإِنَّ نَقْصَ الطِّيْشِ أَكْثَرُ مِنْ فَضْلِ الْبَلَاغَةِ.

٦- أَنْ يَتَجَافَى هَجَرَ الْقَوْلِ وَمُسْتَقْبَحَ الْكَلَامِ، وَلِيَعْدَلَ إِلَى الْكِنَايَةِ عَمَّا يَسْتَقْبَحُ صَرِيحُهُ، وَيَسْتَهْجِنُ فَصِيحُهُ، لِيَبْلُغَ الْغَرَضَ وَلِسَانَهُ نَزَهُ، وَأَدْبَهُ مَصُونٌ، وَكَمَا أَنَّ يَصُونُ لِسَانَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَهَكَذَا يَصُونُ عَنْهُ سَمْعَهُ، فَلَا يَسْمَعُ خَنِيًّا، وَلَا يَصْغِي إِلَى فَحْشٍ، فَإِنَّ سَمَاعَ الْفَحْشِ دَاعٍ إِلَى إِظْهَارِهِ، وَذَرِيعَةٌ إِلَى إِنْكَارِهِ؛ وَإِذَا وَجَدَ عَنِ الْفَحْشِ مَعْرُضًا، كَفَّ قَائِلَهُ وَكَانَ إِعْرَاضُهُ أَحَدَ النَّكِيرِينَ، كَمَا أَنَّ سَمَاعَهُ أَحَدَ الْبَاعِثِينَ.

٧- أَنْ يَجْتَنِبَ أَمْثَالَ الْعَامَّةِ الْغَوْغَاءِ، وَيَتَخَصَّصَ بِأَمْثَالَ الْعُلَمَاءِ الْأَدْبَاءِ. فَإِنَّ لِكُلِّ صَنْفٍ مِنَ النَّاسِ أَمْثَالًا تُشَاكِلُهُمْ، فَلَا تَجِدُ لِسَاقِطًا إِلَّا مِثْلًا سَاقِطًا، وَتَشْبِيهًا مُسْتَقْبِحًا، وَلِلْأَمْثَالِ مِنَ الْكَلَامِ

موقع في الأسماع، وتأثير في القلوب، لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها؛ لأنّ المعاني بها لائحة والشواهد بها واضحة، والنّفوس بها وامقة، والقلوب بها واثقة، والعقول لها موافقة، فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله، وأوضح بها الحجّة على خلقه؛ لأنّها في العقول معقولة، وفي القلوب مقبولة<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الصدق - كتمان السر - الكلم الطيب - حفظ الصوت - الحلم - الصبر والمصابرة - الأدب - مجاهدة النفس.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: إفشاء السر - الكذب - اللغو - الغيبة - النميمة - البذاءة].

\*\*\*

### من فوائد (الصمت وحفظ اللسان)

- (١) دليل كمال الإيمان، وحسن الإسلام. (٤) يثمر محبة الله، ثم محبة الناس.
- (٢) السلامة من العطب في المال، والنفس، (٥) يهيب المجتمع الصالح، والنساء الصالح.
- والعرض. (٦) الفوز بالجنة، والنجاة من النار.
- (٣) دليل حسن الخلق، وطهارة النفس.

## الصوم

### الصوم لغة:

مصدر صام يصوم صوما وصياما، مأخوذ من مادة (ص وم) التي تدلّ على «إمساك وركود في مكان» من ذلك صوم الصائم، وهو إمساكه عن مطعمه ومشربه وسائر ما منعه، ويكون الإمساك عن الكلام صوما، قال أهل اللغة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦]: إنه الإمساك عن الكلام أي الصمت، وأما الركود فيقال للقائم صائم.

والصوم أيضا: ركود الريح، والصوم: استواء الشمس انتصاف النهار كأنّها ركبت عند تدويمها<sup>(٢)</sup>، وكذلك يقال صام النهار.

(١) أدب الدنيا والدين (٢٦٦-٢٧٦) بتصرف.

(٢) تدويمها: دورانها.

وقال ابن منظور: الصّوم ترك الطّعام والشّراب والنّكاح والكلام.

وفي الحديث قال النّبِيّ ﷺ: «قال الله تعالى: كلّ عمل ابن آدم له إلا الصّوم فإنّه لي» قال أبو عبيد: إنّما خصّ الله تبارك وتعالى الصّوم بأنّه له وهو يجزي به، وإن كانت أعمال البرّ كلّها له وهو يجزي بها؛ لأنّ الصّوم ليس يظهر من ابن آدم بلسان ولا فعل فتكتبه الحفظة، إنّما هو نيّة في القلب وإمساك عن حركة المطعم والمشرب.

ورجل صوّام قوام إذا كان يصوم النّهار ويقوم اللّيل. ورجال ونساء صوّم وصيّم وصوّام وصيّام<sup>(١)</sup>.

وقد جمع المناويّ بين المعاني المختلفة للفظ الصّوم عندما قال: الصّوم: الثّبات على تماسك عمّا من شأن الشّيء أن يتصرّف فيه، ويكون شأنه كالشمس في وسط السّماء. يقال: صامت الشّمس إذا لم تظهر لها حركة لصعود ولا نزول التي هي شأنها، وصامت الخيل إذا لم تنزل راكضة غير مركوبة، وصام الإنسان إذا تماسك عمّا من شأنه فعله من حفظ بدنه بالتغذّي وحفظ نسله بالنّكاح، وفي الصّوم خلاء عن الطّعام، وانصراف عن حال الأنعام، وانقطاع شهوة الفرج، وسلامة الإعراض عن الاشتغال بالدنيا، والتّوجّه إلى الله، والعكوف في بيته ليحصل بذلك ينبوع الحكمة من القلب<sup>(٢)</sup>.

#### واصطلاحاً:

هو الإمساك عن الأكل والشّرب والجماع وسائر المفطرات يوماً كاملاً بنية الصّيام من طلوع الفجر الصّادق إلى غروب الشّمس.

وقيل: هو إمساك مخصوص في زمن مخصوص بشرائط مخصوصة.

وقال الجرجاني: الصّوم في الشّرع عبارة عن إمساك مخصوص وهو الإمساك عن الأكل والشّرب والجماع من الصّبح إلى المغرب مع النّية<sup>(٣)</sup>.

#### حقيقة الصوم:

قال ابن القيم رحمته (في الصّوم): هو لجام المتّقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٣٢٣)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/ ٣٥٠ - ٣٥١).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٢٠).

(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص ٤٤)، والتعريفات للجرجاني (١٤١)، وانظر في شرح هذا التعريف الأخير كشاف اصطلاحات الفنون (٤/ ٢٦٩).

والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئاً، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها؛ إثارة لمحبة الله ومرضاته، وهو سر بين العبد وربّه لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأمّا كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وتلك حقيقة الصوم.

وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة، وحمايتها من التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته<sup>(١)</sup> منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]<sup>(٢)</sup>.

#### مراتب الصوم:

وللصوم ثلاث مراتب: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص. فأما صوم العموم فهو: كفّ<sup>(٣)</sup> البطن والفرج عن قضاء الشهوة.

وأما صوم الخصوص: فهو كفّ النظر، واللسان، واليد، والرجل، والسمع، والبصر، وسائر الجوارح عن الآثام.

وأما صوم خصوص الخصوص: فهو صوم القلب عن الهمم<sup>(٤)</sup> الدنيئة، والأفكار المبعدة عن الله تعالى، وكفّه عما سوى الله تعالى بالكليّة<sup>(٥)</sup>.

وأفضل صوم التطوع: صوم داود عليه السلام، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً. ومن أسرار ذلك النوع من الصيام: أن النفس تعطى يوم الفطر حظّها، وتستوفي في يوم الصوم تعبدها، وفي ذلك جمع بين مالها وما عليها. وهو العدل.

وإنّما سمّي الصيام صبراً؛ لأنّ الصبر في كلام العرب الحبس، والصائم يحبس نفسه عن أشياء جعل الله تعالى قوام بدنه بها.

(١) استلبته: أخذته قهراً.

(٢) زاد المعاد (٢/ ٢٩).

(٣) كفّ: أي منع.

(٤) الهمم: جمع همة وهي ما هم به من أمر ليفعل.

(٥) مختصر منهاج القاصدين (٤٤).

وقال الغزالي في الإحياء: اعلم أنّ في الصّوم خصيصة ليست في غيره، وهي إضافته إلى الله ﷻ حيث يقول سبحانه في الحديث القدسي: «الصّوم لي وأنا أجزي به». وكفى بهذه الإضافة شرفاً كما شرف البيت بإضافته إليه في قوله: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ [الحج: ٢٦] وإنّما فضّل الصّوم لمعنيين: أحدهما: أنّه سرّ وعمل باطن، لا يراه الخلق ولا يدخله رياء.

الثاني: أنّه قهر لعدوّ الله؛ لأنّ وسيلة العدوّ الشهوات، وإنّما تقوى الشهوات بالأكل والشرب وما دامت أرض الشهوات مخصبة، فالشياطين يتردّدون إلى ذلك المرعى، ويترك الشهوات تضيق عليهم المسالك<sup>(١)</sup>.

قال الحليمي - رحمه الله -: إنّ جماع العبادات فعل أشياء وكفّ عن أشياء، والصّوم يجمع الشهوات فيتيسّر به الكفّ عن المحارم وهو شطر الصّبر، لأنّه صبر عن الشهوات، ويبقى وراءه الصّبر على المشاقّ، وهو تكلف الأفعال المأمور بها. فهما صبران: صبر عن أشياء، وصبر على أشياء. والصّوم معين على أحدهما، فهو إذا نصف الصّبر<sup>(٢)</sup>.

### حكم الصوم:

صوم رمضان واجب بالكتاب والسنة<sup>(٣)</sup> والإجماع<sup>(٤)</sup>، أمّا الصّوم في غير رمضان فينقسم إلى قسمين:

الأوّل: صوم الكفّارات والنذور.

الثاني: صوم التطوّع.

وحكم الأوّل الوجوب<sup>(٥)</sup>، أمّا الثاني فحكمه النّدب ما لم يواصل الصّوم<sup>(٦)</sup>.

(١) مختصر منهاج القاصدين (٤٤، ٤٥).

(٢) المرجع السابق نفسه (٤٤، ٤٥).

(٣) انظر الآيات المذكورة (ص ٢٦٤٨) تحت الرقم (١)، والحديث رقم (٤) ص (٢٦٥١)، والحديث رقم (٢٠) ص (٢٦٥٤).

(٤) يقول الشيخ سيد سابق (فقه السنة / ١ / ٣٦٦): أجمعت الأمة على وجوب صيام رمضان وأنه أحد أركان الإسلام التي علمت من الدين بالضرورة ومنكره كافر.

(٥) انظر تفصيل ذلك في مظانه من كتب الفقه.

(٦) انظر الحديث رقم (٦٧).

## أنواع صوم التطوع:

لصيام التطوع أنواع عديدة منها:

- ١- صيام ستة أيام من شوال.
  - ٢- صيام تسع من ذي الحجة، ويتأكد صوم يوم عرفة لغير الحاج.
  - ٣- صيام يوم عاشوراء ويوم قبله، أو يوم بعده.
  - ٤- صيام أكثر شهر شعبان.
  - ٥- صيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع.
  - ٦- صوم ثلاثة أيام من كل شهر.
  - ٧- صيام يوم وإفطار يوم.
- وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى جواز الفطر لمن صام متطوعاً واستحبوا له قضاء ذلك اليوم<sup>(١)</sup>.
- [للاستزادة: انظر صفات: الإسلام- الإيمان- الصبر والمصابرة- العبادة- الطاعة- العبادة- التقوى- تعظيم الحرمات.
- وفي ضد ذلك: انظر صفات: اتباع الهوى- الضلال- العصيان- الفسوق- انتهاك الحرمات- التهاون].

\*\*\*

## من فوائد (الصوم)

- (١) الوعد بالبشرى والفوز بالجنة.
- (٢) طهرة للنفس ووقاية للبدن.
- (٣) يثمر محبة الله وطاعته.
- (٤) يهذب الطباع ويكبح جماح النفس.
- (٥) دليل صلاح العبد واستقامته.
- (٦) صمام أمن من الوقوع في المحرمات.
- (٧) يورث الخشية من الله ﷻ.
- (٨) يثمر مراقبة الله ﷻ في السر.
- (٩) ينزه الإنسان عن مشابهة بقية المخلوقات.

(١) انظر في تفصيل ذلك: فقه السنة للشيخ سيد سابق (١/ ٣٨٠-٣٨٤).

(١٠) فيه ناحية صحّية فالمعدة بيت الداء (١١) فيه حرب على الشيطان.  
والحمية (أي الجوع) رأس الدواء. (١٢) فيه إحساس بألم الفقير والمريض  
الممنوع من الطّعام.

## الضراعة والتضرّع

### الضراعة لغة:

مصدر قولهم: ضرع يضرع ضراعة وذلك مأخوذ من مادة (ض رع) التي تدلّ على لين في الشيء، ومن هذا الباب ضرع الشاة، سمّي بذلك لما فيه من لين فأما المضارعة فهي التشابه بين الشيين وكأنهما ارتضعا من ضرع واحد، والنحويون يقولون للفعل المستقبل: مضارع لمشاكلته الأسماء فيما يلحقها من الإعراب.

يقال: ضرع فلان لفلان وضرع له، إذا ما تخشع له وسأله أن يعطيه.

ويقال: ضرع الرجل ضراعة أي خضع وذلل، وأضرعه غيره، وفي المثل: إن الحمى أضرعتني لك والضرع: الضعيف، وإن فلانا لضرع الجسم أي نحيف ضعيف، وتضرّع فلان إلى الله أي ابتهل قال القراء: يقال: جاء فلان يتضرّع ويتعرّض بمعنى إذا جاء يطلب إليك حاجة.

وقال ابن منظور: ضرع إليه يضرع ضرعا وضراعة: خضع وذلل فهو ضارع من قوم ضرعة وضروع، وتضرّع: تذلل وتخشع وقول الله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام: ٤٣] معناه: تذللوا وخضعوا ويقال: ضرع له واستضرع (بمعنى) والضرع المتذلل للغني، وأضرعت له مالي أي بذلته له، وقوله ﷻ: ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام: ٦٣] المعنى: تدعونه مظهرين الضراعة وهي شدة الفقر والحاجة إلى الله ﷻ وفي حديث الاستسقاء «خرج متبذلا متضرعا»، التضرّع: التذلل والمبالغة في السؤال والرغبة، وقال الراغب: التضرّع: إظهار الضراعة وقوله سبحانه: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤] أي يتضرعون فأدغم. قال صاحب البصائر: معناه يتذللون في دعائهم إياه والدعاء تضرّع؛ لأن فيه تذلل الراغبين، قال: وقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ [الأعراف: ٥٥] أي مظهرين الضراعة وهي شدة الفقر إلى الله تعالى وحقيقته الخشوع<sup>(١)</sup>.

(١) المقاييس (٣/ ٣٩٦)، تهذيب اللغة للأزهري (١/ ٤٧٠)، والصحاح (٣/ ١٢٤٩)، ولسان العرب «ضرع» (٢٥٨٠) ط، دار المعارف، والمفردات للراغب (٢٩٥)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٤٧٣).

**الضراعة اصطلاحاً:**

قال المناوي: الضراعة: الخضوع والتدلل.

التضرّع: أن تدعو الله ﷻ بضراعة<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التوسل - الابتغال - الإخبات - الإنابة - الدعاء - الذكر -

الخوف - الخشية - الرجاء.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض - الغرور - الكبر والعجب - العصيان - القنوط -

الغافلة - اليأس - اتباع الهوى].

\*\*\*

**من فوائد (الضراعة والتضرّع)**

- (١) تثمر إخلاص الطلب من الله.
- (٢) تؤذن بضعف العبد وقوة الرب.
- (٣) تدل على دوام الصلة بين العبد والرب.
- (٤) تثمر النجاة من الضر والتخفيف عند (٨) تضرّع قوم يونس إلى الله نفعهم وكشف القضاء.
- (٥) هي سمة التوحيد الخالص.
- (٦) سبيل النجاة في الدنيا والآخرة.
- (٧) التضرّع عند نزول البأس سبيل إلى دفعه وترك التضرّع حينئذ أمانة قسوة القلب.
- (٨) تضرّع قوم يونس إلى الله نفعهم وكشف عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا.

**الطاعة****الطاعة لغة:**

هي الاسم من قولهم: أطاعه يطيعه طاعة، والمصدر الإطاعة، وكلاهما مأخوذ من مادة (ط وع) التي تدل على الإصحاب والانقياد، يقال: طاعه يطوعه طوعاً: إذا انقاد معه ومضى لأمره، وأطاعه بمعنى طاع له، ويقال لمن وافق غيره قد طاعه، والطوع الانقياد وضده الكره، قال تعالى: ﴿وَلَهُ اسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣] والطاعة مثل الطوع، لكن

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٢٢).

أكثر ما تقال في الائتمار لما أمر به والارتسام فيما رسم، يقال: طَاعَهُ يَطُوعُهُ (طَوْعًا)، وَطَاوَعَهُ، يُطَاوِعُهُ مُطَاوَعَةً، والاسم من ذلك الطَّوَاعَةُ والطَّوَاعِيَّةُ، والوصف من ذلك: طَائِعٌ وَطَائِعٌ وَمِطْوَاعٌ، وَمِطْوَاعَةٌ، يقال: جاء فلان طائعا غير مكره، والجمع: طَوَّعَ وجمع المِطْوَاعِ مَطَاوِيعٌ، وَرَجُلٌ طَائِعٌ أَي طَائِعٌ.

وقال ابن منظور: والطَّوَاعِيَّةُ اسم لما يكون مصدرا لطاوعه أي للمطاوعة يقال: طاوعت المرأة زوجها طواعية، وقال ابن السكيت: طاع له وأطاعه سواء<sup>(١)</sup> ولا يقال في الأمر إلا أطاع، وفي الحديث الشريف: «هوى متبع وشح مطاع» هو أن يطيعه صاحبه في منع الحقوق التي أوجبها الله عليه في ماله، أمّا قوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، فإنه يريد طاعة ولاة الأمر إذا أمروا بما فيه معصية كالقتل والقطع أو نحوه، وقيل معناه أن الطَّاعَةَ لا تسلم لصاحبها ولا تخلص إذا كانت مشوبة بمعصية، وإنما تصحَّ الطَّاعَةُ، وتخلص مع اجتناب المعاصي، والأول أشبه بمعنى الحديث، وقولهم: أنا طوع يدك أي منقاد لك، وفلان طوع المكاره: إذا كان معتادا لها، وتطوَّع للشَّيء وتطوَّعه كلاهما: حاوله، وقول الله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ معناه: رخصت وسهلت وروي عن مجاهد: طوَّعت له: شجَّعته أي أعانته على ذلك وأجابتة إليه. قال أبو عبيد: ولا أدري أصله إلا من الطَّوَاعِيَّةِ، والاستطاعة استفعال من الطَّاعَةُ، ومعناها القدرة على الشَّيء، وتطوَّع للأمر، وتطوَّع به وتطوَّعه: تكلف استطاعته. وفي التنزيل: ﴿فَمَنْ نَطَّوعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ [المائدة: ٣٠] ويقال: تطوَّع لهذا الأمر حتى تستطيعه، والتطوَّع: ما تبرَّع به الشَّخص من ذات نفسه ممَّا لا يلزمه فرضه، كأنهم جعلوا التفعُّل هنا اسما كالتنوط، والمطوَّعة: الذين يتطوَّعون للجهاد<sup>(٢)</sup>.

### الطَّاعَةُ اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الطَّاعَةُ هي موافقة الأمر عندنا (معشر أهل السنة)، وعند المعتزلة موافقة الإرادة.

وقال الكفوي: الطَّاعَةُ فعل المأمورات ولو ندبا، وترك المنهيات ولو كراهة، فقضاء الدِّين والإنفاق على الزَّوجة والمحارم ونحو ذلك طاعة لله وليس بعبادة.

(١) معنى عبارة ابن السكيت أن الفعل طاع يتعدى بالهمزة وبحرف الجر «اللام».

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٤٣١)، بصائر ذوي التمييز (٣/ ٥٢١)، الصحاح للجوهري (٣/ ١٢٥٥)، لسان العرب لابن منظور «طوع» (٢٧٢٠). ط. دار المعارف.

وقال ابن المناوي: (بعد أن نقل كلام الجرجاني) عرّفت الطّاعة أيضا بأنّها: كلّ ما فيه رضا وتقرّب إلى الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وقال ابن علّان: هي الامتثال ظاهرا، والرّضا باطنا لحكم الله ورسوله وما يقوله من دعا إلى ذلك<sup>(٢)</sup>.

### أحوال الناس في الطّاعة:

قال الماوردي رحمه الله: ليس يخلو حال النّاس فيما أمروا به ونهوا عنه، من فعل الطّاعات واجتناب المعاصي، من أربعة أحوال: فمنهم من يستجيب إلى فعل الطّاعة، ويكفّ عن ارتكاب المعاصي. وهذا أكمل أحوال أهل الدّين، وأفضل صفات المتّقين، فهذا يستحقّ جزاء العاملين وثواب المطيعين، ومنهم من يمتنع عن فعل الطّاعات، ويقدم على ارتكاب المعاصي، وهي أخبث أحوال المكلفين، وشرّ صفات المتعبّدين، فهذا يستحقّ عذاب اللّاهي عن فعل ما أمر به من طاعته، وعذاب المجترئ على ما أقدم عليه من معاصيه، وقد قال ابن شبرمة:

عجبت لمن يحتمي من الطّيّبات مخافة الدّاء كيف لا يحتمي من المعاصي مخافة النّار؟  
فأخذ ذلك بعض الشعراء، فقال:

جسمك قد أفنيت به بالحمى      دهرا من البارد والحرار  
وكان أولى بك أن تحتمي      من المعاصي حذر النّار

ومنهم من يستجيب إلى فعل الطّاعات، ويقدم على ارتكاب المعاصي، فهذا يستحقّ عذاب المجترئ لأنّه تورّط بغلبة الشهوة على الإقدام على المعصية، وإن سلم من التّقصير في فعل الطّاعة<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] قال: يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدّسة أنّه لا يؤمن أحد حتّى يحكّم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحقّ الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا، ولهذا

(١) الكليات للكفوي (٥٨٢)، والتعريفات للجرجاني (ص ١٤٥)، والتوقيف على مهمات التعاريف (٢٢٥).

(٢) دليل الفالحين لابن علّان (١/ ٤٣٠).

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي (١٠٣- ١٠٥) بتصرف.

قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. أي إذا حكّموك بطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلموا لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة<sup>(١)</sup>.

### الفرق بين الطاعة والعبادة:

قال الكفوي: الطاعة: أعم من العبادة لأن العبادة غلب استعمالها في تعظيم الله غاية التعظيم والطاعة تستعمل لموافقة أمر الله وأمر غيره.

وقال أبو هلال: الفرق بين الطاعة والعبادة أن العبادة غاية الخضوع، ولا تستحق إلا بغاية الإنعام، ولهذا لا يجوز أن يعبد غير الله تعالى، ولا تكون العبادة إلا مع المعرفة بالمعبود، والطاعة: الفعل الواقع على حسب ما أراه المرید متى كان المرید أعلى رتبة ممن يفعل ذلك، وتكون للخالق والمخلوق، والعبادة لا تكون إلا للخالق، والطاعة في مجاز اللغة تكون في اتباع المدعو الداعي إلى ما دعاه إليه، وإن لم يقصد التبّع، كالإنسان يكون مطيعاً للشيطان وإن لم يقصد أن يطيعه ولكنه أتبع دعاءه وإرادته<sup>(٢)</sup>.

### الفرق بين الطاعة وموافقة الإرادة:

أن موافقة الإرادة قد تكون طاعة وقد لا تكون طاعة، وذلك إذا لم تقع موقع الداعي إلى الفعل نحو إرادتك أن يتصدّق زيد بدرهم من غير أن يشعر بذلك، فلا يكون بفعله مطيعاً لك ولو علمه ففعله من أجل إرادتك كان مطيعاً لك ولذلك لو أحسن بدعائك إلى ذلك فمال معه كان مطيعاً لك<sup>(٣)</sup>.

### الفرق بين الطاعة والخدمة:

إن الخادم هو الذي يطوف على الإنسان راعياً في حوائجه، ولهذا لا يجوز أن يقال: إن العبد يخدم الله تعالى، وأصل الكلمة الإطافة بالشيء ثم كثر ذلك حتى سمي الاشتغال بما يصلح به شأن المخدم خدمة، وليس ذلك من الطاعة والعبادة في شيء، ألا ترى أنه يقال فلان يخدم المسجد إذا كان يتعهده بتنظيف وغيره<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٠).

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (١٨٢).

(٣) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (١٨٢-١٨٣) بتصرف يسير.

[للاستزادة: انظر صفات: الإسلام- الإيمان- الإخلاص- التقوى- العبادة- الفرار إلى الله- الخوف- الخشوع- الخشية- الدعاء- الإنابة- الاتباع- الصلاة- الزكاة- الحج والعمرة- تعظيم الحرمات- الصوم.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الكفر- العصيان- الفجور- الفسوق- ترك الصلاة- اتباع الهوى- الإعراض- التفریط والإفراط- الضلال- الغي والإغواء- اللهو واللعب- انتهاك الحرمات- التهاون].

\*\*\*

### من فوائد (الطاعة)

- (١) الفوز بالجنة، والنجاة من النار.
- (٢) علامة على صلاح العبد واستقامته.
- (٣) تورث هداية في القلب.
- (٤) تثمر محبة الله ورضاه.
- (٥) بها تدفع التَّعَمُّ، وتجلب النَّعَم.
- (٦) حصن حصين من أخطار المعاصي والذنوب.
- (٧) علامة على حسن الخاتمة.
- (٨) صمام أمن للبيوت وعمارة لها.
- (٩) دليل اليقين وعلامة التصديق بالدين.
- (١٠) اتباع للرسول الكريم ﷺ.

### طلاقة الوجه

#### الطلاقة لغة:

الطلاقة في اللغة مصدر قولهم: طلق وجهه إذا كان ضاحكا مستبشرا، وهو مأخوذ من مادة ( ط ل ق ) التي تدل على التخلية والإرسال، يقال من هذا الأصل: انطلق الرجل انطلاقا: ذهب، ورجل طلق الوجه وطليقه: أي فرح ظاهر البشر، كأنه منطلق، وهو ضد الباسر؛ لأن الباسر<sup>(١)</sup> الذي لا يكاد يهش ولا ينفسح ببشاشة، ويقال: طلق يده بخير وأطلق بمعنى، ورجل طلق اليدين والوجه وطليقهما: سمحهما وفي الحديث: «أفضل الإيمان أن تكلم أخاك وأنت طليق» أي مستبشر منبسط الوجه ومنه الحديث أن تلقاه بوجه طلق. ويوم طلق: بين الطلاقة، وليلة طلق

(١) بسر: عيس، قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ أي مقطبة وقال: ﴿ثُمَّ عَسَّ وَبَسَّ﴾ أي نظر بكرة شديدة.

أيضا، وليلة طلقة: مشرق لا برد فيه ولا حرّ ولا مطر ولا قرّ، والطّالق: النّاقة ترسل ترعى حيث شاءت، وتقول: هذا أمر ما تطلق له نفسي، أي لا تشرح له، ويقال: طلق السّليم (أي اللديغ) إذا سكن وجعه بعد العداد، وقال أبو زيد: الطّلق: المتهلّل البسام، إذا لم يكن كالحا. ويجمع طلق على طلقات، ولا يقال: أوجه طواق إلا في الشعر خاصّة.

ويقال: لقيته منطلق الوجه (بفتحة ثمّ كسرة) إذا أسفر. ويقال للرّجل السّخّي: طلق الوجه<sup>(١)</sup>.

### طلاقة الوجه اصطلاحا:

انفساحه بالبشاشة وهشاشته عند اللّقاء بحيث لا يكون كالحا ولا باسرا<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: البشاشة- التودد- حسن السمّت- السرور- البشارة- حسن المعاملة- الرضا- التفاؤل- حسن الظن- حسن العشرة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: العبوس- الجفاء- الحزن- التطير- الغضب- سوء الظن- سوء الخلق- سوء المعاملة].

\*\*\*

### من فوائد (طلاقة الوجه)

- (١) تثمر المحبّة بين المسلمين.
- (٢) تبعث الاطمئنان في اللّقاء بين المسلمين.
- (٣) تعين على مناصحة الإخوان.
- (٤) فيها مرضاة للرّب.
- (٥) فيها تأسّ بسيد الخلق ﷺ.

### الطمأنينة

#### الطمأنينة لغة:

هي الاسم من الاطمئنان الذي هو مصدر قولهم: اطمأنّ الشّيء يطمئنّ إذا سكن، وذلك

(١) الصحاح (٤ / ١٥١٧). ولسان العرب (٥ / ٢٦٩٣ - ٣٦٩٦)، والمفردات للأصفهاني (٥٢٢)، والمصباح المنير (٣٧٧)، ومقاييس اللغة (٣ / ٤٢١).

(٢) استنبطنا هذا التعريف من جملة ما ذكره الراغب في المفردات (٣٠٦)، وابن فارس في المقاييس (٣ / ٤٢١).

مأخوذ من مادة (ط م ن) بزيادة الهمزة، يقال فيه: اطمأنَّ المكان إذا ثبت واستقرَّ. واطمأنَّ الرَّجُل اطمئناناً وطمأنينة أي سكن، قال أبو إسحاق في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٣]: أي إذا سكنت قلوبكم، يقال: اطمأنَّ الشيء إذا سكن وطمأنته وطمأنته إذا سكنته.

وقوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨] معناه: إذا ذكر الله بوحدانيته آمنوا به غير شاكين.

وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ هي التي قد اطمأنت بالإيمان وأخبت لربها. وقال الراغب: معناه: هي ألا تصير أماراً بالسوء، واطمأنَّ وتطامن متقاربان لفظاً ومعنى<sup>(١)</sup>.

### الطمأنينة اصطلاحاً:

قال الراغب: الطمأنينة: هي السكون بعد الانزعاج، وقال الكفوي: الطمأنينة في الشرع (أي عند الفقهاء) القرار بمقدار التسيحة في أركان الصلاة<sup>(٢)</sup>، وقال الحرالي: هي الهدوء والسكون على سواء الخلقة واعتدال الخلق<sup>(٣)</sup>، وقال صاحب المنازل (الهروي) الطمأنينة: سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان<sup>(٤)</sup>.

### الفرق بين الطمأنينة والسكينة:

قال الفيروز آبادي: الطمأنينة والسكينة كل منهما تستلزم الأخرى. لكن استلزام الطمأنينة السكينة أقوى من العكس. ثم إنَّ الطمأنينة أعم من السكينة. وهي على درجات: طمأنينة القلب بذكر الله. وهي طمأنينة الخائف إلى الرجاء، والطمأنينة: سكون أمن فيه استراحة أنس.

والسكينة تكون: حيناً بعد حين، والطمأنينة لا تفارق صاحبها وكأنها نهاية السكينة<sup>(٥)</sup>.

وذكر ابن القيم عن صاحب المنازل أن بين الطمأنينة والسكينة فرقين:

أحدهما: أن السكينة صولة تورث خمود الهيبة أحياناً، والطمأنينة: سكون أمن في استراحة أنس.

(١) الصحاح للجوهري (٦ / ٢١٥٨). ولسان العرب لابن منظور (١٣ / ٢٦٨) والمفردات للراغب ص ٣٠٧ ومقاييس اللغة لابن فارس ٣ / ٤٢٢.

(٢) المفردات للراغب (٣٠٧)، والكليات للكفوي (٥٦٥)

(٣) انظر التوقيف على مهمات التعاريف (٢٢٨).

(٤) مدارج السالكين (٢ / ٥٣٦).

(٥) انظر بصائر ذوي التمييز (٣ / ٥١٧).

والثاني: أنّ السكينة تكون نعتاً، وتكون حيناً بعد حين، والطمأنينة لا تفارق صاحبها، ومن ثمّ تكون الطمأنينة موجب السكينة وأثراً من آثارها وكأنّها نهاية السكينة<sup>(١)</sup>.

### درجات الطمأنينة:

هي على درجات منها:

الدرجة الأولى: طمأنينة القلب بذكر الله.

وهي طمأنينة الخائف إلى الرجاء. والضجر إلى الحكم.

والمبتلى إلى المثوبة.

لأنّ الخائف إذا طال عليه الخوف واشتدّ به، وأراد الله ﷻ أن يريحه، ويحمل عنه أنزل عليه السكينة فاستراح قلبه إلى الرجاء واطمأنّ به، وسكن لهيب خوفه.

وأما طمأنينة الضجر إلى الحكم: فالمراد بها: أنّ من أدركه الضجر من قوّة التكليف، وأعباء الأمر وأثقاله. ولا سيّما من أقيم مقام التبليغ عن الله.

ومجاهدة أعداء الله، وقطاع الطريق إليه. فإنّ ما يحمله ويتحمّله فوق ما يحمله الناس ويتحمّلونه. فلا بدّ أن يدركه الضجر ويضعف صبره. فإذا أراد الله أن يريحه ويحمل عنه: أنزل عليه سكينته. فاطمأنّ إلى حكمه الديني. وحكمه القدري. ولا طمأنينة له بدون مشاهدة الحكمين.

وأما طمأنينة المبتلى إلى المثوبة. فلا ريب أنّ المبتلى إذا قويت مشاهدته للمثوبة سكن قلبه، واطمأنّ بمشاهدة العوض. وإنّما يشتدّ به البلاء إذا غاب عنه ملاحظة الثواب.

الدرجة الثانية: طمأنينة الروح في الشوق إلى ما وعدت به بحيث لا تلتفت إلى ما وراءها، وهذا شأن كلّ مشتاق إلى محبوب وعد بحصوله، إذ تحدث الطمأنينة بسكون نفسه إلى وعد اللّقاء والعلم بحصول الموعود به<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: السكينة- الإيمان- التقوى- الثبات- حسن السمات- الرضا-

القناعة- اليقين- الإخبات- الخشوع- الخشية- الذكر- القنوت.

وفي ضد ذلك: القلق- السخط- الشك- العجلة- القنوط- الجزع- الكفر- اليأس].

(١) انظر شرح هذين الفرقين في مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٥٣٦).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٥٣٨-٥٤٠) بتصرف.

## من فوائد (الطمأنينة)

- (١) أثر من آثار هداية القلب.  
 (٢) ركن من أركان الصلاة لا تتم إلا بها.  
 (٣) ثناء الله على النفوس المطمئنة ورضاه  
 عنها.  
 (٤) سبب من أسباب سعادة الإنسان ودليل  
 فلاحه.  
 (٥) طريق موصل إلى الجنة.

## الطموح

## الطموح لغة:

مصدر قولهم: طمّح يطمّح، وهو مأخوذ من مادة (ط م ح) التي تدلّ على علوِّ في الشيء، يقال طمّح بصره إلى الشيء: علا، وكلّ مرتفع مفرط في تكبر طامّح، ويقال في المصدر أيضا طمّاح مثل جمّاح، يقال: فرس فيه طمّاح، وطمّحت المرأة مثل جمّحت، فهي طامّح أي تطمّح إلى الرجال، وفي حديث قيلة: كنت إذا رأيت رجلا ذا قشر طمّح بصري إليه، أي امتدّ وعلا، ومنه أيضا الحديث الآخر: فخرّ إلى الأرض فطمّحت عيناه إلى السماء، ويقال أطمّح فلان بصره أي رفعه، قال الجوهري: وقال بعضهم طمّح، أي أبعد في الطلب ورجل طمّاح: بعيد الطّرف، والطمّاح أيضا: الكبر والفخر لارتفاع صاحبه<sup>(١)</sup>.

## الطمّوح اصطلاحا:

لم تذكر كتب الاصطلاحات التي وقفنا عليها تعريفا للطمّوح ويمكن أن نستخلص ذلك من جملة ما ذكره اللغويون وشراح الحديث، فنقول: الطمّوح: هو أن ينزع الإنسان إلى معالي الأمور

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٤٢٣)، والصحاح للجوهري (١/ ٣٨٨)، والنهاية لابن الأثير (٣/ ١٢٩)، ولسان العرب لابن منظور (٢/ ٥٣٤) (ط. بيروت).

ويعمل على تغيير حاله إلى ما هو أسمى وأنفع، وكلّما نال مرتبة نظر إلى ما فوقها، ولا يكون ذلك محموداً إلا إذا وافق الشرع الحنيف.

### الطموح في طلب العلم:

قال الشيخ الخضر حسين رحمته: «ومما جبل عليه الحرّ الكريم، أن لا يقنع من شرف الدنيا والآخرة بشيء مما انبسط له، أملاً فيما هو أسنى منه درجة وأرفع منزلة<sup>(١)</sup>. وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

والحرّ لا يكتفي من نيل مكرمة      حتّى يروم<sup>(٢)</sup> التي من دونها العطب<sup>(٣)</sup>  
يسعى به أمل من دونه أجل      إن كّفه رهب يستدعه رغب  
لذاك ما سال موسى ربّه أرني      أنظر إليك وفي تسالته عجب  
يبغي التزيّد فيما نال من كرم      وهو النّجّيّ لديه الوحي والكتب<sup>(٤)</sup>

إنّ معالي الأمور وعرة المسالك محفوفة بالمكاره، والعلم أرفع مقام تطمح إليه الهمم، وأشرف غاية تتسابق إليها الأمم، فلا يخلص إليه الطالب دون أن يقاسي شدائد، ويحتمل متاعب، ولا يستهين بالشدائد إلاّ كبير الهمة ماضي العزيمة. كان سعيد بن المسيّب يسير الليلي في طلب الحديث الواحد، ورحل أبو أيّوب الأنصاريّ من المدينة إلى عقبة بن عامر وهو في مصر ليروي عنه حديثاً، فقدم مصر ونزل عن راحلته ولم يحلّ رحلها، فسمع منه الحديث وركب راحلته وقفل إلى المدينة راجعاً، ولم ينتشر العلم في بلاد المغرب أو الأندلس إلاّ برجال رحلوا إلى الشرق ولاقوا في رحلاتهم عناء ونصبا، مثل أسد بن الفرات وأبي الوليد الباجيّ وأبي بكر بن العربيّ.

وخلاصة المقال: تذكير النّبهاء من نشئنا بأن يقبلوا على العلم بهمم كبيرة صيانة للوقت من أن ينفق في غير فائدة، وعزم يبلى الجديدان وهو صارم صقيّل، وحرص لا يشفي غليله إلاّ أن يغترف من موارد العلوم بأكواب طافحة، وغوص في البحث لا تحول بينه وبين نفائس العلوم

(١) انظر رسائل الإصلاح للخضر حسين (ص ٥٤).

(٢) يروم: يطلب.

(٣) العطب: الهلاك.

(٤) انظر تهذيب الأخلاق للجاحظ (ص ٢٨).

وعورة المسلك ولا طول مسافة الطريق، وألسنة مهذّبة لا تقع في لغو أو مهاترة<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

### الفرق بين الطّموح وعلو الهمة:

إذا كان كلّ من الطّموح وعلو الهمة يشتركان في الهدف والغاية، أي تطلّب المعالي، فإنّهما قد يختلفان في الوسيلة والباعث، إذ الباعث في علو الهمة قد يكون الأنفة من خمول الضّعة أو الاستنكار لمهانة النّقص، أمّا الباعث على الطّموح فهو نزوع النّفس دائماً نحو الأعلى والأرقى، ومن حيث الوسيلة نجد أنّ الطّموح قد يجنح بصاحبه إلى الغلوّ والإسراف على النّفس أو الغير، أمّا علو الهمة فلا يسلك صاحبها إلاّ الدّروب الشّريفة التي تتفق مع مبادئ الشّرع الحنيف.

[للاستزادة: انظر صفات: علو الهمة - الشجاعة - الشرف - النبل - القوة والشدة - الرجولة - العزم والعزيمة - قوة الإرادة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: صغر الهمة - التهاون - الجبن - الوهن - الذل - الضعف - الكسل - التفريط والإفراط.

\*\*\*

### من فوائد (الطموح)

- (١) دليل شرف النّفس ونبليتها.
- (٢) يكسب معالي الأمور وعظائمها.
- (٣) ينزّه النّفس عن سفاسف الأمور.
- (٤) يكسب النّشاط في طلب العلم.
- (٥) يرفع الصّغير ويسمو بالحقير.

### الطهارة

#### الطهارة لغة:

مصدر قولهم: طهر الشّيء طهراً وطهارة وهو مأخوذ من مادّة (ط ه ر) التي تدلّ على نقاء وزوال دنس، يقال طهر وطهر (بالفتح والضّم)، طهراً وطهارة (المصدران عن سيبويه)، وقال الرّاعب: يقال: طهرت المرأة وطهرت والفتح أقيس لأنّها خلاف طمّثت ويقال في المؤنّث طاهرة

(١) مهاترة: الكلام الساقط.

(٢) رسائل الإصلاح للخضر حسين (ص ٥٣).

(بالتاء)، وطهرته بالماء، نظفته به، ويقال طهرته فتطهر وطهر واطهر فهو طاهر ومتطهر. عن ابن الأعرابي وأنشد:

أضعت المال للأحساب حتى خرجت مبراً طهر الثياب  
والطهر، نقيض الحيض. والطهر: نقيض النجاسة، والجمع أطهار. واسم الماء: الطهور.  
وكل ماء نظيف: طهور، وماء طهور أي يتطهر به وكل طهور طاهر، وليس كل طاهر طهوراً.  
قال الأزهري: وكل ما قيل في قوله ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨] فإن  
الطهور في اللغة: هو الطاهر المطهر؛ لأنه لا يكون طهوراً إلا وهو يتطهر به.  
وقال ابن الأثير: الطهور بالضم: التطهر وبالفتح: الماء الذي يتطهر به.  
والطهارة: اسم يقوم مقام التطهر بالماء.

التطهر والتطهير: التنزه والكف عن الإثم وما لا يجمل، ورجل طاهر الثياب أي منزّه. وهم  
قوم يتطهرون أي يتنزهون عن الأدناس ورجل طهر الخلق وطاهره، والأنثى طاهرة. والتوبة التي  
تكون بإقامة الحدّ، كالرجم وغيره: طهور للمذنب تطهره تطهيراً، وقد طهره الحدّ. وطهر فلان  
ولده إذا أقام سنة ختانه<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحاً:

قال الراغب: الطهارة ضربان: طهارة جسم وطهارة نفس، ولكل معناه الاصطلاحية فطهارة  
النفس: ترك الذنب والعمل للصالح وتنقية النفس من المعاييب.  
وطهارة الجسم: رفع حدث أو إزالة نجس أو ما في معناهما وعلى صورتها<sup>(٢)</sup>.  
وقال المناوي: الطهارة شرعاً صفة حكمية توجب أن تصحح للموصوف صحة الصلاة به أو  
فيه أو معه<sup>(٣)</sup>. وقال الجرجاني: الطهارة في الشرع: عبارة عن غسل أعضاء مخصوصة بصفة  
مخصوصة<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب لابن منظور (٤/ ٥٠٤-٥٠٧). ومقاييس اللغة (٣/ ٤٢٨).

(٢) المجموع شرح المذهب (١/ ٧٩)، والمفردات للراغب (ص ٣٠٨).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف لابن المناوي (٢٢٨) وقد نقل تعريفاً آخر لا يخرج عن التعريف الأول للإمام النووي.

(٤) التعريفات (١٤٦).

من معاني كلمة «الطهارة» في القرآن الكريم:

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : ذكر أهل التفسير أن الطهارة في القرآن على أوجه:

(١) الطهارة من الذنوب، ومنه قوله تعالى في براءة: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]. وفي المجادلة ﴿ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ [المجادلة: ١٢].

(٢) الطهارة من الأوثان، ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿ أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتَ لِلطَّائِفِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٥] ومثلها في الحج.

(٣) ومنها: الحلال، ومنه قوله تعالى في هود: ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ [هود: ٧٨] أي أحل.

(٤) ومنها: طهارة القلب من الريبة، ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿ ذَلِكَمُؤْتَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ [البقرة: ٢٣٢] يريد: أطهر لقلب الرجل والمرأة من الريبة، وفي الأحزاب ﴿ ذَلِكَمُ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] أي من الريبة والذنس.

(٥) ومنها: الطهارة من الفاحشة، ومنه قوله تعالى في آل عمران ﴿ يَمْزِيهِمْ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ ﴾ [آل عمران: ٤٢] <sup>(١)</sup>.

### أنواع الطهارة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - :

### الطهارة أنواع:

(١) منها الطهارة من الكفر والفسوق، كما يراد بالنجاسة ضد ذلك كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا

الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة: ٢٨].

(٢) ومنها: الطهارة من الحدث وضد هذه نجاسة الحدث.

(٣) ومنها: الطهارة من الأعيان الخبيثة التي هي نجاسة <sup>(٢)</sup>.

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (٤١٩ - ٤٢٢) باختصار.

(٢) مجموع الفتاوى (٢١ / ٦٧، ٦٨).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : المراد من قوله تعالى: ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ [المدثر: ٤] الآية تعم كل ما ذكره ابن تيمية سابقا، إن كان طهارة القلب، فطهارة الثوب، وطيب مكسبه تكميل لذلك، فإن خبث الملابس يكسب القلب هيئة خبيثة، كما أن خبث المطعم يكسبه ذلك، ولذلك حرّم ما حرّم من اللباس، لما تكسب القلب من الهيئة المشابهة لتلك الحيوانات التي تلبس جلودها، فإن الملابس الظاهرة تسري إلى الباطن. والمقصود أن طهارة الثوب وكونه من مكسب طيب وهو من تمام طهارة القلب وكمالها، فإن كان المأمور به ذلك فهو وسيلة مقصودة لغيرها. فالمقصود لنفسه أولى أن يكون مأمورا به، وإن كان المأمور به طهارة القلب وتركيب النفس، فلا يتم إلا بذلك. والله سبحانه بحكمته جعل الدخول إلى جنّته موقوفا على الطيب والطهارة، فلا يدخلها إلا طيب طاهر، فهما طهارتان: طهارة البدن، وطهارة القلب<sup>(١)</sup>.

قال الفيروز آبادي - رحمه الله تعالى - : الطهارة ضربان: جسمانية، ونفسانية وحمل عليهما عامة الآيات. وقوله تعالى: ﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾ [المائدة: ٦] أي استعملوا الماء أو ما يقوم مقامه. وقال تعالى: ﴿ولا تقرّبوهنّ حتى يظهرنّ فإذا تطهرنّ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وقوله تعالى: ﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾ [آل عمران: ٥٥]. أي مخرجك من جملتهم ومنزهك أن تفعل فعلهم. وقيل في قوله تعالى: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ [الواقعة: ٧٩] يعني به تطهير النفس أي إنه لا يبلغ حقائق معرفته إلا من يطهر نفسه من درن الفساد والجهالات والمخالفات. وقوله تعالى: ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾ [البقرة: ٢٥] أي مطهّرات من درن الدنيا وأنجاسها. وقيل من الأخلاق السيئة، بدلالة قوله تعالى وتيابك فطهر قيل معناه: نفسك نزّها عن المعاييب. وقيل: طهره عن الأغيار (يعني القلب)، وتطهر من الإثم: تنزّه منه.

وهو طاهر الثياب: نزه من مدانس الأخلاق<sup>(٢)</sup>.

وقال الجرجاني: الطاهر من عصمه الله - تعالى - من المخالفات.

وطاهر الظاهر: من عصمه الله - تعالى - من المعاصي.

وطاهر الباطن: من عصمه الله تعالى من الوسوس والهوامس.

(١) إغاثة اللفهان (١ / ٦٩) بتصرف واختصار.

(٢) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٣ / ٥٢٨، ٥٣٠) باختصار وتصرف.

وطاهر السرّ: من لا يغافل عن الله - تعالى - طرفة عين.

وطاهر السرّ والعلانية: من قام بتوفية حقوق الحقّ والخلق جميعاً لسعته برعاية الجانبيين<sup>(١)</sup>.  
[للاستزادة: انظر صفات: الإيمان - التقوى - التوبة - الصلاة - النزاهة - العبادة - الحياء -  
الوقاية - الصدقة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: النجاسة - الخبث - ترك الصلاة - البذاذة - الإهمال - الكسل -  
التفريط والإفراط - اتباع الهوى - التهاون].

\*\*\*

### من فوائد (الطهارة)

- (١) بها ينال العبد محبة الله ورضاه.  
(٢) شرط لصحة الصلاة، والطّواف، ومسّ القرآن.  
(٣) الطهارة عامّة في كلّ ما يتّصل بالمسلم من مسجده وثوبه وبيته وسوقه وغير ذلك.  
(٤) صحّة للأبدان وقوّة للأديان.  
(٥) الأخذ بالأيسر والأسهل والأوسط قدراً ونوعاً سمة ظاهرة في الدين ومنه باب الطهارة.  
(٦) طهارة الباطن كطهارة الظاهر فطهارة الوجدان كطهارة الأبدان بل أهمّ.  
(٧) عبادة لا يطّلع عليها إلاّ الله فيستدلّ بها على صحّة الإيمان.  
(٨) إشاعة النظافة في المجتمع تبعث في النفس السرور والانشراح.  
(٩) المجتمع النظيف الطاهر قليل خبثه الماديّ والمعنويّ.  
(١٠) الطهارة وسيلة هامّة من وسائل الوقاية من الأمراض، ومن المعروف أنّ الوقاية خير من العلاج.

### العبادة

#### العبادة لغة:

مصدر عبد يعبد عبادة أي أطاع وهذا المصدر مأخوذ من مادة (ع ب د) التي تدلّ على

(١) التعريفات (١٤٤).

معنيين: الأول لين وذلل، والآخر شدة وغلظ<sup>(١)</sup> ومن الأصل الأوّل أخذ العبد وهو المملوك، والجماعة العبيد، وثلاثة أعبد (في جمع القلّة) وهم العباد (في جمع الكثرة)، قال الخليل: إلاّ أنّهم اجتمعوا على تفرقة ما بين عباد الله والعبيد المملوكين. يقال: هذا عبد بين العبودة ولم نسمعهم يشتقون منه فعلا، ولو اشتقّ لقليل (عبد) أي صار عبدا وأقرّ بالعبودية، ولكنه أميت الفعل فلم يستعمل، قال (الخليل) وأمّا عبد يعبد عبادة، فلا يقال إلاّ لمن يعبد الله تعالى، يقال منه عبد يعبد عبادة وعبودية ومعبدا، وتعبّد يتعبّد تعبدا، فالمتعبّد: المنفرد بالعبادة، ويقال: استعبدت فلانا: اتّخذته عبدا، ويقال تعبّد فلان فلانا إذا صيرّه كالعبد له وإن كان حرّا، ويقال أعبد فلان فلانا أي جعله عبدا، ويقال للمشركين: عبدة الطّاغوت والأوثان، وللمسلمين عبّاد يعبدون الله، وذكر بعضهم في جمع عابد عبد، وتأنيث العبد عبدة، والعبداء: جماعة العبيد الذين ولدوا في العبوديّة، ومن الباب البعير المعبّد أي المهنوء بالقطران؛ لأنّ ذلك يذله ويخفض منه، ومنه أيضا الطّريق المعبّد وهو المملوك المذلّل<sup>(٢)</sup>.

وقال الراغب: العبوديّة: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل ولا يستحقّها إلاّ من له غاية الإفضال وهو الله تعالى وجمع العبد الذي هو مسترقّ عبيد، وقيل عبدا، وجمع العبد الذي هو العابد عباد، فالعبيد إذا أضيف إلى الله أعمّ من العباد ولهذا قال: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩] فنبّه أنّه لا يظلم من يختصّ بعبادته ولا من يتنسب إلى غيره كعبد شمس وعبد اللات ونحو ذلك<sup>(٣)</sup>.

وقال الجوهري: العبد خلاف الحرّ، والجمع عبيد وأعبد وعباد وعبدان وعبدان وعبدان وعبدا يمدّ ويقصر، ومعبوداء بالمدّ، وأصل العبوديّة: الخضوع والذلّ، والتّعبيد: الاستعباد، وهو أن يتّخذ عبدا، وكذلك الاعتياد، وفي الحديث «ورجل اعتبد محرّرا» والإعباد مثله وكذلك التّعبّد، والعبادة الطّاعة، والتّعبّد التّنسك<sup>(٤)</sup>.

(١) من هذا الأصل قولهم: العبدية وهي القوّة والصلابة، والعبد وهو الأنفة والحمية انظر في هذا: مقاييس اللغة لابن فارس (٤)

(٢٠٦)، ولسان العرب (٣/ ٢٧٥).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٢٠٥، ٢٠٦).

(٣) مفردات الراغب (٣١٨).

(٤) الصحاح (٢/ ٥٠٢).

وقال ابن منظور: العبد: الإنسان حرّاً كان أو رقيقاً، يذهب بذلك إلى أنّه مريبوب لباريه ﷺ، والعبد المملوك: خلاف الحرّ، وأصل العبوديّة الخضوع والذلّ، ويقال تعبّد الله العبد بالطّاعة أي استعبده، أمّا تعبّدت فلانا فمعناه اتّخذته عبداً مثل عبّدته سواء، وكلّ من دان لملك فهو عابد له، والمعبد: المكرّم المعظم كأنّه يعبد قال حاتم:

تقول: ألا تبقي عليك، فإنني أرى المال عند المسكين معبداً؛<sup>(١)</sup>

#### واصطلاحاً:

اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

وقيل: هي اسم يجمع كمال الحبّ لله ونهايته، وكمال الذلّ لله ونهايته.

وقيل: عبادة الله: طاعته بفعل المأمور وترك المحذور<sup>(٢)</sup>.

وقال المناويّ: العبادة فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربّه. وقيل: هي الأفعال الواقعة على نهاية ما يمكن من التذلل والخضوع المتجاوز لتذلل بعض العباد لبعض، ولذلك اختصّت بالرّب، وهي أخصّ من العبوديّة التي تعني مطلق التذلل<sup>(٣)</sup>. أمّا العبوديّة فقد عرّفها الجرجاني بقوله: هي الوفاء بالعهد، وحفظ الحدود، والرّضا بالموجود، والصّبر على المفقود<sup>(٤)</sup>.

#### الفرق بين الطاعة والعبادة:

قال أبو هلال العسكريّ: الفرق بين الطاعة والعبادة: أنّ العبادة غاية الخضوع، ولا تستحقّ إلاّ بغاية الإنعام، ولهذا لا يجوز أن يعبد غير الله تعالى، ولا تكون العبادة إلاّ بمعرفة المعبود، أمّا الطاعة فهي الفعل الواقع على حسب إرادة المرید متى كان المرید أعلى رتبة ممّن يفعل ذلك وتكون للخالق، والمخلوق، كما أنّ الطاعة لا يصحبها قصد الاتّباع، كالإنسان يكون مطيعاً للشيطان وإن لم يقصد أن يطيعه ولكنه أتبع دعاءه وإرادته<sup>(٥)</sup>.

(١) لسان العرب (٣/ ٢٧٠٤).

(٢) العبودية لابن تيمية (٥)، وتيسير العزيز الحميد (٤٧)، وقرة عيون الموحدین (١٥)، وفتح المجيد (١٤).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢٣٤).

(٤) التعريفات (١٥١).

(٥) بتصرف يسير عن الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري (١٨٢).

**العبادة وأنواع العبد:**

قال الراغب: العبادة ضربان:

١- عبادة بالتسخير: وهي للإنسان والحيوانات والنبات.

٢- عبادة بالاختيار: وهي لذوي النطق، وهي المأمور بها في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ

اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١].

أما العبد فإنه يقال على ضرب:

الأول: عبد بحكم الشرع: وهو الإنسان الذي يصح بيعه وابتياعه.

الثاني: عبد بالإيجاد: وذلك ليس إلا لله وإياه قصد بقوله: ﴿إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا﴾ [مریم: ٩٣].

الثالث: عبد بالعبادة والخدمة: والناس في هذا ضربان:

أ- عبد مخلص لله، وهو المقصود بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١].

ب- عبد للدنيا وأعراضها، وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها وإياه قصد المصطفى ﷺ

بقوله: «تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدنيا نار... الحديث»<sup>(١)</sup>.

**من معاني كلمة «العبادة» في القرآن الكريم:**

ذكر أهل التفسير أن العبادة في القرآن على وجهين: أحدهما: التوحيد. ومنه قوله تعالى في

سورة النساء: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] أي وحدوه.

والثاني: الطاعة. ومنه قوله تعالى في يس: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠]، وفي سبأ:

﴿أَهْتُولَاءَ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠]<sup>(٢)</sup>.

**حقيقة العبادة:**

قال القرطبي رحمه الله: أصل العبادة: التذلل والخضوع، وسميت وظائف الشرع على المكلفين

عبادات؛ لأنهم يلتزمون بها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى<sup>(٣)</sup>.

(١) مفردات الراغب (٣١٨).

(٢) انظر نزهة الأعين النواظر (٤٣١، ٤٣٢).

(٣) فتح المجيد (١٨).

قال العلامة ابن القيم رحمته الله: التَّحْقِيقُ بِمَعْنَى قَوْلِهِ (إِنِّي عَبْدُكَ): التَّزَامُ عِبُودِيَّتِهِ مِنَ الدَّلِّ وَالْخُضُوعِ وَالْإِنَابَةِ، وَامْتِثَالِ أَمْرِ سَيِّدِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ وَدَوَامِ الْإِفْتِقَارِ إِلَيْهِ، وَاللَّجْوَاءِ إِلَيْهِ وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ، وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، وَعِيَاذَ الْعَبْدِ بِهِ وَبِإِيَادِهِ بِهِ، وَأَنْ لَا يَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِغَيْرِهِ مَحَبَّةً وَخَوْفًا وَرَجَاءً. وَفِيهِ أَيْضًا: أَنِّي عَبْدٌ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ: صَغِيرًا وَكَبِيرًا، حَيًّا وَمَيِّتًا مَطِيعًا وَعَاصِيًا، مَعَافِي وَمَبْتَلَى، بِالرُّوحِ وَالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، وَفِيهِ أَيْضًا: أَنَّ مَالِي وَنَفْسِي مَلِكٌ لَكَ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ وَمَا يَمْلِكُ لِسَيِّدِهِ. وَفِيهِ أَيْضًا: أَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي مَنَنْتَ عَلَيَّ بِكُلِّ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ نِعْمَةٍ فَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ إِنْعَامِكَ عَلَيَّ عَبْدُكَ. وَفِيهِ أَيْضًا: أَنِّي لَا أَتَصَرَّفُ فِيمَا خَوَّلْتَنِي مِنْ مَالِي وَنَفْسِي إِلَّا بِأَمْرِكَ، كَمَا لَا يَتَصَرَّفُ الْعَبْدُ إِلَّا بِإِذْنِ سَيِّدِهِ، وَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا، فَإِنْ صَحَّ لَهُ شَهُودُ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ: إِنِّي عَبْدُكَ حَقِيقَةً.

ثم قال: ناصيتي بيدك، أي أنت المتصرّف فيّ تصرّفني كيف تشاء، لست أنا المتصرّف في نفسي.

وكيف يكون له في نفسه تصرّف من نفسه بيد ربّه وسَيِّدِهِ، وَنَاصِيَتِهِ بِيَدِهِ، وَقَلْبِهِ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ، وَمَوْتِهِ وَحَيَاتِهِ وَسَعَادَتِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَعَافِيَتِهِ وَبِلَاؤُهُ كُلَّهُ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ لَيْسَ إِلَى الْعَبْدِ مِنْهُ شَيْءٌ، بَلْ هُوَ فِي قَبْضَةِ سَيِّدِهِ أَوْضَعُفٌ مِنْ مَمْلُوكٍ ضَعِيفٌ حَقِيرٌ، نَاصِيَتُهُ بِيَدِ سُلْطَانِ قَاهِرٍ مَالِكٍ لَهُ، تَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ، بَلْ الْأَمْرُ فَوْقَ ذَلِكَ.

ومتى شهد العبد أنّ ناصيته ونواصي العباد كلّها بيد الله وحده يصرّفهم كيف يشاء، لم يخفهم بعد ذلك، ولم يرجهم، ولم ينزلهم منزلة المالكين بل منزلة عبيد مقهورين مربوبين، المتصرّف فيهم سواهم والمدبّر لهم غيرهم، فمن شهد نفسه بهذا المشهد صار فقره وضرورته إلى ربّه وصفا لازما له، ومتى شهد الناس كذلك لم يفتقر إليهم ولم يعلّق أمله ورجاءه بهم فاستقام توحيده وتوكله وعبوديته<sup>(١)</sup>.

### أركان العبادة:

ويقول ابن القيم: «العبادة تجمع أصلين: غاية الحبّ وغاية الدّلّ والخضوع... فمن أحببته ولم تكن خاضعا له لم تكن عابدا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له حتّى تكون محبا خاضعا. ومن ههنا كان المنكرون محبة العباد لربّهم منكبين حقيقة العبودية والمنكرون لكونه

(١) الفوائد لابن القيم (٣٤، ٣٥).

محبوباً لهم - بل هو غاية مطلوبهم ووجهه الأعلى نهاية بغيتهم - منكرون لكونه إلهاً، وإن أقرّوا بكونه ربّاً للعالمين وخالفاً لهم، فهذا الإقرار غاية توحيدهم، وهو توحيد الربوبية الذي اعترف به مشركو العرب ولم يخرجوا به عن الشرك<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإيمان - الإسلام - الاستعانة - الإنابة - التقوى - التوحيد - الخشوع - الضراعة - الصلاة - الحج والعمرة - الصوم - الطاعة - تلاوة القرآن - الصدقة - الزكاة. وفي ضد ذلك: انظر صفات: اتباع الهوى - العصيان - الفجور - هجر القرآن - الغافلة - ترك الصلاة - الإعراض - النفاق - التفريط والإفراط - الاعوجاج - التهاون].

\*\*\*

### من فوائد (العبادة)

- |  |  |
|--|--|
| (١) تفيد رفعة المكان والمكانة.             | (٩) صورة لشكر العبد المنعم عليه، وعلامة  |
| (٢) فيها عظم الثواب، ورضا ربّ الأرباب.     | رضاه عن النعم.                           |
| (٣) هي دليل اليقين، وعلامة الدين.          | (١٠) حسن العبادة يثمر حسن الظنّ بالله    |
| (٤) ثوابها سكن الجنة وهي أعظم منة.         | تعالى.                                   |
| (٥) دليل التوكّل، وعلامة التعقل.           | (١١) التّوفيق في سؤال القبر.             |
| (٦) علامة التّوفيق من الله.                | (١٢) ثمر الصّبر، والصّبر يثمر حسن العوض. |
| (٧) الملائكة تحفّ العابدين بأجنتها وتحفظه. | (١٣) ثمر حبّ الناس ممّا يثمر حسن الذّكر  |
| (٨) تتكاثر حوله الرّحمت، وهي أعظم الهبات.  | وحسن الثّواب بالأثر.                     |

### العدل والمساواة

#### أولاً: العدل:

#### العدل لغة:

مصدر عدل يعدل عدلاً وهو مأخوذ من مادة (ع د ل) التي تدلّ - كما يقول ابن فارس - على

(١) مدارج السالكين (١/ ٨٥ - ٨٦).

معنيين متقابلين: أحدهما يدلّ على الاستواء، والآخر على اعوجاج، ويرجع لفظ العدل هنا إلى المعنى الأوّل، وإذا كان العدل مصدرا فمعناه: خلاف الجور وهو ما قام في النفوس أنّه مستقيم، وقد يستعمل هذا المصدر استعمال الصّفات، فيقال: رجل عدل، والعدل من الناس المرضيّ المستقيم الطّريقة، ويستوي في هذا الوصف المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث. يقال: رجل عدل، ورجلان عدل ورجال عدل، وامرأة عدل، كلّ ذلك على معنى: ذو عدل، أو ذوو عدل، أو ذوات عدل. فإن رأيتَه مثنى أو مجموعا أو مؤنثا فعلى أنّه قد أجري مجرى الوصف الذي ليس بمصدر كما في قولهم: قوم عدل وعدول أيضا، وحكى ابن جنّي: امرأة عدلة: ومعنى قولهم رجل عدل، بيّن العدل والعدالة أي أنّه رضا ومقنع في الشّهادة.

ويرادف العدل (في معناه المصدريّ) العدالة والعدولة والمعدلة والمعدلة يقال: بسط الوالي عدله ومعدلته ومعدلته بمعنى، وفلان من أهل المعدلة أي من أهل العدل، وتعديل الشّهود أن تقول إنهم عدول، والعدل والعدل والعدل سواء أي النّظير والمثل، وقيل هو المثل وليس بالنّظير عينه وفي التّنزيل: ﴿أَوْ عَدَلْ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٥]، والعدل بالفتح أصله مصدر قولك: عدلت بهذا عدلا تجعله اسما للمثل، لتفرّق بينه وبين عدل المتاع، وقال الرّاعب: العدل والعدل يتقاربان، لكنّ العدل يستعمل فيما يدرك بالبصيرة كالأحكام، والعدل والعدل فيما يدرك بالحاسة كالموزونات والمعدودات والمكيلات، وقد فرّق سيبويه بين العدل والعدل فقال: العدل من عادلك من الناس، والعدل لا يكون إلا للمتاع خاصّة.

والعدل (أيضا) الحكم بالحقّ، وفي قول الله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢] قال سعيد بن المسيّب: ذوي عقل، وقال إبراهيم (النّخعي): العدل الذي لم تظهر منه ريبة (ومن معاني) العدل أن تعدل الشّيء عن وجهه أي تصرفه عنه<sup>(١)</sup>.

وفيما يتعلّق بالفعل المشتقّ من هذه المادّة؛ فإنّ معناه يختلف باختلاف التّجرّد والزيادة من ناحية وباعتبار التّعدي واللّزوم من ناحية ثانية وباعتبار حرف الجرّ المتعلّق به من ناحية ثالثة، ومن أمثلة ما أورده كتب اللّغة من ذلك قولهم: عدل في الحكم: لم يجز فيه، وعدل عليه في القضيّة: أنصفه، وعدل عن الحقّ: جار، ويقال: فلان يعدل فلانا: يساويه، وما يعدلك عندنا شيء: أي لا يقع شيء موقعك، وعدلت فلانا بفلان: سوّيت بينهما، وعدل فلان: صار ذا عدل، وعدل بالله:

(١) مقاييس اللّغة لابن فارس (٤/ ٢٤٦)، والصحاح (٥/ ١٧٦٠)، ولسان العرب (٥/ ٢٨٣٨)، ومفردات الرّاعب (٣٢٥).

أشرك، وعدل عن الشيء: حاد عنه، وعدل إليه: رجع، وعدل الفحل عن الإبل: ترك الضراب، ومن أمثلة الصيغ المزيدة قولهم: عدل الشيء قومه والحكم أقامه، وعدل الشاهد: زكاه، وعادل الشيء، وازنه، وعادل الأمر ارتبك فيه، وتأتي عادل في معنى انعدل أي اعوجج، أما اعتدل فيراد بها استقام، وقد يحتمل الفعل عدل أكثر من معنى كما في قوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠] يصحح أن يكون على تقدير يعدلون به أي يشركون، ويصحح أن يكون من قولهم: عدل عن الحق: جار<sup>(١)</sup>.

«العدل» من أسماء الله ﷻ ومن أسماء الله - تعالى - العدل. وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وهو في الأصل مصدر سمي به فوضع موضع (اسم الفاعل) العادل والمصدر أبلغ منه لأنه جعل المسمى نفسه عدلا<sup>(٢)</sup>.

ويقول الغزالي رحمه الله: من أراد أن يفهم وصف الله ﷻ بالعدل ينبغي له أن يحيط علما بأفعال الله - تعالى - من ملكوت السماوات إلى منتهى الثرى. حتى إذا لم ير في خلق الرحمن من تفاوت، ثم رجع إليه بصره فما رأى من فطور، ثم رجع مرة أخرى فانقلب إليه البصر خاسئا وهو حسير، وقد بهره جمال ما رأى، وحيره اعتداله وانتظامه، فعند ذلك يعقب بفمه شيء من معاني عدله، تعالى وتقدس. وقد خلق الله أقسام الموجودات، جسمانيها وروحانيها، كاملها وناقصها، وأعطى كل شيء خلقه، وهو بذلك جواد، ورتبها في مواضعها اللاتقة بها وهو بذلك عدل، ولينظر الإنسان إلى بدنه فإنه مركب من أعضاء مختلفة، فقد ركبه من العظم واللحم والجلد، وجعل العظم عمادا مستبطنًا، واللحم صوانا له مكتنفا إيّاه، وكذلك جعل الجلد صوانا للحم، فلو عكس هذا الترتيب وأظهر ما أبطن لبطل النظام واختل العدل، وعلى هذا ينبغي أن تعلم أنه لم يخلق شيء في موضع إلا لأنه متعين له، ولو تيامن عنه أو تياسر أو تسفل أو تعلّى، لكان ناقصا أو باطلا، أو قبيحا، أو لو خارجا عن المتناسب، كريبها في المنظر، ألم تر أنه مثلا لو خلق الأنف على غير وسط الوجه أو لو خلق على الجبهة أو على الخد لتطرق النقص إليه. ثم إن الإنسان لو ترقى ونظر في ملكوت السماوات والأرض وعجائبها لرأى ما يستحق فيه عجائب بدنه، وكيف لا؟ وخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس. هذا هو الطريق لمعرفة هذا الاسم؛ لأن معرفة الأسماء المشتقة من

(١) المفردات للراغب (٣٢٤) (بتصرف يسير)، وانظر هذه الأمثلة وغيرها في المراجع المذكورة في التعليق السابق.

(٢) لسان العرب (٥/ ٢٨٣٩).

الأفعال لا تفهم إلا بعد فهم الأفعال وأنت تعلم أن كل ما في الوجود من أفعال الله. فإذا كان الأمر كذلك فإن الواجب على العبد بعد إيمانه بأن الله عدل أنه لا يعترض عليه في تدبيره وحكمه وسائر أفعاله، وافق مراده أم لم يوافق؛ لأن كل ذلك عدل، وتيقنه أنه لو لم يفعل ﷺ ما فعله لحصل في الوجود أمر آخر هو أعظم ضررا مما حصل كما أن المريض لو لم يحتجم لتضرر ضررا يزيد على ألم الحجامة<sup>(١)</sup>.

### العدل اصطلاحاً:

هو فصل الحكومة على ما في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ لا الحكم بالرأي المجرد<sup>(٢)</sup>.  
وقيل: بذل الحقوق الواجبة وتسوية المستحقين في حقوقهم<sup>(٣)</sup>.  
وقال ابن حزم: هو أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه<sup>(٤)</sup>.  
وقال الجرجاني: العدل الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط.  
والعدالة في الشريعة: عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب مما هو محظور دينا<sup>(٥)</sup>.

### فضيلة العدل:

قال الفيروز ابادي - رحمه الله تعالى - : العدل: هو القسط على سواء، وعلى هذا روي: بالعدل قامت السموات والأرض، تنيها على أنه لو كان ركن من الأركان الأربعة في العالم زائدا على الآخر أو ناقصا عنه على مقتضى الحكمة لم يكن العالم منتظما.

### أنواع العدل وأنواعه:

والعدل ضربان: مطلق يقتضي العقل حسنه، ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخا، ولا يوصف بالاعتداء بوجه، نحو الإحسان إلى من أحسن إليك، وكف الأذى عمّن كفّ أذاه عنك.  
وعدل يعرف كونه عدلا بالشرع. ويمكن أن يكون منسوخا في بعض الأزمنة، كالقصاص

(١) بتصرف شديد من المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى (٩٨ - ١٠١).

(٢) فتح القدير (١ / ٤٨٠).

(٣) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (٢٥٣).

(٤) مداواة النفوس (٨١).

(٥) التعريفات للجرجاني (١٥٣).

وأرش الجنایات، وأخذ مال المرتد، ولذلك قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] فسمي ذلك سيئة واعتداء. وهذا النحو هو المعني بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]. فإن العدل هو المساواة في المكافأة إن خيرا فخير وإن شرا فشر، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه<sup>(١)</sup>.

### أقسام العدل وكيفية تحقيقها:

قال الماوردي: إن مما تصلح به حال الدنيا قاعدة العدل الشامل، الذي يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكبر معه النسل، ويأمن به السلطان.

وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور؛ لأنه ليس يقف على حد، ولا ينتهي إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل.

ونقل عن بعض البلغاء قوله: إن العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق، ونصبه للحق فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه، واستعن على العدل بخلتين: قلة الطمع، وكثرة الورع. فإذا كان العدل من إحدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به، ولا صلاح فيها إلا معه، وجب أن يبدأ بعدل الإنسان في نفسه، ثم بعدله في غيره. فأما عدله في نفسه، فيكون بحملها على المصالح وكفها عن القبائح، ثم بالوقوف في أحوالها على أعدل الأمرين: من تجاوز أو تقصير، فإن التجاوز فيها جور، والتقصير فيها ظلم، ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم، ومن جار عليها فهو على غيره أجور.

فأما عدله مع غيره، فقد تنقسم حال الإنسان مع غيره على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عدل الإنسان فيمن دونه، كالسلطان في رعيته، والرئيس مع صحابته، فعدله فيهم يكون بأربعة أشياء:

باتباع الميسور، وحذف المعسور، وترك التسلط بالقوة، وابتغاء الحق في السيرة، فإن اتباع الميسور أდوم، وحذف المعسور أسلم، وترك التسلط أعطف على المحبة، وابتغاء الحق أبعث على النصرة.

القسم الثاني: عدل الإنسان مع من فوقه.

(١) بصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٨ - ٣٠) بتصرف يسير.

كالرعيّة مع سلطانها، والصّحابة مع رئيسها، ويكون ذلك بثلاثة أشياء: بإخلاص الطّاعة، وبذل النّصرة، وصدق الولاء؛ فإنّ إخلاص الطّاعة أجمع للشّمل، وبذل النّصرة أدفع للوهن، وصدق الولاء أنفى لسوء الظّنّ.

وهذه أمور إن لم تجتمع في المرء تسلّط عليه من كان يدفع عنه واضطرّ إلى اتّقاء من كان يقيه... وفي استمرار هذا حلّ نظام شامل، وفساد صلاح شامل.

**القسم الثالث:** عدل الإنسان مع أكفائه، ويكون بثلاثة أشياء: بترك الاستطالة، ومجانبة الإدلال، وكفّ الأذى؛ لأنّ ترك الاستطالة آلف، ومجانبة الإدلال أعطف، وكفّ الأذى أنصف، وهذه أمور إن لم تخلص في الأكفاء أسرع فيهم تقاطع الأعداء، ففسدوا وأفسدوا.

وقد يتعلّق بهذه الطبقات أمور خاصّة يكون العدل فيها بالتّوسّط في حالتي التّقصير والسّرف، لأنّ العدل مأخوذ من الاعتدال، فما جاوز الاعتدال فهو خروج عن العدل، وإذا كان الأمر كذلك فإنّ كلّ ما خرج عن الأولى إلى ما ليس بأولى خروج عن العدل إلى ما ليس بالعدل.

ولست تجد فسادا إلّا وسبب نتيجته الخروج فيه عن حال العدل، إلى ما ليس بعدل من حالتي الزيادة والتّقصان، وإذا لا شيء أنفع من العدل كما أنّه لا شيء أضرّ ممّا ليس بعدل<sup>(١)</sup>.

### عدالة الشهود وعلاقتها بالمروءة:

قال بعض العلماء: والعدالة صفة توجب مراعاتها الاحتراز عمّا يخلّ بالمروءة عادة ظاهرا، فالمرّة الواحدة من صغائر الهفوات، وتحريف الكلام لا تخلّ بالمروءة ظاهرا لاحتمال الغلط والنّسيان والتّأويل، بخلاف ما إذا عرف منه ذلك وتكرّر، فيكون الظّاهر الإخلال، ويعتبر عرف كلّ شخص وما يعتاده من لبسه، وتعاطيه للبيع، والشّراء وحمل الأمتعة، وغير ذلك، فإذا فعل ما لا يليق به لغير ضرورة قدح وإلا فلا<sup>(٢)</sup>.

### ثانيا: المساواة:

#### المساواة لغة:

مصدر قولهم: ساواه يساويه إذا عادله، قال الرّاعب: المساواة هي المعادلة المعتبرة بالذّرع والوزن والكيل، يقال: هذا الثّوب مساو لذاك الثّوب، وهذا الدرّهم مساو لذلك الدرّهم، (وهذا

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (١٤١-١٤٤) بتصرف.

(٢) المصباح المنير (٢/ ٤٤-٤٥)، وانظر لسان العرب (٥/ ٢٨٣٨-٢٨٣٩).

التَّمْر مساو لهذا التَّمْر<sup>(١)</sup>، وقد يعتبر بالكيفية، ولا اعتبار المعادلة التي فيه (أي في لفظ السَّوَاء) استعمال استعمال العدل، وتسوية الشَّيء (بالشَّيء) جعلهما سواء، إمَّا بالرَّفعة وإمَّا بالضَّعة، والسَّوِيّ: يقال فيما يَصان عن الإفراط والتَّفريط من حيث القدر والكيفيّة<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن منظور: سواء الشَّيء مثله، وجمعه أسواء، قال الشَّاعر:

النَّاسُ أَسْوَاءٌ وَشَتَّى فِي الشَّيْمِ

ويقال أيضًا: سَيَّ الشَّيء - كما يقال عدّه وعديده أي مثله، وسوى (بالقصر) يكون بمعنيين: يكون بمعنى نفس الشَّيء، وبمعنى غير، وقولهم: سواسية، وسواس وسواسية، وكلها جمع سواء من غير لفظه، وهم سواسية إذا استووا في اللُّوم والخسة والشر<sup>(٣)</sup>، وأمَّا قوله ﷺ: «النَّاسُ بِخَيْرِ مَا تَبَايَنُوا فَإِذَا تَسَاوَوْا هَلَكُوا» فالمعنى كما قال ابن الأثير: إنهم يتساوون إذا رضوا بالنقص وتركوا التنافس في طلب الفضائل، وقد يكون ذلك خاصًا في الجهل، وذلك أنَّ النَّاسَ لا يتساوون في العلم، وإنَّما في الجهل، وقيل أراد بالتساوي: التحزب والتفرق<sup>(٤)</sup> وقال ابن منظور: وأصل هذا التَّساوي في الشرِّ لأنَّ الخير إمَّا يكون في النَّادر من النَّاسِ، فإذا استوى النَّاسُ في الشرِّ ولم يكن فيهم ذو خير هلكوا<sup>(٥)</sup>.

وقال الفيروز ابادي: يقال: استوى الشَّيْئَانِ، وتساويا (تماثلا) وسأوى أحدهما صاحبه، وسأوى بين الشَّيْئَيْنِ، وسوى بينهما، وسأويت هذا بهذا وسويته به<sup>(٦)</sup>. وهما سيان أي مثلان، ولا سيمًا زيد أي لا مثل زيد و «ما» زائدة<sup>(٧)</sup> وفلان وفلان سواء أي متساويان<sup>(٨)</sup>.

(١) أضفنا هذا المثل إلى ما ذكره الراغب حتى تكتمل أمثلة الذرع والوزن والكيل.

(٢) المفردات للراغب (باختصار وتصرف) ص ٣٦٦-٣٦٧ (ت: محمد أبي الفضل).

(٣) لسان العرب ١٤ / ٤١٠ (ط. بيروت)، كذا قال ابن منظور نقلا عن أبي عمرو، ويبدو أن ذلك من باب التغليب، وإلا فما المانع من أن يكون الناس سواسية في الخير أيضا.

(٤) باختصار عن النهاية ٢ / ٤٢٧.

(٥) لسان العرب ١٤ / ٤٠٩، وقد نقل هذا الرأي عن الأزهري وذكره أيضا الرازي في مختار الصحاح. انظر مختار الصحاح ص ٣٢٤.

(٦) بصائر ذوي التمييز ٣ / ٢٨٤.

(٧) القاموس المحيط ١٦٧٣ (ط. بيروت)، وفي الأصل «وما» لغو والمراد ما أثبتناه وهي كونها زائدة لإفادة توكيد المثلية وقيل اسم موصول.

(٨) لسان العرب ١٤ / ٤١١.

**لفظ سواء في القرآن الكريم:**

قال ابن الجوزي: ذكر أهل التفسير أنّ «السواء» في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

- ١- المعادلة والمماثلة، ومنه قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ أَعْرَضَ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥].
- ٢- العدل، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤].
- ٣- الوسط، ومنه قوله عزّ من قائل: ﴿حُدُودُهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٤٧].
- ٤- الأمر البيّن ومنه قوله ﷺ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنبياء: ١٠٩].
- ٥- القصد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] <sup>(١)</sup>.

**المساواة اصطلاحاً:**

تعني المساواة- في المجال الأخلاقي- أن يكون للمرء مثل ما لأخيه من الحقوق وعليه مثل ما عليه من الواجبات دون زيادة أو نقصان. قال ابن مسكويه «وأقل ما تكون المساواة بين اثنين، ولكنها تكون في معاملة مشتركة بينهما في شيء ما أو أكثر» <sup>(٢)</sup>.

والمساواة قيمة لا تنقسم ولا يوجد لها أنواع، وهي أشرف نسب العلاقات بين الأشياء، لأنها هي المثل بالحقيقة <sup>(٣)</sup> أي أنّها تجعل كلا طرفيها للآخر سواء بسواء.

**الفرق بين العدالة والمساواة:**

المساواة هي الغاية التي تسعى العدالة إلى تحقيقها، وهي الغاية المرجوة منها، والعدل- في مجال الحكم- هو الحاكم بالسوية لأنّه يخلف صاحب الشريعة في حفظ المساواة <sup>(٤)</sup>، ومن هنا فقد جاء في تعريف العدل أنّه القسط اللازم للاستواء <sup>(٥)</sup> (أي لتحقيق المساواة بين الطرفين دون زيادة أو نقصان)، وإذا كانت العدالة خلقاً فإنّ المساواة قيمة وهدف.

(١) نزهة الأعين النواظر ص ٣٦١.

(٢) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص ١٠٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٩٣.

(٤) المرجع السابق، ص ٩٨.

(٥) تهذيب الأخلاق للجاحظ، ص ٢٨.

ولمّا كانت العدالة خلقاً أو هيئة نفسانية تصدر عنها المساواة فقد اقترن الأمران وارتبطا ارتباطاً وثيقاً لأنّ العادل من شأنه أن يساوي بين الأشياء التي هي غير متساوية، لمّا كان الأمر كذلك فإنّ كليهما قد يستعمل استعمال الآخر تسامحاً<sup>(١)</sup>، ولكنهما غالباً ما يستعملان معاً.

### من صور المساواة في الإسلام:

للمساواة في الإسلام صور عديدة فصلّها الشّرع الحكيم، وأشرنا إلى بعضها في «تكريم الإنسان»<sup>(٢)</sup>، ومنها:

- المساواة بين الرّجل والمرأة في أداء الواجبات الشّرعية والإثابة عليها.
- المساواة بين الزوجات في حقوق الزوجية (في حالة التعدّد).
- المساواة بين الأجناس والأعراق في التّمتع بالحقوق المشروعة لكلّ منهم.
- المساواة بين الأبناء في الهبة والوصية ونحوهما.
- المساواة بين الخصوم في مجالس القضاء وفي سماع الحجّة منهم والقصاص من المعتدي أيّاً كانت منزلته.
- المساواة في حقّ الكرامة الإنسانية، فلا يؤذّى أحد بسبب لونه أو جنسه أو مذهبه أو عقيدته.
- المساواة في حقّ إبداء الرّأي من المسلم وغير المسلم ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤].
- المساواة في حرمة الدّماء والأموال والأعراض.
- المساواة في إيقاع الجزاء بكلّ من ينتهك حدّاً من حدود الله، فلا يعفى أحد من العقوبة لشرفه أو قرابته من الحاكم فتلك التي أهلكت الأمم السابقة، أمّا في الإسلام فلا أدلّ على المساواة الكاملة في هذه الناحية من قوله ﷺ: «لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرق لقطع محمّد يدها»<sup>(٣)</sup>.
- المساواة في نيل الجزاء في الدّنيا والثّواب في الآخرة لكلّ من يعمل عملاً صالحاً.

(١) انظر مثلاً قول ابن مسكويه «لا تخرج أفعال المراعي للشريعة عن سنن العدل أعني المساواة» انظر تهذيب الأخلاق، ص ١٠٧.

(٢) انظر صفة تكريم الإنسان ج ٤ ص ١١٤٧ من هذه الموسوعة.

(٣) البخاري-الفتح ١٢ / (٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨)، وانظر نص الحديث تاماً في صفة «السرقه» ج ١٠ ص ٤٦٣٠.

- المساواة بين المسلمين في الحضور لأماكن العبادة كالمسجد الحرام وغيره.  
 [للاستزادة: انظر صفات: الحكم بما أنزل الله - الاتباع - الإنصاف - القسط - المروءة -  
 الإحسان - تكريم الإنسان - التناصر - المسؤولية - السلم - المراقبة - الأمانة.  
 وفي ضد ذلك: انظر صفات: الحكم بغير ما أنزل الله - الظلم - انتهاك الحرمات - البغي -  
 التطفيف - العدوان - الطغيان - اتباع الهوى - الحرب والمحاربة - العتو].

\*\*\*

### من فوائد (العدل)

- (١) الأمن لصاحبه في الدنيا والآخرة. (٧) يسد مسد كثير من أعمال البر والطاعة.
- (٢) دوام الملك وعدم زواله. (٨) عموم العدل في الإسلام حتى إنه يشمل الأبعدين فضلا عن الأقربين والكافرين مع المسلمين، ويشمل التسوية حتى مع أعضاء الإنسان نفسه.
- (٣) رضا الرب قبل رضا الخلق عن العادل. (٩) طريق موصل إلى الجنة.
- (٤) سلامة الخلق من شره. (٥) أصحابه أهل للولاية والحكم والتقدم والرفعة.
- (٦) الصدق بالحق وعدم مماالة الباطل. (٦) طريق موصل إلى الجنة.

### أما عن فوائد (المساواة) فمنها:

- (١٠) تحقيق الاستقرار والطمأنينة في المجتمع المسلم لما يشعر به كل فرد من أنه ليس أقل من غيره وأنه سيحصل على حقه في التعليم والوظائف العامة ونحوها.
- (١١) الشعور بالمساواة يقضي على الفتن الطائفية نظرا لشعور الدميين بأن لهم حق المواطنة على قدم المساواة مع المسلمين.
- (١٢) المساواة بين الرجل والمرأة في حق العبادة وحصول الثواب يجعل المرأة تشعر بقيمتها وأنها لا تشكل الجانب الأضعف.
- (١٣) روح المساواة تقضي على الغرور عند من يظنون أنفسهم فوق الناس، كما يقضي على الوهن والضعف وخور العزيمة عند من يظنون أنفسهم دونهم.
- (١٤) بالمساواة يطمئن كل فرد إلى عدالة الحكم وأن السياسة التي تقوم على ذلك هي سياسة عادلة لا تفرق بين الناس تبعا لأعراقهم ووضعهم الاجتماعي، أو موقعهم من السلطة.

## العزة

## العزة لغة:

مصدر قولهم: عزَّ يعزُّ عزةً وعزًّا، وذلك مأخوذ من مادة (ع ز ز) التي تدلُّ على شدة وقوَّة، وما ضاهاهما من غلبة وقهر، وأصل ذلك من قولهم: أرض عزاز أي صلبة، ويقال تعزَّز اللحم اشتدَّ وعزَّ كأنه حصل في عزاز يصعب الوصول إليه، والعزيز الذي يقهر ولا يقهر، ويقال: عزَّ المطر الأرض: غلبها، وقول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِنْبُ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١] أي يصعب مناله ووجود مثله، والعزَّ من المطر: الكثير الشديد، وأرض معزوزة إذا أصابها ذلك.

وقال ابن منظور: العزَّ خلاف الدلَّ، وفي الحديث: قال ﷺ لعائشة: هل تدرين لم كان قومك رفعوا باب الكعبة؟ قالت: لا، قال: تعزَّزا ألا يدخلها إلا من أرادوا، أي تكبَّرا وتشدَّدا على النَّاس، والعزَّ في الأصل القوَّة والشدَّة والغلبة، يقال: عزَّ، يعزُّ بالفتح إذا اشتدَّ، ورجل عزيز: منيع لا يغلب ولا يقهر.

وعزَّ يعزُّ بالكسر عزًّا وعزَّة وعزازة وهو عزيز قلَّ حتى لا يوجد.

ورجل عزيز من قوم أعزَّة وأعزَّاء.

وقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] أي جانبهم غليظ على الكافرين، ليِّن على المؤمنين، قال الشاعر:

بيض الوجوه كريمه أحسابهم      في كل نائبة عزاز الأنف

وأعزَّ الرَّجل: جعله عزيزا. وملك أعزَّ: عزيز.

قال الفرزدق:

إنَّ الذي سمك السَّماء بنى لنا      بيتا دعائمُه أعزَّ وأطول

أي عزيزة طويلة.

وتعزَّز الرَّجل: صار عزيزا، وتعزَّز: تشرف<sup>(١)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٤ / ٣٨)، والمفردات للراغب (٣٣٢). ولسان العرب (عز) (٢٩٢٤) (ط. دار المعارف).

وأما قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئِنَّهُمْ عِنْدَهُمْ أَعِزَّةٌ فَإِنَّ أَعِزَّةَ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩] فَإِنَّ الْعِزَّةَ تَعْنِي الْمُنْعَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْمَعْنَى: يُطَلَّبُونَ (أَي أَهْلَ النَّفَاقِ) عِنْدَ الْكَافِرِينَ الْمُنْعَةَ وَالْقُوَّةَ بِاتِّخَاذِهِمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ أَهْلِ الْإِيمَانِ؟ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا أَي فَإِنَّ الْمُنْعَةَ وَالنَّصْرَةَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ الْمُنْعَةُ، فَهَلَّا اتَّخَذُوا الْأَوْلِيَاءَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَعِزَّهُمُ اللَّهُ؟<sup>(١)</sup>

وقيل المراد بالكافرين هنا اليهود، والمراد بالعزة: المعونة والظهور على محمد ﷺ وأصحابه، أما عزة الله تعالى فمراد بها: الغلبة والقوة والقدرة<sup>(٢)</sup>.

أما العزة المنسوبة لله ﷻ ولرسوله وللمؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] فَإِنَّ عِزَّةَ اللَّهِ قَهْرُهُ مِنْ دُونِهِ، وَعِزَّةُ رَسُولِهِ إِظْهَارُ دِينِهِ عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا وَعِزَّةُ الْمُؤْمِنِينَ: نَصْرُ اللَّهِ إِيَّاهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ<sup>(٣)</sup>. وقيل: المعنى: والله الغلبة والقوة، ولرسوله وللمؤمنين<sup>(٤)</sup>.

وقيل: المقصود من هذا: التهييج على طلب العزة من جناب الله تعالى، والالتجاء إلى عبوديته، والانتظام في جملة عباده المؤمنين، الذين لهم النصرة في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، روى الإمام أحمد رحمه الله أن النبي ﷺ قال: «من انتسب إلى تسعة آباء كفار، يريد بهم عزاً وفخراً، فهو عاشرهم في النار»<sup>(٥)</sup>.

### واصطلاحاً:

قال الراغب: العزة حالة مانعة للإنسان من أن يغلب<sup>(٦)</sup>.

وقال الكفوي: العزة: الغلبة الآتية على كليّة الباطن والظاهر (وهذا في جناب الله تعالى)<sup>(٧)</sup>.

(١) مختصر تفسير الطبري (١/ ١٧٦).

(٢) تفسير البغوي (١/ ٤٩١).

(٣) المرجع السابق (٤/ ٣٥٠).

(٤) مختصر تفسير الطبري (٢/ ٤٥٧)، وعلى هذا يكون للعزة معنى واحد لا يختلف باختلاف الموصوف بها هنا.

(٥) عمدة التفسير بتحقيق الشيخ أحمد شاكر (٤/ ١٦)، وانظر الحديث رقم (١٤).

(٦) المفردات للراغب (٣٣٣)، وبصائر ذوي التمييز (٤/ ٦١) والتوقيف على مهمات التعاريف لابن المناوي (٢٤١).

(٧) الكليات للكفوي (٦٣٩).

معنى اسم الله «العزیز»:

العزیز اسم من أسماء الله تعالى يقول ابن منظور: العزیز من صفات الله ﷻ وأسمائه الحسنی، ومعناه: الممتنع فلا يغلبه شيء، وقيل: هو القويّ الغالب كلّ شيء، وقيل: هو الذي ليس كمثلته شيء<sup>(١)</sup>. وقال ابن الأثير: هو الغالب القويّ الذي لا يغلب<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام الغزاليّ: العزیز: هو الخطير الذي يقلّ وجود مثله وتشتدّ الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه، فما لم يجتمع عليه هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه اسم العزیز، فكم من شيء يقلّ وجوده، ولكن إذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه، لم يسمّ عزيزاً، وكم من شيء يعظم خطره ولم يكثر نفعه، لم يسمّ عزيزاً، وكم من شيء يعظم خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره، ولكن إذا لم يصعب الوصول إليه، لم يسمّ عزيزاً، كالشمس مثلاً، فإنه لا نظير لها، والأرض كذلك، والنفع عظيم في كلّ منهما، والحاجة شديدة إليهما، ولكن لا يوصفان بالعزّة لأنّه لا يصعب الوصول إلى مشاهدتهما، فلا بدّ إذن من اجتماع المعاني الثلاثة (ليصحّ الوصف بالعزّة)، ثمّ في كلّ واحد من المعاني الثلاثة كمال ونقصان، والكمال في قلّة الوجود أن يرجع إلى واحد، إذ لا أقلّ من الواحد، ويكون بحيث يستحيل وجود مثله، وليس هذا إلاّ الله تعالى، أمّا الشمس فإنّها وإن كانت واحدة في الوجود فليست واحدة في الإمكان، فيمكن وجود مثلها في الكمال والنفاضة، أمّا شدّة الحاجة فهي أن يحتاج إليه (أي العزیز) كلّ شيء في كلّ شيء حتّى في وجوده وبقائه وصفاته، وليس ذلك على الكمال إلاّ الله ﷻ، وفيما يتعلّق بالمعنى الثالث وهو صعوبة الوصول إلى العزیز فالكمال في ذلك يتمثّل في استحالة الوصول إليه، على معنى الإحاطة بكنهه، وليس ذلك على الكمال إلاّ الله ﷻ فالله ﷻ بذلك هو العزیز المطلق الحقّ، لا يوازيه في ذلك الاسم غيره<sup>(٣)</sup>.

المعزّ من أسماء الله ﷻ:

إذا كان سبحانه هو الموصوف بالعزّة التامة المطلقة فإنه سبحانه هو «الذي يهب العزّ لمن يشاء من عباده»<sup>(٤)</sup>، والعزیز من العباد هو كما يقول الغزاليّ: من يحتاج إليه عباد الله في أهمّ أمورهم وهي الحياة الآخرويّة والسعادة الأبدية، وذلك ممّا يقلّ - لا محالة - وجوده، ويصعب إدراكه،

(١) لسان العرب (٥ / ٣٧٤) ط. بيروت، بتصرف يسير.

(٢) النهاية لابن الأثير (٣ / ٣٢٨).

(٣) المقصد الأسنى (بتصرف يسير) ص ٧٣.

(٤) لسان العرب (٥ / ٣٧٤).

وهذه رتبة الأنبياء- صلوات الله عليهم أجمعين- ويشاركهم في العز من ينفرد بالقرب من درجاتهم في عصره، كالخلفاء والعلماء، وعزة كل واحد منهم بقدر علو مرتبته عن سهولة النيل والمشاركة، وبقدر عنائه في إرشاد الخلق<sup>(١)</sup>. وقال- رحمه الله تعالى-: من رزقه الله القناعة حتى استغنى بها عن خلقه وأمدّه بالقوّة والتأييد حتى استولى بها على صفات نفسه فقد أعزه الله في الدنيا وسيعزه في الآخرة بالتقريب إليه<sup>(٢)</sup>.

وقال الخطّابي: العز في كلام العرب على ثلاثة أوجه:

الأول: معنى الغلبة والقهر، ومنه قولهم: من عزّ بزّ، أي من غلب سلب، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخَطَابِ﴾ [ص: ٢٣] أي غلبنني.

والثاني: معنى الشدّة والقوّة كقول الهذلي يصف العقاب:

حتى انتهيت إلى فراش عزيزة سوداء روثة أنفها كالمخصف  
جعلها عزيزة لأنّها من أقوى جوارح الطير.

والثالث: أن يكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه: عزّ الشيء يعزّ بكسر العين من يعزّ- فيتأول معنى العزيز على هذا أنه لا يعادله شيء، وأنه لا مثل له ولا نظير والله أعلم<sup>(٣)</sup>.

عزة الله ﷻ:

ذكر ابن القيم: أن عزّة المولى سبحانه متضمّنة لهذه الأنواع السابقة كلّها وهي:

١- عزّة القوّة: الدالّ عليها من أسمائه القويّ المتين وهي وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوّة المخلوقات وإن عظمت.

٢- عزّة الامتناع: فإنّه هو الغنيّ بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضرّه فيضروّه، ولا نفعه فينفعوه، بل هو الضارّ النافع المعطي المانع.

٣- عزّة القهر والغلبة لكلّ الكائنات: فهي كلّها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرّك منها متحرّك، ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوّته

(١) المقصد الأسنى ص ٧٤.

(٢) المرجع السابق ص ٨٩.

(٣) شأن الدعاء لأبي سليمان الخطّابي، بتحقيق أحمد الدقاق (٤٧-٤٨) ط ١، ١٤٠٤ هـ.

وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به<sup>(١)</sup>.

### العزة في القرآن الكريم:

قال ابن الجوزي: قال بعض المفسرين: العزة في القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: العظمة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا بِعِزَّةِ رَبِّهِمْ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤]، قال: ﴿ فِعِزَّتِكَ لَأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢].

والثاني: المنعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَيَبْنِعُوكَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ٣٩].

والثالث: الحمية، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، وقوله تعالى: ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ [ص: ٢]<sup>(٢)</sup>.

### العزة المدحوة والمذمومة:

يمدح بالعزة تارة ويذم بها تارة أخرى، ووجه ذلك أن العزة التي لله ولرسوله وللمؤمنين هي الدائمة الباقية؛ لأنها هي العزة الحقيقية، والعزة التي هي للكافرين هي التعزز وهو في الحقيقة ذل، كما قال عليه الصلاة والسلام «كل عز ليس بالله فهو ذل» وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾ [مریم: ٨١] أي لئلا يمنحوا بهم من العذاب.

كيف تكون العزة لله جميعاً ثم تكون لرسوله ﷺ والمؤمنين؟

تساءل الشيخ الشرباصي عن هذا الإشكال فقال: قد يعترض معترض فيقول: كيف نجمع بين قول الحق سبحانه: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠] وقوله - عز من قائل: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]، والجواب: أنه لا تنافي بين الآيتين؛ لأن العز الذي هو للرسول ﷺ والمؤمنين هو في الحقيقة ملك لله ومخلوق له، وعزه سبحانه هو المصدر لكل عز، ومن ثم يكون عز الرسول ﷺ والمؤمنين مستمد من عز الله ﷻ. وعلى هذا فالعز كله لله، والعزة التي عند الإنسان لا تكون فضيلة محمودة إلا إذا استظلت بظل الله، واحتمت بحماه، أما عزة الكفار المشار إليها في الآية الكريمة ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ [ص: ٢] فهي تعزز، وهو في

(١) نزهة الأعين النواظر (٤٣٤ - ٤٣٥).

(٢) المفردات للراغب (٣٣٣)، وانظر أيضا الكليات للكفوي (٣٣٦).

الحققة ذل؛ لأنه تشبّع من الإنسان بما لم يعطه، وقد تستعار العزّة للأنفة والحميّة المذمومة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦] وكلّ ذلك ليس من العزّ الحقيقيّ في شيء<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الرجولة- الشرف- القوة- النبل- النزاهة- العفة- الشهامة- علو الهمة- قوة الإرادة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الذل- الضعف- الوهن- صغر الهمة- الخنوثة].

\*\*\*

### من فوائد (العزة)

- (١) مظهر من مظاهر الرجولة والشهامة. (٦) دلالة الثقة بالله العزيز.
- (٢) تورث العفة والنزاهة. (٧) مظهر من مظاهر رسوخ اليقين والقوة في الدين.
- (٣) صمام أمن للمجتمع من الشرور والأخطار. (٨) بها يستجلب العون من الله.
- (٤) تنمّي الفضيلة وتمحق الرذيلة. (٩) من مكارم صفات الإسلام.
- (٥) بها تستجلب المكارم وتستدفع المكاره.

### العزم والعزيمة

#### العزم لغة:

العزم في اللغة مصدر قولهم عزم يعزم، وهو مأخوذ من مادّة (ع ز م) التي تدلّ على الصّريمة والقطع، يقال: عزمت عليك إلا فعلت كذا، أي جعلته أمراً عزمياً لا مثنويّة (أي لا استثناء) فيه، ويقال: كانوا يرون لعزيمة الخلفاء طاعة، وقال الخليل: العزم ما عقد عليه القلب من أمر أنت فاعله، ويقال ما لفلان عزيمة، أي ما يعزم عليه كأنه لا يمكنه أن يصرم الأمر بل يختلط فيه ويتردّد، ومن الباب: عزمت على الجنيّ وذلك أن تقرأ عليه من عزائم القرآن، وهي الايات التي يرجى بها قطع الافة، يقال: اعترم السائر إذا سلك القصد قاطعاً له. والاعتزام لزوم القصد في المشي، والفعل منه عزم وهو من باب ضرب وقعد فعلى هذا تقول: عزم يعزم (بالكسر والضمّ) عزمًا ومعزماً

(١) موسوعة له الأسماء الحسنی (٧٢).

ومعزما وعزما وعزيما وعزيمة وعزمة، واعتزمه واعتزم عليه أراد فعله وفي التنزيل العزيز ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١] بالرفع أي عزم عليه أو أنّ أرباب الأمر عزموا عليه. وتقول: ما لفلان عزيمة: أي لا يثبت على أمر يعزم عليه. وعزم عليه ليفعلن كذا أي أقسم عليه، وعزمت عليك أي أمرتك أمرا جدّا، وعزائم السجود: ما عزم على قارئ آيات السجود أن يسجد لله فيها. وأولو العزم من الرسل: هم الذين عزموا على أمر الله فيما عهد إليهم وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلّم أجمعين<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحاً:

قال الراغب: عقد القلب على إمضاء الأمر.

وقال الكفوي: هو القصد على إمضاء الأمر<sup>(٢)</sup>.

### الفرق بين العزم والإرادة والهمّ:

قال الكفوي: دواعي الإنسان إلى الفعل من خير أو شرّ على مراتب، منها: الإرادة، ومنها: الهمّ (بالشيء)، ومنها: العزم. وذكر الفرق بين هذه الثلاثة فقال:

الهمّ اجتماع النفس على الأمر، والإزماع عليه، والعزم هو القصد على إمضائه، فالهمّ فوق الإرادة ودون العزم، وهو (أي الهمّ) أوّل العزيمة<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الشجاعة - علو الهمة - قوة الإرادة - القوة - الرجولة - المرورة - الشهامة - النشاط - النبيل.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإمعة - التهاون - الضعف - الكسل - الوهن - صغر الهمة - اليأس].

\*\*\*

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٠٨)، والصحاح (٥/ ١٩٨٥). ولسان العرب (٥/ ٢٩٣٢ - ٢٩٣٣). ومفردات القرآن للراغب (٥٦٥). والمصباح المنير للفيومي (٤٠٨).  
 (٢) مفردات القرآن (٥٦٥). وبمعناه في لسان العرب (٥/ ٢٩٣٢). والكليات للكفوي (٦٩١).  
 (٣) الكليات (٩٦١).

## من فوائد (العزم والعزيمة)

- (١) العزيمة دليل حسن الظنّ.  
 (٢) دليل متانة الدين وعلامة اليقين.  
 (٣) تصنع المستحيلات وتلين الصعوبات.  
 (٤) هي خير معين على طلب العلم.  
 (٥) العزيمة في التوبة ترزق حسن القبول وحسن المغفرة.  
 (٦) العزيمة على طلب الحق تثمر نور الحق وجلال الإيمان.  
 (٧) حسن العزيمة في الجهاد يضاعف قوّة الرّجال إلى ما لا نهاية.

## العطف

## العطف لغة:

مصدر عطف يعطف عطفًا وعطوفًا، وهو مأخوذ من مادّة (ع ط ف) التي تدلّ على انثناء وعياج، يقال عطفت الشّيء إذا أملته وانعطف إذا انعاج، ويقال: عطف يعطف (بالكسر) من باب ضرب: وهو الحنان والميل، تقول: عطفت النّاقة على ولدها عطفًا إذا حنّت عليه ودرّ لبنها، وعطف الله تعالى بقلب السّلطان على رعيتّه إذا جعله عاطفًا رحيمًا.

وتقول: عطف عطوفًا يعني مال، واستعطفته: سألته أن يعطف فعطف، وامرأة عطوف: محبّة لزوجها حانية على أولادها، وامرأة عطف: ليّنة هيّنة ذلول مطواع لا كبر لها.

وتعطفّ عليه: وصله وبرّه، وتعطفّ على رحمه: رقّ لها وأشفق، وتعاطفوا: عطف بعضهم على بعض، ورجل عاطف وعطوف: عائد بفضلته حسن الخلق.

وقال الرّاعب: العطف يقال في الشّيء إذا ثني أحد طرفيه إلى الآخر كعطف الغصن والوسادة والحبل، ويستعار للميل والشفقة إذا عدّي ب «على» نحو: عطف عليه، وإذا عدّي ب «عن» يكون على الضّد نحو عطفت عنه أي أعرضت وصددت<sup>(١)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٣٥١)، الصحاح (٤/ ١٤٠٥)، ولسان العرب (٥/ ٢٩٩٦-٢٩٩٧)، ومفردات الرّاعب (٣٣٨).

## واصطلاحاً:

قال ابن أبي جمرة - رحمه الله تعالى - في بيان المراد بالتعاطف إنّه: إعانة الناس بعضهم بعضاً، كما يعطف الثوب عليه ليقويه<sup>(١)</sup>.

## الفرق بين التراحم والتعاطف والتّوادّ:

قال ابن أبي جمرة رحمته في شرحه لحديث: «تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، قال رحمته: الذي يظهر أنّ التراحم والتّوادّ والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف:

فأمّا التراحم: فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر.

وأمّا التّوادّ: فالمراد به التّواصل الجالب للمحبّة كالتزاور والتّهادي.

وأمّا التعاطف: فالمراد به إعانة بعضهم بعضاً، كما يعطف الثوب عليه ليقويه<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الشفقة - صلة الرحم - الحنان - الرأفة - الرحمة - الرفق - بر

الوالدين - البر - السخاء - الإحسان - كفالة اليتيم - تكريم الإنسان - الإنفاق - المحبة.

وفي ضد ذلك: سوء المعاملة - العنف - القسوة - قطيعة الرحم - عقوق الوالدين - العبوس -

الجفاء - سوء الخلق].

\*\*\*

## من فوائد (العطف)

(١) صورة من صور تكامل المجتمع. (٤) إمهال المخطئين وهو ممّا يصلح

المجتمع.

(٢) العطف من رحمة الله.

(٥) الرّحمة بالحيوان.

(٣) الرّحمة بالضعفاء والمرضى تدخل السرور

(٦) يثمر حبّ الخير للغير.

على قلوبهم وتسعدهم.

(١) فتح الباري (١٠ / ٤٥٣ - ٤٥٤).

(٢) فتح الباري (١٠ / ٤٥٣ - ٤٥٤).

## العفة

## العفة لغة:

مصدر قولهم عَفَّ عن الشيء يعفّ عَفَّةً، وهذا مأخوذ من مادة (ع ف ف) التي تدلّ على «الكفّ عن القبيح»<sup>(١)</sup> يقال: عَفَّ عن الحرام يعفّ عَفًّا وعَفَّةً وعَفَافًا وعَفَافَةً، أي كفّ، وقال الرّاعب: أصل العَفَّةُ الاقتصار على تناول الشيء القليل الجاري مجرى العفافة (أي البقية من الشيء) أو مجرى العفّ وهو ثمر الأراك، والاستعفاف طلب العَفَّة.

وقال ابن منظور: العَفَّةُ: الكفّ عمّا لا يحلّ ويجمل، والعَفَّةُ أيضا: النزاهة.

ويقال: عَفَّ عن المحارم والأطماع الدنيّة، يعفّ عَفَّةً وعَفًّا وعَفَافَةً وعَفَافًا فهو عفيف، وتعفّف أي تكلّف العَفَّة. والعفّاف أيضا: هو الكفّ عن الحرام والسؤال من الناس.

والاستعفاف: طلب العفّاف، وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعَفِّفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ [النور: ٣٣] أي ليضبط نفسه بمثل الصوم فإنّه وجاء، وكذلك في الحديث: «ومن يستعفف يعفّه الله». والاستعفاف أيضا: الصبر والنزاهة عن الشيء ومنه الحديث: «اللهم إني أسألك العفّاف والغني».

ويقال: رجل عَفَّ وعفيف والأنثى بالهاء وجمع العفيف: أَعْفَاءُ وأَعْفَاءُ، وقيل: العفيفة من النساء السيّدة الخيرة. وقيل هي عَفَّةُ الفرج، ونسوة عفائف، ورجل عفيف أيضا معناه عَفَّ عن المسألة والحرص، وقيل في وصف قوم: أَعْفَاءُ الفجر. أي إنهم إذا افتقروا لم يفشوا المسألة القبيحة<sup>(٢)</sup>.

## واصطلاحا:

قال الرّاعب: العَفَّةُ حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة، والمتعفّف هو المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضا: العَفَّةُ هي ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية، وهي حالة متوسّطة من إفراط هو

(١) لهذه المادة معنى آخر هو «القلة في الشيء» ومنه العفة في معنى بقية اللبن في الضرع. انظر مقاييس اللغة لابن فارس (٣ / ٤).

(٢) لسان العرب (٤ / ٣٠١٥). والصحاح (٤ / ١٤٠٥ - ١٤٠٦)، والمقاييس (٣ / ٤)، والمفردات (٣٣٩).

(٣) المفردات (٣٣٩).



الشَّرْه وتفريط وهو جمود الشَّهوة<sup>(١)</sup>.

وقال الكفوي: العفة هي الكفّ عمّا لا يحلّ<sup>(٢)</sup>.

وقال الجاحظ: هي ضبط النَّفس عن الشَّهوات وقصرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحّته فقط، واجتناب السَّرْف في جميع الملذّات وقصد الاعتدال، وأن يكون ما يقتصر عليه من الشَّهوات على الوجه المستحبّ المتفق على ارتضائه وفي أوقات الحاجة التي لا غنى عنها، وعلى القدر الذي لا يحتاج إلى أكثر منه، ولا يحرس النَّفس والقوّة أقلّ منه، وهذه الحال هي غاية العفة<sup>(٣)</sup>.

قال الجرجاني- رحمه الله تعالى-: العفة: هي هيئة للقوّة الشَّهويّة متوسّطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوّة والخمود الذي هو تفريطه. فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة<sup>(٤)</sup>.

### أنواع العفة:

قال الماوردي- رحمه الله تعالى-: العفة والنزاهة والصيانة من شروط المروءة، والعفة نوعان:

أحدهما العفة عن المحارم، والثاني العفة عن المائمه، فأما العفة عن المحارم، فنوعان: أحدهما ضبط الفرج عن الحرام، والثاني كفّ اللسان عن الأعراض، فأما ضبط الفرج عن الحرام فلأنّ عدمه مع وعيد الشرع وزاجر العقل معرّة فاضحة، وهتكة واضحة. وأما كفّ اللسان عن الأعراض؛ فلأنّ عدمه ملاذّ السّفهاء وانتقام أهل الغوغاء، وهو مستسهل الكفّ، وإذا لم يقهر نفسه عنه برادع كافّ، وزاجر صادّ، تلبّط بمعارّه، وتخبط بمضارّه، وأما العفة عن المائمه فنوعان أيضا: أحدهما: الكفّ عن المجاهرة بالظلم، والثاني: زجر النَّفس عن الإسرار بخيانة. فأما المجاهرة بالظلم فعتوّ مهلك وطغيان متلف، ويؤول إن استمرّ إلى فتنة تحيط في الغالب بصاحبها فلا تنكشف إلّا وهو مصروع. وأما الاسرار بالخيانة فضعة لأنّه بذلّ الخيانة مهين، ولقلّة الثقة به

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣١٥).

(٢) انظر الكليات (٦٥٦).

(٣) تهذيب الأخلاق (٢١، ٢٢).

(٤) التعريفات (١٥١) والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢٤٣).

مستكين، وقد قيل: من يخن يهن. هذا ولا يجعل ما يتظاهر به من الأمانة زورا، ولا ما يبيديه من العفة غرورا، فينتهك الزور وينكشف الغرور، فيكون مع هتكه للتدليس أقبح، ولمعرة الرياء أفضح<sup>(١)</sup>.

قال ابن الجوزي رحمته: الكمال عزيز والكمال قليل الوجود، وأول أسباب الكمال تناسب أعضاء البدن وحسن صورة الباطن، فصورة البدن تسمى خلقا، وصورة الباطن تسمى خلقا، ودليل كمال صورة البدن حسن السمات واستعمال الأدب، ودليل كمال صورة الباطن حسن الطباع والأخلاق.

فالطباع: العفة، والنزاهة، والأنفة من الجهل، ومباعدة الشره.

والأخلاق: الكرم والإيثار وستر العيوب وابتداء المعروف، والحلم عن الجاهل.

فمن رزق هذه الأشياء رفته إلى الكمال، وظهر عنه أشرف الخلال، وإن نقصت خلة أوجب النقص<sup>(٢)</sup>.

#### شروط العفة:

واعلم أنه لا يكون المتعفف عفيفا إلا بشرائط: وهي ألا يكون تعفّفه عن الشيء انتظارا لأكثر منه أو لأنه لا يوافق، أو لجمود شهوته، أو لاستشعار خوف من عاقبته، أو لأنه ممنوع من تناوله، أو لأنه غير عارف به لقصوره فإن ذلك كله ليس بعفة بل هو إما اصطيد، أو تطب أو مرض أو حرم أو عجز أو جهل، وترك ضبط النفس عن الشهوة أذم من تركها عن الغضب.

فالشهوة مغتالة مخادعة، والغضب مغالب والمتحيز عن قتال المخادع أذم حالاً من المتحيز عن قتال المغالب. ولهذا قيل عبد الشهوة أذل من عبد الرّق، وأيضا بالشره قد يجهل عيبه فهو شبيه بأهل مدينة لهم سنة رديئة يتعاطونها وهم يعرفون قبحها، وليس من تعاطى قبيحا يعرفه كمن يتعاطاه وهو يظنه حسنا<sup>(٣)</sup>.

#### تمام العفة:

لا يكون الإنسان تامّ العفة حتى يكون عفيف اليد واللّسان والسمع والبصر فمن عدمها في

(١) أدب الدنيا والدين (٣٨٤-٣٩٠) بتصرف شديد.

(٢) صيد الخاطر (٢٨٩).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣١٩) بتصرف.

اللسان السخرية، والتجسس والغيبة والهمز والنميمة والتنايز بالألقاب، ومن عدمها في البصر: مد العين إلى المحارم وزينة الحياة الدنيا المولدة للشهوات الرديئة، ومن عدمها في السمع: الإصغاء إلى المسموعات القبيحة.

وعماد عفة الجوارح كلها ألا يطلقها صاحبها في شيء مما يختص بكل واحد منها إلا فيما يسوغه العقل والشرع دون الشهوة والهوى<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: تعظيم الحرمات - حفظ الفرج - المروءة - النزاهة - الشهامة - الرجولة - النبل - الحجاب - الغيرة - غض البصر - الحياء. وفي ضد ذلك: انظر صفات: انتهاك الحرمات - الزنا - التبرج - الفسوق - العصيان - الديانة - الذل - الخنوثة - إطلاق البصر - الغي والإغواء - الفحش - الكذب - النميمة].

\*\*\*

### من فوائد (العفة)

- (١) من ثمرات الأديان ونتاج الإيمان. (٥) نظافة المجتمع من المفسد والمائم.
- (٢) حفظ الجوارح عما حرم الله، وقيامها بما (٦) إشاعتها في المجتمع تجعله مجتمعاً خلقت له. صالحاً.
- (٣) حفظ الأعراض في الدنيا، ولذة النعيم في (٧) دليل كمال النفس وعزّها. الآخرة.
- (٨) صاحبها مستريح النفس مطمئن البال.
- (٤) هي ركن من أركان المروءة التي ينال بها (٩) دليل وفرة العقل، ونزاهة النفس. الحمد والشرف.

### العفو والغفران

#### العفولغة:

مصدر قولهم عفا يعفو عفوا وهو مأخوذ من مادة (ع ف و) التي تدل على معنيين أصليين

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣١٩).

الأوّل: ترك الشّيء، والاخر طلبه<sup>(١)</sup>، ومن المعنى الأوّل عفو الله تعالى عن خلقه، وذلك تركه إيّاهم فلا يعاقبهم، فضلا منه تعالى، قال الخليل: العفو تركك إنسانا استوجب عقوبة فعفوت عنه، والله سبحانه هو العفو الغفور، قال ابن فارس: وقد يكون أن يعفو عن الإنسان بمعنى التّرك، ولا يكون ذلك عن استحقاق، ألا ترى إلى قوله ﷺ «عفوت عنكم عن صدقة الخيل» فليس العفو هاهنا عن استحقاق، ويكون معناه تركت أن أوجب عليكم الصدقة (أي الزّكاة) في الخيل.

وذهب الرّاعب إلى أن العفو له معنى واحد هو: القصد لتناول الشّيء، يقال من ذلك: عفاه واعتفاه أي قصده متناولا ما عنده وعفت الرّيح الدّار أي قصدها متناولة آثارها، ومن هذا أيضا العفو بمعنى التّجافي عن الذّنب، وقولهم عفوت عنه: قصدت إزالة ذنبه صارفا عنه، فالمفعول في الحقيقة متروك (وهو الذّنب)، وقول الله تعالى ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أي ما يسهل قصده وتناوله، وقيل معناه: تعاطي العفو عن النّاس، وقولهم في الدّعاء: أسألك العفو والعافية أي ترك العقوبة والسّلامة.

وقال الجوهريّ: يقال: عفوت عن ذنبه إذا تركته ولم تعاقبه، والعفو على فعول: الكثير العفو، ويقال: عفوته أي أتيته أطلب معروفا، واعتفيته مثله، وعفو المال: ما يفضل عن الصدقة، ويقال: أعفني من الخروج معك: أي دعني منه (وهذا راجع إلى معنى التّرك)، واستعفاه من الخروج أي سأله الإعفاء منه، والعافية دفاع الله عن العبد، وهي اسم وضع موضع المصدر: يقال: عافاه الله عافية.

وقال ابن الأثير: أصل العفو: المحو والطمس، ومنه حديث أمّ سلمة، «قلت لعثمان: لا تعف سبيلا كان رسول الله ﷺ لحبها» أي لا تطمسها، والعفو في حديث أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «سلوا الله العفو والعافية والمعافاة» معناه: محو الذّنوب، وقال ابن منظور: وأمّا العافية فهي أن يعافيه الله تعالى من سقم أو بليّة، وهي: الصّحّة ضدّ المرض، يقال: عافاه الله وأعفاه أي وهب له العافية من العلل والبلايا، وأمّا المعافاة فأن يعافيك الله من النّاس ويعافيهم منك، أي يغنيك عنهم ويغنيهم عنك، ويصرف أذاهم عنك ويصرف أذاك عنهم، وقيل: هي مفاعلة من العفو وهو أن يعفو عن النّاس ويعفوا هم عنه<sup>(٢)</sup>.

(١) ومن هذا المعنى الثاني: العفاة وهم طلاب المعروف، ومن ذلك أيضا: أعطيته المال عفوا أي من غير طلب. انظر هذه المعاني وما أشبهها في المقاييس (٤ / ٦١) وما بعدها.

(٢) مقاييس اللغة (٤ / ٥٦)، وكتاب العين للخليل بن أحمد (٢ / ٢٥٨)، والمفردات للراغب (٣٤٠)، والصحاح (٦ / ٢٤٣٣)، والنهية ٢ / ٢٦٥، ولسان العرب (٤ / ٣٠٢٠) - ط. دار المعارف.

**العفو من أسماء الله تعالى:**

قال ابن الأثير: من أسماء الله تعالى «العفو» هو فعول من العفو وهو التَّجاوز عن الذَّنْب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس، وهو من أبنية المبالغة<sup>(١)</sup>.

وقال الغزالي: والعفو صفة من صفات الله تعالى، وهو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفور، ولكنه أبلغ منه فإن الغفران ينبأ عن السَّتر، والعفو ينبأ عن المحو، والمحو أبلغ من السَّتر. وحظَّ العبد من ذلك لا يخفى وهو أن يعفو عن كلِّ من ظلمه بل يحسن إليه كما يرى الله تعالى محسناً في الدنيا إلى العصاة والكفرة غير معاجل لهم بالعقوبة. بل ربَّما يعفو عنهم بأن يتوب عليهم، وإذا تاب عليهم محا سيئاتهم، إذ التائب من الذَّنْب كمن لا ذنب له. وهذا غاية المحو للجناية<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: ومن حكمة الله ﷻ تعريفه عبده أنه لا سبيل له إلى النِّجاة إلاَّ بعفوه ومغفرته -جلَّ وعلا- وأنه رهين بحقِّه، فإن لم يتعمَّده بعفوه ومغفرته، وإلاَّ فهو من الهالكين لا محالة فليس أحد من خلقه إلاَّ وهو محتاج إلى عفوهِ ومغفرته كما هو محتاج إلى فضله ورحمته<sup>(٣)</sup>.

**العفو اصطلاحاً:**

قال المناوي: العفو: القصد لتناول الشَّيء والتَّجاوز عن الذَّنْب<sup>(٤)</sup>.

وقال الكفوي: العفو: كفَّ الضَّرر مع القدرة عليه، وكلَّ من استحقَّ عقوبة فتركها فهذا التَّرك عفو<sup>(٥)</sup>.

وقال أيضاً: العفو عن الذَّنْب يصحَّ رجوعه إلى ترك ما يستحقُّه المذنب من العقوبة، وإلى محو الذَّنْب، وإلى الإعراض عن المؤاخذة كما يعرض المرء عمَّا يسهل على النَّفس بذله<sup>(٦)</sup>.

(١) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٦٥).

(٢) المقصد الأسنى (١٤٠).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٣١٣) ط. ثانية، تعليق محمود ربيع.

(٤) التوقيف (٢٤٣)، وقد ذكر المناوي تعريفاً آخر عن الحرالي ليس مما نحن فيه وهو أن العفو ما جاء بغير تكلف ولا كره.

(٥) الكليات (٥٣)، وانظر أيضاً (٥٩٨).

(٦) انظر الكليات للكفوي (٦٣٢).

**الفرق بين العفو والصفح:**

الصفح والعفو متقاربان في المعنى فيقال:

صفحت عنه أعرضت عن ذنبه وعن تثريبه، كما يقال عفوت عنه.

إلا أن الصّفح أبلغ من العفو فقد يعفو الإنسان ولا يصفح، وصفح عنه: أوليته صفحة جميلة<sup>(١)</sup>.

**الغفران لغة:**

الغفران مصدر قولهم: غفر الله لفلان غفرانا ويرادفه: المغفرة والغفر، وأصل ذلك: التغطية والستر، والغفران والمغفرة من الله تعالى هي أن يصون العبد من أن يمسه العذاب، والاستغفار: طلب ذلك بالمقال والفعال، وقولهم اغفروا هذا الأمر بغفرته أي استروه بما يجب أن يستر به<sup>(٢)</sup>. والغفران (والمغفرة والغفر) تكون من الله ﷻ للعبد، وتكون من العبد لأخيه، قال الشاعر:

غفرنا وكانت من سجيّتنا الغفر

أنّ الغفر لأنّه في معنى المغفرة، وقولهم:

غفر الأمر بغفرته وغفيرته: أصلحه بما ينبغي أن يصلح به، أمّا قولهم: ما عندهم عذيرة ولا غفيرة فمعناه: لا يعذرون ولا يغفرون ذنبا لأحد<sup>(٣)</sup>.

**الغفران اصطلاحاً:**

هو تغطية الذنب بالعفو عنه<sup>(٤)</sup>.

والغفران المقصود هنا يعني أن يصفح المرء عن ذنب أخيه في حقّه وأن يتجاوز عنه.

**الفرق بين العفو والغفران:**

يتمثّل الفرق بين العفو والغفران في أمور عديدة أهمّها:

- أن الغفران يقتضي إسقاط العقاب ونيل الثواب، ولا يستحقّه إلا المؤمن ولا يكون إلا في حقّ البارئ - تعالى -.

(١) بصائر ذوي التمييز (٣/ ٤٢١).

(٢) انظر لسان العرب (٦/ ٣٢٧٤) وما بعدها (ط. دار المعارف)، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (٣٦٢).

(٣) لسان العرب (٦/ ٣٢٧٥).

(٤) انظر موسوعة له الأسماء الحسنى للشرباصي (٢/ ٢٦٣).

- أمّا العفو فإنّه يقتضي إسقاط اللوم والذمّ ولا يقتضي نيل الثواب ويستعمل في العبد أيضا.  
 - العفو قد يكون قبل العقوبة أو بعدها، أمّا الغفران؛ فإنّه لا يكون معه عقوبة البتّة ولا يوصف بالعفو إلاّ القادر عليه.  
 - في العفو إسقاط للعقاب، وفي المغفرة ستر للذنب وصون من عذاب الخزي والفضيحة<sup>(١)</sup>.  
 [للاستزادة: انظر صفات: الصفح - الرحمة - الستر - السماحة - المحبة - كظم الغيظ - النبل - الرجولة - النزاهة - حسن العشرة - حسن المعاملة - الشهامة.  
 وفي ضد ذلك: انظر صفات: الانتقام - الأذى - العنف - البغض - سوء الظن - سوء الخلق - سوء المعاملة].

\*\*\*

### من فوائد (العفو والغفران)

- (١) العفو والغفران من مظاهر حسن الخلق. (٥) العفو أمان من الفتن وعاصم من الزلل.  
 (٢) كلاهما دليل كمال الإيمان وحسن (٦) الغفران دليل كمال النفس وشرفها.  
 الإسلام. (٧) كلّ من العفو والغفران يهيئ للمجتمع  
 (٣) كلاهما دليل على سعة الصدر وحسن والنشء الصالح لحياة أفضل.  
 الظنّ. (٨) كلاهما طريق نور وهداية لغير المسلمين.  
 (٤) كلاهما يثمر محبة الله ﷻ ثم محبة الناس.

### العلم

#### العلم لغة:

مصدر قولهم: علم يعلم علما وهو مأخوذ من مادة (ع ل م) التي تدلّ على أثر بالشّيء يتميّز بها عن غيره، قال الرّاعب: وعلمته وأعلمته في الأصل واحد، إلّا أنّ الإعلام اختصّ بما كان بإخبار صحيح، والتّعليم اختصّ بما يكون بتكرير وتكثير حتّى يحدث منه أثر في نفس المتعلّم، وقول الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] فعليم يصحّ أن يكون إشارة إلى الإنسان العالم

(١) الكليات للكفوي (٦٣٢، ٦٦٦) بتصرف يسير.

الذي يكون فوق آخر، ويكون تخصيص لفظ العليم الذي هو للمبالغة تنبيها إلى أنه بالإضافة إلى الأول عليم وإن لم يكن بالإضافة إلى من فوقه كذلك، ويجوز أن يكون قوله «عليم» عبارة عن الله تعالى، وقول الله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٣١) إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴿ [الجن: ٢٦، ٢٧] فيه إشارة إلى أن الله تعالى علما يخص به أولياءه. والعالم في وصف الله تعالى: هو الذي لا يخفى عليه شيء (١).

وقال ابن منظور: العلم نقيض الجهل، وعلمت الشيء أعلمه علما: عرفته. قال ابن بري: وتقول: علم وفقه: أي تعلم وتفقه، وعلم وفقه (بالضّم) أي ساد العلماء والفقهاء، والعلامة والعلامة: النسابة وهو من العلم. قال ابن جنّي: رجل علامة، وامرأة علامة، وفي حديث ابن مسعود: إنك غليم معلم، أي ملهم للصواب والخير، وعلم بالشيء: شعر. يقال: ما علمت بخبر قدومه: أي ما شعرت. وعلم الأمر وتعلمه: أتقنه. وعلم الرجل: خبره، وأحب أن يعلمه أي يخبره (٢).

#### واصطلاحا:

قال الجرجاني: العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع (٣).

وقال الفيروز ابادي: العلم ضربان: الأول: إدراك ذات الشيء. والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه، فالأول يتعدى إلى مفعول واحد، والآخر يتعدى إلى مفعولين، والعلم من وجه آخر ضربان: نظري وعملي، ومن وجه ثالث: عقلي وسمعي (٤).

وقال الكفوي: المعنى الحقيقي للفظ العلم هو الإدراك، ولهذا المعنى متعلق هو المعلوم، وله تابع في الحصول يكون وسيلة إليه في البقاء وهو الملكة، وقد أطلق لفظ العلم على كل منها إما حقيقة عرفية، أو اصطلاحية، أو مجازا مشهورة (٥). وقال في موضع آخر: العلم يقال لحصول

(١) المقاييس (٤ / ١٠٩)، والمفردات (٣٤٤).

(٢) لسان العرب (٥ / ٣٠٨٣ - ٣٠٨٤)، وانظر: الصحاح للجوهري (٥ / ١٩٩٠ - ١٩٩١).

(٣) التعريفات للجرجاني (١٩١).

(٤) انظر تفاصيل ذلك في بصائر ذوي التمييز (٨٨) وما بعدها، والمفردات للراغب (٣٤٣).

(٥) الكليات للكفوي (٦١١).

صورة الشئ عند العقل وللاعتقاد الجازم الثابت والإدراك الكلّي والإدراك المركّب<sup>(١)</sup>.  
وقال المناوي: العلم: هو صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض، أو هو حصول صورة الشئ في العقل<sup>(٢)</sup>.

قال ابن العربي: العلم أبين من أن يبين، وأنكر على من تصدّى لتعريف العلم<sup>(٣)</sup>.  
وقال أبو حامد الغزالي - رحمه الله تعالى - : العلم هو معرفة الشئ على ما هو به<sup>(٤)</sup>.

### الفرق بين العلم والمعرفة:

المعرفة: تقال للإدراك المسبوق بالعدم، ولثاني الإدراكين إذا تخللتهما عدم. والإدراك الجزئي. والإدراك البسيط.

والعلم: يقال لحصول صورة الشئ عند العقل، وللاعتقاد الجازم المطابق الثابت والإدراك الكلّي، والإدراك المركّب.

والمعرفة قد تقال فيما تدرك آثاره، وإن لم تدرك ذاته.

والعلم لا يقال إلا فيما أدرك ذاته.

والمعرفة تقال فيما لا يعرف إلا كونه موجوداً فقط.

والعلم أصله أن يقال فيما يعرف وجوده وجنسه وكيفيته وعلته.

والمعرفة تقال فيما يتوصّل إليه بتفكير وتدبر.

والعلم قد يقال في ذلك وفي غيره<sup>(٥)</sup>.

وأيضاً يستعمل العلم في المحلّ الذي يحصل العلم فيه لا بواسطة الكسب، ولهذا يقال: (الله عالم) ولا يقال: (عارف)، كما لا يقال: (عاقل) فكذا الدراية فإنّها لا تطلق على الله لما فيها من معنى الحيلة.

(١) المرجع السابق (٦٨٦).

(٢) التوقيف (٢٤٦) وفيه تفصيلات عديدة ليس هنا محل ذكرها.

(٣) الفتح (١ / ١٤١).

(٤) الإحياء (٢٩٨).

(٥) الكليات (٨٦٨).

وفي «النَّجاة»: كلُّ معرفة وعلم فأما تصوّر وإمّا تصديق<sup>(١)</sup>.

### أقسام العلم:

قال ابن الجوزيّ - رحمه الله تعالى - في بيان العلم الذي هو فريضة على كلِّ مسلم: اختلفت عبارات النَّاس في بيان العلم المفروض، والصَّحيح أن يقال: هو علم معاملة العبد لربِّه وهو يدخل في باب الاعتقاد والأفعال. وهذا العلم المفروض ينقسم إلى قسمين:

فرض عين: وهو ما يتعيَّن وجوبه على الشَّخص من توحيد الله ومعرفة أوامره وحدوده في العبادات والمعاملات التي يحتاج إليها، وفرض كفاية: وهو كلُّ علم لا يستغنى عنه في قوام الدُّنيا. كالطَّبِّ والحساب وأصول الصَّناعات. كالفلاحة والحياكة والحجامة. فلو خلا البلد عمَّن يقوم بهذه العلوم والصَّناعات أثم أهل البلد جميعاً. وإذا قام بها واحد فقط وكفاهم سقط الإثم عن الباقيين، والتعمُّق في مثل هذه العلوم يعدُّ فضلة، لأنَّه يستغنى عنه.

ومن العلوم ما يكون مباحاً، كالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها، ومنها ما يكون مذموماً، كعلم السَّحر والطلسمات والتلبسات.

وأما العلوم الشرعيَّة فكلُّها محمودة، وتنقسم إلى أصول وفروع ومقدِّمات وامتِّمات<sup>(٢)</sup>.

### فضل العلم:

قال ابن القيم: العلم هاد. وهو تركة الأنبياء وتراثهم. وأهله عصبتهم ووراثتهم، وهو حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصِّدور، ورياضة العقول، ولذَّة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين، وهو الميزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال. وهو الحاكم المفرِّق بين الشُّكِّ واليقين، والغبيِّ والرَّشاد، والهدى والضلال. به يعرف الله ويعبد، ويذكر ويوحِّد، ويحمد ويمجِّد، وبه اهتدى إليه السَّالكون.

ومن طريقه وصل إليه الواصلون. ومنه دخل عليه القاصدون. وبه تعرف الشرائع والأحكام، ويتميِّز الحلال والحرام. وبه توصل الأرحام، وبه تعرف أمراض الحبيب، وبمعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب. وهو إمام، والعمل مأموم. وهو قائد، والعمل تابع. وهو الصَّاحب في الغربة، والمحدِّث في الخلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الشُّبهة، والغنى الذي لا فقر على من

(١) المرجع السابق (٦١١).

(٢) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة (بتصرف شديد واختصار ١٥-١٧).

ظفر بكنزهِ. والكنف الذي لا ضيعة على من أوى إلى حرزه. مذاكرته تسييح، والبحث عنه جهاد. وطلبه قربة. وبذله صدقة.

ومدارسته تعدل بالصيام والقيام. والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام<sup>(١)</sup>.

### العلم النافع:

قال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله تعالى - : قد ذكر الله تعالى في كتابه العلم تارة في مقام المدح وهو العلم النافع وذكر العلم تارة في مقام الذم وهو العلم الذي لا ينفع، فأما الأول فمثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. وغير ذلك من الايات. هذا وقد يكون العلم في نفسه نافعا لكن صاحبه لم ينتفع به. كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، وقال سبحانه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِيَةِ﴾ (١٧٥) ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]، وقال أيضا: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عَیْرِ﴾ [الجاثية: ٢٣]<sup>(٢)</sup>.

### ضابط العلم النافع:

والعلم النافع هو ما كان ضبط نصوص الكتاب والسنة، وفهم معانيها والتقيّد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث وفيما ورد عنهم من الكلام من مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق والمعارف وغير ذلك.

والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولا، ثم الاجتهاد على معرفة معانيه وتفهمه ثانيا. وهذا العلم النافع يدل على أمرين:

أحدهما: معرفة الله وما يستحقّه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الباهرة، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه، وخشيته ومهابته، ومحبتّه ورجاءه، والتوكّل عليه والرضا بقضائه والصبر على بلائه.

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٩ - ٤٧٠).

(٢) فضل علم السلف على الخلف (١٢٥ - ١٢٦) بتصرف واختصار.

والأمر الثاني: المعرفة بما يحبه ويرضاه، وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات، والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال<sup>(١)</sup>.

### معنى اسم الله العليم العالم العلام:

من صفات الله تعالى: العليم والعالم والعلام، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، وقال: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الرعد: ٩]، وقال: ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]. فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولما يكن بعد قبل أن يكون، لم يزل عالما ولا يزال عالما بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها، دقيقة وجليلها، على أتم الإمكان، وعلیم فعيل من أبنية المبالغة، ويجوز أن يقال للإنسان الذي علمه الله علما من العلوم: علیم. كما قال يوسف للملك: ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. فأخبر ﷻ أن من عباده من يخشاه، وأنهم هم العلماء، وكذلك صفة يوسف ﷻ، وكان عليهما بأمر ربّه<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الحكمة- الفطنة- الفقه- علو الهمة- البصيرة- النظر والتبصر- التأمل- التفكير- التبين (الثبت) - التدبر- اليقين- قوة الإرادة- المسؤولية. وفي ضد لك: انظر صفات: الجهل- السفاهة- الضلال- الطيش- صغر الهمة- الكسل- البلادة والغباء- الحمق- التفريط والإفراط- التهاون].

\*\*\*

### من فوائد (العلم)

- (١) به يعرف الله ويعبد ويوحّد.
- (٢) هو أساس صحّة الاعتقادات والعبادات.
- (٣) طلب العلم عبادة.
- (٤) هو طريق الوصول إلى الجنّة.
- (٥) يكسب صاحبه الخشية لله.
- (٦) يكسب صاحبه التّواضع للخلق.
- (٧) ينتفع به صاحبه وينتفع به غيره ممّن علمه.
- (٨) يبقى أجره بعد انقطاع أجل صاحبه.

(١) فضل علم السلف على الخلف لابن رجب (١٥٠، ١٥١) باختصار.

(٢) لسان العرب: (٥ / ٣٠٨٢، ٣٠٨٣).

- (٩) يورث صاحبه أعلى المراتب بعد الأنبياء. (١١) هو دليل حبّ الخير للآخرين لحرص صاحبه على إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم.
- (١٠) يرفع الوضع ويعزّز الدليل ويجبر الكسير.
- (١٢) به توصل الأرحام وتؤدّي الحقوق.

### علو الهمة

#### العلو لغة:

مصدر قولهم علا يعلو علواً وهو مأخوذ من مادّة (ع ل و) التي تدلّ على السموّ والارتفاع، يقال: تعالى النهار أي ارتفع، والعلاء الرّفعة، وأمّا العلوّ فالعظمة والتّجبر، يقولون: علا الملك في الأرض علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]، ورجل عالي الكعب أي شريف، ويقال لكلّ شيء يعلو، فإن كان في الرّفعة والشرف، قيل علي يعلو، ومن قهر أمراً فقد اعتلاه واستعالى عليه وبه، ويقال من عليّة النّاس أي من أهل الشرف، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ كِنَبَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَّتِينَ﴾ [المطففين: ١٨] قالوا إنّما هو ارتفاع بعد ارتفاع إلى ما لا حدّ له.

وقال الجوهري: علا في المكان يعلو علواً، وعلي في الشرف يعلو علاً ويقال أيضاً علا (بالتفتح) يعلو، قال رؤبة (جامعا بين اللّغتين): لَمَّا علا كعبك بي عليت ويقال: فلان من عليّة النّاس، وهو جمع رجل عليّ أي شريف رفيع مثل صبيّ وصبيّة، ويقال: علوت الرّجل: غلبته، وعلوته بالسيف: ضربته، واستعالى الرّجل أي علا، واستعلاه: علاه، واعتلاه مثله، وتعلّى أي علا في مهلة، وأعلاه الله: رفعه، والتّعالى: الارتفاع، وعلا بالأمر: اضطلع به، وعلو كلّ شيء، وعلوه، وعلوه، وعلاوته، وعاليه وعاليته: أرفعه، وعلا الشّيء علواً فهو عليّ، وعلي وتعلّى وفي حديث ابن عبّاس، فإذا هو يتعلّى عليّ، أي يترفع، والعلو في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْأَمْثَلُ الْأَخْرَجُ نَجَعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣] التّكبر وقيل الفساد والمعاصي<sup>(١)</sup>.

#### العلي من أسماء الله تعالى:

قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى: العليّ والمتعالى: فالعليّ الذي ليس فوقه شيء في المرتبة

(١) المقاييس (٤/ ١٢٠)، والصحاح (٦/ ٢٤٣٧)، ولسان العرب (٤/ ٣٠٨٨).

والحكم، ففعل بمعنى فاعل من علا يعلو، والمتعالي: الذي جلّ عن إفك المفتريين وعلا شأنه، وقيل: جلّ عن كلّ وصف وثناء، وهو فاعل من علوّ، وقد يكون بمعنى العالي<sup>(١)</sup>.

### الهمة لغة:

الهمة في اللغة: مثل الهمّ وكلاهما اسم لما هممت به، قال ابن فارس: والهمّ ما هممت به وكذلك الهمّة، ثمّ تشتقّ من الهمّة الهمام: الملك العظيم الهمّة، ويقال الهمّة أيضا بالفتح وفلان بعيد الهمّة، ويقال لا مهمّة لي (بفتح الهاء)، ولا همّ أي لا أهمّ بذلك ولا أفعله، ويقال: ذهب أتهمّه أي أطلبه. وقال ابن منظور: الهمّة: واحدة الهمم. وهمّ بالشيء يهمّه همّا: نواه وأراده، وعزم عليه.

والهمة والهمّة: ما همّ به من أمر ليفعله. وتقول: إنّه لعظيم الهمّ، وإنّه لصغير الهمّة، وإنّه لبعيد الهمّة. والهمّة بالفتح. والهمام: الملك العظيم الهمّة. والهمام، اسم من أسماء الملك لعظم همّته. وقيل: لأنّه إذا همّ بأمر أمضاه، ولا يردّ عنه بل ينفذ كما أراد، وقيل: الهمام السيّد الشجاع السخيّ<sup>(٢)</sup>.

### علو الهمّة اصطلاحاً:

قال المناويّ: عظم (علوّ) الهمّة: عدم المبالاة بسعادة الدّنيا وشقاوتها<sup>(٣)</sup>. وقال الرّاعب: الكبير الهمّة على الإطلاق هو من لا يرضى بالهمم الحيوانيّة قدر وسعه فلا يصير عبد بطنه وفرجه بل يجتهد أن يتخصّص بمكارم الشريعة.. والصّغير الهمّة من كان على العكس من ذلك وقال رحمته: والكبير الهمّة على الإطلاق من يتحرّى الفضائل لا لجاه ولا لثروة ولا للذّة. ولا لاستشعار نخوة واستعلاء على البريّة، بل يتحرّى مصالح العباد شاكراً بذلك نعمة الله ومتوّخياً به مرضاته غير مكترث بقلة مصاحبيه فإنّه إذا عظم المطلوب قلّ المساعد، وطرق العلاء قليلة الإيناس<sup>(٤)</sup>.

(١) النهاية (٣/ ٢٩٣).

(٢) لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٦٢٠ - ٦٢١).

(٣) التوقيف (٢٤٣).

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٩١).

وقال الخضر حسين: علوُّ الهمة: هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور<sup>(١)</sup>.

### العلم وعلو الهمة:

إنَّ معالي الأمور وعرة المسالك، محفوفة بالمكاره، والعلم أرفع مقام تطمح إليه الهمم، وأشرف غاية تتسابق إليها الأمم، فلا يخلص إليه الطالب دون أن يقاسي شدائد ويحتمل متاعب، ولا يستهين بالشدائد إلاَّ كبير الهمة ماضي العزيمة. وكان سعيد بن المسيب يسير الليالي لطلب الحديث الواحد، ورحل أبو أيوب الأنصاري من المدينة إلى عقبة بن عامر، وهو في مصر ليروي عنه حديثاً، فقدم مصر ونزل عن راحلته ولم يحل راحلته، فسمع منه الحديث وركب راحلته وقفل إلى المدينة راجعاً، ولم ينتشر العلم في بلاد المغرب أو الأندلس إلاَّ برجال رحلوا إلى الشرق ولاقوا في رحلاتهم عناء ونصبا، مثل أسد بن الفرات، وأبي الوليد الباجي، وأبي بكر بن العربي.

وخلاصة المقال: تذكير النبهاء من نشئنا بأن يقبلوا على العلم بهمم كبيرة، صيانة للوقت من أن ينفق في غير فائدة، وعزم يبلى الجديدان<sup>(٢)</sup>، وهو صارم صقيل، وحرص لا يشفي غليله إلاَّ أن يغترف من موارد العلوم بأكواب طافحة، وغوص في البحث لا تحول بينه وبين نفائس العلوم وعورة المسلك ولا طول مسافة الطريق، وألسنة مهذبة لا تقع في لغو أو مهاترة.

إنَّ عظيم الهمة يستخف بالمرتبة السفلى أو المرتبة المتوسطة من معالي الأمور، ولا تهدأ نفسه إلاَّ حين يضع نفسه في أسنى منزلة وأقصى غاية، ويعبر عن هذا المعنى النابغة الجعدي بقوله:

بلغنا السَّماءَ مجدنا وجدودنا      وإنَّا لنبغى فوق ذلك مظهرنا

وإذا كان هذا الخلق لا يقع إلاَّ على معالي الأمور فلا عظمة لهمم قوم يبتغون النهاية في زينة هذه الحياة، ويغرقون في التمتع بلذاتها المادية.

ومن الخطل في الرأي أن ينزع الرجل إلى خصلة شريفة، حتى إذا شعر بالعجز عن بلوغ غايتها البعيدة انصرف عنها جملة، والتحق بالطائفة التي ليس لها في هذه الخصلة من نصيب، والذي يوافق الحكمة ويقتضيه حق التعاون في سعادة الجماعة أن يذهب الرجل في همّه<sup>(٣)</sup> إلى

(١) وسائل الإصلاح للخضر حسين (٥٧).

(٢) الجديدان: هما الليل والنهار.

(٣) المراد هنا: الهمة.

الغايات البعيدة ثم يسعى لها سعيها، ولا يقف دون النهاية إلا حيث ينفذ جهده، ولا يهتدي للمزيد على ما فعل سبيلا.

### والناس في الحقيقة أصناف:

رجل يشعر بأن فيه الكفاية لعظائم الأمور، ويجعل هذه العظائم همته، وهذا من يسمّى (عظيم الهمة) أو (عظيم النفس)، ورجل فيه الكفاية لعظائم الأمور ولكنّه يبخل نفسه، فيضع همّه في سفاسف الأمور وصغائرهما، وهذا من يسمّى (صغير الهمة) أو (صغير النفس)، ورجل لا يكفي لعظائم الأمور، ويحسّ بأنه لا يستطيعها وأنه لم يخلق لأمثالها فيجعل همته وسعيه على قدر استعداده، وهذا الرجل بصير بنفسه متواضع في سيرته. هؤلاء ثلاثة، ورابعهم لا يكفي للعظائم ولكنّه يتظاهر بأنه قويّ عليها مخلوق لأن يحمل أثقالها، وهذا من يسمّونه (فخورا)، وإن شئت فسمّه (متعظّما).

### من أين ينشأ عظم الهمة؟:

يتربّى عظم الهمة من طريق الاقتداء، أو من طريق تلقين الحكمة وبيان فضل عظم الهمة وما يكسب صاحبه من سؤدد وكمال، أو من طريق درس التاريخ والنظر في سير أعظم الرجال، فإننا لو أخذنا نبحت عن مفاخر أولئك الذين يلهج التاريخ بأسمائهم لوجدنا معظم مفاخرهم قائمة على هذا الخلق الذي نسمّيه (عظم الهمة)، والقرآن يملأ النفوس بعظم الهمة، وهذا العظم هو الذي قذف بأوليائه ذات اليمين وذات الشمال، فأتوا على عروش كانت ظالمة، ونسفوها من وجه البسيطة نسفا ثم رفعوا لواء العدل والحرية، وفجروا أنهار العلوم تفجيرا، وإذا رأينا من بعض قرائه همما ضئيلة ونفوسا خاملة فلاّنهم لم يتدبروا آياته، ولم يتفقهوا في حكمه.

### فضل عظم الهمة:

قال الماوردي رحمته: اعلم أن من شواهد الفضل، ودلائل الكرم: المروءة التي هي حلية النفوس، وزينة الهمم.

ومن حقوق المروءة وشروطها، ما لا يتوصّل إليه إلا بالمعانة، ولا يوقف عليه إلا بالتفقد والمراعاة، فثبت أنّ مراعاة النفس إلى أفضل أحوالها هي المروءة، وإذا كانت كذلك، فليس ينقاد لها مع ثقل كلفها، إلا من تسهّلت عليه المشاق، رغبة في الحمد، وهانت عليه الملاذ، حذرا من الدّم، ولذلك قيل: سيّد القوم أشقاهم.

وقال الشاعر:

وإذا كانت النفس كباراً      تعبت في مرادها الأجسام  
والداعي إلى استسهال ذلك شيئان: أحدهما: علو الهمة، والثاني: شرف النفس. أما علو  
الهمة، فلا تباعث على التقدّم، وداع إلى التخصيص، أنفة من خمول الضعة، واستنكارا لمهانة  
النقص<sup>(١)</sup>.

يسمو هذا الخلق بصاحبه فيتوجّه به إلى النهايات من معالي الأمور فهو الذي ينهض  
بالضعيف يضطهد أو يزدري، فإذا هو عزيز كريم، وهو الذي يرفع القوم من سقوط، ويبدّلهم  
بالخمول نباهة، وبالاضطهاد حرّية، وبالطاعة العمياء شجاعة أدبية. نعم! يورد هذا الخلق صاحبه  
موارد التعب والعناء، ولكن التعب في سبيل الوصول إلى النهاية من معالي الأمور يشبه الدواء المرّ  
فيسيغه المريض كما يسيغ الشراب عذبا بارداً، وعظيم الهمة قد يشتدّ حرصه على الشرف حتّى لا  
يكاد يشعر بما يلاقه في سبيله من أنكاد وأكدار<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ الخضر حسين رحمته: ومما جبل عليه الحرّ الكريم، ألا يقنع من شرف الدنيا  
والآخرة بشيء مما انبسط له، أملاً فيما هو أسنى منه درجة وأرفع منزلة، ولذلك قال عمر بن عبد  
العزیز لدكين الرّاجز: إنّ لي نفساً تواقّة، فإذا بلغك أنّي صرت إلى أشرف من منزلتي هذه، فبعين ما  
أرينك - قال له ذلك وهو عامل المدينة لسليمان بن عبد الملك - فلمّا صارت إليه الخلافة قدم  
عليه دكين، فقال له: أنا كما أعلمتك أنّ لي نفساً تواقّة، وأنّ نفسي تاقّت إلى أشرف منازل الدنيا،  
فلمّا بلغتها وجدتها تتوق لأشرف منازل الآخرة.

وفي هذا المعنى:

والحرّ لا يكتفي من نيل مكرمة      حتّى يروم التي من دونها العطب  
يسعى به أمل من دونه أجل      إن كفه رهب يستدعه رغب  
لذاك ما سال موسى ربّه أرني      أنظر إليك وفي تسالنه عجب

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (٣٠٦-٣٠٧).

(٢) وسائل الإصلاح للخضر حسين (٨٥-٩٥) باختصار.

يبغي التزويد فيما نال من كرم وهو التّجّيّ لديه الوحي والكتب<sup>(١)</sup>

### علو الهمة وكبر الهمة وعظم الهمة :

يعبر عن هذه الصّفة أحيانا بعظم الهمة وأحيانا بكبر الهمة، أمّا عكس ذلك فهو «صغر الهمة»، ومن هنا فإنّ تعريف عظم الهمة أو كبر الهمة هو نفسه تعريف لعلو الهمة.

### مجالات علو الهمة :

ذكر صاحب كتاب (علو الهمة) أنّ لهذا العلو مجالات خمس: طلب العلم، العبادة والاستقامة، البحث عن الحقّ، الدّعوة إلى الله تعالى، والجهاد في سبيل الله، وسنوجز القول في هذه المجالات كما يلي<sup>(٢)</sup>:

المجال الأوّل: طلب العلم: يتمثّل علو الهمة في طلب العلم في:

- ١- غيرة على الوقت أن ينفق في غير فائدة.
- ٢- عزم يبلى الجديدان وهو صارم صقيّل<sup>(٣)</sup>.
- ٣- حرص لا يشفي غليله إلا أن يعترف من موارد العلوم بأكواب طافحة.
- ٤- غوص في البحث لا تحول بينه وبين نفائس العلوم وعورة المسلك، ولا طول مسافة الطّريق.

٥- ألسنة مهذبّة لا تقع في لغو ولا مهاترة لأنّها شغلت بالحقّ فأشغلها عن الباطل.

لقد كان السّلف الصّالح - رضوان الله عليهم - المثل الأعلى في علو الهمة في طلب العلم، وكان على رأسهم عمر بن الخطّاب، وعبد الله بن عبّاس ومحمّد ابن إدريس الشّافعيّ وأحمد بن حنبل، وغيرهم كثير، فعمر بن الخطّاب رضي الله عنه كان يتناوب مع جار له من الأنصار النّزول إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، يقول ابن الخطّاب: فإذا نزلت جتته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، وها هو ابن عبّاس رضي الله عنه يحدث عن علو همّته في طلب العلم فيقول: كان يبلغني

(١) وسائل الإصلاح للخضر حسين (ص ٨٥-٩٥) باختصار.

(٢) من يريد التفصيل عليه بالرجوع إلى كتاب الشيخ محمد أحمد إسماعيل المقدم، وعنوانه «علو الهمة» وهو مطبوع في الرياض بالمملكة العربية السعودية ١٤١٦ هـ، الباب الرابع (٣١٤-٣٢٤).

(٣) الجديدان هما الليل والنهار، والصارم: السيف.

الحديث عن الرجل فاتي بابه وهو قائل<sup>(١)</sup>، فأتوسد ردائي على بابه، يسفي الريح علي من التراب فيخرج فيراني فيقول: يا بن عم رسول الله ﷺ: ما جاء بك؟

هلاً أرسلت إلي فاتيك؟. فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك. أمّا الشافعي فقد وصف حاله مع العلم بقوله: أسمع بالحرف ممّا لم أسمع، فتودّ أعضائي أنّ لها أسماء تنعم به ما تنعمت به الأذنان. وقيل له يوماً: كيف حرصك على العلم؟ قال: حرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال، فقيل له: فكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلّة ولدها ليس لها غيره، أمّا أحمد ابن حنبل فقد حكى عن نفسه «كنت ربّما أردت البكور في الحديث فتأخذ أمي بشيبي حتى يؤذّن الناس، أو حتى يصبحوا». وقال: «لو كان عندي خمسون درهما لخرجت إلى جرير بن عبد الحميد»<sup>(٢)</sup>، وكان من مظاهر علو همّتهم في طلب العلم الدّأب على تحصيله في أقلّ وقت ممكن وها هو الفيروز ابادي صاحب القاموس يقرأ صحيح مسلم على شيخه في ثلاثة أيّام، أمّا الحافظ ابن حجر فقرأ صحيح البخاري في أربعين ساعة، وصحيح مسلم في أربعة مجالس عدا جلسة الختم<sup>(٣)</sup>. ومن هذه المظاهر أيضاً الرّحلة في طلب العلم حتى لقد كان الواحد منهم يرحل مسيرة شهر في حديث واحد<sup>(٤)</sup>، وكانوا يتحمّلون الفقر والفاقة دون أن يفتر ذلك في عضدهم، وكانوا لا يكثرثون بذلك تمسّكا بمثوبة الصّبر، وكانوا ينفقون كلّ ما عندهم في سبيل العلم، وها هو يحيى بن معين - رحمه الله تعالى - خلف له أبوه ألف ألف درهم فأنفقها كلّها على تحصيل الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه، وكان ذلك عندهم - كما أخبر ابن الجوزي - أحلى من العسل.

يقول - رحمه الله تعالى - لقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشّدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمان الصّبا أخذ أرغفة يابسة وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء<sup>(٥)</sup>.

(١) قائل: أي يقضي وقت القيلولة.

(٢) انظر هذه الحكايات وغيرها في «علو الهمة» ١٤٥-١٤٨.

(٣) علو الهمة (١٥٥-١٥٦) بتصرف واختصار.

(٤) وذلك كما حدث من جابر بن عبد الله الذي ارتحل شهراً إلى عبد الله بن أنيس وكما رحل أبو أيوب الأنصاري من المدينة إلى عقبة بن عامر وهو في مصر ليروي عنه حديثاً، فلما قدمها لم يحل رحله عن ناقته ونزل عنها فسمع الحديث وقفل راجعاً إلى المدينة. انظر «علو الهمة» (١٥٧).

(٥) علو الهمة (١٦٤).

ومن مظاهر ذلك أيضا سهرهم الليلي في طلب العلم وعدم الخلود إلى راحة النوم، يقول ابن كثير: كان البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه، فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمرّ بخاطره، ثم يطفىء سراجَه، ثم يقوم مرّة أخرى وأخرى، حتّى كان يتعدّد منه ذلك قريبا من عشرين مرّة. والحكايات في ذلك أكثر من أن تحصى<sup>(١)</sup>. أمّا مذاكرة العلم ومدارسته فحدّث عنهم ولا حرج، فمن ذلك ما حكاه القطب اليونيني عن الإمام النوويّ من أنّه كان لا يضيع له وقت في ليل ولا نهار إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم، حتّى إنّه في ذهابه في الطريق وإيابه يشتغل في تكرار محفوظه أو مطالعة، وإنّه بقي على التّحصيل - على هذا الوجه - ستّ سنين، وكان يقرأ في كلّ يوم اثني عشر درسا على المشايخ شرحا وتصحيحا، أمّا همّتهم في الحفظ فيكفي دليلا عليها أنّ الإمام أحمد كان يحفظ ألف ألف حديث. فقليل له: ما يدريك؟ قال: ذاكرته وأخذت عليه الأبواب<sup>(٢)</sup>.

**المجال الثاني:** علوّ الهمة في العبادة والاستقامة: لقد فقه سلفنا الصّالح عن الله أمره، وتدبّروا في حقيقة الدّنيا فاستوحشوا من فتنتها وتجاغت جنوبهم عن مضاجعها، وارتفعت همّتهم عن سفاسفها، فلا تراهم إلا صوّامين قوّامين، وقد حفلت تراجمهم بأخبار زاخرة تشيد بعلوّ همّتهم في التّوبة والاستقامة، وقوّة عزيمتهم في العبادة والإخبات.

**المجال الثالث:** البحث عن الحقّ: لقد حفل التاريخ الإسلاميّ بنماذج رائعة من المهتمّين الذين ارتفعت همّتهم في البحث عن الحقيقة الدّينيّة أو البحث عن الدّين الحقّ، وبذلوا في سبيل ذلك النفس والنّفس، فصاروا مضرب الأمثال، وحبّة الله على خلقه أنّ من انطلق باحثا عن الحقّ مخلصا لله تعالى فإنّ الله يهتدي به إليه ويمنّ عليه بأعظم نعمة في الوجود هي نعمة الإسلام<sup>(٣)</sup>.

**المجال الرابع:** علوّ الهمة في الدّعوة إلى الله: من أعظم ما يهتمّ به الدّاعية هداية قومه، وبلوغ الجهد في النّصح لهم والصّبر على مشاقّ الدّعوة حتّى تبلغ الغاية التي يريد الله أن تبلغها، وقد كان الرّسل الكرام على رأس قائمة عالي الهمة في هذا المجال وكان حبيينا وسيدنا محمّد ﷺ في ذلك الغاية العظمى، والمثل الأعلى الذي ينبغي أن يحذو حذوه كلّ داعية إلى الله ﷻ، إذ لم يكن همّه هداية قومه من قريش أو من العرب فحسب وإنما خاطب ملوك العالم ورؤساءه كي يدخلوا في دين الله.

(١) انظر ذلك في «علو الهمة» (١٦٥، ١٧٢).

(٢) المرجع السابق (١٨٣)؛ وقد ذكر الشيخ محمد المقدم أمثلة أخرى عديدة على علو همة السلف في حب الكتب وتصنيفها ونشر العلم وتعليمه، لم نذكرها خوف الإطالة، ولينظرها من أراد (١٨٧-٢٠٨).

(٣) المرجع السابق (٢١٧).

المجال الخامس: الجهاد في سبيل الله: لا يحتاج مجال لعلو الهمة ما يحتاجه الجهاد في سبيل الله وذلك لأنه يتطلب رجالا وصفهم الله ﷺ بقوله: ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْوَاهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقد ضرب المصطفى ﷺ المثل الأعلى في هذا المجال فلم يكن أحد أقرب إلى العدو (أي أنه كان يقاتل في الصفوف الأمامية) منه، وكان الصحابة رضوان الله عليهم مضرب المثل في الشجاعة اقتداء به ﷺ، وها هو أبو محجن الثقفي يقاتل الفرس يوم القادسية حتى ظن بعضهم أنه ملك. إنه ما أحوجنا في هذه الأيام إلى إحياء هذه الروح الوثابة والهمة العالية في الجهاد ضد أعداء الله وأعدائنا في فلسطين، والشيشان، والبوسنة وغير ذلك من بلاد المسلمين التي يدنسها الأعداء.

### القيام التربوية لـ «علو الهمة»:

إن تربية أطفالنا تحتاج كي تؤتي ثمارها في المستقبل رجالا أشداء، وجيلا معافي في بدنه وعقله، وحرّاسا للعقيدة والوطن أن نغرس في هؤلاء الأطفال منذ نعومة أظفارهم هذا الخلق الرفيع «علو الهمة».

وتعدّ الأسرة - وبخاصة الوالدين أو من يقوم مقامهما - أهمّ عناصر البيئة تأثيرا في إظهار النبوغ وزراعة الهمة العالية في قلوب الأطفال، وهذا ما يفسّر لنا سرّ اتصال سلسلة النابغين من أبناء أسر معينة - كال تيمية مثلا - حيث تجتمع الاستعدادات الفطرية، والقدرات الإبداعية مع البيئة المساعدة التي تكشف هذه المواهب مبكرا وتنمّيها وتوجّهها إلى الطريق الأمثل<sup>(١)</sup>، وها هو الزبير بن العوام رضي الله عنه الذي عدل به عمر ألفا من الرجال، يشبّ في كنف أمه صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ وأخت أسد الله حمزة، وهؤلاء الكملة العظام، عبد الله والمنذر وعروة أبناء الزبير - رضي الله عنهم جميعا - كلهم ثمرات أمهم ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها لقد كان لما غرسته هاتان المرأتان أكبر الأثر في علو همة أبنائهما، وقد حفظ التاريخ قول السيدة فاطمة بنت أسد لابنها عقيل بن أبي طالب:

أنت تكون ماجد نبيل إذا تهبّ شمّأل بليـل<sup>(٢)</sup>

(١) علو الهمة (٣٨٢).

(٢) هذا البيت مشهور في كتب «شواهد العربية» والنحو، انظره في شرح ابن عقيل على الألفية (١/ ٢٩٢).

فنشأ عليه السلام عالي الهمة قوي الشكيمة لا يخشى في الحق لومة لائم، وقد كان معاوية عليه السلام يفخر بتربية أمه له، فيقول إذا نوزع بالفخر: أنا ابن هند. وما كان له ليقول ذلك إلا إذا كانت قد اشتهرت بحسن التربية وتنشئة أولادها على جميل الصفات، وغرست فيهم روح السيادة وعلو الهمة، قيل لها ومعاوية وليد بين يديها: إني أظن أن هذا الغلام سيسود قومه. قالت: ثكلته إذن إن لم يسد قومه<sup>(١)</sup>. وها هو والد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عصر قريب يرثي ابنه على تحمّل المشاق ويدربه على الإقدام، ويستجيب لطلبه أداء فريضة الحج في سن مبكرة فنشأ قوي الشكيمة عالي الهمة واثقا من نفسه، مستعدا لتحمل المسئوليات الكبار، يدل على ذلك ما كتبه والد الشيخ إلى صديق له: تحققت أنه بلغ الاحتلام قبل بلوغه الثانية عشرة، ورأيت أهلا للصلاة بالجماعة والائتمام، فقدّمته لمعرفة بالأحكام، وزوجته بعد البلوغ مباشرة ثم طلب مني الحج إلى بيت الله الحرام، فأجبتة بالإسعاف إلى ذلك المرام، فحجّ وقضى ركن الإسلام<sup>(٢)</sup>.

إن تربية الأطفال على علو الهمة لا تنهض به الأسرة وحدها، وإنما هو واجب المدرسة أيضا، إذ على المعلم أن يغرس هذه القيامة العظمى في نفوس تلاميذه، وأيضا فإن وسائل الإعلام الحديثة - مسموعة أو مرئية أو مكتوبة - عليها دور كبير في غرس هذه الهمة العالية في نفوس مستمعيها أو الناظرين إليها أو قرائها، حتى يخرج من بين هؤلاء من ينهض بالأمة ويقبلها من العثرات، ومن الوسائل التربوية التي تساعد في بث هذه الروح عامل التشجيع الذي ينهض به أثرياء الأمة، فيقيمون المسابقات ويكافئون النابغين، ولنا في سلفنا الصالح في هذا المجال أسوة حسنة، يقول الشاطبي في هذه الوسيلة (أي التشجيع): إنها واجب على الكفاية، فإن قام بها البعض سقط الوجوب عن الآخرين وإن لم يقم بها أحد أثموا جميعا، القادر لأنه قصر وغير القادر لأنه قصر فيما يستطيعه، وهو التفتيش عن القادر وحمله على العمل وحثه وتشجيعه، وإعانتة على القيام به، بل وإجباره على ذلك<sup>(٣)</sup>.

وقد كان الخلفاء والأمراء في طليعة المشجعين لطلبة العلم وتربيتهم على علو الهمة، وها هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يشجع ابن عباس ويدخله عليه مع من شهد بدرًا من المهاجرين والأنصار، يقول ابن عباس عليه السلام: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم

(١) علو الهمة (٢٨٣) بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق (٣٨٦).

(٣) الموافقات للشاطبي (١ / ١١٤)، بواسطة «علو الهمة» (٣٩٤).

وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم. فدعا ذات يوم فأدخله معهم، فما رثيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: إذا جاء نصر الله والفتح - وذلك علامة أجلك - فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الطموح - القوة - قوة الإرادة - الطاعة - المروءة - النشاط - الشجاعة - الرجولة - النبيل - الشرف - المسؤولية.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: صغر الهمة - التخاذل - الضعف - الكسل - الوهن - التهاون - التنصل من المسؤولية - اليأس].

\*\*\*

### من فوائد (علو الهمة)

- (١) دليل على كمال الرجولة وكمال المروءة. (٣) خلق يوصل إلى محبة الله ومحبة الناس.
- (٢) تتمر سعادة الدنيا والآخرة. (٤) يحقق الرفاهية والسعادة للأفراد والشعوب.

## العمل

### العمل لغة:

مصدر قولهم عمل يعمل وهو مأخوذ من مادة (ع م ل) التي تدل على «كل فعل يفعل» قال الخليل: عمل يعمل عملا فهو عامل، واعتمل الرجل إذا عمل بنفسه، والعمالة أجر ما عمل، والعملة: القوم يعملون بأيديهم ضروبا من العمل حفرا أو طيا أو نحوه، وقيل العمل: المهنة والفعل، والجمع أعمال، عمل عملا، وأعمله غيره واستعمله، واعتمل الرجل: عمل بنفسه، واستعمل فلان غيره إذا سأله أن يعمل له، واستعمله: طلب إليه العمل. واستعمل فلان إذا ولي

(١) البخاري - الفتح ٨ (٤٩٧٠).

عملا من أعمال السلطان، وفي حديث خير: (دفع إليهم أرضهم على أن يعتملوها من أموالهم)، والاعتماد: افتعال من العمل أي إنهم يقومون بما يحتاج إليه من عمارة وزراعة وتلقيح وحراسة ونحو ذلك. وأعمل فلان ذهنه في كذا وكذا إذا دبره بفهمه. وأعمل رأيه وآلته ولسانه. واستعمله: عمل به. ورجل عمول إذا كان كسوبا.

ورجل عمول: بمعنى: رجل عمل أي مطبوع على العمل. وتعمّل فلان لكذا، والتعميل: تولية العمل. يقال: عمّلت فلانا على البصرة، قال ابن الأثير: قد يكون عمّلته بمعنى وليته وجعلته عاملا.

قال الأزهرّي: العمالة بالضمّ، رزق العامل الذي جعل له على ما قلّد من العمل. والعامل في العربيّة: ما عمل عملا ما. وقيل هو الذي يتولّى أمور الرجل في ماله وملكه وعمله، ومنه قيل للذي يستخرج الزكاة: عامل<sup>(١)</sup>.

#### العمل اصطلاحاً:

قال المناوي: العمل كلّ فعل من الحيوان بقصد، والعمل أخصّ من الفعل؛ لأنّ الفعل قد ينسب إلى الحيوان الذي يقع منه فعل بلا قصد، وقد ينسب الفعل إلى الجماد، والعمل قلّمًا ينسب إلى ذلك.

أمّا العمل الصّالح: فهو العمل المراعى من الخلل، وأصله الإخلاص في النية وبلوغ الوسع في المجادلة بحسب علم العامل وإحكامه، وقال بعضهم: العمل الصّالح ما دبر بالعلم<sup>(٢)</sup>.

وقال الكفوي: العمل: المهنة والفعل، والعمل يعمّ أفعال القلوب والجوارح، ولا يقال إلّا ما كان عن فكر وروية ولهذا قرن بالعلم حتّى قال بعض الأدباء: قلب لفظ العمل من لفظ العلم تنبيها على أنّه من مقتضاه<sup>(٣)</sup>.

والعمل المبحوث هنا: هو العمل الصّالح من سائر الأعمال الظاهرة والباطنة، بما في ذلك العبادات من صيام، وصلاة، وزكاة، وحجّ، ونحو ذلك، ولا يكون العمل صالحاً إلّا بتوافر شرطين: الإخلاص لله، والمتابعة لرسوله ﷺ، ويدخل في ذلك الكسب الحلال.

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٥ / ١٧٧٥)، والنهاية لابن الأثير (٣ / ٣٠٠)، ولسان العرب (١١ / ٤٧٤-٤٧٦)، وبصائر ذوي التمييز لفيروز ابادي (٤ / ١٠١). ومقاييس اللغة لابن فارس (٤ / ١٤٠).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٤٧)، والكليات للكفوي (٦١٦).

(٣) الكليات للكفوي (٦١٦).

**أفضل المكاسب:**

قال الحافظ ابن حجر: وقد اختلف العلماء في أفضل المكاسب. قال الماوردي: أصول المكاسب الزراعة والتجارة والصناعة، والأشبه بمذهب الشافعي أن أطيها التجارة، قال: والأرجح عندي أن أطيها الزراعة لأنها أقرب إلى التوكل. وتعقبه النووي بقوله:

الصواب أن أطي الكسب ما كان بعمل اليد، قال: فإن كان زراعة فهو أطي المكاسب لما يشتمل عليه من كونه عمل اليد، ولما فيه من التوكل، ولما فيه من النفع العام للادمي وللدواب، ولأنه لا بد في العادة أن يؤكل منه بغير عوض، قال الحافظ ابن حجر: قلت: وفوق ذلك من عمل اليد ما يكتسب من أموال الكفار بالجهاد وهو مكسب النبي ﷺ وأصحابه، وهو أشرف المكاسب لما فيه من إعلاء كلمة الله تعالى وخذلان كلمة أعدائه والنفع الاخروي.

قال ابن المنذر: إنما يفضل عمل اليد سائر المكاسب إذا نصح العامل، كما جاء مصرحاً به قال الحافظ ابن حجر: ومن شرطه ألا يعتقد أن الرزق من الكسب بل من الله تعالى بهذه الوساطة، ومن فضل العمل باليد الشغل بالأمر المباح عن البطالة واللهو وكسر النفس بذلك، والتعفف عن ذلة السؤال والحاجة إلى الغير<sup>(١)</sup>.

**الفرق بين العمل والفعل:**

الفعل يدل على إحداث شيء من العمل وغيره، وهذا يدل على أن الفعل أعم من العمل، والعمل لا يقال إلا لما كان عن فكر وروية ولا يكون إلا من الإنسان مصحوباً بقصد، أما الفعل فلا يشترط فيه ذلك، ويقع من الإنسان والحيوان والجماد<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: النشاط - الرجولة - الطموح - قوة الإرادة - العبادة - علو الهمة - المروءة - العزم والعزيمة - القوة والشدة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الكسل - التخاذل - التهاون - الوهن - صغر الهمة - الضعف - الإهمال - اليأس].

\*\*\*

(١) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (ص ٤٠)، وفتح الباري لابن حجر كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده (٤)

(٣٥٦).

(٢) الكليات للكفوي (٦١٦).

## من فوائد (العمل)

- (١) يثمر خشية الله ﷻ.  
 (٢) طريق موصل إلى محبة الله ورضاه.  
 (٣) يورث العفة ويحفظ الكرامة.  
 (٤) يهيء المجتمع الصالح والفرد الصالح.  
 (٥) سبب سعادة العبد في الدارين.  
 (٦) الفوز بالجنة والنجاة من النار.  
 (٧) صون ماء وجه صاحبه من السؤال.

## عيادة المريض

## العيادة لغة:

مصدر قولهم: عاد المريض يعوده، وهو مأخوذ من مادة (ع ود) التي تدل على معنيين: الأول تثنية في الأمر والآخر جنس من الخشب، وإلى المعنى الأول ترجع عيادة المريض، يقول ابن فارس، فالمعنى الأول:

العود وهو تثنية الأمر عودا بعد بدء، نقول: بدأ ثم عاد، والعودة المرة الواحدة، قال: ومن الباب العيادة، وهي أن تعود مريضا، والمعاد: كل شيء إليه المصير، والآخرة معاد الناس<sup>(١)</sup>.

وقال الراغب: العود: الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه إما انصرافا بالذات، أو بالقول والعزيمة، وإعادة الشيء كالحديث وغيره: تكريره، والعادة اسم لتكرير الفعل والانفعال حتى يصير ذلك سهلا تعاطيه، والعيد: ما يعاود مرة بعد أخرى وخص في الشريعة بيوم الفطر ويوم النحر، ثم صار يستعمل في كل يوم فيه مسرة، ومن العود (أيضا): عيادة المريض<sup>(٢)</sup>، وقال ابن منظور: العود ثاني البدء، قال الشاعر:

بدأتم فأحسنتم فأثنيت جاهدا      فإن عدتم أثنيت والعود أحمد  
 يقال: عاد إليه يعود عودة وعودا: أي رجع.

وفي المثل: والعود أحمد (كما جاء في البيت السابق)، وقد عاد له بعد ما كان أعرض عنه،

(١) مقاييس اللغة ٤ / ١٨٠.

(٢) المفردات للراغب ص ٥٢٥ بتصرف واختصار.

ويقال أيضا عاد إليه وعليه عودا وعيادا، وأعادته (هو)، وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: ١١] من ذلك واستعادته إياه: سأله إعادته، وتعود الشيء، وعاده، وعأوده، معاودة وعوادا، أي صار عادة له، وقولهم: عاد العليل (المريض) يعود عودا وعبادة وعيادا زاره.  
قال أبو ذؤيب:

ألا ليت شعري، هل تنظر خالد عيادي على الهجران، أم هو يائس  
قال ابن جنّي: يجوز أن يكون أراد عيادتي (والوصف من ذلك) رجل عائد من قوم عود  
وعوَاد، ورجل معود، ونسوة عوائد وعود وهنّ اللاتي يعدن المريض، الواحدة: عائدة، يقال هوألاء  
عود فلان وعوَاده مثل زوره وزوآره، وهم الذين يعودونه إذا اعتلّ<sup>(١)</sup>، وجاء في حديث فاطمة بنت  
قيس: «أنها امرأة يكثر عوَادها» قال ابن الأثير أي زوآرها، وكلّ من أتاك مرّة بعد أخرى فهو عائد،  
وإن اشتهر ذلك في عبادة المريض حتّى صار كأنه مختصّ به<sup>(٢)</sup>.

### المريض لغة:

لفظ مريض في اللغة هو الوصف من قولهم «مرض فلان» أي أصابه المرض، يقال مرض  
فلان وأمراضه الله، والمرض: السقم (نقيض الصحة) وأصله النقصان أو الضعف. يقال: بدن  
مريض أي ناقص القوة، وقلب مريض: ناقص الدين<sup>(٣)</sup>، والتّمارض أن يري من نفسه المرض  
وليس به<sup>(٤)</sup>، وقال الفيروز ابادي: المرض: إظلام الطّبيعة واضطرابها بعد صفائها واعتدالها، يقال:  
مرض فهو مرض ومارض ومريض والجمع مراض ومرضى ومراضى، والمرض (بالسكون)  
للقلب خاصّة، والمرض بالتحريك (أي بفتح الميم والراء): الشكّ والنفاق، والفتور والظلمة  
والنقصان<sup>(٥)</sup>، وتأتي صيغة أفعل من ذلك، متعدية ولازمة، فإن كانت متعدية كان المعنى هو  
الجعل أي التعدية أو مصادفة الشيء على صفة، ومن ثمّ يكون معنى أمرضه: إمّا جعله مريضا أو

(١) لسان العرب ٣/ ٣١٩.

(٢) النهاية لابن الأثير (٣/ ٣١٧).

(٣) الصحاح (٣/ ١١٠٦).

(٤) هذه المعاني قد يستعمل فيها أيضا لفظ المرض بالتسكين، قال صاحب القاموس: والمرض بالتحريك أو كلاهما ثم ذكر  
هذه المعاني. انظر: القاموس (٨٤٣) ط. بيروت.

(٥) ذكر ذلك في اللسان عن ابن الأعرابي، انظر: لسان العرب (٧/ ٢٣٢)، وقال الفيروز ابادي في البصائر (٤/ ٤٩٢) وأصل  
المرض الضعف، قال: وكلّ من مرض فقد ضعف.

أو صادفه مريضاً، والفيصل في تحديد أيّ المعنيين هو السياق، أمّا إذا كان الفعل لازماً، فإنّ معناه: إمّا الصّيرورة كما في قولهم أمرض فلان أي صار ذا مرض<sup>(١)</sup>، وقد تفيد الصّيغة معنى الإزالة ومن ثمّ يكون أمرض بمعنى أزال المرض (والمرض هنا بمعنى الشك)، وقد فسّر اللغويون هذه الصّيغة بلازم معناها فقالوا: وتأتي أمرض بمعنى قارب الإصابة في رأيه وذلك أنّ من أزال الشكّ عن رأيه فقد قارب أن يكون مصيباً<sup>(٢)</sup>، وقد استدّلوا على هذا المعنى الأخير بقول الشاعر:

ولكن تحت هذا الشّيب حزم إذا ما ظنّ أمرض أو أصاباً<sup>(٣)</sup>

وقولهم: أمرض الرجل يعني: وقع في ماله العاهة. وقولهم: مرّض فلان فلاناً، معناه: أقام عليه في مرضه، وداواه ليزول عنه المرض<sup>(٤)</sup>، وقيل التّمرّض: حسن القيام على المريض، وتمرّض الأمور: توهينها وعدم إحكامها، وقيل: التّضجيع فيها<sup>(٥)</sup>.

وقولهم: رأي مريض، أي فيه انحراف عن الصّواب، قال أبو إسحاق (الزّجاج)، يقال المرض والسّقم في البدن والدين جميعاً، كما يقال الصّحة في البدن والدين جميعاً، والمرض في القلب يصلح لكلّ ما خرج به الإنسان عن الصّحة في الدين<sup>(٦)</sup>، وفي حديث عمرو بن معديكرب «هم شفاء أمراضنا» قال ابن الأثير: أي يأخذون بثأرنا، كأنهم يشفون مرض القلوب، لا مرض الأجسام<sup>(٧)</sup>.

### أنواع المرض:

قال الفيروز ابادي: المرض يكون جسمانيًا ويكون نفسانيًا.

أمّا الجسماني: فمنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرٌّ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرٌّ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرٌّ﴾ [النور: ٦١].

(١) نظير ذلك قولهم: أورق الشجر أي صار ذا ورق.

(٢) انظر في هذا المعنى في الصحاح (٣/ ١١٠٦)؛ والقاموس ص ٨٤٣؛ ولسان العرب (٧/ ٢٣٢)، وأصل ذلك من قولهم: رأي مريض: بعيد عن الصواب. وأمرض أزال هذا البعد.

(٣) الصحاح؛ ولسان العرب في الموضوعين السابقين. وقد ذكر الفيروز ابادي هذا المعنى ولم يذكر الشاهد.

(٤) يشير اللغويون بذلك إلى أنّ صيغة فعّل تفيد الإزالة أي إن مرضه تعني أزال مرضه.

(٥) الصحاح (٣/ ١١٠٦)، ولسان العرب (٧/ ٢٣٣).

(٦) لسان العرب (٧/ ٢٣٢) ط. بيروت.

(٧) النهاية (٤/ ٣١٩).

وأما النَّفْسَانِيّ: فهو عبارة عن الجهل والظلم والسّجايا الخبيثة كما في قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: ١٠٠] <sup>(١)</sup>.

وقد عبّر بعضهم عن المرض النَّفْسَانِيّ بلفظ الرّوحانيّ وقال: هو: عبارة عن الرذائل كجهل وجبن أو بخل ونفاق وغيرها، سمّيت به لمنعها عن إدراك الفضائل كمنع المرض للبدن عن التّصرّف الكامل، أو لمنعها عن تحصيل الحياة الاخرويّة، أو لميل النَّفْسِ به (أي بالمرض الرّوحانيّ) إلى الاعتقادات الرّديئة كما يميل المريض إلى الأشياء المضرة <sup>(٢)</sup>.

### لفظ المرض في القرآن الكريم:

قال ابن الجوزيّ: ذكر أهل التّفسير أنّ المرض في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

أحدها: مرض البدن، ومنه قوله تعالى في البقرة ﴿ فَن كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ ﴾.

[البقرة: ١٩٦]

والثّاني: الشّكّ، ومنه قوله تعالى في براءة (التّوبة) ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ

رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ [التّوبة: ١٢٥].

والثّالث: الفجور، ومنه قوله تعالى في الأحزاب ﴿ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾

[الأحزاب: ٣٢] <sup>(٣)</sup>.

قال ابن الجوزيّ: وأضاف بعضهم وجها رابعا فقال: المرض الجراح كما في قوله تعالى في

النّساء ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾ [النساء: ٤٣]، وألحقه بعضهم بالقسم الأوّل لأنّ الجراح من جملة الأمراض <sup>(٤)</sup>.

### عبادة المريض اصطلاحا:

العبادة في الاصطلاح: هي الزيارة والافتقاد (أي التّفقّد)، أمّا المريض: فهو من اتّصف

بالمريض <sup>(٥)</sup>.

(١) بصائر ذوي التمييز (٤ / ٤٩٢).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٣٠٣).

(٣) قال في البصائر (٤ / ٤٩٢) فسّر المرض هنا بالفجور وبالظلمة وبالزّنا.

(٤) نزهة الأعين النواظر (٥٤٥ - ٥٤٦).

(٥) غذاء الألباب (٣ / ٢)، وسمّيت بذلك لتكرير الناس لها.

أما المرض اصطلاحاً فقد وردت فيه أقوال عديدة منها:

- ١- قال الجرجاني: المرض هو ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص<sup>(١)</sup>.
  - ٢- وقال المناوي: المرض: ضعف في القوى يترتب عليه خلل في الأفعال<sup>(٢)</sup>.
  - ٣- وقال ابن الجوزي: المرض: إحساس بالمنافي، والصحة إحساس بالملائم. وقيل: هو فساد يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال والصحة<sup>(٣)</sup>.
  - ٤- وقال السفاريني الحنبلي: المرض: حالة خارجة عن الطبع، ضارة بالفعل، قال: ويعلم من هذا أن الالام والأورام (ونحو ذلك) أعراض عن المرض<sup>(٤)</sup>.
- ونخلص من جملة ما سبق إلى أن عيادة المريض تعني في الاصطلاح: أن يزور المرء أخاه ويتفقده إذا أصابته علة أو ضعف يخرج به جسمه عن حد الاعتدال والصحة.
- وقال ابن حجر: ويلتحق بعيادة المريض تعهده وتفقد أحواله والتلطف به، وربما كان ذلك - في العادة - سبباً لوجود نشاطه وانتعاش قوته<sup>(٥)</sup>.

#### حكم عيادة المريض:

قال صاحب الآداب الشرعية: تستحب عيادة المريض<sup>(٦)</sup>، ونقل السفاريني عن ابن حمدان أنها فرض كفاية، ونقل عن شيخ الإسلام (لعله ابن تيمية) - رحمه الله - قوله: الذي يقتضيه النص وجوب ذلك، قال: والمراد مرة (واحدة)، وقال أبو حفص العكبري: السنة مرة وما زاد فنافلة<sup>(٧)</sup>، ويؤخذ من ذلك أن العيادة سنة وليست فرضاً، في المرة الأولى وإنما فوق ذلك نفل، أما دليل من أوجب ذلك فقولُه ﷺ: «خمس تجب للمسلم على أخيه...» وذكر منها: عيادة المريض<sup>(٨)</sup>.

(١) التعريفات للجرجاني (٢٢)، وبصائر ذوي التمييز (٤ / ٤٩٢)، وعبارته: خروج الطبع من حد الاعتدال.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٣٠٢).

(٣) نزهة الأعين النواظر (٥٤٤).

(٤) غذاء الألباب (٣ / ٢).

(٥) فتح الباري (١٠ / ١١٨).

(٦) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢ / ٢٠٠).

(٧) غذاء الألباب (٣ / ٢).

(٨) ورد الحديث في مسلم (٢١٦٢).

قال السِّقَّارِيُّ: ومن قال بعدم الوجوب أجاب بأنَّ هذا الحديث محمول على مزيد التَّريغيب في عيادة المريض والاعتناء بها والاهتمام بشأنها<sup>(١)</sup>.

وقد ترجم الإمام أبو عبد الله البخاريُّ للباب بقوله: باب وجوب عيادة المريض<sup>(٢)</sup>، قال ابن حجر: «جزم بالوجوب على ظاهر الأمر بالعيادة، قال ابن بطَّال: يحتمل أن يكون الأمر على الوجوب بمعنى الكفاية، كإطعام الجائع وفكِّ الأسير، ويحتمل أن يكون للنَّدب، للحثِّ على التَّواصل والألفة، وجزم الدَّاوديُّ بالأوَّل (أي الاحتمال) فقال: هي فرض يحمله بعض النَّاس عن بعض، وقال الجمهور هي في الأصل ندب، وقد تصل إلى الوجوب في حقِّ بعض دون بعض، وعن الطَّبَّريِّ أنَّها تتأكَّد في حقِّ من ترجى بركته، وتسنِّ فيمن يراعى حاله، وتباح في غير ذلك. ونقل النَّوويُّ: الإجماع على عدم الوجوب يعني على الأعيان<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

### من يعاد من المرضى؟

جاء في صحيح البخاريِّ: «وعودوا المريض...»<sup>(٥)</sup>. وقد استدلَّ بذلك على مشروعية العيادة في كلِّ مريض رجلا كان أو امرأة أو طفلا، مسلما أو كافرا أيَّا كان مرضه. قال ابن حجر: واستثنى بعضهم الأرمم لكون عائده قد يرى ما لا يراه هو، قال: وهذا الأمر خارجيٌّ قد يأتي مثله في بقية الأمراض كالمغمى عليه، وقد جاء في عيادة الأرمم بخصوصها حديث زيد بن أرقم: «عادني رسول الله ﷺ من وجع كان بعيني»<sup>(٦)</sup>، وفي ذلك ردٌّ على من زعم أنَّه لا يعاد منه، وثبوت العيادة فيه يدلُّ على ثبوتها فيما هو أشدُّ منه<sup>(٧)</sup>، وقال السِّقَّارِيُّ: تستحبُّ العيادة ولو من وجع ضررس أو رمم أو دمِّل، وقال بعضهم:

(١) غذاء الألباب (٢/ ٧).

(٢) انظر هذه الترجمة في فتح الباري (١٠/ ١١٧).

(٣) قوله «على الأعيان» أي على أنها فرض عين تجب على الجميع وإلا فكونها فرض كفاية تجب على بعض دون بعض قد قال به كثير من الفقهاء.

(٤) فتح الباري (١٠/ ١١٧).

(٥) انظر الحديث رقم (١).

(٦) فتح الباري (١٠/ ١١٨)، وعبارته في الأدب المفرد «رمدت عيني، فعادني النَّبيُّ ﷺ»، انظر الحديث بتمامه مشروحا في فضل الله الصمد (١/ ٦٢٨-٦٢٩).

(٧) فضل الله الصمد ١/ ٦٢٩؛ وانظر أيضا زاد المعاد (١/ ٤٩٧).

هؤلاء الثلاثة لا يعادون ولا يسمّون مرضى<sup>(١)</sup> والصّواب خلاف ذلك لضعف ما احتجّ به من قال بذلك وقد اختلف العلماء أيضا في مشروعية عيادة المشرك أو المجوسي أو الذمّي من ناحية، وعبادة الفاسق أو المبتدع من ناحية ثانية، فأما عيادة المشرك والذمّي فقال بعض العلماء: هي جائزة لأنّها نوع برّ في حقّهم وما نهينا عن ذلك<sup>(٢)</sup>. وقال الجيلاني: تشرع عيادة المشرك أو الذمّي إذا رجي مصلحته أو دخوله في الإسلام، فأما إذا لم يطمع في ذلك فلا<sup>(٣)</sup>. وذهب فريق ثالث إلى تحريم ذلك<sup>(٤)</sup>. والصّواب - كما قال ابن حجر - أنّ ذلك يختلف باختلاف المقاصد فقد يقع بعبادته مصلحة أخرى، وقال الماوردي: عيادة الذمّي جائزة والقربة موقوفة على ما يقترن بها (أي بالعبادة) من جوار أو قرابة، والدليل على ذلك ما رواه أنس عن عيادة المصطفى ﷺ<sup>(٥)</sup> لليهودي<sup>(٦)</sup>. وأنه عاد عمّه أبا طالب وهو مشرك<sup>(٧)</sup>. أمّا عيادة الفاسق أو المبتدع ومن على شاكلتهما فقال السّفاريني: تحرم العيادة<sup>(٨)</sup>. وقال الجيلاني: الصّحيح الجواز لأنّه مسلم، والعبادة من حقوق المسلمين، وهذا غير حكم المخالطة<sup>(٩)</sup>.

أما ما رواه أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ من نهيه عن عيادة مجوس هذه الأمة، أو ما رواه عن حذيفة رضي الله عنه من قوله عليه الصّلاة والسّلام: «... مجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر،.. من مرض منهم فلا تعودوهم... الأثر»<sup>(١٠)</sup>، فذلك محمول على أنّه يخشى على العائد من فساد عقيدة هؤلاء، ومن على شاكلتهم من عوادهم، وعلى هذا يتأوّل أيضا ما رواه البخاري في الأدب المفرد عن عبد الله بن عمرو بن العاص من قوله: «لا تعودوا شرّاب الخمر إذا مرضوا»<sup>(١١)</sup>.

(١) احتج من قال بعدم مشروعية عيادة هؤلاء بما روي عن أبي هريرة - مرفوعا - : «ثلاثة لا يعاد صاحبهن: الرمد والضرس والدمل»، وقد ذكر ابن الجوزي أن هذا موضوع، وقال السيوطي: ضعيف.

(٢) انظر هذا الرأي في فضل الله الصمد (١ / ٢١٧).

(٣) السابق، نفس الصفحة.

(٤) غداء الألباب (٢ / ٨).

(٥) فتح الباري (١٠ / ١٢٥).

(٦) انظر الحديث رقم (٢٠).

(٧) زاد المعاد (١ / ٤٩٤).

(٨) غداء الألباب (٢ / ٨).

(٩) فضل الله الصمد (١ / ٦٢٦).

(١٠) انظر الأثرين رقم (٣) ورقم (٤).

(١١) انظر الأثر رقم (٥).

ذلك أنّ مجالسهم - ما لم يتوبوا - مظنة لإفساد مجالسهم، ومن هنا يكون النهي متوخياً إلى درء مفسدة هؤلاء، ولو كان النفاق أو الفسق ممّا يمنع العيادة لما عاد رسول الله ﷺ عبد الله بن أبيّ - زعيم المنافقين - في مرضه الذي مات فيه.

### آداب عيادة المريض:

لعيادة المريض آداب عديدة ينبغي أن تراعى عند زيارته منها:

- ١ - أن يلتزم بالآداب العامة للزيارة كأن يدق الباب برفق، وألا يبهم نفسه، وأن يغص بصره، وألا يقابل الباب عند الاستئذان<sup>(١)</sup>.
- ٢ - أن تكون العيادة في وقت ملائم، فلا تكون في وقت الظهيرة صيفا ولا في شهر رمضان نهرا، وإنما تستحب بكرة وعشيّة وفي رمضان ليلا<sup>(٢)</sup>.
- ٣ - أن تكون العيادة بعد ثلاثة أيام من المرض<sup>(٣)</sup>، وقيل: تستحب من أول المرض<sup>(٤)</sup>، ورأي الجمهور، عدم التقيّد بزمن، كما قال الإمام ابن حجر<sup>(٥)</sup>.
- ٤ - أن يدنو العائد من المريض ويجلس عند رأسه ويضع يده على جبهته ويسأله عن حاله وعمّا يشتهيّه<sup>(٦)</sup>.
- ٥ - أن تكون الزيارة غبّا أي يوما بعد يوم، وربّما اختلف الأمر باختلاف الأحوال سواء بالنسبة للعائد أو للمريض<sup>(٧)</sup>. فإذا استدعت حالة المريض زيارته يومياً فلا بأس بذلك خاصّة إذا كان يرتاح لذلك ويهشّ له.
- ٦ - ينبغي للعائد ألا يطيل الجلوس حتّى يضجر المريض، أو يشقّ على أهله، فإذا اقتضت ذلك ضرورة فلا بأس<sup>(٨)</sup>.

(١) بتصرف واختصار عن فتح الباري (١٠ / ١٣١)؛ وإحياء علوم الدين (٢ / ٢٠٩).

(٢) غذاء الألباب للسفاريني (٢ / ٨)، والآداب الشرعية لابن مفلح (٢ / ٢٠٠).

(٣) إحياء علوم الدين (٢ / ٢١٠).

(٤) ذكر السفاريني في غذاء الألباب (٢ / ٨) احتجاج العلماء لكل الرأيين.

(٥) فتح الباري (١٠ / ١١٨).

(٦) زاد المعاد (١ / ٤٩٤).

(٧) غذاء الألباب (٢ / ٨)، وقد ورد قول الناظم:

فمنهم مغباً عده خفف ومنهم الـ لذي يوتر التطويل من متورّد

(٨) فتح الباري (١٠ / ١١٨)، وإحياء علوم الدين (٢ / ٢٠٩).

- ٧- ألاّ يكثر العائد من سؤال المريض، لأنّ ذلك يثقل عليه ويضجره<sup>(١)</sup>.
- ٨- من آداب العيادة أن يدعو العائد للمريض بالعافية والصّلاح، وقد وردت في ذلك أدعية عديدة منها: أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يشفيك (سبع مرّات) وأن يقرأ عنده بالفاتحة والمعوذتين والإخلاص<sup>(٢)</sup>.
- ٩- ألاّ يتكلّم العائد أمام المريض بما يقلقه ويزعجه وأن يظهر له من الرّقّة واللّطف ما يطيب به خاطره<sup>(٣)</sup>.
- ١٠- أن يوسّع العائد للمريض في الأمل، ويشير عليه بالصّبر لما فيه من جزيل الأجر، ويحدّره من اليأس ومن الجزع لما فيهما من الوزر<sup>(٤)</sup>.
- ١١- ألاّ يكثر عوّاد المريض من اللّغظ والاختلاف بحضرته لما في ذلك من إزعاجه وله في هذه الحالة أن يطلب منهم الانصراف.
- ١٢- يسنّ لمن عاد مريضاً أن يسأله الدّعاء له<sup>(٥)</sup>.
- ١٣- يسنّ للعائد الوضوء قبل العيادة لما في ذلك من النّظافة<sup>(٦)</sup>.
- [للاستزادة: انظر صفات: الألفة- تكريم الإنسان- التودد- الرحمة- المروءة- المحبة- الحنان- العطف- الرأفة- المواساة- البشاشة- الإخاء.
- وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإهمال- الجفاء- القسوة- الإعراض- التفریط والإفراط- الكسل- التهاون- الغافلة].

\*\*\*

### من فوائد (عيادة المريض)

(١) في عيادة المريض إرضاء للمولى ﷺ وتمتّع بمعيتته طيلة مدّة العيادة.

(١) غذاء الألباب (٢/ ١٢) (بتصرف) قال في منظومة الاداب: «... ولا تكثر سؤالاً تنكّد».

(٢) انظر في هذه الأدعية وغيرها: زاد المعاد (١/ ٤٩٤ - ٤٩٥)، وغذاء الألباب.

(٣) جعل الغزالي في الإحياء (٢/ ٢٠٩) إظهار الرّقّة من آداب الزيارة.

(٤) فتح الباري (١٠/ ١٣١ - ١٣٢).

(٥) انظر غذاء الألباب (٢/ ١٢) حيث ذكر في ذلك مجموعة من الأحاديث يقوي بعضها بعضها.

(٦) انظر الحديث رقم (١٩).

- (٢) في عيادة المريض تذكير بالآخرة، وترقيق للقلب.
- (٣) عائد المريض تصلي عليه الملائكة وتستغفر له إلى ثاني أيام العيادة.
- (٤) في العيادة أتباع لسنة المصطفى ﷺ وأتباع لأمره واقتداء بهديه.
- (٥) في العيادة رجاء شفاء المريض ببركة دعاء العائد له.
- (٦) في عيادة المريض تحقيق للتواصل بين المسلمين وتحقيق للألفة بينهم.
- (٧) في عيادة المريض جبر لخاطر أهله وإشاعة روح المحبة بين الناس.
- (٨) في عيادة المريض رجاء بركة دعاء المريض للعائد فإنه ممن تجاب دعوتهم.
- (٩) في عيادة المريض تطيب لخاطره ورفع لروحه المعنوية مما يعجل له بالشفاء.
- (١٠) في عيادة المريض ما يجعل العائد كأنه في خرفة الجنة يريح شذاها رضى وحبورا.
- (١١) عيادة المريض تبشر صاحبها بدخول الجنة وخاصة إذا كان العائد ممن يشيع الجنائز ويطعم المساكين.
- (١٢) عائد المريض تغمره الرحمة ويخوض فيها.
- (١٣) عيادة المريض تبعد صاحبها عن النار سبعين خريفا.
- (١٤) عيادة الذمّي أو المشرك رجاء أن يهديه الله للإسلام.
- (١٥) ببركة العيادة تعمّ الموّدة والتّراحم بين المسلمين، إذ تحبّب العائد فيمن يعودده وربّما دفعته لأن يسقط عنه ديونه كما حدث من سعد بن عباد.

## غض البصر

### الغض لغة:

مصدر قولهم: غَضَّ بصره يغضه غَضًّا، وهو مأخوذ من مادّة (غ ض ض) التي تدلّ على معينين: أحدهما: الكفّ والنقص، والآخر: الطّراوة، وغضّ البصر من المعنى الأوّل، وكلّ شيء كففته فقد غضضته، ومنه قولهم تلحقه في ذلك غضاضة، أي أمر يغضّ له بصره، وقال بعضهم: الغضّ: الخفض، والكفّ والكسر، وأصل الكلمة: غَضَّ يغضّ غَضًّا (بالكسر) وغَضًّا وغضاضة وغضاضا (بالفتح). فقولك: غَضَّ طرفه أي خفضه، وكذا غَضَّ صوته، وكلّ شيء غضضته كففته، والأمر منه في لغة أهل الحجاز: اغضض وأهل نجد يقولون: غَضَّ طرفك.

وانغضاض الطّرف: انغماضه.

والإغضاء: إدناء الجفون، وهذا مشتق من الليلة الغاضية: الشديدة الظلمة، ومثله الغضاضة فمعناها: الفتور في الطّرف، فيقال: غَضَّ وأغَضَّ وذلك إذا وانى بين جفنيه ولم يلاق (أي بينهما) <sup>(١)</sup>.

### البصر لغة:

اسم لالة الإبصار، وهو مأخوذ من مادّة (ب ص ر) التي تدلّ على العلم بالشيء، ومنه أيضا: البصيرة، وقال الجوهري: البصر: حاسة الرؤية، وأبصرت الشيء رأيت، والبصير خلاف الضّير، وباصرته إذا أشرفت تنظر إليه من بعيد، والبصر: العلم، وبصرت بالشيء: علمته، قال تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ [طه: ٩٦]، والبصير: العالم، وقد بصر بصارة، والتّبصّر: التأمّل والتّعرّف، والبصيرة: الحجّة، والاستبصار في الشيء، وقولهم: رأيت لمحا باصرا، أي نظرا بتحديد شديد، ومعناه: ذو بصر وهو من أبصرت، والمعنى: رأيت أمرا شديدا يبصره، وقال اللّيث: البصر: العين، وقال ابن سيده: البصر: حسّ العين، والجمع أبصار، والفعل من ذلك قال ابن منظور: بصر به بصرا وبصارة وأبصره وتبصّره: نظر إليه ببصره، وقال سيبويه: بصر: صار مبصرا، وأبصره: إذا أخبر بالذي وقعت عينه عليه، وأبصرت الشيء: رأيت، وباصره: نظر معه إلى شيء أيتهما يبصره قبل صاحبه، وباصره أيضا أبصره، ويقال: أبصر الرّجل إذا خرج من الكفر إلى بصيرة الإيمان <sup>(٢)</sup>.

البصير من أسماء الله تعالى: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى البصير، وهو الذي يشاهد الأشياء كلّها ظاهرها وخفيّتها، والبصر في حقّه تعالى عبارة عن الصّفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات <sup>(٣)</sup>. وهو بصير يبصر ببصر، كما صحّ بذلك الخبر عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله <sup>(٤)</sup>.

### غض البصر اصطلاحا:

أن يغمض المسلم بصره عمّا حرّم عليه، ولا ينظر إلّا لما أبيع له النّظر إليه، ويدخل فيه أيضا

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٤ / ٢٤٨) والصحاح (٣ / ١٠٩٥) ولسان العرب (٥ / ٣٢٦٥، ٣٢٦٦).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (١ / ٢٥٣)، والصحاح (٢ / ٩٢٥)، ولسان العرب (١ / ٢٩٠)، وتاج العروس ط. دار الفكر (٥ / ٦١ - ٦٢).

(٣) النهاية (١ / ١٣١).

(٤) أبو داود (٤٧٢٨) وقال الألباني (٣ / ٨٩٥) / (٣٩٥٤): صحيح.

إغماض الأبصار عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرّم من غير قصد فليصرف بصره سريعاً<sup>(١)</sup>.

### قيمة غض البصر:

قال القرطبي: البصر: هو الباب الأكبر إلى القلب، وأمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرّمات. وكل ما يخشى الفتنة من أجله<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: تعظيم الحرمات - الحياء - العفة - النزاهة - حفظ الفرج - تعظيم الحرمات - الحجاب - الوقاية - المراقبة - التقوى.]

وفي ضد ذلك: انظر صفات: إطلاق البصر - الفتنة - الأذى - اتباع الهوى - الزنا - التبرج - الفجور - الفحش - الديانة.]

\*\*\*

### من فوائد (غض البصر)

(١) إنَّ غَضَّ البصر عن العورة التي ينهى عن النظر إليها كالمرأة والأمرد الحسن له ثلاث فوائد:

١ - حلاوة الإيمان ولذته والتي هي أطيب وأحلى ممّا تركه الله، فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

٢ - نور القلب والفراسة، ولذلك ذكر الله ﷻ، عقب آيات غض البصر التي في سورة النور قوله تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٣] وذلك لأن الله ﷻ يجزي العبد على عمله بما هو من جنسه. فلمّا منع العبد نور بصره أن ينفذ إلى ما لا يحلّ، أطلق نور بصيرته وفتح عليه باب العلم والمعرفة.

٣ - قوّة القلب وثباته وشجاعته فيجعل الله له سلطان البصيرة مع سلطان الحجّة<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٥٩٨ (بتصرف).

(٢) تفسير القرطبي ج ٢ ص ١٤٨ (المجلد السادس).

(٣) المرجع السابق نفسه (١٥ / ٤١٤ - ٤٢٦) بتصرف واختصار.

- (٢) يبذل الله صاحبه نورا يجد حلاوته في قلبه.
- (٣) فيه طاعة لله ورسوله يترتب عليها محبة توصله إلى الجنة.
- (٤) من أهم الصفات التي يتحلّى بها المؤمن وتتولد من الحياء.
- (٥) فيه راحة للنفس والبدن.
- (٦) يصون المحارم ويجنب الوقوع في الزلل.
- (٧) يجعل المجتمع المتحلّي بهذه الصفة مجتمعاً آمناً متحاباً.
- (٨) يصون المجتمع من انتشار الزنى.
- (٩) يضرّ بالشيطان وأعدائه ويستجلب العفة.

### الغيرة

#### الغيرة لغة:

مصدر قولهم: غرت على أهلي غيرة، وهو مأخوذ من مادة (غ ي ر) التي تدلّ على صلاح وإصلاح ومنفعة<sup>(١)</sup>، قال ابن فارس: ومن هذا الباب: الغيرة؛ لأنها صلاح ومنفعة<sup>(٢)</sup>، يقال: غار الرجل على أهله يغار غيراً وغيرة وغاراً وغياراً ورجل غيور وغيران، وجمع غيور: غير، وجمع غيران: غيارى وغيارى، ويقال (في الوصف أيضاً): رجل مغيار وقوم مغايير، وامرأة غيرى ونسوة غيارى، وامرأة غيور ونسوة غير، صحّت الياء لخفتها عليهم وأنهم لا يستثقلون الضمة عليها استثقّالهم لها على الواو، وبعضهم يخففها بالتسكين فيقول: غير مثل رسل في رسل، وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها إن لي بنتاً وأنا غيور، هو فعول من الغيرة وهي الحمية والأنفة، يقال رجل غيور وامرأة غيور بلا هاء، لأنّ فعولاً يستوي فيه المذكر والمؤنث، وفي رواية: امرأة غيرى، هي فعلى من الغيرة، والمغيار الشديد الغيرة، قال النابغة:

شمس موانع كلّ ليلة حرّة يخافن ظنّ الفاحش المغيار

(١) تدل مادة (غ ي ر) أيضاً على معنى اختلاف الشئيين، ومنه قولنا: هذا الشئ غير ذاك، أي هو سواه وخلافه. انظر المقاييس (٤ / ٤٠٤).

(٢) المقاييس (٤ / ٤٠٣)، والصحاح (٢ / ٧٦٦)، والنهاية لابن الأثير (٣ / ٤٠١)، ولسان العرب (٤ / ٣٣٢٦) (ط. دار المعارف).

وفلان لا يتغير على أهله أي لا يغار، وأغار أهله: تزوج عليها فغارت، والعرب تقول: أغير من الحمى أي أنها تلازم المحموم ملازمة الغيور لبعلمها<sup>(١)</sup>.

وقال الحافظ ابن حجر رحمته: الغيرة مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب، بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين<sup>(٢)</sup>.

### واصطلاحاً:

كراهة شركة الغير في حقه.

وقال الكفوي: الغيرة: كراهة الرجل اشتراك غيره فيما هو من حقه<sup>(٣)</sup> وذكر الرجل هنا على سبيل التمثيل، وإلا فإن الغيرة غريزة تشترك فيها الرجال والنساء، بل قد تكون من النساء أشد.

### غيرة الله ﷻ:

جاء في الحديث الشريف أن الله ﷻ يغار، وأن غيرته ﷻ تكون من إتيان محارمه، ووجه ذلك؛ أن المسلم الذي يطيع هواه أو ينقاد للشيطان ويقع في محارم الله، فكأنه جعل لغير الله فيه نصيباً، ولما كانت الطاعة خاصة بالله ﷻ ويأبى أن يشاركه فيها غيره، كان ذلك مبعثاً لأن يستثير العاصي غضب مولاه وغيرته عليه، وما ذلك إلا لأن المولى ﷻ لا يرضى لعباده المعصية كما لا يرضى لهم الكفر، ومن ثم تكون من جانب الله تعالى غيرة حقيقية على ما يليق بجلاله وكماله، ومن لوازمها: كراهية وقوع العبد في المعاصي وإشراكه غير الله فيما هو حق المولى وحده من التزام بأوامره، واجتناب لمعاصيه.

[للاستزادة: انظر صفات: تعظيم الحرمات - الرجولة - الشرف - العزة - الشهامة - النبيل - الحجاب - العفة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: انتهاك الحرمات - اتباع الهوي - الخنوثة - الدياثة - الفسوق - التبرج].

\*\*\*

(١) انظر النهاية لابن الأثير (٣/ ٤٠٠ - ٤٠١)، ولسان العرب (٥/ ٤١ - ٤٢).

(٢) فتح الباري (٩/ ٣٢٠) وانظر: التعريفات للجرجاني (ص ١٦٣) والتوقيف على مهمات التعاريف (ص ٢٥٥).

(٣) الكليات للكفوي (٦٧١).

## من فوائد (الغيرة)

- (١) صيانة الأعراس وحفظ الحرمات. (٤) مظهر من مظاهر الرجولة الحقّة.  
 (٢) مؤشّر على قوّة الإيمان ورسوخه في (٥) نشر الفضيلة في المجتمع وتطهيره من القلب. الرذيلة.  
 (٣) تعظيم شعائر الله وحفظ حدوده.

## الفرار إلى الله

## الفرار لغة:

مصدر قولهم: فرّ يفرّ وهو مأخوذ من مادّة (ف ر ر) التي تدلّ على الانكشاف وما يقاربه من الكشف عن الشّيء<sup>(١)</sup>، يقال: فرّ يفرّ فراراً أي هرب، وتفازوا أي تهاربوا، وفرس مفرّ: يصلح للفرار عليه.

والمفرّ: الموضع، وقال الراغب: أصل الفرّ: الكشف عن سنّ الدّابة، ومن ذلك الافترار: وهو ظهور السنّ من الضّحك، وأفررتة: جعلته فآراً، وقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ﴾ [الأحزاب: ١٦] إنّما الفرار من الحرب، وقال ابن منظور: الفرّ والفرار: الرّوغان والهرب. فرّ يفرّ فراراً: هرب. ورجل فرور وفرورة وفرّار: غير كّرار، وفرّ، وصف بالمصدر، فالواحد والجمع سواء.

وفي حديث الهجرة: قال سراقه بن مالك حين نظر إلى النّبّي ﷺ، وإلى أبي بكر رضي الله عنه، مهاجرين إلى المدينة فمراً به فقال: هذان فرّ قريش، أفلا أردّ على قريش فرّها؟. يريد الفارين من قريش، يقال منه: رجل فرّ ورجلان فرّ، لا يثنى ولا يجمع. وقوله تعالى: ﴿أَيْنَ الْمَفَرِّ﴾ [القيامة: ١٠] أي أين الفرار، وقرىء: أين المَفَرُّ، أي أين موضع الفرار؟

والفرّى: الكتيبة المنهزمة، وكذلك الفلّى، وأفرّه غيره، وتفازوا أي تهاربوا، وفرس مفرّ، بكسر الميم: يصلح للفرار عليه، ومنه قوله تعالى ﴿أَيْنَ الْمَفَرِّ﴾ بكسر الفاء: الموضع. وأفرّ به: فعل به

(١) لهذه المادة معنيان آخران هما: الخفّة والطّيش، وضرب من الحيوان. انظر في ذلك مقاييس اللغة (٤ / ٤٣٨).

فعلا يفتر منه. وفي الحديث: أن النبي ﷺ، قال لعدي بن حاتم: «ما يفرك عن الإسلام إلا أن يقال لا إله إلا الله». أي: ما يحملك على الفرار إلا التوحيد. وكثير من المحدثين يقولونه بفتح الياء وضم الفاء، قال: والصحيح الأول. وفي قول عاتكة:

أفر صياح القوم عزم قلوبهم      فهن هواء، والحووم عواذب  
أي حملها على الفرار وجعلها خالية بعيدة غائبة العقول<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحا:

لم تذكر كتب الاصطلاح عبارة «الفرار إلى الله» على أنها مصطلح خاص، ولكن كتب التفسير قد ذكرت ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠]، فقال الطبري - عند تفسير هذا الجزء من الآية الكريمة - «أهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به واتباع أمره والعمل بطاعته»<sup>(٢)</sup>، وقال القرطبي في معنى هذه الآية الكريمة: قل لهم يا محمد، أي لقومك: ﴿فَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠] أي فرّوا من معاصيه إلى طاعته. وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله في هذه الآية: فرّوا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم، وروي عن ابن عباس أيضا في هذه الآية: فرّوا منه إليه واعملوا بطاعته، وقال بعضهم: فرّوا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن، وقيل: فرّوا من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الإيمان، وقيل: فرّوا إلى ما سبق لكم من الله، ولا تعتمدوا على حركاتكم<sup>(٣)</sup>.

وقال الشوكاني: فرّوا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم عن الكفر والمعاصي، وقيل معنى فرّوا إلى الله: أخرجوا من مكة.

وقال الحسين بن الفضل: احترزوا من كل شيء غير الله فمن فرّ إلى غيره لم يمتنع منه، وقيل: فرّوا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن، وقيل: فرّوا من الجهل إلى العلم<sup>(٤)</sup>. وقال أبو حيان: فرّوا إلى الله: أمر بالدخول في الإيمان وطاعة الله، وجعل الأمر ذلك بلفظ الفرار لينبه على

(١) لسان العرب (٥/ ٥٠ - ٥١)، والصحاح (٣/ ٧٨٠)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٣٨)، والمفردات (٣٧٤)، ونزهة الأعين النواظر (٤٦٣).

(٢) تفسير الطبري (١١/ ٤٧٣).

(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ٣٦ - ٣٧) باختصار وتصرف يسير.

(٤) فتح القدير (٥/ ٩١).

أن وراء الناس عقابا وعذابا وأمرًا حقّه أن يفرّ منه، فجمعت لفظة ففرّوا بين التحذير والاستدعاء، وقال الزّمخشريّ: فرّوا إلى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به شيئاً<sup>(١)</sup>.

ونستخلص من جملة هذه الأقوال وغيرها أن الفرار إلى الله اصطلاحاً يعني: أن يفرّ الإنسان ويهرب من عقاب الله ومن الشيطان والمعاصي والجهل وكلّ ما عدا الله إلى طاعة الرحمن والدخول في الإيمان.

قال ابن القيم رحمته: من منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]: منزلة الفرار: قال الله تعالى: فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ وحقيقة الفرار: الهرب من شيء إلى شيء، وهو نوعان: فرار السعداء، وفرار الأشقياء.

فرار السعداء: الفرار إلى الله تعالى وفرار الأشقياء الفرار منه لا إليه.

وأما الفرار منه إليه: فرار أوليائه.

قال صاحب المنازل: هو الهرب ممّا لم يكن إلى من لم يزل. وهو على ثلاث درجات: فرار العامّة من الجهل إلى العلم عقدا وسعياً. ومن الكسل إلى التّشمير جدّاً وعزماً. ومن الضّيق إلى السّعة ثقة ورجاء. يريد بما لم يكن «الخلق»، وبما لم يزل «الحقّ». وقوله: (فرار العامّة من الجهل إلى العلم عقدا وسعياً): فالفرار المذكور: هو الفرار من الجاهلين: من الجهل بالعلم إلى تحصيله، اعتقاداً ومعرفة وبصيرة. ومن جهل العمل إلى السّعي النّافع، والعمل الصّالح قصداً وسعياً.

وقوله: (ومن الكسل إلى التّشمير جدّاً وعزماً): أي يفرّ من إجابة داعي الكسل إلى داعي العمل والتّشمير بالجدّ والاجتهاد. والجدّ ههنا هو صدق العمل، وإخلاصه من شوائب الفتور، ووعود التّسويق والتّهاون، وهو تحت السّين وسوف، وعسى ولعلّ، فهي أضرب شيء على العبد، وهي شجرة ثمرها الخسران والنّدامات.

وقوله: (من الضّيق إلى السّعة ثقة ورجاء): يريد هروب العبد من ضيق صدره بالهموم والغموم والأحزان والمخاوف التي تعتريه في هذه الدّار من جهة نفسه. وما هو خارج عن نفسه ممّا يتعلّق بأسباب مصالحه، ومصالح من يتعلّق به، وما يتعلّق بماله وبدنه وأهله وعدوّه. يهرب

من ضيق صدره بذلك كلّه إلى سعة فضاء الثقة بالله تبارك وتعالى، وصدق التوكّل عليه، وحسن الرّجاء لجميل صنعه به، وتوقّع المرجوّ من لطفه وبرّه.

وكلّما كان العبد حسن الظّنّ بالله، حسن الرّجاء له، صادق التّوكّل عليه، فإنّ الله لا يخيب أمله فيه ألبتّة، فإنّه سبحانه لا يخيب أمل آمل، ولا يضيع عمل عامل. وعبر عن الثقة وحسن الظّنّ بالسّعة، فإنّه لا أشرح للصدر، ولا أوسع له - بعد الإيمان - من ثقته بالله ورجائه له وحسن ظنّه به.

وبالجملة فصاحب هذا التّجريد: لا يقنع من الله بأمر يسكن إليه دون الله، ولا يفرح بما حصل له دون الله، ولا يأسى على ما فاتته سوى الله، ولا يستغني برتبة شريفة، وإن عظمت عنده أو عند النّاس، فلا يستغني إلّا بالله. ولا يفتقر إلّا إلى الله.

ولا يفرح إلّا بموافقتة لمرضاة الله. ولا يحزن إلّا على ما فاتته من الله. ولا يخاف إلّا من سقوطه من عين الله.

واحتجاب الله عنه. فكّلّه بالله، وكّلّه لله، وكّلّه مع الله، وسيره دائما إلى الله. وقد رفع له علمه فشمر إليه.

وتجرّد له مطلوبه فعمل عليه، تناديه الحظوظ: إليّ، وهو يقول: إنّما أريد من إذا حصل لي حصل لي كلّ شيء، وإنّ فائتي فائتي كلّ شيء، فهو مع الله مجرد عن خلقه، ومع خلقه مجرد عن نفسه، ومع الأمر مجرد من حظّه، أعني الحظّ المزاحم للأمر، وأمّا الحظّ المعين على الأمر: فإنّه لا يحطّه تناوله عن مرتبته، ولا يسقطه من عين ربّه.

وهذا أيضا موضع غلط فيه من غلط من الشيوخ، فظنّوا أنّ إرادة الحظّ نقص في الإرادة. والتّحقيق فيه: أنّ الحظّ نوعان: حظّ يزاحم الأمر، وحظّ يؤازر الأمر. فالأوّل هو المذموم، والثاني ممدوح وتناوله من تمام العبوديّة، فهذا لون، وهذا لون<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التوبة - الخوف - الرغبة - العفة - الوقاية - العبادة - الهجرة - الرهبة - الذكر - الخوف - الخشية - الخشوع.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأمن من المكر - التخاذل - الإعراض - العصيان - الوهن - الغافلة - الغرور - اتباع الهوى - اللهو واللعب].

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٠٤ - ٥١٠) باختصار.

## من فوائد (الفرار إلى الله)

- (١) رضوان الله ﷻ والفوز بالجنة والنجاة من (٤) حبّ النَّاس والعطف عليهم.  
النَّار. (٥) يشعر بالسَّعادة والفرح دائما.
- (٢) ترك المعاصي والبعد عن الشبهات. (٦) البعد عن الدُّنيا وعدم الانشغال بمباهجها  
(٣) طهارة القلوب وصفاء النَّفس. وماثرها.

## الفرح

## الفرح لغة:

مصدر قولهم: فرح يفرح، وهو مأخوذ من مادّة (ف ر ح) التي تدلّ على خلاف الحزن يقال: فرح بكذا فهو فرح، قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِذَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ والمفراح: الذي يفرح كلّما سرّه الدَّهر، ويقال: فرح به: سرّ، والفرح أيضا: البطر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] معناه - والله أعلم - لا تفرح بكثرة المال في الدُّنيا، لأنّ الذي يفرح بالمال يصرفه في غير أمر الآخرة وقيل: لا تفرح لا تأثر ولا تبطر، والمعنيان متقاربان؛ لأنّه إذا سرّ ربّما أشر وبطر وتكبّر. وأفرحه: سرّه، يقال: ما يسرّني بهذا الأمر مفرح ومفروح به، ولا تقل مفروح، والتفريح مثل الإفراح، ويقال: رجل فرح وفرحان وامرأة فرحة وفرحى.

وقال ابن منظور: الفرحة: نقيض الحزن، وقال ثعلب: هو أن يجد في قلبه خفة. ورجل فرح وفرح وفرح ومفروح، عن ابن جنّي. وفرحان من قوم فراحى وفرحى، وامرأة فرحة وفرحى وفرحانة.

والمفراح: الذي يفرح كلّما سرّه الدَّهر. وهو الكثير الفرحة، وقد أفرحه وفرّحه. والفرحة والمرحة: المسرّة، والفرحة أيضا: ما تعطيه المفرّح لك أو تشبهه به مكافأة له. وفي حديث التّوبة: «لله أشدّ فرحا بتوبة عبده...»، وصفة الفرحة ثابتة عن الله ﷻ على ما يليق بجلاله وكماله.

والتفريح: مثل الإفراح، وتقول: لك عندي فرحة إن بشرتني<sup>(١)</sup>.

قال الأزهرى: فالمفروح هو الشّيء الذي أنا أفرح به، والمفروح هو الشّيء الذي يفرحني<sup>(٢)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٤ / ٤٩٩)، الصحاح (١ / ٣٩٠)، لسان العرب (٢ / ٥٤١).

(٢) تهذيب اللغة (٥ / ٢٠).

## واصطلاحاً:

قال الرّاعب: الفرّح: انشراح الصّدر بلذّة عاجلة، وأكثر ما يكون في اللذات البدنيّة<sup>(١)</sup>.  
وقال المناويّ: الفرّح: انفتاح القلب بما يلتذّ به<sup>(٢)</sup>.

وقال الكفويّ: الفرّح ما يورث أشراً أو بطراً، ولذلك كثيراً ما يذمّ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ ويتولّد هذا عن القوّة الشهويّة. وقيل: شرح الصّدر بلذّة عاجلة، وقيل: لذّة القلب لنيل المشتهى<sup>(٣)</sup>.

من معاني كلمة «الفرّح» في القرآن الكريم:

جاء «الفرّح» في القرآن الكريم على نوعين: مطلق ومقيّد.

فالمطلق: جاء في الذّمّ. كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، وقوله: ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠].

والمقيّد: نوعان أيضاً: مقيّد للدنيا. ينسي صاحبه فضل الله ومنتته، فهو مذموم، كقوله تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

والثاني: مقيّد بفضل الله ورحمته. وهو نوعان أيضاً: فضل ورحمة بالسبب، وفضل

بالمسبّب. فالأوّل: كقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[يونس: ٥٨]، والثاني: كقوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

## الفرّح نعيم القلب:

فالفرّح بالله، وبرسوله، وبالإيمان، وبالسنّة، وبالعلم، وبالقرآن: من أعلى مقامات الدّين. قال

الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ

إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]. وقال: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾

[الرعد: ٣٦]. فالفرّح بالعلم والإيمان والسنّة: دليل على تعظيمه عند صاحبه ومحبّته له، وإيثاره له

(١) المفردات للراغب (٣٧٥)، وانظر أيضاً الذريعة في مكارم الشريعة (٣٣٩).

(٢) التوقيف على مهمات التعريف (٢٥٨).

(٣) الكليات للكفوي (٥٠٨).

على غيره. فإن فرح العبد بالشيء عند حصوله له: على قدر محبته له، ورغبته فيه. فمن ليس له رغبة في الشيء لا يفرحه حصوله له، ولا يحزنه فواته. فالفرح تابع للمحبة والرغبة. والفرق بينه وبين الاستبشار: أن الفرح بالمحبوب بعد حصوله، والاستبشار: يكون به قبل حصوله. إذا كان على ثقة من حصوله، ولهذا قال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٧٠]. والفرح: صفة كمال.

ولهذا يوصف الربّ تعالى بأعلى أنواعه وأكملها، كفرحه بتوبة التائب أعظم من فرحة الواجد لراحته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة بعد فقدته لها، واليأس من حصولها. والمقصود: أن «الفرح» أعلى نعيم القلب، ولذته وبهجته. والفرح والسرور نعيمه. والهم والحزن عذابه. والفرح بالشيء فوق الرضا به. فإن الرضا طمأنينة وسكون وانسراح. والفرح لذّة وبهجة وسرور<sup>(١)</sup>.

### أنواع الفرح:

من الفرح ما هو مدموم، ومنه ما هو محمود، فالمدموم ما كان مطلقاً غير مقيد، وهو الذي يورث الأشر والبطر، والممدوح ما كان مقيداً بفضل الله ورحمته، ومن ذلك الفرح بالعلم والإيمان والسنة.

### الفرق بين الفرح والسرور:

قال الراغب: السرور انسراح الصدر بلذّة فيها طمأنينة النفس، عاجلاً وآجلاً، وذلك في الحقيقة إذا لم يخف زواله ولا يكون ذلك إلا في القنيات الاخروية، والفرح انسراح الصدر بلذّة عاجلة وذلك يكون في اللذات البدنية الدنيوية<sup>(٢)</sup>.

وقال في الكلّيات: السرور: لذّة في القلب عند حصول نفع أو توقّعه أو اندفاع ضرر وهو الفرح والحبور أمور متقاربة، لكن السرور هو الخالص المنكتم، والحبور: ما يرى حبه أي أثره في ظاهر البشرية، وهما مستعملان في المحمود، وأمّا الفرح فكثيراً ما يذم، والأولان يكونان عن القوّة الفكرية، والفرح يكون عن القوّة الشهوية<sup>(٣)</sup>.

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ١٦٥ - ١٦٦).

(٢) الذريعة (٣٣٩).

(٣) الكلّيات (٥٠٨) بتصرف يسير.

وقال أبو هلال العسكري: الفرق بين السرور والفرح أن السرور لا يكون إلا بما هو نفع أو لذة على الحقيقة... وقد يكون الفرح بما ليس بنفع ولا لذة، كفرح الصبي بالرقص والعدو والسباحة وغير ذلك مما يتعبه ويؤذيه ولا يسمى ذلك سرورا، ألا ترى أنك تقول: الصبيان يفرحون بالسباحة والرقص ولا تقول: يسرون بذلك، ونقيض السرور: الحزن، ومعلوم أن الحزن يكون بالمرآزي، فينبغي أن يكون السرور بالفوائد وما يجري مجراها من الملاءمة، ونقيض الفرح: الغم.

وقد يغتم الإنسان بضرر يتوهمه من غير أن يكون له حقيقة وكذلك يفرح بما لا حقيقة له كفرح الحالم بالمنى وغيره، ولا يجوز أن يحزن أو يسر بما لا حقيقة له، وصيغة الفرح والسرور في العربية تنبئ عما قلناه فيهما<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: السرور- الرضا- طلاقة الوجه- التفاؤل- البشارة- التودد.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الحزن- العبوس- الكرب- الغضب- اليأس- القنوط- الجزع- السخط].

\*\*\*

### من فوائد (الفرح)

- (١) الفرح بفضل الله يستتبع الشكر ومزيد (٥) فرح الله بتوبة عبده باعث إلى المسارعة بها الفضل. وإقلاع العبد عن المعصية.
- (٢) الفرح بفضل الله علامة الإيمان به، وكونه المصدر الحقيقي له. (٦) فرح المرء باستقامة الآخرين يشيع الحب في المجتمع. ويجلب القرب من الله تعالى.
- (٣) الفرح بفضل الله يشيع المودة بين المؤمنين. (٧) الفرح بفضل الله ثمرة الرضا من الله على العبد.
- (٤) الفرح بالابتلاء دليل القرب من الله والرضا بقضائه.

(١) الفروق اللغوية (٢١٩-٢٢٠).

## الفضل

## الفضل لغة:

مصدر قولهم: فضل يفضل، وهو مأخوذ من مادة (ف ض ل) التي تدلّ - كما يقول ابن فارس - على زيادة في شيء، من ذلك: الفضل: الزيادة في الخير<sup>(١)</sup>، وقال الجوهري: الفضل والفضيلة: خلاف النقص والتقصية، والإفضال: الإحسان، والمتفضل: الذي يدعي الفضل على أقرانه<sup>(٢)</sup>، وقال صاحب المفردات: الفضل: الزيادة عن الاقتصار، وذلك على ضربين: محمود كفضل الحلم والعلم، ومذموم كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه، والفضل في المحمود أكثر استعمالاً والفضول في المذموم<sup>(٣)</sup> (أكثر)، والفضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل، والفواضل: الأيادي الجسيمة<sup>(٤)</sup>، والفضل والفضالة: البقية، والتفاضل بين القوم: أن يكون بعضهم أفضل من بعض، ورجل فاضل: ذو فضل، ورجل مفضول: قد فضله غيره، وقولهم: فضل فلان على غيره إذا غلب بالفضل عليه، وفي التنزيل العزيز: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٤] معناه: يريد أن يكون له الفضل عليكم في القدر والمنزلة<sup>(٥)</sup>، وقال القرطبي: المعنى: يريد أن يترفع عليكم ويتعاضم بدعوى النبوة<sup>(٦)</sup>، وقال القرطبي: المعنى: يسودكم ويشرف عليكم بأن يكون متبوعاً وأنتم له تبع<sup>(٧)</sup>، ويقال: فضّلته على غيره تفضيلاً: إذا حكمت له بذلك، أو صيّرتَه كذلك، وأفضل عليه: زاد، قال ذو الإصبع:

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت ديان فتخزوني  
وأفضل الرجل على فلان وتفضل بمعنى أناله من فضله وأحسن إليه، ويقال (أيضاً):

(١) مقاييس اللغة ٤ / ٥٠٨، وفي الأصل الزيادة والخير.

(٢) الصحاح ٥ / ١٧٩١.

(٣) المفردات للراغب ٣٨١ (تحقيق: كيلاني).

(٤) في اللسان: الأيادي الجميلة، وقد جمع الفيروز ابادي في القاموس بين الأمرين فقال: الفواضل: الأيادي الجسيمة أو الجميلة. انظر: القاموس المحيط ١٣٤٨ (ط. بيروت).

(٥) لسان العرب ١١ / ٥٢٤ (ط. بيروت).

(٦) تفسير ابن كثير ٣ / ٢٥٤.

(٧) تفسير القرطبي ١٢ / ١١٨، وفيه «ونحن له تبع» والسياق يقتضي ما أثبتناه.

تفَضَّلَ عليه وأفضلت بمعنى: تطوّلت<sup>(١)</sup>، ويقال: رجل مفضال: كثير الفضل والخير والمعروف، وامرأة مفضالة على قومها: إذا كانت ذات فضل سمحة<sup>(٢)</sup>، أمّا قول الله ﷻ: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣] فمعناه كما قال ابن كثير: أي (جزاء) فضله في الدار الآخرة<sup>(٣)</sup>، وقال أبو حيان: المعنى: يعطى في الآخرة كلّ من كان له فضل في عمل الخير زيادة تفَضَّلَ بها المولى ﷻ (على ما كان له)، وعلى هذا فالضّمير في «فضله» يرجع إلى الله ﷻ، ويجوز أن يرجع الضّمير إلى «كل» أي إلى ذي الفضل في الدنيا، ومن ثمّ يكون المعنى: يعطى جزاء ذلك الفضل الذي عمله في الدنيا لا يبخس منه شيء<sup>(٤)</sup>، والفضل في الحديث الشريف: «إنّ لله ملائكة سيّارة فضلا» (بضمّ الضاد وتسكينها) معناه: زائدين عن الملائكة المرتبين مع الخلائق<sup>(٥)</sup>.

### الفضل اصطلاحاً:

قال الرّاعب: الفضل: كلّ عطية لا تلزم من يعطي<sup>(٦)</sup>.  
وقال الجرجاني: الفضل: هو ابتداء إحسان بلا علة<sup>(٧)</sup>.

### أنواع الفضل:

قال الرّاعب: الفضل إذا استعمل لزيادة شيء على آخر فأنواعه ثلاثة:  
الأول: فضل من حيث الجنس كفضل الحيوان على النّبات.  
الثاني: فضل من حيث النّوع كفضل الإنسان على غيره من الحيوان.  
الثالث: فضل من حيث الذات كفضل إنسان على آخر.

ولا سبيل للنّاقص في النّوعين الأوّلين أن يزيل نقصه وأن يستفيد الفضل، كالفرس والحصان لا يمكنهما أن يستفيدا الفضل الذي للإنسان، أمّا النّوع الثالث فقد يكون:

(١) يشير ابن منظور بذلك إلى أن كلّاً من التفضل والإفضال قد يأتي بمعنى الإحسان إلى الغير، ويأتي أيضاً بمعنى التطوّل (أو التّطاول) عليهم.

(٢) لسان العرب ١١ / ٥٢٤.

(٣) تفسير ابن كثير ٢ / ٤٥١.

(٤) تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٥ / ٢٠٢ (بتصرف يسير).

(٥) النهاية لابن الأثير ٣ / ٤٥٥.

(٦) المفردات للراغب ص ٣٨٢ (ت: كيلاني).

(٧) التعريفات للجرجاني ص ١٧٤.

أ- عرضياً فيوجد السبيل إلى اكتسابه وذلك كفضل المال أو الرزق وما أشبههما.

ب- قد يكون ذاتياً كفضل الرجل على المرأة، وذلك بما خصّ الله به الرجال من الفضيلة الذاتية وبما أعطاهم من المكنة والمال والجاه والقوة، ومن هذا أيضاً فضل بعض النبيين على بعض بما فضلهم الله به<sup>(١)</sup>، وهذا القسم لا يمكن اكتسابه كالنوعين الأولين لعدم تعلقه بمشيئة المفضل أو المفضل عليه.

أما إذا استعمل لفظ الفضل في معنى الكمال فإنّ لعلماء «الأخلاق» فيه رأياً خاصاً يمكن استنباطه من تعريفهم للإنسان الفاضل، فمن هو الإنسان الفاضل؟

الإنسان الفاضل: هو- في رأي الماوردي- من غلبت فضائله رذائله فقدر بوفور الفضائل على قهر الرذائل فسلم من شين النقص، وسعد بفضيلة التخصيص<sup>(٢)</sup>، ولا يكون ذلك إلا بمجاهدة النفس، وهذه المجاهدة هي التي أطلق عليها الشيخ دراز مصطلح «جهد المدافعة» ويراد بها: تلك العملية التي نضع فيها في مواجهة الميول الخبيثة التي تحثنا على الشرّ قوة مقاومة قادرة على دفع تأثيرها<sup>(٣)</sup>.

أما ابن مسكويه فإنّه يعرف الإنسان الفاضل بأنّه: الإنسان الخير صاحب الإحسان الذاتي الذي يبقى ولا ينقطع ويتزايد على الأيام ولا ينتقص<sup>(٤)</sup>، ومن كانت هذه سيرته فإنّه يسرّ نفسه، ويسرّ به غيره، ويختار كلّ إنسان موصلته ومصادقته، فهو صديق نفسه، والناس أصدقاؤه، وليس يضاده إلا الشرير<sup>(٥)</sup>، ومن الناس من يصطنع المعروف لأجل الخير نفسه، ومنهم من يصطنعه لأجل الذكر الجميل، ومنهم من يصطنعه رياء فقط، وأعلى هؤلاء مرتبة من صنع الخير لذاته، وصاحب هذه الرتبة لا يعرف الذكر الجميل والثناء الباقي. ومن سار بهذه السيرة واختارها لنفسه

(١) المفردات للراغب ص ٣٨٢.

(٢) لعل المراد بالتخصيص هنا «الكمال» المتمثل في قهر الغرائز البهيمية بالعقل الذي منحه الله له وخصّه به دون سائر المخلوقات، أو أن المراد هو التخصيص بالكمالات دون النقائص.

(٣) دستور الأخلاق في القرآن الكريم ص ٥٩٤.

(٤) وهذا بخلاف الإحسان العارض الذي ليس بخلقي ولا هو سيرة لصاحبه فإنه ينقطع ويقع فيه اللوم. انظر: تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص ١٢٦.

(٥) أطلق الجاحظ على «الإنسان الفاضل» عند كل من الماوردي وابن مسكويه اسم «الإنسان التام» وعرفه بأنّه: هو الذي لم تفته فضيلة ولم تشنه رذيلة، انظر: تهذيب الأخلاق للجاحظ ص ٤٩.

فقد أحسن إليها وأنزلها في الشرف الأعلى وأهلها لقبول الفيض الإلهي، وإذا كان بهذه الحال فهو لا محالة يفعل سائر الخيرات، وينفع غيره ببذل الأموال والسماحة بجميع ما يتشاح الناس عليه<sup>(١)</sup>.

إن الذي أشار إليه ابن مسكويه هنا من صفة الإنسان الفاضل قد عبّر عنه الشيخ دراز بأنه: «الجهد المبدع» وذكر أن لهذا الجهد ثلاث درجات:

**الأولى:** الاختيار الإرادي المتمثل في البحث الجادّ عن الحلّ الذي يجب أن نأخذ أنفسنا به ولا نكل أمر تحديد إرادتنا إلى تصارييف الطبيعة الخارجية ولا إلى حركات فطرتنا الداخلية، وإنما نسمو فوق جميع الاعتبارات الظاهرة والباطنة، ويعقب هذا البحث الجادّ إرادة واختيار لهذا الحلّ، وكلّ ما هو دون ذلك فعجز وخور.

**الثانية:** وتمثّل في اختيار الصّالح، ولا بدّ هنا من استلهاام روح الشّرع والتّطابق مع قواعده، وقد يحدث في الواقع أن يكون أحد الحلول كافياً ليوصف بأنه صالح، وأن يكون هناك حلّ آخر أقلّ من أن يستحقّ هذا الوصف، مثال ذلك «الصدقة» فهذه المساعدة الماليّة التي يريد المتصدّقون أن يقدموها للفقراء قد تختلف على ما لا يحصى من الدّرجات تبعاً لكرمهم ابتداء من الفلّس<sup>(٢)</sup> وانتهاء بهبة الثروة كلّها، ولكنّ الشّرع الأخلاقيّ في الإسلام لم يدع الأمور فوضى، فالحدّ الأدنى هو الزّكاة المفروضة والحدّ الأقصى هو ثلث الثروة الكليّة، وواجب المسلم (الفاضل) أن يتحاشى الطرفين المحرّمين، فلا يقلّ عن مقدار الزّكاة ولا يزيد عن الثلث وهو الحدّ الأقصى المباح.

**الثالثة:** تتمثّل هذه المرحلة الثالثة من الجهد المبدع في البحث عن الأفضل، ولعلّ أوضح الأمثلة التي تحثّ على ذلك ما حدث قبل غزوة بدر عندما أخبر الرسول ﷺ أن الله وعده إحدى الطائفتين: العير أو النّفير، وقد مال الاتّجاه العامّ أوّل الأمر إلى الحلّ الأقلّ خطراً، والأكثر فائدة، ولكنّ الله ﷻ كان يريد أكثر الحلول تأثيراً وأعظمها شرفاً، وأقدرها على حسم النزاع بين الشّرّ والباطل، وقد كان، وهكذا فقد دعا الإسلام أتباعه إلى أن يتغوا في سلّم الأعمال أسماها وأقواها

(١) باختصار وتصرف عن تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص ١٢-٢٨.

(٢) الفلّس عملة ذات قيمة متدنية وجمعها فلوس.

تأثيراً<sup>(١)</sup>، ثم خلص إلى القول إلى: أن العناصر التي يتكوّن منها الجهد المبدع هي: الاختيار الإرادي، والاختيار الصّالح، والاختيار الأفضل، فالعنصر الأول هو روح الأخلاق بعامة، والثاني يقدّم إلى كلّ نوع من الأخلاق الخاصّة نوعيّتها المختلفة، وأمّا الثالث فهو الذي يتمّ عمل الاثنين ويكمّله<sup>(٢)</sup>.

إنّ كلمة «الأفضل» (ومن ثمّ وصف عمل ما بهذا الوصف وإطلاق لقب الفاضل على صاحبه) لا ينبغي أن تؤخذ على أساس أنّها صيغة الحدّ الأعلى، بل على أساس المقارنة، لأنّ المستوى الذي يندب جهد كلّ إنسان إلى أن يبلغه (ليكون فاضلاً) ليس هو الدرّجة الحدّيّة التي تقع فوق التّكليف، وإنّما في هذا الامتداد المتراحب الذي يتّسع لتنافس كلّ النّاس، حيث يدعى كلّ واحد منهم إلى أن يرتقي بالتدرّج، من نقطة لاخرى، بحسب قدراته، ومع مراعاة ما بقي من تكاليفه<sup>(٣)</sup>.

### لفظ الفضل في القرآن الكريم:

قال ابن الجوزي: الأصل في الفضل: الزيادة، ويستعار في مواضع تدلّ عليها القرينة، وقد ذكر أهل التفسير أن الفضل في القرآن الكريم على ثمانية أوجه:

الأول: الإناعام بالإسلام كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أُرِيدُ أَنْ أَمُرَّ بِالنَّاسِ بِالْإِسْلَامِ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْسُومِينَ﴾ [آل عمران: ٧٣].

الثاني: الإناعام بالنبوة، ومنه قوله ﷺ: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

الثالث: الرزق في الدنيا، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَأَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

الرابع: الرزق في الجنّة، ومنه قول الله ﷻ: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ [آل عمران: ١٧١].

الخامس: الجنّة ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٧].

السادس: المنّة والنّعمة، ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾.

[يوسف: ٣٨]

(١) انظر صفة: علو الهمة.

(٢) باختصار وتصرف عن دستور الأخلاق في القرآن ص ٦١٣-٦٢٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٢٢.

السابع: الخلف (مما ينفق في سبيل الله) (١).

الثامن: التّجاوز (بالعفو عن السيئات) ومنه قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٤٣] (٢).

وقد زاد الفيروز ابادي إلى ذلك معاني آخر منها:

التاسع: المعجزة والكرامة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: ١٠].

العاشر: تأخير العذاب، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤].

الحادي عشر: الظفر والغنيمة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾.

[آل عمران: ١٧٤]

الثاني عشر: قبول التوبة والإنابة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَإِنَّ اللَّهَ رَهُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠].

الثالث عشر: زيادة الثواب والكرامة، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾.

[الحديد: ٢٩]

ويمكن أن نضيف إلى ذلك المعاني الآتية (٣): الرابع عشر: المعروف والإحسان كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةَ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقَرْبَىٰ﴾ [النور: ٢٢].

الخامس عشر: الشفاعة في الآخرة، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٣٠].

(١) في الأصل: الحلف بالحاء ولا معنى له، وقد زاد محقق الكتاب الطين بلة فقال وفي نسخة الخلق (بالحاء)، والصواب ما أثبتناه لأن الآية الكريمة جاءت في سياق الحث على الإنفاق وبيان أن الشيطان يخوف أولياءه من الفقر ويأمرهم بالفحشاء - ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨]. أي البخل، والله ﷻ يعد أولياءه بالمغفرة وأن يعطيهم فضلا أي خلفا عما أنفقوه في سبيله ويكون ذلك بالرزق في الدنيا والنعم في الآخرة، انظر في تفسير الآية: القرطبي ٣/ ٣٢٩، والتفسير القيم ص ١٦٨.

(٢) ذكر الفيروز ابادي معاني أخرى تتعلق بالترفضيل وليس لذلك علاقة بما نحن بصده، ولذلك لم نذكرها.

(٣) اعتمدنا في إثبات المعاني التي لم يذكرها الفيروز ابادي وابن الجوزي على كتب التفسير وخاصة تفسير الطبري وابن كثير وتفسير أبي حيان (البحر المحيط).

السادس عشر: الخير والنعمة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾.

[يونس: ١٠٧]

السابع عشر: التميّز في الخلق أو الرزق، وذلك كما في قوله سبحانه: ﴿وَمَا زَيَّ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ

فَضْلٍ﴾ [هود: ٢٧].

وسوف نحاول فيما يلي تصنيف الآيات الكريمة الواردة في الفضل وفقا لهذه المعاني.

[للاستزادة: انظر صفات: الاعتراف بالفضل - الإحسان - الشفاعة - الصفح - الجود -

الكرم - السماحة - الإيثار - الإنصاف - البر - بر الوالدين - الشكر - الحمد.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: انكار الجميل - الإعراض - الإساءة - الغافلة - التعسير -

الانتقام - الشماتة - النقمة - الأثرة - البخل - الشح - عقوق الوالدين].

\*\*\*

### من فوائد (الفضل)

(١) الفضل الأكبر هو الله ﷻ، ومن تحلّى بذلك فإنّه يؤهل نفسه لقبول الفيض الإلهي، والمدد الربّانيّ.

(٢) الفضل بمعنى إعطاء ما لا يجب يجعل لصاحبه مكانة عظيمة عند الله ﷻ وعند الناس.

(٣) الفاضل محبوب من الناس يألفهم ويألفونه.

(٤) من حاز الفضل في الدنيا أعطاه الله من فضله في الدنيا والآخرة.

(٥) الفاضل يسلم من شين النقص ويسعد بمرتبة الكمال.

(٦) الإنسان الفاضل يدفعه فضله إلى أن يكون من ذوي الهمم العالية.

(٧) الإنسان الفاضل عضو فعّال في المجتمع يسعد ويحظى بالرّضا والقبول وكثرة الأصدقاء.

(٨) الإنسان الفاضل من شأنه أن يسعد نفسه ويقيها شرّ الشّح.

(٩) الإنسان الفاضل من أتباع الرّحمن، بخلاف الشّرير الذي يعدّ من جند الشّيطان.

(١٠) الإنسان الفاضل ذو جهد مبدع خلاق، يختار الأصلح ويقوم بتنفيذه على أكمل وجه.

(١١) الفضل مجال للتنافس الخيّر الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

- (١٢) التحلّي بالفضل يدفع الفاضل إلى عدم ظلم النَّاس أو استغلال ظروفهم.
- (١٣) الفضل يوطد أركان الأسرة المسلمة بتنازل أحد الطرفين عن حقوقه طواعية خاصّة في حالة الزّوجة التي لم يدخل بها.
- (١٤) التحلّي بالفضل يدفع إلى الإيثار والتّعوّد على الكرم والزّهد في المال وحسن التّصرّف فيه.

### الفطنة

#### الفطنة لغة:

مصدر فطن للشّيء يفطن فطنة وفطنة، قال ابن فارس: الفاء والطّاء والنون كلمة واحدة تدلّ على ذكاء وعلم بشيء، يقال رجل فطن وفطن (إذا كان ذا فطنة، يقال: فطنت للشّيء وفطنت له، وقال ابن منظور: الفطنة: كالفهم. والفطنة: الحذق والفهم، وقد تفسّر بجودة تهيؤ النّفس لتصور ما يرد عليها من الغير وهي: ضدّ الغباوة. ورجل فطن بينّ الفطنة والفطن.

وقد فطن لهذا الأمر - بالفتح - يفطن فطنة. وقد فطن (بالكسر) فطنة وفطنة وفطانية والجمع فطن، والأنثى فطنة. وفطن - بالصّم - إذا صارت الفطنة سجيّة له.

وأما الفطن فذو فطنة للأشياء. وفطنه لهذا الأمر تفطينا: فهمه، ويتعدّى بالتّضعيف فيقال: فطنته للأمر. وفي المثل: لا يفطنّ القارة - أنثى الدّببة - إلاّ الحجارة. وفاطنه في الحديث راجعه. قال الرّاعي:

إذا فاطنتنا في الحديث تهزّزت إليها قلوب، دونهنّ الجوانح<sup>(١)</sup>

#### واصطلاحاً:

هي قوّة للنّفس تشمل الحواسّ الظّاهرة والباطنة معدّة لاكتساب العلوم. وقيل: هي الاستعداد التّام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر. وقال الكفوي: هي التّنبّه للشّيء الذي يقصد معرفته<sup>(٢)</sup>.

(١) لسان العرب (١٣/ ٣٢٣ - ٣٢٤)، والمصباح المنير (٢/ ١٣٣)، والصحاح (٦/ ٧٧ / ٢١). ومقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٥١١).

(٢) التعريفات للجرجاني (١٠٨)، والكليات للكفوي (٦٧).

## الفرق بين الفهم والفتنة والفقہ :

قال الكفوي: الفهم: هو التعلّق غالباً بلفظ من مخاطبك، والفقہ: هو العلم بغرض المخاطب من خطابه، والفتنة: هي التنبّه للشيء الذي يقصد معرفته<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الحكمة- الإسلام الإيمان- العلم- الفقہ- التقوى- البصيرة- النظر والتبصر- التبين (الثبت).

وفي ضد ذلك: انظر صفات: البلادة والغباء- الحمق- السفاهة- الغفلة- الإعراض- الجهل- الطيش].

\*\*\*

## من فوائد (الفتنة)

- (١) الفتنة هبة من الله ﷻ تستحقّ زيادة الشكر. (٤) الفطن يحبّه مجتمعه ويحبّ التّقرّب إليه.
- (٢) تعين العبد على التّفكير في آلاء الله ونعمه. (٥) والفتنة تخرج صاحبها من المواقف
- (٣) كلّما ازداد تفكّراً في آلاء الله ازداد خشوعاً الحرجة سالماً.
- (٦) الفطن يعيش سعيداً بين أفراد مجتمعه، الله وتعظيماً.
- ويموت حميداً.

## الفقہ

## الفقہ لغة :

مصدر قولنا: فقہ فلان: أي فهم، وهو مأخوذ من مادّة (ف ق هـ) التي تدلّ على إدراك الشيء والعلم به، تقول: فقّهت الحديث أفقهه، وكلّ علم بشيء فهو فقّه ثمّ اختصّ بذلك علم الشريعة<sup>(٢)</sup>.

وقال الراغب: الفقہ هو التّوصّل إلى علم غائب بعلم شاهد، ومن ثمّ فهو أخصّ من العلم. قال تعالى: ﴿فَالْهُؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]، يقال: فقّه الرّجل فقاهة إذا صار فقيهاً

(١) ذكر الكفوي ذلك ضمن حديثه عن مراتب وصول العلم إلى النفس. انظر: الكليات (٦٧).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٤ / ٤٤٢).

وفقه الرّجل فقها وفقها وفقه أي فهمه، وتفقه إذا طلب (علم) الفقه فتخصّص به، قال تعالى: ﴿لِنَنْفَعَهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢] <sup>(١)</sup>.

وقال الجوهريّ: الفقه: الفهم، قال أعرابيّ لعيسى بن عمر: شهدت عليك بالفقه. أي بالفهم، ثمّ خصّ به علم الشريعة. والعالم به فقيه، يقال: فاقهته إذا باحثته في العلم <sup>(٢)</sup>. وقال غيرهم: الفقه العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لشرفه وفضله على سائر أنواع العلم، يقال: أوتي فلان فقها في الدين أي فهمها فيه، ودعا النبيّ ﷺ لابن عباس فقال: «اللهمّ فقهه في الدين وعلمه التأويل»، أي فهمه تأويله ومعناه، ويقال فقه فقها أي علم علما، قال ابن سيده: ويقال فقه فقاهة وهو فقيه من قوم فقهاء، والأنثى فقيهة من نسوة فقائه وحكى اللحيانيّ: نسوة فقهاء، وحكى بعضهم: فقه الرّجل فقها وفقها، وفقه الشيء علمه، وأفقهه وفقهه: علمه. وفي التهذيب: أفقهته علمته الفقه، وفقه عنه بالكسر: فهم، ورجل فقه أي فقيه. وأمّا فقه (بضمّ القاف) فإنما يستعمل في النعوت، يقال فقه فقه فقاهة أي صار فقيها، وقال ابن شميل: أعجبني فقاهته أي فقهه، ورجل فقيه أي عالم، وكلّ عالم بشيء فهو فقيه، وفقيه العرب عالم العرب، وتفقه: تعاطى الفقه، ومن معاني الفقه أيضا الفطنة. وفي حديث سلمان، أنّه نزل على نبطية بالعراق فقال لها: هل هنا مكان نظيف أصليّ فيه؟ فقالت: طهر قلبك وصلّ حيث شئت، فقال سلمان: فقته أي فهمت وفطنت ولو قال فقته كان المعنى صارت فقيهة، ويقال: فقه بالضمّ إذا صار الفقه سجية له وفاقه ففقهه أي باحثه في العلم فغلبه فيه <sup>(٣)</sup>.

### الفقه اصطلاحاً:

قال الراغب: هو العلم بأحكام الشريعة.

وقال الجرجانيّ: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، وقيل: هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفيّ الذي يتعلّق به الحكم، وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد ويحتاج فيه إلى النظر والتأمّل، ولهذا لا يجوز أن يسمّى الله تعالى فقيها لأنّه لا يخفى عليه شيء.

(١) مفردات الراغب (٣٨٤).

(٢) الصحاح (٦/ ٢٢٤٣).

(٣) انظر: لسان العرب (١٣/ ٥٢٢)، والمصباح المنير (٢/ ١٣٤)، والقاموس المحيط (٤/ ٢٩١).

وقال المناوي: الفقه شرعا: هو العلم بالأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد<sup>(١)</sup>.  
وقال أبو الخطاب: هو العلم بأحكام أفعال المكلفين الشرعية دون العقلية، مثل الحرام والحلال والحظر والإباحة... وما أشبه ذلك<sup>(٢)</sup>.

### مصادر الفقه الإسلامي:

للفقه الإسلامي مصادر عديدة أجمع علماء الأصول على أربعة منها، هي:  
القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والإجماع، والقياس، واختلف في المصادر الأخرى، مثل الاستحسان والاستصلاح (المصالح المرسله)، والعرف، والاستصحاب<sup>(٣)</sup>. ويقوم المجتهدون باستنباط الأحكام الشرعية من هذه المصادر، فما هو الاجتهاد؟ وهل له شروط معينة؟  
الاجتهاد: عرفه الغزالي بقوله: هو بذل المجتهد وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة.  
وعرفه ابن الحاجب: بأنه يعني استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظنّ بحكم شرعي.  
وقد لخص بعض الباحثين جملة أقوال علماء الأصول في المعنى الاصطلاحي للاجتهاد، فقال: الاجتهاد يعني بذل أقصى الجهد العقلي في استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية<sup>(٤)</sup>.

أما من له حقّ الاجتهاد فهم أولئك الذين توفرت فيهم الشروط التي نصّ عليها العلماء في هذا الشأن، وقد كان الشافعي رحمه الله من أسبق من تناول هذه الشروط عندما قال: «لا يقيس إلا من جمع الآلة التي له القياس بها، وهي العلم بأحكام كتاب الله، فرضه وأدبه، وناسخه ومنسوخه، وعامه وخاصه وإرشاده، ويستدلّ على ما احتاج التأويل منه بسنن رسول الله ﷺ، فإذا لم يجد سنة في إجماع المسلمين، فإن لم يكن إجماع فبالقياس، ولا يكون أن يقيس حتى يكون عالما بما مضى فيه من السنة وأقاويل السلف، وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب. وعليه في ذلك بلوغ غاية جهده، والإنصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما قال، وترك ما ترك. فأما من تمّ عقله ولم يكن عالما بما وصفنا فلا يجوز أن يقول بقياس، ومن كان عالما بما وصفنا بالحفظ لا بحقيقة

(١) المفردات للراغب (٣٨٤)، والتعريفات للجرجاني (١٧٥)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢٦٣).

(٢) انظر التمهيد للخطابي (٤ / ١)، وكتاب الأصول من علم الأصول للعثيمين (٦).

(٣) انظر في تفاصيل ذلك، مصادر التشريع فيما لا نص فيه للشيخ عبد الوهاب خلاف.

(٤) انظر بحث الدكتور حسن مرعي المعنون «الاجتهاد في الشريعة الإسلامية» (ج ٣ ص ١٦٢) ضمن منشورات المجلس

العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ١٤٠٤ هـ.

المعرفة فليس له أيضا أن يقول بقياس، لأنه قد يذهب عليه عقل المعاني<sup>(١)</sup>، وقد استتبط بعض الباحثين شروطا أخرى للمجتهد ليس هنا محل تفصيلها<sup>(٢)</sup>.

ولينظرها من شاء في مظانها من كتب الأصوليين.

[للاستزادة: انظر صفات: الحكمة- العلم- الفطنة.

وفي ضد ذلك: انظر صفتي: البلادة والغباء- الجهل].

\*\*\*

### من فوائد (الفقه)

- (١) إن مثل الفقه في دين الله كمثل الغيث ينزل في الأرض الطيبة فينبت الخير للناس. (٦) الرحلة والاستنفار للتفقه في الدين سنة السلف.
- (٢) الفقه في الدين يعلي منزلة صاحبه بين قومه ولو كان من أقلهم شأنًا. (٧) تعلم الفقه من أفضل العبادات.
- (٣) يصون صاحبه عن الزلل والخطأ، فيحسن التحدث والصمت والتصرف. (٨) قراءة الفقيه للقرآن تكون بتبصر وتأمل وتمعن.
- (٤) أهل الفقه: مصابيح الأمة، تنير لها طريق الهدى. (٩) بعض الأسئلة المحرجة في الفقه لا بد لها من جراءة.
- (٥) العبادة من غير فقه على خطر عظيم. (١٠) الفقه يهذب الأخلاق، ويضع للطيش حدودا.

### القسط

#### القسط لغة:

قسط وأقسط لغتان بمعنى عدل.

(١) بتلخيص من الرسالة للإمام الشافعي (٥٠٩. ٥١٠).

(٢) انظر في ذلك مثلا: كتاب الاجتهاد في الشريعة الإسلامية لمحمد فوزي فيض الله، والباحثين القيمين للشيخ زكريا البري

(٢٣٣. ٢٥٦)، والشيخ علي الخفيف (٢٣٢. ٢٥٠) المنشورين ضمن منشورات المجلس العلمي بجامعة الإمام

محمد بن سعود، الرياض ١٤٠٤ هـ.

وأما قسط الذي مصدره القسط فهو بمعنى جار، فكأن الهمزة فيه للسلب، كما يقال: شكا إليه فأشكاه.

والقسط: الميزان، سمى به من القسط العدل، ففي الحديث «إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه» أراد أن الله يخفض، ويرفع ميزان أعمال العباد المرتفعة إليه، وأرزاقهم النازلة من عنده كما يرفع الوزان يده ويخفضها عند الوزن، وقيل: أراد بالقسط: القسم من الرزق الذي هو نصيب كل مخلوق، وخفضه تقليله، ورفعته تكثيره. والقسط: الحصّة والنصيب. وتقسّطوا الشيء بينهم: تقسّموه على العدل والسّواء. وأما قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء: ١٨٢] فالمراد أقوم الموازين<sup>(١)</sup>.

معنى اسم الله «المقسط»: في أسماء الله الحسنى «المقسط» بمعنى العادل، وقال الحليمي: هو المعطي عباده القسط وهو العدل من نفسه، وقد يكون معناه: المعطي لكلّ منهم قسطاً من خيره<sup>(٢)</sup>.

#### القسط اصطلاحاً:

قال المناوي: القسط (بالكسر) هو النّصيب بالعدل<sup>(٣)</sup>.

وقال القرطبي: القسط هو العدل في المعاملات<sup>(٤)</sup>.

#### الأمر بالقسط:

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: أخبر الله في كتابه أنّه أنزل الكتاب والحديد ليقوم الناس بالقسط، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ بَصُرِهِ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

ولهذا أمر النبي ﷺ أمته بتولية ولاية الأمور عليهم وأمر ولاية الأمور أن يردّوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل<sup>(٥)</sup>.

(١) لسان العرب (٥ / ٣٦٢٥ - ٢٦٢٧). وانظر الصحاح (٣ / ١١٥٢). وبصائر ذوي التمييز (٤ / ٢٦٩).

(٢) لسان العرب (٥ / ٣٦٢٦). وفتح الباري، شرح صحيح البخاري (١٣ / ٥٣٩).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٧١). والمراد بهذا القسط يعني أن يأخذ كل نصيبه بالعدل دون زيادة أو جور.

(٤) تفسير القرطبي (٩١).

(٥) الحسبة (١٩).

[للاستزادة: انظر صفات: الإنصاف - الحكم بما أنزل الله - العدل والمساواة - الإيمان - الإسلام - التقوى - الإحسان - الأمانة - المروءة - المراقبة.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: البغي - الظلم - الحكم بغير ما أنزل الله - التطفيف - الضلال - العتو].

\*\*\*

### من فوائد (القسط)

- (١) فيه مرضاة للرحمن وأتباع لسيد الأنام. (٥) من قام بالقسط عظم ثوابه.
- (٢) يضمن الحقوق ويحفظ الأمانات. (٦) فيه الحفاظ على سلامة المجتمع.
- (٣) القيام بالقسط سمة من سمات إخلاص (٧) يعيد صاحبه من لعنة الله والملائكة والناس الشهادة لله. أجمعين.
- (٤) يكسو صاحبه نورا يوم القيامة.

### القصاص

#### القصاص لغة:

اسم بمعنى القود مأخوذ من مادة (ق ص ص) التي تدل على تتبع الشيء، من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر إذا تتبعته قال ابن فارس: ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك أنه يفعل به مثل فعله بالأول، فكأنه اقتصص أثره، وقال الجوهري: القصاص القود، وقد أقصص الأمير فلانا من فلان إذا اقتصص له منه فجرحه مثل جرحه، أو قتله قودا، واستقصه سألته أن يقصه منه، وقال الفراء: قصه الموت وأقصه بمعنى دنا منه، وأصل الكلمة قاصه مقاصه (مشدد)، مثل سارّه مسارّه وحاجه محاجة وما أشبه ذلك. والقصاص (بالكسر)، والقصاصاء (بالكسر أيضا) والقصاصاء (بالضم) لغات فيه: هو القود والقتل بالقتل، والجرح بالجرح.

وتقاص القوم إذا قاص كل واحد منهم صاحبه في حساب أو غيره، والتقاص: التناصف في القصاص، قال قائل:

فرمنا القصاص وكان التقاص حكما وعدلا على المسلمينا

قال ابن سيده: وهذا الشاذ لا اجتماع ساكنين، ولذلك رواه بعضهم، وكان القصاص. والاقصاص: أخذ القصاص. والاقصاص أن يؤخذ لك القصاص<sup>(١)</sup>.

#### واصطلاحاً:

قال الجرجاني: أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل<sup>(٢)</sup>.

وعرفه الحافظ في الفتح بأنه: تتبّع جناية الجاني ليؤخذ مثل جنايته<sup>(٣)</sup>.

وقال المناوي: القصاص: تتبّع الدّم بالقوق<sup>(٤)</sup>.

#### أثر القصاص في استقرار المجتمع:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: القصاص، فإنّ الإنسان إذا غضب وهمّ بأن يقتل إنساناً آخر فتذكر أنّه إن قتله قتل به، خاف العاقبة فترك القتل، فحيي ذلك الذي يريد قتله، وحيي هو لأنّه لم يقتل فيقتل قصاصاً، فقتل القاتل يحيا به ما لا يعلمه إلا الله كثرة كما ذكرنا، قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، ولا شك أنّ هذا من أعدل الطّرق وأقومها، ولذلك يشاهد في أنظار الدّنيا قديماً وحديثاً قلّة وقوع القتل في البلاد التي تحكّم بكتاب الله، لأنّ القصاص ردع عن جريمة القتل، كما ذكره الله في الآية المذكورة آنفاً.

وما يزعّمه أعداء الإسلام من أنّ القصاص غير مطابق للحكمة، لأنّ فيه إقلال عدد المجتمع بقتل إنسان ثان بعد أن مات الأوّل، وأنّه ينبغي أن يعاقب بغير القتل فيحبس، وقد يولد له في الحبس فيزيد المجتمع، كلّ كلام ساقط، عار من الحكمة، لأنّ الحبس لا يردع الناس عن القتل، فإذا لم تكن العقوبة رادعة فإنّ السّفهاء يكثر منهم القتل فيتضاعف نقص المجتمع بكثرة القتل<sup>(٥)</sup>.

[للاستزادة؛ انظر صفات: الحكم بما أنزل الله - العدل والمساواة - العفو - القسط -

الإنصاف - الطاعة.

(١) الصحاح (٣/ ١٠٥١ - ١٠٥٢)، ولسان العرب (٦/ ٣٦٥٢)، مفردات القرآن (٦٧٢)، المصباح المنير (٥٠٦)، ومقاييس

اللغة (٥/ ١١).

(٢) التعريفات (٢٢٥).

(٣) الفتح (١١/ ٣٩٥).

(٤) التوقيف (٢٧٢).

(٥) أضواء البيان (٣/ ٣٨٩ - ٣٩٠).

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الحكم بغير ما أنزل الله - الظلم - الضلال - البغي - العدوان - العصيان].

\*\*\*

### من فوائد (القصاص)

- (١) القصاص يحقن الدماء. (٤) القصاص حياة كما قالت العرب: القتل  
 (٢) القصاص يريح النفوس المظلومة. أنفى للقتل.  
 (٣) القصاص زجر لمن تسوّل له نفسه القتل. (٥) الرّاضي بالقصاص هو المنتصر.

### القناعة

#### القناعة لغة:

مصدر قنع يقنع قناعة. إذا رضي، ويدل أصل المادة علي معنيين: الأوّل: الإقبال بالوجه على الشيء، والآخر: المستدير من الرّمل، ومن المعنى الأوّل أخذت القناعة بمعنى الرّضا، وسميت بذلك لأنّ القانع يقبل على الشيء الذي له راضيا. قال ابن فارس: والإقناع مدّ البعير رأسه إلى الماء للشرب، قال ابن السكّيت: قنعت الإبل والغنم للمرتع، إذا مالت له، وفلان شاهد مقنع، وهذا من المعنى الأوّل وهو الرّضا بالشيء وجمعه مقانع، تقول: إنّه رضى يقنع به.

وقال الرّاعب: يقال: قنع يقنع قناعة وقنعنا إذا رضي، وقنع يقنع قنوعا إذا سأل.. وقال بعضهم أصل هذه الكلمة من القناع وهو غطاء الرّأس، فقنع أي لبس القناع ساترا فقره، وقنع إذا رفع قناعه كاشفا رأسه بالسؤال. وقال ابن منظور: يقال: رجل قانع من قوم قنع، وقنع من قنعين، وقنع من قنعين وقنعاء. وامرأة قنيعة وقنيعة من نسوة قنائع.

قال الأزهري: رجال مقانع وقنعان إذا كانوا مرضيين. ورجل قنعان: يرضى باليسير. وفي التنزيل ﴿وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦]. فالقانع الذي يسأل، والمعتّر الذي يتعرّض ولا يسأل، وقيل القانع: المتعفف، وكلّ يصلح. وقال بعض أهل العلم: إنّ القنوع يكون بمعنى الرّضا والقانع بمعنى الرّاضي، قال وهو من الأضداد. وفي الحديث: «فأكل وأطعم القانع والمعتّر». هو من القنوع: الرّضا باليسير من العطاء<sup>(١)</sup>.

(١) لسان العرب: (٨/ ٢٩٧ وما بعدها)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣٣)؛ والمفردات للراغب (٢١٤).

وقوله من الأضداد، قال الأصمعي: القانع الرّاضي بما قسم الله، ومصدره القناعة. والقانع السائل ومصدره القنوع، ورأيت أعرابياً يقول: اللهم إني أعوذ بك من القنوع والخنوع والخضوع وما يغض طرف المرء، ويغري به لئام الناس.

قال عدي:

وما خنت ذا عهد وأبت بعهده ولم أحرم المضطرّ إذ جاء قانعا  
أي سائلا<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحاً:

قال ابن السنّي: القناعة: الرضا بالقسم<sup>(٢)</sup>.

وقال الرّاعب: القناعة: الاجتزاء باليسير من الأغراض المحتاج إليها<sup>(٣)</sup>.

وقال الجاحظ: القناعة هي: الاقتصار على ما سنع من العيش، والرّضا بما تسهّل من المعاش، وترك الحرص على اكتساب الأموال وطلب المراتب العالية مع الرّغبة في جميع ذلك وإيثاره والميل إليه وقهر النفس على ذلك والتّقنّع باليسير منه<sup>(٤)</sup>.

وقال المناوي: القناعة عرفاً: الاقتصار على الكفاف، وقيل: الاكتفاء بالبلغة، وقيل: سكون الجأش عند عدم المألوفات، وقيل: الوقوف عند الكفاية<sup>(٥)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الرضا- الزهد- التواضع- الورع- النزاهة- العفة- المروءة- مجاهدة النفس- أكل الطيبات.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الطمع- طول الأمل- أكل الحرام- التطفيف- اتباع الهوى- التناجش- الاحتيال- السرقة- الغلول].

(١) الأضداد للأصمعي (٥٠)، وللسجستاني: (١١٦)، وابن السكيت (٢٠٢)، وذيل الأضداد للصاغاني: (٢٣٤) وانظر الأضداد للأنيباري (٦٦-٦٧).

(٢) القناعة (٤٠). والقسم- بفتح القاف وسكون السين- مصدر قسم الشيء يقسمه، والقسم- بكسر القاف وسكون السين- النصيب والحظ، وأشار إلى المعنيين ابن منظور في اللسان «قنع».

(٣) المفردات للراغب (٤١٣).

(٤) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٢٢).

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف لابن المناوي (٢٧٥).

## من فوائد (القناعة)

- (١) القناعة من كمال الإيمان وحسن الإسلام. (٤) وهو سعيد النفس بما قسم له من الدنيا.  
 (٢) القانع تعزف نفسه عن حطام الدنيا رغبة (٥) لو قنع الناس بالقليل لما بقي بينهم فقير فيما عند الله. ولا محروم.  
 (٣) القنوع يحبّه الله ويحبّه الناس. (٦) تشيع الألفة والمحبة بين الناس.

## القنوت

## القنوت لغة:

مصدر قنت يقنت قنوتاً، وهو مأخوذ من مادة (ق ن ت) التي تدلّ على طاعة وخير في دين، والأصل فيه الطّاعة، ثمّ سمّي كلّ طاعة في طريق الدّين قنوتاً، وسمّي السّكوت في الصّلاة والإقبال عليها قنوتاً، قال الله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] <sup>(١)</sup>.

وقال ابن منظور: القنوت دوام الطّاعة، وقيل: الدّعاء في الصّلاة، والقنوت: الخشوع والإقرار بالعبوديّة، وقيل: القيام، وزعم ثعلب أنّه الأصل، وقيل: إطالة القيام. ويقال للمصلّي: قانت. وفي الحديث: «مثل المجاهد في سبيل الله، كمثل القانت الصّائم» أي المصلّي، ويرد القنوت بمعان متعدّدة، كالطّاعة، وقد تقدّم بعضها. فيصرف في كلّ واحد من هذه المعاني إلى ما يحتمله لفظ الحديث الوارد فيه.

وقال ابن الأنباري: القنوت على أربعة أقسام: الصّلاة، وطول القيام، وإقامة الطّاعة، والسّكوت.

قال ابن سيده: القنوت الطّاعة، هذا هو الأصل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ثمّ سمّي القيام في الصّلاة قنوتاً، ومنه قنوت الوتر.

والقانت: الدّاكر لله تعالى. كما قال ربّك: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ [الزمر: ٩].  
 وقيل: القانت: العابد. والقانت: القائم بجميع أمر الله تعالى، وجمع القانت من ذلك كلّ: قنّت،

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٥ / ٣١).

وقنت له: ذل، وقتت المرأة لبعلها: أقرت<sup>(١)</sup>.

ونقل الفيروزبادي عن ابن الأعرابي قوله: أقت: دعا على عدوه، وأقت: إذا أطال القيام في الصلاة. وأقت: إذا أدام الحج، وأقت: إذا أطال الغزو، وأقت إذا تواضع لله تعالى<sup>(٢)</sup>.

### القنوت اصطلاحاً:

قال الراغب: القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع، وفسر في كل واحد منهما في قوله تعالى: ﴿وَقَوْمًا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾، وقوله ﴿كُلُّ لَهٗ قَانِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦].

وقال المناوي: القنوت: ثبات القائم بالأمر على قيامه تحققاً بتمكّنه فيه.. ودعاء القنوت: هو دعاء الانتصاب في الصلاة<sup>(٣)</sup>.

### أنواع القنوت:

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : القنوت الذي يعمّ المخلوقات أنواع: أحدها: طاعة كل شيء لمشيئته وقدرته وخلقه، فإنه لا يخرج شيء عن مشيئته وقدرته وملكه، بل هو مدبر معبود.

وعلى هذا الوجه، فالقانت قد لا يشعر بقنوته، فإن المراد بقنوته كونه مدبراً مصرّفاً تحت مشيئة الرب من غير امتناع منه بوجه من الوجوه، وهذا شامل للجمادات والحيوانات وكل شيء. قال تعالى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿فَسَبَّحْنِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

النوع الثاني من القنوت: هو ما يشعر به القانت، وهو اعترافهم كلهم بأنهم مخلوقون مربوبون وأنه ربهم، كما تقدم.

الثالث: أنهم يضطرون إليه وقت حوائجهم فيسألونه ويخضعون له، وإن كانوا إذا أجابهم أعرضوا عنه. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾ [يونس: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ

(١) انظر الصحاح للجوهري (١/ ٢٦١)، ولسان العرب، لابن منظور (٢/ ٧٣، ٧٤) ومقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣١).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٩٨).

(٣) مفردات الراغب (ص ٤١٣)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص ٢٧٥).

مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ [الإسراء: ٦٧]. وهو أخبر أنّهم له قانتون، فإذا قنتوا له فدعوه، وتضرّعوا إليه عند حاجتهم كانوا قانتين له، وإن كان إذا كشف الضرّ عنهم نسوا ما كانوا يدعون إليه وجعلوا له أندادا.

**الرابع:** أنّهم كلّهم لا بدّ لهم من القنوت والطّاعة في كثير من أوامره وإن عصوه في البعض، وإن كانوا لا يقصدون بذلك طاعته، بل يسلمون له ويسجدون طوعا وكرها. وذلك أنّه أرسل الرّسل وأنزل الكتب بالعدل، فلا صلاح لأهل الأرض في شيء من أمورهم إلّا به، ولا يستطيع أحد أن يعيش في العالم مع خروجه عن جميع أنواعه، بل لا بدّ من دخوله في شيء من أنواع العدل.

**الخامس:** خضوعهم لجزائه لهم في الدّنيا والآخرة، كما ذكر من ذكر أنّهم قانتون يوم القيامة، وهو سبحانه قد يجزي النّاس في الدّنيا فيهلكهم وينتقم منهم، كما أهلك قوم نوح وعاد وثمود وفرعون، فكانوا خاضعين منقادين لجزائه وعقابه قانتين له كرها. والجزاء يكون في الدّنيا، وفي البرزخ وفي الآخرة، وهو سبحانه قائم على كلّ نفس بما كسبت، وهو قائم بالقسط، والجميع مستسلمون لحكمه، قانتون له في جزائهم على أعمالهم، والمصائب التي تصيبهم في الدّنيا جزاء لهم. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩].

فهذه خمسة أنواع: قنوتهم لخلقه وحكمه وأمره قدرا، واعترافهم بربوبيّته، واضطرارهم إلى مسألته والرّغبة إليه، ودخولهم فيما يأمر به وإن كانوا كارهين، وجزاؤهم على أعمالهم<sup>(١)</sup>.

وقال الفيروز ابادي: القنوت ينقسم إلى أربعة أقسام: الصّلاة، وطول القيام، وإقامة الطّاعة، والسّكوت. روي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه كنّا نتكلّم في الصّلاة، يكلم أحدنا صاحبه في حاجته، حتّى نزلت: ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فأمرنا بالسّكوت، وسئل ابن عمر رضي الله عنهما عن القنوت، فقال: ما أعرف القنوت إلّا طول القيام، ثمّ قرأ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا ﴾ [الزمر: ٩]، وقال الرّجاج: المشهور في اللّغة أنّ القنوت الدّعاء، وأنّ القانت: الدّاعي<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموعة الرسائل لابن تيمية (٢/ ٢٥-٢٧).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٩٨).

للاستزادة: الخشوع- الرغبة- الصلاة- الضراعة- الطاعة- الإنابة- الرجاء- التوسل- الدعاء- الاستغاثة- الاستغفار- الإخبات- تذكّر الموت- الخوف- العبادة.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض- العصيان- اتباع الهوى- الإصرار على الذنب- التفريط والإفراط- الغفلة- طول الأمل- القنوط].

\*\*\*

### من فوائد (القنوت)

- (١) دليل على كمال الإيمان وسلامته من (٤) يثمر محبة الله وطاعته.  
الغوائل.  
(٢) طريق موصل إلى الجنة.  
(٣) يورث الخشية من الله ﷻ.  
(٤) يثمر محبة الله وطاعته.  
(٥) دليل صلاح العبد واستقامته.  
(٦) باب من أبواب اللجوء إلى الله.  
(٧) اتباع لطرق النبيين والصالحين.

### القوة والشدة

#### أولاً: القوة:

[القوة] لغة: اسم مأخوذ من مادة (ق وى) التي تدل كما يقول ابن فارس على معنيين: أحدهما على شدة وخلاف ضعف، والآخر القواء وهو الأرض الخربة<sup>(١)</sup>، والقوة هنا مأخوذة من المعنى الأول، والوصف من ذلك: القويّ خلاف الضعيف، وأصل ذلك من القوى التي هي جمع قوة من قوى الحبل، والمقوي: الذي أصحابه وإبله أقوياء، ورجل شديد القوى أي شديد أسر الخلق<sup>(٢)</sup>، وقال الراغب: القوة تستعمل تارة في معنى القدرة نحو قوله: ﴿خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣، ٩٣]، وتارة للتهيؤ الموجود في الشيء نحو أن يقال: النوى بالقوة نخل، أي متهيء ومترشح أن يكون منه ذلك، ويستعمل ذلك في البدن تارة وفي القلب أخرى، مثال الأول قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] فالقوة هنا قوة البدن ومثال الثاني قوله ﷻ: ﴿يَبْحَثُ خِذِ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] فالقوة هنا قوة البدن ومثال الثاني قوله ﷻ: ﴿يَبْحَثُ خِذِ الْكِتَابِ

(١) من هذا الأصل الآخر قولهم: القواء: الأرض التي لا أهل بها، والمقوي: الشخص، الذي لا زاد معه، انظر المقاييس (٥/ ٣٧).

(٢) المرجع السابق (٥/ ٣٦).

يَقْوَى ﴿مريم: ١٢﴾ أي بقوة قلب، وقد تستعمل القوة ويراد بها المعاون من خارج كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [هود: ٨٠] قيل معناه من أتقوى به من الجند أو من المال، وقد تستعمل في القدرة الإلهية نحو قوله - عز من قائل - ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥] <sup>(١)</sup>.

وقال الجوهري: القوة: خلاف الضعف، والقوة الطاقاة من الحبل وجمعها قوى (بالضم) وقوى (بالكسر)، يقال: قوي الضعيف قوة فهو قوي، وتقوى مثله، وقويته أنا تقوية <sup>(٢)</sup>، وقال ابن منظور: يقال: أقوى الحبل والوتر جعل بعض قواه أغلظ من بعض، وفي حديث ابن الديلمى: «ينقض الإسلام عروة عروة كما ينقض الحبل قوة قوة»، وقوله ﴿لِكَلِمَةٍ لَمْ يَنْسُخْ لَهَا آيَاتٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] قال الزجاج: أي خذها بقوة في دينك وحجتك. وقال ابن سيده: قوى الله ضعفك أي: أبدلك مكان الضعف قوة <sup>(٣)</sup>.

### القوة اصطلاحاً:

قال الجرجاني: القوة: هي تمكّن الحيوان (أي الكائن الحي) من الأفعال الشاقة، فإن كان الكائن نباتاً سميت قوته قوة طبيعية، وإن كان حيواناً سميت قوته قوة نفسانية وإن كان إنساناً سميت قوته قوة عقلية، والقوى العقلية باعتبار إدراكها للكليات تسمى القوة النظرية، وباعتبار استنباطها للصناعات الفكرية من أدلتها بالرأي تسمى القوة العملية <sup>(٤)</sup>.

وقال الراغب: القوة التي تستعمل للتهيؤ في البدن أو القلب يقال بها على وجهين: الأول: لما هو موجود ولكنه لا يستعمل، والآخر لمن يمكن أن يحصل منه الفعل. مثال الأول: فلان كاتب بالقوة لمن يعرف الكتابة، ولكنه لا يكتب، ومثال الثاني: فلان كاتب لمن يمكنه تعلم الكتابة <sup>(٥)</sup>.

### ثانياً: الشدة:

أصل الشدة: شدة العقد، وتدل أيضاً على القوة في الشيء، وفي البدن، وفي قوى النفس <sup>(٦)</sup>،

(١) المفردات للراغب (٤١٩).

(٢) الصحاح (٦ / ٢٤٧٠).

(٣) لسان العرب لابن منظور: (١٥ / ٢٠٧).

(٤) التعريفات للجرجاني (١٨٨)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢٧٦) وقد تصرفنا في العبارة تصرفاً يسيراً بأن وضعنا لفظ (الكائن) بدلا من النفس. وقد ذكر المؤلفان أنواعاً عديدة للقوة ليس هنا محل تفصيلها.

(٥) مفردات الراغب (٤١٩) بتصرف يسير.

(٦) مقاييس اللغة لابن فارس (٣ / ١٨٠)، والصحاح (٢ / ٤٥٣).

وقال ابن منظور: الشدة الصلابة وهي نقيض اللين وتكون في الجواهر والأعراض، وكل شيء أحكم فقد شد، وفي الحديث الشريف: «من يشاد هذا الدين يغلبه» أي يقاويه ويقاومه، ويكلف نفسه من العبادة فوق طاقته والشدة أيضا: النجدة وثبات القلب، وكل شجاع شديد<sup>(١)</sup>.

### الشدة اصطلاحاً:

لم تذكر كتب المصطلحات الشدة ضمن مصطلحاتها ويمكن في ضوء ما أورده اللغويون والمفسرون أن نعرفها بأنها: القوة الزائدة في ممارسة التعامل مع النفس أو مع الآخرين وهي حيث تد بمعنى التشدد الزائد في أداء الأعمال، وضدها الرفق واللين، وتقاربها الغلظة.

### حكم الشدة:

الشدة تطلب في موضعين هما:

١- عند التعامل مع الكفار مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ

رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

٢- عندما تنتهك حرمة الله تعالى أو تتعدى حدوده.

والشدة منهية عنها في موضعين أيضاً: الأول: في ممارسة العبادة، الآخر: في التعامل مع المسلمين.

[للاستزادة: انظر صفات: الرجولة- العزم والعزيمة- العفة- قوة الإرادة- كظم الغيظ- جهاد الأعداء- الثبات- النشاط- الشهامة- النبيل- علو الهمة- الشجاعة. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الضعف- الوهن- التخاذل- صغر الهمة- التولي- الجبن- الكسل- التهاون- التفريط والإفراط].

\*\*\*

### من فوائد (القوة والشدة)

(١) تثمر محبة الله ورضاه. (٣) صمام أمن للمجتمع من الأخطار

(٢) مظهر من مظاهر الرجولة الحقة. والأعداء.

(١) لسان العرب ٣/ ٢٣٢ (ط. بيروت) والنهاية لابن الأثير ٢/ ٤٥٢.

- (٤) صيانة للعرض والنفس والمال.  
 منها ردع لأمثالهم وتحقيق للسلام والأمن  
 بالمجتمع.
- (٥) الإعداد لها دليل وعي الأمة ويقظتها.
- (٦) الشدة في التعامل مع الكفار خير رادع لهم. (٨) النهي عن التشدد في العبادة فيه رحمة  
 بالنفس ورفق بها وهي دليل على سماحة  
 الإسلام وسموه.
- (٧) الشدة في التعامل مع المنتهكين لحدود الله

### قوة الإرادة

#### القوة لغة واصطلاحاً:

(انظر: صفة القوة).

أما الإرادة: فأصل الكلمة: رود (بفتحتين) بمعنى المشيئة والطلب والاختيار. والرود: المهلة في الشيء. وقالوا: رويدا أي مهلاً.

والإرادة في الأصل: قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل، وجعل اسماً لنزوع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه يفعل أو لا يفعل، وقد يستعمل مرّة في المبدأ، وهو نزوع النفس إلى الشيء، وتارة في المنتهى، وهو الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل. وقد تكون بحسب القوة التسخيرية والحسية، وقد تكون بمعنى القوة الاختيارية، والإرادة قد تكون محبة وغير محبة<sup>(١)</sup>.

#### الإرادة اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الإرادة: صفة توجب للحَيِّ حالاً يقع منه الفعل على وجه دون وجه، ولا تتعلّق إلا بمعدوم فإنّها صفة تخصّص أمراً بحصوله ووجوده. وقيل: الإرادة: ميل يعقب اعتقاد النفع<sup>(٢)</sup>.

#### قوة الإرادة اصطلاحاً:

لم تذكر كتب المصطلحات تعريفاً محدداً لهذا التركيب الإضافي (قوة الإرادة)، بيد أنه يمكن من خلال تعريف كلّ من عنصري التركيب (القوة والإرادة) أن نستنبط تعريفاً يجمع طرفيه فنقول: تهيؤ القلب والعقل بشدة وعزم لإحداث الفعل أو عدم إحداثه.

(١) الصحاح (٢/ ٤٧٨). واللسان (٣/ ١٧٧١ - ١٧٧٤). والمصباح المنير (٢٤٥).

(٢) التعريفات (١٥)، وقارن بـ «التوقيف» (٤٤).

مستويات الإرادة:

يقول الميداني: للإرادة مستويات ثلاثة<sup>(١)</sup>:

- ١- مستوى أدنى، وهو الذي يراد من لفظ الإرادة عند الإطلاق.
  - ٢- مستوى أوسط، وقد استعمل في الدلالة عليه (أيضا) لفظ العقل.
  - ٣- مستوى أعلى، ويمثّل الإرادة القويّة الحازمة الجازمة التي تواجه العقبات بالثبات والصمود، وهذا من شأنه أن ينهض بالإنسان إلى معالي الأمور ويوصله إلى مراتب الصّابرين المحسنين المجاهدين وأن يجعله في تنفيذ ما يريد من أهل العزم<sup>(٢)</sup>.
- ولقوة الإرادة أو العزم درجات أيضا إذ يتفاوت اولو العزم فيما بينهم، وقد يصل ذلك في درجاته العليا إلى تنفيذ المراد حتّى ولو اقترن به أشدّ الصّعوبات وأعظم الآلام<sup>(٣)</sup>.
- إنّ قوّة الإرادة تحتلّ المرتبة العليا في سلّم مستويات توجّه النّفس إلى الأعمال الإراديّة ويسبقها درجات خمس هي:

- ١- توجّه النّفس نحو الشّيء المراد. ٢- الرّغبة في حصول هذا الشّيء.
- ٣- الهَمّ بالتّنفيد. ٤- الإرادة الجازمة.
- ٥- تعقّل الشّيء المراد. ٦- العزم أو الإرادة القويّة<sup>(٤)</sup>.

### الإرادة القويّة أو الإلزام الخلقّي:

تشكّل الإرادة القويّة عنصرا مهمّا من عناصر الإلزام الخلقّي، ذلك أنّها تعبّر عن بواعث نفسيّة هي الحبّ أو البغض، وعلى أساس هذين الأمرين تكون خلقية السلوك قولا كان أو فعلا، وتمتدّ جذور هذه الإرادة في أعماق النّفس، ومن هنا يكون «فعل المأمور به صادرا عن هذه القوّة الإراديّة»، ولا يقف الأمر بالإرادة عند هذا الذي تتسم فيه بالعمق والقوّة والثبات في مجالي الفعل والترك، وإنّما تتقدّم خطوة أخرى لتعبّر عن مزيد من العمق والصّلابة حينما تتخذ لها مجالا يتمثّل

(١) انظر في تفصيل هذه الأنواع واستخداماتها في القرآن الكريم: الأخلاق الإسلامية لحسن حنكة الميداني (٢/ ١٢٨) وما بعدها.

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٨٢).

(٣) المرجع السابق (١/ ١١٤).

(٤) انظر تفصيل ذلك في: الأخلاق الإسلامية (١/ ١١٦).

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذا يصبح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صادرا عن المحبة والإرادة.

وهذا يؤكد حتمية الصدق النفسي والقناعة التامة في مجال الإرادة حتى تتأكد خلقية الفعل<sup>(١)</sup>.

### قوة الإرادة والتصدي لكيد الشيطان:

لقد توعد الشيطان بني آدم بالإغواء وبأن يترصد لهم عن الإيمان والطاعة، وقد أقسم بعزة الله تعالى أن يغويهم جميعا إلا المخلصين، وذلك قول الله تعالى: ﴿ قَالَ فِعْرَنُكَ لَأُعْوَينَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾<sup>(٨٢)</sup> إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿ [ص: ٨٢، ٨٣]. وقد ردّ عليه المولى ﷺ فقال: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢].

ولكي يحقق الشيطان هذه الغاية وضع خطة محكمة للإغواء كشفت عنها الآيات الكريمة قال: ﴿ فِيمَا أَعُوذُ بِكَ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾<sup>(١٦)</sup> ثُمَّ لَأَنْبِتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿ [الأعراف: ١٦، ١٧].

نحن إذن في صراع مع عدو لدود له أعوان من الإنس والجن، وإذا كانت له خطة محكمة للإيقاع بنا فعلينا أن نعد له العدة كي نكون من المخلصين الذين ينتصرون عليه بقوة إيمانهم، وأول خطوات هذه الخطة أن نتسلح بإرادة قوية وعزم إيماني لا يلين، ويصحب ذلك التزام صارم بأوامر الله ﷻ والابتعاد عن نواهيه حتى نستحق أن نكون من عباد الله المخلصين، وأعم عناصر هذه العبودية بعد الإيمان، التقوى واليقين ونهي النفس عن الهوى، أما الغاية أو الهدف النهائي من هذا الصراع الأبدي فهو الجنة وما فيها من رضوان الله تعالى.

### كيف نقوي إرادتنا؟

يستطيع ضعيف الإرادة أن يقويها بوسائل عديدة أهمها:

١ - تقوية عناصر الإيمان بالله، وبصفاته العظيمة، وبقضائه وقدره، وبحكمته العالية، وتقوية ما يقتضيه الإيمان من الثقة بالله، وصدق التوكل عليه، وحسن الظن به، فتقوية هذه العناصر تعتبر من الوسائل الجذرية لاكتساب فضيلة قوة الإرادة، فضعف الإرادة من عدم الثقة بالنفس. والثقة

(١) النظرية الخلقية عند ابن تيمية (١٧٤).

بالله مع صدق التوكّل عليه وحسن الظنّ به تمنح الإنسان ثقة بسداد ما بيّنه أمرا متوكّلا فيه على ربّه، وأملا بمعونة الله في تحقيق النتائج التي يريجوها، فتقوى بذلك إرادته.

٢- التدريب العمليّ على مقاومة أهواء النّفس ومخالفة شهواتها، كلّما ألحّت عليه بمطالبها.  
٣- ممارسة أنواع العبادات الإسلاميّة تعتبر من الوسائل لتقوية الإرادة الإنسانيّة. فتأدية عبادة الصّلاة بالتزام وانتظام وسيلة تقويّ الإرادة الإنسانيّة على مخالفة كثير من أهواء النّفس. وتأدية عبادة الصّوم بالتزام تامّ وسيلة أخرى تقويّ الإرادة الإنسانيّة ضدّ طائفة من أهواء النّفس. وهكذا سائر العبادات.

٤- والتزام طاعة الله في كلّ ما أمر به ونهى عنه من الوسائل النّاجعة في تقوية الإرادة<sup>(١)</sup>.  
٥- يستطيع المؤمن أن يقويّ إرادته بوسائل الذكر والوجل والاستعانة والاستخارة وتلاوة القرآن والتوكّل على الله ﷻ إذ يجعله ذلك في معية مولاه ويزيده أمانا ويقينا ويصير بذلك من المؤمنين حقّا. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].  
٦- وممّا يقويّ إرادة المؤمن في عمل الخير أن يضع دائما ابتغاء مرضاة الله ﷻ له هدفا وأن يعلم أنّ جائزته العظمى هي الجنّة وما أعدّ الله فيها للمتّقين، وأن يتذكّر دائما قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

٧- وممّا يزيد قوّة الإرادة فيما يتعلّق بالابتعاد عن المعاصي ويردع عن التّهاون والتكاسل في الطّاعات، يقين المؤمن بأنّ جزاء ذلك العصيان هو جهنّم وساءت مصيرا، وقد سجّل القرآن على لسان الرّسول- ولنا فيه الأسوة الحسنة-: ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام: ١٥]<sup>(٢)</sup>.

### مظاهر قوّة الإرادة:

لقوّة الإرادة مظاهر عديدة من أهمّها:

١- نهي النّفس عن الهوى والقدره على السّيطرة على النّفس الأمّارة بالسّوء وكبح جماح النّفس الغضبيّة والشّهويّة.

(١) الأخلاق الإسلاميّة (٢/ ١٢٧).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٣٢).

- ٢- الجدّ في الأمور والأخذ فيها بالحزم والنظام في الأعمال والبعد عن الفوضى .
- ٣- المبادرة بفعل الخير قبل وجود الموانع وينجم عن ذلك المسارعة إلى الخيرات .
- ٤- من ظواهر قوّة الإرادة التّفاؤل بالخير وصرف النّفس عن التّشاؤم .
- ٥- تلقّي الأحداث بالصّبر وعدم الحزن على ما فات وعدم التّطلّع إلى ما هو بعيد المنال مستحيل التّنفيد .
- ٦- امتلاك النّفس عند الغضب <sup>(١)</sup> وكبح جماحها عند اشتدادها في معاملة الغير <sup>(٢)</sup> .
- [للاستزادة: انظر صفات: العزم والعزيمة- علو الهمة. القوة- كظم الغيظ- الرجولة- المروءة- الشهامة- مجاهدة النفس- الصبر والمصابرة .
- وفي ضد ذلك: انظر صفات: التخاذل- التهاون صغر الهمة- الطيش- الكسل- اليأس].

\* \* \*

### من فوائد (قوة الإرادة)

- (١) تيسّر الصّعب وبها تتخطّى المشاق .
- (٢) دليل على قوّة النّفس وصدق العزيمة .
- (٣) تعين على أشرف العبادات وأشقّ الطّاعات .
- (٤) قوّة الإرادة تصنع العظام .
- (٥) تثمر صلابة الدّين وسعادة الدّنيا والآخرة .
- (٦) قوّة الإرادة تساعد على النّجاح في سائر الأعمال .
- (٧) قوّة الإرادة يحسن استخدام طاقاته .
- (٨) قوّة الإرادة تبعد صاحبها عن الفوضى وتؤدّي إلى سرعة إنجاز الأعمال .
- (٩) في الأخذ بقوّة الإرادة تأسّ بالنّبويّ ﷺ إذ كانت حياته ﷺ مع أصحابه حياة جدّ وحزم ونظام .

(١) انظر صفة «الغضب» ووسائل السيطرة عليها .

(٢) الأخلاق الإسلامية (٢/ ١٣٤ - ١٦٥) .

- (١٠) تؤدّي الإرادة القويّة إلى المسارعة في الخيرات.
- (١١) تؤدّي قوّة الإرادة بصاحبها إلى القناعة وعدم الأسى على ما يفوته.
- (١٢) قويّ الإرادة يستطيع أن يكبح غضبه ويسيّط عليه.
- (١٣) تؤدّي قوّة الإرادة بصاحبها إلى التّحمّل والصّبر والمثابرة وجعله معدوداً من أولى العزم.
- (١٤) يستطيع الإنسان بقوّة إرادته أن يعمر الكون فيصبح بذلك أهلاً للاستخلاف في الأرض، شريطة أن يستخدم هذه القوّة الإراديّة في طاعة الله ﷻ ولا تنحوبه في اتّجاه الفساد أو سفك الدّماء.

### كتمان السر

#### الكتمان لغة:

مصدر قولهم: كتم يكتم، كتما وكتمانا، وهو مأخوذ من مادّة (ك ت م) التي تدلّ على الإخفاء، ومن ذلك قولك: كتمت الحديث كتما وكتمانا، ويقال: ناقة كتوم: لا ترغو إذا ركبت، قوّة وصبرا، وسحاب مكيتم: لا رعد فيه، وخرز كتيم: لا ينضح الماء، وقوس كتوم لا ترنّ<sup>(١)</sup>، وقال الرّاعب: الكتمان: ستر الحديث، وكتمان الفضل هو كفران النّعمة، وقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، قال ابن عبّاس رضي الله عنه إنّ المشركين إذا رأوا أهل القيامة لا يدخل الجنّة إلّا من لم يكن مشركا، قالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] فتشهد عليهم جوارحهم، فحينئذ يودّون أن لم يكتموا الله حديثا.

وقال الحسن: في الآخرة مواقف، في بعضها يكتمون وفي بعضها لا يكتمون، وعن بعضهم: لا يكتمون الله حديثا: هو أن تنطق جوارحهم<sup>(٢)</sup>.

وقولهم: سرّ كاتم، أي مكتوم. ومكتم (بالتشديد) بولغ في كتمانها، واكتتمته مثل كتتمته، أمّا استكتتمته سرّي فمعناه: سألته أن يكتمه، وكاتمني سرّه: كتّمه عني، ورجل كتمة: إذا كان يكتّم

(١) مقاييس اللغة (٥ / ١٥٩).

(٢) المفردات (٤٢٦).

سرّه<sup>(١)</sup>، ورجل كاتم للسرّ وكتوم، والكتيم والكتوم القوس، وفي الحديث: «أنّه كان اسم قوس سيّدنا رسول الله ﷺ الكتوم» سمّيت به لانخفاض صوتها إذا رمي عنها، يقال: كتمت (القوس) كتوما، وكتمت المزايدة تكتم كتوما (أيضا) إذا ذهب سيلان الماء من مخارزها أوّل ما تسرّب<sup>(٢)</sup>، وقال الفيروز ابادي: يقال: كتم الشيء كتما وكتمانا، وكتّمه تكتيما، واكتّمه: أخفاه، قال زهير:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى، ومهما يكتّم الله يعلم  
يوخّر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجّل فينقم

وكتمان الحقّ في قوله تعالى: ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١] إنّما هو لليهود الذين كانوا يعرفون نعت النبي ﷺ وصفاته الواردة في التّوراة ويخفونها<sup>(٣)</sup>.

#### الكتمان اصطلاحا:

قال المناوي: الكتمان: هو ستر الحديث<sup>(٤)</sup>.

وقال الكفوي: الكتمان: الصبر في إمساك الضمير<sup>(٥)</sup>.

#### السّرّفة:

السّرّ في اللّغة: اسم لما يسرّ به الإنسان أي يكتّمه، وهو مأخوذ من مادّة (س ر ر) التي تدلّ على إخفاء الشيء<sup>(٦)</sup>، ومن ذلك السّرّ: خلاف الإعلان.

يقال: أسررت الشيء إسرا: خلاف أعلنته. ومن الباب: السّرّ وهو النّكاح، وسمّي بذلك لأنّه أمر لا يعلن به، ويقال: السّرسور: العالم الفطن، وأصله من السّرّ، كأنّه اطّلع على أسرار الأمور<sup>(٧)</sup>. وقال الرّاجب: الإسرا: خلاف الإعلان. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا تُبْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧].

(١) الصحاح (٥ / ٢٠١٨).

(٢) لسان العرب (كتم) (٣٨٢٢ - ٣٨٢٤)، ط. دار المعارف.

(٣) بتصرف عن: بصائر ذوي التمييز، (٤ / ٣٣٥).

(٤) التوقيف (٢٨٠).

(٥) الكلبيات (٥٦٠).

(٦) لهذه المادة معنى آخر هو: ما كان من خالص الشيء ومستقرّه، انظر مقاييس اللّغة (٣ / ٦٧).

(٧) المرجع السابق (٣ / ٦٧ - ٧٠).

ويقال: سارّه إذا أوصاه بأن يسرّه، وأسررت إلى فلان حديثاً: أفضيت إليه في خفية، وقول الله تعالى: ﴿تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ﴾ [المتحنة: ١] أي يطلعونهم على ما يسرون من مودّتهم، وقد فسّر بأنّ معناه: يظهرون، وهذا صحيح لأنّ الإسرار إلى الغير يقتضي إظهار ذلك لمن يفضى إليه بالسرّ، وإن كان يقتضي إخفاءه عن غيره، فإذا قولهم: أسررت إليه يقتضي من وجه الإظهار، ومن وجه الإخفاء، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٩].<sup>(١)</sup>

### السرّ اصطلاحاً:

قال الرّاعب: السرّ: هو الحديث المكتّم في النّفس.<sup>(٢)</sup>

### كتمان السرّ اصطلاحاً:

قال الجاحظ: ومنها<sup>(٣)</sup> كتمان السرّ وهذا الخلق مركّب من الوقار وأداء الأمانة، فإنّ إخراج السرّ من فضول الكلام وليس بوقور من تكلم بالفضول. وأيضا فكما أنّه من استودع مالا فأخرجه إلى غير مودعه فقد خفر الأمانة، كذلك من استودع سرا فأخرجه إلى غير صاحبه فقد خفر الأمانة، وكتمان السرّ محمود من جميع النّاس وخاصّة ممّن يصحب السّلطان فإنّ إخراج أسرارهم مع أنّه قبيح في نفسه يؤدّي إلى ضرر عظيم يدخل عليه من سلطانه.<sup>(٤)</sup>

### السرّ نوعان:

قال الرّاعب: السرّ ضربان: أحدهما ما يلقي الإنسان من حديث يستكتم، وذلك إمّا لفظاً كقولك لغيرك: اكنم ما أقول لك، وإمّا حالاً وهو أن يتحرّى القائل حال انفراده فيما يورده، أو يخفض صوته أو يخفيه عن مجالسيه. ولهذا قيل: إذا حدّثك الإنسان بحديث فالتفت فهو أمانة<sup>(٥)</sup>. والثاني: أن يكون حديثاً في نفسك بما تستقبح إشاعته أو شيئاً تريد فعله. وإلى الأوّل من ذلك أشار النّبّي ﷺ بقوله: «من أتى منكم من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله» وإلى الثاني أشار من قال: «من وهن الأمر إعلانه قبل إحكامه».

(١) المفردات (٢٢٨).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصبهاني (١٩٤).

(٣) أي من الأخلاق المحمودة.

(٤) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٢٥).

(٥) أي التفت المتكلم يرى أيسمعه أحد أم لا.

وكتمان النوع الأوّل من الوفاء ويختصّ بعامة الناس، والثاني من الحزم والاحتياط وهو مختصّ بالملوك وأصحاب السياسات. وإذاعة السرّ من قلة الصبر وضيق الصدر، وتوصف به ضعفة الرجال والصبيان والنساء، والسبب في أنه يصعب كتمان السرّ هو أن للإنسان قوتين: أخذة، ومعطية. وكتامهما تتشوّف إلى الفعل المختصّ بها، ولولا أن الله تعالى وكل المعطية بإظهار ما عندها لما أتاك بالأخبار من لم تزوده، فصارت هذه القوّة تتشوّف إلى فعلها الخاصّ بها. فعلى الإنسان أن يمسكها ولا يطلقها إلى حيث ما يجب إطلاقها، ولا يخدعك عن سرّك قول من قال: وأكتم السرّ فيه ضربة العنق. وقول من ينشدك:

ويكتم الأسرار حتّى كأنّه ليصونها عن أن تمرببأله

فذلك قول من يستنزلك عمّا في قلبك، فإذا استفرغ ما عندك لم يرع فيه حقك، فقد قيل: الصبر على القبض على الجمر أيسر من الصبر على كتمان السرّ. وما أصدق من أنبأ عن حقيقة حاله حيث قال له صديقه: أريد أن أفشي إليك سرّاً تحفظه عليّ فقال: لا أريد أن أؤدي قلبي بنجواك، وأجعل صدري خزانة شكواك، فيقلقني ما أقلقك، ويؤرّفني ما أرّقك فتبيت بإفشائه مستريحا ويبيت قلبي بحرّه جريحا.

وقد قيل: أكثر ما يستنزل الإنسان عن سرّه في ثلاثة مواضع: عند الاضطجاع على فراشه، وعند خلّوه بعرسه، وفي حال سكره، ومن حقّ من يسارر غيره أن يتجنّب المحافل لأمرين: أحدهما: الحذر من أن يساء به الظنّ:

فهذا يقول قدا اغتـابني وذا يـستريب، وذا يـتـهم

والثاني: أنه ربّما يتتبع بالفحص فيطلع على مراده. ولذلك قال النبي ﷺ «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث؛ فإنّ ذلك يحزنه»<sup>(١)</sup>.

### والكتمان نوعان أيضا:

الأوّل: الكتمان المحمود، وهو ضرب من الأمانة ونوع من الوفاء، وعلامة على الوقار، وهو كتمان سرّ الغير أو النفس وهو مناط هذه الصّفة ومعقدتها.

الآخر: الكتمان المذموم وهو على ضربين أيضا:

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب (٢٩٧).

أ- كتمان الشهادة: وقد ذمّه المولى ﷺ في قوله: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ عَنِ اللَّهِ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

وقال ﷺ أيضا: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠].

ب- كتمان ما أنزل الله: وقد أخذ المولى ﷺ العهد على الأنبياء والمرسلين بالألا يكتُموا ممّا أوحى عليهم شيئا، وتوعّد من يفعل ذلك بذلّ الدنيا وعذاب الآخرة فقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

وقد لعنهم المولى ﷺ في آية أخرى فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]. قال العزّ بن عبد السلام: وكتمان ذلك وسيلة إلى تضييع أحكام الله، وما يتعلّق بها من طاعة<sup>(١)</sup>.

### كتمان السرّ في القرآن الكريم:

ورد في الذّكر الحكيم كلّ من لفظي «السرّ» و «الكتمان» على حدته، ولكنّهما لم يردا معا بهذه الصّيغة «كتمان السرّ» بيد أنّ المعنى المقصود بكتمان السرّ قد ورد في آيات عديدة لاندراج هذه الصّفة في كلّ من الأمانة والوفاء من جهة، والوقار من جهة أخرى، وذلك أنّ نقيض هذه الصّفة وهو إفشاء السرّ (انظرها في الصّفات المنهي عنها) من قبيل اللّغو الذي أمرنا بالإعراض عنه، ومن ثمّ يكون الكتمان وقارا وإفشاء لغوا، ومن الواضح بمكان أنّ الذي يؤتمن على سرّ فيحافظ عليه يكون مؤدّيا للأمانة، وقد جاء في الحديث عن النبيّ ﷺ «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ التفت فهي أمانة».

ومن الوفاء أيضا أن يحافظ المسلم على سرّ أخيه فيكتمه وإلا كان غادرا، ومن حقّ المسلم على المسلم أن يكتّم عنه ما يكون قد وصل إليه من سرّه، خاصّة إذا كان قد تعهّد له بحفظ هذا السرّ وعدم إذاعته.

ومن هنا كان كتمان السرّ نوعا من الوفاء بالعهد، وقد قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ

كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

(١) انظر شجرة المعارف والأحوال للعزّ بن عبد السلام (٣١٢).

[للاستزادة: انظر صفات: الأمانة- الشرف- الصمت وحفظ اللسان- المروءة- النبيل.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: إفشاء السر- الخيانة- الفضح- الإساءة- الأذى].

\*\*\*

### من فوائد (كتمان السر)

- (١) به يتمكّن الإنسان من قضاء مصالحه، ولا (٥) يوثق صلة الإنسان بأخيه حين يحفظ يواجه بما يعوقه عنها. أسرار.
- (٢) كتمان السرّ لون من ألوان الأمانة، والأمانة (٦) حين يثق الإنسان بأنّ صاحبه يحفظ أسرار من علامات الإيمان. يمهّد ذلك له استشارته فيما لا يحبّ أن يطلع عليه الناس.
- (٣) كتمان السرّ لون من الوقار والاحتشام ودليل على الرّزانة والوقار. (٧) يؤدّي حفظ السرّ إلى توثيق عرى المحبّة بين الإنسان ومن يحفظ عليه سرّه.
- (٤) هو فضيلة إنسانيّة بها يرتقي المرء في درجات الكمال.

## الكرم

### الكرم لغة:

مصدر قولهم (كرم) فلان يكرم، وهو مأخوذ من مادّة (ك ر م) التي تدلّ على شرف في الشّيء في نفسه أو شرف في خلق من الأخلاق، يقال رجل كريم، وفرس كريم، ونبات كريم، أمّا الكرم في الخلق فهو الصّفوح عن ذنب المذنب، قال ابن قتيبة: الكريم: الصّفوح، والله تعالى هو الكريم الصّفوح عن ذنوب عباده المؤمنين.

وقال الجوهري: الكرم ضدّ اللّوم، وقد كرم الرّجل بالضمّ فهو كريم، وقوم كرام وكرماء، ونسوة كرائم، ويقال رجل كرم، وامرأة كرم ونسوة كرم والكرام بالضمّ مثل الكريم، فإذا أفرط في الكرم قيل كرام، وكارمت الرّجل إذا فاخرته في الكرم فكرمته أكرمها (بالضمّ) إذا غلبته فيه. وأكرمت الرّجل أكرمها وأصله أأكرمها مثل أأحرجه فحذفوا الهمزة الثانية استثقلاً، والتكريم: تكلف الكرم، قال الشاعر المتلمّس:

تكرم لتعتاد الجميل فلن ترى أكرم إلا بأن يتكرّم

ويقال (أيضا): أكرم الرجل إذا أتى بأولاد كرام، واستكرم: استحدث علقا كريما، والأكرومة من الكرم كالأعجوبة من العجب، (وقد يكون) التكريم والإكرام بمعنى، والاسم: الكرامة، واستكرم الشيء: طلبه كريما، أو وجده كذلك. والكريم: الذي كرم نفسه عن التدنس بشيء من مخالفة ربه. ويقال: هذا رجل كرم أبوه، وكرم أباه. وهو أيضا واسع الخلق.

وأرض مكرمة وكرم وكريمة: طيبة، والكريمان: الحجّ والجهاد. والإكرام والتكريم: أن يوصل إلى الإنسان نفع لا تلحقه فيه غضاضة، أو يوصل إليه شيء شريف. وقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، أي جعلهم كراما<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحا:

قال ابن مسكويه: الكرم إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر، الكثيرة النفع<sup>(٢)</sup>.

وقيل: هو التبرع بالمعروف قبل السؤال، والإطعام في المحل، والرأفة بالسائل مع بذل النائل.

وقيل هو: الإعطاء بالسهولة.

وقيل: الكرم هو إفادة ما ينبغي لا لغرض فمن يهب المال لغرض جلبا للنفع، أو خلاصا عن الذم، فليس بكريم. فالكريم من يوصل النفع بلا عوض<sup>(٣)</sup>.

### معنى اسم الله (الكريم):

قال أبو حامد الغزالي: والكريم من أسماء الله تعالى؛ هو الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى، وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى، وإذا جفى عاتب، ولا يضيع من لاذبه والتجأ. ويغنيه عن الوسائط والشفعاء، فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف، فهو الكريم المطلق وذلك لله ﷻ فقط. وقيل: الكريم: هو الكثير الخير، الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، وهو الكريم المطلق. والكريم: الجامع لأنواع الخير

(١) لسان العرب (٧/ ٣٦٨١-٣٦٨٤). وانظر الصحاح (٦/ ٢٠١٩-٢٠٢١). ومختار الصحاح (٥٦٨). وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٤٣). ومقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ١٧٢).

(٢) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه (٣٠).

(٣) التعريفات للجرجاني (١٨٤) والإحياء للغزالي (٣/ ٢٤٦)، التوقيف على مهمات التعاريف لابن المناوي (٢٨١).

والشرف والفضائل. والكريم اسم جامع لكل ما يحمد، فالله ﷻ كريم حميد الفعال وربّ العرش الكريم العظيم<sup>(١)</sup>.

### أنواع الكرم:

قال الكفوي: الكرم إن كان بمال فهو جود.

وإن كان بكفّ ضرر مع القدرة فهو عفو. وإن كان يبذل النفس فهو شجاعة<sup>(٢)</sup>.

### الكرم أخلاق محمودة وأفعال مشهودة:

قال الفيروزبادي رحمه الله: والكرم إذا وصف الله به فهو اسم لإحسانه وإنعامه، وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة.

التي تظهر منه، ولا يقال: هو كريم حتى يظهر منه ذلك. قال بعض العلماء: الكرم كالحريّة، إلا أنّ الحريّة قد تقال في المحاسن الصّغيرة والكبيرة، والكرم لا يقال إلا في الكبيرة؛ كإنفاق مال في تجهيز جيش الغزاة، وتحمل حمالة ترقاها دماء قوم. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، إنّما كان كذلك لأنّ الكرم الفعال المحمودة، وأكرمها ما يقصد به أشرف الوجوه، وأشرف الوجوه ما يقصد به وجه الله، فمن قصد به ذلك فهو التّقيّ. فإذا أكرم النّاس أنفاهم، وكلّ شيء يشرف في بابيه وصف بالكرم، نحو قوله تعالى: ﴿أَبْنَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧]، ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]<sup>(٣)</sup>.

### الفرق بين الكرم والجود:

قال الكفوي: الكرم يكون مسبوقاً باستحقاق السائل والسؤال منه.

والجود: صفة ذاتية للجواد ولا يستحق بالاستحقاق والسؤال، والجواد يطلق على الله تعالى دون السخّيّ.

وقال أبو هلال العسكري: الجود: كثرة العطاء من غير سؤال من قولك: جادت السماء إذا جاءت بمطر غزير، والله تعالى جواد لكثرة عطائه فيما تقتضيه الحكمة.

(١) لسان العرب (٧/ ٣٨٦١).

(٢) الكليات للكفوي (٥٣).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٤٣، ٣٤٤).

أما الكرم: فيتصرف على وجوه: منها: العزة، ومنها الفضل، ومنها الحسن، ومنها التفضيل، ومنها: السيادة، ويجوز أن يقال: الكرم هو إعطاء شيء عن طيب نفس قليلا كان أو كثيرا، والجود سعة العطاء سواء أكان عن طيب نفس أو لا، ويجوز أن يقال: الكرم هو إعطاء من يريد (المعطي) إكرامه وإعزازه، والجود قد يكون كذلك وقد لا يكون<sup>(١)</sup>.

### من معاني الكرم في القرآن الكريم:

- ١- الحسن، قال تعالى: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِنْدِ كَرِيمٍ﴾ [النمل: ٢٩].
  - ٢- السهل، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].
  - ٣- الكثير، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١].
  - ٤- العظيم، قال تعالى: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].
  - ٥- الفضل. ومنه قوله تعالى في (بني آدم): ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَنَا عَلَىٰ﴾ [الإسراء: ٦٢]. أي فضلت علي، وفيها<sup>(٢)</sup>: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].
  - ٦- الصّفوح، ومنه قوله تعالى في [الانفطار: ٦]: ﴿مَا عَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾<sup>(٣)</sup>.
- [للاستزادة: انظر صفات: الإنفاق - الإيثار - الجود - السخاء - المسارعة في الخيرات - تفريج الكربات - المواساة - الإحسان - الصدقة - كفالة اليتيم.
- وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأثرة - البخل الشح - الكنز - التفریط والإفراط].

\*\*\*

### من فوائد (الكرم)

- (١) من كمال الإيمان وحسن الإسلام. (٣) الكرامة في الدنيا ورفع الذكر في الآخرة.
- (٢) دليل حسن الظن بالله تعالى. (٤) الكرم محبوب من الخالق الكريم وقريب من الخلق أجمعين.

(١) الكلبيات للكفوي (٣٥٣)، والفروق اللغوية لأبي هلال (١٦٧، ١٦٨) بتصرف.

(٢) أي سورة الإسراء.

(٣) المفردات للراغب (٢٤٦) وبصائر ذوي التمييز (٤ / ٣٤٤، ٣٤٥)، ونزهة الأعين النواظر (٥٢١، ٥٢٢).

- (٥) الكريم قليل الأعداء والخصوم لأنّ خيرَه (١٠) هو صفة كمال في الإنسان.  
 منشور على العموم.  
 (١١) دليل زهد الإنسان في الدنيا.  
 (٦) الكريم نفعه متعدّد غير مقصور.  
 (١٢) هو موافق للفطرة الصّحيحة لذلك كان  
 (٧) حسن ثناء النَّاس عليه.  
 العرب يتمادحون به.  
 (٨) دليل عراقة الأصل.  
 (١٣) الكرم يزيد البركة في الرّزق والعمر.  
 (٩) يبعث على التّكافل الاجتماعيّ والتّواديّ بين النَّاس.

### كظم الغيظ

#### الكظم لغة:

مصدر قولهم كظم يكظم وهو مشتقّ من مادّة (ك ظ م)، التي تدلّ كما يقول ابن فارس على معنى واحد هو الإمساك والجمع للشّيء، ومن ذلك الكظم للغيظ الذي يعني: اجتراع الغيظ والإمساك عن إبدائه، وكأنّه يجمعه الكاظم في جوفه، والكظوم: السّكوت، والكظوم: إمساك البعير عن الجرّة، والكظم: مخرج النَّفس، لأنّه كأنّه منع نفسه أن يخرج، والكظائم خروق تحفر يجري فيها الماء من بئر إلى بئر، وإنّما سمّيت كظامة لإمساكها الماء، ويقال: كظمت الغيظ كظما وكظوما من باب ضرب، ومعناه: أمسكت على ما في نفسك منه على صفح أو غيظ. وكذلك معناه: تجرّعه واحتمل سببه وربّما قيل فيه كظمت على الغيظ، وكظمني الغيظ فأنا كظيم. ومكظوم، كما يقال: الغيظ مكظوم، وقوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] معناه: الحابسين الغيظ أي لا يجازون عليه<sup>(١)</sup>.

#### واصطلاحاً:

قال المناويّ: الكظم: الإمساك على ما في النَّفس من صفح أو غيظ<sup>(٢)</sup>.

#### الغيظ لغة:

مصدر قولهم: غاظه يغيظه، وهو مأخوذ من مادّة (غ ي ظ) التي تدلّ على معنى واحد هو

(١) لسان العرب (٧/ ٣٨٨٦-١٨٨٧). والصحاح (٥/ ٢٠٢٢-٢٠٢٣). والمصباح المنير (٥٣٤) ومقاييس اللغة (٥/ ١٨٤).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٨٢).

«كرب يلحق الإنسان من غيره» يقال: غاظني يغيظني، وقد غظتني يا هذا، ويقال في الوصف رجل غائظ.

وقال الجوهري: الغيظ: غضب كامن للعاجز، يقال غاظه فهو مغيظ، ولا يقال: أغازه. وقالت قتيلة بنت النضر:

ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق  
وجاء في اللسان: الغيظ: الغضب، وقيل هو أشد منه، وقيل: هو سورته وأوله، يقال: غاظه فاغتاظ، وغيظه فتغيظ، والتغيظ والاعتياظ، وفي حديث أم زرع: وغيظ جاريتها، لأنها ترى من حسنها ما يغيظها، وفي الحديث: أغيظ الأسماء عند الله رجل تسمى بـ«ملك الأملاك»<sup>(١)</sup>.

#### واصطلاحاً:

قال الكفوي: الغيظ تغير يلحق المغتاظ، وذلك لا يصح إلا على الأجسام كالضحك والبكاء ونحوهما<sup>(٢)</sup>.

وقال المناوي: الغيظ: أشد الغضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه، وقيل: هو الغضب المحيط بالكبد، وهو أشد الحنق<sup>(٣)</sup>.

#### كظم الغيظ اصطلاحاً:

لقد ذكرت كتب الاصطلاح كلاً من الغيظ والكظم على حدة، وقد تكفل المفسرون ببيان المراد من ذلك، فقال الطبري: الكاظمين الغيظ: يعني الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، يقال: كظم فلان غيظه: إذا تجرّعه فحفظ نفسه أن تمضي ما هي قادرة على إمضائه باستمكاتها ممن غاظها وانتصارها ممن ظلمها<sup>(٤)</sup>.

وقال النيسابوري: كظم غيظه: يعني: سكت عليه ولم يظهره لا بقول ولا بفعل، كأنه كتمه على امتلائه وردّه في جوفه، وكفّ غضبه (الشديد) عن الإمضاء، وهذا قسم من أقسام الصبر والحلم<sup>(٥)</sup>.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٤٠٥)، والصحاح (٣/ ١١٧٦).

(٢) الكليات للكفوي (٦٧١).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٨٢)، وفي المفردات للراغب (٣٦٩) «الغيظ: أشد غضب وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه».

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٦١).

(٥) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٧٥) (منشور بهامش الطبري).

وقال القرطبي: كظم الغيظ: رده في الجوف، والسكوت عليه وعدم إظهاره مع قدرة الكاظم على الإيقاع بعدوه<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عطية: كظم الغيظ: رده في الجوف إذا كاد أن يخرج من كثرتة فضبطه ومنعه<sup>(٢)</sup>.

### الفرق بين الغيظ والغضب:

قال القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (صاحب التفسير المشهور): الغيظ أصل الغضب، وكثيرا ما يتلازمان، ولذلك فسّر بعض الناس الغيظ بالغضب قال: وليس تحرير الأمر كذلك. بل الغيظ فعل النفس لا يظهر على الجوارح، والغضب حال لها معه ظهور في الجوارح وفعل ما لا بدّ، ولهذا جاز إسناد الغضب إلى الله تعالى، إذ هو عبارة عن أفعاله في المغضوب عليهم. ولا يسند إليه تعالى غيظ. والكظم من أعظم العبادة وجهاد النفس.

وقال الكفوي: الغضب إرادة الإضرار بالمغضوب عليه، والغيظ تغيير يلحق المغتاط، ولهذا لا يوصف الله تعالى بالغيظ.

وقال القرطبي: الغيظ أصل الغضب وكثيرا ما يتلازمان، لكن فرقان ما بينهما، أنّ الغيظ لا يظهر على الجوارح بخلاف الغضب فإنه يظهر في الجوارح، مع فعل ما ولا بدّ، ولهذا جاء إسناد الغضب إلى الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الحلم - الرفق - الصفح - العفو - اللين - قوة الإرادة - العزم والعزيمة - الرجولة - مجاهدة النفس - الصمت وحفظ اللسان.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الغضب - الحمق العنف - الطيش - البذاءة - الانتقام - العجلة - السفاهة].

\*\*\*

### من فوائد (كظم الغيظ)

(١) كظم الغيظ دليل قوة النفس وقهر شهوة الغضب.

(٢) كظم الغيظ دليل تقوى الله وإيثار وعده بالجنة.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤ / ١٣٣).

(٢) المحرر الوجيز (٣ / ٢٣٣).

(٣) المرجع السابق نفسه، والكليات للكفوي (٦٧١)، والجامع لأحكام القرآن (٤ / ١٣٣).

- (٣) كظم الغيظ يأمنه النَّاسُ فيألفونه ويقتربون منه ولا يتحاشونه.
- (٤) كظم الغيظ يشيع بين النَّاسِ جوَّ الصِّفاءِ والودادِ والحبِّ والإخاء.
- (٥) كظم الغيظ دليل الصِّبرِ والعفو.
- (٦) فيه عظم الثَّوابِ يومَ العرضِ على ربِّ الأربابِ.
- (٧) الجزء من جنس العمل، من ضيَّقَ على نفسه حين الغضب وسَّعَ اللهُ في ثوابه.
- (٨) من كظم غيظاً ملأ اللهُ قلبه رجاء يوم القيامة
- (٩) كظم الغيظ عاقبته سكن الإيمان في النَّفسِ.

### كفالة اليتيم

#### الكفالة لغة:

مصدر قولهم: كفل به يكفل كفالة، وهو مأخوذ من مادّة (ك ف ل) التي تدلّ على تضمّن الشيء للشيء. يقول ابن فارس: ومن الباب الكفيل وهو الضّامن، والكافل، وهو الذي يكفل إنساناً يعوله<sup>(١)</sup>، وقال صاحب البصائر: الكفالة: الضّمان.

يقال: هو كافيهِ وكافله، وهو يكفيني ويكفلني: أي يعولني وينفق عليّ، وأكفلته إياه وكفلته (بمعنى)، وهو كفيل بنفسه وبماله.. والكافل: العائل والضّامن<sup>(٢)</sup>، والكافل (أيضاً) الذي لا يأكل أو يصل الصّيام، والجمع كفل وكفلاء. يقال: كفل بالرجل يكفل كنصر ينصر، وكفل يكفل كضرب يضرب، وكفل يكفل ككرم يكرم، وكفل يكفل كعلم يعلم، والمصدر (من ذلك كلّه) كفلا وكفولة وكفالة<sup>(٣)</sup>. وقال الرّاعب: يقال: تكفّلت بكذا وكفلته إياه، وقد قرئت الآية الكريمة: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧] بالتّشديد «كفلها» وبالتّخفيف «كفلها»<sup>(٤)</sup> فمن شدّد فعلى معنى

(١) مقاييس اللغة ٥ / ١٨٧، والصّحاح (كفل).

(٢) بصائر ذوي التّمييز (٤ / ٣٠٦)، ويلاحظ هنا أن الفيروزآبادي قد جعل الكافل يشمل معنى الكفيل أيضاً وهو الضّامن، وذلك يختلف عما قال به الجوهري وابن فارس.

(٣) المرجع السابق نفسه، والصّفحة نفسها.

(٤) قرأ الكوفيون (حمزة - عاصم - الكسائي) بالتّشديد، وباقي السبعة (أبو عمرو وابن عامر ونافع وابن كثير) بالتّخفيف (البحر المحيط ٢ / ٤٦٠). وعلى قراءة التّخفيف (زكرياء) بالمد والرفع فاعل.

كفلها الله زكريّا (جعله كفيلا لها)، ومن خفف جعل الفعل لزكريّا والمعنى تضمّنها<sup>(١)</sup>، قال قتادة أي ضمّنها إليه، وقال أبو عبيدة: ضمن القيام بها، قال: ومن القبول الحسن والنّبات الحسن أن جعل الله تعالى كافلها والقيّم بأمرها وحفظها نبيا، قيل: وإتّما كفلها زكريّا لأنّ أمّها هلكت وكان أبوها قد هلك وهي في بطن أمّها<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن منظور: يقال: تكفّلت بالشيء ومعناه (كما قال ابن الأنباري) ألزمته نفسي وأزلت عنه الضّيعة والذهاب، وهو مأخوذ من الكفل، وهو ما يحفظ الرّكاب من خلفه، والكفل أيضا: النّصيب وهو مأخوذ من هذا، وفي حديث إبراهيم (النخعي): لا تشرب من ثلثة الإناء ولا عروته فإنّها كفل الشيطان أي مركبه لما يكون فيه من الأوساخ، والكفل من الرّجال: الذي يكون في مؤخّر الحرب وهمته في التّأخّر والفرار، والكفل (أيضا) الذي لا يثبت على ظهور الخيل وجمعه أكفال، والكفل كذلك الحظّ والضعف من الأجر أو الإثم<sup>(٣)</sup>، والكفل أيضا: المثل، وفي التّنزيل العزيز ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]؛ قيل معناه: يؤتكم ضعفين، وقيل مثلين، وقيل حظّين، قال القرطبي: أي مثلين من الأجر على إيمانكم بعيسى ومحمّد عليهما الصّلاة والسّلام، وتأويله يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي كما يحفظ الكفل الرّكاب، وقيل أجر الدّنيا والآخرة<sup>(٤)</sup>. وفي الحديث: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنّة، له ولغيره» الضّمير في له ولغيره راجع إلى الكافل أي أنّ اليتيم سواء كان الكافل من ذوي رحمه وأنسابه أو كان أجنبيّا لغيره، وقوله كهاتين إشارة إلى إصبعيه: السّبابة والوسطى<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك أيضا ما جاء في الحديث: «الرّابّ كافل» الرّابّ: زوج أمّ اليتيم لأنّه يكفل تربيته ويقوم بأمره مع أمّه<sup>(٦)</sup>، والمكفول من كفل في صغره ومن ذلك حديث وفد هوازن «وأنت خير المكفولين» يعني رسول الله ﷺ. قال ابن الأثير: المراد خير من كفل في صغره، وأرضع وربّي حتّى نشأ، وكان ﷺ مسترضعا في بني سعد<sup>(٧)</sup>.

(١) المفردات للراغب (٦٥٦).

(٢) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) لسان العرب (١١ / ٥٨٨ - ٥٨٩) ط. بيروت.

(٤) تفسير القرطبي (١٧ / ٢٦٦).

(٥) النهاية لابن الأثير (٤ / ١٩٢).

(٦) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٧) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

## اليتيم لغة:

اليتيم في اللغة اسم على وزن فعيل مأخوذ من قولهم: يتم الصبي يتم يتما ويتما، قال الجوهري: اليتيم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم، يقال أيتمت المرأة فهي مواتم أي صار أولادها أيتاما، وكل شيء مفرد يعز نظيره فهو يتيم، يقال: درة يتيمة (تنبهها على أنه قد انقطع مادتها التي خرجت منها، ويقال بيت يتيم تشبيها بالدرّة اليتيمة، وقولهم: يتمهم الله أي جعلهم أيتاما<sup>(١)</sup>)، قال الفند الزماني:

بـضرب فيه تـأييم وتيتيم وارنـان<sup>(٢)</sup>

وقال آخر يصف راميا أصاب أتاناً (الأتان أنثى الحمار) وأيتم أطفالها: فناط بها سهما شدادا غرارها... وأيتمت الأطفال منها وجوبها<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن منظور: اليتيم: الانفراد، واليتيم الفرد، واليتيم واليتيم فقدان الأب، ولا يقال لمن فقد الأم من الناس يتيم ولكن منقطع، وقيل يسمّى عجي، والذي فقد أبويه هو اللّطيم، وقال ابن خالويه: ينبغي أن يكون اليتيم في الطير من قبل الأب والأمّ معا لأنّهما كليهما يزقان فراخهما، وقال المفضل: أصل اليتيم الغفلة، وبه سمّي اليتيم يتيما لأنّه يتغافل عن برّه. وقال أبو عمرو: اليتيم: الإبطاء ومنه أخذ اليتيم لأنّ البرّ يبطن عنه، ويقال للمرأة يتيمة، ولا يزول عنها اسم اليتيم أبداً، وقال أبو عبيدة: تدعى يتيمة ما لم تتزوج فإذا تزوّجت زال عنها اسم اليتيم.

وأشد المفضل (الضبي):

أفاطم إنّي هالك فتشبتّي ولا تجزعي، كلّ النساء يتيم

وفي التنزيل العزيز ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢] سمّوا يتامى بعد أن أونس منهم الرشد<sup>(٤)</sup>، بالاسم الأوّل الذي كان لهم قبل إيناسه منهم<sup>(٥)</sup>. وقال ابن الأثير: وقد يطلق اليتيم على الرّجل والمرأة بعد البلوغ كما كانوا يسمّون النّبيّ ﷺ وهو كبير: يتيم أبي طالب، لأنّه ربّاه بعد موت أبيه،

(١) الصحاح (٥ / ٢٠٦٤).

(٢) التأييم: جعل المرأة أيّما والجمع أيامى: وهي من فقدت زوجها، والإرنان: صوت الشّهيق مع البكاء (انظر اللسان ١٣ / ١٨٦).

(٣) مقاييس اللغة (٦ / ١٥٤)، وبصائر ذوي التمييز (٥ / ٣٨٠).

(٤) يشير هنا إلى قوله سبحانه في نفس السورة في الآية السادسة ﴿فَإِن آتَسَّمْهُمْ فَتُلُوكُمْ مِمَّا آتَوْكُم مِّن بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَكُلُوا مِمَّا آتَوْكُم مِّن بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَأَكُلُوا مِمَّا آتَوْكُم مِّن بَيْنِ يَدَيْهِمْ﴾.

(٥) لسان العرب (١٢ / ٦٤٥).

ومن ذلك الحديث الشريف «تستأمر اليتيمة في نفسها، فإن سكتت فهو إذنها» أراد باليتيمة: البكر البالغة التي مات أبوها قبل بلوغها، فلزمها اسم اليتيم فدعيت به وهي بالغة مجازاً، وجاء في حديث الشعبي: أن امرأة جاءت إليه فقالت: إنني امرأة يتيمة، فضحك أصحابه، فقال: النساء كلهن يتامى أي ضعائف<sup>(١)</sup>.

وقد لخص التهانوي ما قيل في أصناف اليتيم عندما قال: اليتيم إنسان بلا أب، وحيوان بلا أم، وجوهر بلا نظير<sup>(٢)</sup>.

### كفالة اليتيم اصطلاحاً:

قال ابن حجر: كافل اليتيم: أي القيم بأمره ومصالحه<sup>(٣)</sup>، وقال صاحب القاموس الفقهي: كافل اليتيم: هو القائم بأمر اليتيم المرابي له<sup>(٤)</sup>، وإذا كان اليتيم شرعاً هو الصّغير الذي فقد أباه<sup>(٥)</sup>، فإن كفالة اليتيم حينئذ تكون: القيام بأمر الطفل الصّغير ورعاية مصالحه وتربيته والإحسان إليه حتى يبلغ مبلغ الرجال إن كان ذكراً أو تزوّج إن كان بنتاً.

### كفالة اليتيم ترقق القلب:

لقد كان عليه الصّلاة والسّلام في نور نبوته، وجلال رحمته يضمّ إصبعيه السّبابة والوسطى، ويقول: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين» ويقول: «امسح رأس اليتيم...». إنه إنسان مقرر يهرؤه فقد الحنان، امسح رأسه، اقترب منه، ابتسم له، طيب خاطره، أدخل البهجة على روحه الظّامئة، بكلمة، بلمسة، ببسمة، إن العلاقات الإنسانيّة تحقّق كلّ مجد لها حين تضفي على هذا اليتيم المحروم من حنانها ودفئها<sup>(٦)</sup>.

### محمد ﷺ خير المكفولين:

في سيرة المصطفى ﷺ ما تطيب به خواطر اليتامى في كلّ زمان ومكان فقد توفي والده قبل أن يولد ونشأ في كفالة جدّه عبد المطلب يلقي من الرّعاية والعناية ما يعوّضه عن فقد أبيه، يقول ابن

(١) النهاية لابن الأثير (٥ / ٢٩٢).

(٢) كشف اصطلاحات الفنون (٦ / ١٥٤٤)، وقد قمنا بترجمة عبارته من الفارسية إلى العربية (البركاوي).

(٣) فتح الباري (١٠ / ٤٥١).

(٤) القاموس الفقهي لسعدي أبو جيب (٣٢٢).

(٥) القاموس الفقهي لسعدي أبو جيب (٣٢٢)، ويقصد بالصّغير عدم بلوغ الحلم في الذكور وعدم الزواج في الإناث.

(٦) كما تحدث الرسول - للأستاذ خالد محمد خالد (٢ / ٢٠٤ - ٢٠٥).

إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مع جدّه عبد المطلب بن هاشم، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك، حتّى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له، قال: (ابن إسحاق): فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جفر، حتّى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه، ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى منهم ذلك: دعوا ابني، فوالله، إنّ له لشأنا، ثمّ يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده، ويسرّه ما يراه يصنع<sup>(١)</sup>. وبعد أن توفيّ عبد المطلب وعمره ﷺ قد جاوز الثماني سنوات بقليل، انتقلت كفالته - أخذًا بوصيّة جدّه - إلى عمّه الشقيق أبي طالب<sup>(٢)</sup>، فنهض أبو طالب بحقّ ابن أخيه على أكمل وجه وضمّه إلى ولده، وقدمه عليهم واختصّه بفضل احترام وتقدير، فكان لا ينام إلّا وهو إلى جواره ويصطحبه معه ما أمكته الصحبة<sup>(٣)</sup>.

لقد كانت العرب تعرف ذلك وتحدّث به، وتعرف من وفاء الرسول ﷺ لمن قام بكفالته ما جعل خطيب وفد هوازن يخاطبه مستشفعا في أموال هوازن ونسائها قائلا: يا رسول الله: إنّما في الحظائر عمّاتك وخالاتك وحواضنك اللّاتي كنّ يكفلنك... وأنت خير المكفولين. وما كان من رسول الله ﷺ إلّا أن وقّى لمن كفله وقام برعايته حقّ كافيته قائلا: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم»<sup>(٤)</sup>، وهكذا كان ﷺ مضرب المثل في الوفاء والعرفان بالجميل.

[للاستزادة: انظر صفات: الإنفاق - البر - التعاون على البر والتقوى - تكريم الإنسان - تفريج الكربات - المواساة - العطف - الكرم - الحنان - الشفقة.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: التخاذل - القسوة - الإعراض - التفريط والإفراط - التهاون - القسوة].

\*\*\*

### من فوائد (كفالة اليتيم)

(١) صحبة الرسول ﷺ في الجنّة، وكفى بذلك شرفا وفخرا.

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ١٩٤).

(٢) انظر: خاتم النبيين للشيخ أبي زهرة (١ / ١٦٦)، والرحيق المختوم للمباركفوري (٦٦)، وقارن بالمراجع التي ذكرت هناك.

(٣) المرجعان السابقان نفسيهما، والصفحات نفسها.

(٤) انظر قصة وفد هوازن وما كان من أمر رسول الله ﷺ معهم، سيرة ابن هشام (٤ / ١٢٨).

(٢) كفالة اليتيم صدقة يضاعف لها الأجر إن كانت على الأقرباء (أجر الصدقة وأجر القرابة).

(٣) كفالة اليتيم والإنفاق عليه دليل طبع سليم وفطرة نقيّة.

(٤) كفالة اليتيم والمسح على رأسه وتطيبب خاطره يرقق القلب ويزيل عنه القسوة.

(٥) كفالة اليتيم تعود على الكافل بالخير العميم في الدنيا فضلا عن الآخرة.

(٦) كفالة اليتيم تساهم في بناء مجتمع سليم خال من الحقد والكراهية، وتسوده روح المحبة والودّ.

(٧) في إكرام اليتيم والقيام بأمره إكرام لمن شارك رسول الله ﷺ في صفة اليتيم، وفي هذا دليل على محبته ﷺ.

(٨) كفالة اليتيم تزكي المال وتطهره وتجعله نعم الصّاحب للمسلم.

(٩) كفالة اليتيم من الأخلاق الحميدة التي أقرّها الإسلام وامتدح أهلها.

(١٠) كفالة اليتيم دليل على صلاح المرأة إذا مات زوجها فعالت أولادها وخيريتها في الدنيا وفوزها بالجنة ومصاحبة الرسول ﷺ في الآخرة.

(١١) في كفالة اليتيم بركة تحلّ على الكافل وتزيد من رزقه.

## الكلم الطيب

### الكلم لغة:

جمع كلمة<sup>(١)</sup>، وقيل: اسم جنس جمعي<sup>(٢)</sup>، واحده كلمة أمّا الكلام فهو اسم جنس إفرادي يقع على القليل والكثير، وكلّ ذلك مأخوذ من مادّة (ك ل م) التي تدلّ على معنيين أصليين:

الأوّل: نطق مفهم، والآخر: الجرح.

(١) ممّن قال بأنه جمع: الجوهري في الصحاح (٥ / ٢٠٢٣)، وابن فارس في المقاييس (٥ / ١٢١).

(٢) ممّن قال بأنه اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين واحده بالتاء غالباً ابن هشام في أوضح المسالك (١ / ١٢)، وابن عقيل في شرحه على الألفية (١ / ١٥)، والفرق بين اسم الجنس الجمعي والإفرادي أنّ الأول يدلّ على أكثر من اثنين، أمّا الآخر فقد يدلّ على القليل والكثير وذلك مثل ماء- ذهب- كلام... إلخ.

ومن الأوّل: الكلام، تقول: كلّمته تكليما، وهو كليمي إذا كلّمك أو كلّمته. قال ابن فارس: ثمّ يتّسعون فيسمّون اللفظة الواحدة المفهومة كلمة، والقصّة كلمة، والقصيصة بطولها كلمة، ويجمعون الكلمة كلمات وكلما، ومن الأصل الآخر قولهم: الكلم الجرح، والكلام الجراحات، وجمع الكلم كلوم، ورجل كليم (مجروح)، والجمع كلمى<sup>(١)</sup>.

وقد أرجع بعض العلماء معنى الكلام إلى معنى الجرح، وفي ذلك يقول ابن الجوزي: الكلام الذي هو قول من هذا (أي من معنى الجرح) وإنما سمّي بذلك لأنّه يشقّ الأسماع بوصوله إليها كما يشقّ الكلم الذي هو الجرح الجلد واللحم، وقيل: سمّي بذلك لتشقيقه المعاني المطلوبة من أنواع الخطاب وأقسامه<sup>(٢)</sup>. وقد جمع الرّاعب بين المعنيين (القول والجرح) في أمر واحد هو التأثير عندما قال: تدلّ المادّة على التأثير المدرك بإحدى الحاستين السّمع أو البصر، فالكلام والكلمة ونحوهما يدرك بحاسة السّمع والكلم أي الجرح يدرك بحاسة البصر<sup>(٣)</sup>.

وقال الجوهري: الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير، أمّا الكلم فلا يكون أقلّ من ثلاث كلمات، ولهذا قال سيويه: هذا باب علم ما الكلم من العربيّة<sup>(٤)</sup>، ولم يقل ما الكلام، فجاء بما لا يكون إلّا جمعا.

وحكى الفراء في الكلمة ثلاث لغات: كلمة (وهي لغة الحجاز) وكلمة (وهي لغة تميم)، وكلمة (لبعض العرب)، وذلك مثل كبد، وكبد وكبد، والفعل من ذلك: كلّمته تكليما وكلاما مثل: كذّبه تكذيبا وكذّابا، وتكلّمتم كلمة وبكلمة<sup>(٥)</sup>، وكالمتة إذا جاوبته، وتكالمتنا بعد التّهاجر. يقال: كانا متصارمين فأصبحا يتكلمان، وقولهم ما أجد متكلّما أي موضع كلام، والكلماني: المنطوق<sup>(٦)</sup>، وقد ذكر الفيروز آبادي للكلام معاني عديدة فالكلام (عنده): إمّا القول (مطلقا)، أو ما كان مكتفيا بنفسه (وهو الجملة)، أو الكلام: ما كان ألفاظا منظومة تحتها معان مجموعة<sup>(٧)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٥ / ١٢١).

(٢) نزهة الأعين النواظر (٥٢٣).

(٣) المفردات للراغب (٦٦) بتصرف يسير، وإلى مثل هذا ذهب الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز (٤ / ٣٧٦).

(٤) انظر الكتاب لسويوه - تحقيق عبد السلام هارون (١ / ٦).

(٥) يشير الجوهري بذلك إلى أنّ الفعل «تكلّم» يتعدّى بالباء وبنفسه.

(٦) الصحاح (٥ / ٢٠٢٣).

(٧) بتصرف عن بصائر ذوي التمييز (٤ / ٣٧٧).

وقد يستعمل الكلام في غير الإنسان كما في قول الشاعر:

فَصَبَّحْتَ وَالطَّيْرَ لَمْ تَكَلِّمْ جَابِيَةَ حَفَّتْ بِسَيْلِ مَفْعَمٍ

قال ابن منظور: وكان الكلام في هذا الاتساع محمول على القول، ألا ترى إلى قلّة الكلام وكثرة القول<sup>(١)</sup>، وقال أيضا: القرآن كلام الله، وكلم الله وكلماته وكلمته، وكلام الله لا يحدّ ولا يعدّ، وهو غير مخلوق، تعالى الله عمّا يقول المفترون علواً كبيراً<sup>(٢)</sup>، وكلمات الله الثّمات، قال ابن الأثير: قيل: المراد بها القرآن، وإتّما وصف كلامه بالتمام لأنّه لا يجوز في شيء من كلامه نقص أو عيب كما يكون في كلام الناس، وقيل معنى التّمام هنا أنّها تنفع المتعوّذ بها وتحفظه من الآفات وتكفيه، أمّا ما جاء في قوله: (سبحان الله عدد كلماته) فكلمات الله كلامه، وهو صفته، وصفاته تعالى لا تنحصر وذكر العدد هنا مبالغة في الكثرة، وقيل يحتمل أن يكون المراد عدد الأذكار، أو عدد الأجور على ذلك<sup>(٣)</sup>.

### لفظ الكلمات في القرآن الكريم:

ورد لفظ الكلمات في القرآن الكريم في سياقات عديدة ومعان مختلفة منها:

١ - الكلمات التي ابتلى الله تعالى بها إبراهيم عليه السلام، وهي الواردة في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقد اختلف المفسرون في المراد بها اختلافات كثيرة، فقيل المراد بها شرائع الإسلام، وهي ثلاثون سهماً، عشرة منها في سورة براءة [التوبة: ١١٢] وهي قوله ﴿كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ أَلْعَبِيدُونَ أَلْحَمِيدُونَ أَلْسَّخِرُونَ أَلرَّكَعُونَ أَلسَّجِدُونَ أَلْأَمْرُونَ بِأَلْمَعْرُوفِ وَأَلنَّاهُونَ عَنِ أَلْمُنْكَرِ وَأَلْحَافِظُونَ لِحُدُودِ أَللَّهِ وَبَشَرَ أَلْمُؤْمِنِينَ﴾، وعشرة في (الأحزاب) ﴿إِنَّ أَلْمُسْلِمِينَ وَأَلْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وعشرة في (المؤمنون) من أولها إلى قوله سبحانه ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [الآيات: ١ - ٩]. و ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ [المعارج: الآيات ٢٢ / ٣٤] من أول قوله ﴿إِلَّا أَلْمُصَلِّينَ﴾ إلى قوله ﴿يُحَافِظُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: ما ابتلى الله أحداً بهنّ فقام بها كلّها إلا إبراهيم عليه السلام، ابتلى بالإسلام فأتمّه فكتب الله له البراءة، وقال

(١) لسان العرب (١٢ / ٥٢٣).

(٢) النهاية (٤ / ١٩٩، ١ / ١٩٧).

(٣) المرجع السابق (٤ / ١٩٨).

بعضهم: الكلمات (هنا) ما أمر به أو نهي عنه، وقيل ابتلي بذبح ابنه، وقال بعضهم: ابتلي بأداء الرسالة، قال القرطبي - رحمه الله تعالى - والمعنى في ذلك متقارب<sup>(١)</sup>.

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: اختلف في تعيين الكلمات، فقال قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهما ابتلاه الله بالمناسك، وقيل بالطهارة: خمس في الرأس وخمس في الجسد، فأما التي في الرأس فهي قصّ الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس، وأما التي في الجسد فتقليم الأظافر، وحلق العانة، والختان، وشفط الإبطين، وغسل أثر البول والغائط بالماء (الاستنجاء)<sup>(٢)</sup>. وقيل غير ذلك<sup>(٣)</sup>.

٢- الكلمات التي تلقاها آدم من ربه، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، قال الزجاج: المراد - والله أعلم - اعتراف آدم وحواء بالذنب لأنهما قالوا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]<sup>(٤)</sup>. وقال الحسن: هي قوله: ألم تخلقني بيدك؟ ألم تسكنني جنتك؟ ألم تسجد لي ملائكتك؟ ألم تسبق رحمتك غضبك أرايت إن تبت كنت معيدي إلى الجنة؟ قال: نعم، وقيل هي الأمانة المعروضة على السموات والأرض<sup>(٥)</sup>. قال أبو حيان: ومعنى تلقي الكلمات: أخذها وقبولها، أو الفهم، أو الفطنة، أو الإلهام، أو التعلّم، أو العمل بها<sup>(٦)</sup>.

٣- الكلمات بمعنى القرآن ومنه قول الله تعالى [في الأعراف: ١٥٨] ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾<sup>(٧)</sup>.

٤- الكلمات بمعنى علم الله وعجائبه، ومن ذلك قوله سبحانه [في الكهف: ١٠٩] ﴿قَبْلَ أَنْ نَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) تفسير القرطبي (٢ / ٩)، وقد ذكر آراء أخرى، تنظر تفصيلاً في الموضوع المذكور.

(٢) اقتصر ابن منظور في اللسان (١٢ / ٥٢٤)؛ وابن الجوزي في نزهة الأعيان النواظر (٥٢٤) على هذه الخصال العشر في تفسير معنى الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم عليه السلام.

(٣) تفسير ابن كثير (١ / ١٧١).

(٤) لسان العرب (١٢ / ٥٢٤).

(٥) بصائر ذوي التمييز (٤ / ٣٧٨).

(٦) تفسير البحر المحيط (١ / ٣١٨)، وقد ذكر آراء عديدة في معنى «الكلمات» التي تلقاها آدم، تنظر هناك.

(٧) بصائر ذوي التمييز (٤ / ٥١٤).

(٨) المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

٥- الكلمات مرادها بها الدّين <sup>(١)</sup>، وذلك قوله ﷺ [في الأنعام: ١١٥] ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ <sup>(٢)</sup>.

٦- الكلمات مرادها بها الحجج، وذلك قوله تعالى: ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الشورى: ٢٤] <sup>(٣)</sup>.

### لفظ الكلمة في القرآن الكريم:

ذكر المفسّرون وعلماء الوجوه والنظائر للكلمة في القرآن الكريم معاني عديدة منها:

١- الكلمة يراد بها «لا إله إلا الله» وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَكَالِمَةٌ إِلَهًا هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠] <sup>(٤)</sup>.

٢- الكلمة يراد بها قول «كن» ومن ذلك قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَالِمَتُهُ﴾ [النساء: ١٧١] <sup>(٥)</sup>.

٣- الكلمة يراد بها القضية وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥]، قال الفيروزآبادي: وكلّ قضية تسمى كلمة سواء كان ذلك مقالا أو فعالا، وفي هذا إشارة إلى نحو قوله ﷺ: ﴿أَيُّومَ أَكَمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. وقيل: إشارة إلى ما قاله ﷺ: «أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اجْرِ بِمَا هُوَ كَاتِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، وقيل: الكلمة هي القرآن <sup>(٦)</sup>.

٤- الكلمة في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، هي قوله ﷺ: ﴿وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥] <sup>(٧)</sup>.

(١) نزهة الأعين النواظر (٥٢٥).

(٢) قال الفيروزآبادي: عنى بالكلمات هنا الآيات والمعجزات، ونبه بذلك إلى أن ما أرسل من الآيات تام وفيه بلاغ، وقيل ردّ لقولهم: ﴿أَنْتَ يَقْرَأُ بِغَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ﴾ [يونس: ١٥]. وقيل: أريد بها الأحكام (بصائر ذوي التمييز / ٤ / ٣٧٩-٣٧٨).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٤ / ٣٧٩).

(٤) نزهة الأعين النواظر (٥٢٥).

(٥) نزهة الأعين النواظر (٥٢٥).

(٦) بصائر ذوي التمييز (٤ / ٣٧٨).

(٧) المرجع السابق (٤ / ٣٧٩)، تفسير القرطبي (٧ / ٢٧٢).

٥- الكلمة في قوله سبحانه ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩] يراد بها قوله سبحانه ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: لولا الكلمة السابقة من الله وهو أنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجّة عليه والأجل المسمّى الذي ضربه الله لهؤلاء المكذّبين إلى مدّة معيّنة لجاءهم العذاب بغتة<sup>(١)</sup>.

### الكلم والكلام والكلمة اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الكلام: ما تضمّن كلمتين بالإسناد<sup>(٢)</sup> (أي إسناد إحداهما إلى الأخرى) وذلك كما في قولنا: الله رحيم.

والكلمة: هي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد<sup>(٣)</sup> (كقولنا: محمّد، أسد... إلخ). وقال المناوي: الكلام: إظهار ما في الباطن على الظاهر لمن يشهد ذلك الظاهر على نحو من أنحاء الإظهار، وهو في اصطلاح النحاة: المعنى المركّب الذي فيه الإسناد التام، وعبر عنه أيضاً بأنّه ما تضمّن من الكلام إسناداً مفيداً مقصوداً لذاته<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن الجوزي: الكلام عند النحويّين لا يطلق إلا على المفيد فإن أوقعوه على غير المفيد قيّدوه بصفة فقالوا: كلام مهمل، وكلام متروك... إلخ<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن عقيل: الكلام: هو اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها، ولا يتركب إلا من اسمين مثل: زيد قائم، أو اسم وفعل مثل قام زيد. وهو في اصطلاح اللغويّين: اسم لكل ما يتكلّم به مفيداً كان أو غير مفيد. والكلم: ما تركب من ثلاث كلمات فأكثر (سواء أفاد أو لم يفد)<sup>(٦)</sup>.

وقال الكفوي: الكلمة: تقع على واحد من الأنواع الثلاثة: الاسم والفعل والحرف وتقع على الألفاظ المنظومة والمعاني المجموعة، ولهذا استعملت في القضيّة والحكم والحجّة،

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٧٨)، وقال الفيروز آبادي: هذه الآية إشارة إلى ما سبق من حكمه الذي اقتضته كلمته وأنه لا تبديل لكلماته، انظر بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٧٩).

(٢) التعريفات (١٩٤).

(٣) السابق، الصفحة نفسها، وانظر التوقيف على مهمات التعاريف (٢٨٣).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٨٣).

(٥) نزهة الأعين النواظر (٥٢٣)، قال ابن الجوزي: أمّا عند أهل اللغة فإنهم يطلقونه على المفيد وعلى غير المفيد.

(٦) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١/ ١٤، ١٥).

وبجميع هذه المعاني ورد التنزيل<sup>(١)</sup>، ومن استعمالها في معنى الكلام ﴿وَكَلِمَةٌ أَلَّهِ هِيَ أَلْفَيْكَا﴾ [التوبة: ٤٠] أي كلامه، ومن ذلك ما جاء في الحديث: «الكلمة الطيبة صدقة» أي الكلام. والكلمة (أيضا) لفظ بالقوة أو بالفعل مستقل دالّ بجملته (أي بجملته حروفه) على معنى بالوضع<sup>(٢)</sup>.

والكلام: في اصطلاح الفقهاء: هو ما تركب من حرفين فصاعدا، وعلى ذلك فالحرف الواحد ليس بكلام فلا يفسد الصلاة، والحرفان يفسدانها ويشترط في الكلام القصد، ومن ثم لا يسمى ما ينطق به النائم والساهي وما تحكيه الحيوانات المعلمة كلاما<sup>(٣)</sup>. ثم قال - رحمه الله تعالى - والكلام في العرف: صوت مقتطع مفهوم يخرج من الفم، أمّا الكلام عند أهل الكلام (أي علماء التوحيد): ما يضادّ السكوت سواء كان مركبا أو لا، مفيدا فائدة تامّة أو لا<sup>(٤)</sup>، وهو عند أهل العروض: ما تضمّن كلمتين أو أكثر سواء حسن السكوت عليه أو لا، مع الدلالة على معنى صحيح.

أمّا الكلم: فهو جنس الكلمة وحقّه أن يقع على الكثير والقليل ولكن غلب على الكثير ولم يقع إلّا على ما فوق الاثنين<sup>(٥)</sup>.

وأمّا التكلّم: فهو استخراج اللفظ من العدم إلى الوجود ويعدّى بنفسه (فيقال: تكلمته)، وبالباء (فيقال تكلمت به)<sup>(٦)</sup>.

### القول والكلام واللفظ:

قال الكفوي: القول والكلام واللفظ من حيث أصل اللغة بمعنى (واحد) يطلق على كلّ حرف من حروف المعجم (أي حروف المباني مثل الضاد في ضرب مثلا) أو من حروف المعاني (مثل في ومن)، وعلى أكثر من ذلك مفيدا كان أو لا، لكنّ القول اشتهر في المفيد، بخلاف اللفظ،

(١) انظر معاني الكلمة في القرآن الكريم في الفقرة السابقة، ويضاف إليها ما ذكره الكفوي هنا من أن كلمة التقوى هي: «بسم الله الرحمن الرحيم» وأن الكلمة الباقية هي كلمة التوحيد. انظر الكليات للكفوي (٤ / ٩٨-٩٩).

(٢) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) الكليات للكفوي (٤ / ١٠٠) وقد أفاض جليله في الحديث عن نوعي الكلام: النفسي والحسي واختلاف علماء الكلام من معتزلة وغيرهم، واستقصاء ذلك ليس من أغراض هذه الموسوعة فلينظره هناك من أراد.

(٤) المرجع السابق (٤ / ١٠٢).

(٥) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) المرجع السابق (٢ / ١٠٧).

واشتهر الكلام في المركّب من جزءين فصاعداً، ولفظ القول يقع على الكلام التامّ وعلى الكلمة الواحدة على سبيل الحقيقة، ولفظ الكلمة مختصّ بالمفرد<sup>(١)</sup>. وقال ابن عقيل: القول يعمّ الجميع أي الكلمة والكلام والكلم<sup>(٢)</sup>. وقال أبو الفتح ابن جنّي: القول: كلّ ما مذل به اللسان تامّاً كان أو ناقصاً<sup>(٣)</sup>. وقال ابن الجوزي: القول والكلام واحد، قال: وقد فرّق قوم بين الكلام والقول فقالوا: كلّ كلام قول، وليس كلّ قول كلاماً، لأنّ الكلام ما أفاد والقول قد يفيد وقد لا يفيد وقد يطلق القول ويراد به الظنّ<sup>(٤)</sup>.

### لفظ القول في القرآن الكريم:

قال ابن الجوزي: ذكر بعض المفسّرين أنّ القول في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

أحدها: القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.

[الزمر: ١٧، ١٨]

الثاني: الشّهادتان، ومنه قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

الثالث: السّابق في العلم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣].

الرابع: العذاب، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٨٢].

الخامس: نفس القول (أي الكلام مطلقاً)، ومنه قوله عزّ ومن قائل: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩].

### الطيب لغة واصطلاحاً:

الطيب في اللّغة ضدّ الخبيث ويختلف في الاصطلاح باختلاف ما يوصف به، فإذا وصف به المولى ﷺ أريد أنّه منزّه عن النّقائص مقدّس عن الآفات والعيوب، وإذا وصف به العبد مطلقاً أريد به أنّه المتعرّي عن رذائل الخلق وقبائح الأعمال والمتحلّي بأضداد ذلك، وإذا وصف به

(١) الكليات (٤ / ١٨).

(٢) شرح ابن عقيل على الألفية (١ / ١٦).

(٣) الخصائص (١ / ١٧).

(٤) نزّهة الأعين النواظر (٤٨٧).

الأموال أريد به كونه حلالاً من خيار المال<sup>(١)</sup>، قلت: وهو إذا وصفت به الأقوال أريد به كونها ممّا يطيب به صاحبها أمام مولاه لكونها ذكراً أو دعاء أو تلاوة للقرآن أو ممّا يستطيعها سامعها لكونها تحيةً أو نحوها ممّا يسعد الخاطر ويجلب السرور.

### الكلم الطيب اصطلاحاً:

قال الكفوي: الكلم الطيب: هو الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هو: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»<sup>(٢)</sup>.

وقال القرطبي: الكلم الطيب هو التوحيد الصّادر عن عقيدة طيبة، وقيل هو التّحميد والتّمجيد وذكر الله ونحو ذلك<sup>(٣)</sup>.

ومن الكلم الطيب أيضاً حديث المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنّه يبلغ عن الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدعو إليه وقد قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣] وقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إمام الدّعاة إلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أقسم الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤتمن على الوحي وذو قوّة على تبليغ الرّسالة فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ [التكوير: ١٩-٢٢]. وقد دعا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن سمع قوله الكريم فبلّغه إلى غيره فقال: «نصّر الله امرأ سمع مقالتي فبلّغها» وقال أيضاً: «نصّر الله امرأ سمع منّا حديثاً، فحفظه حتّى يبلغه غيره»<sup>(٤)</sup>. وقد أوتي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوامع الكلم واختصرت له الحكمة اختصاراً<sup>(٥)</sup>.

أما الكلمة الطيبة: فهي قول «لا إله إلا الله» وقيل: الإيمان<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن كثير: الكلم الطيب: الذكر والتلاوة والدعاء<sup>(٧)</sup>.

(١) كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٢ / ٩٠٤).

(٢) الكليات للكفوي (٤ / ٩٩).

(٣) تفسير القرطبي (١٤ / ٣٢٩).

(٤) هذا أحد تفسيرين للآية الكريمة، وهناك تفسير آخر بأن المقصود بصاحب القول هو جبريل عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انظر في هذين الرأيين، تفسير

القرطبي ج ١٩ ص ٢٣٦، وقد ورد التفسيران أيضاً في الآية ٤٠ من سورة الحاقة، انظر المرجع السابق ١٨ / ٢٧٤.

(٥) انظر ذلك بتفصيل أكثر في فضائل أقواله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجزء الأول (المقدمة) ص ٣٩١

(٦) انظر هذين الحديثين في صفة التبليغ ج ٣ ص ٨٨٩، ص ٨٩٠ وقد ذكرنا تخريجهما هناك.

(٧) المرجع السابق (٩ / ٣٥٩).

(٨) تفسير ابن كثير (٣ / ٥٥٧).

أما الطَّيِّب من القول فقد قيل فيه إنَّه القرآن، وقيل لا إله إلا الله، وقيل الأذكار المشروعة<sup>(١)</sup>، ويؤخذ من تفسيره لآية [النور: ٢٦] ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ أن المراد الطَّيِّبات من القول للطَّيِّبين من الرِّجال والطَّيِّبون من الرِّجال للطَّيِّبات من القول، قال: نزلت في عائشة وأهل الإفك ووجهه أن الكلام القبيح أولى بأهل القبح من الناس والكلام الطَّيِّب أولى بالطَّيِّبين من الناس، فما نسبه أهل التفاق إلى عائشة من كلام (خبث) هم أولى به وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم<sup>(٢)</sup>.  
ونستطيع أن نستنبط من هذا التفسير أن المراد بالكلم الطَّيِّب أو القول الطَّيِّب: ما يطيب به خاطر المؤمن من تبرئة ساحته ودفع الرِّيبة عنه وأن هذا حقيق بالمؤمنين.

### أقسام الكلم الطيب:

ينقسم الكلم الطَّيِّب تبعاً لما جاء في التفسير إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الذِّكر والدِّعاء وقراءة القرآن في الدُّنيا، وتمجيد الله وتحميده وتسيِّحه في الآخرة.

الثاني: كلام النَّبِيِّ ﷺ وكلِّ كلام تضمَّن الدَّعوة إلى الله ﷻ سواء أكان ذلك القول قرآناً أو حديثاً.

الثالث: ذلك الكلام الذي يستطيه السَّامع، ويطيب به خاطره، وفي هذا المعنى فإنَّ القول أو الكلم قد يوصف بالحسن وبالمعروف وبالكرم ونحو ذلك من الأوصاف الحميدة<sup>(٣)</sup>.  
[للاستزادة: انظر صفات: إفشاء السلام - التفاؤل - تلاوة القرآن - الدعاء - الذكر - إقامة الشهادة - الأدب - الصدق - الرجاء - الاستغفار - الضراعة والتضرع - البشارة - القنوت.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: إفشاء السر - الإفك - البهتان - السخرية - الغيبة - الكذب - النميمة - السفاهة - التطير - شهادة الزور - البذاءة].

\*\*\*

(١) المرجع السابق (٣ / ٢٢٣)، وانطلاقاً من ذلك أطلق الإمام ابن القيم على كتابه في الأذكار «الوابل الصيب في الكلم الطيب».

(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ٢٨٨).

(٣) انظر في ذلك الآيات الواردة في الكلم الطَّيِّب معنى.

## من فوائد (الكلم الطيب)

أولاً: الكلم الطيب إن كان ذكراً أو دعاءً أو تلاوةً للقرآن له فوائد هذه الصفات مجتمعة، انظر فوائد هذه الصفات.

ثانياً: أمّا إذا كان الكلم الطيب قولاً تطيب به نفس سامعه فإنّ من فوائده:

(١) للكلم الطيب أجر الصدقة (انظر فوائد الصدقة).

(٢) يدخل صاحبه الجنة ويقيه من النار.

(٣) طيب الكلام شطر الإسلام.

(٤) لمن طاب كلامه عرف مخصوصة في الجنة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها.

(٥) الكلم الطيب يصعد إلى الله ﷻ خاصة مع العمل الصالح.

(٦) الكلم الطيب فيه أداء لحق المجالس.

(٧) الكلم الطيب يرفع درجات صاحبه.

(٨) الكلم الطيب مدعاة للتذكر والخشية.

(٩) الكلم الطيب يزيل العداوة ويحل محلها الصداقة الحميمة.

## اللين

## اللين لغة:

مصدر قولهم: لان يلين، وهو مأخوذ من مادة (ل ي ن) التي تدلّ على خلاف الخشونة، يقال: هو في ليان من عيشه أي نعمة، وفلان ملينة أي لين الجانب<sup>(١)</sup>، ويقال أيضاً: فلان لين، ولين مخفف منه، ولينت الشيء: صيرته لينا، ويقال فيه (كذلك) ألتته وألنته، والليان: الملاينة واللطف وهو الاسم من اللين، واستلان الشيء: عدّه لينا<sup>(٢)</sup>، أو رآه كذلك.

وقال ابن منظور: يقال في فعل الشيء اللين: لان الشيء يلين لينا وليانا، وفي الحديث: «يتلون

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ٥/٢٢٥.

(٢) الصحاح ٦/٢١٩٨.

كتاب الله لينا، أي سهلا على ألسنتهم<sup>(١)</sup>، وتقول العرب: فلان هيّن لينا، وهين لينا، بالتثقيف والتخفيف، وقولهم: أليّناء إنّما هو جمع لينا (بالتشديد)، وليس جمعا ل «لينا» بالتخفيف، لأنّ فعلا لا يجمع على أفعلاء<sup>(٢)</sup>.

وقول الله ﷻ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ فِعْلًا لَّيِّنًا لَّا يَجْعَلُ لَكُمْ فِيهَا آيَاتٍ كَثِيرًا لَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] معناه - كما يقول القرطبي: أنّه عليه الصّلاة والسّلام لما رفق بمن تولّى يوم أحد ولم يعنّفهم بين الرّبّ تعالى أنّه فعل ذلك بتوفيق الله تعالى إيّاه<sup>(٣)</sup>، والقول اللين في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] يراد به: الكلام الرقيق السهل، قال ابن كثير: الحاصل من أقوالهم في هذه الآية: أنّ دعوة موسى وهارون (لفرعون) تكون بكلام رقيق لين سهل رقيق ليكون (ذلك) أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع<sup>(٤)</sup>، أمّا لين الجلود والقلوب في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] ففيه إشارة إلى إذعانهم للحقّ وقبولهم له بعد تأييدهم منه وإنكارهم إيّاه<sup>(٥)</sup>، وقال ابن كثير: هذه صفة الأبرار عندما يسمعون كلام الجبار<sup>(٦)</sup>.

#### اللين اصطلاحاً:

لم تذكر كتب المصطلحات - التي وقفنا عليها - اللين مصطلحاً، وقد اكتفى اللغويون والمفسرون بذكر المعنى الاستعماليّ أو المعنى المراد، وقد ذكر الفيروزآبادي اللين - بحسب ما يتعلّق به - إمّا لين في الأجساد كلين الشّمع والحديد وغيرهما، وإمّا لين في المعاني، كلين الطّبع ولين القول<sup>(٧)</sup>.

وقال الرّاعب: اللين ضدّ الخشونة، ويستعمل ذلك في الأجسام ثمّ يستعار للخلق وغيره من المعاني، فيقال: فلان لين وفلان خشن، وكلّ واحد منهما يمدح به طوراً، ويذمّ به طوراً بحسب اختلاف المواقع<sup>(٨)</sup>.

(١) النهاية لابن الأثير ٤ / ٢٨٦.

(٢) لسان العرب (بتصرف يسير) ١٣ / ٢٩٤، ٢٩٥.

(٣) تفسير القرطبي ٤ / ٢٤٨.

(٤) تفسير ابن كثير ٣ / ١٦١.

(٥) المفردات للراغب ص ٤٥٧ (ت: كيلاني).

(٦) انظر نص كلام ابن كثير في قسم الآثار.

(٧) بصائر ذوي التمييز ٤ / ٤٧٢.

(٨) المفردات للراغب ص ٤٥٧.

وفي ضوء ذلك يمكننا أن نستخلص للّين بمعناه الأخلاقيّ تعريفًا اصطلاحياً فنقول:  
الّين: هو سهولة الانقياد للحقّ، والتلطّف في معاملة النّاس وعند التّحدّث إليهم.

### أقسام اللّين:

ينقسم اللّين بحسب ما يضاف إليه إلى:

١- لين القول، ويعني التلطّف في الحديث مع النّاس وأكثر ما يكون ذلك مرغوباً في مجال الدّعوة إلى الله ﷻ.

٢- لين القلب، ويعني رفقته وخشيته من الله ﷻ، وأكثر ما يكون ذلك عند سماع القرآن.

٣- لين المعاملة، ويعني الرّفق في معاملة المقصّرين والتماس العذر لهم وعدم تعنيفهم كما حدث من النّبِيِّ ﷺ يوم أحد، حيث لم يعنّف المقصّرين بتوفيق الله وبرحمة منه.

### الفرق بين اللّين والرفق:

كما يتّضح من أقسام اللّين فإنّ بين الرّفق واللّين عموماً وخصوصاً يتّفقان في مجال المعاملة، وينفرد اللّين بمجالى اللّسان والقلب، ومن ثمّ يكون اللّين أعمّ من الرّفق.

[للاستزادة: انظر صفات: الرحمة- الرفق- الشفقة- حسن المعاملة- حسن العشرة- الحنان- العطف- الرأفة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الغضب- العنف- القسوة- الجفاء- العبوس- سوء المعاملة].

\*\*\*

### من فوائد (اللّين)

- (١) اللّين من صفات المؤمنين البررة.
- (٢) اللّين أثر من آثار رحمة الله تعالى.
- (٣) اللّين في القول أدعى إلى الإجابة والقبول خاصة في مجال الدّعوة إلى الله ﷻ.
- (٤) اللّين في المعاملة يعطف قلوب النّاس ويجمعهم حول من يلين لهم.
- (٥) اللّين في القلب عند سماع آيات الله دليل على كمال الإيمان وقوة الإسلام.
- (٦) اللّين يورث الدّرجات العلى من الجنّة.
- (٧) لين المرء مع أخيه (في تسوية الصّف في الصّلاة) يسدّ فرجات الشّيطان ويساعد في تسوية الصّفوف.

(٨) اللين يباعد من النار في الآخرة، ومن الشرّ (١٠) اللين يجلب السّماحة والموادّة ويستدعي والعداوات في الدّنيا. رحمة الله.

(٩) اللين يورث المحبّة والتّعاطف بين الرّؤساء والمرؤسين ويجعلهم صفّا واحداً.

## مجاهدة النفس

### المجاهدة لغة:

مصدر جاهد يجاهد جهادا ومجاهدة، وهو مأخوذ من مادة (ج ه د) التي تدلّ على «المشقة» يقال: جهدت نفسي وأجهدت، والجهد الطّاقة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] ويقال: إنّ المجهود اللّبن الذي أخرج زبده، ولا يكاد ذلك يكون إلاّ بمشقة ونصب، وقال الجوهريّ: الجهد والجهد: الطّاقة، وقرئت الآية الكريمة بالوجهين: جُهِدَهُمْ وَجُهِدَهُمْ قال الفراء: الجهد بالضمّ الطّاقة، والجهد المشقة، يقال: جهد دابّته وأجهدها: إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها، وجهد الرّجل في كذا، أي جدّ فيه وبالغ، وجهد الرّجل فهو مجهود، من المشقة، يقال: أصابهم قحوط من المطر فجهدوا جهدا شديداً، وجاهد في سبيل الله مجاهدة وجاهداً، والاجتهاد والتّجاهد: بذل الوسع والمجهود.

وقال ابن منظور: الجهد والجهد: الطّاقة والمشقة وبذل الوسع مصدر من جهد، والمجاهدة مصدر جاهد.

والمجاهدة فطام النّفس عن الشّهوات، ونزع القلب عن الأمانى والشّهوات<sup>(١)</sup>.

### النفس لغة:

النّفس في اللّغة: الرّوح، يقال فرحت نفسه، والنّفس (أيضاً) الدّم، وذلك أنّه إذا فقد الدّم من الإنسان فقد نفسه. أو لأنّ النّفس تخرج بخروجه، يقال: سالت نفسه، وفي الحديث «ما ليس له نفس سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه».

والنّفس أيضاً الجسد، والنّفس العين، يقال: أصابت فلانا نفس، أي عين، والنّافس العائن، ونفس الشّيء عينه يؤكّد به، يقال رأيت فلانا نفسه.

(١) لسان العرب (٣/ ١٣٣ - ١٣٥). والصحاح (٢/ ٤٦٠). ومقاييس اللغة (١/ ٤٨٦).

والنفس بالتَّحريك واحد الأنفاس، وقد تنفَّس الرَّجُل وتنفَّس الصَّعداء، وتنفَّس الصَّبح، أي تبلَّج، ويقال: أنت في نفس من أمرك: أي في سعة، وشيء نفيس. أي يتنافس فيه ويرغب، وهذا أنفَس مالي أي أحبَّه وأكرمه عندي، ويقال: نفس الشيء نفاسة أي صار نفيسا، ونافست في الشيء منافسة ونفاسا، إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم، وتنافسوا فيه: أي رغبوا.

وقال ابن منظور: النفس في كلام العرب على ضربين: أحدهما: قولك خرجت نفس فلان أي روحه، وفي نفس فلان أن يفعل كذا، أي في روعه.

والآخر: جملة الشيء وحقيقته، تقول قتل فلان نفسه، وأهلك نفسه، أي أوقع الإهلاك بذاته كلَّها، وجمع النفس أنفَس (في القلَّة) ونفوس (في الكثرة)، قال ابن خالويه: النفس: الرُّوح، والنفس: ما يكون به التَّمييز، والنفس الدَّم، والنفس: الأخ، والنفس بمعنى عند، أمَّا النفس بمعنى الرُّوح، والنفس ما يكون به التَّمييز فشاهده قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، فالنفس هي التي تزول بزوال الحياة، والنفس الثانية هي التي تزول بزوال العقل، وأمَّا النفس بمعنى الدَّم فشاهده قول السَّموأل:

تسيل على حدِّ الطبَّات نفوسنا      وليست على غير الطبَّات تسيل

وأمَّا النفس بمعنى الأخ فشاهده قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾.

[النور: ٦١]

وقال ابن الأباري: النفس: الغيب، لأنَّ النفس لما كانت غائبة أوقعت على الغيب، كأنه قال: تعلم غيبي يا علام الغيوب.

والعرب قد تجعل النفس التي يحصل بها التَّمييز نفسين، وذلك أنَّ النفس قد تأمر بالشيء وتنهى عنه، وذلك عند الإقدام على أمر مكروه، فجعلوا التي تأمره نفسا، وجعلوا التي تنهاه كأنها نفس أخرى.

والنفس يعبر بها عن الإنسان جميعه، كقولهم عندي ثلاثة أنفس، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: لكلِّ إنسان نفسان: إحداهما نفس العقل الذي يكون به التَّمييز، والأخرى: نفس الرُّوح الذي به الحياة، وقال بعض اللُّغويين: النفس والرُّوح واحد، وقال آخرون: هما متغايران إذ النفس هي التي بها العقل، والرُّوح هي التي بها الحياة، وسميت النفس نفسا لتولد النفس منها واتصاله بها، كما سموا الرُّوح روحا لأنَّ الرُّوح موجود بها.

ومن معاني النَّفس أيضا: العظمة والكبر، والعزّة، والهمّة، وعين الشّيء وكنهه وجوهره، والأنفة، والعين (التي تصيب المعين أي من أصابته العين الحاسدة) (١).

### النفس اصطلاحا:

النَّفْس: هي الجوهر البخاريّ اللطيف الحامل لقوّة الحياة والحسّ والحركة الإراديّة (٢).

### أنواع النفس:

١- النفس الأمّارة: وهي التي تميل إلى الطّبيعة البدنيّة وتأمّر باللذات والشّهوات الحسيّة، وتجذب القلب إلى الجهة السّفليّة، فهي مأوى الشّرور، ومنبع الأخلاق الذميمة (وهذه هي النَّفس التي يجب مجاهدتها).

٢- النفس اللّوامة: وهي التي تنوّرت بنور القلب قدر ما تنبّهت به عن سنة الغفلة، وكلّما صدرت عنها سيئة بحكم جبلتها أخذت تلوم نفسها.

٣- النفس المطمئنة: وهي التي تمّ تنوّرها بنور القلب، حتّى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلّقت بالأخلاق الحميدة (٣).

وقال الجاحظ: وللنفس ثلاث قوى وهي تسمّى أيضا نفوسا، وهي: النَّفس الشّهوانيّة: ويشترك فيها الإنسان وسائر الحيوان.

النفس الغضبيّة: وهي أيضا قاسم مشترك بين الإنسان والحيوان.

النفس النّاطقة: وهي التي يتميّز بها الإنسان على سائر الحيوان (٤).

### مجاهدة النفس اصطلاحا:

محاربة النفس الأمّارة بالسّوء بتحميلها ما يشقّ عليها بما هو مطلوب في الشّرع (٥).

وقال المناوي: وقيل (المجاهدة) هي حمل النفس على المشاقّ البدنيّة ومخالفة الهوى،

(١) انظر الصحاح (٣/ ٩٨٤)، والمقاييس (٥/ ٤٦٠)، ولسان العرب (٦/ ٢٣٣-٢٣٧) ط. بيروت.

(٢) التعريفات للجرجاني (٢٦٢).

(٣) التعريفات (٢٦٣) (بإيجاز وتصرف يسير)، وهناك أقسام أخرى ذكرها الجرجاني إلا أنها لا تتعلق بما نحن فيه مثل النفس النباتية والإنسانية والناطقة الخ.

(٤) تهذيب الأخلاق للجاحظ (ص ١٥).

(٥) كتاب التعريفات (٢٠٤).

وقيل: هي بذل المستطاع في أمر المطاع (أي المولى ﷺ) (١).

### منزلة مجاهدة النفس:

قال ابن علان: المجاهدة: مفاعلة من الجهد:

أي الطّاقة، فإنّ الإنسان يجاهد نفسه باستعمالها فيما ينفعها حالا ومآلا، وهي تجاهده بما تركز إليه (٢).

قال ابن حجر رحمته في قوله - يعني البخاري - (باب من جاهد نفسه في طاعة الله ﷻ): يعني بيان فضل من جاهد، والمراد بالمجاهدة: كفّ النفس عن إرادتها من الشّغل بغير العبادة.

وقال ابن بطّال: جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]. ويقع بمنع النفس عن المعاصي، وبمنعها من الشّبّهات، وبمنعها من الإكثار من الشّهوات المباحة لتتوفّر لها في الآخرة. قلت: ولثلا يعتاد الإكثار فيألفه فيجرّه إلى الشّبّهات، فلا يأمن أن يقع في الحرام.

### كيفية المجاهدة:

وعن أبي عمرو بن بجيد: من كرم عليه دينه هانت عليه نفسه. قال القشيري: أصل مجاهدة النفس فطمها عن المألوفات، وحملها على غير هواها.

وللنفس صفتان: انهماك في الشّهوات، وامتناع عن الطّاعات، فالمجاهدة تقع بحسب ذلك. قال بعض الأئمة: جهاد النفس داخل في جهاد العدو، فإنّ الأعداء ثلاثة: رأسهم الشيطان، ثمّ النفس لأنّها تدعو إلى اللذات المفضية إلى الوقوع في الحرام الذي يسخط الرّب، والشيطان هو المعين لها على ذلك ويزينه لها. فمن خالف هوى نفسه قمع شيطانه، فمجاهدة نفسه حملها على اتّباع أوامر الله واجتناب نواهيه. وإذا قوي العبد على ذلك سهل عليه جهاد أعداء الدّين، فالأوّل: الجهاد الباطن والثاني: الجهاد الظّاهر. وجهاد النفس أربع مراتب: حملها على تعلّم أمور الدّين، ثمّ حملها على العمل بذلك، ثمّ حملها على تعليم من لا يعلم، ثمّ الدّعاء إلى توحيد الله، وقتال من خالف دينه وجحد نعمه. وأقوى المعين على جهاد النفس جهاد الشيطان بدفع ما يلقي إليه من الشّبّهة والشكّ، ثمّ تحسين ما نهي عنه من المحرّمات، ثمّ ما يفضي الإكثار منه إلى الوقوع في

(١) التوقيف (ص ٢٩٧)، وقد ذكر تعريفات أخرى أقرب إلى تجليات الصوفية.

(٢) دليل الفالحين (١ / ٣٠٢).

الشبهات، وتمام المجاهدة أن يكون متيقظاً لنفسه في جميع أحواله، فإنّه متى غفل عن ذلك استهواه شيطانه ونفسه إلى الوقوع في المنهيات وبالله التوفيق<sup>(١)</sup>.

وقال الغزالي رحمه الله: قد اتفق العلماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات. فالإيمان بهذا واجب. وأمّا علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فلا يدرك إلا بطريق الشرع. وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله. والأصل فيه أن يترك كلّ واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا، فالذي يفرح بالمال، أو بالجاه، أو بالقبول في الوعظ، أو بالعز في القضاء والولاية، أو بكثرة الأتباع في التدريس والإفادة، فينبغي أن يترك أولاً ما به فرحه، فإنّه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له: ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع، فكره ذلك وتألّم به فهو ممّن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها، وذلك مهلك في حقّه. ثمّ إذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس، ولينفرد بنفسه، وليراقب قلبه، حتّى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والفكر فيه. وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس، حتّى يقمع مادته مهما ظهر، فإن لكلّ وسوسة سبباً، ولا تزول إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة. وليلازم ذلك بقيّة العمر فليس للجهاد آخر إلا بالموت<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر رحمه الله في شرح المشكاة في شرح حديث ربيعة بن كعب عندما سأله النبي ﷺ عن المرافقة في الجنة: جاهد نفسه بكثرة سجوده حصلت له تلك الدرجة العلية التي لا مطمع في الوصول إليها إلا بمزيد الزلّفى عند الله في الدنيا بكثرة السجود المومئ إليه بقوله تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩] فكلّ سجدة فيها قرب مخصوص لتكفلها بالرقيّ إلى درجة من درجات القرب وهكذا حتّى ينتهي إلى درجة المرافقة لحبيبه ﷺ، فتتج من هذا الذي هو على منوال قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] أنّ القرب من رسول الله ﷺ لا يحصل إلا بالقرب من الله تعالى. وأنّ القرب من الله تعالى لا ينال إلا بالقرب من رسوله ﷺ. فالقربان متلازمان لا انفكاك لأحدهما عن الآخر البتّة. ومن ثمّ أوقع تعالى متابعة رسوله بين تلك المحبّتين ليعلمنا أنّ محبة العبد لله ومحبة للعبد متوقفتان على متابعة رسوله<sup>(٣)</sup>.

(١) فتح الباري (١١ / ٣٤٥ - ٣٤٦).

(٢) إحياء علوم الدين (٣ / ٦٧ - ٦٩).

(٣) دليل الفالحين (١ / ٣١٨).

**النفس التي يجب مجاهدتها:**

لا شك أنّ كلاً من النفس المطمئنة واللّوامة، لا يصدر عنهما إلا الأخلاق الحميدة، فعن النفس الأولى يكون اليقين والطمأنينة والخشوع والإخبات ونحو ذلك من الصفات الحميدة، أمّا النفس اللّوامة فإنّها مبعث التّوبة والاستغفار والإنابة ونحوها، ولا يتبقّى سوى النفس الأمارة بالسّوء، وهي منبع الشرور وأساس الأخلاق الذميمة من الحسد والكبر والغضب والعدوان ونحو ذلك.

أمّا إذا نظرنا إلى قوى النفس الغضبيّة والشّهوانيّة والنّاطقة، وهي كلّها تسمّى أيضاً نفوساً فإنّها جميعاً في حاجة إلى المجاهدة، لا أنّها جميعاً تؤثّر في الأخلاق، محمودها ومذمومها، فالنفس الشّهوانيّة قويّة جدّاً متى لم يقهرها الإنسان ويؤدّبها ملكته واستولت عليه وانتقاد لها فكان بالبهايم أشبه منه بالإنسان ومتى كان كذلك اتّصف بالفجور وغلب عليه اللّهو واللّعب وارتكب الفواحش.

أمّا النفس الغضبيّة فلا بدّ أيضاً من مجاهدتها وتملّكها وإلاّ كثر غضب الإنسان وظهر خرقه واشتدّ حقه ومال إلى الانتقام، وهذه كلّها أفعال تورّط صاحبها وتوقعه في المهاوي والمهلك إذ يغلب الحسد والطّيش والقحّة واللّجاج.

أمّا النفس النّاطقة وهي التي يكون بها الفكر والذكّر، وهذه صفات حميدة، ولكن لهذه النفس إلى جانب ذلك رذائل لا بدّ من مجاهدتها عليها، وهي الخبث والحيلة والملق والمكر والرياء ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.

**جهاد النفس يوصل إلى الأخلاق الحميدة:**

وجهاد النفس أساس كبير في تهيبّ الإنسان للخلافة في الأرض، وحتّى تطهر تلك النفس بالمجاهدة فإنّ لذلك أسبابه ودواعيه، يقول الرّاعب: والذي يطهر النفس: العلم والعبادات الموظّفة التي هي سبب الحياة الأخرويّة، كما أنّ الذي يطهر به البدن هو الماء الذي هو سبب الحياة الدنيويّة، ولذلك سمّاها: الحياة وسمّي ما أنزل الله تعالى في كتابه: الماء، فقال: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]. فسمّي العلم والعبادة حياة من حيث إنّ النفس متى فقدتها هلكت هلاك الأبد، كما قال في وصف الماء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

(١) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٢٠١٥) بتصرف واختصار.

وطهارة النَّفس تتحقَّق بإصلاح الفكر بالتعلُّم حتَّى يميز بين الحقِّ والباطل في الاعتقاد، وبين الصدق والكذب في المقال، وبين الجميل والقيح في الفعال، وإصلاح الشهوة بالعفة حتَّى تسلس بالوجود، والمواساة المحمودة بقدر الطَّاقة، وإصلاح الحميَّة بإسلاسهها حتَّى يحصل التَّحكُّم، وهو كفَّ النَّفس عن قضاء وطر الخوف وعن الحرص المذمومين، وبإصلاح هذه القوى الثلاث يحصل للنَّفس العدالة والإحسان<sup>(١)</sup>.

### مراتب مجاهدة النَّفس:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : جهاد النَّفس على أربع مراتب:

الأولى: مجاهدتها على تعلُّم الهدى ودين الحقِّ.

الثَّانية: مجاهدتها على العمل به (أي بالهدى ودين الحقِّ) بعد علمه.

الثَّالثة: مجاهدتها على الدَّعوة إلى الحقِّ.

الرَّابعة: مجاهدتها على الصَّبر على مشاقِّ الدَّعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمَّل ذلك كلُّه لله.

ثمَّ قال رحمته عقب ذلك: فإذا استكمل (المسلم) هذه المراتب الأربع صار من الرِّبَّانين، فإنَّ السَّلف مجمعون على أنَّ العالم لا يستحقُّ أن يسمَّى ربَّانياً حتَّى يعرف الحقَّ ويعمل به ويعلمه، فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السَّموات<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: محاسبة النفس - التواضع - جهاد الأعداء - العزم والعزيمة - كظم الغيظ - القوة والشدة - قوة الإرادة - الصبر والمصابرة الرجولة - التقوى - أكل الطيبات - المراقبة. وفي ضد ذلك: انظر صفات: اتباع الهوى - التفريط والإفراط - أكل الحرام - الغرور - الغلول - الكبر والعجب - التطفيف - الغش].

\*\*\*

(١) الذريعة للراغب (٣٨، ٤٨).

(٢) زاد المعاد (٣/ ١٠ - ١١) بتصرف.

## من فوائد (مجاهدة النفس)

- (١) إخضاع النفس والهوى لطاعة الله ﷻ.  
 (٢) إبعادها عن الشهوات وصد القلب عن التمني والتشهي.  
 (٣) تعود الصبر عند الشدائد على الطاعات وعن المعاصي.  
 (٤) طريق قويم يوصل إلى رضوان الله تعالى والجنة.  
 (٥) قمع للشيطان ووساوسه.  
 (٦) نهي النفس عن الهوى فيه خير الدنيا والآخرة.
- (٧) من جاهد نفسه وأدبها سما بين أقرانه وفي مجتمعه.  
 (٨) سوء الظن بالنفس يعين على محاسبتها، وتأديبها.  
 (٩) من يجاهد نفسه يمتلك ناصية الخير ويصبح حسن الأخلاق.  
 (١٠) تحقق إنكار الذات وتصفي الجماعة من الأثرة الضارة بالجماعة والمجتمع.

## محاسبة النفس

## المحاسبة لغة:

مصدر حاسب يحاسب، وهو مأخوذ من مادة (ح س ب) التي تدل على العد، تقول: حسبت الشيء أحسبه حسبا وحسابا، وحسابا وحسابة إذا عدته، والمعدود: محسوب وحسب أيضا والأخير فعل بمعنى مفعول، ومنه قولهم: ليكن عملك بحسب ذلك أي على قدره وعدده، وحاسبته من المحاسبة، واحتسبت عليه كذا: إذا أنكرته عليه، وشيء حساب أي كاف، ومنه قوله تعالى: ﴿عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦] أي كافيا، وقول الله تعالى: ﴿فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ [الطلاق: ٨]. إشارة إلى نحو ما روي «من نوقش في الحساب معذب» والحسيب والمحاسب: من يحاسبك، ثم عبر به عن المكافئ في الحساب. وفي قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢] أوجه عديدة منها: أنه يعطي المؤمن ولا يحاسبه عليه، ووجه ذلك أن المؤمن لا يأخذ من الدنيا إلا قدر ما يجب، وكما يجب، وفي وقت ما يجب، ولا ينفق إلا كذلك، ويحاسب نفسه فلا يحاسبه الله حسابا يضره كما روي: من حاسب نفسه في الدنيا لم يحاسبه الله يوم القيامة.

وقال ابن منظور: الحساب والمحاسبة: عدك الشيء، وحسب الشيء يحسبه، بالضم، حسبا وحسابا وحسابة: عدّه. وحاسبه: من المحاسبة. ورجل حاسب من قوم حسّب وحسّاب. وقوله تعالى: وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ، أي حسابه واقع لا محالة، وكلّ واقع فهو سريع، وسرعة حساب الله، أنّه لا يشغله حساب واحد عن محاسبة الآخر، وقوله ﷻ: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، أي كفى بك لنفسك محاسباً<sup>(١)</sup>.

### النفس لغة واصطلاحاً:

(انظر مجاهدة النفس).

### المحاسبة اصطلاحاً:

قال المناوي: المحاسبة: هي استيفاء الأعداد فيما للمرء أو عليه<sup>(٢)</sup>.

### محاسبة النفس اصطلاحاً:

قال الإمام الماوردي: محاسبة النفس: أن يتصفّح الإنسان في ليله ما صدر من أفعال نهاره فإن كان محموداً أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل<sup>(٣)</sup>.

### أهمية محاسبة النفس:

قال الغزالي رحمه الله: اعلم أنّ مطالب المتعاملين في التّجارات المشترّكين في البضائع عند المحاسبة سلامة الرّبح، وكما أنّ التّاجر يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتّى يتجر ثمّ يحاسبه، فكذلك العقل هو التّاجر في طريق الآخرة وإنّما مطلبه وربحه تزكية النّفس لأنّ بذلك فلاحها، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝١ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠] وإنّما فلاحها بالأعمال الصّالحة. والعقل يستعين بالنّفس في هذه التّجارة إذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكّيها كما يستعين التّاجر بشريكه وغلّامه الذي يتجر في ماله، وكما أنّ الشّريك يصير خصماً منازعاً يجاذبه في الرّبح فيحتاج إلى أن يشارطه أولاً ويراقبه ثانياً، ويحاسبه ثالثاً، ويعاقبه أو يعاتبه رابعاً؛ العقل يحتاج إلى مشاركة النّفس أولاً فيوظّف عليها الوظائف، ويشترط عليها الشّروط، ويرشدها إلى

(١) لسان العرب (١/ ٣١٣-٣١٤)، ومقاييس اللغة (٢/ ٥٩)، والصحاح (١/ ١١٠)، والمفردات (١١٧).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٩٨) وفي الأصل «فيما للمراد وعليه» وهو تصحيف واضح.

(٣) أدب الدنيا والدين (٣٤٢).

طريق الفلاح، ويجزم عليها الأمر بسلوك تلك الطرق، ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة، فإنه لو أهملها لم ير منها إلا الخيانة وتضييع رأس المال، كالعبد الخائن إذا خلا له الجو وانفرد بالمال. ثم بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها، ويطلبها بالوفاء بما شرط عليها، فإن هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى، وبلوغ سدرة المنتهى مع الأنبياء والشهداء، فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه في أرباح الدنيا مع أنها محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى، ثم كيفما كانت فمصيرها إلى التصرّم والانقضاء، ولا خير في خير لا يدوم، بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم، لأن الشر الذي لا يدوم إذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر، والخير الذي لا يدوم يبقى الأسف على انقطاعه دائما، وقد انقضى الخير. ولذلك قيل:

أشدّ الغمّ عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

فحتم على ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتّضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطواتها وخطواتها، فإن كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن يشتري بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد، فانقباض هذه الأنفاس - ضائعة أو مصروفة إلى ما يجلب الهلاك - خسران عظيم هائل، لا تسمح به نفس عاقل. فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصّبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لمشاركة النفس كما أن التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته. فيقول للنفس: مالي بضاعة إلا العمر، ومهما فني فقد فني رأس المال، ووقع اليأس من التجارة وطلب الربح، وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه، وأنسأ في أجلي وأنعم عليّ به، ولو توفاني لكنت أتمنى أن يرجعني إلى الدنيا يوما واحدا حتى أعمل فيه صالحا، فاحسبي أنك قد توفيت، ثم قد رددت فيّك ثم إياك أن تضييحي هذا اليوم، فإن كل نفس من الأنفاس جوهرة لها قيمة<sup>(١)</sup>.

### محاسبة النفس نوعان:

نوع قبل العمل، ونوع بعده.

فأما النوع الأوّل: فهو أن يقف عند أوّل همّه وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه.

(١) انظر إغاثة اللهفان لابن القيم (٩٧، ٩٨، ٩٩).

قال الحسن رحمته: رحم الله عبدا وقف عند همّه، فإن كان لله مضي، وإن كان لغيره تأخر.

النوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل، وهو ثلاثة أنواع:

أحدها: محاسبتها على طاعة قصّرت فيها من حقّ الله تعالى؛ فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي.

وحقّ الله تعالى في الطاعة ستّة أمور وهي: الإخلاص في العمل، والنصيحة لله فيه، ومتابعة الرسول فيه، وحصول المراقبة فيه، وشهود منّة الله عليه، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كلّه. فيحاسب نفسه: هل وفّى هذه المقامات حقّها، وهل أتى بها في هذه الطاعة.

الثاني: أن يحاسب نفسه على كلّ عمل كان تركه خيرا له من فعله.

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح، أو معتاد: لم فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ فيكون رابحا، أو أراد به الدنيا وعاجلها؛ فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به<sup>(١)</sup>.

وقال الغزالي في بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل: اعلم أنّ العبد كما يكون له وقت في أوّل النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التّوصية بالحقّ فينبغي أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها، كما يفعل التّجار في الدّنيا مع الشّركاء في آخر كلّ سنة أو شهر أو يوم، حرصا منهم على الدّنيا، وخوفا من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته! ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى إلّا أيّاما قلائل، فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلّق به خطر الشّقاوة والسّعادة أبد الآباد؟ ما هذه المساهلة إلّا عن الغفلة والخذلان وقلة التّوفيق - نعوذ بالله من ذلك-<sup>(٢)</sup>.

### أركان المحاسبة:

قال ابن القيم رحمته: قال صاحب المنازل: المحاسبة أركان ثلاثة:

أحدها: أن تقايس بين نعمتك وجنائتك يعنى أن تقايس بين ما من الله وما منك، فحيثنذ يظهر لك التّفاوت، ومعلوم أنّه ليس إلّا عفوه ورحمته، أو الهلاك والعطب وبهذه المقايسة تعلم حقيقة النفس وصفاتها وعظمة جلال الرّبوبيّة وتفرد الرّبّ بالكمال والإفضال وأنّ كلّ نعمة منه فضل،

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٣٩٤ - ٣٩٥).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٤٠٥).

وكلّ نعمة منه عدل. ثمّ تقايس بين الحسنات والسيئات، فتعلم بهذه المقايسة أيهما أكثر وأرجح قدرا وصفة.

وثاني هذه الأركان: أن تميّز ما للحقّ عليك من وجوب العبوديّة والتزام الطاعة واجتناب المعصية وبين مالك وما عليك، فالذي لك هو المباح الشرعيّ، فعليك حقّ ولك حقّ، فأدّ ما عليك يؤتّك مالك.

الثالث: أن تعرف أنّ كلّ طاعة رضيته منك فهي عليك، وكلّ معصية عيّرت بها أخاك فهي إليك؛ لأنّ رضاء العبد بطاعته دليل على حسن ظنّه بنفسه، وجهله بحقوق العبوديّة، وعدم عمله بما يستحقّه الرّبّ - جلّ جلاله - ويليق أن يعامل به<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: مجاهدة النفس - التقوى - المراقبة - الورع - الوقاية - الرجولة. وفي ضد ذلك: انظر صفات: اتباع الهوى - الإهمال - التفريط والإفراط - الغلول - التهاون].

\*\*\*

### من فوائد (محاسبة النفس)

- (١) تحقيق السعادة في الدارين. (٤) البعد عن مزلق الشيطان.  
 (٢) تثمر محبة الله ورضوانه. (٥) دليل على الخوف من الله، ومن خاف من  
 (٣) دليل على صلاح الإنسان. الله بلغ المنزلة.

### المحبة

#### المحبة لغة:

هي الاسم من الحبّ وكلاهما مأخوذ من مادّة (ح ب ب) التي تدلّ على اللزوم والثبات<sup>(٢)</sup>، قال ابن فارس: واشتقاق الحبّ والمحبة من أحبه إذا لزمه، والمحبة هو البعير الذي يجسر فيلزم مكانه، وقال الراغب: حبيت فلانا في الأصل بمعنى أصبت حبة قلبه، نحو: شغفته وكبدته وفأدته

(١) مدارج السالكين (١/ ١٩٠) بتصرف واختصار.

(٢) ولهذه المادة معنيان أصليان هما: الحبة من الشيء ذي الحب، والثاني: القصر (انظر في معاني المادة وأمثلةها مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٢٦).

(أي أصبت شغفته وكبده وفؤاده). وأما قولهم: أحببت فلانا فمعناه: جعلت قلبي معرضا لحبه واستعمل حبيب في موضع: أحببت، قال: والمحبة: إرادة ما تراه أو تظنه خيرا، والاستحباب أن يتحرى الإنسان في الشيء أن يحبه كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٨] ومحبة الله تعالى للعبد: إنعامه عليه ومحبة العبد له طلب الزلفى إليه.

وقال الجوهري: والحب: المحبة وكذلك الحب بالكسر، والحب أيضا: الحبيب، وتقول: ما كنت حبيبا، ولقد حبيت بالكسر: أي صرت حبيبا، وحب بفلان معناه: ما أحبه إليّ، وأصله حب بضم الباء ومن ذلك قولهم حبذا زيد، فحب أصله حب وذا فاعله، وقد جعلنا شيئا واحدا بمنزلة اسم يرفع ما بعده، وزيد خبره، وتحابوا: أحب بعضهم بعضا، وتحبب إليه: تودد، وقال ابن منظور: الحب: الوداد.

والمحبة والحب: نقيض البغض. وكذلك الحب بالكسر ويقال للمحبوب. وأحبه فهو محب، وهو محبوب على غير قياس، وقد قيل: محب على القياس. قال الأزهري: وحب يحبه بالكسر، فهو محبوب. قال الجوهري: وهذا شاذ. وحكى سيبويه: حبيته وأحبيته بمعنى. قال: أبو زيد: أحبه الله فهو محبوب. واستحبه كأحبه والاستحباب كالأستحسان. والمحبة: اسم للحب.

وتحبب إليه تودد. والأنثى: حبة، ومنه حديث فاطمة رضوان الله عليها، قال لها رسول الله ﷺ، عن عائشة: «إنها حبة أبيك». وجمع الحب: أحباب وحبان، والحبيب والحباب بالضم: الحب والأنثى بالهاء. وحبب إليه الأمر: جعله يحبه. وهم يتحابون: أي يحب بعضهم بعضا. والتحبب: إظهار الحب.

وحبان وحبان: اسمان موضوعان من الحب. والمحبة والمحبوبة جميعا: من أسماء مدينة النبي ﷺ لحب النبي ﷺ وأصحابه إياها<sup>(١)</sup>.

### المحبة اصطلاحاً:

قال الراغب: المحبة ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرا، وذلك ضربان: أحدهما طبعي وذلك يكون في الإنسان والحيوان، وقد يكون في الجمادات، والآخر اختياري ويختص به الإنسان<sup>(٢)</sup>.

(١) لسان العرب (١/ ٢٨٩-٢٩٠). والمصباح المنير (١/ ١٢٧). وانظر مختار الصحاح (١١٩)، المقاييس (٢/ ٢٦)،

والمفردات للراغب (١٠٥). والصحاح للجوهري (١/ ١٠٦).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٦٣).

وقال الكفوي: المحبة إفراط الرضا، وهو قسمان: قسم يكون لكل مكلف، وهو ما لا بد منه في الإيمان، وحقيقته قبول ما يرد من قبل الله من غير اعتراض على حكمه وتقديره، وقسم لا يكون إلا لأرباب المقامات وحقيقته ابتهاج القلب وسروره بالمقضي، والرضا فوق التوكل لأنه المحبة في الجملة<sup>(١)</sup>.

والمحبة الميل إلى ما يوافق المحب، وقد تكون بحواسه كحسن الصورة، أو بفعله إما لذاته كالفضل والكمال، وإما لإحسانه كجلب نفع أو دفع ضرر. انتهى ملخصاً قاله النووي ونقله عنه ابن حجر في الفتح<sup>(٢)</sup>.

#### أنواع المحبة (بحسب المحبين):

المحبة ضربان: طبعي واختياري، وهذا الأخير على أربعة أضرب.

الأول: ما كان للشهوة، وأكثر ما يكون بين الأحداث.

الثاني: ما كان للمنفعة، ومن ذلك ما يكون بين التجار وأصحاب الصناعات والمذاهب.

الثالث: ما كان مركباً من الضربين، وذلك كمن يحب غيره لنفع، وذلك الغير يحبه للشهوة.

الرابع: ما كان للفضيلة كمحبة المتعلم للعالم وهي المحبة الباقية على مرور الأوقات، أما الثلاثة الأول فقد تطول مدتها وقد تقصر<sup>(٣)</sup>.

#### أنواع المحبة (بحسب المحبوبين):

للمحبة بحسب من نحبههم أنواع ثلاثة هي:

محبة الله تعالى ومحبة الرسول ﷺ ومحبة الخلق.

أولاً: محبة الله تعالى:

هي أن تهب كلك لمن أحببت. فلا يبقى لك منك شيء. والمراد: أن تهب إرادتك وعزمك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه، وتجعلها حسبا في مرضاته ومحابه. فلا تأخذ لنفسك منها إلا ما أعطاك، فتأخذه منه له<sup>(٤)</sup>.

(١) الكليات للكفوي (٤٧٨).

(٢) فتح الباري (١ / ٧٤).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٦٣).

(٤) تهذيب مدارج السالكين (٥١٢).

معقد نسبة العبودية:

ومعقد نسبة العبودية لله تعالى هو المحبة.

فالعبودية معقودة بها، بحيث متى انحلت المحبة انحلت العبودية. والله أعلم. وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال. التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه. تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة. إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب. وقد قضى الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة: أن المرء مع من أحب. فيالها من نعمة على المحبين سابعة. تالله لقد سبق القوم السعاة، وهم على ظهير الفرش نائمون. وقد تقدموا الركب بمراحل، وهم في سيرهم واقفون.

من لي بمثل سيرك المدلل تمشي رويداً وتجي في الأول  
أجابوا منادي الشوق إذ نادى بهم: حيّ على الفلاح. وبذلوا نفوسهم في طلب الوصول إلى  
محبوبهم. تالله لقد حمدوا عند الوصول سراهم<sup>(١)</sup>.

وشكروا مولاهم على ما أعطاهم. وإنما يحمد القوم السرى عند الصباح.

إقامة البيّنة: لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البيّنة على صحّة الدعوى. فلو يعطى  
الناس بدعواهم لادعى الخلي<sup>(٢)</sup> حرقه الشجّي<sup>(٣)</sup>. فتنوع المدعون في الشهود. فقيل: لا تقبل هذه  
الدعوى إلاّ بيّنة ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. فتأخر الخلق كلّهم.  
وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه. فطولبوا بعدالة البيّنة بتزكية ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]. فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون، فقيل لهم: إنّ نفوس  
المحبين وأموالهم ليست لهم. فهلّموا إلى بيعة ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ  
بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]. فلما عرفوا عظمة المشتري، وفضل الثمن، وجلالة من جرى  
على يديه عقد التبائع: عرفوا قدر السلعة، وأن لها شأنًا. فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره

(١) سراهم: مسيرهم إلى آخر الليل أي في وقت السرى.

(٢) الخلي: يقال رجل خليّ لا زوجة له وامرأة خلية لا زوج لها.

(٣) الشجّي: الحزين يقال: أشجاه الشيء أغصه، ورجل شج: حزين، والشجّي - بتخفيف الياء - هو الذي أصابه الشجّي وهو الغصص، وأما الحزين فهو الشجّي - بتشديد الياء. ومعنى المثل: ويل للمحب من عاذله.

بثمن بخس. فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي، من غير ثبوت خيار. وقالوا: «والله لا نقيلك ولا نستقيلك». فلما تمّ العقد وسلّموا المبيع، قيل لهم: مذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت، وأضعافها معها ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [١٣١] فَرِحِينَ بِمَاءِ آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. ﴿ إذا غرست شجرة المحبة في القلب، وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب أثمرت أنواع الثمار. وآتت أكلها كل حين بإذن ربها.

أصلها ثابت في قرار القلب. وفرعها متصل بسدره المنتهى. لا يزال سعي المحب صاعداً إلى حبيبه لا يحجبه دونه شيء ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: ١٠]. وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها، وعلاماتها وشواهداها، وثمراتها وأحكامها. فحدودهم ورسومهم دارت على هذه السنة. وتنوعت بهم العبارات. وكثرت الإشارات، بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله، وملكه للعبارة.

الأسباب الجالبة لمحبة الله والموجبة لها: وهي عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.

فإنها توصله إلى درجة المحبوبة بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال: باللسان والقلب، والعمل والحال. فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إثارة محابه على محابك عند غلبات الهوى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها. وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومبانيها. فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: أحبه لا محالة.

السادس: مشاهدة برّه وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة. فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبها، انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى. وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه. ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحييين الصادقين، والتقاط أطيب ثمرات كلامهم كما تنتقى أطيب الثمر. ولا تتكلم إلا إذا ترجّحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدا لحالك، ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله ﷻ والكلام في هذه المنزلة معلّق بطرفين: طرف محبة العبد لربه، وطرف محبة الربّ لعبده. والذي أجمع عليه العارفون: أنّه يحبّهم، وأنّهم يحبّونه، على إثبات الطرفين، وأنّ محبة العبد لربه فوق كلّ محبة تقدر. ولا نسبة لسائر المحابّ إليها. وهي حقيقة «لا إله إلا الله» وكذلك عندهم محبة الربّ لأوليائه ورسله: صفة زائدة على رحمته، وإحسانه وعطائه. فإنّ ذلك أثر المحبة وموجبها. فإنّه لما أحبّهم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه وبرّه أتمّ نصيب.

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ رِبْدَةٍ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

فقد ذكر أربع علامات:

الأولى والثانية: أنّهم: أذلة، أعزّة. قيل: معناه: أرقاء رحماء مشفقين عليهم. عاطفين عليهم، فلما ضمّن «أذلة» هذا المعنى عدّاه بأداة «على» قال عطاء: للمؤمنين كالولد لو الده، والعبد لسيدّه، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته ﴿أَشَدَّاءٌ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ﴾.

العلامة الثالثة: الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد، واللسان والمال، وذلك تحقيق دعوى المحبة.

العلامة الرابعة: أنّهم لا تأخذهم في الله لومة لائم. وهذا علامة صحّة المحبة، فكلّ محبّ يأخذه اللوم عن محبوبه فليس بمحبّ على الحقيقة. والقرآن والسنة مملوءان بذكر من يحبّه الله سبحانه من عباده المؤمنين.

وذكر ما يحبّه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم. كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤، ١٤٨]. فلو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان. ولتعطلت منازل السّير إلى الله. فإنّها روح كلّ مقام ومنزلة وعمل. فإذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه. ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها. بل هي حقيقة الإخلاص، بل هي نفس الإسلام. فإنّه الاستسلام بالذّل والحبّ والطاعة لله. فمن لا محبة له لا إسلام له البتّة. بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله.

فإنّ «الإله» هو الذي يألهه العباد حباً وذكلاً، وخوفاً ورجاءً، وتعظيماً وطاعة له، بمعنى «مألوه» وهو الذي تألهه القلوب. أي تحبّه وتذلّ له<sup>(١)</sup>.

ثانياً: محبة الرسول ﷺ:

إنّ محبة رسول الله ﷺ هي دليل الإيمان الصادق مصداقاً لقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ماله وولده والناس أجمعين» وليس هذا الحبّ مجرد عاطفة جوفاء، وإنّما هو حبّ حقيقيّ نابع من القلب ومن العقل معاً ودليل صدق تلك المحبة هو اتباع المصطفى ﷺ في كلّ ما أمر به، أو نهى عنه، فالمحبّ مطيع دائماً لمن يحبّه ولذلك قيل:

لو كان حبّك صادقا لأطعته إن المحبّ لمن يحبّ مطيع

وآتباع الرسول ﷺ وطاعته هما الدليل على محبة الله تعالى، يقول أبو سليمان الدارانيّ: لما ادّعت القلوب محبة الله، أنزل الله لها محنة (أي اختباراً) هي قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فقلوه: ﴿يُحِبُّكُمْ اللَّهُ﴾ إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها فدليلها، آتباع الرسول ﷺ، وثمرتها محبة المرسل لكم (وهو المولى ﷺ) فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة ومحبتّه لكم منتفية<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: محبة الخلق:

لمحبة الخلق أنواع عديدة أفضلها محبة المؤمن لأخيه في الله تعالى أي حباً خالصاً لا منفعة من وراءه، وقد أشار ابن حزم إلى هذا النوع من المحبة (أي محبة الخلق) فقال: إنّ المحبة ضروب فأفضلها محبة المتحابين في الله ﷻ: إمّا لاجتهاد في العمل، وإمّا لاتّفاق في أصل النحلة والمذهب، وإمّا لفضل علم يمنحه الإنسان، ومحبة القرابة، ومحبة الألفة، ومحبة الاشتراك في المطالب، ومحبة التصاحب والمعرفة، ومحبة البرّ يضعه المرء عند أرضه، ومحبة الطمع في جاه المحبوب، ومحبة المتحابين بسرّ يجتمعان عليه يلزمهما ستره، ومحبة بلوغ اللذة، وقضاء الوطر، ومحبة العشق التي لا علة لها إلا اتصال النفوس<sup>(٣)</sup>.

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٢) مختصراً. وانظر بصائر ذوي التمييز (٢/ ٤١٦ - ٤٢٢).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٢٢). وانظر في فوائد محبة الرسول ﷺ وثمرتها، المقدمة صفحة (ك ب).

(٣) طوق الحمامة (٦٣).

إنَّ محبَّة الخلق بعضهم بعضاً في الله تعالى، إنّما هي نابعة في الحقيقة من محبَّة العبد لله تعالى، وجمالية لمحبَّته سبحانه لهذا العبد، وإذا أحبَّ الله عبداً جعله من المحبوبين بين خلقه، يقول العلامة ابن تيمية: إنَّك إذا أحببت الشخص لله كان الله هو المحبوب لذاته فكلمًا تصوَّرتَه في قلبك، تصوَّرتَ محبوب الحقِّ فأحببته، فازداد (بذلك) حبَّك لله<sup>(١)</sup>، أمَّا ثمرة هذا الحبِّ في الله فهي عديدة ومتنوعة نشير إليها في فوائده المحبَّة.

### فضيلة المحبة ومنزلتها:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون. وإليها شخص العاملون.

وإلى علمها شمَّر السابقون. وعليها تفانى المحبِّون.

وبروح نسيمها تروِّح العابدون. فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح. وقرَّة العيون. وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات. والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات. والشفاء الذي من عدمه حلَّت بقلبه جميع الأسقام. واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام<sup>(٢)</sup>.

قال أبو عثمان الجاحظ: ينبغي لمحِبِّ الكمال أن يعود نفسه محبَّة النَّاس، والتوَدَّد إليهم، والتحنُّن عليهم، والرَّأفة والرَّحمة لهم، فإنَّ النَّاس قبيل واحد متناسبون تجمعهم الإنسانية، وحلية القوَّة الإلهية هي في جميعهم، وفي كلِّ واحد منهم، وهي قوَّة العقل، وبهذه النَّفس صار الإنسان إنساناً. وإذا كانت نفوس النَّاس واحدة، والمودة إنّما تكون بالنَّفْس، فواجب أن يكونوا كلَّهم متحابين متوادين، وذلك في النَّاس طبيعة، لو لم تقدمهم الأهواء التي تحبِّب لصاحبها التَّروُّس فتقوده إلى الكبر والإعجاب والتسلُّط على المستضعف، واستصغار الفقير وحسد الغنيِّ وبغض ذي الفضل، فتسبب من أجل هذه الأسباب العداوات، وتتأكَّد البغضاء بينهم.

فإذا ضبط الإنسان نفسه الغضبية، وانقاد لنفسه العاقلة، صار النَّاس كلَّهم له إخواناً وأحباباً، وإذا عمل الإنسان فكره رأى أنَّ ذلك واجب، لأنَّ النَّاس إمَّا أن يكونوا فضلاءً أو نقصاء، فالفضلاء يجب عليهم محبَّتُهم لموضع فضلهم، والنقصاء يجب عليهم رحمتهم لأجل نقصهم فيحقِّ لمحِبِّ الكمال

(١) انظر أيضاً صفتي: الاتباع والإيمان في هذه الموسوعة.

(٢) المرجع السابق، نفس الموضع.

أن يكون رحيماً لجميع الناس، متحنناً عليهم رءوفا بهم، وبخاصة الملك والرئيس، فإن الملك ليس يكون ملكاً مالم يكن محباً لرعيته رءوفا بهم، وذلك أن الملك ورعيته بمنزلة رب الدار وأهل داره، وما أقبح رب الدار أن يبغض أهل داره، فلا يتحنن عليهم، ولا يحب مصالحتهم<sup>(١)</sup>.

وقال الراغب: المحبة والعدل من أسباب نظام أمور الناس، ولو تحابب الناس، وتعاملوا بالمحبة لاستغنوا بها عن العدل، فقد قيل: العدل خليفة المحبة يستعمل حيث لا توجد المحبة، ولذلك عظم الله تعالى المنّة بإيقاع المحبة بين أهل الملّة، فقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أي محبة في القلوب، تنبئها على أن ذلك أجلب للعقائد، وهي أفضل من المهابة لأنّ المهابة تنفّر، والمحبة تؤلّف، وقد قيل: طاعة المحبة أفضل من طاعة الرّهبة، لأنّ طاعة المحبة من داخل، وطاعة الرّهبة من خارج، وهي تزول بزوال سببها، وكلّ قوم إذا تحابّبوا تواصلوا وإذا تواصلوا تعاونوا، وإذا تعاونوا عملوا، وإذا عملوا عمّروا، وإذا عمّروا عمّروا وبورك لهم<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاتباع - الإخاء - التعارف - الحنان - الألفة - الرأفة - الرحمة - الرفق - العطف - بر الوالدين - حسن العشرة - حسن المعاملة - الإيثار - صلة الرحم - المواساة - تفريج الكربات - المعاتبة.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: البغض - الجفاء - القسوة - الهجر - الإساءة - الإعراض - العنف - الأثرة - الجحود - العبوس - عقوق الوالدين - البذاءة].

\*\*\*

### من فوائد (المحبة)

- (١) دلالة على كمال الإيمان وحسن الإسلام. (٣) قلب صاحبها تغشاه مباركة الله ونعمه على  
(٢) المحبة تغذي الأرواح والقلوب وبها تقرّ الدوام.  
العيون، بل إنّها هي الحياة التي يعدّ من حرم (٤) تظهر آثار المحبة عند الشدائد والكربات.  
منها من جملة الأموات<sup>(٣)</sup>.

(١) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٥٥، ٥٦) بتصرف يسير.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب (٣٦٤).

(٣) أخذنا هذه الفائدة من كلام ابن القيم (انظر ص ٣٣٢٩ من هذه الموسوعة).

- (٥) من ثمار المحبة النعيم والسرور في الدنيا  
الموصل إلى نعيم وسرور الآخرة.
- (٦) في حب الله تعالى حمد المحبوب والرضى عنه  
وشكره وخوفه ورجاؤه والتنعيم بذكره  
والسكون إليه والأنس به والإنفاق في سبيله.
- (٧) حب النبي ﷺ يوجب السعي إلى إحياء  
سنته والحفاظ على دعوته.
- (٨) محبة الناس مع التودد إليهم تحقق الكمال  
الإنساني لمن يسعى إليه.
- (٩) وحبه ﷺ يستوجب حب من أحبه وما أحبه.  
(١٠) محبة الإخوان في الله من محبة الله ورسوله.
- (١١) التحاب في الله يجعل المتحابين في الله  
من الذين يستظلون بظل الله تعالى يوم لا  
ظل إلا ظله.
- (١٢) لا يكتمل إيمان المرء إلا إذا تحقق حبه  
لأخيه ما يحبه لنفسه وفي هذا ما خلصه  
من داء الأنانية.
- (١٣) أن يستشعر المرء حلاوة الإيمان فيذوق طعم  
الرضا وينعم بالراحة النفسية.
- (١٤) حب الله ورسوله وسيلة أكيدة  
لاستجلاب نصر الله وعونه.

## المدارة

### المدارة لغة:

مصدر قولهم دارى فلان فلانا بمعنى ختله وخدعه، يقول ابن فارس: الدال والراء والحرف المعتل (الياء) أصلان: أحدهما: قصد الشيء واعتماده طلباً، والآخر حدة تكون في الشيء، وأما المهموز (دراً) فأصل واحد وهو دفع الشيء، ومن المعنى الأول للمعتل (درى) قولهم: أدرى بنو فلان مكان كذا، أي اعتمدوه بغزو أو غارة، والدريّة الدابة التي يستتر بها الذي يرمي الصيد ليصيده، ومن الأصل الآخر قولهم: شاة مدراة: حديدة القرنين، وأما الأصل المهموز فمنه قولهم: درأت الشيء دفعته، قال تعالى: ﴿وَيَذُرُّهَا الْعَذَابَ﴾ [النور: ٨].

وقال الجوهري: ومدارة الناس تهمز ولا تهمز، وهي المداجاة (أي المساندة للعداوة) والملاينة، وتدرأه وأدراه بمعنى أي ختله، قال سحيم:  
وما إذا تدري الشعراء منّي وقد جاوزت حد الأربعين  
وقولهم: السلطان ذو تدرا أي ذو عدة وقوة على دفع أعدائه عن نفسه، والمدارة: المخالفة والمدافعة ويقال: فلان لا يدارى ولا يمارى، فأما المدارة ففي حسن الخلق والمعاشرة؛ لأنه يهمز ولا يهمز، تقول داريته وداراته، إذا اتقىته ولا ينته.

وقال ابن منظور: المداراة: المخالفة والمدافعة، يقال فلان: ذو تدراً، أي حفاظ ومنعة وقوة على أعدائه ومدافعة، وذلك في الحرب والخصومة. وأصله مهموز، فيقال: دارأته مدارأة وغير مهموز فيقال: داريته وذلك إذا اتقىته ولايته. ومنهم من فرق بين المهموز وغيره فجعل المهموز بمعنى الالتقاء لشربه وغير المهموز لمعنى الختل، فيقال: فلان لا يداري ولا يماري، وكذلك في حديث قيس بن السائب رضي عنه: قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم شريكاً فكان خير شريك، لا يداري ولا يماري. قال أبو عبيد: معناه هنا المشاغبة والمخالفة على الشريك؛ لأنه من المهموز يعني درأت، ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿فَأَذَرْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢] يعني اختلافهم في القتل. والمداراة أيضاً: الاعوجاج والاختلاف والنشوز، قال الشعبي في المرأة المختلعة: إذا كان الدرء من قبلها فلا بأس أن يأخذ منها. ويقال: درأ الدرئة للصيد يدرؤها: إذا ساقها واستتر بها فإذا أمكنه الصيد رمى، كما يقال: أدرات للصيد إذا اتخذت له دريئة<sup>(١)</sup>.

#### واصطلاحاً:

قال المناوي: المداراة: الملاينة والملاطفة، وأصلها المختالعة ومنه: الدراية وهو العلم مع تكلف وحيلة<sup>(٢)</sup>.

قال ابن بطال - رحمه الله تعالى -: المداراة: خفض الجناح للناس، ولين الكلام وترك الإغلاظ لهم في القول. وقال ابن حجر: المداراة الدفء برفق<sup>(٣)</sup>.

#### المداراة لا بد منها في الحياة:

قال ابن حبان - رحمه الله تعالى -: الواجب على العاقل أن يلزم المداراة مع من دفع إليه في العشرة من غير مفارقة المداهنة، إذ المداراة من المداري صدقة له، والمداهنة من المداهن تكون خطيئة عليه، والفصل بين المداراة والمداهنة: هو أن يجعل المرء وقته في الرياضة لإصلاح الوقت الذي هو له مقيم بلزوم المداراة من غير ثلم في الدين من جهة من الجهات، فمتى ما تخلق المرء بخلق شابه بعض ما كره الله منه في تخلقه فهذا هو المداهنة، لأن عاقبتها تصير إلى قتل ويلازم المداراة لأنها تدعو إلى صلاح أحواله، ومن لم يدار الناس ملوه، وقد أنشد علي بن محمد البسامي:

(١) لسان العرب (٣/ ١٣٤٧ - ١٣٤٩)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٢٧٢)، والصحاح (١/ ٤٩، ٦/ ٢٣٣٦).

(٢) التوقيف (٣٠١).

(٣) الفتح (١٠/ ٥٢٨).

دار من الناس مالا لاتهم من لم يمدار الناس مآوه  
ومكرم الناس حبيب لهم من أكرم الناس أحبوه

فالواجب على العاقل أن يداري الناس مداراة الرجل السابح في الماء الجاري، ومن ذهب إلى عشرة الناس من حيث هو كدر على نفسه عيشه، ولم تصف له مودتهم، لأن وداد الناس لا يستجلب إلا بمساعدتهم على ما هم عليه. إلا أن يكون مأثما، فإذا كانت حالة معصية فلا سمع ولا طاعة، والبشر قد ركب فيهم أهواء مختلفة وطبائع متباينة، فكما يشق عليك ترك ما جبلت عليه فكذلك يشق على غيرك مجانبة مثله، فليس إلى صفو وداهم سبيل إلا بمعاشرتهم من حيث هم، والإغضاء عن مخالفتهم في كل الأوقات، إذ إن من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب كان إلى تكدير عيشه أقرب منه إلى صفائه، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه إلى أن ينال منهم الوداد، وترك الشحناء، ومن لم يدار صديق السوء كما يداري صديق الصديق ليس بحازم، ولقد أحسن الذي يقول:

تجنب صديق السوء واصرم حباله وإن لم تجد عنه محيضا فداره  
وأحب حبيب الصديق واحذر مراره تنل منه صفو الود ما لم تماره  
وذلك لأنه إذا كان كلما رأى من أحد زلة رفضه لزلته بقي وحيدا، لا يجد من يعاشر، وفريدا  
لا يجد من يخادن، بل يغضي على الأخ الصادق زلاته ولا يناقش الصديق السيء على عثراته.  
وقد قال منصور بن محمد الكريزي:

أغمض عيني عن صديقي كأنني لديه بما يأتي من القبح جاهل  
وما بي جهل غير أن خليقتي تطبيق احتمال الكره فيما أحاول  
متى ما يربني مفصل فقطعته بقيت ومالي في نهوضي مفاصل  
ولكن أداريه، وإن صح شديني فإن هو أعيانا كان فيه تحامل<sup>(١)</sup>

#### مداراة الأعداء واجب للحذر من شرهم:

قال الماوردي - رحمه الله تعالى -: إذا كان للإنسان عدو وقد استحكمت شحناءه،

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي (٧٠-٧٣) بتصرف واختصار.

واستوعرت سراًؤه، واستخشنت ضراًؤه، فهو يتربص بدوائر السوء انتهاز فرصة ويتجرع بمهانة العجز مرارة غصة، فإذا ظفر بنائبة ساعدها، وإذا شاهد نعمة عاندها، فالبعد عن هذا حذراً أسلم، والكف عنه متاركة أغنم، لأنه لا يسلم من عواقب شره، ولا يفلت من غوائل مكره إلا بالبعد عنه أو مداراته. وقد قال لقمان لابنه: يا بني، كذب من قال إن الشر بالشر يطفأ، فإن كان صادقاً فليوقد نارين، ولينظر هل تطفىء إحداهما الأخرى، وإنما يطفىء الخير الشر كما يطفىء الماء النار.

وأما إذا كان هذا العدو لئيم الطبع خبيث الأصل فمثل هذا لا يستقبح الشر، ولا يكف عن المكروه فهذا حاله أطم وضرره أعم ولا سلامة من مثله إلا بالبعد عنه والانقباض، ولا خلاص منه إلا بالصّبح والإعراض لأنه كالسبع الضاري في سوارح الغنم وكالنار بطبع لا يزول، وجوهر لا يتغير<sup>(١)</sup>.

### الفرق بين المداراة والمداهنة:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: المداراة صفة مدح، والمداهنة صفة ذم، والفرق بينهما أن المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يردّه عن الباطل، والمداهن يتلطف به ليقرّه على باطله ويتركه على هواه. فالمداراة لأهل الإيمان والمداهنة لأهل النفاق.

وقد ضرب مثل لذلك مطابق، وهو حال رجل به قرحة قد آلمته فجاءه الطبيب المداوي الرفيق، فتعرّف حالها ثم أخذ في تليينها، حتى إذا نضجت أخذ في بطّها برفق وسهولة، حتى إذا أخرج ما فيها وضع على مكانها من الدواء والمرهم ما يمنع فسادها، ثم تابع عليها بالمرهم التي تنبت اللحم، ثم يذرّ عليها بعد نبات اللحم ما ينشّف رطوبتها، ثم يشدّ عليها الرباط، ثم لم يزل يتابع ذلك حتى صلحت، أما المداهن فقال لصاحبها لا بأس عليك منها وهذه لا شيء فاسترها عن العيون بخرقه ثم اله عنها، فلا تزال مدتها تقوى وتستحکم حتى عظم فسادها<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التودد - الحكمة - الشفقة - حسن الخلق - الحلم - حسن المعاملة - الستر.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: البذاءة - الفحش - الفضح - المجاهرة بالمعصية - الطيش - الحمق - الإساءة - سوء الخلق - سوء المعاملة - النفاق].

\*\*\*

(١) أدب الدنيا والدين (٢٢٣-٢٢٤) بتصرف يسير.

(٢) الروح لابن القيم ص ٢٠٨.

## من فوائد (المدارة)

- (١) الرّاحة في الدّنيا، والأجر والثّواب في (٤) دليل كمال العقل، وحسن الخلق، ومثانة الآخرة.
- (٢) لا بدّ منها لاتّقاء شرّ الأشرار، ودوام (٥) المدارة تكون في الأمور الدّنيويّة فقط، معاشرّة الأخيّار.
- (٣) يحتاج إليها مع الأصدقاء كما يحتاج إليها مع الأعداء. المداهنة.

## المراقبة

## المراقبة لغة:

مصدر قولهم: راقب مراقبة وهو مأخوذ من مادّة رقب التي تدلّ على «انتصاب» لمراعاة شيء ومن ذلك: الرّقيب وهو الحافظ، يقال منه: رقت أرقب رقبة ورقبانا، والمرقب: المكان العالي يقف عليه الناظر ومن ذلك اشتقاق الرّقة لأنّها منتصبة، ولأنّ الناظر لا بدّ ينتصب عند نظره، ويقال أرقبت فلانا هذه الدّار، وذلك أن تعطيه إيّاها يسكنها، ثمّ يقول له إن متّ قبلي رجعت إليّ، وإن متّ قبلك فهي لك، وهذا من المراقبة كأنّ كلّ واحد منهما يرقب موت صاحبه، والرّقوب: المرأة التي لا يعيش لها ولد كأنّها ترقبه لعلّه يبقى لها، وجاء في الصّحاح: والرّقيب: المنتظر، والرّقيب الموكّل بالضّريب، والرّقيب: الثّالث من سهام الميسر، والرّقوب: الانتظار، وكذلك: الارتقاب. قال تعالى: ﴿وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: ٩٣].

وقال ابن منظور: راقب الله تعالى في أمره أي خافه، ورقبه يرقبه رقبة ورقبانا، بالكسر فيهما، ورقوبا، وترقبه، وارتقبه: انتظره ورصده، وارتقب: أشرف وعلا، والمرقب والمرقبة: الموضع المشرف، يرتفع عليه الرّقيب.

ورقب الشيء يرقبه: حرسه، وفي أسماء الله تعالى: (الرّقيب): وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، فعيل بمعنى فاعل<sup>(١)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٤٢٧) ولسان العرب (١/ ٤٢٤ / ٤٢٦).

**المراقبة اصطلاحاً:**

قال ابن القيم: المراقبة دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق ﷻ على ظاهره وباطنه<sup>(١)</sup>.  
وقال المحاسبي: المراقبة: دوام علم القلب بعلم الله ﷻ في السكون والحركة علماً لازماً  
مقترناً بصفاء اليقين. أمّا أوّل المراقبة فهو علم القلب بقرب الرّب ﷻ<sup>(٢)</sup>.

**بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها:**

اعلم أنّ حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرّقيب وانصراف الهمم إليه، فمن احترز من أمر من  
الأمر بسبب غيره، يقال إنّه يراقب فلاناً، ويراعي جانبه، ويعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها  
نوع من المعرفة، وتثمر تلك الحالة أعمالاً في الجوارح وفي القلب. أمّا الحالة فهي مراعاة القلب  
للرّقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إيّاه وانصرافه إليه. وأمّا المعرفة التي تثمر هذه الحالة  
فهي العلم بأنّ الله مطلع على الضّمائر، عالم بالسّرائر، رقيب على أعمال العباد، قائم على كلّ  
نفس بما كسبت، وأنّ سرّ القلب في حقّه مكشوف كما أنّ ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشدّ من  
ذلك. فهذه المعرفة إذا صارت يقيناً - أعني أنّها خلت عن الشكّ - ثمّ استولت بعد ذلك على  
القلب قهرته؛ فربّ علم لا شكّ فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت، فإذا استولت على القلب  
استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرّقيب وصرفت همّه إليه؛ والموقنون بهذه المعرفة هم  
المقربون، وهم ينقسمون إلى الصّديقين وإلى أصحاب اليمين<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإحسان - مجاهدة النفس - محاسبة النفس - القوة - قوة  
الإرادة - اليقين - الخوف - الخشية.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض - الشكّ - الغفلة - اتباع الهوى - أكل الحرام].

\*\*\*

**من فوائد (المراقبة)**

(١) الفوز بالجنّة والنّجاة من النّار.  
(٢) الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة.

(١) مدارج السالكين (٢ / ٦٨).

(٢) الوصايا للمحاسبي (٣١٣) بتصرف واختصار.

(٣) انظر إحياء علوم الدين للغزالي (٤ / ٣٩٨).

(٣) دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام. (٥) دليل على حسن الخاتمة.

(٤) تثمر محبة الله تعالى ورضاه. (٦) مظهر من مظاهر صلاح العبد واستقامته.

## المروءة

### المروءة لغة:

مصدر مرؤ الرّجل يمرؤ، وهو مأخوذ من مادّة (م ر أ) الّتي ذكر ابن فارس أنّها لا تنقاس (أي ليس لها معنى واحد ترجع إليه مشتقاتها)، يقال امرؤ وامرآن وامريء، وامرأة تأنيث امرىء، المروءة: كمال الرّجوليّة.

وقال الأزهريّ: قد مرؤ الرّجل، وتمراً إذا تكلف المروءة، والمرأة مصدر الشّيء المرئيّ، وجمع المرأة مرءاء، والعوامّ يقولون في جمع المرأة مرايا، قال: وهو خطأ والمرءاء: الممارسة والجدل، والمريء الرّجل المقبول في خلقه وخلقه، وقال الجوهريّ: المروءة الإنسانيّة، ولك أن تشدّد (بعد قلب الهمزة واوا فتقول: مروّة) والمرأ: الرّجل، يقال: هذا مرأ صالح، وضمّ الميم لغة، وهما مرءان صالحان، ولا يجمع على لفظه، وبعضهم يقول: هذه مرأة صالحة ومرءة أيضا بترك الهمزة وتحريك الرّاء بحركتها، والنسبة إلى امرىء: مرئيّ.

وقال ابن منظور: المروءة: كمال الرّجوليّة. مرؤ الرّجل يمرؤ مروءة، فهو مريء على فاعيل، وتمراً على تفعلّ: صار ذا مروءة. وتمراً: تكلف المروءة. وتمراً بنا أي طلب بإكرامنا اسم المروءة. وفلان يتمراً بنا أي يطلب المروءة بنقصنا أو عيبنا. وفي حديث عليّ عليه السلام: لمّا تزوّج فاطمة، قال له يهوديّ، أراد أن يتتاع منه ثياباً - لقد تزوّجت امرأة، يريد: امرأة كاملة، كما يقال: فلان رجل أي كامل في الرّجال<sup>(١)</sup>.

### المروءة اصطلاحاً:

قال الماورديّ: المروءة مراعاة الأحوال إلى أن تكون<sup>(٢)</sup> على أفضلها، حتّى لا يظهر منها قبيح عن قصد، ولا يتوجّه إليها ذمّ باستحقاق<sup>(٣)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٥ / ٣١٥) تهذيب اللغة (١٥ / ٢٨٨) الصحاح (١ / ٧٢) لسان العرب (١ / ١٥٦).

(٢) الضمير في تكون يرجع إلى النفس، ويؤيد هذا قوله فيما بعد: فكتب أن مراعاة النفس على أفضل أحوالها، انظر (هامش ١ ص ٣٠٦) من كتاب (أدب الدنيا والدين).

(٣) أدب الدنيا والدين (٣٠٦).

وقال الكفوي: المروءة هي الإنسانيّة. وقيل هي الرّجوليّة الكاملة<sup>(١)</sup>.

وقال الجرجاني: هي قوّة للنّفس مبدأ لصدور الأفعال الجميلة عنها المستتعبة للمدح شرعا وعقلا (وعرفا)<sup>(٢)</sup>.

وقال المقرّي: المروءة آداب نفسانيّة، تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن القيم: حقيقة المروءة: اتّصاف النّفس بصفات الإنسان التي فارق بها الحيوان البهيم، والشّيطان الرّجيم، فإنّ في النّفس ثلاثة دواع متجاذبة: داع يدعوها إلى الاتّصاف بأخلاق الشّيطان، من الكبر، والحسد والعلوّ والبغي، والشّرّ والأذى، والفساد والغشّ.

وداع يدعوها إلى أخلاق الحيوان، وهو داعي الشّهوة، وداع يدعوها إلى أخلاق الملك، من الإحسان، والنّصح، والبرّ، والطّاعة، والعلم. والمروءة بغض الدّاعين الأوّلين وإجابة الدّاعي الثّالث، ولهذا قيل في حدّ المروءة: إنّها غلبة العقل للشّهوة، ونقل عن الفقهاء قولهم: حدّ المروءة: استعمال ما يجمّل العبد ويزينه، وترك ما يدنّسه ويشينه<sup>(٤)</sup>، سواء تعلّق ذلك به وحده أو تعدّاه إلى غيره<sup>(٥)</sup>.

مروءة كلّ شيء بحسبه:

وقال - رحمه الله تعالى - : مروءة اللّسان: حلاوته وطيبه ولينه.

ومروءة الخلق: سعته وبسطه للحبيب والبغيب.

ومروءة المال: الإصاغة بذله مواقعته المحمودة عقلا وعرفا وشرعا.

ومروءة الجاه: بذله للمحتاج إليه.

ومروءة الإحسان والبذل: تعجيله وتيسيره، وتوفيره وعدم رؤيته حال وقوعه، ونسيانه بعد وقوعه.

(١) الكليات للكفوي (٨٧٤).

(٢) التعريفات (٢١٠).

(٣) المصباح المنير (٢/ ٢٣٤) وانظر الصحاح في اللغة والعلوم للمرعشلي (٢/ ٤٨٥).

(٤) مدارج السالكين ٢/ ٣٦٦.

(٥) هذه الاضافة مما ذكره في ٢/ ٣٥٣ عند حديثه عن الفتوة.

## درجات المروءة:

للمروءة ثلاث درجات:

الأولى: مروءة المرء مع نفسه، وهي أن يحملها قسرا على فعل ما يجمل ويزين، وترك ما يقبح ويشين، ليصير لها ملكة في العلانية، ولا يفعل خاليا ما يستحي من فعله في الملا، إلا ما لا يحظره الشرع والعقل.

الثانية: مروءة المرء مع الخلق، بأن يستعمل معهم شروط الأدب والحياء، والخلق الجميل، ولا يظهر لهم ما يكرهه هو من غيره لنفسه.

الثالثة: المروءة مع الحق سبحانه، ويكون ذلك بالاستحياء من نظره إليك، وإطلاعه عليك في كل لحظة ونفس، وإصلاح عيوب نفسك جهد الإمكان فإنه قد اشتراها منك، وأنت ساع في تسليم المبيع، وليس من المروءة تسليمه معيباً<sup>(١)</sup>.

## حقوق المروءة وشروطها:

قال بعض البلغاء من شرائط المروءة:

- ١- أن يتعفف المرء عن الحرام.
- ٢- أن ينصف في الحكم.
- ٣- أن يكف عن الظلم.
- ٤- ألا يطمع فيما لا يستحق.
- ٥- ألا يعين قويا على ضعيف.
- ٦- ألا يؤثر دني الأفعال على شريفها.
- ٧- ألا يسر ما يعقبه الوزر والإثم.
- ٨- ألا يفعل ما يقبح الاسم والذكر.

وقال الماوردي: إذا كانت مراعاة النفس على أفضل أحوالها هي المروءة، فليس ينقاد لها مع ثقل كلفها إلا من تسهلت عليه المشاق، رغبة في الحمد، وهانت عليه الملاذ، حذرا من الذم، ولذا قيل: سيد القوم أشقاهم، وقد لحظ المتنبّي ذلك فقال:

لولا المشقة، ساد الناس كلهم  
الجود يفة والإقدام قتال  
وله أيضا:

وإذا كانت النفس كبارا  
تعبت في مرادهما الأجسام

(١) مدارج السالكين ٢ / ٣٦٨.

إنَّ حقوق المروءة أكثر من أن تحصى... فلذلك أعوز استيفاء شروطها، والأظهر من ذلك ينقسم إلى قسمين: شروط المروءة في النفس، وشروطها في الغير.

### شروط المروءة في نفس المرء:

أي شروطها في نفسه، بعد التزام ما أوجبه الشرع من أحكامه فيكون بثلاثة أمور:  
 الأوّل: العفة وهي نوعان: العفة عن المحارم، والآخر: العفة عن المآثم.  
 الثاني: النزاهة وهي أيضا نوعان: النزاهة عن المطامع الدنيوية، والثاني النزاهة عن مواقف الريبة.

الثالث: الصيانة وهي أيضا على نوعين:

أ- صيانة النفس بالتزام كفايتها، ذلك أنّ المحتاج إلى الناس كلّ مهتضم، وذليل مستثقل، وهو لما فطر عليه محتاج إلى ما يستمدّه ليقوم أود نفسه، ويدفع ضرورتها ولذلك قالت العرب: كلب جوال خير من أسد رابض.

ب- صيانتها عن تحمّل المنن، ذلك لأنّ المنّة استرقاق للأحرار تحدث ذلّة في الممنون عليه، وسطوة في المانّ، والاسترسال في الاستعانة تثقل، ومن ثقل على الناس هان، ولا قدر عندهم لمهان.

### شروط المروءة في الغير:

شروط المروءة في الغير ثلاثة:

الأوّل: المؤازرة وهي على نوعين:

الإسعاف بالجاء، ويكون من الأعلى قدرا والأنفذ أمرا، وهو أرخص المكارم يمنا، وألطف الصنائع موقعا، وربما كان أعظم من المال نفعا، وهو الظلّ الذي يلجأ إليه المضطّرون، والحمى الذي يأوي إليه الخائفون، ولا عذر لمن منح جاها أن ييخل به، فيكون أسوأ حالا من البخيل بماله.

الإسعاف في النوائب، وهو إمّا واجب فيما يتعلّق بالأهل والإخوان والجيران، وإمّا تبرّع في من عدا هؤلاء الثلاثة، أمّا الأهل فلمماسّة الرّحم وتعاطف النسب.

وقد قيل: لم يسد من احتاج أهله إلى غيره، وأمّا الإخوان فلمستحکم الودّ، ومتأكّد العهد وقد سئل الأحنف بن قيس عن المروءة، فقال: صدق اللسان ومواساة الإخوان. وأمّا الجار فلدنوّ داره واتّصال مزاره.

وللجار حقّ فاحترز من أذاته وما خير جار لم يزل لك مؤذيا

فيجب في حقوق المروءة وشروط الكرم في هؤلاء الثلاثة تحمّل أثقالهم وإسعافهم في نوائبهم، ولا فسحة لذي مروءة عند ظهور المكنة، أن يكلهم إلى غيره، أو يلجئهم إلى سؤاله، وليكن السائل عنهم كرم نفسه، فإنهم عيال كرمه، وأضياف مروءته. أمّا التبرّع لغير هؤلاء، فإنّه تبرّع بفضل الكرم وفائض المروءة، فمن تكفّل بنوائب هؤلاء فقد زاد على شرط المروءة وتجاوزها إلى شروط الرياسة.

الثاني: المياسرة وهي أيضا على نوعين: العفو عن الهفوات، المسامحة في الحقوق.

فأمّا العفو عن الهفوات، فلائته لا مبرراً من سهو وزلل، ولا سليم من نقص أو خلل، وإذا كان الإغضاء حتما والصّفح كرمًا، ترتّب ذلك بحسب الهفوة، والهفوات نوعان: صغائر وكبائر، أمّا الصغائر فمغفورة، والنّفوس بها معذورة، وأمّا الكبائر فنوعان أحدهما: أن يهفو بها خاطيا، ويزلّ بها ساهيا، فالخرج فيها مرفوع، والعتب عليها موضوع، لأنّ هفوة الخاطيء هدر، ولومه هذر.

والثاني: أن يعتمد ما اجترم من كبائره، ويقصد ما اجترح من سيئاته، وهو في ذلك إمّا موتور، فاللائمة على من وتره. وإمّا عدوّ قد استحكمت شحناؤه، وحينئذ فالبعد منه حذرا أسلم، وإمّا أن يكون لئيم الطبع خبيث النفس ولا سلامة من مثله إلا بالصّفح والإعراض، وإمّا أن يكون صديقا قد استحدث نبوة وتغيّرا، أو أخا قد استجدّ جفوة وتنكّرا، فأبدى صفحة عقوقه، واطّرح لازم حقوقه فهذا - ومثله - قد يعرض في المودّات المستقيمة، كما تعرض الأمراض في الأجسام السليمة، فإن عولجت أقلعت، وإن أهملت أسقمت ثمّ أتلفت.

أمّا المسامحة فنوعان:

المسامحة في العقود، بأن يكون فيها سهل المناجزة، قليل المحاجزة مأمون الغيبة بعيدا من المكر والخديعة، والمسامحة في الحقوق، قال - رحمته الله -:

وأمّا الحقوق فتتنوّع المسامحة فيها نوعين:

أحدهما: في الأحوال، والثاني في الأموال. فأمّا المسامحة في الأحوال فهي اطّراح المنازعة في الرّتب، وترك المنافسة في التّقدّم، فإنّ مشاحّة النّفوس فيها أعظم، والعناد عليها أكثر، فإنّ سامح فيها ولم ينافس.

كان مع أخذه بأفضل الأخلاق واستعماله لأحسن الآداب، أوقع في النّفوس من إفضاله برغائب الأموال ثمّ هو أزيد في رتبته، وأبلغ في تقدّمه.

وأما المسامحة في الأموال، فتنوع ثلاثة أنواع:

أ- مسامحة إسقاط لعدم.

ب- مسامحة تخفيف لعجز.

ج- مسامحة إنظار لعسرة.

والمسامحة مع اختلاف أسبابها تفضل مأثور، وتألّف مشكور، وإذا كان الكريم قد يوجد بما تحويه يده، كان أولى أن يوجد بما خرج عن يده فطاب نفسا بفراقه.

الثالث: الإفضال: وهو نوعان:

إفضال اصطناع، ويتضمّن ما أسداه جودا في شكور أو ما تألّف به نبوة نفور، وكلاهما من شروط المروءة لأنّ من قلّت صنائعه في الشّاكرين، وأعرض عن تألّف النّافرين، كان فردا مهجورا، وقابعا<sup>(١)</sup> محقورا، ولا مروءة لمترك مطروح ولا قدر لمحقور مهتضم.

إفضال استكفاف (أي بالكفّ عن السّفهاء) لأنّ ذا الفضل، لا يعدم حاسد نعمة يبعثه اللّوم على البداء بسفهه، فإن غفل ذو المروءة عن استكفاف السّفهاء صار عرضه هدفا للمثالب، وحاله عرضة للثّواب، فإن استكفّهم صان عرضه، وحمى نعمته، وعليه أن يخفي ذلك حتّى لا تنتشر فيه مطامع السّفهاء، وأن يتطلّب له في المجاملة وجهها ويجعل في الإفضال عليه سببا<sup>(٢)</sup>.

بما تكون المروءة:

قال أبو حاتم البستي رحمه الله: اختلف النّاس في كيفية المروءة، على أقوال منها: المروءة: إكرام الرّجل إخوان أبيه، وإصلاحه ماله، وعوده على باب داره ويقصد، بهذا: كرمه. وإتيان الحقّ. وتقوى الله وإصلاح الصّبيعة. وإنصاف الرّجل من هو دونه والسّموّ إلى من هو فوقه، والجزاء بما أتى إليه (يقبل الهدية ويثيب عليها).

ومروءة الرّجل: صدق لسانه واحتمال عثرات جيرانه وبذل المعروف لأهل زمانه وكفّه الأذى عن أباعدده وجيرانه.

وحسن العشرة وحفظ الفرج واللّسان وترك المرء ما يعاب منه... وقال ربيعة: المروءة مروءتان فللسّف مروءة وللحضر مروءة، فأما مروءة السّففر: فبذل الزّاد، وقلة الخلاف على

(١) من قولهم: قبع القنفذ إذا أدخل رأسه في جلده حتى لا يراه أحد.

(٢) أدب الدنيا والدين (٣٠٦-٣٣٤) بتصرف.

الأصحاب، وكثرة المزاح في غير مساخط الله. وأمّا مروءة الحضرة: فالإدمان إلى المساجد، وكثرة الإخوان في الله، وقراءة القرآن.

قال أبو حاتم: اختلفت ألفاظهم في كَيْفِيَّة المروءة، ومعاني ما قالوا قريبة بعضها من بعض، أورد لها أكثر من عشرين تعريفا، ثم يقول: والمروءة عندي خصلتان: اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال، واستعمال ما يحبّ الله والمسلمون من الخصال<sup>(١)</sup>.

الفرق بين المروءة والرجولة والفتوة: انظر صفة الرجولة.

[للاستزادة: انظر صفات: الإغاثة - تفرّج الكربات - حسن الخلق - الرجولة - الشهامة - العفة - النزاهة - النبل - الإيثار - أكل الطيبات.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأذى - الإمعة - التخاذل - التفريط والإفراط - التهاون - الإعراض - أكل الحرام - الأثرة].

\*\*\*

### من فوائد (المروءة)

- (١) تعلّم الإنصاف والصدق والاحتمال والصبر. (٩) تعلي شرف النفس وقدرها.
- (٢) تبعد المسلم عمّا يكره الله والمسلمون. (١٠) تخلّص الانسان من غرور الهوى ونوازع الشهوة.
- (٣) رفع الهمم للملمّات، والترّفّع عن المحقّرات. (١١) تدعو الإنسان إلى الأنفة من الخمول والكسل.
- (٤) شكر المنعم على ما أنعم. (١٢) تدعو الإنسان إلى استنكار مهانة النقص.
- (٥) التّحلّي بالحزم عند العزم والعفو عند المقدرة. (١٣) دعوة للإنسان إلى تجنّب الأمانى بلا عمل، لأنّ التّمنيّ استصغار لنعم الله تعالى.
- (٦) تكسب الإنسان مكارم الأخلاق. (١٤) تضيفي على الإنسان عزّاً، وعلى المجتمع ترابطاً.
- (٧) تبعد بالإنسان عن كلّ ما يؤذي صفة الكمال في الإنسان.
- (٨) مساعدة الأهل والإخوان والجيران.

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٣٠٤-٣١٠).

## المسارعة في الخيرات

## المسارعة لغة:

مصدر قولنا: سارع فلان إلى كذا، وهو مأخوذ من مادة (س ر ع) التي تدل على خلاف البطء، ومنه قول العرب: لسرعان ما صنعت كذا، أي ما أسرع ما صنعت، وأما السّرع من الكرم فهو أسرع ما يطلع منه<sup>(١)</sup>.

وقال الجوهري: يقال: سارع سراعاً مثل صغر صغراً فهو سريع، وقولهم «سرعان ذا خروجاً»، وسرعان وسرعان ثلاث لغات، أي سارع ذا خروجاً، وأسرع القوم، إذا كانت دوابهم سراعاً<sup>(٢)</sup>.

وقال الفيروزآبادي: السّرع ضد البطء، وتستعمل في الأجسام والأفعال يقال: سارع فهو سريع، وأسرع فهو مسرع، كما يقال: سير سريع، وفرس سريع، والمصدر من سارع هو السّرع، والسّراع والسّرع<sup>(٣)</sup>، وسارع إلى الخير وتسارع<sup>(٤)</sup> (بمعنى)، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١] يسارعون أي يسابقون من سابقهم إليها<sup>(٥)</sup>، وقريء يسرعون في الخيرات، أي يكونون سراعاً إليها، أما سابقون في الآية الكريمة فقد ذكر القرطبي أن المراد السّبق إلى أوقاتها، وكل من تقدّم في شيء فهو سابق إليه، وكل من تأخر عنه فقد سبقه وفاته، ومن ثم تكون اللام في «لها» بمعنى إلى كما جاء في قوله ﷻ ﴿يَأْتِ رَبَّكَ أَحْوَجَ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥] أي إليها<sup>(٦)</sup>.

وسرعان الناس: أوائلهم الذين يتسارعون إلى الشيء، ويقبلون عليه بسرعة، ويجوز فيها تسكين الراء، والمساريع، جمع مسراع، وهو الشّديد الإسراع في الأمور، وهو من أبنية المبالغة<sup>(٧)</sup>، والمتسرع: المبادر إلى الشرّ، يقال تسرع إلى الشرّ، والمسرع: السّريع إلى خير أو شرّ، وسارع إلى

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ١٥٣.

(٢) الصحاح للجوهري ٣/ ١٢٢٨.

(٣) أضاف ابن منظور ثلاثة مصادر أخرى هي: السّرع والسّرعو السّرع، انظر اللسان ٨/ ١٥١.

(٤) بصائر ذوي التمييز ٣/ ٢١٤.

(٥) يفيد هذا القول أن المفاعلة هنا على بابها أي أنها تدل على المشاركة.

(٦) تفسير القرطبي ١٢/ ١٣٣ (بتصرف يسير).

(٧) انظر النهاية لابن الاثير ٢/ ٣٦١.

الأمر كأسرع إليه، وسارع إلى كذا وتسرع إليه بمعنى<sup>(١)</sup>، والمسارة إلى الشيء المبادرة إليه<sup>(٢)</sup>، والفرق بين السرعة والإسراع أن الإسراع فيه طلب وتكلف، وأمّا السرعة فكأنّها غريزة، يقال: أسرع أي طلب ذلك من نفسه وتكلفه كأنه أسرع المشي أي عجله، وأمّا سارع فلان، فالمعنى أن السرعة فيه طبع وسجية<sup>(٣)</sup>، أمّا قول الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فالمعنى سارعوا إلى ما يوجب المغفرة وهي الطاعة، وقيل أداء الفرائض، وقيل الإخلاص، وقيل: التوبة من الربا، وقيل: الثبات في القتال، وقيل غير هذا، قال القرطبي: والآية عامّة في الجميع، ومعناها معنى ﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] التي تتضمن الحث والاستعجال على جميع الطاعات بالعموم<sup>(٤)</sup>.

### المسارة في الخيرات اصطلاحاً:

لم تذكر كتب المصطلحات - التي وقفنا عليها - «المسارة» في الخيرات مصطلحاً، ويمكن أن نعرّف ذلك من خلال ما كتبه اللغويون والمفسرون فنقول: المسارة في الخيرات: هي المبادرة إلى الطاعات والسبق إليها والاستعجال في أدائها وعدم الإبطاء فيها أو تأخيرها.

### المسارة والمسابقة والمبادرة:

هذه الألفاظ الثلاثة متقاربة المعنى إلى حدّ كبير، ومع أن بينها فروقا في الاستعمال في كثير من السياقات، إلا أن بينها ما يسمّيه بعض اللغويين بالترادف الجزئي ويراد به أن يستعمل اللفظان أو الألفاظ استعمالاً واحداً في بعض السياقات دون بعضها الآخر، والألفاظ الثلاثة (المسارة - المسابقة - المبادرة) من هذا القبيل، أي إنّها عند الاقتران بالخيرات أو العمل الصالح يكون لها المعنى نفسه، وقد كثر لفظ «المبادرة» في الحديث الشريف، ولفظ المسارة في القرآن الكريم، أمّا المسابقة فقد وردت فيهما على سواء، ومن الألفاظ الحديثية التي تؤدي معنى المسارة أو المبادرة، لفظ التّبكير وخاصة إذا اقترن بأداء الصلاة.

[للاستزادة: انظر صفات: الإغاثة - البر - بر الوالدين - التعاون على البر والتقوى - الطاعة -

العبادة - الإحسان - الكرم - المروءة.

(١) يشير صاحب اللسان بهذه العبارة إلى أن تسرع تستعمل بمعنى سارع إلى الأمر مطلقاً خيراً كان أو شراً.

(٢) لسان العرب ٨ / ١٥١ (ط. بيروت).

(٣) لسان العرب ٨ / ١٥١ (ط. بيروت)، وقد نقل هذا الفرق عن سيبويه.

(٤) تفسير القرطبي ٤ / ٢٠٣، وفي معنى «استبقوا الخيرات» ٢ / ١٦٥

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإهمال - البخل - التخاذل - التفريط والإفراط - التهاون - الشح - الإعراض - اتباع الهوى].

\*\*\*

### من فوائد (المسارعة في الخيرات)

- (١) المسارعة في الخيرات والأعمال الصالحة مرضاة للرب ﷻ ومغضبة للشيطان.
- (٢) المسارعة في الخيرات ترفع صاحبها إلى جنات عدن حيث النعيم المقيم والفضل العظيم.
- (٣) السبق إلى الخيرات يجعل صاحبه من المفلحين في الدنيا والآخرة.
- (٤) المبادرة إلى العمل الصالح توجد نوعاً من التنافس الحميد الذي يرقى بالمجتمع.
- (٥) السابق إلى الخيرات يغبطه أصحابه ويتمنون أن يصيروا مثله ويمتد حونه بهذا السبق.
- (٦) السابقون إلى الخيرات يدركون مقاصدهم ولا يرجعون خائبين أبداً.
- (٧) المبادرة إلى الصلاة في أوقاتها وعدم التخلف عن الجماعة الأولى تجعل لصاحبها من الفضيلة ما يسبق به المتخلفين بما هو أبعد مما بين المشرقين والمغربين<sup>(١)</sup>.
- (٨) المبادرة بالأعمال الصالحة تجعل صاحبها في مأمن من الفتن أو الأمور التي قد تشغل الإنسان وتلهيه مثل المرض أو الفقر أو الغنى المطغي أو الهرم.
- (٩) المسارعة إلى صلاة الجمعة والذهاب إليها في الساعة الأولى يعظم الأجر ويجزل الثواب.
- (١٠) السابقون إلى الخيرات يدخلون الجنة بغير حساب.

### المسئولية

#### المسئولية لغة:

المسئولية مصدر صناعي<sup>(٢)</sup> مأخوذ من مادة (س أل) التي تدل على استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة، أو استدعاء مال أو ما يؤدي إلى المال، قال الراغب: فاستدعاء المعرفة جوابه

(١) الحديثين (٦/ ١٨).

(٢) معنى المصدر الصناعي: كون الشيء منسوباً إلى أصل الفعل كالحرية والرفاهية ونحوهما، ويصاغ بإضافة باء مشددة تليها تاء مربوطة.

على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها إما بوعده أو برده، والسؤال للمعرفة يكون تارة للاستعلام، وتارة للتبكيك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨] والسؤال إذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بالجار، تقول سألته كذا، وسألته عن كذا وبكذا، والأكثر «عن»، وإذا كان السؤال لاستدعاء مال فإنه يتعدى بنفسه أو بمن، وذلك كما في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] وقوله عز من قائل: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢]. يقال: سألته الشيء، وسألته عن الشيء سؤالاً، ومسألة الأمر منه أسأل، وقد تخفف همزته فيقال: سال، والأمر منه سل، وقال ابن سيده: والعرب قاطبة تحذف الهمز منه في الأمر فإذا وصلوا بالفاء أو الواو همزوا وكقولك: فاسأل واسأل، ورجل سؤلة: كثير السؤال، وتساءلوا: سأل بعضهم بعضاً، وأسألته سؤلةً ومسألته، أي قضيت حاجته، وقول الله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ﴾ [الصفات: ٢٤] قال الزجاج: سؤالهم سؤال توبيخ وتقدير، لإيجاب الحجّة عليهم لأن الله - جل ثناؤه - عالم بأعمالهم. أمّا قوله سبحانه: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] أي لا يسأل ليعلم ذلك منه، لأن الله قد علم أعمالهم، وقال ابن بري: يقال: سألته الشيء بمعنى استعطيته، وسألته عن الشيء استخبرته، وقال ابن الأثير: السؤال في كتاب الله والحديث الشريف نوعان:

أحدهما: ما كان على وجه التبيين والتعلم ممّا تمسّ الحاجة إليه فهو مباح أو مندوب، أو مأمور به.

والآخر: ما كان على طريق التكلّف والتعنّت فهو مكروه ومنهّي عنه، فكلّ ما كان من هذا الوجه ووقع السكوت عن جوابه فإنّما هو ردع وزجر للسائل، وإن وقع الجواب عنه، فهو عقوبة وتغليظ، قال ابن منظور: وما جاء في الحديث من أنّه «كره المسائل وعابها» أراد المسائل الدّقيقة التي لا يحتاج إليها، وفي حديث الملاعة: لما سأله عاصم عن أمر من يجد مع أهله رجلاً.. فأظهر النبيّ ﷺ الكراهة في ذلك إثارة لستر العورة، وكراهة لهتك الحرمة، وفي الحديث: أنّه نهى عن كثرة السؤال، قيل هو من هذا، وقيل هو سؤال الناس أموالهم من غير حاجة<sup>(١)</sup> ولفظ «المسئولة» من الألفاظ المحدثّة التي يراد بها التّبعة يقال: أنا بريء من مسئولة هذا العمل أي من

(١) المفردات للراغب (٢٥٠)، والصحاح (١٧٢٣ / ٥)، والنهاية (٣٢٨ / ٢)، ولسان العرب (سأل) (٣ / ١٩٠٦) ط. دار المعارف.

تبعته، وقيل: المسئولية ما يكون به الإنسان مسئولاً ومطالباً عن أمور أو أفعال أتاها. والمسئولية عند أرباب السياسة: هي الأعمال التي يكون الإنسان مطالباً بها<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحاً:

قال الدكتور دراز: تعنى المسئولية كون الفرد مكلفاً بأن يقوم ببعض الأشياء وبأن يقدم عنها حساباً إلى غيره وينتج عن هذا التحديد أن فكرة المسئولية تشتمل على علاقة مزدوجة من ناحية الفرد المسئول بأعماله وعلاقته بمن يحكمون على هذه الأعمال، والمسئولية قبل كل شيء هي استعداد فطري، إنها هذه المقدرة على أن يلزم الإنسان نفسه أولاً، والقدرة على أن يفني بعد ذلك بالتزامه بوساطة جهوده الخاصة<sup>(٢)</sup>.

وقال الخاقاني: يراد بالمسئولية الشعور بأداء الواجب والإخلاص في العمل وليست المسئولية مجرد الإقرار فإن الجزم بالشيء لا يعطى صفة المسئولية وإنما يجد المتحسس بها أن هناك واجبات لا بد من الانقياد إليها بغض النظر عن النتائج، فإن إنقاذ الغريق مما يشعر الشخص بالمسئولية في إنقاذه إذا كانت له القدرة على الإنقاذ وإن دفع الظلم ممن له القدرة على دفع الظلم يجب على ذلك الشخص أن يدفع عن المظلوم وهو مسئول عن الترك، فالمسئولية تختلف بلحاظ الأفراد وبلحاظ المجتمعات<sup>(٣)</sup>.

وقيل: المسئولية حالة يكون فيها الإنسان صالحاً للمؤاخذه على أعماله وملزماً بتبعاتها المختلفة.

وقد قررها القرآن في آيات كثيرة، فقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. ﴿أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَلْبَسَ أَنْ يَتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٢٦]. ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

### مسئولية الإنسان أمام الخالق ﷻ:

ذكرنا في صفة «الأمانة» أن جمهور المفسرين قد ذكروا أن الأمانة تعم جميع وظائف الدين، وأن جميع الأقوال في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الأحزاب: ٧٢] متفقة وراجعة إلى أن الأمانة هي التكليف وقبول الأوامر والنواهي.

(١) انظر المعجم الوسيط ١ / ٤١٣ والمنجد (٣١٦)، ومحيط المحيط (٣٩٠).

(٢) دستود الأخلاق في القرآن (١٣٨).

(٣) علم الأخلاق - النظرية والتطبيق (١٤١).

عنها واستعداده لتحمل نتائجها وقبوله بمبدأ الثواب والعقاب المنوطين بها، أمّا السموات والأرض والجبال المشار إليها في الآية الكريمة فلا تعدو وظيفتها أداء الدور الذي خلقها الله لتؤدبه بطريقة عفوية، وعلى نسق واحد «وليس هناك أيّ تدخل ممكن لمبادرتها الخاصة، لا من أجل صيانة النظام الثابت، ولا من أجل تغييره، أو تعديله في أيّ صورة ما كان، وإذن فلا مسئولية مطلقاً<sup>(١)</sup> تقع عليها.

يقول الدكتور دراز: أمّا في النظام الأخلاقي، فالأمر بالعكس حيث يواجه الفاعل (وهو هنا الإنسان) إمكانيات متعددة، يستطيع أن يختار من بينها واحدة، توافق هواه، سواء احترم القاعدة (الأخلاقية) أو اخترمها، وعلى ذلك فإنّ الإمكان والضرورة هما الصفتان اللتان تكوّنان مجال المسئولية أو عدم المسئولية<sup>(٢)</sup>، وجانب الإمكان هو الذي رصد له الإنسان استعداده.

لقد أبرز القرآن الكريم هذا التباين الذي يضع الإنسان العاقل<sup>(٣)</sup> في مقابل الكائنات غير المزودة بالعقل من حيث مقدرتها الأخلاقية، وذلك قول الله تعالى إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ الْآيَةَ، والحمل هنا يعني في رأي أكثر المفسرين - تحمل التكليف، كما في قوله ﷻ ﴿عَلَيْهِ مَا حِمْلٌ وَعَلَيْكُمْ مَا حِمْلْتُمْ﴾ [النور: ٥٤]، أو قوله سبحانه ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْنَةَ﴾ [الجمعة: ٥]، وعلى هذا التفسير يكون المراد بالإنسان جنس الإنسان عامّة كما قال النيسابوري وغيره<sup>(٤)</sup>.

أمّا المعنى الآخر للحمل وهو تحمل الخطأ أو الوزر - وهو أيضا معنى وارد، وقال به بعض المفسرين، فإنّه يحصر الإنسان في الكافر أو المنافق (أو قاييل)، خاصّة<sup>(٥)</sup>.

وقد لخص الشيخ دراز وجهة من قال بذلك من المفسرين فقال: المعنى: مع أنّ المخلوقات الأخرى قد وفّت بمهمّتها حين خضعت للقانون الكوني (الذي خلقها الله عليه) دون اعتراض أو

(١) دستور الأخلاق في القرآن الكريم للدكتور دراز ص، ١٣٨.

(٢) المقصود بذلك أن الإمكان يشكل مجال المسئولية بالنسبة للإنسان المكلف، والضرورة تشكل مجال عدم المسئولية بالنسبة للمخلوقات الأخرى غير المكلفة كالأرض والجبال إلخ.

(٣) يلاحظ أن من المفسرين من جعل الأمانة هي العقل حيث به تتحصل معرفة التوحيد وتجري العدالة. انظر المقدمة اللغوية لصفة الأمانة.

(٤) دستور الأخلاق في القرآن ص، ١٣٨.

(٥) انظر تفسير النيسابوري للآية الكريمة ح ٢٢ ص ٣٥ (هوامش الطبري) وتفسير ابن كثير ٣/، ٥٣٢.

(٦) انظر تفسير القرطبي ١٤/، ٢٥٥.

مقاومة قالتا ﴿أَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، فإنَّ الإنسان الذي لم يطع القانون الأخلاقي ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ ... الآية [الأعراف: ١٧٢]، يبقى محملاً به وعلى ذلك فالأمر لا يتعلّق بالإنسان بعامة، بل بالكفّار والعصاة وحدهم، وقال - رحمه الله تعالى - معقبا على هذا التفسير: وهو تفسير - لا ريب معقول، في ذاته، ولكنه فضلا عن ذلك التقييد الذي يفرضه على مفهوم الإنسان الذي جاء غير محدّد في النّص، فإنّه لا يحدّد على وجه الدّقة التّطابق بين الأسماء والضّمائر التي ترجع إليها، ولم تعد الأمانة المعروضة كما هي وصار من اللازم اللّجوء إلى فكرة بعيدة<sup>(١)</sup> حتّى يتقرّر للكائنات غير العاقلة نوع من الالتزام أو المسؤولية.

### أنواع المسؤولية:

١ - المسؤولية الدّينيّة: وهي التزام المرء بأوامر الله ونواهيه، وقبوله في حال المخالفة لعقوبتها ومصدرها الدّين.

٢ - المسؤولية الاجتماعيّة: هي التزام المرء بقوانين المجتمع ونظمه وتقاليده.

وقيل: هي المسؤولية الدّاتيّة عن الجماعة، وتتكوّن من عناصر ثلاثة هي: الاهتمام والفهم والمشاركة<sup>(٢)</sup>.

٣ - المسؤولية الأخلاقيّة: هي حالة تمنح المرء القدرة على تحمّل تبعات أعماله وآثارها، ومصدرها الضّمير<sup>(٣)</sup>.

وكلّ مسؤوليّة قبلناها، وارتضينا الالتزام بها فهي مسؤوليّة أخلاقيّة بدليل:

أ- أنّ القرآن يقدّم المسؤولية الدّينيّة ذاتها في صورة أخلاقيّة محضّة حين تحايل بعض النّاس على التّخلّص من بعض تعاليم الصّوم سرّاً: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٨].

(١) انظر في هذه الفكرة المجازية التي يمكن الاستغناء عنها، تفسير القرطبي ١٤ / ٢٥٦، بتلخيص وتصرف عن دستور الأخلاق في القرآن ص ١٣٨ هامش ٢.

(٢) انظر في تفصيل ذلك المسؤولية الاجتماعية والشخصية المسلمة للدكتور أحمد سيد عثمان (٢٦٩).

(٣) جمع الدكتور دراز بين النوعين الأول والثالث وتحدث بإفاضة عن شروط هذه المسؤولية وخلاصتها: أن يكون العمل شخصياً، إفرادياً، ثم أداؤه بحرية وأن يكون على وعي كامل ومعرفة بالشّرع. انظر في تفصيل ذلك دستور الأخلاق في القرآن (١٤٨ - ٢٢٢).

ب- أن القرآن لا يكتفي بتذكير الناس في كثير من الأحيان بالأمر الإلهي، وإنما يذكرهم بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: ٨]. وقوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧].

مدى شمولها:

قرّر القرآن أنّ شرط هذه المسئولية الشمول:

١- من ناحية الفرد يقول الله تعالى: ﴿فَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]. ﴿فَلَنَسَأَلَنَّ الَّذِينَ أُزِيلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسَأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

٢- من ناحية الأعمال الخيرة والشريرة صغيرة وكبيرة.. ظاهرة وخفية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

٣- من ناحية الأقوال والألفاظ سرّها ونجواها. يقول الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

٤- من ناحية السمع والبصر والملكات: يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

٥- من ناحية التعميم والمال: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. وقال ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه. وعن شبابه فيم أبلاه. وعن علمه فيم عمل فيه. وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟».

#### المسئولية شخصية:

من المبادئ التي قرّرها الإسلام قصر المسئولية على المسئول وحده. قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١]. ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٥].

فلا يؤخذ بريء بجريرة مذنب، ولا يشترك أهله فيما اقترفت يده، أو نسب إليه.

وقد كان التشريع اليوناني القديم يقضي بالإعدام على المجرم نفسه، وعلى جميع أفراد أسرته في الخيانة العظمى، وفي انتهاك الأشياء المقدسة.

وحماية للإمام المسلم من الانزلاق في الظلم جاء قوله تعالى: ﴿وَلَا نُزِرْ وَأَزْرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء: ١٥]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ [الإسراء: ٣٣].

### اشترك الراعي والرعية:

الراعي والرعية يدان تتعاونان على خير الأمة.

ورعاية مصالحها. وكفالة الأمن على حياة الناس وأعراضهم وأموالهم. ولا يستقيم أمر الأمة. ولا تتسق شئونها إلا إذا قام كل من الحاكم والمحكوم بمسئوليّاته، وأخلص المعاونة لصاحبه. قال ﷺ: «كلّكم راع، وكلّكم مسئول عن رعيّته: الإمام راع ومسئول عن رعيّته، والرّجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيّته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيّتها، والخادم راع في مال سيّده ومسئول عن رعيّته، والرّجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيّته. وكلّكم راع ومسئول عن رعيّته».

ولكي تنجح الأمة في مسيرتها. وتحقق غايتها لا بدّ من أن ينهض كلّ بمسئوليّاته. وإليك تفصيل ذلك:

### أولاً: مسئوليّة الراعي:

١- التّسوية بين الرّعيّة: أمر الله الحاكم بالعدالة حتّى يسوّي بين النّاس جميعاً. قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ٓأَلَّا تَعْدِلُوا ۗ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ١٣٥]. وقال تعالى: ﴿يٰۤاٰدَمُ اٰنَا جَعَلْنَاكَ خَلِيْفَةً فِى الْاَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىَٰ﴾ [ص: ٢٠].

وخرج ﷺ في مرضه الأخير بين الفضل بن العباس وعليّ بن أبي طالب حتّى جلس على المنبر ثمّ قال: «أيّها النّاس، من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه، ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه. ولا يخش الشّحناء، فإنّها ليست من شأنى. ألا وإنّ أحبّكم إليّ من أخذ منىّ حقّا إن كان له، أو حلّلتني فلقبت ربّي وأنا طيب النّفس».

وقال ﷺ لأهل بيته: «يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمّة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمّد، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئا».

هذا ينبوع الفيّاض الغزير سرت منه العدالة إلى الخلفاء والولاة.

٢- رعاية مصالح النَّاس: على الحاكم رعاية المصالح الدّينيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والأمنيّة بإقامة المساجد للعبادة. وإنشاء المدارس للتّعليم.

ونشر المستشفيات للعلاج. وشقّ التّرع لإحياء الأرض، وتكوين المجتمعات اهتماما للزّراعة والصّناعة والتّجارة. وفتحاً لمجالات العمل أمامهم.

فمن عجز عن العلم قامت الدّولة برعايته، يحفظ التّاريخ أنّ عمر - رضى الله عنه - رأى شيخاً من أهل الدّمّة يسأل، فقال له: ما الذي يحملك على ذلك؟ قال: الحاجة. قال عمر: لقد فرضنا لك سهماً في بيت مال المسلمين. ما كنّا لناخذ منك الجزية وأنّت شابّ، ونضيعك وأنّت شيخ.

قال ابن عمر: إنّ رفقة من التّجار نزلوا المصلّى، فقال عمر لعبد الرّحمن بن عوف: هل لك أن تحرسهم اللّيلة من السرقة؟ فباتا يحرسان ويصلّيان ما كتب الله، فسمع عمر في جوف اللّيل بكاء طفل فتوجّه نحوه وقال لأمه: اتقي الله، وأصغي إلى طفلك.

ثمّ عاد إلى مكانه. فسمع بكاءه، فعاد إلى أمّه وقال مقالته، وعاد إلى مكانه، فلمّا كان آخر اللّيل سمع بكاء الصّبيّ، فقال لأمه: ويحك، مالي أرى ابنك لا يقرّ منذ اللّيلة؟ قالت: - وهي لا تعرفه - يا عبد الله، قد أبرمتني طول اللّيل، إنّني أعالجه على الفطام فيأبى إلّا رضاعاً. قال عمر: ولم؟ قالت: لأنّ عمر لا يفرض إلّا للفطيم. قال: وكم لابنك؟ قالت: كذا وكذا شهراً. قال لها: ويحك لا تعجلية. ثمّ صلّى الفجر، وما يستبين النَّاس قراءته من غلبة البكاء!! فلمّا انتهى من صلاته قال: يا بؤسا لعمر! كم قتل من أولاد المسلمين؟ ثمّ أمر منادياً ينادي: لا تعجلوا صبيانكم على الفطام، فإنّنا نفرض لكّل مولود في الإسلام.

٣- حسن اختيار البطانة: حسن اختيار الأعوان من الأمناء المخلصين ذوي الدّراية والكفاية ممّا يحقّق الغايات والأهداف. ويزيل من دنيا النَّاس الوساطة والمحسوبية والرّشوة. قال ﷺ: «من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه». وقال

عمر لبعض عمّاله: إنني لم أستعملكم على أمة محمّد، على أعشارهم ولا على أبشارهم - جلودهم - وإنما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصّلاة، وتقضوا بينهم بالحقّ، وتقسموا بينهم بالعدل، لا تجلدوا المسلمين فتذلّوهم، ولا تضيّعوا حقوقهم فتفتنّوهم.

٤ - إعطاء القدوة الحسنة: الحاكم سوق ما راج عنده راج عند النّاس. حينما عهد أبو بكر لعمر بالخلافة أوصاه قائلاً: اعلم أنّهم لن يزلوا منك خائفين ما خفت الله. وقال عمر في خطبة له بعد توليته: من رأى فيّ اعوجاجاً فليقبّوه، فقال أعرابي: والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا. ومن شدّة حرصه على مال الدّولة وخوفه من سؤال الله عن الأموال العامّة يقول: لو مات شاة على شطّ الفرات ضائعة لظننت أنّ الله سائلني عنها يوم القيامة.

### تكافؤ المسؤولية والجزاء:

حدّد القرآن الجزاء بقدر المسؤولية مع إيثار جانب الرّحمة والعفو. ومضاعفة الحسنه. قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا وَوَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِي كَعَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[الفصص: ٨٤]

ويمثّل القرآن العدل الإلهي بالميزان. ذلك الميزان الذي جعله أركان رسالة الأنبياء. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧-٩].

هذه معالم المسؤولية في الإسلام: فالإنسان مسؤل عن كسبه من خير وشرّ ومجازى عنه. وباب التّوبة مفتوح له ما بقيت الحياة، والجزاء العادل يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

يقول الدكتور عليّ أبو العينين:

ومسؤوليّة الفرد نحو المجتمع تتلخّص في التالي:

١ - الالتزام بقانون الجماعة، وهذا يستلزم من الأفراد الالتزام بعقيدة المجتمع الأساسيّة، التي تعتبر أمانة اجتماعيّة.

(١) انظر دستور الأخلاق في القرآن لدرّاز (١٤٨ - ٢٢٢). وقارن بما ذكره الدكتور كمال عيسي في «كلمات في الأخلاق الإسلامية (١٢٢ - ١٣٠)».

٢- التعاون مع الجماعة في سبيل الخير العام: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]. من مساهمة الاقتصاد وغير ذلك.

٣- تقديم العمل الصالح والتنافس في هذا السبيل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]. حيث يجب الإنفاق في سبيل الله، واستثمار الأموال، والاعتدال في الإنفاق وغير ذلك من الجوانب الأخلاقية.

٤- نشر العلم الذي يسهم إسهاماً إيجابياً في بناء المجتمع وتطويره واستغلال الذكاء في هذا السبيل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢]. ومن ذلك، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما مسؤولية الدولة نحو الأفراد فتتلخص فيما يلي:

- ١- توفير العلم لجميع أفراد المجتمع انطلاقاً من قاعدة وجوب نشر العلم.
- ٢- إقرار النظام العام المستمد من شريعة الله وتوفير الأمن والطمأنينة للفرد والمجتمع ويشمل ذلك الأقليات..
- ٣- الحفاظ على الوحدة الإسلامية.
- ٤- توفير الأمن لجميع أفراد المجتمع، فالمجتمع مسئول عن رفع مستوى أفراد، وتعاونه في سبيل تقوية نفسه.

أما قيادة المجتمع، فمهمتها صعبة، ونجاح القيادة نجاح للمجتمع، وفشلها يعوق المجتمع، ولهذا نجد القرآن يلزم القيادة بالعدل والرحمة بالجميع وأتباع الحق، ويوعدها عن انتظار الأجر من المجتمع، ويحذرها من الفتنة والميل، ويمنعها من الطغيان والفردية، والإفساد في الأرض، ويوجب عليها استشارة الأمة، والاستماع إلى آرائها بما فيها الآراء المعارضة<sup>(١)</sup>.

تحمل الفرد مسؤولية إصلاح المجتمع:

قال الدكتور عبد الكريم زيدان: ومن خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام تحميل الفرد مسؤولية إصلاح المجتمع، بمعنى أن كل فرد فيه مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع وإزالة

(١) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن (٢٠٠-٢٠١).

الفساد منه على قدر طاقته ووسعه، والتعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلوب. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

### تعليل مسؤولية الفرد عن إصلاح المجتمع:

وإذا كان الفرد مسئولاً عن إصلاح المجتمع، فما تعليل ذلك؟ ولماذا يطالب الفرد بهذا الواجب مع مطالبته بإصلاح نفسه؟ الذي نراه، أن تعليل هذه المسئولية أو هذه المطالبة، ما يأتي:

أولاً: الفرد يتأثر بالمجتمع: الإنسان كائن اجتماعي يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه، فتمرض روحه أو تهزل، أو تصح وتقوى تبعاً لإصلاح المجتمع أو فساده. وقد أشار النبي الكريم ﷺ إلى هذه الحقيقة، فقد جاء في الحديث الشريف «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه... الخ» فالأبوان بالنسبة للصغير مجتمعه الصغير الذي يؤثر فيه، فيدفعه إلى الفساد أو الصلاح، فإذا كان الأبوان ضالين دفعاه إلى الضلال، وأخرجاه عن مقتضى الفطرة السليمة التي خلقه الله عليها، وإذا كانا صالحين أبقياه على الفطرة التي خلقه الله عليها. ونمياً فيه جانب الخير. وهكذا شأن المجتمع الكبير في تأثيره في الفرد صلاحاً وفساداً.

### ثانياً: ضرورة قيام المجتمع الصالح:

وقيام المجتمع الصالح ضروري للفرد، لأن المطلوب من المسلم تحقيق الغرض الذي خلق من أجله وهو عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. والعبادة اسم جامع لما يحببه الله تعالى من الأقوال والأفعال والأحوال الظاهرة والباطنة وهذا المعنى الواسع للعبادة يقتضي أن يجعل المسلم أقواله وأفعاله وتصرفاته وعلاقاته مع الناس على وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية، والمسلم لا يستطيع أن يصوغ حياته هذه الصياغة الإسلامية إلا إذا كان المجتمع الذي يعيش فيه منظماً على نحو يسهل عليه هذه الصياغة أي أن يكون مجتمعاً إسلامياً صحيحاً. فإن لم يكن كذلك بأن كان مجتمعاً جاهلياً صرفاً، أو مجتمعاً مشوباً بمعاني الجاهلية، فإن المسلم لا يستطيع فيه أن يحيا الحياة الإسلامية المطلوبة أو يتعدّر عليه ذلك. ولهذا يأمر الإسلام بالتحوّل من المجتمع الجاهلي إلى المجتمع الإسلامي، ما دام عاجزاً عن إزالة جاهليته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧] وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة أنها نزلت: في كل من أقام بين ظهري المشركين

وهو قادر على الهجرة وليس متمكنا من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالإجماع. ولهذا يجب على كل مسلم تعهد المجتمع الذي يعيش فيه وإزالة المنكر حال ظهوره أو وقوعه وأن لا يستهين به، لأن المنكرات كالجراثيم التي تؤثر في الجسد قطعاً، وإذا لم تمرض البعض فإنها تضعف مقاومته فيسهل عليها فيما بعد التغلب عليه. ولهذا كانت أولى مهمات الدولة الإسلامية إقامة هذا المجتمع الإسلامي الفاضل وإزالة المنكرات منه، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

### ثالثاً: النجاة من العقاب الجماعي:

وقيام الأفراد بإصلاح المجتمع ينجيهم وينجي المجتمع من الهلاك الجماعي أو العقاب الجماعي أو الضيق والضنك والقلق والشّر الذي يصيب المجتمع.

وتوضيح هذه الجملة يحتاج إلى شيء من التفصيل لأهمية الموضوع وخطورته، فنقول: من سنة الله تعالى، أن المجتمع الذي يشيع فيه المنكر، وتنتهك فيه حرمانات الله، وينتشر فيه الفساد، ويسكت الأفراد عن الإنكار والتغيير، فإن الله تعالى يعمهم بمحن غلاظ قاسية، تعم الجميع، وتصيب الصالح والطالح، وهذه في الحقيقة سنة مخيفة وقانون رهيب يدفع كل فرد لا سيما من كان عنده علم وفقه أو سلطان إلى المسارعة والمبادرة فوراً لتغيير المنكر دفعا للعذاب والعقاب عن نفسه وعن مجتمعه<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإخلاص - النظام - الوفاء - الرجولة - الشهامة - القوة - قوة الإرادة - النزاهة - النبيل.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإمعة - الإهمال - التخاذل - التفريط والإفراط - التهاون - الخيانة - نقض العهد - الغلول - الغدر].

\*\*\*

(١) أصول الدعوة (١٣٢ - ١٣٦) بتصرف واختصار.

## من فوائد (المسئولية)

- (١) تشعر بوجوب أداء الأمانة أمام الله وأمام (٥) كلّ مسئول بقدر استطاعة تحمّله ولا يخلو الناس.
- (٢) الإخلاص في العمل والثبات عليه. المجتمع.
- (٣) كسب ثقة الناس واعتزازهم به. (٦) تجعل بنیان الدولة قويًا غير قابل للتصدّع عند التّعريض للمحن والحروب.
- (٤) يشعر الشخص المسئول بالسعادة تغمره (٧) المسئولية تجعل للإنسان قيمة في مجتمعه. كلما قام بتنفيذ عمل نافع.

## المعاقبة والمصارحة

## المعاقبة لغة:

المعاقبة مصدر قولهم: عاتب يعاتب، وهو مأخوذ من مادة (ع ت ب) التي تدلّ على «الأمر فيه صعوبة من كلام أو غيره» من ذلك العتبة، وهي أسكفة الباب، وإنما سمّيت بذلك لارتفاعها عن المكان المظمئن السهل، ومن الباب العتب بمعنى الموجدة، تقول عتبت على فلان عتبا ومعتبة، أي وجدت عليه، ثم يشتقّ منها فيقال: أعتبني، أي ترك ما كنت أجد عليه<sup>(١)</sup> ورجع إلى مسرتي، وهو معتب أي راجع عن الإساءة، ويقولون: أعطاني العتبي أي أعتبني، والتعتب: إذا قال هذا وهذا يصفان الموجدة وكذلك المعاقبة، ويقال للرجل إذا طلب أن يعتب: قد استعتب. قال أبو الأسود:

فَعَاتِبْتُهُ ثُمَّ رَاجَعْتُهُ      عَتَابًا رَقِيقًا وَقَوْلًا أَصِيلًا  
فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مَسْتَعْتَبٍ      وَلَا ذَاكَ رَأَى اللَّهُ إِلَّاءَ قَلِيلًا

وقال الراغب: إن قولهم: أعتبت فلانا أي أبرزت الغلظة التي وجدت له في الصدر، وأعتبته أيضا: حملته على العتب، وأعتبته أي أزلت عتبه، نحو أشكيت (أي أزلت شكواه) قال تعالى: فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ والاستعتاب: أن يطلب من الإنسان أن يذكر عتبه ليعتب، والعتبي إزالة ما لأجله يعتب، وبينهم أعتوبة: أي ما يتعاتبون به، وقال الجوهري: يقال: عتب عليه، أي وجد عليه عتبا

(١) أجد عليه: أي أغضب منه ويشير ابن فارس هذه العبارة إلى أن صيغة أفعال هنا تفيد السلب والإزالة، كما يقال: أعجمت الكتاب، أي أزلت عجمته.

ومعتبا، والتعتب مثله، والاسم المعتبة والمعتبة (بفتح التاء وكسرهما)، وتقول: عاتبه معاتبه (وعتابا)، وأعتبني فلان، إذا عاد إلى مسرتي راجعا عن الإساءة، واستعتب وأعتب بمعنى (واحد)، واستعتب أيضا طلب أن يعتب، ومن ذلك استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني، والاعتتاب: الانصراف عن الشيء، وقال الفيروز آبادي: والعتوب من لا يعمل فيه العتاب، وقراءة عبيد بن عمير: (وإن يستعتبوا) على ما لم يسم فاعله (مبني للمجهول) معناه: إن أقالهم الله، وردهم إلى الدنيا لم يعملوا بطاعته لما سبق في علم الله تعالى لهم من الشقاء، وذلك كما في قوله تعالى: وَكُوِّرُوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ<sup>(١)</sup>.

وقال ابن منظور: العتب: الموجدة، يقال: عتب عليه يعتب ويعتب عتبا وعتابا ومعتبا ومعتبة ومعتبة: وجد عليه.

قال الغطمش الضبي:

أقول وقد فاضت بعيني عبرة      أرى الدهر يبقى والأخلاء تذهب  
أخلاءي! لو غير الحمام أصابكم      عتبت ولكن ليس للدهر معتب  
قوله: عتبت أي سخطت، أي لو أصبتم في حرب لأدركنا بثأركم وانتصرنا، ولكن الدهر لا ينتصر منه.

وعاتبه معاتبه وعتابا: لأمه. قال الشاعر:

أعاتب ذا المودة من صديق      إذا ما رابني منه اجتناب  
إذا ذهب العتاب فليس ود      ويبقى الود ما بقي العتاب  
والعتبي: الرضا، وأعتبه: أعطاه العتبي وأرضاه، والعتبي (أيضا) رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب، والإعتاب كذلك، والاستعتاب طلبك إلى المسيء الرجوع عن إساءته، وقال أبو منصور: العتب والعتبان: لومك الرجل على إساءة كانت له إليك، فاستعتبته منها، وكل واحد من اللفظين (العتب والعتبان) يخلص للعتاب، فإذا اشتركا في ذلك، وذكر كل واحد منهما صاحبه ما فرط منه إليه من الإساءة، فهو العتاب والمعاتب، وفي الحديث: كان يقول لأحدنا عند المعتبة<sup>(٢)</sup>: ماله تربت يمينه! والعتب: الرجل الذي يعاتب صاحبه أو صديقه في كل شيء إشفاقا عليه ونصيحة

(١) والقراءة الأخرى وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا (بالبناء للمعلوم). ومعناه: إن يستقبلوا لا يقالوا.

(٢) المعتبة: بفتح التاء وكسرهما: من الموجدة أي الغضب.

له، والعتوب: الذي لا يعمل فيه العتاب، ويقال إذا تعاتبوا: أصلح ما بينهم العتاب، وروي عن أبي الدرداء أنه قال: معاتبة الأخ خير من فقده، والعتبى اسم على فعلى، يوضع موضع الإعتاب وهو الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضي العاتب، وفي الحديث: لا يعاتبون في أنفسهم، يعني لعظم ذنوبهم وإصرارهم عليها، وإنما يعاتب من ترجى عنده العتبي، وفي الحديث الشريف: لا يتمنين أحدكم الموت، إما محسناً فلعله يزداد، وإما مسيئاً فلعله يستعقب، أي يرجع عن الإساءة ويطلب الرضا، ومنه الحديث. «ولا بعد الموت من مستعقب» معناه: ليس بعد الموت من استرضاء، لأن الأعمال بطلت، وانقضت زمانها، وما بعد الموت دار جزاء لا دار عمل<sup>(١)</sup>.

#### المعاتبة اصطلاحاً:

قال المناوي: العتاب هو مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة<sup>(٢)</sup>.  
وقال أبو منصور الأزهري: التّعَبُّب والمعاتبة والعتاب: كل ذلك مخاطبة المدلين أخلاءهم، طالبين حسن مراجعتهم ومذاكرة بعضهم بعضاً ما كرهوه ممّا كسبهم الموجدة<sup>(٣)</sup>.

#### التوسط في المعاتبة:

قال الماوردي رحمه الله: إن كثرة العتاب تكون سبباً للقطيعة، وأطراح جميعه دليل علي قلّة الاكترات بأمر الصديق، وقد قيل: علّة المعادة قلّة المبالاة، والمفروض أن تتوسط الحال بين العتاب وتركه، فيسامح بالمتاركة، ويستصلح بالمعاتبة، لأنّ المسامحة والاستصلاح إذا اجتمعا، لم يلبث معهما نفور، ولم يبق معهما وجد، وقد قال بعضهم: لا تكثرنّ معاتبة إخوانك فيهنون عليهم سخطك<sup>(٤)</sup>.

#### المصارحة لغة:

المصارحة مصدر قولهم: صارحه بكذا إذا صرّح له بما في نفسه أي أظهره، وهي مأخوذة من مادّة (ص رح) التي تدلّ على ظهور الشيء وبروزه، ومن ذلك الشيء الصريح (أي الخالص)،

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٢٢٦) المفردات للراغب (٣٢١) الصحاح للجوهري (١/ ١٧٦) لسان العرب «عتب» (٢٧٩٣) ط. دار المعارف، وبصائر ذوى التمييز (٤/ ١٧).

(٢) التوقيف (٢٣٦).

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (٢/ ٢٧٨).

(٤) أدب الدنيا والدين (١٧٩) بتصرف واختصار.

وكلّ خالص صريح، يقال هو بين الصّراحة والصّروحة<sup>(١)</sup>، والصّريح اللّبن إذا ذهب رغوته، وجاء بنوا تميم صريحة: إذا لم يخالطهم غيرهم ويقال: انصرح الحقّ أي بان، وشتمت فلانا مصارحة، أي كفاحا ومواجهة، والتّصريح خلاف التّعريض، ويوم مصرّح أي ليس فيه سحاب، وفي المثل: صرّح الحقّ عن محضه أي انكشف<sup>(٢)</sup>، وقال ابن منظور: الصّرح والصّريح والصّراح والصّراح والصّراح المحض الخالص من كلّ شيء<sup>(٣)</sup>، وفي حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّه سئل متى يحلّ شراء النّخل؟ قال: حين يصرّح. قيل: وما التّصريح؟ قال: حين يستبين الحلو من المرّ، والتّصريح ضدّ الكناية<sup>(٤)</sup>، وفي المثل: ظهر الصّريح بجانب المتن، يضرب هذا للأمر الذي وضح، ويقال صرّح فلان ما في نفسه (تصريحا)، وصارح (غيره به) مصارحة إذا أبدى ما في نفسه وأظهره<sup>(٥)</sup>.

### المصارحة اصطلاحاً:

لم تذكر كتب المصطلحات التي وقفنا عليها «المصارحة» مصطلحا ومن ثمّ تكون باقية على أصل معناها الذي ذكره اللّغويّون وهو: أن يظهر كلّ متحدّث لآخر رأيه واضحا جليّا دون لبس أو غموض.

أما التّصريح عند علماء البلاغة فهو ما ليس بكناية أو تعريض والمراد بالكناية أن تعبّر عن الشّيء وأنت تريد لازم معناه دون أن تصرّح بذلك المعنى كقولك: فلان كثير الرّماد تريد كونه كريما، أمّا التّعريض فهو أن تستعمل اللفظ في معناه لكي تلوّح به إلى غيره كأن تخاطب شخصا بشيء وأنت تريد اتّصاف غيره به (إيّاك أعني واسمعي يا جارة)، ولكلّ من التّصريح والكناية والتّعريض موطنه الذي يستعمل فيه ومقامه الذي يتطلّبه وإذا استعمل في غير ذلك كان غير مطلوب.

[للاستزادة: انظر صفات: الإخاء- التذكير- التودد- الصدق- النصيحة- الوعظ- الإرشاد- المحبة.

وفي ضد ذلك: الإهمال- الجفاء- الحقد- الهجر الإعراض- التفریط والإفراط- التهاون- البغض النفاق- الرياء].

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٣٤٧).

(٢) الصحاح للجوهري (١/ ٣٨٢).

(٣) لسان العرب ص ٢٤٢٥ (ط. دار المعارف).

(٤) النهاية لابن الأثير (٣/ ٢٠)، والصّراحة في القول أشبه بذلك إذ عندما يستبين الحلو من المرّ في الحوار الصريح الصادق بين الأطراف المعنية بأمر ما.

(٥) اللسان ص ٢٤٢٥ (ط. دار المعارف).

## من فوائد (المعاتبه)

- (١) تزيل صدأ البغض والكرهية من القلوب. (٤) تنقي النفوس وتطهرها من ظنون الإثم.  
 (٢) تزيد المحبة والألفة. (٥) تقوي أواصر الود والتفاهم في المجتمع.  
 (٣) تذهب نزع الشيطان ووساوسه.

## معرفة الله ﷻ

## المعرفة لغة:

مصدر قولهم: عرف الشيء يعرفه، وهي مأخوذة من مادة (ع ر ف) التي تدل على السكون والطمأنينة، يقول ابن فارس: العين والراء والفاء أصلان<sup>(١)</sup> صحيحان يدل أحدهما على تتابع الشيء الشيء متصلًا ببعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة، ومن الأصل الأول: عرف الفرس لتتابع الشعر عليه، وجاءت القطا عرفا عرفا أي بعضها خلف بعض، والأصل الآخر، المعرفة والعرفان، تقول: عرف فلان فلانا عرفانا ومعرفة، وهذا أمر معروف لأن من عرف شيئًا سكن إليه ومن أنكره توخّش منه ونبا عنه<sup>(٢)</sup>، وقال الخليل: ونفس عروف، إذا حملت على أمر بسأت به أي اطمأنت، قال الشاعر:

فأبوا بالثساء مردّفات عوارف بعد كنّ واتّجّاح<sup>(٣)</sup>

والعرف: ربح طيب، تقول: ما أطيب عرفه، وقال الله ﷻ: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ [محمد: ٦] أي طيبها<sup>(٤)</sup>، قال ابن عباس رضي الله عنهما: المعنى في الآية الكريمة: طيبها لهم بأنواع الملاذ، وقيل: المعنى: إذا دخلوها يقال لهم: تفرّقوا إلى منازلكم، فهم أعرف بمنزلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم<sup>(٥)</sup>.

(١) معنى «أصلان» في قول ابن فارس: أن له معنيين أصليين تقاس عليهما مشتقات المادة.

(٢) مقاييس اللغة ٤ / ٢٨١ (بتصرف).

(٣) الاتّجّاح من الوجّاح وهو السّتر، والمراد: معرّفات بالذّلّ والهوان.

(٤) كتاب العين ٢ / ١٢٣.

(٥) انظر هذين الرأيين وغيرهما في تفسير القرطبي مجلد ٨ ج ١٦ ص ١٥٣، والرأي الأول يجعل اللفظ مشتقا من العرف وهو الرّائحة، والثاني يجعله مشتقا من التعريف وهو الإعلام بالشيء، وكلاهما راجع إلى معنى السكون والطمأنينة.

وقال الرَّاعِب: المعرفة (كالعرفان) من قولهم: عرفت الشيء أي أصبت عرفه أي رآته أو حدّه<sup>(١)</sup>، وقال الفيروزآبادي: يقال: عرفه يعرفه إذا علمه (علما خاصا)، أي أدركه بتفكير وتدبر لأثره، قال: وهي أخص من العلم، يقال: فلان يعرف الله ولا يقال: يعلم الله لأن معرفة البشر لله تعالى هي تدبر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال: الله يعلم كذا، ولا يقال: يعرف كذا لأن المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتفكير وتدبر<sup>(٢)</sup>.

ويرادف المعرفة العرفان والعرفة، قال في القاموس: يقال: عرفه يعرفه معرفة وعرفانا وعرفة (بالكسر)، وعرفانا، والوصف من ذلك عارف وعريف وعروفة<sup>(٣)</sup>، قال الجوهري: (ومن معاني) العارف: الصبور، يقال: أصيب فلان فوجد عارفا، والعروف مثله، قال عنتره:

فصبرت عارفة لذلِكَ حرّة ترسو إذا نفّس الجبان تطلّع  
وقولهم: رجل عروفة بالأمر أي عارف بها، والهاء للمبالغة، والعارف والعريف بمعنى، وأنشد الأخفش لطريف بن عمرو الغنوي:

أو كلمّا وردت عكاظ قبيلة بعثوا إليّ عريفهم يتوسّم  
والتعريف: الإعلام، والتعريف: إنشاد الدابة، والتعريف: التطيب (من العرف)، والتعريف: الوقوف بعرفات، والعرف: الكاهن، والعرف: الطيب<sup>(٤)</sup>، وقولهم: أمر عريف وعارف أي معروف (فعل بمعنى مفعول)، ويقال: أعرف فلان فلانا وعرفه: وقفه على ذنبه، ثم عفا عنه، وعرفه الأمر: أعلمه إياه، وعرفه بيته: أعلمه بمكانه، وعرفه به: وسمه (أي وصفه له). قال سيوييه: وأما عرفته بزيد فإنما عرفته بهذه العلامة وأوضحته بها، وقولهم: اعترف القوم: سألهم، وقيل: سألهم عن خبر ليعرفه، وربما وضعوا عرف موضع اعترف، كما وضعوا اعترف موضع عرف، وقولهم: تعرّفت ما عند فلان، أي تطلّبت حتّى عرفت، وتقول: ائت فلانا فاستعرف إليه حتّى يعرفك، وتعارف القوم: عرف بعضهم بعضا<sup>(٥)</sup>، وجاء في حديث ابن مسعود: «... فيقال لهم: هل تعرفون ربكم؟ فيقولون: إذا اعترف لنا عرفناه» قال ابن الأثير: أي إذا وصف نفسه بصفة نحققه بها

(١) المفردات للراغب ص ٣٣٣.

(٢) بصائر ذوي التمييز ٤ / ٤٧.

(٣) القاموس المحيط (عرف) ص ١٠٨٠ (ط. بيروت).

(٤) الصحاح ٤ / ١٤٠٣

(٥) لسان العرب (عرف) ص ٢٨٩٨ (ط. دار المعارف).

عرفناه<sup>(١)</sup>، وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] الضمير في «يعرفونه» يرجع إلى محمد ﷺ والمعنى أنهم يعرفون نبوته وصدق رسالته<sup>(٢)</sup>، أمّا قوله سبحانه: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ تَتْرُكُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣] النعمة هي نبوة محمد ﷺ وإنكارها تكذيبه، وقيل: يعرفون نعمة الله بتقلّبهم فيها، وينكرونها بترك الشكر عليها<sup>(٣)</sup>، وقال ابن كثير: (المعنى) يعرفون أنّ الله تعالى هو المسدي إليهم ذلك (الفضل) وهو المتفصل به عليهم، ومع هذا ينكرون ذلك ويعبدون معه غيره ويسندون الرزق والنصر لسواه<sup>(٤)</sup>.

### لفظ الجلالة لغة:

اختلف اللغويون في لفظ الجلالة «الله» فقال بعضهم إنّه علم غير مشتقّ، وهو اسم موضوع هكذا «الله» وليس أصله «إلاه» وليس من الأسماء التي يجوز فيها اشتقاق فعل، كما يجوز في الرحمن الرحيم.

وقيل إنّه مشتقّ، وأصله إلاه، ثمّ دخلت عليه الألف واللام، فقيل الإلاه، ثمّ حذفت همزته تخفيفاً لكثرة الاستعمال، وأدغم اللّامان<sup>(٥)</sup> مع التّفخيم، ولكنّ اللّام ترقّق إذا كسر ما قبلها.

وقال الغزاليّ: فأما قوله «الله»<sup>(٦)</sup>. فهو اسم للموجود الحقّ، الجامع لصفات الإلهيّة، المنعوت بنعوت الرّبوبيّة، المتفرد بالوجود الحقيقيّ، فإنّ كلّ موجود سواه غير مستحقّ الوجود بذاته، وإنّما استفاد الوجود منه - سبحانه - وكلّ ما عداه من حيث ذاته هالك، ومن الجهة التي تليه موجود، فكلّ موجود هالك إلا وجهه، والأشبه أنّه جار في الدلالة على هذا المعنى مجرى أسماء الأعلام، وكلّ ما ذكر في اشتقاقه وتعريفه تعسف وتكلّف<sup>(٧)</sup>.

وقال السّفارينيّ: «الله» علم للذات الواجب الوجود لذاته، المستحقّ لجميع الكمالات، وهو مشتق

(١) النهاية لابن الأثير ٣ / ٢١٧

(٢) تفسير القرطبي ٢ / ١١٠

(٣) السابق ١٠ / ١٠٦ المرجع، وقد ذكر في الآية الكريمة ستة وجوه أخرى تنظر في الموضوع المذكور.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٨٠ (بتصرف يسير).

(٥) المعجم الكبير ١ / ٤٣٣

(٦) قوله «الله» يشير الغزالي إلى قول الرسول ﷺ في الحديث الشريف الذي رواه مسلم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «إنّ لله تسعة وتسعين اسما».

(٧) المقصد الأسنى ص ٦١

عند سيبويه، واشتقاقه من أله (على وزن فعل) إذا تحير، لتحير الخلق في كنه ذاته تعالى وتقدس. وقيل: من لاه يليه إذا علا، أو من لاه يلوه، إذا احتجب، وهذا الاسم عربي عند الأكثر، وزعم بعضهم أنه معرب، فقيل عربي وقيل سورياني، قال السفاريني: والقول بأنه معرب ساقط لا يلتفت إليه<sup>(١)</sup>.

وقولهم «اللهم» معناه: يا الله وهذه الميم المشددة عوض من «يا» (التي للنداء)، لأنهم لم يجدوا «يا» مع هذه الميم في كلمة واحدة، ووجدوا اسم الله مستعلا ب «يا» إذا لم يذكروا الميم في آخر الكلمة، فعلموا أن الميم في آخر الكلمة بمنزلة «يا» في أولها، والضمة التي هي في الهاء هي ضمة الاسم المنادى المفرد، والميم مفتوحة لسكونها وسكون الميم قبلها<sup>(٢)</sup>، ومن العرب من يقول إذا طرح الميم: يا الله اغفر لي (بهمزة)، ومنهم من يقول: يا الله (بغير همز)، فمن حذف الهمزة فهو على السبيل (المعتاد) في حذف الهمزة مع ياء النداء، ومن همزها فعلى توهم أصلتها نظرا لعدم سقوطها (في غير النداء)<sup>(٣)</sup>.

#### المعرفة اصطلاحاً:

قال الكفوي: المعرفة هي الإدراك المسبوق بالعدم، وتقال أيضاً لثاني الإدراكين إذا تخللتهما عدم، ولإدراك الأمر الجزئي أو البسيط<sup>(٤)</sup>.

وقال الجرجاني: المعرفة إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقه بنسيان حاصل بعد العلم، ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف<sup>(٥)</sup>.

وقال صاحب التوقيف (بعد أن ذكر تعريف الجرجاني): المعرفة عند القوم سموّ اليقين، وقيل: سقوط الوهم لوضوح الاسم<sup>(٦)</sup>.

وقال الفيروزبادي: المعرفة إدراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره، يقال: فلان يعرف الله، لأن معرفة البشر لله إنما هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته، وهي أخص من العلم<sup>(٧)</sup>.

(١) غذاء الألباب، شرح منظومة الآداب ١ / ١٠

(٢) لسان العرب ١٣ / ٤٧٠ (ط. بيروت)، وقد نسب هذا الرأي للخليل وسيبويه وجميع النحويين الموثوق بهم.

(٣) بتصريف يسير عن المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤) الكليات للكفوي ص ٨٢٤

(٥) التعريفات ص ٣٣٦.

(٦) انظر التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٣١٠

(٧) بصائر ذوي التمييز ٤ / ٤٧

**الفرق بين المعرفة والعلم:**

قال الفيروزابادي: الفرق بين المعرفة والعلم من وجوه لفظاً ومعنى، أمّا من جهة اللفظ ففعل المعرفة (عرف - يعرف...) يتعدّى لمفعول واحد، تقول عرفت زيدا، وفعل العلم (علم - يعلم...) يتعدّى لمفعولين، كما في قولك علمته مؤمناً، وإذا تعدّى لمفعول واحد كان بمعنى المعرفة كقولك: هذا أمر لا تعلمه أي لا تعرفه<sup>(١)</sup>.

**أما الفرق من جهة المعنى فمن وجوه:**

**الأول:** المعرفة تتعلّق بذات الشيء، والعلم يتعلّق بأحواله ولذلك جاء الأمر في القرآن بالعلم دون المعرفة، وذلك كما في قوله سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

**الثاني:** المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه فإذا أدركه قيل: عرفه وذلك كما في قوله تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨]، والمعرفة على هذا نسبة الذّكر النّفسيّ وهو حضور ما كان غائباً عن الذّاكر، ولذا فإنّ ضدّ المعرفة الإنكار وضدّ العلم الجهل.

**الثالث:** أنّ المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره، والعلم يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره، ذلك أنّ التّمييز الحاصل عن المعرفة يرجع إلى إدراك الذات وإدراك صفاتها، أمّا تمييز العلم فإنّه يرجع إلى تخليص الذات وتخليص صفاتها من غيرها<sup>(٢)</sup>.

**الرابع:** المعرفة علم بعين الشيء مفصّلاً عمّا سواه، بخلاف العلم فإنّه قد يتعلّق بالشيء مجملاً<sup>(٣)</sup>.

**الخامس:** وأضاف الكفويّ إلى ذلك فرقا آخر هو أنّ العلم أعمّ من المعرفة، فالمعرفة تقال فيما لا يعرف إلّا كونه موجوداً فقط، والعلم يقال في ذلك وفي غيره<sup>(٤)</sup>.

(١) بصائر ذوي التمييز (بتصرف) وقد استبدلنا الأمثلة التي ذكرها الفيروزابادي، وهي أمثلة قرآنية تحتاج إلى التفسير بأمثلة مبسطة قصداً للإيجاز.

(٢) ذكر الفيروزابادي فرقا آخر يتعلّق بهذا الفرق ويرجع إليه وهو أنك إذا قلت: علمت زيدا لم تغد المخاطب شيئاً لأنّه ينتظر أن تخبره على أي حال علمته، فإذا قلت: كريماً أو شجاعاً حصلت له الفائدة، وإذا قلت: عرفت زيدا استفاد المخاطب أنك أثبتته وميّزته عن غيره ولم ينتظر شيئاً، ولهذا الفرق أيضاً علاقة بالتعدي واللزوم الراجعين إلى المجال اللغوي.

(٣) بصائر ذوي التمييز (بتصرف واختصار) ٤ / ٤٩ - ٥١.

(٤) الكليات ص ٨٢٤.

## لفظ الجلالة اصطلاحاً «الله»:

قال الغزالي: هو الاسم الدال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها حتى لا يشذ منها شيء، وسائر الأسماء لا يدل أحادها إلا على آحاد المعاني، من علم وقدرة أو فعل أو غير ذلك، وهو أخصّ أسمائه تعالى، إذ لا يطلقه أحد على غيره لا حقيقة ولا مجازاً، وسائر الأسماء قد يسمّى بها غيره، ولهذين الوجهين يشبه أن يكون هذا الاسم أعظم هذه الأسماء<sup>(١)</sup>.

وقال السفاريني: وهو (أي لفظ الجلالة) الاسم الأعظم عند أكثر أهل العلم، وعدم الإجابة لأكثر الناس مع الدعاء به لتخلف بعض شروطه التي من أهمها الإخلاص وأكل الحلال، وقد قدم على الرحمن الرحيم (في البسملة) لأنه اسم ذات في الأصل، وهما اسما صفة في الأصل والذات متقدمة على الصفة<sup>(٢)</sup>.

وقال مؤلفو المعجم الكبير: الله: علم على الإله المعبود بحق، الجامع لكل صفات الكمال، وتفرّد سبحانه بهذا الاسم فلا يشركه فيه غيره<sup>(٣)</sup>.

## معرفة الله ﷻ اصطلاحاً:

قال الكفوي: المعرفة في اصطلاحهم: هي معرفة الله ﷻ بلا كيف ولا تشبيه<sup>(٤)</sup>.  
وقال بعضهم: معرفة الله ﷻ هي ثمرة التوحيد، والمراد بها: معرفته ﷻ بصفاته الواجبة له مع تنزيهه عما يستحيل اتصافه به، معرفة صحيحة ناشئة عن الأدلة اليقينية<sup>(٥)</sup>.

## حكم معرفة الله ﷻ:

قال الكفوي: معرفة الله ﷻ بالدليل الإجمالي فرض عين لا مخرج عنه لأحد من المكلفين، وهي بالتفصيل فرض كفاية لا بد أن يقوم به البعض<sup>(٦)</sup>.

(١) المقصد الأسنى ص ٦٠.

(٢) غذاء الألباب، شرح منظومة الآداب ١ / ١٠.

(٣) المعجم الكبير، تأليف لجنة من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة (انظر قائمة المراجع).

(٤) الكليات ص ٨٢٥.

(٥) انظر توضيح العقيدة المفيدة في علم التوحيد ص ٧.

(٦) الكليات ص ٨٢٥، والمراد بالمعرفة التفصيلية معرفة ما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة عن الله ﷻ وأسمائه وصفاته،

لا ما ادخره الله في علم الغيب عنده.

## تفاضل الناس في المعرفة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أصل التفاضل بين الناس إنما هو بمعرفة الله ومحبتة. وإذا كانوا يتفاضلون فيما يعرفونه من المعروفات، وإذا كانوا يتفاضلون في معرفة الملائكة وصفاتهم والتصديق بهم، فتفاضلون في معرفة الله وصفاته والتصديق به أعظم، وكذلك إن كانوا يتفاضلون في معرفة روح الإنسان وصفاتها، والتصديق بها، أو في معرفة الجن وصفاتهم وفي التصديق بهم، أو في معرفة ما في الآخرة من النعيم والعذاب، فتفاضلهم في معرفة الله وصفاته (أعظم)، بل إن كانوا متفاضلين في معرفة أبدانهم وصفاتها، وصحتها ومرضها، وما يتبع ذلك فتفاضلهم في معرفة الله تعالى أعظم وأعظم، إن كل ما يعلم ويقال يدخل في معرفة الله تعالى، إذ لا موجود إلا وهو خلقه وكل ما في المخلوقات من الصفات والأسماء والأقذار والأفعال شواهد ودلائل على ما لله سبحانه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وكل كمال في المخلوقات من أثر كماله، وكل كمال ثبت لمخلوق فالخالق أحق به، وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق أحق بتنزيهه عنه، لقد ثبت في الحديث الشريف أن لله أسماء استأثر بها<sup>(١)</sup> في علم الغيب عنده، وأسماء الله متضمنة لصفاته، وليست أسماء أعلام محضة، وإذا كان من أسمائه ما اختص هو بمعرفته، ومن أسمائه ما خص به ما شاء من عباده، علم أن تفاضل الناس في معرفته أعظم من تفاضلهم في معرفة كل ما يعرفونه<sup>(٢)</sup>.

## طرق المعرفة بالله ﷻ:

قال ابن القيم: الرب تعالى يدعو عباده في القرآن الكريم إلى معرفته من طريقين:

أحدهما: النظر في مفعولاته.

والثاني: التفكير في آياته وتدبرها، فتلك<sup>(٣)</sup> وهذه آياته المسموعة المعقولة.

فالنوع الأول كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ

الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقوله عز من قائل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

(١) جاء في الحديث الذي رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ «... أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته

أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري... إلخ» انظر الحديث.

كلاما في مجمع الزوائد ١٠ / ١٣٦، وفي المسند ٥ (٣٧١٢)، قال شاكر: إسناده صحيح.

(٢) بتصرف واختصار عن الفتاوى ٧ / ٥٦٩ - ٥٧١.

(٣) تلك: إشارة إلى مفعولات الله أي مخلوقاته، وهذه: إشارة إلى آي القرآن الكريم.

وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَأَيَّتِ لَأُولَى الْأَلْتَبِ ﴿ [آل عمران: ١٩٠]. ومثل هذا كثير في القرآن (١).

الثاني: كقوله سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقَرَّ أَنْ ﴾ [النساء: ٨٢].

وقوله عز من قائل: ﴿ أَفَلَمْ يَذَبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقوله سبحانه: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ

مُبْرَكٌ لِيَذَبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ [ص: ٢٩] وهو كثير أيضا (٢).

فأما المفعولات فإنها دالة على الأفعال، والأفعال دالة على الصفات، فإن المفعول يدل على فاعل فعله، وذلك يستلزم وجوده وقدرته ومشيئته وعلمه لاستحالة صدور الفعل الاختياري من معدوم، أو موجود لا قدرة له ولا حياة، ولا علم ولا إرادة، ثم ما في المفعولات من التخصيصات المتنوعة دال على إرادة الفاعل، وأن فعله ليس بالطبع بحيث يكون واحدا غير متكرر، وما فيها (٣) من المصالح والحكم والغايات المحمودة دال على حكمته تعالى، وما فيها من النفع والإحسان والخير دال على رحمته، وما فيها من البطش والانتقام والعقوبة دال على غضبه، وما فيها من الإكرام والتقريب والعناية دال على محبته، وما فيها من الإهانة والإبعاد والخذلان دال على بغضه ومقته، وما فيها من ابتداء الشيء في غاية النقص والضعف ثم سوجه إلى تمامه ونهايته دال على وقوع المعاد، وما فيها من أحوال النبات والحيوان (وتصريف الرياح والسحاب والمياه) دليل على إمكان المعاد، وما فيها من ظهور آثار الرحمة والنعمة على خلقه دليل على صحة النبوات، وما فيها من الكمالات التي لو عدمتها كانت ناقصة دليل على أن معطي تلك الكمالات أحق بها، فمفعولاته من أدل شيء على صفاته، وصدق ما أخبرت به رسله عنه، وهي شاهدة تصدق الآيات المسموعات، ومنبهة على الاستدلال بالآيات المصنوعات قال تعالى: ﴿ سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]، أي إن القرآن حق، وقد أخبر سبحانه أنه لا بد أن يريهم من آياته المشهودة ما يبين لهم أن آياته المتلوّة حق، ثم أخبر بكفاية شهادته على

(١) ذكر الإمام الغزالي في الإحياء آيات أخرى عديدة ورد فيها ذكر عجائب صنعته سبحانه، ثم قال: ليس يخفى على من له أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدار نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسموات، وبدائع فطرة الحيوانات والنبات، أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدره، وفاعل يحكمه ويقدره، بل تكاد فطرة النفس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيريه ومصرفة بمقتضى تديره (إحياء علوم الدين ١ / ١٠٥).

(٢) انظر صفة تدبر القرآن.

(٣) أي ما في مصنوعات الله ومخلوقاته.

صحّة خبره بما أقام من الدلائل والبراهين على صدق رسوله، وآياته (الكونيّة) شهادة بصدقه وهو (أي القرآن) شاهد بصدق رسوله بآياته (المتلوّة)، فهو ﷺ الشاهد والمشهود له، وهو الدليل والمدلول عليه، وهو سبحانه أعرف من كلّ معروف، وأبين من كلّ دليل، فالأشياء عرفت به في الحقيقة، وإن كان عرف بها في النظر والاستدلال<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإيمان- الإسلام الحكمة- العلم- الفطنة- النظر والتبصر- البصيرة- التدبر- العبادة- التفكير- التذكر- التأمل- الفقه.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الجهل- السفاهة- الكفر- الإعراض- البلادة والغباء- الضلال- الغي والإغواء- نكران الجميل- اتباع الهوى- التفريط والإفراط].

\*\*\*

### من فوائد (معرفة الله ﷻ)

- (١) معرفة الله ﷻ هي أساس الإيمان به، والتّصديق برسله، وما أرسلوا به.
- (٢) معرفة الله ﷻ تورث السّكينة والرّضا، وتبعد عن العبد السّخط والغضب.
- (٣) العارف بالله تعالى من أطيب النّاس عيشا.
- (٤) المعرفة بالله ﷻ تورث محبّته سبحانه.
- (٥) معرفة الله ﷻ هي جماع السّعادة في الدّنيا والآخرة.
- (٦) من عرف الله ﷻ في الرّخاء عرفه الله ﷻ في شدّته وأنقذه منها.
- (٧) المعرفة في قلب المؤمن سراج ينير طريقه، أمّا معرفة المنافق التي يعقبها إنكار فإنّها تجعل قلبه منكوسا.
- (٨) العارفون بالله يوم القيامة يهديهم ربّهم بإيمانهم فيتبعونه عندما يأتيهم في صورته التي يعرفونها.
- (٩) العارفون بالله تعالى لهم أوفر حظّ من نور اليقين وأصحاب اليقين هم الفائزون في الدّنيا والآخرة.

(١) الفوائد لابن القيم بتصرف ص ٣١-٣٣.

(١٠) المعرفة تورث الخوف من الله ﷻ وتؤدّي إلى الخشية منه والبعد عن معاصيه.

(١١) من ثمرات المعرفة الإقبال على الله ﷻ.

(١٢) قلب العارف يزداد نورا على نور.

## المواساة

### المواساة لغة :

المواساة مصدر قولهم: واسيته وهي لغة في آسيته، يقول ابن فارس: الهمزة والسّين والواو أصل واحد يدلّ على المداواة والإصلاح.

يقال: أسوت الجرح إذا داويته، ولذلك يسمّى الطّبيب الآسي.

قال الحطيئة:

هم الآسـون أمّ الرّأس ما تواكـاها الأـطبـة والإسـاء

ويقال: أسوت بين القوم، إذا أصلحت بينهم، ومن هذا الباب قولهم: لي في فلان أسوة (بضمّ الهمزة وكسرهما)، أي قدوة، أي أنّي اقتدي به، وأسيت فلانا إذا عزّيته من هذا، أي قلت له: ليكن لك بفلان أسوة فقد أصيب بمثل ما أصبت به فرضي وسلّم، ومن هذا الباب آسيته بنفسي (وواسيته).

وقال الرّاعب: الأسو: إصلاح الجرح وأصله: إزالة الآسى، والآسى: طيب الجرح، جمعه: إساء وأساة، والمجروح مآسيّ وآسيّ معا، ويقال آسيته (أصلحته)، قال الشّاعر:

آسى أخسـاه بنفـسه

وقال: آخر: فآسى وآذاه فكان كمن جنى.

وقال الجوهريّ: في مادّة (وس ي): وواساه لغة ضعيفة في آساه، تبنى على يواسي، وقد استوسيته: أي قلت له واسني، وقال في مادّة (أسا) يقال: آسيته بمالي مواساة، أي جعلته أسوتي فيه، والإسوة والأسوة (بالكسر والضّم) هي ما يأتسي به الحزين ويتعزّى به، والجمع إسى وأسى، ثمّ سمّي الصّبر أسى، وتأسوا: أي آسى بعضهم بعضا، والآسى: المداواة والعلاج، وهو الحزن أيضا والإساء: الدّواء بعينه والإساء (أيضا) الأظبة. جمع الآسى.

وقال ابن منظور: الأسا (مفتوح مقصور) المداواة والعلاج، وهو الحزن أيضا، وأسا الجرح أسوا وأسوا: داواه، والأسو على فعول: دواء تأسو به الجرح، ويقال: أسا بينهم أسوا أصلح، وتأسوا

أي آسى بعضهم بعضا، قال الشاعر:

وإن الألى بالطفّ من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التآسيا

قال ابن بري: وهذا البيت تمثّل به مصعب (بن الزبير) يوم قتل، وتأسوا فيه من المؤاساة لا من التآسي، والمواساة: المساواة والمشاركة في المعاش والرّزق وأصلها الهمزة فقلبت واوا تخفيفا وفي حديث الحديبية: إنّ المشركين واسونا للصلح، جاء به على التخفيف، وعلى الأصل جاء الحديث الآخر: ما أحد عندي أعظم يدا من أبي بكر آساني بنفسه وماله، ويقال: آساه بماله: أناله منه وجعله فيه أسوة، وقيل لا يكون منه ذلك إلا من كفاف، فإن كان من فضلة فليس بمؤاساة. قال أبو طالب: أصل الكلمة إما أن يكون آساه يأسوه، إذا عالجه وداواه، وإما أن يكون من آس يتوس: إذا عاض، فأخر الهمزة وليتها ولكلّ مقال.

وأما قولهم: واساه فلغة ضعيفة في آساه. وقال أبو بكر في قولهم: ما يواسي فلان فلانا ثلاثة أقوال:

أحدها: ما يشارك فلان فلانا فالمواساة المشاركة. وأنشد لهذا المعنى:

فإن يك عبد الله آسى ابن أمّه وآب بأسلاب الكميّ المغاور

وثانيها: ما يصيبه بخير. من قول العرب: آس فلانا بخير أي أصبه.

ثالثها: ما يعوّضه من مودّته ولا قرابته شيئا أي ما يعوّضه وهو مأخوذ من الأوس وهو العوض.

ويقال: قد استوسيته: أي قلت له: واسني<sup>(١)</sup>.

#### واصطلاحا:

قال ابن مسكويه: المواساة: معاونة الأصدقاء والمستحقّين ومشاركتهم في الأموال والأقوات<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : المواساة: أن يجعل صاحب المال يده ويد صاحبه في ماله سواء<sup>(٣)</sup>.

(١) تهذيب اللغة للأزهري (١٣ / ١٣٨ - ١٣٩). ولسان العرب (٨ / ٤٨٤٠). والصحاح (٦ / ٢٥٢٤). وتاج العروس (١٠ /

٣٩٠ - ٣٩١) ومقاييس اللغة (١ / ١٠٧)، المفردات (١٨).

(٢) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه (٣ / ٣١).

(٣) الفتح (٧ / ٢٥).

وقال غيرهما: المواساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرّزق<sup>(١)</sup>.

### أنواع المواساة:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى: المواساة للمؤمنين أنواع:

الأوّل: مواساة بالمال. الثاني: مواساة بالجاه.

الثالث: مواساة بالبدن والخدمة. الرابع: مواساة بالنصيحة والإرشاد.

الخامس: مواساة بالدعاء والاستغفار لهم. السادس: مواساة بالتوجّع لهم.

قال: وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلمّا ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلمّا قوي قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك، فلا أتباعه من المواساة بحسب أتباعهم له، ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد، وقد تجرّد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟

فقال: ذكرت الفقراء وبردهم، وليس لي ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم في بردهم<sup>(٢)</sup>.

وهذا النوع الأخير الذي يعني المشاركة إنّما يرمي إلى جبر خاطر المحتاجين عندما يتعذّر القيام بسدّ هذه الحاجة، وفي هذا ما يعينهم على الرّضا الصّبر وتحمل المشاق.

### من المواساة جبر خاطر المسلم وإدخال السرور على قلبه:

لما كانت المواساة لا تقتصر على مشاركة المسلم لأخيه في المال والجاه أو الخدمة والنصيحة.. أو غير ذلك فإنّ من المواساة مشاركة المسلم في مشاعره خاصّة في أوقات حزنه، وعند تعرّضه لما يعكّر صفوه، وهنا فإنّ إدخال السرور عليه وتطيب خاطره بالكلمة الطيبة، أو المساعدة الممكنة بالمال أو الجاه، أو المشاركة الوجدانية هو من أعظم المواساة وأجلّ أنواعها، وقد كان ﷺ يواسي بالقليل والكثير، وقد علمنا؟ أنّ من أقال مسلماً من عشرته أقال الله عشرته، وأنّ الله ﷻ لا يزال في حاجة العبد مادام العبد في حاجة أخيه.

إنّ حاجة المسلم تتنوّع وتختلف من موقف إلى آخر، فهناك من تكون حاجته إلى المال، وهناك من تكون حاجته إلى عمل أو وظيفة، وهناك من تكون حاجته إلى كلمة طيبة، وهناك من

(١) لسان العرب لابن منظور (١/ ٨٢) ط. دار المعارف.

(٢) الفوائد ص ٢٢٤.

تكون حاجته إلى دفع الظلم عنه، وهناك من تكون حاجته إلى مشاركة الناس له في أتراحه أو أفراحه، وهناك من تكون حاجته في وضع الدين عنه أو إرجائه، إلى غير ذلك من الحاجات وكل ذلك يدخل في إطار القاعدة العامة للمواساة، وهي أن يكون المسلم في حاجة أخيه، وعلى المسلم أن يعرف أن فائدة هذه المواساة لا ترجع إلى صاحب الحاجة (المواسي) فقط، وإنما تشمل أيضا المواسي لأن الله ﷻ يقف إلى جانبه ويكون في حاجته، هذا في الدنيا، ويجازيه عليها أفضل جزاء يوم القيامة، وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أن من لقي أخاه بما يحب ليسره بذلك سره الله ﷻ يوم القيامة، لقد حفلت سير أعلام النبلاء بنماذج مشرفة من المواساة، ومن تأمل هذه الصفحات المشرقة التي حفلت بها سير هؤلاء يتضح أن مجالسة المساكين والتحدث معهم فيه جبر خاطرهم وإدخال السرور عليهم، وإذا كان الإنسان واجدا فإنه كان يتكفل بنفقة هؤلاء وإعالتهم مع المحافظة على كرامتهم وتقديم المعونة لهم سرا.

[للاستزادة: انظر صفات: الإغاثة- الإنفاق- البر- بر الوالدين- تفريج الكربات- حق الجار- السخاء- صلة الرحم- عيادة المريض- كفالة اليتيم تكريم الإنسان- الكرم- الجود- الصدقة.

وفي ضد ذلك انظر صفات: الأثرة- البخل- التخاذل- الشح- الإعراض- التفريط والإفراط- التهاون- قطيعة الرحم- عقوق الوالدين- الكنز].

\*\*\*

### من فوائد (المواساة)

- (١) تورث حب الله ﷻ ثم حب الخلق.
- (٢) دليل حب الخير للآخرين.
- (٣) تشيع روح الأخوة بين المسلمين.
- (٤) تقوي العلاقات بين المسلمين.
- (٥) تساعد على قضاء حاجات المحتاجين وسد عوز المعوزين.
- (٦) تدخل السرور على المسلم وترفع من معنوياته فيقبل على الحياة مسرورا.
- (٧) المواساة تجعل صاحبها من المسرورين يوم القيامة.
- (٨) المواساة من أحب الأعمال إلى الله ﷻ.
- (٩) المواساة تدعو إلى الألفة وتؤكد معنى الإخاء وتنشر المحبة.
- (١٠) المواساة تدفع الغيظ وتذهب الغل وتميت الأحقاد.

## النبل

## النبل لغة:

مصدر قولهم: نبل فلان أي صار نبيلًا، وهو مأخوذ من مادة (ن ب ل) التي تدلّ - كما يقول ابن فارس - على فضل وكبر، ثمّ يستعار منه الحذق في العمل، فيقال للفضل في الإنسان نبل، والمعنى في الحذق قولهم: إنَّ النَّبْل: الحاذق بالأمر، والفعل (أي المصدر) النَّبَالَة، وفلان أنبل النَّاس بالإبل: أي أعلمهم بما يصلحها، قال الشاعر:

تَدُلُّ عَلَيْهَا بِالْحَبَالِ مَوْتَقًا      شَدِيدُ الْوَصَاةِ نَابِلٌ وَابْنُ نَابِلٍ  
وفي الباب قياس آخر يدلّ على رمي الشيء ونبذه وخفّة أمره، ومن ذلك: النَّبْل: السَّهْمُ العربيّة، والنَّابِل صاحب النَّبْل، والنَّبَال الذي يعمله، ونبلته: أي رميته بالنَّبْل.

وقال الجوهريّ: النَّبْل: النَّبَالَة والفضل، وقد نبل - بالضمّ - فهو نبيل، والجمع نبل - بالتحريك - مثل كريم وكرم، يقال: نابلته فنبلته، إذا كنت أجود نبلا منه، وقد يكون ذلك في النَّبْل أيضًا، وتنبّل تكلف النَّبْل، وتنبّل (أيضا) أخذ الأنبل فالأنبل وتنبّل البعير: مات، قال ابن الأعرابيّ ويقال: تنبّل الإنسان أيضا (مات)، والنَّبِيلَة: الجيفة<sup>(١)</sup> والنَّابِل: الحاذق بالأمر، يقال فلان نابل وابن نابل، أي حاذق وابن حاذق، ويقال ما انتبل نبلة إلا بأخرة، أي ما انتبه له وما بالى به، وقال ابن منظور: النَّبْل، بالضمّ: الذكاء والنَّجَابَة، وقد نبل نبلا ونبالة وتنبّل، وهو نبيل ونبل، والأنثى نبلة، والجمع نبال بالكسر، ونبل، بالتحريك ونبلة. والنَّبِيلَة: الفضيلة، وأمّا النَّبَالَة فهي أعمّ، تجري مجرى النَّبْل، وتكون مصدرا للشيء النَّبِيل أي الجسم قال: والنَّبْل في معنى جماعة النَّبِيل، كما أنّ الأدم جماعة الأديم، والكرم قد يجيء جماعة الكريم، وفي بعض القول: رجل نبل وامرأة نبلة وقوم نبال، وفي المعنى الأوّل، قوم نبلاء. وقال ابن سيده: وكلّ حاذق نابل ويقال: نبل الرّجل بالطّعام ينبله: علّله به. وناوله الشيء بعد الشيء، ونبل به ينبله: رفق به، ولأنبلك بنالتك، أي لأجزيتك جزاءك، والنَّبْل (بالفتح) حسن السّوق، والنَّابِل: المحسن للسّوق وقولهم: انبل بقومك أي ارفق بهم، والنَّبْل (بضمّتين) الرّفق، والنَّبْل: الحذق، والنَّبَالَة والنَّبْل في الرّجال، ويقال: ثمرة نبيلة وقدح نبيل (أي ضخم)<sup>(٢)</sup>.

(١) في هذا إشارة إلى أنّ تنبّل بمعنى مات مأخوذ من النبيلة بمعنى الجيفة.

(٢) لسان العرب (١١ / ٦٤٠)، الصحاح (٥ / ٨٢٣)، مقاييس اللغة (٥ / ٣٨٤).

## النبل اصطلاحاً:

لم تذكر كتب المصطلحات لفظ «النبل» أو النبالة ضمن الاصطلاحات، ومن ثمّ يكون النبل باعتباره خلقاً حميداً باقياً على أصل معناه في اللغة، ويمكن أن نستخلص له تعريفاً من جملة ما أوردته كتب اللغة فنقول: النبل: خلق حميد يتحلّى صاحبه بالذكاء والنجابة في ذاته، والفضل والرفق في تعامله مع الناس، مع حذق في الرأى والعمل.

[للاستزادة: انظر صفات: الرجولة - الشرف - الشهامة - علو الهمة - قوة الإرادة - المروءة - النزاهة العفة - الورع - القوة والشدة - المسؤولية - النشاط.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الخنوثة - التخاذل - الدياثة - صغر الهمة - الضعف - التهاون].

\*\*\*

## من فوائد (النبل)

- (١) يثمر قوّة العقل.  
 (٢) فيه تأسّ بسيدّ النبلاء وأشرف الخلق (٤) يثمر الكرم والجود.  
 (٣) النّبل سيّد في قومه.  
 (٥) يثمر الحلم والعفو والصّفح.  
 رسول الله ﷺ.

## النزاهة

## النزاهة لغة:

هي الاسم من التّنزّه، وهذا الاسم مأخوذ من مادّة (ن ز هـ) التي تدلّ على بعد في مكان أو غيره، يقال منه: رجل نزيه أي بعيد عن المطاعم الدنيّة، ونزه النّفس، ونازه النّفس: ظلفها (أي بعيدها) عن المدانس، وقولهم: خرجنا نتنّزه، إذا تباعدوا عن الماء والرّيف، ومكان نزيه: خال ليس به أحد. وقال ابن الأثير: أصل التّنزه: البعد، وتنزيه الله تعالى: تبعيده عمّا لا يجوز عليه من النّقائص.

قال ابن منظور: والتّنزه: التّباعد، والاسم التّنزهة.

ومكان نزه ونزيه، وقد نزه نزاهة ونزاهية. وخرجنا نتنّزه في الرّياض وأصله من البعد، وقد نزهت الأرض. وهو يتنّزه عن الشّيء إذا تباعد عنه. وفي حديث عمر رضي الله عنه: الجابية أرض نزهة أي بعيدة عن الوباء (والجابية قرية بدمشق) قال ابن سيده: وتنّزه الإنسان خرج إلى الأرض التّنزهة. قال: والعامّة يضعون الشّيء في غير موضعه ويغلطون فيقولون خرجنا نتنّزه: إذا خرجوا إلى

البساتين فيجعلون التنزه الخروج إلى البساتين والخضر والرياض، وإنما التنزه: التباعد عن الأرياف والمياه حيث لا يكون ماء ولا ندى ولا جمع ناس. ومنه قيل: فلان يتنزه عن الأقدار ويتنزه نفسه عنها، أي يباعد نفسه عنها.

ورجل نزه الخلق ونزهه. ونازه النفس: عفيف متكرم يحلّ وحده ولا يخالط البيوت بنفسه ولا ماله.

والاسم النزه والنزاهة. ونزه نفسه عن القبيح: نحّاها.

والنزاهة: البعد عن السوء. وإن فلانا لنزيه كريم إذا كان بعيدا من اللؤم، وهو نزيه الخلق. قال الأزهرى: التنزه: رفعه نفسه عن الشيء تكرّما ورغبة عنه.

والتنزيه: تسبيح الله ﷻ وإبعاده عما يقول المشركون وتقديسه عن الأنداد والأشباه. وفي الحديث: كان يصلّي من الليل فلا يمرّ بآية فيها تنزيه الله إلا نزهه. ومنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه: الإيمان نزه أي بعيد عن المعاصي.

ومنه الحديث في تفسير سبحان الله: هو تنزيهه أي إبعاده عن السوء وتقديسه. وفي حديث المعدّب في قبره: كان لا يستنزه من البول أي لا يستبرأ ولا يتطهر ولا يستبعد منه، وقوم أنزاه أي يتنزهون عن الحرام، الواحد نزيه مثل مليء وأملاء، ورجل نزيه ونزه أي ورع، ويقال أيضا: فلان نزيه أي بعيد (عن الماء)، وتنزهوا بحرّمكم عن القوم أي تباعدوا، وهذا مكان نزيه: خلاء بعيد عن الناس ليس فيه أحد، فأنزلوا فيه حرّمكم، ونزه الفلا: ما تباعد منها عن المياه والأرياف<sup>(١)</sup>.

#### واصطلاحاً:

قال الجرجاني: النزاهة: هي عبارة عن اكتساب مال من غير مهانة ولا ظلم للغير<sup>(٢)</sup> وأضاف المناوي إلى عدم المهانة والظلم قيّداً آخر في تعريف النزاهة: هو «الإنفاق في المصارف الحميدة، فقال: النزاهة: هي اكتساب المال من غير مهانة ولا ظلم، وإنفاقه في المصارف الحميدة<sup>(٣)</sup>.

وقال الماوردي: النزاهة تكون عن المطامع الدنيّة ومواقف الرّيبة<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب لابن منظور (١٣ / ٥٤٨ - ٥٤٩). وانظر النهاية في غريب الحديث (٥ / ٤٣). ومختار الصحاح: (٦٥٥)، ومقاييس اللغة (٥ / ٤١٨).

(٢) التعريفات (٢٦٠).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (٣٢٣).

(٤) أدب الدنيا والدين (٣١٤).

## أنواع النزاهة:

قال الماوردي: النزاهة نوعان: أحدهما: النزاهة عن المطامع الدنيّة. والثاني: النزاهة عن مواقف الرّيبة، فأما المطامع الدنيّة، فلأنّ الطمع ذلّ، والدّناءة لؤم، وهما أدفع شيء للمروءة وقد كان النّبّي ﷺ يقول في دعائه: اللهمّ إنّي أعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع، أي إلى شين وعيب. وقال بعض الشعراء:

لا تخضعن لمخلوق على طمع      فإنّ ذلك نقص منك في الدّين  
واسترزق الله ممّا في خزائنه      فإنّما هو بين الكاف والنّون

والباعث على ذلك شيئان: الشّره، وقلة الأنفة، فلا يقنع بما أوتي وإن كان كثيرا، لأجل شرهه، ولا يستنكف ممّا منع وإن كان حقيرا، لقلة أنفته. وهذه حال من لا يرضى لنفسه قدرا، ويرى المال أعظم خطرا، فيرى بذل أهون الأمرين لأجلهما مغنما، وليس لمن كان المال عنده أجلا، ونفسه عليه أقلّ، إصغاء لتأنيب، ولا قبول لتأديب. وحسم هذه المطامع شيئان: اليأس، والقناعة. وقد روى عبد الله بن مسعود، عن النّبّي ﷺ أنّه قال: «إنّ روح القدس نفث في روعي<sup>(١)</sup>: أنّ نفسا لن تموت حتّى تستوفي رزقها؛ فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم إبطاء الرّزق على أن تطلبوه بمعاصي الله تعالى، فإنّ الله ﷻ لا يدرك ما عنده إلا بطاعته» فهذا شرط. وأما مواقف الرّيبة فهي التّردّد بين منزلتي حمد وذمّ، والوقوف بين حالتي سلامة وسقم، فتتوجّه إليه لائمة المتوهّمين، ويناله ذلّة المرييين، وكفى بصاحبها موقفا، إن صحّ افتضح، وإن لم يصحّ امتهن. وقد قال النّبّي ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». والدّاعي إلى هذه الحال شيئان: الاسترسال، وحسن الظّنّ.

والمانع منهما شيئان: الحياء والحذر. وربّما انتفت الرّيبة بحسن الثّقة، وارتفعت التّهمة بطول الخبرة<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الشّهامة- العفة- المروءة- الورع- الرجولة- الشرف- علو

الهمة.

(١) الروع: القلب والفؤاد (انظر: المعجم الوسيط «روع»).

(٢) أدب الدنيا والدين (٣١٤، ٣١٥).

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاحتكار - أكل الحرام - التطفيف - الغلول - التناجش - صغر الهمة - الدياثة - الخنوثة].

\*\*\*

### من فوائد (النزاهة)

- (١) تنزيه الله ﷻ عما لا يليق به من الأسماء والصفات والأفعال وهو التسييح.
- (٢) المؤمن التقي يتنزه عن أشياء من الحلال مخافة أن يقع في الحرام، لتبقى العلاقة بينه وبين الله ﷻ ناصعة لا تشوبها شائبة.
- (٣) من نزه نفسه عما في أيدي الناس وصانها عن مواقف الريبة والتهم أحبه الناس وكان موضع ثقتهم.
- (٤) إن الذين ينزهون أنفسهم وأسماعهم في الحياة الدنيا عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان يسكنهم الله في الآخرة بياض المسك، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم تمجيدي وتحميدي.
- (٥) النزاهة يحبه الله ويحبه الناس.
- (٦) النزاهة ثمر الورع وتنمي التقوى.

### النشاط

#### النشاط لغة:

مصدر قولهم «نشط ينشط» وهو مأخوذ من مادة (ن ش ط) التي تدل على اهتزاز وحركة وسميت الحالة التي ينشط فيها الإنسان ويخف للعمل ويسرع إليه نشاطا لما يصاحبها من الحركة والاهتزاز والتفتح، وسمي الثور ناشطا لأنه ينشط من بلد إلى بلد، ويقال: أنشط القوم إذا كانت دوابهم نشيطة، ونشطت الناقة في سيرها إذا شدت، والأنشطة: العقدة مثل عقدة السراويل، يقال: أنشطته بأنشطة، وأنشطت العقال: مددت أنشطته فأنشطت وقال قوم: الإنشيط: الحل، والتنشيط: العقد، والنشاطات في قوله تعالى: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾، قيل أراد بها النجوم الخارجات من الشرق إلى الغرب بسير الفلك أو السائرات من المغرب إلى المشرق بسير أنفسها من قولهم ثور ناشط أي خارج من أرض إلى أرض، وقيل الملائكة التي تنشط أرواح الناس أي تنزعها، وقيل الملائكة التي تعقد الأمور من قولهم نشطت العقدة، وتخصيص النشط وهو العقد الذي يسهل حله تبيينها على سهولة

الأمر عليهم، والنشيط ما ينشط الرئيس لأخذه (أي يخفّ له ويسرع إليه) قبل القسمة، وفي القاموس: يقال نشط كسمع فهو ناشط ونشيط أي طابت نفسه للعمل وغيره ونشط الحبل كنعصر عقده، ونشط من المكان كضرب: خرج، ونشط الدلو ينشطها (بالكسر) نزعها بلا بكرة.

وقال الجوهري: يقال نشط الرجل نشاطاً فهو نشيط، وتنشط لأمر كذا والناشط الثور الوحشي يخرج من أرض إلى أرض وقوله سبحانه: ﴿وَالنَّشِطَاتِ نَشْطًا﴾ يعني النجوم تنشط من برج إلى برج كالثور الناشط من بلد إلى بلد، والهموم تنشط بصاحبها (أي تخفّ به وتخرجه من بلد إلى بلد) قال هميان بن قحافة:

أمست همومي تنشط المناشط  
الشام بي طوراً وطورا واسطاً

وقال ابن منظور: النشاط ضد الكسل، يكون ذلك في الإنسان والدابة يقال: نشط نشاطاً، ونشط إليه، فهو نشيط، ونشطه هو وأنشطه وقولهم «نشيط» أي طيب النفس للعمل، والنعت: ناشط، وفي حديث عبادة: بايعت رسول الله ﷺ على المنشط والمكره» المنشط هنا مفعول من النشاط وهو الأمر الذي تنشط له وتخفّ إليه وتؤثر فعله وهو مصدر بمعنى النشاط، ويقال رجل نشيط ومنشط أي نشط دوابه وأهله، ورجل منتشط إذا كانت له دابة يركبها، فإذا سئم الركوب نزل عنها وقيل منتشط (من الانتشاط وهو النزول عن الدابة من طول الركوب) ولا يقال ذلك للرجل، وأنشط القوم إذا كانت دوابهم نشيطة، وأنشطه الكلاً أسمنه<sup>(١)</sup>.

#### النشاط اصطلاحاً:

قال ابن الأثير: المنشط: مفعول من النشاط وهو الأمر الذي تنشط له وتخفّ إليه وتؤثر فعله، وهو مصدر بمعنى النشاط، ومن ثم يكون النشاط هو أن يخفّ الإنسان إلى الأمر ويؤثر فعله.

وقال الإمام ابن حجر في شرح قوله ﷺ «بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، أي في حالة نشاطنا، وفي الحالة التي نكون فيها عاجزين عن العمل بما نؤمر به، والظاهر أنه أراد في وقت الكسل والمشقة في الخروج ليطلق قوله «منشطنا» قال ابن حجر رحمه الله: ويؤيده ما وقع في رواية إسماعيل بن عبيد «في النشاط والكسل»، ونستنبط من ذلك أن النشاط يقابله الكسل، وإذا كانت كتب المصطلحات لم تعرف النشاط فإنها عرفت الكسل، فقال ابن المناوي: الكسل هو

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٤٢٦)، والمفردات للراغب (٤٩٣)، والصحاح (٣/ ١١٩٣)، اللسان (٧/ ٤٤٢٨)، القاموس المحيط (٨٩٠) ط. بيروت.

التَّعَافُلُ عَمَّا لَا يَنْبَغِي التَّعَافُلُ عَنْهُ، وَقَالَ الرَّاعِبُ: الْكَسْلُ هُوَ التَّثَاقُلُ عَمَّا لَا يَنْبَغِي التَّثَاقُلُ عَنْهُ. وَنَسْتِطِيعُ عَلَى ضَوْءِ ذَلِكَ أَنْ نَعْرِفَ النَّشَاطَ اصْطِلَاحًا فنقول: النَّشَاطُ هُوَ عَدَمُ التَّعَافُلِ عَمَّا لَا يَنْبَغِي التَّعَافُلُ عَنْهُ أَوْ هُوَ عَدَمُ التَّثَاقُلِ عَمَّا لَا يَنْبَغِي التَّثَاقُلُ عَنْهُ.

### أهمية النشاط وإطراح الكسل:

قال الرَّاعِبُ في الذَّرِيعَةِ: مَنْ تَعَطَّلَ وَتَبَطَّلَ انْصَلَحَ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ، بَلْ مِنَ الْحَيَوَانِيَّةِ، وَصَارَ مِنْ جِنْسِ الْمَوْتَى، وَحَقَّ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَأَمَّلَ قُوَّتَهُ وَيَسْعَى بِحَسَبِ ذَلِكَ إِلَى مَا يَفِيدُهُ السَّعَادَةَ، وَيَتَحَقَّقُ أَنْ اضْطَرَّابَهُ (أَيَ نَشَاطَهُ) سَبَبٌ وَصَوْلُهُ مِنَ الذَّلِّ إِلَى الْعِزِّ، وَمِنَ الْفَقْرِ إِلَى الْغِنَى، وَمِنَ الضَّعْفَةِ إِلَى الرَّفْعَةِ، وَمِنَ الْخَمُولِ إِلَى النَّبَاهَةِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَنْ تَعَوَّدَ الْكَسْلَ وَمَالَ إِلَى الرَّاحَةِ فَقَدَ الرَّاحَةَ (فَحَبَّ الْهُوْبِنَى يَكْسِبُ النَّصْبَ)، وَقَدْ قِيلَ: إِذَا أَرَدْتَ أَلَّا تَتَّعِبَ، فَاتَّعِبْ لئَلَّا تَتَّعِبَ، وَقَدْ قِيلَ (أَيْضًا) إِيَّاكَ وَالْكَسْلَ وَالضَّجْرَ فَإِنَّكَ إِنْ كَسَلْتَ لَمْ تَوْدَّ حَقًّا، وَإِنْ ضَجَرْتَ لَمْ تَصْبِرْ عَلَى الْحَقِّ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ «سَافِرُوا تَغْنَمُوا» وَنَظَرْتَ إِلَيْهِ نَظْرًا عَالِيًا عَلِمْتَ أَنَّهُ حَثَّكَ عَلَى التَّحَرُّكِ (أَيَ النَّشَاطِ) الَّذِي يَثْمُرُ لَكَ جَنَّةَ الْمَأْوَى، وَمَصَاحِبَةُ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بَلْ مَجَاوِرَةُ اللَّهِ تَعَالَى<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الرجولة- القوة- قوة الإرادة- العمل- علو الهمة- العزم والعزيمة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التهاون- الضعف- الكسل- الوهن- التفريط والإفراط].

\*\*\*

### من فوائد (النشاط)

- |   |   |
|---|---|
| (١) دليل اليقين والإيمان.                     | (٦) النشاط في العبادة دليل رضا الله وعلامة القرب منه.                           |
| (٢) علامة من علامات إزهاق الشيطان بذكر الله.  | (٧) النشاط في عمل الخير يكسب المرء حبَّ الله ورضا الناس ويرفع ذكره في العالمين. |
| (٣) كثرة تحصيل الثواب.                        | (٨) به تعمر الدنيا، وتفتح البلدان لنشر دين الله.                                |
| (٤) الاجتهاد في الطاعات، وبلوغ أعلى المقامات. | (٩) به يزداد عن الأوطان، وتحمى الأعراض وتنتشر الفضيلة، وتدحر الرذيلة.           |
| (٥) يرفع قدر الضعيف.                          |   |

(١) كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٣٨٣ وما بعدها.

## النصيحة والتواصي

## النصيحة لغة:

هي الاسم من النَّصَح، وكلاهما مأخوذ من مادة (ن ص ح) التي تدلّ على ملاءمة بين شيئين وإصلاح لهما، وأصل ذلك النَّاصِح وهو الخيَّاط، والنَّصاح: هو الخيط يخاط به، ومن المادة النَّصَح، والنَّصِيحة: خلاف الغشّ، يقال: نصحته أنصحه، وهو ناصح الجيب مثل يضرب لمن وصف بخلوص العمل، والتوبة النَّصوح منه<sup>(١)</sup>، كأنها صحيحة ليس فيها خرق ولا ثلمة. وناصح العسل خالصه، كأنه الخالص الذي لا يتخلله ما يشوبه، وقال الراغب: النَّصَح مأخوذ من قولهم: نصحت له الودّ، أي أخلصته أو من قولهم: نصحت الجلد: خطته.

واستخدام الفعل باللام أفصح، قال تعالى: ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢]، والنَّصِيح: النَّاصِح، وجمعه نصحاء، ورجل ناصح الجيب أي: نقي القلب، قال الأصمعيّ: النَّاصِح: الخالص من العسل وغيره، وكلّ شيء خلص فقد نصح، وانتصح فلان أي قبل النَّصِيحة، يقال: انتصحني إنني لك ناصح، وتنصح أي تشبه بالنصحاء، واستنصحه: عدّه نصيحا، والتوبة النَّصوح هي الصادقة، والنَّصَح بالفتح مصدر قولهم نصحت الثوب: خطته.

وقال ابن منظور: نصح الشيء: خلص والناصح الخالص من العمل وغيره. والنَّصَح: الإخلاص والصدق في المشورة والعمل. وقال ابن الأثير: النَّصِيحة كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له<sup>(٢)</sup>.

## واصطلاحاً:

كلمة جامعة تتضمّن قيام النَّاصِح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً، وتشمل النَّصِيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامّتهم<sup>(٣)</sup>.

(١) هكذا قال ابن فارس (المقاييس ٥ / ٤٣٥)، وقال الراغب: إن التوبة النصوح قد تكون من هذا (أي الإخلاص) وإما من معنى الإحكام من قولهم نصحت الجلد أي خطته.

(٢) لسان العرب (٧ / ٤٤٣٨). وانظر الصحاح (١ / ٤١٠، ٤١١). والمصباح المنير (٢ / ٢٧٦)، مقاييس اللغة (٥ / ٤٣٥)، المفردات للراغب (٤٩٤).

(٣) جامع العلوم والحكم (٧٦).

- وقال الجرجاني: هي الدعاء إلى ما فيه الصّلاح والنّهي عمّا فيه الفساد<sup>(١)</sup>.  
 وقال الكفوي: النّصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظّ للمنصوح له<sup>(٢)</sup>.  
 وقال الرّاعب: النّصح: تحرّي فعل أو قول فيه صلاح صاحبه<sup>(٣)</sup>.  
 وقال في الدّريّة: النّصح إخلاص المحبّة للغير بإظهار ما فيه صلاحه<sup>(٤)</sup>.  
**أول النصح:**

أول النّصح أن ينصح الإنسان نفسه، فمن غشّها فقلّمها ينصح غيره، وحقّ من استنصح أن يبذل غاية النّصح وإن كان ذلك في شيء يضرّه، ويتحرّى فيه قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ بِالْأَلْسِنَةِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: لا يزال الرّجل يزداد في صحّة رأيه ما نصح لمستشيريه، فإذا غشّه سلبه الله نصحه ورأيه، ولا يلتفتنّ إلى من قال: إذا نصحت الرّجل فلم يقبل منك فتقرّب إلى الله بغشّه، فذلك قول ألقاه الشيطان على لسانه، اللهمّ إلا أن يريد بغشّه السكوت عنه، فقد قيل: كثرة النّصيحة تورث الطنّة، ومعرفة النّاصح من الغاشّ صعبة جدّا، فالإنسان - لمكره - يصعب الاطّلاع على سرّه، إذ هو قد يبدي خلاف ما يخفي، وليس كالحيوانات التي يمكن الاطّلاع على طبائعها<sup>(٥)</sup>.

### لمن تكون النّصيحة؟ وكيف؟

النّصيحة - كما جاء في الحديث - تكون لله ولرسوله ولكتابه ولأئمّة المسلمين وعامّتهم. وقد أوضح العلماء معنى هذه النّصيحة فيما يحكيه ابن حجر قال: النّصيحة لله وصفه بما هو له أهل، والخضوع له ظاهرا وباطنا، والرّغبة في محابّه بفعل طاعته، والرّهبّة من مساخطه بترك معصيته، والجهاد في ردّ العاصين إليه. والنّصيحة لكتاب الله تعلّمه، وتعليمه، وإقامة حرّوفه في التّلاوة، وتحريرها في الكتابة، وتفهم معانيه، وحفظ حدوده، والعمل بما فيه، وذّب تحريف

(١) التعريفات (٣٦٠)، وإلى مثل هذا ذهب المناوي في التوقيف (٣٢٥).

(٢) الكلبيات (٩٠٨).

(٣) المفردات (٤٩٤).

(٤) الدريّة (٢٩٥).

(٥) المرجع السابق (٢٩٥-٢٩٦).

المبطلين عنه، والنصيحة لرسوله تعظيمه، ونصره حياً وميتاً، وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها، والافتداء به في أقواله وأفعاله، ومحبة أتباعه، والنصيحة لأئمة المسلمين إعاتهم على ما حمّلوا القيام به، وتنبههم عند الغفلة، وسدّ خلّتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، وردّ القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن. ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد، وتقع النصيحة لهم ببتّ علومهم، ونشر مناقبهم، وتحسين الظنّ بهم، والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم، والسعي فيما يعود نفعه عليهم، وتعليمهم ما ينفعهم، وكفّ وجوه الأذى عنهم، وأن يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الرحمن بن ناصر السعدي: النصيحة لله ورسوله تكون بصدق الإيمان، وإخلاص النيّة في الجهاد والعزم عليه عند القدرة، وفعل المستطاع من الحثّ والترغيب والتشجيع للمسلمين عليه<sup>(٢)</sup>.

### التواصي لغة:

التواصي مصدر قولهم: تواصى فلان وفلان أي أوصى كلّ منهما صاحبه بمعنى عهد إليه، وأوصى الرجل ووصاه بمعنى، والاسم من ذلك: الوصية والوصاة، قال الشاعر:

ألا من مبلغ عنّي يزيداً وصاة من أخي ثقة ودود<sup>(٣)</sup>

وقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ صَلَّى لَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١] إشارة إلى ما تقدّم من قوله سبحانه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ قال القرطبي: هذه الآية أمر من الله تعالى لنبهه بأن يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرّم الله، وهكذا يجب على من بعده من العلماء أن يبلغوا الناس ويبينوا لهم ما حرّم عليهم ممّا أحلّ. وقوله ذلكم إشارة إلى هذه المحرّمات (والمأمورات)، والوصية هي الأمر المؤكّد المقدور<sup>(٤)</sup>، وقال أبو حيان: في لفظ وصاكم من اللطف والرأفة ما لا يخفى من الإحسان، قال الأعشى:

أجدك لم تسمع وصاة محمّد نبيّ الإله حين أوصى وأشهدا

(١) فتح الباري ١ / ١٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ١٠ / ٢٧٥ (بتصرف).

(٣) انظر لسان العرب ١٥ / ٣٩٤.

(٤) تفسير القرطبي ٧ / ١٣٤.

وقد وصف بها (أي الوصية) ما فرضه الله ﷻ على عباده في كل الشرائع كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية الكريمة والآيتين بعدها (الآيات ١٥١ - ١٥٣ من سورة الأنعام) <sup>(١)</sup>.

فهذه هي الآيات المحكمات التي أجمعت عليها شرائع الخلق ولم تنسخ قط في ملّة <sup>(٢)</sup>، وقال الطبري في معنى قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] أي أوصى بعضهم بعضا بلزوم العمل بما أنزل في كتابه من أمره واجتناب ما نهى عنه فيه، والحق كتاب الله تعالى، أمّا التواصي بالصبر فمعناه: أوصى بعضهم بعضا بالصبر على العمل بطاعة الله <sup>(٣)</sup>. وقال النيسابوري وفي لفظ التواصي دون الدعاء أو النصيحة تأكيد بليغ كأنه أمر مهتم به كالوصية <sup>(٤)</sup>.

### التواصي اصطلاحاً:

لم تذكر كتب المصطلحات - التي وقفنا عليها - التواصي مصطلحاً، ويمكن تعريفه في ضوء ما ذكره اللغويون والمفسرون: أن يوصي بعض الناس بعضاً بالعمل بكتاب الله وبطاعته وبالانتهاز عما نهى الله عنه.

أما الوصية (يرادفها الوصاة) فإن لها في الشرع معنيان:

الأول: عهد خاص مضاف إلى ما بعد الموت، وقد يصحبه التبرع <sup>(٥)</sup>، وعرف صاحب المغني هذا النوع فقال: هي التبرع بالمال بعد الموت <sup>(٦)</sup>، وقد عقد الفقهاء لذلك باب الوصايا. الآخر: وهو المراد هنا، ما يقع به الزجر عن المنهيات والحث على المأمورات <sup>(٧)</sup> ويكون ذلك من المولى ﷻ ومن الرسول ﷺ ومن صالح المسلمين، والموصى به في هذا النوع يشمل أموراً كثيرة منها: الوصية بكتاب الله تعالى، وبتقواه والصبر على الطاعة وبرّ الوالدين وإكرام الجار، ونحو ذلك.

(١) انظر هذه الآيات في الشاهد القرآني رقم (١٤).

(٢) تفسير البحر المحيط ٤ / ٢٥٠.

(٣) تفسير الطبري ج ٣٠ (مجلد ١٢) ص ١٨٨.

(٤) تفسير النيسابوري، بهامش الطبري ج ٣٠ (مجلد ١٢) ص ١٦٠.

(٥) فتح الباري ج ٥، ص ٤١٩.

(٦) المغني لابن قدامة ٦ / ٤١٤، وانظر أيضاً الشرح الكبير، المجلد نفسه والصفحة نفسها.

(٧) فتح الباري ج ٥، ص ٤١٩.

## الوصية بكتاب الله ﷻ:

قال ابن حجر: المراد بالوصية بكتاب الله تعالى حفظه حسًا ومعنى، فيكرم ويصان، ولا يسافر به إلى أرض العدو، ويتبع ما فيه فيعمل بأوامره وتجنب نواهيه، ويداوم على تلاوته وتعلّمه وتعليمه<sup>(١)</sup>.

## النصيحة والوصية (الوصاة) والتواصي:

بين هذه الأمور الثلاثة تقارب في المعنى، فجميعها يراعى فيه إرادة الخير للمنصوح أو الموصى ودعاؤه إلى ما فيه صلاحه، بيد أن النصيحة يراعى فيها قيد الإخلاص وضدّها الغش، أمّا الوصية فيراعى فيها المحبة والتأكيد ومزيد الاهتمام، وكلاهما يقتضي طرفين أحدهما معط والآخر متلقّ فالمعطي هو النصّاح أو الموصي، أمّا المتلقّي فهو المنصوح أو الموصى، أمّا في التواصي فإن كلا الطرفين معط ومتلقّ في آن واحد، لأنّه يوصي غيره ويوصيه غيره في حال حياتهما.

## التواصي والشورى:

لقد أقسم المولى ﷻ أن الإنسان لفي خسر واستثنى من ذلك من توفّرت فيه أربع خصال هي: الإيمان، والعمل الصّالح، والتواصي بالحقّ، والتواصي بالصّبر، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ وقد قال الشافعي - رحمه الله تعالى - : «لو تدبّر الناس هذه السّورة لوسعتهم»<sup>(٢)</sup>، وقد صدق أبو عبد الله (الشافعي)، لأنّها تنظّم حياة الفرد والمجتمع، ونصيب الفرد فيها الإيمان والعمل الصّالح، أمّا نصيب المجتمع فهو أن يوصى بعض الناس بعضًا بالحقّ وبالصّبر أي بأداء الطّاعات وترك المحرّمات من ناحية، وعلى تحمّل البلايا والأذى من ناحية أخرى، ولا يتحقّق هذا التواصي إلّا عند الاجتماع والتشاور في أمور الدّين والدّنيا، وأمر المؤمنين - كما أخبر المولى ﷻ - إنّما هو - شورى بينهم<sup>(٣)</sup>، ولا تكون هذه الشورى ذات جدوى إلّا إذا تضمّنت التواصي بالحقّ وبالصّبر وبالمرحمة ونحو ذلك ممّا أمرنا الله به ورسوله، وهكذا فإنّه إذا صلح أمر المسلم بالإيمان والعمل الصّالح، صلح أمر الأمة كلّها بالشورى القائمة على التواصي بالحقّ ونحوه.

(١) فتح الباري ٨ / ٦٨٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٥٨٥.

(٣) انظر صفة الشورى.

[للاستزادة: انظر صفات: الإصلاح- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- التذكير- الشورى- الكلم الطيب- الإرشاد- الإيمان- التبليغ- الهدى.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف- الضلال- الغي والإغواء- الإعراض- التفريط والإفراط- التهاون].

\*\*\*

### من فوائد (النصيحة والتواصي)

- (١) النصيحة لبّ الدين وجوهر الإيمان.
- (٢) دليل حبّ الخير للآخرين، وبغض الشرّ لهم.
- (٣) تكثير الأصدقاء؛ إذ إنّه يؤمن منه الجانب، وتقليل الحساد؛ إذ إنّه لا يحبّ لغيره الشرّ والفساد.
- (٤) صلاح المجتمع؛ إذ تشاع فيه الفضيلة، وتستر فيه الرذيلة.
- (٥) إحلال الرّحمة والوداد مكان القسوة والشقاق.
- (٦) الاشتغال بالنفس لاستكمال الفضائل من تمام النصح.
- (٧) بيان خطأ المخطيء في المسألة والمسائل- وإن كرهه- من النصيحة الواجبة لا من الغيبة المحرّمة.
- (٨) من قام بها على وجهها يستحقّ الإكرام لا اللوم والتّقريع.
- (٩) في التواصي بالحقّ وبالصّبر ونحوهما ما يكفل حياة مستقرّة للمجتمع الإسلاميّ.
- (١٠) في الأخذ بوصيّة الله ﷻ ووصيّة رسوله ﷺ صلاح حال الفرد والمجتمع معاً.
- (١١) اللوصيّة الصادقة تأثير بالغ في النفس وهي دافع قويّ لتنفيذ الموصى به.
- (١٢) الوصيّة وسيلة من وسائل التّقوى والتّدكّر والتّعقل.

## النظام

### النظام لغة:

مصدر قولهم: نظمت الشيء، وهو مأخوذ من مادّة (ن ظ م) التي تدلّ- كما يقول ابن فارس- على تأليف الشيء وتألّفه<sup>(١)</sup>، وقال الجوهريّ: يقال: نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك،

(١) في الأصل «على تأليف الشيء وتألّفه» بتكرير لفظ تأليفه، وهذا التكرير لا معنى له وقد ذكر المحقق في هامش (٣) أنه ربما كان المقصود «وتكثيفه» وهذا بعيد جداً من حيث اللفظ والمعنى، ولعل الصواب ما أثبتناه.

والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر (نظما)، ونظّمته (تنظيما)، والنظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ، ونظم من لؤلؤ، وهو في الأصل مصدر (سمي به)، وقال ابن الأثير: وفي حديث أشراط الساعة «وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه» النظام العقد من الجوهرة والخرز ونحوهما، وسلكه خيطه.

وقال ابن منظور: النظم التأليف، يقال نظمه نظاما ونظاما، ونظّمه فانظم وتنظّم، ويقال: نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك، وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظّمته، والنظم (يستعمل أيضا) بمعنى المنظوم، وذلك وصف بالمصدر، والنظام ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره، ونظام كل أمر: ملاكته، والجمع أنظمة وأناظيم ونظم، والنظم (أيضا) نظمك الخرز بعضه إلى بعض في نظام واحد، ويقال: ليس لأمره نظام أي لا تستقيم طريقته، والانتظام: الاتساق، والنظام: الهدى والسيرة، وليس لأمرهم نظام، أي ليس له هدى ولا متعلق ولا استقامة، وما زال على نظام واحد أي عادة، ويقال: تناظمت الصخور: تلاصقت، جاء في المعجم الوسيط: النظام الترتيب والاتساق، ونظام الأمر: قوامه وعماده، والنظام: الطريقة: يقال ما زال على نظام واحد (أي طريقة واحدة) (١).

قلت: وفي حديث أمّ معبد جاء في صفته ﷺ كأنّ منطقته خرزات نظم يتحدّرن، يعني أنّ كلامه - عليه الصلاة والسلام - كان ينساب مرتباً منسّقاً كأنّه خرزات عقد تنساب في سلاسة وترتيب، فلا يتأخّر ما حقّه التقديم، ولا يتقدّم اللاحق على السابق، وإنّما وضع كلّ في مكانه اللائق به (٢).

### النظام اصطلاحاً:

لم تذكر كتب الاصطلاحات القديمة التي وقفنا عليها لفظ «نظام» باعتباره مصطلحاً خاصاً بفنّ معين ومن ثمّ يكون اللفظ في معناه الأخلاقيّ باقياً على أصل معناه في الاستعمال اللغويّ، وإذا استرشدنا بما جاء في حديث أمّ معبد من وصف كلامه ﷺ بأنّه «خرزات نظم يتحدّرن» وبما جاءت به معاجم اللغة، من أنّ النظام يعني الاتساق والاستقامة، فإنّنا نستطيع القول بأنّ «النظام» في الاصطلاح (الأخلاقيّ) هو: أن يرتّب الفرد أو الجماعة الأمور ترتيباً يجعلها متناسقة مؤتلفة لا

(١) مقاييس اللغة (٥ / ٤٤٣)، والصحاح (٥ / ٢٠٤١)، والنهاية (٥ / ٧٩)، ولسان العرب (نظم) (١٤٦٩) (ط. دار المعارف)، والمعجم الوسيط (٢ / ٩٤١).

(٢) منال الطالب في شرح طوال الغرائب لابن الأثير (١٧٢).

تناقض فيها ولا تنافر (بحيث يتقدّم ما حقّه التّقديم ويتأخّر ما ينبغي فيه التّأخير) ولا يكون ذلك إلّا باتّباع منهج الشّرع الحنيف، وما أقرّته الجماعة بما لا يتعارض مع هذا المنهج.

أمّا في المعاجم المتخصّصة الحديثة؛ فقد وردت للنّظام التعاريف الاصطلاحية الآتية:  
النّظام: قواعد ضبط السّلوّك أو العمل ورقابتهما<sup>(١)</sup> وقيل: هو قواعد ضبط السّلوّك أو العمل به<sup>(٢)</sup>.  
ويقال: النّظام: وضع الأشياء أو الأفكار على صورة مرتّبة.

أمّا النّظام الاجتماعيّ فهو جملة القوانين التي يخضع لها المجتمع<sup>(٣)</sup>.  
وفي المجال الإداريّ يعرف النّظام بأنّه: المبدأ الذي يقضي بضرورة ترتيب العناصر المادّية والبشريّة في المشروع بطريقة منطقيّة ومنسّقة<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الطاعة - المراقبة - المسئولية - الرجولة - التّأني.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإهمال - التّفريط والإفراط - التّهاون - البذاءة - الطيش - العجلة].

\*\*\*

### من فوائد (النظام)

- (١) دليل الالتزام بأحكام الشّرع. الاختلاف والتفرّق.
- (٢) إمكان القيام بالأعمال الكثيرة في الأوقات (٦) النّظام يؤدّي إلى ألفة الجماعة وعدم القليلة. اختلافها.
- (٣) القيام بالأعباء على قدر التّحمّل (٧) النّظام يوطّد أركان الأسرة ويدعّم والإمكانات. العلاقات الاجتماعيّة.
- (٤) التزام النّظام يبعد الشّيطان ويجلب البركة. (٨) النّظام يبعد الشّحناء ويؤدّي إلى تولية
- (٥) النّظام يحفظ أمر الجماعة ويقيها من الأحقّ في الإمامة وغيرها.

(١) في الأصل: قواعد ضبط ورقابة السّلوّك أو العمل، وقد أصلحنا العبارة بما يتفق مع الاستعمال الفصيح في اللغة.

(٢) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعيّة (١١١) وانظر أيضا معجم مصطلحات العلوم الإنسانيّة (١٠٩).

(٣) المعجم الفلسفي (٢٠١).

(٤) معجم مصطلحات العلوم الإدارية (٣١٩).

## النظر والتبصر

## النَّظَرُ وَالتَّبَصُّرُ لُغَةً:

## النَّظَرُ لُغَةً:

اسم لحسّ العين، ومصدر لقولهم: نظره، ونظر إليه نظرا ومنظرا ونظارنا ومنظرة وتنظارا بمعنى: تأمله بعينه، ويقال: نظر لهم بمعنى رثى لهم وأعانهم، ونظر بينهم: حكم<sup>(١)</sup>، وقال ابن منظور: النَّظَرُ: الفكر في الشيء تقدّره وتقيسه منك، والنَّظَرَةُ: اللَّمحة بالعجلة، وقول بعضهم: من لم يعمل نظره لم يعمل لسانه، معناه: من لم يرتدع بالنظر إلى نفسه من ذنب أذنبه لم يرتدع بالقول، أمّا قوله سبحانه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۗ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] فالمراد أنّها نظرت بنعيم الجنّة والنَّظَرُ إلى ربّها<sup>(٢)</sup>، والنَّظَرُ يقع على الأجسام والمعاني، فما كان بالأبصار فهو للأجسام وما كان بالبصائر كان للمعاني<sup>(٣)</sup>، أمّا قوله سبحانه: ﴿وَتَرَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] فالمراد بالنَّظَرُ - كما يقول القرطبي:

فتح العينين إلى المنظور إليه، أي وتراهم (أي الأصنام) كالنّاظر إليك وقيل كانت لهم أعين من جواهر مصنوعة فلذلك قال: وتراهم ينظرون، وقيل المراد بذلك المشركون، أخبر عنهم بأنهم لا يبصرون حين لم ينتفعوا بأبصارهم<sup>(٤)</sup>، وقال صاحب البصائر: واستعمال النَّظَرُ في البصر أكثر استعمالا عند العامّة، وفي البصيرة عند الخاصّة، ويقال: نظرت إلى كذا إذا مدت طرفك إليه رأيت أم لم تره، ونظرت إليه: إذا رأيت وتدبرته ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، أمّا قولهم: نظرت في كذا. فالمعنى تأملته وذلك كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] إذ يراد منه الحثّ على تأمل حكمته في خلقها،

(١) القاموس المحيط ٦٦٣ (ط. بيروت)، وقد حكى الفيروزبادي فتح العين وكسرها في الماضي، فقال: نظره كنعصره وسمعه، لكن الفتح هو الأكثر استعمالا.

(٢) نقل ابن منظور في هذا الموضع عن الأزهري قوله: ولا وجه لمن قال في معنى الآية الكريمة أن النظر هنا معناه الانتظار لأن الفعل «نظر» إذا تعدى بالي فإنه لا يكون (النظر) إلا بالعين. انظر اللسان ٥ / ٢١٦، ٢١٧.

(٣) لسان العرب ٥ / ٢١٨.

(٤) تفسير القرطبي ٧ / ٣٤٤، وقد ذهب أبو عبيد إلى المعنى الأول ولكنه ذكر أن المراد المقابلة لأن النظر لا يكون إلا بها، انظر اللسان ٥ / ٢١٨.

والنَّظْرُ أيضًا: الانتظار، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْيَسَ مِنْ تَوَكُّمِ﴾ [الحديد: ١٣]، ويستعمل النَّظْرُ أيضًا في التَّحْيِيرِ في الأمر نحو قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمْ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]، والنَّظْرُ: البحث، وهو أعمّ من القياس، لأنَّ كلَّ قياس نظر، ولا عكس، والنَّظِيرُ المثل، والجمع نظراء، وأصله المناظر، كأنَّ كلَّ واحد منهما ينظر إلى صاحبه فيباريه، والمناظرة المباحثة والمباراة في النَّظْرِ، واستحضار كلِّ ما يراه (المناظر) ببصيرته<sup>(١)</sup>.

### التَّبَصُّرُ لَفْظٌ:

التَّبَصُّرُ في اللُّغَةِ مصدر قولهم: تبصَّرَ الشَّيْءُ إذا نظر إليه هل يعرفه؟ وهو مأخوذ من مادَّة (ب) ص (ر) التي تدلُّ على العلم بالشَّيْءِ<sup>(٢)</sup>، ومعناه: التَّأمُّلُ والتَّعَرُّفُ، أمَّا التَّبَصِيرُ فهو التَّعْرِيفُ والإيضاح، يقال: بصَّره بالأمر تبصيرا وتبصرة فهَّمه إيَّاه، أمَّا البصر فهو اسم لحاسة الإبصار، أي الرُّؤية<sup>(٣)</sup> والبصيرة: عقيدة القلب، وقيل هي اسم لما اعتقد في القلب من الدِّين وتحقيق الأمر، وقيل: هي الفطنة، وقيل: هي الثِّبات في الدِّين، وقولهم: فعل ذلك علي بصيرة أي على عمد، وعلى غير بصيرة أي على غير يقين ويقال: تبصَّر في رأيه واستبصر: تبين ما يأتيه من خير وشرٍّ، أمَّا قولهم: استبصر في أمره ودينه، فمعناه: كان ذا بصيرة، أمَّا قوله سبحانه (في عاد وشمود) ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨] فمعناه: أنهم أتوا ما أتوه وقد تبين لهم أنَّ عاقبته عذابهم<sup>(٤)</sup>.

وقال القرطبي: في ذلك قولان (آخران) أحدهما: كانوا مستبصرين في الضَّلالة<sup>(٥)</sup>، والآخر: كانوا مستبصرين قد عرفوا الحقَّ من الباطل بظهور البراهين، وهذا القول أشبه، لأنَّه إنَّما يقال: فلان مستبصر إذا عرف الشَّيْءَ على الحقيقة، قال الفراء: كانوا عقلاء ذوي بصائر فلم تنفعهم بصائرهم<sup>(٦)</sup>.

وقال الفيروزبادي: البصيرة هي قوَّة القلب المدركة، ويقال لها بصر أيضا، ولا يكاد يقال للجارحة النَّاظرة بصيرة، إنَّما هي بصر، وقول الله ﷻ ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]

(١) بتصرف يسير عن: بصائر ذوي التمييز ٥ / ٨٢ - ٨٤، ومقاييس اللغة لابن فارس ١ / ٢٥٣.

(٢) انظر في مدلول لفظ «البصر» ما ذكرناه عن أئمة اللغة في صفة «غض البصر».

(٣) لسان العرب ٤ / ٦٥ (ط. بيروت).

(٤) نقل القرطبي هذا القول عن مجاهد، تفسير القرطبي ١٣ / ٣٤٤.

(٥) السابق، الصفحة نفسها.

(٦) بصائر ذوي التمييز ٢ / ٢٢٣.

فالمعنى: على معرفة وتحقق، أما قوله سبحانه: ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ فالمعنى عليه من جوارحه بصيرة تبصره وتشهد عليه يوم القيامة، وقيل جعله على نفسه بصيرة كما يقال: فلان جود لأن الإنسان ببديهة عقله يعلم أن ما يقربه إلى الله هو السعادة، وما يبعده عن طاعته هو الشقاوة، وقيل الهاء (أي التاء) في بصيرة للمبالغة، والمعنى أن الإنسان بصير على نفسه بدرجة تشرف على الغاية<sup>(١)</sup>، وقال القرطبي: جاء تأنيث البصيرة لأن المراد بالإنسان هنا الجوارح لأنها شاهدة على نفس الإنسان، فكأنه قال: بل الجوارح على نفس الإنسان بصيرة<sup>(٢)</sup>، أما جعل آية النهار مبصرة في قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] فالمعنى: صار أهله بصراء<sup>(٣)</sup>، وقيل: منيرة أو مضيئة، يبصر فيها<sup>(٤)</sup>، والمستبصر في حديث أم سلمة «أليس الطريق يجمع التاجر وابن السبيل والمستبصر والمجبور» يقصد به: المستبين للشيء، أي أنهم كانوا على بصيرة من ضلالتهم، أرادت أن تلك الرفقة قد جمعت الأخيار والأشرار<sup>(٥)</sup>.

مادة البصر في القرآن الكريم: قال ابن الجوزي: ذكر بعض أهل التفسير أن البصر<sup>(٦)</sup> في القرآن الكريم على أربعة أوجه: الأول: البصر بالقلب ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَرَبُّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]<sup>(٧)</sup>.

الثاني: البصر بالعين، ومنه قوله تعالى: ﴿فَبَصُرُكَ الْيَوْمَ حَلِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

الثالث: البصر بالحجة، ومنه قوله تعالى: ﴿لَمَّا حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدَكُنْتُ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٥].

الرابع: البصر: الاعتبار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] أي تعتبرون وقد جعل بعضهم هذا الوجه من النوع الأول وهو البصر بالقلب<sup>(٨)</sup>.

(١) تفسير القرطبي ١٩ / ١٠٠، وقد ذكر آراء أخرى في تفسير الآية الكريمة عن بعض التابعين سندكرها في قسم الآثار.

(٢) تفسير القرطبي ١٩ / ١٠٠.

(٣) بصائر ذوي التمييز ٢ / ٢٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير ٣ / ٢٩، والبحر المحيط ٦ / ٣.

(٥) النهاية لابن الأثير ١ / ١٣٢.

(٦) في الأصل «البصير»، وما ذكرناه أولى لأن الوجه الرابع يتعلق بالبصر مطلقا لا بلفظ «بصر» فقط.

(٧) مبنى هذا التفسير على أن المراد هنا هم المشركون وليس الأصنام (انظر المقدمة اللغوية).

(٨) نزهة الأعين النواظر ص ٢٠٠-٢٠١.

## النَّظَرُ وَالتَّبَصُّرُ اصطلاحاً:

## النَّظَرُ اصطلاحاً:

قال الفيروز ابادي: النَّظَرُ: تَقْلِيْبُ البَصِيْرَةِ لِإِدْرَاكِ الشَّيْءِ ورؤيته وقد يراد به التَّأْمَلُ والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص (١).

## أما التَّبَصُّرُ:

فلم يرد ضمن ما أورده كتب المصطلحات التي وقفنا عليها - ومن ثمَّ فإنه يكون باقياً على أصل استعماله في اللُّغَةِ، وإذا تأملنا ما ذكره صاحب اللِّسَانِ من أنَّ التَّبَصُّرَ هو النَّظَرُ إلى الشَّيْءِ بقصد معرفته (٢)، وأنَّ تَبَصَّرَ واستبصر بمعنى، يقال تَبَصَّرَ في رأيه واستبصر: تَبَيَّنَ ما يَأْتِيهِ من خَيْرٍ وشرٍّ، وتأمَّلنا أيضاً ما ذكره القرطبيُّ من أنَّ الاستبصار هو معرفة الشَّيْءِ على الحقيقة (من خلال البراهين) (٣)، وأنَّ الألف والسين والتاء تدلُّ على الطَّلَبِ (وهذا هو المعنى الصَّرْفِيُّ للصَّيْغَةِ)؛ إذا كان الأمر كذلك فإنه يمكن تعريف التَّبَصُّرِ من خلال ما ذكره اللُّغَوِيُّونَ والمفسِّرون بالقول: التَّبَصُّرُ: طَلَبُ معرفة الأُمُورِ على حقيقتها من خلال البراهين الحسِّيَّةِ التي يمكن للعَيْنِ رؤيتها وللْبَصِيْرَةِ (أي قوَّةِ القلب المدركة) تأملها واعتقاد صحتها..

وهذه خطوة نحو تحقيق النَّظَرِ بمعناه الأخير الذي ذكره الفيروز ابادي، أمَّا المعنيان الأوَّلانِ للنَّظَرِ وهما: تَقْلِيْبُ البَصِيْرَةِ، والتَّأْمَلُ والفحص فهما من أعمال العقل الخالصة، ولهذا فقد ربطنا بين الأمرين النَّظَرِ والتَّبَصُّرِ لأنَّ كلاً منهما لا يغني عن الآخر من ناحية، ولأنَّ النَّاسَ مختلفون في قدراتهم من ناحية ثانية، فهناك من قويت بصائرهم ويستطيعون من خلالها تحقيق المعرفة واليقين المطلوبين، وهناك من لم يزودوا بمثل هذه القوَّةِ، وهؤلاء عليهم النَّظَرُ في البراهين الحسِّيَّةِ التي توصلهم إلى الغاية المطلوبة.

والخلاصة أنَّ بين الأمرين (النَّظَرِ والتَّبَصُّرِ) تكاملاً وهما معا يسدَّان حاجة جميع النَّاسِ على اختلاف عقولهم، فالنَّظَرُ (العقليُّ) قد يكتفي به البعض، أمَّا البعض الآخر فعليه أن يطلب المعرفة (وخاصة ما يتعلَّق بمعرفة الله ﷻ) من خلال رؤيته لعجائب الصَّنِعةِ وعظيم الإِتقانِ فيها، وفي ضوء

(١) بصائر ذوي التمييز ٥ / ٨٢.

(٢) عبارة ابن منظور في اللسان: تبصر الشيء: نظر إليه، هل يعرفه؟ (اللسان ٤ / ٦٥).

(٣) انظر تفسير القرطبي ١٣ / ٣٤٣.

ذلك نستطيع أن نصوغ تعريفاً للأمرين معا على النحو التالي: النَّظَرُ والتَّبَصُّرُ: تقليب البصيرة لإدراك حقائق الأشياء ومعرفتها بعد التأمل فيها وفحصها وطلب ذلك من خلال البراهين الحسّية المشاهدة<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاعتبار- التأمل التبين- التدبر- التفكير- البصيرة- اليقين.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض- الغفلة- اللهو واللعب- التفریط والإفراط- طول الأمل].

\*\*\*

### من فوائد (النظر والتبصر)

(١) في النَّظَرِ والتَّبَصُّرِ تنفيذ لأمر الله ﷻ حيث أمر بذلك في مواضع عديدة من القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

(٢) في النَّظَرِ في عجائب مخلوقات الله ﷻ ما يوصل إلى معرفته سبحانه عن اقتناع.

(٣) النَّظَرُ والتَّبَصُّرُ وسيلة الإنسان العاقل إلى اليقين.

(٤) النَّظَرُ والتَّبَصُّرُ من وسائل العلم التي يهتدي بها الإنسان إلى معرفة صدق الرّسل فيما أخبروا به عن الله ﷻ.

(٥) النَّظَرُ في عواقب الأمور بقي الإنسان من مخاطر العجلة والوقوع في المهالك.

(٦) النَّظَرُ في الأمور والتَّبَصُّرُ فيها يعودان الإنسان على التّأني فتأتي قراراته سليمة وأفعاله متزنة.

(٧) النَّظَرُ في أحوال الأمم السابقة يؤدّي إلى الاتّعاظ بأحوالهم ويدفع إلى طاعة الله ﷻ حتى لا يصيبنا ما أصابهم.

(٨) النَّظَرُ في آلاء الله وعجائب قدرته يدفعان المرء إلى التّصديق والإيمان بما أعدّه للمتّقين في الدّار الآخرة.

(١) استنبطنا هذه الفقرة من أقوال العلماء في هذه المادة.

(٢) انظر الآيات الواردة في الحث على النظر في الموسوعة الأصل.

(٩) النَّظَرُ وَالتَّبَصُّرُ يَرْتَفَعَانِ بِالْإِنْسَانِ عَنِ دَرَجَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ وَيُرْقِيَانِ بِهِ إِلَى أَعْلَى مَرَاتِبِ الْمَخْلُوقَاتِ.

(١٠) فِي النَّظَرِ اتِّبَاعُ لِسَنَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَمَنْ يَطْعُ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ.

(١١) نَظَرَ الْإِنْسَانَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا يُؤَدِّي بِهِ إِلَى الرِّضَا وَالْقَنَاعَةِ وَشَكَرَ اللَّهُ ﷻ.

## الهجرة

### الهجرة لغة:

الهجرة هي الاسم من الهجر أو الهجران، وهي مأخوذة من مادة (ه ج ر) التي تدل على معنيين:

**الأول:** القطيعة، والآخر: شد شيء وربطه<sup>(١)</sup>. فمن الأول؛ أخذ الهجر ضد الوصل وكذلك الهجران، وقولهم: هاجر القوم من دار إلى دار: تركوا الأولى للثانية، كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة، وقال الراغب: المهاجرة في الأصل: مصارمة الغير ومتاركته، من قوله ﷺ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾ [البقرة: ٢١٨]. والهجر والهجران مفارقة الإنسان غيره، إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب قال تعالى: ﴿وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَصَاجِعِ﴾ [النساء: ٣٤] وهذا كناية عن عدم قربهم (مفارقة بالبدن) وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] فهذا هجر بالقلب واللسان، أما قوله ﷺ ﴿وَأَهْجُرُهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠] فيحتمل الثلاثة، وقوله سبحانه: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥] حث على المفارقة بالوجه كلها.

وقال الجوهري: الهجر ضد الوصل، والمهاجرة من أرض إلى أرض، ترك الأولى للثانية، والتهاجر: التقاطع، والهجر أيضا: الهديان، يقال من ذلك هجر المريض يهجر هجرا، فهو هاجر، والكلام مهجور، والهجر بالضم: الاسم من الإهجار، وهو الإفحاش في المنطق، والخنا.

وقال ابن منظور: الهجرة والهجرة: الخروج من أرض إلى أرض. والمهاجرون: الذين ذهبوا مع النبي ﷺ، مشتق منه.

(١) ذكر ذلك ابن فارس ولم يذكر له مثالا، ويبدو أن المقصود بذلك قولهم: حبل هجار للذي يشد به الفحل، وفحل مهجور أي مربوط به، وقد أرجع الراغب هذا المعنى الثاني إلى الأول فقال: والهجار حبل يشد به الفحل فيصير سببا لهجرانه الإبل. انظر المفردات للراغب ص (٥٣٧)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٦ / ٣٤).

ويقال: هجره يهجره هجرا وهجرانا: صرمة.  
وهما يهتجران ويتهجران، والاسم الهجرة.  
وتهجر فلان أي تشبه بالمهاجرين.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هاجروا ولا تهجروا، قال أبو عبيد: يقول أخلصوا الهجرة لله ولا تشبهوا بالمهاجرين على غير صحة منكم. فهذا هو التهجّر، وهو كقولك فلان يتحلّم وليس بحليم، ويتشجّع أي أنّه يظهر ذلك وليس فيه، قال الأزهرّي: وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدويّ من باديته إلى المدن. يقال: هاجر الرجل إذا فعل ذلك، وكذلك كلّ محلّ بمسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه. فقد هاجر قومه. وسمّي المهاجرون مهاجرين لأنّهم تركوا ديارهم ومسكنهم التي نشأوا بها لله. ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة، فكلّ من فارق بلده من بدويّ أو حضريّ أو سكن بلدا آخر، فهو مهاجر. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠] وكلّ من أقام من البوادي ببواديهم ومحاضرهم في القبط ولم يلحقوا بالنبي صلى الله عليه وآله ولم يتحولوا إلى أمصار المسلمين التي أحدثت في الإسلام وإن كانوا مسلمين، فهم غير مهاجرين، وليس لهم في الفياء نصيب ويسمّون الأعراب <sup>(١)</sup>.

#### واصطلاحا:

هي ترك الوطن الذي بين الكفار، والانتقال إلى دار الإسلام <sup>(٢)</sup>.  
وقال الراغب: الهجرة: الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان كمن هاجر من مكة إلى المدينة، قيل: ومقتضى ذلك هجران الشّهوات والأخلاق الذميمة والخطايا وتركها ورفضها <sup>(٣)</sup>.  
وقال الكفويّ: الهجرة: هجرتان: أولاهما: هجرة المسلمين في صدر الإسلام إلى الحبشة فرارا من أذى قريش، وثانيتها: هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين قبله وبعده ومعه إلى المدينة، وقد كانت الهجرة من فرائض الإسلام بعد هجرته صلى الله عليه وآله، ثمّ نسخت بعد فتح مكة لقوله صلى الله عليه وآله «لا هجرة بعد الفتح» <sup>(٤)</sup>.

(١) الصحاح (٢ / ٨٥١)، مقاييس اللغة (٦ / ٣٤)، بصائر ذوي التمييز (٥ / ٣٠٤)، مفردات الراغب (٥٣٧)، لسان العرب (٢٥٠ / ٥) (ط بيروت).

(٢) التعريفات للجرجاني (٢٥٦) والمراد بالوطن هنا الإقامة والتوطن.

(٣) المفردات (٥٣٧).

(٤) الكليات (ص ٦٩٢).

## أنواع الهجرة:

قال ابن الأثير: الهجرة هجرتان: إحداهما التي وعد الله عليها الجنة في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١] فكان الرجل يأتي النبي ﷺ ويدع أهله وماله، لا يرجع في شيء منه وينقطع بنفسه إلى مهاجره، وكان النبي ﷺ يكره أن يموت الرجل بالأرض التي هاجر منها، فمن ثم قال: «لكن البائس سعد بن خولة» يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة. وقال حين قدم مكة: «اللهم لا تجعل منايانا بها» فلما فتحت مكة صارت دار إسلام كالمدينة، وانقطعت الهجرة.

والهجرة الثانية: من هاجر من الأعراب وغزا مع المسلمين، ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى.

فهو مهاجر وليس بداخل في فضل من هاجر تلك الهجرة وهو المراد بقوله «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة» فهذا وجه الجمع بين الحديثين. وإذا أطلق في الحديث ذكر الهجرتين فإنما يراد بهما هجرة الحبشة وهجرة المدينة<sup>(١)</sup>.

## الهجرة إلى الله ورسوله:

قال ابن القيم رحمه الله: الهجرة هجرتان: هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللجأ والافتقار في كل نفس إليه. وهجرة إلى رسوله ﷺ في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محاب الله ومرضاته. ولا يقبل الله من أحد دينا سواه، وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها لا زاد المعاد<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاتباع - الفرار إلى الله - مجاهدة النفس - الولاء والبراء - محاسبة النفس الرغبة والترغيب - التعارف.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: اتباع الهوى - موالة الكفار - الإعراض - التخاذل - التفريط والإفراط].

(١) النهاية لابن الأثير (٥ / ٢٤٤).

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم (١ / ٢٠).

## من فوائد (الهجرة)

- (١) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.  
 (٢) إعلان العبودية الكاملة لله ﷻ والانقياد له.  
 (٣) دليل محبة الله ومحبة رسوله ﷺ.  
 (٤) دليل صلاح العبد واستقامته.  
 (٥) الوعد بالكرامة والفوز بالجنة.  
 (٦) تفريج الكربات وحصول الخيرات.  
 (٧) تمحيص للإيمان واختبار للإنسان.

## الهدى

## الهدى لغة:

الهدى والهداية مصدران لقولهم: هدى يهدي، وهما مأخوذان من مادة (هدى) التي تدلّ على أصلين: أحدهما: التّقدّم للإرشاد، والآخر: بعثة لطف<sup>(١)</sup>، فالأول قولهم: هديته الطريق هداية أي تقدّمته لأرشدته، وكلّ متقدّم لذلك هاد، وينشعب هذا المعنى فيقال: الهدى خلاف الضّلالة، ومن الباب قولهم: نظر فلان هدي أمره أي جهته، وما أحسن هديته أي هديه، والأصل الآخر الهدية: وهي ما أهديت من لطف إلى ذي موّدة، يقال: أهديت أهدي إهداء. ومن الباب الهدى والهدى: ما أهدي من النّعم إلى الحرم قربة إلى الله تعالى، وقال الرّاعب: الهداية دلالة بلطف، من ذلك هوادي الوحش أي متقدّماتها الهادية لغيرها، وخصّ ما كان دلالة بـ«هديت» وما كان إعطاء بأهديت، والهدى والهداية في موضوع اللّغة واحد، لكن قد خصّ الله ﷻ لفظة الهدى بما تولّاه وأعطاه واختصّ هو به دون ما هو إلى الإنسان نحو قوله تعالى: ﴿هُدًى يَتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقوله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥]، والاهتداء يختصّ بما يتحرّاه الإنسان على طريق الاختيار إمّا في الأمور الدنيوية أو الأخروية كما في قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِنَهْتَدُوا بِهَا﴾ [الأنعام: ٩٧] وقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣]، ويقال المهتدي لمن يقتدي بعالم كما في قوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤] تنبيهها إلى أنّهم لا يعلمون بأنفسهم ولا يقتدون بعالم).

(١) اللطف بالتحريك التحفة والهدية، والبعثة المرة من البعث أي الإرسال.

وقال الجوهري: الهدى: الرّشاد والدّلالة؛ يؤنّث ويذكّر، يقال: هداه الله للدين هدى، والهدى في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِئَهُمْ﴾ [السجدة: ٢٦] أي لم يبيّن لهم، والهداء مصدر قولك: هديت المرأة إلى زوجها هداء وقد هديت إليه، ويقال: هدى هدي فلان أي سار سيرته، وفي الحديث: واهدوا هدي عمّار (أي سيروا سيرته)، والتّهادي أن يهدي بعضهم إلى بعض، وفي الحديث: «تهادوا تحابّوا».

وقال ابن منظور: هو من هداه يهديه هدى وهديا وهداية وهدية. والهدى: ضدّ الضلال وهو الرّشاد والبيان، لازم ومتعدّد، يقال: هداه الله الطّريق وهي لغة الحجاز. ولغة غيرهم يتعدّى بالحرف فيقال هداه إلى الطّريق وللطّريق أي بيّنه له وعرفه به. وهداه الله إلى الإيمان وللإيمان أي أرسده إليه.

وهدي هدي فلان سار سيرته، وهدي فلانا تقدّمه. وهدي الشّيء تهديّة وهو لا يهدّي إلّا أن يهدى: أي لا يقدر أن ينتقل عن مكانه إلّا أن ينقلوه. ومعنى لا يهدّي: لا يهتدي.

والهدى: مؤنّث ويذكّر، يقال: هو على الهدى، وسل الله الهدى: أي الدّلالة على الرّشاد. والهدى: النهار أيضا<sup>(١)</sup>.

الهادي من أسماء الله تعالى: قال الزّجاج: الهادي: هو الذي هدى خلقه إلى معرفته وربوبيّته وهو الذي هدى عباده إلى صراطه المستقيم<sup>(٢)</sup>.

وقال الزّجاجي رحمه الله: الله ﷻ الهادي يهدي عباده إليه، ويدلّهم عليه وعلى سبيل الخير والأعمال المقرّبة منه ﷻ، وقال الغزالي رحمه الله - الهادي - في أسمائه تعالى - هو الذي هدى خواصّ عباده أوّلا إلى معرفة ذاته حتّى استشهدوا بها على الأشياء، وهدى عوامّ عباده إلى مخلوقاته حتّى استشهدوا بها على ذاته، وهدى كلّ مخلوق إلى ما لا بدّ له منه في قضاء حاجاته فهدي الطّفل إلى التقام الثدي عند انفصاله، والفرخ إلى التقاط الحبّ وقت خروجه<sup>(٣)</sup>.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ٢٤ - ٤٣)، والمفردات للراغب (٥٤٠) وما بعدها، والصحاح (٦/ ٢٥٣٣).

(٢) الأسماء الحسنی (٦٤).

(٣) اشتقاق أسماء الله الحسنی (١٨٧).

والهداية من العباد: الأنبياء والعلماء الذين أُرشدوا الخلق إلى السعادة وهدوهم إلى صراط الله المستقيم، يكون المولى ﷺ هو الهادي على ألسنتهم، وهم مسخرون تحت قدرته وتدبيره<sup>(١)</sup>.

### الهدى اصطلاحاً:

قال الراغب: الهداية دلالة بلطف، فإن قيل كيف جعلت الهداية دلالة بلطف وقد قال تعالى: ﴿ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٢٣] قيل: استعمال اللفظ في ذلك على سبيل التهكم مبالغة في المعنى كما في قوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤].

وقال الجرجاني: الهداية الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب<sup>(٢)</sup> وقيل: هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب. والملاحظ هنا أنه أضاف قيد «التوصيل إلى المطلوب» وحذف قيد «كونها بلطف» وقد جمع المناوي بين كل من الراغب والجرجاني فقال: الهداية: دلالة بلطف إلى ما يوصل إلى المطلوب<sup>(٣)</sup>.

وقال الكفوي: الهداية هي الدلالة على طريق من شأنه الإيصال (إلى المطلوب) سواء حصل الوصول بالفعل في وقت الاهتداء أو لم يحصل<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن القيم: الهداية: هي البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة. ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل، فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه هداية التوفيق<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن كثير: الهداية: الإرشاد والتوفيق، وقد تعدى الهداية بنفسها كما في قوله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]، فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو ارزقنا أو أعطنا. ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠] أي بينا له الخير والشر. وقد تعدى ب (إلى) كما في قوله تعالى: ﴿ أَجْتَبْنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ١٢١]، وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة. وقد تعدى باللام كقول أهل الجنة ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ [الأعراف: ٤٣] أي وفقنا وجعلنا له أهلاً<sup>(٦)</sup>.

(١) المقصد الأسني (١٤٦).

(٢) التعريفات للجرجاني (٢٧٧).

(٣) التوقيف (٣٤٣).

(٤) الكليات (٩٥٢)، وقد نقل الكفوي نقاشاً طويلاً حول قيد الإيصال هذا بين المعتزلة وأهل السنة ليس هنا محل إيراده.

(٥) فتح الباري (١/ ٢١١).

(٦) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٩). وانظر: عمدة التفسير (٨٠).

وقال البغوي: اهدنا: أرشدنا، وقال عليّ وأبي ابن كعب رضي الله عنهما: ثبتنا <sup>(١)</sup>.

### أنواع الهداية:

قال القرطبي: والهدى هديان:

١- هدى دلالة: وهو الذي تقدر عليه الرسل وأتباعهم، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، فأثبت لهم الهدى الذي معناه الدلالة والدعوة والتنبه.

٢- وهدى تأييد وتوفيق: وهو الذي تفرّد به سبحانه، فقال لنبه صلى الله عليه: ﴿إِنَّكَ لَتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] فالهدى على هذا يجيء بمعنى خلق الإيمان في القلب... <sup>(٢)</sup>.

وقال الطبري: هدى أي من الضلالة وهدى للمتقين نور للمتقين والهدى مصدر من قولك هديت فلانا الطريق إذا أرشدته إليه ودلته عليه وبيّنته له أهديه هدى وهداية. ا. هـ <sup>(٣)</sup>.

ويقول الفيروز ابادي: وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أضرب:

الأول: الهداية التي عمّ بها كلّ مكلف من العقل والفتنة والمعارف الضرورية، بل عمّ بها كلّ شيء حسب احتمالها، كما قال تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

الثاني: الهداية التي جعلت للناس بدعائه إيّاهم على السنة الأنبياء وإنزال القرآن ونحو ذلك، والمقصود بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَكُ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣].

الثالث: التوفيق الذي يختصّ به من اهتدى، وهو المعني بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، وقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١].

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة، وهو المعني بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾.

[الأعراف: ٤٣]

وهذه الهدايا الأربع مترتبة. فإن من لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية، بل لا يصحّ تكليفه. ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة.

(١) معالم التنزيل (١ / ٤١).

(٢) معالم التنزيل (١ / ١٦٠).

(٣) جامع البيان (١ / ٧٦).

والإنسان لا يقدر أن يهدي أحداً إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر الهدايات، وإلى الأول أشار بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وبقوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] أي راع، وإلى سائر الهدايات أشار بقوله: ﴿إِنَّكَ لَتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]. وكل هداية ذكر الله تعالى أنه منع الكافرين والظالمين فهي الهداية الثالثة، التي هي التوفيق الذي يختص به المهتدون.

والرابعة التي هي الثواب في الآخرة، وإدخال الجنة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٦] إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥] <sup>(١)</sup>.

### الهدى في القرآن الكريم:

أجمعت كتب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم أن لفظ الهدى وما اشتق منه أكثر الألفاظ وجوهاً وقد ذكر له مقاتل بن سليمان البلخي في الأشباه والنظائر ويحيى بن سلام في «التصاريح» والسيوطي في «الإتقان» سبعة عشر وجهاً، وذكر ابن الجوزي في «نزهة الأعين النواظر» أربعة وعشرين وجهاً انفرد فيها بعشرة أوجه، وانفرد مقاتل وابن سلام والسيوطي بثلاثة، ومن ثم تصبح جملة الأوجه سبعة وعشرين وجهاً.

قال يحيى بن سلام في تفسير لفظ «الهدى» وما اشتق منه سبعة عشر وجهاً:

الوجه الأول: هدى يعنى بيانا، وذلك قوله في البقرة: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥] يعنى على بيان من ربهم، وقوله: ﴿قَدَرَفَهْدَى﴾ [الأعلى: ٣] يعنى بين له سبيل الهدى وسبيل الضلالة.

الوجه الثاني: هدى يعنى دين الإسلام، وذلك قوله في الحجّ ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٦٧] يعنى على دين مستقيم حق، وهو الإسلام. وقال في آل عمران ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَى اللَّهُ الْوَجْهَ﴾ [آل عمران: ٧٣] يعنى: إن الدين دين الله وهو الإسلام، وهو الحق ونحوه كثير.

الوجه الثالث: هدى يعنى الإيمان. وذلك قوله في سورة مريم: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦] يعنى يزيدهم إيماناً. وفي سورة سبأ ﴿أَمْحُنَّ صَدَدْنَكُمْ عَنِ الْهُدَى﴾ [سبأ: ٣٢] يعنى عن الإيمان.

(١) بصائر ذوي التمييز (٥ / ٣١٣ - ٤١٣) وانظر المفردات للراغب (٥٣٨).

الوجه الرابع: هدى يعنى دعاء، وذلك قوله فى الرعد: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] يعنى داعيا يعنى نبيا، وفى الأنبياء ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٧٣] يعنى يدعون «بأمرنا».

الوجه الخامس: هدى يعنى معرفة وذلك قوله فى النحل: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] يعنى يعرفون الطرق، وفى سورة طه ﴿ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، ثم عرف الصواب. وفى الأنبياء ﴿فَجَاجَا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١] يعنى لعلهم يعرفون الطريق.

الوجه السادس: هدى يعنى أمرا، يعنى أمر النبىؐ، وذلك قوله فى الذين كفروا: ﴿مِن بَعْدِ مَا نَبَّيْنَاهُمْ لَهُمُ الْهُدَى﴾ [محمد: ٢٥] يعنى أمر محمد أنه رسول الله وقامت عليهم الحجّة بالنبىؐ والقرآن. وفى البقرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ [البقرة: ١٥٩] يعنى أمر محمد أنه رسول الله. وقال قتادة: وكنتموا الإسلام، وكنتموا محمدا وهم يجدونه مكتوبا عندهم.

الوجه السابع: هدى يعنى رشدا. وذلك قوله فى القصص: ﴿عَسَى رَبِّتْ أَنْ يَهْدِيَنِ﴾ [القصص: ٢٢] قال قتادة: أن يرشدني (سواء السبيل) وفى ص: ﴿وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [ص: ٢٢] يعنى أرشدنا.

الوجه الثامن: هدى يعنى رسلا وكتبا. وذلك قوله فى البقرة: ﴿فَأَمَّا يَا تَيْنَكُم مِّنِّي هُدَى﴾ [البقرة: ٣٨] يعنى رسلا وكتبا، وفى سورة طه: ﴿فَمَنْ أَتَعَّ هُدَاى﴾ يعنى رسلي وكتبي، ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

الوجه التاسع: هدى يعنى القرآن، وذلك قوله فى النجم: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣] يعنى القرآن فيه بيان كل شيء. وفى سورة الكهف: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى﴾ [الكهف: ٥٥] يعنى القرآن.

الوجه العاشر: هدى يعنى التوراة، وذلك قوله فى سورة «غافر»: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ [غافر: ٥٣] يعنى التوراة. وفى السم السجدة: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدَى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [السجدة: ٢٣] يعنى التوراة.

الوجه الحادي عشر: هدى يعنى التوفيق.

وذلك قوله في البقرة: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧] إلى الاسترجاع والصبر، يعني هم الموفقون. وفي التغابن: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١] يعني يوفق قلبه إلى الاسترجاع عند المصيبة ويسلم ويرض ويعرف أنها من الله. الوجه الثاني عشر: هدى يعني إقامة الحجّة.

وذلك قوله في البقرة: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. المشركين، لا يهديهم إلى الحجّة ولا يهديهم من الضلالة إلى دينه.

الوجه الثالث عشر: هدى يعني التوحيد، وذلك قوله في القصص: ﴿إِن نَّبِيعٌ أَهْدَىٰ مَعَكَ نُحْطَفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [القصص: ٥٧] يعني التوحيد وهو الإيمان. وفي: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ﴾ [الفتح: ٢٨] يعني التوحيد ودين الحق يعني الإسلام.

الوجه الرابع عشر: هدى يعني سنّة، وذلك قوله في الزخرف: ﴿وَإِنَّا عَلَيَّ ءَأَثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢] يعني مستنون سنّتهم في الكفر. وفي الأنعام يقول للنبي ﷺ: ﴿فِيهِدْنَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠] يعني بسنّتهم، التوحيد «اقتده» يعني استنّها.

الوجه الخامس عشر: هدى يعني التوبة، وذلك قوله في الأعراف: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] تفسير مجاهد وقتادة: إِنَّا تَبْنَا إِلَيْكَ.

الوجه السادس عشر: يهدي يصلح، وذلك قوله في سورة يوسف: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ﴾ [يوسف: ٥٢] يعني لا يصلح عمل الرّانة.

الوجه السابع عشر: هدى يعني الإلهام، وذلك قوله في طه: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] يعني ألهمه لمرعاه، فمنها ما يأكل النّبت، ومنها ما يأكل الحبّ، ومنها ما يأكل اللحم. وقوله (خلقه) يعني صورته التي تصلح له. قال: ثُمَّ هَدَىٰ يعني ألهمه كيف يأتي معيشته ومرعاه، وذلك قوله في: سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣] يعني قدر الخلق، الذّكر والأنثى، فهدى يعني ألهم كيف يأتيها وتأتيه.

وأضاف ابن الجوزي: في نزهة الأعين التّواظر عدّة أوجه أخرى وهي:

الوجه الثامن عشر: الاستبصار، ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿فَمَا رِيحَتْ بِمَدَرَتْهُمْ وَمَا كَانَُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

الوجه التاسع عشر: الدليل ومنه قوله تعالى في سورة طه: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠] قيل معناه (إن لم يكن هذه) نارا فعلني أرى من يدلني على النار.

الوجه العشرون: التعليم: ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦].

الوجه الحادي والعشرون: الفضل: ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿هَتُوْلَاءَ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥٠] أي: أفضل.

الوجه الثاني والعشرون: التقديم: ومنه قوله تعالى في سورة الصفات: ﴿فَاهْتَدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٢٣].

الوجه الثالث والعشرون: الموت على الإسلام: ومنه قوله تعالى في سورة طه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

الوجه الرابع والعشرون: الثواب: ومنه قوله تعالى في سورة الليل: ﴿إِن عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ١٢].

الوجه الخامس والعشرون: الإذكار: ومنه قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧] أي ناسيا فذكرك.

الوجه السادس والعشرون: الصواب: ومنه قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ [العلق: ١١].

الوجه السابع والعشرون: الثبات: ومنه قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، (أي ثبتنا عليه)<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاتباع- الإرشاد الإسلام- الإيمان- التبليغ- الثبات- الكلم الطيب- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الضلال- الغي والإغواء- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف- الإعراض- التفريط والإفراط].

\*\*\*

(١) نزهة الأعين النواظر (٦٢٩-٦٣٠).

## من فوائد (الهدى)

- (١) ينير قلب المؤمن بنور العلم والإيمان. (٥) إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ كَثِيرًا مَا يَبْتَهِلُ إِلَى اللَّهِ ﷻ بِالذِّعَاءِ لِأَقْوَامٍ وَأَفْرَادٍ يَسْأَلُهُ الْهَدَايَةَ لَهُمْ.
- (٢) من أكبر نعم الله على العبد أن يهديه الله سبيل الرّشاد. (٦) الهدى كلّ الهدى في كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ.
- (٣) الهدى هديان: هدى الله الذي لا يقدر عليه مخلوق. وهدى الدلالة ما يستفاد من الرّسل وأتباعهم. (٧) طريق موصل إلى رضوان الله وجزته.
- (٤) أساس الهدى التّوحيد فمن أخلص العبادة المهتدي قريب من ربّه قريب من إخوانه. (٨) المهتدي قريب من ربّه قريب من إخوانه.
- (٩) نشر الهدى في المجتمعات يزيد في الطّاعات ويبعد عن المعاصي. (٩) نشر الهدى في المجتمعات يزيد في الطّاعات ويبعد عن المعاصي.

## الورع

## الورع لغة:

مصدر قولهم: ورع يروع وهو مأخوذ من مادة (ورع) التي تدلّ على الكفّ والانقباض، قال ابن فارس: ومنه (أي من هذا المعنى) الورع: العفة، وهي الكفّ عمّا لا ينبغي، والورع (أيضا) الرّجل الجبان، والفعل منه ورع يورع ورعا إذا كان جبانا، وورّعه وأورّعه: كفته<sup>(١)</sup>.

وقال الجوهري: قال ابن السكّيت وأصحابنا (الكوفيون) يذهبون بالورع إلى الجبان وليس كذلك، وإتّما الورع: الصّغير الضّعيف الذي لا غناء عنده، ويقال من ذلك: إتّما مال فلان أوراغ: أي صغار، والورع (بكسر الراء): الرّجل التّقّي، وتورّع من كذا أي تحرّج.

وقال الفيروزبادي: الورع التّقوى، وقد ورع كورث، ووجل، ووضع، وكرم<sup>(٢)</sup> أي تحرّج.

(١) معنى ذلك أنه يقال ورع يروع مثل ورث يرث، وورع يورع مثل وجل يوجل، وورع يروع مثل وضع يوضع وورع يورع مثل كرم يكرم.

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ١٠٠)، والصحاح (٣/ ١٢٩٧)، ولسان العرب (ورع) (٦/ ٤٨١٤) (ط. دار المعارف)، والقاموس المحيط (٣/ ٩٦).

وقال ابن منظور: الورع: التَّحَرُّج، والورع: بكسر الرَّاء: الرَّجُلُ التَّقِيُّ المتَحَرِّج. والورع في الأصل: الكفَّ عن المحارم والتَّحَرُّج منها، ثم استعير للكفَّ عن المباح والحلال وقال الأصمعيّ: الرَّعَة الهدى وحسن الهيئة. يقال: قوم حسنة رعتهم أي شأنهم وأمرهم وأديهم وأصله من الورع، وهو الكفَّ عن القبيح<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحاً:

قال المناويّ: قيل (في تعريفه): الورع ترك ما يريبك، ونفي ما يعيبك، والأخذ بالأوثق، وحمل النَّفس على الأشقّ.

وقيل: النَّظر في المطعم واللباس، وترك ما به بأس، وقيل: تجنّب الشُّبهات، ومراقبة الخطرات<sup>(٢)</sup>.

وقال الكفويّ: الورع: الاجتناب عن الشُّبهات سواء كان تحصيلاً أو غير تحصيل؛ إذ قد يفعل المرء فعلاً تورّعا، وقد يتركه تورّعا أيضا، ويستعمل بمعنى التَّقوى، وهو الكفَّ عن المحرّمات القطعيّة<sup>(٣)</sup>.

وقال الرَّاغب: الورع عبارة عن ترك التَّسرُّع إلى تناول أعراض الدُّنيا<sup>(٤)</sup>.

وقيل ترك ما لا بأس به حذرا ممّا به بأس.

وقيل هو: ترك الشُّبهات وهو الورع المندوب، ويطلق على ترك المحرّمات<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن تيمية: هو الورع عمّا قد تخاف عاقبته وهو ما يعلم تحريمه وما يشكّ في تحريمه، وليس في تركه مفسدة أعظم من فعله، وكذلك الاحتيال بفعل ما يشكّ في وجوبه لكن على هذا الوجه<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن القيم: ترك ما يخشى ضرره في الآخرة<sup>(٧)</sup>.

(١) لسان العرب (٨ / ٣٨٨).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٣٣٧).

(٣) الكليات للكفوي (٩٤٤).

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٢٣).

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد بن علان (٢٦ / ٣).

(٦) الفتاوى (١٠ / ٥١١ - ٥١٢).

(٧) الفوائد (١١٨).

## كمال الورع:

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : تمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرين وشر الشرين، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والتترك من المصلحة الشرعية، والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرّمات، ويرى ذلك من الورع، كمن يدع الجهاد مع الأمراء الظلمة ويرى ذلك ورعا، ويدع الجمعة والجماعة خلف الأئمة الذين فيهم بدعة أو فجور ويرى ذلك من الورع، ويمتنع عن قبول شهادة العباد وأخذ علم العالم لما في صاحبه من بدعة خفية، ويرى ترك قبول سماع هذا الحق الذي يجب سماعه من الورع<sup>(١)</sup>.

## الورع عن الحرام والمكروهات لا عن الواجبات والمستحبات:

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بعد كلام ذكر فيه الفرق بين الزهد والورع: وبهذا يتبين أن الواجبات والمستحبات لا يصلح فيها زهد ولا ورع، وأمّا المحرّمات والمكروهات فيصلح فيها الزهد والورع<sup>(٢)</sup>.

ولذا يقول الجرجاني: هو اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع في المحرّمات.  
وقيل: هو ملازمة الأعمال الجميلة<sup>(٣)</sup>.

## أنواع الورع ودرجاته:

قسّم الرّاغب الأصفهاني الورع إلى ثلاث مراتب:

- ١- واجب: وهو الإحجام عن المحارم، وذلك للناس كافة.
- ٢- مندوب: وهو الوقوف عن الشبهات، وذلك للأواسط.
- ٣- فضيلة: وهو الكفّ عن كثير من المباحات والاقتصار على أقلّ الضرورات، وذلك للنبيين والصدّيقين والشهداء والصّالحين<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق (١٠) (٥١٢).

(٢) المرجع السابق (١٠) / (٥١٢).

(٣) التعريفات للجرجاني (٢٥٢).

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٢٣).

وقال الشيخ أبو إسماعيل الهروي - رحمه الله تعالى - : الورع على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : تجنب القبائح لصدق النفس ، وتوفير الحسنات وصيانة الإيمان .

الدرجة الثانية : حفظ الحدود عند ما لا بأس به ، إبقاء على الصيانة ، والتقوى ، وصعودا عن

الدناءة ، وتخلصا عن اقتحام الحدود .

الدرجة الثالثة : التورع عن كل داعية تدعو إلى شتات الوقت والتعلق بالتفرق<sup>(١)</sup> .

### مظاهر الورع :

للورع مظاهر عديدة تختلف باختلاف أعضاء الإنسان التي يتصور استخدامها في أغراض الدنيا ، كما تختلف باختلاف العلاقات الإنسانية التي قد تتعارض فيها الرغبات ، وتختلف المصالح ، والله درّ ابن أبي الدنيا الذي قسّم الورع إلى أبواب بحسب ذلك كله ، فعقد أبوابا كبارا حشد فيها أحاديث وآثارا . وقد جاءت على النحو التالي :

١ - باب الورع في النظر .

٢ - باب الورع في السمع .

٣ - باب الورع في الشّم .

٤ - باب الورع في اللسان .

٥ - باب الورع في البطش .

٦ - باب الورع في البطن .

٧ - باب الورع في الفرج .

٨ - باب الورع في السعي .

٩ - باب الورع في الشراء والبيع<sup>(٢)</sup> .

[للاستزادة : انظر صفات : التقوى - حسن الخلق - الزهد - مجاهدة النفس - المروءة -

النزاهة - الرضا - الرهبة - الرغبة والترغيب - الخشوع - محاسبة النفس - الخشية - الخوف .

وفي ضد ذلك : انظر صفات : انتهاك الحرمات التطفيف - الطمع - الغلول - العصيان -

الغفلة - الفجور - الفسوق ] .

\*\*\*

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٣ / ٢٤ - ٢٦) .

(٢) انظر رسالة ابن أبي الدنيا في «الورع» .

## من فوائد (الورع)

- (١) الورع من أعلى مراتب الإيمان، وأفضل (٤) إشاعته في المجتمع يجعله مجتمعاً صالحاً درجات الإحسان. نظيفاً.
- (٢) يحقّق للمؤمن راحة البال، وطمأنينة النفس. (٥) الورع يحبّه الله ﷻ ويحبّه الخلق.
- (٣) الكفّ عن الحرام والبعد عمّا لا ينبغي. (٦) الورع يستجاب دعاؤه.

## الوعظ

## الوعظ لغة:

الوعظ مصدر قولهم: وعظ يعظ وهو من مادة (وعظ) التي تدلّ على التّخويف، والعهظة الاسم منه<sup>(١)</sup>، وقال الخليل: العهظة: الموعظة. يقال: وعظت الرجل أعظه عهظة وموعظة، واتّعظ: تقبّل العهظة، وهو تذكيرك إيّاه الخير ونحوه ممّا يرقّ له قلبه.

وقال الجوهريّ: الوعظ: التّصحّح والتّذكير بالعواقب، تقول: وعظته وعظاً وعهظة فاتّعظ<sup>(٢)</sup>، وفي الحديث الشّريف: «يأتي على الناس زمان يستحلّ فيه الرّبا بالبيع، والقتل بالموعظة» والمعنى في ذلك أن يقتل البريء ليتّعظ به المرّيب<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن منظور: الوعظ والعهظة والعهظة: التّصحّح والتّذكير بالعواقب، قال ابن سيّدة: هو تذكيرك للإنسان بما يلبّين قلبه من ثواب وعقاب.

وقد وعظه وعظاً وعهظة، واتّعظ هو: قبل الموعظة، حين يذكر الخبر ونحوه. ويقال: السّعيد من وعظ بغيره، والشّقّيّ من اتّعظ به غيره<sup>(٤)</sup>.

## واصطلاحاً:

قيل: هو التّذكير بالخبر فيما يرقّ له القلب<sup>(٥)</sup>.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٦ / ١٢٦).

(٢) الصحاح (٣ / ١١٨١).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٥ / ٢٤٠).

(٤) لسان العرب (٧ / ٤٦٦).

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف لابن المناوي (٣٣٩)، التعريفات للجرجاني (٢٧٥).

وقال الراغب: الوعظ زجر مقترن بتخويف<sup>(١)</sup>.

من يصلح للوعظ؟:

ليس كل الناس يصلح لوعظ العامة وإرشادهم، وإنما يقتصر ذلك على طائفة من العلماء الذين أشار إليهم الراغب عند ما قال: حقّ الواعظ أن تكون له مناسبة إلى الحكماء ليقدر على الاقتباس عنهم والاستفادة منهم، ومناسبة إلى الدهماء، حتى يقدروا بها على الأخذ منه، ومثل ذلك كمثّل الوزير للسلطان، إذ يجب فيه (أي الوزير) أن يكون متخلّقا بأخلاق الملوك، وأن يكون له تواضع السوقة ليصلح أن يكون واسطة بينه وبينهم، فإذا حقّ الواعظ أن تكون له نسبة إلى الحكيم، ونسبة إلى العامة يأخذ من الحكيم ويعطيهم، وذلك كنسبة الغضاريف إلى اللحم والعظم جميعا، ولولا ذلك لما أمكن للعظم أن يكتسب الغذاء من اللحم<sup>(٢)</sup>.

الحالة التي يجب أن يكون عليها الواعظ:

قال الراغب: حقّ الواعظ أن يتعظ ثم يعظ، ويبصر ثم يبصر، ويهتدي ثم يهدي، ولا يكون كدفتريفيد ولا يستفيد، ويجب ألا يجرح مقاله بفعاله، وألا يكذب لسانه بحاله، فيكون ممّن وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .. إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥]، ونحو ما قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «قصم ظهري رجلان: جاهل متنسك وعالم متهتك، فالجاهل يغرّ الناس بتنسكه، والعالم ينفرهم بتهتكه» والواعظ ما لم يكن مع مقاله فعالة لا يتتفع به، وذلك أنّ عمله يدرك بالبصر، وعلمه يدرك بالبصيرة، وأكثر الناس هم أصحاب الأبصار دون البصائر، فيجب أن تكون عنايته بإظهار عمله الذي يدركه جماعتهم أكثر من عنايته بالعلم الذي لا يدركه سوى أصحاب البصائر منهم.

ومنزلة الواعظ من الموعوظ كمنزلة المداوي، فكما أنّ الطّبيب إذا قال للناس: لا تأكلوا هذا، فإنّه سمّ قاتل. ثمّ رأوه أكلا له عدّ سخريّة وهزأ، كذلك الواعظ إذا أمر بما لا يعمله. وبهذا النّظر قيل يا طيب طبّب نفسك. بل قد قال تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ٢ كبرمفتّا عند الله أنّ تقولوا ما لا تفعلون ﴿[الصف: ٢، ٣]، إلى غير ذلك من الآيات. وأيضا فالواعظ من الموعوظ

(١) المفردات للراغب (٥٢٧).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٥٢) بتصرف يسير.

يجري مجرى الطَّبائع بما ليس منتقشا بها، فكما أنه محال أن ينطبع الطَّين بما ليس منتقشا في الطَّابع، كذلك محال أن يحصل في نفس الموعوظ ما ليس بموجود في نفس الواعظ، فإذا لم يكن الواعظ إلا ذا قول مجرد من الفعل لم يتلقَّ عنه الموعوظ إلا القول دون الفعل، وأيضا فإنَّ الواعظ يجري من النَّاس مجرى الظِّلِّ من ذي الظِّلِّ، فكما أنه محال أن يعوجَّ ذو الظِّلِّ والظِّلُّ مستقيم، كذلك من المحال أن يعوجَّ الواعظ والموعوظ مستقيم. وكذلك النَّار والأرض والهواء.

فالواعظ إذا كان غاويا جرَّ بغيه غيره إلى نفسه، ولهذا حكى الله تعالى عن الكفَّار قولهم:

﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ [الفصص: ٦٣]، وقال أيضا: ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنْ أَكُنَّا غُيُوبًا﴾.

[الصفات: ٣٢]

فمن ترشَّح للوعظ ثمَّ فعل فعلا قبيحا اقتدى به غيره فقد جمع بين وزره ووزرهم كما قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [النحل: ٢٥] الآية. وقد قال عليٌّ: «من سنَّ سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» بل قد قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلْسَاءَ مَا يَرِزُونَ﴾ [الأنعام: ٣١]<sup>(١)</sup>.

#### تفسير الحكمة والموعظة الحسنة:

قال ابن القيم رحمته: «وإنما ينتفع بالعظة بعد حصول ثلاثة أشياء: شدة الافتقار إليها والعمى عن عيب الواعظ. وتذكُّر الوعد والوعيد.

وإنما يشتدَّ افتقار العبد إلى العظة - وهي التَّريغ والتَّرهيب - إذا ضعفت إنابته وتذكُّره، وإلا فمتى قويت إنابته وتذكُّره: لم تشتدَّ حاجته إلى التذكُّر والتَّريغ والتَّرهيب، ولكن تكون الحاجة منه شديدة إلى معرفة الأمر والنهي.

و «العظة» يراد بها أمران: الأمر والنهي المقرونان بالرَّغبة والرَّهبة، ونفس الرَّغبة والرَّهبة.

فالمنيب المتذكُّر: شديد الحاجة إلى الأمر والنهي، والمعرض الغافل شديد الحاجة إلى التَّريغ والتَّرهيب. والمعارض المتكبر: شديد الحاجة إلى المجادلة.

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٥٤، ٢٥٦).

فجاءت هذه الثلاثة في حق هؤلاء الثلاثة في قوله: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، أطلق الحكمة، ولم يقيدَها بوصف الحسنة. إذ كلُّها حسنة، ووصف الحسن لها ذاتيًّا.

وأما «الموعظة» فقيدها بوصف الإحسان. إذ ليس كلُّ موعظة حسنة.

وكذلك «الجدال» قد يكون بالتي هي أحسن.

وقد يكون بغير ذلك. وهذا يحتمل أن يرجع إلى حال المجادل وغلظته، ولينه وحدته ورفقه. فيكون مأمورا بمجادلتهم بالحال التي هي أحسن.

ويحتمل أن يكون صفة لما يجادل به، من الحجج والبراهين، والكلمات التي هي أحسن شيء وأبينه، وأدله على المقصود. وأوصله إلى المطلوب.

والتحقيق: أن الآية تتناول النوعين.

وأما العمى عن عيب الواعظ: فإنه إذا اشتغل به حرم الانتفاع بموعظته. لأنَّ النفوس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه ولا ينتفع به. وهذا بمنزلة من يصف له الطيب دواء لمرض به مثله. والطيب معرض عنه غير ملتفت إليه. بل الطيب المذكور عندهم: أحسن حالا من هذا الواعظ المخالف لما يعظ به. لأنَّه قد يقوم دواء آخر عنده مقام هذا الدواء. وقد يرى أن به قوة على ترك التداوي. وقد يقنع بعمل الطبيعة وغير ذلك، بخلاف هذا الواعظ. فإنَّ ما يعظ به طريق معيّن للنّجاة لا يقوم غيرها مقامها. ولا بدّ منها. ولأجل هذه النّفرة قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ ﴾ [هود: ٨٨]، وقال بعض السلف: إذا أردت أن يقبل منك الأمر والنهي، إذا أمرت بشيء فكن أول الفاعلين له، المؤتمرين به. وإذا نهيت عن شيء، فكن أول المنتهين عنه. وقد قيل:

يا أيها الرجل المعلم غيره	هنا لنفسك كان ذا التعليم؟
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى	ومن الضنى تمسي وأنت سقيم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانها عن غيرها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهنالك يقبل ما تقول ويقتدى	بالقول منك. وينفع التعليم

فالعَمَى عن عيب الواعظ: من شروط تمام الانتفاع بموعظته.  
 وأمّا تذکر الوعد والوعيد: فإنّ ذلك يوجب خشيته والحذر منه. ولا تنفع الموعظة إلا لمن آمن به، وخافه ورجاه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ [هود: ١٠٣] وقال: ﴿سَيَذَكَّرُ مَن يَخْشَى﴾ [الأعلى: ١٠]، وقال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥] وأصرح من ذلك قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥] فالإيمان بالوعد والوعيد وذكره: شرط في الانتفاع بالعظات والآيات والعبر. ممّا يستحيل حصوله بدونه<sup>(١)</sup>.  
 [للاستزادة: انظر صفات: الإرشاد- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- الإنذار- التذكير- الدعوة إلى الله- الهدى- التبليغ- الكلم الطيب- التقوى.  
 وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف- الضلال- الغي والإغواء- التفريط والإفراط- الإعراض].

\*\*\*

### من فوائد (الوعظ)

- (١) طريق موصل إلى الجنة.
- (٢) ينير العقول ويصلح القلوب.
- (٣) حصول المحبة والألفة بين المسلمين.
- (٤) يثمر السعادة في الدارين.
- (٥) يحفظ الإنسان من كيد الشيطان.

### الوفاء

#### الوفاء لغة:

مصدر قولهم: وفي يفي وفاء، وهو مأخوذ من مادّة (وف ي) التي تدلّ على «إكمال وإتمام» يقول ابن فارس: ومن هذا الوفاء: إتمام العهد وإكمال الشرط، ويقولون منه أيضا: أوفيتك الشيء، إذا قضيتَه إياه وافية، وتوفيت الشيء واستوفيته، إذا أخذته كلّهُ حتّى لم تترك منه شيئا<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر مدارج السالكين (١/ ٤٧٩ - ٤٨١).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ١٢٩).

وقال الجوهري: الوفاء ضدّ الغدر، يقال: وفي بعهدته وأوفى بمعنى، ووفى الشيء وفياً على (وزن) فعول أي تمّ وكثر<sup>(١)</sup>، والوفى الوافي، ووفى على الشيء: أشرف، وأوفاه حقّه ووفاه بمعنى، واستوفى حقّه وتوفاه بمعنى، وتوفاه الله: قبض روحه، ووافى فلان: أتى، وتوافى القوم: تتاموا<sup>(٢)</sup>.

وقال الراغب: الوافي: الذي بلغ التمام من كلّ شيء، يقال: درهم واف وكيل واف، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ﴾ [الإسراء: ٣٥] ووفى بعهدته وأوفى إذا تمّ العهد ولم ينقض حفظه، واشتقاق ضدّه وهو الغدر يدلّ على ذلك وهو ترك (الحفظ)، والقرآن الكريم جاء بصيغة الرباعي «أوفى» قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بَعْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، وتوفية الشيء بذله وافيًا، واستيفاءه: تناوله وافيًا، وقد عبّر عن النّوم والموت بالتّوفي.

قال الكسائي وأبو عبيدة: وفيت بالعهد وأوفيت به سواء. والوفى: الذي يعطي الحقّ ويأخذ الحقّ.

وفي حديث زيد بن أرقم: وفيت أذنك وصدّق الله حديثك. كأنه جعل أذنه في السّماع كالضّامنة بتصديق ما حكّت، فلمّا نزل القرآن في تحقيق ذلك الخبر صارت الأذن كأنّها وافية بضمانها خارجة من التّهمة فيما أدّته إلى اللّسان.

وفي رواية: أوفى الله بأذنه. أي أظهر صدقه في إخباره عمّا سمعت أذنه.

يقال: وفي بالشيء وأوفى ووفى بمعنى واحد.

وأوفى الكيل أتمّه ولم ينقص منه شيئاً. قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾، وفي الحديث: «فمررت بقوم تقرض شفاهم كلّما قرضت وفيت» أي تمّت وطالت.

والموافاة: أن توافي إنساناً في الميعاد، توافينا في الميعاد ووافيته فيه، وتوفى المدّة: بلغها واستكملها، وهو من ذلك. وكلّ شيء بلغ تمام الكمال فقد وفي وتمّ، ويقال: أوفيته حقّه ووفّيته أجره<sup>(٣)</sup>.

(١) يشير الجوهري بذلك إلى أنّ مصدر ووفى قد يأتي على فعول مثل قعود وجلوس.

(٢) الصحاح (٦/ ٢٥٢٦).

(٣) لسان العرب (١٥/ ٣٩٨ - ٤٠٠).

ووفاء في اللغة: الخلق الشريف العالي الرفيع من قولهم: وفي الشعر فهو واف إذا زاد، ووفيت له بالعهد أفي، ووافيت أو أفي.

ومنه الوفاء بالعهد: وسمي بذلك لما فيه من بلوغ تمام الكمال في تنفيذ كل ما عاهد عليه الله، وفي كل ما عاهد عليه العباد<sup>(١)</sup>.

### الوفاء اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الوفاء: هو ملازمة طريق المواساة، ومحافظة عهود الخلطاء<sup>(٢)</sup>.

وقال الجاحظ: الوفاء: هو الصبر على ما يبذله الإنسان من نفسه ويرهنه به لسانه<sup>(٣)</sup>. والخروج مما يضمنه (بمقتضى العهد الذي قطعه على نفسه) وإن كان مجحفاً به، فليس يعدّ وفيّاً من لم تلحقه بوفائه أذية وإن قلت، وكلما أضرب به الدخول تحت ما حكم به على نفسه كان ذلك أبلغ في الوفاء<sup>(٤)</sup>.

وقال الراغب: الوفاء بالعهد: إتمامه وعدم نقض حفظه<sup>(٥)</sup>.

وقال أيضاً: الوفاء صدق اللسان والفعل معا<sup>(٦)</sup>.

### الوفاء قيمة إنسانية نادرة:

للوفاء بالعهود قيمة إنسانية وأخلاقية عظيمة لأنه يرسى دعائم الثقة في الأفراد ويؤكد أو اصبر التعاون في المجتمع، يقول الراغب الأصفهاني في ذلك: الوفاء: أخو الصدق والعدل، والغدر: أخو الكذب والجور، ذلك أن الوفاء: صدق اللسان والفعل معا، والغدر كذب بهما، لأن فيه مع الكذب نقض للعهد.

والوفاء: يختص بالإنسان، فمن فقد فيه (الوفاء) فقد انسلخ من الإنسانية، وقد جعل الله

(١) المرجع السابق. وانظر: بصائر ذوي التمييز (٤/ ١١٤ - ١١٥). ونزهة الأعين النواظر (٤٤٦ - ٤٤٨).

(٢) التعريفات (ص ٢٧٤)، والمناوي في التوقيف (ص ٣٩٣).

(٣) معنى هذه العبارة: أن الإنسان يصبح رهينة بما ينطق به لسانه ولا يكون وفيّاً إلا إذا حرر نفسه بالوفاء بما التزم به، وهذا هو مضمون العبارة التالية في قوله «والخروج مما يضمنه» أي خروج الإنسان من العهد الذي قطعه على نفسه وألزمه به لسانه مما ضمنه للغير.

(٤) تهذيب الأخلاق (ص ٢٤) ويبدو أن الجاحظ يتحدث هنا عن وفاء بعينه وهو ما تعلق بالوعود المقطوعة للآخرين.

(٥) المفردات (٥٢٨).

(٦) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص ٢٩٢).

تعالى العهد من الإيمان وصيرته قواماً لأُمور الناس، فالناس مضطرون إلى التعاون، ولا يتم تعاونهم إلا بمراعاة العهد والوفاء به، ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفع التعايش. ولذلك عظم الله تعالى أمره فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقيل في قوله ﷺ: ﴿وَيَأْبَاكَ فَطَهَّرْ﴾ [المدر: ٤]، أي نزهه نفسك عن الغدر، وقد عظم حال السمومال فيما التزم به من الوفاء بدروع امرىء القيس، مما يدل على أن الوفاء قيمة عظيمة قدرها عرب الجاهلية. وقد أقرهم الإسلام على ذلك، ولا يستطيع ذلك إلا القليلون، ولقلة وجود ذلك في الناس قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٣]، وقد ضرب به المثل في العزة فقالت العرب: «هو أعز من الوفاء»<sup>(١)</sup>.

### أنواع الوفاء:

للوفاء أنواع عديدة باعتبار الموفى به، فهي قد تكون وفاء بالعهد، وقد تكون وفاء بالعقد أو الميثاق، وقد تكون وفاء بالوعد. وتوضيح ذلك فيما يلي:

الوفاء بالعهد: هو - كما ذكر الراغب - إتمامه وعدم نقض حفظه، ويتطابق من ثم صدق القول والعمل جميعاً<sup>(٢)</sup>، وعن ابن عباس رضي الله عنهما «العهد ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله»<sup>(٣)</sup>.

أمّا الوفاء بالعقد: فالمراد به إمّا العهد، وبذلك يتطابق مع النوع الأول، وقيل: العقود هي أوكد العهود، وقيل: هي عهود الإيمان والقرآن، وقيل: هي ما يتعاقد به الناس فيما بينهم<sup>(٤)</sup>.

أمّا الوفاء بالوعد: فالمراد به أن يصبر الإنسان على أداء ما يعد به الغير ويبدله من تلقاء نفسه، ويرهنه به لسانه حتى وإن أضرب به ذلك، وقد ذكرنا من قبل قول الجاحظ: وكلما أضرب به الدخول تحت ما حكم به على نفسه كان ذلك أبلغ في الوفاء<sup>(٥)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاعتراف بالفضل الأمانة - الصدق - المسؤولية - المواساة -

كتمان السر - الإخلاص.

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٩٢ - ٢٩٣).

(٢) المفردات (٥٢٨)، والذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٩٢).

(٣) عمدة التفسير للشيخ أحمد شاکر (٤ / ٦٢).

(٤) تفسير البغوي (٢ / ٦).

(٥) انظر: نص الجاحظ كاملاً في «الوفاء اصطلاحاً».

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الغدر- الجحود نقض العهد- نكران الجميل- الخيانة- إفشاء السر- التنصل من المسؤولية].

\*\*\*

### من فوائد (الوفاء)

(١) من أوفى بعهد الله من توحيدهِ وإخلاص العبادَةِ له، أوفى الله بعهدَهُ من توفيقهِ إلى الطاعات وأسباب العبادات.

(٢) الذين يوفون بعهد الله، هم أولو الألباب وهم الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله فوعدهم أن لهم الجنة ومن أوفى بعهدَهُ من الله؟

(٣) مدح الله الموفين بعهودهم كثيراً في القرآن.

(٤) الوفاء صفة أساسية في بنية المجتمع الإسلامي، حيث تشمل سائر المعاملات، إذ كلّ المعاملات والعلاقات الاجتماعية والوعود والعهد تتوقف على الوفاء، فإذا انعدم الوفاء انعدمت الثقة، وساء التعامل وساد التنافر.

(٥) من أهمّ الوفاء، الوفاء بالعهد من بيعة وبيع ودين ونذر وشروط تتعلق بالمعاملات المالية والاجتماعية.

(٦) المسلم المتمسك بالوفاء في كلّ أحواله يجد في نفسه سعادة عظيمة عندما يوفّي حقوق الله ﷻ كاملة وحقوق إخوانه المسلمين. ولا ينسى حقّ أهله ونفسه عليه فيعطي كلّ ذي حقّ حقه.

### الوقار

#### الوقار لغة:

مصدر قولهم: وقر يقر وقارا وهو مأخوذ من مادة (وقر) التي تدلّ على ثقل في الشيء، ومن ذلك الوقار: الحلم والرّزانة، ورجل ذو قرة أي وقور، ورجل موقّر: مجرّب، وقال الراغب: الوقار: السكون والحلم، يقال: هو وقور ووقار، ومتوقّر، وفلان ذو قرة أي وقار، وقول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قيل: هو من الوقار، وقال بعضهم: هو من قولهم: وقرت أقر وقرًا: أي جلست.

وقال الجوهريّ: الوقار: الحلم والرّزانة، وقد قر الرجل يقر وقارا وقرة إذا ثبت، فهو وقور، قال الرّاجز:

بكل أخلاق الرّجال قد مهر      ثبت إذا ما صيح بالقوم وقر  
والتّوقير: التّعظيم والتّرزين، وقول الله تعالى: ﴿مَالِكُمْ لَا تَزْحَمُ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، أي لا تخافون الله عظمة، وفي الحديث: «لم يسبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة، ولكنّه بشيء وقر في القلب»، وفي رواية، «لسرّ وقر في صدره أي سكن فيه وثبت، من الوقار والحلم والرّزانة، ويقال: الوقار، الحلم والسّكينة.

والوقار: الحلم والسّكينة والرّزانة والوداعة، وهو من باب وعد، تقول: وقر الرّجل يقر وقارا وقرة (بكسر أوله) فهو وقور، ووقار، ووقر إذا ثبت. والمرأة أيضا وقور. والأمر منه قر (بكسر أوله).

وأما قولك: وقر الرّجل: أي بجلّه وعظّمه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾<sup>(١)</sup>.

#### واصطلاحاً:

هو التّائي في التّوجّه نحو المطالب<sup>(٢)</sup>.

وقال الجاحظ: الوقار هو الإمساك عن فضول الكلام والعبث، وكثرة الإشارة والحركة، فيما يستغنى عن التّحرّك فيه، وقلة الغضب، والإصغاء عند الاستفهام، والتّوقّف عن الجواب والتّحفظ من التّسرّع، والمباكرة في جميع الأمور<sup>(٣)</sup>.

ماهية وقار الله ﷻ وثمرته:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التّعظيم والتّوقير لك من النّاس وقلبك خال من تعظيم الله وتوقيره، فإنّك توقّر المخلوق وتجلّه أن يراك في حال لا توقّر الله أن يراك عليها، قال تعالى: ﴿مَالِكُمْ لَا تَزْحَمُ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، أي لا تعاملونه معاملة من توقّرونه، والتّوقير: التّعظيم. ومنه قوله تعالى وَتُوَقِّرُوهُ يعني أنّهم لو عظّموا الله وعرّفوا حقّ عظّمته

(١) الصحاح (٢/ ٨٤٨)، لسان العرب (٨/ ٤٨٨٩ - ٤٨٩١)، مفردات القرآن (٨٨٠)، المصباح المنير (٦٦٨).

(٢) التعريفات (٢٠٥) وانظر التوقيف لابن المناوي (٣٣٨).

(٣) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٢٢).

وحدوه وأطاعوه وشكروه، فطاعته - سبحانه - واجتناب معاصيه، والحياء منه بحسب وقاره في القلب. ولهذا قال بعض السلف: ليعظم وقار الله في قلب أحدكم أن يذكره عند ما يستحي من ذكره، فيقرن اسمه به كما تقول: قبح الله الكلب والخنزير والنتن ونحو ذلك، فهذا من وقار الله. ومن وقاره أن لا تعدل به شيئاً من خلقه، لا في اللفظ، بحيث تقول: والله وحياتك، مالي إلا الله وأنت، وما شاء الله وشئت، ولا في الحب والتعظيم والإجلال، ولا في الطاعة، فتطيع المخلوق في أمره ونهيه كما تطيع الله، بل أعظم، كما عليه أكثر الظلمة والفجرة، ولا في الخوف والرجاء. ويجعله أهون الناظرين إليه، ولا يستهين بحقه ويقول: هو مبني على المسامحة، ولا يجعله على الفضلة، ويقدم حق المخلوق عليه، ولا يكون الله ورسوله في حدّ وناحية، والناس في ناحية وحدّ، فيكون في الحدّ والشقّ الذي فيه الناس دون الحدّ والشقّ الذي فيه الله ورسوله، ولا يعطي المخلوق في مخاطبته قلبه ولبه ويعطي الله في خدمته بدنه ولسانه دون قلبه وروحه، ولا يجعل مراد نفسه مقدماً على مراد ربه.

فهذا كله من عدم وقار الله في القلب، ومن كان كذلك فإن الله لا يلقي له في قلوب الناس وقارا ولا هيبة، بل يسقط وقاره وهيبته من قلوبهم، وإن وقروه مخافة شره فذاك وقار بغض لا وقار حبّ وتعظيم. ومن وقار الله أن يستحيي من اطلاعه على سره وضميره فيرى فيه ما يكره. ومن وقاره أن يستحيي منه في الخلوة أعظم ممّا يستحيي من أكابر الناس.

والمقصود أن لا يوقر الله وكلامه وما آتاه من العلم والحكمة كيف يطلب من الناس توقيره وتعظيمه؟! القرآن والعلم وكلام الرسول ﷺ صلوات من الحقّ وتنبهات وروادع وزواجر واردة إليك، والشيب زاجر ورادع وموقف قائم بك، فلا ما ورد إليك وعظك! ولا ما قام بك نصحك! ومع هذا تطلب التوقير والتعظيم من غيرك! فأنت كمصاب لم تؤثر فيه مصيئته وعظا وانزجارا، وهو يطلب من غيره أن يتعظ وينزجر بالنظر إلى مصابه. فالضرب لم يؤثر فيه زجرا، وهو يريد الانزجار ممن نظر إلى ضربه<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: السكينة - التدبر الحلم - الصمت وحفظ اللسان - الطمأنينة - تعظيم الحرمات - الرضا - الرهبة - الرغبة والترغيب حسن السمات. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الحمق - شرب الخمر - الطيش - الإعراض - القلق - البذاءة - البذاءة - الغضب].

(١) الفوائد (٣٢٩) بتصرف يسير.

## من فوائد (الوقار)

- (١) الوقار من آثار الحياء والحشمة.  
 (٢) الوقار يبعد صاحبه عن الرذائل ويجافيه  
 (٣) حبّ النَّاسِ للشَّخصِ الوقور.  
 (٤) الوقور يدرك ما لا يدركه غيره من معاني  
 العزّ والشرف والرئاسة.  
 (٥) الوقار عزّ لصاحبه في الدُّنيا والآخرة،  
 ويكسبه المهابة بين النَّاسِ.

## الوقاية

## الوقاية لغة:

مصدر قولهم: وقى يقي وهو مأخوذ من مادّة (وقى) التي تدلّ على دفع شيء عن شيء  
 بغيره، والوقاية ما يقي الشيء، وقولهم: اتق الله: توقّه أي اجعل بينك وبينه كالوقاية، ويقال: وقاه  
 الله وقاية بالكسر أي حفظه، والوقاية (بالفتح) لغة في الوقاية بالكسر، وقيل أيضا: الوقاية بالضمّ،  
 والوقاء بالفتح والكسر: ما وقيت به شيئا، والأواقى جمع واقية. ويقال: اتقى بكذا: إذا جعله  
 وقاية لنفسه، والتوقية: الكلاءة والحفظ ممّا يؤذي ويضرّ: قال تعالى: ﴿فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾  
 [الإنسان: ١١]، وفي الحديث الشريف «كنا إذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله» أي جعلناه وقاية لنا من  
 العدوّ قدامنا، واستقبلنا العدوّ به وقمنا خلفه وقاية (له).

وقال ابن منظور: يقال: وقاه الله وقيا ووقاية وواقية صانه.

ويقال: وقيت الشيء أقيه: إذا صنته عن الأذى، وفي الحديث «فوقى أحدكم وجهه النار» فهذا خبر  
 أريد به الأمر: أي ليق أحدكم وجهه النار بالطاعة والصدقة. وقوله ﷺ في حديث معاذ «وتوقّ كرائم  
 أموالهم» أي تجنبها ولا تأخذها في الصدقة، وتوقّى واتقى بمعنى، وفي الحديث «تبّقّه وتوقّه» أي استبق  
 نفسك ولا تعرّضها للتلف، والوقاء والوقاية والوقاية والواقية: كلّ ما وقيت به شيئا. قال  
 اللحياني: كلّ ذلك مصدر وقيته الشيء، وفي الحديث «من عصى الله لم تقه منه واقية إلا بإحداث توبة»،  
 ويقال: وقال شرّ فلان وقاية، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ أي من دافع<sup>(١)</sup>.

(١) المقاييس (٦ / ١٣١)، الصحاح ٦ / ٢٥٢٨، المفردات ص (٥٣١)، البصائر (٥ / ٢٥٦)، لسان العرب (وقى) (٤٩٠٢) ط. دار المعارف.

**الوقاية اصطلاحاً:**

قال المناويّ - رحمه الله تعالى - : الوقاية: حفظ الشيء عمّا يؤذيه ويضرّه، والتوقّي: جعل الشيء وقاية ممّا يخاف<sup>(١)</sup>. وقال الراغب: الوقاية حفظ الشيء ممّا يؤذيه ويضرّه<sup>(٢)</sup>.

**الفرق بين الوقاية والتقوى:**

أنّ الوقاية تتعلّق بالإنسان في بدنه ومعاشه وممتلكاته وغير ذلك من الأمور المحسوسة كما أنّها قد تكون من الله للإنسان أو من الإنسان لغيره، أمّا التقوى فهي - كما يقول الراغب -: جعل النفس في وقاية ممّا تخاف<sup>(٣)</sup> فكلّ تقوى وقاية ولا عكس.

[للاستزاد: انظر صفات: التقوى - حفظ الأيمان - حفظ الفرج - الخوف - الخشية - الصمت وحفظ اللسان - العفة - النزاهة - الحيطة - الحذر - الإنفاق - الصدقة. وفي ضد ذلك: انظر صفات: اتباع الهوى - أكل الحرام - التفريط والإفراط - العصيان - الإصرار على الذنب - الإعراض].

\*\*\*

**من فوائد (الوقاية)**

انظر فوائد صفة: الحذر.

**الولاء والبراء****الولاء لغة:**

مصدر والى يوالي وهو مأخوذ من مادّة (ولى) التي تدلّ على القرب، يقال تباعد بعد ولي أي قرب، وجلس ممّا يليني أي يقاريني، والوليّ: المطر يجيء بعد الوسميّ، سمّي بذلك لأنّه يليه، قال ابن فارس: ومن الباب المولى: المعتق والمعتق، والصّاحب والحليف، وابن العمّ والنّاصر والجار، كلّ هؤلاء من الولي، وهو القرب، وكلّ من ولي أمر آخر فهو وليّه. وفلان أولى بكذا، أي أحرى وأجدر<sup>(٤)</sup>.

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (٣٣٩).

(٢) المفردات (٥٣٠). وانظر تعريف صفة «التقوى».

(٣) المفردات (٥٣٠).

(٤) مقاييس اللغة (٦ / ١٤١).

وقال الراغب: الولاء والتوالي أن يحصل شيئا فصاعدا ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد، والولاية (بالكسر) النصرة، والولاية (بالفتح) تولي الأمر، وقيل هما لغتان مثل الدلالة والدلالة، والولي والمولى يستعملان معا في معنى الفاعل، أي الموالي وفي معنى المفعول، أي الموالي يقال للمؤمن: هو ولي الله ولا يقال في ذلك مولى، ولكن يقال: الله تعالى ولي المؤمنين ومولاهم، فمن الأول قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] ومن الثاني قوله ﷺ ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨] والوالي في قوله سبحانه: ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ﴾ [الرعد: ١١] معناه الولي، وقوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥] أي ابنا يكون من أوليائك<sup>(١)</sup>.

وقال الجوهري: الولي: القرب والذنو، ومعنى «كل ممّا يليك» أي ممّا يقاربك، يقال من ذلك، ولي يلي بكسر اللام فيهما، وأوليته الشيء فوليه، وكذلك ولي الوالي البلد، وولي الرجل البيع ولاية فيهما، وتولى عنه: أعرض، وولى هاربا: أدبر، وقوله سبحانه لِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مَوْلَاهُ أي مستقبلها بوجهه.

والولي ضد العدو والموالة ضد المعادة، ويقال: بينهما ولاء بالفتح: أي قرابة ووالى بينهما ولاء (بالكسر) أي تابع، والولاية بالكسر: السلطان والولاية (بالفتح) النصرة، يقال هم على ولاية. أي مجتمعون في النصرة، وقال سيويه: الولاية بالفتح: المصدر والولاية بالكسر: الاسم مثل الإمارة والنقابة؛ لأنه اسم لما توليته وقلت به فإذا أرادوا المصدر فتحوا<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن منظور: والولاية على الإيمان واجبة، والمؤمنون بعضهم أولياء بعض، والمولى: الحليف وهو من انضم إليك فعزّ بعزك وامتنع بمنعتك.

والمولى: المعتق انتسب بنسبك، ولهذا قيل للمعتقين الموالي<sup>(٣)</sup>.

(١) المفردات ٥٢٤، الصحاح (٦/ ٢٥٢٨).

(٢) الصحاح (٦/ ٢٥٢٨).

(٣) للمولى معان أخرى عديدة ذكر منها ابن الأثير: الرب والمالك، والسيد والمنعم، والمعتق، والناصر، والمحب، والتابع، والجار، وابن العم، والحليف والعقيد، والصهر، والعبد، والمعتق، والمنعم عليه. وأكثرها جاء في الحديث ويضاف كل واحد إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه. انظر النهاية (٥/ ٢٢٨).

وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ ﴾ [المتحنة: ٩] أي تنصروهم، يعني أهل مكة، جعل التولي هنا بمعنى النصر من الولي وهو الناصر، وروي أن النبي ﷺ قال: «من تولاني فليتول عليا»؛ معناه من نصرني فلينصره، والموالاتة (في كلام العرب) على وجوه:

الأول: أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحاييه.

الثاني: الموالاتة: المحبة، يقال: والى فلان فلانا إذا أحبه.

الثالث: التميز. قال الأزهري: سمعت العرب تقول: والوا حواشي نعمكم عن جللتها أي: اعزلوا صغارها عن كبارها، يقال: واليناها فتوالت إذا تميزت.

والولي: الصديق والنصير، وقيل التابع المحب، وقال أبو العباس في قوله ﷺ «من كنت مولاه فعلي مولاه»، أي من أحبني وتولاني فليتول، وقال الشافعي رحمته الله يعني بذلك ولاء الإسلام، كقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ [محمد: ١١].

والموالاتة ضد المعاداة، والولي ضد العدو، قال تعالى: ﴿ يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطٰنِ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٥].

قال ثعلب: كل من عبد شيئا من دون الله فقد اتخذه وليا. وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وليهم في نصرهم على عدوهم، وإظهار دينهم على دين مخالفيهم، وقيل: وليهم أي يتولّى ثوابهم ومجازاتهم بحسن أعمالهم<sup>(١)</sup>.

### الموالاتة اصطلاحاً:

هي التقرب وإظهار الودّ بالأقوال والأفعال والنوايا، لمن يتخذه الإنسان ولياً، فإن كان هذا التقرب والودّ مقصوداً به الله ورسوله والمؤمنون، فهي الموالاتة الشرعية الواجبة على كل مسلم، وإن كان المقصودهم الكفار والمنافقين، على اختلاف أجناسهم، فهي موالاتة كفر وردة عن الإسلام<sup>(٢)</sup>.

(١) لسان العرب (١٥ / ٤٠٦ - ٤٠٩).

(٢) الموالاتة والمعاداة في الشريعة الإسلامية لمحساس بن عبد الله الجلعود (٢٨)، وانظر أيضاً كتاب الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين.

أما الولي: فله معان اصطلاحية عديدة منها:

الولي: هو الذي يتولاه الله بالطاعة ويتولاه الله بالكرامة. ذكر ذلك أبو حيان<sup>(١)</sup>.

وقال الجرجاني: هو من توالى طاعته من غير أن يتخللها عصيان<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر: والمراد بولي الله العالم بالله تعالى المواظب على طاعته المخلص في عبادته<sup>(٣)</sup>.

وقيل إن لفظ الموالاتة مشتق من الولاء، وهو الدنو والتقرب، والولاية ضدّ العداوة، والولي عكس العدو، والمؤمنون أولياء الرحمن، والكافرون أولياء الطاغوت والشيطان، لقرب الفريق الأول من الله بطاعته وعبادته. وقرب الفريق الثاني من الشيطان بطاعة أمره وبعدهم عن الله بعصيانه ومخالفته<sup>(٤)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الولاية: ضدّ العداوة. وأصل الولاية: المحبة والتقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد. فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه، كان المعادي لوليّه معاديا له. كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا لِدِينِ اللَّهِ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الممتحنة: ١]. فمن عادى أولياء الله فقد عاداه، ومن عاداه فقد حاربه<sup>(٥)</sup>.

ومسمى الموالاتة لأعداء الله: يقع على شعب متفاوتة، منها ما يوجب الردّة وذهاب الإسلام بالكليّة ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات<sup>(٦)</sup>.

معنى الولي من أسماء الله الحسنى: والولي في أسماء الله الحسنى وهو الناصر، وقيل: المتوليّ لأمر العالم والخلائق، القائم بها.

وقال الإمام الغزالي رحمه الله: هو المحبّ الناصر، ومعنى محبته قد جاء في صفة المحبة ومعنى نصرته ظاهر فإنه يجمع أعداء الدين وينصر أولياءه.

(١) البحر المحيط (٥ / ١٧٥).

(٢) التعريفات للجرجاني (٢٠٥).

(٣) فتح الباري (١٣ / ٢٩٣).

(٤) كتاب الايمان لنعيم ياسين (١٩٠).

(٥) المقصد الأسنى (١٢٩).

(٦) الفرقان لابن تيمية (٧).

قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما الجمهور فيقولون: الولاية والعداوة وإن تضممتا محبة الله ورضاه وبغضه وسخطه، فهو سبحانه يرضى عن الإنسان ويحبه، بعد أن يؤمن ويعمل صالحاً، وإنما يسخط عليه ويغضب بعد أن يكفر<sup>(٢)</sup>.

قال القحطاني: والولاء والولاية: هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً. قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ أَهْمُ الظُّلُمَاتِ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].  
فمؤالاة الكفار تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم بالأقوال والأفعال والنوايا<sup>(٣)</sup>.

### من معاني الموالاتة في القرآن الكريم:

وردت للفظ الولاية وما اشتقت منها الوجوه الآتية:

١- المولى: بمعنى الولد، وذلك قول زكريّا في [سورة مريم: ٥]: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ يعني الولد.

٢- الولي: يعني الصّاحب من غير قرابة، وذلك قوله في [سورة بني إسرائيل: ١١١]: ﴿وَلَوْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا﴾ يعني لم يكن له صاحب يتعزّز به من ذلك، وكقوله في [سورة الكهف: ١٧]: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ يعني صاحباً مرشداً.

٣- الولي: يعني القرابة، وذلك قوله تعالى في [سورة فصلت: ٣٤]: ﴿كَأَنَّهُ مَوْلَىٰ حَمِيمٍ﴾ يعني: قريباً وقال في [سورة العنكبوت: ٢٢]: ﴿وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يعني من قريب يمنعكم، يعني الكفار.

٤- الولي: يعني الربّ وذلك قوله في [سورة الأنعام: ١٤]: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ يعني ربّاً.

فاطر السّموات والأرض. وقال في [سورة يونس: ٣٠]: ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ﴾ يعني ربّهم.

(١) الرسائل المفيدة لعبد الله آل الشيخ (٤٣).

(٢) الفتاوى (٧/ ٤٤٢).

(٣) الولاء والبراء (٨٩ - ٩٠).

٥- الولي: يعني العون، وذلك في الذين كفروا ﴿ذَلِكَ يَأَنَّ اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [محمد: ١١] يعني وليهم في العون لهم.

٦- الولي: يعني الآلهة وذلك قوله في [سورة العنكبوت: ٤١] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني آلهة وكقوله في [سورة الشورى: ٦] ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني آلهة ﴿اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

٧- الولي: يعني العصبية. وذلك قوله في [سورة مريم: ٥] ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ يعني العصبية من بعدي. وكقوله في [سورة النساء: ٣٣] ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَى﴾ يعني العصبية.

٨- الولي: يعني الولاية في دين الكفر وذلك قوله في [سورة المجادلة: ١٤] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني المنافقين تولوا اليهود في الدين.

٩- الولي: يعني الولاية في دين الإسلام وذلك قوله في [سورة المائدة: ٥٥] ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وقال في [سورة براءة: ٧١] ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ يعني في الدين.

١٠- الولي: يعني المولى الذي تعتقه، وذلك قوله في [سورة الأحزاب: ٥] ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ﴾ يعني المولى الذي تعتقه.

١١- الولي: يعني الولي في النصيح وذلك قوله في [سورة الممتحنة: ١] ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني في النصيحة. وقال في [آل عمران: ٢٨] ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني في النصيحة ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

### الموالاتة بين المدح والذم:

الموالاتة إذا كانت بين المؤمن وربّه أو بين المؤمنين بعضهم وبعض فهي الموالاتة المحمودة المأمور بها شرعا، وهي التي تورث العز في الدنيا وتكسب الفوز والنّجاة في الآخرة، أمّا إذا كانت الموالاتة بين الكفّار والمنافقين بعضهم وبعض أو بينهم وبين الشيطان، أو تلك التي يكون الكافر

(١) التصاريف، تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه، وتصرفت معانيه ليحيى بن سلام (٢٣٥-٢٣٧)، كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر لابن العماد/ فؤاد عبد المنعم أحمد (٢٤٩-٢٥١)، ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي، ت/ محمد عبد الكريم كاظم (٦١٣-٦١٤).

أو الشيطان طرفا فيها فهي الموالاة المذمومة المنهي عنها، وهي التي تورث ذل الدنيا وغضب الله وعقابه في الآخرة، وهذه الأخيرة يتبرأ منها أطرافها ولا يغني بعضهم عن بعض شيئا في الآخرة.

يقول الراغب: نفى الله تعالى الولاية بين المؤمنين والكافرين في غير آية، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١]، وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنة: ١] وجعل سبحانه بين الكافرين والشياطين موالاة في الدنيا، ونفى بينهم الموالاة في الآخرة قال سبحانه في الموالاة بينهم في الدنيا: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧] وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيْطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٠] ولما جعل بينهم وبين الشيطان موالاة، جعل للشيطان في الدنيا عليهم سلطانا، ومن نفى الموالاة بينهم في الآخرة قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَغْنَىٰ مَوْلَىٰ عَن مَّوْلَىٰ شَيْئًا﴾ [الدخان: ٤١].

### البراء لغة:

مصدر قولهم: برئت منك، وهو مأخوذ من مادة (ب ر أ) التي تدل على التباعد من الشيء ومزاييلته، ومن ذلك: البرء وهو السلامة من السقم، والوصف من ذلك: براء على لغة أهل الحجاز وأنا بريء منك على لغة غيرهم وقد جاءت اللغتان في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ [الحشر: ١٦] ومن قال إنني براء لم يشن ولم يؤث، ومن قال: بريء قال (في المؤنث بريئة) وفي المثنى بريئان وفي الجمع: بريئون وبرآء وبراء، والبراءة تكون من العيب والمكروه ونحوهما، فقول: برئت منك ومن الديون والعيوب براءة وبرئت من المرض براء، وأهل الحجاز يفتحون الرء في الفعل والباء في المصدر فيقولون برأت براء، وبارأت شريكي إذا فارقته.

وقال الراغب: أصل البرء والبراء والتبرؤ التّفصّي (التّباعد) ممّا يكره مجاورته، ولذلك قيل: برأت من المرض، ومن فلان وتبرأت وأبرأته من كذا، وبرأته. ويقال: برىء إذا تخلص، وبرىء إذا تنزه وتباعد، وبرأ: إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١] أي إعدار وإنذار، والبراء والبريء سواء.

وليلة البراء: ليلة يتبرأ القمر من الشمس وهي أول ليلة من الشهر<sup>(١)</sup>.

(١) لسان العرب (١٣ / ٣٢، ٣٣).

## البراءة اصطلاحاً:

البراءة هي انقطاع العصمة، يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١] يقال: برئت من فلان إذا انقطعت بيننا العصمة<sup>(١)</sup>.

وقال الألويسي في تفسير الآية الكريمة السابقة:

هي عبارة عن إنهاء حكم الأمان ورفع الخطر المترتب على العهد السابق<sup>(٢)</sup>.

وقيل: البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: وحيث إن الولاء والبراء تابعان للحب والبغض فإن أصل الإيمان أن تحب في الله أنبياءه وأتباعهم، وتبغض في الله أعداءه وأعداء رسوله<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: على المؤمن أن يعادي في الله، ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمن فعلية أن يواليه - وإن ظلمه - فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية. وإذا اجتمع في الرجل الواحد: خير وشر وفجور وطاعة، ومعصية وسنة، وبدعة استحقت من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير. واستحقت من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاتباع - التودد - الطاعة - المحبة - الإيمان - الإسلام - تعظيم

الحرمات.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: موالاة الكفار - اتباع الهوى - الابتداء - الإصرار على الذنب -

انتهاك الحرمات].

\*\*\*

## من فوائد (الولاء والبراء)

(١) بيان صفة أولياء الله وفضائلهم المتنوعة.

(٢) محبة الله لأوليائه المؤمنين التي هي أعظم ما تنافس فيه المتنافسون.

(٣) إن الله مع أوليائه المؤمنين وناصرهم ومؤيِّدهم ومسدِّدهم ومجيب دعواتهم.

(١) تفسير البحر المحيظ (٥ / ٦).

(٢) روح المعاني للألويسي (١٠ / ٤٣).

(٣) الفتاوى السعدية (١ / ٩٨).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٢٠٨ - ٢٠٩).

- (٤) إخلاص العبادة لله وحده دون غيره.
- (٥) الولاء والبراء يقتضي عدم الاحتكام إلى أيّ طاغوت في أيّ حكم من الأحكام الدنيوية أو الدنيوية.
- (٦) عدم موالاة الكفار في أيّ حال من الأحوال ويعني ذلك: عدم التقرّب إليهم أو مودّتهم بالأقوال أو الأفعال أو التوايا، وعدم التشبّه بهم.
- (٧) المؤمنون بعضهم أولياء بعض والكفرة بعضهم من بعض وهم جميعا عدوّ للمؤمنين.

### اليقظة

#### اليقظة لغة:

هي الاسم أو المصدر من قولهم: يقظ فلان ييقظ وهو مأخوذ من مادّة (ي ق ظ) التي تدلّ على نقيض النوم والتنبّه للشّيء، والفعل (الثلاثي) من ذلك: يقظ كعلم والمصدر يقظا ويقظة ويقال أيضا: يقظ ييقظ يقاظة ويقظا، والوصف من الأوّل: رجل يقظ ويقظ وهو خلاف النائم، ويقال أيضا: رجل يقظان وامرأة يقظى ورجال ونسوة أيقاظ، وقيل يقال: رجال أيقاظ ونسوة يقاظى، والوصف من الثانى (أي من يقظ) يقظ بالضمّ. وفي القرآن الكريم ﴿وَتَحَسَّبُهمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨] الأيقاظ جمع يقظ أو يقظان، وهو المنتبه كما قال القرطبي، وقيل جمع يقظ أو يقظ والمعاد اليقظان، قال الألويسي: وهما لغتان.

ويقال: استيقظ وأيقظته، والتّعت يقظان، ورجل يقظ بكسر القاف وفتحها أي متيقّظ حذر، أو كان كثير التيقّظ، وتيقّظ للأمر تنبّه له، ويقال قد يقظته التجارب، وأيقظته من نومه أي نبّهته فتيقّظ واستيقظ، وجاء في الحديث الشّريف: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فلا يغمس يده في الإناء حتّى يغسلها ثلاثا» ويقال: أيقظت الغبار أثرته، وكذلك يقظته، وقال أبو عمرو: يقال: إن فلانا ليقظ إذا كان خفيف الرّأس، ويقال ما رأيت أيقظ منه، ومن المجاز: استيقظ الخلد والخلج والحلي أي صوت، واليقظة بسكون القاف لغة في اليقظة، ويقال: رجل يقظان.

ومتيقّظه ويقظه وهو يستيقظ إلى صوته كلّ ذلك مجاز، قال اللّيث: يقال للذّي يثير الغبار: قد يقظه إذا فرّقه، وأيقظت الغبار: أثرته<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٩/ ٢٦٠)، والصحاح للجوهري (٣/ ١١٨١)، وتاج العروس للزبيدي (١/ ٥٠٠)، وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) (١٠/ ٢٤١)، وتفسير الألويسي (روح المعاني) (١٥/ ٢٢٥)، وبصائر ذوي التمييز للفيروز ابادى (٥/ ٣٨٨)، ولسان العرب «يقظ» (٤٩٦٤) (ط. دار المعارف).

وقال ابن منظور: ورجل يقظ ويقظ: كلاهما على النسب أي متيقظ حذر، والجمع أيقاظ. وأما سيويه فقال: لا يكسر يقظ لقلّة فعل في الصّفات، وإذا قلّ بناء الشّيء قلّ تصرّفه في التّكسير، وإنّما أيقاظ عنده جمع يقظ، لأنّ فعلا في الصّفات أكثر من فعل، قال ابن بري: جمع يقظ أيقاظ، وجمع يقظان يقاظ، وجمع يقظى صفة المرأة يقاظى. غيره: والاسم اليقظة. وما كان يقظا، ولقد يقظ يقاظة ويقظا بيّنا.

ابن السّكّيت في باب فعل وفعل: رجل يقظ ويقظ إذا كان متيقّظا كثير التّيّقظ فيه معرفة وفطنة. والأثنى يقظى، والجمع يقاظ. وتيقّظ فلان للأمر إذا تنبّه له، وقد يقّظته. ويقال: يقظ فلان ييقظ يقظا ويقظته، فهو يقظان<sup>(١)</sup>.

#### واصطلاحا:

قال الكفوي: التّيّقظ: كمال التّنّبّه والتّحرّز عمّا لا ينبغي<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم: اليقظة: أوّل منازل العبوديّة، وهي انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين، والله ما أنفع هذه الرّوعة، وما أعظم قدرها وخطرها، وما أقوى إعانتها على السّلوّك، فمن أحسّ بها فقد أحسّ والله بالفلاح، وإلا فهو في سكرات الغفلة، فإذا انتبه وتيقّظ شمّر بهمّته إلى السّفر إلى منازله الأولى، فأخذ في أهبة السّفر، فانتقل إلى منزلة العزم، وهو العقد الجازم على الشّيء، ومفارقة كلّ قاطع ومعوق، ومرافقة كلّ معين وموصّل، وبحسب كمال انتباهه ويقظته تكون عزمته، وبحسب قوّة عزمه يكون استعداده، فإذا استيقظ أوجبت اليقظة الفكرة وهي تحديق القلب نحو المطلوب الذي قد استعدّ له مجملا، ولم يهتد إلى تفصيله وطريق الوصول إليه، فإذا صحّت فكرته أوجبت له البصيرة، وهي نور في القلب يرى به حقيقة الوعد والوعيد، والجنّة والنّار، وما أعدّ الله في هذه لأوليائه، وفي هذه لأعدائه، فأبصر النّاس قد خرجوا من قبورهم مهطعين لدعوة الحقّ، وقد نزلت ملائكة السّماوات فأحاطت بهم، وقد جاء الله وقد نصب كرسيّه لفصل القضاء، وقد أشرقت الأرض بنوره، ووضع الكتاب وجأ بالنبّيين والشّهداء، وقد نصب الميزان، وتطايرت الصّحف، واجتمعت الخصوم، وتعلّق كلّ غريم بغريمه، ولاح الحوض

(١) لسان العرب (٧/ ٤٦٦-٤٦٧)، مختار الصحاح (٧٤٣)، وبصائر ذوي التمييز (٥/ ٣٨٨-٣٩٠).

(٢) الكليات (٣١٤).

وأكوابه عن كتب، وكثر العطاش، وقلّ الوارد، ونصب الجسر للعبور عليه، والنار تحطم بعضها بعضها تحته والساقطون فيها أضعاف أضعاف النّاجين، فيفتح في قلبه عين ترى ذلك، ويقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة يريه الآخرة ودوامها، والدنيا وسرعة انقضائها. والبصيرة نور يقذفه الله في القلب يرى به حقيقة ما أخبرت به الرّسل كأنه يشاهده رأي عين، فيتحقّق مع ذلك انتفاعه بما دعت إليه الرّسل وتضرّره بمخالفتهم. وهذا معنى قول بعض العارفين: البصيرة تحقّق الانتفاع بالشيء، والتضرّر به.

وقال بعضهم: تحقّق البصيرة: ما خلّصك من الحيرة إمّا بإيمان وإمّا بعيان<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الحذر - الحيلة - الوقاية - الفطنة - الإيمان - الفقه - العلم.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الغفلة - التفريط والإفراط - اتباع الهوى - البلادة والغباء - الإهمال].

\*\*\*

### من فوائد (اليقظة)

- (١) تعمر قلب المؤمن بحبّ الله ورسوله.
- (٢) تبصّر المؤمن طريق الهداية والنور.
- (٣) يلتزم بحدود الله فلا يتعدّها.
- (٤) يزهد بما في أيدي الناس فيحبّه الناس.
- (٥) يستنير قلبه بنور الإيمان.
- (٦) يسير على هدى وبصيرة في جميع أموره.
- (٧) يشعر بسعادة الدّنيا والآخرة.

### اليقين

#### اليقين لغة:

مصدر قولهم «يقن» وهو راجع إلى مادّة (ي ق ن) التي تدلّ على زوال الشكّ، وقيل: اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها، يقال: علم يقين ولا يقال: معرفة يقين. وقال الجوهريّ: اليقين: العلم وزوال الشكّ، يقال منه: يقنت الأمر يقنا (ويقنا)، وأيقنته وأيقنت به واستيقنته واستيقنت به وتيقنت: كلّ بمعنى: أي علمته وتحقّقته، ويقال: هو يقن، ويقن ويقن، ويقنته، وميقان: إذا كان لا يسمع شيئاً إلا أيقنه.

(١) مدارج السالكين (١/ ١٣٨ - ١٣٩)، بصائر ذوي التمييز (٥/ ٣٨٨ - ٣٩٠).

وقال ابن منظور: اليقين هو العلم وإزاحة الشكّ وتحقيق الأمر. يقال من ذلك: أيقن يوقن إيقانا فهو موقن، ويقن ييقن يقنا فهو يقن، واليقين: نقيض الشكّ، والعلم نقيض الجهل، تقول علمته يقينا (أي علما لا شكّ فيه) وفي التنزيل العزيز: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الحاقة: ٥١] أضاف الحقّ إلى اليقين لا أنّه غيره، إنّما هو خالصه وأصحّه، فصار بمنزلة إضافة البعض إلى الكلّ، واليقين هو الموت في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] وإنّما صارت الياء واوا في قولك موقن للضمّة قبلها.

وإذا صغرّتها رددتها إلى الأصل في قولك ميقن. وربّما عبّروا عن الظنّ باليقين، وباليقين عن الظنّ<sup>(١)</sup>.

### اليقين اصطلاحاً:

قال الرّاعب: اليقين هو سكون الفهم مع ثبات الحكم<sup>(٢)</sup>.

وقال المناويّ: اليقين هو العلم بالشّيء بعد أن كان صاحبه شاكاً فيه، ولذلك لا يطلق على علمه تعالى<sup>(٣)</sup>.

وقال الكفويّ: اليقين هو أن تعلم الشّيء ولا تتخيّل خلافه<sup>(٤)</sup>.

وقال في موضع آخر: اليقين: هو الاعتقاد الجازم الثّابت المطابق للواقع، وقيل: هو عبارة عن العلم المستقرّ في القلب لثبوته من سبب متعيّن له بحيث لا يقبل الانهدام<sup>(٥)</sup>.

وقال التّهانويّ: اليقين هو الاعتقاد الجازم المطابق الثّابت، أي الذي لا يزول بتشكيك المتشكّك، فبالاعتقاد يخرج الشكّ، وبالجازم يخرج الظنّ، وبالمطابق يخرج الجهل، وبالثّابت يخرج اعتقاد المقلّد<sup>(٦)</sup>.

(١) المقاييس (٦/ ١٥٧) والصحاح (٦/ ٢٢١٩)، بصائر ذوي التمييز (٣٩٥)، ولسان العرب (٥/ ٤٩٦٤).

(٢) المفردات (٥٥٢).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (٣٤٧).

(٤) الكليات (٦٧).

(٥) المرجع السابق (٩٧٩).

(٦) الكليات (٢١٣ - ٩٨٠).

وقال الجرجاني: اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابقا للواقع غير ممكن الزوال<sup>(١)</sup>.

### الفرق بين التصديق والإيقان:

الفرق بين التصديق والإيقان: أن اليقين قد يكون ضرورياً والتصديق اختياري إذ قد يحدث اليقين ولا يحدث التصديق وذلك كمن شاهد معجزة النبي ﷺ ولم يصدق به، هذا في الدنيا، أمّا في الآخرة فإن التصديق يكون مقدّماً على اليقين إذ لا يحدث اليقين بأحوال الآخرة إلا بتصديق النبي ﷺ فيما أخبر به عن ربه في ذلك<sup>(٢)</sup>. وقد يذكر اليقين بمعنى التصديق (الإيمان) للمناسبة بينهما<sup>(٣)</sup>.

### متى يكون (لفظ) الظن يقيناً؟

سبق أن ذكرنا أن الظن قد يعبر عنه باليقين وأن اليقين قد يعبر عنه بالظن، وقد نقل عن مجاهد قوله: كل ظن في القرآن فهو يقين وهذا مشكل في كثير من الآيات، وقد ذكر المحققون ضوابط لتحديد المراد بالظن.

أحدها: أنه حيث وجد الظن محموداً مثاباً عليه فهو يقين وحيث وجد مذموماً متوعداً عليه بالعذاب فهو الشك. (وهذا من جهة المعنى).

الثاني: أن كل ظن يتصل به أن (المخففة من الثقيلة) فهو شك وكل ظن يتصل به أن المشددة فهو يقين<sup>(٤)</sup>.

### منزلة اليقين:

قال ابن القيم رحمه الله: ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] منزلة اليقين وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وعمل القوم إنما كان عليه، وإشاراتهم كلها إليه، وإذا تزوج الصبر باليقين. ولد بينهما حصول الإمامة في الدين. قال تعالى: - ويقول بهتدي المهتدون-، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] وخصّ ﷺ أهل اليقين بالانتفاع بالآيات

(١) التعريفات (٢٥٩).

(٢) الكليات (٩٧٩) بتصرف.

(٣) كشف اصطلاحات الفنون (٣/ ١٥٤٧).

(٤) الكليات (٥٨٨).

والبراهين، فقال- وهو أصدق القائلين- ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠] وخصَّ أهل اليقين بالهدى والفلاح بين العالمين، فقال سبحانه: ... ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٤) ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٤، ٥]، وأخبر عن أهل النار: بأنهم لم يكونوا من أصحاب اليقين، فقال عزَّ من قائل: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢]، فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح وهو حقيقة الصديقية، وقطب هذا الشيء الذي عليه مداره، واليقين قرين التوكل، ولهذا فسَّر التوكل بقوة اليقين. ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلاً نورا وإشراقا وانتفى عنه كل شك وريب، وهم وغم، فامتلاً محبة لله، وخوفاً منه، ورضى به، وشكراً له، وتوكلًا عليه وإنابة إليه، فهو مادة جميع المقامات والحامل لها (١).

واليقين يحمل على مباشرة الأهوال وركوب الأخطار، وهو يأمر بالتقدم دائماً، فإن لم يقارنه العلم حمل على المعاطب، والعلم (وحده) يأمر بالتأخر دائماً وبالإحجام، فإن لم يصبه اليقين فقد يصدَّ صاحبه عن المكاسب والمغانم (٢).

#### علامات اليقين:

قال الفيروز آبادي: ثلاثة من أعلام اليقين:

١- قلة مخالطة الناس في العشرة.

٢- ترك المدح لهم في العطيّة.

٣- التنزّه عن ذمهم عند المنع.

ومن علاماته أيضاً:

النظر إلى الله في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال (٣).

#### أنواع اليقين:

قال أبو بكر الورّاق رحمته: اليقين على ثلاثة أوجه: يقين خبر، ويقين دلالة، ويقين مشاهدة.

يريد بيقين الخبر سكون القلب إلى خبر المخبر ووثوقه به، ويقين الدلالة ما هو فوقه وهو أن

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤١٣) باختصار. وانظر أيضاً: بصائر ذوي التمييز (٥/ ٣٩٥).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٥/ ٤٠٠).

(٣) المرجع السابق (٥/ ٣٩٧).

يقيم له مع وثوقه بصدقه الأدلة الدالة على ما أخبر به وهذا كعامّة الأخبار بالإيمان والتوحيد وهو في القرآن، فإنّه سبحانه مع كونه أصدق القائلين الصادقين يقيم لعباده الأدلة والبراهين على صدق أخباره، فيحمل لهم اليقين من الوجهين، من جهة الخبر ومن جهة التدليل. فيرتفعون من ذلك إلى الدرجة الثالثة وهي يقين المكاشفة بحيث يكون المخبر به كالمرئي لعيونهم، فنسبة الإيمان بالغيب هي إلى القلب كنسبة المرئي إلى العين، وهذا أعلى أنواع اليقين، وهي التي أشار إليها عامر بن عبد القيس في قوله: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا» وليس هذا من كلام رسول الله ﷺ ولا من كلام علي بن أبي طالب عليه السلام كما يظنّه من لا علم له بالمنقولات<sup>(١)</sup>.

### درجات اليقين:

اليقين على ثلاث درجات:

أ- علم اليقين: وهو ما ظهر من الحقّ، وقبول ما غاب للحقّ، والوقوف على ما قام بالحقّ فالذي ظهر من الحقّ هو أوامره ونواهيه ودينه الذي أظهره على السنة رسله. والذي غاب للحقّ: هو الإيمان بالغيب كالجنة والنار والصراط والحساب ونحو ذلك، أمّا الوقوف على ما قام بالحقّ أي من أسمائه وصفاته وأفعاله.

ب- عين اليقين: ما استغنى به صاحبه عن طلب الدليل لأنّ الدليل يطلب للعلم بالمدلول، فإذا كان المدلول مشاهدا له. فلا حاجة حينئذ للاستدلال.

ج- حقّ اليقين: وهذه منزلة الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام، فقد رأى نبينا ﷺ بعينه الجنة والنار وكلم الله تعالى موسى عليه السلام بلا واسطة، أمّا بالنسبة لنا فإنّ حقّ اليقين يتأخّر إلى وقت اللّقاء.

ومما يوضح ذلك: أن يخبرك شخص أنّ عنده عسلا وأنت لا تشكّ في صدقه. ثمّ أراك إيّاه فازددت يقينا، ثمّ ذقت منه. فالأول علم اليقين، والثاني عين اليقين، والثالث حقّ اليقين.

فعلّمنا الآن بالجنة والنار: علم اليقين، فإذا أزلفت الجنة للمتّقين، وشاهدها الخلائق، وبرّزت الجحيم للغاوين، وعابنها الخلائق فذلك: عين اليقين، فإذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار فذلك حينئذ حقّ اليقين<sup>(٢)</sup>.

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤١٨) بتصرف. وانظر بصائر ذوي التمييز (٥/ ٣٩٦-٤٠٥).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٢٠) وبصائر ذوي التمييز (٥/ ٤٠٢).

[للاستزادة: انظر صفات: الإيمان- التوكل- الثبات- السكينة- الطمأنينة- العلم- الفطنة-  
الفقه- الإيمان- تذكر الموت- الرضا- حسن الظن البصيرة والفراسة- التقوى- الزهد.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: سوء الظن- الشك- القلق- الكفر- الوسوسة- الجزع- طول  
الأمل- اليأس- الجهل- سوء الظن- السخط].

\*\*\*

### من فوائد (اليقين)

- (١) اليقين يزيد المسلم من ربه قربا وحبًا (٦) باليقين يتبع النور فيسلك طريق السلامة ورضى. إلى دار السلام.
- (٢) اليقين هو لبّ الدين ومقصوده الأعظم. (٧) يضع صاحبه دائما في موضع الإخلاص والصدق.
- (٣) يزيد العبد خضوعا واستكانة لمولاه.
- (٤) يورث التوكل على الله والزهد فيما عند الناس. (٨) ضابط قوي يرقب العلاقة بين المسلم وربه ويجعلها تلتزم خطّ السلامة والأمان حتى يصل إلى دار الرضوان.
- (٥) يكسب صاحبه العزة والرّفة ويباعده عن مواطن الدّلة والضّعة. (٩) المسلم لا يدرك مناه في الآخرة إلا إذا كان متّصفا بصفة اليقين.



ثانياً:  
الصفات المذمومة



## الابتداع

### الابتداع لغة:

مصدر قولهم: ابتدَع الشيء يبتدعه، وهو مأخوذ من مادة (ب د ع) التي تدلّ على معنيين: أحدهما: ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر: الانقطاع والكلال، ومن المعنى الأوّل قولهم: أبدعت الشيء قولاً أو فعلاً، إذا ابتدأته لا عن سابق مثال، والله سبحانه - بديع السموات والأرض أي مبدعهما، والعرب تقول: ابتدع فلان الركيّ (البئر) إذا استنبطها وأخرج ماءها، ومن المعنى الثاني قولهم: أبدعت الرحلة: إذا كلّت وعطبت، وفي الحديث أنّ رجلاً أتاه فقال: يا رسول الله، إنّي أبدع بي فاحملني، (أبدع بي أي كلت ركابي)، ويقال: الإبداع لا يكون إلا بطلع<sup>(١)</sup> ومن ذلك اشتقت البدعة، وقال ابن فارس: سميت البدعة بذلك؛ لأنّ قائلها ابتدعها من غير مقال إمام. وقال الرّاعب: الإبداع: إنشاء صنعة بلا احتذاء ولا اقتداء، وإذا استعمل ذلك في الله تعالى فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان، ولا يكون ذلك إلا لله ﷻ والبديع: المبتدع، والبديع: (أيضاً)، والبديع الزقّ، وقيل: الزقّ الجديد، وفي الحديث أنّ «تهامة كبديع العسل حلوّ أوله حلوّ آخره» شبهها بزقّ العسل لأنّه لا يتغيّر هواؤها، فأولّه طيب، وآخره طيب، وكذلك العسل لا يتغيّر وليس كذلك اللبن، فإنّه يتغيّر. وشيء بدع أي مبتدع، ويقال: فلان بدع في هذا الأمر أي بديع، وقوم أبداع، والبدعة: الحدث في الدين بعد الإكمال، وقيل: البدعة كلّ محدثة، وبدّعه نسبه إلى البدعة، ويقال أبداع وابتدع، وتبدّع أتى ببدعة، واستبدعه عدّه بديعاً، وأبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال، ويقال أيضاً بدع بداعة وبدوعاً، والوصف رجل بدع، وامرأة بدعة إذا كان غاية في كلّ شيء، وقد بدع الأمر بدعاً صار بديعاً. ويقال: البديع والبدع: الشيء الذي يكون أوّلاً<sup>(٢)</sup>.

وفي التنزيل العزيز: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]، أي ما كنت أوّل من أرسل، وقد كان قبلي رسل، والبدع: الأوّل، ويقال: شيء بدع أي مبتدع، وفلان بدع في هذا الأمر أي بديع، قال

(١) الطَّلَع والظَّلَع: الغمز في المشي من عرج ونحوه.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٢٠٩)، المجمع لابن فارس (١/ ١١٨)، والمفردات للراغب (ص ٣٨)، والصحاح للجوهري (٣/ ١١٨٣)، ولسان العرب لابن منظور (١/ ٢٢٩).

عدي بن زيد:

فلا أنا بدع من حوادث تعتري رجالا غدت من بعد بؤسى بأسعد<sup>(١)</sup>

أما قول الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]. فالمعنى: أحدثوها من تلقاء أنفسهم، يقول القرطبي: وذلك أنهم (النصارى) حملوا أنفسهم على المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والنكاح والتعلق بالكهوف والصوامع، وذلك أن ملوكهم غيروا وبدلوا، وبقي نفر قليل فترهبوا وتبتلوا، وقال قتادة: الرهبانية التي ابتدعوها: رفض النساء واتخاذ الصوامع، وهذه الآية دالة على أن كل محدثة بدعة، فينبغي لمن ابتدع خيرا أن يدوم عليه ولا يعدل عنه إلى ضده<sup>(٢)</sup>.

### الابتداع اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الإبداع والإبتداع: إيجاد شيء غير مسبق بمادة ولا زمان<sup>(٣)</sup>.

والبدعة: هي الفعلة المخالفة للسنة<sup>(٤)</sup>.

وقال الراغب: البدعة: إيراد قول لم يستنّ قائله وفاعله فيه بصاحب الشريعة وأمثالها المتقدمة وأصولها المتقنة<sup>(٥)</sup>.

وقال التهانوي: المبتدع: من خالف أهل السنة اعتقاداً، والمبتدعون يسمون بأهل البدع وأهل الأهواء.

وهي ما أحدث على خلاف أمر الشارع ودليله العام أو الخاص، وقيل: هي اعتقاد ما أحدث على خلاف المعروف عن النبي ﷺ، لا بمعاندة بل بنوع شبهة<sup>(٦)</sup>.

قال الشاطبي - رحمه الله تعالى - : البدعة: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلك عليها المبالغة في التبعّد لله - سبحانه - .

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦ / ١٢٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧ / ١٧٠).

(٣) كتاب التعريفات (ص ٥) والمقصود هنا ابتداع الله الخلق.

(٤) المرجع السابق (ص ٤٤).

(٥) المفردات (ص ٢٩).

(٦) كشف اصطلاحات الفنون (١ / ١٩١).

وقيل: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسُّلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية<sup>(١)</sup>.

وقيل البدعة: إيراد قول أو فعل لم يستنّ قائلها ولا فاعلها فيه بصاحب الشريعة<sup>(٢)</sup>.

### أقسام البدعة:

إنّ الابتداع المنهّي عنه يراد به: إحداث بدعة ضلالة، ذلك أنّ البدعة في اللغة قد يراد منها مطلق إحداث أمر لم يكن موجودا على عهد رسول الله ﷺ ومن ثمّ قسّم الشافعي رحمه الله البدعة إلى قسمين:

البدعة الضّالة: ويراد بها ما أحدث وخالف كتابا أو سنة أو إجماعا أو أثرا.

البدعة المحمودة: ما أحدث من الخير ولم يخالف شيئا من ذلك<sup>(٣)</sup>. والأصل في هذا ما روي عن عمر رضي الله عنه في قيام رمضان «نعمت البدعة هذه» ولهذا قال ابن الأثير: البدعة بدعتان: بدعة ضلالة، وبدعة هدى، فما كان في خلاف ما أمر به الله ورسوله فهو البدعة الضّالة التي هي مناط الذّمّ والإنكار، وما كان واقعا تحت عموم ما ندب الله إليه وحضّ عليه الله ورسوله فهو بدعة هدى، وهي في حيّز المدح، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به، ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه «نعمت البدعة هذه» لما كانت الجماعة في قيام رمضان من أفعال الخير وداخلة في حيّز المدح سمّاها بدعة ومدحها، لأنّ النبي ﷺ لم يستنها لهم، وإنّما صلاها ثمّ تركها ولم يحافظ عليها، ولا جمع الناس لها، ولا كانت في زمان أبي بكر وإنّما كان عمر رضي الله عنه هو الذي جمع الناس عليها، فبهذا سمّاها بدعة وهي في الحقيقة سنة، لقوله ﷺ «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» وعلى هذا التّأويل يحمل الحديث الآخر «كلّ محدثة بدعة» إنّما يريد ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة<sup>(٤)</sup>.

قال ابن الأثير: وأكثر ما يستعمل المبتدع عرفا في الذّمّ، أي أنّه إذا أطلق لفظ البدعة فإنّه يراد بها النوع الأوّل وهو المذموم شرعا.

(١) الاعتصام (١/ ٣٧).

(٢) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٢/ ٢٣١).

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون (١/ ١٩١).

(٤) النهاية (١/ ١٠٦) (بتصرف واختصار).

**أحكام البدعة (بنوعيتها):**

- قال التهانوي: وبالجملة فهي أي البدعة منقسمة إلى الأحكام الخمسة:
- ١- واجبة على الكفاية، ومن ذلك الاشتغال بالعلوم العربيّة المتوقّف عليها فهم الكتاب والسنة كالنحو والصرف واللغة ونحو ذلك لأنّ الشريعة فرض كفاية ولا يتأتى إلا بذلك.
  - ٢- محرّمة، مثل مذاهب أهل البدع المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة.
  - ٣- مندوبة: مثل إحداث الرّباطات (نقاط حراسة بلاد المسلمين) والمدارس ونحوهما.
  - ٤- مكروهة: مثل زخرفة المساجد وتزيين المصاحف.
  - ٥- مباحة: مثل التّوسّع في لذيذ المآكل والمشارب والملابس<sup>(١)</sup>.
- قال الشيخ الدهلويّ في شرح المشكاة: بشرط حلّها، وألا تكون سببا في الغرور والتكبر والتفاخر وكذلك الشأن في المباحات الأخرى التي لم تكن على عهد رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

**كل البدع ضلالة:**

بعد أن أورد الإمام الشاطبيّ تقسيم البدعة إلى الأقسام الخمسة ردّ هذا التقسيم وبالغ في ذلك فقال -رحمه الله تعالى-: والجواب: أنّ هذا التقسيم أمر مخترع لا يدلّ عليه دليل شرعيّ بل هو في نفسه متدافع لأنّ من حقيقة البدعة أن لا يدلّ عليها دليل شرعيّ لا من نصوص الشرع ولا من قواعده، إذ لو كان هنالك ما يدلّ من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثمّ بدعة، ولكان العمل داخلا في عموم الأعمال المأمور بها أو المنخبر فيها، فالجمع بين عدّ تلك الأشياء بدعا وبين كون الأدلة تدلّ على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متنافيين<sup>(٣)</sup>.

**حكم المبتدع:**

قال الكفويّ: حكم المبتدع (للبدعة الضّالة) في الدنيا الإهانة باللّعن وغيره وفي الآخرة حكم الفاسق، وعند الفقهاء حكم بعضهم حكم الكافر وحكم الآخرين حكم الضّالّ، والمختار عند جمهور أهل السنة من الفقهاء والمتكلّمين عدم تكفير أهل القبلة من المبتدعة والمؤولة في غير

(١) كشف اصطلاحات الفنون (١/ ١٩١).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٩١)، وقد جعل لها الكفوي ثلاثة أحكام: واجبة ومندوبة ومباحة، انظر الكليات (ص ٢٤٣).

(٣) الاعتصام للشاطبي (١/ ١٩١-١٩٢).

المعلوم من الدين بالضرورة لكون التأويل شبهة<sup>(١)</sup>.

### البديع في أسماء الله تعالى:

قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى: البديع وهو الخالق المخترع لا عن مثال سابق، فعيل بمعنى مفعول، يقال: أبدع فهو مبدع.

قال ابن منظور-رحمه الله تعالى-: البديع من أسماء الله تعالى: هو الأوّل قبل كلّ شيء، ويجوز أن يكون بمعنى مبدع، أو يكون من بدع الخلق أي بدأه، والله تعالى كما قال سبحانه: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] أي خالقهما ومبدعهما فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثال سابق وسمي بذلك: لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها. قال أبو إسحاق: يعني أنه أنشأها على غير حذاء ولا مثال.

وبديع فعيل بمعنى فاعل مثل قدير بمعنى قادر، وهو صفة من صفات الله تعالى لأنه بدأ الخلق على ما أراد على غير مثال تقدّمه<sup>(٢)</sup>.

### أسباب ودوافع البدعة:

قال الشاطبي-رحمه الله تعالى-: إن صاحب البدعة إنما يخترعها ليضاهي بها السنّة حتّى يكون ملبسا بها على الغير، أو تكون هي ممّا تلتبس عليه بالسنّة، إذ الإنسان لا يقصد الاستتباع بأمر لا يشابه المشروع، لأنه إذ ذاك لا يستجلب به في ذلك الابتداع نفعا ولا يدفع به ضررا، ولا يجيبه غيره إليه. و

فأنت ترى العرب في الجاهليّة في تغيير ملّة إبراهيم عليه السلام، كيف تأولوا فيما أحدثوه احتجاجا منهم، كقولهم في أصل الإشرak ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، وكترك الحمس<sup>(٣)</sup> الوقوف بعرفة لقولهم: لا نخرج من الحرم اعتدادا بحرمة.

وكطواف من طاف منهم بالبيت عريانا قائلين: لا نظوف بشياب عصينا الله فيها، وما أشبه ذلك ممّا وجّهه ليصيروه بالتّوجيه كالمشروع، فما ظنك بمن عدّ أو عدّ نفسه من خواصّ أهل

(١) الكلبيات للكفوي (ص ٢٤٣-٢٤٤) بتصرف.

(٢) النهاية لابن الأثير (١/ ١٠٦)، ولسان العرب (١/ ٢٣٠).

(٣) الحمس: قريش لأنهم كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون، وقيل: كانوا لا يستظلون أيام منى ولا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون ولا يسلثون السمن ولا يلقطون الجلة.

الملة؟ فهم أخرى بذلك (وهم المخطئون وظنهم الإصابة) إن أصل الدخول في البدعة يحث على الانقطاع إلى العبادة والترغيب في ذلك، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فكأن المبتدع رأى أن المقصود هذا المعنى، ولم يتبين له أن ما وضعه الشارع فيه من القوانين والحدود كاف (فرأى من نفسه أنه لا بد لما أطلق الأمر فيه من قوانين منضبطة، وأحوال مرتبطة، مع ما يداخل النفوس من حب الظهور أو عدم مظنته). وأيضا فإن النفوس قد تملّ وتسأم من الدوام على العبادات المرتبة، فإذا جدّد لها أمر لا تعهده، حصل لها نشاط آخر لا يكون لها مع البقاء على الأمر الأوّل.

وقد تبين بهذا أن البدع لا تدخل إلا في العبادات. فكل ما اخترع من الطرق في الدين ممّا يضاهاى المشروع ولم يقصد به التّعبد فقد خرج عن هذه التسمية. كالمغرم الملزمة على الأموال وغيرها على نسبة مخصوصة وقدر مخصوص ممّا يشبه فرض الزكوات ولم يكن إليها ضرورة. وكذلك اتّخاذ المناخل وغسل اليد بالأشنان وما أشبه ذلك من الأمور التي لم تكن قبل.

إن البدعة في عموم لفظها يدخل فيها البدعة التّركية، كما يدخل فيها البدعة غير التّركية، فقد يقع الابتداء بنفس التّرك تحريما للمتروك أو غير تحريم، فإنّ الفعل مثلا قد يكون حلالا بالشرع فيحرّمه الإنسان على نفسه أو يقصد تركه قصدا، فهذا التّرك إمّا أن يكون لأمر يعتبر مثله شرعا أو لا، فإن كان لأمر يعتبر فلا حرج فيه، إذ معناه أنه ترك ما يجوز تركه أو ما يطلب تركه، كالذي يحرم على نفسه الطّعام الفلانيّ من جهة أنه يضره في جسمه أو عقله أو دينه وما أشبه ذلك، فلا مانع هنا من التّرك: فإن قلنا بطلب التّداوي للمريض فإنّ التّرك هنا مطلوب، وإن قلنا بإباحة التّداوي، فالترك مباح، فهذا راجع إلى أن العزم على الحمية ليس من المضمرات. وأمّا إن كان التّرك تدبيرا فهو الابتداء في الدين على كلتا الطّريقتين، إذ قد فرضنا الفعل جائزا شرعا فصار التّرك المقصود معارضة للشارع في شرع التّحليل وفي مثله نزل قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]، فنهى أولا عن تحريم الحلال. ثمّ جاءت الآية تشعر بأن ذلك اعتداء لا يحبه الله. لأنّ بعض الصحابة همّ أن يحرم على نفسه النوم بالليل، وآخر الأكل بالنّهار، وآخر إتيان النساء، وبعضهم همّ بالاختصاص، مبالغة في ترك شأن النساء. وفي أمثال ذلك قال النّبىّ ﷺ: «من رغب عن سنّتي فليس منّي». فإذا كلّ من منع نفسه من تناول ما أحلّ الله من غير عذر شرعيّ فهو خارج عن سنّة النّبىّ ﷺ. والعامل بغير السنّة تدبيرا هو

المبتدع بعينه. (فإن قيل) فتارك المطلوبات الشرعية ندبا أو وجوبا، هل يسمّى مبتدعا أم لا؟ (فالجواب) أنّ التّارك للمطلوبات على ضربين: (أحدهما) أن يتركها لغير التّدين إمّا كسلا أو تضييعا أو ما أشبه ذلك من الدّواعي النّفسيّة. فهذا الضّرب راجع إلى المخالفة للأمر، فإن كان في واجب فمعصية، وإن كان في ندب فليس بمعصية، إذا كان التّرك جزئيا، وإن كان كليّا فمعصية حسبما تبين في الأصول.

(والثاني) أن يتركها تدينا. فهذا الضّرب من قبيل البدع حيث تدين بضدّ ما شرع الله، ومثاله أهل الإباحة القائلين بإسقاط التكاليف إذا بلغ السالك عندهم المبلغ الذي حدّوه<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: اتباع الهوى - الحكم بغير ما أنزل الله - القدوة السيئة - التفريط والإفراط - الغلو.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاتباع - الأسوة الحسنة - الاعتصام - الإيمان - الإسلام - الحكم بما أنزل الله].

\*\*\*

### من مضار (الابتداع)

- (١) حبوط الأعمال وإن كانت كثيرة.
- (٢) من لوازمه دعوى عدم كمال الدين.
- (٣) صاحبه من أعوان الشيطان ومن أعداء الرحمن.
- (٤) أبغض إلى الله ﷻ من كثير من المعاصي.
- (٥) صاحبه لا يرجى له التوبة بخلاف أهل المعاصي.
- (٦) كلّ البدع ضلال ليس فيها شيء حسن.
- (٧) أنواعها في العقيدة والعبادة وشرّها بدع العقيدة.
- (٨) البدع تركية وفعليّة، وكلّها مذمومة.
- (٩) إثمها متجدد لا ينقطع مادام يعمل بها في الأرض.
- (١٠) من أقرب مداخل الشيطان للإنسان.
- (١١) تؤدّي إلى خلط الحقّ بالباطل وحيرة الأغرار في التّمييز بينهما.
- (١٢) تؤدّي إلى نفرة من ليس له قدم في فهم الإسلام منه لكثرة ما يظنّ من تكاليفه.

(١) الاعتصام (١/ ٤٠ - ٤٤) بتصرف.

## اتباع الهوى

## الهوى لغة:

مصدر قولهم: هوى يهوى، وتدلل المادة التي اشتق منها على «الخلو والسقوط.. ومن ذلك: الهواء بين السماء والأرض سمّي بذلك لخلوه، وكلّ حال هواء، قال تعالى: ﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣] أي خالية لاتعي شيئا، ويقال: هوى الشيء يهوى أي سقط، والهاوية جهنم؛ لأنّ الكافر يسقط فيها، والهوة: الوهدة العميقة، يقول ابن فارس: وهوى النفس مأخوذ من المعنيين جميعا (أي من الخلو والسقوط) لأنّه خال من كلّ شيء، ويهوى بصاحبه فيما لا ينبغي<sup>(١)</sup>، وذهب الرّاعب إلى أنّه مأخوذ من معنى السقوط فقط فقال: «وقيل سمّي بذلك لأنّه يهوى بصاحبه في الدنيا إلى كلّ داهية وفي الآخرة إلى الهاوية<sup>(٢)</sup>، والهوى، مقصور: هوى النفس، وجمعه أهواء، وإذا أضفته إليك قلت: هواي وبعض العرب يقول: هويّ، وقولهم: هذا الشيء أهوى إليّ من كذا أي أحبّ إليّ، وهوي بالكسر يهوي هوى، أي أحبّ، وهوى بالفتح يهوى هويّا، أي سقط إلى أسفل، وهوى وانهوى بمعنى وتهاوى القوم في المهواة، إذا سقط بعضهم في إثر بعض، واستهواه الشيطان أي استهامه، قال تعالى: ﴿كَأَلَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: ٧١] أي استغوته وزينت له هواه ودعته إليه<sup>(٣)</sup> وقال ابن منظور: وهوى النفس: إرادتها، وقيل محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه، قال تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] معناه: نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله ﷻ، وقيل الهوى: هوى الضمير، ومتى تكلم بالهوى مطلقا لم يكن إلاّ مذموما، حتّى ينعت بما يخرج معناه عن الدّم كقولهم: هوى حسن، وهوى موافق للصّواب<sup>(٤)</sup>، وأمّا قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] فمعناه: ولا تؤثر هواك في قضائك على الحقّ والعدل فتجور عن الحقّ؛ فيضلك ذلك عن سبيل الله، وقيل: لا تقتد بهواك المخالف لأمر

(١) مقاييس اللغة (٦ / ١٦).

(٢) المفردات (ص ٥٤٨)، وانظر بصائر ذوي التمييز (٥ / ٣٥٩) وما بعدها.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧ / ١٤) قد نقل عن ابن عباس رضي الله عنه في معنى هذه الآية قوله «أي مثل عابد الصنم مثل من دعاه الغول (الشيطان) فيتبعه فيصبح وقد ألقته في مضلة ومهلكة فهو حائر في تلك المهامة (والقفار)، قيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق - كان يدعو أباه إلى الكفر وأبواه يدعوانه إلى الإسلام.

(٤) لسان العرب (هوى) (ص ٤٧٢٦) ط دار المعارف وانظر الصحاح (٦ / ٥٣٧).

الله فيضلك عن سبيل الله أي عن طريق الجنة<sup>(١)</sup>.

### الهوى اصطلاحاً:

قال الكفوي: الهوى: ميل النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع<sup>(٢)</sup>.  
وقال المناوي: وقيل: الهوى: نزوع النفس لسفل شهواتها لباعث انبساطها ويكون ذلك في  
مقابلة معتلى الروح<sup>(٣)</sup>.

وقال الراغب: هو ميل النفس إلى الشهوة<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -: ميل الطبع إلى ما يلائمه<sup>(٥)</sup>.

### أهل الأهواء:

هم أهل القبلة الذين لا يكون معتقدهم معتقد أهل السنة، وهم الجبرية والقدرية والروافض  
والمعتلة والمشبهة وكلّ منهم اثنتا عشرة فرقة<sup>(٦)</sup>.

### اتباع الهوى اصطلاحاً:

هو إيثار ميل النفس إلى الشهوة والانقياد لها فيما تدعو إليه من معاصي الله ﷻ<sup>(٧)</sup>.

### اتباع الهوى وأثره على الفرد والمجتمع:

إنّ انقياد الإنسان واتباعه للشهوة يجعله في مصافّ الحيوانات، ويجلب له الخزي في الدنيا،  
والعذاب في الآخرة.

يقول الجاحظ: إذا تمكّنت الشهوة من الإنسان وملكته وانقاد لها كان بالبهائم أشبه منه  
بالنّاس، لأنّ أغراضه ومطلوباته وهمته تصير أبداً مصروفة إلى الشهوات واللذات فقط، وهذه هي  
عادة البهائم، ومن يكون بهذه الصّفة يقلّ حياؤه، ويكثر خرقه، ويستوحش من أهل الفضل،

(١) انظر تفسير الطبري (٩٧ / ١) وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) (١٥ / ١٢٤).

(٢) الكليات (ص ٩٦٢) وانظر أيضاً المناوي في (التوقيف على مهمات التعاريف) (ص ٣٤٤) حيث ذكر هذا التعريف ضمن  
تعريفات أخرى عديدة.

(٣) نقل المناوي هذا التعريف عن الحرالي وقد تصرّفنا فيه تصرفاً يسيراً.

(٤) المفردات (٥٤٨).

(٥) ذم الهوى (١٢) نسخة مصطفى عبد الواحد.

(٦) كتاب التعريفات للجرجاني (ص ٤١).

(٧) اقتبسنا هذا التعريف مما ذكره اللغويون والمفسرون.

ويغضب أهل العلم، ويؤد أصحاب الفجور، ويستحب الفواحش، ويسر بمعاشرة السخفاء، ويغلب عليه الهزل وكثرة اللهو، وقد يصير من هذه الحالة إلى الفجور، وارتكاب الفواحش، والتعرض للمحظورات، وربما دعت محبة اللذات إلى اكتساب الأموال من أقبح وجوهها، وربما حملته على الغضب والتلصص والخيانة وأخذ ما ليس له بحق؛ فإن اللذات لا تتم إلا بالأموال والأعراض، فمحب اللذة إذا تعدت عليه الأموال من وجوهها، جسرت شهوته إلى اكتسابها من غير وجوهها، ومن تنتهي به شهواته إلى هذا الحد، فهو أسوأ الناس حالاً، ويصبح من الأشرار الذين يخاف خبثهم، ويصير واجبا على متولي السياسات تقويمهم وتأديبهم، وإبعادهم عنهم، حتى لا يختلطوا بالناس فإن اختلاط من هذه صفته بالناس مضرّة لهم، وبخاصة الأحداث منهم، لأن الحدث (صغير السن) سريع الانطباع، ونفسه مجبولة على الميل إلى الشهوات، فإذا شاهد غيره مرتكبا لها، مستحسنا للاهتمام فيها، مال هو أيضا إلى الاقتداء به<sup>(١)</sup>.

#### الفرق بين الهوى والشهوة:

يقول الإمام الماوردي: فرق ما بين الهوى والشهوة، أنّ الهوى مختص بالآراء والاعتقادات، والشهوة مختصة بنيل المستلذات فصارت الشهوة من نتائج الهوى، والهوى أصل وهو أعم<sup>(٢)</sup>. وقال الراغب في الفرق بين الهوى والشهوة، أنّ الشهوة ضربان: محمودة ومذمومة، فالمحمودة من فعل الله تعالى، والمذمومة من فعل البشر، وهي استجابة النفس لما فيه لذاتها البدنية، والهوى هو هذه الشهوة الغالبة إذا استتبعها الفكرة، وذلك أنّ الفكرة بين العقل والشهوة، فالعقل فوقها، والشهوة تحتها، فمتى ارتفعت الفكرة ولدت المحاسن، وإذا سفلت ولدت القبائح<sup>(٣)</sup>.

#### الفرق بين ما يسومه العقل وما يسومه الهوى:

يوضح الراغب ذلك فيما يلي:

١- من شأن العقل أن يرى ويختار أبدا الأصلح في العواقب وإن كان في المبدئ على النفس مشقة، والهوى على الضد من ذلك، فإنه يؤثر ما يدفع به المؤذي في الوقت (العاجل) وإن كان

(١) باختصار وتصرف يسير عن تهذيب الأخلاق (١٥-١٦).

(٢) أدب الدنيا والدين (ص ٣٨).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص ٤٦) باختصار وتصرف.

يعقبه مضرة في الآجل، ولذلك قال رسول الله ﷺ «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».

- ٢- الهوى يري الإنسان ماله دون ما عليه، ويعمّي عليه ما يعقبه من المكروه، أمّا العقل فإنّه يري الإنسان ما له وما عليه، وما يريه العقل يتقوى إذا فزع فيه المرء إلى الله ﷻ بالاستخارة.
- ٣- العقل يري ما يري بحجة وعذر، والهوى يري ما يري بشهوة وميل<sup>(١)</sup>.

#### الهوى يعمي ويصم:

قال ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: صاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في الأمر ولا يطلبه أصلاً، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، فليس قصده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصده الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء، ليعظم هو ويشنى عليه، أو لغرض من الدنيا فلم يكن لله غضبه، ولم يكن مجاهداً في سبيل الله، بل إن أصحاب الهوى يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهداً معذوراً لا يغضب الله عليه، ويرضون عمّن يوافقهم، وإن كان جاهلاً سيئ القصد، ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمداوا من لم يحمده الله ورسوله، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله<sup>(٢)</sup>.

#### اتباع الهوى ضلال وعلامة من علامات أهل البدع:

قال الشاطبي -رحمه الله تعالى-: وهو يذكر علامات أهل البدع، منها: الفرقة التي نبّه عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران: ١٠٥] فعزا ﷺ إلى بعض المفسرين: أنهم صاروا فرقا لاتباع أهوائهم، وبمفارقة الدين تشتت أهواؤهم فافترقوا ثم برأ الله نبيّه منهم بقوله: لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ. ثم ذكر أن الصحابة اختلفوا ولم يتفرقوا إلى أن قال -رحمه الله تعالى-: فكل مسألة حدثت في الإسلام فاختلف الناس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا أنها من مسائل الإسلام. وكل مسألة طرأت فأوجب العداوة والتنافر والتنازع والقطيعة

(١) المرجع السابق (٤٣-٤٥) باختصار وتصرف.

(٢) منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٥٥-٢٥٦). بتصريف ط. محمد رشاد سالم.

علمنا أنّها ليست من أمر الدّين في شيء قال: فيجب على كلّ ذي دين وعقل أن يجتنبها، فإذا اختلفوا وتقاطعوا كان ذلك لحدث أحدثه من اتباع الهوى. وذكر منها أيضا: اتباع الهوى: وهي التي نبّه عليها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧] وهو الميل عن الحقّ اتّباعا للهوى، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجنّ: ٢٣] (١).

### علاج الهوى:

يعالج بالعزم القويّ في هجران ما يؤذي، والتدرّج فيما لا يؤمن أذاه، وهذا يفتقر إلى صبر ومجاهدة، ويهون ذلك على المبتلى أمور سبعة هي:

- ١- التّفكّر في أنّ الإنسان لم يخلق للهوى، وإنّما هيّء للنظر في العواقب والعمل للأجل، فلو كان نيل المشتهى فضيلة لما بخش الإنسان - وهو سرف في حظّه - منه وزاد عن حظّ البهائم، وفي توفير حظّ آدمي من العقل وبخش حظّه من الهوى دليل على فضل هذا وذاك.
- ٢- التّفكّر في عواقب الهوى، فكم فوّت من فضيلة، وكم قد أوقع في رذيلة، وكم من زلّة أوجبت انكسار جاه وقبح ذكر مع إثم. غير أنّ صاحب الهوى لا يرى إلا الهوى.
- ٣- تصوّر العاقل لانقضاء غرضه من هواه، ثمّ يتصوّر مدى الأذى الذي يحصل له عقب اللذّة، فإنّه حينئذ سيري أنّ ما حصل له من الأذى يربو على الهوى أضعافا مضاعفة.
- ٤- تصوّر عاقبة ذلك في حقّ غيره؛ فعندئذ سيري ما يعلم به عيب نفسه إن هو وقف في ذلك المقام وارتكس في هذه الآثام.
- ٥- التّفكّر في حقيقة ما يناله باتّباعه هواه من اللذات والشّهوات، فإنّ العقل سيخبره أنّه ليس بشيء، وإنّما عين الهوى عمياء.

٦- التّدبّر لما يحصل له من عزّ الغلبة إن ملك نفسه، وذللّ القهر إن غلبته، فما من أحد غلب هواه إلا أحسّ بقوة العزّ، وما من أحد غلبه هواه إلا وخز في نفسه ذلّ القهر.

٧- التّفكّر في فائدة مخالفة الهوى من اكتساب الذّكر الجميل في الدّنيا، وسلامة النّفس والعرض والأجر في الآخرة، ثمّ يعكس فيتفكّر لو وافق هواه في حصول عكس ذلك على الأبد، من كان

(١) بتصرف من الموافقات (٤ / ١٠٤ - ١٠٧) ط. دار الفكر.

يكون يوسف لو نال تلك اللذة؟ فلمّا تركها وصبر عنها بمجاهدة ساعة، صار من قد عرفت<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الابتداء- الضلال الغرور- الفجور- الفسوق- الردة- الكفر- الأمن من المكر- الإصرار على الذنب- الحكم بغير ما أنزل الله. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاتباع- المحبة- الحكم بما أنزل الله- الهدى- الثبات- الاعتصام- الطاعة].

\*\*\*

### من مضار (اتباع الهوى)

نفس مضار صفة (الابتداء).

### الأثرة

#### الأثرة لغة:

الأثرة هي المصدر من قولهم أثر يَأْثُر وهو مأخوذ من مادة (أث ر) التي تدلّ على تقديم الشيء<sup>(٢)</sup>، يقال: لقد أثرت بأن أفعل كذا وهو (أي الأثر) همّ في عزم، والأثير: الكريم عليك الذي تؤثره بفضلك وكرمك، والمرأة الأثيرية، والمصدر الأثرة، تقول: عندنا أثرة، ورجل أثير على فعيل، وجماعة أثيرون، وهو بين الأثرة، ويقال: أخذت ذلك بلا أثرة عليك، أي لم أستأثر عليك، ورجل أثر على فعل، يستأثر على أصحابه. وفي الحديث: «سترون بعدي أثرة» أي من يستأثرون بالفيء، وهي الأثرة والإثرة والجمع إثر، والمأثرة والمأثرة بفتح الثاء وضمّها: المكرمة لأنها تؤثر، أي تذكر، ويأثرها قوم عن قوم يتحدّثون بها، وأثرت فلانا على نفسي من الإيثار، أي الإعطاء، واستأثر فلان... بالشيء أي استبدّ به، وقيل: استأثر بالشيء على غيره: خصّ به نفسه واستبدّ به، ورجل أثر، على فعل، وأثر: يستأثر على أصحابه في القسم.

والاستئثار: الانفراد بالشيء، ومنه حديث عمر: فو الله ما استأثر بها عليكم، ولا أخذها دونكم. وهي الإثرة، وكذلك الأثرة والأثرة، وأنشد:

(١) ذم الهوى (١٤، ١٥) بتصرف.

(٢) لهذه المادة معنيان آخران هما: ذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي، انظر مقياس اللغة لابن فارس (١/ ٥٣).

ما آثروك بها إذ قدّموك لها لكن بها استأثروا، إذ كانت الإثر<sup>(١)</sup>

### الأثر اصطلاحاً:

قال الكفوي: الأثر هي التّقدّم والاختصاص<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الأثير: أراد بالأثر في الحديث الشريف «ستلقون بعدي أثره». أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفيء.

وقال ابن حجر: أشار (بالأثر) إلى أنّ الأمر يصير في غيرهم فيختصّون (أنفسهم) دونهم (أي دون الأنصار) بالمال وكان الأمر على ما وصفه ﷺ<sup>(٣)</sup>.

ويستخلص من جملة ما سبق أنّ الأثر هي: أن يختصّ الإنسان نفسه أو أتباعه بالمنافع من أموال ومصالح دنيويّة ويستأثر بذلك فيحجبه عمّن له فيه نصيب أو هو أولى به<sup>(٤)</sup>.

### أثر الأثر على الفرد والمجتمع:

للأثر واختصاص الذات أو الأقارب بالمصالح والمنافع دون غيرهم أضرار كثيرة على الفرد والمجتمع، لأنّها نوع من الأنانية البغيضة يجلب الحقد بين الأفراد، ويمنع من وصول الحقوق لأصحابها، وتلك حالة تدعو إلى تدمر أصحاب الحقّ، وإلحاق الأذى بمن استأثر دونهم بالمال أو الوظيفة أو نحو ذلك ممّا ينبغي أن يكون الجميع فيه سواء.

إنّ الأثر والأنانية إذا شاعت في مجتمع من المجتمعات انحلّ عقده، وانفصمت عراه؛ لأنّ ذلك ظلم لأصحاب الحقوق، وظلم أيضاً لذوي الأثر الذين يحصلون على حقوق الغير، ممّا يجعلهم كسالى مغرورين، وإذا ما حدث تبدّل في الأوضاع، فإنّهم يطالبون برّد هذه الحقوق التي غالباً ما يكونون قد أضعوا لها لعدم تعبهم في الحصول عليها، وحينئذ تنقلب المنافع إلى مهالك تهوي بهم في قاع السجون، ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى، والأولى بالمسلم الحقّ ألاّ يؤثر نفسه، أو أقاربه، أو أصحابها، أو مقرّبيه بنفع لا يستحقّونه، حتّى لا يعود ذلك وبالأعلى عليهم، وعليه أن

(١) الصحاح للجوهري (٥٧٤، ٥٧٥). ولسان العرب (٤ / ٨)، ومقاييس اللغة لابن فارس (١ / ٥٣). والنهاية لابن الأثير (١ / ٢٢).

(٢) الكليات للكفوي (٤٠).

(٣) النهاية (١ / ٢٢). وفتح الباري (٧ / ١٤٧).

(٤) تم استخلاص هذا التعريف الاصطلاحي من جملة أقوال اللغويين وشرح الحديث.

يتحلّى بعكس هذه الصّفة وهو الإيثار بأن يفَضّل غيره على نفسه، وحينئذ فقط يصبح من المفلحين الذين تخلّصوا من شحّ أنفسهم وبخلها بالمنافع على الغير، فإن لم يفعل فالواجب عليه العدل بأن يعطي كلّ ذي حقّ حقّه، وله في أنصار رسول الله ﷺ أسوة طيّبة حيث مدحهم المولى ﷺ بقوله: ﴿وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] وعلى من وقعت عليه الأثرة أن يصبر ويحتسب من ناحية، وأن يطالب بحقه بالمعروف، سائلا المولى ﷺ أن يعينه، فالله سبحانه خير معين.

للاستزادة: انظر صفات: الاحتكار - البخل - الشح.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإنفاق - الإيثار - البر - الجود - الكرم - السخاء - الجحود - المحبة].

\*\*\*

### من مضار (الأثرة)

- |  |  |
|--|--|
| (١) بها تحلّ النّقم وتذهب النّعم.                    | (٦) تبثّ اليأس في نفوس ذوي الحقوق.                           |
| (٢) دليل على دناءة النّفس وخسّتها.                   | (٧) بها يضيع العدل وينتفي كرم الخلق.                         |
| (٣) الأثرة معول هدام وشرّ مستطير.                    | (٨) يحلّ العداة والكراهية محلّ المحبّة والمودّة في القلوب.   |
| (٤) تؤذي وتضرّ وتجلب الخصام والنّفور.                | (٩) تنتفي الأسوة الحسنة وتصير المنفعة باعث الحركة في الحياة. |
| (٥) تؤدّي إلى انتفاء كمال الإيمان وقد تذهب بالإسلام. |  |

## الإجرام

### الإجرام لغة:

مصدر أجرم يجرم. وهو مأخوذ من مادّة (ج ر م) التي تدلّ على القطع، ومن ذلك: الجرام لصرام النّخل، والجرامة ما سقط من التّمرة إذا جرم، والجرم والجريمة بمعنى الذّنّب من ذلك. لأنّه كسب، والكسب اقتطاع، والجسد جرم لأنّ له قدرا وتقطيعا.

وقال الرّاعب: أصل الجرم: قطع الثّمرة عن الشّجر، وقولهم: أجرم: صار ذا جرم نحو: أثمر

وأتمر أي صار ذا ثمر وتمر، واستعير ذلك لكل اكتساب مكروه، ولا يكاد يقال ذلك للمحمود، ويقال: الجرم: الجسد، والجرم اللون، والجرم: الصوت، أما الجرم (بالضم) فهو الذنب، والجريمة مثله، تقول من ذلك: جرم وأجرم، واجترم بمعنى.

وقال ابن منظور: الجرم (بالضم) التعدّي، والجرم: الذنب، والجمع أجرام وجروم، يقال من ذلك: جرم يجرم جرماً، واجترم وأجرم، فهو مجرم وجريم، وجرم إليهم وعليهم جريمة، وأجرم: جنى جناية، وأما جرم (بالضم) فمعناه: عظم جرمه.

والجرم مصدر الجارم الذي يجرم نفسه وقومه شراً، والجارم: الجاني، والمجرم: المذنب. وقد أنشد أبو عبيدة للهيردان السعدي أحد لصوصهم:

طريد عشيبة ورهين جرم بما جرمت يدي وجنى لساني<sup>(١)</sup>

### الإجرام اصطلاحاً:

لم تذكر كتب المصطلحات في التراث الإجرام ضمن ما ذكرته من مصطلحات، ولكنها عرفت الجرم: بأنه الذنب العظيم، وعرفت الذنب بأنه: فعل محرّم يقع المرء عليه عن قصد فعل الحرام ويكون ذلك بين العبد وربّه وبين العبد والعبد<sup>(٢)</sup>. وعلى ضوء ذلك يمكن تعريف الإجرام بأنه: فعل ذنب عظيم يقع المرء عليه عن قصد سواء أكان ذلك في حقّ المولى أو في حقّ العباد.

أمّا في كتب القانون والمصطلحات الحديثة، فقد أخذ مصطلح الإجرام والجريمة بعداً اجتماعياً وقانونياً واسعاً فقليل: الجريمة: كلّ فعل يعود بالضرر على المجتمع، ويعاقب عليه القانون<sup>(٣)</sup>.

وقال بعض الباحثين المحدثين: الجريمة: محظورات شرعية زجر الله عنها بحدّ أو تعزير، والمحظورات إمّا فعل منهّي عنه، أو ترك فعل مأمور به، ومن ثمّ يكون الإجرام: إتيان فعل محرّم معاقب على فعله، أو هو: فعل أو ترك نصّت الشريعة على تجريمه والعقاب عليه<sup>(٤)</sup>.

ومن ثمّ يشمل الإجرام فعل المحظورات كالسرقة والزنا والقتل وما أشبهها، وترك

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٤٤٥)، والصحاح (٥/ ١٨٨٥، ١٨٨٦)، والنهاية لابن الأثير (١/ ٢٦٢)، ولسان العرب لابن منظور (١/ ٦٠٤) ط. دار المعارف.

(٢) انظر الكليات للكفوي (١١٤، ٥٠٣).

(٣) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (٩٠).

(٤) التشريع الجنائي الإسلامي (٦٦).

المأمورات من نحو ترك الصلاة والامتناع عن دفع الزكاة، أو ترك الدين بالكليّة كالارتداد.  
 [للاستزادة: انظر صفات: الأذى - الإرهاب - انتهاك الحرمات - العدوان - العصيان -  
 الانتقام - النعمة - الفجور - الطغيان - الحرب والمحاربة - العتو - القسوة - البغي .  
 وفي ضد ذلك: انظر صفات: التقوى - الطاعة - الاستقامة - تعظيم الحرمات - الصفح -  
 العفو - السلم].

\*\*\*

### من مضار (الإجرام)

- (١) من أخطر مضارّ الإجرام بثّ الخوف (٤) يجلب له الكراهية ممّن حوله نتيجة لما  
 والفرع في المجتمع. يترتب على فعله من خوف أو تضيق.  
 (٢) يجلب الضيق لمن حوله بما يترتب عليه (٥) لا يتقن الناس عملا في أيديهم بسبب  
 من آثار. الخوف والقلق النفسيّ.  
 (٣) يوبق المجرم ويتهي به إلى عقاب الله (٦) شيوع الإجرام يترتب عليه تفكك  
 تعالى. المجتمع، وتأخره.  
 وانظر مضار صفة (الإرهاب)

### الإحباط

#### الإحباط لغة:

مصدر قولهم: أحبط عمله يحبطه، وأحبطه الله، وهو مأخوذ من مادّة (ح ب ط) التي تدلّ  
 على «بطلان أو ألم» يقال: أحبط الله عمل الكافر أي أبطله<sup>(١)</sup>.  
 وقال الراغب: أصل حبط الأعمال من الحبط، وهو أن تكثر الدابة أكلا حتّى ينتفخ بطنها<sup>(٢)</sup>.  
 وقال الجوهريّ: يقال: حبط عمله حبطا وحبوطا: بطل ثوابه، والحبط: أن تأكل الماشية

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٢ / ١٣٠.

(٢) المفردات للراغب ص ١٥٣ (تحقيق خلف الله).

فتكثر حتى تنتفخ بطونها، والإحباط (أيضا): أن يذهب ماء الركيّة فلا يعود كما كان (١).

وذهب الفيروز ابادي إلى أن حبوط العمل إما أن يكون مأخوذا من: حبط ماء الركيّة (البئر) إذا ذهب ذهابا لا يعود أبدا، وإما من قولهم: حبطت الدابة، من الحبط، وهو أن تأكل الدابة أكلا ينفخ بطنها (٢).

وقال ابن منظور: الحبط: من آثار الجرح، وقيل الحبط وجع يأخذ البعير في بطنه من كالأ يستوبله، يقال: حبط البعير حبطا، فهو حبط، والجمع حباطى (٣)، وحبطة، وفي الحديث الشريف: «وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم» (٤) قال ابن الأثير: المعنى: أن الربيع ينبت أحرار العشب فتستكثر منه الماشية (٥) (حتى تنتفخ فتموت)، قال الأزهرى: ضربه ﷺ مثلا للمفرط في الجمع (للمال) والمنع (من حقه) وذلك أن الربيع ينبت أحرار العشب التي تحلوليها الماشية، فتستكثر منها، حتى تنتفخ بطونها وتهلك، كذلك الذي يجمع الدنيا ويحرص عليها ويشح بما جمع حتى يمنع ذا الحق حقه منها فيهلك في الآخرة بدخول النار واستيجاب العذاب (٦)، وقيد بعضهم الحبط بأنه انتفاخ يصحبه إمساك، فقال: الحبط أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها ما فيها، وقيل: الحبط: الانتفاخ أين كان من داء أو غيره، وقولهم: حبط جلده، معناه: ورم، قال ابن سيده:

والحبط في الضرع أهون الورم، وقولهم: حبط (فلان) حبطا وحبوطا: عمل عملا ثم أفسده (٧)، وفي التنزيل العزيز: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: ٩]، قال القرطبي في معنى الآية: كرهوا ما أنزل الله من الكتب والشرائع فأحبط (أبطل ولم يقبل) ما لهم من صور الخيرات كعمارة المساجد وقرى الضيف، وأصناف القرب، ولا يقبل الله الأعمال إلا من

(١) الصحاح للجوهري ٣ / ١١١٨.

(٢) بصائر ذوي التمييز ٢ / ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٣) لسان العرب ٧ / ٢٧٠ (ط. بيروت).

(٤) انظر الحديث رقم ٤.

(٥) النهاية لابن الأثير ١ / ٣٣١.

(٦) نقلا عن لسان العرب ٧ / ٢٧٠.

(٧) لسان العرب ٧ / ٢٧٢.

مؤمن<sup>(١)</sup>، أما قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ دِمْنَكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾  
فالمعنى: بطلت هذه الأعمال وفسدت، والآية تهديد للمسلمين ليثبتوا على دين الإسلام<sup>(٢)</sup>.

قال الأزهرى: ولا أرى حبط العمل (حبوطه) وبطلانه مأخوذاً إلا من حبط البطن، لأنَّ صاحب البطن يهلك، وكذلك عمل المنافق يحبط، غير أنَّهم سَكَنُوا الباء في حبوط الأعمال فقالوا حبط، وحرَّكوها في حبوط البطن فقالوا: حبط، ومن الاستعمالات الأخرى لهذا الفعل قولهم: حبط دم القتيل إذا هدر، وحبطت البئر إذا ذهب ماؤها<sup>(٣)</sup>.

### الإحباط اصطلاحاً:

قال الكفوي: الإحباط هو إبطال الحسنات بالسيئات<sup>(٤)</sup>.

وقال أسعد رزق: الإحباط (وترادفه الخيبة) هو إعاقة المرء عن بلوغ هدف ما، وسدَّ الطَّرِيق التي يسلكها نحو الوصول إلى هدفه، سواء أكان السعي نحو الهدف سعياً واعياً أو غير واع<sup>(٥)</sup>، قلت: لقد شاع استعمال لفظ الإحباط في العصر الحديث بمعنى شعور الإنسان بالخيبة لفساد عمله وعدم تحقيق الغرض المقصود منه، ويعقب هذا النوع من الإحباط حالة من اليأس ربَّما تؤدِّي لترك العمل بالكلية.

وقال بعض الباحثين المحدثين: الإحباط (بمفهومه العصري) يعني مجموعة من المشاعر المؤلمة تنتج عن عجز الإنسان عن الوصول إلى هدف ضروريٍّ لإشباع حاجة ملحة عنده<sup>(٦)</sup>.

### أنواع الإحباط:

قال في البصائر: وحبط (إحباط) العمل على أضرب:

الأول: أن تكون الأعمال دنيوية (ليست صادرة عن ذي دين) فهي لا تغني شيئاً يوم القيامة، وقد أشار المولى إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾.

[الفرقان: ٢٣]

(١) تفسير القرطبي ١٦ / ٢٣٣.

(٢) المرجع السابق ٣ / ٤٦ - ٤٧.

(٣) لسان العرب ٧ / ٢٧٢.

(٤) الكليات ١ / ٧٢.

(٥) موسوعة علم النفس ١ / ١١.

(٦) الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام لمحمد عودة محمد، وكمال إبراهيم موسى، ص ١٢٦.

الثاني: أن تكون أعمالاً دنيوية لا يقصد بها صاحبها وجه الله (وذلك كأعمال الرياء).  
الثالث: أن تكون أعمالاً صالحة يكون بإزائها سيئات تزيد عليها، وهو المشار إليه بخفة الميزان<sup>(١)</sup>.

### أسباب جبوط العمل:

إن من يتأمل آي الذكر الحكيم والأحاديث الشريفة الواردة في «الإحباط أو الحبط» يتضح له أن هناك أسباباً عديدة تؤدي لبطلان الأعمال وفقد ثوابها مما ينتج عنه خيبة أصحابها وخسرانهم في الدنيا والآخرة.

### متى يحدث الإحباط؟

يحدث الإحباط (بمفهومه الحديث) عندما يكون الشخص مهيناً لتحقيق هدف ما ومستعداً لعمل ما يوصله إليه، ثم يجد عائقاً يمنعه من أداء ذلك العمل أو يعوقه عن تحقيق هدفه، مثال ذلك أن يشعر الإنسان بحاجة قوية لفعل شيء ويستعد لتحقيق ذلك الشيء، ثم يمنع منه ظلماً، فإنه يشعر بالتوتر والضيق، فإذا لم يستطع إزالة ذلك الحائل بالأساليب المباشرة واستمرت رغبته قوية في الهدف فإن ذلك يؤدي إلى التوتر والضيق والشعور بالألم والحسرة ونحو ذلك من المشاعر المؤلمة الناجمة عن هذا الإخفاق وذلك الإحباط<sup>(٢)</sup>.

ويختلف الناس في الشعور بالإحباط وفي القدرة على تحمّله بحسب ما يدعى «عتبة الإحباط» التي توجد بدرجات متفاوتة، إذ توجد عند البعض بدرجة منخفضة وعند بعضهم بدرجة متوسطة أو عالية، فالشخص ذو عتبة الإحباط المنخفضة يشعر بسرعة، ويدركه في مواقف كثيرة، فلا لا تسبب الإحباط لكثير من الناس، أما الشخص ذو عتبة الإحباط المتوسطة أو العالية، فلا يشعر بالإحباط إلا في المواقف التي فيها عوائق شديدة، وفي استطاعة هذا الشخص - بقوة إرادته - أن يتحمّل مشاعر الإحباط وأن يتخطّاها<sup>(٣)</sup>.

### معالجة الشعور بالإحباط:

لمعالجة الإحباط بعد وقوعه والوقاية منه قبل حدوثه عوامل عديدة تمكّن المجتمع الإسلامي من التخلص من آثاره الضارة، وأهمّ هذه العوامل:

(١) بصائر ذوي التمييز ٢ / ٤٢٤، والمفردات للراغب ١٠٦.

(٢) الصحة النفسية، مصدر سابق.

(٣) السابق، ص ١٣٥ - ١٣٦ (بتصرف واختصار).

١- تنمية الشعور بالرّضا حتّى يقبل كلّ شخص ما قدّره الله له من الرّزق والصّحة والمنصب، وعلى كلّ منا أن يضع هدفاً مناسباً لقدراته وإمكاناته وظروفه ثمّ المثابرة وبذل الجهد لتحقيق ذلك الهدف.

٢- على الإنسان أن يتعوّد على الأخذ بالأسباب، والصّبر على البلاء، وعدم اليأس أو القنوط إذا حدثت عوائق تحول بينه وبين النّجاح المأمول وعليه معاودة السّعي مرّة ومرات حتّى يحقق الله ﷻ مسعاه.

٣- على المجتمع مساعدة الأسر الفقيرة كي لا يتعرّضوا للإحباط الشّديد النّاجم عن عدم القدرة على توفير احتياجاتهم الصّورويّة، وهنا تقوم فريضة الزّكاة بدور حاسم في القضاء على إحباطات الأسر الفقيرة، ويتّصل بذلك أيضاً صفات: البرّ، الصّدقة، المروءة، صلة الرّحم ونحوها.

٤- على المجتمع أيضاً أن يعنى بطبقة العاطلين عن العمل والتّلاميذ المتأخّرين دراسياً بمساعدة هؤلاء في حلّ مشكلاتهم وغرس قيم الصّبر والمثابرة وضبط النّفس والتّفاؤل حتّى يستطيعوا حلّ مشكلاتهم بأنفسهم، وعلى المحيطين بهؤلاء عدم إهانتهم أو تحقيرهم خاصّة إذا كانت عوامل فشلهم وإحباطهم خارجة عن إرادتهم.

[للاستزادة: انظر صفات: التخاذل - صغر الهمة - الكسل - الوهن - التنصل من المسؤولية - الضعف - اليأس - القنوط.]

وفي ضد ذلك: انظر صفات: العزم والعزيمة - علو الهمة - القوة - قوة الإرادة - المسؤولية - النشاط الثبات].

\*\*\*

### من مضار (الإحباط)

- (١) الإحباط هو قرين اليأس والقنوط. (٥) دليل على ضعف الإيمان وسوء الظنّ بالرحمن.
- (٢) تقليل الإنتاج اليوميّ.
- (٣) مدعاة لترك العمل والنبوغ، والعودة عن (٦) دليل على ضعف الهمة وفقدان الشّخصيّة.
- طلب معالي الأمور. (٧) تسود في المجتمع روح الكراهية والبغضاء.
- (٤) الإحباط يحدث تقديم من يستحقّ التّأخير وتأخير من يستحقّ التّقديم.

## الاحتكار

### الاحتكار لغة:

الاحتكار في اللغة مصدر قولهم (احتكر) وهو يرجع إلى مادة (ح ك ر) التي تدلّ على الحبس، وأصل ذلك في كلام العرب: الحكر وهو الماء المتجمّع كأنه احتكر لقلّته، والحكرة: حبس الطّعام انتظاراً للغلاء.

قال الجوهري: واحتكار الطّعام: جمعه وحبسه يتربّص به الغلاء، وهو الحكرة بالضّم، والحكرة والحكر: الاسم من الاحتكار، وفي الحديث الشريف أنّه ﷺ، نهى عن الحكرة، والحكر: فعل بمعنى مفعول أي مجموع وهو الماء القليل المجتمع، وكذلك القليل من الطّعام واللّبن، وفي الحديث قال في الكلاب: إذا وردت الحكر القليل فلا تطعمه.

وقال ابن منظور: الحكر: ادّخار الطّعام للتربّص، وصاحبه محتكر، وأصل الحكرة: الجمع والإمساك.

والحكر والحكرة الاسم منه، والحكر والحكر جميعاً: ما احتكر، وإنهم ليتحكّرون في بيعهم: ينظرون ويتربّصون. وإنّه لحكر: لا يزال يحبس سلعته، والسّوق مادة - أي ملأى رجالاً ويوعا - حتّى يبيع بالكثير من شدّة حكره: أي من شدّة احتباسه وتربّصه، وفي الحديث: «من احتكر طعاماً فهو كذا»، أي اشتراه وحبسه ليقبّل فيغلو. وحكره: ظلّمه وتنقصه وأساء معاشرته<sup>(١)</sup>.

### الاحتكار اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الاحتكار: حبس الطّعام للغلاء<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الأثير: الاحتكار: شراء الطّعام وحبسه ليقبّل ويغلو<sup>(٣)</sup>.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٩٢)، والصحاح (٢/ ٦٣٥)، والنهاية لابن الأثير (١/ ٤١٨)، واللسان (٤/ ٢٠٨) (ط. بيروت).

(٢) التعريفات (ص ١٠٠)، وفي الأصل «للغلة» وهو تصحيف.

(٣) النهاية (١/ ٤١٧).

وقال ابن حجر: الاحتكار: إمساك الطّعام عن البيع، وانتظار الغلاء مع الاستغناء عنه وحاجة النَّاس إليه<sup>(١)</sup>.

وقال الشُّوكاني: الاحتكار هو حبس السِّلَع عن البيع<sup>(٢)</sup>.

وقد اكتسب مصطلح الاحتكار أبعاداً جديدة ولم يقتصر مفهومه على الطّعام أو السِّلَع، وإنّما شمل الخدمات الأخرى والامتيازات الممنوحة للشركات والأفراد، يؤكّد هذا ما جاء في معجم المصطلحات الاقتصادية من أنّ الاحتكار: هو السيطرة الخالصة على عرض سلعة أو خدمة ما في سوق معلومة أو على الامتياز الخالص للشراء أو البيع دون مزاحم أو منافس<sup>(٣)</sup>.

### حكم الاحتكار في الشريعة الإسلامية:

قال ابن حجر: الاحتكار المحرّم: هو أن يمسك ما اشتراه لوقت في الغلاء لا الرّخص من القوت ونحوه مثل التّمر والزّبيب بقصد أن يبيعه بأعلى ممّا اشتراه به عند اشتداد الحاجة إليه، ويلحق بالقوت كلّ ما يعين عليه كاللّحم والفواكه، ومتى اختلّ شرط من ذلك فلا حرمة<sup>(٤)</sup> إذ لا يكره الاحتكار مع سعة الأبواب ورخص الأسعار، وأمّا احتكارها مع الضيق والغلاء فمكروه ومحرّم<sup>(٥)</sup>. والخلاصة أنّ الاحتكار المنهبيّ عنه ليس عامّاً في كلّ شيء. فالغالب أنّه احتكار طعام وأن يكون من شراء، أي جمعه عن طريق الشراء ليغلي ثمنه وأن يكون لأمد. وأن تكون الغاية منه الإغلاء واستغلال حاجة النَّاس لكسب منفعة.

ولكنّ بعض أهل العلم لا يحصره في باب الطّعام بل يمدّه إلى كلّ ضرورات وحاجات الإنسان والحيوان، فكلّ ما لا يمكن الاستغناء عنه أو كان في تركه حرج لا يصحّ احتكاره واستغلاله.

أمّا ما لم يكن من الضّرورات أو الحاجات الإنسانيّة والحيوانيّة فلا يدخل في باب الاحتكار<sup>(٦)</sup>.

(١) فتح الباري (٤ / ٤٠٨).

(٢) نيل الأوطار للشوكاني (٥ / ٣٣٧)، وليس المقصود هنا الحبس المطلق، وإنّما الحبس انتظاراً للغلاء.

(٣) معجم المصطلحات الاقتصادية (٥٤٤).

(٤) الزواجر من ارتكاب الكبائر لابن حجر (٣١٦).

(٥) في تفصيل حالات الكراهية والحرمة والإباحة: الحاوي الكبير (٧ / ٨٤) وما بعدها.

(٦) ينظر الدر المنتقى على متن الملتقى للحصكفي (٢ / ٥٤٧)، ونهاية المحتاج للرّملي (٣ / ٤٥٦)، والمغني لابن قدامة (٤ /

٢٢٠)، والمحلي لابن حزم (٩ / ٧٨)، والبدايع للكاساني (٥ / ١٢٩).

**احتكار الإنتاج في الاقتصاد الغربي:**

لم يعرف النّظام الاقتصاديّ الإسلاميّ الاحتكار فيما يتعلّق بإنتاج سلعة من السلع إذ النّاس جميعاً سواء فيما يتعلّق بحريّة الإنتاج. ولكنّ النّظام الاقتصاديّ الغربيّ أقرّ هذا المبدأ دون غضاضة، ففي العصور الوسطى كان الملوّك في أغلب الأحيان هم الذين يمنحون الأفراد حقّ احتكار أيّ سلعة، وفي العصر الحديث ينشأ الاحتكار عادة نتيجة لتجمّع المنتجين الأساسيين للسلعة في وحدة واحدة بغرض فرض الرّقابة على العرض الكلّي لها وارتفاع سعرها<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الأثرة- التناجش- الأذى- الطمع.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الرحمة- الرضا- القناعة- النزاهة- حسن المعاملة- الأمانة].

\*\*\*

**من مضار (الاحتكار)**

- (١) دليل على دناءة النّفس وسوء الخلق.
- (٢) استحقاق الوعيد لمن كان هذا خلقه.
- (٣) يورث الضّغينة والبعد عن النّاس.
- (٤) سبب في اضطراب الشّعوب وعدم استقرارها.
- (٥) الاحتكار ثمرة من ثمار حبّ النّفس المقيت.
- (٦) الاحتكار يناقض الإيثار الذي هو جوهر علاقة المسلم بأخيه المسلم.
- (٧) الاحتكار يشري القطيعة الاجتماعيّة في الأمّة.

**الأذى****الأذى لغة:**

الأذى مصدر قولهم: أذى الشّيء يأذى، وهو مأخوذ من مادّة (أذى) التي تدلّ على «الشّيء تتكرّره ولا تقرّ عليه، ومن ذلك الإيذاء، يقال: أذيت فلانا أو ذيه: أي ألحقت به ما يكره، ويقال: بعير إذ وناقة أذية، إذا كان (كلّ منهما) لا يقرّ في مكان من غير وجع، ولكن خلقه، وكأنّه يأذى

(١) معجم المصطلحات الاقتصادية (١٦٧).

بمكانه، ومن ذلك الأذّي وهو الموج المؤذي لركاب البحر، وأما قول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى﴾ [البقرة: ٢٢٢] فقد سمّي بذلك باعتبار الشّرع، وباعتبار الطّبّ على حسب ما يذكره أصحاب هذه الصّناعة<sup>(١)</sup>.

وقال القرطبيّ: هو شيء تتأذى به المرأة وغيرها أي برائحة دم الحيض، والأذى كناية عن القدر على الجملة، ويطلق على القول المكروه، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤] ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَدَعَّ أذْنَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٨] أمّا الأذى في الحديث الشريف «وأميطوا عنه الأذى» يعني بالأذى: الشعر الذي يكون على رأس الصبيّ حين يولد.. وفي حديث الإيمان «وأدناها إمطة الأذى عن الطريق» يعني: الشوك والحجر والنجاسة وما أشبه ذلك ممّا يتأذى به المارّ<sup>(٢)</sup>.

وقال الجوهريّ: يقال: آذاه يؤذيه فأذى هو أذى، وأذاة وأذية، وتأذيت به. قال ابن منظور: قال ابن بريّ: صوابه: آذاني إيداء، وأمّا أذى فمصدر أذى، وكذلك أذاة، وأذية، فأنا أذ، ورجل أذّي: إذا كان شديد التأذي، وقد يكون الأذّي: المؤذي، وفي الحديث كلّ مؤذ في النّار، وهو وعيد لمن يؤذي النّاس في الدّنيا بعقوبة النّار في الآخرة.

وقوله ﷺ ﴿وَدَعَّ أذْنَهُمْ﴾؛ تأويله أذى المنافقين لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر، وأذى الرّجل: فعل الأذى؛ ومنه قوله ﷺ، للذي تخطى رقاب النّاس يوم الجمعة: «رأيتك آذيت وآيت»<sup>(٣)</sup>.

#### الأذى اصطلاحاً:

قال الرّاعب: الأذى ما يصل إلى الحيوان من الضّرر إمّا في نفسه أو جسمه، أو تبعاته دنيويّاً كان ذلك أو آخرويّاً<sup>(٤)</sup>.

وقد ذكر المناويّ هذا التعريف مع تعديل يسير فقال: الأذى: ما يصل إلى الحيوان من ضرر

(١) المفردات للراغب (١٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/ ٢٢٢).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٧٨)، والمفردات (١٥) والصحاح (٦/ ٢٢٦٦)، ولسان العرب (أذى) (١/ ٥٤) ط. دار المعارف.

(٤) المفردات (١٥).

أو مكروه في نفسه أو بدنه أو قنيته<sup>(١)</sup> دنيويًا أو أخرويًا<sup>(٢)</sup>.

### من معاني كلمة الأذى في القرآن:

الأول: بمعنى الحرام: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٢٢] أي حرام.

الثاني: بمعنى القمل: ﴿أَوْ يَهْزَأَ بِرَأْسِهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

الثالث: بمعنى الشدة والمحنة: ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَىٰ مِّن مَّطَرٍ﴾ [النساء: ١٠٢].

الرابع: بمعنى الشتم والسب: ﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَهَا مِنكُمْ فَتَأْذُوهُمَا﴾ [النساء: ١١]، ﴿لَنْ

يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَىٰ﴾ [آل عمران: ١١١]، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىٰ كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦].

الخامس: بمعنى الزور، والبهتان على البريء: ﴿كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ﴾ [الأحزاب: ٦٩]، ﴿يَقَوْمِ لِمَ

تُؤْذُونَنِي﴾ [الصف: ٥].

السادس: بمعنى الجفاء والمعصية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧] أي يعصونها.

السابع: بمعنى شغل خاطر وتفرقة القلب: ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

الثامن: بمعنى المن عند العطيّة: ﴿لَا يُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

التاسع: بمعنى العذاب والعقوبة: ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

العاشر: بمعنى غيبة المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾

[الأحزاب: ٥٨]<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإساءة- البغي- الظلم- العدوان- التحقير- الإجمام-

الاستهزاء القسوة- الجحود- نكران الجميل- عقوق الوالدين- التعاون على الإثم والعدوان.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التعاون على البر والتقوى- الرحمة- الرفق- الشفقة-

العطف- المحبة- الاعتراف بالفضل- الفضل- الإحسان- بر الوالدين].

(١) قنيته: أي ما اكتسبه.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف لابن المناوي (٤٣).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٧٣٧٢). وانظر نزهة الأعين النواظر (١٦١-١٦٢).

## من مضار (الأذى)

- (١) الإيذاء سبب في سخط الله ﷻ على العبد. (٤) إذا كثر المؤذون في المجتمع وسكت الناس  
 (٢) المؤذي يمقته الله، ويمقته الناس. عنهم فسدت أحواله وآل إلى الزوال.  
 (٣) يعيش في المجتمع منبوذاً فريداً، يخاف الناس (٥) يسبب العداوة والبغضاء بين المسلمين.  
 أذاه، فيكرهون مخالطته ومصاحبته. (٦) دليل سوء الأخلاق وانحطاط النفس وخبثها.

## الإرهاب

## الإرهاب لغة:

مصدر قولهم: أَرهَبَ يَرهَبُ، وهو مأخوذ من مادة (ر ه ب) التي تدلُّ على الخوف، وأصل ذلك إرهاب الإبل وهو قدها (منعها) من الحوض وزيادها عنه، وقال الراغب: الرّهبة والرّهب: مخافة مع تحرّز واضطراب، والإرهاب: فزع الإبل، وهو من أرهبت الإبل: أفزعها، أمّا قوله تعالى: ﴿تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] فمعناه تخيفون به عدو الله وعدوكم من اليهود وقريش وكفار العرب<sup>(١)</sup> وقوله سبحانه: ﴿سَكْرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [الأعراف: ١١٦] معناه حملوهم على أن يرهبوا<sup>(٢)</sup>، ويقال: رهب - كعلم - يرهب رهبة ورهبا، ورهبا، ورهبانا، والاسم: الرّهبي والرّهبي، ويمدّان (رهباء، رهباء)، ورهبوت خير من رحموت، أي لأن ترهب خير من أن ترحم، وأرهبه واسترهبه: أخافه، وترهّبه: توعدّه، والرّهبة: هي الحالة التي ترهب، وفي حديث بهز بن حكيم «إني لأسمع الرّهبة» أي الحالة التي تفزع وتخوّف، وفي حديث الدعاء: «رغبة ورهبة..».

الرّهبة: الخوف والفزع، والرّهب: واحد رهبان، ومصدره: الرّهبة، والرّهبانية والرّهب (هنا)، التّعبد، ويقال: أرهب الرجل: أي ركب الرّهب وهو الجمل العالي المخيف، وأرهب فلانا: خوّفه، والرّهبان: المبالغ في الخوف (من رهب) كالخشيان من خشية، والمرهوب: المخوف، والمراهب: الأهوال والمخاوف، وترهّب غيره: إذا توعدّه، وفعلت هذا من رهباك: أي من رهبتك

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٢٦).

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب (ص ٢٠٤).

ويقال: رهباك خير من رغباك (بفتح الرّاء وضمّها) أي فرقه وفزعه منك خير من حبه لك (١).

### الإرهاب اصطلاحاً:

لقد تغيّر مفهوم «الإرهاب» في العصر الحديث تغيّراً كبيراً، وأصبح لهذه الكلمة في معناها المعاصر وقع سيء جداً، لارتباطها في أذهان النّاس بمعنى ترويع الأمنين، وتخريب العمران، بغضّ النّظر عمّن توجه إليهم الصّربات الإرهابية وتفزعهم، وقد جاء في تعريف الإرهاب في أحد المصادر الحديثة مايلي:

الإرهاب: هو بثّ الرّعب الذي يثير الرّعب في الجسم والعقل، أي الطّريقة التي تحاول بها جماعة منظّمة، أو حزب أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف، وتوجّه الأعمال الإرهابية ضدّ الأشخاص العاديين أو الموالين للسلطة ممّن يعارضون أهداف هذه الجماعة، ويعدّ هدم العقارات وإتلاف المحاصيل من أشكال النّشاط الإرهابي (٢) وهذا النوع من أنواع الإرهاب هو الذي يرفضه الإسلام شكلاً وموضوعاً إذ لا يحلّ لمسلم أن يروّع مسلماً كما أخبرنا رسول الله ﷺ. أمّا المفهوم التّراثي لهذه الكلمة فقد أشار إليه الإمام الرّاعب حين قال: الرّهبة: خوف مع تحرّز واضطراب، ومن ثمّ يكون: الإرهاب: فعل ما من شأنه أن يخيف مصحوباً بالتحرّز والاضطراب، وهذا المعنى أقرب ما يكون إلى مفهوم الرّدع. أي أنّ العدو إذا علم أنّك ستلحق به الهزيمة، وأنك أعددت له العدة حدث له من الخوف ما يمنعه من المحاربة وإلحاق الأذى بالمسلمين، وهذا أمر مطلوب بنصّ الآية الكريمة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] وقد عقد الإمام العزّ بن عبد السلام فصلين لذلك: الأوّل في تخويف أهل الحرب وإرهابهم، والثاني: في الاستعداد لقتالهم بما يرهّبهم (٣)، والخلاصة أنّ الإرهاب إذا كان موجّهاً لأهل الحرب من أعداء الله إخافة لهم فلا ضير فيه، وإنّما هو أمر مطلوب، بل ومأمور به، وإن كان موجّهاً للمسلم أو لغيره ممّن ليسوا بأهل حرب فهو منهي عنه، ويعدّ من الأخلاق الذميمة التي لا يرتضيها الدّين الحنيف.

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٤٤٦)، المفردات للراغب (٢٠٤)، بصائر ذوي التمييز (٣/ ١٠٠)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٨٠، ٢٨١)، الصحاح (١/ ١٤٠)، اللسان (رهب) (١٧٥٠) ط. دار المعارف.  
 (٢) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، (بتصرف يسير) (ص ٤٢٣).  
 (٣) شجرة المعارف والأحوال (ص ٣٩٤).

## أنواع الإرهاب:

الإرهاب نوعان: محمود ومذموم.

فأما المحمود فهو ما استعمل في تخويف الفسقة والعصاة والمجرمين والكفرة والمشركين لصدّهم وردّهم عمّا هم عليه وكفّ أذاهم عن الناس.

وأما المذموم فهو ما استعمله المجرمون والمعتدون من ترويع الأمنين، وإزهاق أرواح الغافلين من المسلمين، ودبّ الرعب والخوف والفرع في قلوبهم في سبيل الحصول على حطام الدنيا؛ حقدًا دفينًا في قلوبهم على أهل الإسلام المؤمنين.

[للاستزادة: انظر صفات: الإجرام- الأذى- الإساءة- البغي- العدوان- اتباع الهوى- اللهو واللعب- القسوة- العنف- الطغيان- الضلال- الفجور- الاعوجاج- الإصرار على الذنب- الأمن من المكر.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإيمان- الإسلام- حسن المعاملة- الرحمة- الرفق- الشفقة- الإحسان- الرأفة- الاستقامة].

\*\*\*

## من مضار (الإرهاب)

- (١) يسخط الله ﷻ ويتعرّض صاحبه لأليم بين الناس وعدم مساعدة الأغنياء الضعفاء.  
العذاب في الدنيا والآخرة.
- (٢) يززع القلوب، وينشر الدّعر والفرع بين الناس.  
السلب والسرقات وغيرها من الجرائم.
- (٣) يترتب عليه مفاسد اجتماعية جمّة كارتفاع الأسعار ونزع الثقة والرّحمة  
أصحابه الذين يرهبون الناس، ويتأخّر المجتمع عن ركب العمران.
- (٤) ينعدم الأمن والاطمئنان، وينتشر القتل
- (٥) يؤدّي إلى تشتيت جهود الأمة في مواجهة

## الإساءة

## الإساءة لغة:

مصدر قولهم: أساء يسيء، وهو مأخوذ من مادة (س وأ) التي تدلّ على القبح، تقول من

ذلك: رجل أسوأ، وامرأة سوءاء أي قبيحة وسميت السيئة سيئة، وسميت النار سوأى لقبح منظرها، وعبر عن كل ما يقبح بالسوأي ولذلك قوبل بالحسنى، والسيئة الفعلة القبيحة، وهي ضدّ الحسنة وقد تعددت معانيها في القرآن الكريم.

وقال الجوهري: يقال ساءه سوءا (بالفتح)، ومساءة ومسائية، نقيض سرّه، والاسم: السوء (بالضّم)، وقرىء: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦] (بالضّم) يعني: الهزيمة والشرّ، ومن قرأ بالفتح فهو من المساءة، وتقول: هذا رجل سوء بالإضافة، ثمّ تدخل عليه الألف واللام، فتقول: هذا رجل السوء.

وأساء إليه نقيض أحسن إليه، ويقال: فلان سيء الاختيار، وقد يخفف مثل هيّن وهين، ويقال: سؤت به ظنّاً، وأسأت به الظنّ، يثبتون الألف (في أسأت) إذا جاءوا بالألف واللام، وقولهم ما أنكرك من سوء أي لم يكن إنكاري لك من سوء رأيتك بك، والسوأة: العورة، والفاحشة، والسوأة السوءاء: الفعلة القبيحة، وسوأت عليه فعله وما صنع: إذا عبته عليه، وقلت له: أسأت، وقولهم: الخيل تجري على مساويها: أي أنّها وإن كانت بها أوصاب أو عيوب فإنّ كرمها يحملها على الجري، وتقول من السوء: استاء الرجل على وزن افتعل كما تقول: اغتمّ من الغمّ، وفي حديث النبي ﷺ «أنّ رجلاً قصّ عليه رؤيا فاستاء لها» ثمّ قال: «خلافة نبوة ثمّ يؤتي الله الملك من يشاء» استاء مطاوع ساء يقال: استاء فلان بمكان أي ساءه ذلك، قال ابن الأثير ويروى استالها: أي طلب تأويلها بالتأمل والنظر، والسوأة في الأصل: الفرج، ثمّ نقل إلى كلّ ما يستحيا منه إذا ظهر من قول أو فعل، وفي حديث الحديبية والمغيرة «وهل غسلت سوأتك إلا أمس» وفي هذا إشارة إلى غدر كان المغيرة فعله مع قوم صحبوه في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم.

وقال ابن منظور: يقال: أسأت به، وإليه، وعليه، وله، وكذلك أحسنت، وساء الشيء يسوء سوءاً، فهو سيء إذا قبح، ورجل أسوأ: قبيح، والأنثى سوأة: قبيحة، وساءه يسوءه سوءاً: فعل به ما يكره. والسوء: الفجور والمنكر. ورجل سوء: يعمل عمل سوء، وأسأء الرجل إساءة: خلاف أحسن. وأسأء إليه: نقيض أحسن إليه.

قال كثير:

أسيئي بنا أو أحسنني، لا ملومة لـدينا، ولا مقلية إن تقلّبت

وقال سبحانه: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]. وأسأء الشيء:

أفسده ولم يحسن عمله. وأساء فلان الخياطة والعمل، وفي المثل: أساء كاره ما عمل، والسّيئة: الخطيئة. وقد كثر ذكر السّيئة في الحديث، وهي والحسنة من الصّفات الغالبة. يقال: كلمة حسنة وكلمة سيئة، وفعلة حسنة وفعلة سيئة<sup>(١)</sup>.

### السّيئة اصطلاحاً:

إذا كانت الإساءة فعل السّوء أو السّيئة فإنه يمكن تعريفها في ضوء تعريف هذين الأمرين: قال الكفوي: السّوء (بالضّم) يجري مجرى الشّر، ومنه مقدمات الفاحشة من القبلة والنّظر بالشّهوة<sup>(٢)</sup>.

وقال الرّاعب: السّوء كلّ ما يغمّ الإنسان من الأمور الدنيويّة والأخرويّة، ومن الأحوال النّفسيّة والبدنيّة والخارجيّة<sup>(٣)</sup> مثل فوات مال أو جاه أو فقد حبيب، وقد لخص الفيروز آبادي ذلك فقال: كلّ ما يغمّ الإنسان في أمور الدارين من الأحوال النّفسيّة والبدنيّة والخارجيّة.

أما السّيئة، فقال الرّاعب: هي الفعلة القبيحة<sup>(٤)</sup>، ومن ثمّ تكون الإساءة: فعل أمر قبيح جار مجرى الشّر يترتب عليه غمّ لإنسان في أمور دينه ودنياه، سواء أكان ذلك في بدنه أو نفسه أو فيما يحيط به من مال أو ولد أو قنية<sup>(٥)</sup>.

### أقسام السّيئة:

السّيئة كالحسنة. قسمان:

أحدهما: بحسب اعتبار الشّرع والعقل، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

الآخر: بحسب اعتبار الطّبع، وذلك ما يستثقله، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١]<sup>(٦)</sup>.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١١٢)، الصحاح (١/ ٥٦)، بصائر ذوي التمييز (٣/ ٢٨٨)، ولسان العرب (س وأ) (ص ٢١٣٨) (ط. دار المعارف).

(٢) الكلبيات (ص ٥٠٢).

(٣) المفردات (٢٥٢).

(٤) المرجع السابق نفسه، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٨٨).

(٥) تم استخلاص هذا التعريف مما أوردته كتب المصطلحات عن السّيئة والسوء.

(٦) المفردات (٢٥٣).

## أقسام الإساءة:

وهي تنقسم إلى أقسام، ولكل قسم أنواع:

القسم الأول: (الإساءة القاصرة) وهي أنواع الأول: التعرض لأذية الله تعالى، الثاني تخريب المساجد، الثالث: التهاون بالصلاة، الرابع سوء الاستماع، الخامس: تقليد الجاهل، السادس: الجلوس في الطرقات، السابع: مجالسة أهل الشر، الثامن: الصور والكلاب في البيوت، التاسع: التصوير، العاشر: الفزع، الحادي عشر: استصحاب الجرس والكلب، الثاني عشر: اللعب بالنرد، الثالث عشر: بيع الخمر، الرابع عشر: كسب الحجّام، الخامس عشر: ردّ الرّيحان، السادس عشر: البناء على القبور والجلوس عليها، السابع عشر: الوصال، الثامن عشر: قتل الرجل نفسه، التاسع عشر: التّختم بالذهب، العشرون: الأكل في الذهب والفضّة، الحادي والعشرون: التّنعم ولبس الحرير، الثاني والعشرون: الإكثار من الفرش، الثالث والعشرون: ستر الجدران، الرابع والعشرون: القدوم على الطّاعون والفرار منه.

القسم الثاني: (الإساءة القوليّة والفعليّة) وهي أنواع الأول: كذب الملوك، وزنا الشّيوخ، وكبر الفقراء، والملك الكذاب، والعائل المستكبر والشّيخ الزّاني ممّن لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم، إنّما عظمت ذنوب هؤلاء لضعف دواعيهم إلى معاصيهم، فإنّ الملك لا يحتاج إلى الكذب، والشّيخ لا تغلبه شهوته على الزّنا، والعائل الفقير ليس عنده أسباب الكبر والطّغيان.

الثاني: أذية الرّسول، الثالث: تعنت الرّسل، الرابع: سوء الأدب على الرّسول، الخامس: أذية أولياء الله، السادس: أذية الوالدين، السابع: أذية المؤمنين، الثامن أذية اليتيم، التاسع: أذية المتصدّق عليه، العاشر: أذية الجار، الحادي عشر: في المنة بالدين، الثاني عشر: مضارّة الزّوجات، الثالث عشر: مضارّة الوالدين بالولد، الرابع عشر: مضارّة الكاتب والشّاهد، الخامس عشر: عسف الولاية، السادس عشر: غشّ الوالي، السابع عشر: تقصير الولاية، الثامن عشر: إفساد الولاية وقطيعة الأرحام، التاسع عشر: تباغض الولاية ورعاياهم، العشرون: القتال للأعراض الفاسدة، الحادي والعشرون: مفارقة المسلمين وتفريقهم، الثاني والعشرون: التعرّض لدم المسلم وماله وعرضه، الثالث والعشرون: في الغشّ وحمل السّلاح على المسلمين، الرابع والعشرون: إيثار الدنيا على الدين، الخامس والعشرون: التّفاخر والتّكاثر، السادس والعشرون: تبديل الوصايا، السابع والعشرون: اللّدد وكثرة الخصام، الثامن والعشرون: معصية أئمة العدل، التاسع والعشرون:

معصية الجائر فيما يأمر به من الحقّ، الثلاثون: الطّاعة في المعصية، الحادي والثلاثون: الإعانة على المعصية، الثاني والثلاثون: التّفريط في الطّاعة، الثالث والثلاثون: إهمال الأعمال اعتماداً على الأسباب، الرّابع والثلاثون: كتمان الشّهادة، الخامس والثلاثون: كتمان ما أنزل الله، السّادس والثلاثون: اللّجج، السّابع والثلاثون: العمل بالظّنّ المخالف للشرّ، الثامن والثلاثون: التّنطع، التّاسع والثلاثون: إحداث السنن السيّئة، النّوع الأربعون: نقض أيمان العهد، الحادي والأربعون: السّحر، الثاني والأربعون: امتناع الكاتب من الكتابة، والشّاهد من الشّهادة، الثالث والأربعون: قيل وقال وكثرة السّؤال وإضاعة المال، ومنع وهات ووآد البنات وعقوق الأمّهات، الرّابع والأربعون: التّبرج وإظهار الزينة، الخامس والأربعون: بخص الحقوق، السّادس والأربعون: الشّحّ والبخل، السّابع والأربعون: الجور واتباع الهوى في الحكم، الثامن والأربعون: كفر الإحسان، التّاسع والأربعون: التّسبّب إلى شتم الأبوين، الخمسون: تكفير المسلم.

القسم الثالث: الإساءة الفعلية. وهي أنواع: الأوّل: هجر المسلم، الثاني: الإشارة بالسّلاح، الثالث: كتابة الباطل وأخذ الأجرة عليها، الرّابع: إباق العبد، الخامس: إيراد الممرض على المصحّ، السّادس: تعريض مال المولى عليه للضياع، السّابع: الدّخول بغير إذن، الثامن: جلوس الضيف بعد الأكل، التّاسع: إحصاء المال وإبقاؤه، العاشر: الاحتكار وعت الشريك والجار، الحادي عشر: المطل مع اليسار، الثاني عشر: الإخراج من الديار بغير حقّ، الثالث عشر: تغيير المنار (أي علامات الأرض وحدودها) الرّابع عشر: غصب الحقيقير، الخامس عشر: الخيانة، السّادس عشر: التصدّق بالمال الحرام، السّابع عشر: إخراج الرديء في الزّكاة، الثامن عشر: طرح الأذى على الطّرفقات، التّاسع عشر: الضّحك من المؤمنين، العشرون: إظهار الكبر، الحادي والعشرون: طرد الفقراء الصّالحين، الثاني والعشرون: تقديم الغنيّ الطّالغ على الفقير الصّالح، الثالث والعشرون: زنى الجوارح، الرّابع والعشرون: الخلوّة المحرّمة، الخامس والعشرون: النّظر إلى العورات، السّادس والعشرون: اقتناء الكلاب<sup>(١)</sup>، السّابع والعشرون: أذية الدّوابّ، الثامن والعشرون: وسم وجوه الدّوابّ، التّاسع والعشرون: ضرب الوجوه، الثلاثون: صبر<sup>(٢)</sup> البهائم، الحادي والثلاثون: قتل النّمل.

(١) معلوم أن ذلك جائز إذا كان الاقتناء للحراسة.

(٢) صبر البهائم: هو أن يمسك شيء من ذوات الروح حيّاً ثم يرمى بشيء حتى يموت.

القسم الرابع: الإساءة القولية وهي أنواع: الأول: سبّ المسلم، الثاني: مشاحنة المسلم، الثالث: إفشاء الأسرار، الرابع: الرّغبة عن الآباء والادّعاء إلى غيرهم، الخامس: الطّعن في الأنساب، السادس: المنن وتنفيق السّلع بالحلف، السابع: الهمز واللّمز والنّميمة وكثرة الحلف، الثامن: الشّفاة فيما لا يجوز، التاسع: التّناجي المؤذي، العاشر: التّناجي بالمعاصي، الحادي عشر: الأمر بالمنكر والنّهي عن المعروف، الثاني عشر: السّؤال عمّا تتوقّع مساءته، الثالث عشر: قول الزّور، الرابع عشر: المجادلة عن الخائن، الخامس عشر: استفناء الجاهل، السادس عشر: الفتيا بغير علم، السابع عشر: كثرة اللّعن، الثامن عشر: السّعي بالنّميمة، التاسع عشر: بيع الماء والكلب، العشرون: كثرة الحلف في البيع، الحادي والعشرون: شراء الصّدقة والرّجوع في الهبة اللّازمة، الثاني والعشرون: تعبير الزّاني، الثالث والعشرون: مدح من تخشى فتنه، الرابع والعشرون: وصف الشّهداء بالموت، الخامس والعشرون: سبّ الحمى، السادس والعشرون: التّألّي على الله، السابع والعشرون: تعليق الدّعاء بالمشيئة، الثامن والعشرون: التّسميع، التاسع والعشرون: الفخر والخيلاء، الثلاثون: الكلام بما لا يعرف قبحه من حسنه، الحادي والثلاثون: اعتقاد الرّجل في نفسه، الثاني والثلاثون: المبادرة بالحلف والشّهادة، الثالث والثلاثون: سبّ الصّحابة، الرابع والثلاثون: تزكية النّفس، الخامس والثلاثون: سبّ الدّهر، السادس والثلاثون: تسمية العنب الكرم، السابع والثلاثون: ما ينهى عنه من الأسماء، الثامن والثلاثون: نداء الرّقيق بالعبد والأمة، التاسع والثلاثون: القول البشع، الأربعون: قذف الرّقيق، الحادي والأربعون: السّمع بالباطل، الثاني والأربعون: الإلحاف في المسألة، والسّؤال تكثراً، الثالث والأربعون: الخيانة في المحقّرات، الرابع والأربعون: سؤال المرأة طلاق ضرّتها، الخامس والأربعون: إضافة النّعم إلى أسبابها دون المنعم بها، السادس والأربعون: قول «لو» اعتماداً على الأسباب، السابع والأربعون: منع فضل الماء والبيعة للدّنيا وتنفيق السّلع بالحلف الكاذب، الثامن والأربعون: أنواع من الأذى والإضرار كالسّخرية والهمز واللّمز، والغيبة، والحسد، والتّباغض، والتّناجش، والبيع على البيع، والخطبة على الخطبة، والمساومة، وقطيعة الرّحم والتّدابر<sup>(١)</sup>.

### معنى كلمة السوء في القرآن الكريم:

الوجه الأوّل: بمعنى الشّدّة، وذلك قوله في [البقرة: ٤٩]: ﴿يَسْؤُمُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يعني شدّة العذاب، وفي [الرعد: ١٨]: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾.

(١) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال للعزيز بن عبد السلام (٢٩٧-٣٣٨). بتصرف.

الوجه الثاني: بمعنى العقر، وذلك قوله في [الأعراف: ٧٣]: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ يعني بعقر، أي لا تعقروها.

الوجه الثالث: بمعنى الزنا، وذلك قوله في [يوسف: ٥١]: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ من زنا. وقال في [مريم: ٢٨]: ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا﴾ يعني ما كان زانيا.

الوجه الرابع: بمعنى البرص، وذلك قوله في [طه: ٢٢]: ﴿وَأَصْمَمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ يعني بيضاء من غير برص.

الوجه الخامس: بمعنى العذاب، وذلك قوله في [التحل: ٢٧]: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ﴾ يعني العذاب ﴿عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ وكقوله في [الرعد: ١١]: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ يعني عذابا.

الوجه السادس: بمعنى الشرك، وذلك قوله في [التحل: ٢٨]: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ يعني الشرك، وكقوله في [التجم: ٣١]: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا﴾ يعني أشركوا ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾.

الوجه السابع: بمعنى الشتم، وذلك قوله في [المتحنة: ٢]: ﴿وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾ يعني بالشتم. وكقوله في [النساء: ١٤٨]: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ يعني الشتم ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾.

الوجه الثامن: بمعنى بئس، وذلك قوله في [الرعد: ٢٥]: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ يعني بئس الدار. يعني منازلهم.

الوجه التاسع: بمعنى الذنب من المؤمن، وذلك قوله في [النساء: ١٧]: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ يعني الذنب، وكلّ ذنب من المؤمن فهو جهل منه.

الوجه العاشر: بمعنى الضّر، وذلك قوله في [الأعراف: ١٨٨]: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ يعني الضّر، وقال في [التمل: ٦٢]: ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ يعني الضّر.

الوجه الحادي عشر: بمعنى القتل والهزيمة، وذلك قوله في [الأحزاب: ٧]: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ يعني القتل والهزيمة، ونظيرها فيها أيضا<sup>(١)</sup>.

(١) التصاريف. تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه ليحيى بن سلام- تحقيق هند شلبي (ص ١٢١-١٢٤) بتصريف. كشف السرائر في معنى الوجوه والأشبه والنظائر لابن العماد. تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد- مراجعة محمد سليمان داود (ص ٥٨-٦١) بتصريف.

**السيئة في القرآن الكريم:**

وردت السيئة على أوجه متعددة في القرآن الكريم:

الوجه الأول: بمعنى القتل والهزيمة وذلك قوله في [آل عمران: ١٢٠]: ﴿وَلِإِنْ قُضِبْتُمْ سَيِّئَةً﴾ يعني القتل والهزيمة يوم أحد «يفرحوا بها».

الوجه الثاني: بمعنى الشرك، وذلك في [النمل: ٩٠]: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ يعني الشرك ﴿فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾.

الوجه الثالث: بمعنى قحط المطر، والجذب، وقلة النبات، قوله في [الأعراف: ١٣١]: ﴿وَلِإِنْ تَصَبَّهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعني قحط المطر وقلة الخير والنبات ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾.

الوجه الرابع: بمعنى العذاب في الدنيا، وذلك قوله في [الرعد: ٦]: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ يعني بالعذاب في الدنيا. وكقوله في [النمل: ٤٦]: ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ بالسيئة يعني بالعذاب في الدنيا.

الوجه الخامس: بمعنى الأذى وقول الفحش، وذلك قوله في حم [فصلت: ٣٤]: ﴿وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ يعني الشر من القول والأذى<sup>(١)</sup>.

**وورد لفظ السيئات على خمسة أوجه في القرآن الكريم:**

أحدها: يكون بمعنى الشرك. قال تعالى: في [يونس: ٢٧]: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ يعني عملوا الشرك. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النساء: ١٨] يعني الشرك.

ثانيها: يكون بمعنى العذاب. قال الله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا﴾ [الزمر: ٥١] يعني عذابا بما عملوا من الشرك، وكذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هُنَّ لَأَنْ سَيِّئُهُمْ سَيِّئَاتٌ﴾ [الزمر: ٥١] بما عملوا من الشرك، يعني العذاب.

ثالثها: يكون بمعنى الضر. قال الله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨] يعني الضر.

(١) التصارييف. نفس المرجع السابق (ص ١٢٥-١٢٧) بتصريف، وكشف السرائر: (٢٨٠).

رابعها: يكون بمعنى الشرّ، قال الله تعالى: ﴿فَوَقَّهٗ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ [غافر: ٤٥] يعني للشرّ الذي أرادوا بمؤمن آل فرعون.

خامسها: يكون بمعنى الفاحشة، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ٧٨] يعني الفاحشة فيأتون الرجال في أدبارهم<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: إفشاء السر - انتهاك الحرمات - سوء الخلق - سوء المعاملة - شهادة الزور - سوء العشرة - الاستهزاء - عقوق الوالدين - الأذى - التحقير.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإحسان - حسن الخلق - حسن العشرة - المحبة - البر - الوالدين].

\*\*\*

### من مضار (الإساءة)

- (١) الإساءة خلق ذميم، وسلوك مشين.
- (٢) المسيء بعيد عن الله وبعيد من الناس.
- (٣) طريق موصل إلى غضب الله وسخطه.
- (٤) تذهب حلاوة الإيمان ونور الإسلام.
- (٥) الإساءة معول هدام وشرّ مستطير.
- (٦) تؤذي وتضرّ وتجلب الخصام والنفور.

### الاستهزاء

#### الاستهزاء لغة:

الاستهزاء مصدر قولهم: استهزأ يستهزأ، وهو مأخوذ من مادة (هزأ)، التي تدلّ على السّخرية، أو على مزح في خفية، أو على السّخرية واللّعب<sup>(٢)</sup>، يقال: هزئت به، واستهزأت، والاستهزاء ارتياد الهزاء، وإن كان يعبرّ به عن تعاطيه، كالأستجابة في كونها ارتيادا (طلبا للإجابة) وإن كانت تجري مجرى الإجابة، وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] قيل في تفسيره: ساخرون، وقيل: مكذّبون بما ندعى إليه.

(١) كشف السرائر في معنى الوجود والأشبه والنظائر لابن العماد (ص ٢٨٠). نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي (ص ٣٦٢).

(٢) إلى الرأي الأول ذهب ابن فارس في المقاييس (٦/ ٥٢)، وإلى الثاني ذهب الراغب في المفردات (٥٤٣)، وإلى الثالث ذهب القرطبي في تفسيره (١/ ١٤٥)، وقد ذكر القرطبي قولاً رابعاً في تفسير معنى الاستهزاء فقال: وقيل أصل الاستهزاء الانتقام.

وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]. ذكر الراغب: أن المعنى يجازيهم جزاء الهزاء، ومعناه: أنه أمهلهم مدة ثم أخذهم فسمى إمهالهم استهزاء من حيث إنهم اغتروا به اغترارهم بالهزاء فيكون ذلك كالاستدراج من حيث لا يعلمون، ومذهب أهل السنة إثبات صفة الاستهزاء لله ﷻ حقيقة على ما يليق بجلاله مع إثبات لازمها.

وقال القرطبي: سمي العقوبة باسم الذنب، والعرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلنا أحد علينا  
فجهل فوق جهل الجاهلينا

فسمى انتصاره جهلا، والجهل لا يفتخر به عاقل، وإنما قاله ليزدوج الكلام.. وقيل: الله يستهزأ بهم في الآخرة، يفتح لهم باب جهنم من الجنة، ثم يقال لهم: تعالوا، فيقبلون يسبحون في النار، والمؤمنون على الأرائك، وهي السرر ينظرون إليهم، فإذا انتهوا إلى الباب سد عنهم، فيضحك المؤمنون منهم<sup>(١)</sup>.

وقال الجوهري: الهزاء (بالسكون)، والهزؤ (بالضم) السخرية، تقول: هزئت منه، وهزئت به، واستهزأت به، وتهزأت به، وهزأت به أيضا، هزء ومهزأة، ورجل هزءة بالتسكين، أي يهزأ به، وهزأة (بالتحريك) يهزأ بالناس، قال في اللسان: وقيل: يهزأ منه، وقال بعض اللغويين: الصواب أن يقال: هزئت بك، ولا يقال: هزئت منك، وذلك عكس السخرية، فإنه في السخرية يقال: سخرت منك، ولا يقال: سخرت بك، ويقال: هزأ الشيء هزءا: كسره، وهزأ الرجل: مات<sup>(٢)</sup>.

### الاستهزاء اصطلاحاً:

قال المناوي: الاستهزاء: ارتياد الهزاء ويعبر به أيضا عنه<sup>(٣)</sup>.  
وقال أبو هلال العسكري: إن الاستهزاء لا يسبقه فعل من أجله يستهزأ بصاحبه<sup>(٤)</sup>.  
ومن هنا يمكن القول بأن الاستهزاء هو: ارتياد أو طلب الهزاء دون أن يسبق من المهزوء منه فعل يقتضي ذلك.

(١) انظر مفردات الراغب (ص ٥٤٢)، وتفسير القرطبي (١ / ١٤٦)، وذكر آراء أخرى ليس هنا محل إيرادها.

(٢) الصحاح (١ / ٨٣)، ولسان العرب (هزأ) (٤٦٥٩) ط. دار المعارف.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (ص ٥٠)، وأصل ذلك في المفردات للراغب (ص ٥٤٣).

(٤) الفروق في اللغة (ص ٢٤٩).

[للاستزادة: انظر صفات: البذاءة- السخرية الهجاء- الإساءة- السفاهة- التحقير.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: تكريم الإنسان الشناء- الوقار- حسن المعاملة- حسن العشرة].

\*\*\*

### من مضار (الاستهزاء)

- (١) دليل كبر النفس واحتقار الآخرين.
- (٢) طريق موصل إلى النار وغضب الجبار.
- (٣) بعد الناس عن المستهزئ لخوفهم منه
- (٤) يصرّف عن قبول الحقّ واستماع النصّح.
- (٥) يسود بين الطّاعة وسفلة الأتّوام.
- (٦) دليل على أنّ صاحبه عمي القلب لا يرى
- (٧) آية على جهالة صاحبه لأنّ من علم قدر الله
- (٨) يشيع في الأمتّة الكراهية المقيتة.

## الإسراف

### الإسراف لغة:

الإسراف مصدر أسرف يسرف وهو مأخوذ من مادّة (س ر ف) التي تدلّ على تعدّي الحدّ والإغفال للشّيء، تقول: في الأمر سرف، أي مجاوزة القدر، وجاء في الحديث الشريف: (الثالثة في الوضوء شرف، والرابعة سرف) وأمّا الإغفال فقول القائل: مررت بكم فسرفتكم: أي أغفلتكم، أو جهلتكم.

وقال الرّاعب: السّرف تجاوز الحدّ في كلّ فعل يفعلُه الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر، ويقال تارة اعتبارا بالقدر (الكميّة) وتارة اعتبارا بالكيفيّة، ولهذا قال سفيان بن عيينة: ما أنفقت في غير طاعة الله سرف، وإن كان قليلا، وقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣] الإسراف هنا يتناول المال وغيره<sup>(١)</sup>، وسمّي قوم لوط مسرفين من حيث

(١) في سبب نزول هذه الآية روايات كثيرة: منها أن قوما من المشركين قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا فقالوا- أو بعثوا- للنبي ﷺ: إن ما تدعو إليه لحسن، أو تخبرنا أن لنا توبة؟ فنزلت، وقيل: نزلت في أهل مكة حينما قالوا: يزعم محمد أن من عبد الأوثان =

إنهم تعدوا في وضع البذر في غير المحرث المخصوص له، والإسراف في القتل: أن يقتل وليّ الدّم غير القاتل أو يتعداه إلى من هو أشرف منه حسبما كانت الجاهليّة تفعله، وقيل: السّرف ضدّ القصد، والسّرف الإغفال والخطأ، يقال: سرفت الشّيء إذا أغفلته وجهلته، ورجل سرف الفؤاد أي مخطيء الفؤاد غافله، وسرف العقل: غافله، وقيل: فاسده، والإسراف في النّفقة: التّبذير، وفي حديث عائشة رضي الله عنها «إِنَّ لِلْحَمِّ سِرْفًا كَسِرْفِ الْخَمْرِ» أي ضراوة كضراوتها، وشدة كشدتها لأنّ من اعتاده ضري بأكله فأسرف فيه، فعل مدمن الخمر في ضراوته بها، وقلة صبره عنها، وقيل أراد بالسّرف: الغفلة، وقيل هو من الإسراف والتّبذير في النّفقة لغير حاجة، أو في غير طاعة الله. شبّهت ما يخرج في الإكثار من اللحم بما يخرج في الخمر.

قال ابن الأثير: وقد تكرّر ذكر الإسراف في الحديث، والغالب على ذكره: الإكثار من الذّنوب والخطايا، واحتقاب<sup>(١)</sup> الأوزار والآثام. وفي التّزويل العزيز: ﴿وَأَنَّكَ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [عافر: ٤٣] أي المتجاوزين في أمورهم الحدّ، وقيل: أراد المشركين، وقيل: السّفهاء والسّفّاكون للدّماء بغير حقّها، وقيل: الجبّارون والمتكبرون، وقيل: هم الذين تعدّوا حدود الله، وهذا جامع لما ذكر، لأنّ السّرف والإسراف مجاوزة القصد، يقال: أسرف في ماله: عجل من غير قصد (أي اعتدال)<sup>(٢)</sup>.

قال ابن منظور: وأمّا السّرف الذي نهى الله عنه فهو ما أنفق في غير طاعة الله، قليلا كان أو كثيرا، ويقال: أسرف في الكلام وفي القتل: أفرط، وسرف الماء ما ذهب منه في غير سقي ولا نفع<sup>(٣)</sup>.

### الإسراف اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الإسراف: هو إنفاق المال الكثير في العرض الخسيس، وقيل: هو تجاوز الحدّ في النّفقة، وقيل: هو أن يأكل الرّجل ما لا يحلّ له أو يأكل ممّا يحلّ له فوق الاعتدال ومقدار الحاجة. وقيل: هو تجاوز في الكميّة فهو جهل بمقادير الحقوق<sup>(٤)</sup>.

وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق لم يغفر له، وقد فعلنا ذلك.. فنزلت... انظر: تفسير القرطبي (١٥ / ١٧٤).

(١) الاحتقاب: الاحتمال من قولهم: احتقبت فلان الإثم كأنه جمعه واحتقبه من خلفه، ويقال: احتقبت خيراً أو شراً واستحقبه في معنى ادخره.

(٢) تفسير القرطبي (١٥ / ٢٠٧).

(٣) مقاييس اللغة (٣ / ١٥٣)، والمفردات للراغب (ص ٢٣٠)، والصحاح (٤ / ١٣٧٣)، والنهية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢ / ٣٦٢)، بصائر ذوي التمييز (٣ / ٢١٦)، ولسان العرب لابن منظور (سرف) (١٩٩٦)، ط. دار المعارف.

(٤) التعريفات للجرجاني (٢٣، ٢٤).

وقال المناوي: الإسراف: هو الإبعاد في مجاوزة الحد<sup>(١)</sup>.

### مظاهر الإسراف وأنواعه:

قال الراغب: الإنفاق ضربان: ممدوح ومذموم.

فالممدوح منه ما يكسب صاحبه العدالة، وهو بذل ما أوجبت الشريعة بذله، كالصدقة المفروضة والإنفاق على العيال... الخ.

والمذموم ضربان: إفراط وهو التبذير والإسراف، وتفريط وهو التقتير والإمساك، وكلاهما يراعى فيه الكمية والكيفية، فالأول من جهة الكمية أن يعطي أكثر مما يحتمله حاله.

ومن جهة الكيفية بأن يضعه في غير موضعه، والاعتبار هنا بالكيفية أكثر منه بالكمية، فرب منفق درهما من ألوف وهو في إنفاقه مسرف، وببذله مفسد ظالم، كمن أعطى فاجرة درهما، أو اشترى خمرا. ورب منفق ألوف لا يملك غيرها هو فيها مقتصد، وببذلهما مجتهد، كما روي في شأن الصديق أبي بكر رضي الله عنه وقد قيل لبعضهم: متى يكون بذل القليل إسرافا والكثير اقتصادا؟ قال: إذا كان بذل القليل في باطل والكثير في حق.

أما الثاني: وهو التقتير فهو من جهة الكمية أن ينفق دون ما يحتمله حاله، ومن حيث الكيفية، أن يمنع من حيث يجب، ويضع حيث لا يجب. وليس الإسراف متعلقا بالمال وحده، بل في كل شيء وضع في غير موضعه اللائق به، ألا ترى أن الله تعالى وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر في غير المحرث فقال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١] ووصف فرعون بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١]<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التبذير - الغلو - الطيش - السفاهة - التفريط والإفراط - اتباع الهوى.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التوسط - الجود الكرم].

\*\*\*

(١) التوقيف (٥٠).

(٢) الذريعة في مكارم الشريعة للراغب (٤١٠، ٤١١) بتصرف.

## من مزار (الإسراف)

- (١) يجلب غضب الربّ لأنّه ينافي كمال الإيمان. (٥) يطبع المجتمع بطابع الانحلال والبعد عن الجِدِّ والإجتهاد.
- (٢) التّشبه بالشّيطان في الإفساد. (٦) يدع المجتمع عالية على غيره عاجزا عن إضاعة المال والفقر في المال. (٣) إضاعة المال والفقر في المال.
- (٤) النّدم والحسرة على ما ضاع من غير فائدة.

## الإصرار على الذنب والعناد

## الإصرار لغة:

الإصرار مصدر أصرّ على الشّيء يصرّ، وهو مأخوذ من مادّة (ص ر ر) التي تدلّ على أربعة معان: الأوّل: صرّ الدرّاهم، والثّاني: السّموّ والارتفاع، والثّالث: البرد والحرّ، والرّابع: الصّوت، ومن المعنى الأوّل الإصرار بمعنى العزم على الشّيء، قال ابن فارس: وإنّما جعلناه من قياسه لأنّ العزم على الشّيء، والإجماع عليه واحد، وكذلك الإصرار على الشّيء. وقال الرّاعب: وأصله (أي الإصرار) من الصّرّ وهو الشّدّ، والإصرار: كلّ عزم شدّدت عليه، والصرّة ما تعقد فيه الدرّاهم. وقال الجوهريّ: والصرّة (أيضا)، الضّجّة والصّيحة، والصرّة الجماعة، والصرّة: الشدّة من كرب وغيره، وصرّة القيظ شدّة حرّه، والصارّة: الحاجة. وأصرّ على الشّيء إذا لزمه وداومه وثبت عليه، وأكثر ما يستعمل في الشرّ والذنوب. يعني من أتبع الذّنب الاستغفار فليس بمصرّ عليه وإن تكرّر منه. وفي الحديث «ويل للمصرّين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون»<sup>(١)</sup>.

وقول الله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٣٥] أي لم يثبتوا ويعزموا على ما فعلوا.

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٨٢)، المفردات للراغب (٢٧٩)، والصحاح (٢/ ٧١٢)، لسان العرب (٤/ ٤٥٠-٤٥٤) ط. بيروت، والنهاية (٣/ ٢٢).

الإصرار: هو العزم بالقلب على الأمر وترك الإقلاع عنه، وقال سهل بن عبد الله: الجاهل ميّت، والنّاسي نائم، والعاصي سكران، والمصرّ هالك، والإصرار: هو التّسويّف، والتّسويّف: أن يقول: أتوب غدا وهذا دعوى النّفس، كيف يتوب غدا (وغدا) لا يملكه؟  
وقال غير سهل: الإصرار هو أن ينوي ألا يتوب، فإذا نوى التّوبة التّصوّح خرج عن الإصرار، وقول سهل أحسن. وروي عن النّبي ﷺ أنّه قال: «لا توبة مع إصرار»<sup>(١)</sup>.

### الإصرار على الذّنب اصطلاحاً:

قال الكفويّ: الإصرار: كلّ عزم شدت عليه<sup>(٢)</sup>.  
وقال المناويّ: الإصرار: التّعقّد في الذّنب والتّشديد فيه، والامتناع عن الإقلاع عنه والدّوام والملازمة، وكلّ عقد شدت عليه<sup>(٣)</sup>.  
وقال الرّاعب: الإصرار: التّعقّد في الذّنب، والتّشدّد فيه، والامتناع من الإقلاع عنه<sup>(٤)</sup>.  
قال الجرجانيّ: الإصرار: الإقامة على الذّنب والعزم على فعل مثله<sup>(٥)</sup>.

### الباعث على التّوبة وترك الإصرار:

قال القرطبيّ: قال العلماء: الباعث على التّوبة وحلّ الإصرار إدامة الفكر في كتاب الله العزيز الغفّار، وما ذكره الله سبحانه من تفاصيل الجنّة ووعد بها المطيعين، وما وصفه من عذاب النّار وتهدّد به العاصين، ودام على ذلك حتّى قوي خوفه ورجاؤه فدعا الله رغبا ورهبا، والرّغبة والرّهبة ثمرة الخوف والرّجاء، يخاف من العقاب ويرجو الثّواب، والله الموفّق للصّواب. وقد قيل: إنّ الباعث على ذلك تنبيه إلهيّ ينبّه به من أراد سعادته؛ لقبح الذّنوب وضررها إذ هي سموم مهلكة.  
وقال القرطبيّ: وهذا خلاف في اللفظ لا في المعنى، فإنّ الإنسان لا يتفكّر في وعد الله ووعيده إلاّ بتنبيهه؛ فإذا نظر العبد بتوفيق الله تعالى إلى نفسه فوجدها مشحونة بذنوب اكتسبها وسيئات اقترفها، وانبعث منه النّدم على ما فرط، وترك مثل ما سبق مخافة عقوبة الله تعالى صدق عليه أنّه

(١) تفسير القرطبي (٤ / ١٣٦).

(٢) الكليات للكفوي (١٢٢).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٥٣).

(٤) المفردات (٢٧٩).

(٥) التعريفات (٢٨).

تائب، فإن لم يكن كذلك كان مصراً على المعصية وملازماً لأسباب الهلكة. قال سهل بن عبد الله: علامة التائب أن يشغله الذنب عن الطعام والشراب؛ كالثلاثة الذين خلفوا<sup>(١)</sup>.

### حكم الإصرار على الذنب:

عدها ابن حجر من الكبائر<sup>(٢)</sup>، وقال العزّ بن عبد السلام: الإصرار على الذنوب يجعل صغيرها كبيراً في الحكم والإثم فما الظنّ بالإصرار على كبيرها<sup>(٣)</sup>.

### العناد لغة:

العناد مصدر قولهم: عاند يعاند عنادا أو معاندة، يقول ابن منظور: والعناد والمعاندة: أن يعرف الرجل الشيء فيأباه ويميل عنه وكان كفر أبي طالب معاندة لآته عرف وأقرّ وأنف أن يقال: تبع ابن أخيه فصار بذلك كافراً، ويقال: عاند معاندة أي خالف وردّ الحقّ وهو يعرفه فهو عنيد وعاند، وفي الحديث: «إنّ الله جعلني عبداً كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً» العنيد هنا: الجائر عن القصد الباغي الذي يردّ الحقّ مع العلم به، وتعاند الخصمان: تجادلا، وعند عن الشيء والطريق يعند ويعند فهو عنود، وعند عندا: تباعد وعدل<sup>(٤)</sup>، وفي مختار الصحاح: عند من باب جلس أي خالف وردّ الحقّ وهو يعرفه فهو عنيد وعاند<sup>(٥)</sup>. وقول الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق: ٢٤] قال قتادة: العنيد هو المعرض عن طاعة الله، أو المنحرف عن الطاعة<sup>(٦)</sup>. وقال الحسن: جاحد متمرد<sup>(٧)</sup>.

### العناد والمعاندة اصطلاحاً:

يقول المناوي: العناد هو الاغوجاج والخلاف، وقيل المبالغة في الإعراض ومخالفة الحقّ<sup>(٨)</sup>، أمّا المعاندة: فهي المنازعة في مسألة علمية مع عدم العلم من كلامه وكلام صاحبه<sup>(٩)</sup>.

(١) تفسير القرطبي (٤ / ١٣٦).

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٩٩).

(٣) شجرة المعارف والأحوال (١١٠).

(٤) لسان العرب (٣٠٧ / ٣).

(٥) مختار الصحاح (٢١٥) ط. دار المنار.

(٦) وردت العبارة الأولى عن قتادة في لسان العرب (٣ / ٣٠٧)، والآخر في البحر المحيط ٨ / ١٢٥.

(٧) وردت أقوال أخرى للمفسرين في معنى عنيد تنظر في مظانها من كتب التفسير.

(٨) التوقيف (٢٤٨).

(٩) المرجع السابق (٣٠٩)، وقد أخذ هذا التعريف للمعاندة من كلام الجرجاني الذي اقتصر عليها في تعريفاته، ولم يذكر العناد اصطلاحاً، انظر التعريفات (٢٢٠).

[للاستزادة: انظر صفات: اتباع الهوى - انتهاك الحرمات - العصيان - الفجور - الإعراض - الغي والإغواء - التفريط والإفراط .  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: التوبة - الإخبات - الاستغفار - الإنابة - الضراعة والتضرع - التبتل - تعظيم الحرمات].

\*\*\*

### من مضار (الإصرار على الذنب)

- (١) الإصرار على الذنوب يسبب الوحشة بين (٦) تعظم الدنيا في عينه فيستعذبها ويلهث العبد وبين الله ﷻ . وراءها .
- (٢) يسخط الله والملائكة المقربون ويدعون (٧) خفة عقله والنقص في إيمانه .
- على المصرّ على الذنب . (٨) وإذا مات تلقته ملائكة العذاب بالسخط والويل .
- (٣) يتسلط شياطين الجنّ والإنس على المصرّ على الذنب .
- (٩) وإذا صار الانصراف من الموقف يوم القيامة أخذ به ذات الشمال .
- (٤) تصعب عليه الطاعات ويغفل عن الدعاء فتقاذفه نوازع النفس والشيطان .
- (١٠) ينقص قدر المصرّ على الذنب في أعين الناس والمجتمع .
- (٥) يشعر دائما بانقباض القلب وخبث النفس وضيق الصدر .
- (١١) تعثره الذلّة والصغار بين الناس .

### إطلاق البصر

#### الإطلاق لغة:

مصدر قولهم: أطلق الشيء يطلقه وهو مأخوذ من مادة ( ط ل ق ) التي تدلّ على التخليّة والإرسال، يقال: أطلقته إطلاقاً، والطلق: الشيء الحلال كأنه خلّي عنه فلم يحظر، وأطلقت الناقة من عقالها، وطلقتها فطلقت، أي خلّيتها، ورجل طلق الوجه، وطلّيقه، كأنه منطلق وهو ضدّ الباسر، لأنّ الباسر الذي لا يكاد يهشّ، ولا ينفسح ببشاشة .

وقال الراغب: أصل الإطلاق: التخليّة من الوثاق، ومنه استعير: طلّقت المرأة أي خلّيتها عن

حباله النكاح، والمطلق في الأحكام: ما لا يقع منه استثناء. والطلق في حديث ابن عباس رضي الله عنهما «الحياء والإيمان مقرونان في طلق» حبل مفتول شديد القتل، أي هما مجتمعان لا يفترقان كأنهما قد شدّا في حبل أو قيد، وفي حديث الرّحم «تتكلم بلسان طلق» معناه: ماضي القول سريع النطق، والطلاق هم الذين خلّي عنهم يوم فتح مكّة وأطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسترقهم، والطلاق (أيضا) الأسير إذا خلّي سبيله (فعليل بمعنى مفعول)، وقولهم: أنت طلق من هذا الأمر أي خارج منه، والانطلاق: الذهاب، وانطلق به (ذهب به) على ما لم يسمّ فاعله، وناقة طالق أي مرسله ترعى حيث شاءت، وتطلق الطّبي: مرّ لا يليو على شيء. وأطلقت القول: إذا أرسلته من غير قيد ولا شرط<sup>(١)</sup>.

**الإطلاق اصطلاحاً:** قال الكفوي: الإطلاق: الفتح ورفع القيد<sup>(٢)</sup>.

**البصر لغة واصطلاحاً:** (انظر صفة غض البصر).

**إطلاق البصر اصطلاحاً:** تخليته من قيد الخوف والمراقبة فيذهب ويقع على كلّ ما يراه فلا يرعوي عن حرام ولا يقف عند حدّ.

**إطلاق البصر نوعان:**

**الأوّل:** منهي عنه وهو إطلاقه نحو ما حرّم الله النّظر إليه من المحارم وغيرها، ويندرج هذا النوع تحت قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ [غافر: ١٩] فقد ذكر في تفسيرها: أنّها النظرة بعد النظرة (وهذا هو إطلاق البصر) وقيل: إنّها الرّمز بالعين، وقيل: النّظر إلى ما نهى عنه، وقيل: هي أن يقول: رأيت وما رأى، أو ما رأيت وقد رأى، وقيل: مسارقة النّظر، وسمّي ذلك بـ «خائنة الأعين» إمّا لإخفاء الإشارات فصارت بالاستخفاء كالخيانة، أو لأنّها باستراق النّظر إلى المحظور تعدّ خائنة<sup>(٣)</sup>، وذكر الطّبري: أنّ خائنة الأعين يراد بها النّظر إلى ما نهى الله عنه<sup>(٤)</sup>.

**الثاني:** إطلاق النّظر فيما ينبغي أن يتخلّق به من البصر، يقول العزّ بن عبد السّلام: وأمّا التخلّق به فنظرنا ضربان:

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٤٢٢)، والمفردات للراغب (٣٠٦)، والنهاية (٣/ ١٣٦)، والصحاح (٤/ ١٥١٨)، واللسان (طلق) (٢٦٩٣).

(٢) الكليات للكفوي (١/ ٢١٦) (ط. ثانية).

(٣) انظر في ذلك: النكت والعيون للماوردي (٥/ ١٤٩، ١٥٠).

(٤) تفسير الطبري (١١/ ٥٠).

أحدهما: ضروري، وهو النظر الاتفاقي.

والثاني: كسبي، وتتخلق منه بكل نظر أوجبه الله تعالى عليك، أو ندبك إليه، كالحراسة في سبيل الله، والنظر في مصنوعات الله الدالة على كمال قدرته، وتمام حكمته، وشمول علمه، ونفوذ إرادته، فإنك تستدل بالصنعة على القدرة، وبالقدرة على الإرادة، وبالإرادة على العلم، وبالعلم على الحياة، ودليل التخلق بذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١]، وقوله ﷻ: ﴿ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وكما أمرك بأن تنظر إلى الأكوان بالنظر الحقيقي، فقد أمرك بأن تنظر إلى الديان بالنظر التقديري، فقد جعل إحسانك لعبادته «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»<sup>(١)</sup>.

### جناية النظر المحرم:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: إنَّ النظر يوَلِّد المحبَّة فتبدأ علاقة يتعلَّق بها القلب بالمنظور إليه، ثم تقوى فتصير صباية ينصب إليه القلب بكليته، ثم تقوى فتصير غراما يلزم القلب كلزوم الغريم الذي لا يفارق غريمه، ثم تقوى فيصير عشقا وهو الحب المفرط، ثم تقوى فيصير شغفا وهو الحب الذي قد وصل إلى شغاف القلب وداخله، ثم يقوى فيصير تتيما وهو التعبد فيصير القلب عبدا لمن لا يصلح أن يكون هو عبدا له، وهذا كله جناية النظر فحينئذ يصير القلب أسيرا بعد أن كان ملكا، ومسجوناً بعد أن كان مطلقاً، فيتظلم من الطرف ويشكوه، والطرف يقول: أنا رائدك ورسولك وأنت بعثتني، فيبتلى بطمس البصيرة فلا يرى به الحق حقاً، ولا الباطل باطلاً، وهذا أمر يحسه الإنسان من نفسه فإن القلب كالمرأة، والهوى كالصدا فيها، فإذا خلصت المرأة من الصدا انطبعت فيها صور الحقائق كما هي، وإذا صدت لم تنطبع فيها صور المعلومات<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: انتهاك الحرمات - التجسس - الفتنة - التبرج - المجاهرة بالمعصية - الغي والإغواء - اتباع الهوى - الإصرار على الذنب - التفريط والإفراط - الفضح. وفي ضد ذلك: انظر صفات: غض البصر - العفة - الأدب - الستر - المداراة - المراقبة].

\*\*\*

(١) شجرة المعارف والأحوال (ص ٢٦) بتصرف.

(٢) إغائة اللفهان (١ / ٤٧ - ٤٨) بتصرف.

## من مضار (إطلاق البصر)

- (١) إطلاق البصر بريد الزنا ورسوله الأول. (٤) دليل قلة الحياء وفقد الحشمة.  
 (٢) لوعة القلب وهياج الشوق فيجر إلى (٥) من أسباب شيوع الفاحشة في المجتمعات الحرام. فتسقط وتنهار.  
 (٣) يفسد القلب والخلق.

## الإعراض

## الإعراض لغة:

مصدر أعرض يعرض، وهو مأخوذ من مادة (ع ر ض) وهي كما يقول ابن فارس بناء تكثر فروعه، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد وهو العرض خلاف الطول، ومن ذلك: أعرضت عن فلان، وأعرضت عن هذا الأمر، وأعرض بوجهه، لأنه إذا كان كذا ولأه عرضه (وقيل عارضه)، والعارض إنما هو مشتق من العرض الذي هو خلاف الطول، ويقال: أعرض الشيء لك من بعيد، فهو معرض، وذلك إذا ظهر لك وبدا، والمعنى أنك رأيت عرضه، وعارضت فلانا في السير، إذا سرت حياله، وعارضته مثل ما صنع، إذا أتيت إليه مثل ما أتى لك. ومنه اشتقت المعارضة، وكان عرض الشيء الذي يفعله مثل عرض الشيء الذي أتيت، ويقال: اعترض في الأمر فلان، إذا أدخل نفسه فيه.

وقال الراغب: أصل العرض (خلاف الطول) أن يقال في الأجسام ثم يستعمل في غيرها، وأعرض أظهر عرضه أي ناحيته، فإذا قيل: أعرض لي كذا أي بدا عرضه فأمكن تناوله، وإذا قيل أعرض عني فمعناه: ولي مبديا عرضه، وقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ [طه: ١٢٤] الإعراض عن الذكر التولي عنه وعدم قبوله. يقول القرطبي: أعرض عن ذكري: تولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له، ولم يتعظ فينجزر عما هو عليه مقيم من مخالفة أمر ربه.

وقال النيسابوري في هذه الآية: الذكر هنا هو الهدى، وقوله سبحانه: ﴿ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ﴾ [طه: ١٢٤] يقابله: أتبع هداي، وكان الإعراض ضد الاتباع<sup>(١)</sup>.

(١) انظر تفسير الطبري (١٦ / ١٦٣)، وרגائب الفرقان (بهامش الطبري) (١٦ / ١٤٥).

والإعراض عن الشيء: الصّد عنه، وأعرض فلان أي ذهب عرضاً وطولاً، وأعرضت الشيء جعلته عريضاً، وأعرضت فلانة بولدها: إذا ولدتهم عراضاً، وتعرضت لفلان تصدّيت له، وتعرض: تعوّج، يقال: تعرض الجمل في الجبل: إذا أخذ في مسيره يمينا وشمالاً لصعوبة الطريق. وقال في اللسان: والمعرض: الذي يستدين ممّن أمكنه من الناس، وفي حديث عمر رضي الله عنه «فأدان معرضاً» أي أخذ الدين ولم يبال ألا يؤدّيه ولا ما يكون من التّبعة، وقيل: يعرض إذا قيل له لا تستدن فلا يقبل؛ من: أعرض عن الشيء إذا ولاه ظهره، وقيل: معرضاً عن الأداء مولياً عنه <sup>(١)</sup>.

#### الإعراض اصطلاحاً:

قال الكفوي: الإعراض: الانصراف عن الشيء بالقلب <sup>(٢)</sup>.  
وقال المناوي: الإعراض: الإضراب عن الشيء بأن تأخذ عرضاً أي جانباً غير الجانب الذي هو فيه <sup>(٣)</sup>.

#### الفرق بين التولي والإعراض والصدّ:

قال الكفوي: المتولّي والمعرض يشتركان في ترك السلوك (القويم) إلا أنّ المعرض أسوأ حالاً، لأنّ المتولّي متى ندم سهل عليه الرجوع، والمعرض يحتاج إلى طلب جديد، وغاية الدّمّ الجمع بينهما، أمّا الصّدّ فهو العدول عن الشيء عن قلى <sup>(٤)</sup>.

#### صور الإعراض الممدوحة والمذمومة:

للإعراض مظاهر عديدة أكثرها مذموم، ومنها أيضاً ما هو محمود، فمن المذموم:

الإعراض عن الطّاعات والسّهو عنها: قال تعالى: ﴿فَاعْرَضُوا فَأرْسَلْنَا عَلَيْهِم سَيْلَ الْعَرْمِ﴾.

[سبأ: ١٦]

الإعراض عن الوعظ: قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر: ٩٤].

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٢٦٩)، والمفردات للراغب (٣٣٠)، والصحاح (٣/ ١٠٨٢)، ولسان العرب (عرض) (٢٨٩٠) (ط).  
دار المعارف.

(٢) الكليات (٢٨).

(٣) التوقيف (٥٦).

(٤) الكليات (٢٩).

الإعراض عن الحساب: قال تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] (١).

الإعراض عن ذكر الله: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾

[طه: ١٢٤]

الإعراض عن آيات الله في الكون، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُّعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

الإعراض عن الحق وعدم الإذعان له، قال تعالى: ﴿بَلْ أَكْذَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾

[الأنبياء: ٢٤]

الإعراض عن النبي العظيم قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُّعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧، ٦٨].

#### وللإعراض صور أخرى مجمودة منها:

الإعراض عن المشركين والجاهلين، قال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ [المائدة: ٤٢]، وقال عز من قائل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣]، وقال سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

الإعراض عن اللغو: قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥].

#### حكم الإعراض:

الإعراض عن الحقّ عدّه الإمام ابن حجر من الكبائر وهي من كبائر الباطن التي يذمّ العبد عليها أعظم ممّا يذمّ على السرقة والزنا ونحوها من كبائر البدن وذلك لعظم مفسدتها، وسوء أثرها ودوامه (٢).

#### عقوبة الإعراض في الدنيا والآخرة:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في معنى قول الله تعالى في آخر سورة طه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن

(١) انظر: شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام، (ص ١١٦) وما بعدها.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الزواج عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (ص ٩٩).

ذَكَرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿طه: ١٢٤﴾: أخبر الله أن من أعرض عن ذكره وهو الهدى الذي من اتبعه لا يضل ولا يشقى بأن له معيشة ضنكا. أي عذاب القبر، وهذا عذاب البرزخ، وكذلك يترك في العذاب وينسى فيه كما ترك العمل بالآيات. وهذا عذاب دار البوار، وله الضنك والضيق في الحياة الدنيا كذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ ﴿الزخرف: ٣٦، ٣٧﴾، فأخبر سبحانه في هذه الآية أن من ابتلاه بقرينه من الشياطين، وضلاله به، إنما كان بسبب إعراضه وعشوه عن ذكره الذي أنزله على رسوله، فكان عقوبة هذا الإعراض أن قيض له شيطانًا يقارنه فيصده عن سبيل ربه وطريق فلاحه، وهو يحسب أنه مهتد. حتى إذا وافى ربه يوم القيامة مع قرينه. وعاین هلاكه وإفلاسه قال: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينُ ﴿الزخرف: ٣٨﴾ وكل من أعرض عن الاهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله فلا بد أن يقول هذا يوم القيامة، وهؤلاء لا عذر لهم يوم القيامة لأن ضلالهم منشؤه الإعراض عن الوحي الذي جاء به الرسول ﷺ، ولو ظن أنه مهتد فإنه مفرط بإعراضه عن اتباع داعي الهدى، فإذا ضل فإنه آتى من تفريطه وإعراضه<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الهجر - ترك الصلاة - الفجور - الفسق - هجر القرآن - اتباع الهوى - المجاهرة بالمعصية - الإصرار على الذنب.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الذكر - التبتل التقوي - الخشية - الخوف - الضراعة والتضرع - الابتهاال - الدعاء - تلاوة القرآن - تعظيم الحرمات].

\*\*\*

### من مضار (الإعراض)

- (١) دليل نقص الإيمان وسفاهة الأحلام. (٥) ينساه الله في العذاب كما نسي ذكر الله في الدنيا.
- (٢) يوصل إلى النار.
- (٣) البعد عن الله وعن الناس.
- (٤) المعرض عن الحق واقع في الضلال بذنبه.
- (٦) دليل الكبر والحسد وهما الدافعان إليه في العادة.

(١) مفتاح دار السعادة ط. دار الكتب العلمية. (٤٢ - ٤٤) بتصرف.

## الاعوجاج

## الاعوجاج لغة:

مصدر قولهم: اعوجَّ يعوجُّ، وهو مأخوذ من مادة (ع وج) التي تدلّ - كما يقول ابن فارس - على ميل في الشّيء، ومن ذلك العوج، وهو اسم لازم لما تراه العيون في قضيب أو خشب أو غيره، تقول: فيه عوج بين، والعوج أيضا مصدر: عوج (من باب طرب)، ويقال: اعوجَّ يعوجُّ اعوجاجا وعوجا، فالعوج مفتوح في كلّ ما كان منتصبا كالحائط والعود، والعوج ما كان في بساط أو أمر نحو دين ومعاش، يقال من الأوّل: عود أعوج بين العوج، (للمذكّر)<sup>(١)</sup>، وشجرة عوجاء (للمؤنث) والجمع عوج (للمؤنث والمذكّر)، ويقال من الثاني: رجل أعوج، أي سيّء الخلق، وملة عوجاء: غير مستقيمة. وقال الراغب: العوج: العطف عن حال الانتصاب والعوج يقال فيما يدرك بالبصر، والعوج (بكسر العين) فيما يدرك بالفكر والبصيرة، وقيل: العوج (بالفتح) مختصّ بالمرئيات كالأجسام، وبالكسر فيما ليس بمرئي كالرّأي والقول.

وقيل: يقال بالكسر فيهما، وقول الله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوْجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] فمعناه غير مختلف، وقيل: غير ذي شكّ، وقيل: غير مخلوق، وقيل: غير متضادّ، وقيل: غير ذي لبس، وقيل: غير ذي لحن<sup>(٢)</sup>، والجامع بين كلّ هذه الأقوال أنّه مستقيم الطّريق، أمّا قوله سبحانه: ﴿وَبَعُوْنَهَا عَوْجًا﴾ [الأعراف: ٤٥] أي يغيّرون ويبدّلون دين الله عمّا جعله الله له من استقامة، وقيل: يطلبون اعوجاجها ويذمّونها فلا يؤمنون بها<sup>(٣)</sup>.

وأما ما جاء في الحديث: «حتّى يقيم به الملة العوجاء» فالمراد ملة إبراهيم عليه السلام لأنّ العرب غيّرتها عن استقامتها.

وقال الجوهري: العوج بالتحريك: مصدر قولك عوج الشّيء فهو أعوج، والاسم العوج (بكسر العين)، يقال: رجل أعوج بين العوج، أي سيّء الخلق، وعجت البعير أعوجه عوجا

(١) مختار الصحاح للرازي (عوج) (ص ٤٦٠ ط. دار الكتب المصرية).

(٢) تفسير القرطبي (٨ / ١٦٤).

(٣) تفسير الطبري (٥ / ٤٩٦)، والقرطبي (٤ / ١٣٥).

ومعاجا، إذا عطفت رأسه بالزمام، وانعاج عليه: انعطف، والعائج: الواقف، وعوّجت الشيء فتعوّج، واعوجّ الشيء اعوججا.

وقال ابن منظور: العوج الانعطاف فيما كان قائما فمال كالرّمح والحائط، يقال: شجرتك فيها عوج شديد، وهذا لا يجوز فيه وفي أمثاله إلا العوج، والعوج في الأرض ألا تستوي قال تعالى: ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾، وهو بفتح العين (عوج) مختصّ بكلّ شخص مرثي، وبالكسر (العوج) بما ليس بمرثي كالرأي والقول، وقيل: بالكسر يقال فيهما معا والتفرقة أكثر، ولذلك يقال: رجل أعوج بين العوج (بالفتح) أي سيء الخلق. وعوج أيضا يعني الزيغ يقال: عوج الطريق (بالكسر) أي زيغه واشتقاقها من عوج (بالكسر) عوجا وعوجا (بالفتح والكسر) واعوجّ وانعاج، وهو أعوج وهذا يكون لكلّ مرثي<sup>(١)</sup>.

### الاعوجاج اصطلاحا:

قال الكفوي: الاعوجاج هو في المحسوسات عدم الاستقامة الحسيّة وفي غيرها عدم كونها على ما ينبغي<sup>(٢)</sup>.

أما الاعوجاج في أمر الدّين فيمكن تعريفه بأنّه: عدم سلوك الصّراط المستقيم والميل عنه إلى ما لا ينبغي يمّنة أو يسرة. ويلزم من ذلك ترك الطّاعات أو شيء منها، وفعل المنهيات أو شيء منها كلّ ذلك اعوجاج<sup>(٣)</sup>.

### أحوال الناس في الاستقامة والاعوجاج:

لا يخلو حال النّاس فيما أمروا به ونهوا عنه من فعل الطّاعات واجتناب المعاصي من أربعة أحوال:

الأولى: من يستجيب إلى فعل الطّاعات، واجتناب المعاصي، وهذا أكمل أحوال أهل الدّين وأفضل صفات المتّقين، وهذا يستحقّ جزاء العاملين وثواب المطيعين. وهذه حال الاستقامة أو الطّاعة.

(١) مقاييس اللغة (٤/ ١٨٠)، المفردات للراغب (٣٥١)، وبصائر ذوي التمييز (٤/ ١٠٧)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/ ٣١٥)، والصحاح (١/ ٣٣٠)، ولسان العرب (عوج) (٣١٥٤) (ط. دار المعارف).

(٢) الكليات للكفوي (٢/ ٢٤٢) (ط ثانية ١٩٩٢).

(٣) اقتبسنا هذا التعريف من أقوالهم في «الاعوجاج» والاستقامة التي هي ضده. انظر صفة الاستقامة.

الثانية: من يمتنع من فعل الطاعات ويقدم على ارتكاب المعاصي وهي أخصأ أحوال المكلفين، وهذا يستحق عذاب الذي يلهو وعذاب من يجترىء على حدود الله وهذه حال الاعوجاج أو المعصية.

الثالثة: من يستجيب إلى فعل الطاعات، ويقدم على ارتكاب المعاصي وهذا يستحق عذاب المجترىء لأنه تورط بغلبة الشهوة في الإقدام على المعصية وإن سلم من التقصير في فعل الطاعة، وهذه حال بين الاعوجاج والاستقامة، أو حال المجترىء.

الرابعة: من يكف عن الطاعات والمعاصي معاً، وهذا يستحق عذاب اللأهي عن دينه، وهذه حال أقرب إلى الاعوجاج منها إلى الاستقامة وتسمى بـ «حال اللأهي»<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإلحاد- الضلال الفجور- الفسق- التفریط والإفراط- الإصرار على الذنب- اتباع الهوى.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاستقامة- حسن الخلق- الهدى].

\*\*\*

### من مضار (الاعوجاج)

- (١) بغض الله ﷻ لصاحبه.  
 (٢) يبعد عن طريق الحق والخير والصّلاح. وبغضهم له.  
 (٣) طريق موصل إلى النار.  
 (٤) بعد الناس عن المعوجّ لخوفهم منه  
 (٥) منشأ كل رذيلة وأصل كل خسيسة.  
 (٦) دليل خبث النفس وسوء الظنّ.

### الافتراء

#### الافتراء لغة:

الافتراء مصدر قولهم: افتري يفتري، وهو مأخوذ من مادة (ف ر ي) التي تدل على القطع، ومن ذلك فريت الشيء فرياً قطعته لإصلاحه، وأفريته: قطعته لإفساده، ويقال: فري فلان كذا، إذا

(١) أدب الدنيا والدين (١٠٤)، وانظر أيضاً: قراءة تربوية في فكر أبي الحسن الماوردي من خلال أدب الدنيا والدين (١٢٥).

خلقه، والفري: البهت والدّهش يقال منه: فري يفري فري.

وقال الراغب: الفري: قطع الجلد للخرز والإصلاح، والإفراء للإفساد، والافتراء فيهما وفي الإفساد أكثر وقد استعمل في القرآن الكريم في الكذب كما في قوله تعالى: ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ وفي الشّرك والظلم، كما في قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ وقيل: الفري والافتراء واحد وهو الكذب واختلاقه، ويقال: افتريت الفرو: لبسته، وفريت المزادة خلقتها وصنعتها، وفريت الأرض: سرتها وقطعتها، وفلان يفري الفريّ: إذا كان يأتي بالعجب في عمله. وفري فلان كذبا، اختلقه، والاسم: الفرية.

وقال ابن منظور: والفرية: الكذب، فري كذبا فريا، وافتراه: اختلقه، ورجل فريّ ومفري وإنه لقبيح الفرية، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَبْنَاهُ﴾ أي اختلقه، وفري فلان كذا إذا خلقه، وافتراه: اختلقه، والاسم الفرية. وجمعها: الفري، وأفري أفعل منه للتفضيل، وأكذب الكذبات أن يقول: رأيت في النوم كذا وكذا، ولم يكن رأى شيئا، لأنه كذب على الله تعالى، فإنه هو الذي يرسل ملك الرؤيا ليريه المنام، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: «فقد أعظم الفرية على الله» أي الكذب. وفي حديثبيعة النساء: «ولا يأتين ببهتان يفترينه» وهو افتعال من الكذب.

والفريّ: الأمر العظيم، وفي التنزيل العزيز في قصة مريم: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾: أي جئت شيئا عظيما، وقيل: جئت شيئا فريّا أي مصنوعا مختلعا. وفلان يفري الفريّ إذا كان يأتي بالعجب في عمله، وفريت: دهشت وحررت<sup>(١)</sup>.

### واصطلاحا:

قال الكفويّ: الافتراء: هو العظيم من الكذب، ومعنى افتري: افتعل واختلق ما لا يصحّ أن يكون، وهذا أعمّ ممّا لا يجوز أن يقال وما لا يجوز أن يفعل<sup>(٢)</sup> وإذا كان بحضرة المقول فيه: سمّي بهتانا.

وقال في موضع آخر: كلّ خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه فهو افتراء<sup>(٣)</sup> وذكر في موضع

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٤٩٦)، والمفردات للراغب (٣٧٩)، بصائر ذوي التمييز (٤/ ١٩٠)، والصحاح (٦/ ٢٤٥٣)، ولسان العرب (١٥/ ١٥٤) (ط. بيروت).

(٢) الكلبيات (١٥٤).

(٣) المرجع السابق (٥٥٦).

ثالث: أن الافتراء تقوّل، لأنّه قول متكلّف، وتسمّى الأقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها كأنّها جمع أفعولة من القول ك(الأصاحيك) <sup>(١)</sup>.

ويؤخذ من كلام الراغب: أن الافتراء هو: اختراع لقصة كاذبة لا أصل لها، يقول ﷺ: الكذب إمّا أن يكون اختراعا لقصة لا أصل لها، أو زيادة في القصة أو نقصانا يغيّران المعنى، أو تحريفا بتغيير عبارة، فما كان اختراعا يقال له: الافتراء والاختلاق <sup>(٢)</sup>.  
قال ابن بطّال: الافتراء الكذب العظيم الذي يتعجّب منه. <sup>(٣)</sup>.

[انظر صفات: الكذب - الإساءة - الإفك - البهتان - شهادة الزور - الفجور - سوء الظن.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الصمت وحفظ اللسان - الصدق - إقامة الشهادة - حسن الخلق - حسن المعاملة - حسن العشرة - حسن الظن].

\*\*\*

### من مضار (الافتراء)

- (١) الافتراء أعظم من الكذب وأشدّ خطرا على (٤) يسقط عدالة صاحبه بين الناس.
- المجتمع.
- (٥) يصبح المفترى مهينا محقرا بين الناس.
- (٢) وسيلة لدمار صاحبه ومن حوله.
- (٦) دليل ضعف الإيمان.
- (٣) الافتراء يسخط الجبار وطريق إلى النار.

### إفشاء السر

#### الإفشاء لغة:

مصدر قولهم: أفشيت كذا أفشيه، وهو مأخوذ من مادة (ف ش و) التي تدلّ على الظهور، يقول ابن فارس: الفاء والشين والحرف المعتلّ كلمة <sup>(٤)</sup> واحدة وهي (تعني) ظهور الشّيء، يقال:

(١) المرجع السابق (٧١٠).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٧٥).

(٣) فتح الباري (١٢ / ٤٤٩).

(٤) تعني عبارة ابن فارس انه لا يستعمل من هذه المادة سوى فشى وما اشتق منها، ولهذا معنى واحد هو الظهور.

فشا الشيء: ظهر<sup>(١)</sup>، وقال الجوهري: يقال: فشا الشيء يفشو فشواً أي ذاع، وأفشاه غيره (أذاعه ونشره)، وتفشى الشيء، اتسع<sup>(٢)</sup>، وقال الفيروز ابادي: يقال: فشا خبره وعرفه وفضله فشوا وفشواً وفشياً أي انتشر، والفواشي ما انتشر من المال كالغنم السائمة والإبل وغيرها، وتفشاهم المرض، وتفشى بهم: كثر فيهم، وفشت القرحة: اتسعت<sup>(٣)</sup>، وبهذا الذي ذكره الفيروز آبادي يتضح معنى قول ابن منظور: أن الفشوة بمعنى الظهور عام في كل شيء وأن منه «إفشاء السر»<sup>(٤)</sup>.

### السَّرَّ لَفَةٌ:

انظر صفة كتمان السر.

### إفشاء السر اصطلاحاً:

قال الجاحظ: إفشاء السر: خلق مركب من الخرق والخيانة، فإنه ليس بوقور من لم يضبط لسانه، ولم يتسع صدره لحفظ ما يستسره<sup>(٥)</sup>.

وقال السفاريني: إفشاء السر نشره وإذاعته (بين الناس)، والسر هو ما يكتم في النفس كالسريرة<sup>(٦)</sup>، وقال الكفوي: إفشاء السر يكون بالكتابة والإشارة والكلام<sup>(٧)</sup>.

### حكم إفشاء السر:

قال السفاريني: يحرم على كل مكلف إفشاء السر، قال: ولعله يحرم حيث أمر بكتمه، أو دلته قرينة على (ضرورة) كتمانها، أو كان مما يكتم عادة، وقيل: الذي يحرم هو إفشاء السر المضر (كما في الرعاية)<sup>(٨)</sup>.

وقال الغزالي: هو منهى عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء، وهو حرام إذا كان فيه إضرار، وهو من قبيل اللؤم إن لم يكن فيه إضرار<sup>(٩)</sup> وذكر ابن بطال أن الذي عليه

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٥٠٤).

(٢) الصحاح (٦/ ٢٤٥٥).

(٣) القاموس المحيط (فشا) (١٧٠٣) (ط. بيروت).

(٤) انظر لسان العرب (فشا) (٣٤١٨) (ط. دار المعارف).

(٥) تهذيب الأخلاق (٣٠).

(٦) بتصرف عن غذاء الألباب، شرح منظومة الآداب (١/ ١١٥).

(٧) الكليات للكفوي (١٤).

(٨) غذاء الألباب (١/ ١١٦).

(٩) إحياء علوم الدين (٣/ ١٣٢).

أهل العلم أنّ السرّ لا يباح به إذا كان على صاحبه منه مضرة<sup>(١)</sup>.

### حكم إفشاء السرّ بعد موت صاحبه :

قال ابن بطّال: أكثر العلماء على أنّه إذا مات صاحب السرّ فإنّه لا يلزم من كتمانها ما كان يلزم في حياته إلّا أن يكون عليه فيه غضاضة، وقال ابن حجر: الذي يظهر أنّ الإفشاء بعد الموت ينقسم إلى:

١- ما يحرم إذا كان فيه غضاضة على صاحبه.

٢- ما يكره مطلقاً.

٣- ما يباح

٤- ما يستحبّ ذكره - وإن كرهه صاحب السرّ كأن يكون فيه تزكية أو منقبة أو نحو ذلك<sup>(٢)</sup>.

### هل يجوز إفشاء السرّ للمصلحة؟ :

قال العزّ بن عبد السلام: السّتر على الناس شيمة الأولياء، ويؤخذ من كلامه أنّه قد يجوز الإفشاء إذا كان في ذلك مصلحة، أو دفع ضرر، واستدلّ على ذلك بما ذكره القرآن الكريم من إفشاء يوسف عليه السلام بسرّ التي راودته عن نفسه، وسرّ النسوة اللّاتي قطعن أيديهنّ، قال العزّ: وإنّما قال يوسف عليه السلام هي راودتني عن نفسي ليدفع عن نفسه ما تعرّض له - أو ما يمكن أن يتعرّض له - من قتل أو عقوبة، وكذلك قوله ما بال النسوة اللّاتي قطعن أيديهنّ، ليدفع التّهمة عن نفسه، فإنّ الملك لو اتّهمه لم يولّه، ولم يحمل على إحسان الولاية<sup>(٣)</sup>.

### الدافع إلى إفشاء السر ودلائله :

قال الرّاعب: إذاعة السرّ من قلة الصّبر وضيق الصّدر، ولا يوصف به إلّا ضعفة الرّجال والصّبيان والنساء. وقال الماورديّ: في الاسترسال بإبداء السرّ دلائل على ثلاث أحوال مذمومة: إحداها: ضيق الصّدر وقلة الصّبر حتّى إنّ لم يتسع لسرّ ولم يقدر على صبر، وقال الشّاعر في ذلك:

إذا المرء أفشى سرّه بلسانه      ولام عليه غيره فهو أحمق

إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه      فصدر الذي يستودع السرّ أضيق

(١) فتح الباري (١١ / ٨٥).

(٢) السابق، الصفحة نفسها، ولم يذكر ابن حجر متى يباح ومتى يكره، ويبدو أنّ ذلك يتوقف على مدى النفع أو الضرر الذي يترتب على الإفشاء.

(٣) شجرة المعارف والأحوال للمعز بن عبد السلام (٣٨٩ - ٣٩٠) (بتصرف).

الثانية: الغفلة عن تحذّر العقلاء، والسّهو عن يقظة الأذكياء، وقال بعض الحكماء: انفراد بسرك ولا تودعه حازما فيزلّ ولا جاهلا فيخون.

الثالثة: ما ارتكبه من الغرر، واستعمله من الخطر، وقد قال بعض الحكماء: سرك من دمك فإذا تكلمت به فقد أرقته<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الفضح - انتهاك الحرمات - الخيانة - نقض العهد - الخيانة - البذاءة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: كتمان السر - الأمانة - الصمت وحفظ اللسان - الوفاء - الوقار - إقامة الشهادة - الستر].

\*\*\*

### من مضار (إفشاء السر)

(١) إفشاء السرّ دليل الغفلة عن تفتّن العقلاء والسّهو عن يقظة الأذكياء (كما قال الماوردي).

(٢) إفشاء السرّ خيانة للأمانة ونقض للعهد.

(٣) إفشاء السرّ فيه ارتكاب للغرر وتعرض للخطر.

(٤) إفشاء السرّ دليل على لؤم الطبع وفساد المروءة.

(٥) إفشاء السرّ دليل على قلة الصبر وضيق الصدر.

(٦) إفشاء السرّ - خاصّة عند الغضب - يعقب الندم والحسرة في نفس صاحبه.

(٧) إفشاء الأسرار إخلال بالمروءة وإفساد للصداقة، ومدعاة للتنافر.

(٨) إفشاء الرجل سرّ امرأته، وإفشاء المرأة سرّ زوجها يجعل كلاّ منهما بمثابة الشيطان ويخلّ بفضيلة الحياء.

(٩) إفشاء السرّ من فضول الكلام الذي يعاب عليه صاحبه.

(١٠) إفشاء السرّ يفقد الثقة بين من أفشيت له بالسرّ والمفشي، لأنّ المفشي إليه بالسرّ

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٩٥ - ٢٩٦).

- سيعلم أنّ من أفشى له سيفشي عليه لأنّ من نمّ لك نمّ عليك ولا فرق بين الحالتين.
- (١١) إفشاء السّرّ من مقتضيات الجهل كما أنّ حفظه من سمة العقلاء.
- (١٢) في إذاعة السّرّ ما يجلب العار والفضيحة للمفشي عندما يعرف بذلك من استودعه هذا السّرّ.
- (١٣) إفشاء السّرّ فيه ذلّ لصاحبه.
- (١٤) إفشاء السّرّ - خاصّة ما يتعلّق بالميت - يعرّض صاحبه لعذاب الله.
- (١٥) إفشاء السّرّ يدخل صاحبه النّار في الآخرة، ويعقب النّدم والحسرة في الدّنيا.
- (١٦) مفشي السّرّ من أشرّ النّاس.

## الإفك

### الإفك لغة:

مصدر قولهم: أفك يأفك وهو مأخوذ من مادّة (أف ك) التي تدلّ على قلب الشّيء وصرفه عن جهته، يقال: أفكت الرّجل عن الشّيء إذا صرفته عنه، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِتَأْفِكِنَا عَنِ إِلَهِتِنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢] استعملوا الإفك في ذلك لما اعتقدوا أنّ ذلك صرف لهم من الحقّ إلى الباطل، واستعمل ذلك في الكذب مطلقاً. والمؤتفكات: الرّياح التي تختلف مهاّبها، أو التي تعدل وتنصرف عن مهاّبها، والمؤتفكات (أيضاً) المدن التي قلبها الله على قوم لوط عليه السلام، والإفك: كلّ مصروف عن وجهه الذي يستحقّ أن يكون عليه، وقول الله سبحانه ﴿فَتَلَاهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ يُؤْفِكُونَ﴾ [المنافقون: ٤] معناه كما يقول الرّاغب - يصرفون عن الحقّ في الاعتقاد إلى الباطل، ومن الصّدق في المقال إلى الكذب، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح، وقول الله سبحانه: ﴿أَيْفُكًا إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصفّات: ٨٦] يصحّ أن يكون تقديره: أتريدون آلهة من الإفك، وأن يكون قد سمّي الآلهة إفكاً، قال القرطبي: ويجوز أن يكون معناه: أتريدون آلهة من دون الله أفكين<sup>(١)</sup>. ويقال: رجل مأفوك أي مصروف من الحقّ إلى الباطل وعن العقل إلى الخيال، ومن ذلك ما جاء في حديث عرض نفسه ﷺ على قبائل العرب «لقد أفك قوم كذبوك..» أي صرفوا عن الحقّ ومنعوا منه.

(١) تفسير القرطبي (١٥ / ٦٢).

قال الجوهري: الإفك: الكذب، وكذلك الأفيكة، والجمع الأفائك، والأفك بالفتح مصدر قولك أفكه يافكه، والمأفوك: المأفون هو ضعيف العقل والرأي، ورجل مأفوك (أيضا) لا يصيب خيرا، وأرض مأفوك: لم يصبها مطر وليس بها نبات، وقال ابن منظور: يقال: أفك يافك وأفك يافك إفكا وأفكا وأفكا إذا كذب.

وأفك الناس: كذبهم، وحدثهم بالباطل.

والإفك: الكذب، والإثم، وجمعه الأفائك، والأفك - بالفتح - مصدر قولك أفكه عن الشيء يافكه أفكا، صرفه عنه وقلبه، وفي التنزيل يُؤفكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ، قال الفراء: يريد: يصرف عن الإيمان من صرف.

والأفأك: الذي يافك الناس أي يصددهم عن الحق بباطله، قال شمر: وأفك الرجل عن الخير قلب عنه وصرف<sup>(١)</sup>.

#### الإفك اصطلاحاً:

قال المبرّد: الإفك أسوأ الكذب، وهو الذي لا يثبت ويضطرب<sup>(٢)</sup>.

وقال النيسابوري: الإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل هو: البهتان<sup>(٣)</sup>.

وقال المناوي: الإفك: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن كثير: الإفك: الكذب والبهت والافتراء<sup>(٥)</sup>.

#### من معاني الإفك الواردة في القرآن الكريم:

أحدها: الكذب، ومنه قوله تعالى في الأحقاف: ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١]، وفيها ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٨].

والثاني: الصّرف، ومنه قوله تعالى في الأحقاف: ﴿أَجِئْنَا لِتَأْفِكِنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢]، وفي

(١) مقاييس اللغة (١ / ١١٨) المفردات للراغب (ص ١٩)، بصائر ذوي التمييز (٢ / ١٠١)، النهاية (١ / ٥٦)، والصحاح (٤ / ١٥٧٢)، ولسان العرب.

(٢) تفسير القرطبي (١٥ / ٦٢).

(٣) رغائب الفرقان (المنشور بهامش تفسير الطبري (١٨ / ٦٢).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (٥٧).

(٥) تفسير ابن كثير (مج ٣، ج ١٨، ص ٢٨٣).

الذاريات ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مِنَ الْفِكَ﴾ [الذاريات: ٩]، ومثله ﴿فَأَنَّى تُؤْفِكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥] أي: تصرفون عن الحق.

والثالث: القلب، ومنه قوله تعالى في براءة: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَوْا﴾ [التوبة: ٧٠]، قال الزجاج: المؤتفكات جمع مؤتفكة، اتتفكت بهم الأرض أي انقلبت. وفي النجم: ﴿وَالْمُؤْنِفِكَةَ أَهْوَى﴾ [النجم: ٥٣].

والرابع: السحر، ومنه قوله تعالى في الأعراف والشعراء ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧، الشعراء: ٤٥].

والخامس: القذف، ومنه قوله تعالى في النور ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ [النور: ١١]، والمراد به: قذف عائشة رضي الله عنها (١).

[للاستزادة: انظر صفات: الأذى - الإساءة الافتراء - البهتان - الكذب - شهادة الزور - النميمة.

وفي ضد ذلك: انظر صفتي: الصمت وحفظ اللسان - الاستقامة - الأمانة - الأدب.]

\*\*\*

### من مضار (الإفك)

- (١) يشيع الفساد في المجتمع.
- (٢) دليل الرقة في الدين وعدم الخوف من رب (٤) به تنتهك الأعراض.
- (٣) يقطع أواصر الأرحام، ويمزق الأسر.
- (٤) يورث بغض الله والرسول صلوات الله عليه والمؤمنين.
- (٥) العالمين.

### أكل الحرام

#### الاكل لفة:

معروف، وقد تقدّم اشتقاقه في صفة «أكل الطيبات».

(١) نزهة الأعين النواظر (١٣٨-١٣٩)، بصائر ذوي التمييز (٢/ ١٠١).

## الحرام لغة:

الحرام: اسم لما حرّم، وهو مأخوذ من مادّة (ح ر م) التي تدلّ على المنع والتشديد، ومن ذلك: الحرام ضدّ الحلال، والحرّيم (في الأصل) ما حول البئر، يحرم على غير صاحبها أن يحفر فيه، والحرمان: مكّة والمدينة، سمّيا بذلك لحرمتهما، وأنه حرّم فيهما أن يحدث أو يؤوى محدث، والحرّيم: الذي حرّم مسّه فلا يدنى منه، والحرّيم أيضا: الثوب إذا حرّم لبسه، وكانت العرب إذا حجّوا ألقوا ما عليهم من ثيابهم فلم يلبسوها في الحرم، ويسمّى الثوب إذا حرّم لبسه الحرّيم. وقال الراغب: الحرام: الممنوع منه، إمّا بتسخير إلهي، كما في قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ [الفصص: ١٢] وإمّا بمنع قهريّ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢] وإمّا بمنع من جهة الشرع، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ [الأنعام: ١٤٥]<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ في الحديث القدسي: «يا عبادي إنني حرّمت الظلم على نفسي» فمعناه: تقدّست عنه وتعاليت، فهو في حقّه كالشيء المحرّم على الناس، والحرمة: ما لا يحلّ انتهاكه<sup>(٢)</sup>، وكذلك المحرمة والمحرمة (بفتح الرّاء وضمّها)، وحرمة الرّجل: حرمة وأهله، والحرم ضدّ الحلّ، كما أنّ الحرام ضدّ الحلال، والحرم قد يكون بمعنى الحرام، ونظيره: زمن وزمان، والمحرّم: الحرام، يقال: هو ذو محرّم منها إذا لم يحلّ له نكاحها، ومحارم الليل: مخاوفه التي يحرم على الجبان أن يسلكها، والتّحرّيم ضدّ التّحليل، يقال: حرم الشيء (بالضمّ) يحرم حرمة وحرما، وحرمة الشيء يحرمه حرما وحرمة وحرمة وحرمانا وأحرمه أيضا: إذا منعه إيّاه، وأحرم الرّجل: إذا دخل في حرمة لا تهتك، وأحرم: دخل في الشّهر الحرام، وأحرم بالحجّ والعمرة (دخل فيهما).

وقال ابن منظور: الحرّم (بالكسر)، والحرام: نقيض الحلال، ويقال: حرم عليه الشيء حرما وحراما، وحرم الشيء حرمة، والمحرّم: الحرام، والمحارم ما حرّم الله، وحرّم مكّة معروف، وهو حرم الله وحرّم رسوله ﷺ ويقال: بلد حرام، ومسجد حرام، وشهر حرام، والأشهر الحرم أربعة:

(١) ذكر الراغب (المفردات ١١٤)، نوعين آخرين هما: الحرام بمنع من جهة العقل، والحرام بمنع من جهة من يرتسم (المرء) أمره، ولم يذكر أمثلة لكليهما، وانظر أيضا، بصائر ذوي التمييز (٢/ ٤٥٤)، ويمكن التمثيل للأول بتحريم الخبائث وللثاني بتحريم دخول مناطق معينة كأماكن الجيش مثلا.

(٢) انظر صفة: تعظيم الحرمات.

ثلاثة سرد أي متتابعة وواحد فرد، فالسرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم والفرد: رجب، وفي التنزيل العزيز ﴿مِنَهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾.

وجمع المحرم محارم ومحاريم ومحرمات والإحرام: مصدر أحرم الرجل يحرم إحراما إذا أهل بالحج أو العمرة وباشرا أسبابهما<sup>(١)</sup>.

#### الحرام اصطلاحا:

قال الكفوي: الحرام: ما استحقّ الذمّ على فعله، وقيل: ما يثاب على تركه بنية التقرب إلى الله تعالى.

وقيل: الحرام عامّ فيما كان ممنوعا عنه بالقهر والحكم وقيل: هو: ما ثبت المنع عنه بلا أمر معارض له<sup>(٢)</sup>.

وقال المناوي: الحرام: الممنوع منه إما بتسخير إلهي أو بشري وإما بمنع من جهة العقل أو الشرع أو من جهة من يرتسم أمره<sup>(٣)</sup>.

#### أكل الحرام اصطلاحا:

هو تناول ما يثاب على تركه تقربا لله تعالى من الأطعمة ونحوها مما ثبت المنع عنه<sup>(٤)</sup>.

#### تناول الحرام:

حكم تناول الحرام العقاب بالفعل، والثواب بالترك إذا كان هذا الترك لله تعالى، لا بمجرد الترك وإلا لزم أن يكون لكلّ أحد في كلّ لحظة ثوبات كثيرة بحسب كلّ حرام لم يصدر عنه<sup>(٥)</sup>، وذكر الماوردي أنّ المحرمات التي يمنع الشرع منها، واستقرّ التكليف عقلا<sup>(٦)</sup> أو شرعا بالنهي عنها تنقسم - بحسب الحكم - إلى قسمين:

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٤٦)، المفردات للراغب (١١٤)، النهاية لابن لأثير (١/ ٣٧٤)، الصحاح (٥/ ١٨٩٨)، لسان العرب (حرم) (٨٤٤) وما بعدها. ط. دار المعارف.

(٢) انظر هذه التعريفات في: الكليات (ص ٤٠٠ - ٤٠٤).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (ص ١٣٧)، وقد ذكر الفيروز آبادي في البصائر (٢/ ٤٥٤) نحو من هذا التعريف، وكلاهما ناقل عن الراغب (انظر مفردات الراغب ص ١١٤)، وقد تصحّفت كلمة الشرع على المناوي فذكرها «البشرية» ولا معنى لها هنا، وقد أثبتنا الصواب اعتمادا على المفردات.

(٤) استخلصنا هذا التعريف من جملة أقوال المفسرين وعلماء الاصطلاح فيما يتعلق بالأكل والتناول.

(٥) الكليات للكفوي (ص ٤٠٤).

(٦) المراد بالعقل هنا ما ثبتت حرمة بدليل عقلي كالقياس مثلا.

الأول: ما تكون النفوس داعية إليها، والشهوات باعثة عليها كالسِّفاح وشرب الخمر، فقد زجر الله عنها لقوة الباعث عليها وشدة الميل إليها بنوعين من الزجر: أحدهما عاجل يرتدع به المجترى على حدود الله، والآخر: وعيد آجل يزدجر به التقي.

الثاني: ما تكون النفوس نافرة منها، والشهوات مصروفة عنها كأكل الخبائث والمستقذرات، وشرب السموم المتلفات وهذه اقتصر المولى سبحانه في الزجر عنها بالوعيد وحده دون الحد<sup>(١)</sup>.

### لفظ «الحرام» في القرآن الكريم:

قال الفيروز آبادي. ورد الحرام في القرآن على عشرة أوجه:

الأول: حرام المناكحة ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ [النساء: ٢٣] الآية.

الثاني: حرام الفسق والمعصية ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] ﴿ أَتَأْكُلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

الثالث: حرام العجائب والمعجزة ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [القصص: ١٢].

الرابع: حرام العذاب والعقوبة ﴿ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيَّ الْكُفْرِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٠] ﴿ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾ [المائدة: ٧٢].

الخامس: حرام فسخ الشريعة ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ ﴾ [المائدة: ٣] إلى قوله ﴿ ذَلِكُمْ فَسْقٌ ﴾ [المائدة: ٣].

السادس: حرام الحرمان والهلكة ﴿ وَحَرَّمَ عَلَى قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ [الأنبياء: ٩٥].

السابع: حرام الشهوة والهوى ﴿ وَأَنعَمُ حَرَّمَ ظُهُورَهَا ﴾، ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَيَّ أَزْوَاجِنَا ﴾.

[الأنعام: ١٣٨، ١٣٩]

الثامن: حرام النذر والمصلحة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ [التحریم: ١] ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ [آل عمران: ٩٣].

التاسع: حرام الحظر والإباحة ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ﴾ [المائدة: ٩٦].

(١) بتصرف يسير عن: أدب الدنيا والدين (١٠١).

العاشر: حرام التّوقير والحرمة<sup>(\*)</sup> ﴿رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَمَهَا﴾ [النمل: ٩١]<sup>(١)</sup>.  
 [للاستزادة: انظر صفات: انتهاك الحرمات - التطفيف - الربا - السرقة - الغش - الغلول -  
 الخداع - التناجش.  
 وفي ضد ذلك: انظر صفات: أكل الطيبات - العصيان - الأمانة - التقوى - العمل - العفة -  
 النزاهة].

\*\*\*

### من مضار (أكل الحرام)

- (١) حرمان إجابة الدّعاء.
- (٢) دليل على خسة النّفس ودناءتها.
- (٣) طريق مؤدّ إلى النّار وغضب الجبّار.
- (٤) يورث البعد عن الله، والمقت من النّاس.
- (٥) أكل الحرام يحبط ثواب العمل الصّالح والكلم الطيّب.
- (٦) دليل على ضعف الدّين وعدم اليقين.
- (٧) ضياع الحقوق بين النّاس.
- (٨) أكل الحرام ضارّ بالأبدان والعقول.

### الإلحاد

#### الإلحاد لغة:

مصدر قولهم: ألحد يلحد، وهو مأخوذ من مادّة (ل ح د) التي تدلّ على ميل عن الاستقامة، يقال ألحد الرّجل: إذا مال عن طريقة الحقّ والإيمان، وسمّي اللّحد لحداً لأنّه مائل في أحد جنبي الجذث (القبر).  
 والملتحد: الملتجأ، سمّي بذلك لأنّ اللّاجيء يميل إليه، وقال الرّاعب: لحد بلسانه إلى كذا: مال.

(\*) وهذا النوع يأتي على وجوه: الأوّل - وصف المسجد بالحرام لتدخّلنّ المسجد الحرام، الثّاني: نعت الأشهر بالحرام الشّهريّ الحرام بالشّهريّ الحرام، الثّالث: دعاء البيت بالحرام جعل الله الكعبة البيّت الحرام.  
 (١) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٢/ ٤٥٤، ٤٥٥).

وقال الجوهري: وألحد فلان: مال عن الحق، وألحد في دين الله، حاد عنه وعدل، ولحد لغة فيه، وألحد الرجل: أي ظلم في الحرم، والتحد مثله، وأصله من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥] والباء في (بالحداد) زائدة. الملحد: الجائر بمكّة، وقال ابن منظور: لحد في الدين يلحد، وألحد مال وعدل، وقيل: لحد مال وجار. وقال ابن السكيت: الملحد: العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه، يقال: قد ألحد في الدين ولحد أي حاد عنه. وروي: لحدت: ملت، وألحدت: ماريت وجادلت وألحد: ماري وجادل، ومعنى الإلحاد في اللغة الميل عن القصد. ولحد علي في شهادته يلحد لحداد: أثم. ولحد إليه بلسانه: مال<sup>(١)</sup>.

وقال أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿لَسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، قرأها حمزة من «لحد» ثلاثياً، وقرأ باقي السبعة بضم الياء وكسر الحاء من «ألحد» رباعياً، وهما بمعنى واحد<sup>(٢)</sup>، يقال: ألحد القبر ولحدته إذا أمال حفره عن الاستقامة، فحفر في شق منه، ثم استعير لكل إمالة عن الاستقامة، والمعنى: لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أعجمي غير بين<sup>(٣)</sup>.

### الإلحاد في الحرم:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، الإلحاد هنا: قيل الشرك، وقيل: الشرك والقتل، والمراد الميل بالظلم، وقيل معناه: صيد حمامة، وقطع شجرة ودخوله في غير إحرام وقال بعضهم: هذا الشرك بالله وعبادة غيره في الحرم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما المعنى: أن تستحل من الحرام ما حرم الله عليك من قتل من لم يقتل، وظلم من لم يظلم وقيل: هو احتكار الطعام بمكّة.

وقال النيسابوري: المعنى: ومن يرد فيه مراداً ما جائراً عادلاً عن القصد ظالماً، وتدل هذه الآية الكريمة على أن الإنسان يعاقب على ما ينويه من المعاصي بمكّة وإن لم يعملها، وقد روي عن ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما لو همّ رجل بقتل رجل وهو في هذا البيت، وهو بعدن أبين (مكان

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٢٣٦)، المفردات في غريب القرآن (٤٤٨)، الصحاح (٢/ ٥٣٤) النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٣٦)، واللسان «لحد» (٣/ ٣٨٨) (ط. بيروت).

(٢) وقيل معنى (لحد): مال، ومعنى (ألحد) اعترض (انظر اللسان (٣/ ٣٨٨)).

(٣) تفسير البحر المحيط (٥/ ٥١٩).

بأقصى اليمن) لعذبه الله. وهذا الإلحاد والظلم يجمع المعاصي من الكفر إلى الصغائر فلعظم حرمة المكان توعّد الله على نيّة السيئة فيه، ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب عليها إلا في مكّة<sup>(١)</sup>.

### الإلحاد في أسمائه تعالى:

وقال الفيروز آبادي في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وذلك يكون على وجهين: أحدهما أن يوصف بما لا يصح وصفه، والثاني: أن يتأول أوصافه على ما لا يليق له<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «الإلحاد في أسمائه تعالى أنواع:

أحدها: أن تسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهها وهذا إلحاد حقيقة فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبا، وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

والثالث: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدّس من النقائص كقول أخصاب اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم: يد الله مغلوله، وأمثال ذلك ممّا هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها، ووجد حقائقها كقول الجهمية ومن تبعهم: إن أسماءه تعالى ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، هذا من أعظم الإلحاد فيها عقلا ولغة وشرعا وفطرة وهو مقابل للإلحاد المشركين.

خامسها: تشبيه صفاته تعالى بصفات خلقه فهو إلحاد في مقابله إلحاد المعطلة تعالى الله عن إلحادهم علوا كبيرا<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير الطبري (١٧ / ١٠٤)، وتفسير القرطبي (١٢ / ٢٤)، وروايت الفرقان للنيسابوري (مطبوع بهامش الطبري) (١٧ / ٨١).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٤ / ٤٢١).

(٣) لواع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للشيخ محمد ابن أحمد السفاريني (١ / ١٢٨).

**الإلحاد في آيات الله:**

قال القرطبي: الإلحاد في الآيات: الميل عن الحق في أدلة الله ﷻ التي تنزل بها الذكر الحكيم، وهذا يرجع إلى الذين قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]، وهم الذين قالوا: ليس القرآن من عند الله، أو هو سحر أو شعر، فالآيات: آيات القرآن.

وقال مجاهد: يلحدون في آياتنا، أي عن تلاوة القرآن بالمكاء والتصدية واللغو والغناء. وقال ابن عباس: هو تبديل الكلام ووضع في غير موضعه. وقال السدي: يعاندون ويشاققون، وقال ابن زيد: يشركون ويكذبون. وقال: المعنى متقارب، وقيل: إن الآية نزلت في أبي جهل، ومن قال إن الآيات: هي المعجزات فهذا راجع إلى المعنى الأول لأن القرآن الكريم معجز<sup>(١)</sup>.

**الإلحاد اصطلاحاً:**

قال الكفوي: الإلحاد هو الميل عن الحق<sup>(٢)</sup>، وهذا أقرب إلى أن يكون تعريفاً لغوياً، ومن الممكن أن نقبس مما ذكره المفسرون تعريفاً اصطلاحياً فنقول: الإلحاد: هو الميل عن الحق والعدول عنه فيما يتعلق بأسماء الله تعالى أو بيته الحرام أو بآياته الكرام في دلالتها أو فيمن تنزلت عليه.

**أنواع الإلحاد:**

الإلحاد ضربان، أحدهما: إلى الشرك بالله، والثاني: إلحاد إلى الشرك بالأسباب. فالأول ينافي الإيمان ويبطله، والثاني يوهن عراه ولا يبطله<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاعوجاج - الردة الزندقة - الشرك - انتهاك الحرمات - الغي والإغواء - الكفر.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإسلام - الاستقامة - الإيمان - الطاعة - تعظيم الحرمات - التوحيد].

\*\*\*

(١) تفسير القرطبي (١٥ / ٢٣٨) باختصار وتصرف يسير.

(٢) الكليات (٤٩٠).

(٣) المفردات للراغب (٤٤٨) وانظر التوقيف على مهمات التعاريف (٦١٨).

## من مضار (الإلحاد)

- (١) الإلحاد ينافي الإيمان ويطله ويؤدّي إلى سيجزيهم الخسران والنكال.  
 سوء العقابة في الدنيا والآخرة. (٣) الإلحاد طريق مؤدّ إلى غضب الله ورسوله.  
 (٢) تهدّد الله الملحدّين في أسمائه بأنّه

## الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف

**المنكر لغة:** (انظر صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

**المعروف لغة:** (انظر صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

**الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف اصطلاحاً:**

لم تذكر كتب المصطلحات التي بين أيدينا تعريفاً خاصاً بهذه الصّفة الذميمة التي هي سمة المنافقين.

بيد أنّه يمكن تعريفها اعتماداً على ما ذكره من تعريف للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فنقول:

**الأمر بالمنكر:** هو الإرشاد إلى المسالك المهلكة، أو هو: الأمر بما يخالف الكتاب والسنة، أو هو: تحسين ما تنفّر عنه الشريعة والعفة وهو ما لا يجوز في شرع الله تعالى.

وقال الرّازي ما خلاصته: هو الأمر بكلّ قبيح، وأعظم القبيح تكذيب رسول الله ﷺ.

**النهي عن المعروف اصطلاحاً:**

هو الزجر عمّا يلائم الشريعة، أو هو النهي عمّا يوافق الكتاب والسنة، أو هو تقبيح ما يرضي الله تعالى من أقوال العبد وأفعاله.

وقال الرّازي: هو النهي عن كلّ حسن، وأعظم ذلك النهي عن الإيمان بالرسول ﷺ<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الغي والإغواء- الإعراض- التخاذل- التهاون- الكسل-

الإهمال.

(١) استخلصنا هذه التعريفات مما ذكره الجرجاني في كتاب التعريفات (٣٧) من تعريف للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما ذكره الفخر الرازي في التفسير الكبير.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - الإرشاد - الإنذار - التبليغ - التذكير - النصيحة - الوعظ - الإنصاف].

\*\*\*

### من مضار (الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف)

- (١) في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف طريق مؤدّ إلى سخط الله وغضبه، ومن ثمّ هلاك العباد، وخراب الديار والبلاد. حلول العقاب والانتقام.
- (٢) إشاعة الفاحشة والمعاصي واستباحة (٤) أن من يأمر بالشيء ولا يفعله لا يقبل منه الأعراض والأموال. ولا يستمع إليه، فضلا عن سوء عاقبته وخاتمته.
- (٣) الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف

### الإمعة

#### الإمعة لغة:

الهمزة والميم والعين ليس بأصل، فقد اقتصر على معنى كلمة الإمعة فقط وأصلها «مع» والألف زائد، يقول ابن فارس: «الهمزة والميم والعين ليس بأصل، والذي جاء فيه رجل إمعة، وهو الضعيف الرأي القائل لكلّ أحد أنا معك... والأصل مع والألف زائدة».

ويقول الجوهري: «رجل إمع وإمعة أيضا للذي يكون لضعف رأيه مع كلّ أحد، وقول من قال: امرأة إمعة، غلط، لا يقال للنساء ذلك، وقد حكي ذلك عن أبي عبيد».

وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا في الجاهلية نعدّ الإمعة الذي يتبع الناس إلى الطعام من غير أن يدعى، وإنّ الإمعة فيكم اليوم المحقّب دينه. قال أبو عبيد: والمعنى الأول يرجع إلى هذا ويقال: الإمعة، والإمّع، بكسر الهمزة وتشديد الميم: الذي لا رأي له ولا عزم فهو يتابع كلّ أحد على رأيه ولا يثبت على شيء، والهاء فيه للمبالغة، وفي الحديث: «اغد عالما أو متعلّما، ولا تكن إمعة»، ولا نظير له إلا رجل إمّر، وهو الأحمق.

قال الأزهري: وكذلك الإمرة، وهو الذي يوافق كلّ إنسان على ما يريد.

يقول الليث: رجل إمعة يقول لكلّ أحد: أنا معك، ورجل إمّع وإمعة للذي يكون لضعف

رأيه مع كل أحد، ومنه قول ابن مسعود: لا يكونن أحدكم إمعة، قيل: وما الإمعة؟ قال: الذي يقول: أنا مع الناس. قال ابن بري: أراد ابن مسعود بالإمعة الذي يتبع كل أحد على دينه. والإمعة: المتردد في غير ما صنعة، والذي لا يثبت إخواؤه، ورجال إمعون، ولا يجمع بالألف والتاء<sup>(١)</sup>.

### الإمعة اصطلاحاً:

قال ابن الأثير: الإمعة الذي لا رأي له، فهو يتابع كل أحد على رأيه، وقيل: هو الذي يقول لكل أحد أنا معك<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: صغر الهمة - الضعف - الوهن - الذل - التخاذل - الكسل - التهاون - الإهمال.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: قوة الإرادة - الرجولة - علو الهمة - القوة - المسؤولية - النشاط - المروءة - النظام - العمل].



### من مضار (الإمعة)

- (١) تدل على ضعف الشخص عقلياً ودينيًا. (٥) توقع في مهاوي الضلالة.
- (٢) يعيش الإمعة ذليلاً.
- (٣) الإمعة منبوذ من الله ثم من الناس. فيعيش عالة على المجتمعات الأخرى، ويضعف الإنتاج الفكري والمادي.
- (٤) تساعد على وجود أشخاص بلا قيمة في المجتمع.

### الأمن من المكر

### الأمن لغة:

تدور مادة «أمن» حول معنيين: الأمانة، والتصديق، يقول ابن فارس الهمزة والميم والنون

(١) المقاييس (١ / ١٣٩)، والصحاح (٤ / ١١٨٣)، والقاموس المحيط (٣ / ٢)، ولسان العرب (٨ / ٣-٤).

(٢) النهاية لابن الأثير (١ / ٦٧).

أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق.

**فمن الأول:** الأمانة من الأمن، والأمان إعطاؤه، والأمانة ضدّ الخيانة. يقال: أمنت الرجل أمنا وأمنة، وأمانا، وأمني يؤمني إيماننا، والعرب تقول: رجل أمان، إذا كان أميناً...

**ومن الثاني:** التصديق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي مصدق لنا. ويقول الراغب: أصل الأمن طمأنينة النفس، وزوال الخوف. والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يؤمن عليه الإنسان نحو قوله: ﴿وَتَخَوُّنُوا أَمْنَكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧] أي ما ائتمتم عليه.

وقال ابن منظور: الأمن نقيض الخوف، أمن فلان يأمن أمنا وأمنا. حكى هذا الزجاج، وأمنة وأمانا فهو آمن.

**والأمنة:** الأمن، وفي حديث نزول المسيح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام: «وتقع الأمانة في الأرض» أي الأمن، يريد أن الأرض تمتلأ بالأمن فلا يخاف أحد من الناس والحيوان. وفي الحديث: «التجوم أمنة، فإذا ذهب التجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى الأمة ما توعد»<sup>(١)</sup>.

**المكر لغة واصطلاحاً:** (انظر صفة المكر).

#### **الأمن من المكر اصطلاحاً:**

قال ابن حجر: الأمن من مكر الله تعالى يتحقق بالاسترسال في المعاصي مع الاتكال على الرحمة<sup>(٢)</sup>.

وقيل: هو الاسترسال على المعاصي اتكالا على عفو الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

#### **حقيقة مكر الله:**

قال الراغب: مكر الله تعالى: صفة حقيقية على ما يليق بجلال الله وكماله ومن لوازمها إمهال العبد وتمكينه من أعراض الدنيا، ولذلك قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من وسّع عليه في دنياه ولم

(١) لسان العرب (٣١ / ٢١).

(٢) الزواج (١ / ٨٦).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٩ / ٢٥).

يعلم أنه مكر به فهو مخدوع عن عقله<sup>(١)</sup>، وقال ابن منظور: قال أهل العلم بالتأويل: المكر من الله تعالى جزاء سمي باسم مكر المجازي، كما قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] فالثانية ليست بسَيِّئَةٍ في الحقيقة ولكنها سميت سَيِّئَةً لاذواج الكلام، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعْدَدُوا عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤] فالأول: ظلم، والثاني: ليس بظلم، ولكنه سمي باسم الذنب ليعلم أنه عقاب عليه، ويجري مجرى هذا القول قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

وفي حديث الدعاء: اللهم امكر لي، ولا تمكر بي، قال ابن الأثير: مكر الله إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه، وقيل: هو استدراج العبد بالطاعات فيتوهم أنها مقبولة وهي مردودة<sup>(٢)</sup>.

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩]. أي عذابه وجزاءه على مكرهم، وقيل مكره: استدراجه بالنعمة والصحة<sup>(٣)</sup>.

وأما قوله ﷻ: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] فهو من باب المقابلة على حدّ ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، وقوله سبحانه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] ومعنى المقابلة أنه لا يجوز أن يوصف تعالى بالمكر إلا لأجل ما ذكر معه من لفظ آخر مسند لمن يليق به.

وردّ بأنّه جاء وصف الله تعالى به من غير مقابلة في قوله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩] على أن المكر<sup>(٤)</sup> ربّما يصحّ اتصافه تعالى به، إذ هو لغة: السّتر، يقال: مكر الليل أي ستر بظلمته ما هو فيه، ويطلق أيضا على الاحتيال والخداع والخبث، وبهذا الاعتبار عبّر عنه بعض اللغويين بأنّه السّعي بالفساد، وبعضهم بأنّه صرف الغير عمّا يقصد بحيلة، وهذا الأخير إمّا محمود بأن يتخيّل في أن يصرفه إلى خير، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] وإمّا مذموم بأن يتخيّل به أن يصرفه إلى شرّ ومنه ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]<sup>(٥)</sup>.

(١) المفردات للراغب: (ص ٤٧١).

(٢) لسان العرب (مكر) ص ٤٢٤٧ (ط. دار المعارف).

(٣) تفسير القرطبي ٧ / ٩٧.

(٤) بل هو وصف ثابت لله ﷻ على ما يليق بجلاله كما مرّ.

(٥) الزواجر (ص ١١٢، ١١٣) وانظر لسان العرب: مادة (مكر).

## الأمن من مكر الله كبيرة من الكبائر:

كان ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». وفي رواية: «فقالوا: يا رسول الله أتخاف؟. قال: «إن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء» فهو يصرفها أسرع من ممرِّ الرِّيح على اختلاف في القبول والردِّ والإرادة والكرهية وغير ذلك من الأوصاف. وفي التنزيل: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ أي بينه وبين عقله حتى لا يدري ما يصنع، قاله مجاهد. ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ن: ٣٧] أي عقل. واختار الطبراني أن معنى تلك الإحالة إعلام العباد بأنه أملك لقلوبهم منهم، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء حتى لا يدرك أحد شيئاً إلا بمشيئته تعالى. ولما كان ﷺ يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء فهل تخشى؟. قال: «وما يؤمننا يا عائشة- وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن- إذا أراد أن يقلب قلب عبده قلبه؟». وقد أثنى تعالى على الراسخين في العلم. بقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]. في هذه الآية دلالة ظاهرة على أحقيّة ما ذهب إليه أهل السنّة من أن الزيغ والهداية بخلق الله وإرادته، بيان ذلك أن القلب صالح للمثل إلى الخير والشرّ، ومحال أن يميل إلى أحدهما بدون داعية، فإن كان داعية الكفر فهو الخذلان والإزاعة والصدّ والختم، وإن كان داعية الإيمان فهو التوفيق والإرشاد والهداية والتسديد والتثبيت والعصمة وغير ذلك من الألفاظ الواردة في القرآن.

ومما يحذرك أيضا من أمن المكر استحضارك قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها». وفي حديث البخاري: «إن العبد ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم». ولا يتكل على ذلك، فإن الصحابة- رضوان الله عليهم- لما قالوا عند سماع ذلك ففيم العمل يا رسول الله أفلا نتكل على كتاب أعمالنا؟. قال لهم: «بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرَهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ يَجْهَلُ وَاسْتَعْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرَهُ لِّلْعُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥-١٠] (١).

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١١١) بتصرف.

[للاستزادة: انظر صفات: التهاون- الإعراض- الطمع- القسوة- التخاذل- التفريط والإفراط- الكسل- العتو- الغرور.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: تذكر الموت- الخشية- الخوف- محاسبة النفس- المراقبة- مجاهدة النفس- الحذر].

\*\*\*

### من مضار (الأمن من المكر)

- (١) أنها تجعل المؤمن غافلاً عن طاعة الله (٣) الأمن من مكر الله طريق يؤدي إلى جهنم ورضوانه.  
(٢) إذا أمن المؤمن مكر الله لم يراقب الله في (٤) لا يأمن من مكر الله إلا القوم الخاسرون. تصرفاته ويرتع في الدنيا كالبهائم.

### الانتقام

#### الانتقام لغة:

مصدر قولهم: انتقم ينتقم، وهو مأخوذ من مادة (ن ق م) التي تدور حول إنكار الشيء وعييه.

يقول ابن فارس: «النون والقاف والميم أصل يدل على إنكار شيء وعييه. ونقمت عليه أنقم: أنكرت عليه فعله، والنقمة من العذاب والانتقام، كأنه أنكرك عليه فعاقبه» فالعقوبة ناتجة عن الإنكار، يقول الراغب: نقمت الشيء، ونقمته إذا أنكرته إما باللسان وإما بالعقوبة، قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٧٤].. والنقمة: العقوبة.

وقيل: النقمة والنقمة: المكافأة بالعقوبة، والجمع نقم ونقم، فنقم لنقمة، ونقم لنقمة. وقال الليث: يقال لم أرض منه حتى نقمت وانتقمت إذا كافأه عقوبة بما صنع. قال ابن الأعرابي: النقمة العقوبة، والنقمة الإنكار. وقوله تعالى: هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا أَي هل تنكرون. وفي الحديث: «أنه ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك محارم الله» أي ما عاقب أحدا على مكروه أتاه من قبله.

ونقمت الأمر ونقمته إذا كرهته. وانتقم الله منه أي عاقبه، والاسم منه النقمة، والجمع نقمات

ونقم مثل كلمة وكلمات، وكلم. وفي التنزيل العزيز: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقْمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٩] قال أبو إسحاق: يقال نقت على الرجل أنقم ونقت عليه أنقم، قال: والأجود نقت أنقم، وهو الأكثر في القراءة.

قال ابن بري: يقال: نقت نقما ونقوما ونقمة، ونقمة، ونقت: بالغت في كراهة الشيء. من أسمائه سبحانه: المنتقم، وهو البالغ في العقوبة لمن شاء، وهو مفتعل من نقم ينقم إذا بلغت به الكراهة حد السخط<sup>(١)</sup>.

#### المنتقم من أسماء الله تعالى:

قال الغزالي: المنتقم: هو الذي يقصم ظهور العتاة، وينكّل بالجناة، ويشدّد العقاب على الطّغاة، وذلك بعد الإعدار والإنذار، وبعد التّمكّن والإمهال وهو أشدّ للانتقام من المعالجة بالعقوبة، فإنّه إذا عوجل بالعقوبة لم يمعن في المعصية، فلم يستوجب العاصي غاية النكال في العقوبة<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن منظور: المنتقم هو البالغ في العقوبة لمن شاء، وهو على وزن مفتعل من نقم ينقم: إذا بلغت به الكراهة حد السخط<sup>(٣)</sup>.

وقال الزّجاج: النّمة كراهة يضامها سخط فمن كره أمرا من الأمور مع سخط منه له فهو ناقم<sup>(٤)</sup>، وقد كره الله تعالى أمورا وسخط أمورا فهو نقم عليها ومنتقم منها.

وقال العزّ بن عبد السلام: المنتقم: هو المعذّب لمن يشاء من عباده عدلا<sup>(٥)</sup>.

#### الانتقام اصطلاحاً:

إنزال العقوبة مصحوباً بكراهية تصل إلى حد السخط<sup>(٦)</sup>.

(١) المقاييس (٥ / ٤٦٤) والمفردات (٥٠٤) والتهذيب (٩ / ٢٠٢). لسان العرب (١٢ / ٥٩٠ - ٥٩١)، وانظر: مختار الصحاح (٨ / ٦١)، والنهية في غريب الحديث (٥ / ١١٠، ١١١).

(٢) المقصد الأسنى للغزالي (١٢٤).

(٣) لسان العرب (نقم) (٤٥٣١) ط. دار المعارف.

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للزّجاج (٦٣) (بتصرف) وقد ورد بالأصل منتقم والصواب ما أثبتناه.

(٥) شجرة المعارف والأحوال (٣٦).

(٦) اقتبس هذا التعريف مما ذكره اللغويون ومفسرو أسماء الله الحسنى.

## أنواع الانتقام:

الانتقام يكون أحياناً محموداً، وأحياناً مذموماً، فهو محمود لمن ابتلي بشيء من الولايات بأن يكون ذلك من الجناة الذين ينتهكون محارم الله بالحدود والتعزيرات والعقوبات المشروعات، ويكون مذموماً إذا تعلّق الأمر بالأفراد، إذا أصيبوا بالأذى لأنّ فيه تركاً للتخلّق بالعرف الذي أمرنا بالتخلّق به لما فيه من الإحسان إلى المسيء واقتداء بسنة المصطفى ﷺ الذي لم ينتقم لنفسه قطّ، وإنّما كان ذلك منه إذا انتهكت حرّيات الله<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الأذى - الإساءة - العدوان - النقمة - البغي - الإرهاب - الإجرام - القسوة الفجور - الطغيان - العتو - الحرب والمحاربة.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإحسان - الصفح - العفو - كظم الغيظ - المروءة - التقوى - الاستقامة - السلم - الطاعة].

\*\*\*

## من مضار (الانتقام)

- (١) صفة ذميمة يبغضها الله ورسوله. إلّا خسيس لئيم.
- (٢) إذا انتقم العبد ظلماً وعدواناً انتقم الله منه. (٥) الانتقام أقرب إلى الظلم، ومن استمرأه (٣) يورث الأحقاد والضغائن بين الناس. صار في عداد الظالمين.
- (٤) الانتقام لا يأتي من نبيل كريم ولا يفعله (٦) الذي ينتقم ممّن هو دونه لا يأمن من انتقام من هو فوقه.

## انتهاك الحرّيات

## الانتهاك لغة:

مصدر انتهاك ينتهك، وهو مأخوذ من مادّة (ن هـ ك) التي تدلّ على: إبلاغ في عقوبة وأذى. يقال: نهكته الحمى: نقصت لحمه، وأنهكه الشيطان عقوبة: بالغ، قال ابن فارس: ومن

(١) شجرة المعارف والأحوال (مجانبة الانتقام (١٨٣)، والتخلّق بالانتقام (٣٦)).

الباب: انتهاك الحرمة وهو: تناولها بما لا يحلّ، وفي حديث ابن عباس أنّ قوما قتلوا فأكثرُوا، وزنوا، وانتهكوا: أي بالغوا في خرق محارم الشّرع وإتيانها، والانتهاك في حديث أبي هريرة.. «تنتهك ذمّة الله وذمّة رسوله» يريد نقض العهد، والغدر بالمعاهد.

وقال ابن منظور: التّنهك التّنقص، يقال نهكته الحمّى ونهكته (بفتح الهاء وكسرهما) نهكا والتّنهك: المبالغة في كلّ شيء، ومن ذلك قوله ﷺ للخافضة: «أشمي ولا تهكي»: أي لا تبالغي في استقصاء الختان، والنّاهك والنّهيك: المبالغ في جميع الأشياء ويقال: نهك الشيء وانتهكه: جهده، وفي الحديث: «انهكوا الأعقاب أو لتنهكنّها النّار». أي بالغوا في غسلها وتنظيفها في الوضوء. ونهك العرض: المبالغة في شتمه<sup>(١)</sup>.

**الحرّمات لغة واصطلاحاً:** (انظر صفة تعظيم الحرّمات).

#### انتهاك الحرّمات اصطلاحاً:

قال ابن الأثير: الانتهاك: المبالغة في خرق محارم الشّرع وإتيانها<sup>(٢)</sup>، ولما كانت الحرّمات: ما نهى الله عنه من معاصيه كلّها، أو هي كلّ ما أوصى بتعظيم أمره فإنّ انتهاك الحرّمات يعني: المبالغة في خرق وإتيان أيّ ممّا أوصى الله بتعظيم أمره، وارتكاب ما نهى عنه من معاصيه كلّها<sup>(٣)</sup>.

#### انتهاك الحرّمات واحتقارها:

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: لم يقدر الله حقّ قدره من هان عليه أمره فعصاه، ونهيه فارتكبه، وحقّه فضيعه، وذكره فأهمله، وغفل قلبه عنه، وكان هواه أثر عنده من طلب رضاه، وطاعة المخلوق أهمّ من طاعته. فلهذا الفضلة من قلبه وقوله وعمله. هواه المقدم في ذلك كلّ. المهمّ أنّه يستخفّ بنظر الله إليه، وإطلاعه عليه، وهو في قبضته، وناصيته بيده، ويعظم نظر المخلوق إليه وإطلاعه عليه بكلّ قلبه وجوارحه يستحيي من النّاس ولا يستحيي من الله ويخشى النّاس ولا يخشى الله، ويعامل الخلق بأفضل ما يقدر عليه، وإنّ عامل الله عامله بأهون ما عنده وأحقّره، وإنّ قام في خدمة من يحبّه من البشر قام بالجدّ والاجتهاد، وبذل النّصيحة وقد أفرغ له

(١) مقاييس اللغة (٥ / ٣٦٤)، النهاية (٥ / ١٣٧ - ١٣٨)، الصحاح (٤ / ١٦١٢) ولسان العرب (نهك) (ص ٤٥٦ ط. دار المعارف).

(٢) النهاية (٥ / ١٣٧).

(٣) اقتبسنا هذا التعريف مما ذكره اللغويون والمفسرون متعلقاً بالانتهاك والحرّمات.

قلبه وجوارحه، وقدمه على كثير من مصالحه حتى إذا قام في حقّ ربّه قام قياماً لا يرضاه مخلوق من مخلوق مثله وبذل له من ماله ما يستحي أن يواجه به مخلوقاً مثله.

فهل قدر الله حقّ قدره من هذا وصفه؟ وهل قدره حقّ قدره من شارك بينه وبين عدوّه في محض حقّه من الإجلال والتّعظيم والطّاعة والذلّ والخضوع والخوف والرّجاء؟<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: أكل الحرام - إطلاق البصر - إفشاء السر - ترك الصلاة - الربا - الزنا - السرقة - شرب الخمر - الميسر - العصيان - البغي - الإسراف - التفريط والإفراط - التهاون - شهادة الزور - التبرج.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: تعظيم الحرمات - أكل الطيبات - غض البصر - كتمان السر - إقامة الشهادة - الاستقامة - العفة - حفظ الفرج - الستر - الحجاب].

\*\*\*

### من مضار (انتهاك الحرمات)

- (١) انتهاك الحرمات دليل على ضعف الإيمان (٤) انتهاك الحرمات طريق موصل إلى النار. وذهاب الحياء.
- (٢) التّعريض لغضب الله وأليم عذابه وهتك (٦) يجعل الناس خائفين غير آمنين على ستره وكشف عواره.
- (٣) تسلط الخلق عليه بأنواع الأذى والمضرة.

### الإهمال (\*)

#### الإهمال لغة:

مصدر قولهم: أهمل يهمل، وهو مأخوذ من مادّة (ه م ل) التي تدور حول التّرك والتّخلي، سواء كان عن عمد أو عن غير عمد. يقول ابن فارس «الهاء والميم واللام» أصل واحد، أهملت

(١) الداء والدواء (١٦٧، ١٦٨).

(\*) هذه صفة عامة يدخل فيها إهمال الإنسان وإهمال الحيوان أيضاً.

الشيء إذا خلّيت بينه وبين نفسه، والهمل: السدى، والهمل: المال لا مانع له، والهمل: التّرك، وقولهم: وما ترك الله النَّاس هملا: أي سدى بلا ثواب ولا عقاب، وقيل: لم يتركهم سدى بلا أمر ولا نهي، ولا بيان لما يحتاجون إليه.

والهمل أيضا: الإبل بلا راع مثل النَّفْس، إلا أنّ النَّفْس يكون في اللَّيْل، والهمل يكون في اللَّيْل والنَّهَار، وقد هملت الإبل تهمل (بالكسر) هملا فهي هامل وهملى: أي مهملة لا رعاء لها، ولا فيها من يصلحها ويهدئها، فهي كالضّالة ترعى بنفسها.

وفي المثل: اختلط المرعيّ بالهمل، والمرعيّ: الذي له راع. وفي الحديث: «فسألته عن الهمل، يعني الضّوال من النّعم، واحدها هامل، مثل حارس وحرس». وفي الحديث «فلا يخلص منهم إلا مثل همل النّعم». الهمل: ضوال الإبل ومن ذلك أيضا حديث طهفة «وكنّا نعم همل». قال ابن الأثير: أي مهملة لا رعاء لها ولا فيها من يصلحها ويهدئها فهي كالضّالة. وأمّا أهمله إهمالا فمعناه: خلّى بينه وبين نفسه.

أو معناه: تركه ولم يستعمله، ومنه الكلام المهمل، وهو خلاف المستعمل. وكذا قولهم: أهمل أمره يعني: لم يحكمه.

والهمل، بالتّسكين مصدر قولك هملت عينه تهمل وتهمل هملا وهملانا أي فاضت وانهملت مثله.

وهملت السّماء هملا وهملانا: دام مطرها في سكون وضعف<sup>(١)</sup>.

#### الإهمال اصطلاحاً:

لم تذكر كتب المصطلحات للإهمال سوى إشارات يسيرة من خلال ذكرها للفعل: أهمل، يقول الكفويّ: أهمله: خلّى بينه وبين نفسه، أو تركه ولم يستعمله<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال هذه الإشارة الموجزة نستنبط أنّ الإهمال قد يتعلّق بالإنسان أو بالأشياء، فالتّخلية من الإنسان ونفسه لا تكون إلا من إنسان آخر كأن يقال مثلاً: أهمل الوالد ابنه أو المدرّس تلميذه، أمّا ترك الاستعمال فيكون في الممتلكات التي يحرص عليها كأن يقال: أهمل

(١) المقاييس لابن فارس (٦/ ٦٧) الصحاح (٥/ ١٨٥٤ - ١٨٥٥)، لسان العرب (٨/ ٤٧٠١ - ٤٧٠٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/ ٢٧٤). تهذيب اللغة للأزهري، (٦/ ٣١٩).

(٢) الكليات (٢١١).

الإنسان بيته أو إبله أو ما شابه ذلك، ويكون المعنى حينئذ التَّرك وعدم الاستعمال، ويترتب على ذلك فساد في الشيء المهمل، وفي العصر الحديث اكتسب لفظ الإهمال أبعاداً جديدة فأصبح يستعمل في العمل دينياً أو دنيوياً كأن يقال مثلاً: أهمل في صلاته، وأهمل في مذاكرته أي لم يؤدِّهما على الوجه المطلوب، ونستطيع على ضوء ذلك أن نعرِّف الإهمال بأنه: ألا يراعى الإنسان ما تجب عليه رعايته على الوجه الأكمل بالتَّخلية أو التَّرك أو التَّقصير<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التخاذل - ترك الصلاة - التفريط والإفراط - الكسل - التهاون - الضعف - الوهن.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: العمل - النشاط النظام - القوة - قوة الإرادة - مجاهدة النفس - علو الهمة].

\*\*\*

### من مضار (الإهمال)

- (١) الإهمال يؤدِّي إلى ضياع الثروة وإفقار وفتورها يستتبع تمزُّقها.
- (٢) دليل على انعدام الإحساس أو بلادته.
- (٣) يؤدِّي إلى فتور العلاقات الاجتماعيَّة،
- (٤) يؤدِّي إلى شيوع الظلم وزيادة صولة
- (٥) ينتهي بصاحبه إلى الطرد من رحمة الله.
- (٥) المستبدِّين.

### البخل

#### البخل لغة:

مصدر قولهم: بخل بالشيء يبخل به، وهو مأخوذ من مادة (ب خ ل) التي تدلُّ على خلاف الكرم، والبخيل: ذو البخل، وجمعه بخل وبخال، وأبخلت الرجل: وجدته بخيلاً، ومنه قول عمرو بن معد يكرب: يا بني سليم لقد سألناكم فما أبخلناكم (أي فما وجدناكم بخلاء)، وبخلته: نسبته إلى البخل ورميته به مثل فسقته وكفرتة أي نسبته إلى الفسق والكفر، ومن مصادر بخل

(١) استخلصنا هذا التعريف من كتب اللغة ومما ذكره الكفوي.

أيضا: البخل والبخل والبخل، وقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ [النساء: ٣٧]، قيل: أريد بهم اليهود، وقيل: المنافقون، والمبخله: الشيء الذي يحملك على البخل، وفي الحديث: «الولد مجبنة مجهلة مبخله» أي أنه مظنة لأن يحمل أبويه على الجبن والجهل والبخل ويدعوهما إلى ذلك، مصداق ذلك ما ورد في الحديث الآخر: «إنكم لتبخلون وتجبنون» والبخله: المرّة الواحدة من البخل<sup>(١)</sup>.

### البخل اصطلاحاً:

قال الجرجاني في التعريفات: البخل: هو المنع من مال نفسه، والشحّ هو بخل الرجل من مال غيره.

وقيل: البخل ترك الإيثار عند الحاجة<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر في الفتح: البخل: منع ما يطلب ممّا يقتنى، وشره ما كان طالبه مستحقاً ولا سيّما إن كان من غير مال المسئول<sup>(٣)</sup>.

قال المناوي (تبعاً للراغب): البخل: إمساك المقتنيات عمّا لا يحلّ حبسها عنه، وصدّه: الجود<sup>(٤)</sup>.

وقال القرطبي: البخل المذموم في الشرع: هو امتناع (المرء) عن أداء ما أوجب الله تعالى عليه<sup>(٥)</sup>.

وقال الجاحظ: البخل: هو منع المسترفد (العطاء)، مع القدرة على رفده<sup>(٦)</sup>.

### حكم البخل:

قال الجاحظ: البخل خلق مكروه من جميع الناس، إلا أنه من النساء أقل كراهية، بل قد يستحبّ من النساء البخل (بمال أزواجهنّ إلا أن يؤذّن بالجود)، فأما سائر الناس فإنّ البخل

(١) انظر في ذلك: المفردات للراغب (٣٨)، وبصائر ذوي التمييز (٢ / ٢٢٧) النهاية في غريب الحديث (١ / ١٠٣)، والصحاح (٤ / ١٦٣٢)، ولسان العرب (١ / ٢٢٢) (ط: دار المعارف)، والقاموس المحيط (ص ٢٤٣) (ط: بيروت).

(٢) التعريفات (٤٢، ٤٣).

(٣) الفتح (١٠ / ٤٥٧).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (٧٢)، وأصل ذلك التعريف في المفردات للراغب (٣٨).

(٥) تفسير القرطبي (٥ / ١٢٦).

(٦) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٣٣).

يشينهم، وخاصة الملوك والعظماء، فإنَّ البخل أبغض منهم أكثر ممَّا هو أبغض من الرعيَّة والعوامِّ، ويقدر في ملكهم لأنَّه يقطع الأطماع منهم ويبغضهم إلى رعيَّتهم<sup>(١)</sup>.

### بين البخل والشح:

قال الكفوي: البخل هو المنع نفسه، والشح هو الحالة النفسية التي تقتضي ذلك المنع. وقال القرطبي: اختلف في البخل والشح هل هما بمعنى واحد أو معنيين؟ فقيل: البخل: الامتناع من إخراج ما حصل عندك، والشح: الحرص على تحصيل ما ليس عندك، وقيل: الشح هو البخل مع حرص، وهو الصحيح لما روي عنه صلى الله عليه وسلم من قوله: «اتقوا الشح؛ فإنَّ الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم، وهذا يرد قول من قال: إنَّ البخل منع الواجب، والشح منع المستحب، إذ لو كان الشح منع المستحب لما دخل تحت هذا الوعيد العظيم، ويؤيد ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه «.. لا يجتمع شح وإيمان في قلب رجل مسلم أبدا، وهذا يدل على أن الشح أشد في الذم من البخل<sup>(٢)</sup> إلا أنه قد جاء في الحديث ما يدل على مساواتهما، وذلك قوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل: أيكون المؤمن بخيلا؟ قال لا<sup>(٣)</sup> وقال: الفيروز آبادي: البخل ثمرة الشح، والشح يأمر بالبخل<sup>(٤)</sup>.

### أنواع البخل:

قال الراغب: البخل ضربان: أحدهما: بخل الإنسان بقنيات نفسه<sup>(٥)</sup>. والآخر: بخل بقنيات غيره، وهو أكثرهما ذمًا بدليل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [النساء: ٣٧]<sup>(٦)</sup>.

### البخل أصل لكل خلق مذموم:

قال الماوردي- رحمه الله تعالى-: قد يحدث عن البخل من الأخلاق المذمومة- وإن كان

(١) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٣٣).

(٢) الكلبيات (٣٤٢) وقد ذكر أن البخل يتضمن معنى الإمساك ولذلك يعدى أيضا ب «عن» و «على» لأنه إمساك عن مستحق.

(٣) تفسير القرطبي (٤ / ١٨٢).

(٤) بصائر ذوي التمييز (٢ / ٢٢٧).

(٥) قنيات نفسه: أي مقتنياته.

(٦) المفردات للراغب (٣٨)، وانظر بصائر ذوي التمييز (٢ / ٢٢٧).

ذريعة إلى كل مذمة - أربعة أخلاق، ناهيك بها ذمًا وهي: الحرص، والشرة، وسوء الظن، ومنع الحقوق، وإذا آل البخل إلى ما وصفنا من هذه الأخلاق المذمومة، والشيم اللثيمة لم يبق معه خير موجود ولا صلاح مأمول<sup>(١)</sup>.

وقال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : إن الجميع يتمادحون بالشجاعة والكرم، حتى إن ذلك عامة ما تمدح به الشعراء ممدوحهم في شعرهم، وكذلك يتدأمون بالبخل والجبين. ثم قال: ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم وديناهم إلا بالشجاعة والكرم، بين الله سبحانه أنه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك، ومن تولى عنه بإنفاق ماله أبدل الله به من يقوم بذلك. فقال: ﴿هَاتَمْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]<sup>(٢)</sup>.

### درجات البخل:

قال ابن قدامة المقدسي - رحمه الله تعالى - : اعلم أن السخاء والبخل درجات: فأرفع درجات السخاء الإيثار، وهو أن تجود بالمال مع الحاجة إليه وأشدّ درجات البخل: أن يبخل الإنسان على نفسه مع الحاجة إليه، فكم من بخل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى، ويشتهي الشهوة فيمنعه منها البخل، فكم بين من بخل على نفسه مع الحاجة، وبين من يؤثر على نفسه مع الحاجة.

فالأخلاق عطايا يضعها الله ﷻ حيث يشاء<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الشح - الأثرة - اتباع الهوي - الكنز - التعاون على الإثم والعدوان.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإنفاق - الإيثار - الجود - السخاء - الكرم - الصدقة - التعاون على البر والتقوى - الإحسان - صلة الرحم - البر].

\*\*\*

(١) أدب الدنيا والدين (٢٢٨).

(٢) الاستقامة (٢/ ٢٦٣).

(٣) مختصر منهاج القاصدين (٢٠٥، ٢٠٦) باختصار.

## من مزار (البخل)

- (١) البخل لا يجتمع مع الإيمان. (٥) دليل على قلة العقل وسوء التدبير.
- (٢) أصل لنقائص كثيرة، ويدعو إلى خصال (٦) مهلك للإنسان ومدمر للأخلاق. ذميمة.
- (٣) البخل مكره من الله ﷻ، ومبغوض من (٨) ليس من صفات الأنبياء الأصفياء ولا الناس.
- (٤) دليل على سوء الظن بالله ﷻ. (٩) البخل محروم في الدنيا مؤاخذ في الآخرة.
- السادة الشرفاء.

## البذاءة

## البذاءة لغة:

البذاءة مثل البذاء، كلاهما مصدر لقولهم بدأ يبدأ، وهو مأخوذ من مادة (ب ذ أ) التي تدل كما يقول ابن فارس على «خروج الشيء عن طريقة الإحما» يقال: بدأت المكان أبدؤه، إذا أتته فلم تحمده، وبدأه كمنعه: رأى منه حالا يكرهها، وبدأه: احتقره وذمه، وبدأ الأرض ذم مرعاها، وقد بذؤ الرجل وبذىء وبدأ بمعنى، وبذؤ المكان: أصبح لا مرعى فيه، وقد بدأت على فلان أبداً بذاء وبذاءة، وقد بذىء به: إذا عيب وازدري، ورجل بذىء من قوم أبدياء، وبأذأت الرجل: إذا خاصمته، وبأذاه فبذاه (أي غلبه في البذاء) وأبذأت: جئت بالبذاء. والبذاء: المبدأة وهي المفاحشة والقبح في المنطق وإن كان الكلام صدقا.

والبذىء: الفاحش وتقول بدأ الرجل بذء إذا رأيت منه حالا كرهتها، كما تقول: بدأته أبدؤه بذء: إذا ذمته، أمّا قولهم: بدأت عيني تبدؤه بذاء وبذاءة: يعني ازدرتة واحتقرته ولم تقبله، ولم تعجبك مرآته وذلك إذا أطرى الشيء لك وعندك ثم لم تره كذلك وأمّا إذا رأيت كما وصف لك فإنك تقول: ما تبدؤه العين. وبدأ الشيء: ذمه، وأرض بذية: لا مرعى بها. وبذىء الرجل: إذا ازدري<sup>(١)</sup>.

(١) لسان العرب (١/ ٢٣٦). والصاحح (١/ ٣٥-٣٦). ومقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٢١٦)، والقاموس المحيط (٤٢).

**البذاءة اصطلاحاً :**

قال الغزالي - رحمه الله تعالى - : هي التّعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصّريحة .  
وقال المناويّ: البذاء هو الفحش والقبح في المنطق، وإن كان الكلام صدقاً.  
وقال الكفويّ: البذاء (والبذاءة)، هو التّعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصّريحة،  
ويجري أكثر ذلك في الواقع (أي في الكلام المطابق للواقع وهو الصدق) <sup>(١)</sup>.

**الوقاحة والبذاءة أصل الشر والمعاصي :**

قال أبو حاتم بن حبان - رحمه الله تعالى - : القحّة (ترك الحياء) أصل الجهل وبذر الشرّ،  
ومن لم ينصف النّاس منه حيأؤه، لم ينصفه منهم قحته، وإذا لزم الوقح البذاء كان وجود الخير منه  
معدوماً، وتواتر الشرّ منه موجوداً، لأنّ الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلّها، بقوّته  
يضعف ارتكابه إيّاها، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إيّاها. وقد أحسن من قال:

وربّ قبيحة ما حال بيّني      وبين ركوبها إلا الحياء

فكان هو الدّواء لها ولكن      إذا ذهب الحياء فلا دواء

ثمّ ذكر - رحمه الله تعالى - سوء عاقبة البذيّ فقال: من ذهب حيأؤه ذهب سروره، ومن ذهب  
سروره هان على النّاس ومقت، ومن مقت أودي، ومن أودي حزن، ومن حزن فقد عقله، ومن  
أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لا له، ولا دواء لمن لا حياء له، ولا حياء لمن لا وفاء له، ولا  
وفاء لمن لا إحاء له، ومن قلّ حيأؤه صنع ما شاء وقال ما أحبّ <sup>(٢)</sup>.

**دوافع البذاءة والفحش :**

قال الغزاليّ - رحمه الله تعالى - : إنّ السّبّ والفحش وبذاءة اللّسان مذمومة ومنهيّ عنها  
ومصدرها الخبث واللّؤم، والباعث عليها إمّا قصد الإيذاء وإمّا الاعتياد الحاصل من مخالطة  
الفسّاق وأهل الخبث واللّؤم لأنّ من عادتهم السّبّ. ومواضع ذلك متعدّدة ويمكن حصرها في كلّ  
حال تخفى ويستحيا منها، فإنّ التّصريح في مثل هذه الحال فحش وينبغي الكناية عنها. وأكثر ما  
يكون في ألفاظ الوقاع وما يتعلّق به، فإنّ لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها. وأمّا

(١) الإحياء (٣ / ١٢٢)، والتوقيف على مهمات التعاريف (٧٣)، والكلّيات للكفوي (٢٤٣).

(٢) روضة العقلاء بتصرف (٥٦ - ٥٩).

أهل الصّلاح فإنّهم يتحاشون عنها بل يكونون عنها ويدلّون عليها بالرّموز فيذكرون ما يقارنها ويتعلّق بها، ألم تر أنّ الله ﷻ كنى باللمس عن الجماع، ولذلك فإنّه تستعمل ألفاظ مثل المسّ واللمس والدخول والصّحبة. كما يكون الفحش والبذاء أيضا في حال قضاء الحاجة، فإنّ استعمال البول والغائط أولى من لفظ التّغوّط والخراء. ويدخل الفحش أيضا والبذاء في ذكر النّساء والكلام عنهنّ، فلا يقال: قالت زوجتك كذا، بل يقال: قيل في الحجرة أو من وراء السّتر، أو قالت أمّ الأولاد فالتّلطّف في هذه الألفاظ محمود والتّصريح فيها يفضي إلى الفحش. وكذلك يدخل أيضا في ذكر العيوب التي يستحيا منها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح اللفظ، فلا يقال فلان الأبرص والأقرع بل يقال مثلا فلان الذي به العارض الذي يشكوه، وهذا كلّه يختلف باختلاف البلاد. وأوائل هذه الأشياء مكروه، وآخرها محظور، وبينهما درجات يتردّد فيها<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاستهزاء - الأذى - الإساءة - السخرية - الفحش - البهتان - سوء الخلق - السفاهة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأدب - الصمت وحفظ اللسان - الكلم الطيب - اتباع الهوى - حسن المعاملة - حسن العشرة - حسن الخلق].

\*\*\*

### من مضار (البذاءة)

- (١) دليل ضعف الإيمان وقلة الدّين.
- (٢) دليل خبث الطّويّة.
- (٣) تسبّب قلة الأصحاب، وبعد الأهل
- (٤) يكثر اعتذاره إن كان رجّاعا وإن لا فلا
- (٥) يؤذي المسلمين بل جميع العالمين لما
- (٦) تؤدّي إلى الهوان على النّاس.
- (٧) دليل قلة الحياء.
- (٨) تؤدّي إلى إشاعة الفحش والفاحشة في
- المجتمع وبين النّاس.

(١) الإحياء (٣/ ١٢١ - ١٢٢) بتصرف وفيه تقديم وتأخير.

## البذاذة والتبذل

## البذاذة والتبذل لغة:

مصدر قولهم: بَدَّتْ هَيْئَتُهُ بَذَاذَةً، وهو مأخوذ من مادة (ب ذ ذ) التي تدلّ على الغلبة والقهر والإذلال، يقال: بَدَّ فلان أقرانه يبذّهم فهو باذٌّ: إذا غلبهم، وإلى هذا يرجع قولهم: هو باذٌّ الهيئة وبذٌّ الهيئة، ويبيّن البذاذة، أي أنّ الأيام أتت عليها فأخلقتها فهي مقهورة، ويكون فاعل (باذٌّ) في معنى مفعول (أي مبذوذ)، ومعنى قولهم: حال فلان بَدْءٌ: سيئة وقد بذذت بعدي (بالكسر) فأنت باذٌّ الهيئة وبذّها أي رثّها، وقيل: رثّ اللبسة ويكنى بذلك عن التواضع في اللباس وترك التّبجّح به، وقال ابن منظور: يقال: بذذت بذذا وبذاذة وبذوذة: أي رثت هيتك وساءت حالتك وفي الحديث: «البذاذة من الإيمان» البذاذة: رثاة الهيئة وهي أن يكون الرّجل متقهلاً<sup>(١)</sup>، يقال منه: رجل باذٌّ الهيئة، وفي هَيْئَتِهِ بَذَاذَةً وقال بعضهم: البذّ: الرّجل المتقهّل الفقير، وقيل: البذاذة: أن يكون يوماً متزيّناً، ويوماً شعثاً، أو هي ترك مداومة الزينة، وحال بَدْءٌ أي سيئة، ورجل بَدْءٌ البخت: سيئته، رديته، وتمر بَدْءٌ: متفرّق لا يلزق بعضه ببعض<sup>(٢)</sup>.

التبذّل والبذاذة قريبة في معناها اللغويّ من التبذّل والابتذال، يقول ابن الأثير: وفي حديث الاستسقاء: «فخرج متبذلاً..» التبذّل: ترك التزيّن والتّهيوّ بالهيئة الحسنة الجميلة على جهة التواضع، وبمثل ذلك فسّر حديث سلمان «فرأى أمّ الدرداء متبذّلة» وفي رواية «مبتذلة»<sup>(٣)</sup> والبذلة من الثياب، ما يلبس ويمتحن ولا يصاب، وابتذال الثوب وغيره امتهانه، والتبذّل: ترك التّصاؤن<sup>(٤)</sup>.

## البذاذة والتبذل اصطلاحاً:

قال فيها ابن القيم -رحمه الله تعالى-: هي سوء الهيئة والتّجوّز في الثياب ونحوها، يقال: رجل باذٌّ الهيئة: إذا كان رثّ الهيئة والثياب<sup>(٥)</sup>.

(١) المتقهّل: الذي لا يتعهد جسده بالماء والنّظافة، وقيل: هو يابس الجلد سيء الحال.

(٢) مقاييس اللغة (١/ ١٧٧)، الصحاح (٢/ ٥٦١)، النهاية في غريب الحديث (١/ ١١٢)، ولسان العرب (بذل) (ص ٢٣٨) (ط. دار المعارف).

(٣) النهاية لابن الأثير (١/ ١١١).

(٤) لسان العرب (١/ ٢٣٨) (ط. دار المعارف).

(٥) مختصر سنن أبي داود (٦/ ٨٤، ٨٥) بتعليق محمد حامد الفقي.

وقال فيه ابن حجر - رحمه الله تعالى - : التَّبَدُّل والابتدال بمعنى واحد، وهو لبس ثياب البذلة وهي المهنة<sup>(١)</sup>.

وقال المناوي: البذلة: ما يمتهن من الثياب في الخدمة، يقال: بذل الثوب وابتذله: لبسه في أوقات الخدمة والامتهان<sup>(٢)</sup>.

### البذاذة والتبذل بين المدح والذم:

إنَّ الغنى الحقيقي للإنسان ليس في مظهره فحسب، وإنَّما في مخبره وخبيئة نفسه، وقد يعتري المسلم حالات توجب عليه ارتداء الثياب الحسنة، والظهور بمظهر لائق تحدُّثًا بنعمة الله عليه شريطة ألاَّ يؤدِّي ذلك إلى الغرور أو الافتتان، وقد أمرنا الله ﷻ بأن نأخذ زينتنا عند كلِّ مسجد، وقال سبحانه مشدِّداً التَّكْبِيرَ على من يحرم زينتَه ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ٣٢] ولا شكَّ أنَّ رثاءة الهيئة وقبح المنظر ممَّا يتنافى مع هذه الزينة، ومن ثمَّ كانت البذاذة من المظاهر الرديئة التي يأبأها الإسلام، واستعاذ منها الرسول الكريم ﷺ في الأحوال العادية، وقد استنكر سلمان الفارسي تبذلَّ أمَّ الدرداء وأقره المصطفى ﷺ على ذلك، قال ابن حجر رحمه الله تعالى - : وفي هذا مشروعية تزين المرأة لزوجها، وثبوت حقِّ المرأة على الزوج في حسن العشرة<sup>(٣)</sup>، وقد تجدُّ أحوال أخرى تقتضي إظهار التواضع والخشوع وإظهار المذلة، كما حدث من النَّبِيِّ ﷺ في صلاة الاستسقاء حيث خرج «متبذلاً متخضعاً» وقد فعل ذلك ﷺ على جهة التواضع لله ﷻ وقد يكون التَّبَدُّل ناجماً عن عدم القدرة على ارتداء غير ثياب المهنة أو الثياب القديمة، فإذا قبل ذلك المسلم صابراً كان علامة على إيمانه ورضاه بما قسم الله له، وهذا يفسر الحديث الآخر: «البذاذة من الإيمان» أي أنَّ التواضع في اللباس لغير القادر وترك التَّبَجُّح به للقادر من علامات الإيمان الصحيح، وقد دخل عبد الله بن نبيك على سعد وعنده متاع رثٍّ ومثال رثٍّ، فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «ليس منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن» قال أبو عبيد: كان سفيان بن عيينة يقول معناه: من لم يستغن به، وذكره رثاءة المتاع والمثال ينبئك أنَّه إنَّما أراد الاستغناء بالمال القليل<sup>(٤)</sup>، وإنَّ دَلَّ هذا على شيء فعلى أنَّ الغنى الحقيقي ليس في المتاع الحسن أو الأثاث الفاخر أو الثياب الرَّفَّافة، وإنَّما فيما

(١) فتح الباري (٤ / ٢٤٨).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٧٣).

(٣) فتح الباري (٤ / ٢٤٩).

(٤) غريب الحديث لأبي عبيد (١ / ٣٨٥) ت: حسين محمد شرف.

يحملة المسلم من القرآن<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإهمال - التهاون - التفريط والإفراط - التخاذل - النجاسة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: حسن السم - الطهارة - المروءة - النظام - النزاهة].

\*\*\*

### من مضار (البذاذة والتبذل)

(١) سوء المظهر وقبح الصورة ينفر كثيرا من (٤) تناقض الصورة التي يحب الله أن يرى عبده الخلق.

(٢) دليل على جحد نعمة الله وكفرها وعدم (٥) تناقض صفة الأنبياء والصالحين.

(٦) تعطي صورة سيئة عن المسلم في ظل إظهارها.

(٣) دليل على شقاء النفس. المجتمع المسلم.

### البطر

#### البطر لغة:

مصدر قولهم: بطر، وهو مأخوذ من مادة (ب ط ر) التي تدلّ على الشقّ، قال ابن فارس: ويحمل عليها البطر وهو تجاوز الحدّ في المرح، وقيل: البطر الأشر وهو شدة المرح وقد بطر (بالكسر) يبطر، وأبطره المال، والبطر أيضا: الحيرة والدهش وأبطره: أدهشه، ويقال: بطرت الشيء أبطره بطرا: شققته ومنه سمي البيطار<sup>(٢)</sup>، وذهب دمه بطرا (بالكسر) أي هذرا، والبطر أيضا: الطغيان عند النعمة وطول الغنى، ومنه الحديث الشريف: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ إزاره بطرا» واطر الحق: التكبر عنه والتجبر عنده ورؤيته باطلا، وفي الحديث: «الكبر بطر الحق»، قال ابن الأثير هو أن يجعل ما جعله الله حقّا من توحيده وعبادته باطلا، وقيل: هو أن يتجبر عنده فلا يراه حقّا، وقيل هو أن يتكبر عن الحقّ فلا يقبله، وذلك من قولهم: بطر فلان هدية أمره، إذا لم يهتد له وجهه ولم يقبله، واطر النعمة بطرا فهو بطر، وفي التنزيل العزيز: ﴿بَطَرَتْ

(١) استخلصت هذه الفقرة مما أوردته كتب الأحاديث.

(٢) البيطار: معالج الدواب.

مَعِيشَتَهَا ﴿ [القصص: ٥٨] قيل: أوصل الفعل وحذف الجار (أي بطرت من معيشتها) كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَخْنَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾ أي من قومه، وقيل معناه: إمّا بطرت أيام معيشتها، وإمّا بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت، وقال القرطبي: البطر هنا هو الطغيان بالنعمة، وقيل البطر: سوء احتمال الغنى بأن لا يحفظ حق الله فيه <sup>(١)</sup>.

وأورد ابن منظور للبطر معاني عديدة منها: البطر: النشاط، والبطر: التبخر، والبطر قلة احتمال النعمة، والبطر: الدهش والحيرة والبطر: الطغيان في النعمة، والبطر: كراهة الشيء من غير أن يستحق الكراهية، يقال: بطر النعمة يبطرها لم يشكرها، وبطر بالأمر ثقل به ودهش وأبطره المال، وأبطره حلمه، أي أدهشه وبهته، وأبطره ذرعه: حمّله فوق ما يطيق (والذرع البدن، وقيل: العنق <sup>(٢)</sup>)، والبطر في قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾ [الأنفال: ٤٧] معناه كما يقول القرطبي: التقوي على المعاصي بنعم الله ﷻ وما ألبسه من العافية، والمعنى: خرجوا بطرين مرآئين، وقد نزلت في أبي جهل وأصحابه الذين خرجوا يوم بدر لنصرة العير. وقد جرى ما جرى من إهلاكهم <sup>(٣)</sup>، وقال أبو حيان: هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال الأمن، وخفض العيش فغمطوا النعمة، وقابلوها بالأشر والبطر فدمرهم الله وخرّب ديارهم <sup>(٤)</sup>.

### البطر اصطلاحاً:

البطر: محرّكاً - دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة، وقلة القيام بحقها، وصرفها إلى غير وجهها.

وقال العزّ بن عبد السلام: البطر: سوء احتمال الغنى ومعناه التقصير في شكره، ورؤية المنّة به، وهو والمرح وسيلتان إلى الطغيان <sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير القرطبي (١٣ / ١٩٨).

(٢) مقاييس اللغة (١ / ٢١٦)، النهاية لابن الأثر (١ / ١٣٥) ن والصاح (٢ / ٥٩٣) ولسان العرب (١ / ٣٠٠) (ط. دار المعارف).

(٣) انظر تفسير القرطبي (٨ / ٦٣).

(٤) تفسير البحر المحيط ٧ / ١٢١.

(٥) المفردات (٥٠) والتوقيف (٧٩) وشجرة المعارف (٣٢٤).

## أنواع البطر:

للبطر أنواع عديدة أهمها:

١- بطر الغنى. ٢- بطر الملك.

وكلاهما مما يجب التحرز منه، قال تعالى في النوع الأول: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ  
أَسْتَعْتَبَ ﴿﴾ [العلق: ٦، ٧]، وقال في النوع الثاني في حق فرعون ﴿فَحَسْبَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿﴾  
[النازعات: ٢٣، ٢٤] <sup>(١)</sup>، ويمكن أن يضاف إلى ذلك:

٣- بطر المنصب والوظيفة.

٤- بطر الجاه والمكانة الاجتماعية.

وكلاهما يمكن حمله على النوعين الأولين.

[للاستزادة: انظر صفات: الغرور- الكبر والعجب- نكران الجميل- الجحود- الطمع-  
السخط.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإنصاف- التواضع- الحمد- الشكر- العدل والمساواة-  
الاعتراف بالفضل- الرضا- القناعة- الزهد].

\*\*\*

## من مضار (البطر)

انظر مضار صفة «الكبر والعجب».

## البغض

## البغض لغة:

البغض مصدر قولهم بغض يبغض، وهو مأخوذ من مادة (ب غ ض) التي تدل على خلاف  
الحب، وقال الراغب: البغض نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه، وضده الحب من حيث إن  
الحب هو انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه، والفعل من ذلك: بغض وبغض، وبغض،

(١) انظر شجرة المعارف والأحوال، الفقرة (٧٣٨، ٧٣٩).

يقال بغض الشيء يبغضه بغضا وبغضة، وبغضت الشيء بغضاء، وبغض الشيء بغاضة فهو بغيض، وقيل: البغضاء والبغضة: أشد البغض، والتبغيض، والتبأغض والتبغض ضد التحبيب والتحابب والتحابب، ويقال: بغضه الله إلى الناس تبغيضا فأبغضوه أي مقتوه، فهو مبغض، وقول الله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨] يعني ظهرت العداوة<sup>(١)</sup> والتكذيب لكم من أفواههم. والبغضاء: البغض، وهو ضد الحب. وخصّ تعالى الأفواه دون الألسنة إشارة إلى تشدقهم وثرثرتهم في أقوالهم هذه، فهم فوق المستتر الذي تبدو البغضاء في عينيه. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]: إخبار وإعلام بأنهم يبتغون من البغضاء أكثر مما يظهرون بأفواههم<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن منظور: البغض والبغضة نقيض الحب. والبغضاء والبغاضة جميعا شدة البغض.

### البغض اصطلاحاً:

نقل المناوي ما ذكره الراغب عن البغض فقال: البغض: نفور النفس عن الشيء الذي يرغب عنه<sup>(٣)</sup>.

وقال الكفوي: البغض: عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب، فإذا قوي يسمى مقتاً<sup>(٤)</sup>.

وقيل: البغض: النفرة عن الشيء لمعنى فيه مستقبح، وترادفه الكراهة.

قال ابن علان رحمته: نهى رسول الله صلّى الله عليه وآله عن تعاطي أسباب البغض، لأنّه قهري كالحب لا قدرة للإنسان على اكتسابه، ولا يملك التصرف فيه، والبغض يقع بين اثنين، إمّا بين جانبيهما أو من جانب أحدهما، وعلى كلّ فهو لغير الله تعالى حرام. وله واجب ومندوب. وبغض إنسان لمن خالفه المتّجه، فهذه المخالفة إن علم أنّها نشأت عن اجتهاد لكونه من أهله لا يجوز له بغضه، لأنّه ليس لله. وإن علم أنّها نشأت عن تعصّب وهوى نفس أو تقصير في البحث جاز<sup>(٥)</sup>.

(١) لسان العرب (٧/ ١٢١-١٢٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٤/ ١٨٠-١٨١).

(٣) التوقيف (٨١)، المفردات في غريب القرآن (٥٥).

(٤) الكليات (٣٩٨).

(٥) دليل الفالحين (٢/ ٢٠).

## البغض بين المدح والذم:

قال ابن رجب رحمته الله: قوله صلى الله عليه وسلم: «ولا تباغضوا» نهى المسلمين عن التباغض بينهم في غير الله تعالى بل على أهواء النفوس، فإن المسلمين جعلهم الله إخوة، والإخوة يتحابون بينهم ولا يتباغضون.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه، تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» [أخرجه مسلم]. وقد حرم الله على المؤمنين ما يوقع بينهم العداوة والبغضاء كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١] وامتن على عباده بالتأليف بين قلوبهم كما قال تعالى: ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ بَيْنِهِمْ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال: ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٦٢] وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]. ولهذا المعنى حرم المشي بالتميمة لما فيها من إيقاع العداوة والبغضاء. وأما البغض في الله فهو من أوثق عرى الإيمان وليس داخلا في النهي، ولو ظهر لرجل من أخيه شر فأبغضه عليه - وكان الرجل معذورا فيه في نفس الأمر - أثيب المبغض له، وإن عذر أخوه كما قال عمر: إننا كنا نعرفكم، إذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا وإذ ينزل الوحي وإذ يبيننا الله من أخباركم، ألا وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انطلق به، وانقطع الوحي، وإننا نعرفكم بما نخبركم. ألا من أظهر منكم لنا خيرا ظننا به خيرا وأحببناه عليه، ومن أظهر منكم شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه، سرائركم بينكم وبين ربكم تعالى.

وقال الزبيد بن خثيم: لو رأيت رجلا يظهر خيرا ويسر شرا أحببته عليه أجرك الله على حبك الخير، ولو رأيت رجلا يظهر شرا ويسر خيرا بغضته عليه أجرك الله على بغضك الشر، ولما كثر اختلاف الناس في مسائل الدين وكثر تفرقهم كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلا عنهم، وكل منهم يظهر أنه يبغض الله وقد يكون في نفس الأمر معذورا وقد لا يكون معذورا بل يكون متبعا لهواه مقصرا في البحث عن معرفة ما يبغض عليه، فإن كثيرا من البغض كذلك إنما يقع لمخالفة متبوع يظن أنه لا يقول إلا الحق وهذا الظن خطأ قطعاً، وإن أريد أنه لا يقول إلا الحق فيما خولف فيه.

فهذا الظن قد يخطيء ويصيب، وقد يكون الحامل على الميل إليه مجرد الهوى والألفة أو العادة، وكل هذا يقدر في أن يكون هذا البغض لله، فالواجب على المؤمن أن ينصح لنفسه ويتحرز

في هذا غاية التَّحرُّز<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الحسد- الحقد- الغل- الخبث.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التودد- الإخاء- المحبة- الرضا- القناعة].

\*\*\*

### من مساوئ (البغض)

- (١) البغض المذموم هو كراهية النَّاس والحقد لا يستطيع أن يعيش بين النَّاس بل ينطوي على عليهم بغير ذنب جنوه. نفسه ويعيش في عزلة.
- (٢) ولهذا كان من تلبس بهذا الوصف مبغوضا (٥) وعلى هذا فهو غريب في كلِّ مجتمع. عند الله وعند النَّاس.
- (٦) سبب في تمزيق المجتمع وتفريق كلمة (٣) البغض يعمي القلب ويطفىء نور العبادة. المسلمين.
- (٤) إنَّ من سكن قلبه البغض والعداء للنَّاس (٧) دليل خبث النَّفس ولؤمها.

### البغي

#### البغي لغة:

البغي مصدر قولهم: بغي يبغي، وهو مأخوذ من مادة (ب غ ي) التي تدلّ - فيما يقول ابن فارس - على معنيين: الأوّل، طلب الشّيء، يقال: بغيت الشّيء: إذا طلبته، والبغية: الحاجة (التي يطلبها الإنسان)، والثاني: جنس من الفساد، ومنه قولهم: بغي الجرح إذا ترامى إلى فساد، ثمّ يشتقّ من هذا ما بعده، فالبغيّ الفاجرة، يقال: بغت تبغي بغاء فهي بغيّ، ومنه أن يبغي الإنسان على آخر فيظلمه، والبغي: الظلم، قال الشاعر:

ولكنّ الفتى حمل بن بدر بغي والبغي مرتعه وخيم

وأرجع الرّاعب معاني المادّة إلى معنى واحد ردّ إليه جميع مشتقاتها فقال: البغي: طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرّى، حدث التّجاوز أو لم يحدث، يقال: بغيت الشّيء: إذا طلبته أكثر ممّا

(١) جامع العلوم والحكم (٢٨٨-٢٨٩).

يجب، والابتغاء مثله، وبغت السماء: تجاوزت في المطر الحد المحتاج إليه، وبغى الإنسان: تكبر، لتجاوزته منزلته إلى ما ليس له، وبغت المرأة فهي بغية لتجاوزها ما ليس لها أن تتجاوزته، وبغى الجرح إذا تجاوز الحد في فساد.

وقيل: البغي: التعدّي، يقال: بغى الرجل على الرجل: استطال وعدل عن الحق، قال تعالى: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَقَّ تَقْوَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، البغي هنا هو الاستطالة والظلم وإبَاء الصلح<sup>(١)</sup>، والفرقة الباغية هي التي خالفت الإمام بتأويل باطل بطلانا بحسب الظن لا القطع<sup>(٢)</sup>. وقيل: هي الظالمة الخارجة عن طاعة الإمام العادل.

ويقال: بغى الوالي: ظلم، وكل مجاوزة للحد وإفراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهو بغى، وقول الله تعالى: ﴿يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٣]، معناه: يعملون في الأرض بالفساد والمعاصي، وقيل يطلبون الاستعلاء بالفساد، وبغير الحق أي بالتكذيب<sup>(٣)</sup>، وتباغوا: بغى بعضهم على بعض، والبغى في قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٣٣]، البغي هنا هو الاستطالة على الناس، وقيل: الكبر، وقيل: الظلم والفساد، وقال ثعلب: البغي أن يقع الرجل في الرجل فيتكلم فيه، ويبغى عليه بغير الحق، والباغي اسم فاعل من البغي، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ بِغَيْرِ بَأْسٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] قيل في معناه، أي أنه غير طالب ما ليس له طلبه، وقيل: اضطرّ جائعا غير باغ أكلها تلذذا، وقيل: غير باغ: أي غير طالب مجاوزة قدر حاجته، وقيل غير باغ على الإمام وغير متعدّد على أمته، قال القرطبي: ويدخل في الباغي والعادي، قطع الطرق والخارج على السلطان والمسافر في قطع الرحم، والغارة على المسلمين وما شاكلة<sup>(٤)</sup>، ويقال: فلان يبغى على الناس: إذا ظلمهم وطلب أذاهم، ومن البغي الذي هو مجاوزة الحد ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما من قوله لرجل: أنا أبغضك، قال: لم؟ قال: لأنك تبغى في أذائك. أراد التطريب فيه والتّمديد، وقال بعضهم: بغى على أخيه بغيا: حسده، والبغى: قصد الفساد.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ١ / ٢١٨، والمفردات للراغب ص ٥٥.

(٢) رغائب الفرقان للنيسابوري (بهامش الطبري) ح ٢٦ ص ٨٤.

(٣) تفسير القرطبي (٨ / ٢٠٨).

(٤) تفسير القرطبي (٧ / ١٢٨)، ولسان العرب بغى (٣٢٢) ط. دار المعارف.

**البغي اصطلاحاً:**

هو طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى، تجاوزه أو لم يتجاوزه. فتارة يعتبر في القدر الذي هو الكميّة، وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفيّة<sup>(١)</sup>.

وقال المناويّ: البغيّ: هو طلب الاستعلاء بغير حقّ، ونسب هذا التعريف إلى الحرّاليّ<sup>(٢)</sup>. وقال الكفويّ: البغي: طلب تجاوز قدر الاستحقاق، تجاوزه (البأغي) أو لم يتجاوزه، ويستعمل في المتكبر لأنّه طالب منزلة ليس لها بأهل<sup>(٣)</sup>.

وقال التّهانويّ: البأغي شرعاً: هو الخارج عن طاعة الإمام الحقّ<sup>(٤)</sup>، ومن ثمّ يكون البغي: هو الخروج عن طاعة الإمام الحقّ.

**أنواع البغي:**

والبغي على ضربين:

أحدهما محمود، وهو تجاوز العدل إلى الإحسان والفرض إلى التطوّع. والثاني مذموم، وهو تجاوز الحقّ إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشبه؛ كما قال النبيّ ﷺ «إنّ الحلال بيّن، وإنّ الحرام بيّن، وبينهما أمور مشتهيات، ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه». ولأنّ البغي قد يكون محموداً ومذموماً. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الشورى: ٤٢] فنخصّ العقوبة بمن بغيه بغير الحقّ<sup>(٥)</sup>.

**حكم البغي وأثره في الفرد والمجتمع:**

البغي بمعنى الخروج على الإمام- ولو جائراً- بلا تأويل أو مع تأويل يقطع ببطلانه هو إحدى الكبائر كما قال ابن حجر<sup>(٦)</sup>، أمّا البغي بمعناه العامّ: أي تجاوز قدر الاستحقاق أو طلب الاستعلاء بغير حقّ، فهو أيضاً من الكبائر الباطنة التي يجب على المكلف معرفتها ليعالج زوالها؛

(١) المفردات للراغب (٥٥).

(٢) التوقيف (٨١).

(٣) الكليات (٥٨٤).

(٤) كشف اصطلاحات الفنون (١/ ٢٢٧).

(٥) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٦٢).

(٦) انظر «الكبيرة السادسة والثلاثون بعد الثلاثمائة» في الزواجر (٥١٣).

لأنّ من كان في قلبه مرض منها لم يلق الله والعياذ بالله - بقلب سليم، وهذه يذمّ عليها أعظم ممّا يذمّ على الزّنا والسّرقة وغيرها من كبائر البدن، وذلك لعظيم مفسدتها وسوء أثرها ودوامه، وإذا دامت هذه الكبائر صارت حالا وهيئة راسخة في القلب بخلاف آثار معاصي الجوارح التي تزول بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفّرة<sup>(١)</sup>، أمّا البغي بمعنى الخروج على الإمام فهو أيضا من الكبائر - خلافا لبعضهم - لما يترتب على ذلك من المفسد التي لا يحصى ضررها ولا ينطفىء شررها مع عدم عذر الخارجين<sup>(٢)</sup>.

### من معاني كلمة «البغي» في القرآن الكريم:

ورد في القرآن لفظ البغي على خمسة أوجه:

الأول: بمعنى الظلم: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَلَّا تُمَّ وَالْبَغْيَ﴾ [الأعراف: ٣٣]،  
﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠].

الثاني: بمعنى المعصية، والزّلة. ﴿فَلَمَّا أَجَبَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾ [يونس: ٢٣] أي يعصون، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣].

الثالث: بمعنى الحسد: ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤] أي حسدا.

الرابع: بمعنى الزّنى: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَنِينَتِكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ﴾ [النور: ٣٣].

الخامس: بمعنى الطّلب: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٤٥] أي يطلبون لها اعوجاجا<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الظلم - الإجمام - الأذى - الإساءة - الإرهاب - العدوان - العتو - الطغيان - الفجور - الحرب والمحاربة - الفتنة - الكبر والعجب - القسوة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاستقامة - التوسط - الطاعة - الإنصاف - العدل والمساواة - السلم - الإحسان - القسط - الصلح].

\*\*\*

(١) الزواجر (بتصرف) ص (٩٨، ٩٩).

(٢) المرجع السابق (٥١٤).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٦٢، ٢٦٣).

## من مضار (البغي)

انظر: مضار صفة «الظلم».

## البلادة (عدم الفقه)

## البلادة لغة:

البلادة: ضدّ الذكاء. وقد بلد بالضمّ فهو بليد.

وقد أرجع ابن فارس مادة «بلد» إلى أصل واحد يتقارب فروعه فقال: الباء واللام والذال أصل واحد يتقارب فروعه عند النظر في قياسه، والأصل: الصّدر، يقال: وضعت النّاقة بلدتها بالأرض، إذا بركت، ويقال: تبدّل الرّجل إذا وضع يده على صدره عند تحيّره في الأمر...

ورده الرّاعب إلى البلد، وهو المكان، فقال: «ولمّا كان اللّازم لموطنه كثيرا ما يتحيّر إذا حصل في غير موطنه، قيل للمتحيّر: بلد في أمره، وأبلد، وتبلّد ولكثرة وجود البلادة فيمن كان جلف البدن، قيل: رجل أبلد، عبارة عن العظيم الخلق.

وقال ابن منظور: بلد بلادة فهو بليد، والتّبلّد نقيض التّجلّد والبلدة والبلدة والبلادة: ضدّ النّفاذ والذكاء والمضاء في الأمور. ورجل بليد إذا لم يكن ذكياً، وقد بلد، بالضمّ، فهو بليد. وتبلّد: تكلف البلادة، وقول أبي زبيد:

من حميم ينسي الحياء جليد ال قوم، حتّى تراه كالمبلود

قال: المبلود الذي ذهب حياؤه أو عقله، وهو البليد، يقال للرّجل يصاب في حميمه فيجزع لموته وتنسيه مصيبتة الحياء حتّى تراه كالذّاهب العقل.

والمبلود: المتحيّر لا فعل له. وقيل هو المعتوه. وكلّه من البلادة.

والتّبلّد: ضدّ التّجلّد، وهو استكانة وخضوع.

والتّبلّد: السّقوط إلى الأرض من ضعف. وبلّد الرّجل تبيداً، إذا لم يتّجه لشيء، وبلّد الإنسان، إذا بخل ولم يجد<sup>(١)</sup>.

(١) الصحاح (٢/ ٤٤٩)، والمقاييس (١/ ٢٩٨، ٢٩٩)، والمفردات (٥٩، ٦٠)، وتاج العروس (٤/ ٣٦٤، ٣٦٥)، ولسان العرب (٣/ ٩٤-٩٦).

**البلادة اصطلاحاً:**

هي ضعف الفكر في الأشياء العملية التي تتعلق بحسن التدبير وجودة المعاش ومخالطة الناس والمعاملة معهم.

وقيل هي فتور الطبع من الابتهاج إلى المحاسن العقلية<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الغفلة - الإهمال - الكسل - صغر الهمة - التخاذل - الوهن -

التهاون - الضعف - التفريط والإفراط - اتباع الهوى - الحمق.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الفقه - العلم - علو الهمة - النشاط - الفطنة - اليقظة - الحذر].

\*\*\*

**من مضار (البلادة عدم الفقه)**

(١) أنّها صفة ذميمة إذا استقرت بالإنسان ورثته (٤) تضيّع على صاحبها كثيراً من الفرص الخمول في نفسه حتى يرى نفسه غير مرغوب فيه بين أفراد المجتمع. والمناسبات التي يمكن أن تسعده في دنياه وأخرته.

(٢) بعض البلداء والأغبياء يتخذهم الناس (٥) قد يتمثل البعض بالتغابي لمأرب في نفسه أضحوكة ومحل استهزاء وسخرية. يريد قضاءه ولكن إذا اكتشفه مخالطوه

(٣) البلادة الناشئة عن استرخاء وكسل تجعل البليد محتقرا في مجتمعه. احتقروه.

**البهتان****البهتان لغة:**

البهتان: هو الاسم من البهت، وهو مأخوذ من مادة (ب ه ت) التي يدور معناها حول الدّهش والحيرة، وتتصل فروعها بهذا الأصل وتتقارب، يقول ابن فارس: «الباء والهاء والتاء أصل واحد، وهو كالدّهش والحيرة، يقال: بهت الرّجل، يبهت بهتا، والبهته الحيرة، فأما البهتان

(١) كشف اصطلاحات الفنون (١ / ٣٣٧)، والكليات للكفوي (٢٥٠). ولسان العرب (٣ / ٩٤ - ٩٦).

فالكذب، يقول العرب: يا للبهتة، أي يالكذب، قال - تعالى - ﴿ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦] أي كذب يبهت سامعه لفظاعته.

يقول الجوهري: وبهت الرجل - بالكسر - إذا دهش وتحير، وبهت - بالضم - مثله، وأفصح منهما بهت، كما قال جل ثناؤه: ﴿ فَبُهَّتْ أَلَّذِي كَفَرَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] لأنه يقال: رجل مبهوت، ولا يقال: اهت، ولا بهيت.

والبهيتة: الباطل الذي يتحير من بطلانه.

والبهتان: من بهت الرجل يبهته بهتا، وبهتا، وبهتانا، فهو بهتات: أي قال عليه ما لم يفعله، فهو مبهوت. وبهته بهتا: أخذه بغته، وفي التنزيل العزيز: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ ﴾ [الأنبياء: ٤٠].

والبهتان: افتراء. وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بَبْهَتِنِ يَفْتَرِينَهُ ﴾ [المتحنة: ١٢].

وباهته: استقبله بأمر يقذفه به، وهو منه بريء لا يعلمه فيبهت منه، والاسم البهتان.

وبهت الرجل أبهته بهتا إذا قابلته بالكذب، وقوله ﴿ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ٢٠] أي مباهتين آثمين. قال أبو إسحاق: البهتان: الباطل الذي يتحير من بطلانه، وهو من البهت وهو التحير، والألف والنون زائدتان، وبهتاننا موضع المصدر، وهو حال، والمعنى: أتأخذونه مباهتين وآثمين؟

وبهت فلان فلانا إذا كذب عليه، وبهت وبهت إذا تحير، وقوله ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بَبْهَتِنِ يَفْتَرِينَهُ ﴾ [المتحنة: ١٢] أي لا يأتين بولد عن معارضة من غير أزواجهن، فينسبهن للزوج، فإن ذلك بهتان وافية، يقال: كانت المرأة تلتقطه فتبتناه.

والبهوت: المباهت، والجمع بهت وبهوت.

والبهت والبهيتة: الكذب، وفي حديث الغيبة:

«وإن لم يكن فيه ما تقول، فقد بهته» أي كذبت وافتريت عليه، وفي حديث ابن سلام في ذكر اليهود: إنهم قوم بهت، قال ابن الأثير: هو جمع بهوت، من بناء المبالغة في البهت، مثل صبور وصبور، ثم يسكن تخفيفاً<sup>(١)</sup>.

(١) المقاييس (١/ ٣٠٧)، والصحاح (١/ ٢٤٤)، والمفردات (٦١)، والقاموس المحيط (١/ ١٤٤)، لسان العرب (٢/ ١٢ - ١٣)، نزهة الأعين النواظر (١٩٣).

**واصطلاحاً:**

البهتان: هو الكذب والافتراء الباطل الذي يتحير منه.

وقال المناوي: البهتان: كذب يبهت سامعه ويدهشه ويحيره لفظاعته، وسمي بذلك لأنه يبهت أي يسكت لتخييل صحته، ثم ينكشف عند التأمل.

وقال الكفوي: البهتان: هو الكذب الذي يبهت سامعه أي يدهش له ويتحير. وهو أفحش من الكذب، وإذا كان بحضرة المقول فيه كان افتراء.

وقيل: كل ما يبهت له الإنسان من ذنب وغيره<sup>(١)</sup>.

**الفرق بين البهتان والاختياب والافتراء والإفك:**

تتقارب معاني هذه الألفاظ، بيد أنها عند التدقيق ممياً تختلف دلالاته وتفاوت، فالاختياب هو أن يتكلم شخص خلف إنسان مستور، بكلام هو فيه، وإن لم يكن ذلك الكلام فيه فهو بهتان، والكذب الفاحش الذي يدهش له سامعه هو بهتان إن لم يكن بحضرة المقول فيه، فإن كان بحضرة كان افتراء، سواء أكان ذلك عن قصد أو عن غير قصد، فإذا كان ذلك عن قصد كان إفكاً<sup>(٢)</sup>.

**حكم البهتان:**

عدّ ابن حجر البهتان من كبائر الذنوب، وذكر أنه أشد من الغيبة، إذ هو كذب فيشق على كل أحد، بخلاف الغيبة التي لا يشق على بعض العقلاء لأنها فيه، وقد جاء في الحديث الذي خرّجه أحمد: «خمس ليست لهنّ كفارة: الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، وبهت مؤمن، والفرار يوم الزحف، ويمين صابرة (أي كاذبة) يقتطع بها مالا بغير حق».

ولما رواه الطبراني: «من ذكر امرأ بشيء ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه».

ووجه من عدّ البهت من الكبائر مع عدّه الكذب كبيرة أخرى أنّ هذا كذب خاصّ فيه هذا الوعيد الشديد، فهذا أفرد بالذكر<sup>(٣)</sup>.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٦٥)، والتوقيف للمناوي (٨٤) والكلبيات للكفوي (١٥٤، ٢٢٦).

(٢) بتلخيص عن الكفوي في الكلبيات (١٥٤ - ٦٦٩).

(٣) الزواجر (٣٥٧) بتصرف.

**معاني البهتان في القرآن الكريم:**

من معاني البهتان التي وردت في القرآن الكريم ما يلي:

الأول: الكذب. ومنه قوله تعالى في النور: ﴿سُبْحٰنَكَ هٰذَا بُهْتٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

والثاني: الزنا. ومنه قوله تعالى في الممتحنة: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتٰنٍ يَفْتَرِيْنَهُ﴾ [الممتحنة: ١٢].

والثالث: الحرام. ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿أَتَأْخُذُوْنَهُ بِبُهْتٰنٍ وَّإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٢٠] <sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الافتراء- الإفك- شهادة الزور- الغيبة- القذف- الكذب- السفاهة- الاستهزاء- الأذى- النميمة- الإساءة- المن بالعطية- التحقير- السخرية. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الصدق- إقامة الشهادة- الصمت وحفظ اللسان- الكلم الطيب- تكريم الإنسان- الأدب- الاستقامة].

\*\*\*

**من مضار (البهتان)**

- (١) تستجلب سخط الله ﷻ والملائكة (٤) يعيش صاحب البهتان مضطرب النفس لا المقرّبين. يهناً يعيش ولا يعرف للسعادة سبيلاً.
- (٢) صاحب البهتان مبعوض من الناس، (٥) صفة من صفات المنافقين وهم في الدرك ومحقر عند عباد الله. الأسفل من النار.
- (٣) البهتان يفسد المجتمع ويشيع الفواحش. (٦) يقلب صاحبها الحق باطلاً، والباطل حقاً ويبري المتهم ويتهم البريء.

**التبذير****التبذير لغة:**

مصدر قولهم: بذّر يبذّر تبذيراً، وهو مأخوذ من مادة (ب ذ ر) التي تدلّ- فيما يقول ابن

(١) نزهة الأعين النواظر (١٩٣-١٩٤).

فارس على معنى واحد هو نثر الشّيء وتفريقه، يقال: بذرت البذر أبذره بذرا إذا زرعته وبذّرت المال أبذّره تبذيرا، إذا فرّفته إسرافا، ويقال رجل تبذارة للذي يبذر ماله ويفسده، ورجل بذور: يذيع الأسرار، وجمعه بذر، وهم القوم لا يكتمون حديثا، ولا يحفظون ألسنتهم، ومن ذلك قول عليّ عليه السلام: ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البذر، قال ابن فارس: فالمذاييع هم الذين يذيعون، والبذر هم الذين ذكروناهم<sup>(١)</sup>.

وقال ابن دريد: بذّر الرّجل ماله تبذيرا إذا فرّقه، وبذّر الله الخلق: فرّقه في الأرض<sup>(٢)</sup>.

قيل بذّر المال: خرّبه وفرّقه إسرافا<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن منظور: يقال: تفرّق القوم شذر بذر، وشذر بذر، أي في كلّ وجه، وتفرّقت إبله كذلك، وبذّر ماله أفسده وأنفقه في السّرف، وكلّ ما فرّفته وأفسدته، فقد بذّرت، يقال: فيه بذارة وبذارة (بتشديد الرّاء وتخفيفها) أي تبذير، ورجل تبذارة أي يبذر ماله ويفسده، وقيل أن ينفق المال في المعاصي، وقيل هو أن ييسط يده في إنفاقه حتّى لا يبقى منه ما يقتاته، وفي حديث عمر رضي الله عنه ولوليه أن يأكل منه غير مبادر، المبادر والمبذّر هو المسرف في النّفقة، يقال من ذلك باذر مبادرة، وبذّر تبذيرا، وقول المتنخل يصف سحابا: مستبذرا يرغب قدّامه.

فسر بآته يفرّق الماء، والبذير من النّاس: الذي لا يستطيع أن يمسك سرّه، ورجل بذير وبذور، يذيع الأسرار ولا يكتم سرا<sup>(٤)</sup>، وفي حديث فاطمة رضي الله عنها عند وفاة النّبي صلى الله عليه وآله قالت عائشة رضي الله عنها: إني إذن لبذرة: البذر هو الذي يفشي السّر ويظهر ما يسمعه<sup>(٥)</sup>. وبذرت الكلام بين النّاس (أي فرّفته) كما تبذر الحبوب والمعنى: أفشيتّه ويقال: تبذّر الماء، إذا تغيّر واصفرّ، قال ابن مقبل: تنفي الدّلاء بأجن متبذّر.

المتبذّر: المتغيّر الأصفر، وقولهم: كثير بشير وبذير، بذير قيل إتباع، وقيل لغة<sup>(٦)</sup>.

(١) مقاييس اللغة ١ / ٢١٦، والصّاح للجوهري ٢ / ٥٨٧.

(٢) الجمهرة ١ / ٢٥٠.

(٣) القاموس المحيطة (بذر) ص ٤٤٤ (ط. بيروت)، واكتفى الرازي بالقيّد الثاني في التعريف فقال: بذّر المال: فرّقه إسرافا ولم يذكر التّخريب. انظر مختار الصّاح ص ٤٥ (ط. دار الكتب).

(٤) لسان العرب ٤ / ٥٠ (ط. دار المعارف).

(٥) النهاية لابن الأثير ١ / ١١٠.

(٦) لسان العرب ٤ / ٥١ ومعنى كونها اتبعا أنها كلمة أتى بها لتقوية المعنى فقط أما كونها لغة فهو أن بعض العرب قد أبدلوا الثاء في بشير ذالا فقالوا ببذير.

أما التبذير في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا﴾ [الاسراء: ٢٦].

فقد ذكر الطبري أن أصل التبذير هو الإنفاق في السرف ومنه قول الشاعر:

أناس أجارونا فكان جوارهم أعاصير من فسق العراق المبذّر<sup>(١)</sup>  
وقال القرطبي: المعنى: لا تسرف في الإنفاق في غير حق<sup>(٢)</sup>، ومن ثم يكون التبذير المقصود في الآية الكريمة: هو النّفقة في غير وجه البرّ التي يتقرّب بها إلى الله تعالى، وقال ابن كثير: لما أمر المولى سبحانه بالإنفاق في صدر الآية: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْآنُ فَحَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾.. نهى عن الإسراف في الإنفاق بأن يكون وسطاً، كما قال سبحانه في الآية الأخرى.. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: ٦٧]<sup>(٣)</sup>.

### التبذير اصطلاحاً:

قال المناوي: التبذير: تفريق المال على وجه الإسراف<sup>(٤)</sup>، وأصله إلقاء البذر وطرحه فاستعير لكلّ مضيّع لماله<sup>(٥)</sup>، فتبذير البذر تفريق في الظاهر لمن لا يعرف مآل ما يلقيه<sup>(٦)</sup>.  
ونقل القرطبي عن الإمام الشافعي رحمه الله قوله: التبذير: إنفاق المال في غير حقّه، ولا تبذير في عمل الخير<sup>(٧)</sup>.

وروي عن الإمام مالك رحمه الله قوله: التبذير: هو أخذ المال من حقّه ووضع في غير حقّه.

### الفرق بين التبذير والإسراف:

قال الكفوي: الإسراف: هو صرف فيما لا ينبغي زائداً على ما ينبغي، أمّا التبذير فإنّه صرف الشيء فيما لا ينبغي وأيضاً فإنّ الإسراف تجاوز في الكميّة إذ هو جهل بمقادير الحقوق، والتبذير تجاوز في موضع الحقّ، إذ هو جهل بمواقعها (أي الحقوق)، يرشد إلى هذا قول الله سبحانه في

(١) تفسير الطبري مجلد ٨ ج ١٥ ص ٥٣.

(٢) تفسير القرطبي ١٠ / ٢٤٧.

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٩.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٩، والتعريفات للجرحاني ص ٥٢.

(٥) انظر المفردات للراغب ص ٥٢ (ت محمد أحمد خلف الله).

(٦) تفسير القرطبي ١٠ / ٢٤٧.

(٧) السابق، الصفحة نفسها، وانظر آراء أخرى عن الصحابة والتابعين في الجزء الخاص بالآثار.

تعليل (النهي عن) الإسراف ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وقوله ﷺ في تعليل النهي عن التبذير: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧]. فإنَّ تعليل الثاني فوق الأوَّل<sup>(١)</sup>.

لقد ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ الإسراف والتبذير قد يردان بمعنى واحد، ومن ثمَّ فقد يرد أحدهما ويراد به الآخر، من ذلك ما ذكره الماورديَّ من أنَّ التبذير هو الإسراف المتلف للمال<sup>(٢)</sup>، وروى أشهب عن مالك أنَّ التبذير هو الإسراف<sup>(٣)</sup>. وذكر القرطبيُّ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ﴾ قال: (معناه) لا تسرف في الإنفاق في غير حقٍّ<sup>(٤)</sup>، وقال ابن كثير في نفس الآية الكريمة: لمَّا أمر الله ﷺ بالإنفاق نهى عن الإسراف فيه<sup>(٥)</sup>.

والخلاصة أنَّ بين الأمرين عموماً وخصوصاً إذ قد يجتمعان فيكون لهما المعنى نفسه أحياناً وقد ينفرد الأعم وهو الإسراف.

### حكم التبذير:

نقل عن الإمام مالك رحمته أنَّ التبذير حرام لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ [الإسراء: ٢٧]<sup>(١)</sup>.

وقال القرطبيُّ: من أنفق درهماً في حرام فهو مبذّر، ويحجر عليه في نفقته الدرهم في الحرام، ولا يحجر عليه إن بذله في الشّهوات إلا إذا خيف عليه التّفاد<sup>(٢)</sup>.

وأبو حنيفة رحمته لا يرى الحجر للتبذير، وإن كان (حراماً) منهيّاً عنه، وذكر الماورديُّ أنَّ التبذير هو الإسراف المتلف للمال، وأنَّ المبذّر يحجر عليه للآية الكريمة (السابقة)، ومن واجب الإمام منعه منه (أي التبذير) بالحجر والحيلولة بينه وبين ماله إلا بمقدار نفقة مثله<sup>(٣)</sup>.

(١) الكلبيات للكفوي ١/ ١٧٢، وانظر أيضاً التعريفات للجرجاني ٢٣، ٢٤.

(٢) البحر المحيط ٦/ ٢٧.

(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٤٧.

(٤) السابق، الصفحة نفسها.

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩.

(٦) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٤٧.

(٧) السابق، ١٠/ ٢٤٨.

(٨) تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٢٣.

### الفرق بين الجود والتبذير:

يتجلى الفرق بين الأمرين في أن الجواد حكيم يضع العطاء مواضعه، وأن المبدّر (أو المسرف) كثيراً ما لا يصادف عطاؤه مواضعه، فالجواد من يتوخى بماله أداء الحقوق الواجبة عليه حسب مقتضى المروءة من قرى الضيف، ومكافأة المهدي، وما يقي به عرضه على وجه الكمال، طيبة بذلك نفسه راضية مؤمّلة للخلف في الدنيا والآخرة، والمبدّر ينفق بحكم هواه وشهوته من غير مراعاة مصلحة ولا تقدير، ولا يريد أداء الحقوق».

[للاستزادة: انظر صفات: الإسراف - السفاهة شرب الخمر - الميسر - اللهو واللعب - التفریط والإفراط.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التوسط - الجود - الكرم - محاسبة النفس - السخاء - مجاهدة النفس].

\*\*\*

### من مضار (التبذير)

- (١) فيه طاعة للشيطان ومعصية للرحمن.
- (٢) يباعد من الجنة ويقرب من النار.
- (٣) المبدّر أخ للشيطان.
- (٤) في التبذير رجوع إلى الجاهلية وعاداتها القبيحة وفيه مفاخرة ممقوتة.
- (٥) في التبذير إتلاف للمال، وتضييع له.
- (٦) التبذير عند الموت لا يعدّ من الصدقة المقبولة وهو مردود على صاحبه.
- (٧) التبذير يؤدي للفقر ويحتاج صاحبه - فيما بعد - إلى الدّل للخلق.
- (٨) المبدّر معرض للعين، والحسد والحقد عليه.
- (٩) في التبذير اتباع للهوى وبعد عن الحق.
- (١٠) التبذير يشعر الإنسان بالمرارة خاصة إذا اقترب الأجل.

### التبرج

#### التبرج لغة:

مصدر قولهم: تبرّجت المرأة تتبرّج، وهو مأخوذ من مادة (ب ر ج) التي تدلّ على معنيين:

الأول: البروز والظهور، والثاني: الوزر والملجأ فمن الأول: البرج وهو سعة العين في شدة سواد وشدّة بياض بياضها، ومن ذلك أخذ التبرج، وهو إظهار محاسنها، ومن الأصل الثاني: البرج وهو واحد بروج السماء، وأصل البروج: الحصون والقصور، وذكر الراغب: أن التبرج مأخوذ من الثوب المبرج أي الذي صوّر عليه البروج، يقال: ثوب مبرج: صوّرت عليه بروج فاعتبر حسنه، فقيل تبرجت المرأة أي تشبّهت به في إظهار المحاسن، وقيل: اشتقاق ذلك من البرج وهو القصر، ومن ثم يكون معنى تبرجت ظهرت من برجها أي قصرها، وقال المبرد: إن التبرج مأخوذ من السعة، يقال في أسنانه برج إذا كانت متفرقة.

وقال ابن منظور: يقال تبرجت المرأة: يعني أظهرت وجهها. وكذلك إذا أبدت محاسن جيدها ووجهها.

والتبرج إظهار الزينة للناس الأجانب وهو المذموم، فأما للزوج فلا، وقيل: هو إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال.

وفي الحديث: كان يكره عشر خلال، منها التبرج بالزينة لغير محلّها.

وقد مدح الله قوما من النساء فقال سبحانه: ﴿عَيْرٌ مُّتَّبِعَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠]: يعني لا يتكسرن في مشيهن ولا يتبخرن. وأما ما نهى الله عنه المؤمنات من التشبه بالكافرات في التبرج في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]. هذا كان في زمن ولد فيه إبراهيم النبي ﷺ، إذ كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين، وقيل: كانت تلبس الثياب تبلغ المال لا تواري جسدها (ومعنى تبلغ المال أنّها ثياب غالية الثمن)<sup>(١)</sup>.

#### التبرج اصطلاحاً:

قال الطبري: التبرج هو التبخر، وقيل: هو إشهار الزينة، وإبراز المرأة محاسنها للرجال<sup>(٢)</sup>.

وقال القرطبي: التبرج: التكشف والظهور للعيون، وقيل التبرج في قوله تعالى: ﴿عَيْرٌ مُّتَّبِعَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠]، أنّهن كاسيات عاريات من لباس التقوى، قال القرطبي: وهذا التأويل أصح، وهو اللائق بهن في هذه الأزمان وخاصة الشباب منهن، فإنهن يتزيّن ويخرجن متبرجات،

(١) المقاييس (١ / ٢٣٨) والمفردات (٣٨، ٣٩)، لسان العرب (١ / ٢٤٣). والصحاح (١ / ٢٩٩)، وتفسير القرطبي (١٤ / ١١٧).

(٢) تفسير الطبري (١٠ / ٢٩٤).

فهنّ كاسيات بالثياب عاريات من التقوى حقيقة ظاهرا وباطنا، حيث تبدي زينتها، ولا تبالي بمن ينظر إليها، بل ذلك مقصودهنّ، وذلك مشاهد في الوجود منهنّ، ولو كان عندهنّ شيء من التقوى لما فعلن ذلك، ولم يعلم ما هنالك»<sup>(١)</sup>.

وقال-رحمه الله تعالى-: في تفسير قوله ﷺ: ﴿وَلَا تَبْرُجْنَ تَبْرُجُ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣] حقيقة التبرج: إظهار ما ستره أفضل<sup>(٢)</sup>.

### لبس النساء بين التبرج والاحتشام:

قال ابن الحاج-رحمه الله تعالى- فيما يتعلّق بلبس النساء: العالم أولى من يأخذ على أهله ويردّهنّ للتّباع مهما استطاع في كلّ الأحوال فمن ذلك (منع) ما يلبسن من هذه الثياب الضيّقة القصيرة، وهما منهبيّ عنهما، ووردت السنّة بضدّهما، لأنّ الضيّق من الثياب يصف جسمها ويحدّده، هذا في الضيّق، وأمّا القصير فإنّ الغالب منهنّ أن يجعلن القميص إلى الركبة، فإن انحنت أو جلست أو قامت انكشفت عورتها. ووردت السنّة أنّ ثوب المرأة تجرّه خلفها، ويكون فيه وسع بحيث إنّه لا يصفها<sup>(٣)</sup>.

وقال-رحمه الله تعالى- وعلى العالم أن ينهاهنّ عن لبس العمائم، ويمنعهنّ من توسيع الأكمام وتقصيرها. لأنّها تظهر ما لا بدّ من إخفائه<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: إطلاق البصر- الغي والإغواء- الفتنة- الزنا- الخنوثة- الدياثة- اتباع الهوى- المجاهرة بالمعصية- العصيان- الفجور- انتهاك الحرمات.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الحجاب- حسن السمات- غض البصر- الستر- العفة- حفظ الفرج- تعظيم الحرمات- الاستقامة- الغيرة- الشرف].

\*\*\*

(١) تفسير القرطبي (١٢ / ٦٠).

(٢) المرجع السابق (١٤ / ١١٧).

(٣) المدخل لابن الحاج (٢ / ١٤٢).

(٤) المرجع السابق (٢ / ٢٤٣).

## من مضار (التبرج)

- (١) دليل ضعف إيمان المرأة وقلة حياتها. (٨) تقلل من رغبة الإنسان المسلم في الإرتباط بها وتزهد في الزواج بها.
- (٢) سبب الطرد والإبعاد من رحمة الله. (٩) تحرم المرأة من نعمة رضا الله عنها بخروجها عن آدابها.
- (٣) يورد النيران ويحرم من الجنان. (١٠) تعرّض نفسها لطمع الطامعين ونهش الناهشين.
- (٤) من أعمال الجاهلية والفساق. (١١) من أكبر أسباب شيوع الفاحشة في المجتمعات، فتنحلّ ويذهب ريحها.
- (٥) يعرّض المرأة لغمز ولمز المجرمين ومن في قلبه نفاق.
- (٦) من أسباب إشاعة الفاحشة بين الناس.
- (٧) التّشبه بالكافرات الفاجرات.

## التجسس

## التجسس لغة:

مصدر قولهم: تجسس يتجسس، وهو مأخوذ من مادة (ج س س) التي تدلّ على تعرّف الشيء بمسّ لطيف يقال: جسست العرق وغيره جسًا، والجاسوس فاعول من هذا لأنّه يتخبر ما يريده بخفاء ولطف، وقال الراغب: أصل الجسّ: مسّ العرق وتعرّف نبضه للحكم به على الصّحة والسقم وهو أخصّ من الحسّ فإنّ الحسّ تعرّف ما يدركه الحسّ، ومن لفظ الجسّ اشتقّ الجاسوس، وقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجَسَّسُوا﴾ قرأها أبو رجاء والحسن وغيرهما ولا تحسّسوا [الحجرات: ١٢] بالحاء، قال القرطبي: واختلف هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين؟ فقال الأخفش: ليس تبعد إحداهما عن الأخرى، لأنّ التحسّس البحث عمّا يكتّم عنك، والتجسس: طلب الأخبار والبحث عنها. ومعنى الآية: خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين، أي لا يبحث أحدكم عن غيب أخيه حتى يطّلع عليه بعد أن ستره الله<sup>(١)</sup>.

وقال الطبري: ﴿وَلَا يَجَسَّسُوا﴾ أي لا يتتبع بعضكم عورة أخيه ولا يبحث عن سرائره، يتغي

(١) تفسير القرطبي (١٦ / ٢١٨).

بذلك الظهور على عيوبه<sup>(١)</sup>، وقال ابن منظور: الجسّ: جسّ الخبر، ومنه التجسس. وجسّ الخبر وتجسسّه: بحث عنه وفحص. وتجسسست فلانا، ومن فلان بحثت عنه، وتجسسست الخبر وتجسسسته بمعنى واحد. والجاسوس: العين يتجسس الأخبار ثم يأتي بها، وقيل الجاسوس الذي يتجسس الأخبار<sup>(٢)</sup>.

### التجسس اصطلاحاً:

قال ابن الأثير: التجسس: التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر<sup>(٣)</sup>.

وقال الكفوي: التجسس: هو السؤال عن العورات من غيره<sup>(٤)</sup>.

التجسس: هو أن تتبع عيب أخيك فتطلع على سرّه<sup>(٥)</sup>.

### الفرق بين التجسس والتجسس:

قال بعض العلماء: هما بمعنى واحد هو تطلب معرفة الأخبار. ولكن الأكثرين على التفريق، فالتجسس أن يطلب الخبر لغيره والتجسس أن يطلبه لنفسه، وقيل: التجسس: البحث عن العورات والتجسس: الاستماع<sup>(٦)</sup>، وقيل التجسس: البحث عمّا يكتّم عنك، وبالحاء: طلب الأخبار والبحث عنها، وقيل: إنّ التجسس بالجيم هو البحث، ومنه قيل رجل جاسوس إذا كان يبحث عن الأمور، والتجسس: هو ما أدركه الإنسان ببعض حواسّه<sup>(٧)</sup>.

وقال ابن كثير رحمته: التجسس غالباً يطلق في الشرّ ومنه الجاسوس، وأمّا التجسس فيكون غالباً في الخير، كما قال رحمته إخباراً عن يعقوب أنّه قال: ﴿يَجْنِيْ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رُّوحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧] وقد يستعمل كلّ منهما في الشرّ كما ثبت في الصحيح أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً»<sup>(٨)</sup>.

(١) تفسير الطبري (١١ / ٣٩٤).

(٢) لسان العرب (٦ / ٣٨).

(٣) النهاية (١ / ٢٧٢).

(٤) الكليات (٣٠٣).

(٥) الدر المنثور، للسيوطي (٧ / ٥٦٧).

(٦) النهاية (١ / ٢٧٢).

(٧) تفسير القرطبي (١٦ / ٢١٨).

(٨) تفسير ابن كثير (٤ / ٢١٣).

للاستزادة: انظر صفات: الفضح - الأذى - الإساءة - انتهاك الحرمات - الخيانة - إفشاء السر.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الستر - تكريم الإنسان - تعظيم الحرمات - الأمانة - كتمان السر - النزاهة].

\*\*\*

### من مضار (التجسس)

- (١) دليل ضعف الإيمان وفساد الخلق. (٥) يؤدي إلى فساد الحياة وكشف العورات.
- (٢) دليل دناءة النفس وخسستها. (٦) يستحق صاحبه غضب الله ورسوله
- (٣) يوغر الصدور ويورث الفجور. والمؤمنين.
- (٤) يورد صاحبه موارد الهلاك.

### التحقير والاشمئزاز

#### التحقير لغة:

مصدر قولهم: حقر الشيء أي قلل من شأنه ونسبه إلى الحقارة، وهو مأخوذ من مادة (ح ق ر) التي تدل على معنى واحد هو «استصغار الشيء» يقال: شيء حقير أي صغير، وقيل: صغير ذليل، تقول منه: حقر (بالضم) حقارة وحقرة هان قدره فلا يعاب به، وحقره واستحقره: استصغره، وتحاقرت إليه نفسه: تصاغرت، والتحقير: التصغير. والمحقرات: الصغائر. وحقر إذا صار حقيراً أي ذليلاً، والحقير أيضاً ضد الخطير<sup>(١)</sup>.

#### التحقير اصطلاحاً:

التحقير: هو أن يستصغر شخص شخصاً آخر أو ما يصدر عنه من معروف يسديه أو هديّة يعطيها<sup>(٢)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٩٢)، الصحاح (٢/ ٣٦٥)، المصباح المنير (١/ ١٤٣) ولسان العرب (حقر) (ص ٩٣٩) ط. دار المعارف.

(٢) انظر في احتقار الهدية من المهدي والمهدى إليه، فتح الباري (١٠/ ٤٥٩).

وقد يكون التّحقير أيضا للذّات وما يصدر عنها من معروف أو هديّة.

### الاشمئزاز لغة:

الاشمئزاز: مأخوذ من الشّمز وهو التّقبّض، يقال: اشمأز اشمئزازا، أي انقبض واجتمع بعضه إلى بعض، وقيل: معناه: ذعر من الشّيء، والشّمز أيضا هو نفور النّفس من الشّيء تكرهه<sup>(١)</sup>، أمّا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥] فمعناه أنّ المشركين كانوا إذا قيل لهم: «لا إله إلا الله» نفروا وكفروا، وقال قتادة: معنى اشمأزت: نفرت واستكبرت وكفرت وتعصّت، وقال القرطبي: وأصل الاشمئزاز: النّفور والازورار<sup>(٢)</sup>، وذكر ابن كثير أنّ المعنى: استكبرت عن المتابعة والانقياد فقلوبهم لا تقبل الخير ومن لا يقبل الخير يقبل الشرّ<sup>(٣)</sup>.

### الاشمئزاز اصطلاحا:

لم يعرف الاشمئزاز اصطلاحا، ويمكننا في ضوء ما ذكره اللغويون والمفسّرون أن نعرّفه بأنّه: نفور النّفس واستكبارها عن قبول الحقّ مع إبراز ما يدلّ على ذلك من تقبّض الوجه والازورار، لإظهار الكراهة.

[للاستزادة: انظر صفات: الاستهزاء- الأذى- الإساءة- السخرية- سوء الخلق- سوء المعاملة- الغرور- الكبر والعجب- السفاهة.

وفي ضد ذلك: انظر صفة: تكريم الإنسان- الإحسان- التواضع- حسن الخلق- حسن المعاملة- حسن العشرة- الكلم الطيب].

\*\*\*

### من مضار (التحقير والاشمئزاز)

- (١) التّحقير دليل الكبر والعجب بالنّفس.  
(٢) التّحقير يؤذي الآخرين فيتسلّطون عليه.  
(٣) التّحقير يفسد المودّة، ويقطع أوامر القربى.

(١) بتصرف يسير واختصار عن «لسان العرب» ٤ / ٢٣٢٤ ط. دار المعارف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٢٦٤ (باختصار وتصرف يسير).

(٣) نقل ابن كثير هذا التفسير عن زيد بن أسلم، انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٦١.

- (٤) التحقير أثر من آثار الجهل بالنفس والغرور (٨) الاشمئزاز يدل على الكبرياء وتحقيرها.  
 (٥) التحقير يحبط كثيرا من حسنات الإنسان. (٩) الاشمئزاز يؤذي من نشمئز منه ويجرح مشاعره.  
 (٦) التحقير نوع من أنواع الكبر يبغض الله صاحبه.  
 (١٠) الاشمئزاز من صفة المشركين المعاندين ولا يجلب لصاحبه إلا الشر والوبال.  
 (٧) التحقير يجعل صاحبه منعزلا مكروها بين الناس.

## التخاذل

### التخاذل لغة:

مصدر قولهم: تخاذل القوم أي خذل بعضهم بعضا، وهو مأخوذ من مادة (خ ذ ل) التي تدل على ترك الشيء والعود عنه، فالخذلان: ترك المعونة، يقال: خذلت الوحشية (ولدها) فهي خذول أي قعدت وتركته، ومن الباب تخاذلت رجلاه: ضعفتا، ويقال: رجل خذلة للذي لا يزال يخذل، أي كثيرا ما يخذل، وقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩] أي كثير الخذلان، قال الطبري: أي مسلما (إياه) لما ينزل به من البلاء غير منقذه ولا منجيه<sup>(١)</sup>.

يقال: خذله خذلانا: إذا ترك عونه ونصرته، وخذل عنه أصحابه تخذيلًا أي حملهم على خذلانه، وتخاذل (القوم) خذل بعضهم بعضا، وقال ابن منظور: الخاذل ضد الناصر (وجمعه خذال)، يقال: خذله يخذله خذلا وخذلانا وخذلانا أي أسلمه وخيبه وترك نصرته وعونه، والتخذيل: حمل الرجل على خذلان صاحبه، وتشبيطه عن نصرته، وخذلان الله للعبد ألا يعصمه من الشبه فيقع فيها، وقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠] معناه كما قال القرطبي: يترك عونكم<sup>(٢)</sup>، والخاذل: المنهزم، وتخاذل القوم تدابروا، وقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩] الخذل: الترك من الإعانة، ومنه

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٣٨٥).

(٢) المرجع السابق (٤/ ١٦٣).

خذلان إبليس للمشركين لما ظهر لهم في صورة سراقه بن مالك، فلما رأى الملائكة تبرأ منهم، وكل من صدّ عن سبيل الله وأطيع في معصية الله فهو شيطان للإنسان يخذله عند نزول العذاب والبلاء<sup>(١)</sup>، والخذول من الخيل: التي إذا ضربها المخاض لم تبرح من مكانها، ورجل خذول الرجل: تخذله رجله من ضعف أو عاهة أو سكر، وخذلت الظبية غيرها إذا تخلفت عن صواحبها فلم تلحق بهم<sup>(٢)</sup>.

### التخاذل اصطلاحاً:

قال المناوي: الخذلان: خلق قدرة المعصية في العبد، وخذله تخذيلاً: حملة على الفشل وترك القتال<sup>(٣)</sup>.

وقال الراغب: الخذلان: ترك النصرة ممن يظنّ به أن ينصر<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن الأثير: الخذل: ترك الإغاثة والنصرة<sup>(٥)</sup>، وإذا كان التخاذل: هو أن يخذل بعض القوم بعضاً. فإن التخاذل اصطلاحاً: «أن يترك الإنسان نصرة أخيه، ويترك أخوه نصرته إذا كان كلّ منهما يظنّ به نصرة صاحبه وإغاثته»<sup>(٦)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الأثرة - الإعراض التخلف عن الجهاد - التولي - الجبن - صغر الهمة الوهن - الفتنة - التفرق - التهاون.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإغاثة - التناصر - جهاد الأعداء - المروءة - الرجولة - علو الهمة - النشاط - الثبات - الشهامة - الشجاعة - العزم والعزيمة].

\*\*\*

(١) المرجع السابق (٧ / ١٩).

(٢) المفردات للراغب (ص ١٤٤)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٢ / ١٦٧)، الصحاح (٤ / ١٦٨٣)، لسان العرب (٢ / ١١١٨)، وبصائر ذوي التمييز (٢ / ٥٣١).

(٣) التوقيف (١٥٣).

(٤) المفردات (بتصرف يسير) (ص ١٤٤).

(٥) النهاية (٢ / ١٦).

(٦) اقتبسنا هذا التعريف من جملة أقوال المفسرين واللغويين ولم نعر عليه مصطلحاً ضمن كتب المصطلحات التي تيسرت لنا.

## من مضار (التخاذل)

- (١) يبغض الله فاعله ويجعله عرضة لأليم عقابه. (٥) يدلّ حدوثه على تبدل الوجدان وموت الضمير.
- (٢) يفكك عرى المجتمع ويهدم بنيانه. (٦) تحرم صاحبها من متعة نصره الحق، ولذّة (٣) صفة ذميمة في النفس ونقص في المروءة. الأخذ بيد المظلوم.
- (٤) من فعله كان سبّة في مجتمعه منبوذاً في (٧) صفة ذميمة تدلّ على حسّة في الطبع ولؤم عشيرته. في النفس.

## التخلف (العود) عن الجهاد

## التخلف لغة:

التخلف مصدر قولهم: تخلف عن الشيء يتخلف، وهو مأخوذ من مادة (خ ل ف) التي تدلّ على الخلف الذي هو خلاف قدام أي التأخر الذي هو نقيض التقدّم، يقول ابن فارس: الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني: خلاف قدام، والثالث: التغيير، يقال من المعنى الأوّل: هو خلف صدق من أبيه، وخلف سوء من أبيه. فإذا لم يذكر صدقاً ولا سوءاً، قالوا للجيد خلف وللرديء خلف، قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [مريم: ٥٩] وسميت الخلافة بذلك لأنّ الثّاني يجيء بعد الأوّل قائماً مقامه، وتقول: قعدت خلاف فلان أي بعده، والخوالف في قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [التوبة: ٨٧] هنّ النساء؛ لأنّ الرّجال يغيّبون في حروبهم وغاراتهم وهنّ يخلفنهم في البيوت والمنازل وقيل: الخالفة: عمود الخيمة المتأخّر، ويكنى بها عن المرأة لتخلفها عن المرتحلين، وجمعها: خوالف، ويقولون في الدّعاء: خلف الله عليك أي كان الله تعالى الخليفة عليك لما فقدت من أب أو حميم، وأخلف الله لك: أي عوضك من الشيء الذّاهب ما يكون يقوم بعده ويخلفه، ويقال من المعنى الثّاني (وهو خلف ضدّ قدام): هذا خلفي وهذا قدامي، ومن المعنى الثّالث قولهم: خلف فوه إذا تغيّر. وقال الرّاعب: ويقال: خلفته: تركته خلفي، قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١] أي مخالفيين. وقال القرطبي: المخلف: المتروك، أي خلفهم الله وثبطهم أو خلفهم

رسول الله ﷺ والمؤمنون لما علموا ثقلهم عن الجهاد، وكان هذا في غزوة تبوك، والخلاف: المخالفة، ومن قرأ خلف رسول الله: أراد التأخر عن الجهاد<sup>(١)</sup>، والخالف كالمتخلف: المتأخر لنقصان أو قصور، قال تعالى: ﴿فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التوبة: ٨٣] قال ابن عباس: الخالفون: من تخلف من المنافقين، وقال الحسن: من النساء والضعفاء من الرجال (فغلب المذكر) وقيل: المعنى فاقعدوا مع الفاسدين من قولهم: فلان خالفة أهل بيته إذا كان فاسدا فيهم من خلوف فم الصائم<sup>(٢)</sup>، والخلف: القرن بعد القرن، والخلف: الرديء من القول، والخلف والخلف: ما جاء من بعد، والخلف أيضا: ما استخلفته من شيء والخلف بالضم: الاسم من الإخلاف، والخلف بالكسر حلمة ضرع الناقة، والخلفة: أن يذهب أحد الشئيين ويجيء الآخر، والخلفة: اختلاف الليل والنهار، والقوم خلفة: أي مختلفون، والخلاف: المخالفة، والتخلف: التأخر. يقال: خلفت فلانا ورأيت فتخلف عني أي تأخر، وخلفه يخلفه صار خلفه، واختلفه أخذه من خلفه وخلفه وأخلفه: جعله خلفه، وخلف عن أصحابه: تخلف عنهم، والتخلف: التأخر، وفي حديث سعد: فخلفنا فكننا آخر الأربع، أي أخرنا ولم يقدّمنا. وفي حديث الصلاة: «ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم» أي آتاهم من خلفهم، أو أخالف ما أظهرت من إقامة الصلاة، وأرجع إليهم فأخذهم على غفلة، ويكون بمعنى أتخلف عن الصلاة بمعاقبتهم، وفي حديث السقيفة «وخالف عنا علي والزبير» أي تخلفا، وجاء خلفه أي خلفه<sup>(٣)</sup>.

**الجهاد في اللغة والاصطلاح: انظر صفة: الجهاد.**

### التخلف عن الجهاد اصطلاحا:

لم تذكر كتب المصطلحات هذا التعبير ضمن المصطلحات التي أوردتها، ويمكننا أن نعرف ذلك في ضوء ما ذكره اللغويون والمفسرون فنقول: التخلف عن الجهاد: هو أن يتقاعس المسلم ويتأخر عن استفراغ وسعه في مدافعة العدو من الكفار والمشركين.

### حكم التخلف عن الجهاد أو تركه:

قال الإمام ابن حجر: من الكبائر ترك الجهاد عند تعيينه بأن دخل الحربيون دار الإسلام أو

(١) تفسير القرطبي (٨ / ١٣٧).

(٢) المصدر السابق (٨ / ١٣٨) وهذا راجع إلى المعنى الثالث الذي ذكره ابن فارس.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (٢ / ٢١٠)، المفردات للراغب (١٥٧)، القاموس المحيط (٣ / ١٧٨)، الصحاح (٤ / ١٣٥٨)،

ولسان العرب (٢ / ١٢٣٢).

أخذوا مسلما وأمكن تخليصه منهم وترك الناس الجهاد من أصله، وترك أهل الإقليم تحصين ثغورهم بحيث يخاف عليها من استيلاء الكفار بسبب ترك ذلك التحصين.

[للاستزادة: انظر صفات: الأثرة- التخاذل- الضعف- الوهن- التولي- التفرق- صغر الهمة- التهاون- التفريط والإفراط- اتباع الهوى.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: جهاد الأعداء- الرجولة- الشجاعة- المسئولية- العزم والعزيمة- قوة الإرادة- القوة- علو الهمة- الثبات- النشاط].

\*\*\*

### من مضار (التخلف - القعود - عن الجهاد)

- (١) أن السعي في إبطال الجهاد والتخلف عنه (٣) إذا تخلف المسلمون عن الجهاد كثر سبب لشمول اللعنة من الله ﷻ وفي التفاعس عنه تفويت لكثير من الخير.
- (٢) القعود عن الجهاد يسبب كثيرا من المفسد العاجلة والآجلة: فأما العاجلة فإنه يستعدي الكفار على المسلمين ويطمعهم في بلادهم، وأما الآجلة فإنه سبب لتراكم الذنوب والمعاصي.
- (٤) يورث الذل في الدنيا والهوان على الله في الآخرة.
- (٥) مظهر من مظاهر التفاق وسوء الأخلاق.
- (٦) به تنتهك الحرم وتنهزم الأمم.
- (٧) دليل الجبن والخنوع والانزامية.

### ترك الصلاة

#### الترك لغة:

مصدر قولهم: تركت الشيء تركا، أي خليت، وهو مأخوذ من مادة (ت رك) التي تدل على «التخلي عن الشيء» وهو قياس الباب، ولذلك تسمى البيضة بالعراء تريكة، وتركة المييت: ما يتركه من ترائه، وقال الراغب: ترك الشيء: رفضه قصدا واختيارا أو قهرا واضطرارا، ومن الأول قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩] ومن الثاني قوله ﷻ ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعَيُْونٍ﴾ [الدخان: ٢٥] والتريكة من النساء: التي تترك فلا يتزوجها أحد، والتريكة أيضا: روضة

يغفلها النَّاسُ فلا يراعونها، يقال تاركته البيع متاركة (أي تركت البيع منه وترك البيع مني)، وقولهم: فما أترك: أي ما ترك شيئاً، وتراك بمعنى: أترك اسم لفعل الأمر من ترك، وقال ابن منظور: التَّرك: ودعك الشيء، يقال: تركه يتركه تركاً وأتركه. والتَّرك في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصفات: ٧٨] أي أبقينا عليه، وفي الحديث الشريف: «العهد الذي بيننا وبينهم الصَّلَاةُ فمن تركها فقد كفر» قال ابن الأثير: قيل: هو لمن تركها جاحداً، وقيل: أراد المنافقين؛ لأنهم يصلُّون رياء ولا سبيل عليهم حينئذ، ولو تركوها في الظَّاهر كفروا، وقيل أراد بالتَّرك: تركها مع الإقرار بوجوبها أو حتى يخرج وقتها، ولذلك ذهب أحمد بن حنبل إلى أنه يكفر بذلك حملاً للحديث على ظاهره، وقال الشافعي: يقتل بتركها ويصلَّى عليه ويدفن مع المسلمين<sup>(١)</sup>.

**الصلاة اصطلاحاً:** (انظر صفة الصَّلَاة).

**ترك الصلاة اصطلاحاً:** أن يدع الإنسان إقامة الصَّلَاة المفروضة عمداً<sup>(٢)</sup>.

**ترك الصلاة وإضاعة الصلاة والسهو عن الصلاة:**

أما ترك الصَّلَاة: فهو عدم إقامتها عمداً، وأما إضاعتها فقد قال ابن مسعود: وليس معنى إضاعتها تركها بالكليَّة. ولكن أخروها عن أوقاتها، وقال سعيد ابن المسيَّب إمام التابعين: هو أن لا يصلِّي الظهر حتى يأتي العصر، ولا يصلِّي العصر إلى المغرب، ولا يصلِّي المغرب إلى العشاء، ولا يصلِّي العشاء إلى الفجر، ولا يصلِّي الفجر إلى طلوع الشمس، فمن مات وهو مصرَّ على هذه الحالة ولم يتب أو عده الله بغيٍّ، وهو واد في جهنم بعيد قعره، شديد عقابه<sup>(٣)</sup>.

وقال القرطبي (محمد بن كعب): هي إضاعة كفر وجحود بها وقيل: إضاعة أوقاتها وعدم القيام بحقوقها، قال القرطبي: وهو الصَّحيح<sup>(٤)</sup>.

**أما السهو عن الصَّلَاة فقد اختلف فيه على أقوال عديدة ذكر منها الإمام الطبري:**

١ - تأخيرها عن وقتها: روي عن مصعب بن سعد قال: قلت لأبي: رأيت قول الله ﷻ

﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥].

(١) مقاييس اللغة (١/ ٣٤٦)، المفردات (ص ٧٤)، الصحاح (٢/ ١٥٧٦)، لسان العرب (١/ ٤٣٠)، النهاية (١/ ١٨٨).

(٢) كتاب الصلاة لابن القيم (٢١).

(٣) الغزالي مكاشفة القلوب (٣٥٨).

(٤) تفسير القرطبي (١١/ ١٢٢).

أهي تركها: قال: لا. ولكنه تأخيرها عن وقتها.

٢- وقيل عنى بذلك (بالسهو) أنهم يتركونها فلا يصلونها، وذكر من قال ذلك عن ابن عباس في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ <sup>(٤)</sup> الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿﴾ [الماعون: ٤، ٥] فهم المنافقون. كانوا يراءون الناس بصلاتهم إذا حضروا ويتركونها إذا غابوا وقيل أيضا عن مجاهد في عن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ قال: التَّرك لها.

٣- يتهاونون بها ويتغافلون عنها.

قال مجاهد قوله: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: لاهون، وعن قتادة سَاهُونَ: غافلون. وقال ابن زيد في قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] يصلون وليست الصلاة من شأنهم، وعن مجاهد سَاهُونَ يتهاونون.

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قوله سَاهُونَ: لاهون. يتغافلون عنها وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها تضييعها أحيانا وتضييع وقتها أخرى وإذا كان كذلك صح بذلك قول من قال: عنى بذلك ترك وقتها وقول من قال عنى تركها.

ومما يؤيد ذلك ما روي عن سعد بن أبي وقاص قال: سألت النبي ﷺ عن الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وما روي عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ «لما نزلت هذه الآية <sup>(١)</sup>. ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ هذا خير لكم من أن لو أعطي كل رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي إن صلى لم يرج خير صلاته، وإن تركها لم يخف ربّه».

### حكم ترك الصلاة:

وقال ابن القيم رحمته: «لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدا من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وأن إثمه عند الله أعظم من إثم قتل النفس، وأخذ الأموال، ومن إثم الزنى والسرقه وشرب الخمر، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة. وقد كان عمر بن الخطاب رضي عنه يكتب إلى الآفاق، أن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حفظها، حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، والصلاة أول فروض الإسلام، وهي آخر ما يفقد من الدين، فهي أول الإسلام وآخره، فإذا ذهب أوله وآخره فقد ذهب

(١) المرجع السابق (٣٠ / ٧٠٦، ٧٠٨).

جميعه، وكلّ شيء ذهب أوّله وآخره فقد ذهب جميعه»<sup>(١)</sup>.

وقد عدّ ابن حجر تعمّد ترك الصّلاة من الكبائر، وذكر قول الله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾<sup>(٤٢)</sup> فأولئك من المصلّين ﴿[المدثر: ٤٢، ٤٣] ونقل بعضهم أنّه صحّ عن النّبِيِّ ﷺ أنّ تارك الصّلاة كافر، وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النّبِيِّ ﷺ أنّ تارك الصّلاة عمداً من غير عذر حتّى يذهب وقتها كافر، وقال أيّوب: ترك الصّلاة كفر لا يختلف فيه<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: اتباع الهوى - الإعراض - التفريط والإفراط - انتهاك الحرمات - التهاون - الإلحاد - الزندقة - الضلال - الكفر - الردة - الإهمال - العصيان - الفسوق - الكسل - الفجور. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الصلاة - الذكر - العبادة - تعظيم الحرمات - الإيمان - الإسلام - الطاعة - الاتباع - الدعاء - الضراعة والتضرع - الابتهاج - التوسل - القنوت - الاستغفار التوبة].

\*\*\*

### من مضار (ترك الصلاة)

- (١) طريق يؤدّي إلى الكفر والخروج من الملة. (٧) يحشر صاحبها مع هامان وقارون وفرعون وأبي بن خلف.
- (٢) استحقاق سخط الله وغضبه.
- (٣) حلول النّقم وذهاب النّعم.
- (٤) دليل على قلّة توفيق المرء وسوء عاقبته.
- (٥) البعد عن الله والبغض من النّاس.
- (٦) يورث الهوان والدّل في الدّنيا والآخرة.
- (٨) يصحرم صاحبها نعمة لقاء الله ويسمّى مضيقاً لأمانة الله.
- (٩) يحرم من أهمّ مصدر لتكفير السيّئات وزيادة الحسنات.

### التسول

#### التسول في اللغة:

التسوّل أصلها التسوّل وهي مأخوذة من مادة (س أل)، والسؤال ما يسأله الإنسان. ﴿أُوتِيَتْ سُؤْلُكَ يَمْوَسَى﴾ [طه: ٣٦] بالهمز، وبغير الهمز.

(١) انظر كتاب الصلاة لابن القيم (٢١، ٢٢).

(٢) الزواجر لابن حجر (١٧٢).

وسألته الشيء، وسألته عن الشيء سؤالاً ومسألة<sup>(١)</sup>.

يقول الراغب: «السؤال: الحاجة التي تحرص النفس عليها، والتسويل تزيين النفس لما تحرص عليه، وتصوير القبيح منه بصورة الحسن، قال تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]، وقال أيضاً: السؤال: استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة واستدعاء مال، أو ما يؤدي إلى المال، فاستدعاء المعرفة، جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها إما بوعده أو برده<sup>(٢)</sup>.

ويقول الأزهري: وأصل السؤال مهموز، غير أن العرب استثقلوا ضغطة الهمزة فيه فحففوا الهمزة، وسؤلة كهزمة: الكثير السؤال من الناس، بالهمز وبغير الهمز<sup>(٣)</sup> والسؤل والسؤلة بالضم، المسألة، والفرق بينها وبين الأمانة<sup>(٤)</sup> أن السؤلة فيما طلب، والأمانة فيما قدر، وكأن السؤلة تكون بعد الأمانة، والتسؤل بمعناه الحاضر مولد، فقد جاء في المعجم الوسيط «تسؤل» استعطى (مولد)<sup>(٥)</sup>.

#### التسؤل اصطلاحاً:

لم تذكر كتب الاصطلاحات القديمة «التسؤل» ضمن ما أوردته، وقد تكفلت بذلك المعاجم الحديثة، فقال أحمد بدوي: التسؤل: طلب الصدقة من الأفراد في الطرق العامة، والمتسؤل: الشخص الذي يتعيش من التسؤل ويجعل منه حرفة له ومصدراً وحيداً للرزق<sup>(٦)</sup>.

ويعتبر التسؤل في بعض البلاد جريمة يعاقب عليها، خاصة إذا كان المتسؤل صحيح البدن، كما يكون التسؤل محظوراً، حيث توجد مؤسسات خيرية<sup>(٧)</sup>، وأضاف بعضهم: أو إذا هدد المتسؤل أمن المجتمع؛ أو دخل في مسكن دون استئذان<sup>(٨)</sup>.

(١) الصحاح (٥/ ١٧٢٣).

(٢) المفردات (٢٤٩، ٢٥٠).

(٣) التاج (٤/ ٣٢٤).

(٤) المرجع السابق (١٤/ ٣٦٦).

(٥) المعجم الوسيط (١/ ٤٦٥).

(٦) معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية (٢٩).

(٧) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٨) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (٣٧) للدكتور أحمد زكي بدوي.

## حكم التسول:

قال أبو حامد الغزالي رحمته: السَّوَالُ حرام في الأصل، وإنَّما يباح بضرورة أو حاجة مهمَّة قريبة من الصَّرورة، وإنَّما قلنا: إنَّ الأصل فيه التَّحريم لأنَّه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرَّمة: الأوَّل: إظهار الشَّكوى من الله تعالى، إذ السَّوَالُ إظهار للفقر، وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشَّكوى.

الثَّاني: أن فيه إذلال السَّائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن أن يذلَّ نفسه لغير الله بل عليه أن يذلَّ نفسه لمولاه، فإنَّ فيه عزَّه. فأما سائر الخلق فإنَّهم عباد أمثاله، فلا ينبغي أن يذلَّ لهم إلا لضرورة، وفي السَّوَالُ ذلٌّ للسَّائل بالإضافة إلى إيذاء المسئول.

الثَّالث: أنَّه لا ينفك عن إيذاء المسئول غالبا، لأنَّه ربَّما لا تسمح نفسه بالبدل عن طيب قلب منه فإن بذل حياء من السَّائل، أو رياء فهو حرام على الآخذ، وإن منع ربَّما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع، إذ يرى نفسه في صورة البخلاء، ففي البدل نقصان ماله، وفي المنع نقصان جاهه، وكلاهما مؤذيان، والسَّائل هو السَّبب في الإيذاء، والإيذاء حرام إلا بضرورة<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الذل - اتباع الهوى صغر الهمة - الكسل - التخاذل - التهاون - الطمع.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: العزة - العمل - النشاط - العفة - الفناعة - النزاهة - الرضا - الزهد - النشاط - قوة الإرادة - الشرف].

\*\*\*

## من مضار (التسول)

- |  |                                     |
|--|-------------------------------------|
| (١) يورث الذلَّ والهوان في الدُّنيا والآخرة. | (٥) يورث سفولا وانحطاطا في المجتمع. |
| (٢) عمل دنيء تمجَّه الأذواق السَّليمة.       | (٦) انتزاع البركة من المال.         |
| (٣) استحقاق الوعيد عليه في الآخرة.           | (٧) حرمان إجابة الدَّعاء.           |
| (٤) دليل على دناءة النَّفس وحقارتها.         | (٨) دليل على سوء الخاتمة.           |

(١) إحياء علوم الدين للامام أبي حامد الغزالي (٤ / ٢٢٣).

## التشامل

## التشامل لغة:

مصدر قولهم: تشامل أي أخذ جهة الشمال وهو ضدّ التيامن، وهو مأخوذ من مادّة (ش م ل) التي تدلّ على الجانب الذي يخالف اليمين<sup>(١)</sup>، ومن ذلك: اليد الشمال ومنه: الرّيح الشمال، لأنّها تأتي عن شمال القبلة إذا استند المستند إليها من ناحية العراق، ويقال للشّوب يغطّي به: الشّمال تسمية له باسم العضو الذي يستره، والاشتمال بالشّوب: أن يلتفّ به الإنسان فيطرّحه على الشّمال، وفي الحديث نهي عن اشتمال الصّماء، أي أن يجلّل جسده كلّه بالكساء أو الإزار وأشمل الرّجل من الشّمال (أي دخل في جهة الشّمال) كقولهم: أجنب من الجنوب، ويقال: أشمل القوم: إذا دخلوا في ريح الشمال فإذا أردت أنّها أصابتهم قلت: شملوا. والشّمال: الرّيح التي تهبّ من ناحية القطب وفيها لغات<sup>(٢)</sup>. عديدة وجمعها شمالات، وشمائل. وغدير مشمول: تضربه ريح الشّمال حتّى يبرد، ومنه قيل للخمر: مشمولة إذا كانت باردة الطّعم، والنّار مشمولة: إذا هبّت عليها ريح الشّمال ويقال: شملت الرّيح تشمل شمولاً أي تحوّلت شمالاً، ريح الشّمال، واليد الشّمال (بالكسر) خلاف اليمين والجمع أشمل لأنّها مؤنّثة وشمائل أيضاً على غير قياس.

وقال ابن منظور: جمع الشّمال: أشمل وشمائل، وشمل. وفي التنزيل العزيز: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ [النحل: ٤٨]. وفيه أيضاً: ﴿وَعَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَائِلِ﴾ [الأعراف: ١٧] والعرب تقول: فلان عندي باليمين أي بمنزلة حسنة، وإذا حسّت منزلته قالوا: أنت عندي بالشّمال. والشّمال: الشّوم حكاه ابن الأعرابي والشّمال: الطّبع والجمع شمائل، وهو أيضاً: الخلق<sup>(٣)</sup>. ويرادف التّشامل: التّياسر.

## التشامل اصطلاحاً:

وإذا كان التّشامل نقيض التّيمّن ويرادف التّياسر، وكان التّيمّن: هو الابتداء في الأفعال باليد اليمنى والرّجل اليمنى والجانب الأيمن فإنّنا نستطيع على ضوء ذلك أن نعرّف التّشامل بأنّه: الابتداء في الأفعال باليد اليسرى أو الرّجل اليسرى والجانب الأيسر.

(١) لهذه المادة معنى آخر هو: دوران الشيء وأخذه إياه من جوانبه كما في قولك: شملهم الأمر إذا عمهم. انظر مقاييس اللغة (٣/ ٢١٤).

(٢) من هذه اللغات: شمل (بالتحريك) وشمل بالتسكين وشمال، وشمأل (وشأمل).

(٣) مقاييس اللغة (٣/ ٢١٤)، المفردات للراغب (٢٦٧)، والصحاح (٥/ ١٧٤٠)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٢٤٦)، ولسان العرب (٤/ ٢٣٣٩).

للاستزادة: انظر صفات: التطير - القدوة السيئة - الغي والإغواء - اتباع الهوى - الإصرار على الذنب.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التيمن - الأسوة الحسنة - الاتباع - الطاعة].

\*\*\*

### من مضار (التشامل)

- (١) مخالفة سنة رسول الله ﷺ .  
 (٢) أن أهل الشمال في الآخرة هم أهل النار .  
 (٣) أنه يحرم التوفيق في أموره .  
 (٤) أن البدء بالشمال يكون في الأمور الدنيّة والأحوال غير الكريمة .  
 (٥) فيه تشبه بالشيطان الرجيم والكفار أصحاب الجحيم .  
 (٦) تنزع البركة ممن يأكل بشماله ويشرب بشماله .

### التطيف

#### التطيف لغة:

مصدر قولهم: طَفَّفَ الكيل يَطْفُفُه، وهو مأخوذ من مادة (ط ف ف) التي تدور حول معنى القلة، يقول ابن فارس: الطاء والفاء (المضغفة) يدل على قلة الشيء، ومن ذلك قولهم: هذا شيء طفيف (قليل)، والتطيف: نقص الكيل والميزان، وقد سمي بذلك لأن الذي ينقصه منه يكون طفيفاً، ويقال لما فوق الإناء الطفاف والطفافة، وطف المكوك (المكيال) والإناء وكذلك طففه وطفافه (بفتح الطاء وكسرهما) ما ملاً أصباره، يقال: هذا طف المكيال وطفافه: إذا قارب ملاءه، وفي الحديث «كلكم بنو آدم طف الصاع، ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى». قال ابن الأثير: المعنى: كلكم في الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة في النقص والتقصير عن غاية التمام، شبههم في نقصانهم بالمكيل الذي لم يبلغ أن يملأ المكيال، وفي حديث عمر رضي الله عنه «قال لرجل: ما حبسك عن صلاة العصر؟ فذكر له عذراً، فقال عمر: طففت: أي أنقصت» والتطيف يكون بمعنى الوفاء والنقص، يقال: طففت بفلان موضع كذا: أي رفعته إليه وحاذيته به، ومن ذلك: حديث عمر رضي الله عنه: «سبقت الناس وطفف بي الفرس مسجد بني زريق» أي وثب بي حتى كاد يساوي

المسجد، والطفافة بالضم، والطففة، ما فوق المكيال، وقيل: الطفافة بالضم، والطففة، ما فوق المكيال، وقيل: الطفافة ما قصر عن ملء الإناء من شراب وغيره، وإناء طفان: بلغ الكيل طفافه أي قرب أن يمتلىء ويساوي أعلاه، تقول منه: أطففته، وطف الشيء منه: إذا دنا، ومنه سمي الطف (الجانب) والمطفف مأخوذ من الطفيف وهو القليل وسمي بذلك لأنه لا يكاد يسرق إلا الشيء الطفيف الخفيف، وإنما أخذ من طف الشيء وهو جانبه، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّينَ﴾ [المطففين: ١] قال القرطبي: التطفيف: تقليل الحق بنقصانه في كيل أو وزن، وقيل: نقص المكيال، وهو ألا تملأه إلى أصباره (أي جوانبه)، وقال الطبري: هو نقصان الناس وبخسهم حقوقهم في مكيالهم إذا كالوهم أو في موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء<sup>(١)</sup>، وقال ابن منظور: طف الشيء يطف طفنا دنا وتها وهو أن يؤخذ أعلاه ولا يتم كيله فهو طفان، ويقال: هذا طف المكيال وطفافه وطفافه إذا قارب ملأه ولما يملأ، ولهذا قيل للذي يسيء الكيل ولا يوفيه مطفف، يعني أنه إنما يبلغ به الطفاف<sup>(٢)</sup>.

#### التطفيف اصطلاحاً:

قال الراغب: طفف الكيل: قلل نصيب المكيل له في إيفائه، واستيفائه ومن ثم يكون التطفيف: تقليل نصيب المكيل له في الإيفاء والاستيفاء<sup>(٣)</sup>.

وقال المناوي: التطفيف: التقليل، ومنه تطفيف الميزان والمكيال، ولا يستعمل إلا في الإيجاب، فلا يقال: ما طفف<sup>(٤)</sup>.

ويستنبط مما جاء به القرآن الكريم أن التطفيف: هو الاستيفاء من الناس عند الكيل أو الوزن، والإنقاص والإخسار عند الكيل أو الوزن لهم. ويلحق بالوزن والكيل ما أشبههما من المقاييس والمعايير التي يتعامل بها الناس<sup>(٥)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠ / ٣٨٣)، وتفسير الطبري (١٩ / ١٦٥).

(٢) راجع المادة اللغوية في: مقاييس اللغة (٣ / ٤٠٥)، المفردات (٣١٤) النهاية (٣٠ / ١٢٩) الصحاح (٤ / ١٣٩٥) تاج العروس (٢٢ / ٣٥٥) ولسان العرب (٩ / ٢٢٢) ط. بيروت.

(٣) المفردات للراغب (٣١٤)، ومعنى هذه العبارة أن المطفف يقلل نصيب من يتعامل معه فإن كان مشترياً منه زاد، وإن كان بائعاً له أنقص.

(٤) التوقيف (٩٩ - ١٠٠).

(٥) انظر المفردات للراغب (٣٨) (بخس)، ٣١٤ (طفف).

**الفرق بين البخس والتطيف:**

يتمثل الفرق بينهما في أنّ البخس نقص الشيء على الظلم قليلا أو كثيرا، أمّا التطيف فهو النقص القليل أو النزر الذي لا يعتدّ به، وأيضا فإنّ التطيف يكون بالاستيفاء إذا كان المطفّف أخذًا وبالنقصان إذا كان معطيا، أمّا البخس فلا يكون إلّا نقصانا، يقول الكفوي: كلّ ما في القرآن من بخس فهو النقص إلّا في قوله تعالى: ﴿ وَشَرُّهُ بِشَمَنِ بَخْسٍ ﴾ [يوسف: ٢٠] فمعناه حرام<sup>(١)</sup>.

**حكم التطيف:**

عدّ ابن حجر التطيف من الكبائر وجعله شاملا لبخس نحو الكيل أو الوزن أو الذرع، وذلك لأنّه من أكل أموال الناس بالباطل؛ ولهذا اشتدّ الوعيد عليه كما علمته من الآية والأحاديث، وأيضا فإنّما سمي مطففاً لأنّه لا يكاد يأخذ إلّا الشيء الطفيف وذلك ضرب من السرقة والخيانة مع ما فيه من الإنباء عن عدم الأنفة والمروءة بالكليّة، ومن ثمّ عوقب بالويل الذي هو شدّة العذاب، أو الوادي في جهنّم لو سيّرت فيه جبال الدّنيا لذابت من شدّة حرّه، نعوذ بالله منه، وأيضا فقد شدّد الله تعالى عقوبة قوم شعيب - على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام - على بخسهم المكيال والميزان<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: أكل الحرام - الخيانة - السرقة - الطمع - الظلم - الربا - الخداع - التناجش - الغش - الغلول.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: القسط - الأمانة - الإنصاف - العدل والمساواة - حسن المعاملة - الصّلاح - العفة].

\*\*\*

**من مضار (التطيف)**

- (١) سبب لسخط الجبار وولوج النّار. (٢) دليل على شحّ النّفس وتعلّق القلب بالكسب الخبيث. (٣) يعاقب الله عليه في الدّنيا بالقحط والجذب وجور السّلطان.

(١) الكليات للكفوي (١/ ٣٨٧).

(٢) انظر الزواجر لابن حجر (٣٣٤).

- (٤) الأُمَّة التي يفشو فيها هذا الداء آيلة إلى (٧) يتسبب في إفساد العلاقات بين أفراد الذل والهوان. المجتمع.
- (٥) الكيل والوزن أمانة فمن طفف فقد خان. (٨) يكون المطفف قدوة سيئة لمن يتبعه في هذا الأمر ولذلك فهو يتحمل وزرهم معهم.
- (٦) يعد صاحبها - بين الناس - غير أمين، ويكون محتقرا في المجتمع.

## التطير

### التطير لغة:

مصدر قولهم: تطير من الشيء، وهو مأخوذ من مادة (ط ي ر)، التي يقول عنها ابن فارس: «الطاء والياء والراء أصل واحد يدل على خفة الشيء في الهواء، ثم يستعار ذلك في غيره وفي كل سرعة، من ذلك الطير جمع طائر، سمي بذلك لما قلناه... ثم يقال لكل من خف قد طار... فأما قولهم تطير من الشيء فاشتقاقه من الطير كالغراب وما أشبهه»<sup>(١)</sup>.

وقد بين الراغب العلاقة بين الطير والتطير فقال: «وتطير فلان، واطير: أصله التفاوض بالطير، ثم يستعمل في كل ما يتفائل به ويتشائم»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الفيومي: «وتطير من الشيء واطير منه، والاسم الطيرة وزان عنبة، وهي التشاؤم وكانت العرب إذا أرادت المضي لهم مرت بمجاثم الطير وأثارها لتستفيد، هل تمضي أو ترجع، فنهى الشارع عن ذلك»<sup>(٣)</sup>.

والطيرة: - بكسر ففتح - ما يتشائم به من الفأل الرديء، وفي الحديث «أنه كان يحب الفأل، ويكره الطيرة» وفي آخر «ثلاثة لا يسلم منها أحد: الطيرة، والحسد، والظن. قيل: فما نصنع؟ قال: إذا تطيرت فامض، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تصحح». ويقول ابن الأثير: وأصله - فيما

(١) المقاييس (٣/ ٤٤٦).

(٢) المفردات (٣٢٢).

(٣) المصباح (٣/ ٣٨٢).

يقال - التّطير بالسّوانح والبوارح من الطّباء والطّير وغيرهما، وكان ذلك يصدّهم عن مقاصدهم فنفاه الشّرع، وأبطله ونهى عنه (١).

والطّائر: ما تيمّنت به أو تشاءمت، وأصله في ذي الجناح، وقالوا للشّيء يتطير به: طائر الله لا طائر، قال ابن الأنباري: معناه فعل الله وحكمه لا فعلك وما تتخوّفه (٢). وقول الله تعالى في قصّة ثمود وتشاؤمهم بنيهم صالح عليه السلام ﴿ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [النمل: ٤٧] اطيرنا تشاءمنا، وقوله: ﴿ طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ [يس: ١٩] أي شؤمكم معكم، وهو كفرهم، وقيل للشؤم طائر وطير وطيرة؛ لأنّ العرب كان من شأنها عيافة الطير وزجرها، والتطير ببارحها وبنعيق غربانها، وأخذها ذات اليسار إذا أثاروها، وأعلم الله جلّ ثناؤه على لسان رسوله أنّ طيرتهم باطلة، وقال: « لا طيرة ولا هامة»، قال الأزهري: كانت العرب مذهبها في الفأل والطيرة واحد فأثبت النبي عليه السلام الفأل واستحسنه، وأبطل الطيرة ونهى عنها (٣)، أمّا قوله ﴿ يَطِيرُوا بِمُوسَى ﴾ [الأعراف: ١٣١] أي يتشاءموا به ويقولون: ما أصابنا ذلك إلا بشؤمهم، وقيل: يقولون: ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرّخاء والخصب والعافية منذ جاءنا موسى عليه السلام (٤). وقال ابن منظور: التّطير: التّشاؤم، والطّائر: ما تشاءمت به، والطّائر: الحظّ وهو الذي تسمّيه العرب البخت، والطيرة: ما يتشاءم به من الفأل الرديء (٥).

### التطير اصطلاحاً:

التطير هو التّشاؤم بما يرى من مجيء الطّير والطّباء ونحو ذلك ناحية الشّمال أو بما يسمع من صوت طائر، كائنا ما كان وعلى أيّ حال كان. هذا هو التّطير عند العرب. أمّا تطير الأعاجم وتشاؤمهم فهو عند ما يرون صبيّاً يذهب به إلى المعلمّ بالغداة، أو برؤية السّقاء على ظهره قرية مملوءة مشدودة، أو بالحّمّال المثقل بالحمل، والدّابة الموقرة (أي التي عليها حمل شديد) (٦).

(١) النهاية (٣/ ١٥٢).

(٢) التاج (٧/ ١٥٤، ١٥٥).

(٣) تهذيب الأزهري (١٥/ ١٢).

(٤) تفسير القرطبي، وروح المعاني للألوسي (٩/ ٣٢)، وتفسير الطبري (٧/ ١٦٩).

(٥) لسان العرب (٥/ ٢٧٣٥، ٢٧٣٨).

(٦) تفسير القرطبي (٧/ ١٦٩).

## من مضار (التطير)

- (١) ينافي الإيمان، ويضادّ التوكّل.  
 (٢) لا يدفع مكروها ولا يجلب محبوبا.  
 (٣) دليل قلة العقل وذهاب الحلم.  
 (٤) اضطراب النفس وبلبلة الفكر.  
 (٥) الفشل في الحياة.  
 (٦) دعوة إلى تعطيل المصالح وترك السعي.
- (٧) صفة من صفات الجاهليّة، وعادة مذمومة من عاداتهم.  
 (٨) دعوة صريحة للكفر بالقضاء والقدر.  
 (٩) تجعل الإنسان عبدا للخزعلات والدّجل.  
 (١٠) فيها مخالفة صريحة لأمر الرسول ﷺ.

## التعاون على الإثم والعدوان

**التعاون لغة واصطلاحاً:** (انظر صفة التعاون على البرّ والتقوى)

## الإثم لغة:

مصدر قولهم: أثم يأثم، وهو مأخوذ من مادة (أث م) التي تدلّ على البطء والتأخر، ومن ذلك ناقة آثمة: أي متأخرة، والإثم مشتقّ من ذلك، لأنّه بطيء عن الخير متأخر عنه، يقال: أثم فلان: وقع في الإثم أي الذنب، ويجمع على آثام. والأثام: جزاء الإثم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ أراد مجازاة الأثام يعني العقوبة، والأثام والإثام: عقوبة الإثم.

وقال القرطبي: الأثام في كلام العرب: العقاب، وقيل: واد في جهنّم جعله الله عقاباً للكفرة<sup>(١)</sup>.

ويقول الراغب: الإثم والأثام اسم للأفعال المبطنّة عن الثواب والجمع آثام، وتسمية الكذب والقمار والخمر والمعصية وغير ذلك بالإثم لكونها من جملته، وقال الجوهري: الإثم: الذنب، والأثام جزاء الإثم، يقال: أثم الرجل إثماً ومأثماً، إذا وقع في الإثم فهو آثم وأثيم وأثوم أيضاً، يقال: أثمه الله في كذا يأثمه ويأثمه أي عدّه عليه إثماً وقيل عاقبه على الإثم فهو مأثوم أي مجزيّ جزاء

(١) تفسير القرطبي (١٣ / ٥١).

إثمه، وأثمه: أوقعه في الإثم، وأثمه أي قال له: أئمت (ورماه بالإثم)، وقد تسمى الخمر إثما، وتأثم من كذا: أي تخرج عنه وكفّ، وقال ابن منظور: تأثم: تاب من الإثم، واستغفر منه، وهو (أي صيغة التأثم) على السلب كأنه سلبه بالتوبة والاستغفار أو رام ذلك بهما، وفي حديث معاذ: فأخبر بها عند موته تأثما أي تجنبا للإثم، كما يقال أيضا: تأثم فلان: إذا فعل فعلا خرج به من الإثم، كما يقال تخرج: إذا فعل ما يخرج به عن الحرج<sup>(١)</sup>.

### الإثم اصطلاحا:

قال الجرجاني: الإثم: ما يجب التحرز منه شرعا وطبعاً<sup>(٢)</sup>.

وقال المناوي: الإثم والأثم: هي الأفعال المبطنة للثواب والآثم المتحمل للإثم<sup>(٣)</sup>.

وقال الكفوي: الإثم: هو الذنب الذي تستحق العقوبة عليه، ولا يصح أن يوصف به إلا المحرم<sup>(٤)</sup>.

### العدوان لغة:

مصدر قولنا عدا عليه، وهو مأخوذ من مادة (ع د و) التي تدل على تجاوز في الشيء وتقدم لما ينبغي أن يقتصر عليه، والعدوان: الظلم الصراح، يقال: عدا عليه (عدوانا) واعتدى عليه (اعتداء)، وتعدى عليه (تعديا) كله بمعنى واحد. وفي اللسان: عدا عليه عدوا، وعداء، وعدوا، وعدوانا، وعدوانا، وعدوى، وتعدى واعتدى كله: ظلمه.

وقد أوضح الراغب ارتباط فروع هذه المادة فقال: العدو: التجاوز ومنافاة الالتئام، فتارة يعتبر (التجاوز) بالقلب فيقال له: العداوة والمعاداة، وتارة بالمشي فيقال له: العدو، وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة فيقال له: العدو والعدوان والعدو قال تعالى: ﴿فَيَسُبُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] أي عدوانا، ومن العدوان المحذور ابتداء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]. العدوان: هنا هو ظلم الناس كما يقول القرطبي، أو هو تجاوز ما حد الله لكم في دينكم

(١) مقاييس اللغة (١/ ٦٠)، المفردات (ص ٥)، الصحاح (٥/ ١٨٥٨)، ولسان العرب (١/ ٢٨) (ط. دار المعارف).

(٢) التعريفات (٧).

(٣) التوقيف (٣٨).

(٤) الكليات للكفوي (٤٠).

وفرض عليكم في أنفسكم<sup>(١)</sup>، ومن العدوان الذي هو على سبيل المجازاة ويصح أن يتعاطى مع من ابتدأ به، قول الله تعالى: ﴿فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣] أي لا سبيل إلا عليهم، والظالمون هم المشركون بالله، وذلك على وجه المجازاة لما كان من المشركين من الاعتداء، والمعنى حينئذ: افعلوا بهم مثل الذي فعلوا بكم، كما يقال: إن تعاطيت مني ظلما تعاطيته منك، والثاني: ليس بظلم<sup>(٢)</sup>، والعادي: الظالم، يقال: لا أشمت الله بك عاديك، أي عدوك الظالم لك، وقولهم: فلان عدو فلان معناه: فلان يعدو على فلان بالمكروه ويظلمه، يقال: عدا عدوا: ظلم وجار، وفي حديث قتادة «أنه عدي عليه» أي ظلم وسرق ماله، يقال: عدا بنو فلان على بني فلان أي ظلموهم، وعدا الأمر وتعداه: تجاوزه، وعداه عن الأمر عدوا وعدوانا، وعداه: كلاهما صرفه وشغله، والعداء والعدواء والعادية كله: الشغل يعدوك عن الشيء، وتعادي ما بينهم: تباعد، وتعادي القوم عادي بعضهم بعضا من العداوة، والعادي: المعتدي، والمعادي أي المتجاوز الطور، والعدو: ضد الصديق، وقيل: ضد الولي، يكون للواحد والجمع، والذكر والأنثى بلفظ واحد وجمعه أعداء واسم الجمع عدى وعدى، وجمع الجمع أعاد، قال الفيروز آبادي: وقد يثنى ويجمع ويؤنث في بعض اللغات<sup>(٣)</sup>.

#### العدوان اصطلاحا:

قال المناوي: العدوان: أسوأ الاعتداء في قول أو فعل أو حال<sup>(٤)</sup>.  
وقال الكفوي: تجاوز المقدار المأمور بالانتهاء إليه والوقوف عنده<sup>(٥)</sup>.

#### التعاون على الإثم والعدوان اصطلاحا:

أن يعين بعض الناس بعضا على ترك ما أمر الله بفعله وتجاوز ما حد في الدين وفرض على الناس في أنفسهم وفي التعامل مع غيرهم<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير القرطبي (٦ / ٣٣)، والطبري (٤ / ٤٠٥).

(٢) المرجع السابق (٢ / ٢٠٢).

(٣) مقاييس اللغة (٤ / ٢٤٩)، المفردات للراغب (٣٣٩)، وبصائر ذوي التمييز (٤ / ٣١)، الصحاح (٦ / ٢٤٢١)، لسان

العرب (عدو) (٤ / ٢٨٥٠) (ط. دار المعارف).

(٤) التوقيف (٢٣٨).

(٥) الكليات (٥٨٤).

(٦) اقتبسنا هذا التعريف مما ذكره الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ ولا تعاونوا على الإثم

والعدوان انظر تفسير الطبري (٤ / ٤٠٥).

## الفرق بين الإثم والعدوان:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : معنى قول الله تعالى ذكره: ﴿وَعَاوَنُوا عَلَىٰ آلِهِ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا عَاوَنُوا عَلَىٰ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]. أن كلا منهما (الإثم والعدوان) إذا أفرد تضمن الآخر، فكل إثم عدوان إذ هو فعل ما نهى الله عنه أو ترك ما أمر الله به. فهو عدوان على أمره ونهيه وكذلك كل عدوان إثم فإنه يأتي به صاحبه. هذا ولكن عند اقتراحهما يكونان شيئين بحسب متعلقتهما. فالإثم ما كان محرّم الجنس كالكذب والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك. والعدوان: ما كان محرّم القدر والزيادة. فالعدوان تعدي ما أبيع منه إلى القدر المحرّم كالاعتداء في أخذ الحق ممن هو عليه. إمّا بأن يتعدى على ماله أو بدنه أو عرضه، فإذا غصبه خشبة لم يرض عوضها إلا داره وإذا أتلف عليه شيئاً أتلف عليه أضعافه، وإذا قال فيه كلمة قال فيه أضعافها فهذا كله عدوان وتعدّد للعدل<sup>(١)</sup>.

وقال القرطبي: العدوان تجاوز الحدّ، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، وقيد الوعيد بذكر العدوان والظلم ليخرج منه فعل السهو والغلط<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التخاذل - الغي والإغواء - الفتنة - الحرب والمحاربة - البغي - الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف - العدوان - العتو - الظلم. وفي ضد ذلك: انظر صفات: التعاون على البر والتقوى - الإخاء - الإغاثة - تفرج الكربات - التناصر - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - الاستعانة - الاستغاثة - الصفح - السلم].

\*\*\*

## من مضار (التعاون على الإثم والعدوان)

- (١) تقلب نظام المجتمع وتساعد على فساد (٤) دليل كامل على ضعف الإيمان وقلة الدّم. المروءة.
- (٢) تفتح أبواب الشرّ وتطمس معالم الحقّ (٥) يبشّر صاحبها بعاقبة وخيمة وعذاب أليم. ليرتع الباطل.
- (٦) ينبذ صاحبها ويهمل شأنه إذا كان المجتمع صالحاً.
- (٣) تنبيء عن خسة صاحبها ودناءة نفسه.

(١) التفسير القيم لابن القيم (٢٢٨).

(٢) تفسير القرطبي (١٠٣ / ٥).

(٧) تساعد على طغيان الحاكم وترخص له (٨) إذا تحققت في مجتمع كانت سببا في خرابه.  
الظلم.  
(٩) تضييع الحقوق، وتصل لغير أهلها  
ومستحقيها.

## التعسير

### التعسير لغة:

مصدر قولهم: عَسَّر الأمر تعسيرا، وهو مأخوذ من مادة (ع س ر) التي تدل على معنى الصعوبة والشدة، يقول ابن فارس: العين والسين والراء أصل صحيح واحد، يدل على صعوبة وشدة، فالعسر: نقيض اليسر والإقلال أيضا عسرة، لأن الأمر ضيق عليه شديد، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. وأعسر الرجل، إذا صار من ميسرة إلى عسرة، وعسرته أنا أعسره، إذا طالبته بدينك وهو معسر، ولم تنظره إلى ميسرته. ويقال: عسرت عليه تعسيرا إذا خالفته. والعسرى خلاف اليسرى، وتعسر الأمر: التوى.. ويقال للذي يعمل بشماله: أعسر، والعسرى هي الشمال، وإنما سميت عسرى، لأنه يتعسر عليها ما يتيسر على اليمنى.

ويقال: رجل أعسر بين العسر، وامرأة عسراء إذا كانت قوتها في أشملهما ويعمل كل واحد منهما بشماله ما يعمل غيره بيمينه. واستعسر الأمر وتعسر إذا صار عسيرا.. ويقال: أعسرت المرأة، إذا عسر عليها ولادها. ويوم عسر وعسير وأعسر. شديد ذو عسر، قال تعالى في صفة القيامة ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٩، ١٠] يوم عسير أي شديد<sup>(١)</sup> وقال ابن منظور: العسر الضيق والشدة والصعوبة، وهو نقيض اليسر. قال عيسى بن عمر: كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم وأوسطه ساكن فمن العرب من يثقله فيقول: عسر، ورحم، وحلم (بضم الحرف الثاني منها)، ومنهم من يخففه فيقول: عسر، ورحم، وحلم (بإسكان الحرف الثاني). وتقول: عسر الأمر (بالضم) يعسر عسرا فهو عسير. وعسر عليه الأمر (بالكسر) يعسر (بالفتح) عسرا: أي التاث فهو عسير: أي شديد.

وتقول: تعسر الأمر وتعاسر واستعسر إذا اشتد والتوى وصار عسيرا، وتقول: تعاسر الزوجان والبيعان إذا لم يتفقا. وعسر الزمان: أي اشتد علينا وعسر عليه أي ضيق، وأعسر الرجل:

(١) تفسير الطبري (١٢ / ٣٠٥).

أضاق. وكذلك تقول: عسر الرجل عسرا فهو عسر وعسارة (بالفتح) إذا قلّ سماحه في الأمور<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] العسر: الشدّة والمشقة، وقال ابن عباس: العسر هو الصيام في السفر<sup>(٢)</sup>. وقال القرطبي: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ هو بمعنى قوله: يريد بكم اليسر فكّرر تأكيدا<sup>(٣)</sup>.

### التعسير اصطلاحاً:

لم تذكر كتب المصطلحات التعسير ضمن ما أوردته من مصطلحات، ويمكن أن نستخلص ذلك من جملة أقوال المفسرين واللغويين فنقول: التعسير: أن يشدّد الإنسان على نفسه أو غيره في أمر الدين بالزيادة على المشروع، أو في أمر الدنيا بترك الأيسر ما لم يكن إثماً.

### من شدّد شدّد الله عليه:

قال ابن القيم رحمته: نهى النبي صلّى الله عليه وآله عن التشديد في الدين بالزيادة على المشروع، وأخبر صلّى الله عليه وآله أنّ تشديد العبد على نفسه هو سبب لتشديد الله عليه إمّا بالقدر وإمّا بالشرع. فبالقدر كفعل أهل الوسواس، فإنّهم شدّدوا على أنفسهم فشدد عليهم حتى استحکم وصار صفة لازمة لهم.

وأما التشديد بالشرع: كمن شدّد على نفسه بالنذر فشدد الله عليه فألزمه الوفاء به<sup>(٤)</sup>.

### الكمال لا يعني التشدد:

قال ابن المنير رحمته: رأينا ورأى الناس قبلنا أنّ كلّ متنطّع في الدين يقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنّه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدّي إلى الملال أو المبالغة في التطوّع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كلّه ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة<sup>(٤)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٣٢٠)، الصحاح (٢/ ٧٤٤)، ولسان العرب (٥/ ٢٩٣٨ - ٢٩٤٠)، وتاج العروس (٧/ ٢١٥ - ٢١٦)

المصباح المنير (٤٠٩).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ١٦٣).

(٣) تفسير القرطبي (٢/ ١٨٥).

(٤) الفتح (١/ ٩٤).

[للاستزادة: انظر صفات: الغلو- التفريط والإفراط- التنفير- الأثرة- التخاذل- التكلف- الشح- البخل- الاحتكار.  
وفي ضد ذلك انظر صفات: التيسير- التوسط الرفق- تفريج الكربات- الإغاثة- الإخاء التناصر- المواساة- الألفة].

\*\*\*

### من مضار (التعسير)

- (١) دليل على ضعف العقل، وسبب لتسلط الشيطان على الإنسان. (٦) ينفر الناس عن الوصول للحق والعمل بالخير.
- (٢) لا يحبّه الله ﷻ ويؤدّي إلى بغضه. (٧) يصعب على الناس ما سهّله لهم الشريعة فيقيدهم عن معرفته فضلا عن الالتزام به.
- (٣) يؤدّي إلى الانقطاع عن العمل وعدم الاستمرار فيه. (٨) مخالفة أمر الرسول ﷺ في قوله وفعله.
- (٤) دليل على الجهل وقلة الفهم عند من (٩) قد يؤدّي إلى شطحات تضرّ به في دين يتصف به. ودنيا.
- (٥) بعد الناس عن المتّصّفين به وبغضهم لهم.

### التفرق

#### التفرق لغة:

مصدر تفرّق يتفرّق، إذا تشتت ولم يجتمع، وهو مأخوذ من مادّة (ف ر ق) التي تدلّ على معنى «التّمييز والتّفريق» يقول ابن فارس: الفاء والراء والقاف أصيل صحيح يدلّ على تمييز وتزييل بين شيئين، من ذلك فرق الشعر، يقال: فرقت الشعر فرقا، والفرق: الفلق من الشيء إذا انفلق منه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

والفرق: القطعة المنفصلة، ومنه الفرقة للجماعة المتفرّدة من الناس، والفريق الجماعة المتفرّقة عن آخرين، وقيل: الفرقة طائفة من الناس، والفريق أكثر منهم، وفي الحديث «أفاريق العرب» وهو جمع أفراق، وأفراق: جمع فرقة.

وقال الراغب: يقال: فرقت بين الشيئين: فصلت بينهما سواء كان ذلك بفصل يدركه البصر، أو بفصل تدركه البصيرة، وقيل لعمر رضي الله عنه «الفاروق» لكونه فارقا بين الحق والباطل، وقول الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦] أي بيننا فيه الأحكام وفصلناه وقيل: فرقناه أي أنزلناه مفرقا، والتفريق أصله للتكثير (في الفرق)، ويقال ذلك في تشييت الشمل والكلمة كما في قوله سبحانه: ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقوله سبحانه: ﴿فَرَّقَتْ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [طه: ٩٤] أما قوله سبحانه: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٥٠] فمعناه أنهم يظهرن الإيمان بالله ويكفرون برسله خلاف ما أمرهم الله به، والفرقان أبلغ من الفرق؛ لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل، والفرق يستعمل في ذلك وفي غيره، ويوم الفرقان هو اليوم الذي يفرق فيه بين الحق والباطل، والحجة والشبهة، وقال الجوهري: يقال: فرقت بين الشيئين أفرق فرقا وفرقانا، وفرقت الشيء تفريقا وتفرقة، فانفرق وافترق وتفرق<sup>(١)</sup>، ويقال: فرق له الطريق أي اتجه له طريقان، وقال ابن منظور: الفرق: خلاف الجمع، يقال: فرق فرقا، وفرق تفريقا، وفر (يستعمل) في الصلاح، والتفريق للإفساد، ويقال: انفرق الشيء وتفرق وافترق، والتفرق والافتراق سواء، ومنهم من يجعل التفرق للأبدان، والافتراق في الكلام، يقال: فرقت بين الكلامين فافترقا، وفرقت بين الرجلين فتفرقا، وفي الحديث «من فارق الجماعة فميتته جاهلية»، يعني أن كل جماعة عقدت عقدا يوافق الكتاب والسنة فلا يجوز لأحد أن يفارقهم في ذلك العقد، فإن خالفهم فيه استحق الوعيد، وتفرق القوم: فارق بعضهم بعضا، وفارق فلان امرأته مفارقة وفراقا: بائنها، والفرق والفرقة والفريق: الطائفة من الشيء المتفرق، والمفرق والمفرق: وسط الرأس، وهو الذي يفرق فيه الشعر، ومفرق الطريق، متشعبه الذي يتشعب منه طريق آخر<sup>(٢)</sup>.

### التفرق اصطلاحا:

وقال المناوي: التفرق: تشييت الشمل والكلمة<sup>(٣)</sup>.

وقال الكفوي: التفرق: إيقاع التباين بين شيئين من نوع واحد<sup>(٤)</sup>.

(١) معنى هذا أن هذه الصبغ الثلاث تدل على المطاوعة.

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٤٩٣)، الصحاح (٤/ ١٥٤٠-١٥٤١)، المفردات (٣٧٧)، ولسان العرب (فرق) (ص ٣٣٩٧). ط. المعارف.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (١٠٣).

(٤) الكليات (٢/ ٧٨).

[للاستزادة: انظر صفتي: التنازع-التخاذل-الفتنة-الجدال والمراء-الهجر-اتباع الهوى-سوء المعاملة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاجتماع-الاعتصام-الألفة-الإخاء-السماحة-حسن المعاملة-حسن العشرة-حسن الخلق].

\*\*\*

### من مضار (التفرق)

- (١) نهى الله عن التفرق في كل صورته؛ لأنه يشل حركة المجتمع المسلم ويوهن المسلمين ويضعفهم.
- (٢) الحذر من الكافرين؛ لأنهم يفرقون بين الله ورسوله ويؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض.
- (٣) سبيل الله واحدة، وسبيل الشيطان متفرقة، فمن تبعها فقد ضلّ وغوى.
- (٤) اتباع الأهواء يفرق، والحب والإخاء يجمع، فلينظر كل واحد ماذا يعمل.
- (٥) الاتحاد قوة، والتفرق وهن وضعف.
- (٦) وهو دليل خبث النفس وسوء الطوية.
- (٧) طريق موصل إلى النار وسخط الجبار.

### التفريط والإفراط

#### التفريط لغة:

مصدر قولهم: فرط في الأمر يفرط بمعنى قصر، وهو مأخوذ من مادة (ف ر ط) التي تدلّ على إزالة شيء عن مكانه، وتنحيته عنه. يقال: فرطت عنه ما كرهه، أي نحيتّه، هذا هو الأصل، ثم يقال: أفرط.

إذا تجاوز الحدّ في الأمر. يقولون: إياك والفرط، أي لا تجاوز القدر. وهذا هو القياس، لأنّه إذا جاوز القدر فقد أزال الشيء عن جهته، وكذلك التفريط، وهو التقصير، لأنّه إذا قصر فيه فقد قعد به عن رتبته التي هي له<sup>(١)</sup>.

(١) المقاييس (٤/ ٤٩٠).

والفارط: المتقدم السابق، ويقال: فرط يفرط فروطا.. وفرط إليه رسوله: قدّمه وأرسله، وفرطه في الخصومة: جرّاه. وفرط القوم يفرطهم فرطا وفراطة: تقدّمهم إلى الورد لإصلاح الأرضية والدّلاء ونحوها.

وفرطت القوم أفرطهم فرطا أي سبقتهم إلى الماء. فأنا فارط، والفرط: الماء المتقدم لغيره من الأمواه، والفراطة الماء يكون شرعا بين عدّة أحياء، من سبق إليه فهو له، والفرط: ما تقدّمك من أجر وعمل، وفرط الولد: صغاره ما لم يدركوا، وجمعه أفراط، وفي الدّعاء للطفّل الميّت: اللهم اجعله لنا فرطا، أي أجرا يتقدّمنا حتّى نرد عليه. وفرط فلان ولدا، وافرطهم: ماتوا صغارا. والإفراط: أن تبعث رسولا مجردا خاصّا في حوائجك. وفارطت القوم مفارطة وفراطا، أي سابتهم، وهم يتفارطون، وفلان لا يفرط إحسانه وبرّه، أي لا يخاف فوته.

والفرطة: اسم للخروج والتّقدّم. وفي حديث أم سلمة قالت لعائشة رضي الله عنها إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهاك عن الفرطة في الدين، يعني السّبق والتّقدّم ومجاوزة الحدّ. والفرط: الأمر يفرط فيه، وقيل: هو الإعجال، وقيل: النّدم، وفرط عليه يفرط، عجل عليه وعدا وآذاه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا﴾ [طه: ٤٥].

والإفراط: إعجال الشّيء في الأمر قبل الثّبت.

يقال: أفرط فلان في أمره أي عجل فيه. وفرط الشهوة والحزن: غلبتهما، وأفرط عليه: حمّله فوق ما يطيق، وكلّ شيء جاوز قدره فهو مفرط. والفرط: الحين، وقيل: الفرط أن تأتيه في الأيام ولا تكون أقلّ من ثلاثة ولا أكثر من خمس عشرة ليلة. وفرط: كفّ عنه وأمهله<sup>(١)</sup>.

وفرط الشّيء وفيه تفريطا: ضيّعه وقدم العجز فيه، وفرط في جنب الله، ضيّع ما عنده فلم يعمل، ومنه قوله تعالى: ﴿يَحْسِرْنَ عَلَىٰ مَا فَرَطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] وأمره فرط أي متروك، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] أي متروكا، ترك فيه الطّاعة وغفل عنها.

وقال الطّبري في تفسيره: ما فرطت في جنب الله، معناه فيما تركت من أمر الله، وقال القرطبي: قال الحسن: في طاعة الله، وقال الضّحّاك: أي في ذكر الله تعالى قال: يعني القرآن والعمل به<sup>(٢)</sup>.

(١) اللسان «فرط» (٣٦٨ - ٣٧٠).

(٢) انظر تفسير الطبري (١١ / ١٩)، تفسير القرطبي (١٥ / ١٧٦).

وفي الحديث «ليس في النوم تفريط، إنما التفريط أن لا يصلّى حتى يدخل وقت الأخرى» وفرّطه تفريطاً: مدحه حتى أفرط في مدحه، مثل قرّطه. وقال الخليل: فرّط الله تعالى عن فلان ما يكره: نحاه، وأفرط الأمر إذا نسيه، فهو مفرط، أي منسيّ، وبه فسّر مجاهد ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ أي منسيون<sup>(١)</sup>.

#### التفريط والإفراط اصطلاحاً:

قال الكفوي: الإفراط: التّجاوز عن الحدّ ويقابله التّفريط<sup>(٢)</sup>، ويؤخذ منه أنّ التّفريط: هو التّقصير والوقوف دون الحدّ في الأمور، فإذا كان حدّ الاعتدال في أمر من الأمور هو عشر درجات كان الإفراط تجاوز ذلك إلى إحدى عشرة فما فوقها، وكان التّفريط هو تحصيل تسع فما دونها. وقيل: التّفريط في الأمر: التّقصير فيه، وتضييعه حتى يفوت<sup>(٣)</sup>.

#### التفريط والإفراط مهلكة للفرد والمجتمع:

لقد أمر الإسلام بالتوسّط في الأمور كلّها، فقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] والوسطية التي هي سمة هذه الأمة يضيّعها أمران: أحدهما: التّقصير الذي هو التّفريط وما يترتب عليه من تضييع الحقوق، والتّكاسل عن أداء الواجبات، وينجم عن ذلك تأخّر الأمة في المجالات الاقتصادية من زراعية وصناعية وتجارية وغيرها، وعلى حسب درجة التّفريط يكون اعتماد الأمة على غيرها، ذلك الاعتماد الذي يفقدها استقلالها وإرادتها ويجعلها عالة على من يقدّم لها المساعدة.

ثانيهما: الإفراط وهو على العكس من ذلك، يؤدّي إلى الغلوّ والإسراف والتّطرف في الأمور كلّها، وقد يحسب هؤلاء المفرطون أنّهم يحسنون صنعا، إذ يشدّدون على أنفسهم وعلى غيرهم، ولا يجنون من وراء ذلك إلا كما يجنيه المنبت الذي يهلك دابّته ولا يصل إلى تحقيق غرضه، وقد حدّر رسول الله ﷺ من هذا عندما قال: «إنّ هذا الدّين متين فأوغلوا فيه برفق<sup>(٤)</sup>» وقد يحسب هؤلاء المفرطون أنّهم بتسرّعهم وتشدّدهم يقدّمون لأنفسهم ولأمتهم، وأنّى لهم ذلك وهم يخالفون صريح ما جاءت به الآيات والأحاديث التي تنهى عن التّفريط والإفراط كليهما، وتدعوا

(١) التاج (١٠ / ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣).

(٢) الكليات للكفوي (١٥٥).

(٣) الصحاح للجوهري (٣ / ١١٤٨).

(٤) مسند الإمام أحمد (٣ / ١٩٩).

إلى التَّوسُّط والاعتدال؟! وكم من فورة أعقبتها حسرة، وعجلة تبعثها ندامة، والواجب على كلِّ مسلم ومسلمة أن ينأى عن التَّفريط، وأن يبعد نفسه عن الإفراط حتَّى يكون من هؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] وليعلم أنَّ الفضائل كلّها منوطة بعدم التَّفريط والإفراط في الأمور كلّها<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التهاون - الكسل - صغر الهمة - الإهمال - التخلف عن الجهاد - الوهن التخاذل - انتهاك الحرمات - التولي.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التوسط - الاستقامة - علو الهمة - جهاد الأعداء - تعظيم الحرمات - القوة - قوة الإرادة - الشجاعة - العزم والعزيمة - الصبر والمصابرة].

\*\*\*

### من مضار (التفريط والإفراط)

- (١) يؤدِّي إلى العقاب الشديد. (٥) يستجلب الغفلة عن ذكر الله.  
 (٢) في التَّفريط ضياع للثواب. (٦) شيوع الفساد في المجتمع.  
 (٣) البعد عن الله واستحقاق البغض. (٧) الانقطاع عن الطَّاعة، وعدم الاستمرار  
 (٤) التَّفريط في العبادة مدعاة إلى الكسل. فيها، قد يؤدِّي إلى تركها بالكلية.

### التكاثر

#### التكاثر لغة:

مصدر قولهم: تكاثر فلان وفلان أي قال كلُّ منهما أنا أكثر منك في كذا أو طلب أن يكون كذلك، وهو مأخوذ من مادة (ك ث ر) التي تدلُّ على خلاف القلَّة، يقال من ذلك: كثر بنو فلان بني فلان فكثروهم، أي كانوا أكثر منهم، وعدد كثر أي كثير، قال الأعشى:  
 ولست بالأكثر منهم حصي وإثم العزّة للكـاثر<sup>(٢)</sup>

(١) مثال ذلك أن الشجاعة هي المنزلة الوسط بين الجبن والتهور، والجود وسط بين التقصير والإسراف.

(٢) مقاييس اللغة (٥ / ١٦١).



بمعنى، وأكثر الله فينا مثلك، أي جعل، وأكثر الرجل: كثر ماله، وكثر في الأمر أي أكثر القول والعيب، وفي حديث الإفك «ولها ضرائر إلا كثرن فيها» قال ابن الأثير: أي كثرن القول فيها والعيب لها<sup>(١)</sup>، وقول الله تعالى: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ۖ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١، ٢] قيل نزلت في حيين تفاخروا أيهم أكثر عددا وهم بنو عبد مناف وبنو سهم فكثرت بنو عبد مناف بنو سهم، فقالت بنو سهم: إن البغي أهلكننا في الجاهلية فعاذونا بالأحياء والأموات.

فكثرتهم بنو سهم، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ۖ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي حتى زرتهم الأموات، وقيل: بل المعنى: ألهاكم التفاخر بكثرة العدد والمال حتى زرتهم المقابر أي حتى متم، قال جرير للأخطل:

زار القبور أبومالك فأصعب الأُم زوارها  
فجعل زيارة القبور بالموت، وقولهم: أكثر النخل: أطلع، من قولهم، الكثر: جمار النخل وهو شحمه الذي في وسط النخلة<sup>(٢)</sup>.

#### التكاثر اصطلاحاً:

قال الراغب: التكاثر: التباري في كثرة المال والعز<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن القيم: التكاثر أن يطلب الرجل أن يكون أكثر من غيره، قال: وهو مذموم إلا فيما يقرب إلى الله ﷻ<sup>(٤)</sup>.

#### مجالات التكاثر:

قال ابن القيم: التكاثر يكون في كل شيء من مال، أو جاه، أو رياسة، أو نسوة، أو حديث، أو علم، ولا سيما إذا لم يحتج إليه ويكون التكاثر (أيضا) في الكتب والتصانيف وكثرة المسائل وتفريغها وتوليدها<sup>(٥)</sup>.

#### التكاثر بين المدح والذم:

التكاثر قد يكون محمودا إذا كان في طاعة الله ﷻ، وقد روى الإمام أحمد عن أبي سعيد

(١) النهاية (٤/ ١٥٣).

(٢) لسان العرب «كثر» (٣٨٢٨) باختصار وتصرف. ط. دار المعارف.

(٣) المفردات للراغب (٤٢٦).

(٤) الفوائد لابن القيم (٤١).

(٥) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

الخدريّ أنّ رسول الله ﷺ قال: «استكثروا من الباقيات الصّالحات» قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الملّة» (ثلاث مرّات) قيل: وما الملّة يا رسول الله؟ (للمرّة الرابعة) قال: «التكبير والتّهليل والتّسبيح والتّحميد، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم<sup>(١)</sup>، أمّا إذا كان التّكاثر في غير ذلك من الأعراس الزّائلة من المال والولد ونحوهما فإنّه مذموم ومنهّي عنه شرعا، يقول الإمام ابن القيم: كلّ ما يكثر به العبد غيره سوى طاعة الله ورسوله وما يعود عليه بنفع معاده فهو داخل في التّكاثر المذموم<sup>(٢)</sup> الذي يلهي الإنسان ويشغله، وربّما وصل به إلى أن يموت ضالّا.

### التكاثر وحب الدنيا:

إنّ إيثار الحياة الدّنيا والاعتزاز بها والخلود إليها هي العوامل الأساسيّة التي تدعو إلى التّكاثر في المال أو الجاه وغيرهما من مجالات التّكاثر التي أشرنا إليها، ويظلّ حبّ الدّنيا ملازما للإنسان حتّى مع كبر سنّه واقتراب نذر الموت منه، يقول المصطفى ﷺ: «لا يزال قلب الكبير شابّا في اثنتين: في حبّ الدّنيا، وطول الأمل»<sup>(٣)</sup>، وهؤلاء المتكاثرون هم من أبناء الدّنيا الذين أشار إليهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: «ارتحلت الدّنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكلّ واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدّنيا، فإنّ اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل»<sup>(٤)</sup>.

إنّ النّهي عن التّكاثر النّاشيء عن حبّ الدّنيا لا ينبغي بحال أن يفهم منه النّهي عن اكتساب المعاش أو السّعي في طلب الرّزق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٢٧]، يقول ابن الجوزيّ: بالغ قوم في هجر الدّنيا من غير بحث عن حقيقتها، وذلك أنّه ما لم يعرف حقيقة الشّيء فلا يجوز أن يمدح أو يذمّ، فإذا بحثنا عن الدّنيا رأينا هذه الأرض البسيطة التي جعلت قرارا للخلق، تخرج منها أقواتهم، ويدفن فيها أمواتهم، ومثل هذا لا يذمّ لموضع المصلحة فيه، وكلّ ما في هذه الدّنيا من ماء وزرع وحيوان، كلّ لمصالح الآدميّ وفيه حفظ لسبب بقائه، الذي هو سبب لمعرفته ربّه

(١) أحمد في المسند ٣/ ٧٥ (حديث رقم ١١٧١٩).

(٢) الفوائد لابن القيم (٤١).

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الرقاق، انظر فتح الباري (١١/ ٢٤٣).

(٤) المرجع السابق (١١/ ٢٣٩).

وطاعته إيّاه، وخدمته، وما كان سببا لبقاء العارف العابد فإنّه يمدح ولا يذمّ، فبان لنا أنّ الدّم إنّما هو لا أفعال الجاهل المتكاثّر، أو المعاصي المفسد، أمّا إذا اقتنى المرء المال المتاح، وأدّى زكاته، فلا لوم<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الأمن من المكر - البطر - الكبر والعجب - اتباع الهوى - الأثرة - الكنز - البخل - الشح - أكل الحرام - التطفيف - السرقة - الغش - الربا. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الزهد - التواضع - التقوى - الورع - الإنفاق - الإيثار - البر - الجود - السخاء - الصدقة - الإحسان - الزكاة - الكرم - النزاهة - أكل الطيبات].

\*\*\*

### من مضار (التكاثّر)

- (١) التّكاثّر بالأموال والأولاد ونحوهما يلهي الإنسان ويشغله عن الطّاعات.
- (٢) التّكاثّر ضارّ بدين المسلم كضرب الدّثب الضّاري على الغنم.
- (٣) التّكاثّر في طلب المال خسران في الدّنيا وعذاب في الآخرة.
- (٤) المكثرون (أو الأكثرون) من أقلّ الناس ثوابا في الآخرة إلّا من عصم الله تعالى فأنفق كثيرا.
- (٥) المكثرون هم الأخسرون إلّا إذا أنفقوا في الطّاعات بغير حساب.
- (٦) المتكثّرون عن طريق المسألة لا يزيدهم الله إلّا فقرا وذلا في الدّنيا.
- (٧) المتكثّر بالسّؤال يلقي الله وليس على وجهه مزعة لحم.
- (٨) التّكاثّر مظهر من مظاهر التّرف الذي يؤدّي إلى الكبر والغرور.
- (٩) التّكاثّر والتّكالب على زهرة الحياة الدّنيا يؤدّي إلى الهلاك وإراقة الدّماء.
- (١٠) التّكاثّر والجمع للدّنيا لا يسعى له إلّا من قلّ عقله وانعدم تبصّره.
- (١١) التّكاثّر في العلم عن الحدّ المعقول يؤدّي إلى ضياع ما لا ينبغي ضياعه.

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي (١٨) بتصرف يسير.

## التكلف

## التكلف لغة :

التَّكَلَّفُ مصدر قولهم: تكلف الشيء يتكلفه، وهو مأخوذ من مادة (ك ل ف)، التي تدور حول معنى الإيلاج بالشيء والتعلُّق به، تقول: كلف بالأمر يكلف كلفاً (تعلُّق به وأولع)، وأكلفته به: جعلته كلفاً، والكلف في الوجه: سمي (بذلك) لتصوّر كلفة به، وتكلف الشيء، أن يفعله الإنسان بإظهار كلف مع مشقّة تناله في تعاطيه، وصارت الكلفة في التعارف اسماً للمشقّة، يقال: كلف بالشيء كلفاً وكلفةً، فهو كلف ومكلف: لهج به. قال أبو زيد: كلفت منك أمراً كلفاً. وكلف بها أشدّ الكلف أي أحبّها. والمكلف والمتكلف: الوقاع فيما لا يعنيه. والمتكلف: العريض لما لا يعنيه: يقال: كلفت هذا الأمر وتكلفته. والكلفة: ما تكلفت من أمر في نائبة أو حق. ويقال: كلفت بهذا الأمر: أي أولعت به. وفي الحديث: «اكلفوا من العمل ما تطيقون»، وهو من كلفت بالأمر إذا أولعت به وأحببته. والكلف: الولوع بالشيء مع شغل قلب ومشقّة. وكلفه تكليفاً أي أمره بما يشقّ عليه، وتكلف الشيء: تجشّمته على مشقّة وعلى خلاف عادتك. وفي الحديث: «أراك كلفت بعلم القرآن» وفي الحديث «أنا وأمّتي براء من التكلف»، وكلفته إذا تحمّلته.

ويقال: فلان يتكلف لإخوانه الكلف والتكاليف. ويقال: حملت الشيء تكلفة إذا لم تطقه إلا تكلفاً، وهو تفعلة. وفي حديث عمر رضي الله عنه (نهينا عن التكلف) أراد كثرة السؤال والبحث عن الأشياء الغامضة التي لا يجب البحث عنها، والأخذ بظاهر الشريعة وقبول ما أنت به. قال ابن سيده: كلف الأمر وتكلفه تجشّمه على مشقّة وعسرة <sup>(١)</sup>.

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] أي وما أنا ممن يتكلف تخرّص القرآن وافتراءه، وقيل: لا أتكلف ولا أتخرّص ما لم أومر به <sup>(٢)</sup>.

## التكلف اصطلاحاً :

قال المناوي: التكلف: أن يحمل المرء على أن يكلف بالأمر كلفه بالأشياء التي يدعو إليها <sup>(٣)</sup> طبعه.

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٣٦)، ولسان العرب (٩/ ٣٠٧)، والمصباح المنير (٢/ ١٩٩) بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٧٦).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٦٠٨)، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٥٠).

(٣) التوقيف (١٠٧).

وقال الرَّاعِب: التَّكَلَّف: اسم لما يفعل بمشقة أو تصنع أو تشبّع<sup>(١)</sup>. وقال الفيروزبادي: التَّكَلَّف: تحمّل الأمر بما يشقّ على الإنسان<sup>(٢)</sup>.

والتَّكَلَّف قد يكون محموداً، وهو ما يتوخّاه الإنسان ليتوصّل به إلى أن يصير الفعل الذي يتعاطاه سهلاً عليه ويصير كلفاً به ومحبباً له، ولهذا النَّظَر استعمل التَّكَلِّيف في تكلف العبادات، وقد يكون مذموماً، وهو ما يتكلفه الإنسان مراعاة وهو المقصود هنا<sup>(٣)</sup>.

### التكلف بين المدح والذم:

قال الرَّاعِب: التَّكَلَّف على ضربين: الأوّل: محمود، وهو ما يتحرّاه الإنسان ليتوصّل به إلى أن يصير الفعل الذي يتعاطاه سهلاً عليه ويصير كلفاً به ومحبباً له، وبهذا النَّظَر يستعمل التَّكَلِّيف في تكلف العبادات.

الثاني: مذموم وهو ما يتحرّاه الإنسان مراعاة، وإياه عني بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] وقوله ﷺ «أنا وأتقياء أمتي برءاء من التَّكَلَّف»<sup>(٤)</sup>. وهذا المعنى الثاني هو المقصود من هذه الصّفة.

[للاستزادة: انظر صفات: التعسير - الغلو - التفريط والإفراط - التنفير.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: التوسط - التيسير - الإخلاص - المروءة].

\*\*\*

### من مضار (التكلف المذموم)

- (١) هو أقرب إلى الرياء منه إلى الحقّ. (٤) يشعر بقلق النَّفس واضطرابها.
- (٢) يسخط الرَّبَّ ﷻ ويقود صاحبه إلى (٥) التَّكَلَّف قد يحبط عمل صاحبه، فيلقاه يوم النيران.
- (٣) لا يحبّه النَّاس ويبتعدون عنه.

(١) المفردات (٤٣٩).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٤ / ٣٧٦).

(٣) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) المفردات ٣٤٩، وبصائر ذوي التمييز (٤ / ٣٧٦).

## التناجش

## التناجش لغة:

مصدر قولهم: تناجش يتناجش، وهو مأخوذ من مادة (ن ج ش) التي تدلّ - كما يقول ابن فارس - على إثارة شيء، ومن ذلك النّجش، وهو أن تزايد في المبيع بشيء كثير لينظر إليك الناظر فيقع فيه، وهو الذي جاء في حديث «لا تناجشوا»<sup>(١)</sup> كأنّ النّاجش استثار تلك الزيادة<sup>(٢)</sup>.

ويقال: نجشت الصّيد أي استثرت، والنّاجش: الذي يحوش الصّيد، ونجشت الإبل: جمعتها بعد تفرّق<sup>(٣)</sup>، وقيل إنّ التّناجش مأخوذ من النّجش بمعنى الختل والخديعة، ومن هذا المعنى قيل للصّائد ناجش لأنّه يخلت الصّيد ويحتال له<sup>(٤)</sup>، وقال ابن حجر: النّجش في اللّغة: تنفير الصّيد واستثارته من مكانه ليصاد<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن منظور: أصل النّجش: البحث وهو استخراج الشيء والنّجش أيضا: استشارة الشيء، قال رؤبة: والخسر قول الكذب المنجوش والمنجوش (هنا) المفتعل المكذوب، يقال: رجل نجوش ونجاش ومنجش ومنجاش: أي مشير للصّيد، والمنجش والمنجاش (أيضا) الوقاع بين الناس.

والنّجش<sup>(٦)</sup> والتّناجش: الزيادة في السلعة أو المهر لسمع بذلك، فيزاد فيه.. وفي الحديث الشريف: نهى رسول الله ﷺ عن النّجش في البيع وقال: «لا تناجشوا» والمراد - كما قال أبو عبيد - التّهي عن أن يزيد الرّجل ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها، ولكن لسمعه غيره، فيزيد بزيادته، وهو الذي يروى فيه عن ابن أبي أوفى: النّاجش أكل ربا خائن<sup>(٧)</sup>، وفي التّناجش شيء آخر مباح، وهي المرأة التي تزوّجت، وطلّقت مرّة بعد أخرى، أو السلعة التي اشترت مرّة بعد مرّة ثمّ بيعت، وقال ابن شميل والنّجش أن تمدح سلعة غيرك لبيعها أو تدمّها لئلا تنفق عنه<sup>(٨)</sup>، قال ابن

(١) انظر تخريج هذا الحديث في قسم «الأحاديث الواردة في الصفة» حديث رقم (٣).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ٥ / ٣٩٤.

(٣) الصحاح ٣ / ١٠٢١.

(٤) نقل ابن حجر هذا الرأي عن ابن قتيبة، انظر فتح الباري ٤ / ٤١٦.

(٥) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) النجش يقال بسكون الجيم وفتحها.

(٧) انظر الأثر رقم ١.

(٨) لسان العرب ٦ / ٣٥٠ - ٣٥١.

الأثير: الأصل في النَّجَش: تنفير الوحش من مكان إلى مكان (آخر للإيقاع به) <sup>(١)</sup>، وذهب الفيومي إلى أن الأصل في ذلك هو معنى الاستتار، لأنَّ النَّاجِش يسترق قصده <sup>(٢)</sup>. وقد سميت عملية الإغراء أو الاستشارة بـ «التَّناجِش» (وهو «تفاعل» من النَّجَش) لأنَّ عملية الإغراء غالباً ما يشترك فيها النَّاجِش والبائع، يقول ابن حجر مؤكداً هذا المعنى:

ويقع ذلك منه (أي النَّاجِش) بمواطأة المالك، فيشتركان في الإثم <sup>(٣)</sup>، وقد يختص به (أي بالتَّناجِش) المغربي بالسلعة، وربما اختص به البائع <sup>(٤)</sup>.

### التَّناجِش اصطلاحاً:

قال الإمام الشافعي رحمته الله: النَّجَش: أن يحضر الرَّجل السلعة تباع، فيعطي بها الشيء <sup>(٥)</sup>، وهو لا يريد شراءها ليقتردي به السَّوام، فيعطون بها أكثر ممَّا كانوا يعطون لو لم يسمعوا سومه <sup>(٦)</sup>.

وقال الإمام الترمذي: النَّجَش: هو أن يأتي الرَّجل الذي يفصل السلعة إلى صاحب السلعة فيستام بأكثر ممَّا تسوى <sup>(٧)</sup>، وذلك عندما يحضره المشتري، يريد أن يغرَّ المشتري به (أي بما قاله ثمننا للسلعة)، وليس من رأيه الشراء وإنَّما يريد أن يخدع المشتري بما يستام <sup>(٨)</sup>.

وقال الجرجاني: النَّجَش أن تزيد في ثمن سلعة ولا رغبة لك في شرائها <sup>(٩)</sup>.

وقال الإمام ابن حجر: النَّجَش: هو الزيادة في ثمن السلعة ممَّن لا يريد شراءها ليقع غيره فيها، وقد سمِّي تناجشاً لأنَّ النَّاجِش يثير الرَّغبة في السلعة ويقع ذلك بمواطأة البائع فيشتركان في الإثم <sup>(١٠)</sup>.

(١) النهاية لابن الاثير ٥ / ٢١.

(٢) المصباح المنير ٢ / ٥٩٤.

(٣) انظر فتح الباري ٤ / ٤١٦.

(٤) انظر أنواع التناجش.

(٥) يعطى بها الشيء، أي يذكر لها ثمننا معنا.

(٦) انظر فتح الباري ٤ / ٤١٧.

(٧) استام اي ساوم، والمراد بالمساومة: المجاذبة بين المشتري والبائع على السلعة، وفصل ثمنها.

(٨) سنن الترمذي ٣ / ٥٨٨.

(٩) التعريفات ص ٢٥٩، والى مثل هذا ذهب ابن قدامة في المغنى ٤ / ٢٣٤.

(١٠) فتح الباري ٤ / ٤١٦، وقد أشار ابن حجر بذلك الى تقليل تسمية الفقهاء لهذا الضرب من الخديعة بـ «التناجش» بدلا من «النجش».

وقد ذكر الفيومي ما يفيد أنّ التناجش يقع أيضا في النكاح عندما قال: يقال: نجش الرجل: إذا زاد في سلعة أكثر من ثمنها... وكذلك في النكاح وغيره، وفعل ذلك هو التناجش<sup>(١)</sup>.

### أنواع التناجش:

للتناجش (النَجَش) صور عديدة أهمّها:

**الأولى:** أن يشترك الناجش والبائع للسلعة في خداع المشتري بأن يتواطأ كلاهما على ذلك.  
**الثانية:** أن يقع الإغراء بدون علم البائع بأن يتطوّع الناجش من تلقاء نفسه برفع ثمن السلعة.  
**الثالثة:** انفراد البائع بعملية الإغراء بأن يزعم أنّه اشترى بأكثر ممّا اشتراها به، وربّما حلف على ذلك ليغرّ المشتري، وقد يقع ذلك منه بأن يخبر بأنّه أعطى في السلعة ما لم يعط.  
**الرابعة:** أن يأتي شخص إلى وليّ أمر فتاة وقد حضر من يخطبها فيذكر مهرا أعلى ليغرّ الخاطب بذلك، أو يذمّها.

**الخامسة:** أن يمدح شخص سلعة ما كي تباع، أو يذمّها كي لا تنفق على صاحبها (وذلك كما في الإعلانات المغرّضة التي لا تتفق مع الواقع)<sup>(٢)</sup>.

### حكم التناجش:

قال ابن بطّال: أجمع العلماء على أنّ الناجش عاص بفعله واختلفوا في البيع إذا وقع على ذلك، فقال جماعة من أهل الحديث: إنّ البيع فاسد، وقد جاء ذلك في رواية عن مالك، وهو المشهور عند الحنابلة إذا كان ذلك بمواطأة المالك أو صنعه (أي في الصورتين الأولى والثالثة من صور التناجش)، وقال الأحناف: البيع صحيح (مع الإثم)، وهذا هو الأصحّ عند الشافعية.  
 والمشهور عند المالكية (وهو وجه عند الشافعية أيضا) ثبوت الخيار للمشتري، إن شاء أنفذ البيع وإن شاء نقضه<sup>(٣)</sup>، وذلك قياسا على المصراة<sup>(٤)</sup>، وقيد بعضهم تحريم النجش بأن تكون الزيادة الناتجة عنه فوق ثمن المثل، ولو أنّ رجلا رأى سلعة تباع بدون قيمتها فراد فيها لتصل إلى

(١) انظر المصباح المنير ٢ / ٥٩٤.

(٢) استنبطنا هذه الصور من جملة أقوال الفقهاء وأهل اللغة.

(٣) باختصار وتصرف يسير عن ابن حجر، فتح الباري ٤ / ٤١٦.

(٤) المصراة هي الشاة أو البقرة أو نحوهما إذا صرى لبتها وحقن بالضرع فلم تحلب، وقيل: التصرية ربط أخلاف الناقة أو الشاة وترك حلبها حتى يجتمع لبتها فيكثر، فيظن المشتري أن ذلك عادتها فيزيد في ثمنها.

قيمتها لم يكن ناجشا عاصيا، وفي هذا القول نظر لأن له أن يعلم صاحب السلعة بقيمتها الحقيقية ويترك له الخيار في البيع<sup>(١)</sup>.

وقال ابن قدامة: النَّجَشُ منهي عنه، وهو حرام وخداع، وفيه تغرير بالمشتري، فإن اشترى مع النَّجَشِ فالشراء صحيح في قول أكثر أهل العلم منهم الشافعي وأصحاب الرأي، وعن أحمد أن البيع باطل لأن النهي يقتضي الفساد..

قال ابن قدامة: ولنا<sup>(٢)</sup> أن النهي عاد إلى النَّجَشِ لا إلى العاقد فلم يؤثر في البيع، ولأن النهي لحق الآدمي فلم يفسد العقد.. وحق الآدمي يمكن جبره بالخيار أو زيادة الثمن، لكن إن كان في البيع غبن لم تجر العادة بمثله، فللمشتري الخيار بين الفسخ والإمضاء، وإن كان يتغابن بمثله فلا خيار له، سواء كان النَّجَشُ بمواطأة البائع أو لم يكن. وقال أصحاب الشافعي: إن لم يكن ذلك بمواطأة البائع وعلمه فلا خيار له، واختلفوا فيما إذا كان بمواطأة منه، فقال بعضهم لا خيار للمشتري لأن التفریط منه حيث اشترى ما لا يعرف قيمته<sup>(٣)</sup> (وقال البعض له الخيار).

للاستزادة: انظر صفات: الغش - الخداع - الغلول - التطفيف - المكر - اللؤم - الخبث - سوء المعاملة - الغدر.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأمانة - التعاون على البر والتقوى - العفة - حسن المعاملة - الصدق - الإخلاص - المروءة].

\*\*\*

### من مضار (التناجش)

(١) التناجش (النَّجَشُ) نوع من الخديعة (٣) التناجش يفقد الثقة بين البائع والمشتري، والمكر يورث صاحبه جهنم وساءت مصيرا. ويجلب ذلك بوار تجارة من يعرف عنه ذلك.

(٢) التناجش يغضب الله ﷻ، ويؤء النَّاجِشِ (٤) التناجش أكل لأموال الناس بالباطل. بسخط الجبار وسخط الناس وبغضهم له.

(١) فتح الباري (بتصرف) ٤ / ٤١٧.

(٢) أي يشهد لصحة مذهبنا.

(٣) بتلخيص وتصرف يسير عن المغني لابن قدامة ٤ / ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٥) المتناجشون لا يكلمهم الله ﷻ ولا ينظر (٧) شيوع هذه الصفة الدائمة في مجتمع من المجتمعات يؤدي إلى تقويض قوته إليهم يوم القيامة.

(٦) الناجش مكروه من الناس، ينفرون منه، والاقتصادية لعدم الثقة وانعدام الأمانة. ويبغضونه بقلوبهم.

## التنازع

### التنازع لغة:

مصدر قولهم: تنازع يتنازع، وهو مأخوذ من مادة (ن ز ع) التي تدل على قلع الشيء، ومن ذلك: نزع الشيء من مكانه نزعا (إذا قلعته)، ونازعت إلى الأمر نزاعا، ونزعت إليه، إذا اشتيته، ونزع عن الأمر نزوعا إذا تركه<sup>(١)</sup>، وقال الراغب: يقال: نزع الشيء جذبه من مقره، ويستعمل ذلك في الأعراس (أيضا)، فيقال: نزع العداوة والمحبة من قلبه، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ﴾ [الحجر: ٤٧]، والنزع: السلب في قوله تعالى: ﴿وَتَنَزَعُ الْمُلْكُ وَمَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، والتنازع والمنازعة المجاذبة، ويعبر به عن المخاصمة والمجادلة<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿فَإِن نَّزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] قيل في تفسيرها: أي تجادلتم واختلفتم، فكأن كل واحد يتنزع حجة الآخر ويذهبها. والمنازعة على ذلك: مجاذبة الحجج<sup>(٣)</sup>، وهذه المجاذبة تكون في المعاني والأعيان، فمن المنازعة في المعاني قوله تعالى: ﴿فَلَا يَنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ﴾ [الحج: ٦٧] المنازعة هنا: المجادلة، والمعنى: لا تجادلهم في أمر المناسك<sup>(٤)</sup>، ومن المنازعة في الأعيان ما جاء في الحديث الشريف: «أنا فرطكم على الحوض، فلا لفين ما نوزعت في أحدكم، فأقول: هذا مني» أي يجذب ويؤخذ مني<sup>(٥)</sup>، وقال الأعشى: نازعتهم قضب الرياحان متكئا<sup>(٦)</sup> ومن

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٥ / ٤١٥.

(٢) المفردات للراغب ص ٤٨٨، وبصائر ذوي التمييز ٥ / ٣٦.

(٣) تفسير القرطبي ٥ / ١٦٩.

(٤) المرجع السابق ١٢ / ٦٣.

(٥) النهاية لابن الأثير ٥ / ٤٠.

(٦) ساق القرطبي عن الأعشى شاهدا للمنازعة بمعناها العام الذي يشمل منازعة الحجج وتنازع الأعيان. تفسير القرطبي ٥ / ١٦٩.

معاني التنازع: التخاصم، قال الجوهري: يقال: نازعه منازعة ونزاعا إذا جاذبته في الخصومة، وبينهم نزاعة أي خصومة في حق، وقولهم في المثل: «صار الأمر إلى النزعة» إذا قام بإصلاحه أهل الأناة، والمنزعة (بالفتح) ما يرجع إليه الرجل من أمره ورأيه وتدبيره<sup>(١)</sup>.

لقد أضاف الفيروز ابادي إلى المنازعة معنى التناول<sup>(٢)</sup>، ولعل المراد تناول الحجج، أو تناول الأعيان، ومن الأخير قوله تعالى: ﴿يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ [الطور: ٢٣]، أي يتجادبونها (ويتناولونها) تجاذب ملاعبة<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن منظور: أصل النزاع: الجذب والقلع، ومنه نزاع الروح من الميت، ونزع القوس إذا جذبها، وبئر نزوع ونزيع قريبة القعر تنزع دلاؤها بالأيدي نزعا لقربها، وفي الحديث: «رأيتني أنزع على قلب» معناه رأيتني في المنام أستقي بيدي من قلب. والنزاعة والنزاعة، والمنزعة والمنزعة الخصومة، والتنازع في الخصومة مجاذبة الحجج فيما يتنازع فيه الخصمان، يقال قد نازعه منازعة ونزاعا: جاذبه في الخصومة، قال ابن مقبل:

نازعت ألباهها لبي بمقتصر من الأحاديث حتى زدني لينا  
أي نازع لبي ألباهن، والتنازع التسرع، يقال: رأيت فلانا متزعا إلى كذا أي متسرعا إليه<sup>(٤)</sup>،  
وأما قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنْزِعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]  
فالمراد اختلفتم، يعني الرماة حين قال بعضهم لبعض: نلحق الغنائم، وقال بعضهم: بل ثبت في مكاننا الذي أمرنا النبي ﷺ بالثبات فيه<sup>(٥)</sup>.

### التنازع اصطلاحا:

قال المناوي: التنازع والمنازعة: المجاذبة ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة<sup>(٦)</sup>. قال:  
والنّازع: الشيطان لأنه ينزع بين القوم أي يفرق ويفسد<sup>(٧)</sup>.

(١) الصحاح للجوهري ٣ / ١٢٩٠.

(٢) القاموس المحيط ص ٩٩٠ (ط. بيروت).

(٣) انظر تفسير البحر المحيط ٨ / ١٤٧.

(٤) لسان العرب «نزع» (٤٣٩٥ - ٤٣٩٧) بتصرف واختصار.

(٥) تفسير القرطبي ٤ / ١٥٢.

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٣٢٣.

(٧) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

**الفرق بين التفرق والتنازع:**

يتجلى الفرق بين الأمرين أنّ التفرّق والتفريق خاصّ بالأعيان، أمّا التنازع فيكون في الأعيان والمعاني على سواء، وأيضا فإنّ التنازع لا بدّ وأن يصحبه اجتماع، أمّا التفرّق فقد يكون بعد الاجتماع وقد يكون بدونه أيّ إنه يحصل ابتداء، ومن وجوه الفرق أيضا أنّ ضدّ التفرّق الاجتماع، وضدّ التنازع الاتّحاد (وخاصّة في مجال الرّأي)، وإذا اجتمع الأمران فإنّ التنازع يكون سببا للفرقة، بحيث تكون كالنتيجة له.

**التنازع بين المدح والذم:**

قال الشيخ محمّد الغزالي: إنّ التنازع واختلاف الرّأي حول أمر من الأمور قد يكون مطلوباً إذا صحبته نيّة حسنة، وكان الغرض منه إظهار الحقّ بالبرهان والحجّة، وهو حينئذ أقرب إلى التّشاور منه إلى الجدال والخصام.

إنّ اختلاف الأفهام واشتجار الآراء ليس بمستغرب في الحياة ولكن شريطة ألاّ يؤدّي ذلك للتقاطع (التفرّق)، والشقاق، ولو تجرّدت النيّات للبحث عن الحقيقة، وأقبل روادها وهم بعداء عن طلب الغلب والسّمة والرّئاسة والثراء لصفّيت المنازعات التي ملأت التاريخ بالأكدار والمآسي، وأردف عليه السلام قائلا: إنّ النّاس إذا لم يجمعهم الحقّ شعّبهم الباطل، وإذا لم يستهواهم نعيم الآخرة تخاصموا على متاع الدّنيا ولهذا كان (التنازع) والتّطاحن المرّ من خصائص الجاهليّة المظلمة وديدن من لا إيمان لهم<sup>(١)</sup>.

يقول المصطفى عليه السلام: «لا ترجعوا بعدي كفّارا يضرب بعضكم رقاب بعض»<sup>(٢)</sup>. يعني أنّ هذا العراك الدّامي هو شأن الكافرين المنقسمين على أنفسهم أحزابا متنافرة، لقد تلقّى المسلمون في أحد درسا مؤلّما أفقدهم من رجالهم سبعين بطلا، وردّتهم إلى المدينة وهم يعانون من آلام الجراحات، ولم ذلك؟ مع أنّ إيمانهم بالله ودفاعهم عن الحقّ كانا يرشّحانهم للفوز المبين، ذلك لأنّهم تنازعوا وانقسموا وعصوا أمر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرَبْتُمْ مَا تَحِبُّونَ ۗ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

(١) خلق المسلم (١٩٠) بتصرف واختصار.

(٢) مسلم (٦٦)، والبخاري - الفتح ١٣ (٧٠٧٧).

إنّ الإسلام حريص على سلامة أمته وحفظ كيائها وهو لذلك يظفيء بقوة بواذر الخلاف والنزاع، ويهيب بالأفراد كافة أن يتكاتفوا على إخراج الأمة من ورطات الشقاق «يد الله مع الجماعة ومن شدّ شدّ في النار»<sup>(١)</sup>. وأعداء الإسلام يودّون أن يضعوا أيديهم ولو على شخص واحد ليكون طرفا ناتئا يستمسكون منه ويجذبون الأمة كلّها عن طريقه، فلا جرم حينئذ أن يستأصل الإسلام هذا التتوء لينجّي الجماعة كلّها من أخطار بقائه، ولذلك يقول رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرّق هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان<sup>(٣)</sup>، والخلاصة أنّ التنازع إن كان يراد به مقارعة الحجّة بالحجّة إظهارا للحقّ فهو محمود شريطة أن يصحبه حسن النية والرغبة الصادقة للوصول إلى مصلحة الأمة، أمّا إذا كان المراد به تحقيق المصلحة الشخصية أو حبّ الرئاسة أو تفريق الجماعة، أو صحبته مخالفة لأمر من أمور الشرع فهو مذموم منهى عنه.

[للاستزادة: انظر صفات: الجدل والمراء- البغض- التفرق- سوء الظن- الطمع- التعاون على الإثم والعدوان- التخاذل- الغي والإغواء- الفتنة- الضلال. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاجتماع- الإخاء- الاعتصام- التعاون على البر والتقوى- التناصر- الاعتصام- الألفة].

\*\*\*

### من مضار (التنازع)

- (١) يؤدّي إلى الفشل وضعف القوّة وذهاب (٥) خسارة في الدّنيا وعذاب في الآخرة.
- (٢) يؤدّي إلى الكره والبغضاء بين الناس.
- (٣) يؤدّي إلى سحق الرّب ﷻ.
- (٤) يؤدّي إلى إراقة الدّماء.
- (٥) خسارة في الدّنيا وعذاب في الآخرة.
- (٦) التنازع يضعف قوّة الأمة ويمكن منها أعداءها.
- (٧) التنازع على المناصب وأمور الدّنيا يؤدّي إلى الفتن وإشعال الحروب الأهليّة.

(١) الترمذي ٤ (٢١٦٦)، وانظر صفة الاجتماع.

(٢) خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي (١٩٥-١٩٧) بتصرف واختصار.

(٣) مسلم (١٨٥٢).

- (٨) التنازع يشغل أصحابه عمّا يفيدهم في (١٠) التنازع مدخل واسع من مداخل الشيطان دنياهم وآخرتهم.
- (٩) التنازع يفتت قوة المجتمع ويؤدّي إلى البغضاء بين الأخ وأخيه، بل بين الأب والفرقة.

### التنصل من المسؤولية والتهرب منها

#### التنصل لغة:

مصدر قولهم: تنصل من الشيء: تبرأ منه وهو مأخوذ من مادة (ن ص ل) التي تدلّ على بروز شيء من كَنٍّ أو ستر أو مركب أو نحو ذلك، يقال: نصل الحافر أي خرج من موضعه، وتنصل من ذنبه: تبرأ منه<sup>(١)</sup>، وقولهم: أنصت الرمح، إذا نزع نصله، وتنصت الشيء واستنصته إذا استخرجته<sup>(٢)</sup>، وفي الحديث «من تنصل إليه أخوه فلم يقبل...» أي من انتفى من ذنبه واعتذر إليه<sup>(٣)</sup>، وقال ابن منظور: النصل: حديدة السهم والرمح، وهو حديدة السيف ما لم يكن لها مقبض فإذا كان لها مقبض فهو سيف، يقال: أنصل السهم ونصله: أي جعل فيه النصل.

وقيل: أنصله: أزال عنه النصل، ونصله: ركب فيه النصل، ونصل فيه السهم: ثبت فلم يخرج. وقيل: نصل: خرج، فهو من الأضداد، ويقال: نصلت اللسعة والحمة. تنصل: خرج سمها وزال أثرها، والتنصل شبه التبرء من جناية أو ذنب، وتنصل إليه من الجناية: خرج وتبرأ، واستنصت الرّيح اليبس إذا اقتلعت من أصله، وبرّ نصيل: نقيّ من الغلث<sup>(٤)</sup>.

#### التهرب لغة:

مصدر قولهم: تهرب من الشيء يتهرب إذا فرّ منه، وهو مأخوذ من مادة (ه ر ب) التي تدلّ على الفرار<sup>(٥)</sup>، قال في الصحاح: يقال: هرب من الشيء (فرّ) وهربه غيره تهريباً، وأهرب الرجل:

(١) مقاييس اللغة ٥ / ٤٣٣.

(٢) الصحاح ٥ / ١٨٣١.

(٣) النهاية لابن الأثير ٥ / ٦٧، وهذه الرواية التي أثبتها ابن الأثير نقلاً عن أبي موسى المدني في المجموع المغيث (ج ٣ ص ٣٠٧) قريبة مما أثبتناه في الحديث الأول في هذه الصفة وهي «من أتاه أخوه متنصلاً» انظر الحديث الأول.

(٤) لسان العرب ٥ / ٤٤٤٦ (ط. دار المعارف).

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس ٦ / ٤٩.

إذا جدّ في الذّهاب مذعورا، وقوله: ما له هارب ولا قارب أي صادر عن الماء ولا وارد<sup>(١)</sup>، وقال ابن منظور: يقال: هرب يهرب هربا، يكون ذلك للإنسان وغيره من أنواع الحيوان، وقولهم: جاء مهربا أي جادا في الأمر.

وجاء مهربا (أيضا) إذا أتاك هاربا فزعا، وأهرب الرّجل: إذا أبعد في الأرض، وأهرب فلان فلانا إذا اضطرّه إلى الهرب<sup>(٢)</sup>. وفيما يتعلّق بلفظ «التّهرب» فإنّه تفعلّ من الهرب، وتفيد هذه الصّيغة معاني عديدة منها: الطّلب كاستفعل، ومنها المطاوعة<sup>(٣)</sup> كأنفعل، ومنها التدرّج في الفعل كما في تجرّع (أي أخذه جرعة بعد جرعة)، وغير ذلك<sup>(٤)</sup>، والمناسب هنا المعنى الأخير أي أنّ التّهرب هو الإتيان على الهرب وأخذه جزءا بعد جزء على تهاد ومهلة، ومن الممكن أيضا أن تفيد الصّيغة معنى الطّلب فيكون التّهرب: التماس الهروب من المسؤوليّة.

**المسئولية لغة: انظر صفة المسئولية.**

**التنصّل والتّهرب من المسئولية اصطلاحا:**

لم تذكر كتب المصطلحات التي وقفنا عليها هذين اللفظين ضمن ما أوردته من ألفاظ اصطلاحية، ومن ثمّ يكون معناهما في المجال الأخلاقيّ باقيا على أصل معناهما في اللّغة، ويمكننا أن نستنبط هذا التعريف في ضوء ما ذكره أهل اللّغة والتّصريف فنقول: التنصّل من المسئولية والتّهرب منها يعني التبرؤ من الالتزام بما سبق للإنسان تحمّله من مسئولية والخروج من عهدة ذلك شيئا فشيئا.

ويمكن أن نقول أيضا: إنّ ذلك يعني التخلّص التدريجيّ ممّا سبق للشخص أن تعهد به والتماس عذر غير حقيقيّ للتبرؤ من تبعه التّقصير في الأداء.

[للاستزادة: انظر صفات: التهاون - البلادة والغباء - التولي - النفاق - التخلف عن الجهاد -

التخاذل - الأثرة - الضعف - الوهن.]

(١) الصحاح ١ / ٢٣٧.

(٢) لسان العرب (هرب) ٤٦٤٦.

(٣) المطاوعة: أن تريد من الشيء أمرا ما فتبلغه (المتمع ١ / ١٨٣).

(٤) ذكر ابن جنّي في شرح الملوكي ص ٧٥ - ٧٧ خمسة معان لهذه الصيغة: الثلاثة التي ذكرناها، ومعنى الاتخاذ كما في توسّدت الساعد أي اتخذته وسادة، والسلب والإزالة كما في تحوّب أي أزال الحوب (الإثم)، وذكر لها ابن عصفور في المتمع (ج ١ ص ١٨٣ - ١٨٥) ثمانية معان، الخمسة التي ذكرناها وأضاف إليها معاني: الختل، والتوقع، والتكثير.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: المسئولية- الصدق- الوفاء- جهاد الأعداء- الرجولة- الإخلاص- الاستقامة- الشجاعة].

\*\*\*

### من مضار (التنصّل والتّهرب من المسئولية)

- (١) هي صفة من صفات النفاق وخصلة من (٩) داء التنصّل من المسئولية من الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي تفقد الناس خصال المنافقين.
- (٢) فشوّ المفسدين في مجتمع المسلمين.
- (٣) يحمل صاحبه على الكذب، والحلف الكاذب.
- (٤) من لم يقبل عذر من تنصّل حرم من الورود على الحوض.
- (٥) المتنصّل يستحقّ عذاب الله ومقته.
- (٦) المتنصّل من المسئولية مبغض عند الله وعند الناس.
- (٧) المتنصّل من المسئولية يستصغره الناس ويحتقرونه.
- (٨) التنصّل من المسئولية مخالف لصفات الرجولة ومخلّ بالمروءة.

### التنفير

#### التنفير لغة:

الإفزاز والدفع عن الشيء وهو مصدر قولهم: نفّره تنفيراً. وهو مأخوذ من مادة (ن ف ر) التي تدلّ على تجاف وتباعد. يقول ابن فارس: «النون والفاء والراء أصل صحيح يدلّ على تجاف وتباعد، ومن ذلك نفر

الحيوان، وغيره نفارا، وذلك تجافيه وتباعده عن مكانه»<sup>(١)</sup>.

يقول الجوهري: نفرت الدابة تنفر، وتنفر نفارا ونفورا، يقال: في الدابة نفار، وهو اسم مثل الحران، ونفر الحاج من منى نفرا. ونفر القوم في الأمور نفورا.

والإنفار عن الشيء، والتنفير عنه، والاستنفار، كله بمعنى. والاستنفار أيضا النفور..

ويقول الراغب: النفر: الانزعاج عن الشيء، كالفزع إلى الشيء، وعن الشيء يقال: نفر عن الشيء، نفورا قال: ﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] ونفر إلى الحرب ينفر وينفر نفرا، ومنه يوم النفر، قال: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] والاستنفار: حمل القوم على أن ينفروا، أي من الحرب، والاستنفار أيضا حث القوم على النفر إلى الحرب<sup>(٢)</sup>.

ونفر ينفر نفورا ونفارا، إذا فرّ وذهب، ومنه الحديث «إِنَّ مِنْكُمْ مَنْفَرِينَ» أي من يلقي الناس بالغلظة والشدة، فينفرون من الإسلام والدين، وفي حديث عمر رضي الله عنه لا تنفر الناس، وفي الحديث: أنه اشترط لمن أقطعه أرضا، ألا ينفر ماله، أي لا يزر ما يرمى من ماله، ولا يدفع عن الرعي<sup>(٣)</sup>.

ونفر نفرا ونفورا: هجر وطنه، وضرب في الأرض، وفي التنزيل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢] وأنفر القوم: تفرقت دوابهم، ونافره: خاصمه، وتنافر القوم: تخاصموا وتفاخروا<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن منظور: النفر: التفرق. نفرت الدابة تنفر وتنفر نفارا ونفورا. والإنفار عن الشيء والتنفير عنه والاستنفار كله بمعنى. والاستنفار أيضا: النفور.

وفي الحديث: «بشروا ولا تنفروا»، أي لا تلقوهم بما يحملهم على النفور.

ونفرت العين وغيرها من الأعضاء تنفر نفورا: هاجت وورمت.

قال الأصمعي: نفر فوه: أي ورم.

قال أبو عبيد: وأراه مأخوذا من نفار الشيء من الشيء فذلك نفاره<sup>(٥)</sup>.

(١) المقاييس (٥ / ٤٥٩).

(٢) المفردات (٥٠١).

(٣) اللسان نفر (٦ / ٤٤٩٨) وانظر التاج (٧ / ٥٤٧، ٥٤٨).

(٤) المعجم الوسيط (٢ / ٩٤٨).

(٥) لسان العرب لابن منظور (٥ / ٢٢٤، ٢٢٧).

**التنفير اصطلاحاً:**

قال المناوي: التَّنْفِرُ: الانزعاج عن الشَّيء أو إليه، والمنافرة المحاكمة في المفاخرة<sup>(١)</sup>.  
ويؤخذ من كلام ابن الأثير أنَّ التَّنْفِيرَ: هو أن تلقى النَّاسَ أو تعاملهم بالغلظة والشَّدة ونحو ذلك ممَّا يحمل على التَّنْفُورِ من الإسلام والدين<sup>(٢)</sup>. وتعدُّ إطالة الصَّلَاة التي لا يطيقها المأمومون أو بعضهم من التَّنْفِيرِ المنهَى عنه.

**التنفير والتبشير:**

جاء في الحديث الشَّريف الأمر بالتبشير مرّة وبالتسكين أخرى، وفي مقابلة ذلك ورد النَّهي عن التَّنْفِيرِ، قال ابن حجر: وهو ضدُّ التَّسْكِينِ، والتَّبْشِيرُ يصاحب التَّسْكِينِ غالباً، ومن ثمَّ كان ضدَّ التَّنْفِيرِ (أيضاً)<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التعسير - الجفاء - الغلو - التنازع - البغض - التفرق - الجدل والمرء - الفتنة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الرغبة والترغيب البشارة - التيسير - المحبة - الألفة - الاعتصام - التناصر - التعارف].

\*\*\*

**من مضار (التنفير)**

- (١) يذهب ثواب العمل.  
(٢) يفسد الاجتماع على الخير.  
(٣) يورث كره المجتمع لصاحبها.  
(٤) يجلب سخط الله ورسوله.

**التهاون****التهاون لغة:**

مصدر قولهم: تهاون بالشَّيء استحقَّره فراه هيئاً، وهو مأخوذ من مادَّة (هـ و ن) التي تدلُّ على

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (٣٢٧).

(٢) انظر: النهاية لابن الأثير (٥ / ٩٢).

(٣) فتح الباري (١٠ / ٥٤٢) (بتصرف).

السُّكُونُ ونحوه<sup>(١)</sup>، والهون: مصدر هان عليه الشيء أي خفّ، وهونّه الله عليه سهّله وخفّفه، والهون (بالضّم): الهوان، وأهانته استخفّ به، والاسم من ذلك: الهوان والمهانة، يقال: رجل فيه مهانة أي ذلّ وضعف، واستهان به مثل تهاون به أي استحقّره<sup>(٢)</sup>، وهونّه (أيضا) أهانته، وقولهم: هو هيّن وهين: ساكن متّدد، وقيل: المشدّد (هيّن) من الهوان، والمخفّف (هين) من اللّين، وعلى هونك أي على رسلك، وهو يهاون نفسه: يرفق بها<sup>(٣)</sup>، وقول الله تعالى: ﴿وَتَحَسَّبُونَهُ هَيْئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup> المعنى تحسبون ما خضتم فيه في الإفك شيئا يسيرا لا يلحقكم فيه إثم وهو عند الله في الوزر عظيم<sup>(٥)</sup>، وفي الحديث «ليس المؤمن بالجافي ولا المهين» يروى بفتح الميم وضمّها فالفتح من المهانة (أي الذلّ والاحتقار)، والضّم من الإهانة، وهي الاستخفاف بالشيء والاستحقار له، يقال: إنّه ليهون عليّ هونا وهوانا، قال ابن بري: الهون: هوان الشيء الحقير الهيّن الذي لا كرامة له، ويقال: إنّه ليأخذ في أمره بالهون أي بالأهون، قال بعضهم: العرب تمدح بالهين اللّين، وتذمّ بالهيّن اللّين<sup>(٥)</sup>.

#### التهاون اصطلاحا:

لم تذكر كتب المصطلحات التي وقفنا عليها تعريفا للتهاون، ومن ثمّ يكون باقيا على أصل معناه في اللّغة، ونستطيع أن نعرّفه في ضوء ما ذكره المفسّرون واللّغويّون بأنّه استحقار الشيء والاستخفاف به والتّفريط في أدائه على الوجه الصّحيح.

[للاستزادة: انظر صفات: الإهمال - البلادة التحقير - التخاذل - التّفريط والإفراط - التنصل من المسؤولية - الكسل - التخلف عن الجهاد - التولي اتباع الهوى - الغي والإغواء - التعاون على الإثم والعدوان.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: العمل - الرجولة القوة - قوة الإرادة - النشاط - التعاون على البر والتقوى - المسؤولية - الوفاء - المسارعة في الخيرات].

(١) مقاييس اللّغة لابن فارس ٦ / ٢١.

(٢) الصحاح ٦ / ٢٢١٨.

(٣) القاموس المحيط (هون) ص ١٦٠٠ (ط. بيروت).

(٤) انظر، تفسير القرطبي ١٢ / ١٣٦.

(٥) لسان العرب (هون) ص ٤٧٢٤ (ط. دار المعارف).

## من مضار (التهاون)

- (١) التَّهَوُّنُ فِي الْعِبَادَاتِ يَسْتَلْزِمُ الطَّبْعَ عَلَى بَعْضِهَا يُؤَدِّي إِلَى تَخَلُّفِ الْمَجْتَمَعَاتِ وَتَأَخُّرِ الْقَلْبِ. نَهَضْتَهَا.
- (٢) التَّهَوُّنُ بِالصَّغَائِرِ يَهْلِكُ الْمُؤْمِنَ. (٨) التَّهَوُّنُ بِسِتْرِ اللَّهِ تَعَالَى يُؤَدِّي إِلَى غَضَبِهِ وَمَقْتِهِ.
- (٣) التَّهَوُّنُ بِالطَّاعَاتِ، وَصَغَائِرِ أَعْمَالِ الْخَيْرِ فِيهِ فَوَاتٌ لْخَيْرٍ كَثِيرٍ.
- (٤) التَّهَوُّنُ بِالْمُؤْمِنِ يُؤَدِّي إِلَى أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ أَهْوَنَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَوْعَفِ الْمَخْلُوقَاتِ.
- (٥) فِي التَّهَوُّنِ مَرَضَاتٌ لِلشَّيْطَانِ وَمَغْضَبَةٌ لِلرَّحْمَنِ.
- (٦) فِي التَّهَوُّنِ خَسْرَانٌ فِي الدَّارَيْنِ.
- (٧) التَّهَوُّنُ فِي آدَاءِ الْأَعْمَالِ وَاسْتِصْغَارِ الْمُوَدَّةِ بَيْنَ النَّاسِ.
- (٩) التَّهَوُّنُ بِالْقَلِيلِ مِنَ الذَّنْبِ يُؤَدِّي إِلَى جَعْلِهِ مِنَ الْكِبَائِرِ.
- (١٠) التَّهَوُّنُ بِالْيَسِيرِ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ يُؤَدِّي إِلَى تَرْكِ الْكَبِيرِ مِنْهَا.
- (١١) التَّهَوُّنُ بِبَعْضِ الْخَلْقِ تَحْقِيرًا لَهُمْ يُؤَذِيهِمْ وَيَجْرَحُ مَشَاعِرَهُمْ.
- (١٢) التَّهَوُّنُ بِبَعْضِ الْخَلْقِ يَقْطَعُ عِلَاقَاتِ الْمُوَدَّةِ بَيْنَ النَّاسِ.

## التولي

## التولي لغة:

التَّوَلَّى مَأْخُوذٌ مِنْ مَادَّةِ «وَلِيٌّ» الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْقَرَبِ، يَقُولُ ابْنُ فَارَسٍ: «الْوَاوُ وَاللَّامُ وَالْيَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى قَرَبٍ، مِنْ ذَلِكَ الْوَلِيِّ: الْقَرَبُ»<sup>(١)</sup> وَالتَّوَلَّى: الْإِعْرَاضُ بَعْدَ قَرَبٍ. يَقُولُ الْجَوْهَرِيُّ: وَتَوَلَّى عَنْهُ، أَيِ أَعْرَضَ وَوَلَّى هَارِبًا: أَيِ أَدْبَرَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّئُهَا﴾ [البقرة: ١٤٨] أَيِ مُسْتَقْبِلُهَا بِوَجْهِهِ<sup>(٢)</sup>.

ويقول الراغب: وقولهم: تولى إذا عدى بنفسه اقتضى معنى الولاية وحصوله في أقرب المواضع منه.

(١) المقاييس (٦ / ١٤١).

(٢) الصحاح (٦ / ٢٥٢٩).

يقال: وليت سمعي كذا، ووليت عيني كذا، ووليت وجهي كذا، أقبلت به عليه. وإذا عدّي بعن لفظاً أو تقديراً اقتضى معنى الإعراض، وترك قربه، فمن الأوّل قوله ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّكُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] ومن الثّاني قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران: ٦٣] والتولي، قد يكون بالجسم، وقد يكون بترك الإصغاء والانتظام، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠] ويقال: ولّاه دبره، إذا انهزم، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يُفْتِنُوكُمْ يُولُوكُمْ أَلَدَّ بَارًا﴾ (١) ثم لا يُنصرون﴾ [آل عمران: ١١١].

وولّى الشّيء وتولّى: أدبر. وولّى عنه: أعرض عنه أو نأى، وولّى هارباً: أدبر. وقد يكون وليت الشّيء ووليت عنه بمعنى، وقد تكون التولية إقبالا، ومنه قوله تعالى: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] والتولية تكون انصرافاً. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْرِبِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] وقال أبو معاذ النحوي: قد تكون التولية بمعنى التولي. يقال: وليت وتوليت بمعنى واحد... وقد ولي الشّيء وتولّى إذا ذهب هارباً ومدبراً، والتولي يكون بمعنى الإعراض، ويكون بمعنى الاتباع قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] أي إن تعرضوا عن الإسلام. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] معناه من يتبعهم وينصرهم، تقول: توليت فلاناً أي أتبعته ورضيت به، وتوليت الأمر تولياً إذا وليته، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١] أي ولي وزير الإفك وإشاعته (٢).

### التولي اصطلاحاً:

قال المناوي: التولي هو الإعراض المتكلف بما يفهمه (التفعل) (٣). وقال الكفوي: التولي: الإعراض مطلقاً، ولا يلزمه الإدبار والتولي بالإدبار (يوم الزحف) قد يكون على حقيقة، وقد يكون كناية عن الانهزام، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْرِبِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]. والتولي قد يكون لحاجة تدعو إلى الانصراف مع ثبوت العقد (النية) (٤).

(١) المفردات (٥٣٤).

(٢) لسان العرب (١٥ / ٤١٥). وانظر مختار الصحاح (٧٣٦) وكذا في المصباح (٣٥١). وكذا السجستاني في الأضداد (٢٣٦).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (٢١٦). وقوله «بما يفهمه التفعل» معناه أن صيغة تفعل هنا تفيد التكلف كما في قولهم: تحلم، أي تكلف الحلم.

(٤) الكليات للكفوي (٢٨، ٣٠٩).

**حكم التولي يوم الزحف:**

عدّ الإمام ابن حجر التولي يوم الزحف من كافر أو كفّار لم يزيدوا عن الضعف إلا لتحرف لقتال أو لتحيز إلى فئة يستجد بها ضمن الكبائر، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ ذُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٦] وبما أخرجه الشيخان من قوله ﷺ «اجتنبوا السبع الموبقات... وذكر منها: التولي يوم الزحف».

ونقل عن الشافعي رحمه الله قوله: إذا غزا المسلمون فلقوا ضعفهم من العدو حرم عليهم أن يولّوا إلا متحرّفين لقتال أو متحيزين إلى فئة، وإن كان المشركون أكثر من ضعفهم لم أحبّ لهم أن يولّوا، ولا يستوجبون السخط من الله لو ولّوا عنهم على غير التحرف للقتال أو التحيز إلى فئة، وهذا مذهب ابن عباس رضي الله عنهما المشهور عنه<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الجبن - صغر الهمة الضعف - الوهن - التخلف عن الجهاد - التهاون الإهمال - التخاذل - التنصل من المسؤولية. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الثبات - الرجولة الشجاعة - علو الهمة - العزة - المسؤولية - الشرف جهاد الأعداء - العزم والعزيمة - الشهامة - النشاط].

\*\*\*

**من مضار (التولي)**

- (١) يسخط الربّ ﷻ ويرضى الشيطان.  
 (٢) الذي يفرّ يوم الزحف غير متحيز إلى فئة أو متحرّف لقتال إنما يخاف الموت، وهذا دليل على ضعف الإيمان.  
 (٣) من تولّى من الزحف فقد ارتكب جريمة عظي في حقّ المجتمع، وأصبح منبوذا ينظر إليه شزرا.  
 (٤) وهو في نفسه منتقص يرى نفسه ذليلا دون غيره في الرجولة.

**الجبن****الجبن لغة:**

مصدر قولهم: جبن يجبن أي صار جبانا، وهو مأخوذ من مادة (ج ب ن) التي تدلّ على

(١) الزواجر لابن حجر (٦٠٤).

ضعف في القلب<sup>(١)</sup> وذلك صفة الجبان، يقال: رجل جبان وجبان وجبين: هيب للأشياء فلا يتقدم عليها، ومن المجاز قولهم: جبان الكلب، أي في نهاية الكرم، لأنه لكثرة تردد الصيغان إليه يأنس كلبه فلا يهرّ أبداً، وقال ابن منظور: جمع الجبان جنباء، وهو ضد الشجاع والأنثى: جبان (أيضا) مثل حصان ورزان، والفعل جبن وجبن بالفتح والضّم، والمصدر الجبن والجبن والجبانة، واجبنه: وجده جباناً أو حسبه إياه، ومن ذلك قول عمرو بن معديكرب: لله دركم يا بني سليم، قاتلناكم فما أجبتاكم. أي فما وجدناكم جنباء، وحكي أيضا قولهم: هو يجبن أي يرمى بالجبن ويقال له، وجبته تجبيناً نسبة إلى الجبن، وفي الحديث «أن النبي ﷺ احتضن أحد ابني ابنته، وهو يقول: والله إنكم لتجبنون وتبخلون وتجهلون، وإنكم لمن ريحان الله».

يقال: جبنت الرجل وبخلته وجهلته، إذا نسبته إلى الجبن والبخل والجهل. وكانت العرب تقول: الولد مجبنة مبخلة. لأنه يحبّ البقاء والمال لأجله وتجبّن الرجل: غلظ<sup>(٢)</sup>.

#### الجبن اصطلاحاً:

قال الجاحظ: هو الجزع عند المخاوف والإحجام عما تحذر عاقبته أو لا تؤمن مغبته<sup>(٣)</sup>.

وقال الفيروز آبادي: الجبن: ضعف القلب عما يحقّ أن يقوى عليه<sup>(٤)</sup>.

وقال الجرجاني: هيئة حاصلة للقوة الغضبية بها يحجم عن مباشرة ما ينبغي وما لا ينبغي<sup>(٥)</sup>.

#### الجبان لا يكاد ينام:

قال الأبشيهي - رحمه الله تعالى - : الجبن خلق مذموم قد استعاذ منه رسول الله ﷺ، ونحن نعوذ بالله ممّا استعاذ منه سيّد الخلق رسول الله ﷺ ويكفي في ذمه أن يقال في وصف الجبان: إن أحسّ بعصفور طار فؤاده، وإن طنت بعوضة طال سهاده، يفزع من صرير الباب، ويقلق من طنين الدّباب. إن نظرت إليه شزرا أغمي عليه شهراً، يحسب خفوق الرياح قعقة الرّماح.

(١) لهذه المادة معنيان آخران هما: الجبن الذي يؤكل، والجبينان ما عن يمين الجبهة وشمالها، كل واحد منهما جبين.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (١ / ٣٠٥). لسان العرب (١ / ٥٣٩ - ٥٤٠). والصحاح (٥ / ٢٠٩٠ - ٢٠٩١)، وتاج العروس (١٨ / ١٠٢)، ومقاييس اللغة (١ / ٣٠٥).

(٣) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٣٣).

(٤) بصائر ذوي التمييز (١ / ٣٦٦).

(٥) التعريفات (٧٣).

قال الشاعر:

إذا صوّت العصفور طار فؤاده وليث حديد الثّاب عند الثّرائد<sup>(١)</sup>  
 [للاستزادة: انظر صفات: التولي - صغر الهمة الضعف - طول الأمل - الوهن - التخاذل -  
 التنصل من المسؤولية - الإهمال - التهاون.  
 وفي ضد ذلك: انظر صفات: الشجاعة - الثبات - الرجولة - علو الهمة - المسؤولية - جهاد  
 الأعداء - الشرف - العزة].

\*\*\*

## من مضار (الجبن)

(١) الذّل في الدّنيا، والخزي في الآخرة. (٥) الجبان مبغض حتّى إلى أقربائه.  
 (٢) الجبان لا يسود ولا يكون إماما. (٦) يؤدّي إلى احتلال الأوطان، وهتك  
 (٣) من أسوأ الخلال وشرّ الخصال. الأعراس.  
 (٤) لا يؤخّر أجلا ولا يقرب نفعا. (٧) وجود الجبناء في المعركة يفتّ في عضد  
 الجيش الكبير.

## الجحود

## الجحود لغة:

الجحود والجحد مصدر قولهم: جحد يجحد جحدا وجحودا وهو مأخوذ من مادة (ج ح د)  
 التي تدلّ على قلة الخير. يقال: عام جحد: قليل المطر، والجحد من كل شيء، القلة.  
 وقال الشّيباني: أجحد الرّجل وجحد إذا أنفض وذهب ماله... ومن هذا الباب الجحود، ولا  
 يكون إلّا مع علم الجاحد به أنّه صحيح. قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]  
 وما جاء جاحد بخير قطّ<sup>(٢)</sup>.

ويقول الجوهريّ: الجحود: الإنكار مع العلم.

(١) المستطرف (٢/ ٢٣).

(٢) المقاييس (١/ ٤٢٦).

يقال: جحده حقّه وبحقّه، والجحد أيضا: قلة الخير، وكذلك الجحد بالضمّ... والجحد بالتحريك مثله.

يقال: نكدا له وجحدا.

وجحد الرجل - بالكسر - جحدا، فهو جحد إذا كان ضيقا قليل الخير، وأجحد مثله<sup>(١)</sup>.  
وقال الراغب: يقال: رجل جحد شحيح، قليل الخير، يظهر الفقر... وأجحد: صار ذا جحد<sup>(٢)</sup>.

والجحد والجحد: الضيق في المعيشة، يقال: جحد عيشهم جحدا، إذا ضاق واشتدّ<sup>(٣)</sup>.  
وجحد فلانا: صادفه بخيلا، قليل الخير..

وجحد: نكد. وفرس جحد - ككتف - غليظ قصير، وجمعه جحاد<sup>(٤)</sup>.

#### الجحود اصطلاحا:

قال الجرجاني: هو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل في الماضي<sup>(٥)</sup>.  
يقول الراغب: الجحود: نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه<sup>(٦)</sup>.  
وقال المناوي: الجحد إنكار ما سبق له وجود، وهو خلاف النفي<sup>(٧)</sup>.

#### الفرق بين النفي والجحد:

الجحد مختصّ بالماضي، والنفي عامّ يشمل الماضي والحاضر، والجحد يقال فيما ينكر باللسان دون القلب، والنفي يقال فيهما، والتأني إذا كان كلامه صادقا يسمّى كلامه نفيًا، ولا يسمّى جحدا، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] فهذا نفي، وإن كان كاذبا يسمّى جحدا ونفيًا كما في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]<sup>(٨)</sup>.

(١) الصحاح (٢/ ٤٥٢).

(٢) المفردات (٨٨).

(٣) اللسان (١/ ٥٤٧).

(٤) التاج (٤/ ٣٧٦، ٣٧٧).

(٥) التعريفات (٧٧).

(٦) المفردات (٨٨).

(٧) التوقيف (١٢١).

(٨) التوقيف (٢)، والتعريفات (٧٧)، والكليات للكفوي (١٦٠).

## أسباب كفران النعم وجحودها:

قال الغزالي - رحمه الله تعالى - لم يقصّر بالخلق عن شكر النعم إلا الجهل والغفلة، فإنهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم، ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفة كونها نعمة، ثم إنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول باللسان: الحمد لله والشكر لله. ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله ﷻ - فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين إلا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان.

أما الغفلة عن النعم فلها أسباب، وأحد أسبابها أن الناس بجهلهم لا يعدّون ما يعمّ الخلق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة، فلذلك لا يشكرون على ما عمّ الله به الخلق من شتى النعم في الكون والنفس كالشمس والقمر والليل والنهار والحرارة والبرودة واستساغة الطعام، ذلك ممّا لا يحصى كثرة؛ لأنّها عامّة للخلق، مبذولة لهم في جميع أحوالهم، فلا يرى كلّ واحد لنفسه منهم اختصاصا به فلا يعدّه نعمة، فلا تراهم يشكرون الله على روح الهواء ولو أخذ بمختنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا، ولو حبسوا في بيت حمّام فيه هواء حارّ أو في بئر فيه هواء ثقل برطوبة الماء ماتوا غمّا، فإن ابتلي واحد منهم بشيء من ذلك ثم نجا ربّما قدّر ذلك نعمة وشكر الله عليها، وهذا غاية الجهل إذ صار شكرهم موقوفا على أن تسلب عنهم النعمة ثم تردّ عليهم في بعض الأحوال.

والنعمّة في جميع الأحوال أولى بأن تشكر في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحّة بصره إلا أن تعمى عيناه فعند ذلك لو أعيد عليه بصره أحسّ به وشكره وعدّه نعمة، وهذا الجاهل الذي لم يقدر نعمة الله عليه مثل العبد السوء، حقّه أن يضرب دائما حتى إذا ترك ضربه ساعة تقلّد به منّة، فإن ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر، فصار الناس لا يشكرون إلا المال الذي يتطرّق إليه الاختصاص من حيث الكثرة والقلّة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم. ولو أمعن الإنسان النظر في أحواله رأى من الله نعمًا كثيرة تخصّه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس، وربّما لا يشاركه فيها أحد من الخلق، وذلك يتمثّل في ثلاثة أمور يعترف بها كلّ عبد:

أحدها: العقل. فإنّه ما من عبد لله تعالى إلا وهو راض عن الله في عقله يعتقد أنّه أعقل الناس، وقلّ من يسأل الله تعالى العقل، ولذا وجب على كلّ الخلق شكر الله.

والأمر الثاني: الخلق. فما من عبد إلا ويرى من غيره عيوبًا يكرهها وأخلاقًا يذمّها، وإنّما يذمّها من حيث يرى نفسه بريئا منها فإذا لم يشتغل بدمّ الغير وجب عليه أن يشكر الله إذ حسن خلقه وابتلي غيره بسوء الخلق.

والأمر الثالث الذي يقرب به كل واحد: العلم.

فما من أحد إلا ويعرف بواطن أمور نفسه وخطايا أفكاره وما هو منفرد به، ولو كشف الغطاء حتى اطلع عليه أحد من الخلق لا فتضح، فكيف لو اطلع الناس كافة ألا يوجب ستر القبيح وإخفاؤه عن عين الناس شكر هذه النعمة العظيمة؟ ولم يصرف الخلق عن شكر هذه النعمة إلا الغفلة والجهل. وأعم من هذه الأمور أمور أخرى فما من واحد من الخلق إلا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو والده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو زوجه أو ولده أو عزه أو جاهه أو في سائر أمور، فإنه لو سلب ذلك منه وأعطى ما خصص به غيره فإنه لا يرضى به فإذا كان الأمر كذلك فقد وجب على كل الخلق أن يشكروه على أن جعلهم على هذه الحالة التي هم عليها ولم يجعلهم على حال الآخرين، ولكن غلب عليهم كفر النعمة.

وما سد على الخلق طريق الشكر إلا جهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامّة، أو الغفلة عنها لحصولهم عليها بلا أدنى سبب<sup>(١)</sup>.

#### البحر في آيات الله:

لقد نعى القرآن الكريم على المشركين وأهل الكتاب جحودهم بآيات الله رغم معرفتهم بها، وشدّد النكير عليهم فوسمهم بالظلم، في قوله سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيِّنَاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، وقد كان هذا الجحود سببا للعنة قوم عاد وإبعادهم ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْيَوْمِ الْأَلِيمِ إِلَّا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ إِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٥٩، ٦٠]، وقد وصف القرآن الكريم من يجحد بآيات الله بالكفر حيناً وبالظلم حيناً فقال - عز من قائل - : ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وجاء وصفهم بأنهم أهل الإفك والختر، فقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [غافر: ٦٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَسَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢] وقد أوضح المولى ﷺ أن الجحود من عوامل الاستكبار والغرور فقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥].

(١) انتهى بتصرف من إحياء علوم الدين للغزالي (٤ / ١٢٣ - ١٢٦).

إنَّ الجاحد بآيات الله لن يغني عنه سمعه ولا بصره، ولا فؤاده، وكأنَّه حرم نفسه من نعمة الله التي أنعم الله بها عليه، يقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْعِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

والنتيجة الحتمية للجحود هي الخلود في النَّارِ وفوق ذلك فإنَّهم أعداء الله فاستحقوا بذلك الوعيد الشديد ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [فصلت: ٢٨].

[للاستزادة: انظر صفات: نكران الجميل - اتباع الهوى - الإصرار على الذنب - الضلال - الغرور - الكفر - التفريط والإفراط - عقوق الوالدين - قطيعة الرحم - الجفاء. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاعتراف بالفضل - الإيمان - الشكر - الثناء - الإحسان - المروءة - بر الوالدين - صلة الرحم].

\*\*\*

### من مضار (الجحود)

- (١) يسبب غضب الربِّ ﷻ.
- (٢) يعرض عنه الخلق ولا يمدون إليه يد (٥) يقطع أواصر المجتمع المسلم.
- (٣) الجحود من أسباب منع النعم ومنع نزولها (٦) لا يصرف الله عن شكر نعمه إلا غافلاً أو زوالها بعد حصولها.
- (٤) فيه تشبه باليهود والكفار والملحدون.
- (٦) لا يصرف الله عن شكر نعمه إلا غافلاً أو جاهلاً.

### الجدال والمرء

#### الجدال لغة:

مصدر قولهم: جادله يجادله جدالاً ومجادلة وهو مأخوذ من مادة (ج د ل) التي تدل على استحكام الشيء في استرسال يكون فيه وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام، تقول من ذلك: جادله أي ناظره وخاصمه، والاسم من ذلك: الجدل، وهو شدة الخصومة، وجدل الحبل: إحكام قتله، وإلى هذا المعنى أرجع الرَّاغب معنى الجدال (والمجادلة) فقال: الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وكانَّ المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وأصله من جدلت الحبل،

ومن ذلك جدلت البناء: أحكمته، والأجدل: الصّقر المحكم البنية، وقيل: الأصل في الجدل: الصّرع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصّلبة، والجدل: اللّد في الخصومة والقدرة عليها، ويقال رجل جدل ومجدل ومجدال إذا كان شديد الخصومة والجدل. كما يقال: جادلت الرّجل فجدلته جدلا أي غلبته. كما يأتي منه المصدر على جدال ومجادلة، ومعناه المناظرة والمخاصمة.

والرّجل مجدول إذا انقطع في الخصام. وهما يتجادلان إذا كانا يتخاصمان.

والمجدل الجماعة من النّاس، وذلك لأنّ الغالب عليهم إذا اجتمعوا أن يتجادلوا، والجدال (أيضا) المخاصمة بما يشغل عن ظهور الحقّ ووضوح الصّواب، قال الفيوميّ: هذا هو الأصل، ثمّ استعمل على لسان حملة الشّرع في مقابلة الأدلّة لظهور أرجحها. وهو محمود إذا كان للوقوف على الحقّ وإلا فمذموم، ومن معنى الصّرع قيل: جدله جدلا، وجدّله فانجدل، وتجدّل: أي صرعه على الجدالة، وهو مجدول ومجدّل ومجدل، وأكثر ما يقال: جدّله تجديلا، وفي الحديث أنّ النّبّيّ ﷺ قال: «أنا خاتم النّبیین في أمّ الكتاب، وإنّ آدم لمنجدل في طيته»، والمجدّل الملقى بالجدالة وهي الأرض، ومنه حديث عليّ عليه السلام حين وقف على طلحة وهو قتيل (بعد معركة الجمل) فقال: «أعزز عليّ أبا محمّد أن أراك مجدّلا تحت نجوم السّماء» أي ملقى على الأرض قتيلًا<sup>(١)</sup>.

### الجدال اصطلاحا:

الجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجّة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة، والجدال: عبارة عن مرآة يتعلّق بإظهار المذاهب وتقريرها<sup>(٢)</sup>.

وقال المناويّ: هو مرآة يتعلّق بإظهار المذاهب وتقريرها.

وقيل: هو التّخاصم بما يشغل عن ظهور الحقّ ووضوح الصّواب<sup>(٣)</sup>.

وقال الكفويّ: هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجّة أو شبهة وهو لا يكون إلاّ بمنازعة غيره.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٤٣٣)، المفردات للراغب ٨٧، لسان العرب (١/ ٥٧١). والصحاح (٤/ ١٦٥٣).

والمصباح المنير (١/ ٩٣).

(٢) التعريفات للجرجاني (٧٤، ٧٥).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (١٢٢).

والمجادلة: هي المنازعة في المسألة العلمية لإلزام الخصم سواء كان كلامه فاسداً أو لا<sup>(١)</sup>.

### حكم الجدال:

الجدال قد يكون محموداً إذا تعلقت بإظهار الحق وقد أمر بذلك النبي ﷺ في قوله سبحانه:

﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقد يكون مذموماً إذا شغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، وهذا هو المقصود بقوله ﷺ:

«ما أوتي الجدال قوم إلا ضلوا»<sup>(٢)</sup>.

وقد عدّ الذهبيّ هذا النوع من الكبائر، وقال: إن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً، وإن كان الجدال في مدافعة الحق، أو كان بغير علم كان مذموماً، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمّه<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التنازع - التفرق الهجر - التخاذل - الإعراض - البذاءة - البغض سوء الظن.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الألفة - الإخاء - السماحة - المروءة - الحياء - المحبة - حسن الظن].

\*\*\*

### من مضار (الجدال)

- (١) الجدال يحرم صاحبه من الوصول إلى التي يحظى بها الباحث عن الحق.
- (٢) يورث البغضاء والكراهية.
- (٣) يحذر منه الناس ويتحاشونه.
- (٤) سبب للمعاينة بالحرمان من السعادة.
- (٥) طول ممارسته يغري بالتّمادي في الباطل.
- (٦) يؤدّي إلى سوء العاقبة بالحرمان من المنزلة العالية في الجنة.

(١) الكليات (٣٥٣، ١٤٩).

(٢) انظر المصباح المنير (١/ ٩٣).

(٣) كتاب الكبائر (٢٢١).

## الجزع

## الجزع لغة:

مصدر قولهم: جزع يجزع جزعا، وهو مأخوذ من مادة (ج زع) التي تدلّ على الانقطاع، من ذلك جزعت الرملة إذا قطعتها، وجزع الوادي، وهو الموضع الذي يقطعه من أحد جانبيه إلى الجانب الآخر، والجزع نقيض الصبر؛ لأنّ فيه انقطاع المنّة<sup>(١)</sup> عن حمل ما نزل.

يقال من ذلك: جزع يجزع جزعا، والوصف من ذلك جازع وجزع وجزع، فإذا كثرت ذلك منه قيل جزوع وجزاع، والجزوع في قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ [المعارج: ٢٠] هو الذي لا صبر عنده إذا مسّه الشّرّ، ويقال: أجزعه إذا أزال جزعه، ومن ذلك ما جاء في الحديث: لما طعن عمر رضي الله عنه جعل ابن عباس رضي الله عنه يجزّعه، قال ابن الأثير: أي يقول له ما يسليه ويزيل جزعه، ويقال أيضا: أجزعه الأمر، إذا أصابه بالجزع، قال أعشى باهلة:

فإذا جزعنا فإن الشّرّ أجزعنا وإن صبرنا فإنّا معشر صبر

وقال الراغب: أصل الجزع قطع الحبل من نصفه، ولتصوّر الانقطاع قيل جزع الوادي لمنقطعه، ولانقطاع اللون بتغيّره قيل للخرز الملوّن جزع، وعنه استعير قولهم لحم مجزّع إذا كان ذا لونين، ورجل جزع إذا ضعفت قوّته عن حمل ما نزل به ولم يجد صبورا والجزع (بسكون الزاي) مصدر جزعت الوادي إذا قطعتة عرضا، وفي الحديث «أنّه وقف على محسّر فقرع راحلته فخبّت حتّى جزعه» أي قطعه، ولا يكون إلّا عرضا، ومنه حديث مسيره إلى بدر «ثمّ جزع الصّفيراء» أي قطعها عرضا، والجزيعية: القطعة من الغنم، وربما استعملت تصغيرا لجزعة وهي القليل من اللبن أو الماء.

الجزوع ضدّ الصبور على الشّرّ، والجزع نقيض الصبر. جزع بالكسر، يجزع جزعا فهو جازع وجزع وجزع وجزوع. وقيل إذا كثرت منه الجزع فهو جزوع وجزاع. قال الله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ [المعارج: ٢٠، ٢١] <sup>(٢)</sup>.

(١) المنّة: أي القوة.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٤٥٣)، والمفردات للراغب (٩٢)، لسان العرب (٨/ ٤٧)، (ط، بيروت)، المصباح المنير (١/ ٩٩)، والصحاح (٣/ ١١٩٦)، والنهاية (١/ ٢٦٩).

## واصطلاحاً:

قال المناوي: الجزع حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده، ويقطعه عنه قهراً<sup>(١)</sup>، وهو أبلغ من الحزن.

وقال الجاحظ: الجزع خلق مركب من الخرق والجبن<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: الجزع مستقبح (ومكروه) إذا لم يكن مجدياً ولا مفيداً، فأما إظهار الجزع لتمحل حيلة بذلك عند الوقوع في الشدة، أو استغاثة مغيث، أو اجتلاب معين فغير مكروه ولا يعد نقیصة<sup>(٣)</sup>.

## أسباب الجزع:

ذكر الماوردي للجزع أسباباً عديدة منها:

١- تذكر المصائب حتى لا يتناساه، وتصوره حتى لا يعزب عنه، ولا يجد من التذكار سلوة، ولا يخلط مع التصور تعزية، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تستفزوا الدموع بالتذكر. وقال الشاعر: «ولا يبعث الأحزان مثل التذكر».

٢- الأسف وشدة الحسرة فلا يرى من مصابه خلفاً، ولا يجد لمفقوده بدلاً؛ فيزداد بالأسف ولها، وبالْحسرة هلعاً. ولذلك قال الله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

وقال بعض الشعراء:

إذا بليت فثق بالله وارض به      إن الذي يكشف البأس هو الله  
إذا قضى الله فاستسلم لقدرتَه      ما لامريء حيلة فيما قضى الله  
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه      لا تيأسن فإن الصانع الله

٣- كثرة الشكوى، وبث الجزع، فقد قيل في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥] إنه

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (١٢٥)، وقد ذكر الراغب نفس التعريف إلا أنه لم يذكر لفظ «قهر» ووافق على ذلك الكفوي في الكليات. انظر المفردات (٩٠)، والكليات للكفوي (٣٥٤).

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٣٤).

(٣) تهذيب الأخلاق (٣٤).

الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بثّ. روى أنس بن مالك أنّ النبي ﷺ قال: «ما صبر من بثّ». وحكى كعب الأحرار أنّه مكتوب في التوراة: من أصابته مصيبة فشكا إلى الناس، فإنّما يشكو ربّه. وحكى أنّ أعرابيّة دخلت من البادية، فسمعت صراخا في دار فقالت: ما هذا؟ فقيل لها: مات لهم إنسان، فقالت: ما أراهم إلّا من ربّهم يستغيثون، وبقضائه يتبرّمون، وعن ثوابه يرغبون. وقد قيل في منشور الحكم: من ضاق قلبه اتّسع لسانه.

٤- اليأس من جبر مصابه، وطلابه، فيقترن بحزن الحادثة قنوط الإياس، فلا يبقى معهما صبر، ولا يتّسع لهما صدر. وقد قيل: المصيبة بالصبر أعظم المصيبتين. وقال ابن الرومي:

اصبري أيّتها النصف      س فإنّ الصبر أحجى  
ربّما خاب رجاء      وأتى ما ليس يرجى  
وأشدّ بعض أهل العلم:

أتحسب أنّ البؤس للحردائم      ولو دام شيء عدّه الناس في العجب  
لقد عرفتك الحادثات ببؤسها      وقد أدبت إن كان ينفك الأدب  
ولو طلب الإنسان من صرف دهره      دوام الذي يخشى لأعياه ما طلب  
٥- أن يغرى بملاحظة من حيطت سلامته، وحرست نعمته، حتّى التحف بالأمن والدعة، واستمتع بالثروة والسعة<sup>(١)</sup>.

### بين الجزع والفرع والهلع والخوف:

الفرع هو انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشّيء المخيف، وهو من جنس الجزع، وذلك مثل الفرع من دخول النار<sup>(٢)</sup>، وقد سوّى بعضهم بين الفرع والدّع<sup>(٣)</sup>، وذهب آخرون إلى جعله بمعنى الخوف<sup>(٤)</sup>، والأرجح ما ذكره الرّاعب من أنّ الفرع ناتج عن الخوف (الشديد) وليس مساويا له<sup>(٥)</sup>، أمّا الهلع فهو أشدّ الجزع والضجر<sup>(٦)</sup>، وهذه الأمور الأربعة وإن كانت متقاربة في

(١) أدب الدنيا والدين (٢٨٦-٢٨٧).

(٢) المفردات للراغب ٣٧٩-٣٨٠ (بتصرف)، وللفرع معنى آخر هو الإغاة.

(٣) انظر مقاييس اللغة لابن فارس ٤/ ٥٠١.

(٤) انظر الكليات للكفوي ٣/ ٣٥٨.

(٥) واستعمالهم الفرع في معنى الخوف إنّما هو تسامح في العبارة.

(٦) النهاية لابن الأثير ٥/ ٢٦٩.

معناها العام، إلا أنّها مختلفة في الدّرجة والكميَّة، فأول ذلك الخوف، فإن زاد وصاحبه اضطراب وانقباض صار فزعاً، فإذا زاد الفزع وأقعد صاحبه عن العمل وأورثه حزناً، أصبح جزعاً، فإن زاد الجزع صار هلعاً.

### الفرق بين الجزع ورقّة القلب:

والفرق بين رقّة القلب والجزع أنّ الجزع ضعف في النّفس وخوف في القلب يمدّه شدّة الطّمع والحرص ويتولّد من ضعف الإيمان بالقدر وإلا فمتى علم أنّ المقدّر كائن ولا بدّ كان الجزع عناء محضاً ومصيبة ثانية.

أمّا رقّة القلب فإنّها من الرّحمة وقد كان رسول الله ﷺ أرقّ النّاس قلباً وأبعدهم من الجزع، فرقّة القلب رافة ورحمة، وجزعه مرض وضعف، فالجزع حال قلب مريض بالدنيا قد غشيه دخان النّفس الأمّارة فأخذ بأنفاسه وضيق عليه مسالك الآخرة وصار في سجن الهوى والنّفس وهو سجن ضيق الأرجاء مظلم المسلك فانحصار القلب وضيقه يجعله يجزع من أدنى ما يصيبه ولا يحتمله فإذا أشرق فيه نور الإيمان واليقين بالوعد وامتلاً من محبة الله وإجلاله رقّ وصارت فيه الرّافة والرّحمة فتراه رحيماً رفيق القلب بكلّ ذي قربى ومسلم يرحم النّملة في جحرها والطّير في وكره فضلاً عن نبيي جنسه فهذا أقرب القلوب من الله تعالى<sup>(١)</sup>.

### علاج الجزع والهلع:

لقد أوضح القرآن الكريم علاج هذه الأمور القلبية في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٢] فأوضح بجلاء لا ريب فيه أنّ الصلاة تقي صاحبها هذه المشاعر القلبية، يقول ابن بطّال: المراد من الآيات الكريمة إثبات خلق الله تعالى للإنسان بأخلاقه من الهلع والصبر، والمنع والإعطاء، وقد استثنى الله المصلّين الذين هم على صلاتهم دائمون، لا يضجرون بتكرّرها عليهم<sup>(٢)</sup>.

وفي السنّة المطهّرة ما يفيد تأثير الصّلاة في راحة القلب بها، ويدلّ على ذلك، قوله ﷺ «يا بلال أقم الصّلاة أرحنا بها». وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصّلاة.

(١) الروح لابن القيم، ص ٢٢٦.

(٢) فتح الباري ١٣ / ٥٢٠.

وأما ذكر الله ﷻ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].  
 وإضافة إلى الصلاة والذكر، فإن الرضا بقضاء الله ﷻ والتذرع بالصبر الجميل مما يساعد  
 على التخلص من هذه الأمور ونحوها.  
 [للاستزادة: انظر صفات: اليأس - الحزن - الضعف - القنوط - الوهن - القلق - الشك -  
 صغر الهمة - السخط.  
 وفي ضد ذلك: انظر صفات: الصبر والمصابرة - الاحتساب - التفاؤل - علو الهمة - قوة  
 الإرادة - الرضا - اليقين].

\*\*\*

### من مضار (الجزع)

- (١) سوء الظن بالله وعدم الثقة به سبحانه. (٤) استحقاق العذاب في الآخرة.
- (٢) انتفاء كمال الإيمان. (٥) قلق النفس واضطرابها.
- (٣) عدم الرضا بالمقدور وعجزه عن فعل (٦) الجزع يشقى به جلساؤه ويملّه أقرباؤه.  
المأمور.

### الجفاء

#### الجفاء لغة:

الجفاء بالمدّ نقيض البرّ، وهو مأخوذ من مادّة (جفو) التي تدلّ على نبوّ الشّيء عن الشّيء،  
 يقول ابن فارس: «الجيم والفاء والحرف المعتلّ يدلّ على أصل واحد: نبوّ الشّيء عن الشّيء، من  
 ذلك جفوت الرّجل أجفوه، وهو ظاهر الجفوة، أي الجفاء»<sup>(١)</sup>.  
 ويقول الجوهريّ: وقد جفوت الرّجل أجفوه جفاء فهو مجفوّ، ولا تقلّ جفيت، ويقول الفيوميّ:  
 وجفوت الرّجل أجفوه، أعرضت عنه، وهو مأخوذ من جفاء السّيل وهو ما نفاه السّيل، وقد يكون مع  
 بغض، وجفا الثّوب يجفو إذا غلظ فهو جاف، ومنه جفاء البدو، وهو غلظتهم، وفظاظتهم<sup>(٢)</sup>.

(١) الصحاح (١/ ٤٦٥).

(٢) المصباح المنير (١/ ٣٠٤).

ويقول ابن منظور: جفا الشيء يجفو جفاً، وتجافى: لم يلزم مكانه كالسرج يجفو عن الظهر، وكالجنب يجفو عن الفراش.

والجفاء: البعد. وأجفيته أنا: أنزلته عن مكانه. وجفا جنبه عن الفراش وتجافى: نبا عنه ولم يطمئن عليه. وفي التنزيل: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]. قيل في تفسير هذه الآية: إنهم كانوا يصلون في الليل. وفي الحديث: أنه كان ﷺ يجافي عضديه عن جنبه في السجود، أي يباعدهما، وأجفاه إذا أبعده. ومنه الحديث: «اقرأوا القرآن ولا تجفوا عنه». أي تعاهدوه ولا تبعدوا عن تلاوته، وفي الحديث أيضاً: «غير الغالي فيه والجافي». وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار». وفي الحديث الآخر: «من بدا جفا»، أي من سكن البادية غلظ طبعه لقلّة مخالطة الناس. والجفاء: غلظ الطبع.

قال الليث: الجفوة الزم في ترك الصلّة من الجفاء.

والجفاء يكون في الخلقة والخلق. يقال رجل جافي الخلقة وجافي الخلق إذا كان كزاً غليظ العشرة والخرق في المعاملة والتّحامل عند الغضب والسّورة على الجليس.

وقال هند بن أبي هالة وفي صفته رضي الله عنه: ليس بالجافي المهين، أي ليس بالغليظ الخلقة ولا الطّبع، أو ليس بالذي يجفو أصحابه، ويقال: فلان ظاهر الجفوة بالكسر أي ظاهر الجفاء، ورجل فيه جفوة وجفوة، وإنه لبيّن الجفوة بالكسر فإذا كان هو المجفوّ قيل: به جفوة<sup>(١)</sup>.

#### واصطلاحاً:

قال المناوي: الجفاء (بفتح الجيم) الغلظ في العشرة والخرق في المعاملة وترك الرّفق في الأمور<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الجحود - الحمق - سوء المعاملة - الطيش - العنف - القسوة - العبوس - سوء الظن - عقوق الوالدين.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الرفق - البر - الرحمة - صلة الرحم - العطف - الحلم - حسن المعاملة - حسن العشرة - حسن الظن - بر الوالدين].

(١) لسان العرب (١٤ / ١٤٧ - ١٤٩).

(٢) التوقيف (١٢٧).

## من مضار (الجفاء)

- (١) خلق الجفاء من الغلظة، والغلظة يبغضها فليحذروا دخوله بينهم.
- الله ﷻ والملائكة والناس أجمعون. (٤) الجافي يفتر منه إخوانه، ويتعدون عنه فلا
- (٢) الجفاء قد يكون طبعاً وقد يكون تطبعاً وكلاهما سيء، والمؤمن الحق يتدارك
- والتأسي الحسن. (٥) مظهر من مظاهر سوء الخلق. وقوعه في مصيدة الشيطان.
- (٣) الجفوة بين الأحبة فجوة للشيطان (٦) يورث التفرق والوحشة بين الناس.

## الجهل

## الجهل لغة:

الجهل مصدر قولهم جهل بجهل، وهو مأخوذ من مادة (ج ه ل) التي تدل على معنيين، يقول ابن فارس «الجيم والهاء واللام» أصلان: أحدهما خلاف العلم، والآخر: الخفة وخلاف الطمأنينة، فالأول الجهل نقيض العلم، ويقال للمفازة التي لا علم بها مجهل، والثاني: قولهم للخشبة التي يحرك بها الجمر مجهل، ويقال: استجهلت الريح الغصن إذا حرّكته فاضطرب<sup>(١)</sup>.

وتجاهل، أي أرى من نفسه ذلك، وليس به، واستجهله: عدّه جاهلاً، والمجهل: المفازة لا أعلام فيها، يقال: ركبتهما على مجهولها<sup>(٢)</sup>.

ويقول الراغب: «والجاهل تارة يذكر على سبيل الذم وهو الأكثر، وتارة لا على سبيل الذم نحو ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْقُفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] أي من لا يعرف حالهم وليس يعني المتخصص بالجهل المذموم، والمجهل: الأمر والأرض والخصلة التي تحمل الإنسان على الاعتقاد بالشيء خلاف ما هو عليه<sup>(٣)</sup>.

وجهل على غيره سفه وأخطأ، وجهل الحق أضاعه فهو جاهل وجهول<sup>(٤)</sup>.

(١) المقاييس (١/ ٤٨٩).

(٢) الصحاح (٤/ ١٦٦٤).

(٣) المفردات (١٠٠).

(٤) المصباح المنير (١/ ١١٣).

وقال ابن منظور: الجهل نقيض العلم، والجهل: ضدّ الخبرة، يقال: هو يجهل ذلك أي لا يعرفه، ويقال: مثلي لا يجهل مثلك، وقد جهله فلان جهلا وجهالة، وجهل عليه وتجاهل: أظهر الجهل واستجهله: عدّه جاهلا واستخفّه، والتّجهيل: أن تنسبه إلى الجهل، وأجهلته أي جعلته جاهلا. الجهالة: أن تفعل فعلا بغير العلم. والمجهلة: ما يحملك على الجهل. وفي الحديث: «الولد مبخلة مجبنة مجهلة»: أي إنّ الأبناء يحملون الآباء على الجهل بملاعتهم إياهم حفظا لقلوبهم. ويقال: إنّ من العلم جهلا: معناه أن يتعلّم ما لا يحتاج إليه كالنّجوم وعلوم الأوائل، ويدع ما يحتاج إليه في دينه من علم القرآن والسّنة. وقيل: أن يتكلّف العالم إلى علم ما لا يعلمه فيجهله ذلك.

والجاهليّة: زمن الفترة قبل الإسلام، وقالوا الجاهليّة الجهلاء، فبالغوا، والثانية تأكيد للأولى، اشتقّ له من اسمه ما يؤكّد به كما يقال: وتد واتد، وليلة ليلاء، ويوم أيوم، وفي الحديث: «إنك امرؤ فيك جاهليّة». والمراد: الحالة التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه، ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتّجبر وغير ذلك<sup>(١)</sup>.

#### الجهل اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الجهل: هو اعتقاد الشّيء على خلاف ما هو عليه، واعترضوا عليه بأنّ الجهل قد يكون بالمعدوم، وهو ليس بشيء، والجواب عنه أنّه شيء في الدّهن<sup>(٢)</sup>.  
وقال المناوي: الجهل: هو التّقدّم في الأمور المنبهمّة بغير علم<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن نجيم: حقيقة الجهل: عدم العلم بما من شأنه أن يكون معلوماً فإنّ قارن اعتقاد النّقيض، أي الشّعور بالشّيء على خلاف ما هو به فهو الجهل المركب، فإنّ عدم الشّعور بذلك فهو الجهل البسيط<sup>(٤)</sup>.

#### أنواع الجهل:

قال الجرجاني: الجهل على ضربين:

الأوّل: الجهل البسيط: هو عدم العلم عمّا من شأنه أن يكون معلوماً.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ١ / ٤٨٩، والمفردات للراغب ص ١٠١، لسان العرب (٢ / ٧١٣، ٧١٤) بتصرف. وانظر الصحاح (٤ / ١٦٦٣، ١٦٦٤). ومختار الصحاح (١١٥).

(٢) التعريفات للجرجاني (٨٠).

(٣) التوقيف (١٢٣).

(٤) الأشباه والنظائر لابن نجيم (٣٠٣) بواسطة رفع الحرج لصالح بن حميد (٢٢٩).

الآخر: الجهل المركب: هو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع<sup>(١)</sup>.

وقال الراغب: الجهل على ثلاثة أضرب:

الأول: هو خلو النفس من العلم.

الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا. كمن

يترك الصلاة متعمدا، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتَجِدْنَا مُهْرُومًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ

الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] فجعل فعل الهزو جهلا<sup>(٢)</sup>.

### أنواع الجهال وكيفية التعامل معهم:

قال الراغب: الإنسان في الجهل على أربعة منازل:

الأول: من لا يعتقد اعتقادا لصالحا ولا طالحا، فأمره في إرشاده سهل إذا كان له طبع

سليم، فإنه كلوح أبيض لم يشغله نقش، وكأرض بيضاء لم يلق فيها بذر، ويقال له باعتبار العلم

النظري: غفل، وباعتبار العلم العملي: غمر، ويقال له: سليم الصدر.

والثاني: معتقد لرأي فاسد، لكنه لم ينشأ عليه، ولم يترب به، واستنزاه عنه سهل، وإن كان

أصعب من الأول، فإنه كلوح يحتاج فيه إلى محو وكتابة، وكأرض يحتاج فيها إلى تنظيف، ويقال

له: غاو وضال.

والثالث: معتقد لرأي فاسد قد ران على قلبه، وتراءت له صحته، فركن إليه لجهله وضعف

نحيزته، ممن وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾

[الأنفال: ٢٢] فهذا ذو داء أعياء الأطباء، فما كل داء له دواء، فلا سبيل إلى تنبهه وتهذيبه.

كما قيل لحكيم يعظ شيئا جاهلا: ما تصنع؟

فقال: أغسل مسحا لعله يبيض.

والرابع: معتقد اعتقادا فاسدا عرف فساده، أو تمكن من معرفته، لكنه اكتسب دنية لرأسه،

وكرسيًا لرئاسته، فهو يحامي عليها، فيجادل بالباطل ليدحض به الحق، ويذم أهل العلم ليجر إلى

(١) التعريفات (٨٠).

(٢) المفردات (١٠٢).

نفسه الخلق، ويقال له: فاسق ومنافق، وهو من الموصوفين بالاستكبار والتكبر في نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ﴾ [المنافقون: ٥] فنبه تعالى أنهم ينكرون ما يقولونه لمعرفتهم بطلانه، لكن يستكبرون عن التزام الحق وذلك حال إبليس فيما دعي إليه من السجود لآدم عليه السلام<sup>(١)</sup>.

### عقوبة أهل الجهل في الحال والمآل:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : أهل الجهل والظلم الذين جمعوا بين الجهل بما جاء به النبي ﷺ والظلم باتباع أهوائهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣] وهؤلاء قسمان:

أحدهما: الذين يحسبون أنهم على علم وهدى وهم أهل الجهل والضلال، فهؤلاء أهل الجهل المركب الذين يجهلون الحق ويعادونه ويعادون أهله، وينصرون الباطل ويوالون أهله، وهم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُمْ يُكذِّبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨]، فهم لا اعتقادهم الشيء على خلاف ما هو عليه بمنزلة رائبي السراب الذي ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩] وهكذا هؤلاء أعمالهم وعلومهم بمنزلة السراب الذي يكون صاحبه أحوج ما هو إليه، ولم يقتصر على مجرد الخيبة والحرمان كما هو الحال فيمن أم السراب فلم يجده ماء، بل انضاف إلى ذلك أنه وجد عنده أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين ﷺ - فحسب له ما عنده من العلم والعمل فوفاه إياه بمثاقيل الذر، وقدم إلى ما عمل من عمل يرجو نفعه، فجعله هباء منثورا؛ إذ لم يكن خالصا لوجهه ولا على سنة رسوله ﷺ، وصارت تلك الشبهات الباطلة التي كان يظنها علوما نافعة كذلك هباء منثورا، فصارت أعماله وعلومه (هكذا).

والقسم الثاني من هذا الصنف: أصحاب الظلمات وهم المنغمسون في الجهل بحيث قد أحاط بهم من كل وجه، فهم بمنزلة الأنعام بل هم أضل سبيلا، فهؤلاء أعمالهم التي عملوها على غير بصيرة، بل بمجرد التقليد واتباع الآباء من غير نور من الله تعالى، كظلمات عديدة وهي ظلمة الجهل، وظلمة الكفر، وظلمة الظلم واتباع الهوى، وظلمة الشك والريب، وظلمة الإعراض عن الحق الذي بعث الله تعالى به رسوله - صلوات الله وسلامه عليهم -، والنور الذي أنزله معهم ليخرجوا به الناس من الظلمات إلى النور، فإن المعرض عما بعث الله تعالى به محمدا ﷺ من

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (١٣١، ١٣٢).

الهدى ودين الحق يتقلب في خمس ظلمات: قوله ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمة، وقلبه مظلم، ووجهه مظلم، وكلامه مظلم، وحاله مظلم؛ وإذا قابلت بصيرته الخفاشية ما بعث الله به محمدا ﷺ من النور جد في الهرب منه، وكاد نوره يخطف بصره، فهرب إلى ظلمات الآراء التي هي به أنسب وأولى كما قيل:

خفافيش أعشاها النهار بضوئه ووافقها قطع من الليل مظلم

فإذا جاء إلى زبالة الأفكار ونخالة الأذهان، جال ومال، وأبدى وأعاد، وقعقع وفرقع، فإذا طلع نور الوحي وشمس الرسالة انحجز في حجرة الحشرات<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: البلادة والغباء - الحمق - السفاهة - الضلال - الطيش - الغفلة - القلق - اتباع الهوى - انتهاك الحرمات.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: العلم - الفطنة الفقه - معرفة الله ﷻ - اليقظة - اليقين - الهدى - تعظيم الحرمات].

\*\*\*

### من مضار (الجهل)

- (١) يورد المهالك، ويجلب المصائب.
- (٢) يفسد ولا يصلح، ويخرب ولا يعمّر.
- (٣) يضع رفيع النسب، ويذلّ عزيز القوم.
- (٤) المعصية أثر من آثاره وثمره من ثماره.
- (٥) شرّ أنواعه ما كان صاحبه لا يعلم بجهله،
- وشرّ منه من كان يظنّ أنه على ما فيه عالم.
- (٦) مرض وبيل وداء وخيم، وشفأؤه السّؤال والتّعلّم.

### الحرب والمحاربة (\*)

#### الحرب والمحاربة لغة:

الحرب: اسم للحالة التي هي نقيض السلم، وهي مؤنثة لأنّها في معنى المحاربة، والمحاربة

(١) اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية (١٥ - ١٧) باختصار.

(\*) المقصود بالحرب هنا القتال لسبب غير شرعي كأن يحارب المسلمون بعضهم بعضا، أو يحاربوا أهل الذمة الذين لم ينقضوا عهدهم أو الاقتتال بين أصحاب المذاهب وغير ذلك مما ينطبق عليه وصف البغي والعدوان. [انظر صفتي البغي والعدوان].

مصدر قولهم: حارب يحارب، الحرب والمحاربة مأخوذ من مادة (ح ر ب) التي تدلّ على السلب، ومن ذلك: الحرب، يقال: حربته ماله أي سلبته، واشتقاق الحرب (بمعنى المقاتلة للعدوّ) من ذلك (لأنّها تسلب الأرواح والأموال)، وقولهم أسد حرب، أي من شدّة غضبه كأنّه حرب شيئاً أي سلبه وكذلك الرجل الحرب، يقال: حرب الرجل فهو حريب، أي سليب، وحرب بالكسر: اشتدّ غضبه والتحريب إثارة الحرب، ورجل محرب كأنّه آلة حرب، وقيل صاحب حروب، والحربة آلة للحرب معروفة، والجمع حراب، وأصله الفعلة من الحرب أو الحراب، ومحراب المسجد، قيل: سميّ بذلك لأنّه موضع محاربة الشيطان والهوى، وقيل: سميّ بذلك لكون حقّ الإنسان فيه أن يكون حريباً (سليماً) من أشغال الدنيا ومن توزّع الخواطر، والحرب نقيض السلم وقال الجوهريّ: الحرب، تؤنّث وقد تذكّر، وتصغيرها حريب (بلا تاء) وقولهم: أنا حرب لمن حاربني أي عدوّ (لمن عاداني) يقال: تحاربوا واحتربوا وحاربوا بمعنى (وهو اقتتلوا)، والتحريب: التحريش، وحربته: أغضبته، وحربت السنان أي حدّته، وحربه يحربه حرباً، أخذ ماله وتركه بلا شيء، وقد حرب ماله أي سلبه، فهو محروب وحريب وأحربته أي دلتته على ما يغنمه من عدوّ يغير عليه، ودار الحرب: بلاد الكفر الذين لا صلح لهم مع المسلمين، والمحاربة المقاتلة والمنازلة والحرب نقيض السلم، وقول الله تعالى ﴿فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩] أي بقتل لأنّ الحرب داعية القتل، وقيل: المعنى فإن لم تنتهوا فأنتم حرب لله ورسوله ومحاربة الله ورسوله تعني المعصية وذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: ٣٣] <sup>(١)</sup>. وقيل: المراد السرقة والقتل والكفر بعد الإيمان، وقيل نقض العهد وقطع السبيل <sup>(٢)</sup>. والمحروبون في حديث الحديبية «والآل تركناهم محروبين» أي مسلوبين منهوبين، والمحراب في حديث عليّ عليه السلام: «فابعث عليهم رجلاً محراباً» أي معروفاً بالحرب عارفاً بها وهو من أبنية المبالغة كالمعطاء من العطاء <sup>(٣)</sup>.

### المحاربة اصطلاحاً:

قال القرطبيّ: اختلف العلماء فيمن يستحقّ اسم المحاربة، فقال مالك: المحارب: من حمل

(١) انظر في سبب نزول الآية: تفسير الطبري (٦ / ٩٧، ٩٨).

(٢) مقاييس اللغة (٢ / ٤٨)، المفردات للراغب (١١٢)، الصحاح (١ / ١٠٨)، المصباح المنير (١ / ٤٩)، لسان العرب (٢ /

٨١٦)، (ط. دار المعارف)، النهاية في غريب الحديث والأثر (١ / ٣٥٨).

(٣) النهاية (١ / ٣٥٨، ٣٥٩).

على الناس في مصر أو برية وكابريهم عن أنفسهم وأموالهم دون نائرة<sup>(١)</sup> ولا ذحل<sup>(٢)</sup> ولا عداوة، وقال قوم: لا تكون المحاربة في مصر<sup>(٣)</sup>.

### وعند الحنابلة لا تثبت المحاربة إلا بما يلي:

(١) أن يكون ذلك في الصحراء. (٢) أن يكون معهم سلاح.

(٣) أن يأتوا مجاهرة ويأخذوا المال قهرا<sup>(٤)</sup>. هذا من الناحية الفقهيّة، أمّا من الناحية الأخلاقيّة والسلوكيّة فإنّ مصطلح المحاربة يشمل إلى جانب ما ذكره الفقهاء ما يفعله آكلو الربا، والمنافقون الذين يقاتلون المسلمين أو يعدّون لقاتلهم، وذلك كما فعل أبو عامر الراهب الذي قال للرّسول ﷺ لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين، فلمّا انهزمت هوازن خرج إلي الروم يستنصر، وأرسل إلى المنافقين، وقال: استعدّوا بما استطعتم من قوّة وسلاح وابنوا مسجدا، فأني ذاهب إلى قيصر فأت بجند من الروم لأخرج محمّدا من المدينة، فنزل قول الله تعالى: ﴿وإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [التوبة: ١٠٧] وتشمل المحاربة كذلك ما يفعله أهل الحرب من المشركين وأهل الكتاب ضدّ المسلمين.

### حكم المحاربة:

عدّ الإمام ابن حجر المحاربة من الكبائر محتجّا بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣] كما ذكر الله تعالى تغليظ الإثم في قتل النفس بغير حقّ، أتبعه بيان أنواع من الفساد في الأرض، فقال: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي أولياءه، وقال الزمخشري: محاربة المسلمين في حكم محاربة رسوله يعني أنّ القصد محاربة رسول الله ﷺ وذكر اسم الله تعالى تعظيما (لإثم) محاربة رسوله، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، ولك أن تحمل المحاربة على مخالفة أمر الله أي إنّما جزاء الذين يخالفون أحكام الله وأحكام رسوله

(١) نائرة: أي هياج.

(٢) ذحل: حقد.

(٣) تفسير القرطبي (٦ / ٩٩).

(٤) معجم المغني في الفقه الحنبلي (١٣ / ٢٧٦).

ويسعون في الأرض فسادا: القتل أو الصلب... إلخ، وذكر بعضهم أنّ مجرد قطع الطريق وإخافة السبيل يعدّ ارتكابا للكبيرة فكيف إذا أخذ المال، أو جرح أو قتل أو فعل عدّة كبائر مع ما يغلب على القطّاع من ترك الصلاة وإنفاق ما يأخذونه في الخمر والزنا<sup>(١)</sup>.

### أنواع الحرب وحكمها في الإسلام:

للحرب نوعان:

الأول: الحرب المشروعة، وهي التي يخوضها المسلمون دفاعا عن أرواحهم وأعراضهم، وهذه الحرب نوع من الجهاد وهي لا تخرج عن حالتين:

١- الدفاع الشرعيّ ضدّ العدوان الواقع على الجماعة الإسلاميّة أو على حرّيّة الدولة الإسلاميّة.

٢- الإغاثة الواجبة لشعب مسلم أو حليف عاجز عن الدفاع عن نفسه أو فتح البلدان غير المسلمة لنشر دين الله<sup>(٢)</sup>.

وهذه الحرب المشروعة فرض كفاية وقد تصبّح فرض عين على كلّ مسلم ومسلمة في حالات كثيرة، كما إذا دخل الكفّار المقاتلون بلاد الإسلام.

الثاني: الحرب غير المشروعة وهي المقصودة باعتبارها صفة ذميمة منهيّا عنها ولها صور عديدة منها:

أ- أن يقتتل المسلمون فيما بينهم من أجل زعامة أو طمع في حقّ الغير، والذمّ هنا متوجّه لمن يبدأ بالقتال.

ب- أن يقاتل أصحاب المذاهب الدينيّة بعضهم بعضا لنصرة مذهبهم كما في اقتتال السنّة والشيعة.

ج- أن يقاتل أصحاب الأحزاب والشيعة السياسيّة بعضهم بعضا لنصرة هذا الحزب أو ذلك.

د- أن يتقاتل المسلمون والذميون في الوطن الواحد وذلك كما حدث في لبنان.

كلّ ذلك يذمّ البادىء به والمتسبّب فيه ويتحمّل مسؤوليته من أشعل نار الحرب أمام الله ﷻ وعامة المسلمين.

(١) الزواجر (٥٦٥-٥٦٨).

(٢) الثقافة الإسلاميّة، للدكتور/ عبد الواحد محمد الفار (٢٧١).

للاستزادة: انظر صفات: البغي - الطغيان - العتو - العدوان - الفتنة - الظلم - الطمع - الأذى القسوة - اتباع الهوى.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: تكريم الإنسان السلم - الصلح - الإنصاف - الزهد - القناعة - الرضا.]

\*\*\*

### من مضار (الحرب والمحاربة)

- (١) الحروب ابتلاء وسخط من الله ﷻ يسلبها (٣) تورث الفقر والدمار للمحرويين.  
على من خالف أمره.  
(٤) تشيع العداوة والبغضاء وتنتج أجيالا  
(٢) فيها خراب البلاد وإضاعة الأموال وإزهاق ضائعة.  
الأرواح.

### الحزن (\*)

#### الحزن لغة:

مصدر قولهم: حزن يحزن، وهو مأخوذ من مادة (ح ز ن) التي تدلّ على خشونة في الشيء وشدّة فيه، فمن ذلك: الحزن وهو ما غلظ من الأرض، والحزن (ضدّ الفرح)، يقال: حزنني الشيء يحزنني، وقد قالوا: أحزنني، وقال الراغب: الحزن والحزن: خشونة في الأرض، وخشونة في النفس لما يحصل فيها من الغمّ، وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقوله جلّ من قائل: ﴿وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر: ٨٨] فليس ذلك بنهي عن تحصيل الحزن، فالحزن ليس يحصل بالاختيار، ولكنّ النهي في الحقيقة إنّما هو عن تعاطي ما يورث الحزن، وعن اكتسابه.

وقال الجوهري: الحزن والحزن خلاف السرور، يقال: حزن الرجل (بالكسر) فهو حزن وحزين وأحزنه غيره وحزنه مثل أسلكه وسلّكه، وقال بعضهم: حزنه لغة قريش، وأحزنه لغة تميم، وقد قرىء بهما، واحترن وتحزّن بمعنى، والحزّانة: عيال الرجل الذي يتحزّن بأمرهم، ويقال: فلان يقرأ بالتّحزين: إذا أرقّ صوته به.

(\*) الحزن المبحوث هنا هو الحزن المذموم شرعا.

وقال ابن منظور: الحزن والحزن نقيض الفرح، وهو خلاف السرور، والجمع أحزان، وقد حزن، بالكسر حزنا وتحازن وتحزّن. ورجل حزنان ومحزان: شديد الحزن. وحزّنه الأمر يحزّنه حزنا وأحزّنه فهو محزون ومحزون وحزين وحزن... قال سيبويه: أحزّنه، جعله حزينا، وحزّنه جعل فيه حزنا<sup>(١)</sup>.

#### واصطلاحا:

الحزن: عبارة عمّا يحصل لوقوع مكروه، أو فوات محبوب في الماضي<sup>(٢)</sup>.  
وقال المناويّ: الحزن (بالضّم) هو الغمّ الحاصل لوقوع مكروه أو فوات محبوب، ويضادّه الفرح<sup>(٣)</sup>.

وقال الكفويّ: الحزن: غمّ يلحق من فوات نافع أو حصول ضارّ، وقال بعضهم: الخوف علّة المتوقّع والحزن علّة الواقع<sup>(٤)</sup>.

#### الفرق بين الحزن والجزع:

إنّ الجزع حزن يصرف الإنسان عمّا هو بصدده ويقطعه عنه، وهو أبلغ من الحزن لأنّ الحزن عامّ، يشمل ما يصرف الإنسان وما لا يصرفه عمّا هو بصدده<sup>(٥)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات القنوط - الكرب - العبوس - اليأس - الذل - الضعف - الوهن - التخاذل - السخط.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: السرور - البشاشة - الرضا - طلاقة الوجه - الفرح - البشارة - الرجولة - الطموح - الصبر والمصابرة - الاحتساب].

\*\*\*

#### من مضار (الحزن)

(١) الحزن مع السخط يحبط الثواب.  
(٢) الذي يحزن ويستكين للحزن لا يفتن إلى تعاليم الدين.

(١) لسان العرب «ح ز ن» (١٣ / ١١١)، مقاييس اللغة (٢ / ٥٤)، المفردات (١١٥ - ١١٦)، الصحاح (٥ / ٢٠٩٨).

(٢) انظر التعريفات للجرجاني (٩).

(٣) التوقيف (١٣٩).

(٤) الكليات (٤٢٨).

(٥) المرجع السابق (٣٥٤).

- (٣) إهلاك النفس بدون جدوى.  
 (٤) الإضرار بالعقيدة.  
 (٥) الذي يحزن ويسخط في الدنيا يحزن في الآخرة أيضا.  
 (٦) الحزن من صفات الكفار في الآخرة.  
 (٧) إدخال الحزن على المؤمن خاصة في الرؤيا من عمل الشيطان، وفي الاستكانة لذلك تحقيق لغرضه.  
 (٨) الركون إلى الحزن قرين الهوان والضعف وعلى المسلم الحق ألا يركن لذلك.

## الحسد

### الحسد لغة:

الحسد مصدر قولهم: حسد يحسد ويحسد - بكسر السين وضمها - وأصله القشر وهو مأخوذ من الحسدل وهو القراد، فالحسد يقشر القلب، كما تقشر القراد الجلد فتمتص دمه. وحسدتك على الشيء، وحسدتك الشيء بمعنى. يقول الفيومي: «حسدته على النعمة وحسدته النعمة حسدا. بفتح السين أكثر من سكونها، يتعدى إلى الثاني بنفسه وبالحرث إذا كرهتها عنده، وتمنيت زوالها عنه» وهو عند أهل التحقيق غير الغبطة، لأن الأولى صفة المنافقين، والثانية صفة المؤمنين. قال الراغب: وروي «المؤمن يغبط، والمنافق يحسد» ومنه قوله تعالى ﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩] وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥] وقوله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين» هو أن يتمنى الرجل أن يرزقه الله ما لا ينفق منه في سبيل الخير، أو يتمنى أن يكون حافظا لكتاب الله، فيتلوه آناء الليل وأطراف النهار، ولا يتمنى أن يرزأ صاحب المال في ماله أو تالي القرآن في حفظه، وهذا هو الحسد المباح، وهو ما يسمى بالغبطة، وقال ابن منظور: الحسد أن تتمنى زوال نعمة المحسود، وحسده يحسده ويحسده حسدا وحسده إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته أو يسلبهما.

وتحاسد القوم، ورجل حاسد من قوم حسد<sup>(١)</sup>.

### الحسد اصطلاحا:

كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه.

(١) الصحاح للجوهري (٢/ ٥٤٦)، ولسان العرب (٣/ ١٤٨-١٤٩)، ومقاييس اللغة (٢/ ٦١)، والمفردات (١١٧)، والمصباح المنير (١/ ١٣٥).

وقال الجرجاني: الحسد تمنّي زوال نعمة المحسود إلى الحاسد<sup>(١)</sup>.  
 وقال الجاحظ: الحسد: هو التآلم بما يراه الإنسان لغيره وما يجده فيه من الفضائل،  
 والاجتهاد في إعدام ذلك الغير ما هو له، وهو خلق مكروه وقبيح بكلّ أحد<sup>(٢)</sup>.  
 وقال الماوردي: حقيقة الحسد: شدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل<sup>(٣)</sup>.  
 وقال المناوي: الحسد: تمنّي زوال نعمة عن مستحقّ لها، وقيل: هو ظلم ذي النعمة بتمنّي  
 زوالها عنه وصيرورتها إلى الحاسد<sup>(٤)</sup>.

وقال الكفوي: الحسد: اختلاف القلب على الناس لكثرة الأموال والأملك<sup>(٥)</sup>.  
 وقال الراغب: الحسد تمنّي زوال نعمة من مستحقّ لها، وربّما كان مع ذلك سعي في إزالتها.

#### فضيلة الابتعاد عن الحسد:

قال الماوردي رحمته الله: اعلم أنّ الحسد خلق ذميم، مع إضراره بالبدن، وإفساده للدين، حتّى لقد أمر  
 الله بالاستعاذة من شرّه، فقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]. وناهيك بحال ذلك شرّاً،  
 ولو لم يكن من ذمّ الحسد إلّا أنّه خلق دنيء، يتوجّه نحو الأكفاء والأقارب، ويختصّ بالمخالط  
 والصاحب، وكانت النزاهة عنه كرماً، والسلامة منه مغنماً، فكيف وهو بالنفس مضرّ، وعلى الهمّ مصرّ  
 حتّى ربّما أفضى بصاحبه إلى التلف، من غير نكاية في عدوّ، ولا إضرار بمحسود.

#### بين الحسد والمنافسة:

إذا كان الحسد شدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل، فإنّه غير المنافسة، وربّما  
 غلط قوم فظنّوا أنّ المنافسة في الخير هي الحسد، وليس الأمر على ما فطنوا؛ لأنّ المنافسة طلب  
 التشبّه بالأفاضل من غير إدخال ضرر عليهم، والحسد مصروف إلى الضرر؛ لأنّ غايته أن يعدم  
 الأفاضل فضلهم من غير أن يصير الفضل له، فهذا الفرق بين المنافسة والحسد، فالمنافسة إذن  
 فضيلة لأنّها داعية إلى اكتساب الفضائل والافتداء بأخيار الأفاضل، واعلم أنّه بحسب فضل

(١) الإحياء (٣/ ١٨٩)، والتعريفات (٨٧).

(٢) تهذيب الأخلاق (٣٤).

(٣) أدب الدنيا والدين (٢٦٠).

(٤) التوقيف (١٣٩، ١٤٠).

(٥) الكليات للكفوي (٤٠٨، ٦٧٢).

الإنسان، وظهور النعمة عليه، يكون حسد الناس له، فإن كثر فضله كثر حسّاده، وإن قلّ قَلّوا، لأنّ ظهور الفضل يثير الحسد، وحدوث النعمة يضاعف الكمد<sup>(١)</sup>.

### الفرق بين البخل والحسد:

قال الكفويّ: البخل والحسد مشتركان في أنّ صاحبهما يريد منع النعمة عن الغير، ثمّ يتميّز البخل بعدم دفع ذي النعمة شيئاً، والحاسد يتمنّى ألاّ يعطى أحد سواه شيئاً<sup>(٢)</sup>.

### الفرق بين الحسد والغبطة:

قال الكفويّ: الغبطة: تمنّي الإنسان أن يكون له من الذي لغيره من غير إرادة إذهاب ما لغيره، أمّا الحسد فهو إرادة زوال نعمة الغير، ثمّ إنّ الغبطة صفة المؤمن، والحسد صفة المنافق<sup>(٣)</sup>.

### دواعي الحسد:

قال الماورديّ رحمته: اعلم أنّ دواعي الحسد ثلاثة:

١- بغض المحسود، فيأسى عليه بفضيلة تظهر، أو منقبة تشكر، فيشير حسداً قد خامر بغضاً وهذا النوع لا يكون عامّاً، وإن كان أضرّها، لأنّه ليس يبغض كلّ الناس.

٢- أن يظهر من المحسود فضل يعجز عنه، فيكره تقدّمه فيه، واختصاصه به، فيشير ذلك حسداً لولاه لكفّ عنه، وهذا أوسطها، لأنّه لا يحسد من الأكفاء من دنا، وإنّما يختصّ بحسد من علا، وقد يمتزج بهذا النوع ضرب من المنافسة، ولكنّها مع عجز، فلذلك صارت حسداً.

٣- أن يكون في الحاسد شحّ بالفضائل، وبخل بالنعم وليست إليه، فيمنع منها، ولا بيده، فيدفع عنها، لأنّها مواهب قد منحها الله من شاء، فيسخط على الله تعالى في قضائه، ويحسد على ما منح من عطائه، وإن كانت نعم الله تعالى عنده أكثر، ومنحه عليه أظهر، وهذا النوع من الحسد أعمّها وأخبثها، إذ ليس لصاحبه راحة، ولا لرضاه غاية، فإن اقترن بشرّ وقدرة كان جوراً وانتقاماً، وإن صادف عجزاً ومهانة كان جهداً وسقاماً.

وأضاف الغزالي إلى ذلك أسباباً أخرى أهمّها: الخوف من فوت المقاصد، وذلك يختصّ بمتزاحمين على مقصود واحد. فإن كان واحد يحسد صاحبه في كلّ نعمة تكون عوناً له في الانفراد

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٦٠-٢٢٦)، (١٧٦، ١٧٧) ط. بولاق.

(٢) الكلبيات (٢٤٢).

(٣) المرجع السابق (٦٧٢)، وانظر المفردات للراغب (١١٧).

بمقصوده، ومن هذا الجنس تحاسد الضرّات في التزام على مقاصد الزوجيّة، وتحاسد الإخوة في التزام على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتّوصّل به إلى مقاصد الكرامة والمال<sup>(١)</sup>.

### دواء الحسد:

الحسد يعالج بأمور هي له حسم، إن صادفها عزم، فمنها: اتّباع الدين في اجتنابه، والرجوع إلى الله ﷻ في آدابه فيقهر نفسه على مذموم خلقها، وينقلها عن لئيم طبعها وإن كان نقل الطباع عسرا، لكن بالرياضة والتدرّج يسهل منها ما استصعب، ويحبّب منها ما أتعّب.

ومنها: العقل الذي يستقبح به من نتائج الحسد ما لا يرضيه، ويستنكف من هجنة مساويه. فيذلّل نفسه أنفة، ويطهرها حميّة، فتدعن لرشدها، وتجبب إلى صلاحها.

وهذا إنّما يصحّ لدى النفس الأبيّة، والهمة العليّة، وإن كان ذو الهمة يجلّ عن دناءة الحسد. ومنها: أن يستدفع ضرره، ويتوقّى أثره، ويعلم أنّ مكانته في نفسه أبلغ، ومن الحسد أبعد، فيستعمل الحزم في دفع ما كده وأكمدته، ليكون أطيب نفسا وأهنأ عيشا. ومنها: أن يرضى بالقضاء، ويستسلم للمقدور، ولا يرى أن يغالب قضاء الله، فيرجع مغلوبا، ولا أن يعارضه في أمره، فيردّ محروما مسلوبا.

فإن أظفرت السعادة بأحد هذه الأسباب، واقتادته المرشد إلى استعمال الصواب، سلم من سقامه، وخلص من غرامه، واستبدل بالنقص فضلا، واعتاض من الذمّ حمدا، ولمن استنزل نفسه عن مذمة، وصرّفها عن لائمة هو أظهر حزما، وأقوى عزما، ممّن كفته النفس جهادها، وأعطته قيادها<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمته: «ويندفع شرّ الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب:

السبب الأوّل: التعوذ بالله من شرّه، والتحصّن به واللجوء إليه.

السبب الثاني: تقوى الله، وحفظه عند أمره ونهيه. فمن اتقى الله تولّى الله حفظه، ولم يكله إلى غيره.

السبب الثالث: الصبر على عدوّه، وأن لا يقاتله ولا يشكوه، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلا. فما نصر على حاسده وعدوّه بمثل الصبر عليه.

(١) أدب الدنيا والدين (١٧٦)، وإحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ٢٠٠) (ط. الريان).

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٦٢-٢٦٤)، (١٧٦) وما بعدها (ط. بولاق).

**السبب الرابع:** التوكّل على الله. فمن توكّل على الله فهو حسبه، والتوكّل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم. وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإنّ الله حسبه، أي كافيّه. ومن كان الله كافيّه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوّه.

**السبب الخامس:** فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه، وأن يقصد أن يمحوه من باله كلّما خطر له. فلا يلتفت إليه، ولا يخافه، ولا يملأ قلبه بالفكر فيه. وهذا من أنفع الأدوية، وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شرّه.

**السبب السادس:** وهو الإقبال على الله، والإخلاص له وجعل محبّته ورضاه والإنابة إليه في محلّ خواطر نفسه وأمانيتها تدبّ فيها ديب تلك الخواطر شيئاً حتّى يقهرها ويغمرها ويذيبها بالكلّيّة. فتبقى خواطره وهو جسده وأمانيه كلّها في محابّ الربّ، والتقرّب إليه.

**السبب السابع:** تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلّطت عليه أعداءه. فإنّ الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى: ٣٠].

**السبب الثامن:** الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإنّ لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء، ودفع العين، وشرّ الحاسد ولو لم يكن في هذا إلاّ بتجارب الأمم قديماً وحديثاً لكفي به. فما حرس العبد نعمة الله عليه بمثل شكرها ولا عرّضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله. وهو كفران النعمة. وهو باب إلى كفران المنعم.

**السبب التاسع:** وهو من أصعب الأسباب على النفس، وأشقّها عليها، ولا يوفّق له إلاّ من عظم حظّه من الله، وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلمة ازداد أذى وشرّاً وبغياً وحسداً ازدادت إليه إحساناً، وله نصيحة، وعليه شفقة. وما أظنّك تصدّق بأنّ هذا يكون فضلاً عن أن تتعاطاه، فاستمع الآن إلى قوله ﷺ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٣٤) وَمَا يُلَقَّهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّهَا إِلَّا الَّذِينَ هُمْ عَظِيمٌ (٣٥) وَمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦].

**السبب العاشر:** وهو الجامع لذلك كلّّه، وعليه مدار هذه الأسباب، وهو تجريد التوحيد، والترحلّ بالفكر في الأسباب إلى المسبّب العزيز الحكيم، والعلم بأنّ هذه الآلات بمنزلة حركات الرّياح، وهي بيد محرّكها، وفاطرها وبارئها، ولا تضرّ ولا تنفع إلاّ بإذنه.

فهو الذي يحسن عبده بها، وهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد سواه. قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧] (١).  
 [للاستزادة: انظر صفات: الغل - الأثرة - صغر الهمة - الطمع - النعمة - البخل - الشح - السخط.]

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الرضا - القناعة - المحبة - الإيثار - الزهد - السخاء.]

\*\*\*

### من مضار (الحسد)

- (١) إسخاط الله تعالى في معارضته، واجتناء الأوزار في مخالفته، إذ ليس يرى قضاء الله عدلاً ولا لنعمه من الناس أهلاً.
- (٢) حسرات النفس وسقام الجسد، ثم لا يجد لحسرتة انتهاء، ولا يؤمل لسقامه شفاء.
- (٣) انخفاض المنزلة، وانحطاط المرتبة.
- (٤) مقت الناس له، حتى لا يجد فيهم محباً.
- (٥) يجلب النقم ويزيل النعم.
- (٦) منبع الشرور العظيمة ومفتاح العواقب الوخيمة.
- (٧) يورث الحقد والضغينة في القلب.
- (٨) معول هدم في المجتمع.
- (٩) دليل على سفول الخلق ودناءة النفس.

### الحقد

#### الحقد لغة:

هو الاسم من قولهم: حقد فلان يحقد، وهو مأخوذ من مادة (ح ق د) التي تدل على الضغن، يقول ابن فارس: «الحاء والقاف والذال أصلان: أحدهما الضغن، والآخر ألا يوجد ما يطلب، فالأول الحقد، والآخر قولهم: أحقد القوم إذا طلبوا الذهب في المعدن فلم يجدوها» (٢)،

(١) التفسير القيم، لابن القيم (٥٨٥، ٥٩٣).

(٢) مقاييس اللغة ٢ / ٨٩.

وقال الجوهريّ: الحقد: الضغن وجمعه أحقاد، يقال: حقد عليه وحقد عليه، وأحقده غيره، ورجل حقود<sup>(١)</sup>.

وقال ابن منظور: الحقد إمساك العداوة في القلب والتربّص لفرصتها، والحقد: الضغن، وهو الحقيذة والجمع حقائد، قال أبو صخر الهذليّ:

وعدّ إلى قوم تجيش صدورهم بغشيّ، لا يخفون حمل الحقائد

يقال من ذلك: حقد عليّ يحقد حقداً، وحقد (بالكسر) حقداً وحقداً فيهما<sup>(٢)</sup>، فالحقد: الفعل (أي المصدر)، والحقد: الاسم (من ذلك)، وتحقّد كحقد (في المعنى)، قال جرير: ولقد جمعن مع البعاد تحقّداً ورجل حقود: كثير الحقد، وأحقده الأمر: صيّره حاقداً، وأحقده غيره (جعلته يحقد)<sup>(٣)</sup>.

#### الحقد اصطلاحاً:

قال الجرجانيّ: الحقد: هو طلب الانتقام، وتحقيقه: أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفّي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقداً<sup>(٤)</sup>.

وقيل: هو سوء الظنّ في القلب على الخلائق لأجل العداوة<sup>(٥)</sup>.

وقال الجاحظ: الحقد: هو إضمار الشرّ للجاني إذا لم يتمكّن من الانتقام منه فأخفى ذلك الاعتقاد إلى وقت إمكان الفرصة<sup>(٦)</sup>.

#### بين الحقد والضغينة:

إنّ تأمّل ما ذكره الجوهريّ وابن فارس وصاحب اللسان يشير بوضوح إلى أنّ الحقد يتساوى مع الضغينة ويرادفها تماماً عند ابن فارس والجوهريّ، وجزئياً عند ابن منظور لأنّه جعلها والضغن سواء في المعنى الثاني للحقد، فما الضغينة إذن؟

(١) الصحاح ٢/ ٤٦٦.

(٢) مراد ابن منظور أنه يقال في الفعلين حقد (بالتحريك)، وحقد (بكسر القاف) حقد، ثم فسّر ذلك بأن الكلمة بكسر الحاء (حقد) هي الاسم من الفعلين جميعاً.

(٣) لسان العرب ٣/ ١٥٤، وانظر أيضاً: القاموس المحيط ص ٣٥٤ (ط. بيروت).

(٤) التعريفات ص ٩٥.

(٥) المرجع السابق، ص ٩٦، وقد ذكر أبو البقاء الكفوي التعريف ذاته (انظر: الكليات ٢/ ٢٦).

(٦) تهذيب الأخلاق ص ٣٣.

أما الجوهري فلم يزد على أن قال: الضغينة هي الحقد<sup>(١)</sup>، ثم ذكر مشتقاتها بما لا يخرج عن معنى الحقد أيضا، وكأن اللفظين مترادفان عنده تماما، وذهب ابن فارس إلى أن الضغن أصل صحيح يدل على تغطية الشيء في ميل واعوجاج ولا يدل على خير، ثم قال عقب ذلك: من ذلك الضغن: الحقد...<sup>(٢)</sup>، ومن ثم يكون الحقد عند ابن فارس أيضا مرادفا للضغن له معناه نفسه، وقال ابن منظور في (ضعن): الضغن والضغن: الحقد، والضغن: الحقد والعداوة والبغضاء<sup>(٣)</sup>، ومنه حديث عمر رضي الله عنه: «أيما قوم شهدوا على رجل بحد، ولم يكن (ذلك) بحضرة صاحب الحد فإنما شهدوا على ضغن» أي حقد وعداوة، يريد فيما كان بين الله والعباد كالزنا والشرب ونحوهما<sup>(٤)</sup>، أما قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩]، فقد جاء في تفسيره أن الضغينة: هي ما يضم من المكروه، ثم اختلف في تفسيره فقيل: الغش، وقيل: الحسد، وقيل: الحقد<sup>(٥)</sup>، وقال القرطبي: المعنى: أم حسبوا أن لن يظهر الله عداوتهم وحقدهم لأهل الإسلام<sup>(٦)</sup>، ونخلص من ذلك إلى أن الضغينة والضغن قد يراد بهما الحقد مطلقا، وقد يراد بهما الحقد الذي تصاحبه العداوة ومن ثم فسّر الراغب الضغينة بأنها: الحقد الشديد<sup>(٧)</sup>.

#### الألفاظ المرادفة أو المقاربة للحقد:

وردت في اللغة ألفاظ عديدة يقترب معناها من الحقد بمعناه الاصطلاحي، وربما استعملت في نفس معناه منها:

١- الضغينة: إذا فسرت كما سبق بأنها الحقد الشديد أو الحقد المصحوب بالعداوة (الظاهرة).

٢- النقمة: وهي الكراهية التي تصل إلى حد السخط<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر الصحاح ٦ / ٢١٥٤.

(٢) مقاييس اللغة ٣ / ٢٠٦.

(٣) لسان العرب ١٣ / ٢٥٤، وقد أخذ هذا التفسير من النهاية ٣ / ٩٢.

(٤) النهاية لابن الأثير ٣ / ٩٢.

(٥) انظر تفسير القرطبي ١٦ / ٢٥١.

(٦) المرجع السابق، ١٦ / ٢٥٢.

(٧) المفردات للراغب ٢٩٧ (ت. كيلاني).

(٨) انظر صفة النقمة.

٣- الغلّ: وممّن استعمل ذلك القرطبيّ في تفسيره عندما قال: الغلّ: هو الحقد الكامن في الصّدر<sup>(١)</sup>.

٤- الدخن: وممّن استعمل الدخن في معنى الحقد أو فسّره به ابن حجر في الفتح عندما قال: الدخن: وهو الحقد<sup>(٢)</sup>.

٥- الدخل: قال الفراء: هو الدغل والخديعة والمكر، وقال أبو عبيدة: هو الغلّ والغشّ<sup>(٣)</sup>.

٦- الغشّ (المتعلّق بالقلب). ٧- البغضاء.

٨- الداغلة: قال في اللسان: هي الحقد المكتتم<sup>(٤)</sup>، ومثلها الدغل.

### حكم الحقد:

ذكر ابن حجر الحقد مع كلّ من الغضب بالباطل والحسد على أنّها جميعاً من كبائر الباطن، وعلّل جمعه لهذه الكبائر الثلاث بقوله: لما كانت هذه الثلاثة بينها تلازم وترتّب، إذ الحسد من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب كانت بمنزلة خصلة واحدة، وذمّ كلّ يستلزم ذمّ الآخر، لأنّ ذمّ الفرع وفرعه يستلزم ذمّ الأصل وأصله وبالعكس<sup>(٥)</sup>.

### سبب الحقد وعلاجه:

قال الغزاليّ: إنّ من آذاه شخص بسبب من الأسباب، وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه، أبغضه قلبه وغضب عليه، ورسخ في قلبه الحقد عليه، والحقد يقتضي التشنّي والانتقام، فإن عجز المبغض (الحقود) أن يتشّفى بنفسه أحبّ أن يتشّفى من خصمه الزمان، وقد يحدث الحقد بسبب خبث النفس وشحّها بالخير لعباد الله تعالى<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر صفة الغل، وتفسير القرطبي ٧ / ١٣٣.

(٢) فتح الباري ١٣ / ٣٩.

(٣) انظر هذين الرأيين في لسان العرب ١١ / ٢٤١، وقال القرطبي هو الدغل والخديعة والغش، فجمع بين الرأيين، انظر: تفسير القرطبي ١٠ / ١٧١.

(٤) لسان العرب ١٢ / ٢٤٥.

(٥) الزواجر ١ / ٥٢، وقد ذكر الغزالي في الإحياء ٣ / ١٨٦ العلاقة ذاتها بين الغضب والحقد من ناحية، وبين الحقد والحسد من ناحية أخرى عندما قال: اعلم أن الحسد من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب.

(٦) تناول الغزالي هذين السببين في الإحياء ٣ / ١٩٢ - ١٩٣، وذكر أنهما من مسببات الحسد، وذلك صحيح ولكنهما يؤديان في البداية إلى الحقد الذي يتحوّل إلى الحسد.

أما علاج الحقد فيكمن أولاً في القضاء على سببه الأصلي وهو الغضب<sup>(١)</sup>، فإذا حدث ذلك الغضب ولم تتمكن من قمعه بالحلم وتذكر فضيلة كظم الغيظ ونحوهما، فإن الشعور بالحقد يحتاج إلى مجاهدة النفس والزهد في الدنيا، وعليه أن يحذر نفسه عاقبة الانتقام، وأن يعلم أن قدرة الله عليه أعظم من قدرته، وأنه سبحانه بيده الأمر والنهي لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، هذا من ناحية العلم، أما من حيث العمل فإن من أصابه داء الحقد فإن عليه أن يكلف نفسه أن يصنع بالمحقوق عليه ضد ما اقتضاه حقه فيبدل الذم مدحا، والتكبر تواضعا، وعليه أن يضع نفسه في مكانه ويتذكر أنه يحب أن يعامل بالرّفق والودّ فيعامله كذلك<sup>(٢)</sup>. إن العلاج الأنجع لهذا الداء يستلزم أيضا من المحقود عليه إن كان عاديا على غيره أن يقلع عن غيّه ويصلح سيرته، وأن يعلم أنه لن يستلّ الحقد من قلب خصمه إلا إذا عاد عليه بما يطمئنه ويرضيه وعليه أن يصلح من شأنه ويطيّب خاطره، وعلى الطرف الآخر أن يلين ويسمح ويتقبل العذر، وبهذا تموت الأحقاد وتحلّ المحبة والألفة<sup>(٣)</sup>.

#### الحقد داء دفين يفتك بالأفراد والمجتمعات:

قال بعض العلماء: ليس أروح للمرء، ولا أطرّد لهماومه، ولا أقرّ لعينه من أن يعيش سليم القلب، مبراً من وساوس الضغينة، وثوران الأحقاد، إذا رأى نعمة تنساق لأحد رضي بها، وأحسّ فضل الله فيها، وفقر عباده إليها، وإذا رأى أذى يلحق أحدا من خلق الله رثى له، ورجا الله أن يفرّج كربه ويغفر ذنبه، وبذلك يحيا المسلم ناصع الصفحة، راضيا عن الله وعن الحياة، مستريح النفس من نزعات الحقد الأعمى، ذلك أنّ فساد القلب بالضغائن داء عضال، وما أسرع أن يتسرّب الإيمان من القلب المغشوش، كما يتسرّب السائل من الإناء المثلوم.

إنّ الشيطان ربّما عجز أن يجعل من الرجل العاقل عابد صنم، ولكنّه - وهو الحريص على إغواء الإنسان وإيراده المهالك لن يعجز عن المباعدة بينه وبين ربّه، حتّى يجهل حقوقه أشدّ ممّا يجهلها الوثنيّ المخرف، وهو يحتال لذلك بإيقاد نار العداوة في القلوب، فإذا اشتعلت استمتع الشيطان برؤيتها وهي تحرق حاضر الناس ومستقبلهم، وتلتهم علائقهم وفضائلهم، ذلك أنّ الشرّ إذا تمكّن من الأفتدة (الحاقدة) تنافر ودّها وارتدّ الناس إلى حال من القسوة والعناد، يقطعون فيها ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض.

(١) انظر في ذلك: صفة الغضب، وقد تحدثنا هناك عن ذلك تفصيلا.

(٢) بتصرف عن الزواجر لابن حجر ١/ ٦٤ - ٦٥.

(٣) انظر في ذلك: خلق المسلم للشيخ الغزالي ص ٩٢.

إنَّ الحقد هو المصدر الدفين لكثير من الرذائل التي رهب منها الإسلام، فالافتراء على الأبرياء جريمة يدفع إليها الكره الشديد (الحقد)، وقد عدّها الإسلام من أقبح الزور، أمّا الغيبة فهي متنفس حقد مكظوم، وصدر فقير إلى الرحمة والصفاء، ومن لوازم الحقد سوء الظنّ وتتبع العورات، واللمز، وتعيير الناس بعاهاهم، أو خصائصهم البدنية أو النفسية، وقد كره الإسلام ذلك كلّه كراهية شديدة.

إنّ جمهور الحاقدين تغلي مراجل الحقد في أنفسهم، لأنّهم ينظرون إلى الدنيا فيجدون ما تمنّوه لأنفسهم قد فاتهم، وامتلاّت به أكفّ أخرى، وهذه هي الطامة التي لا تدع لهم قراراً، وهم بذلك يكونون خلفاء إبليس - الذي رأى أنّ الحظوة التي كان يتشهاها قد ذهبت إلى آدم - فألى الآ يترك أحدا يستمتع بها بعدما حرّمها، وهذا الغليان الشيطانيّ هو الذي يضطرم في نفوس الحاقدين ويفسد قلوبهم، فيصبحون واهني العزم، كليلي اليد، وكان الأجدر بهم أن يتحوّلوا إلى ربّهم يسألونه من فضله، وأن يجتهدوا حتّى ينالوا ما ناله غيرهم، إذ خزائنه سبحانه ليست حكراً على أحد، والتطلّع إلى فضل الله ﷻ مع الأخذ بالأسباب هي العمل الوحيد المشروع عند ما يرى أحد فضل الله ينزل بشخص معيّن، وشتان ما بين الحسد والغبطة أو بين الطموح والحقد<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الحسد - الخبث - الغل - اتباع الهوى - نكران الجميل - الأذى - السخط - الطمع - الغش - الغضب.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الرضا - القناعة - المحبة - الاعتراف بالفضل - الشكر].

\*\*\*

### من مضار (الحقد)

- (١) الحقد يفضي إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في غمّ وحزن.
- (٢) الحقد مرض عضال من أمراض القلب، يخشى معه أن يتسرّب الإيمان من هذا القلب المريض.
- (٣) الأحقاد نزع من عمل الشيطان لا يستجيب له إلا من خفت أحلامهم وطاشت عقولهم.
- (٤) الحقد مصدر للعديد من الرذائل مثل الحسد والافتراء والبهتان والغيبة.

(١) باختصار وتصرف عن «خلق المسلم» للشيخ محمد الغزالي ص ٩٠ - ١٠٢.

(٥) في الحقد دليل على غباء صاحبه ووضاعته لأنه ينظر إلى الأمور نظرة قاصرة لا تتجاوز شهواته الخاصة.

(٦) الحقد يغضب الرب ﷻ ويؤدّي بصاحبه إلى الخسران المبين في الدنيا والآخرة.

(٧) الحاقد قلق النفس دائما لا يهدأ له بال طالما رأى نعمة الله يسعد بها سواه.

(٨) الحاقد ساقط الهمة، ضعيف النفس، واهن العزم، كليل اليد.

(٩) الحاقد رجل مضلل ضائع، مخطيء في تقديره فهو محصور التفكير في الدنيا ومتاعها ويتبع بالغيظ من نال منها حظاً أو فر.

(١٠) الحاقد جاهل بربه وبسننه في هذا الكون، لأن الله حكما قد لا تظهر في التو واللحظة، وقد يكون ما ظنه الحاقد نعمة فاتته وأدركت غيره مجرد ابتلاء واختبار تجلب على صاحبها من العناء ما لا يطيقه الحاقد الذي يتمناها.

(١١) الحقد يظهر عيوب الإنسان ويكشف عن الداء الدفين فيه.

### الحكم بغير ما أنزل الله

**الحكم لغة:** انظر (الحكم بما أنزل الله).

**الحكم بغير ما أنزل الله اصطلاحاً:**

الحكم بغير ما أنزل الله يعني تحكيم القوانين الطاغوتية وتنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ في الحكم بين العالمين والرد إليه عند تنازع المتنازعين<sup>(١)</sup>.

**حكم من يحكم بغير ما أنزل الله:**

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته: من الممتنع أن يسمي الله - سبحانه - الحاكم بغير ما أنزل الله، كافر، ولا يكون كافراً، بل هو كافر مطلقاً، إمّا كفر عمل، وإمّا كفر اعتقاد، وما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية، من رواية طاوس وغيره يدل أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر، إمّا كفر اعتقاد ناقل عن الملة، وإمّا كفر عمل لا ينقل عن الملة، أمّا القسم الأول وهو كفر الاعتقاد، فهو أنواع:

(١) انظر رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم (ص ١).

أحدها: أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقيّة حكم الله ورسوله وهو معنى ما روي عن ابن عباس، واختاره ابن جرير أن ذلك هو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم.

الثاني: أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقاً، لكن اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه، وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند النزاع إما مطلقاً أو بالنسبة إلى ما استجدّ من الحوادث التي نشأت عن تطوّر الزمان وتغيّر الأحوال، وهذا أيضاً لا ريب أنه كفر، لتفضيله أحكام المخلوقين على حكم الحكيم الحميد.

الثالث: أنه لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله، لكن اعتقد أنه مثله، فهذا كالنوعين اللذين قبله، في كونه كافراً الكفر الناقل عن الملة، لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق، والمناقضة والمعاندة لقوله ﷺ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

الرابع: أن لا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسوله. فضلاً عن أن يعتقد كونه أحسن منه. لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله. فهذا كالذي قبله يصدق عليه ما يصدق عليه. لا اعتقاده جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه.

الخامس: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه، ومشاقّة لله ورسوله، وتشكيلا وتنويعا وحكما وإلزاما، ومراجع ومستندات، ويحملون على التحاكم إليه عند النزاع، بقاء على أحكام الجاهليّة، وإعراضا ورغبة عن حكم الله ورسوله فلا حول ولا قوة إلا بالله. وأما القسم الثاني من قسمي الحاكم بغير ما أنزل الله، فهو مروّي عن ابن عباس وذلك في قوله ﷺ في الآية ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] «كفر دون الكفر» وقوله أيضاً «ليس بالكفر الذي تذهبون إليه» وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغيرها ومجانبة الهدى.

وهذا وإن لم يخرج كونه عن الملة، فإنه معصية عظيمة أكبر من الكبائر كالزنا، وشرب الخمر، والسرقة واليمين الغموس وغيرها، فإنها معصية لم يسمّها كفراً، نسأل الله أن يجمع المسلمين على التحاكم إلى كتابه، انقيادا ورضاء فإنه وليّ ذلك والقادر عليه<sup>(١)</sup>.

(١) انظر رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم (ص ١) وما بعدها.

## الحكم بغير ما أنزل الله ينافي الإيمان به سبحانه :

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز: إن التحاكم إلى الطواغيت والرؤساء والعرفان ينافي الإيمان بالله لأ وهو كفر وظلم وفسق، وبعد أن استشهد على ذلك بآيات سورة المائدة<sup>(١)</sup>، ذكر أن المولى سبحانه قد بين أن الحكم بغير ما أنزله هو حكم الجاهلين، وأن الإعراض عن حكمه ﷻ سبب في حلول عقابه وبأسه الذي لا يرد عن القوم الظالمين. قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أُنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ دُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠] (٢).

[للاستزادة: انظر صفات: الابتداع - اتباع الهوى - الضلال - الفسوق - الكفر - الظلم - موالة الكفار - الردة - العصيان.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الحكم بما أنزل الله - الإيمان - الإنصاف - العدل والمساواة - الولاء والبراء - الطاعة].

\*\*\*

## سلبيات ومضار (الحكم بغير ما أنزل الله)

- (١) استحقاق غضب الله وسخطه وحلول عقابه بمن خالف أمره ونهيه وتحاكم إلى غيره.
- (٢) انحراف الشباب من الجنسين «الذكور والإناث» في سن مبكرة، سواء في انغماسهم في الموبقات والشذوذ ورذيلة المخدرات، التي أصبحت «ظاهرة» تقدمية تنفث سمومها في أذهان الشباب تحت ضجيج شعارات التطور والإنطلاق.
- (٣) ظاهرة القلق والاكتئاب التي ترتب عليها انتشار العيادات النفسية، كما ترتب عليها ارتفاع نسبة الانتحار واستحالة النوم وذهاب الطمأنينة.
- (٤) تلاشي أو انعدام الروح الفردية «الأنانية» تبعاً لسيطرة الأفكار والنظم الوضعية القائمة أساساً على المنفعة الفردية.

(١) المائدة: ٣.

(٢) انظر ما ذكره الشيخ بتمامه في صفة الحكم بما أنزل الله ج ٥ ص ١٧٠٩ - ١٧١٤.

(٥) تفكك الأسرة وضعف الرابطة الأسرية مما يترتب عليه انعدام الشعور بالحنان والدفء والتكافل.

(٦) فقدان الإنسان للمقاييس الأساسية للحياة عن مفهومي الخير والشر والحسن والقبح، وبناءه حياته على أساس قاعدة «التجربة والخطأ» أو الخوف من القانون والتحايل للتهرب من المسؤولية القانونية.

(٧) ينشأ الإنسان فاقد الولاء لمجتمعه الذي يعيش فيه، والأنظمة التي تحكمه، حاقدا عليها، متمرّدا ظاهرا وباطنا على كل ما فيها. ما لم يكن متفعلا شخصيا بتناقضاتها.

(٨) إنّ المجتمعات التي تعيش في ظل أنظمة وضعيّة من صنع البشر وترفض أو تحرم من نعمة تطبيق الشريعة الحنيفيّة السمحة (الإسلام)، تفتقد الاستمرار والثبات وتظلّ في التراجع والتذبذب في قوانينها ودساتيرها وتشريعاتها وذلك لأنّ الأنظمة الوضعيّة من صنع عقل الإنسان، وعقل الإنسان لا يصلح لأن يشرّع نظاما صحيحا كاملا.

(٩) إذا عاش الناس في ظلّ الدساتير والقوانين الوضعيّة، فإنّهم لا يحترمونها ولا يحملون لها الولاء؛ لأنّها من وضع بشر مثلهم، ولكنهم يحترمون القوانين المنبثقة من عقيدتهم، لأنّها جزء لا يتجزأ منهم وهم يتعبّدون بتطبيق أحكامها في المعاملات بينهم.

(١٠) إذا عاش الناس في ظلّ الدساتير والقوانين الوضعيّة فإنّهم لا يمتنعون عن المنهيات والمحظورات للأشياء الضارّة بصحتهم وممتلكاتهم الشخصية أو الممتلكات العامّة للدولة، كالقمار والخمر والمخدّرات والزنا وغيرها من الأمور التي حظرها ونهى عنها الإسلام والشرائع السماويّة.

(١١) إذا عاش الناس في ظلّ الدساتير والقوانين الوضعيّة فإنّ الحوادث والجرائم تكثر بشكل مذهل وبنسبة عظيمة متزايدة عاما بعد عام وهذا ما يلمس واضحا من واقع أرقام الإحصائيات الرسميّة للجرائم والجنايات في الأقطار والبلاد بتلك الأنظمة والقوانين.

(١٢) انتشار المبادئ والمعتقدات والأفكار الهدّامة من شيوعيّة ورأسماليّة وغيرها، لأنّ المواطنين لم يكونوا محصّنين ضدّها بالعقيدة الصحيحة ولا يطبّق عليهم النظام الربّانيّ الصحيح للحياة الذي يعيشون في ظلّه سعداء.

## الحمق

## الحمق لغة:

مصدر قولهم: حمق فلان، وهو مأخوذ من مادة (ح م ق) التي تدلّ على كساد الشيء والضعف والنقصان. ومن ذلك الحمق: نقصان العقل، وقال الجوهري: الحمق، والحمق: قلة العقل، يقال: حمق الرجل حمقا وحمقا وحمافة فهو أحمق، وحمق بالكسر يحمق حمقا فهو حمق، وامرأة حمقاء، وقوم ونسوة حمق وحمقى، وحماقى، وحمقت السوق: كسدت. وأحمقت المرأة: جاءت بولد أحمق فهي محمق ومحمقة، وأحمقت الرجل: وجدته أحمق، وحمّقته تحميقا نسبته إلى الحمق، وحماقته ساعدته على الحمق. وتحامق: تكلف الحمق، واستحمقته: عددته أحمق. وقال ابن الأثير: استحمق الرجل إذا فعل فعل الحمقى، ومنه الحديث «أرأيت إن عجز واستحمق»، والحموقة: فعولة من الحمق وفي الحديث «ينطلق أحدكم فيركب الحموقة» أى خصلة ذات حمق، وبمعناها: الأحموقة.

وقال ابن منظور: الحمق ضدّ العقل، وقولهم: أتاه فأحمقه: وجدّه أحمق، وأحمق به: ذكره بحمق، وأما قول الشاعر:

إنّ للحمق نعمة في رقاب ال ناس تخفى على ذوي الأبواب

فمعناه: أنّ للحمق نعمة في رقاب العقلاء تغيب وتخفى على غيرهم من سائر الناس لأنّهم أفطن وأدكى من غيرهم، ويقال: سرنا في ليال محمقات، إذا استتر القمر فيها بغيم أبيض فيسير الراكب ويظنّ أنّه قد أصبح، حتّى يملّ، ومنه أخذ اسم الأحمق لأنّه يغرك في أوّل مجلسه بتعاقله، فإذا انتهى إلى آخر كلامه تبين حمقه، وقال ابن الأعرابي: الحمق أصله الكساد، ويقال: الأحمق: الكاسد العقل، قال: والحمق أيضا الغرور، وقال الأزهري: الأحمق مأخوذ من انحماق السوق إذا كسدت، فكأنّه فسد عقله حتّى كسد<sup>(١)</sup>.

## واصطلاحا:

قال ابن حجر رحمته: الحمق وضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه<sup>(٢)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٢/ ١٠٦)، الصحاح (٤/ ١٤٦٥)، والنهاية (١/ ٤٤٢)، وتهذيب اللغة (٤/ ٨٥)، واللسان (٢/ ١٠٠٠) (ط دار المعارف).

(٢) فتح الباري: ١/ ٥٥٧. وكذا في لسان العرب (١٠/ ٦٨).

- وقال النووي رحمته: حقيقة الأحمق: من يعمل ما يضره مع علمه بقبحه <sup>(١)</sup>.  
 وقال ابن الأثير: حقيقة الحمق: وضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه <sup>(٢)</sup>.  
 وقال المناوي: الحمق فساد في العقل <sup>(٣)</sup>.

### الفرق بين الحمق والجنون:

قال ابن الجوزي رحمته: الحمق: هو الغلط في الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحّة المقصود، بخلاف الجنون، فإنه عبارة عن الخلل في الوسيلة والمقصود جميعاً. فمن ذلك: أنّ طائراً طار من أمير فأمر أن تغلق أبواب المدينة. فمقصود هذا الرجل حفظ الطائر، ولكنه أخطأ في الوسيلة <sup>(٤)</sup>.  
 [للاستزادة: انظر صفات: الجهل - السفاهة الطيش - الغرور - الفساد - التبذير - الجفاء - البلادة والغباء - العنف.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الحكمة - الفطنة - الفقه - الحلم - كظم الغيظ - العطف].

\*\*\*

### من مضار (الحمق)

- (١) الأحمق كاسد العقل والرأي لا يحسن شيئاً. (٥) الخفة وسرعة الجواب من غير روية.  
 (٢) مجالسة الحمقى ومصاحبتهم تعدي. (٦) الحمق شرّ كلّه فيجب اجتنابه.  
 (٣) الاغترار بالله عز وجل. (٧) الأحمق عدوّ نفسه لما يسبّب لنفسه من  
 (٤) سرعة الانفعال والتدخل في شؤون الناس. الضرر.

### الخبث

#### الخبث لغة:

الخبث هو المكروه الرديء من كلّ شيء، ومنه الخبيث ضدّ الطيب، يقول ابن فارس: الخاء

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ / ١٣٦).

(٢) النهاية لابن الأثير (١ / ٤٤٢).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (١٤٧).

(٤) أخبار الحمقى (٢٧).

والباء والثاء أصل واحد يدل على خلاف الطيب، يقال خبيث، أي ليس بطيب.. ومن ذلك التّعوذ من الخبيث. فالخبيث في نفسه، والمخبت الذي أصحابه وأعوانه خبثاء<sup>(١)</sup>.

وقال الراغب: أصل الخبيث: الرديء الدخلة الجاري مجرى خبث الحديد، وذلك يتناول الباطل في الاعتقاد والكذب في المقال والقبیح في الفعال.

وخبث الرجل خبثا فهو خبيث، أي رديء، وأخبثه غيره، أي علّمه الخبث وأفسده. ويقال في النداء: يا خبث، كما يقال: يا لكع، تريد: يا خبيث، وللمرأة يا خباث، بني على الكسر مثل يا لكاع.. وخبث الحديد وغيره: ما نفاه الكير.

الخبائث في قوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ما لا يوافق النفس من المحظورات، والخبائث (أيضا) كناية عن إتيان الرجال، والأخبثان: البول والغائط وفي الحديث: «لا يصلي الرجل، وهو يدافع الأخبثين». وقد خبث بها ككرم أي فجر، وفي الحديث: «إذا كثرت الخبث كان كذا وكذا» أراد الفسق والفجور، والخابثة، الخبائث، والخبث - كسكيت - الرجل الكثير الخبث، والخبثي بكسر وتشديد الباء: اسم الخبث، من أخبث إذا كان أهله خبثاء.. وفي الحديث «... اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث» فالمراد بالخبث الكفر، والخبائث: الشياطين، والخبث: نعت كل شيء فاسد، يقال: هو خبيث الطعم خبيث اللون خبيث الفعل... وكلام خبيث، وهي أخبث اللغتين، يراد الرداءة والفساد وأنا استخبت هذه اللغة، وكل ذلك من المجاز، وقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠] معناه الكافر والمؤمن، والأعمال الصالحة والأعمال الفاسدة<sup>(٢)</sup>.

وجاء في لسان العرب أن أصل الخبث في كلام العرب: المكروه، فإن كان من الكلام فهو الشتم، وإن كان من المملل فهو الكفر، وإن كان من الطعام فهو الحرام، وإن كان من الشراب فهو الضار.

والخبث ضد الطيب من الرزق والولد والناس ويجمع على خبثاء وخبثاء وخبثاء، والأنثى منه خبيثة وجمعها خبيثات، والخبث أيضا النجس، والمخبت الذي يعلم الناس الخبث، أو هو الذي ينسب الناس إلى الخبث أو المراد أن أعوانه وأصحابه خبثاء، ولذلك يقال: أخبث الرجل أي اتخذ أصحابا خبثاء. ويقال: خبث الرجل بالمرأة إذا زنى بها من باب قتل، والخابث الرديء

(١) المقاييس (٢/ ٢٣٨).

(٢) لسان العرب (٢/ ١٠٨٧ - ١٠٩٠) والصحاح (١/ ٢٨١) وتاج العروس (٣/ ٢٠٣).

من كل شيء فاسد فيقال: هو خبيث الطعم واللون والفعل، ولذلك فإن كل حرام بحت خبيث كالزنا والمال الحرام والدم وما أشبهها مما حرّمه الله تعالى، كما يطلق أيضا على الشيء الكريه الطعم والرائحة كالثوم والبصل والكرّاث. والمراد بالخبائث في آية الأعراف: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] كل ما كانت تستقذره العرب ولا تأكله مثل الأفاعي والعقارب والبرصه والخنافس والورلان والفأر، فحرّم ربنا ﷺ كل ما كانت تستقذره مع ما نصّ على تحريمه كالميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ به لغير الله عند الذبح وأكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير<sup>(١)</sup>.

### الخبث اصطلاحاً:

قال الجاحظ: الخبيث: هو إضمار الشرّ للغير وإظهار الخير له واستعمال الغيلة والمكر والخديعة في المعاملات<sup>(٢)</sup>.

وقال الكفويّ والمناويّ: الخبيث: ما يكره رداة وخسّة محسوسا أو معقولا وذلك يتناول الباطل في الاعتقاد والكذب في المقال، والقبح في الأفعال<sup>(٣)</sup>.

### مقتضيات الخبيث:

قال ابن الأثير - رحمه الله تعالى - في معنى حديث: نهي عن كل دواء خبيث - وخبثه من جهتين: إحداهما: النجاسة، وهو الحرام كالخمر والأرواث والأبوال، كلّها نجسة خبيثة، وتناولها حرام إلا ما خصّته السنّة من أبوال الإبل عند بعضهم وروث ما يؤكل لحمه عند آخرين. الجهة الثانية: من طريق الطعم والمذاق، ولا ينكر أن يكون نهي عن ذلك لما فيه من المشقّة على الطّباع وكرهية النفوس لها، ومن هذه الجهة نهي عن أكل البصل والثوم وسمّاهما خبيثين فقال ﷺ: «من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مسجدنا». وهو يريد الثوم والبصل والكرّاث فخبثها من جهة رائحتها وطعمها، وإلا فهي طاهرة<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب (٢/ ١٠٨٧ - ١٠٩٠). والصحاح (١/ ٢٨١)، وتاج العروس (٣/ ٢٠٣)، والمصباح المنير (١٦٢)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٣٨) والمفردات للراغب (١٣١).

(٢) تهذيب الأخلاق (٣٣).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف لابن المناوي (١٥٢)، والكلبيات للكفوي (٤٢٨).

(٤) النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤، ٥) وما بعدها (بتصرف).

## من معاني الخبيث والطيب في القرآن الكريم:

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : ذكر أهل التفسير أنّ الخبيث والطيب في القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: الخبيث بمعنى الحرام والطيب الحلال ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ [النساء: ٢] وفي المائدة ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

والثاني: الخبيث بمعنى الكافر والطيب المذكور معه هو المؤمن، ومنه قوله تعالى في آل عمران ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] وفي الأعراف ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَالْبَلَدُ الْكَاذِبُ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الآية: ٥٨]، وقال: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر.

والثالث: الخبيث: كلمة الكفر، والطيب كلمة الإسلام. ومنه قوله تعالى في سورة إبراهيم ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [الآية: ٢٤] وهي قول: لا إله إلا الله. وقال سبحانه ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] يعني كلمة الكفر<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: اللؤم - الخداع - سوء المعاملة - المكر - سوء الخلق - الغش - الخيانة - إفشاء السر - الإساءة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإخلاص - حسن الخلق - حسن العشرة - الصدق - الطهارة - المروءة - الأدب - الأمانة - حسن الخلق].

\*\*\*

## من مضار (الخبيث)

- |                                      |   |
|--------------------------------------|---|
| (١) الخبيث يحبط ثواب العمل.          | (٤) الخبيث في المكان يعمّه بالبلوى.             |
| (٢) الخبيث في الثياب يبطل الصلاة.    | (٥) تناول الخبيث يؤذي الجسد ويؤذي الإخوان.      |
| (٣) الخبيث في الأشياء يحرم اقتناءها. | (٦) الخبيث مغضوب عليه من الله ورسوله والمؤمنين. |

(١) نزهة الأعين النواظر (٢٧٠ - ٢٧١).

## الخداع

## الخداع لغة:

مصدر قولهم: خدع يخدع خدعا وخداعا، وهو مأخوذ من مادة (خ د ع) التي تدلّ على إخفاء الشيء، من ذلك: خدعت الرجل: خذلت، وخدع الرّيق في الفم، وذلك أنّه يخفى في الحلق ويغيب، ولفلان خلق خادع، إذا تخلّق بغير خلقه، لأنّه يخفي خلاف ما يظهره، ويقال إنّ الخدعة الدهر. والخدعة: الرّجل يخدع النّاس، وخدعة يخدعه النّاس، ودينار خادع أي ناقص الوزن وكأنّه أرى التّمأم وأخفى النّقصان حتّى أظهره الوزن، والأخدعان: عرقان تصوّر منهما الخداع لاستتارهما تارة وظهورهما تارة، يقال: خدعه يخدعه قطع أخدعيه، وخدعه: ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم، والاسم: الخديعة، يقال: هو يتخادع، أي يري ذلك من نفسه، وخدعته فانخدع، وخادعته خداعا ومخادعة وفي التّنزيل: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]. قال الجوهري: أي يخادعون أولياء الله<sup>(١)</sup>.

وقال الرّاغب: يخادعون الرّسول والأولياء، ونسب ذلك إلى الله من حيث إنّ معاملة الرّسول كمعاملته، وجعل ذلك خداعا تفضيلا لفعالهم وتنبئها على عظم الرّسول وأوليائه ولا تستقيم دعوى الحذف هنا لأنّه لو ذكر المحذوف لما كان تنبيه على فظاعة فعالهم ولا على عظيم المقصود بالخداع، وخادعهم: مجازيهم بالخداع<sup>(٢)</sup>.

وقال الطّبري: نزلت في عبد الله بن أبيّ وأبي عامر بن النّعمان قال: وروي عن السّديّ قال: يعطيهم يوم القيامة نورا يمشون به مع المسلمين كما كانوا معهم في الدّنيا، ثمّ يسلبهم ذلك النّور فيظفئه، فيقومون في ظلمتهم ويضرب بينهم بالسّور<sup>(٣)</sup>.

وعن الحسن قوله: يلقي على كلّ مؤمن ومناق نور يمشون به حتّى إذا انتهوا إلى الصّراط طفيء نور المنافقين، ومضى المؤمنون بنورهم فينادونهم، ﴿انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣٣] قال الحسن فذلك خديعة الله إيّاهم<sup>(٤)</sup>.

(١) تأويل ذلك يقتضي أنّ في الكلام حذفًا.

(٢) المفردات (١٤٣).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٣٣٢).

(٤) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

وأما قوله تعالى في المنافقين ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

[البقرة: ٩]

قال القرطبي: أي عند أنفسهم وعلى ظنهم، وقيل: لعملهم عمل المخادع، ومخادعهم: ما أظهره من الإيمان خلاف ما أبطنه من الكفر ليحققوا دماءهم وأموالهم ويظنون أنهم قد نجوا وخدعوا. وقيل: المعنى: أنهم يفسدون إيمانهم وأعمالهم فيما بينهم وبين الله تعالى بالرياء، وما تحل عاقبة الخدع إلا بهم. لأن الخداع إنما يكون مع من لا يعرف البواطن، وأما من عرف البواطن فمن دخل معه في الخداع فإنه يخدع نفسه، ودل هذا على أن المنافقين لم يعرفوا الله، إذ لو عرفوه لعرفوا أنه لا يخدع<sup>(١)</sup>. وقال الطبري: خداع المنافق ربه والمؤمنين إظهاره بلسانه من القول والتصديق خلاف الذي في قلبه من الشك والتكذيب<sup>(٢)</sup>.

أما ما جاء في الحديث: «الحرب خدعه بفتح الخاء وضمها، (وخدعة) بضم الخاء مع فتح الدال فالأول (خدعة) معناه أن الحرب ينقض أمرها بخدعة واحدة، أي أن المقاتل إذا خدع مرة واحدة لم تكن له إقالة، والثاني (خدعة) هو الاسم من الخداع، وأما الثالث: (خدعة) فمعناه: أن الحرب تخدع الرجال وتمنيهم ولا تفي لهم، وقال ابن منظور: الخدع: إظهار خلاف ما تخفيه. وقيل الخداع: الحيلة. وقيل: خدعه يخدعه خدعا، بالكسر، مثل سحره يسحره سحرا.

ويقال: هو يتخادع أي يري ذلك من نفسه. وتخداع القوم: خدع بعضهم بعضا، ويقال: رجل خداع وخدوع وخدعة إذا كان خبا. والخدعة ما تخدع به<sup>(٣)</sup>.

#### الخداع اصطلاحا:

وقال الراغب: الخداع: إنزال الغير عما هو بصدده بأمر بيديه على خلاف ما يخفيه<sup>(٤)</sup>.

وقال المناوي: إظهار خير يتوسل به إلى إبطان شر يؤول إليه أمر ذلك الخير المظهر.

وقيل: هو إظهار ما يخالف الإضمار<sup>(٥)</sup>.

(١) القرطبي (١/ ١٩٥-١٩٦).

(٢) الطبري (١/ ١٠٣).

(٣) مقاييس اللغة (٢/ ١٦٢)، المفردات للراغب (١٤٣) انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ١٤)، ولسان العرب (٨/ ٦٣-٦٥)

والصحاح (٣/ ١٢٠١).

(٤) المفردات (١٤٣).

(٥) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف لابن المناوي (١٥٣).

[للاستزادة: انظر صفات: التناجش - الخبث - سوء المعاملة - الغدر - الغش - اللؤم - المكر - النفاق - الخيانة - الكذب.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأمانة - الإيمان - الاستقامة - حسن المعاملة - الصدق - المروءة - النبيل].

\*\*\*

### من مضار (الخداع)

- (١) ظلم الناس وغبنهم وأكل أموالهم بالباطل. (٥) عمل من أعمال المنافقين والفسقة
- (٢) انتهاك حرمة الله وحرمة الناس. المجرمين.
- (٣) دليل على عدم الإيمان بالله العليم. (٦) كبيرة من كبائر الذنوب.
- (٤) فيه تحطيم لدعائم المجتمع المسلم (٧) طريق موصل إلى النار.
- (٨) سبب في فقد ثقة الناس بعضهم ببعض. المتكافل المسالم.

### الخنوثة والتخنث

#### الخنوثة لغة:

التَّخَنَّثُ مصدر تخنَّث، أمَّا الخنوثة فهي مصدر قولهم: خنث خنوثة، وكلاهما مأخوذ من مادة (خ ن ث) التي يقول عنها صاحب المقاييس: «الخناء والنون والثاء أصل واحد يدل على تكسر وتثن» فالخنث: المسترخي المتكسر، وخنث السقاء، إذا كسرت فمه إلى خارج فشربت منه، وامرأة خنث: مثنيّة، ويقول الجوهري: والاسم من ذلك: الخنث، ويقال خنث الشيء فتخنَّث أي: عطفته فتعطف، ومنه سمِّي المخنث<sup>(١)</sup>، وقال ابن منظور: الانخناث: التثني والتكسر، فتقول: تخنَّث الرجل إذا فعل فعل المخنث، وقيل: المخنث الذي يفعل فعل الخناثي، وخنث الرجل خنثا فهو خنث والاسم الخنث. وأطلق على المخنث لئنه وتكسره ويوصف به الإنسان ذكرا كان أو أنثى في المشي والكلام، فيقال: فلان تخنَّث في كلامه، وتخنَّث الرجل وغيره إذا سقط من الضعف ويقال في المثل: أخنث من دلال، والخنثى الذي لا يخلص لذكر ولا أنثى، فيقال:

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٢٢٢).

رجل خنثى، له ما للذكر والأنثى، والجمع الخنثى مثل الحبالى، ويجمع أيضا على خنث (بكسر المعجمة) (١).

### الخنوثة اصطلاحاً:

إذا كان الخنثى - كما يقول الجرجاني - شخصاً له آلة الرجال والنساء أو ليس له شيء أصلاً (٢) بل له ثقبه لا تشبههما من الخنث وهو اللين (٣)، والمخنث كما يقول الكفوي: هو من يمكن غيره من نفسه، أو الذي في أعضائه لين وتكسر في أصل الخلقة ولا يشتهي النساء (٤) أو هو كما يقول ابن حجر: المتكسر المتعطف المتخلق بخلق النساء (٥).

فالتخنث اصطلاحاً: تكسر الرجل وتخلقه بخلق النساء تعطفاً وتدلاً.

### حكم المخنث:

قال الإمام الذهبي: إن تشبه الرجال بالنساء من الكبائر بدليل قول الرسول ﷺ: «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء» وقوله أيضاً: «لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء» يعني اللاتي يتشبهن بالرجال في لبسهم وحديثهم.

وقال: إذا لبست المرأة زي الرجال فقد شابهتهم في لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ولزوجها إذا أمكنها من ذلك أي رضي به، لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية وقال ﷺ: «لعن الله المرأة تلبس لبسة الرجل، والرجل يلبس لبسة المرأة» (٦).

[للاستزادة: انظر صفات: الدياثة - صغر الهمة - الفجور - الزنا - الغي والإغواء - الفحش - إطلاق البصر - اتباع الهوى.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الرجولة - الإيمان - الشرف - علو الهمة - العفة - المروءة - غض البصر - العزة - حفظ الفرج - الغيرة].

(١) لسان العرب (٢/ ٢٧٢، ٢٧٣)، والصحاح للجوهري (١/ ٢٨١).

(٢) التعريفات للجرجاني (١٠٧).

(٣) التوقيف (١٦٠).

(٤) الكفوي (٨٢٢).

(٥) هدي الساري مقدمة فتح الباري (١١٤).

(٦) الكبائر للذهبي (١٣٤، ١٣٥).

## من مضار (الخنوثة والتخنث)

- (١) قلة الإيمان وفقد الحياء وانعدام الحشمة. (٤) تغيير الفطرة التي فطر الله الناس عليها.  
 (٢) كثرة الفواحش وانتشار الزنا واللواط. (٥) الطرد والإبعاد من رحمة الله.  
 (٣) جلب غضب الرب والذي يجب أن يخاف منه كل عبد.

## الخيانة

## الخيانة لغة:

مصدر قولهم: خان يخون، وهو مأخوذ من مادة (خ ون) التي تدل على التَّنْقِصِ، يقال: خانه يخونه خونا، وذلك نقصان الوفاء، وتخونني فلان أي تنقصني، ونقيض الخيانة الأمانة، يقال خنت فلانا، وخنت أمانة فلان، وعلى ذلك قوله سبحانه ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٨] فخيانتهم لله ورسوله كانت بإظهار من أظهر منهم للرسول ﷺ والمؤمنين الإيمان في الظاهر وهو يستسر الكفر والغش لهم في الباطن ويدلون المشركين على عورتهم ويخبرونهم بما خفي عنهم من خبرهم، قيل: نزلت في منافق كتب إلى أبي سفيان يطلعه على سر المسلمين، وقوله ﴿وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ﴾ هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله، وقيل: هي الدين<sup>(١)</sup>.

والاختيان: مراودة الخيانة، أي تحرك شهوة الإنسان لتحري الخيانة. قال تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] قيل في تفسير هذه الآية: معناه أن يستأمر بعضكم بعضا في موافقة المحظور من الجماع، والأكل بعد النوم في ليالي الصوم، وقيل: إن المراد، أن كل واحد منهم يريد خيانة نفسه، وسمي خائنا لأن الصبر عائد عليه<sup>(٢)</sup>.

ويقال: خانه في كذا. يخونه خونا وخيانة وخانة ومخانة: ائتمن فلم ينصح. وخان العهد نقضه. ويقال: خان العهد والأمانة أي في العهد والأمانة. ويقال أيضا: خان عهده وأمانته. وخان

(١) تفسير الطبري (٦ / ٢٢١، ٢٢٢).

(٢) المرجع السابق (٢ / ٢١٢) بتصرف.

الرَّجُلُ خُونًا كَانَ بِهِ خُونٌ أَيْ ضَعْفٌ وَفِتْرَةٌ فِي نَظَرِهِ. وَخَوْنُهُ تَخْوِينًا نَسَبَهُ إِلَى الْخِيَانَةِ. وَتَخَوْنُهُ أَيْضًا: تَعَهَّدَهُ. وَاخْتَانَهُ اخْتِيَانًا بِمَعْنَى خَانَهُ. وَالْاخْتِيَانُ أَبْلَغُ مِنَ الْخِيَانَةِ. كَمَا أَنَّ الْاِكْتِسَابَ أَبْلَغُ مِنَ الْكَسْبِ. وَاسْتَخَانَهُ اسْتَخَانَةً حَاوَلَ خِيَانَتَهُ.

والخائن اسم فاعل، جمعه خانة وخونة وخوان.

والخائنة: مؤنث الخائن. وقد يستعمل للخائن أيضا بزيادة التاء المربوطة للمبالغة كرواية للكثير الرواية.

وخائنة الأعين ما يسارق من النظر إلى ما لا يحلّ.

وقيل: هي أن ينظر نظرة بريية. ومنه الحديث: «وما كان لنبى أن تكون له خائنة الأعين» أي يضمّر في نفسه غير ما يظهره فإذا كفّ لسانه وأوماً بعينه فقد خان<sup>(١)</sup>.

#### الخيانة اصطلاحاً:

قال الجاحظ: الخيانة هي الاستبداد بما يؤتمن الإنسان عليه من الأموال والأعراض والحرم، وتملك ما يستودع ومجاهدة مودعه، وفيها أيضا طي الأخبار إذا ندب لتأديتها، وتحريف الرسائل إذا تحمّلها فصرفها عن وجوهها<sup>(٢)</sup>.

وقال المناوي: الخيانة: هي التفريط في الأمانة، وقيل: هي مخالفة الحقّ بنقض العهد في السرّ<sup>(٣)</sup>.

وقال الكفوي: إنّ الخيانة تقال اعتباراً بالعهد والأمانة، وخیانة الأعين: ما تسارق من النظر إلى ما لا يحلّ<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن الجوزي: الخيانة: التفريط فيما يؤتمن الإنسان عليه. ونقيضها: الأمانة. وقال القرطبي: الخيانة: الغدر وإخفاء الشيء، ومنه ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ [غافر: ١٩]<sup>(٥)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٢٣٠) المفردات للراغب، لسان العرب (١٣/ ١٤٤ - ١٤٥) باختصار. وانظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٨٩)، وجمهرة اللغة (٢/ ٢٤٤) (٣/ ٢٤٠)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٥٨٢).

(٢) تهذيب الأخلاق (٣١).

(٣) التوقيف (١٦٢).

(٤) الكليات (٤٣٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٩٥).

**الفرق بين النفاق والخيانة:**

قال الراغب: الخيانة والنفاق واحد، إلا أن الخيانة تقال: اعتبارا بالعهد والأمانة، والنفاق يقال: اعتبارا بالدين، ثم يتداخلان. فالخيانة: مخالفة الحق بنقض العهد في السر. ونقيض الخيانة الأمانة. يقال: خنت فلانا وخنت أمانة فلان. قال تعالى: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٨]<sup>(١)</sup>.

**من معاني كلمة «الخيانة» في القرآن الكريم:**

أحدها: المعصية، ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَنْكَمَ كُتْمَكُمْ تَحْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] قال ابن قتيبة: تخونونها بالمعصية<sup>(٢)</sup>.

الثاني: نقض العهد. ومنه قوله تعالى في الأنفال: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨].

الثالث: ترك الأمانة. ومنه قوله تعالى في النساء: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]. (نزلت في طعمة بن أبيرق المنافق كان عنده درع فخاها).

الرابع: المخالفة في الدين. ومنه قوله تعالى في التحريم: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾<sup>(٣)</sup> [التحريم: ١٠].

وزاد ابن سلام وجها خامسا فقال: والخيانة تعني الزنا في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> [يوسف: ٥٢].

**حكم الخيانة:**

عدّ الإمام الذهبي الخيانة من الكبائر بدليل قول النبي ﷺ: «آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»<sup>(٥)</sup> ولقوله أيضا «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»<sup>(٦)</sup>.

(١) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٥٨٢).

(٢) تأويل مشكل القرآن (٤٧٨).

(٣) نزهة الأعين النواظر (٢٨١-٢٨٣).

(٤) التصاريف لابن سلام (١٧٨).

(٥) البخاري (٣٣)، ومسلم (١٠٧، ١٠٩).

(٦) أبو داود (٣٥٣٤)، والترمذي (١٢٦٤) وقال: حسن غريب، والحاكم (٢/ ٤٦)، وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبي.

وقال: الخيانة قبيحة في كل شيء، وبعضها شرٌّ من بعض، وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم<sup>(١)</sup>.

أما ابن حجر فقد ذكر: أن الخيانة في الأمانات والوديعة والعين المرهونة والمستأجرة أو غير ذلك من الكبائر، وقال: عدّ ذلك كبيرة هو ما صرّح به غير واحد، وظاهر ممّا ذكر في الآيات والأحاديث<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: إفشاء السر - التناجش - التنصل من المسؤولية - الغدر - الغش - الغلول - نقض العهد - التطفيف.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأمانة - كتمان السر - المسؤولية - النزاهة - العفة - الوفاء - الإخلاص].

\*\*\*

### من مضار (الخيانة)

- (١) تسخط الله ﷻ على العبد.
- (٢) داء وبيل إذا استشرى بالإنسان جرّده من خيانة غير المجاهد.
- (٣) من علامات النفاق. إنسانيته وجعله وحشايهيم وراء ملذّاته.
- (٤) طريق موصل إلى العار في الدنيا والنار في الآخرة.
- (٥) أسوأ ما يبطن الإنسان. لأنّها كلّها من الخيانة.
- (٦) خيانة المجاهد في أهله أعظم جرماً من خيانة غير المجاهد.
- (٧) انتشار الخيانة في المجتمع من علامات الضمحلالة وهو علامة من علامات الساعة.
- (٨) انتشار الغلول والرّشوة والمطل والغشّ لأنّها كلّها من الخيانة.

### الدّيانة

#### الدّيانة لغة:

مصدر قولهم: داث الرّجل يديث إذا ذلّ، وهو مأخوذ من مادّة (دي ث) التي تدلّ على التّذليل، يقال من ذلك: ديّته إذا أدلّته، من قولهم: طريق مديّث أي مذللّ.

(١) الكبائر للذهبي (١٤١، ١٥٠).

(٢) الزواجر لابن حجر (٣٦٣).

وقال الجوهري: الدِّيُوث: القنذع: وهو الذي لا غيره له، وقال ابن الأثير: وفي حديث عليّ «وديث بالصغار» أي ذلّ، والدِّيُوث: هو الذي لا يغار على أهله، وقيل: هذا اللفظ سريانيّ معرّب، أي ليس له أصل في العربيّة يشتقّ منه.

وقال ابن منظور: الدِّيَاثة والتِّيَاثة (بالكسر) فعل الدِّيُوث. ويقال: ديث الأمر: ليّنه وذلّله، وديث الطريق: وطّاه، والتدييث: القيادة والدِّيُوث: القواد على أهله، والذي لا يغار على أهله. وقال في المحكم: هو الذي يدخل الرجال على حرمة بحيث يراهم، وقيل له ديُوث لأنّه ليّن نفسه على ذلك.

وقال ثعلب: هو الذي تؤتى أهله وهو يعلم، ويقال للدِّيُوث أيضا: القنذع والقنذع (بالدالّ) المهملة والذالّ المعجمة) (١).

### الدِّيَاثة اصطلاحاً:

الدِّيَاثة في الاصطلاح فعل الدِّيُوث، والدِّيُوث: هو الذي يقرّ الخبث في أهله أي يستحسنه على أهله (٢).

وقيل: هو الذي لا غيره له على أهله (٣).

### قبح الدِّيَاثة:

قال ابن تيميّة - رحمه الله تعالى - : إنّ المرأة إذا كانت زانية فإنّها لا تحصن فرجها عن غير زوجها، بل يأتيها هو وغيره كان الزوج زانيا ديوثاً أمّا كونه زانيا فلائّه يشترك هو وغيره فيها، فشأنه وشأنهم سواء، وهذا حال الزّناة، وأمّا كونه ديوثاً فلائّه أقرّ على أهله الزّنا وهو يعلم بذلك. وفاعل ذلك إمّا مشرك أو زان ليس من المؤمنين الذين يمنعهم إيمانهم من ذلك وقد رضي لنفسه بالقيادة والدِّيَاثة، وهذا الفعل منه مخالف للفطرة ونقل لها عن طبيعتها، إذ قد جعل الله في نفوس بني آدم من الغيرة ما هو معروف، بحيث يستعظم الرّجل أن يظأ رجل آخر امرأته أعظم من غيرته على نفسه أن يزني، فإذا لم يكره أن تكون زوجته بغياً فهو ديوث. ولا يوجد ديوث قواد إلاّ وهو زان لأنّه إن لم يكن معه إيمان يكره به زنا غيره بزوجه كيف يكون معه إيمان يمنعه من الزّنا؟ (٤).

(١) المقاييس (٢ / ٣١٧)، لسان العرب (٢ / ١٤٦٥)، والصحاح (١ / ٢٨٢)، والمصباح المنير (٢٠٥)، والنهاية (٢ / ١٤٧).

(٢) الذهبي، الكبائر (١٣٧).

(٣) السيوطي في شرحه على سنن النسائي (٥ / ٨٠) ويمثل قوله قال السّندي في حاشيته، انظر سنن النسائي (بالهامش) (٥ / ٨١).

(٤) بتصرف شديد من مجموع الفتاوي (١٥ / ٣١٨ - ٣٢٠).

### حكم الدياثة:

عدّ الذّهبيّ الدياثة من الكبائر ثمّ قال: فمن كان يظنّ بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبّته فيها أو لأنّ لها عليه ديناً وهو عاجز، أو صداقاً ثقيلاً، أو له أطفال صغار فترفعه إلى القاضي وتطلب فرضهم، فهو دون من يعرض عنه، ولا خير فيمن لا غيره له<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الخنوثة - صغر الهمة - الضعف - الفجور - الزنا - الفحش - الغي والإغواء - اتباع الهوى - إطلاق البصر.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: حفظ الفرج - الرجولة - الشهامة - العزة - المروءة - النزاهة - الشرف - غض البصر - الغيرة].

\*\*\*

### من مضار (الدياثة)

(١) تؤدّي هذه الصّفة الذّميّة إلى مفاسد (٤) كبيرة من الكبائر التي نهى عنها ديننا الاجتماعيّة خطيرة. الحنيف.

(٢) فيها مخالفة للفطرة الإنسانيّة السّليمة. (٥) لا خير فيمن لا يغار على أهله.

(٣) تجلب غضب الله وسخط رسوله ﷺ. (٦) الدّيوث لا قيمة له في المجتمع الصّالح.

### الذل

#### الذل لغة:

مصدر قولهم: ذلّ يذلّ ذلاً، وهو مأخوذ من مادّة (ذ ل ل) التي تدلّ على الخضوع والاستكانة واللين، فالذلّ ضدّ العزّ. يقول ابن فارس: وهذه مقابلة في التّضادّ صحيحة تدلّ على الحكمة التي خصّص بها العرب؛ لأنّ العزّ من العزاز، وهي الأرض الصّلبة الشّديدة، والذلّ خلاف الصّعوبة، وحكي عن بعضهم: بعض الذلّ (بكسر الدال) أبقى للأهل والمال، ومن هذا دابة ذلول ويقال لما وطأ من الطّريق ذلّ، وذلّ القطف تذليلاً إذا لان وتدلّى<sup>(٢)</sup>.

(١) الكبائر ص ١٣٧.

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٣٤٥).

وقال الراغب: الذَّلُّ ما كان عن قهر. يقال: ذَلَّ يَذَلُّ ذَلًّا، والذَّلُّ (بالكسر) ما كان بعد تصعُّب، وقول الله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤] أي كن كالمقهور لهما، وقريء جَنَاحَ الذُّلِّ أي لن، وانقد لهما<sup>(١)</sup>.

قال القرطبي: الذَّلُّ هو اللين، وقال الطبري: المعنى أن تلين لهما حتى لا تمتنع من شيء أحباه<sup>(٢)</sup>. وقال الجوهري: الذَّلُّ ضدُّ العزِّ. يقال: رجل ذليل بين الذَّلِّ والذَّلَّةِ والمذلة من قوم أذلاء وأذلة. وتذلل له: أي خضع، وأذلَّ الرَّجُلُ أي صار أصحابه أذلاء<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن منظور: يقال ذَلَّ (الرَّجُلُ) يَذَلُّ ذَلًّا وَذَلَّةً وَذَلَالَةً وَمَذَلَّةً، فهو ذليل بين الذَّلِّ والمذلة، من قوم أذلاء، وأذلة وذلال، والذَّلُّ بالكسر اللين، وهو ضدُّ الصَّعوبة. يقال: دابة ذلول: بينة الذَّلِّ من دوابِّ ذلل. وأذله هو وأذلَّ الرَّجُلُ: صار أصحابه أذلاء.

وأذله: وجده ذليلا. واستذلَّوه: رأوه ذليلا، ويجمع الذليل من النَّاسِ أذلة وذلانا. والذَّلُّ: الخسَّة. وأذله واستذلَّه كلُّه بمعنى واحد. وتذلل له أي خضع. وفي أسماء الله تعالى: المذلُّ؛ هو الذي يلحق الذَّلَّ بمن يشاء من عباده وينفي عنه أنواع العزِّ جميعها.

وفي التنزيل العزيز: ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ١٥٢] قيل: الذَّلَّةُ ما أمروا به من قتل أنفسهم<sup>(٤)</sup>.

وقيل الذَّلَّةُ هي الهوان لعقوبة الله إياهم على كفرهم برَّبِّهم وذلك بقتل (اليهود) بعضهم بعضا<sup>(٥)</sup>.

### الذَّلُّ اصطلاحاً:

قال المناوي: الذَّلُّ - بالضم - ما كان عن قهر - وبالكسر - ما كان عن تصعُّب بغير قهر<sup>(٦)</sup>. وقال الكفوي: الذَّلُّ (بالكسر) في الدَّابَّةِ ضدُّ الصَّعوبة، وبالضمِّ في الإنسان ضدُّ العزِّ؛ لأنَّ ما يلحق الإنسان أكثر قدرا ممَّا يلحق الدَّابَّةِ، وقيل الذَّلُّ (بالضمِّ) ما كان عن قهر، (وبالكسر) ما كان

(١) المفردات (١٨١).

(٢) تفسير الطبري (٨ / ٦١)، والقرطبي (١٠ / ١٥٩).

(٣) الصحاح (٤ / ١٧٠١، ١٧٠٢).

(٤) لسان العرب (١١ / ٢٥٦، ٢٥٨)، وانظر: بصائر ذوي التمييز (٣ / ١٧).

(٥) تفسير الطبري (٦ / ٧١).

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف (٣٥٠).

عن تصعّب، والدليل في النَّاس هو الفقير الخاضع المهان<sup>(١)</sup>.

### الذل بين المدح والذم:

قال الرَّاعِب: الذَّل متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود، نحو قوله تعالى: ﴿أَذَلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]<sup>(٢)</sup>، وفيما عدا ذلك يكون مذموماً لأنَّ العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين.

### من معاني كلمة «الذل» في القرآن الكريم:

أحدها: القلّة. ومنه قوله تعالى في [آل عمران: ٢٣]: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾. والثاني: التواضع. ومنه قوله تعالى في [المائدة: ٥٤]: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، وفي سورة [بني إسرائيل: ٢٤]: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾. والثالث: السهولة. ومنه قوله تعالى في [الإنسان: ١٤]: ﴿وَذُلَّتْ فُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾. وقوله تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧١، ٧٢]<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التسول - صغر الهمة - الضعف - الوهن - اليأس - التخاذل - التهاون. وفي ضد ذلك: انظر صفات: العزة - الرجولة - الشرف - القوة - النبيل - قوة الإرادة - العزم والعزيمة].

\*\*\*

### من مضار (الذل)

- |  |  |
|--|--|
| (١) الدليل غير مهيب فردا كان أو دولة.                        | (٤) من يتبع الباطل في الحياة الدنيا يعرض على النار ذليلاً في الآخرة. |
| (٢) الدليل ضعيف الهمة لا عزيمة عنده يدفع بها الهوان عن نفسه. | (٥) سبب الذل ارتكاب المعاصي وعدم التمسك بأخلاق الإسلام.              |
| (٣) الدليل يمتته أفراد مجتمعه وينبذونه.                      |  |

(١) الكلبيات (٤٦٢، ٤٦٣).

(٢) المفردات (١٨١).

(٣) نزهة الأعين النواظر (٣٠٠ - ٣٠١).

## الربا

## الربا لغة:

مصدر قولهم: ربا يربو، إذا زاد، وهو مأخوذ من مادة (ر ب و) التي تدلّ على الزيادة والنماء والعلو<sup>(١)</sup>، تقول من ذلك: ربا الشيء يربو، إذا زاد، وربا الرابية يربوها: إذ علاها، وربا فلان: أصابه الربو وهو علو في النفس، وأربت الحنطة تربى، إذا زكت، والربا في المال والمعاملة: هو الزيادة على رأس المال، وباعتبار هذه الزيادة قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّ الْيَبُوتِ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيوُا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٩] ونبه بقوله ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الضَّعْفَتِ ﴾ [البقرة: ٢٧٦] أن الزيادة المعقولة المعبر عنها بـ«البركة» مرتفعة عن الربا، ولذلك قال في مقابلته ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩]، وقال الطبري في تفسير الآية الأولى: الربا هو ما يعطى الناس بينهم، بعضهم بعضا، يعطي الرجل الرجل العطيّة يريد أن يعطى أكثر منها، وأمّا كونه لا يربو عند الله فمعناه: ما أعطيتم من شيء تريدون به مثابة الدنيا ومجازاة الناس، فذاك هو الربا الذي لا يقبله الله ولا يجزي به<sup>(٢)</sup>، وقال في تفسير الآية الثانية ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ [البقرة: ٢٧٦] المعنى: ينقص الله الربا فيذهب كما جاء في الحديث: «الربا وإن كثر فإلى قل»<sup>(٣)</sup>، وقال القرطبي: معنى ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ [البقرة: ٢٧٦] يعني في الدنيا يذهب بركته وإن كان (في الظاهر) كثيرا، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: المحق ألا يقبل الله منه صدقة ولا حجّا ولا جهادا ولا صلة<sup>(٤)</sup>.

وقال الجوهري: الربا في البيع: تثنيته ربوان وربيان، والربية مخففة لغة في الربا، وفي الحديث: «ليس عليهم ربية ولا دم» أي أنّه أسقط عنهم كلّ دم كانوا يطلبون به. وكلّ ربا كان عليهم إلا رؤوس أموالهم فإنّهم يردونها<sup>(٥)</sup>، وقال ابن منظور: يقال: ربا الشيء يربو ربوا ورباء أي زاد ونما، وأربيته: نميته ومنه أخذ الربا الحرام، وأربى الرجل دخل في الربا<sup>(٦)</sup>.

(١) المقاييس (٢/ ٤٨٤).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ١٠٧).

(٣) السابق (١٠/ ١٨٨).

(٤) تفسير القرطبي (٢/ ٢٣٤).

(٥) الصحاح (٦/ ٢٣٥٠).

(٦) اللسان (٣/ ١٥٧٢) ط. دار المعارف.

**الربا اصطلاحاً:**

قال الرّاعب: الرّبا في الشّرع خصّ بالزيادة على وجه دون وجه<sup>(١)</sup>.  
وقال الجرجاني: الرّبا شرعاً هو فضل خال عن عوض شرط لأحد العاقدين<sup>(٢)</sup>.  
وقيل: هو عقد على عوض مخصوص غير معلوم التّمائل في معيار الشّرع حالة العقد مع تأخير في البدلين أو أحدهما<sup>(٣)</sup>.  
وقال التّهانوي: الرّبا في الشّرع هو عبارة عن عقد فاسد، وإن لم تكن فيه زيادة لأنّ بيع الدرهم بالدرهم نسيئة ربا وإن لم تتحقّق فيه زيادة.  
وقال أيضاً: وقيل هو فضل ماليّ بلا عوض في معاوضة مال بمال شرط لأحد المتعاقدين<sup>(٤)</sup>.

**أنواع الربا:**

ربا الفضل: وهو البيع مع زيادة أحد العوضين المتّفقي الجنس على الآخر.  
وربا اليد: وهو البيع مع تأخير قبضهما أو قبض أحدهما عند التّفرق من المجلس أو التّخاير فيه بشرط اتّحادهما علّة، بأن يكون كلّ منهما معلوماً، أو كلّ منهما نقد وإن اختلف الجنس.  
وربا النسيئة: وهو البيع للمطعمومين أو للتّقدين المتّفقي الجنس أو المختلفيه لأجل، ولو لحظة، وإن استويا وتقابضا في المجلس.  
والأوّل وهو ربا الفضل: كبيع صاع برّ بدون صاع برّ أو بأكثر؛ أو درهم فضّة بدون درهم فضّة أو بأكثر. سواء أتقابضا أم لا، وسواء أجلا أم لا. (ودون صاع: أي أقلّ منه).  
والثاني وهو ربا اليد: كبيع صاع برّ بصاع برّ، أو درهم ذهب بدرهم ذهب، أو صاع برّ بصاع شعير أو أكثر، أو درهم ذهب بدرهم فضّة أو أكثر، لكن تأخر قبض أحدهما من المجلس أو التّخاير.  
والثالث وهو ربا النّساء: كبيع صاع برّ بصاع برّ، أو درهم فضّة بدرهم فضّة، لكن مع تأجيل أحدهما ولو إلى لحظة، وإن تساويا وتقابضا في المجلس.

(١) المفردات (١٨٧) وبه أخذ الفيروزبادي في البصائر (٣/ ٣٤).

(٢) التعريفات للجرجاني (١١٤).

(٣) التوقيف: للمناوي (١٧٣)، وابن حجر في الزواج (٢٩٩).

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون (٥٩٣).

والحاصل: أنه متى استوى العوضان جنسا وعلّة، كبرّ بربّ، أو ذهب بذهب، اشترط ثلاثة شروط: التّساوي، وعلمهما به يقينا عند العقد، والحلول والتّقباض قبل التّفريق؛ ومتى اختلفا جنسا واتّحدا علّة، كبرّ بشعير، أو ذهب بفضّة. اشترط شرطان: الحلول والتّقباض. وجاز التّفاضل، ومتى اختلفا جنسا وعلّة، كبرّ بذهب أو ثوب، لم يشترط شيء من هذه الثلاثة. فالمراد بالعلّة هنا: إمّا الطّعم، بأن يقصد الشيء للاقتيات أو الأدم أو التّفكّه أو التّداوي، وإمّا التّقديّة، وهي منحصرة في الذهب والفضّة مضروبة وغيرها، فلا ربا في الفلوس وإن راجت. وزاد المتولّي نوعا رابعا وهو: ربا القرض: لكنّه في الحقيقة يرجع إلى ربا الفضل، لأنّه الذي فيه شرط يجزّ نفعاً للمقرض، فكأنّه أقرضه هذا الشيء بمثله مع زيادة ذلك النّفع الذي عاد عليه.

### حكم الربا:

وكلّ من هذه الأنواع الأربعة حرام بالإجماع بنصّ الآيات والأحاديث، وكلّ ما جاء في الرّبا من الوعيد شامل للأنواع الأربعة، نعم بعضها معقول المعنى وبعضها تعبدّي، وربا النسيئة هو الذي كان مشهوراً في الجاهليّة، لأنّ الواحد منهم كان يدفع ماله لغيره إلى أجل على أن يأخذ منه كلّ شهر قدراً معيّناً ورأس المال باق بحاله، فإذا حلّ طالبه برأس ماله، فإن تعذّر عليه الأداء زاد في الحقّ والأجل. وتسمية هذا نسيئة مع أنّه صدق عليه ربا الفضل أيضاً؛ لأنّ النسيئة هي المقصودة فيه بالذات، وهذا النوع مشهور الآن بين النّاس، وواقع كثيراً<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: المراباة حرام بالكتاب والسنة، والإجماع. وقد لعن رسول الله ﷺ: «أكل الرّبا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه. والمحلّل، والمحلّل له».

وإن كان أصل الرّبا في الجاهليّة: أنّ الرّجل يكون له على الرّجل المال المؤجّل. فإذا حلّ الأجل قال له: أتقضي؟ أم تربي؟ فإن وفاه وإلا زاد هذا في الأجل وزاد هذا في المال. فيتضاعف المال والأصل واحد. وهذا الرّبا حرام بإجماع المسلمين.

وأما إذا كان هذا هو المقصود ولكن توّسلوا بمعاملة أخرى؛ فهذا تنازع فيه المتأخرون من المسلمين، وأما الصحابة فلم يكن بينهم نزاع أنّ هذا محرّم، فإنّما الأعمال بالنيّات، والآثار عنهم بذلك كثيرة مشهورة.

والله تعالى حرّم الرّبا لما فيه من ضرر المحتاجين، وأكل المال بالباطل، وهو موجود في المعاملات الرّبويّة. وأما إذا حلّ الدّين وكان الغريم معسراً: لم يجز بإجماع المسلمين أن يقلب

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (٢٩٩).

بالقلب لا بمعاملة ولا غيرها؛ بل يجب إنظاره، وإن كان موسرا كان عليه الوفاء، فلا حاجة إلى القلب لا مع يساره، ولا مع إعساره.

والواجب على ولادة الأمور بعد تعزيز المتعاملين بالمعاملة الربويّة: أن يأمروا المدين بأن يؤدّي رأس المال. ويسقطوا الزيادة الربويّة. فإن كان معسرا وله مغلّات يوفّي منها وفي دينه منها بحسب الإمكان<sup>(١)</sup>.

وقال ابن حجر: عدّ الربا كبيرة هو ما أطبقوا عليه أتباعا لما جاء في الأحاديث الصحيحة من تسميته كبيرة، بل هو من أكبر الكبائر وأعظمها<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: أكل الحرام - التطفيف - السرقة - الغلول - المكر - سوء المعاملة - التناجش - الغش - الخداع - الخبث.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: أكل الطيبات - الصلاح - النزاهة - حسن المعاملة - النبل - المروءة - العفة].

\*\*\*

### من مضار (الربا)

- (١) آكل الربا مطرود من رحمة الله تعالى (٥) قرن رسول الله ﷺ بين الربا والزنا في كثير من محارب من الله ورسوله.
- (٢) لم يتهدّد الله ﷻ ويتوعّد مرتكب كبيرة كمرتكب جريمة الربا.
- (٣) الربا جريمة اجتماعية إذا تفشّت في مجتمع من المجتمعات دمّرتة وقوّضت بنيانه.
- (٤) آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهداه وكلّ من يعين في رواج هذه الجريمة النكراء آثمون عند الله مبعدون من رحمته.
- (٥) قرن رسول الله ﷺ بين الربا والزنا في كثير من المواضع لأنّهما جريمتان اجتماعيتان متشابهتان في آثارهما السلبية على المجتمع.
- (٦) الربا يزرع الأحقاد في القلوب وينزع منها الرأفة والرّحمة وبذلك تموت الأخوة وتتفكّك بنية المجتمع.
- (٧) دليل خبث نفس المرابي وسوء طويّته.
- (٨) وعمله هذا يدلّ على سوء خاتمته.

(١) الفتاوى الكبرى (٢٩ / ٤١٨ - ٤١٩).

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٣٠٩).

## الردة

## الردة لغة:

الردّة مصدر قولهم: ردّ يردّ ردّاً واردة، وقيل الردّة الاسم من الارتداد، وكلّ ذلك مأخوذ من مادة (ردد) التي تدلّ على رجوع الشّيء، تقول: رددت الشّيء أردّه ردّاً (رجعته)، وسمّي المرتدّ بذلك لأنّه ردّ نفسه إلى كفره والأصل في ذلك قولهم: شاة مردّ وناقّة مردّة، وذلك إذا أضرعت كأنّها لم تكن ذات لبن فردّ عليها، أو ردّت هي لبنها.

وقال الراغب: الردّ: صرف الشّيء بذاته أو بحالة من أحواله، ومن الردّ بالذات قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨] ومن الردّ إلى حالة كان عليها قوله سبحانه: ﴿وَإِن يَرِدْكَ يَخِيرِ فَلَرَأَدْ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧] والارتداد والردّة: الرجوع؛ لكن الردّة تختصّ بالرجوع إلى الكفر، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره، وقول الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ [المائدة: ٥٤] الارتداد هو الرجوع من الإسلام إلى الكفر.

وقال الطبريّ: من يرجع منكم عن دينه الحقّ الذي هو عليه اليوم فيبدّله ويغيّره بدخوله في الكفر، إمّا في النصرانيّة أو اليهوديّة أو غير ذلك من صنوف الكفر<sup>(١)</sup>، وقال القرطبيّ: كانت ردّتهم على قسمين: قسم نبذ الشريعة كلّها وخرج عنها، وقسم نبذ وجوب الزكاة واعترف بوجوب غيرها<sup>(٢)</sup> والارتداد: الرجوع ومنه المرتدّ، وشيء ردّ أي رديء، وقال ابن منظور: الردّ: صرف الشّيء ورجعه، وردّه عن وجه يردّه ردّاً ومردّاً أو تردّادا: صرفه، وهو بناء للتكثير. وقد ارتدّ وارتدّ عنه: تحوّل.

وقال الخطّابيّ - رحمه الله تعالى - : الردّة اسم لغويّ لكلّ من انصرف عن أمر كان مقبلا عليه.

وتقول: ردّ عليه الشّيء إذا لم يقبله وكذلك إذا خطّاه.

واسم الفاعل منه: المرتدّ<sup>(٣)</sup>.

## الردة اصطلاحاً:

قال الكفويّ: الردّة: الرجوع في الطّريق الذي جاء منه، وكذا الارتداد؛ لكن الردّة تختصّ

(١) انظر الطبريّ (٤ / ٢٦٦)، الصحاح (٢ / ٤٧٢).

(٢) تفسير القرطبي (٣ / ١٤٢) ومقاييس اللغة (٢ / ٣٨٦) والمفردات (١٩٢).

(٣) لسان العرب (٣ / ١٧٢ ١٧٥). وشرح مسلم للنووي (١ / ٢٠٤). وانظر: النهاية لابن الأثير (٢ / ٢١٣ - ٢١٧).

بالكفر وهو (أي الارتداد) أعم<sup>(١)</sup>.

وقال ابن قدامة: هي الإتيان بما يخرج عن الإسلام إمّا نطقاً أو اعتقاداً أو شكاً ينقل عن الإسلام.

أما المرتدّ فهو الرّاجع عن دين الإسلام<sup>(٢)</sup>.

وقال في الإقناع (المرتدّ): هو الذي يكفر بعد إسلامه نطقاً أو اعتقاداً أو شكاً أو فعلاً، ولو كان هازلاً<sup>(٣)</sup>.

### أقسام الردّة:

قال عزّ الدّين بليق: قد قسّم بعض العلماء الردّة إلى أقسام أربعة: وهي ردّة في الاعتقاد، وردّة في الأقوال، وردّة في الأفعال، وردّة في التّرك. قال: ومن نافلة القول أنّ هذه الأقسام قد تتداخل، فمن اعتقد شيئاً فقد يعبر عنه بلسانه أو بعمل من أعماله وبذلك تتداخل هذه الأقسام<sup>(٤)</sup>.

### حكم المرتد:

قال ابن قدامة: من ارتدّ عن الإسلام من الرّجال والنّساء وكان بالغاً عاقلاً دعي إليه ثلاثة أيّام، وضيّق عليه، فإن رجع (فيها ونعمت) وإلا قتل<sup>(٥)</sup>.

### موقف أبي بكر رضي الله عنه من المرتدين:

لقد كان موقف أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه من المرتدّين هو التّطبيق العمليّ لتنفيذ حكم الله فيهم، يقول الطّبريّ: عقد أبو بكر أحد عشر لواء، عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد (المرتدّ الكذّاب)، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة. ولعكرمة ابن أبي جهل وأمره بمسيلمة (الكذّاب)، وللمهاجر ابن أميّة<sup>(٦)</sup> وأمره بجنود العنسيّ (من المرتدّين في اليمن)<sup>(٧)</sup>.

(١) الكليات (٤٧٧).

(٢) معجم المغنى في الفقه الحنبلي (٣٦٨).

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٨٥٣ / ٥).

(٤) منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين (١٠٢).

(٥) المغنى لابن قدامة (٧٤ / ١٠).

(٦) انظر في أسماء بقية قادة المسلمين، وفي الجهات التي وجهوا إليها، وأسماء زعماء الردّة في جزيرة العرب، تاريخ الطبري (٢٤٨ / ٣) وما بعدها.

(٧) كان الأسود العنسي قد تكهن وادعى النبوة وتبعته قبيلة عنس، انظر فتوح البلدان (١٠٩).

وقد كتب إليهم مع القادة المسلمين كتابا جاء فيه: «قد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقرّ بالإسلام وعمل به، اغترارا بالله تعالى، وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان...، وإتني بعثت إليكم فلانا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان وأمرته ألا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقرّ وكفّ وعمل صالحا، قبل منه ذلك وأعانه عليه، ومن أبي أمرت أن يقاتله على ذلك، ثم لا يبقني على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلته، وأن يسبي النساء والذريّة ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم، والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون فأذّنوا كفّوا عنهم، وإن لم يؤذّنوا عاجلوهم، وإن أذّنوا أسألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم وإن أقرّوا قبل منهم<sup>(١)</sup>.

وقد عهد عليه السلام إلى الأمراء بأن «يمنع كل قائد أصحابه من العجلة والفساد، وأن لا يدخل في جنوده حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم، (حتى) لا يكونوا عيوننا، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم<sup>(٢)</sup>.

لقد كان لحزم أبي بكر رضي الله عنه وصلابته في التعامل مع هؤلاء المرتدّين أثره الواضح في استئصال شأفة الردّة من جميع أنحاء بلاد العرب، وحفظ بذلك وحدة الأمة ووقاها من الهلكة، يقول ابن مسعود رضي الله عنه «لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مقاما كدنا نهلك فيه لو لا أن الله منّ علينا بأبي بكر،.. عزم الله له على قتال المرتدّين، فو الله ما رضي منهم إلا بالخطّة المجزية أو الحرب المجلية...»<sup>(٣)</sup>، نعم لقد أخزى الله المرتدّين على يديه ولم ينج منهم إلا من هرب هائما على وجهه خاسرا الدّنيا والآخرة.

للاستزادة: انظر صفات: الإلحاد- الزندقة- الضلال- الكفر- الإعراض- اتباع الهوى- الشرك.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإيمان- الهدى اليقين- الاعتصام- الطاعة- الفرار إلى الله.]

\*\*\*

(١) انظر نص كتاب أبي بكر رضي الله عنه كاملا في المرجع السابق (٣/ ٢٥٠) وما بعدها.

(٢) انظر عهد أبي بكر رضي الله عنه إلى قادة جيوش المسلمين الذين وجههم لمحاربة المرتدّين، المرجع السابق (٣/ ١٥١-١٥٢).

(٣) انظر كلام ابن مسعود رضي الله عنه عاما في فتوح البلدان للبلاذري (١٠٠).

## من مضار (الردة)

- (١) تودي بحياة المرتد في الدنيا وتوجب له للإضرار بها بما يقدمه لهم من معلومات ينون الخلود في النار في الآخرة. عليها خطتهم في مواجهتها.
- (٢) تلقي على الأمة عبئا ثقيلا من الحذر (٤) قد تؤدّي الرّدة إلى اضطراب المجتمع والاحتياط إذا تمكّن المرتدّ من الفرار بإغراء البسطاء بالاعتداء بالمرتدّ حين إلى خارج مجتمعها. يظفر بحماية أعداء الأمة وما يغدقون عليه من رفاهية العيش.
- (٣) قد يفتح المرتدّ لأعداء الأمة ثغرات

## الرشوة

## الرشوة لغة:

هي الاسم من قولهم رشاه يرشوه رشوا إذا أعطاه الجعل، وهي مأخوذة من مادة (رش و) التي تدلّ على التّسبّب للشيء برفق وملاينة، تقول: ترشيت الرجل إذا لايتته، ومن ذلك قول امريء القيس:

نزيف<sup>(١)</sup> إذا قامت لوجه تمايلت تراشي الفؤاد الرّخص ألا تخترا<sup>(٢)</sup>

وقال الجوهري: يقال: الرّشوة (بالكسر) والرّشوة (بالضمّ) وجمعها رشي ورشا، وارتشى: أخذ الرّشوة، واسترشي في حكمه: طلب الرّشوة عليه، ويقال: ترشيت الرجل إذا لايتته، وراشيتّه إذا ظاهرته<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن منظور: الرّشو: فعل الرّشوة، والمراشاة: المحاباة، والرّشوة (بالفتح)، والرّشوة (بالكسر)، والرّشوة (بالضمّ) الجعل، قال: وهي مأخوذة من رشا الفرخ إذا مدّ رأسه إلى أمه لتزقه، والرّائش: الذي يسدي بين الرّاشي والمرتشي<sup>(٤)</sup>. وفي الحديث: «لعن الله الرّاشي والمرتشي والرّائش»، قال ابن الأثير: الرّاشي: من يعطي الذي يعينه على الباطل، والمرتشي: الآخذ

(١) ورد البيت في ديوانه ص ٦١، والنزيف: السكران الذي نزع السكر عقله، والوجه: ما يتوجه لها أن تفعله من الأمور، وتراشي: أي تعطيه الرشوة. والمراد هنا المداراة والمخاتلة.

(٢) مقاييس اللغة ٢ / ٣٩٧.

(٣) الصحاح ٦ / ٢٣٥٧.

(٤) لسان العرب (رشو) ص ١٦٥٣ (ط. دار المعارف)، والقاموس المحيط (رشا) ص ١٦٦٢ (ط. بيروت).

(للرّشوة)، والرّائش الذي يسعى بينهما يستزيد لهذا، ويستنقص لهذا<sup>(١)</sup>. قال: وأصل ذلك من الرّشاء الذي يتوصّل به إلى الماء<sup>(٢)</sup>.

### الرّشوة اصطلاحاً:

قال الفيوميّ: الرّشوة: ما يعطيه الشّخص الحاكم وغيره ليحكم له أو يحمله على ما يريد<sup>(٣)</sup>. وقال الجرجانيّ: الرّشوة: ما يعطى لإبطال حقّ أو إحقاق باطل<sup>(٤)</sup>. وقال التّهانويّ: حدّ الرّشوة: بذل المال فيما هو غير مستحقّ على الشّخص، وقيل: هي ما يعطيه رجل شخصاً حاكماً أو غير حاكم ليحكم له أو يحمله على ما يريد<sup>(٥)</sup>. وقال ابن الأثير: الرّشوة (بالكسر والضّم): الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة، قال: وأمّا ما يعطى توصلاً إلى أخذ حقّ أو دفع ظلم فغير داخل في الرّشوة<sup>(٦)</sup>.

وقد استنبط بعض الباحثين ممّا ذكره الفقهاء تعريفاً جامعاً للرّشوة فقال: هي ما يؤخذ (من جعل) عمّاً وجب على الشّخص فعله، سواء أكان واجباً على العين، كالقاضي أو على الكفاية، كما في شخص يقدر على دفع الظلم أو استخلاص حقّ من يد ظالم. وسواء أكان الوجوب شرعيّاً كما في وليّ المرأة لا يزوّجها إلّا بالرّشوة، أو شاعر يخاف منه الهجو، لأنّ الكفّ عن عرض المسلم واجب شرعاً، أو كان الوجوب عرفيّاً (عن طريق العقد)، كمن أجر نفسه لإقامة أمر من الأمور المتعلّقة بالمسلمين كأعوان القاضي أو أعضاء النيابة وأهل الدّيوان من الموظّفين<sup>(٧)</sup>.

### أنواع الرّشوة وحكم كل نوع:

قال التّهانويّ: الرّشوة على أربعة أوجه:

الأوّل: رشوة محرّمة من الجانبين (الرّاشي والمرثي)، ولها صورتان: الأولى: تقلّد القضاء

(١) النهاية لابن الأثير ٢ / ٢٢٦.

(٢) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها، ولسان العرب ١٦٥٣.

(٣) المصباح المنير للفيومي ص ٢٢٨.

(٤) التعريفات للجرجاني ص ١١٦، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ١٧٧.

(٥) كشف اصطلاحات الفنون للتّهانوي (٣ / ٨٦).

(٦) النهاية لابن الأثير (٢ / ٢٦٦).

(٧) بتلخيص وتصرف عن كشف اصطلاحات الفنون (٣ / ٨٨).

بحيث لا يصير (القاضي) قاضيا بدونها. والثانية: دفع الرّشوة إلى القاضي ليقضي له، سواء كان القضاء بحقّ أو بغير حقّ.

**الثاني:** دفع الرّشوة خوفا على النفس أو المال، وهذه حرام على الآخذ غير حرام على الدّافع، وكذا إذا طمع ظالم في ماله فرشاه ببعض المال، ومن هذا النوع ما يدفعه شخص إلى شاعر، قلت (أو صحفيّ) خوفا من الهجاء أو الدّم.

**الثالث:** الرّشوة تدفع للحاكم ليسويّ أمرا من الأمور، بحيث يشترط عليه ذلك وهذه حلال للدّافع حرام للآخذ، فإن طلب منه أن يسويّ أمره ولم يذكر له الرّشوة ثمّ أعطاه بعد ذلك شيئا، اختلف فيه العلماء، فقال بعضهم: لا يحلّ له، وقال بعضهم: يحلّ، قلت: وعلى فرض أنّه حلال عند بعضهم فإنّه من الشّبّهات التي ينبغي أن يتقيها المسلم الذي يستبرأ لدينه.

**الرابع:** وهو ما أشبه الرّشوة وليس بها، وهو ما كان الدّفع فيه على سبيل التّودّد والتّجّيب، وهذا حلال للجانبين<sup>(١)</sup>.

#### استرداد الرّشوة:

الرّشوة مال حرام على آخذه، يلزمه ردّه، من ذلك على سبيل المثال ما يدفعه الرّجل إلى وليّ أمر المرأة ليزوّجها إيّاه فإن دفع له وزوّجه إيّاها فإنّ للزوج أن يستردّ ما دفعه حتّى ولو مات الوليّ لأنّه رشوة.

ولو مات المرتشي وعلم الوارث أنّ ما تركه من الرّشوة، فإنّه لا يحلّ له أخذه، وإن لم يعلم عين الرّشوة فإنّ له الأخذ حكما، ويتصدّق به بنية الخصماء، وإن

ارتشى القاضي ردّ قضاؤه، فإن ارتشى أحد أعوانه ليعين المرتشي ولم يعلم القاضي نفذ قضاؤه، وعلى القابض ردّ ما قبضه، ويأثم الرّاشي<sup>(٢)</sup>.

#### الرّشوة من الكبائر:

قال الذهبيّ: الكبيرة الثانية والثلاثون: أخذ الرّشوة على الحكم، وقد استدلّ على ذلك بقوله

(١) كشف اصطلاحات الفنون ٣ / ٦٨، قلت وعد النوع الأخير من الرّشوة إنّما هو تسامح في العبارة، وإلاّ فإنه لا ينطبق عليه تعريفها ولا حكمها.

(٢) السابق (٣ / ٨٨)، وقد أفاض التهانوي في أحكام رشوة المحتسب، انظرها في الموضع المذكور.

تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨] قال الذهبي: لا تدلوا بأموالكم إلى الحكام: أي لا تصنعوهم بها ولا ترشوههم ليقطعوا لكم حقاً لغيركم وأنتم تعلمون أن ذلك لا يحلّ لكم، وبعد أن ذكر الأحاديث الدالة على التحريم، قال: إنما تلحق اللعنة الرّاشي إذا قصد بها أذية مسلم، أو ليدفع له بها ما لا يستحقّ، أمّا إذا أعطى ليتوصّل إلى حقّ له، أو ليدفع عن نفسه ظلماً، فإنّه غير داخل في اللعنة، أمّا الحاكم فالرشوة عليه حرام سواء أبطّل بها حقاً أو دفع بها ظلماً، والرّاشي (وهو الساعي بالرشوة) تابع للرّاشي في قصده إن قصد خيراً لم تلحقه اللعنة وإلا لحقته<sup>(١)</sup>.

### الهدية للحاكم رشوة أم لا؟

سئل ابن تيميّة - رحمه الله تعالى - عن رجل أهدى الأمير هدية لطلب حاجة، أو للتقرّب منه، أو للاشتغال بالخدمة عنده أو ما أشبه ذلك، فهل أخذ الهدية على هذه الصورة رشوة أم لا؟ وهو إن أخذ الهدية انبعثت نفسه إلى قضاء الشغل، وإن لم يأخذ لم تنبعث النفس في قضائه، فهل يجوز أخذها؟ وقضاء شغله، أو لا يأخذ ولا يقضي؟ ورجل مسموع القول عند مخدمه (سكرتير أو حاجب أو مستشار أو ما أشبه ذلك) إذا أعطوه شيئاً للأكل أو لغير قضاء حاجة، فهل يجوز أخذها؟ وهو إن ردّها على المهدي انكسر خاطره، فهل يجوز أخذ هذا أم لا؟.

أجاب - رحمه الله تعالى - عن الحالتين فقال: في سنن أبي داود وغيره أنّ النبي ﷺ قال: «من شفع لأخيه شفاعاً فأهدى له هدية فقبلها فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الرّبا». وسئل ابن مسعود عن السّحت فقال: هو أن تشفع لأخيك شفاعاً فيهدي لك هدية فتقبلها. فقال له: رأيت إن كانت هدية في باطل. فقال: ذلك كفر ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ولهذا قال العلماء: إنّ من أهدى هدية لوليّ الأمر ليفعل معه ما لا يجوز، كان حراماً على المهدي والمهدي إليه، وهذه من الرّشوة التي قال فيها النبي ﷺ «لعن الله الرّاشي والمرتشي»، والرّشوة تسمّى البرطيل، والبرطيل في اللّغة هو الحجر المستطيل فاه، فأما إذا أهدى له هدية ليكفّ ظلمه عنه أو ليعطيه حقّه الواجب كانت الهدية حراماً على الآخذ، وجاز للدافع أن يدفعها إليه كما كان النبي ﷺ يقول «إني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها ناراً» قيل: يا رسول الله فلم تعطهم؟ قال «يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل».

ومثل ذلك مثل من أسرّ خبرا، أو كان ظالما للناس، فأعطاه هؤلاء (كي يمتنع من نشر السرّ أو من الظلم) فهذا جائز للمعطي حرام على الآخذ، أمّا الهدية في الشفاعة كأن يشفع لرجل عند وليّ أمر ليرفع عنه مظلمة أو يوصل إليه حقّه أو يولّيه ولاية يستحقّها، أو يستخدمه في الجند المقاتلة- وهو مستحق لذلك، أو يعطيه من المال الموقوف على الفقراء أو الفقهاء أو القراء أو النّسك أو غيرهم- وهو من أهل الاستحقاق، ونحو هذه الشفاعة التي فيها إعانة على فعل واجب أو ترك محرّم. فهذه أيضا لا يجوز فيها قبول الهدية. ويجوز للمهدي أن يبذل في ذلك ما يتوصّل به إلى أخذ حقّه أو دفع الظلم عنه. هذا هو المنقول عن السلف والأئمة الأكابر، وقد رخص بعض المتأخرين من الفقهاء في ذلك وجعل هذا من باب الجعالة، وهذا مخالف للسنة وأقوال الصحابة والأئمة، وهو غلط لأنّ مثل هذا العمل هو من المصالح العامة التي يكون القيام بها فرضا: إمّا على الأعيان وإمّا على الكفاية.

ومتى شرع أخذ الجعل على مثل هذا لزم أن تكون الولاية وإعطاء أموال الفيء والصدقات وغيرها لمن يبذل في ذلك، ولزم (أيضا) أن يكون كفّ الظلم عمّن يبذل في ذلك، والذي لا يبذل لا يولّى ولا يعطى ولا يكفّ عنه الظلم، وإن كان أحقّ وأنفع للمسلمين من هذا. ولما كانت المنفعة لعموم الناس: أعني المسلمين.

فإنّه يجب أن يولّى في كلّ مرتبة أصلح من يقدر عليها وأن يرزق من رزق المقاتلة والأئمة والمؤذنين، وأهل العلم الذين هم أحقّ الناس وأنفعهم للمسلمين، وهذا واجب على الإمام، وعلى الأئمة أن يعاونوه على ذلك فأخذ جعل من شخص معيّن على ذلك يفضي إلى أن تطلب هذه الأمور بعوض، ونفس طلب الولايات منهّي عنه فكيف بالعوض؟ ولزم أن كان ممكنا فيها يولّى ويعطى وإن كان غيره أحقّ وأولى، بل يلزم على ذلك تولية الجاهل والفاسق والفاجر وترك العالم القادر، وأن يرزق في ديوان المقاتلة الفاسق والجبان العاجز عن القتال، ويترك العدل الشجاع النافع للمسلمين وفساد مثل هذا كبير<sup>(١)</sup>.

وإذا أخذ وشفع لمن لا يستحقّ وغيره أولى، فليس له أن يأخذ ولا يشفع وتركهما خير، وإذا أخذ وشفع لمن هو الأحقّ الأولى، وترك من لا يستحقّ، فحينئذ ترك الشفاعة والأخذ أضرّ من الشفاعة لمن لا يستحقّ، ويقال لهذا الشافع الذي له الحاجة التي تقبل بها الشفاعة: يجب عليك أن

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية المجلد ٣١ ص ٢٨٥.

تكون ناصحاً لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وعليك أن تنصح المشفوع إليه فتبين له من يستحقّ الولاية والاستخدام والعطاء، ومن لا يستحقّ ذلك، وتنصح للمسلمين بفعل مثل ذلك، وتنصح لله ولرسوله بطاعته فإنّ هذا من أعظم طاعته، وتنفع هذا المستحقّ بمعاونته على ذلك، كما عليك أن تصلّي وتصوم وتجاهد في سبيل الله.

وأما الرجل المسموع الكلام فإذا أكل قدرًا زائداً على الضيافة الشرعية، فلا بدّ له أن يكافئ المطعم بمثل ذلك، أو لا يأكل القدر الزائد وإلا فقبوله الضيافة الزائدة مثل قبوله للهدية، وهو من جنس الشاهد والشافع إذا أدى الشهادة وقام بالشفاعة لضيافة أو جعل فإنّ هذا من أسباب الفساد<sup>(١)</sup>.

### الفرق بين الرشوة والهدية:

قال ابن قيم الجوزية: الفرق بين الهدية والرشوة - وإن اشتبهت في الصورة - القصد، فإنّ الراشي قصده بالرشوة التوصل إلى إبطال حقّ، أو تحقيق باطل، فهذا الراشي الملعون على لسان رسول الله ﷺ فإنّ رشا لدفع الظلم عن نفسه اختصّ المرتشي وحده باللعنة، وأما المهدي فقصده استجلاب المودة والمعرفة والإحسان، فإنّ قصد المكافأة فهو معاوض، وإن قصد الرّيح فهو مستكثر<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: أكل الحرام - التعاون على الإثم والعدوان - السرقة - الغش - الغلول - التطفيف - التناجش.]

وفي ضد ذلك: انظر صفات: النزاهة - الاستقامة - الشرف - محاسبة النفس - مجاهدة النفس - النبل - التعاون على البر والتقوى - العفة.]

\*\*\*

### من مضار (الرشوة)

- (١) هي مغضبة للربّ، ومخالفة لسنة الرسول ﷺ (٣) هي إفساد للمجتمع حكّاماً ومحكومين. ومجلبة للعذاب.
- (٢) تسبّب الهلاك والخسران في الدارين وربّما (٥) الراشي والمرتشي والرائش كلّهم ملعونون أدّت إلى الكفر.
- عند الله ورسوله.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية المجلد ٣١ ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٢) الروح لابن القيم ٢٤٠.

(٦) الرّشوة في تولّي القضاء والوظائف العامّة الدّفاع عن البلاد من هم غير أهل لذلك فتحقيق  
تفسد أحوال المجتمع وتنشر الفساد. بهم الهزيمة، ويلحق العار البلاد بأسرها.  
(٧) الرّشوة في أمور الجند تجعل الكفاءة فيهم (٨) المرتشي تشدّ يساره إلى يمينه ثم يرمى به  
غير معتبرة ويؤول الأمر إلى أن يتولّى في جهنّم وساءت مصيرا.

## الرياء

### الرياء لغة:

مصدر قولهم: راءه يرائيه رياء ومرآة<sup>(١)</sup>، وهو مأخوذ من مادّة (رأى) التي تدلّ - كما يقول  
ابن فارس - على نظر وإبصار بعين أو بصيرة، يقال من ذلك: راءى فلان، وفعل ذلك رئا النّاس  
(ورياء النّاس)، وهو أن يفعل شيئاً ليراه النّاس<sup>(٢)</sup>، أمّا قولهم: هم رئا فالمعنى: يقابل بعضهم  
بعضاً، وكذلك: بيوتهم رئا أي متقابلة، والوصف من ذلك، رجل مرء، وقوم مرءون، ويستراى  
فلان مثل يستحمق (أي ينسب إلى الرّياء)<sup>(٣)</sup>، واستراى الشّيء: استدعى رؤيته ورأيت الرّجل  
مرآة ورياء: أريته أني على خلاف ما أنا عليه<sup>(٤)</sup>، وفي التّنزيل ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ  
دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧]. قال القرطبيّ في تفسيرها: يعني أبا جهل وأصحابه  
الخارجين يوم بدر لنصرة العير. خرجوا بطرين مرآين صادّين عن سبيل الله<sup>(٥)</sup>. وقولهم: تراءى  
القوم أي رأى بعضهم بعضاً، وتراءى لي وتراءى لي: تصدّى لي كي أراه، ورأى المكان المكان:  
قابله حتّى كأنّه يراه، وتراءى النّخل: ظهرت ألوان بسره، وكلّ ذلك من رؤية العين، وقولهم: ألم تر  
إلى فلان، ألم تر إلى كذا: كلمة تقولها العرب عند التّعجب من الشّيء، وعند تنبيه المخاطب،

(١) للفعل راءى مصدران قياسان هما: المرآة والرياء، وكلاهما مستعمل لنفس المعنى، وقد تقلب ياؤه همزة فيقال: رئا  
النّاس، أي رياءهم.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ٢ / ٤٧٢ - ٤٧٣ (بتصرف واختصار).

(٣) الصحاح «رأى» ٦ / ٢٣٤٨ - ٢٣٤٩.

(٤) لسان العرب ١٤ / ٢٩٦ (ط. بيروت).

(٥) تفسير القرطبي ٨ / ٢٥.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ [النساء: ٥١]، أي ألم تعجب لفعالهم، وألم ينته شأنهم إليك<sup>(١)</sup>.

وقال ابن منظور (أيضا): يستعمل راءيت واسترأيت بمعنى: استشرت، يقال: استرأيت الرجل في الرأي أي استشرته، وراءيته (كذلك)، قال عمران بن حطان:

فإن تكن حين شاورناك قلت لنا      بالنصح منك لنا فيما نرائكما  
أي نستشيرك.

أما قول الله ﷻ: ﴿ بُرَاءُونَ النَّاسِ ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقوله عز من قائل: ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ [الماعون: ٦، ٧] فليس من المشاورة، ولكن معناه: إذا أبصرهم الناس صلّوا، وإذا لم يروهم تركوا الصلاة، وهذا عمل المرائي (وسمي بذلك) لأنه يرى الناس أنه يفعل، ولا يفعل بالنية، من ذلك قولهم: أراى الرجل: إذا عمل عملا صالحا رياء وسمعة<sup>(٢)</sup>.

#### الرياء اصطلاحا:

قال الجرجاني: الرياء: ترك الإخلاص في العمل بمراعاة غير الله فيه<sup>(٣)</sup>. وقال التهانوي: حدّ الرياء: فعل الخير لإراءة الغير، وقيل: هو فعل لا تدخل فيه النية الخالصة، ولا يحيط به الإخلاص<sup>(٤)</sup>. وقال الغزالي: أصل الرياء: طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير، واسم الرياء مخصوص - بحكم العادة - بطلب المنزلة في القلوب بالعبادة وإظهارها، ومن ثمّ يكون الرياء (المذموم شرعا) إرادة العباد بطاعة الله<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن حجر (الهيتمي): حدّ الرياء المذموم:

إرادة العامل بعبادته غير وجه الله تعالى، كأن يقصد اطلاع الناس على عبادته وكماله، فيحصل له منهم نحو مال أو جاه أو ثناء<sup>(٦)</sup>.

(١) اللسان ١٤ / ٢٩٩، والنهاية لابن الأثير ٣ / ١٧٨.

(٢) باختصار وتصرف عن (لسان العرب) ١٤ / ٣٠٠ - ٣٠٣ (ط. بيروت).

(٣) التعريفات ص ١١٩.

(٤) كشف اصطلاحات الفنون ٣ / ٦٠٧ - ٦٠٨.

(٥) إحياء علوم الدين ٣ / ٢٩٧.

(٦) الزواجر ١ / ٤٣.

وقال ابن حجر العسقلاني: الرياء إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها<sup>(١)</sup>.

### الفرق بين الرياء والسمة والنفاق:

قال التهانوي: الفرق بين الرياء والسمة أن الرياء يكون في الفعل، والسمة تكون في القول<sup>(٢)</sup>، وقال ابن عبد السلام: الرياء أن يعمل لغير الله، والسمة أن يخفي عمله ثم يحدث به الناس<sup>(٣)</sup>.

أما الفرق بين النفاق والرياء فيتمثل في أن الأصل في الرياء الإظهار، والأصل في النفاق: الإخفاء إذ المرئي يظهر نيته الحقيقية في طلب المنزلة عند الناس، أما المنافق فإنه يخفي على الناس ما بداخله ويظهر خلافه، وقد يلتقي الأمران: الرياء والنفاق (الأصغر) في عمل المنافق، كما قال ﷺ في شأن المنافقين: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]، أي بإظهار مجرد الطاعة، وقد يختلفان كما في قيامهم (أي المنافقين) إلى الصلاة كسالى وعدم ذكرهم الله إلا قليلا، فالمرئي يظهر النشاط ويكثر من الذكر لينال مكانة عند الناس بخلاف المنافق.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن النفاق ينقسم إلى نفاق أكبر وهو النفاق المتعلق بالعقيدة، ونفاق أصغر وهو المتعلق بالأعمال، وإذا كان الرياء داخلا في النفاق العملي فيكون ثمت بينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في النفاق العملي وهو كما يقول ابن رجب: أن يظهر الإنسان علانية (العمل الصالح) ويبطن خلاف ما يظهر<sup>(٤)</sup>، ينفرد كل منهما، ينفرد النفاق بإظهار الإيمان وإبطان الكفر (وهو النفاق العقدي)، وينفرد الرياء بأنه قد يكون في غير العبادات لطلب جاه، وليس هذا النوع بحرام إلا إذا حملته كثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز<sup>(٥)</sup>.

### الفرق بين الرياء والشرك الأكبر:

قال ابن حجر: يتضح الفرق بين الرياء (وهو الشرك الأصغر) وبين الشرك الأكبر بمثال هو أن المصلي مرءاة يكون رياؤه سببا باعثا له على العمل، وهو تارة يقصد بعمله تعظيم الله تعالى، وتارة لا يقصد شيئا، وفي كل منهما لا يصدر عنه مكفر، بخلاف الشرك الأكبر الذي لا يحدث إلا

(١) فتح الباري ١١ / ٣٤٤.

(٢) كشف اصطلاحات الفنون ٣ / ٦٠٧، وانظر أيضا: فتح الباري لابن حجر ١١ / ٣٤٤.

(٣) نقل ذلك عنه ابن حجر في فتح الباري ١١ / ٣٤٤.

(٤) جامع العلوم والحكم ٣٧٥.

(٥) إحياء علوم الدين ٣ / ٢٩٩، والزواجر ١ / ٤٥.

إذا قصد تعظيم غير الله تعالى، وعلم بذلك أن المرائي إنما حدث له هذا النوع من الشرك بتعظيمه قدر المخلوق عنده حتى حمّله ذلك على الركوع والسجود، فكأن المخلوق هو المعظم بالسجود من وجه، وذلك غاية الجهل<sup>(١)</sup>.

### أقسام الرياء:

ذكر الغزالي: أن الرياء بحسب ما يراعى به خمسة أقسام:

**الأول:** الرياء في الدين بالبدن، وذلك بإظهار التحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد، وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة.

أما رياء أهل الدنيا فيكون بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة، وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء.

**الثاني:** الرياء بالهيئة والزّي، وذلك بتشعيث شعر الرأس، وإبقاء أثر السجود على الوجه، وغلظ الثياب وتقصير الأكمّام وترك تنظيف الثوب وتركه محرّقا، كلّ ذلك لإظهار أنه متّبع للسنة. أما مراعاة أهل الدنيا فبالثياب النفيسة، والمراكب الرفيعة وأنواع التوسّع والتجمل في الملابس والمسكن.

**الثالث:** الرياء بالقول، ويكون من أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار لإظهار غزارة العلم، ومن ذلك تحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمامهم.

وأما أهل الدنيا فيكون رياءؤهم بحفظ الأشعار والأمثال، والتفصيح بالعبارات، وحفظ الغريب من النحو واللغة للإغراب على أهل الفضل.

**الرابع:** الرياء بالعمل، وذلك كمراعاة المصلي بطول القيام والركوع والسجود ونحو ذلك.

أما أهل الدنيا فمراعاتهم بالتبختر والاختيال وغيرهما ممّا يدلّ على الجاه والحشمة.

**الخامس:** المراعاة بالأصحاب والزّائرين، كأن يطلب المرائي من عالم أن يزوره ليقال: إنّ فلانا قد زار فلانا، ومن ذلك كثرة ذكر الشيوخ.

قال الغزالي: فهذه الخمسة هي مجامع ما يراعى به المرءون، وكلّهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد.

(١) باختصار وتصرف عن الزواجر لابن حجر ١ / ٤٤.

**درجات الرياء:**

للرياء بحسب قصد المرآئي أربع درجات:

**الأولى:** وهي أغلظها ألا يكون مراده الثواب أصلا، كالذي يصلي أمام الناس، ولو انفرد فإنه لا يصلي، وربما دفعه الرياء إلى الصلاة من غير طهر.

**الثانية:** أن قصده للثواب أقل من قصده لإظهار عمله. وهذا النوع قريب مما قبله في الإثم.

**الثالثة:** أن يتساوى قصد الثواب وقصد الرياء، بحيث إن أحدهما وحده لا يبعثه على العمل، ولكن لما اجتمع القصدان انبعثت فيه الرغبة في العمل، وهذا قد أفسد بمقدار ما أصلح، وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم (من العقاب).

**الرابعة:** أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه، ولو لم يكن ذلك ما ترك العبادة، وهذا النوع لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب صاحبه على مقدار قصد الرياء، ويثاب على مقدار قصد الثواب<sup>(١)</sup>.

**حكم الرياء:**

ذكر الذهبي الرياء ضمن الكبائر، وذكر أدلة ذلك من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح<sup>(٢)</sup>، وعده ابن حجر الكبيرة الثانية بعد الشرك بالله، وقال: شهد بتحريمه الكتاب والسنة وانعقد عليه إجماع الأمة، وبعد أن أشبع القول في ذكر أدلة تحريمه قال: المعنى في تحريمه وكونه كبيرة وشركا مقتضيا للعن أن فيه استهزاء بالحق تعالى، ومن ثم كان الرياء من كبائر الكبائر المهلكة ولذلك سماه الرسول ﷺ: «الشرك الأصغر»، وفي الرياء أيضا تلبس على الخلق لإيهام المرآئي لهم أنه مخلص مطيع لله تعالى وهو بخلاف ذلك<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن حجر أيضا: إذا أطلق لفظ الرياء - شرعا - فالمراد الرياء المذموم (وهو العبادة التي يراد بها غير وجه الله تعالى)، وقد يطلق الرياء على أمر مباح وهو طلب نحو الجاه والتوقير بغير عبادة<sup>(٤)</sup>، كأن يقصد بزينة لباسه الثناء عليه بالنظافة والجمال ونحو ذلك، ووجه عدم حرمة هذا

(١) باختصار وتصرف عن إحياء علوم الدين ٣ / ٢٩٧ - ٣٠٢.

(٢) انظر الكبيرة السابعة والثلاثين في كتاب الكبائر للذهبي ص ١٥٤ ١٥٧. ولم نذكر ما أورده الذهبي هنا لأنه لم يخرج عما ورد من الآيات والأحاديث والآثار المذكورة في هذه الصفة.

(٣) الزواجر ٢ / ٤٤.

(٤) انظر رياء أهل الدنيا في الأقسام التي ذكرها الغزالي للرياء بحسب الشيء المرآى به.

النوع أنه ليس فيه ما في الرياء المحرّم من التلبّس بالدّين والاستهزاء برّب العالمين. وأقبح أنواع الرياء ما تعلّق بأصل الإيمان وهو شأن المنافقين، يلي ذلك المراءاة بأصول العبادات الواجبة، كأن يعتاد تركها في الخلوة، ويفعلها في الملاء خوف المذمّة، وهذا يؤدّي إلى أعلى أنواع المقت، يلي ذلك المراءاة بالتواضع التي يفعلها المرآئي باعتياد أمام النّاس ويرغب عنها في الخلوة، ويلي ذلك في القبح المراءاة بأوصاف العبادات كتحسينها وإظهار الخشوع فيها في الملاء والاقتصار في الخلوة على أدنى درجاتها<sup>(١)</sup>.

### معالجة الرياء:

قال الغزالي ما خلاصته: لا يستطيع أحد أن يجمع الرياء إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوّة الشّهوات، ويكون ذلك بأمرين:

الأول: قلع عروقه واستئصال أصوله وهي: لذّة المحمّدة والفرار من ألم الدّم، والطّمع فيما في أيدي النّاس، وهذه الثلاثة راجعة إلى حبّ المنزلة والجاه.

الثاني: أن يشمّر الإنسان عن ساعد الجدّ لدفع ما يعرض من خاطر الرياء، وخوابره ثلاثة أيضا وهي: العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم، ثم هيجان الرّغبة من النّفس في حمدهم، وحصول المنزلة عندهم، ويعقب ذلك هيجان الرّغبة في قبول النّفس له (أي الحمد والمنزلة) والرّكون إليه وعقد الصّميم على تحقيقه، والخاطر الأوّل يسمّى معرفة، والثاني رغبة وشهوة، والثالث هو العزم وكمال القوّة في دفع الخاطر الأوّل قبل أن يعقبه الثاني، فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قال: مالي وللخلق علموا أو لم يعلموا، والله عالم بحالي فأني فائدة في علم غيره؟ فإن هاجت الرّغبة إلى لذّة الحمد فعليه أن يذكر تعرّض المرآئي للمقت عند الله يوم القيامة وخيبته - في أحوج أوقاته - إلى أعماله، وعندئذ تثور عنده كراهة للرياء تقابل تلك الشّهوة إذ يتفكّر في تعرّضه لمقت الله وعقابه الأليم، الشّهوة تدعوه إلى القبول والكراهة تدعوه إلى الإباء والنّفس تطاوع - لا محالة - أقواهما ويتضح من ذلك أنه لا بدّ في ردّ الرياء الذي خطر أثناء العبادة من المعرفة والكراهة والإباء.

### أما من الناحية العملية:

فإنّ دفع الرياء يستلزم من المرء أن يعوّد نفسه إخفاء العبادات، وإغلاق الأبواب دونها، كما

(١) باختصار وتصرف عن الزواجر لابن حجر ١/ ٤٣ - ٤٦.

تغلق الأبواب دون الفواحش، حتى يقنع قلبه بعلم الله ولا تنازعه نفسه بطلب علم غير الله به، وهذا وإن كان يشق في البداية إلا أنه يهون بالصبر عليه ويتواصل الطاف الله ﷻ وما يمدّ به عباده من التأييد والتسديد<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: المن - الأذى - الغرور - الكبر والعجب - النفاق - الكذب.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإخلاص - الإيمان - الإحسان - الصدق - المروءة - النبيل].

\*\*\*

### من مضار (الرياء)

- (١) الرياء محبط للأعمال مضيق لثوابها.
- (٢) الرياء سبب للمقت عند الله، والمرائي ملعون ومطروود من رحمة الله تعالى.
- (٣) الرياء من كبائر المهلكات<sup>(٢)</sup>.
- (٤) الرياء دليل على غاية جهل المرائي.
- (٥) الرياء غصن من شجرة في القلب ثمرها في الدنيا الخوف والغم وضيق الصدر وظلمة القلب، وثمرها في الآخرة الزقوم والعذاب المقيم<sup>(٣)</sup>.
- (٦) الرياء يجلب الفقر ويعرض صاحبه للفتن.
- (٧) الرياء يفضح أصحابه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة.
- (٨) يضاعف الله عذاب المرأين من القراء فيجعلهم في وادي الحزن في جهنم وساءت مصيرا.
- (٩) الرياء يحول العمل الصالح إلى نقيضه فيحمل صاحبه به وزرا بدلا من أن يكون له أجرا أو يكون عليه سترا.
- (١٠) لا يسلم المرائي من أن يفتضح أمره في الدنيا فيسقط من أعين الناس وتذهب هيئته، ناهيك عن حسرته يوم القيامة.
- (١١) يظهر الله عيوب المرائي ويسمعه المكروه جزاء ما قدّمت يداه.

(١) بتصرف عن إحياء علوم الدين ٣ / ٣١٠ - ٣١٤.

(٢) ذكر هذه المذام الثلاثة ابن حجر في الزواجر ١ / ٤٧، والغزالي في الإحياء ٣ / ٣١٠، وقد أعدنا صياغتها فقط تمشيا مع أسلوب الموسوعة في عرض المذام أو المضار.

(٣) هذا التشبيه لابن القيم - رحمه الله تعالى - أما بقية أغصان هذه الشجرة البائسة فالشرك والكذب، انظر الفوائد ص ٢٢٦.

## الزنا

## الزنا لغة:

مصدر قولهم: زنى يزني زنا وزناء (بالقصر لغة الحجاز وبالمد لغة تميم)، وهو مأخوذ من مادة (ز ن ي) التي تدل على الوطء المحرم، يقال: هو زان بين الزنا، وخرجت فلانة تزاني وتباغي أي تفجر (وتحل لنفسها ما حرمه الله) وزناه تزنية: نسه إلى الزنا. والأصل في الزناء الضيق، ومنه الحديث: لا يصلين أحدكم وهو زناء، أي مدافع للبول، ويقال: من ذلك زنا الموضع يزنو أي ضاق، وهو لغة في يزناً.

وقال ابن منظور: الزنا يمد ويقصر، فتقول: زنى الرجل يزني زنى مقصور، وزناء ممدود وكذلك المرأة، ومثله زانى مزانة وزناء. والزنا: البغاء. يقال: امرأة تزاني مزانة وزناء أي تباغي، أما إذا قيل: زناه تزنية فمعناه نسه إلى الزنى أي قذفه به. وقال له: يا زان، كما يقال زانى المرأة مزانة وزناء. قال اللحياني قيل لابنة الخس: ما أزنالك؟ قالت: قرب الوساد، وطول السواد. ومعناه: ما حملك على الزنى؟<sup>(١)</sup>

## واصطلاحاً:

قال الراغب: الزنا هو وطء المرأة من غير عقد شرعي<sup>(٢)</sup>.  
وقال الجرجاني: الزنا: الوطء في قبل خال عن ملك أو شبهة<sup>(٣)</sup>.  
وقال المناوي: الزنا شرعاً هو إيلاج الحشفة (أو قدرها من مقطوعها) بفرج محرّم لعينه (وذلك بخلاف المحرّم لعارض كالحيض ونحوه) خال عن الشبهة مشتبه<sup>(٤)</sup>.  
وقال الكفوي: الزنا اسم لفعل معلوم وإيلاج فرج (ذكر) في محل محرّم مشتبه يسمى قبلاً، ومعناه قضاء شهوة الفرج بسفح الماء (المني) في محل محرّم مشتبه من غير داعية الولد حتى إنّه ليسمى الزاني سفاحاً<sup>(٥)</sup>.

(١) لسان العرب (٣/ ١٨٧٥، ١٨٧٦). ومقاييس اللغة (٣/ ٢٦)، وانظر الصحاح (٦/ ٢٣٦٩)، القاموس المحيط (٤/

٣٣٩) أساس البلاغة (١٩٦).

(٢) المفردات (٢٢٠).

(٣) التعريفات (١٢٠).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (١٨٧)، وقد ذكر أيضاً ما ذكره الجرجاني من تعريف الزنا.

(٥) الكليات (٤٨٩).

وقال في نهاية المحتاج: هو إيلاج الذكر بفرج محرّم لعينه خال عن الشبهة مشتبه طبعاً<sup>(١)</sup>.

### خبث الزنا:

وأوضح ابن القيم - رحمه الله تعالى - مدى خبث الزنا واللواط فقال: «وسم الله سبحانه الشرك والزنا واللواط بالنجاسة والخبث في كتابه دون سائر الذنوب، وإن كانت جميعاً تشتمل على ذلك، لكن الله ﷻ خص هذه الذنوب لغلظها فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، وقال في حق اللواط: ﴿وَلَوْطًا ءَايَنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]، كما ذكر عن اللواطية أنفسهم أنهم نفوا عن أنفسهم الطهارة فقال: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنطَهَرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

وأما الزنا فجاء وصفهم صريحاً فقال تعالى: ﴿الْحَيْثُتُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ لِلْحَيْثَاتِ﴾ [النور: ٢٦]، والمقصود الآن بيان ما في الزنا واللواط من نجاسة وخبث أكثر وأغلظ من سائر الذنوب ما دون الشرك، وذلك لأنها تفسد القلب وتضعف توحيده جداً. ولهذا كان أحظى الناس بهذه النجاسة أكثرهم شركاً، فكلما كان الشرك في العبد أغلب كانت هذه النجاسة والخبث فيه أكثر وكلما كان العبد أعظم إخلاصاً كان منها أبعد، فليس في الذنوب أفسد للقلب والدين من هاتين الفاحشتين، ولهما خاصية في إبعاد القلب من الله فإذا انصبغ القلب بهما بعد من الله الطيب الذي لا يصعد إليه إلا الطيب<sup>(٢)</sup>.

وقال الذهبي رحمه الله: النظرة بشهوة إلى المرأة والأمرد زنا، ولا أجل ذلك بالغ الصالحون في الإعراض عن المردان<sup>(٣)</sup> وعن النظر إليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم. وكان يقال: لا يبيتن رجل مع أمرد في مكان واحد. وحرّم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد في بيت أو حانوت أو حمام قياساً على المرأة؛ لأن النبي ﷺ قال «ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما» وفي المردان من يفوق النساء بحسنه فالفتنة به أعظم، وأنه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن في حق النساء، ويتسهّل في حقه من طريق الرية والشر ما لا يتسهّل في حق المرأة، فهو بالتحريم أولى.

وأقارب السلف في التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر وجاء رجل إلى

(١) نهاية المحتاج (٧/ ٤٠٢، ٤٠٣).

(٢) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (٧٨-٨٢) بتصرف.

(٣) المردان: جمع أمرد وهو الشاب الوسيم الذي لم تنبت له لحية.

الإمام أحمد - رحمه الله تعالى ومعه صبي حسن، فقال الإمام: ما هذا منك؟ قال: ابن أختي. قال: «لا تجأ به إلينا مرة أخرى، ولا تمش معه في طريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوءاً»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام ابن حجر: عدّ الزنا من الكبائر هو ما أجمعوا عليه واختلف في أيهما أشنع وأقبح، هل القتل أو الزنا؟ والصحيح أنّ الذي يلي الشرك في الكبائر هو القتل (أي قتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق) ثمّ الزنا، وأفحش أنواعه الزنا بحليلة الجار، والزنا أكبر إثما من اللواط، لأنّ الشهوة داعية إليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم الضرر بكثرته، ولما يترتب عليه من اختلاط الأنساب، وبعض الزنا أغلظ من بعض، فالزنا بحليلة الجار، أو بذات الرحم، أو بأجنبية في شهر رمضان، أو في البلد الحرام، فاحشة مشينة، وأما ما دون الزنا الموجب للحدّ فإنّه من الصغائر إلا إذا انضاف إليه ما يجعله كبيرة كأن يكون مع امرأة الأب أو حليلة الابن أو مع أجنبية على سبيل القهر والإكراه<sup>(٢)</sup>.

### مراتب القبح في الزنا:

قال ابن حجر: الزنا له مراتب (متفاوتة) فهو بأجنبيّة لا زوج لها عظيم، وأعظم منه بأجنبيّة لها زوج، وأعظم منه بمحرم، وزنا الثيب أقبح من البكر بدليل اختلاف حدّيهما، وزنا الشيخ لكمال عقله أقبح من زنا الشاب، وزنا الحرّ والعالم لكمالهما أقبح من زنا العبد والجاهل<sup>(٣)</sup>.

### السّفاح والمخادنة:

لقد نهى الدّين الإسلاميّ الحنيف عن كلّ أنواع الزّنا، سرّاً كان أو جهراً، وسواء كان احترافاً أو مجرد نزوة، من حرّة أو من أمة، من مسلمة أو غير مسلمة، كما نهى أيضاً عن الخطوات التي تسبقه وتؤدّي إليه من نحو المخادنة والمصادقة، وقد سوّى في ذلك بين الرّجال والنّساء، فقال تعالى: ﴿غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥]، وقال عزّ من قائل: ﴿غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥]، وقد عدّ العلماء كلا الأمرين أي السّفاح والمخادنة من الزّنا المحرّم، يقول النّيسابوريّ: السّفاح: هو الزّنا على سبيل الإعلان.

(١) الكبائر (٥٨ - ٥٩) بتصرف يسير.

(٢) الزواجر (٥٤١ - ٥٥٤) باختصار وتصرف.

(٣) المرجع السابق (٤٥٥).

والمخادنة: هي اتّخاذ خدن (أي خليل أو صديق) على سبيل الإسرار<sup>(١)</sup>.  
وقال الطّبري: غير مسافحين: أي غير معالنين بالسّفاح (الزّنا) بكلّ فاجرة ولا متّخذي  
أخدان أي ولا منفردين ببغيّ واحدة، ومعنى خادنها: اتّخذها لنفسه صديقة ليفجر بها، وذات  
الخدن: أي ذات الخليل الواحد<sup>(٢)</sup>.

وقال القرطبي: غير مسافحات: أي غير معلّات بالزّنا، لأنّ الجاهليّة كان فيهم الزّواني في العلانية  
ولهنّ رايات منصوبة كراية البيطار، وذوات الأخدان هنّ اللّاتي يتّخذن أصدقاء على الفاحشة.  
وكانت العرب تعيب الإعلان بالزّنا ولا تعيب اتّخاذ الأخدان، ثمّ رفع الإسلام جميع  
ذلك<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن كثير في تفسير آية [المائدة: ٥]: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾: كما شرط  
الإحصان في النّساء وهي العفّة عن الزّنا، كذلك شرطها في الرّجال، وهو أن يكون الرّجل محصّنا عفيفا،  
ولذلك قال: ﴿غَيْرَ مُسَفِّحِينَ﴾ وهم الزّناة الذين لا يرتدعون عن معصية ولا يردّون أنفسهم عمّن  
جاءهم، ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾: أي ذوي العشيقات الذين لا يفعلون إلّا معهم<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: إطلاق البصر - التبرج - الدياثة - الإغواء - الفجور - الفحش -  
الذّف - اتباع الهوى - الفسوق - الغي والإغواء - الفساد - العصيان - الفتنة.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: العفّة - تعظيم الحرمات - حفظ الفرج - الشرف - غض البصر -  
الغيرة].

\*\*\*

### من مضار (الزّنا)

- (١) الزّنا يجمع خلال الشّر كلّها من قلة الدّين وذهاب الورع وفساد المروءة وقلة الغيرة.
- (٢) في الزّنا غضب الرّبّ تبارك وتعالى بانتهاك حرمة وإفساد خلقه.

(١) رغائب الفرقان (على هامش الطبري) مجلد ٤ ج ٦ ص ٦٣.

(٢) تفسير الطبري مجلد ٤ ج ٦ ص ٧٠-٧١.

(٣) تفسير القرطبي (٥/ ١٢٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢).

- (٣) من أضرار الزنا خبث النفس وإذهاب الحياء ورفع الحشمة.
- (٤) سواد وجه الزاني وظلمته وما يعلوه من الكآبة والمقت الذي يبدو عليه للنّاظرين.
- (٥) ظلمة القلب وطمس نوره.
- (٦) الفقر اللازم لأنّ الله ﷻ مفقر الزّناة.
- (٧) الزّنا يذهب حرمة فاعله ويعرّضه للحدّ في الدّنيا والعذاب الأليم في الآخرة.
- (٨) الزّنا يسلب الزّاني أحسن الأسماء، وهي العفّة والبرّ والأمانة، ويعطيه أصدادها كالفاجر والفاسق والزّاني والخائن.
- (٩) يفارق الزّاني وصف «الطّيّب» الذي يتّسم به أهل العفاف، ويتبدّل به الخبث الذي يتّصف به الزّناة، وقد حرّم الله الجنّة على كلّ خبيث وجعلها مأوى للطّيّبين<sup>(١)</sup>.
- (١٠) من أضرار الزّنا على المجتمع اختلاط الأنساب واشتباها ويؤدّي إلى ضيق في الأرزاق وخراب في الدّيار، وإيقاع الوحشة بين أبناء المجتمع.
- (١١) يسبّب الزّنا ظهور أمراض وبلايا لا يعلمها إلّا الله ﷻ ومنها مرض فقد المناعة (الإيدز) الذي شاع في المجتمعات الفاجرة هذه الأيام.
- (١٢) في زنا الزّاني جناية على ذرّيته بجلب العار والخزي لهم من ناحية، وتعريضهم - إلّا من رحم الله - لمثل هذه الفعلّة السّائنة من ناحية أخرى.

### الزّندقة

#### الزّندقة لغة:

الزّندقة كلمة معرّبة من اللّغة الفارسيّة استعملها العرب منذ فترة مبكّرة في التّاريخ الإسلاميّ للتّعبير عن طائفة من الملاحدة، وقد شقّت طريقها إلى المعجم العربيّ منذ القرن الثّاني للهجرة فقال عنها الخليل في أقدم معجم عربيّ (هو كتاب العين): زندقة الزّنديق: ألا يؤمن بالآخرة وبالربوبية<sup>(٢)</sup>، وقيل: هو الذي لا يؤمن بالآخرة ووحدانيّة الخالق<sup>(٣)</sup>.

(١) (بتصرف) من غذاء الألباب (١/ ٤٤٣).

(٢) كتاب العين (٥/ ٢٥٥).

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (٩/ ٤٠٠).

وقال الجوهريّ: الزنديق من الثنويّة<sup>(١)</sup>، وهو معرّب، والجمع: الزنادقة، والهاء (أي التاء الموقوف عليها بالهاء) عوض من الياء المحذوفة، وأصله زناديق، (والفعل من ذلك) تزندق، والاسم: الزندقة<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن منظور: الزنديق: القائل ببقاء الدهر، وهو بالفارسيّة: (زندكراي) أي يقول بدوام بقاء الدهر، والزندقة: الضيق، وقيل الزنديق منه لأنّه ضيق على نفسه، وقال أحمد بن يحيى (ثعلب): ليس زنديق من كلام العرب (بالمعنى الديني المعروف للزندقة)، وإنما تقول العرب: رجل زندق وزندقيّ إذا كان شديد التخيل، فإذا أرادت العرب معنى ما تقوله العامّة (أي المعنى الديني) قالوا: ملحد، ودهريّ<sup>(٣)</sup>، وإذا أرادوا السنّ (أي النسبة إلى الدهر بمعنى الزمن) قالوا: دهريّ، وقد ذكر ابن دريد أنّ الأصل الفارسيّ للكلمة هو «زند» أي يقول بدوام بقاء الدهر<sup>(٤)</sup>.

### الزندقة اصطلاحاً:

قال التهانويّ: الزنديق: هو الثنويّ القائل بإلهين منهما يكون النور والظلمة ويسمّيهما: يزدان، وأهريمن، الأوّل: خالق الخير، والثاني: خالق الشرّ يعني الشيطان، (وقيل) هو الذي لا يؤمن بالحقّ تعالى وبالأخرة، وقيل: هو الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر، وقال بعضهم: إنّهُ معرّب.. «زنديق»<sup>(٥)</sup> أي من يكون له دين النساء، والصحيح المعنى الأوّل وهو معرّب «زندقيّ» أي من يؤمن بالزند الذي هو كتاب زرادشت، والقائل بوجود يزدان، وأهريمن، والزنادقة فرقة متشبهة بمبطلّة متّصلة بالمجذوبين<sup>(٦)</sup>.

### حكم الزندقة:

الزندقة كفر، والزنديق كافر، لأنّه مع وجود الاعتراف بنبوّة سيّدنا محمد ﷺ يكون في عقائده كفر وهذا بالاتّفاق<sup>(٧)</sup>.

(١) الثنويّة: فرقة تؤمن بوجود إلهين أحدهما للنور والآخر للظلمة (انظر تعريف الزندقة اصطلاحاً).

(٢) الصحاح «زن ق» (٤/ ١٤٨٩).

(٣) لسان العرب (زن ق) (ص ١٨٧١) ط. دار المعارف.

(٤) التهذيب (٩/ ٤٠٠).

(٥) زن في الفارسية تعني امرأة.

(٦) كشف اصطلاحات الفنون (٣/ ١١٧).

(٧) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

## حقيقة الزنادقة:

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - : الزنادقة جمع زنديق، وقال: قال أبو حاتم السجستاني وغيره: الزنديق: فارسيّ معرّب أصله «زنده كرداي» يقول بدوام الدهر لأنّ (زنده) الحياة و (کرد) العمل، ويطلق على من يكون دقيق النظر في الأمور. وقال ثعلب: ليس في كلام العرب زنديق وإنما قالوا زنديقيّ لمن يكون شديد التحيل، وإذا أرادوا ما تريد العامة قالوا ملحد ودهريّ أي يقول بدوام الدهر، وقال الجوهريّ: الزنديق من الثنوية. وفسره بعض الشراح بأنّه الذي يدعي أنّ مع الله إلهاً آخر، وتعقب بأنّه يلزم منه أن يطلق على كلّ مشرك. ثم قال: والتحقيق أنّ أصل الزنادقة أتباع ديصان ثمّ ماني ثمّ مزدك.

وحاصل مقالاتهم أنّ النور والظلمة قديمان وأنهما امتزجا فحدث العالم كلّ منهما، فمن كان من أهل الشرّ فهو من الظلمة ومن كان من أهل الخير فهو من النور. وأنّه يجب السعي في تخليص النور من الظلمة فيلزم إزهاق كلّ نفس. وكان بهرام جدّ كسرى تحيّل على ماني حتّى حضر عنده وأظهر له أنّه قبل مقاتلته ثمّ قتله وقتل أصحابه وبقيت منهم بقيّة أتبعوا مزدك، وقام الإسلام والزنديق يطلق على من يعتقد ذلك، وأظهر جماعة منهم الإسلام خشية القتل ومن ثمّ أطلق الاسم على كلّ من أسر الكفر وأظهر الإسلام حتّى قال مالك: الزنادقة ما كان عليه المنافقون وكذا أطلق جماعة من الفقهاء الشافعية وغيرهم أنّ الزنديق هو الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر.

ونقل ابن حجر عن النوويّ قوله: الزنديق الذي لا ينتحل ديناً.

ونقل أيضاً عن محمّد بن معن قوله: الزنادقة من الثنوية يقولون ببقاء الدهر وبالتناسخ. قال: ومن الزنادقة: الباطنية، وهم قوم زعموا أنّ الله خلق شيئاً ثمّ خلق منه شيئاً آخر. فدبر العالم بأسره ويسمونها العقل والنفس وتارة العقل الأوّل والعقل الثاني، وهو من قول الثنوية في النور والظلمة إلا أنّهم غيروا الاسم، وقال محمّد بن معن ولهم مقالات سخيفة في النبوات وتحريف الآيات وفرائض العبادات، وقد قيل إنّ سبب تفسير الفقهاء الزنديق بما يفسر به المنافق قول الشافعيّ في كتابه «المختصر»: وأيّ كفر ارتدّ إليه ممّا يظهر أو يسرّ من الزنادقة وغيرها ثمّ تاب سقط عنه القتل، وهذا لا يلزم منه اتّحاد الزنديق والمنافق بل كلّ زنديق منافق ولا عكس. وكان من أطلق عليه في الكتاب والسنة المنافق يظهر الإسلام ويبطن عبادة الوثن أو اليهودية، وأمّا الثنوية فلا يحفظ أنّ أحداً منهم أظهر الإسلام في العهد النبويّ. والله أعلم<sup>(١)</sup>.

(١) الفتح (١٢ / ٢٨٢ - ٢٨٣)، ونيل الأوطار للشوكاني (٨ / ٤).

## أصل الزندقة:

قال ابن كمال باشا: وأما الذي ذهب إليه صاحب القاموس من أن كلمة زنديق معرّب (زنده) فلا وجه له كما لا يخفى، و (زنده) اسم كتاب أظهره مزدك. ودين الزنادقة خارج عن الأديان السماوية كلّها وما في كتابهم من إباحة الأموال والنساء والحكم باشتراك الناس فيها كاشتراكهم في الماء والكلاء مخالف لما في الكتب الإلهية كلّها. سمى العرب زنديقا ونسب إلى كتابهم كلّ من خرج عن الأديان السماوية كلّها بالإنكار بواحد أو أكثر من أصول الدين التي اتفقت عليها الأديان السماوية كلّها سواء كان ما أنكره وجود الباري - عز اسمه - فيوافق الدهريّ أو لا.

وكلمة الزنديق في لسان العرب تطلق على من ينفي الباري - عز اسمه - وعلى من يثبت الشريك له وعلى من ينكر حكمته غير مخصوص بالأول كما زعمه ثعلب ولا بالثاني. كما هو الظاهر من كلام الجوهريّ والفرق بينه وبين المرتدّ أنّه قد لا يكون زنديقا كما إذا ارتدّ عن دين الإسلام وتدين بواحد من الأديان السماوية الباطلة. واعتبروا في الزنديق أن يكون مبطنا للكفر على ما نقلناه عن العلامة الشيرازيّ. وذلك القيد غير معتبر في مفهوم المرتدّ فاتسعت دائرة الفرق، ومع هذا فالنسبة بينهما على حالهما، وفي الزنديق قيد آخر اعتبره أيضا أهل الشرع وبه أيضا يفارق المرتدّ وهو أن يكون معترفا بنبوة نبيّنا ﷺ على ما صرح به العلامة التفتازانيّ في شرحه للمقاصد حيث قال في تفصيل فرق الكفار: قد ظهر أن الكافر اسم لمن لا إيمان له، فإن أظهر الإيمان خصّ باسم المنافق وإن كفر بعد الإسلام خصّ باسم المرتدّ لرجوعه عن الإسلام، وإن قال بالهين وأكثر خصّ باسم المشرك لإثباته الشريك في الألوهية، وإن كان متديّنا ببعض الأديان والكتب المنسوخة خصّ باسم الكتابيّ كاليهوديّ والنصرانيّ، وإن كان يقول بقدم الدهر وإسناد الحوادث إليه خصّ باسم الدهريّ، وإن كان لا يثبت الباري تعالى خصّ باسم المعطلّ، وإن كان مع اعترافه بنبوة النبيّ ﷺ وإظهاره عقائد الإسلام يطن عقائد هي كفر بالاتفاق خصّ بالزنديق. إلا أن أهل الشرع إنّما اعتبروا القيد المذكور في الزنديق الإسلاميّ لا في مطلق الزنديق لأنّه قد يكون من المشركين، وقد يكون من أهل الذمّة.

## الفرق بين الزنديق وغيره من أصناف الكفار:

وأما الفرق بين الزنديق والمنافق مع اشتراكهما في إبطان الكفر: هو أن الزنديق معترف بنبوة نبيّنا ﷺ، دون المنافق وهذا الفرق بين الزنديق من أهل الإسلام والمنافق الاصطلاحيّ. وأما الفرق بين الزنديق والدهريّ فيما ذكر فإنّ الدهريّ ينكر استناد الحوادث إلى الصانع المختار بخلاف الزنديق. وأما الفرق بينه وبين الملحّد الذي يعتبر أيضا - من زمرة الكفرة على ما دلّ قول

حافظ الدين الكردي في فتاواه: لو قال أنا ملحد يكفر فيما أنّ الاعتراف بنبوته ﷺ معتبر في الزنديق دون الملحد وإن لم يكن عدم الاعتراف دون الملحد وإن لم يكن بالعدم أيضا معتبرا فيه. وبهذا أي بعدم اعتبار القول بعدم الصانع المخترار في الملحد يفارق الملحد الدهري.

### أحكام الزنادقة:

وقال الآمدي في أبحار الأفكار: حكم أموال الزنادقة حكم المرتدين فلا تقبل منهم جزية ولا تنكح نسأؤهم ولا دية على قاتل واحد منهم، فإن استرقّ لحق واحد منهم بدار الحرب وسبي، ولو تاب واحد منهم فإن كان ذلك ابتداء منه غير خوف قبلت توبته، وإن كان ذلك خوفا من القتل بعد الظهور على بدعته فقد اختلف في قبول توبته فقبلها الشافعي وأبو حنيفة ومنع من ذلك مالك وبعض أصحاب الشافعي وهو اختيار الأستاذ أبي إسحاق ولو قتل واحد منهم أو مات فما له مخمس عند الشافعي وأبي حنيفة، وعند مالك ماله كله لا خمس فيه. قلت: لا بعد فيه فإنّ الزنديق يمؤه كفره ويروج العقيدة الفاسدة ويخرجها في الصورة الصحيحة وهذا معنى إبطانه الكفر فلا ينافي إظهاره الدعوة إلى الملة الضالة. فالملحد أوسع فرق الكفر جدا، فافهم هذا الفرق.

### أنواع الزندقة:

والزنادقة على ثلاثة أوجه: إمّا أن يكون زنديقا من الأصل على الشرك أو يكون مسلما فتزندق أو يكون ذميا فتزندق. ففي الوجه الأول يترك على شركه، وفي الوجه الثاني يعرض عليه الإسلام فإن أسلم وإلا قتل لأنه مرتد، وفي الوجه الثالث يترك على حاله لأن الكفر ملة واحدة<sup>(١)</sup>.  
[للاستزادة: انظر صفات: الإلحاد- الردة- الشرك- الكفر- الضلال- النفاق- الرياء- اتباع الهوى- الفجور- الإعراض- التفريط والإفراط.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإيمان- الإسلام- الثبات- الهدى- اليقين].

\*\*\*

### من مضار (الزندقة)

(١) شيوع الزندقة يغري ضعاف الإيمان (٢) انتشار المعصية، فليس بعد الكفر ذنب،  
بالانزلاق إليها. ومن ثمّ يسهل على الزنديق ارتكابها.

(١) مخطوط جزء من مجموع رسالة الزنديق لابن كمال باشا (١٥٧-١٦٣) باختصار.

(٣) اضطراب المجتمع، فإن الزنادقة لا يحكمهم (٤) انصراف الناس إلى الشهوات وتلبية دعوة مبدأ، ومن ثم فإنهم يفعلون ما تدعوهم إليه الهوى يضعف المجتمع فيطمع فيه أعداؤه أهواؤهم بغير رعاية لحقوق الآخرين. ويستولون عليه ويسلبون عزته وكرامته.

## السحر

### السحر لغة:

مصدر قولهم: سحره يسحره أي خدعه، وهو مأخوذ من مادة «سحر» التي تدل على أصول ثلاثة، يقول ابن فارس: السين والحاء والراء أصول ثلاثة متباينة: أحدها عضو من الأعضاء، والآخر خدع وشبهه، والثالث: وقت من الأوقات.

فالعضو: السحر، وهو ما لصق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن. وأما الثاني فالسحر، قال قوم: هو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال، هو الخديعة... وأما الوقت فالسحر والسحرة وهو قبل الصبح، وجمع السحر أسحار.

ويقال سحره إذا خدعه، وكذلك إذا علله، والتسحير مثله، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣] يقال: المسحَّر: الذي خلق ذا سحر. ويقال: من المعلنين، والسحر: عمل تقرب فيه إلى الشيطان، وبمعونة منه، كل ذلك الأمر كينونة للسحر، ومن السحر الأخذ التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر، كما يرى، وليس الأمر على ما يرى وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر، والجمع أسحار وسحور. وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره فكأن الساحر - لما أرى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته - قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه. والعرب إنما سمّت السحر سحرا لأنه يزيل الصحة إلى المرض، وإنما يقال سحره أي أزاله عن البغض إلى الحب، وقال الكميت:

وقاد إليها الحب فانقاد صعبه بحب من السحر الحلال التحبب

ورجل ساحر من قوم سحرة وسحار، وسحار من قوم سحارين.

والسحر البيان في فطنة، وقد جاء في الحديث «إن من البيان لسحرا» قال ابن الأثير: أي منه ما يصرف قلوب السامعين، وإن كان غير حق، وقيل: معناه أن من البيان ما يكسب من الإثم، ما يكتسبه الساحر بسحره، فيكون في معرض الذم، ويجوز أن يكون في معرض المدح؛ لأنه تستمال به

القلوب، ويرضى به السّاحط، ويستنزل به الصّعب والسّحر: الفساد. وطعام مسحور، إذا أفسد عمله، وأرض مسحورة: أصابها من المطر أكثر ممّا ينبغي، فأفسدها.  
وغيث ذو سحر، إذا كان ماؤه أكثر ممّا ينبغي وسحر المطر الطّين والتراب سحرا، أفسده فلم يصلح للعمل.  
وسحره بكلامه، استماله برقته وحسن تركيبه.. وإذا أطلق ذمّ فاعله، وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح<sup>(١)</sup>.

### السحر اصطلاحا :

قال ابن قدامة رحمته: هو عقد ورقى يتكلّم به أو يكتبه السّاحر أو يعمل شيئا يؤثّر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له.  
وقالا لتّهانويّ: هو الإتيان بخارق عند مزاوله قول أو فعل محرّم في الشّرع أجرى الله سبحانه عنده ابتداء<sup>(٢)</sup>.

وقال الكفويّ: السّحر: كلّ ما لطف مأخذه ودقّ، وهذا في السّحر الحلال<sup>(٣)</sup>، أمّا السّحر الحرام المنهيّ عنه فقد عرفه بقوله: مزاوله النّفوس الخبيثة لأفعال وأحوال يترتب عليها أمور خارقة للعادة لا يتعدّر معارضته، ويطلق على ما يفعله صاحب الحيل بمعونة الآلات والأدوية، وما يريك إياه صاحب خفة اليد<sup>(٤)</sup>.

وقال بعضهم: السّحر: قلب الحواسّ في مدركاتها عن الوجه المعتاد في صحّتها عن سبب باطل لا يثبت مع ذكر الله عليه وقيل: أمر خارق للعادة صادر عن نفس شريرة ولا يتعدّر معارضته<sup>(٥)</sup>.

### السحر حقيقة وتخييل :

قال الرّاعب: السّحر يقال على معان:

الأوّل: الخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعوذ بصرف الأبصار عمّا يفعله

(١) مقاييس اللغة (٣/ ١٣٨)، الصحاح (٢/ ٦٧٩)، اللسان (سحر) (٣/ ١٩٥١، ١٩٥٢).

(٢) المغني لابن قدامة (٨/ ١٥٠).

(٣) الكليات (٤٩٥)، ومن ذلك السحر الكلامي الذي عرفه بقوله: غرابة الكلام ولطافته المؤثرة في القلوب المحولة إياها من حال إلى حال كالسحر (٥١٠).

(٤) الكليات (٥١٠).

(٥) التوقيف (١٩١).

لخفة يد، وما يفعله النمام بقول مزخرف عائق للأسماع، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُبُهُمْ﴾ [الأعراف: ١١٦].

الثاني: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثالث: ما يذهب إليه الأغمات (جمع أغم وهو الذي لا يفصح شيئا) وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته يغير الصور والطبائع فيجعل الإنسان حمارا ولا حقيقة له عند المحصلين.

وقد تصوّر من السحر تارة حسنه فقيل: إن من البيان لسحرا، وتارة دقة فعله حتى قالت الأطباء: الطبيعة ساحرة، وسموا الغذاء سحرا من حيث إنه يدق ويلطف تأثيره<sup>(١)</sup>.

ثم إن السحر يطلق ويراد به الآلة التي يسحر بها، ويطلق ويراد به فعل السحر، والآلة تارة تكون معنى من المعاني فقط، كالرقى والنفت في العقد وتارة تكون بالمحسوسات كتصوير الصورة على صورة المسحور وتارة بجمع الأمرين: الحسي والمعنوي وهو أبلغ، واختلف في السحر فقيل: هو تخيل فقط ولا حقيقة له.

قال النووي: والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة.

قال المازري: جمهور العلماء على إثبات السحر وأن له حقيقة، ونفى بعضهم حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة، وهو مردود لورود الثقل بإثبات السحر، ولأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص، ونظير ذلك ما يقع من حدائق الأطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعا.

### الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة:

والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة: أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد، والكرامة لا تحتاج إلى ذلك بل إنما تقع غالبا اتفاقا، وأما المعجزة فتمتاز عن

(١) المفردات للراغب (٢٢٦)، والتوقيف على مهمات التعاريف (١٩١).

الكرامة بالتَّحَدِّي، ونقل إمام الحرمين الإجماع على أن السَّحْر لا يظهر إلا من فاسق، وأنَّ الكرامة لا تظهر على فاسق<sup>(١)</sup>.

### حكم السحر:

قال الكفويّ: الصَّحِيح أنَّ تعلّمه حرام مطلقاً لأنّه توَسَّل إلى محظور عنه غنى، وتوقيه بالتَّجَنُّب أصلح وأحوط.

وقال الإمام الذَّهَبِيُّ: السَّاحِر لا بدّ وأن يكفر؛ إذ ليس للشَّيْطَان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السَّحْر إلا ليشرك بالله، وترى خلقاً كثيراً من الضَّلال يدخلون في السَّحْر ويظنّونه حراماً فقط، وما يشعرون أنّه الكفر، وحدّ السَّاحِر: القتل، لأنّه كفر بالله أو مضارع له، وهو من السَّبْع الموبقات، وقد جعل من الشُّرك لاعتقاد الجهّال أن ذلك يؤثّر بخلاف ما قدّر الله تعالى<sup>(٢)</sup> وقد عدّه الإمام ابن حجر ضمن الكبائر، وحدّه عنده: كلّ كلام يغيّر الإنسان أو شيئاً من أعضائه، وهو من كبائر اللِّسان<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التطير - الفساد - الكفر الوهم - انتهاك الحرمات - الضلال - الغي والإغواء.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإيمان - الاستقامة - اليقين - الهدى - تعظيم الحرمات - الصلاح - الأمن من المكر - العفة].

\*\*\*

### من مضار (السحر)

- (١) يفرّق بين المرء وزوجه.
- (٢) السَّاحِر معول هدم في المجتمع.
- (٣) عمل بغيض وخلق ذميم.
- (٤) السَّحْر شرك بالله وكفر به.
- (٥) يغضب الرّبّ ويسخط العبد.
- (٦) يورث خسران الدُّنيا والآخرة.
- (٧) فيه هلاك للسَّاحِر وضرر بالمسحور.

(١) البخاري - الفتح (١٠ / ٢٣٣).

(٢) الكبائر (١٤ - ١٦) باختصار وتصرف يسير.

(٣) الزواجر (١٥).

## السخرية

## السخرية لغة:

هي الاسم من الفعل «سخر» والمصدر من ذلك هو «السَّخِرَ، والمسخر والسَّخِرَ بالضمّ، قال أعشى باهلة:

إِنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لَا أُسْرَبُهَا      مِنْ عَلُو، لَا عَجَبَ مِنْهُ وَلَا سَخِرَ<sup>(١)</sup>  
وكُلُّ ذَلِكَ مَأْخُودٌ مِنْ مَادَّةِ «س خ ر» الَّتِي تَدَلُّ عَلَى «اِحْتِقَارٍ وَاسْتِدْلَالٍ» وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا  
قَوْلُهُمْ: سَخَّرَ اللَّهُ ﷻ الشَّيْءَ، وَذَلِكَ إِذَا ذَلَّلَهُ لِأَمْرِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَمِنْ الْبَابِ سَخَرْتُ مِنْهُ: إِذَا هَزَيْتَ  
بِهِ<sup>(٢)</sup>، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨]، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ يُقَالُ سَخَرْتُ  
مِنْهُ وَسَخَرْتُ بِهِ كَمَا يُقَالُ: ضَحَكَتُ مِنْهُ، وَبِهِ، وَهَزَيْتُ مِنْهُ، وَبِهِ<sup>(٣)</sup>.

وقال الفراء: يقال سخرت منه ولا يقال: سخرت به، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ  
قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، قال: وسخرت منه هي اللّغة الفصيحة وقول الراعي:

تَغْيِيرُ قَوْمِي وَلَا أُسْخِرُ      وَمَا حَمَّ مِنْ قَدْرِ قَدْرِ  
المعنى: لا أسخر منهم<sup>(٤)</sup> وفي الحديث «أسخر مني وأنت الملك أي أتستهزيء بي.  
وقال الفيروزبادي: سياقة إلى الغرض المختصّ به قهرا، والمسخر هو المقيض للفعل،  
والسَّخِرِيُّ: هو الذي يقهر لنا بإرادته، وسخرت منه: أي سخرته للهزء منه، ويقال: رجل سخرة  
لمن يسخر كبرا، وسخرة كصبرة لمن يسخر منه. والسَّخِرِيَّةُ أيضا فعل السَّاخِرِ<sup>(٥)</sup>.

وقول الله ﷻ: ﴿فَاتَّخَذَتْهُمْ سَخِرِيًّا﴾ [المؤمنون: ١١٠] بالضمّ والكسر<sup>(٦)</sup>، حمل على  
التسخير وعلى السَّخِرِيَّةِ، ويدلّ على الوجه الثاني (السَّخِرِيَّةِ) قوله بعده ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ

(١) الصحاح ٢/ ٦٧٩.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ١٤٤.

(٣) الصحاح ٢/ ٦٨٠، وقد حكى ذلك عن أبي زيد- وذكر أن تعديته بالباء أردأ اللغتين.

(٤) لسان العرب ٤/ ٣٥٢.

(٥) بصائر ذوي التمييز ٣/ ٢٠٣.

(٦) هي بالضمّ قراءة حمزة وعاصم والكسائي وبالكسر باقي السبعة (القرطبي ١٢/ ١٥٤).

تَضْحَكُونَ ﴿ [المؤمنون: ١١٠] <sup>(١)</sup>، وقال القرطبي في تفسير هذه الآية: فرّق أبو عمرو وبينهما (أي بين القراءتين) فجعل المكسورة من جهة التّهزؤ، والمضمومة من جهة السّخرة، وقال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد كما يقال عصيّ وعصي، وحكى القرطبي عن بعضهم أنّ الكسر (سخرًا) بمعنى: الاستهزاء والسّخرية بالقول. والضم (سخرًا) بمعنى التّسخير والاستعباد بالفعل <sup>(٢)</sup>. والاستسغار، أن يدعو بعض النّاس بعضًا إلى السّخرية، وبهذا فسّر قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ [الصافات: ١٤] قال الرّمانيّ معناه يدعو بعضهم بعضًا إلى أن يسخر (بها)، وقيل المعنى يسخرون، كما في قولهم: علا قرنه واستعلاه، وعجب من كذا واستعجب <sup>(٣)</sup>، وعلى هذا يكون معنى قول الله تعالى: ﴿ يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ يسخرون ويستهنئون <sup>(٤)</sup>، يقول العلامة ابن كثير في تفسير هذه الآية: ﴿ يَسْتَسْخِرُونَ ﴾: يستهنئون (عن قتادة ومجاهد) <sup>(٥)</sup>، وقال أبو حيّان: يكون استسخر هنا بمعنى المجرد (أي سخر) وقيل فيه معنى الطّلب <sup>(٦)</sup> أي يطلبون أن يكونوا ممّن يسخرون <sup>(٧)</sup>، وقال بعضهم: المعنى هنا هو المبالغة أي إنّهم يببالغون في السّخرية <sup>(٨)</sup>. ويقال رجل سخرة، أي يسخر في الأعمال يتسخره من قهره، وكلّ ما ذلّ وانقاد أو تهيأ لك على ما تريد فقد سخر لك <sup>(٩)</sup>.

#### السّخرية اصطلاحًا:

قال المناويّ: السّخرية هي استزراء العقل معنى، بمنزلة التّسخير <sup>(١٠)</sup> في الفعل حسًا، ونقل عن ابن الكمال قوله: السّخرية تكون من شيء يحقّ عند صاحبه ولا يحقّ عند السّاخر <sup>(١١)</sup>.

#### الفرق بين السّخرية والهزاء:

تغاضى بعض العلماء عن الفرق الدّقيق بين السّخرية والاستهزاء الذي هو ارتياد الهزاء فقال:

(١) بصائر ذوي التمييز ٣ / ٢٠٣.

(٢) تفسير القرطبي ١٢ / ١٥٥.

(٣) المراد ان الاستسغار والسّخرية بمعنى واحد.

(٤) بتصرف يسير من لسان العرب ٤ / ٣٥٣.

(٥) تفسير ابن كثير ٤ / ٤.

(٦) وذلك على أصل معنى صيغة استفعل.

(٧) تفسير البحر المحيط ٧ / ٣٤٠.

(٨) السابق، الصفحة نفسها.

(٩) لسان العرب ٤ / ٣٥٤.

(١٠) في الأصل بمنزلة الاستنخار ولا معنى له هنا، والتصويب مستفاد ممّا ذكره صاحب البصائر.

(١١) التوقيف على مهمات التعاريف (ص ١٩٢) بتصرف يسير.

إنَّ السَّخْرِيَّةَ وَالاسْتَهْزَاءَ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ<sup>(١)</sup> وَعَلَى ذَلِكَ فَسَّرَ كَثِيرُونَ: السَّخْرِيَّةَ بِالاسْتَهْزَاءِ<sup>(٢)</sup>. وَلَكِنَّ الْوَاقِعَ اللَّغَوِيَّ وَتَأْمَلْ مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يُشِيرَانِ إِلَى وَجُودِ نَوْعٍ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا، حَتَّى وَإِنْ كَانَ هَذَا الْفَرْقُ قَدْ يَتَنَاسَى أحياناً فَيَسْتَعْمَلُ أَحَدُهُمَا فِي الْمَعْنَى الَّتِي يَسْتَعْمَلُ فِيهِ الْآخَرُ، وَيَتِمُّثَلُ هَذَا الْفَرْقُ فِي أَنَّ الْهَزْءَ: هُوَ إِظْهَارُ الْجَدِّ وَإِخْفَاءُ الْهَزْلِ فِيهِ<sup>(٣)</sup>، أَيَّ أَنَّهُ يَكُونُ بِالْقَوْلِ الْمَصْحُوبِ بِسُوءِ النِّيَّةِ، وَلَا يَشْتَرَطُ فِيهِ أَنْ يَسْبِقَهُ فِعْلٌ مِنْ أَجْلِهِ يَسْتَهْزَأُ بِصَاحِبِهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْفِعْلِ، أَمَّا السَّخْرِيَّةُ فَإِنَّهَا تَكُونُ بِالْفِعْلِ أَوْ بِالْإِشَارَةِ.

وَتَكُونُ بِالْقَوْلِ<sup>(٤)</sup>، وَيَسْبِقُهَا فِي الْعَادَةِ فِعْلٌ مِنْ أَجْلِهِ يَسْخَرُ بِصَاحِبِهِ، وَيَتَلَخَّصُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ بَيْنَهُمَا فَرْقًا مِنْ جِهَتَيْنِ<sup>(٥)</sup>: الْأُولَى السَّخْرِيَّةُ تَكُونُ بِالْفِعْلِ وَبِالْقَوْلِ، وَالْهَزْءُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْقَوْلِ، الثَّانِيَّةُ: أَنَّ السَّخْرِيَّةَ يَسْبِقُهَا عَمَلٌ مِنْ أَجْلِهِ يَسْخَرُ بِصَاحِبِهِ، أَمَّا الْاسْتَهْزَاءُ فَلَا يَسْبِقُهُ ذَلِكَ<sup>(٦)</sup>.

### الهمز واللمز من السَّخْرِيَّةِ:

قال القرطبي: قال سفيان الثوري: الهمزة: الذي يهمز بلسانه، واللمزة: الذي يلمز بعينه، وقال ابن كيسان: الهمزة الذي يؤذي جلساءه بسوء اللفظ واللمزة: الذي يكسر عينه على جلسائه، ويشير بعينه ورأسه وبحاجبيه<sup>(٧)</sup> (سخرية به).

ويقول يحيى المعلمي: الهمز: هو السَّخْرِيَّةُ مِنَ النَّاسِ بِالْإِشَارَةِ كَتَحْرِيكِ الْيَدِ قَرَبَ الرَّأْسِ إِشَارَةً إِلَى الْوَصْفِ بِالْجَنُونِ، أَوْ الْوِغْضِ بِالْعَيْنِ رَمْزًا لِلْاسْتِخْفَافِ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَاللَّمْزِ: هُوَ السَّخْرِيَّةُ مِنَ النَّاسِ بِالْقَوْلِ، كَتَسْمِيَةِ الشَّخْصِ بِاسْمٍ يَدُلُّ عَلَى عَاهَةِ فِيهِ أَوْ مَرَضٍ، أَوْ اتِّهَامِهِ بِخَلِيقَةٍ سَيِّئَةٍ، أَوْ التَّعْرِيفِ بِذَلِكَ<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر مثلاً: الصحاح للجوهري (١/ ٨٣) حيث فسر الاستهزاء بالسخرية، وغذاء الألباب للسفاريني ١/ ١٣١.

(٢) انظر مثلاً، تفسير ابن كثير ٤/ ٤ حيث فسر يستسخرون ب «يستهزون».

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٣٤٣، وقد ذكر أن المراد بالهزل عرفاً ألا يراد باللفظ معناه الحقيقي ولا المجازي (وإنما يكون كناية عن التحقير).

(٤) انظر مكارم الأخلاق في القرآن الكريم ليحيى المعلمي ص ٣٣٣.

(٥) انظر الفروق لأبي هلال العسكري ص ٢٤٩.

(٦) ذكرنا قبلاً أن الفرق بينهما قد يتناسى فيستعمل أحدهما مكان الآخر، ومن ثم يكون بين السَّخْرِيَّةِ وَالاسْتَهْزَاءِ تَرَادُفٌ جَزْئِيٌّ يَتَّفَقَانِ فِي الْمَعْنَى أحياناً ويفترقان في أحيان أخرى.

(٧) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٨٣، وقد ذكر في الآية الكريمة تفسيرات أخرى، تنظر هناك، وقد نقل عنه الطبري في ج ١٦ ص ٣٢٧ ما يفيد العكس.

(٨) مكارم الأخلاق في القرآن الكريم ليحيى المعلمي ص ٣٣٣.

**التناوب بالألقاب من السخرية:**

قال الطبري - رحمه الله تعالى - التناوب بالألقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعمّ الله بنهيه ذلك، ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض، وغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه أو صفة يكرهها<sup>(١)</sup>، ولما كانت آية السخرية ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، فيما يقوله أنس وابن زيد في نساء النبي ﷺ عيرن صفية بالقصر وقيل: نزلت في عائشة رضي الله عنها أشارت بيدها إلى صفية، (قائلة) يا نبي الله إنها لقصيرة، وقال عكرمة وابن عباس أن صفية بنت حيي قالت: يا رسول الله: إن النساء يعيرنني ويقلن لي: يا يهودية.. إلخ الحديث.

كل ذلك يدل على أن التناوب بالألقاب إنما هو داخل في مفهوم السخرية، كما دخل فيها مفهوم الهمز واللمز. ومن ثم يكون ذكر اللمز والتناوب بعد ذكر السخرية من قبيل ذكر الخاص بعد العام، اهتماما به، ونظير ذلك قول الله تعالى: ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] إذ النخل والرمان من الفاكهة أيضا.

**التهكم والتعير:**

المراد بالتهكم: ما كان ظاهره جدّا وباطنه هزلا، يقول الكفوي: ولا تخلو ألفاظ التهكم من لفظ من الألفاظ الدالة على الذمّ أو لفظة معناها الهجو<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم كان التهكم من السخرية، أما التعير بالفقر أو الذنب أو العلة أو ما شابه ذلك فقد نصوا على أنه من السخرية، يقول الإمام الطبري: «عمّ الله بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السخرية، فلا يحلّ لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره، ولا لذنب ركبه، ولا لغير ذلك»<sup>(٣)</sup>.

**حكم السخرية:**

يفهم من نهي المولى ﷺ عن السخرية بأنواعها المختلفة أنها حرام، يقول الإمام السفاريني: وتحرم السخرية والهزاء لقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ مِنْ قَوْمٍ﴾... الآية<sup>(٤)</sup> ولنهيهِ ﷺ

(١) تفسير القرطبي مجلد ١١ ج ٢٦ ص ٨٥.

(٢) الكلبيات للكفوي ٢ / ٨٧.

(٣) تفسير الطبري مجلد ١١ ج ٢٦ ص ٨٣.

(٤) انظر غذاء الألباب للسفاريني ١ / ١٣٥.

عن ذلك في مواضع عديدة<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الاستهزاء- الإساءة- التحقير- سوء الخلق- الغرور- الكبر والعجب- المن- الأذى- الهجاء- سوء المعاملة.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: تكريم الإنسان البشاشة- حسن الخلق- الرأفة- الرحمة- الصفح طلاقة الوجه- المحبة- النصيحة- الأدب- حسن المعاملة- حسن العشرة].

\*\*\*

### من مضار (السخرية)

- (١) في السخرية مخالفة صريحة لأمر الله ﷻ ثم هي جالبة لسخطه مستوجبة لعذابه.
- (٢) السخرية تفكك عرى المجتمع وتجعل المستسخر به ناقما على السّاحر متربّصا به يحاول الانتقام لنفسه.
- (٣) السخرية نذير شوّم للسّاحرين، فقد كان الغرق عاقبة قوم نوح الذين كفروا بالله وسخروا من نوح.
- (٤) السخرية تفقد السّاحر الوقار وتسقط عنه المروءة.
- (٥) السّاحر يظلم نفسه بتحقير من وقره الله ﷻ واستصغار من عظمه الله.
- (٦) السخرية انتهاك صريح لحقوق الإنسان عامة، ومخلّة بمبدأ تكريم الإنسان على وجه الخصوص.
- (٧) السخرية تميمت القلب وتورثه الغفلة حتّى إذا كان يوم القيامة ندم السّاحر على ما قدّمت يده، ولات ساعة مندم ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السّٰخِرِينَ﴾.
- (٨) السخرية من سمات الكفّار والمنافقين، وقد نهينا عن التّشبه بهم.
- (٩) في ارتكاب السخرية اقرار أمر محرّم نهى عنه الشّرع الحنيف.
- (١٠) السّاحرون من النّاس في الدّنيا، يسخر منهم الله ﷻ، وأنبياءه الكرام.
- (١١) السخرية تنسي الإنسان ذكر ربّه، وبذلك يخسر السّاحر نفسه ويلقي بها في النّار.

(١) انظر المواضع التي وردت في النهي عن ذلك: الأحاديث الواردة في هذه الصفة.

(١٢) السَّخْرِيَّةُ داءٌ من أدواء الجاهليَّةِ يجب تجنُّبه والبعد عنه.

(١٣) اللَّامُزُّ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ السَّاخِرُ مِنْهُ، إِنَّمَا يَلْمُزُ نَفْسَهُ وَيَسْخِرُ مِنْهَا لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ.

(١٤) السَّخْرِيَّةُ وَمَا فِي مَعْنَاهَا مِنَ الاسْتِهْزَاءِ بِالضَّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالتَّحْقِيرِ لَهُمْ وَالْإِزْرَاءِ عَلَيْهِمْ، كُلُّ ذَلِكَ مَبْعَدٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ.

(١٥) عَلَى السَّاخِرِ أَنْ يَتَوَقَّعَ عِقُوبَتَهُ فِي الدَّارِ الْعَاجِلَةِ أَيْضًا بِأَنْ يَحْدُثَ لَهُ مِثْلُ مَا حَدَثَ لِلْمَسْخُورِ مِنْهُ.

## السَّخَطُ

### السَّخَطُ لُغَةً:

مصدر قولهم: سَخَطَ يَسْخُطُ سَخَطًا وَسَخَطًا وَهُوَ مَا خُوذَ مِنْ مَادَّةٍ (س خ ط) الَّتِي تَدَلُّ عَلَى الْكِرَاهِيَةِ لِلشَّيْءِ وَالغَضَبِ مِنْهُ وَعَدَمُ الرِّضَا بِهِ، يُقَالُ: سَخَطَ فُلَانٌ أَيَّ غَضَبٍ فَهُوَ سَاخِطٌ، وَأَسْخَطَهُ أَيَّ أَغْضَبَهُ، وَيُقَالُ: فُلَانٌ مَسْخُوطٌ عَلَيْهِ أَيَّ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، وَتَسَخَّطَ الرَّجُلُ تَغَضُّبًا، يُقَالُ: الْبِرُّ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ مَسْخُطَةٌ لِلشَّيْطَانِ أَيَّ يَكْرَهُهُ الشَّيْطَانُ وَلَا يَرْضَاهُ، وَالْمَسْخُوطُ: الْمَنْسُوخُ، وَالْمَسَاخِطُ جَمْعُ مَسْخُوطٍ وَهُوَ مَا يَحْمِلُكَ عَلَى السَّخَطِ، وَيَسْتَعْمَلُ الْفِعْلُ «سَخَطًا» لِأَزْمَا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا هُمْ يَسْخُطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨] وَقَدْ يَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ﴾ [محمد: ٢٨].

وَقَدْ يَتَعَدَّى بِحَرْفِ الْجَرِّ عَلَى، يُقَالُ: سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: السَّخَطُ: الْكِرَاهِيَةُ، وَهُوَ ضِدُّ الرِّضَا، وَالْفِعْلُ مِنْهُ سَخَطَ يَسْخُطُ سَخَطًا، وَتَسَخَّطَ وَسَخَطَ الشَّيْءِ سَخَطًا: كَرَهُهُ. وَسَخَطَ أَيَّ غَضَبٍ، فَهُوَ سَاخِطٌ. وَأَسْخَطَهُ: أَغْضَبَهُ. تَقُولُ: أَسْخَطَنِي فُلَانٌ فَسَخَطْتَ سَخَطًا. وَتَسَخَّطَ عَطَاءَهُ أَيَّ اسْتَقَلَّهُ وَلَمْ يَقَعْ مَوْقِعًا. يَقُولُ: كَلَّمَا عَمِلْتَ لَهُ عَمَلًا تَسَخَّطَهُ أَيَّ لَمْ يَرْضَهُ. وَفِي حَدِيثِ هِرْقَلٍ: «فَهَلْ يَرْجِعُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ سَخَطَةً لَهُ؟» السَّخَطُ وَالسَّخَطُ: الْكِرَاهِيَةُ لِلشَّيْءِ وَعَدَمُ الرِّضَا بِهِ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «إِنَّ اللَّهَ يَسْخُطُ لَكُمْ كَذَا». أَيَّ يَكْرَهُهُ لَكُمْ، وَيَمْنَعُكُمْ مِنْهُ وَيَعَاقِبُكُمْ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

(١) لسان العرب (٧/٣١٢، ٣١٣)، الصحاح (٣/١١٣٠)، وتاج العروس (١٠/٢٧٨)، والمفردات للراغب (٢٢٧).

**واصطلاحاً:**

الغضب الشديد المقتضي للعقوبة، وهو من الله (السخط) صفة فعل الله ﷻ حقيقة على ما يليق بجلاله ومن لوازمه إنزال العذاب<sup>(١)</sup>.

**الفرق بين السخط والغضب:**

قال الكفوي: السخط لا يكون إلا من الكبراء والعظماء بخلاف الغضب فإنه يكون منهما ومن غيرهما<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: النعمة- الجزع- الغضب- الغل- الحقد- الخبث.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الرضا- السرور- الصبر والمصابرة- المحبة- البشاشة].

\*\*\*

**من مضار (السخط)**

(١) دليل سوء الظن بالله ﷻ. (٤) دليل على سوء النية وفساد الطوية.

(٢) يورث الخيبة والخسران في الدنيا والآخرة. (٥) طريق موصل إلى عذاب الله.

(٣) علامة سوء الخاتمة.

**السرقه****السرقه لغة:**

مصدر قولهم: سرق الشيء يسرقه سرقه أي أخذه خفية.

السرقه: وهو مأخوذ من مادة (س ر ق) التي تدل على ذات المعنى، يقول ابن فارس: السنين والراء والقاف أصل يدل على أخذ شيء في خفاء وستر، يقال: سرق يسرق سرقه وسرقاً، واسترق السمع إذا سمع مختفياً وسرق منه مالا يسرق سرقاً بالتحريك، والاسم منه السرق والسرقه بكسر الراء فيهما جميعاً، وربما قالوا: سرقه مالا. وفي المثل: «سرق السارق فانتحر». والسرق: شقاق الحرير. وقيل: أجوده، وقيل: إنها البيض منه.

(١) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (١٩٨)، والمفردات للراغب (٢٢٧).

(٢) الكليات (٥١٥).

والسَّرِقَ بمعنى السَّرَقَة، وفي حديث عديّ «ما تخاف على مطيِّتها السَّرِق» هو بمعنى السَّرَقَة وهو في الأصل مصدر، ومنه حديث «تسرق الجنّ السَّمْع» هو تفتعل من السَّرَقَة أي أنّها تسمعه مخفية كما يفعل السَّارِق.

والسَّرَقَة أخذ الشّيء الذي ليس للسَّارِق أخذه في خفاء، والسَّارِق عند العرب: من جاء مستترا إلى حرز فأخذ منه ما ليس له.

والمسارقة والاستراق والتسرق: اختلاس النظر والسَّمْع. وسرق الشّيء سرقا: خفي. وسرقت مفاصله وانسرفت: ضعفت. والانسراق: أن يخنس إنسان عن قوم ليذهب.

والتسريق: النسبة إلى السَّرَقَة، ومنه قراءة أبي البرهسم وابن أبي عبلّة: «إنّ ابنك سرّق» بضمّ السّين وكسر الرّاء المشدّدة.

والمسرق: الناقص الضّعيف الخلق، ويقال: تسرّق، إذا سرق شيئا فشيئا.

ويقال: سارق النّظر إليه إذا هتبل غفلته لينظر إليه<sup>(١)</sup>.

#### السَّرَقَة اصطلاحا:

قال الرّاعب: السَّرَقَة في الشّرع: تناول المرء الشّيء (الذي ليس له خفية) من موضع مخصوص وقدر مخصوص<sup>(٢)</sup>.

وقال الجرجاني: السَّرَقَة (التي توجب الحدّ) عبارة عن أخذ مكلف خفية قدر عشرة دراهم مضروبة محرزة بمكان أو حافظ بلا شبهة، فإن كان المسروق أقلّ من عشرة مضروبة فإنّه يكون سرقة شرعا، ولا يكون سرقة في حقّ القطع (أي قطع يد السَّارِق حدّا)<sup>(٣)</sup>. وقال ابن قدامة: لا قطع إلّا فيما قيمته ثلاثة دراهم<sup>(٤)</sup>.

وقال الكفوي: السَّرَقَة: أخذ مال معتبر من حرز أجنبيّ لا شبهة فيه خفية وهو قاصد للحفاظ، في نومه أو غفلته<sup>(٥)</sup>.

(١) المقاييس (٣/ ١٥٤)، والصحاح (٤/ ١٤٩٦)، واللسان (٣/ ١٩٩٨)، والتاج (١٣/ ٢١٥)، والمفردات (٢٣١).

(٢) المفردات (٢٣١) بتصرف يسير، وعنه أخذ المناوي، انظر التوقيف (١٩٣).

(٣) التعريفات (١٢٣) بتصرف.

(٤) المغني لابن قدامة (١٢/ ٤١٨)، وفي القدر الذي يوجب القطع اختلاف في المذاهب.

(٥) الكليات (٥١٤).

**الفرق بين السرقة والطر (النهب) والنهب:**

قال الكفوي: الطر أخذ مال الغير وهو حاضر يقظان قاصد حفظه، وجناية الطر أقوى لزيادة فعله على فعل السارق. فيثبت وجوب القطع فيه بالطريق الأولى، وذلك بخلاف النباش (للقبور)، الذي يأخذ مالا من حرز ناقص خفية، فيكون فعله أدنى من فعل السارق، فلا يلحق به حد، ولا يقطع عند أبي حنيفة ومحمد، خلافا لأبي يوسف رحمهم الله<sup>(١)</sup>.

**حكم السرقة:**

السرقة من الكبائر التي يجب فيها الحد. وقد عدّها الذهبي الكبيرة الثالثة والعشرين، ونقل عن ابن شهاب قوله: نكل الله بالقطع في سرقة أموال الناس.

والله عزيز في انتقامه من السارق حكيم فيما أوجبه من قطع يده، ولا تنفع السارق توبته إلا أن يرد ما سرقه، فإن كان مفلسا تحلل من صاحب المال<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر: عدّ السرقة من الكبائر هو ما اتفق عليه العلماء، وهو ما صرّحت به الأحاديث، والظاهر أنه لا فرق في كونها كبيرة بين الموجبة للقطع، وعدم الموجبة له لشبهة لا تقتضي حلّ الأخذ، كأن سرق حصر مسجد، أو سرق مالا غير محرّز، وقال الحلبي: وسرقة الشيء التّافه صغيرة، فإن كان المسروق منه مسكينا لا غنى به عمّا أخذ منه صارت كبيرة وإن لم توجب الحد.. قال: وأخذ أموال الناس بغير حقّ كبيرة، فإن كان المأخوذ ماله فقيرا أو أصلا للأخذ أو أخذ قهرا، أو كرها، أو على سبيل القمار فهو فاحشة، فإن كان المأخوذ شيئا تافها والمأخوذ منه غنيا لا يتبين عليه من ذلك ضرر، فذلك صغيرة<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: أكل الحرام - التطفيف - الرشوة - الغش - الغلول - اتباع الهوى - انتهاك الحرمات - الطمع.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاستقامة - الشرف - العفة - القناعة - النزاهة - أكل الطيبات - الأمانة - المراقبة - تعظيم الحرمات - الصلاح].

\*\*\*

(١) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) الكبائر (٩٨).

(٣) الزواجر (٥٦٤).

## من مضار (السرقه)

- (١) تنافي كمال الإيمان.  
 (٢) إحدى الكبائر العظام في الإسلام.  
 (٣) دليل دناءة النفس وحقارة الشأن.  
 (٤) كان النكاح عليها بالقطع لضمان حفظ (٧) يحرم السارق من إجابة الدعاء.  
 (٥) توجب النار في الآخرة والعار في الدنيا.  
 (٦) الناس لا يأمنون السارق على شيء ولو كان تافها.  
 أموال الناس.

## السفاهة

## السفاهة لغة:

مصدر قولهم: سفه فلان إذا صار سفيها، ومثلها السّفه إلا أنّ الفعل منه سفه (بكسر الفاء)، وكلاهما مأخوذ من مادة (س ف هـ) التي تدلّ على الخفّة والسّخافة، ومن ذلك قولهم ثوب سفيه أي رديء النّسج، وتسفّيت الرّيح إذا مالت، والسّفه ضدّ الحلم، يقال: تسفّيت فلانا عن ماله إذا خدعته كأنك ملت به عنه واستخففته، وقال بعضهم: أصل السّفه: خفّة الحلم. وقيل: السّفه: خفّة في البدن، ومنه قيل: زمام سفيه كثير الاضطراب، ثمّ استعمل في خفّة النّفس لتقصان العقل، وقيل: أصل السّفه الخفّة والحركة والطّيش، وقيل: الجهل والاضطراب، يقال: سفه حلمه ورأيه ونفسه سفها وسفاهة وسفاها، أي حمّله على السّفه، وقال بعضهم: سفه بالصّم سفها وسفاهة وسفه بالكسر سفها، وهما لغتان، وتسفّيت عليه إذا أسمعته (ما يكره)، وسفّته تسفيها: نسبه إلى السّفه، وسافهه مسافهة (إذا تشارك في السّفه)، وكذلك سفهت الشّراب «بالكسر» إذا أكثر منه ولم ترو، وسفه علينا وسفه «بالكسر والصّم» إذا جهل فهو سفيه، أي جاهل، والسّفيه أيضا: الخفيف العقل. وجمع السّفيه سفهاء وسفاه، والأنثى سفيهة وجمعها سفيهات وسفائه وسفه وسفاه، وقولهم: سفّه الجهل حلمه: أطاشه وأخفه<sup>(١)</sup>.

## السفاهة اصطلاحا:

يسوّي معظم العلماء بين السّفه والسّفاهة ومن ثمّ يكون تعريفهما واحدا.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٧٩، ٨٠)، الصحاح (٦/ ٢٢٣٤)، لسان العرب (٣/ ٢٠٣٢) ط. دار المعارف، والمفردات للراغب (٢٣٤)، وقارن أيضا ب (بصائر ذوي التمييز: ٣/ ٢٢٩).

يقول الجاحظ: السَّفه: نقيض الحلم وهو سرعة الغضب، والطَّيش من يسير الأمور، والمبادرة في البطش، والإيقاع بالموذي، والسَّرَف في العقوبة، وإظهار الجزع من أدنى ضرر، والسَّبِّ الفاحش<sup>(١)</sup>.

وقال الجرجاني: السَّفه عبارة عن خفة تعرض للإنسان من الفرح والغضب فيحمله ذلك على العمل بخلاف العقل وموجب الشرع<sup>(٢)</sup>.

وقد فرَّق المناوي بين السَّفه والسَّفاهة: فعرَّف السَّفه بما عرّفه به الجرجاني، ثم عرّف السَّفاهة فقال: السَّفاهة: خفة الرأى في مقابلة ما يراد منه من المتانة والقوة<sup>(٣)</sup>.

### أقسام السَّفه:

ذكر الراغب أنّ الأصل في السَّفه هو خفة في البدن ثم استعمل في خفة النَّفس لنقصان العقل، ويكون ذلك في:

١- الأمور الدنيويّة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء: ٥] وقد عرّف الفقهاء هذا النوع من السَّفه فقالوا: هو عبارة عن التَّصرّف في المال بخلاف مقتضى الشرع والعقل بالتبذير فيه والإسراف- مع قيام خفة العقل- والسَّفيه إذن: هو من ينفق ماله فيما لا ينبغي من وجوه التبذير، ولا يمكنه إصلاحه بالتمييز والتَّصرّف فيه بالتبذير<sup>(٤)</sup>.

٢- الأمور الآخرويّة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَتْ يَقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجن: ٤]، وقوله سبحانه: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣]، قال الراغب: فهذا من السَّفه في الدّين<sup>(٥)</sup>.

والسَّفيه بهذا المعنى هو كما وصفه الكفوي: ظاهر الجهل، عديم العقل، خفيف اللب، ضعيف الرأى، رديء الفهم، مستخفّ القدر، سريع الذنب، حقير النَّفس، مخدوع الشيطان، أسير الطغيان، دائم العصيان، ملازم الكفران، لا يبالي بما كان<sup>(٦)</sup>، ولا بما هو كائن أو سوف يكون.

(١) تهذيب الأخلاق (٢٩).

(٢) التعريفات (١٢٥).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (١٩٤، ١٩٥).

(٤) الكليات للكفوي (٣٤٩)، وفي تعريف السفيه (هذا المعنى) (٥١٠).

(٥) المفردات (٢٣٥).

(٦) الكليات (٥١٠).

**الفرق بين العيب والسفه:**

قال الكفوي: العيب ما يخلو عن الفائدة، والسفه ما لا يخلو عنها، ويلزم منه المضرة، والسفه أقبح من العيب، كما أن الظلم أقبح من الجهل، وقيل: العيب فعل فيه غرض، ولكنه ليس بشرعي، والسفه ليس فيه غرض أصلاً<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: اتباع الهوى - الحمق - الطيش - العبوس - اللهو واللعب - الإساءة - الأذى - سوء المعاملة - التحقير.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الحلم - الرفق محاسبة النفس - المراقبة - الأدب - حسن المعاملة تكريم الإنسان].

\*\*\*

**من مضار (السفاهة)**

- (١) تورث غضب الجبار وعظيم النيران.  
 (٢) بعد الناس عن السفه لخوفهم منه.  
 (٣) شره متعدّد وخلق مشين.  
 (٤) دليل على سوء الخلق ومظنة سوء الخاتمة.  
 (٥) يؤول حال صاحبه إلى الإفلاس، والحاجة إلى الناس.  
 (٦) يخرب الديار العامرة، ويضع الرجل الشريف.

**سوء الخلق****سوء الخلق لغة:**

السوء اسم من ساءه سوءاً، بالفتح - ومساءة، ومسائية. نقيض سرّه، يقول ابن فارس: «فأما السّين والواو والهمزة فهي من باب القبح، تقول: رجل أسوأ، أي قبيح، وامرأة سوا، أي قبيحة، قال رسول الله ﷺ: «سواء ولود خير من حسناء عقيم» ولذلك سمّيت السيئة سيئة» وقولهم ساءه يسوءه أي فعل به ما يكره وأساء إليه نقيض أحسن، والسّواي: نقيض الحسنى، وفي القرآن ﴿ثُمَّ

كَانَ عَقِبَةَ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوَاءَ ﴿الرُّومُ: ١٠﴾ والسُّوَاءُ: العورة، والفاحشة، وسؤت الرجل سواية ومساية - مخففان -، أي ساءه مارآه مني. وتقول من السُّوء استاء الرجل، كما تقول من الغم اغتم. ويقال: ساء ما فعل فلان، أي قبح صنيعه صنيعا. والسُّوء: الفجور والمنكر، وسؤت له وجهه قبحته، ويقال: أسأت به، وإليه، وعليه، وله.

وقال - عز من قائل - ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، ويقال: هو سيء إذا قبح والأنثى سواء أي قبيحة. والسُّوءاء: المرأة المخالفة، والسُّوأة السُّوءاء، الخلة القبيحة، وكل كلمة قبيحة أو فعلة قبيحة فهي سواء.

وأساء الرجل إساءة خلاف أحسن، وأساء الشيء، أفسده، ولم يحسن عمله، وفي المثل: أساء كاره ما عمل. والسُّيئة: الخطيئة، والسُّوء اسم جامع للآفات والداء، ويقال: لا خير في قول السُّوء. وقيل: هو الفجور والمنكر<sup>(١)</sup>.

#### سوء الخلق اصطلاحاً:

يؤخذ ممّا ذكره الجرجاني عن الخلق - حسنه وسيئه - أنّ سوء الخلق: عبارة عن هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال القبيحة بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية<sup>(٢)</sup>.

ويرى ابن تيمية في نظره الخلقية، أنّ مفهوم الأخلاق يرتبط بالإيمان، وما ينبثق عنه.

ومن ثمّ يقوم هذا المفهوم عنده على عدّة عناصر وهي:

(١) الإيمان بالله وحده خالقا ورازقا بيده الملك.

(٢) معرفة الله ﷻ معرفة تقوم على أنّه وحده - سبحانه - المستحقّ للعبادة.

(٣) حبّ الله ﷻ حبّاً يستولي على مشاعر الإنسان بحيث لا يكون ثمّة محبوب مراد

سواه سبحانه.

(٤) وهذا الحبّ يستلزم أن تتوحد إرادة الخالق والمخلوق في اتجاه واحد هو تحقيق رضا

الله ﷻ والالتزام بتحقيق هذا الرضا في كلّ صغيرة وكبيرة من شؤون الحياة.

(٥) وهذا يستلزم من الإنسان سموّاً في أخلاقه، وترفعاً عن الأنانية وعن الأهواء، وعن

المآرب في الدنيا.

(١) الصحاح (١/ ٥٥-٥٦)، والمقاييس (٣/ ١١٣)، واللسان (٣/ ٢١٣٨، ٢١٣٩، ٢١٤٠).

(٢) التعريفات للجرجاني (١٠٦).

(٦) ويأتي العمل بعد ذلك محققاً أو في طريق بلوغ الكمال الإنساني<sup>(١)</sup>.

والأمر كذلك فإنه إذا لم تتحقق هذه الشروط الموضوعية فإن الناتج عن الإنسان يكون خلقاً سيئاً؛ لأنه تعبير عن الإيمان بالله وتعبير عن الرؤية الموضوعية للأشياء والحقائق. وعلى هذا يكون الخلق السيئ فعلاً إنسانياً لا ترتبط فيه الأفعال بالطاعة، أي أنه فعل تنفصل فيه الطاعة عن الأخلاق، ويصبح الفعل شكلياً أو مظهرياً. كما أنه فعل لا يدرك الغائية الخلقية، من حيث إنها تهدف إلى تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والحياة الآخرة، الأمر الذي يجعل العمل الذي يقوم به الإنسان فاقداً لقيمته الخلقية ودلالته الإنسانية، كما أن هذا الفعل فاقداً للتمحيص والتدقيق اللّازمين كي يكون موافقاً لما أمر الله سبحانه وندب إليه في وقته الملائم والمناسب. وفي هذا الوضع يكون هذا العمل استجابة لا خلقية، وبذا يكون صاحبه متصفاً بسوء الخلق<sup>(٢)</sup>.

فالخلق السيئ، خلق فاسد متّصف بالشرّ، لا يتفق مع الواجبات الدينية والخلقية، ولا يتفق مع ما شرع الله أمراً، ونهياً، وهو فعل منكر، وسلوك غير صالح<sup>(٣)</sup>، وهذا ناتج عن مرض القلب.

#### الفرق بين الخلق والعادة:

الخلق يقال في القوى المدركة بالبصيرة، وتارة يجعل للقوة الغريزية، وتارة اسماً للحالة المكتسبة التي يصير بها الإنسان خليقاً أن يفعل شيئاً دون شيء كمن هو خليق بالغضب لحدّة مزاجه، ولهذا خصّ كلّ حيوان بخلق في أصل خلقته، كالشّجاعة للأسد، والمكر للشّعلب، ويجعل الخلق تارة من الخلاقة وهي الملابسة، وكأنّه اسم لما مرّن عليه الإنسان بالعادة، وقد روي «ما أعطى الله أحداً أفضل من خلق حسن» فجعل الخلق مرّةً للهيئة الموجودة في النفس التي يصدر عنها الفعل بلا فكر<sup>(٤)</sup>، وجعل مرّةً اسماً للفعل الصادر عنه باسمه، وذلك نحو: العفة، والشّجاعة؛ فإنّ ذلك يقال للهيئة وللعمل جميعاً، وربّما تسمّى الهيئة باسم، والفعل الصادر عنها باسم آخر

(١) النظرية الخلقية عند ابن تيمية، محمد عبد الله عفيفي، (٥٨).

(٢) المرجع السابق (٥٩، ٦٠) بتصرف.

(٣) المرجع السابق (٤٨٤).

(٤) ذكر محقق كتاب الذريعة أنّ هذا هو التعريف السائد للخلق عند الأخلاقيين الإسلاميين، وقد نقله ابن مسكويه عن أرسطو، ونقله الكثيرون عنه ومنهم الإمام الغزالي، (انظر تهذيب الأخلاق لابن مسكويه (٣٦)، والإحياء (٣/ ٥٢) ط الحلبي: وقد قال بذلك أيضاً الجاحظ في تهذيب الأخلاق بتعبير مقارب وهو: حال للنفس بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، كما نقله أيضاً الجرجاني في التعريفات (١٠٦)، والمناوي في التوقيف (١٥٩).

كالسَّخَاءِ، والجود؛ فإنَّ السَّخَاءِ اسمٌ للهيئة التي يكون عليها الإنسان، والجود اسمٌ للفعل الصادر عنها، وإن كان قد يسمَّى كلُّ واحدٍ باسم الآخر، وأمَّا العادة فاسمٌ لتكرير الفعل أو الانفعال، وبها يكمل الخلق، وليس للعادة فعل إلاَّ تسهيل خروج ما هو بالقوَّة في الإنسان إلى الفعل<sup>(١)</sup>.

### بين الخلق والتَّخَلُّق:

قال الرَّاعِبُ: الفرق بين الخلق والتَّخَلُّق أنَّ التَّخَلُّقَ معه استئْثالٌ واكتئابٌ ويحتاج إلى بعث، وتنشيط من الخارج، والخلق معه استخفافٌ وارتياحٌ ولا يحتاج إلى بعث من خارج، والتَّخَلُّقُ ضربان:

الأوَّلُ: محمود، وذلك ما كان على سبيل الارتياض والتَّدْرِبِ، ويتحرَّاه صاحبه سرًّا وجهراً على الوجه الذي ينبغي، وبالمقدار الذي ينبغي.

الثَّاني: مذموم، وذلك ما كان على سبيل المراءاة، ولا يتحرَّاه صاحبه إلاَّ حيث يقصد أن يذكر به، ويسمَّى ذلك رياءً، وتصنَّعا، وتشيعاً، ولن ينفكَّ صاحبه من اضطراب يدلُّ على تشيِّعه، وعلى ذلك قول عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: «من تخلَّق للنَّاسِ بغير ما فيه فضحه اللهُ عزَّ وجلَّ»<sup>(٢)</sup>.

### هل يمكن تغيير الخلق السيِّء إلى خلق حسن:

يقول الجاحظ ما خلاصته: إنَّ الأخلاق المذمومة موجودة في كثير من النَّاسِ، غالبية عليهم، مالكة لهم، بل قلَّما يوجد فيهم من يخلو من خلق سيِّء أو مكروه، ويسلم من جميع العيوب، ولكنهم يتفاضلون في ذلك، وكذلك في الأخلاق المحمودة قد يختلف النَّاسُ ويتفاضلون، إلاَّ أنَّ المجهولين على الأخلاق الحسنة قليلون جدًّا، وأمَّا المجهولون على الأخلاق السيِّئة فأكثر النَّاسِ وما ذلك إلاَّ لأنَّ الإنسان إذا استرسل مع طبعه، ولم يستعمل الفكر ولا التَّمييز، ولا الحياء ولا التَّحَفُّظَ، كان الغالب عليه أخلاق البهائم، لأنَّ الإنسان إنَّما يتميِّز على البهائم بالفكر والتَّمييز؛ فإذا لم يستعملهما كان مشاركاً للبهائم في عاداتها، ولَمَّا كان النَّاسُ مطبوعين على الأخلاق السيِّئة منقادين للشَّهوات الرَّدِيئة، وقع الافتقار إلى الشَّرائع والسُّنن، والسيِّاسات المحمودة<sup>(٣)</sup>، ولكن، هل يمكن للإنسان أن يغيِّر خلقه؟

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (١١٤).

(٢) المرجع السابق (١٢٢) (بتصرف).

(٣) تهذيب الأخلاق للجاحظ (١٢٠).

على هذا التساؤل أجاب الإمام الرَّاعِب فقال:

اختلف النَّاسُ فِي الخلق فقال بعضهم: هو من جنس الخلق، ولا يستطيع أحد تغييره عمَّا جبل عليه إن خيرا وإن شرا كما قيل:

وما هذه الأخلاق إلا غرائز فمنهنَّ محمود وممنهنَّ مذموم  
ولن يستطيع الدهر تغيير خلقه بنصح ولا يسطيعه متكبرم<sup>(١)</sup>

وقال بعضهم: يمكن ذلك، واستدلَّ بما روي: «حسنوا أخلاقكم» ولو لم يمكن لما أمر به، وقال أصحاب هذا الرَّأي: إنَّ الله تعالى خلق الأشياء على ضربين:

أحدهما بالفعل ولم يجعل للعبد فيه عملا، كالسَّماء والأرض والهيئة والشكل.

والآخر: خلقه خلقه ما، وجعل فيه قوَّة ورشح الإنسان لإكماله وتغيير حاله وإن لم يرشحه لتغيير ذاته، والخلق من الإنسان يجري هذا المجرى في أنه لا سبيل للإنسان إلى تغيير القوَّة التي هي السَّجِيَّة، وجعل له سبيلا إلى إسلاستها، ولهذا قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿[الشمس: ٩، ١٠] ولو لم يكن الأمر كذلك لبطلت فائدة المواعظ والوصايا، والوعد والوعيد، والأمر والنهي، ولما جوز العقل أن يقال للعبد: لم فعلت؟ ولم تركت؟، وكيف يكون هذا في الإنسان ممتنعا، وقد وجدناه في بعض البهائم ممكنا، فالوحش قد ينقل بالعادة (والتدرب) إلى التأنس ومن الجموح إلى السَّلاسة<sup>(٢)</sup>.

### هل يتغير حسن الخلق إلى خلق سيئ؟

إذا كان الخلق السَّيِّء قد يتحوَّل إلى خلق حسن باتِّباع الشَّرع والتَّدرب على الأخلاق الحميدة والمثابرة عليها فهل يتغير الخلق الحسن إلى سيئ؟، على هذا السَّؤال أجاب الماوردي فقال: ربَّما يتغير حسن الخلق والوطاء إلى الشَّراسة والبذاء لأسباب عارضة وأمور طارئة تجعل اللين خشونة والوطاء غلظة والطلاقة عبوسا، فمن أسباب ذلك:

الولاية التي تحدث في الأخلاق تغييرا. وعلى الخطاء تنكرا، إمَّا من لؤم طبع، وإمَّا من

ضيق صدر.

(١) هذا الرَّأي واضح البطلان لأن إرسال الرِّسل وتشريع الشرائع إنما يستهدف في المقام الأول تغيير الأخلاق السيئة إلى الأخلاق الحميدة، وإذا كان الدهر هو الذي لا يستطيع ذلك فهو صحيح، ولكن من قال بذلك؟ إنَّ الذي يستطيعه فعلا

هو الأخذ بمنهج الله والسير على سيرة المصطفى ﷺ، أو ليس الحلم بالتَّحلم والصبر بالتصبر؟!

(٢) الذريعة (١١٥، ١١٦) (بتصرف).

ومنها العزل، فقد يسوء منه الخلق، ويضيق به الصدر، إمّا لشدة أسف أو لقلّة صبر. ومنها الغنى، فقد تتغيّر به أخلاق اللّئيم بطرا، وتسوء طرائقه أشرا، وقد قيل من نال استطال. ومنها الفقر، فقد يتغيّر به الخلق، إمّا أنفة من ذلّ الاستكانة، أو أسفا على فائت الغنى.

ومنها الهموم التي تذهل اللبّ. وتشغل القلب، فلا تتبع الاحتمال ولا تقوى على صبر، وقد قيل الهمّ كالسمّ. وقال بعض الأدباء: الحزن كالذّاء المخزون في فؤاد المخزون.

ومنها الأمراض التي يتغيّر بها الطّبع، كما يتغيّر بها الجسم، فلا تبقى الأخلاق على اعتدال، ولا يقدر معها على احتمال.

ومنها علو السنّ. وحدوث الهرم لتأثيره في آلة الجسد. كذلك يكون تأثيره في أخلاق النّفس، فكما يضعف الجسد على احتمال ما كان يطيقه من أثقال كذلك تعجز النّفس عن احتمال ما كانت تصبر عليه من مخالفة الوفاق، وضيق الشّقاق، وكذلك ما ضاهاه.

فهذه سبعة أسباب، أحدثت سوء خلق كان عامّا. وههنا سبب خاصّ يحدث سوء خلق خاصّ، وهو البغض الذي تنفر منه النّفس، فتحدث نفورا عن المبغض، فيؤول إلى سوء خلق يخصّه دون غيره، فإذا كان سوء الخلق حادثا بسبب، كان زواله مقرونا بزوال ذلك السّبب، ثمّ بالصدّ<sup>(١)</sup>.

#### أركان سوء الخلق:

قال ابن القيم رحمته: ومنشأ جميع الأخلاق السّافلة، وبنائها على أربعة أركان: الجهل، والظلم، والشّهوة، والغضب.

فالجهل: يريه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن. والكمال نقصا، والنقص كمالا.

والظلم: يحمله على وضع الشّيء في غير موضعه. فيغضب في موضع الرّضا، ويرضى في موضع الغضب. ويجهل في موضع الأناة. ويبخل في موضع البذل. ويبدل في موضع البخل. ويحجم في موضع الإقدام، ويقدم في موضع الإحجام. ويلين في موضع الشّدّة. ويشتدّ في موضع اللين. ويتواضع في موضع العزّة. ويتكبر في موضع التّواضع.

والشّهوة: تحمله على الحرص، والشّح، والبخل، وعدم العفّة، والنّهمة، والجشع، والذّل والدناءات كلّها.

(١) أدب الدنيا والدين (٢٣٨-٢٥٤) بتصرف.

والغضب: يحمله على الكبر، والحقد، والحسد، والعدوان، والسفه.  
ويتركب من بين كل خلقين من هذه الأخلاق: أخلاق مذمومة.  
وملاك هذه الأربعة أصلان: إفراط النفس في الضعف، وإفراطها في القوة.  
فيتولد من إفراطها في الضعف: المهانة والبخل، والخسة واللؤم، والذل والحرص، والشح  
وسفساف الأمور والأخلاق.

ويتولد من إفراطها في القوة: الظلم والغضب والحدّة، والفحش، والطيش.  
ويتولد من تزوج أحد الخلقين بالآخر: أولاد غيبة<sup>(١)</sup> كثيرون. فإنّ النفس قد تجمع قوّة وضعفا.  
فيكون صاحبها أجبر الناس إذا قدر، وأذلهم إذا قهر، ظالم عنوف جبّار. فإذا قهر صار أذلّ  
من امرأة. جبان عن القويّ، جريء على الضعيف.

فالأخلاق الذميمة: يولد بعضها بعضا، كما أنّ الأخلاق الحميدة: يولد بعضها بعضا<sup>(٢)</sup>.  
[للاستزادة: انظر صفات: الإساءة- الاستهزاء- البذاءة- سوء المعاملة- الغرور- الكبر  
والعجب- السخرية- التحقير.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: حسن الخلق- الأدب- حسن العشرة- حسن المعاملة-  
الحياء- التواضع- كظم الغيظ- غض البصر].

\*\*\*

### من مضار (سوء الخلق)

- (١) يبعد العبد عن الله ﷻ ولا ينال من الله إلاّ يحبّون مجالسته.  
السخط والغضب.  
(٢) سيّء الأخلاق يكرهه الناس فلا يجد مضطربا مذعورا.  
صديقا يخلو إليه بوحشته ولا عزيزا يقدره (٤) إذا فشا سوء الخلق في مجتمع أوبقه ومزقه.  
ويحترمه حتّى زوجته وأولاده لا

(١) غيبة: جمع غاوي وهو الضال.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٢١، ٣٢٢).

## سوء الظن

**السوء لغة:** (انظر سوء المعاملة).

أما الظن فهو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض<sup>(١)</sup>.

والظنين: الرجل المتهم، والظنة: التهمة.

والجمع: الظن.

والظنون: الرجل السيء الظن. وقيل السيء الظن بكل أحد، وقيل: هو قليل الخير.

وفي الحديث: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث» أراد الشك يعرض لك في الشيء

فتحققه وتحكم به وقيل: أراد إياكم وسوء الظن<sup>(٢)</sup>.

**سوء الظن اصطلاحاً:**

لم تعرف كتب المصطلحات التي وقفنا عليها - سوء الظن ضمن ما أوردته من مصطلحات،

بيد أننا نستطيع ذلك في ضوء ما ذكره عن السوء والظن فنقول: سوء الظن هو: اعتقاد جانب الشر

وترجيحه على جانب الخير فيما يحتمل الأمرين معاً.

**سوء الظن من الكبائر الباطنة:**

عدّ الإمام ابن حجر سوء الظن بالمسلم من الكبائر الباطنة. وذكر أنه (الكبيرة الحادية

والثلاثون)، وقال: وهذه الكبائر مما يجب على المكلف معرفتها ليعالج زوالها لأن من كان في

قلبه مرض منها لم يلق الله - والعياذ بالله - بقلب سليم، وهذه الكبائر يذم العبد عليها أعظم مما يذم

على الزنا والسرقه وشرب الخمر ونحوها من كبائر البدن وذلك لعظم مفسدتها، وسوء أثرها

ودوامه إذ إن آثار هذه الكبائر ونحوها تدوم بحيث تصير حالاً وهيئة راسخة في القلب، بخلاف

آثار معاصي الجوارح فإنها سريعة الزوال، تزول بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية، ونقل عن

ابن النجار قوله: «من أساء بأخيه الظن فقد أساء بربه»، إن الله تعالى يقول: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا

كثيراً مِنَ الظَّنِّ ﴿ [الحجرات: ١٢] <sup>(٣)</sup>.

(١) انظر معنى الظن بتوسع أكبر في صفة حسن الظن ج ٥ ص ١٥٩٦ وما بعدها من هذه الموسوعة.

(٢) انظر: الصحاح للجوهري (٦ / ٢٢٦٠)، والتعريفات للجرجاني (١٤)، ولسان العرب (١٣ / ٢٧٢).

(٣) الزواجر (١٠٦).

**أقسام سوء الظن:**

وقد قسم سوء الظن إلى قسمين كلاهما من الكبائر وهما:

١- سوء الظن بالله، قال: وهو أبلغ في الذنب من اليأس والقنوط (وكلاهما كبيرة) وذلك لأنه يأس وقنوط وزيادة، لتجويزه على الله تعالى أشياء لا تليق بكرمه وجوده<sup>(١)</sup>.

٢- سوء الظن بالمسلمين: هو أيضا من الكبائر وذلك أن من حكم بشر على غيره بمجرد الظن حملة الشيطان على احتقاره وعدم القيام بحقوقه والتواني في إكرامه وإطالة اللسان في عرضه، وكل هذه مهلكات.. وكل من رأته سيء الظن بالناس طالبا لإظهار معانيهم فاعلم أن ذلك لخبث باطنه وسوء طويته؛ فإن المؤمن يطلب المعاذير لسلامة باطنه، والمنافق يطلب العيوب لخبث باطنه<sup>(٢)</sup>.

**من معاني كلمة «الظن» في القرآن الكريم:**

ذكر أهل التفسير أن «الظن» في القرآن على أوجه منها:

التهمة: ومنه قوله تعالى: (في التكوير) ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤]<sup>(٣)</sup>: أي بمتهم.

ومنها الكذب: ومنه قوله تعالى: (في النجم): ﴿إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ

شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨]<sup>(٤)</sup>.

**أنواع الظن:**

قال سفيان الثوري: الظن ظنان: ظن إثم، وظن ليس بإثم.

فأما الذي هو إثم: فالذي يظن ظنا، ويتكلم به.

والذي ليس بإثم: فالذي يظن، ولا يتكلم به.

والظن في كثير من الأمور مذموم. ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦]، وقال: ﴿أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]<sup>(٥)</sup>.

(١) الزواجر (١١٤).

(٢) المرجع السابق (١٠٩).

(٣) قرأ: «بظنين» بالطاء ابن كثير، وأبو عمرو والكسائي، وقرأ الباقون: «بضنين» بالضاد أي ببخيل، وعلى هذه القراءة رسم مصحف حفص الذي بأيدينا.

(٤) نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (٤٢٥-٤٢٦).

(٥) انظر بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٣/ ٥٤٥-٥٤٧).

قال ابن قدامة المقدسي رحمته: فليس لك أن تظنّ بالمسلم شرّاً، إلا إذا انكشف أمر لا يحتمل التأويل، فإن أخبرك بذلك عدل. فمال قلبك إلى تصديقه، كنت معذوراً، لأنك لو كذبتك كنت قد أسأت الظنّ بالمخبر، فلا ينبغي أن تحسن الظنّ بواحد وتسيئه بآخر، بل ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة وحسد؟ فتتطرق التهمة حينئذ بسبب ذلك. ومتى خطر لك خاطر سوء على مسلم، فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير، فإن ذلك يعيظ الشيطان ويدفعه عنك، فلا يلقي إليك خاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة. وإذا تحققت هفوة مسلم، فانصحه في السرّ. واعلم أنّ من ثمرات سوء الظنّ التجسس، فإن القلب لا يقنع بالظنّ، بل يطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس، وذلك منهّي عنه، لأنه يوصل إلى هتك ستر المسلم، ولو لم ينكشف لك، كان قلبك أسلم للمسلم <sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمته: أكثر الناس يظنون بالله ظنّ السوء فيما يختصّ بهم وفيما يفعله بغيرهم، فقلّ من يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وهو موجب حكمته وحمده، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله تعالى ويستغفره من ظنّه بربه ظنّ السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعتتا على القدر، وملامة له، يقول: إنّه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقلّ ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عزيمة وإلا فإني لا إخالك ناجياً <sup>(٢)</sup>  
وصفوة القول أنّ:

- ١- الظنّ المحرّم هو سوء الظنّ بالله تعالى ويقابله وجوب حسن الظنّ بالله.
- ٢- حرمة الظنّ كذلك بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة. والمطلوب حسن الظنّ بهم.
- ٣- الظنّ المباح وهو الذي يعرض في قلب المسلم في أخيه بسبب ما يوجب الريبة. وهذا الظنّ لا يحقّق.

[للاستزادة: انظر صفات: الإساءة- سوء الخلق- سوء المعاملة- الشك- اتباع الهوى- الأذى.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: حسن الظن- حسن العشرة- حسن المعاملة- اليقين-  
الأدب].

(١) مختصر منهاج القاصدين (١٧٢).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٦٧٥-٦٧٦).

## من مضار (سوء الظن)

- (١) يؤدّي إلى غضب الله وسخطه.  
 (٢) دليل على فساد النية، وسوء الطوية.  
 (٣) خلق من أخلاق المنافقين.  
 (٤) يولد الشحناء والبغضاء بين الناس.  
 (٥) مفتاح للعواقب الوخيمة، والأعمال السيئة.  
 (٦) يورث الذلّ والهوان على الله ثمّ على الناس.  
 (٧) دليل ضعف الإيمان.  
 (٨) دليل على عدم الثقة بالنفس.

## سوء المعاملة

## سوء المعاملة لغة:

هو الاسم من قولهم: ساء يسوء، والمصدر السوء (بفتح السين) والمساءة، والمسائية، وكلّ ذلك مأخوذ من مادة (س وأ) التي تدلّ على القبح، وعلى خلاف السرور<sup>(١)</sup>، تقول: رجل أسوأ أي قبيح، وامرأة سوأ أي قبيحة، قال ابن فارس: لذلك سميت السيئة سيئة، وسميت النار سؤى لقبح منظرها، وأساء إليه: نقيض أحسن إليه، وقولهم: ما أنكرك من سوء: أي لم يكن إنكاري إياك من سوء رأيتك بك، إنّما هو لقلّة المعرفة، والسؤا: العورة، والفاحشة والسؤا السؤا: الخلّة القبيحة، والسؤا: قد يراد به الهزيمة والشّر كما في قراءة من قرأ عَلَيْهِمْ ﴿دَائِرَةُ السُّوءِ﴾ [الفتح: ٦] أمّا من قرأ بالفتح فهو من المساءة، وسوء المعاملة: نقيض حسن المعاملة<sup>(٢)</sup>.

## السوء اصطلاحاً:

هو كلّ ما يغمّ الإنسان من أمور الدارين من الأحوال النفسية والبدنية والخارجية من فوات مال، وفقد حبيب ونحوهما<sup>(٣)</sup>.

## المعاملة في اللغة:

المعاملة في اللغة مصدر قولهم: عاملت الرجل أعامله معاملة، وتدلّ الصيغة (فاعل) هنا

(١) ذهب إلى الأول ابن فارس في المقاييس (٣/ ١١٣)، وإلى الآخر الجوهري في الصحاح (١/ ٥٧).

(٢) انظر تفصيلاً أكثر في صفة الإساءة.

(٣) المفردات للراغب (٣٤٨).

على المشاركة، أي إنَّ الحدث المقصود قد اشترك فيه طرفان وذلك كما في البيع والشراء والإجارة ونحو ذلك، يقال: عاملته معاملة، وأصل ذلك من مادة (ع م ل) التي تدلُّ على كلِّ فعل يفعل، وقال الرَّاعِب: العمل كلُّ فعل يكون من الحيوان بقصد، فهو أخصُّ من الفعل لأنَّ الفعل قد ينسب إلى الحيوانات، وهو يقع منها بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعمل قلَّما ينسب إلى ذلك<sup>(١)</sup>.

#### المعاملة اصطلاحاً:

قال التَّهَانُويُّ: المعاملة عند الفقهاء عبارة عن العقد على العمل ببعض الخارج (أي النَّاتج عنها)، وتطلق أيضاً على الأحكام الشرعيَّة المتعلقة بأمر الدُّنيا باعتبار بقاء الشَّخص كالبيع والشراء والإجارة ونحوها<sup>(٢)</sup>.

#### شمولية معنى المعاملة:

إنَّ المعاملة المقصودة هنا أعمُّ ممَّا يطلق عليه أبواب المعاملات في الفقه الإسلاميِّ كالبيع والإجارة ونحوهما وإنَّما تشمل إلي جانب ذلك ما يطلق عليه الأحكام العمليَّة في الشريعة الإسلاميَّة وتشمل هذه الأحكام.

يقول الدُّكتور النَّبهان: تشمل الأحكام العمليَّة الأحكام المتعلقة بحياة الإنسان، معاملاته وعلاقاته مع الآخرين، كما تشمل كلَّ الأحكام المتعلقة بالأسرة، والمعاملات الماليَّة والمدنيَّة والمنازعات والعقوبات وما يتعلَّق بالحكم أو بالدولة سواء فيما يخصُّ العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أو بين الدولة والدول الأخرى<sup>(٣)</sup>، ونقول: إنَّ المعاملة التي ينبغي عدم الإساءة فيها تمتدُّ إلى معاملة الإنسان نفسه ومعاملته للحيوانات وغيرها ممَّا يحيط به في بيئته التي يعيش فيها.

#### سوء المعاملة اصطلاحاً:

أن يفعل الإنسان ما من شأنه أن يغمُّ أو يؤذي غيره في المعاملات الشرعيَّة من بيع وإجارة ونحوهما، أو المعاملات السلوكيَّة والأخلاقيَّة المتعلقة بالنفس أو الغير في إطار الأسرة والمجتمع والبيئة<sup>(٤)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٤ / ١٤٤)، المفردات للراغب (ص ٣٤٨). انظر تفصيلاً أكثر في صفة حسن المعاملة.

(٢) كشف اصطلاحات الفنون (٣ / ١٠٤٩).

(٣) المدخل للتشريع الإسلامي (١٤).

(٤) اقتبس هذا التعريف من جملة أقوال اللغويين وعلماء الاصطلاح فيما يتعلق بكل من السوء والمعاملة.

**أنواع سوء المعاملة:**

لسوء المعاملة أنواع عديدة يمكن تلخيصها في نوعين:  
 الأوّل: الإساءة القولية وتحتها فروع<sup>(١)</sup>. الثّاني: الإساءة الفعلية وتحتها فروع<sup>(٢)</sup>.  
 وقد فصلّ القول في ذلك في صفة الإساءة ممّا أغنى عن إعادته هنا.  
 [للاستزادة: انظر صفات: الأذى - الإساءة - الاستهزاء - التحقير - السخرية - اتباع الهوى -  
 سوء الخلق - السفاهة.  
 وفي ضد ذلك: انظر صفات: حسن المعاملة البشاشة - حسن الخلق - الشفقة - طلاقة  
 الوجه - تكريم الإنسان - الإحسان - الأدب].

\*\*\*

**من مضار (سوء المعاملة)**

- (١) تسبّب سخط الرّب ﷻ.  
 (٢) من يسيء المعاملة مع إنسان أو حيوان يلفظه المجتمع ويزدرية.  
 (٣) سوء المعاملة بين الناس هدم للمجتمع (٧) تنزع البركة من العمر والرّزق.  
 (٤) شرّ الناس من طال عمره وساء عمله.  
 (٥) سيّء المعاملة يحارب نفسه بنفسه حيث يلفظه المجتمع ويزدرية.  
 (٦) يسبّب إيذاء الآخرين والإضرار بهم.  
 (٧) تنزع البركة من العمر والرّزق.  
 (٨) تترك ذكرى خبيثة لصاحبها.

**الشح****الشح لغة:**

هو الاسم من قولهم: شحّ يشحّ شحّاً، وشحّاً، والضمّ أعلى، وهو مأخوذ من مادّة (ش ح ح) التي تدلّ على المنع، قال ابن فارس: الأصل فيه المنع، ثمّ يكون منعا مع حرص، يقال: تشاحّ

(١) من ذلك على سبيل المثال: سبّ المسلم ومشachtته وإفشاء سرّه والطعن في نسبه وغير ذلك، انظر شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام (٣٢٣).

(٢) من ذلك على سبيل المثال: هجر المسلم، والإشارة إليه بالسلاح وغير ذلك انظر: شجرة المعارف والأحوال (٣١٦).

الرَّجُلَانِ عَلَى الْأَمْرِ، إِذَا أَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْفَوْزَ بِهِ وَمَنْعَهُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَقَالَ الرَّاعِبُ: الشَّحُّ: بَخْلٌ مَعَ حِرْصٍ وَذَلِكَ فِيمَا يَكُونُ عَادَةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُؤَقِّ شَحًّا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] قِيلَ فِي تَفْسِيرِهَا: الشَّحُّ أَنْ تَأْكُلَ مَالَ أَحِيكَ بِغَيْرِ حَقِّهِ، وَقِيلَ: مَنْ وَقِيَ شَحًّا نَفْسَهُ فَلَمْ يَأْخُذْ مِنَ الْحَرَامِ شَيْئًا، وَلَمْ يَقْرَبْهُ وَلَمْ يَحْبَسْ مِنَ الْحَلَالِ شَيْئًا فَهُوَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ<sup>(١)</sup>، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: الْمُرَادُ بِالشَّحِّ فِي الْآيَةِ: الشَّحُّ بِالزَّكَاةِ وَمَا لَيْسَ بِفَرْضٍ مِنْ صِلَةِ ذَوِي الْأَرْحَامِ وَالضِّيَافَةِ وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ، فَلَيْسَ بِشَحِيحٍ وَلَا بِخَيْلٍ مِنْ أَنْفَقَ فِي ذَلِكَ، وَإِنْ أَمْسَكَ عَنْ نَفْسِهِ، وَمَنْ وَسَّعَ عَلَى نَفْسِهِ وَلَمْ يَنْفَقْ فِيمَا ذَكَرَ مِنَ الزُّكُوتِ وَالطَّاعَاتِ فَلَمْ يُوَقِّ شَحًّا نَفْسَهُ، وَقِيلَ: الشَّحُّ: أَنْ يَشَحَّ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، يَحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بِالْحَلِّ وَالْحَرَامِ، لَا يَقْنَعُ<sup>(٢)</sup>.

وقال الجوهري: يقال: شححت بالكسر تشح، وشححت (بالفتح) تشح وتشح، ورجل شحيح، وشحاح من قوم أشحّة وأشحّاء وشحاح، والشحاح (بالفتح) الشحيح، ويقال أيضا: أرض شحاح: لا تسيل إلا من مطر كثير، والزند الشحاح: الذي لا يوري.

وقال ابن الأثير: وفيه (أي الحديث) «إياكم والشح» الشح: أشدّ البخل. وقيل: هو البخل مع الحرص، وقيل: الشح يكون بالمال والمعروف، وفي الحديث: «بريء من الشح من أدى الزكاة، وقرى الضيف وأعطى في النائة».

وقال ابن منظور: الشح: حرص النفس على ما ملكت وبخلها به، وما جاء في التنزيل من الشح فهذا معناه<sup>(٣)</sup>، وقول الله تعالى: ﴿وَأَحْضَرْتِ الْأَنْفُسَ الشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨] قال القرطبي: الشح هنا: هو شح المرأة بالنفقة من مال زوجها وبقسامه لها أموالها.

وقال ابن زيد: الشح هنا منه ومنها إذ الغالب على المرأة الشح بنفسها من زوجها، والغالب على الزوج الشح بنصيبه من الشابة<sup>(٤)</sup>.

### الشح اصطلاحاً:

قال الراغب: الشح بخل مع حرص، وذلك فيما كان عادة<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير الطبري (١٢ / ٤٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٨ / ٢٠).

(٣) مقاييس اللغة (٣ / ١٧٨)، المفردات (٢٥٦)، الصحاح (١ / ٣٧٨)، النهاية (٢ / ٤٤٨).

(٤) تفسير القرطبي (٥ / ٢٦٠).

(٥) المفردات (٢٥٦)، والتوقيف على مهمات التعاريف (٢٠٢).

وقال الكفوي: الشَّحُّ: هو الحالة النَّفْسِيَّةُ الَّتِي تَقْتَضِي مَنَعَ الْإِنْسَانَ مَا فِي يَدِهِ <sup>(١)</sup> أو في يد غيره.  
وقال ابن رجب - رحمه الله تعالى - : هو تشوُّق النَّفْسِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَمَنَعَ مِنْهُ، وَعَدَمُ قَنَاعَةِ الْإِنْسَانَ بِمَا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ مَالٍ أَوْ فَرْجٍ أَوْ غَيْرِهِمَا <sup>(٢)</sup>. أو هو: تناول ما ليس للإنسان ظلماً وعدواناً من مال أو غيره <sup>(٣)</sup>.

### الفرق بين الشح والبخل:

قال القرطبي: قال طاوس: البخل أن يبخل الإنسان بما في يده، والشَّحُّ أن يشحَّ بما في أيدي النَّاسِ، يَحَبُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بِالْحَلِّ وَالْحَرَامِ <sup>(٤)</sup>. وقال ابن منظور: الشَّحُّ أَشَدُّ الْبَخْلِ، وَقِيلَ الْبَخْلُ فِي أَفْرَادِ الْأُمُورِ وَأَحَادِهَا، وَالشَّحُّ عَامٌّ، وَقِيلَ الْبَخْلُ بِالْمَالِ، وَالشَّحُّ بِالْمَالِ وَالْمَعْرُوفِ <sup>(٥)</sup> وقال أبو هلال: الشَّحُّ: الْحِرْصُ عَلَى مَنَعِ الْخَيْرِ، وَالْبَخْلُ: مَنَعُ الْحَقِّ فَلَا يُقَالُ لِمَنْ يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ بِخَيْلٍ <sup>(٦)</sup>.

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - الفرق بين الشَّحِّ والبخل أن الشَّحَّ هو شِدَّةُ الْحِرْصِ عَلَى الشَّيْءِ وَالْإِحْفَاءِ فِي طَلْبِهِ وَالِاسْتِقْصَاءِ فِي تَحْصِيلِهِ وَجَشَعِ النَّفْسِ عَلَيْهِ، وَالْبَخْلُ: مَنَعُ إِنْفَاقِهِ بَعْدَ حَصُولِهِ وَحَبَّةٍ وَإِمْسَاكِهِ، فَهُوَ شَحِيحٌ قَبْلَ حَصُولِهِ بِخَيْلٍ بَعْدَ حَصُولِهِ، فَالْبَخْلُ ثَمَرَةُ الشَّحِّ، وَالشَّحُّ يَدْعُو إِلَى الْبَخْلِ، وَالشَّحُّ كَامِنٌ فِي النَّفْسِ، فَمَنْ بَخَلَ فَقَدْ أَطَاعَ شَحَّهُ، وَمَنْ لَمْ يَبْخَلْ فَقَدْ عَصَى شَحَّهُ وَوَقِيَ شَرَّهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْمَفْلَحُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] <sup>(٧)</sup>.

### حكم الشح:

عدَّ ابن حجر شحَّ الدَّائِنِ عَلَى مَدِينَةِ الْمَعْسَرِ مَعَ عِلْمِهِ بِإِعْسَارِهِ بِالْمَلَاذِمَةِ أَوْ الْحَبْسِ مِنَ الْكِبَائِرِ بِدَلِيلِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَقُولُ هَكَذَا - وَأَوْماً أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِيَدِهِ إِلَى

(١) الكلبيات للكفوي (٢٤٢) بتصرف.

(٢) شرح حديث ما ذئبان جائعان (٣١).

(٣) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) تفسير القرطبي (٢١ / ١٨).

(٥) اللسان (شحح) (٢٢٠٥) ط. دار المعارف.

(٦) الفروق اللغوية (١٤٤).

(٧) الوابل الصيب (٥٢).

الأرض - : «من أنظر معسرا أو وضع عنه - أي حطّ عنه دينه أو بعضه بالبراءة منه - وقاه الله من فيح جهنم».

وبقوله أيضا: «من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدّنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن يسّر على معسر في الدّنيا يسّر الله عليه في الدّنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدّنيا ستر الله عليه في الدّنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه».

وما ذكره من أنّ فعل الدّائن بمدينة كبيرة ظاهر جدّا وإن لم يصرّ حوا به، إلاّ أنّه داخل في إيذاء المسلم الشّديد الذي لا يطاق عادة، ومفهوم الحديثين الأوّلين: أنّ من لم ينظر مدينة المعسر لا يوقى فيح جهنم، وذلك وعيد شديد، وبه يتأكّد عدّ ذلك كبيرة<sup>(١)</sup>.

ولم يذكر الدّهبيّ من الكبائر الشّحّ، وهو الظّاهر والله أعلم.  
[للاستزادة: انظر صفات: البخل - اتباع الهوى - الأثرة - الكنز.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإنفاق - الإيثار - البر - السخاء - الجود - الصدقة - الكرم - الإحسان - صلة الرحم - بر الوالدين].

\*\*\*

### من مضار (الشح)

- (١) يورث قطيعة الرّحم وانفصام عرى (٥) ينافي الإيمان ويغضب الرّحمن. المحبّة.
- (٢) من أسباب الظلم والبغي والعدوان وسفك الدّماء. (٧) من أعظم الموبقات التي أمر الشّارع باجتنابها.
- (٣) بغض النّاس للشّحّح وبعدهم عن شرّه. (٨) الشّحّح محروم، والمنفق مرزوق.
- (٤) يجرىء على المعاصي وفعل السيّئات. (٩) يستوجب عذاب الله.

(١) الزّواجر لابن حجر (٢٣٧، ٢٣٩).

## شرب الخمر

## شرب الخمر لغة:

الشَّرب مصدر قولهم: شرب الماء ونحوه شربا.

يقول ابن فارس: الشَّين والرَّاء والباء أصل واحد منقاس مطَّرد، وهو الشَّرب المعروف، ثمَّ يحمل عليه ما يقاربه مجازا وتشبيها، تقول: شربت الماء شربا. وهو المصدر، والشَّرب الاسم، والشَّرب أيضا: القوم الذين يشربون، والشَّرب الحظُّ من الماء، والمشربة: الموضع الذي يشرب منه النَّاس، والشَّريب: الذي يشاربك، وقولهم: أشربتني مالم أشرب: أي ادَّعيت عليَّ شربه، وهذا مثل يقال لمن ادَّعي عليه ما لم يفعله، ويقال: ماء مشروب وشريب، إذا صلح أن يشرب، وأشرب فلان حبَّ فلان: إذا خالط قلبه، وقال الجوهري: يقال: شرب الماء شربا وشربا وشربا، وقد قرئ بالثلاثة قوله تعالى: ﴿ فَشَرِبُون شُرْبَ الْهَيْمِرِ ﴾ [الواقعة: ٥٥]، قال أبو عبيدة: الشَّرب - بالفتح - مصدر، وبالرَّفع والخفض اسمان من شرب، والتَّشْراب الشَّرب، والشَّربة: المرَّة الواحدة من الشَّرب، والشَّريب: المولع بالشَّراب، وتقول: شرب مالي وأكله أي أطعمه النَّاس وسقاهم به.

وقال ابن منظور: الشَّراب: ما شرب من أيِّ نوع كان، وعلى أيِّ حال كان، ورجل شارب، وشروب، وشَّراب، وشَّريب، أي مولع بالشَّراب، وقيل: الشَّريب المولع بالشَّراب، والشَّراب الكثير الشَّرب، ورجل شروب: شديد الشَّرب، وفي الحديث: «من شرب الخمر في الدُّنيا لم يشربها في الآخرة»<sup>(١)</sup>.

## الخمر لغة:

الخمر اسم للشَّراب المعروف وهو مأخوذ من مادَّة (خ م ر) التي تدلُّ على التَّغطية والمخالطة في ستر، قال الخليل: واختمارها: إدراكها وغليانها، ومخمَّرها: متَّخذها، وخمرتها ما غشي المخمور من الخمار والسُّكر في قلبه.

وقال الرَّاعب: أصل الخمر ستر الشَّيء، يقال لما يستتر به: خمَّار، وأخمرت العجين جعلت فيه الخمير، وسمَّيت الخمر بذلك لكونها مخامرة للعقل أي مخالطة له.

والخمَّار: الدَّاء العارض من الخمر، وجعل بناؤه بناء الأدوية كالزَّكام والسَّعال، وخمرة

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٧) والصحاح (١/ ١٥٤) ولسان العرب (٤/ ٢٢٢٢) ط، دار المعارف، النهاية (٢/ ٥٥).

الطيب ريحه، وقال الجوهري: يقال خمرة صرف (خالصة) وجمعها خمر وخمور مثل تمرة وتمر وتمور، قيل: سميت خمرا لأنها تركت فاختمت، واختمارها تغير ريحها، وقولهم: ما عند فلان خل ولا خمر، ما عنده خير ولا شر، وخمرة النبيذ والطيب، ما يجعل فيه من الخمر والدردي، والتخمير: التغطية، والمخامرة: المخالطة، وخامر الرجل المكان: لزمه، واستخمر فلان فلانا: استعبده، ومنه حديث معاذ: من استخمر قوما؟ أي أخذهم قهرا وتملك عليهم وذلك في لغة أهل اليمن، وقال ابن منظور: يقال خامر الشيء: قاربه وخالطه.

ويقال خمر وجهه. وخمر إناءك. أي غطه.

والأعرف في الخمر التأنيث فيقال: خمرة صرف، وقد يذكر، وتجمع على خمور وسميت الخمر خمرا لمخامرتها العقل. وروى الأصمعي عن معمر بن سليمان، قال: لقيت أعرابيا فقلت: ما معك؟

قال: خمر. والخمر ما خمر العقل (أي غطاه)

ويقال: خمر الرجل والذابة يخمره خمرا أي سقاه خمرا.

والمخمر: متخذ الخمر. والخمار بائعها، ويقال: هذا عنب خمر، أي يصلح للخمر، ولون خمر: أي يشبه لون الخمر.

وأما خمرتها وخمارها، فهو ما خلط من سكرها ويقال المراد: ما أصابك من ألمها وصداعها وأذاها، كما يطلق الخمار على بقية السكر كما يقال: رجل مخمور أي به خمار، ورجل خمير أي شريب للخمر دائما<sup>(١)</sup>.

### الخمر اصطلاحا:

قال الراغب: الخمر: اسم لكل مسكر وعند بعضهم: اسم للمتخذ من العنب والتمر، لما روي عنه ﷺ: «الخمر من هاتين الشجرتين: النخلة والعنب» ومنهم من جعلها اسما لغير المطبوخ، ثم اختلف في كمية الطبخ التي تسقط عن المطبوخ اسم الخمر<sup>(٢)</sup>.  
وقال الكفوي: الخمر: كل شراب مغط للعقل، سواء أكان عصيرا أو نقيعا مطبوخا أو نيبا<sup>(٣)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٢١٥) المفردات (١٥٩)، الصحاح (٢/ ٦٤٩)، لسان العرب (٢/ ١٢٥٩) (ط. دار المعارف).

(٢) المفردات (١٥٩). وانظر أيضا التوقيف على مهمات التعاريف (١٦٠).

(٣) الكليات (٤١٤).

**شرب الخمر اصطلاحاً:**

يقصد بشرب الخمر: تناول أي نوع من المسكرات على أي هيئة كان، مطبوخاً أو نيئاً، عصيراً أو منقوعاً، قليلاً أو كثيراً<sup>(١)</sup>.

**حكم شرب الخمر:**

عدّ الذهبي وابن حجر شرب الخمر من الكبائر. وألحق الذهبي بذلك شرب الحشيشة، وهي ما صنع من ورق القنب، وذلك من جهة أنّها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد، والخمر أخبث من جهة أنّها تفضي إلى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصدّ عن الصلاة وعن ذكر الله<sup>(٢)</sup>.

وجعل ابن حجر الهيثمي: شرب الخمر مطلقاً والمسكر من غيرها ولو قطرة، وكذلك عصر المسكر، وحمله وطلب حمله، وطلب سقيه وبيعه وشراؤه وطلب أحدهما، وأكل ثمنه. كلّ ذلك من الكبائر.

وذكر عدداً كبيراً من الآيات والأحاديث والآثار الدالة على ذلك، ثمّ حكى الإجماع على شرب الخمر ولو قطرة وكذلك المسكر من غيرها<sup>(٣)</sup>.

**تجنب الخمر يسمو بالأخلاق ويعين على العفة:**

قال الجاحظ: أكثر ما يجب على (المتطلع إلى السموّ) تجنب السكر، لأنّ السكر من الشراب يثير النفس الشهوانية ويقويها ويحملها على التّهتك، وارتكاب الفواحش والمجاهرة بها، وذلك أنّ الإنسان إنّما يرتدع عن القبائح بالعقل والتمييز، فإذا سكر عدم ذلك الذي كان يردعه عن الفعل القبيح، فلا يبالي أن يرتكب كلّ ما كان يتجنب في صحوه، فأولى الأشياء لمن طلب العفة هجر الشراب بالجملة، ويتجنب مجالس المجاهرين بالشراب والسكر والخلاعة، ولا يظنّ أنّه إذا حضر تلك المجالس، واقتصر على اليسير من الشراب لم يستضرّ به، فإنّ هذا أغلظ، وذلك أنّ من يحضر مجالس الشراب ليس تنقاد له نفسه إلى القناعة بيسير الشراب بل إن حضر مجالس الشراب وكان في غاية العفة تاركاً للشرب متمتعاً بالورع حملته شهوته على التشبه بأهل المجلس

(١) اقتبسنا هذا التعريف مما ذكره اللغويون وعلماء المصطلح متعلقاً بكل من الشراب والخمر.

(٢) الكبائر للذهبي (٨٠-٨٦).

(٣) الزواجر (٥٦٨-٥٨٠).

وتأقت نفسه إلى التّهتّك وما أكثر من فعل وتّهتّك بعد السّتر والصّيانة فشّر الأحوال لمن طلب العفّة حضور مجالس الشّراب ومخالطة أهلها والاستكثار من معاشرتهم<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: اتباع الهوى - الإسراف - انتهاك الحرمات - التبذير - الطيش - العصيان - الميسر - الإعراض - التفریط والإفراط - الغي والإغواء - الفسوق - الفجور - الضلال - العصيان. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاستقامة - تعظيم الحرمات - قوة الإرادة - الطاعة - الإيمان - الإسلام - الهدى - الخوف - التقوى - الخشية - العزم والعزيمة].

\*\*\*

### من مضار (شرب الخمر)

- (١) دليل على ضعف الإيمان، إذ قرن (٧) جالب لغضب الرّبّ والطرد من سعة بالأنصاب والأزلام في كتاب الله تعالى. رحمته.
- (٢) ينزع من متعاطيها أنوار الإيمان وخاصّة (٨) يجريء على جلب معاص كثيرة وفواحش حين تعاطيه. جسيمة.
- (٣) يذهب الحياء والمروءة، والنخوة والشّهامة (٩) يسبّب دخول النيران ويحرم متعاطيه من والغيرة. الجنان وما فيها من الخمر الحلال.
- (٤) يذهب العقل الذي به تميّز الإنسان عن (١٠) يحشر صاحبها في أحسّ صورة يوم الحيوان. القيامة.
- (٥) مضرّ بالبدن والنفس والمال. (١١) متلف للثروة، ومضيع للصّحة، ويصيب
- (٦) يورث البغضاء والأحقاد ويصدّ عن ذكر الله وعن الصّلاة. المجتمع في أعزّ ما يملك (قدرات ونشاط الإنسان).

### الشرك

#### الشرك لغة:

الشّرك اسم من قولهم: أشرك به يشرك إشراكا، وهو مأخوذ من مادّة (ش ر ك) التي تدلّ على

(١) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٤٢).

مقارنة وخلاف انفراد<sup>(١)</sup>، ومن ذلك الشَّرْكَ، وهي أن يكون الشَّيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، يقال: شاركت فلانا في الشَّيء، إذا صرت شريكه، وأشركت فلانا، إذا جعلته شريكاً لك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَشْرِكُوا فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٣٢] وشركته في البيع والميراث أشركه شركة، والشرك: الكفر.

وقال الرَّاعِبُ: الشَّرْكَ والمشاركة: خلط الملكين، وقيل: أن يوجد شيء لاثنتين فصاعداً، عينا كان ذلك الشَّيء أو معنى، يقال: شركته، وأشركته وشاركته، وتشاركوا، واشتركوا في كذا، والشريك: المشارك، وجمعه شركاء وأشراك مثل شريف وشرفاء وأشراف، والمرأة شريكة، والنساء شرائك، والمشارك من أشرك بالله تعالى، أي جعل له شريكاً في ملكه، والمشركون في قوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا الْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: ٥] أكثر الفقهاء يحملونه على الكفار جميعاً، وقيل: هم من عدا أهل الكتاب، والشرك (أيضاً): الاشتراك في الأرض ونحوها وفي حديث معاذ: «أنه أجاز بين أهل اليمن الشرك» وذلك أن يدفعها صاحبها إلى آخر بالنصف أو بالثلث أو نحو ذلك. وقول عمر بن عبد العزيز رحمته «الشرك جائز» وهو من ذلك. قال الأزهري: سمعت بعض العرب يقول: فلان شريك فلان، إذا كان متزوجاً بابنته أو بأخته، وامرأة الرجل: شريكته، ومعنى الشرك في قوله تعالى: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] أي لا تجعل له شريكاً في ربوبيته، وقد دخلت الباء الجارة لأن معناه لا تعدل به غيره، ومن عدل به شيئاً من خلقه، فهو كافر مشرك.

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية: لما نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله صلوات الله عليهم فقال: ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ واختلف في عبارة إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ هل هي من كلام لقمان أو من كلام المولى عليه السلام؟ والراجح أنها من كلام المولى عليه السلام والشرك بالله في اعتقاد جلب النفع ودفع الضرر، وليس الكفر بالله لأنه لو كان كفرًا لما ذهب بالتوكل. والشريك في تلبية أهل الجاهلية هو الصنم، وذلك قولهم: «لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك» يريدون أن الصنم وما يملكه ويختص به من الآلات التي تكون عنده وحوله والتدور التي كانوا يتقربون بها إليه ملك لله تعالى.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٥٢)، المفردات للراغب (٢٥٩)، الصحاح (٤/ ١٥٩٤)، لسان العرب (٤/ ٢٢٤٩)، النهاية (٢/ ٤٦٧).

قال ابن منظور (وبمثل قوله تقول): اللهم، إنا نسألك صحّة التوحيد والإخلاص في الإيمان، انظر إلى هؤلاء لم ينفعهم طوافهم ولا تلبيتهم ولا قولهم عن الصنم هو لك، ولا قولهم: تملكه وما ملك، مع تسميتهم الصنم شريكا، بل حبط عملهم بهذه التسمية، ولم يصحّ لهم التوحيد مع الاستثناء ولا نفعهم معذرتهم بقولهم ﴿إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] <sup>(١)</sup>. لأنّ المناسب لتسكين إشفاقهم أن يكون خبرا من الله تعالى <sup>(٢)</sup>، وقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠] معنا: الذين صاروا مشركين بطاعتهم للشيطان، وليس المعنى أنهم أشركوا بالشيطان وأمنوا بالله، ولكن عبدوا الله وعبدوا معه الشيطان، وصاروا بذلك مشركين، وقال الطبري: المعنى: الذين هم بالله مشركون أي أن الهاء ضمير عائد إلى المولى ﷻ وعن مجاهد قال: يعدلون برّب العالمين، وقيل: عدلوا إبليس برّبهم فإنهم بالله مشركون <sup>(٣)</sup>. وقال القرطبي: روي عن بعضهم ﴿بِهِ﴾ أي بالشيطان. والمعنى: الذين هم من أجله مشركون (أي أن الباء للسببية)، يقال: كفرت بهذه الكلمة أي أهلها، وصار فلان بك عالما، أي والذي تولّى الشيطان هو بذلك مشرك بالله <sup>(٤)</sup>، وجاء في الحديث الشريف: «من حلف بغير الله فقد أشرك» حيث جعل ما لا يحلف به محلّوفا به كاسم الله الذي يكون به القسم، وأما قوله ﷺ «الطيرة شرك ولكن الله يذهب بالتوكل» قال ابن الأثير: جعل التطير شركا.

### الشرك اصطلاحا:

وقال المناوي: الشرك إمّا أكبر، وهو إثبات الشريك لله تعالى، أو أصغر وهو مراعاة غير الله في بعض الأمور <sup>(٥)</sup>.

### أقسام الشرك:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: الشرك نوعان: أكبر وأصغر. فالشرك الأكبر: لا يغفره الله إلا بالتوبة منه: وهو أن يتخذ من دون الله ندا، يحبه كما يحبّ الله. وهو الشرك الذي تضمّن تسوية آلهة المشركين برّب العالمين. ولهذا قالوا لآلهتهم في النار:

(١) لسان العرب (١٠ / ٤٤٨ - ٤٥٠)، وانظر: تاج العروس (١٤٨ - ١٥٠)، والنهاية (٢ / ٤٦).

(٢) تفسير القرطبي (١٤ / ٤٣).

(٣) تفسير الطبري (٧ / ٦٤٦).

(٤) تفسير القرطبي (١٠ / ١١٦).

(٥) التوقيف (٢٠٣).

﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]، مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء، وربّه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت. وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم، بل كلهم يحبون معبوداتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله.

وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله. ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده، ويغضبون لمنتقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين، وإذا انتهكت حرمة من حرمت آلهتهم ومعبوداتهم غضبوا غضب اللئيم إذا حرد، وإذا انتهكت حرمت الله لم يغضبوا لها، بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئاً رضوا عنه ولم تنكر له قلوبهم. وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه ديدناً له إن قام وإن قعد، وإن عثر وإن مرض وإن استوحش فذكر إلهه ومعبوده من دون الله هو الغالب على قلبه ولسانه. وهو لا ينكر ذلك، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله، وشفيعه عنده، ووسيلته إليه. وهكذا كان عبّاد الأصنام سواء. وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم.

فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وغيرهم اتخذوها من البشر. قال الله تعالى، حاكياً عن أسلاف هؤلاء المشركين: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٣].

ثم شهد عليهم بالكفر والكذب، وأخبر أنه لا يهديهم فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣]. فهذه حال من اتخذ من دون الله ولياً يزعم أنه يقربه إلى الله. وما أعز من يخلص من هذا؟ بل ما أعز من لا يعادي من أنكره.

والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك. وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن الله أن يشفع فيه. ومن جهل المشرك: اعتقاده أن من اتخذ ولياً أو شفيعاً أنه يشفع له، وينفعه عند الله كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله.

كما قال تعالى في الأصل الأول: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وفي الأصل الثاني: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وبقي أصل ثالث، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد، واتباع الرسول. وعن هاتين الكلمتين يسأل الأولين والآخرين. كما قال أبو العالية: كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟.

فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاهها وعقلها: لا شفاعة إلا بإذنه. ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله. ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيد، واتباع رسوله.

فالله تعالى لا يغفر شرك العادلين به غيره كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، وأصح القولين: أنهم يعدلون به غيره في العبادة والموالة والمحبة، كما في الآية الأخرى: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾ إِذْ سَأَلْتُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]، وكما في آية البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وترى المشرك يكذب حاله وعمله قوله؛ فإنه يقول: لا نحبهم كحب الله، ولا نسويهم بالله، ثم يغضب لهم ولحرماتهم إذا انتهكت أعظم مما يغضب الله، ويستبشر بذكرهم، ويتبشش به لا سيما إذا ذكر عنهم ما ليس فيهم من إغاثة اللهفان، وكشف الكربات، وقضاء الحاجات، وأنهم الباب بين الله وبين عباده، فإنك ترى المشرك يفرح ويسر ويحن قلبه، وتهيج منه لواجع التعظيم والخضوع لهم والموالة، وإذا ذكرت له الله وحده، وجردت توحيدته لحقته وحشة، وضيق، وخرج ورماك بتنقص الإلهية التي له، وربما عاداك.

وقد قطع الله تعالى كل الأسباب التي تعلق بها المشركون جميعا قطعا يعلم من تأمله وعرفه: أن من اتخذ من دون الله وليا، أو شفيعا فهو ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١]، فقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْكُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنِ أَذِنَ لَهُ، ﴿[سبأ: ٢٢، ٢٣]، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريده عباده منه. فإن لم يكن مالكا كان شريكا للمالك، فإن لم يكن شريكا له كان معينا له وظهيرا، فإن لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده. فنفي سبحانه المراتب الأربع نفيا مترتبا، متنقلا من

الأعلى إلى مادونه، فنفي الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة، التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه. فكفى بهذه الآية نورا، وبرهانا ونجاة، وتجريدا للتوحيد، وقطعا لأصول الشرك، وموادة لمن عقلها. والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته، وتضمّنه له، ويظنّونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا. وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن.

ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا، فقد ورثهم من هو مثلهم، أو شرّ منهم، أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك.

ولكنّ الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنّما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهليّة، وهذا لأنّه إذا لم يعرف الجاهليّة والشرك، وما عابه القرآن وذمّه وقع فيه وأقرّه، ودعا إليه وصوّبه وحسنه. وهو لا يعرف أنّه هو الذي كان عليه أهل الجاهليّة، أو نظيره. أو شرّ منه، أو دونه. فينقض بذلك عرى الإسلام عن قلبه. ويعود المعروف منكرا، والمنكر معروفا، والبدعة سنّة، والسنة بدعة، ويكفر الرّجل بمحض الإيمان وتجريد التّوحيد، ويبعد بتجريد متابعة الرّسول صلّى الله عليه وآله ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حيّ يرى ذلك عيانا، والله المستعان.

ويدخل تحت هذا النّوع (الشرك الأكبر) السّجود لغير الله، والرّكوع، والنّذر، والخوف، والتّوكّل على غيره، والعمل لغيره، والإنابة، والخضوع، والدّلّ لغير الله، وابتغاء الرّزق من عند غيره، واعتقاد أن يكون في الكون ما لا يشاؤه، وطلب الحوائج التي لا يقدر عليها إلّا هو من غيره، والاستغاثة بهم. وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلّا من جرّد توحده الله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله، واتّخذ الله وحده وليّه وإلهه ومعبوده فجرّد حبّه لله، وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكّله على الله، واستعانته بالله، والتّجاءه إلى الله، واستغاثته بالله. وأخلص قصده لله متّبعاً لأمره، متطلّبا لمرضاته. إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل لله فهو لله، وبالله، ومع الله.

والشرك أنواع كثيرة. لا يحصيها إلّا الله. ولو ذهبنا نذكر أنواعه لاتسع الكلام أعظم اتّساع. وأمّا الشرك الأصغر: فكيسير الرّياء، والتّصنّع للخلق، والحلف بغير الله، كما ثبت عن النّبّي صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»، وقول الرّجل للرّجل ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ومالي إلّا الله وأنت، وأنا متوكّل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن

كذا وكذا»، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب قائله ومقصده. وصحَّ عن النبي ﷺ أنه قال لرجل قال له: «ما شاء الله وشئت»: «أجعلتني لله نداً؟ قل: ما شاء الله وحده». وهذا اللفظ أخف من غيره من الألفاظ<sup>(١)</sup>.

### من مظاهر الشرك:

للشرك سواء أكان من المشركين أهل الجاهلية الأولى، أو ممن ينتسبون إلى أهل الكتاب من اليهود أو النصارى، أو المبتدعة ممن ينتسبون إلى الإسلام - وهو منهم ومن شركهم براء - صور عديدة كشف عنها علماء الإسلام محدّرين الناس منها، خاصة أن بعض هذه المظاهر قد شاعت في بعض البلدان الإسلامية، نذكر من ذلك:

١ - الاستغاثة والتوسل بغير الله تعالى: قال الإمام ابن تيمية: من أعظم أنواع الشرك دعاء الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم، وعند قبورهم، وفي مغيبهم، وخطاب تماثيلهم والاستغاثة بهم، وطلب الشفاعة منهم، وهو من الدين الذي لم يشرعه الله، ولا ابتعث به رسولا، ولا أنزل به كتابا، وليس هو واجبا ولا مستحبا باتفاق علماء المسلمين، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين، وإن كان ذلك ممّا يفعله كثير من الناس ممن له عبادة وزهد، ويذكرون فيه حكايات ومناجات، فهذا كله من الشيطان، وفيهم من ينظم القصائد في دعاء الميت والاستشفاع به، والاستغاثة، أو يذكر ذلك في ضمن مديح الأنبياء والصالحين، فهذا كله ليس بمشروع، ولا واجب، ولا مستحب باتفاق أئمة الدين، فإن الله لا يعبد إلا بما هو واجب أو مستحب.

ولم يكن النبي ﷺ بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين ويستشفعوا بهم، لا بعد مماتهم ولا في مغيبهم.

وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة وهي ضلالة باتفاق المسلمين، فلا يتقرب بها إلى الله. ومن تقرب إلى الله بما ليس من الحسنات الأمور بها أمر إيجاب ولا استحباب فهو ضال متبع للشيطان، وسبيله من سبيل الشيطان، كما قال عبد الله ابن مسعود: خط لنا رسول الله ﷺ خطأ، وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال: «هذا سبيل الله، وهذه سبيل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٦٨ - ٣٧٦) باختصار.

بِكُمْ عَنْ سَيِّئِهِ ﴿ [الأنعام: ١٥٣] <sup>(١)</sup>.

إنَّ الشَّفَاعَةَ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ؛ هِيَ الشَّفَاعَةُ الصَّادِرَةُ عَنْ إِذْنِهِ لِمَنْ وَحَدَهُ، وَالَّتِي نَفَاهَا اللَّهُ ﷻ هِيَ الشَّفَاعَةُ الشَّرَكِيَّةُ، الَّتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شَفَعَاءَ، وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ تَجْرِيدَ التَّوْحِيدِ أَكْبَرُ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَنَالُ بِهَا شَفَاعَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ الْجَهْلُ الْبَيِّنُ اعْتِقَادُ أَصْحَابِ الشَّفَاعَةِ الشَّرَكِيَّةِ أَنَّ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ تَنْفَعُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ كَمَا يَكُونُ حَوَاصِّ الْمُلُوكِ وَالْوَلَاةِ تَنْفَعُ شَفَاعَتَهُمْ مِنْ وَالِاهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمْ هَؤُلَاءُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَأْذَنُ فِي الشَّفَاعَةِ إِلَّا مَنْ رَضِيَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، ثُمَّ إِنَّ هُنَاكَ أَصْلًا ثَالِثًا هُوَ أَنَّهُ لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَّا التَّوْحِيدَ وَاتِّبَاعَ الرَّسْلِ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَصُولٍ تَقْطَعُ شَجَرَةَ الشَّرْكِ مَمَّنْ وَعَاهَا وَعَقْلَهَا:

١- لا شفاعاة إلا بإذنه. ٢- لا يأذن إلا من رضي قوله وعمله.

٣- لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع المصطفى ﷺ، فالله ﷻ لا يغفر شرك العادلين به غيره في العبادة والموالة والمحبة، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]. إِنَّكَ تَرَى الْوَاحِدَ مِنْ هَؤُلَاءِ يَكْذِبُ حَالَهُ وَعَمَلَهُ قَوْلُهُ فَإِنَّهُ يَقُولُ: لَا يُحِبُّهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ، وَلَا نَسُوهُمْ بِاللَّهِ، ثُمَّ يَغْضَبُ لَهُمْ وَلِحُرْمَاتِهِمْ - إِذَا انْتَهَكَتْ - أَكْبَرُ مِمَّا يَغْضَبُ اللَّهُ، وَيَسْتَبِشِرُ بِذِكْرِهِمْ، سَيِّمًا إِذَا ذَكَرَ عَنْهُمْ مَا لَيْسَ فِيهِمْ مِنْ إِغَاثَةِ اللَّهِ فَانْ، وَكَشَفِ الْكِرْبَاتِ وَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَأَنْهُمْ الْبَابُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، فَإِنَّكَ تَرَى الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَفْرَحُ وَيَسْرُّ وَيَحْنُ قَلْبُهُ، أَمَّا إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَجَرَّدَتْ تَوْحِيدُهُ لِحَقِّقَتِهِ وَحِشَّةَ وَضَيْقِ حَرْجِ وَرَمَاكَ بِنَقْصِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي لَهُ، وَرَبَّمَا عَادَاكَ <sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ ابن باز - مد الله في عمره -: إنَّ دَعَاءَ غَيْرِ اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَالْأَشْجَارِ وَالْأَصْنَامِ وَغَيْرِهَا شَرِكٌ بِاللَّهِ ﷻ يَنَافِي الْعِبَادَةَ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ الثَّقَلَيْنِ مِنْ أَجْلِهَا، وَأَرْسَلَ الرَّسْلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ لِبَيَانِهَا وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهَا وَهَذَا هُوَ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» أَي لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ، فَهِيَ تَنْفِي الْعِبَادَةَ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ، وَتَثْبِيحُ اللَّهِ، وَهَذَا هُوَ أَصْلُ الدِّينِ الْأَوَّلِ، أَمَّا الْأَصْلُ الثَّانِي فَهُوَ أَنَّهُ لَا يَعْبُدُ إِلَّا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهَذَا مَعْنَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَمَنْ دَعَا الْأَمْوَاتَ

(١) مجموع الفتاوى ١ / ١٥٩، وما بعدها (بإيجاز وتصرف)، وانظر أيضا قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص ٢٠ وما بعدها.

(٢) مدارج السالكين ١ / ٣٧٠ - ٣٧١ (بتصرف واختصار).

من الأنبياء وغيرهم، أو دعا الأصنام أو الأشجار أو الأحجار أو غير ذلك من المخلوقات أو استغاث بهم فقد اتخذهم أربابا من دون الله، وجعلهم أندادا لله، وهذا يناقض أصل الإيمان وينافي معنى الشهادتين، كما أن من ابتدع في الدين شيئا لم يأذن به الله لم يحقق معنى شهادة أن محمدا رسول الله. وكل عمل مبتدع لم يأذن به الله يكون يوم القيامة هباء منثورا لأنه لم يوافق شرعه المطهر<sup>(١)</sup>.

٢- الزيارة البدعية للمقابر: قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : زيارة قبور المسلمين على وجهين: زيارة شرعية، وزيارة بدعية.

فأما الزيارة الشرعية فمقصودها الدعاء للميت، كما أن الصلاة عليه دعاء له، وكان ﷺ إذا دفن الرجل من أمته يقوم على قبره ويقول: «سلوا الله له التثبيت فإنه الآن يسأل»<sup>(٢)</sup>. وكان ﷺ يزور قبور أهل البقيع والشهداء بأحد، ويعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإننا إن شاء الله تعالى بكم لا حقون، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمننا أجرهم ولا تفتننا بعدهم»<sup>(٣)</sup>.

أما الزيارة البدعية فهي التي يقصد بها أن يطلب من الميت الحوائج، أو يطلب منه الدعاء (له) والشفاعة، أو يقصد الدعاء عند قبره لظن القاصد أن ذلك أجوب للدعاء. فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة لم يشرعها النبي ﷺ ولا فعلها الصحابة لا عند قبر النبي ﷺ ولا عند غيره، وهي من جنس الشرك وأسباب الشرك. ولو قصد الصلاة عند قبور الأنبياء والصالحين من غير أن يقصد دعاءهم والدعاء عندهم - مثل أن يتخذ قبورهم مساجد - لكان ذلك محرما منهيًا عنه، وكان صاحبه متعرضا لغضب الله ولعنته، كما قال النبي ﷺ: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(٤)</sup>، وقال: «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا. وقال: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك».

فإذا كان هذا محرما وهو سبب لسخط الرب ولعنته فكيف بمن يقصد دعاء الميت والدعاء عنده، وبه، واعتقد أن ذلك من أسباب إجابة الدعوات ونيل الطلبات وقضاء الحاجات!؟

(١) إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ص ١٤.  
(٢) رواه أبو داود ج ٣ ص ٢١٥ حديث رقم (٣٢٢١) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ونصه عنده «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل».

(٣) رواه مسلم عن بريدة، وبعضه عن عائشة، انظر صحيح مسلم ٢ / ٦٧١، حديث رقم (٩٧٤ - ٩٧٥).

(٤) رواه مالك في الموطأ ١ / ١٧٢ عن عطاء بن يسار، وانظر هامش ٢٣ ص ٢٦ من كتاب قاعدة جلييلة.

وهذا كان أول أسباب الشرك في قوم نوح وعبادة الأوثان في الناس، قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم ظهر الشرك بسبب تعظيم قبور صالحهم<sup>(١)</sup>.

ويقول ابن القيم عن هذا المظهر من مظاهر الشرك (أي طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم): وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فضلاً عما استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها. والميت محتاج إلى من يدعو له، ويترحم عليه، ويستغفر له، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين «أن نترحم عليهم، ونسأل لهم العافية والمغفرة» فعكس المشركون هذا، وزاروهم زيارة العبادة، واستقضاء الحوائج، والاستغاثة بهم، وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ ابن باز: إن هذا النوع من دعاء الأموات كقول القائل: بحق الله رجال الله أعينونا بعون الله، وكونوا عوننا بالله، وكقولهم: يا أقطاب، يا أوتاد، يا أسياذ، يا ذوي الأمداد فينا واشفعاؤنا لله، هذا عبدكم واقف، وعلى بابكم عاكف.

إن هذا ونحوه من الشرك الأكبر وهو من جنس عمل المشركين الأولين مع آلهتهم كالعزى والآلات وغيرهما، ويلحق ذلك ويتبعه الاستغاثة والاستعانة بمن يعتقد فيهم الولاية من الأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ كشفاء المرضى وهداية القلوب، ودخول الجنة والنجاة من النار وأشباه ذلك، لأن ذلك عبادة لغير الله وطلب لأموال لا يقدر عليها سواه من الأموات والغائبين، وذلك أقبح من شرك الأولين، لأن الأولين إنما يشركون في حال الرخاء، وأما في حال الشدائد فيخلصون لله العبادة لأنهم يعلمون أنه سبحانه هو القادر على تخليصهم من الشدة دون غيره، فإن قال قائل من هؤلاء المشركين المتأخرين: إننا لا نقصد أن أولئك يفيدون بأنفسهم وإنما نقصد شفاعتهم إلى الله في ذلك، قيل له: إن ذلك هو مقصد الكفار الأولين ومرادهم، وليس مرادهم أن آلهتهم تخلق أو ترزق أو تنفع أو تضر بنفسها بدليل ما حكاه القرآن عنهم من نحو قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] وقوله عز من قائل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] وقد رد عليهم المولى هذا القول بقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

(١) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ص ٢٦، ٢٧.

(٢) مدارج السالكين / ١ / ٣٧٥.

يُشْرِكُونَ ﴿يونس: ١٨﴾ فأبان سبحانه أنه لا يعلم في السموات ولا في الأرض شفيعا عنده على الوجه الذي يقصده المشركون، وما لا يعلم الله وجوده، لا وجود له، لأنه سبحانه لا يخفى عليه شيء<sup>(١)</sup>.

٣- الذبح لغير الله والنذر لغيره سبحانه: يقول الشيخ ابن باز - مد الله في عمره - : قال الله ﷻ:

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] فأمر الله نبيه أن يخبر الناس أن صلاته ونسكه - وهو الذبح - ومحياه ومماته لله رب العالمين لا شريك له، فمن ذبح لغير الله فقد أشرك بالله كما لو صلى لغير الله، لأن الله سبحانه جعل الصلاة والذبح قرينين وأخبر أنهما لله وحده لا شريك له، فمن ذبح لغير الله من الجن والملائكة والأموات وغيرهم يتقرب إليهم بذلك فهو كمن صلى لغير الله. وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله»<sup>(٢)</sup> <sup>(٢)</sup>.

أما النذر لغير الله تعالى فإنه أعظم (إثما) من الحلف بغيره سبحانه، وإذا كان من حلف بغير الله قد أشرك، فكيف بمن نذر لغير الله؟<sup>(٤)</sup>.

٤- الحلف بغير الله تعالى: قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : إن الحلف بالمخلوقات شرك

بخالفها، كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»<sup>(٥)</sup> (أو كفر).

وقد اتفق المسلمون على أنه من حلف بالمخلوقات المحرمة أو بما يعتقد هو حرمة كالعرش، والكرسي، والكعبة، والملائكة والصالحين وغير ذلك لا ينعقد يمينه، ولا كفارة في الحلف بذلك، وهو حرام عند الجمهور<sup>(٦)</sup>، ولم يقل أحد من العلماء المتقدمين أن اليمين ينعقد بأحد من الخلق، إلا في نبينا ﷺ فإن عن أحمد روايتين في أنه ينعقد اليمين به، وقد طرد بعض أصحابه الخلاف في سائر الأنبياء وهذا ضعيف، والذي عليه الجمهور كمالك والشافعي وأبي

(١) إقامة البراهين للشيخ ابن باز ص ٣٩-٤٥ (بتصرف وإيجاز).

(٢) رواه مسلم ج ٣ ص ١٥٦٧.

(٣) إقامة البراهين ص ٢٤.

(٤) مدارج السالكين ص ٣٧٤-٣٧٥.

(٥) رواه الترمذي ج ٤ ص ١١٠ حديث رقم (١٥٣٥)، وقال: حديث حسن، ونصه: أن ابن عمر رضي الله عنهما سمع رجلا يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ق يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو شرك» قال الترمذي: وفسر هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن قوله «قد كفر أو شرك» على التغليظ.

(٦) قاعدة جلية ص ٥٨، وانظر مدارج السالكين ١ / ٣٧٥.

حنيفة أنه لا ينعقد اليمين بالنبي ﷺ - ناهيك عن سائر الأنبياء - كما جاء في إحدى الروايتين عن أحمد، وهو الصحيح<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر ابن القيم هذا النوع على أنه من الشرك الأصغر - كما سبق - وجعل منه أيضا:

٥- سجود المرید للشيخ: إن سجود المرید للشيخ شرك من الساجد والمسجود له (إن رضي بذلك) فإن قالوا: ليس هذا سجودا وإنما هو وضع الرأس قدام الشيخ احتراماً وتواضعاً، قيل لهم: حقيقة السجود وضع الرأس لمن يسجد له، وكذلك السجود للصنم، وللشمس، وللنجم، وللحجر، كله وضع الرأس قدامه.

٦- حلق الرأس للشيخ: ومن الشرك (الأصغر) حلق الرأس للشيخ، فإنه تعبد لغير الله، وكذلك التوبة للشيخ لأنها لا تكون إلا لله ﷻ.

٧- الخوف من غير الله: ومنه كذلك الخوف من غير الله، والتوكل على غير الله والعمل لغير الله، والإنابة والخضوع والذل لغير الله وإضافة النعمة لغير الله<sup>(٢)</sup>، وغير ذلك من مظاهر الرياء<sup>(٣)</sup>.

### أحكام الشرك:

قال الكفوي: والشرك أنواع: شرك الاستقلال: وهو إثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس، وشرك التبعض وهو تركيبه الإله من آلهة شرك النصارى، وشرك التقريب وهو عبادة غير الله ليقرب إلى الله زلفى كشرك متقدمي الجاهلية. وشرك التقليد وهو عبادة غير الله تبعاً للغير كشرك متأخري الجاهلية. وشرك الأسباب وهو إسناد التأثير للأسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبائين ومن تبعهم على ذلك.

وشرك الأغراض: وهو العمل لغير الله.

قال الكفوي: فحكم الأربعة الأولى الكفر بإجماع وحكم السادس المعصية من غير كفر بإجماع، وحكم الخامس التفصيل فمن قال في الأسباب العادية إنها تؤثر بطبيعتها فقد حكم الإجماع على كفره ومن قال إنها تؤثر بقوة أودعها الله فيها بطبيعتها فهو فاسق<sup>(٤)</sup>. وقد قال كل من

(١) المرجع السابق ١٥٩.

(٢) مدارج السالكين، ١/ ٣٧٤ - ٣٧٥ (بتصرف واختصار).

(٣) عد العلماء الرياء من الشرك الأصغر، وقد عقدنا له صفة خاصة فأغنى ذلك عن الإعادة هنا.

(٤) الكليات (٥٣٣).

الإمامين الذهبي وابن حجر إنَّ الشُّركَ كبيراً كان أو صغيراً من الكبائر<sup>(١)</sup>.

### من معاني لفظ الشرك في القرآن الكريم:

قال ابن الجوزي: ذكر أهل التفسير أنَّ الشُّركَ في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يعدل بالله غيره. ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وفيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، وفي براءة: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣]، وهو الأعم في القرآن.

والثاني: إدخال شريك في طاعته دون عبادته. ومنه قوله تعالى في الأعراف: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَاءِ اتِهْمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]، أي: أطاعا إبليس في تسمية ولدهما.

وفي إبراهيم: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢]. أي: في الطاعة. وفي الأنعام: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلِيَ آيَاتِهِمْ لِيُجَدِّ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

والثالث: الرياء في الأعمال. ومنه قوله تعالى في الكهف: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: انتهاك الحرمات - اتباع الهوى - الردة - الضلال - الفسوق - الكفر - العصيان - الإلحاد - الزندقة - النفاق - عقوق الوالدين - ترك الصلاة - الكذب - الفسوق - نكران الجميل.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التوحيد - الإسلام - الإيمان - معرفة الله ﷻ - الهدى - اليقين - الصدق - التقوى - تكريم الإنسان - تعظيم الحرمات - الطاعة].

\*\*\*

### من مضار (الشرك)

(١) حبوط الأعمال وإن كانت كثيرة. (٢) الخلود الأبدي في النار.

(١) انظر في تفصيل ذلك: الكبائر للذهبي (٩)، والزواجر (٣٩) وما بعدها.

(٢) نزهة الأعين النواظر (٣٧٢)، وانظر بصائر ذوي التمييز (٣ / ٣١٣ - ٣١٥)، والتصاريف ليحيى بن سلام (١٠٦)، وكشف السرائر لابن العماد (٣٥).

- (٣) استباحة دمه وماله وعرضه بالسببي . مصائب الأقدار .  
 (٤) القلق والاضطراب والنكد والكمند (٦) أعظم من جميع المعاصي .  
 والخوف الدائم والحزن اللازم . (٧) عدو الله وللبرية ولنفسه التي بين جنبيه .  
 (٥) لا يجد عوناً ومدداً من الله على ما يلقاه من (٨) يدعو إلى كل رذيلة ويبعد عن كل فضيلة .

## الشك

### الشك لغة:

الشك مصدر شك في الأمر يشك شكاً إذا التبس، يقول ابن فارس: الشين والكاف أصل واحد مشتق بعضه من بعض، وهو يدل على التداخل، من ذلك شككته بالرمح وذلك إذا طعنته، فداخل السنان جسمه. ومن هذا الباب الشك الذي هو خلاف اليقين، إنما سمي بذلك، لأن الشاك كأنه شك له الأمران في مشك واحد، وهو لا يتيقن واحداً منهما، فمن ذلك اشتقاق الشك. تقول: شككت بين ورقتين، إذا أنت غرزت العود فيهما فجمعتهما.

وقيل: الشك الارتياب، ويستعمل الفعل لازماً ومتعدياً بالحرف، فيقال: شك الأمر يشك شكاً إذا التبس، وشككت فيه، وقولهم خلاف اليقين يعني التردد بين شيئين سواء استوى طرفاه، أو رجع أحدهما على الآخر، قال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكِّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤] أي غير مستيقن، وهو يعم الحالتين والشكوك الناقصة التي يشك في سنامها، أبه طرق أم لا لكثرة وبرها فيلمس سنامها والجمع شك، وشكّه بالرمح والسهم ونحوهما يشكّه شكاً: انتظمه.. وشككته بالرمح إذا خرقتة وانتظمته.

والشكة: السلاح، وقيل: ما يلبس من السلاح.

والشك لزوق العضد بالجنب.. والشك اللزوم واللصوق.. وشك البعير يشك شكاً أي ظلع ظلعاً خفيفاً.

وقال ابن منظور: الشك نقيض اليقين، وجمعه شكوك، وهو الريب وقد شككت في كذا، وشك في الأمر يشك شكاً وشككه فيه غيره. وتشكك في الأمر تشككاً بمعنى شك. أنشد ثعلب:  
 من كان يزعم أن سيكتم حبه حتى يشكك فيه، فهو كذوب

أراد حتى يشكك فيه غيره.

وفي الحديث: «أنا أولى بالشك من إبراهيم» لما نزل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنُ قَالِ بَلَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] <sup>(١)</sup>.

وقال الفيروزبادي: والشك ربما كان في الشيء: هل هو موجود أو غير موجود؟ وربما كان في جنسه أي من أي جنس هو، وربما كان في بعض صفاته، وربما كان في الغرض الذي لأجله أوجد، والشك ضرب من الجهل، وهو أخص منه، لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأسا. وكل شك جهل، وليس كل جهل شكًا.

وأصله من شككت الشيء. إذا خرقتة، قال عنتره:

وشككت بالرمح الأصم لهاته ليس الكريم على القنا بمحرّم  
وكأن الشك الخرق في الشيء، وكونه بحيث لا يجد الرأي مستقرًا يثبت فيه ويعتمد عليه. ويجوز أن يكون مستعارًا من الشك وهو لصوق العضد بالجنب، وذلك أن يتلاصق النقيضان فلا مدخل للفهم والرأي ليتخلل ما بينهما، ويشهد لهذا قولهم: التبس الأمر واختلط وأشكل. ونحو ذلك من الاستعارات <sup>(٢)</sup>.

#### الشك اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الشك: هو التردد بين النقيضين لا ترجيح لاحدهما على الآخر عند الشاك. وقيل: الشك ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشئيين لا يميل القلب إلى أحدهما، فإذا ترجح أحدهما، ولم يطرح الآخر فهو ظن، فإذا طرحه، فهو غالب الظن، وهو بمنزلة اليقين <sup>(٣)</sup>. وقيل: الشك اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما، وذلك قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عند النقيضين. أو لعدم الأمانة فيهما <sup>(٤)</sup>.

وقال المناوي: الشك: الوقوف بين النقيضين، وقيل: هو الوقوف بين المعنى ونقيضه،

(١) لسان العرب (١٠ / ٤٥١ - ٤٥٢)، والنهية في غريب الحديث: (٢ / ٤٩٥). وانظر المصباح المنير (٣٠٢)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٣ / ١٧٣).

(٢) المفردات للراغب (٢٧٢) والتوقيف للمناوي (٢٠٧)، بصائر ذوي التمييز (٣ / ٣٣٢).  
(٣) التعريفات (١٢٨).

(٤) المفردات (٢٧٢)، وانظر الكليات للكفوي (٥٢٨).

وضدّه: الاعتقاد<sup>(١)</sup>.

وقال الكفويّ: وقال بعضهم: الشكّ ما استوى فيه اعتقادان أو لم يستويا، ولكن لم ينته أحدهما إلى درجة الظهور الذي يبني عليه العاقل الأمور المعتمدة.

والشكّ كما يطلق على ما لا يترجّح أحد طرفيه، يطلق أيضا على مطلق التردد، وعلى ما يقابل العلم<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: سوء الظن - القلق - الوسوسة - الوهم - الغفلة - التفريط والإفراط - الضلال.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: اليقين - الثبات - السكينة - الطمأنينة - العلم - الفقه - الفطنة - الإيمان - حسن الظن].

\*\*\*

### من مضار (الشك)

- (١) الشكّ يضعف الإيمان بالله ﷻ وبالملائكة (٤) المصاب بداء الشكّ مريض في نفسه لا والكتاب والنبين وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.
- (٢) يدخل الوسواس على القلب فلا يجعله يثبت على يقين.
- (٣) الريب والشكّ والوسواس آفات نفسية تجعل الثقة مهزوزة بين أفراد المجتمع.
- (٤) المصاب بداء الشكّ مريض في نفسه لا يستطيع أن يثبت في حال من الأحوال.
- (٥) الشكّ في الله شرك أكبر.
- (٦) الشكّ سمة ضعف الإنسان وقوة الشيطان عليه.
- (٧) الشكوك في الرعية تفسدها.
- (٨) الاستكانة للشكّ تجلب التهم.
- (٩) الشكّ ينتج إساءة الظنّ بأقرب الناس.

### الشماتة

#### الشماتة لغة:

مصدر قولهم: شمت به يشمت، وهو مأخوذ من مادة (ش م ت) التي تدلّ على فرح ببلية

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٠٧).

(٢) الكليات (٥٢٨).

العدو، قال في اللسان: الشّماتة: فرح العدو (أي ببليّة عدوّه)، وقيل: الفرح ببليّة تنزل بمن تعاديه، والفعل منها شمت به (بالكسر) يشمت شماتة وشماتا إذا فرح بمصيبة نزلت به، وقيل الشّمات: الخيبة، ويعدى بالهمزة، فيقال: أشمته الله به، وفي التنزيل: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِنِكَ الْأَعْدَاءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

قال القرطبي: أي لا تسرّهم، وهي محرّمة منهيّ عنها، وهي في قراءة مجاهد: (لا تشمت بي الأعداء) أي لا تفعل بي ما تشمت من أجله الأعداء، أي لا يكون ذلك منهم لفعل تفعله أنت بي<sup>(١)</sup>. وقيل المعنى على قراءة الجماعة: لا تسرّهم بما تفعل بي فأكون ملوما منهم ومنك، قال الشاعر:

والموت دون شماتة الأعداء<sup>(٢)</sup>

وقرأ: فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ.

وشمّته الله: خيبه. ويقال: خرج القوم في غزاة، فقفلوا شماتي وشمّتين، قال: والتشمت أن يرجعوا خائبين، لم يغنموا.

يقال: رجع القوم شماتا من متوجّهم، بالكسر: أي خائبين.

وتشميت العاطس: الدّعاء له. وشمّت العاطس، وسمّت عليه: دعا له أن لا يكون في حال يشمّت به فيها، والسّين لغة عن يعقوب. كأنه دعاء للعاطس بالثبات على طاعة الله، وقيل: معناه أبعذك الله عن الشّماتة وجنبك ما يشمت به عليك. ويقال أيضا: شمّت الرّجل إذا نسب إلى الخيبة<sup>(٣)</sup>.

#### الشّماتة اصطلاحاً:

قال الرّاعب: الشّماتة الفرح ببليّة من تعاديه ويعاديك<sup>(٤)</sup>.

وقال القرطبي: الشّماتة: السّرور بما يصيب أخاك من المصائب في الدّين والدّنيا<sup>(٥)</sup>.

وقال المناوي: الشّماتة: الفرح بمصيبة العدو<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير القرطبي (٧/ ١٨٥).

(٢) تفسير البحر المحيط ٤/ ٣٩٤.

(٣) مقاييس اللغة (٣/ ٢١٠)، والصحاح (٣/ ٢١٠) والصحاح (١/ ٢٥٥)، لسان العرب (٢/ ٥١-٥٢). المصباح المنير (١/ ٣٢٢)، وانظر بصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٤٤).

(٤) المفردات (٢٧٣).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٩١).

(٦) التوقيف (٢٠٨).

وقال الكفوي: الشّماتة هي السّرور بمكاره الأعداء<sup>(١)</sup>.  
 [للاستزادة: انظر صفات: البغض - الحسد - الحقد - سوء الخلق - الفضح - الإساءة - الأذى - سوء المعاملة.  
 وفي ضد ذلك: انظر صفات: الشّهامة - الصّفح - المحبة - المواساة - حسن المعاملة - حسن العشرة - الإحسان - الأدب].

\*\*\*

### من مضار (الشّماتة)

- (١) تسخط الله ﷻ والملائكة المقربين.  
 (٢) تنبأ عن سوء خلق الشّامت.  
 (٣) دليل على انتزاع الرّحمة من القلوب.  
 (٤) تورث العداوة والبغضاء.  
 (٥) سبيل إلى تفكك المجتمع وتمزيقه.  
 (٦) الشّماتة خلق ذميم وصاحبه مبغوض من الله والنّاس.

### شهادة الزور<sup>(\*)</sup>

الشهادة لغة واصطلاحاً: (انظر صفة: إقامة الشهادة).

#### الزور لغة:

الميل عن الحقّ، يقول ابن فارس: الزّاي والواو والرّاء أصل واحد يدلّ على الميل والعدول، من ذلك الزّور الكذب، لأنّه مائل عن طريقة الحقّ، ويقال: زور فلان الشّيء تزويراً، وزور الشّيء في نفسه: هيّأه، لأنّه يعدل به عن طريقة تكون أقرب إلى قبول السّامع. والزّور مأخوذ من الزّور، وهو ميل في الزّور، يقول الرّاعب: وقيل للكذب زور لكونه مائلاً عن جهته، قال تعالى: ﴿ظُلُمًا وَّزُورًا﴾ [الفرقان: ٤].

والزّور أيضاً: كلّ شيء يتّخذ ربّاً، ويعبد من دون الله.

(١) الكليات (٥٠٨).

(\*) شهادة الزور، قول الزور، عمل الزور كلها بمعنى متقارب.

وزور نفسه: وسمها بالتزوير، وزور الشهادة أبطلها، والزور مجالس اللهو. والزور: شهادة الباطل وقول الكذب، ولم يشتق من تزوير الكلام، ولكنه اشتق من تزوير الصدر، وقيل: الزور الكذب والباطل والتهمة وزور الكلام زخرفه، وازور عن الشيء وتزاور عنه، مال، وقيل: شهادة الزور، أي شهادة الكذب، والباطل، وقيل: شهادة (أي شهود) الباطل. ورجل زور وقوم زور وكلام مزور ومنتزور: مموه بكذب، وقيل: محسن. وقيل: هو المثقف (أي المهذب المرتب) قبل أن يتكلم به، ومنه حديث عمر رضي الله عنه: «ما زورت كلاماً لأقوله إلا سبقني به أبو بكر». والتزوير: إصلاح الشيء.. والتزوير: تزيين الكذب. وسمع ابن الأعرابي يقول: كل إصلاح من خير أو شر فهو تزوير، ومنه شاهد الزور، يزور كلاماً.

والتزوير: إصلاح الكلام وتهيته. قال الحجاج: رحم الله امرأ زور نفسه على نفسه، أي قومها وحسنها، وقيل: اتهم نفسه على نفسه.

وقولهم: قد زور عليه كذا وكذا، قال أبو بكر: فيه أربعة أقوال: يكون التزوير فعل الكذب والباطل.

والزور: الكذب. والتزوير: التشبيه. والتزوير:

التزييق والتحسين. وزورت الشيء: حسنته وقومته.

وقال الأصمعي: تهية الكلام وتقديره، والإنسان يزور كلاماً، وهو يقومة ويتقنه قبل أن يتكلم به.

والزور: شهادة الباطل وقول الكذب. وقد تكرر ذكر شهادة الزور في الحديث، وهي من الكبائر، فمنها قوله: «عدلت شهادة الزور الشرك بالله» وإنما عادلته لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ثم قال بعدها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢] <sup>(١)</sup>. وقال أبو جعفر الطبري في تفسير هذه الآية: وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه أنه خلاف ما هو به. ويدخل فيه الغناء لأنه أيضاً مما يحسنه ترجيع الصوت حتى يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضاً قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه، حتى يظن صاحبه أنه حق. فكل ذلك يدخل في معنى الزور <sup>(٢)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٣٦)، المفردات للراغب (٢١٧)، لسان العرب (٤/ ٣٣٦-٣٣٧). وانظر المصباح المنير (١/ ٩٩).

ومختار الصحاح (٢٧٨). والنهية في غريب الحديث (٢/ ٣١٨).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن (١٩/ ٣١).

وقال ابن حجر معقبا على ما ذكره الإمام البخاري في باب ما قيل في شهادة الزور، لقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أشار (البخاري) بذلك إلى أن الآية سيقت في ذم متعاطي شهادة الزور، وهو اختيار منه لأحد ما قيل في تفسيرها، وقيل: المراد بالزور هنا الشرك، وقيل: الغناء، وقيل غير ذلك. قال الطبري: أولى الأقوال عندنا أن المراد به مدح من لا يشهد شيئا من الباطل، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

### عظم شهادة الزور وسبب الاهتمام بها:

وقال ابن حجر في قوله ﷺ «وجلست وكان متكئا» يشعر بأنه اهتم بذلك حتى جلس بعد أن كان متكئا، ويفيد ذلك تأكيد تحريم الزور وعظم قبحه، وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزور أو شهادة الزور أسهل وقوعا على الناس، والتهاون بها أكثر، فإن الإشراف ينبو عنه قلب المسلم، والعقوق يصرف عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرها، فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراف قطعاً، بل لكون مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد، بخلاف الشرك فإن مفسدته قاصرة غالباً<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو حيان في تفسيره للآية الكريمة: والظاهر أن المعنى: لا يشهدون بالزور، أو لا يشهدون شهادة الزور، وقيل: المعنى لا يحضرون الزور (من المشاهدة أي أن شهد هنا بمعنى شاهد) وقد اختلف في الزور على أقوال منها: الشرك (قاله الضحاك وابن زيد)، والغناء (قاله مجاهد)، والكذب (قاله ابن جريج) وأعياد المشركين (عن مجاهد أيضا) ومجالس الباطل (قاله قتادة) وقيل غير ذلك<sup>(٣)</sup>.

وقال الشيخ الميداني: وفي حياة الناس نوع خطير من الكذب، شديد القبح، سييء الأثر ألا وهو شهادة الزور.

إن الأصل في الشهادة أن تكون سندا لجانب الحق، ومعينة للقضاء على إقامة العدل، والحكم على الجناة الذين تنحرف بهم أهواؤهم وشهواتهم، فيظلمون أو ييغون، أو يأكلون أموال الناس بالباطل، فإذا تحوّلت الشهادة عن وظيفتها، فكانت سندا للباطل، ومضلة للقضاء، حتى

(١) الفتح (٥ / ٣١٠).

(٢) المرجع السابق (٥ / ٣١١).

(٣) تفسير البحر المحيط / ٦ / ٤٧٣.

يحكم بغير الحق، استنادا إلى ما تضمنته من إثبات، فإنها تحمل حينئذ إثم جريمتين كبيرين في آن واحد.

الجريمة الأولى: عدم تأديتها وظيفتها الطبيعية الأولى.

الجريمة الثانية: قيامها بجريمة، تهضم فيها الحقوق، ويظلم فيها البراء، ويستعان بها على الإثم والبغي والعدوان<sup>(١)</sup>.

#### النزور اصطلاحا:

قال أبو هلال العسكري: الزور هو الكذب الذي قد سوي وحسن في الظاهر ليحسب أنه صدق وهو من قولك: زورت الشيء إذا سويته وحسنته<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: وضابط الزور وصف الشيء على خلاف ما هو به: وقد يضاف إلى القول فيشمل الكذب والباطل، وقد يضاف إلى الشهادة فيختص بها<sup>(٣)</sup>.

#### شهادة الزور اصطلاحا:

وقال القرطبي: شهادة الزور هي الشهادة بالكذب ليتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس أو أخذ مال أو تحليل حرام أو تحريم حلال<sup>(٤)</sup>.

#### حكم شهادة الزور:

قال الإمام الذهبي - بعد أن ذكر أنها من الكبائر -: إن شاهد الزور قد ارتكب عظام: أحدها: الكذب والافتراء.

ثانيها: أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه (أحيانا).

ثالثها: أنه ظلم الذي شهد له بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار، مصداقا لقوله ﷺ: «من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه، وإنما أقطع له قطعة من النار».

(١) الأخلاق الإسلامية (١ / ٥٤٦).

(٢) مخطوط تنبيه الطالب لفهم ابن الحاجب. باب الزاي فصل الواو. المخطوط من تأليف: أبي عبد الله عز الدين محمد ابن عبد السلام بن إسحاق الأموي المالكي. مكتبة مركز إحياء التراث رقم (٦٠٢) فقه عام.

(٣) فتح الباري (٥ / ٤٢٦).

(٤) السابق، الصفحة نفسها.

رابعها: أنه أباح ما حرّم الله تعالى، وعصمه من المال والدّم والعرض<sup>(١)</sup>.  
وقال ابن حجر: عدّ شهادة الزور وقبولها، كلاهما من الكبائر. وقد صرّحوا بذلك في  
الشّهادة، وقياس الثانية (أي قبول شهادة الزور) أن تكون كذلك، وحكى بعضهم الإجماع على أنّ  
شهادة الزور كبيرة ولا فرق بين أن يكون المشهود به قليلاً أو كثيراً فضلاً عن هذه المفسدة القبيحة  
الشنيعة جداً<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الأذى - الإساءة - الإفتراء - الإفك - البهتان - الكذب - الخيانة -  
اتباع الهوى - الظلم.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: إقامة الشهادة - الأمانة - الصدق - الكلم الطيب - المسؤولية -  
الإيناف - العدل والمساواة - الشهامة].

\*\*\*

### من مضار (شهادة الزور)

- (١) سبب لسخط الجبار ودخول النار.
- (٢) فيها ضياع حقوق الناس وظلمهم.
- (٣) تطمس معالم العدل والإيناف.
- (٤) تعين الظالم على ظلمه، وتعطي الحقّ لغير مستحقّه.
- (٥) تقويض لأركان الأمن وزعزعة للاستقرار.
- (٦) سبب لزرع الأحقاد والضغائن في القلوب.
- (٧) فساد اجتماعي يعصف بالمجتمع ويدمّره.

### صغّر الهمة

#### الصغّر لغة:

الصغّر خلاف الكبر، مأخوذ من مادّة «ص غ ر» التي تدلّ على القلّة والحقارة، يقول ابن  
فارس: الصّاد والغين والرّاء أصل صحيح يدلّ على قلّة وحقارة. من ذلك الصغّر ضدّ الكبر،  
والصغير خلاف الكبير<sup>(٣)</sup>.

(١) الكبائر للذهبي (٧٩).

(٢) الزواجر (٣٣٥) بتصرف يسير.

(٣) المقاييس (٣/ ٢٩٠).

وقد صغر الشّيء، وهو صغير، وصغار، وأصغره غيره، وصغّره تصغيراً. واستصغره عدّه صغيراً، وتصاغرت إليه نفسه، تحاقت، والصّغار، بالفتح: الذّلّ والصّيم، وكذلك الصّغر بالصّمّ. والمصدر الصّغر - بالتّحريك - وقد صغر الرّجل - بالكسر - يصغر صغراً. يقال: قم على صغرك وصغرك، والصّاعر، الرّاضي بالصّيم<sup>(١)</sup>.  
والصّغر والصّغارة خلاف العظم، وقيل: الصّغر في الجرم، والصّغارة في القدر وأصغره وصغّره: جعله صغيراً.

والإصغار خلاف الإكبار، وأرض مصغرة: نبتها صغير لم يطل، وفلان صغرة أبويه، وصغرة ولد أبويه، أي أصغرهم وهو كبرة ولد أبيه أي أكبرهم.. وتصاغرت إليه نفسه: صغرت وتحاقت ذلّاً ومهانة، وفي الحديث: «إذا قلت ذلك تصاغر حتّى يكون مثل الذّباب» يعني الشّيطان أي ذلّ وامّحق، قال ابن الأثير: ويجوز أن يكون من الصّغر والصّغار، وهو الذّلّ والهوان، وفي حديث عليّ يصف أبا بكر رضي الله عنه «برغم المنافقين وصغر الحاسدين» أي ذلّهم وهوانهم، وصغرت الشمس: مالت للغروب<sup>(٢)</sup> ومن أمثال العرب: المرء بأصغريه، وأصغراه قلبه ولسانه، ومعناه أنّ المرء يعلو الأمور ويضبطها بجنانته ولسانه.

### الهمة لغة:

الهمة: واحدة الهمم، وهمّ بالشيء يهّم همّاً: نواه وأراده، وعزم عليه. والهمة والهمة: ما همّ به من أمر ليفعله، وتقول: إنّه لعظيم الهمّ وإنّه لصغير الهمة، وإنّه لبعيد الهمة.

والهمة - بالفتح - والهمام: الملك العظيم الهمة. وقيل: الهمام اسم من أسماء الملك لعظم همّته، وقيل: لأنّه إذا همّ بأمر أمضاه لا يردّ عنه بل ينفذ كما أراد، وقيل: الهمام السيّد الشّجاع السّخيّ<sup>(٣)</sup>.

قال الماوردي رحمته الله: فأما شرف النّفس: إذا تجرّد عن علوّ الهمة، فإنّ الفضل به عاطل، والقدر به حامل، وهو كالقوّة في الجلد الكسل، والجبان الفشل، تضعيف قوّته بكسله، وجلده بفشله. وشرف النّفس مع صغر الهمة أولى من علوّ الهمة مع دناءة النّفس، لأنّ من علت همّته مع

(١) الصحاح (٢/ ٧١٣).

(٢) اللسان (٤/ ٢٤٥٢، ٢٤٥٣).

(٣) المرجع السابق (١٢/ ٦٢٠ - ٦٢١).

دناءة نفسه، كان متعدّياً إلى طلب ما لا يستحقّه، ومتخطّياً إلى التماس ما لا يستوجبّه، ومن شرفت نفسه مع صغر همّته، فهو تارك لما يستحقّ ومقصر عمّا يجب له، وفضل ما بين الأمرين ظاهر، وإن كان لكلّ واحد منهما من الدّم نصيب<sup>(١)</sup>.

### صغر الهمة اصطلاحاً:

قال الجاحظ: صغر الهمة: هو ضعف النفس عن طلب المراتب العالية، وقصور الأمل عن بلوغ الغايات، واستكثار اليسير من الفضائل، واستعظام القليل من العطايا والاعتداد به، والرّضا بأوساط الأمور وأصاغرها<sup>(٢)</sup>.

وقال الرّاعب: صغر الهمة: ترك الإنسان لما يستحقّه وهو الدّناءة سواء. وقال أيضاً: الكبير الهمة على الإطلاق هو من لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه فلا يصير عبد عارية بطنه وفرجه، بل يجتهد أن يتخصّص بمكارم الشريعة فيصير من خلفاء الله وأوليائه في الدّنيا ومجاوريه في الآخرة، والصّغير الهمة من كان على الضّد من ذلك<sup>(٣)</sup>.

### الفرق بين التّنفع وصغر الهمة:

التّنفع تأهل الإنسان لما لا يستحقّه، وهو البذخ، وصغر الهمة تركه لما لا يستحقّه وهو الدّناءة وكلاهما مذموم لكنّ المتنفع جاهل أحمق، والصّغير الهمة جاهل غير أحمق<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التخاذل - الضعف - الكسل - اللهو واللعب - الوهن - التفريط والإفراط - التهاون - اتباع الهوى.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: علو الهمة - الرجولة - الشجاعة - الطموح - العمل - النشاط - القوة - قوة الإرادة - العزم والعزيمة].

\*\*\*

### من مضار (صغر الهمة)

انظر مضار صفة «الكسل».

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (٣٠٨ - ٣٠٩).

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٣٤).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٩١).

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٩١).

## الضعف

## الضعف لغة:

مصدر قولهم: ضعف يضعف، وهو مأخوذ من مادة (ض ع ف) التي تدلّ على خلاف القوّة، يقال منه: ضعف فهو ضعيف، والضعف بفتح الضادّ لغة تميم، وبضمّها لغة قريش، ولذلك قال بعضهم: الضّعف والضّعف والضّعف خلاف القوّة، وقيل: الضّعف - بالضمّ - في الجسد، والضّعف - بالفتح - في الرّأي والعقل، وقيل: هما معا جائزان في كلّ وجه، عن ابن الأعرابيّ وأنشد:

ومن يلق خيرا يغمز الدهر عظمه      على ضعف من حاله وفتور  
فهذا في الجسم، وأنشد في الرّأي والعقل:  
ولا أشارك في رأي أخا ضعف      ولا ألين لمن لا يبتغي ليني  
وقد ضعف يضعف ضعفا وضعفا. وضعف، فهو ضعيف، والجمع ضعفاء وضعفاء وضعفاء.

ونسوة ضعيفات وضعائف وضعفاء، قال:

لقد زاد الحياة إليّ حبا      بناتي؛ إنهنّ من الضّعاف  
والضعفة: ضعف الفؤاد وقلة الفطنة. ورجل مضعوف ومبهوت إذا كان في عقله ضعف<sup>(١)</sup>.  
وأضعف الرّجل: ضعفت دابّته. يقال هو ضعيف مضعف: فالضعيف في بدنه والمضعف في دابّته، وضعفه السّير، أي أضعفه، والتّضعيف أيضا أن تنسبه إلى الضّعف، وأضعفه، وضعفه صيره ضعيفا، واستضعفه وتضعفه وجده ضعيفا فركبه بسوء.

وفي إسلام أبي ذرّ: «تضعفت رجلا» أي استضعفته، وفي الحديث: «أهل الجنة كلّ ضعيف متضعّف»: يقال: تضعفته، واستضعفته بمعنى للذي يتضعفه الناس، ويتجبرون عليه في الدّنيا للفقير وراثثة الحال. ورجل مضعوف ومبهوت، إذا كان في عقله ضعف، وشعر ضعيف: عليل<sup>(٢)</sup>.

(١) لسان العرب (٩/٢٠٣، ٢٠٤) ط. بيروت، مقاييس اللغة (٣/٣٦٢)، والصّاح (٤/١٣٩٠)، والمصباح المنير (١/١٣٧).

(٢) لهذه المادة معنى آخر هو أن يزداد الشيء مثله، ومن هذا الأصل قيل أضعفت الشيء إضعافا وضعفته تضعيفا، وضاعفته مضاعفة، وهو أن يزداد على أصل الشيء فيجعل مثلين أو أكثر، انظر المقاييس (٣/٣٦٢).

**الضعف اصطلاحاً:**

الضعف وهن القوة حساً أو معنى، وقيل: خلاف القوة ويكون في النفس وفي البدن وفي الحال<sup>(١)</sup>.

وقيل: الضعف ضدّ القوة في العقل والرأي، وبالضمّ في الجسم وبالكسر بمعنى المثل<sup>(٢)</sup>.  
[للاستزادة: انظر صفات: التخاذل - الجبن - القنوط - الكسل - الوهن - اليأس - التهاون - صغر الهمة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: القوة - قوة الإرادة - علو الهمة - النشاط - مجاهدة النفس - جهاد الأعداء - الصبر والمصابرة - العزم والعزيمة].

\*\*\*

**من مضار (الضعف)**

(١) يورث الذلّ والهوان على الله ثمّ على (٣) طريق يؤدّي إلى تفكّك المجتمعات والنّاس. وتفريق الجماعات.

(٢) دليل على ضعف الإيمان وقلة اليقين. (٤) مظهر من مظاهر سوء الخلق.

**الضلال****الضلال لغة:**

مصدر قولهم: ضلّ يضلّ، وهو مأخوذ من مادّة (ض ل ل) التي تدلّ على ضياع الشّيء وذهابه في غير حقّه، وكلّ جائر عن القصد ضالّ، ورجل ضلّيل ومضلّل، إذا كان صاحب ضلال وباطل، تقول:

أضللت بعيري: إذا ذهب منك، وضللت المسجد والدار، إذا لم تهتد إليهما، وكذلك كلّ شيء مقيم، لا يهتدى إليه، وقال الراغب: الضلال: العدول عن الطّريق المستقيم، ويزاد الهداية، ويقال الضلال (أيضاً) لكلّ عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً يسيراً كان أو كثيراً، ولكونه

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٢٣)، وانظر كشف اصطلاحات الفنون (٢/ ٨٨٧).

(٢) الكلبيات للكفوي (٥٧٥).

كذلك صحّ أن يستعمل لفظ الضلال ممّن يكون منه خطأ ما، ولذلك نسب إلى الأنبياء وإلى الكفار، وإن كان بين الضالين بون بعيد، ولذلك قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧] أي غير مهتد لما يساق إليك من التوبة، وقال في يعقوب عليه السلام، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨] إشارة إلى شغفه بيوسف عليه السلام، وقال عن موسى - عليه الصلاة والسلام - ﴿قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠] تنبيه أن ذلك منه سهو.

وقال الجوهري: يقال: ضلّ الشيء يضلّ ضلالاً، أي ضاع وهلك، والاسم: الضلّ (بالضّم)، والضّالة: ما ضلّ من البهيمة، للدّكر والأنثى ورجل ضليل ومضلّل، أي ضالّ جدّاً، وهو الكثير التّبّع للضلال، وأضله: أضاعه وأهلكه، وضللت المسجد والدّار: إذا لم تعرف موضعهما، وكذلك كلّ شيء مقيم لا يهتدى له، ويقال: أضله الله فضلّ (أي أنّ ضلّ تستعمل مطاوعة لأضلّ)، ويقال إنّك تهدي الضالّ ولا تهدي المتضالّ، وتضليل الرّجل، أن تنسبه إلى الضلال، والضّلال: الهلاك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٤٧] والضّلال البعيد: إشارة إلى ما هو كفر كقوله ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وقال ابن منظور: الضّلال والضّالة: ضدّ الهدى والرّشاد، أي جار عن دين أو حقّ أو طريق.

ضللت تضلّ، هذه اللّغة الفصيحة، وضللت تضلّ ضلالاً وضلالة. وبنو تميم يقولون: ضللت أضلّ، فهو من باب ضرب وعلم، وقد قرأ بهما جميعاً قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ [سبأ: ٥٠].

وأهل العالية يقولون: ضللت بالكسر، أضلّ وهو ضالّ تالّ، وهي الضّلالة والتّلالة. وأضله: جعله ضالّاً. والإضلال في كلام العرب ضدّ الهداية والإرشاد. يقال: أضللت فلاناً إذا وجهته للضلال عن الطّريق، وإياه أراد لبيد:

من هداه سبيل الخير اهتدى ناعم البال، ومن شاء أضل  
قال لبيد هذا في جاهليّته فوافق قوله التنزيل العزيز: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

[النحل: ٩٣]

وضلّ سعيه: عمل عملاً لم يعد عليه نفعه، ضلّله تضليلاً وتضلالاً: صيّره إلى الضلال ونسبه إليه، وتضالّ تضالّاً، ادعى الضلال، وضلول: كضالّ<sup>(١)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٣٥٦)، المفردات (٢٩٩)، والصحاح (٥/ ١٧٤٨).

**الضلال اصطلاحاً:**

قال الرّاعب: الضّلال: هو العدول عن الطّريق المستقيم<sup>(١)</sup>.

وقال الجرجانيّ والمناويّ: الضّلال فقد ما يوصل إلى المطلوب، وقيل سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب<sup>(٢)</sup>.

وقال الفيروزباديّ: الضّلال: هو عدول عن المنهج (منهج الله)، عمداً كان أو سهواً قليلاً كان أو كثيراً<sup>(٣)</sup>.

**الفرق بين الضلال والغبي:**

قال الكفويّ: الضّلال يكون في مقابلة الهدى والغبيّ في مقابلة الرّشد. والضّلال: ألا يجد السّالك إلى مقصده طريقاً أصلاً، والغواية: ألا يكون له إلى المقصد طريق مستقيم<sup>(٤)</sup>.

**أنواع الإضلال:**

الإضلال ضربان: أحدهما أن يكون سببه الضّلال كقولك: أضللت البعير؛ أي ضلّ عني. وإمّا أن يحكم بضلاله.

والضرب الثّاني: أن يكون الإضلال سبباً للضّلال. وهو أن يزيّن للإنسان الباطل ليضلّ، كقوله تعالى: ﴿لَهَمَّتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ [النساء: ١١٣]، أي يتحرّون أفعالاً يقصدون بها أن تضلّ، فلا يحصل من فعلهم ذلك إلا ما فيه ضلال أنفسهم.

**إضلال الله تعالى للإنسان على وجهين:**

أحدهما: أن يكون سببه الضّلال وهو أن يضلّ الإنسان فيحكم الله عليه بذلك في الدّنيا، ويعدل به عن طريق الجنّة إلى النّار في الآخرة، وذلك الإضلال هو حقّ وعدل، فإنّ الحكم على الضّالّ بضلاله، والعدول به عن طريق الجنّة إلى النّار حقّ وعدل.

والثّاني من إضلال الله: هو أن الله تعالى وضع جبلة الإنسان على هيئة، إذا راعى طريقاً محموداً كان أو مذموماً ألفه واستطابه، وتعسّر عليه صرفه وانصرافه عنه. ويصير ذلك كالطّبع

(١) لسان العرب (١١) / ٣٩٠-٣٩٦.

(٢) المفردات (٢٩٧).

(٣) التعريفات (١٣٨)، والتوقيف (٢٢٣).

(٤) بصائر ذوي التمييز (٣/ ٤٨١) وما بين القوسين في التعريف من إضافتنا.

الذي يأبى على الناقل، ولذلك قيل: العادة طبع ثان. وهذه القوّة فينا فعل إلهي. وإذا كان كذلك، يصحّ أن ينسب ضلال العبد إلى الله من هذا الوجه، فيقال: أضله الله، لا على الوجه الذي يتصوّرهُ الجهلة. ولذا قلنا جعل الإضلال المنسوب إلى نفسه للكافر والفاسق دون المؤمن، بل نفى عن نفسه إضلال المؤمن فقال: ﴿وَمَا كَانَتْ أَللَّهُ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ﴾ [التوبة: ١١٥]، ﴿وَالَّذِينَ قِيلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ٤]، وقال في الكافرين: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّأَلَهُمْ وَاضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ٨]، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦] (١).

### من معاني كلمة «الضلال» في القرآن الكريم:

- ١- الغواية: ومنه قوله تعالى في (يس): ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [يس: ٦٠].
- ٢- الخسران: ومنه قوله تعالى في (سورة غافر): ﴿وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ﴾ [غافر: ٢٥].
- ٣- الشّقاء: ومنه قوله تعالى في (سورة القمر): ﴿إِنَّا إِذَا لَفِئَ ضَلٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٢٤].
- ٤- البطلان: ومنه قوله تعالى في (سورة محمد): ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ٤].
- ٥- الخطأ: ومنه قوله تعالى في (سورة: القلم): ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرٍِّ قَدْرَيْنِ ﴿٥٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضٰلُونَ﴾ [القلم: ٢٥، ٢٦].
- ٦- الهلاك (الموت): ومنه قوله تعالى في (سورة السّجدة): ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠].
- ٧- النسيان: ومنه قوله تعالى في (سورة البقرة): ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢].
- ٨- الجهل: ومنه قوله تعالى في (سورة الشعراء): ﴿قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠].
- ٩- الضلال الذي هو ضدّ الهدى: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصفّات: ٧١].

وإذا كان الضلال ترك الطريق المستقيم عمداً كان أو سهواً قليلاً كان أو كثيراً، صح أن يستعمل لفظ الضلال فيمن يكون منه خطأ ما<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإلحاد- شرب الخمر- الشك- الفجور- الفسق- الكفر- اتباع الهوى- التفريط والإفراط- الابتداع- انتهاك الحرمات.

وفي ضد ذلك: الإيمان- الاستقامة- الهدى- الطاعة- الإسلام- الفرار إلى الله- الاتباع- تعظيم الحرمات].

\*\*\*

### من مضار (الضلال)

- (١) الضلال طريق يوصل صاحبه إلى النار. (٦) من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه إلى يوم القيامة.
- (٢) كلّ عدول أو انحراف عن الطريق المستقيم فهو ضلال.
- (٣) الضلال من الشيطان. والهداية من الرحمن.
- (٤) الضلال سلوك طريق الفجّار وأهل البدع. (٨) قد يبدأ الانحراف بنقطة ثمّ يتمادى فيبعد عن طريق الهدى.
- (٥) كثيراً ما كان النبي ﷺ: يستعيد بعزة الله من الضلال.
- (٩) علامة على سوء الخاتمة.

### الطغيان

#### الطغيان لغة:

مصدر قولهم: طغى يطغى، وهو مأخوذ من مادة (ط غ و / ي) التي تدل على مجاوزة الحدّ في العصيان<sup>(٢)</sup>، قال الخليل: وكلّ شيء يجاوز القدر فقد طغى، مثلما طغى الماء على قوم نوح

(١) بصائر ذوي التمييز: (٣/ ٤٨١ - ٤٨٥).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٤١٢).

(فأغرقهم)، وكما طغت الصبيحة على ثمود<sup>(١)</sup> (فأهلكتهم)، يقال: طغى يطغو، وطحى يطغى: إذا جاوز القدر، وارتفع وغلا في الكفر وأسرف في المعاصي والظلم<sup>(٢)</sup>، وقال الراغب: يقال: طغوت وطحيت طغوانا وطحيانا، وأطغاه كذا: حملة على الطغيان والاسم من ذلك: الطغوى، قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثُمُودٌ بِطَغْوَانِهَا﴾ [الشمس: ١١] أي لم يصدقوا إذ خوفوا بعقوبة طغيانهم، أمّا قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ [النجم: ٥٢] فتنبه على أن الطغيان لا يخلص الإنسان فقد كان قوم نوح أطغى منهم (أي من كفار قريش)، فأهلكوا، والطاغوت<sup>(٣)</sup> عبارة عن كل متعدّد، وكلّ معبود من دون الله، وقد سمّي به السّاحر والكاهن، والمارد من الجنّ، والصّارف عن الخير<sup>(٤)</sup>، واللّات والعزى (من أصنام العرب) والشيطان، وكلّ رأس ضلال، والأصنام، ومردة أهل الكتاب<sup>(٥)</sup>، ويستعمل واحدا وجمعا مثال الأوّل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]، ومثال الآخر قوله ﷺ: ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أمّا الطاغية فيراد به معاني عديدة، منها: ملك الروم، والصّاعقة، وصبيحة العذاب، والجبار العنيد، والأحمق المستكبر الظالم، والذي لا يبالي ما أتى، يأكل النّاس ويظلمهم ويقهرهم<sup>(٦)</sup>، أمّا معنى الفعل (طحى) فإنّه يرتبط بالسياق الذي يرد فيه فقولهم: طغى البحر<sup>(٧)</sup>: هاجت أمواجه، وطحى الدّم تبيخ، وطحى السّيل: أتى بماء كثير، وطحى البقرة: صاحت<sup>(٨)</sup>، أمّا قولهم: أطغاه المال فالمراد جعله طاغيا، أمّا طغيان العلم والمال الوارد في حديث وهب (بن منبه): «إنّ للعلم طغيانا كطغيان المال» فالمراد بذلك كما يقول ابن الأثير: أنّ العلم يحمل صاحبه على التّرخّص بما اشتبه منه إلى ما لا يحلّ له، ويترفع

(١) كتاب العين للخليل (٤/ ٤٣٥).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٣/ ٥٠٨).

(٣) الطاغوت: قيل إنّ أصله طغوت فحدث فيه قلب مكاني حيث قدّمت الواو على الغين فصارت طوغوت ثمّ قلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، ويكون على ذلك من طغى ووزنه فلعتوت، وقيل: هو من طاغ وهو على وزن (فعلوت) مثل الرّحموت والجبروت والملكوت، انظر في ذلك: الصحاح للجوهري (٦/ ٢٤١٢).

(٤) المفردات للراغب (٣٠٥).

(٥) الصحاح للجوهري (٦/ ٢٤١٢).

(٦) لسان العرب (طغا) ص ٢٦٧٨ (ط. دار المعارف).

(٧) الفعل طغى يكتب بالياء وبالألف نظرا لاحتمال كون الماضي الذي على وزن (فعل) يائيّا فتكتب بالياء مثل رمي أو واويّا فتكتب بالألف مثل غزا وقد ورد الرسمان في القرآن الكريم، انظر الآية ٤٣ من سورة طه والآية ١١ من سورة الحاقة.

(٨) استخلصنا هذه المعاني من: لسان العرب (٣٦٧٨)، والصحاح (٦/ ٢٤١٢).

به على من دونه، ولا يعطي حقه بالعمل به، كما يفعل رب المال<sup>(١)</sup>، وقول الله تعالى: ﴿وَلَزِيدَتْ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٨]، فالمراد بالطغيان، أن يزدادوا كفرا إلى كفرهم<sup>(٢)</sup>، والطغيان في قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥] يراد به البغي والظلم<sup>(٣)</sup>، وقيل: الكفر والضلال، وطغيان فرعون إسرافه في دعوى (الألوهية) حيث قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]<sup>(٤)</sup>، وطغيان الماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَاطِعَا الْمَاءِ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]، استعارة لارتفاعه وتجاوزه الحد<sup>(٥)</sup>، أمّا الطغيان في حديث خزيمه «وأنا مقرّ بالقرآن، كافر بالطغيان» فالمراد به كما يقول ابن الأثير: مخالفة سنن الإسلام وحدوده<sup>(٦)</sup>.

### الطغيان اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الطغيان: مجاوزة الحدّ في العصيان<sup>(٧)</sup>.

وقال المناوي: قال الحرالي: الطغيان: إفراط الاعتدال في حدود الأشياء ومقاديرها<sup>(٨)</sup>.

وقال الكفوي: الطغيان: تجاوز الحدّ الذي كان عليه من قبل، وكلّ شيء جاوز الحدّ فقد طغى<sup>(٩)</sup>.

وقال القرطبي: الطغيان: تجاوز الحدّ في الظلم والغلوّ فيه، وذلك أنّ الظلم منه صغيرة ومنه كبيرة، فمن تجاوز منزلة الصغيرة فقد طغى<sup>(١٠)</sup>.

وقال العلامة ابن القيم رحمته: الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله<sup>(١١)</sup>.

(١) النهاية لابن الأثير ٣ / ١٢٨، وقارن بلسان العرب (طغى) (٢٦٧٧) ط. دار المعارف.

(٢) تفسير القرطبي (٦ / ١٥٩).

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (١ / ٣٣) ت: فؤاد سزكين.

(٤) تفسير القرطبي (١ / ١٤٦).

(٥) بصائر ذوي التمييز (٣ / ٥٠٨).

(٦) منال الطالب، شرح طوال الغرائب (٢٧).

(٧) التعريفات (١٤٦).

(٨) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٢٧).

(٩) الكليات للكفوي (٥٨٠، ٥٨٤).

(١٠) تفسير القرطبي (٦ / ١٥٩).

(١١) فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن (٣٢).

## الفرق بين الطغيان والبغي والعدوان والعتو:

معاني هذه المصطلحات متقاربة إلى حد كبير بيد أنها ليست واحدة، فالطغيان مجاوزة الحد الذي كان عليه من قبل، ويكون ذلك في المعاصي، أما العدوان فهو تجاوز المقدر المأمور به، أما البغي فهو طلب تجاوز قدر الاستحقاق تجاوزه أو لم يتجاوزه، ويستعمل في المتكبر لأنه طالب منزلة ليس لها بأهل<sup>(١)</sup>.

أما العتو فيتضمن الاستكبار إلى جانب مجاوزة الحد، وقد يستعمل في مطلق التجبر ولو في غير المعصية<sup>(٢)</sup>.

## من معاني الطغيان في القرآن الكريم:

ذكر ابن سلام وغيره أن الطغيان في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

١- الطغيان بمعنى الضلالة وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَيَذُرُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

[البقرة: ١٥]

٢- الطغيان بمعنى العصيان وذلك كما في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤].

٣- الطغيان بمعنى الارتفاع والتكبر وذلك كما قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَاطِعَا الْمَاءِ﴾ [الحاقة: ١١].

٤- الطغيان بمعنى الظلم وذلك كما في قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧]، وقوله

سبحانه: ﴿أَلَا تَطْغَوْنَ فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٨]<sup>(٣)</sup>.

أما الطاغوت فقد أوردت له كتب الوجوه والنظائر المعاني الآتية:

١- الطاغوت يراد به الشيطان وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ﴾.

[البقرة: ٢٥٦]

٢- الطاغوت يراد به الأوثان التي تعبد من دون الله وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي

كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

(١) الكليات للكفوي (٥٨٤).

(٢) انظر صفة العتو.

(٣) التصاريف ليحيى بن سلام (٢٠٧، ٢٠٨)، والأشباه والنظائر لمقاتل (٢ / ٢٢١ / ٢٢٢).

٣- الطَّاعُوتُ يعنى به كعب بن الأشرف اليهوديِّ وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١] <sup>(١)</sup>.  
 [للاستزادة: انظر صفات: البغي - الحرب والمحاربة - الظلم - العدوان - العتو - الكبر والعجب القسوة - الفجور - الطمع.  
 وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاستقامة - الرفق - السلم - الصلاح - المراقبة - محاسبة النفس - الرأفة].

\*\*\*

### من مضار (الطغيان)

- (١) صفة من صفات الكفَّار والمنافقين.  
 (٢) يستوجب غضب الله والعباد.  
 (٣) من اتَّبَع طاغية في الدُّنيا فإنه يتبعه يوم القيامة.  
 (٤) الطَّغْيَانُ إفساد للمجتمع وهلاك للأمم.  
 (٥) فيه خسران في الدُّنيا وفي الآخرة.  
 (٦) طغيان العلم يورث الكبر والعجب وغيرهما من أمراض القلب.  
 (٧) طغيان المال يشغل الإنسان ويلهيه عمَّا يجب عليه للآخرين.  
 (٨) الطَّغْيَانُ نذير شؤم لأهله في الدُّنيا، ولا يغني عنهم فتيلًا في الآخرة.

## الطمع

### الطمع لغة:

مصدر قولهم: طمع فلان يطمع، وهو مأخوذ من مادّة (ط م ع) التي تدلُّ على رجاء قويٍّ في القلب للشئ، ولما كان أكثر الطَّمع من الهوى قيل: الطَّمع طبع <sup>(٢)</sup>، والطَّمع يدنُّس الإهاب، يقال: طمع فلان في كذا وبكذا يطمع طمعا وطماعة وطماعية أي حرص عليه ورجاه فهو طمع وطماع

(١) انظر المرجعين السابقين، التصاريف (٢٠٧)، والأشباه والنظائر (١ / ١١٥)، وكشف السرائر لابن العماد (١٤٨، ١٤٩).  
 (٢) الطَّمع هنا معناه الدنُّس واللؤم، وقد ذكرها الراغب بسكون الباء، والتصويب من البصائر، انظر البصائر (٣ / ٣٩٥) والمفردات (٣٠٧).

من قوم طمعين وطماعى وأطماع وطمعاء. وأطمعه فيه غيره، ويقال في التّعجب: طمع الرجل (بضم الميم) أي صار كثير الطمع، والطمع أيضا رزق الجند. قال ابن بري: يقال: طمع وأطماع ومطمع ومطامع، وقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٤] معناه كما يقول أبو حيان: يتيقنون ما أعد الله لهم من الزلفى<sup>(١)</sup>. وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢] قال القرطبي: معناه: أرجو، وقيل هو بمعنى اليقين في حقه، وبمعنى الرجاء في حق المؤمنين سواه<sup>(٢)</sup>. قال الأزهري: الطمع ضد اليأس. وفي حديث عمر رضي الله عنه: «تعلمن أن الطمع فقر، وأن اليأس غنى».

ويقال: ما أطمع فلانا على التّعجب من طمعه، ويتعدى الفعل بالهمزة لا بالتضعيف. قال ابن منظور: وأنكر بعضهم التشديد (أي أن يقال طمّع)، وإنما يقال: أطمعه غيره (أي إن التعدّي يكون بالهمزة)، والمطمع: ما طمع فيه، والمطمعة: ما طمع من أجله، وامرأة مطماع: تطمع ولا تمكّن من نفسها، والمطمع: ما طمعت فيه، وفي الحديث: «اللهم إني أعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع، ومن طمع في غير مطمع»<sup>(٣)</sup>.

#### الطمع اصطلاحاً:

قال الراغب: نزوع النفس إلى الشيء شهوة له<sup>(٤)</sup>.

وقال المناوي: الطمع تعلق البال بالشيء من غير تقدّم سبب له، وأكثر ما يستعمل فيما يقرب حصوله، وقد يستعمل بمعنى الأمل. وقال بعضهم: الطمع ذلّ ينشأ من الحرص والبطالة والجهل بحكمة الباري<sup>(٥)</sup>.

#### الطمع بين المدح والذم:

إن الطمع بمعنى الرجاء في رحمة الله وتوقع الخير، أمر محمود، وهذا ما فعله نبي الله إبراهيم عليه السلام، عندما قال الله على لسانه: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢].

(١) تفسير البحر المحيط ٤ / ٣٠٤.

(٢) تفسير القرطبي (١٣ / ٧٦).

(٣) مقاييس اللغة (٣ / ٤٢٥)، المفردات للراغب (٣٠٧)، تهذيب اللغة للأزهري (٢ / ١٩٢)، الصحاح (٣ / ١٢٥٥)، اللسان

(ط. ط. دار المعارف) وبصائر ذوي التمييز (٣ / ٥١٦).

(٤) المفردات (٢٠٧).

(٥) التوقيف (٣٠٧).

وامتدح الله ﷻ من يدعونه خوفاً وطمعاً، ووعدهم بما تقرّ به أعينهم. قال تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [السجدة: ١٦، ١٧].

أما إذا كان الطَّمع في حطام الدُّنيا من مال عارض أو منصب زائل، أو جاه حائل، فإن ذلك كله مذموم خاصة إذا صدر ممن له حقّ فيه، وهذا دأب المنافقين الذين كانوا يطمعون في الصدقات ﴿ فَإِن أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة: ٥٨] يقول الإمام ابن تيمية: وهكذا كان حال من كان متعلّقاً برئاسة أو ثروة ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رضي وإن لم يحصل سخط فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له إذا لم يحصل. والعبودية في الحقيقة هي رقّ القلب وعبوديته، فما استرقّ القلب واستعبده فهو عبد لهذا. يقال:

العبد حرّ ما قنع والحرّ عبد ما طمع  
وقال قائل:

أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أنّي قنعت لكنت حرّاً  
ويقال: (الطمع فقر، واليأس غنى، وإنّ أحدكم إذا يئس من شيء استغنى عنه) وهذا أمر يجده الإنسان في نفسه.

فإنّه الأمر الذي لا ييأس منه، ولا يطلبه ولا يطمع به، ولا يبقى قلبه فقيراً إليه ولا إلى من يفعله وأما إذا طمع في أمر من الأمور ورجاه تعلّق قلبه به فصار فقيراً إلى حصوله وإلى من يظنّ أنّه سبب في حصوله وهذا في المال والجاه والصّور وغير ذلك.

قال الخليل إبراهيم ﷺ: ﴿ فَاَبْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧] فالعبد لا بدّ له من رزق، وهو محتاج إلى ذلك، فإذا طلب رزقه من الله صار عبداً لله فقيراً إليه، وإن طلبه من مخلوق صار عبداً لذلك المخلوق فقيراً إليه<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: اتباع الهوى - أكل الحرام - التطفيف - الربا - الرشوة - السرقة - الغلول - الظلم - الطغيان.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: القناعة - الرضا - حسن المعاملة - الزهد - محاسبة النفس - مجاهدة النفس - علو الهمة].

(١) مكارم الأخلاق لابن تيمية (٢٦٠، ٢٦١).

### من مضار (الطمع)

- (١) دليل قلة الإيمان، ونقص الثقة فيما عند الله (٤) يذلّ صاحبه لكلّ من يطمع فيما عنده.  
العلام.  
(٢) دليل سوء الظنّ بالله الواسع العطاء.  
(٣) يشعر صاحبه الفقر الملازم الذي لا ينفكّ.  
(٤) يذلّ صاحبه لكلّ من يطمع فيما عنده.  
(٥) يحقرّ نفسه ويزدرية الآخرون.  
(٦) التعب الدائم الذي لا ينقطع.

### طول الأمل (عدم تذكر الموت)

#### الأمل لغة:

هو الاسم من قولهم: أملته أمله أملا وإملة، وهو مأخوذ من مادة (أ م ل) التي تدلّ على التثبّت والانتظار<sup>(١)</sup>.

قال ابن فارس: ومن ذلك: الأمل: الرجاء تقول أملته تأميلا وأملته أملا وإملة، وهذا فيه بعض الانتظار.

وقال الجوهري: يقال: أمل خيره يأمله أملا، وأمله يؤمله تأميلا، وقولهم: ما أطول إملته أي أمله، وتأملت الشيء، نظرت إليه مستيينا له.

وقال ابن الأعرابي: الأملة: أعوان الرجل واحدهم أمل.

وقال في اللسان: يقال: الأمل، والأمل، والإمل وجمع الأمل آمال، وقول الله تعالى:

﴿وَيُلْهِمُهُمُ الْآمَلَ﴾ [الحجر: ٣].

قال القرطبي في تفسيرها: ويلهمهم الأمل أي يشغلهم عن الطاعة<sup>(٢)</sup>.

#### الأمل اصطلاحا:

قال القرطبي: الأمل: الحرص على الدنيا والانكباب عليها، والحبّ لها والإعراض عن الآخرة<sup>(٣)</sup>.

(١) لهذه المادة معنى آخر هو الحبل من الرمل المعتزل معظمه (أي الرمل)، انظر المقاييس (١ / ١٤٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٠ / ٤) وانظر مقاييس اللغة (١ / ١٤٠)، والصحاح (٤ / ١٦٢٦)، تهذيب اللغة (١٥ / ٣٩٥)، واللسان (١ / ١٣٢) (ط. دار المعارف).

(٣) تفسير القرطبي (١٠ / ٤).

وقال المناوي: الأمل: توقُّع حصول الشَّيء، وأكثر ما يستعمل فيما يستبعد حصوله<sup>(١)</sup>.  
 أمَّا طول الأمل: فهو الاستمرار في الحرص على الدُّنيا ومداومة الانكباب عليها مع كثرة  
 الإعراض عن الآخرة<sup>(٢)</sup>.

### الفرق بين الأمل والطَّمع والرجاء:

قال المناوي: من عزم على سفر إلى بلد بعيد يقول أملت الوصول ولا يقول طمعت، لأنَّ  
 الطَّمع لا يكون إلَّا في القريب، والأمل في البعيد، والرجاء بينهما، لأنَّ الرَّاجي يخاف ألاَّ يحصل  
 مأموله<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حجر: وفي الأمل سرٌّ لطيف لأنَّه لولا الأمل ما تهنَّى أحد بعيش، ولا طابت نفسه أن  
 يشرع في عمل من أعمال الدُّنيا، وإنَّما المذموم منه الاسترسال فيه وعدم الاستعداد لأمر الآخرة،  
 فمن سلم من ذلك لم يكلف بإزالته<sup>(٤)</sup>.

### دوافع طول الأمل:

قال الإمام الغزالي رحمته: اعلم أنَّ طول الأمل له سببان، أحدهما: الجهل، والآخر: حبُّ  
 الدنيا.

أمَّا حبُّ الدُّنيا: فهو أنَّه إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها،  
 فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها، وكلَّ من كره شيئًا دفعه عن نفسه.  
 والإنسان مشغوف بالأمانِ الباطلة، فيمَنِّي نفسه أبدا بما يوافق مراده، وإنَّما يوافق مراده البقاء في  
 الدُّنيا، فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار  
 وأصدقاء ودوابِّ وسائر أسباب الدُّنيا، فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه، فيلهو عن  
 ذكر الموت فلا يقدر قربته، فإنَّ خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له  
 سوِّف ووعده نفسه وقال: الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب، وإذا كبر فيقول: إلى أن تصير  
 شيخا. فإذا صار شيخا قال: إلى أن تفرغ من بناء هذه الدَّار وعمارة هذه الضَّيعة. أو ترجع من هذه

(١) التوقيف (٦٢).

(٢) اقتبس هذا التعريف من أقوال اللغويين وعلماء الاصطلاح في كل من الأمل والطول.

(٣) التوقيف (١٢).

(٤) فتح الباري (١١ / ٢٤١).

السفرة، أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له، أو تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك. فلا يزال يسوف ويؤخر، ولا يخوض في شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال آخر، وهكذا على التدرج يؤخر يوماً بعد يوم ويفضي به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تختطفه المنية في وقت لم يحسبه، فتطول عند ذلك حسرته، وأكثر أهل النار وصياحهم من سوف، يقولون: واحزنه من سوف. والمسوف المسكين لا يدري أن الذي يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غدا، وإنما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا، ويظن أنه يتصور أن يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات، فما يفرغ منها إلا من طرحها. فما قضى أحد منها لبانته وما انتهى أرب إلا إلى أرب.

وأصل هذه الأمانى كلها حب الدنيا والأنس بها والغفلة عن معنى قوله ﷺ: «أحب من أحببت فإنك مفارقه».

وأما الجهل: فهو أن الإنسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب، وليس يتفكر المسكين أن مشايخ بلده لو عدوا فكانوا أقل من عشر رجال البلد، وإنما قلوا لأن الموت في الشباب أكثر، فإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب. وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة، ولا يدري أن ذلك غير بعيد، وإن كان ذلك بعيدا، فالمرض فجأة غير بعيد، وكل مرض فإتما يقع فجأة، وإذا مرض لم يكن الموت بعيدا. ولو تفكر هذا الغافل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع من ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغال بالاستعداد له، ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه إلى طول الأمل وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب، فهو أبدا يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه، وهو أبدا يظن أنه يشيع الجنائز ولا يقدر أن تشيع جنازته، لأن هذا قد تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره، فأما موت نفسه فلم يألفه، ولم يتصور أن يألفه فإنه لم يقع، وإذا وقع في دفعة أخرى بعد هذه، فهو الأول وهو الآخر.

### علاج طول الأمل:

وسبيله أن يقيس نفسه بغيره، ويعلم أنه لا بد وأن تحمل جنازته ويدفن في قبره، ولعل اللبن الذي يغطي به لحدده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض. وإذا عرفت أن سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه.

أما الجهل فيدفع بالفكر الصافي والحكمة البالغة.

وأما حبّ الدنيا، فالعلاج في إخراجها من القلب شديد وهو الداء العضال الذي أعيا الأولين والآخرين علاجه؛ ولا علاج له إلا الإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب، ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حبّ الدنيا، فإنّ حبّ الخطير هو الذي يمحو عن القلب حبّ الحقير. فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاضة الآخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلّها، وإن أعطي ملك الأرض من المشرق إلى المغرب، وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدر يسير مكدر منغص، فكيف يفرح بها أو يترسخ في القلب حبّها مع الإيمان بالآخرة؟ فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده.

### بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره:

اعلم أنّ الناس في ذلك يتفاوتون؛ فمنهم من يأمل البقاء، ويشتهي ذلك أبدا. قال الله تعالى: ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]. ومنهم من يأمل البقاء إلى الهرم وهو أقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحبّ الدنيا حبّا شديدا. قال رسول الله ﷺ: «قلب الشيخ شاب على حبّ اثنتين: طول الحياة وحبّ المال». ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل، ولكنّ هذا يستعدّ في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف. فإذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة.

ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتاء، فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف.

ومنهم من يرجع أمله إلى يوم وليلة، فلا يستعدّ إلا لنهاره وأما للغد فلا. قال عيسى عليه السلام: لا تهتمّوا برزق غد. فإن يكن غد من آجالكم فستأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم، وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتمّوا لآجال غيركم<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإعراض - الأمن من المكر - الغفلة - الوهم - التفريط والإفراط - اتباع الهوى - الطيش.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: تذكر الموت - الزهد - التدبر - محاسبة النفس - الورع - التفكير - التأمل - النظر والتبصر - البصيرة].

(١) إحياء علوم الدين (٤ / ٤٨٦) بتصرف.

## من مضار (طول الأمل)

- (١) نسيان الآخرة وما أعد الله فيها من التّعيم في الدّنيا ويسقي صاحبه كؤوساً مترعة من اللذّة المقيم لأهل طاعته ومن العذاب الأليم لأهل المعاصي. الفانية.
- (٤) يقسي القلب ويجفّ دمع العين، ويزيد في شدة الحرص على الدّنيا.
- (٢) قلة الصّبر عن الشّهوات، وشدة الغفلة عن الطّاعات.
- (٥) يدفع إلى المعاصي، ويبعد عن الطّاعات.
- (٣) إنّ طول الأمل يجلب السّعادة الظّاهرة (٦) به يتعدّى على الآخرين فيسلب الحقوق، وينتهك الحرمات.

## الطّيش

## الطّيش لغة:

الطّيش مصدر قولهم: طاش الشيء يطيش، وهو مأخوذ من مادة (ط ي ش) التي تدلّ على الخفة ومن ذلك طاش السهم عن الهدف إذا لم يصبه، كأنه خفّ وطاش وطار، وقيل معناه: عدل (عن الغرض) ولم يقصد للرّميّة، وأطاشه الرّامي، والطّيش أيضاً: التّزق.

وقال اللّيث: الطّيش: خفة العقل، والوصف من ذلك طائش من قوم طاشة، وطياش من قوم طياشة. وقال بعضهم: طيش العقل: ذهابه حتّى يجهل صاحبه ما يحاول، وطيش الحلم خفته، وطيش السهم: جوره عن سننه، وفي حديث الحساب «فطاشت السّجلات وثقلت البطاقة» أي خفّت وطار، وفي حديث عمر بن أبي سلمة: «كانت يدي تطيش في الصّحفة»، معناه: تخفّ وتتناول (الطّعام) من كلّ جانب، وفي حديث ابن شبرمة، وسئل عن السكر فقال: «إذا طاشت رجلاه واختلط كلامه»<sup>(١)</sup>.

## الطّيش اصطلاحاً:

الطّيش مثل السّفه، وهو سرعة الغضب من يسير الأمور، والمبادرة بالطّيش، والإيقاع

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٤٣٧)، الصحاح (٣/ ١٠٠٩)، وتهذيب اللغة (١١/ ٣٩٢)، النهاية لابن الأثير (٣/ ١٥٣)، واللسان (٤/ ٢٧٣٩) ط. دار المعارف.

بالمؤذى، والسرف في العقوبة، وإظهار الجزع من أدنى ضرر، والسبّ الفاحش<sup>(١)</sup>.  
وقيل: هو استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي، وكما لا ينبغي<sup>(٢)</sup>.

### حكم الطيش:

قال الجاحظ: وهذا الخلق مستقبح من كل أحد إلا أنه من الملوك والرؤساء أقبح، وعلى هذا فإذا ترتب على الطيش محرّم كان محرّماً، وإذا ترتب عليه مكروه كان مكروهاً، وهو على كل حال مستقبح وفي كل وقت مسترذل، فكم من طائش قول أو فعل أهلك صاحبه وحرمه النّجاة وألقى به في عداد الظّلمة الفسقة.

[للاستزادة: انظر صفات: الحمق - اتباع الهوى - السفاهة - العجلة - شرب الخمر. اللهو واللعب - التهاون.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التّاني - الحلم - الرفق - مجاهدة النفس - محاسبة النفس - الوقار].

\*\*\*

### من مضار (الطيش)

- |                          |                        |
|--------------------------|------------------------|
| (١) ضياع حق المرء.       | (٤) فيه طاعة للشيطان.  |
| (٢) عدم احترام الناس له. | (٥) من علامات السّاعة. |
| (٣) ضياع الثّواب.        |                        |

### الظلم

#### الظلم لغة:

الظلم اسم من ظلمه ظلماً، من باب ضرب، ومظلمة بفتح الميم وكسر اللّام، وتجعل المظلمة اسماً لما تطلبه عند الظّالم، كالظّلامة بالضمّ، وظلمته بالتشديد، نسبته إلى الظلم، وأصل الظلم، وضع الشيء في غير موضعه، وفي المثل «من استرعى الذئب فقد ظلم»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر تهذيب الأخلاق للجاحظ (٩٠) بتصرف.

(٢) المرجع السابق (٣٧).

(٣) المصباح المنير (١٤٦).

وأصل المادة يدلّ على أصليين، يقول ابن فارس: «الظّاء واللام والميم أصلان صحيحان، أحدهما خلاف الصّيباء والنّور، والآخر: وضع الشّيء غير موضعه تعدياً، فالأول: الظّلمة، والجمع ظلمات. والظّلام: اسم الظّلمة، وقد أظلم المكان إظلاماً، والأصل الآخر، ظلمه يظلمه ظلماً. والأصل فيه، وضع الشّيء في غير موضعه، ويقال: ظلّمت فلاناً، نسبته إلى الظّلم، وظلمت فلاناً فاظّلم، وانظلم، إذا احتمل الظّلم، والأرض المظلومة، التي لم تحفر قطّ، ثم حفرت، وذلك التراب ظليم. والظّلام: ما تطلبه من مظلّمك عند الظّلم، وقد ظلم وطبه، إذا سقى منه، قبل أن يروب ويخرج زبده، ويقال لذلك اللبن ظلايم أيضاً<sup>(١)</sup>.

ويقول الجوهري: «ظلمه يظلمه ظلماً ومظلّمة، وأصله، وضع الشّيء في غير موضعه والظّلامة والظّليمة والمظلّمة: ما تطلبه عند الظّالم، وهو اسم ما أخذ منك وتظلمني فلان، أي ظلمني مالي، وتظلم منه، أي اشتكى ظلمه.

وانظلم، أي احتمل الظّلم، والظّليم بالتشديد: الكثير الظّلم<sup>(٢)</sup>.

وقيل: الظّلم التّصرّف فيما لا يملك التّصرّف فيه، ويقال في مجاوزة الحقّ. ويقال في الكثير والقليل. ولهذا يستعمل في الذّنب الكبير والذّنب الصّغير. ومن أمثال العرب: من أشبه أباه فما ظلم، قال الأصمعي: ما ظلم أي ما وضع الشّبه في غير موضعه. وفي المثل: من استرعى الذّئب فقد ظلم، وفي الحديث «لزموا الطّريق فلم يظلموه» أي لم يعدلوا عنه. وأصل الظّلم: الجور ومجاوزة الحدّ، ومنه في حديث الوضوء «فمن زاد أو نقص فقد أساء وظلم» أي أساء الأدب بتركه السنّة والتأدّب بأدب الشّرع، وظلم نفسه بما نقصها من الثّواب بترداد المرّات من الوضوء. والظّلم: النّقص.

قال تعالى: ﴿وَلَمْ تَظْلِمُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف: ٣٣].

والظّلم: الشّرك، وفي التّنزيل العزيز: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] أي بشرك. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] يعني أنّ الله تعالى المحيي المميت الرزّاق المنعم وحده لا شريك له، فإذا أشرك به غيره فذلك أعظم الظّلم؛ لأنّه جعل النّعمة لغير ربّها. والظّلم: الميل عن القصد، والعرب تقول: الزم هذا الصّوب ولا تظلم عنه، أي لا تجر عنه، وتظلم فلان إلى الحاكم من فلان فظلمه تظليماً: أي أنصفه من ظالمه فأعانه عليه. والظّلمة،

(١) المقاييس (٣/ ٤٦٨، ٤٦٩).

(٢) الصحاح (٥/ ١٩٧٧).

المانعون أهل الحقوق حقوقهم. واطَّلم وانظلم: احتمل الظلم، وظلَّمه: أنبأه أنه ظالم أو نسبه إلى الظلم والظلام والظلمة والظلمة: ما تطلبه عند الظالم، وهو اسم من أخذ منك، وظلم فلان فاطَّلم: احتمل الظلم بطيب نفسه وهو قادر على الامتناع منه.

والظَّليم: الكثير الظلم، ومظلمة: ظالم وظلوم<sup>(١)</sup>.

### الظلم اصطلاحاً:

التَّصَرَّف في حقِّ الغير بغير حقِّ، أو مجاوزة الحقِّ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، وفي الشريعة عبارة عن التَّعدِّي عن الحقِّ إلى الباطل وهو الجور، وقيل: هو التَّصَرَّف في ملك الغير ومجاوزة الحدِّ<sup>(٣)</sup>.

وقيل: وضع الشيء بغير محلِّه بنقص أو زيادة أو عدول عن زمنه<sup>(٤)</sup>.

وقال الرَّاعِب في (المفردات): «والظُّلم عند أهل اللُّغة وكثير من العلماء وضع الشيء في غير موضعه المختصَّ به. إمَّا بنقصان أو بزيادة، وإمَّا بعدول عن وقته، أو مكانه. والظُّلم يقال في مجاوزة الحقِّ الذي يجري مجرى نقطة الدَّائرة، ويقال فيما يكثر وفيما يقلُّ من التَّجاوز. ولهذا يستعمل في الذَّنْب الكبير، وفي الذَّنْب الصَّغير<sup>(٥)</sup>».

وقال الرَّاعِب: الظُّلم هو الانحراف عن العدل ولذلك حدَّ بأنَّه وضع الشيء في غير موضعه المخصوص به، وقد يسمَّى هذا الانحراف جوراً، ولمَّا كانت العدالة تجري النقطة من الدَّائرة فإنَّ تجاوزها من جهة الإفراط عدوان وطغيان والانحراف عنها في بعض جوانبها جور وظلم، والظُّلم أعمُّ هذه الألفاظ استعمالاً<sup>(٦)</sup>.

وقال الجاحظ: الجور (الظُّلم) هو الخروج عن الاعتدال في جميع الامور، والسَّرْف والتَّقْصير وأخذ الأموال من غير وجهها، والمطالبة بما لا يجب من الحقوق وفعل الأشياء في غير

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٢ / ٣٨٠٣٧٣)، وانظر: نزهة الأعين. والنواظر (٤٢٨٤٢٦)، النهاية، لابن الأثير (٣ / ١٥١، ١٦٢) بصائر ذوي، والتمييز (٣ / ٥٤٤٥٤٠).

(٢) انظر: دليل الفالحين (١ / ٥١٤)، جامع العلوم والحكم (٢١١).

(٣) التعريفات للجرجاني (٤٨).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٣١)، والمفردات للراغب (٣٠٥).

(٥) المفردات (٣٠٥).

(٦) الذريعة (٣٧٥).

مواضعها ولا أوقاتها، ولا على القدر الذي يجب ولا على الوجه الذي يحب<sup>(١)</sup>.  
وقال الكفوي: الظلم وضع الشيء في غير موضعه، والتصرف في حق الغير، ومجاوزة حدّ  
الشارع<sup>(٢)</sup>.

### درجات الظلم:

قال الراغب: لما كان الظلم ترك الحقّ الجاري مجرى النقطة من الدائرة صار العدول عنها  
إما قريبا وإما بعيدا، فمن كان عنه (عن الحقّ) أبعد كان الرجوع إليه أصعب، ولذلك قال تعالى:  
﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] تنبيها إلى أنّ الشيطان متى أمعن بهم في البعد  
من الحقّ صعب عليهم حينئذ الاهتداء<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا فمن كان إليه (أي إلى الحقّ) أقرب كان الرجوع إليه أسهل، ومن ثمّ فليحذر  
الظالم المبتدئ من التماذي في ظلمه حتى يعطي لنفسه فرصة الرجوع إلى الحقّ.

### أنواع الظلم:

قال بعض الحكماء: الظلم ثلاثة:

الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال: ﴿إِنَّ  
الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وإياه قصد بقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

والثاني: ظلم بينه وبين الناس، وإياه قصد بقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُ لَا  
يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]، وبقوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ [الشورى: ٤٢].

والثالث: ظلم بينه وبين نفسه، وإياه قصد بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، وقوله:  
﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [القصص: ١٦].

وكلّ هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس، فإنّ الإنسان في أول ما يهّم بالظلم فقد ظلم  
نفسه<sup>(٤)</sup>.

(١) تهذيب الأخلاق (٣٤).

(٢) الكليات (٥٩٤).

(٣) الذريعة (٣٥٧).

(٤) المفردات (٣١٥، ٣١٦).

## أنواع الظلمة:

أما أنواع الظلمة فتلاثة:

١- الظالم الأعظم، وهو الذي لا يدخل تحت شريعة الله تعالى وإيأه عنى بقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

٢- الظالم الأوسط، وهو الذي لا يلتزم حكم السلطان «أي فيما وضعه السلطان من أنظمة لتيسير الحياة ولا يتعارض مع أحكام الشرع».

٣- الظالم الأصغر، وهو الذي يتعطل عن المكاسب والأعمال، فيأخذ منافع الناس، ولا يعطيهم منفعة، ومن خرج عن تعاطي العدل بالطبع وبالخلق والتخلق والتصنع والرياء والرغبة والرهبية. فقد انسلخ عن الإنسانيّة، ومتى صار أهل كل صقع على ذلك فتهارشوا وتغالبا وأكل قويهم ضعيفهم، ولم يبق فيهم أثر قبول لمن يمنعهم ويصدّهم عن الفساد فقد جرت عادة الله سبحانه في أمثالهم هلاكهم واستئصالهم عن آخرهم<sup>(١)</sup>.

## من يستعمل معهم الظلم:

أما المستعمل معهم الظلم فخمسة:

الأول: (ربّ العزة وذلك حين يشرك به) إذ يقتضي العدل معرفة توحيده وأحكامه.

الثاني: قوى النفس، ويكون ذلك بعدم إنصاف العقل من الهوى، ويقتضي العدل أن يجعل الإنسان هو المستسلما لعقله، وقد قيل أعدل الناس من أنصف عقله من هواه.

الثالث: أسلاف الإنسان ويكون ذلك بترك وصاياهم وعدم الدعاء لهم.

الرابع: من يعاملهم الإنسان من الأحياء، ويكون ذلك بالتقصير في أداء الحقوق، وعدم الإنصاف في المعاملات من بيع وشراء وجميع المعاوزات والإجراءات.

الخامس: عامّة الناس إذا تولّى الحكم بينهم ويكون ذلك بالجور وعدم النّصف، وذلك في شأن الولاية والقضاة ومن إليهم<sup>(٢)</sup>.

(١) الذريعة (٣٥٨) بتصرف.

(٢) انظر الذريعة (ص ٣٥٧) وقد ذكر الراغب هذه الأصناف الخمسة إجمالا دون تمثيل، وقمنا بذلك اعتمادا على ما ذكره في أنواع العدل وما يستعمل ذلك فيه (٣٥٣).

**بين الظلم والجور:**

يرى كثيرون أنّ الجور والظلم سواء، ولكنّ الكفويّ فرّق بينهما فقال:  
الظلم: ضرر من حاكم أو غيره.  
والجور: هو خلاف الاستقامة في الحكم.

**هل يجوز الانظلام:**

أطلق الرّاعب على قبول الظلم مصطلح «الانظلام» وقسمه من حيث الكميّة ومن حيث الكيفيّة فقال: ترك العدل إلى الظلم عمدا مذموم في جميع الأحوال والخارج عنه إلى الظلم مستوجب بقدر خروجه سخطا من الله ﷻ إلا أن يتغمّده الله بعفوه - أمّا الخارج عنه (عن العدل) إلى الانظلام فقد يحمده.

**والانظلام من حيث الكميّة ثلاثة أضرب:**

- ١ - انظلام في المال وهو الاستخذاء للظالم في أخذ ماله.
- ٢ - انظلام في الكرامة وهو الاستخذاء في بخس منزلته من التعظيم.
- ٣ - انظلام في النفس وهو استخذاء لمن يؤلمه، وكلّ واحد من هذه الثلاثة يكون محمّدا ويكون مذموما.

أمّا من حيث الكيفيّة فهو ضربان:

الأوّل: محمود، ويراد به التّغاضي عن حقّ له في المال أو الكرامة، أو النّفس بقدر ما يحسن وفي وقت ما يحسن وهو المعبّر عنه بالانخداع والتّغافل، وهو المعبّر عنه في قول معاوية رضي الله عنه: «من خدعك وانخدعت له فقد خدعته» وذلك إذا كان في مال فمسامحة وإن كان في النّفس فعفو، وإن كان في الكرامة فتواضع <sup>(١)</sup>.

والثّاني: مذموم، وهو الذي إن كان في المال فغبن وإن كان في النّفس والكرامة فهو ان ومذلة <sup>(٢)</sup>.

**حكم الظلم:**

قال الإمام الذهبيّ: الظلم يكون بأكل أموال النّاس وأخذها ظلما، وظلم النّاس بالضرب

(١) الكليات (٥٩٤).

(٢) الذريعة (٣٥٥) بتصرف.

والشتم والتعدي والاستطالة على الضعفاء، وقد عدّه الكبيرة السادسة والعشرين. وبعد أن ذكر الآيات والأحاديث التي تتوعّد الظالمين، نقل عن بعض السلف قوله: لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الأقوياء ثمّ عدّد صوراً من الظلم منها: أخذ مال اليتيم، المماطلة بحقّ على الإنسان مع القدرة على الوفاء، ظلم المرأة حقّها من صداق ونفقة وكسوة، ظلم الأجير بعدم إعطاء الأجرة<sup>(١)</sup>.

### الجور في القسمة أو تقويم الأشياء:

ومن الظلم البين الجور في القسمة أو تقويم الأشياء، وقد عدّها ابن حجر ضمن الكبائر، فقال: الكبيرة الخامسة والسادسة والثلاثون بعد الأربعمئة، جور القاسم في قسمته والمقوم (المثمن للأشياء) في تقويمه. بدليل ما أخرجه الطبراني بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيت فيه نفر من قريش... وفيه: «إنّ هذا الأمر في قريش، إذا ما استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا قسموا أقسطوا<sup>(٢)</sup>، ومن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». ثمّ قال عقب ذلك: عدّ هذين من الكبائر لم أره، لكنّه صريح الحديث في الأولى (أي جور القاسم في قسمته) وقياسها في الثاني (أي جور المقوم في تقويمه)<sup>(٣)</sup>. بل هي ممّا يصدق عليه الحديث، لأنّ الجور في القسمة المتوعّد عليه بتلك اللعنة العامّة يشمل الجور في الأنصاء وفي القيمة أيضاً<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: البغي - الشرك - العدوان - الحرب والمحاربة - الطمع - اتباع الهوى - الكبر والعجب - التطفيف - السرقة - التناجش - الغش - أكل الحرام. وفي ضد ذلك: انظر صفات: العدل والمساواة والإنصاف - القسط - تكريم الإنسان - أكل الطيبات - القناعة - المراقبة].

\*\*\*

(١) الكبائر (١٠٤-١١٠) باختصار وتصرف.

(٢) انظر صفة «القسط» (ج ٨ ص ٣١٥٣) من هذه الموسوعة.

(٣) مثال جور المقوم أن تكون قيمة السلعة ١٠٠٠ ريال مثلاً فيقومها لصالح البائع ب ١٢٠٠ أو لصالح المشتري ب ٨٠٠ فقط.

(٤) الزواجر من اقتراف الكبائر (٢/ ١٩٢-١٩٣).

## من مضار (الظلم)

- (١) يجلب غضب الربّ وسخطه ويتسلط على (٥) معصيته متعدية للغير.  
الظالم بشتى أنواع العذاب.  
(٢) قبول دعاء المظلوم فيه.  
(٣) يخرب الديار ويسببه تنهار الدول.  
(٤) تحاشي الخلق عن الظالم وبعدهم منه (٩) صغار الظالم عند الله وذلته.  
(٥) دليل على ظلمة القلب وقسوته.  
(٦) عدم الأخذ على يد الظالم يفسد الأمة.  
(٧) يحلب كره الرسول ﷺ.  
(٨) يخوفهم من بطشه.  
(٩) الظالم يحرم شفاعته رسول الله ﷺ.  
(١٠)

## العبوس

## العبوس لغة:

العبوس مصدر قولهم: عبس يعبس، وهو مأخوذ من مادة (ع ب س) التي تدل على تكرهه في شيء، قال ابن فارس: وأصله العبس وهو ما يعبس على هلب (شعر) الذنب من بعير وغيره، ثم اشتق من ذلك: اليوم العبوس، وهو الشديد الكريه، واشتق منه عبس الرجل: إذا غضب (وتقطب وجهه). وقال الجوهري: يقال: عبس الرجل يعبس عبوسا: كلعج، وعبس وجهه: مبالغته في عبس، والتعبس التجهم، ويوم عبوس: أي شديد، وقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ [المدثر: ٢٢].

قال القرطبي: عبس أي قطب بين عينيه في وجوه المؤمنين، وذلك أنه لما حمل قريشا على ما حملهم عليه من القول في محمد ﷺ بأنه ساحر، مرّ على جماعة من المسلمين، فدعوه إلى الإسلام، فعبس في وجوههم، وقيل: عبس وبسر على النبي ﷺ حين دعاه (١).

وقال القرطبي: عبس: قبض ما بين عينيه، وقيل: قبض وجهه تكرها (٢).

وقال ابن منظور: يقال: عبس يعبس عبسا وعبس: قطب ما بين عينيه، ورجل عبس من قوم عبوس. ويوم عبس وعبوس: شديد، ومنه حديث قس: يتغي دفع بأس يوم عبوس؛ هو صفة

(١) تفسير الطبري (١٢ / ٣٠٨، ٤٤٣).

(٢) مقاييس اللغة (٤ / ٢١٠)، الصحاح (٣ / ٩٤٤)، اللسان (٤ / ٢٧٨٥)، ط. دار المعارف.

لأصحاب اليوم أي يوم يعبس فيه. وعبس تعيسا، فهو معبس وعباس إذا كره وجهه؛ فإن كشر عن أسنانه فهو كالح، وقيل: عبس: كلع. وفي صفته ﷺ: لا عابس ولا مفند؛ العابس: الكريه الملقى، الجهم المحيا. والتعبس: التجهم<sup>(١)</sup>.

### العبوس اصطلاحا:

قال المناوي: العبوس: تقبض الوجه عن كراهية أو ضيق صدر<sup>(٢)</sup>.

وقال الجاحظ: العبوس هو التقطيب عند اللقاء بقلة التبسّم وإظهار الكراهية، وهذا الخلق مركب من الكبر وغلظ الطبع؛ فإن قلة البشاشة هي استهانة بالناس، والاستهانة بالناس تكون من الإعجاب والكبر.

وقلة التبسّم وخاصة عند لقاء الإخوان تكون من غلظ الطبع، وهذا الخلق مستقبح وخاصة بالرؤساء والأفاضل<sup>(٣)</sup>.

وقال الراغب: العبوس: قطوب الوجه من ضيق الصدر<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإساءة- الجفاء- سوء المعاملة- سوء الظن- الكرب- اليأس- الغضب- الحزن- القنوط.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: البشاشة- طلاقة الوجه- التودد- حسن السمات- كظم الغيظ- الفرح- الرضا- السكينة- الصبر والمصابرة].

\*\*\*

### من مضار (العبوس)

- (١) صفة ذميمة عند الله تعالى وعند الناس. (٤) يشعر بالبؤس والوحشة.
- (٢) ينفر الناس من صاحبها حتى أقاربه وأهل بيته. (٥) لا يجد للسعادة سبيلا بل هو في همّ وغمّ
- (٣) يبتعد الناس عن مشاركته ومخالطته. ومقت دائم.

(١) لسان العرب (٦/ ١٢٨).

(٢) التوقيف للمناوي (٢٣٥).

(٣) الجاحظ: تهذيب الأخلاق (٧٢).

(٤) المفردات للراغب (٣٢٠).

## العتو

## العتولفة:

مصدر قولهم: عتا يعتو إذا طغا وتجاوز الحدّ، وهو مأخوذ من مادة (ع ت و) التي تدلّ - كما يقول ابن فارس - على الاستكبار<sup>(١)</sup>، وقال الخليل: يقال: عتا عتوا وعتيا فهو عات، والملك الجبار عات، وجابرة عتاة، وتعتى فلان وتعتت فلانة إذا لم تطع، قال العجاج: الحمد لله الذي استقلت بأمره السماء واطمأنت بأمره الأرض فما تعتت<sup>(٢)</sup> (أي فما عصت)، وقال الجوهري: العتو (بضم العين والتاء) هو الأصل<sup>(٣)</sup>.

ويقال أيضا: عتيّ وعتي، ويستعمل (اللفظ) الأخير جمعا، فيقال هو عات من قوم عتيّ، وقولهم: عتي الشيخ: كبر وولّى<sup>(٤)</sup> وعلى ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨] أي بلغت حالة لا سبيل إلى إصلاحها ومداواتها<sup>(٥)</sup>، وقيل: المراد قحول عظمه<sup>(٦)</sup>، وقال القرطبي: المعنى: بلغ النهاية في الكبر واليبس والجفاف<sup>(٧)</sup>، وقال الراغب: العتو: النبو عن الطاعة وقيل: العاتي، الجاسي<sup>(٨)</sup>، والعتو (أيضا): الاستكبار ومجاوزة الحدّ<sup>(٩)</sup>، والعاتي: الشديد الدخول في الفساد، المتمرد الذي لا يقبل موعظة، وجمعه أعتاء وعتاة، قال الفراء: والأعتاء (أيضا): هم الدعار من الرجال<sup>(١٠)</sup>، وفي الحديث الشريف: «بئس العبد عبد عتا وطغى» قال ابن الأثير: العتو هو التجبر والتكبر<sup>(١١)</sup>، وقول الله تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَوَّصِرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]، المعنى: غضبت لغضب

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٢٢٥).

(٢) كتاب العين (٢/ ٢٢٦)، وقد أكملنا الشاهد من مقاييس اللغة، (٤/ ٢٢٥).

(٣) يشير الجوهري بذلك إلى أنه على وزن فعول وأن الصيغتين اللتين سيذكرهما بعد متفرعتان عن هذا الأصل.

(٤) الصحاح (٦/ ٢٤١٨).

(٥) المفردات (٣٢٣) ت. كيلاني.

(٦) تفسير ابن كثير (٣/ ١١٨)، وقد نقل هذا المعنى عن مجاهد.

(٧) تفسير القرطبي (١١/ ٥٧).

(٨) المفردات (٣٢٣)، والجاسي: اسم فاعل من جسا بمعنى صلب.

(٩) القاموس المحيط (عتا) (١٦٨٨) (ط. بيروت).

(١٠) لسان العرب (عتا) (٢٨١٥) (ط. بيروت).

(١١) النهاية لابن الأثير (٣/ ١٨١).

الله تعالى، وقيل عتت على عاد فقهرتهم<sup>(١)</sup> (كما يقهر الملك العاتي رعاياه)، وقيل: عتت عليهم حتى نقتت عن أفئدتهم، وقيل (هبت عليهم) بغير رحمة ولا بركة<sup>(٢)</sup>.

إن لفظ العتوّ قد يطلق ويراد به مجرد التجبر والتشدد حتى ولو كان ذلك في الطاعة، ومن ذلك ما يروى أن رجلا دخل على أبي بكر فنال من عمر، وقال له: استخلفت علينا عمر وقد عتا علينا ولا سلطان له، فلو ملكنا كان أعتى وأعتى<sup>(٣)</sup>.

قال ابن الأثير: العتوّ هنا الشدة والغلظة والتجبر<sup>(٤)</sup>، ولا علاقة له بالمعاصي.

### العتوّ اصطلاحاً:

قال الكفوي: العتوّ: كلّ مبالغة في كبر أو فساد أو كفر<sup>(٥)</sup>، ويؤخذ ممّا ذكره الفيروزآبادي في البصائر: أن العتوّ هو مجاوزة الحدّ في الاستكبار<sup>(٦)</sup>، قال الله عزّ وجلّ: عتا إذا استكبر وجاوز الحدّ في الاستكبار.

وقال ابن حجر: هو الانهماك في الطغيان والمبالغة في الفساد<sup>(٧)</sup>.

وقال القرطبي: العتوّ: هو أشدّ الكفر وأفحش الظلم<sup>(٨)</sup>. ويمكن أن نستخلص من جملة هذه الأقوال أن العتوّ المذموم هو كلّ مخالفة لأمر الله عزّ وجلّ مصحوبة بالاستكبار ومجاوزة الحدّ مع التجبر والمبالغة في الفساد.

### حكم العتوّ:

إذا كان العتوّ معصية أو مخالفة لأمر الله عزّ وجلّ مصحوبة بالاستكبار، فإنّه يعدّ من الكبائر المضاعفة: كبيرة المعصية ذاتها وكبيرة الكبر المقترن بها<sup>(٩)</sup>.

(١) تفسير القرطبي (١٨ / ١٦٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٤١٢) (وفيه عتت الخزنة) ولعله تصحيف.

(٣) منال الطالب، شرح طوال الغرائب لابن الأثير (٢٨٠). وانظر الأثر كاملاً في قسم الآثار (أثر رقم ١).

(٤) المرجع السابق (٢٨٤).

(٥) الكليات (٥٩٨)، وفيه «كل مبالغ» والصواب ما أثبتناه.

(٦) بصائر ذوي التمييز (٤ / ١٩).

(٧) فتح الباري (١٢ / ٧٠)، وقد جاء قوله هذا في الحديث عن عتوّ شارب الخمر، وذكر أيضاً ان العتوّ هو التجبر.

(٨) جاء قول القرطبي هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ آسَفْنَاكُمْ لَكُنْتُمْ أَكْثَرًا مُّجْرِمِينَ﴾.

(٩) انظر في كبيرة «الكبر» الزواجر ١ / ٦٧.

## من معاني العتو في القرآن الكريم:

لم تذكر كتب الوجوه والنظائر لفظ العتو ضمن تلك الألفاظ المشتركة التي تعددت معانيها في القرآن الكريم، وبالرجوع إلى كتب التفسير أمكننا أن نقف على معان عديدة للفظ «العتو» منها:

١- العتو بمعنى الطعن في السنن، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨].

٢- العتو بمعنى القهر والغلبة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَوَّصِرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦].

٣- العتو بمعنى الاستكبار عن الطاعة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾

[الأعراف: ٧٧]

٤- العتو بمعنى العلو في الأرض، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١].

٥- العتو بمعنى التجاوز في معصية الله تعالى، ومخالفة أمره ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا

عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأعراف: ١٦٦]. وقوله جل من قائل: ﴿عَنْتَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الطلاق: ٨].

٦- العتو بمعنى الطغيان، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١].

[للاستزادة: انظر صفات: الطغيان - الظلم - العدوان - العصيان - الغرور - الفجور - الكبر

والعجب.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإخبات - الإنابة - التواضع - الخشوع - الخوف - التقوى -

تكريم الإنسان].



## من مضار (العتو)

(١) العتو يغضب الرب ﷻ ويورث أصحابه (٣) العتو كالكبر والطغيان من الآفات التي

العقاب الأليم في الآخرة. تنفك بها عرى المجتمع وتنهار بها الأمم

(٢) العتو آفة تصيب الأفراد والجماعات وتؤدي لما ينجم عنها من الخوف وانعدام الثقة.

إلى الهلاك والخسران للفرد والمجتمع.

- (٤) العتوّ يذهب الخير والبركة في الدنيا ويجلب الفقر والمذلة والهوان على العتاة.
- (٥) العتوّ يجعل أصحابه في طليعة العصاة من الكفار والمنافقين الذين يصلون جهنم وساءت مصيرا.
- (٦) العتوّ يقصم ظهر العتاة ويورثهم البوار والهلاك.
- (٧) العتوّ يورث الجبن في الأتباع فلا تصل إلى العتاة كلفة الحق فيزداد المجتمع تأخرا وانحطاطا.

### العجلة

#### العجلة لغة:

العجل والعجلة: خلاف البطء، وهو مأخوذ من مادة (ع ج ل) التي تدل على الإسراع، ومن ذلك: العجلة في الأمر، والعاجل والعاجلة، نقيض الأجل والأجلة وأعجله: سبقه، كاستعجله قال تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٣] أي ما حملك على أن تسبقهم<sup>(١)</sup>، واستعجلته: تقدمته فحملته على العجلة، وأعجلت الناقة إعجالا. أي ألقته ولدها لغير تمام، فهي معجلة، والعجل محرّكة، ما استعجل من طعام فقدّم قبل إدراك الغذاء، والعجالة (بضم العين) ما تزوده الرّكب ممّا لا يتعبه أكله كالتمر والسويق، لأنّه يستعجله أو لأنّ السفر يعجله عمّا سوى ذلك من الطّعام.

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤] هو كقول الله تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦] أي لا تتله قبل أن تتبينه، وقيل: لا تسئل إنزاله من قبل أن يأتيك وحيه، وقيل لا تلقه إلى الناس من قبل أن يأتيك تأويله<sup>(٢)</sup>.

ويقال: عجل (بالكسر) يعجل (بالفتح) كفرح يفرح والعجل والعجلة: السّعة وهي خلاف البطء. ويقال: هو رجل عجل (بالكسر) وعجل (بالضم) وعجلان وعاجل وعجيل وعجول وامرأة عجلى. والعجالة: ما تعجلته من شيء. وتقول عجّلت له من الثمن كذا: أي قدّمت. واستعجلته: طلبت عجلته، وكذلك إذا تقدّمته ويقال: أعجلني فعجّلت له وعاجله الله بذنبه: إذا أخذه به ولم يمهل.

(١) تفسير القرطبي (١١ / ١٥٥).

(٢) تفسير القرطبي (١١ / ١٦٦).

والاستعجال والإعجال والتعجيل واحداً بمعنى الاستحاث وطلب العجلة<sup>(١)</sup>.

وقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْبُولًا﴾ [الإسراء: ١١]. أي طبعه العجلة فيعجل بسؤال الشر كما يعجل بسؤال الخير، وقيل يؤثر العاجل وإن قل، على الآجل وإن جل<sup>(٢)</sup>.

#### العجلة اصطلاحاً:

قال المناوي: العجلة: فعل الشيء قبل وقته اللائق به<sup>(٣)</sup>.

وقال الراغب: العجلة: طلب الشيء وتحريه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن حتى قيل: «العجلة من الشيطان»<sup>(٤)</sup>.

#### دوافع العجلة:

قال الفيروزآبادي - رحمه الله تعالى - العجلة من مقتضيات الشهوة، فلذلك ذمّت في جميع القرآن حتى قيل: العجلة من الشيطان، وأما قوله تعالى: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤]، فقد ذكر أنّ عجلته وإن كانت مذمومة فالذي دعا إليها أمر محمود. وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْبُولًا﴾ [الإسراء: ١١] وكذلك قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] فهذا تنبيه وإخبار من الله ﷻ فإنّ ذلك أحد القوى التي ركّب عليها.

قال الشاعر:

لا تعجلنّ فربّه ما عجل الفتى فيما يضرّه  
ولربّه كما كره الفتى أمرا عواقبه تسره<sup>(٥)</sup>

#### حكم العجلة:

عدّ الإمام ابن حجر: العجلة وترك التثبت في الأمور من الكبائر، وقد جاء في الحديث: «العجلة من الشيطان» لأنّه عندها يروج شرّه على الإنسان من حيث لا يشعر بخلاف من تمهل

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٢٣٧)، لسان العرب (٥/ ٢٨٢١ - ٢٨٢٤). والصحاح (٥/ ١٧٥٩ - ١٧٦٠). وانظر بصائر ذوي

التمييز للفيروزآبادي (٤/ ٢٣)، والمصباح (١٤٩)، وتاج العروس (١٥/ ٤٦٨) وما بعدها.

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ١٤٨).

(٣) التوقيف (٢٣٧).

(٤) المفردات (٣٢٣).

(٥) بصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٣ - ٢٤) بتصرف.

وتروى عند الإقدام على عمل يريد به فإِنَّه تحصل له بصيرة به ومتى لم تحصل تلك البصيرة فلا ينبغي الاستعجال<sup>(١)</sup>.

هذا مع أن الإمام الذهبى لم يذكرها في الكبائر<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الطيش - السفاهة - الحمق - الجهل - اتباع الهوى - التفريط والإفراط.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التأنى - التبين - السكينة - الحلم - النظر والتبصر].

\*\*\*

### من مضار (العجلة)

- (١) دليل السّفه وخفّة الحلم وضعف العقل. (٤) العجول محروم من السّيادة ومواقع القيادة والريادة.
- (٢) كثرة الزّلل والوقوع في الخطأ.
- (٣) النّدم على ما وقع لا ينفع في الغالب الأعمّ. (٥) صاحبها محروم من خير كثير ويجلب لنفسه ضررا عظيما.

## العدوان

### العدوان لغة:

العدوان: الظلم الذي يتجاوز فيه الحدّ، وهو مصدر من عدا يعدو عدوا وعدوا وعدوانا وعداء التي تدلّ على تجاوز في الشّيء وتقدّم لما ينبغي أن يقتصر عليه، قال الخليل: التعديّ: تجاوز ما ينبغي أن يقتصر عليه، والعادي: الذي يعدو على الناس ظلما وعدوانا..

ويقال: عدا فلان طوره، ومنه العدوان، قال: وكذلك العداء والاعتداء، والتعديّ. قال: والعدوان: الظلم الصّراح، والاعتداء مشتقّ من العدوان<sup>(٣)</sup>.

ويقول الرّاعب: العدو: التّجاوز ومنافاة الالتمام، فتارة يعتبر بالقلب، فيقال له العداوة والمعادة، وتارة بالمشي فيقال له: العدو، وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة فيقال له العدوان<sup>(٤)</sup>.

(١) الزواجر (١٠٧).

(٢) ينظر كتاب الكبائر للذهبي.

(٣) المقاييس (٤ / ٢٤٩).

(٤) المفردات (٣٣٨).

والعدوّ: ضدّ الوليّ، وقيل ضدّ الصّدّيق، والجمع الأعداء، وهو وصف ولكنّه ضارع الاسم. يقال: عدوّ بينّ العداوة والمعاداة، والأثنى عدوّة. والعدا بكسر العين الأعداء، وهو جمع لا نظير له. والمعادي: العدو، قالت امرأة من العرب: أشمت ربّ العالمين عاديك. والعداء: تجاوز الحدّ والظلم<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُعَدُّونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣] أي فلا سبيل، وكذلك قوله: ﴿فَلَا تُعَدُّونَ عَلَى﴾ [القصص: ٢٨] أي فلا سبيل عليّ. وعدا عدوا. ظلم وجار. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] أي: لا تعاونوا على المعصية والظلم، وقال ابن منظور: يقال في الظلم: قد عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء أي ظلم ظلما جاوز فيه القدر، والعادي الظالم، يقال: لا أشمت الله بك عاديك أي عدوك الظالم لك، وقول العرب: فلان عدوّ فلان معناه فلان يعدو على فلان بالمكروه ويظلمه، ويقال: فلان عدوك، وهم عدوك، وهما عدوك، وفلانة عدوّة فلان وعدوّ فلان، قال الأزهرّي: هذا إذا جعلت ذلك كلّ في مذهب الاسم والمصدر، فإذا جعلته نعتا محضا قلت: هو عدوك وهي عدوتك، وهم أعداؤك، وقولهم عدا عليه فضربه بسيفه، لا يراد به عدو على الرّجلين، ولكن من الظلم، وفي حديث قتادة ابن النّعمان أنّه عدي عليه، أي سرق ماله وظلم<sup>(٢)</sup>.

#### أنواع العدوان والعدوّ:

قال الرّاعب: العدوان نوعان: الأوّل محظور ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] الثّاني غير محظور: وهو الذي يكون على سبيل المجازاة ويصحّ أن يتعاطى مع من ابتداء به ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿فَلَا تُعَدُّونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

#### أنواع العدوّ:

العدوّ أيضا على ضربين: أحدهما: ما يكون العداوة من مقصوده كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ﴾ [النساء: ٩٢]، والآخر: ما لم يقصد إلى ذلك وإنما تعرض له حالة يتأذى بها كما يتأذى من العدا كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]<sup>(٣)</sup>.

(١) الصحاح (٦/ ٢٤٢٠).

(٢) لسان العرب (٤/ ٢٨٤٦).

(٣) المفردات (٢٢٦، ٢٢٧) بتصرف.

## أنواع العداوة:

والعداوة أيضا على ضربين: الأول باطن لا يدرك بالحاسة. والآخر: ظاهر يدرك بالحاسة. فالباطن اثنان: أحدهما: الشيطان وهو أصل كل عدو، وقد حذرنا الله تعالى منه غاية التحذير فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، وقال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ [يس: ٦٠]، وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨].

والثاني: الهوى المعبر عنه بالنفس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، وقول النبي ﷺ: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك». وكذلك الغضب إذا كان فوق ما يجب، ولكون هذه القوة في الإنسان إذا أثرت طريقا للشيطان في وصوله إلينا وكونها كالخليقة لها سمها النبي ﷺ باسمه فقال: «الهوى شيطان والغضب شيطان» وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: ١٥].

وأما الظاهر من الأعداء فالإنسان. وذلك ضربان:

الضرب الأول: هو عدو مضطغن للعداوة قاصد إلى الإضرار إما مجاهرة وإما مساترة. وذلك اثنان.

واحد يعادي كل أحد وهو إنسان سببي الطبع خبيث الطينة مبغض لكل من لم يحتج إليه في العاجل بغيض إلى كل نفس، يهارش كل من لا يخافه. ومثله هو الذي عنى تعالى بشياطين الإنس. والثاني: عدو خاص العداوة: وذلك إما بسبب الفضيلة أو الرذيلة كمعاداة الجاهل العالم وإما بسبب نفع دنيوي كالتجاذب في رئاسة ومال وجاه، وإما بسبب لحمية ومجاورة مورثة للحسد كمعاداة بني الأعمام بعضهم لبعض. وذلك في كثير من الناس كالطبيعي، وقال رجل لآخر، إني أحبك. فقال: قد علمت ذلك، قال: ومن أين علمت؟ قال: لأنك لست لي بشريك ولا نسيب ولا جار قريب، وأكثر المعاداة بين الناس تتولد من شيء من ذلك.

والضرب الثاني: عدو غير مضطغن بالعداوة. ولكن يؤذي حاله بالإنسان إلى أن يقع بسببه في مثل ما يقع من كيد عدوه فسمي عدوا لذلك، كالأولاد والأزواج، ولذلك قال ﷺ: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] فقد جعل هؤلاء أعداء الإنسان لما كانوا سببا لإهلاكه الأخروي لما يرتكبه من المعاصي من أجلهم فيؤذي ذلك إلى هلاك الأبد الذي هو شر من إهلاك المعادي المناصب إياه.

واعلم أنه يكون بعض الناس مشاركا للشيطان في المعادة فسمى الله تعالى الأعداء شياطين في قوله: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقد سمي كل ما يتأذى به شيطانا<sup>(١)</sup>.

### العدوان اصطلاحاً:

قال المناوي: العدوان أسوأ الاعتداء في قول أو فعل أو حال<sup>(٢)</sup>.  
قال الجرجاني: العداوة: أن يتمكن في القلب قصد الإضرار والانتقام<sup>(٣)</sup>.  
وقال الراغب: العدو هو الذي يتحرى اغتيال الآخر ويضاده فيما يؤدي إلى ضرره<sup>(٤)</sup>.

### من معاني كلمة «العدوان» في القرآن الكريم:

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : ذكر بعض المفسرين أن العدوان في القرآن على وجهين:

أحدهما: الظلم الصّراح، ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [البقرة: ٨٥] وفي المائدة: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

والثاني: السبيل: ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وفي القصص: ﴿أَيُّمًا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨]<sup>(٥)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإجمام - الإرهاب - الإساءة - البغي - الحرب والمحاربة - الطغيان - الظلم - العتو - الفجور.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: السلم - تكريم الإنسان - حسن المعاملة - المراقبة - الصفح - التناصر - حسن العشرة].

\*\*\*

### من مضار (العدوان)

انظر: من مضار صفة (الظلم)

(١) الذريعة (٢٥٩ - ٢٦١).

(٢) التوقيف (٢٣٨).

(٣) التعريفات (١٥٢).

(٤) الذريعة (٢٥٩).

(٥) نزهة الأعين النواظر (٤٣٢ - ٤٣٣).

## العصيان

## العصيان لغة:

العصيان اسم من عصى يعصي عصيا وعصيانا ومعصية، وتدلّ مادته على أصلين متباينين، يدلّ أحدهما على التّجمّع، ويدلّ الآخر على الفرقة.

فمن الأوّل: العصا، وسمّيت بذلك لاشتغال يد ممسكها عليها، والأصل الآخر: العصيان والمعصية، يقال عصا، وهو عاص، والجمع عصاة وعاصون<sup>(١)</sup>.

وجعل الرّاعب العصيان من العصا فقال: وعصا عصيانا إذا خرج عن الطّاعة، وأصله أن يمتنع بعصاه، قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ﴾ [طه: ١٢١] وقال: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: ١٤] ويقال فيمن فارق الجماعة: فلان شقّ العصا<sup>(٢)</sup>.

وقال القرطبيّ: في قوله تعالى: ﴿لَا يَعِصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ [التحریم: ٩] أي لا يخالفونه في أمر من زيادة أو نقصان<sup>(٣)</sup> « وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَكُرْهُ الْيَكْمَ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧] والعصيان وهي جميع المعاصي<sup>(٤)</sup>.

وقيل: العصيان ترك الانقياد، وهو خلاف الطّاعة.

يقال: عصى العبد ربّه إذا خالف أمره، وعصى فلان أميره يعصيه عصيا وعصيانا ومعصية إذا لم يطعه، فهو عاص وعصيّ، وعاصاه أيضا: مثل عصاه. ويقال للجماعة إذا خرجت عن طاعة السّلطان: قد استعصت عليه.

وفي الحديث: لولا أن نعصي الله ما عصانا. أي لم يمتنع عن إجابتنا إذا دعونا، فجعل الجواب بمنزلة الخطاب فسمّاه عصيانا كقوله تعالى: ﴿وَمَكُرُوا وَمَكْرَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٤]. وفي الحديث: أنّه غير اسم العاصي؛ إنّما غيره لأنّ شعار المؤمن الطّاعة، والعصيان ضدها.

(١) المقاييس (٤ / ٣٣٤، ٣٣٥).

(٢) المفردات (٣٤٩).

(٣) القرطبيّ: (١٨ / ١٩٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٢١١).

والعاصي: الفصيل إذا لم يتبع أمه<sup>(١)</sup>.

### العصيان اصطلاحاً:

قال الجرجاني: العصيان هو ترك الانقياد<sup>(٢)</sup> (لما أمر الله به أو نهى عنه).

وقال المناوي: هو الامتناع عن الانقياد (لما أمر الله به) أو نهى عنه<sup>(٣)</sup>.

وقال الكفوي: العصيان بحسب أصل اللّغة هو المخالفة لمطلق الأمر، أمّا في الشّرع فيراد به المخالفة للأمر التّكليفيّ خاصّة<sup>(٤)</sup>.

وقيل: هو ترك المأمورات، وفعل المحظورات، أو ترك ما أوجب وفرض من كتابه أو على لسان رسوله، وارتكاب ما نهى الله عنه أو رسوله ﷺ من الأقوال والأعمال الظّاهرة أو الباطنة<sup>(٥)</sup>.

### الفرق بين العصيان والابتداء:

قال الكفوي: العاصي: من يفعل محظوراً لا يرجو الثّواب بفعله، والمبتدع: من يفعل محظوراً يرجو الثّواب بفعله في الآخرة. قال: والعاصي والفاسق في الشّرع سواء<sup>(٦)</sup>.

### أقسام العصاة:

يؤخذ ممّا ذكره الماورديّ عن أحوال النّاس في فعل الطّاعات واجتناب المعاصي أنّ العصاة على قسمين:

**الأول:** من يرتكب المعاصي ويمتنع عن الطّاعات، وهذه أخبث أحوال المكلفين وشرّ صفات المتعبّدين.

**الثّاني:** من يرتكب المعاصي ويفعل الطّاعات، وهذا يستحقّ عذاب المجترئ؛ لأنّه تورّط بغلبة الشّهوة على الإقدام على المعصية، وإن سلم من التّقصير في فعل الطّاعة<sup>(٧)</sup>.

(١) الصحاح للجوهري (٦ / ٢٤٢٩)، التعريفات للجرجاني (١٥١)، النهاية لابن الأثير (٣ / ٢٥٠، ٢٥١)، ولسان العرب لابن منظور (١٥ / ٦٨).

(٢) التعريفات (١٥٦).

(٣) التوقيف (٢٤٢). وانظر الكليات للكفوي (٦٥٦).

(٤) الكليات (٤١) بتصرف.

(٥) انظر: آثار المعاصي على الفرد والمجتمع (٣٠).

(٦) الكليات (٤١).

(٧) انظر أدب الدنيا والدين (١٠٣ - ١٠٤) باختصار وتصرف.

**حكم العصيان:**

يختلف حكم المعصية بحسب نوع هذه المعصية إن كبيرة وإن صغيرة، ولكن إدمان صغيرة أو صغائر بحيث تغلب المعاصي على الطاعات؛ فإن ذلك يجعل هذه الصغيرة أو تلك الصغائر في حكم الكبيرة. يقول الإمام ابن حجر: وكون هذا كبيرة أي مثلها في سقوط العدالة، ونقل عن الرافعي قوله: من ارتكب كبيرة فسق، وردت شهادته، وأما الصغائر فلا يشترط تجنبها بالكلية لكن الشرط ألا يصير عليها فإن أصبر كان الإصرار كارتكاب الكبيرة<sup>(١)</sup>.

**أصول الذنوب:**

قال الغزالي رحمه الله: اعلم أن للإنسان أخلاقاً وأوصافاً كثيرة، لكن تنحصر مسارات الذنوب في أربع صفات:

**أحدها:** صفات ربوبية، ومنها يحدث الكبر والفخر وحب المدح والثناء، والعزّ وطلب الاستعلاء، ونحو ذلك. وهذه ذنوب مهلكات، وبعض الناس يغفل عنها، فلا يعدّها ذنوباً.

**الثانية:** صفات شيطانية، ومنها يتشعب الحسد والبغي والحيل والخداع والمكر، والغش والتفاق والأمر بالفساد ونحو ذلك.

**الثالثة:** الصفات البهيمية، ومنها يتشعب الشرّ والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، فيتشعب من ذلك الزنى واللواط والسرقعة، وأخذ الحطام لأجل الشهوات.

**الرابعة:** الصفات السبعية، ومنها يتشعب الغضب والحقد، والتهجم على الناس بالقتل والضرب، وأخذ الأموال، وهذه الصفات لها تدرج في الفطرة، فهذه أمهات الذنوب ومنابعها، ثم تتفجر الذنوب من هذه المنابع إلى الجوارح: فبعضها في القلب، كالكفر، والبدعة، والتفاق، وإضمار السوء، وبعضها في العين، وبعضها في السمع، وبعضها في اللسان، وبعضها في البطن والفرج، وبعضها في اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن.

ثم الذنوب تنقسم إلى ما يتعلق بحقوق آدميين وإلى ما بين العبد وبين ربه. فيما يتعلق بحقوق العباد، فالأمر فيه أغلظ، والذي بين العبد وبين ربه، فالعفو فيه أرجى وأقرب إلا أن يكون شركاً والعياذ بالله، فذلك الذي لا يغفر<sup>(٢)</sup>.

(١) الزواجر (٦٦٨).

(٢) انظر: مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة (٢٥٢).

## أنواع المعاصي:

## ١ - الذنوب الملكية:

فالذنوب الملكية: أن يتعاطى العبد ما لا يصلح له من صفات الربوبية، كالعظمة، والكبرياء، والجبروت، والقهر، والعلو، واستعباد الخلق، ونحو ذلك.

ويدخل في هذا الشرك بالرّبّ تعالى، وهو نوعان: شرك به في أسمائه وصفاته وجعل آلهة أخرى معه، وشرك به في معاملته، وهذا الثاني قد لا يوجب دخول النار، وإن أحبط العمل الذي أشرك فيه مع الله غيره (وذلك هو الرياء).

وهذا القسم أعظم أنواع الذنوب، ويدخل فيه القول على الله بلا علم في خلقه وأمره، فمن كان من أهل هذه الذنوب، فقد نازع الله سبحانه في ربوبيته وملكه، وجعل له نداً، وهذا أعظم الذنوب عند الله، ولا ينفع معه عمل.

## ٢ - الذنوب الشيطانية:

وأما الشيطانية: فالتشبه بالشيطان في الحسد، والبغي، والغش، والغل، والخداع، والمكر، والأمر بمعاصي الله، وتحسينها، والنهي عن طاعته، وتهجينها، والابتداع في دينه، والدعوة إلى البدع والضلال.

وهذا النوع يلي النوع الأول في المفسدة، وإن كانت مفسدته دونه.

## ٣ - الذنوب السبعية:

وأما السبعية: فالعدوان، والغضب، وسفك الدماء، والتوثب على الضعفاء والعاجزين، ويتولد منها أنواع أذى النوع الإنساني، والجرأة على الظلم والعدوان.

## ٤ - الذنوب البهيمية:

وأما الذنوب البهيمية فمثل الشره، والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، ومنها يتولد الزنى، والسرقعة، وأكل أموال اليتامى، والبخل، والشح، والجبن، والهلع، والجزع، وغير ذلك.

وهذا القسم أكثر ذنوب الخلق لعجزهم عن الذنوب السبعية والملكية، ومنه يدخلون إلى سائر الأقسام، فهو يجزهم إليها بالتمام، فيدخلون منه إلى الذنوب السبعية، ثم إلى الشيطانية، ثم إلى منازعة الربوبية، والشرك في الوجدانية<sup>(١)</sup>.

(١) الداء والدواء (٢٢٢ - ٢٢٣).

## أضرار المعاصي:

قال ابن القيم رحمته: ممّا ينبغي أن يعلم: أنّ الذنوب والمعاصي تضرّ، ولا بدّ أنّ ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر. وهل في الدنيا والآخرة شرّ وداء إلا بسبب الذنوب والمعاصي؟

فما الذي أخرج الأبوين من الجنّة، دار اللذّة والنّعمة والبهجة والسّرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السّماء وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبدّل بالقرب بعداء، وبالرحمة لعنة، وبالجمال قبحا، وبالجنّة نارا تلظّي، وبالإيمان كفرا؟

وما الذي أغرق أهل الأرض كلّهم حتّى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟. وما الذي سلّط الرّيح على قوم عاد حتّى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنّهم أعجاز نخل خاوية، ودمّرت ما مرّت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابّهم حتّى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصّيحة حتّى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟ وما الذي رفع اللّوطيّة حتّى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثمّ قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعا؟

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظّلل، فلمّا صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارا تلظّي؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر ثمّ نقلت أرواحهم إلى جهنّم، والأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟.

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمّرها تدميرا؟

وما الذي أهلك قوم صاحب يس<sup>(١)</sup> بالصّيحة حتّى خمدوا عن آخرهم؟

وما الذي بعث على بني إسرائيل قوما أولي بأس شديد، فجاسوا خلال الدّيار وقتلوا

(١) صاحب يس: هو الذي تشير إليه الآيات الكريمة الواردة في سورة يس (من الآية ٢٠-٢٩).

الرّجال، وسبوا الذرّيّة والنّساء، وأحرقوا الدّيّار، ونهبوا الأموال، ثمّ بعثهم عليهم مرّة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبرّوا ما علوا تتبيرا؟<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: اتباع الهوى - الزنا - شرب الخمر - الضلال - الفسوق - الإعراض - انتهاك الحرمات - ترك الصلاة - التفريط والإفراط - الغفلة - الأمن من المكر. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الطاعة - الإيمان - الإسلام - التقوى - تعظيم الحرمات - الاستقامة - الصلاة - الاتباع - اليقين - الخوف - الخشية - تذكر الموت - بر الوالدين].

\*\*\*

### من مضار (العصيان)

(١) حرمان العلم، فإنّ العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفأ ذلك النور.  
 (٢) حرمان الرّزق، فكما أنّ التقوى مجلبة للرّزق، فترك التقوى مجلبة للفقر.  
 (٣) حرمان الطّاعة، فلو لم يكن للذّنب عقوبة إلّا أن يصدّ عن الطّاعة لكان في ذلك كفاية من الحرمان.

(٤) أنّ المعاصي توهن القلب والبدن.

(٥) أنّ المعاصي تقصّر العمر، وتمحق البركة.

(٦) أنّ المعاصي تزرع أمثالها، ويولّد بعضها بعضا.

(٧) أنّ الذّنوب تضعف القلب عن إرادته، فتقوى إرادة المعصية وتضعف إرادة التّوبة شيئا فشيئا إلى أن تنسلخ من القلب إرادة التّوبة بالكلّيّة.

(٨) أنّ كلّ معصية من المعاصي فهي ميراث عن أمة من الأمم التي أهلکها الله ﷻ.

(٩) أنّ المعصية سبب لهوان العبد على ربّه.

(١٠) أنّ غير المذنب من النّاس والدوابّ يعود عليه شؤم ذنبه فيحترق هو وغيره بشؤم الذّنوب والظلم.

(١١) أنّ العبد لا يزال يرتكب الذّنب حتّى يهون عليه ويصغر في قلبه وذلك علامة الهلاك، فإنّ الذّنب كلّما صغر في عين العبد عظم عند الله.

(١) الجواب الكافي لابن القيم (٤٦ - ٤٧).

- (١٢) أن المعصية تورث الذلّ، والعزّ كلّ العزّ في طاعة الله.
- (١٣) أن المعاصي تفسد العقل، فإنّ للعقل نورا، والمعصية تطفأ نور العقل، وإذا طفئ نوره ضعف ونقص.
- (١٤) أن الذنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين، قال الله تعالى:  
﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].
- (١٥) أن الذنوب تحدث في الأرض أنواعا من الفساد في المياه والهواء والزروع والثمار والمسكن، قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].
- (١٦) ذهاب الحياء الذي هو مادّة حياة القلب، وهو أصل كلّ خير وذهابه ذهاب الخير أجمعه، وقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: «الحياء خير كلّ» [رواه البخاريّ ومسلم].
- (١٧) أن الذنوب دليل ضعف إيمان العبد، وجرأته على ارتكاب المعاصي دليل على ظلمة قلبه، وانعدام بصيرته، وحرمانه من توفير ربه ﷻ واستشعار عظّمته.
- (١٨) أنها تستدعي نسيان الله لعبده وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه. وهناك الهلاك الذي لا يرجي معه نجاة.
- (١٩) أن الذنوب تخرج العبد من دائرة الإحسان وتمنعه ثواب المحسنين، فإنّ الإحسان إذا باشر القلب منعه من المعاصي.
- (٢٠) أنها تزيل النعم وتحلّ النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب ولا حلّت به نقمة إلا بذنب، قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «ما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة».
- قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].  
وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

## عقوق الوالدين

### العق لغة:

العقّ مصدر عقّه يعقّه عقّا: شقّه. يقول الخليل: أصل العقّ الشقّ. قال: وإليه يرجع العقوق.

والعقوق: قطيعة الوالدين، وكلّ ذي رحم. يقال: عَقَّ أباه فهو يعقّه عقّا، وعقوقا، وفي الحديث «ذق عقق» أي ذق جزاء فعلك يا عاقّ، قاله بعضهم لحمزة رضي الله عنه وهو مقتول أراد ذق يا عاقّ قريبه، كما قتلت يوم بدر من قومك - يعني كفّار قريش -، وعقق معدول عن عاقّ للمبالغة مثل غدر من غادر، وفسق من فاسق، وعَقَّ الولد أباه عقوقا من باب قعد إذا عصاه، وترك الإحسان إليه فهو عاقّ والجمع عققّة، وأعقّ فلان إذا جاء بالعقوق. ويقولون أيضا: العقوق ثكل من لم يثكل أي إنّ من عقّه ولده فكأنّه ثكلهم وإن كانوا أحياء، والمعقّة: العقوق.

والعقيقة: الذبيحة التي تذبح عن المولود من هذا المعنى أي الشقّ والقطع لأنها يشقّ حلقها، وفي الحديث أنّه صلّى الله عليه وآله: «عَقَّ عن الحسن والحسين»، وقيل هي مأخوذة من العقيقة بمعنى الشعر الذي يخرج على رأس المولود من بطن أمه لأنّه يحلق.

وقال ابن منظور: عقّه يعقّه عقّا فهو معقوق، وعقيق: شقّه، وعقّ والده: شقّ عصا طاعته. وعقّ والديه: قطعهما ولم يصل رحمه منهما، وقد يعمّ لفظ العقوق جميع الرّحم (أي ذوي القرابة).

وأعقّ فلان إذا جاء بالعقوق. وفي المثل: أعقّ من ضبّ. قال ابن الأعرابي: إنّما يريد به الأثني وعقوقها أنّها تأكل أولادها، وقال ابن السكّيت (في قول الشاعر):

فإني، وما كلفتموني بجهلكم      ويعلم ربّي من أعقّ وأحوبا  
قال: أعقّ جاء بالعقوق، وأحوب جاء بالحب (أي الإثم).

والعقق أيضا: قاطعو الأرحام. ويقال: عاقت فلانا أعاقه عقاقا إذا خالفته. قال ابن بري: وفي الحديث: أنّه صلّى الله عليه وآله نهى عن عقوق الأمّهات، وهو ضدّ البرّ، وأصله من العقّ: الشقّ والقطع، وإنّما خصّ الأمّهات. وإن كان عقوق الآباء وغيرهم من ذوي الحقوق عظيما لأنّ لعقوق الأمّهات مزيّة في القبح<sup>(١)</sup>.

#### عقوق الوالدين اصطلاحاً:

هو صدور ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل إلّا في شرك أو معصية ما لم يتعتت الوالد.

(١) مقاييس اللغة (٤ / ٥)، الصحاح للجوهري (٤ / ١٥٢٨)، ولسان العرب لابن منظور (١٠ / ٢٥٦، ٢٥٧) (ط. بيروت) المصباح المنير (٤٢٢)، النهاية لابن الأثير (٣ / ٢٧٧).

وقال ابن الصّلاح رحمته: العقوق المحرّم كلّ فعل يتأدّى به الوالد أو نحوه تأدياً ليس بالهين مع كونه ليس من الأفعال الواجبة <sup>(١)</sup>.

وقال كعب الأحبار - وقد سئل عن عقوق الوالدين ما هو؟ قال: هو إذا أقسم عليه أبوه أو أمّه لم يبرّ قسمهما، وإذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما، وإذا سألاه شيئاً لم يعطهما، وإذا ائتمناه خانها <sup>(٢)</sup>. وهذه لا شكّ بعض مظاهر العقوق، وقد بقيت مظاهر أخرى منها: إلحاق الأذى بهما وسبهما ونحو ذلك.

وقال ابن حجر: العقوق أن يحصل لهما أو لأحدهما إيذاء ليس بالهين عرفاً <sup>(٣)</sup>.

### ضابط العقوق:

قال ابن حجر: هو أن يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرّماً من جملة الصّغائر فينتقل بالنسبة إلى أحد الوالدين إلى الكبائر، أو يخالف أمر والديه أو أحدهما فيما يدخل فيه الخوف على الولد من فوات نفسه أو عضو من أعضائه ما لم يتّهم الوالد في ذلك، أو أن يخالف في سفر يشقّ على الوالد وليس بفرض على الولد، أو يخالف في غيبة طويلة فيما ليس بعلم نافع ولا كسب <sup>(٤)</sup> وقد شرح رحمته هذا الضابط بما لا يتسع له المقام هنا، فليرجع إليه من شاء في موضعه من كتاب الزّواجر <sup>(٥)</sup>.

### حكم العقوق:

أجمع العلماء على أنّ عقوق الوالدين أو أحدهما من الكبائر، وقد ذكر الإمامان: الذّهبيّ وابن حجر أدلّة عديدة على ذلك من الكتاب والسنة وقد جاء في الحديث الصّحيح أنّ هذا العقوق ليس فقط كبيرة فحسب، ولكنّه من أكبر الكبائر (انظر الحديث الأوّل من الصّفة)، وقال الذّهبيّ معقّباً على هذا الحديث: انظر كيف قرن الإساءة إليهما وعدم البرّ بهما والإحسان إليهما بالإشراك <sup>(٦)</sup>.

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤٠٦)، ودليل الفالحين (٢ / ١٧٨).

(٢) الكبائر للذهبي (٤١).

(٣) الزواجر (٤٥٩).

(٤) المرجع السابق (٤٦٠).

(٥) المرجع السابق (٤٦٠ - ٤٦٢).

(٦) الكبائر للذهبي (٤٠).

وقال ابن حجر ما خلاصته: من الكبائر عقوق الوالدين أو أحدهما وإن علا، ولو مع وجود من هو أقرب إليهما منه، وقال بعد أن ذكر الآيات الدالة على ذلك: وقد جاء في السنة من التأكيد على ذلك ما لا تحصى كثرتة ولا تحد غايته، وبعد أن ذكر طرفا من ذلك قال: عدّ العقوق من الكبائر هو ما اتفقوا عليه، وردّ على الحليمي رأيا له في ذلك خلاصته: أن العقوق كبيرة فإن كان معه نحو سبّ ففاحشة، وإن كان عقوقه هو استثقاله لأمرهما ونهيهما والعبوس في وجههما، والتبرّم بهما مع بذل الطاعة ولزوم الصّمت فصغيرة، وإن كان ما يأتيه من ذلك يلجئهما إلى أن ينقبضا فيترك أمره ونهيه ويلحقهما من ذلك ضرر كبير. وقد ردّ ابن حجر على ذلك بأن ما عدّه من الصّغائر فيه إلحاق الأذى بهما عرفا، لأنّ العبرة بالمتأدّي، ومادام ذلك عقوقا فهو من الكبائر، لكن لو كان الوالدان أو أحدهما في غاية الحمق أو سفاهة العقل فأمر أو نهى ولده بما لا يعدّ مخالفته له في العرف عقوقا، فإنّ الولد لا يفسق بالمخالفة حينئذ لعذره، فلو كان الولد متزوّجا بمن يحبّها فأمره بطلاقها فلم يمثل أمره لا إثم عليه<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الجحود- القسوة قطيعة الرحم- نكران الجميل- الإعراض- سوء المعاملة- الإساءة- سوء الخلق.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: بر الوالدين- البر- الإحسان- الرحمة- المحبة- الكلم الطيب- حسن العشرة- حسن المعاملة- الشفقة- الرفق- الاعتراف بالفضل- الحنان- اللين].



### من مضار (عقوق الوالدين)

- (١) العاقّ كافر بنعمة الله ﷻ وبإحسان والديه. (٦) العاقّ يلقي جزاء عقوقه في الدّنيا كما حدث بين منازل وابنه.
- (٢) العقوق يبعد عن رضوان الله.
- (٣) العقوق كبيرة توجب العقوبة في يوم الجزاء.
- (٤) العقوق يحدث زعزعة في المجتمع، فمن لا يبرّ والديه لا يبرّه أبناؤه ولا يبرّ جيرانه ومجمعه.
- (٥) يبعد المجتمع من دائرة الأمن والأمان.
- (٧) عقوق الوالدين يذهب إشراقه الوجه ويطفئ نوره.
- (٨) العقوق يحرم العاقّ من أن ينظر الله إليه يوم القيامة.

(١) الزواجر (٤٥١ - ٤٦١).



## العنف والإكراه

### العنف لغة:

العنف مصدر عنف يعنف عنفا فهو عنيف إذا لم يترفق في أمره، يقول ابن فارس: (العين والنون والفاء) أصل صحيح يدل على خلاف الرفق، قال الخليل: العنف ضد الرفق، يقال اعتنفت الشيء إذا كرهته ووجدت له عنفا عليك، ومشقة<sup>(١)</sup>. والعنيف: الذي ليس له رفق بركوب الخيل، والجمع عنف، واعتنفت الأرض: أي كرهتها<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن منظور: الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق: عنف به وعليه يعنف عنفا وعنافة، وأعنفه وعنّفه تعنيفا، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره. واعتنفت الأمر: أخذه بعنف. وفي الحديث: «إن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»، هو بالضم، الشدة والمشقة، وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر مثله.

والتعنيف: التعبير واللوم. وفي الحديث: «إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ولا يعنفها»، معناه: أي لا يجمع عليها بين الحد والتوبيخ. وأعنف الشيء أخذه بشدة، والعنف والعنيف المعتنف، وهو الذي لا يترفق<sup>(٣)</sup>.

### العنف اصطلاحاً:

قال المناوي: العنف هو عدم الرفق<sup>(٤)</sup>، وإذا كان قد عرف الرفق بأنه حسن الانقياد لما يؤدي إلى الجميل<sup>(٥)</sup>، فإن العنف يمكن تعريفه بأنه: سوء الانقياد الذي يؤدي إلى القبيح. وإذا أخذنا بتعريف الكفوي للرفق بأنه التوسط والتلطّف في الأمر<sup>(٦)</sup> فإن العنف يكون عبارة عن انعدام ذلك التوسط وفقدان هذا التلطّف عند تناول أمر من الأمور، أو هو بعبارة أخرى

(١) المقاييس (٤ / ٥٨).

(٢) الصحاح (٤ / ٤٠٧).

(٣) لسان العرب لابن منظور (٤ / ٣١٣٢) ط. دار المعارف.

(٤) التوقيف (٢٤٨).

(٥) المرجع السابق (١٧٩).

(٦) الكليات للكفوي (٤٨٢).

التطرف والغلو المصحوبان بالفظاظة في معاملة الآخرين حتى ولو أساءوا الأدب<sup>(١)</sup>.

### الإكراه لغة:

الإكراه مصدر قولهم: أكرهه على الشيء بمعنى حمّله على فعل شيء هو له كارهه، قال ابن منظور: يقال: أكرهته حملته على أمر هو له كارهه<sup>(٢)</sup>، وفي المثل: أساء كارهه ما عمل وذلك أنّ رجلاً أكرهه آخر على عمل فأساء عمله، وامرأة مستكرهه غصبت نفسها فأكرهت على ذلك، وأمر كريبه أي مكروهه، ووجه كرهه وكريبه معناه قبيح لأنّه يكره.

### الإكراه اصطلاحاً:

الإكراه: أن تنال (شيئاً) بشيء من العذاب كالضرب والخنق والعصر والحبس والغط في الماء مع الوعيد، أمّا الوعيد بمفرده فليس بإكراه، وقيل: هو إكراه إذا خاف القتل أو الضرب الشديد، وهذا قول أكثر الفقهاء<sup>(٣)</sup>. وقال الإمام ابن حجر: الإكراه هو إلزام الغير بما لا يريد<sup>(٤)</sup>.

### شروط الإكراه:

للإكراه شروط ثلاثة هي:

- ١- أن يكون الإكراه من قادر بسُلطان أو تغلب كاللص ونحوه.
- ٢- أن يغلب على ظنّه نزول الوعيد به إن لم يجبه إلى ما طلبه.
- ٣- أن يكون (الوعيد) ممّا يستضرّ به ضرراً كبيراً كالقتل والضرب الشديد والقيّد والحبس الطويلين، أمّا الشتم والسبّ فليسا بإكراه، وكذلك أخذ المال اليسير<sup>(٥)</sup>.

### وأضاف ابن حجر شرطاً رابعاً هو:

- ٤- أن يكون ما هدّده به فورياً<sup>(٦)</sup>.

(١) أخذ القيد الأخير في التعريف مما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها الذي ردت فيه على اليهود الذين أساءوا الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) انظر صفة البغض.

(٣) المغني (الفهارس) ص ٨٨.

(٤) فتح الباري (١٢ / ٣٢٦).

(٥) المغني (الفهارس) ص ٨٨.

(٦) فتح الباري (١٢ / ٣٢٦).

[للاستزادة: انظر صفات: القسوة- العدوان الظلم- الطغيان- البغي- الإرهاب.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الرفق- اللين- الشفقة- العطف- الحنان- السماحة].

\*\*\*

### من مضار (العنف والإكراه)

- (١) العنف يؤدّي إلى الحرمان من الخير. (٨) الإكراه يؤدّي إلى ضياع الحقوق وتفكّك المجتمع.
- (٢) ما كان العنف في شيء إلاّ شأنه. (٩) العنف ينشر الكراهية والحقد بين أفراد المجتمع.
- (٣) العنف طريق موصّل إلى بغض الله ومقتته. (٤) العنف منبئ عن سوء النية وخبث الطويّة.
- (٥) العنف يسبّب حذر الناس من الشّخص العنيف وبعدهم عنه. (١٠) الإكراه يخلّ بالأمن والاستقرار ممّا يؤدّي إلى ضعف الإنتاج وانتشار الفوضى.
- (٦) الإكراه خاصّة في مجال البغاء ينشر الرّذيلة. (١١) العنف والإكراه من الأمراض الاجتماعيّة الخطيرة.
- (٧) العنف يجلب على صاحبه المشقّة ويعامله الناس إذا فقد سلطانه وقوّته بعنف أشدّ من عنفه معهم. (١٢) العنف والإكراه يجلبان غضب المولى ﷻ على من يفعل ذلك.

### الغدر

#### الغدر لغة:

الغدر: مصدر غدر يغدر غدرا، وهو الإخلال بالشّيء وتركه، يقول ابن فارس: الغين والدّال والراء أصل صحيح يدلّ على ترك الشّيء، من ذلك الغدر: نقض العهد، وترك الوفاء به، ويقولون في الدّم يا غدر، وغدر به فهو غادر وغدر أيضا، وأكثر ما يستعمل هذا في النداء بالشّتم، يقال يا غدر، وفي الحديث: «يا غدر ألسنت أسعى في غدرك» ويقال في الجمع بالغدر، وغدرت اللّيلة بالكسر تغدر غدرا، أي أظلمت، فهي غدرة، وأغدرت فهي مغدرّة.

ويقول الرّاعب: والغدر يقال لترك العهد، ومنه قيل فلان غادر، وجمعه غدرة، وغدار،

كثير الغدر.

وغدر الرجل غدرا وغدرانا، وقالوا: الذئب غادر، أي لا عهد له، كما قالوا الذئب فاجر. والمغادرة: التَّرك، وأغدر الشَّيء، تركه وبقاه، والغدرة: ما أغدر من شيء وهي الغدارة. وقال ابن منظور: الغدر ضدُّ الوفاء بالعهد.

وقال غيره: الغدر ترك الوفاء. غدره وغدر به يغدر غدرا. تقول: غدر إذا نقض العهد، ورجل غادر وغدَّار وغدور، وكذلك الأنتى بغير هاء، وغدر، وأكثر ما يستعمل هذا في النداء في الشتم يقال: يا غدر ويقال في الجمع: يا لغدر. وفي حديث الحديبية؛ قال عروة بن مسعود للمغيرة: يا غدر، وهل غسلت غدرك إلا بالأمس؟ قال ابن الأثير: غدر معدول عن غادر للمبالغة، ويقال للذكر غدر والأنتى غدار كقطام، وهما مختصَّان بالنداء في الغالب؛ ومنه حديث عائشة: قالت للقاسم: اجلس غدر أي يا غدر فحذفت حرف النداء. وفي الحديث: بين يدي الساعة سنون غدَّارة يكثر المطر ويقلُّ النبات. هي فعَّالة من الغدر أي تطعمهم في الخصب بالمطر ثم تخلف فجعل ذلك غدرا منها<sup>(١)</sup>.

#### الغدر اصطلاحاً:

قال الجاحظ: هو الرجوع عمَّا يبذله الإنسان من نفسه ويضمن الوفاء به، وهو خلق مستقبح، وإن كان يصاحبه فيه منفعة، وهو بالملوك والرؤساء أقبح، ولهم أضْر<sup>(٢)</sup>. وقال المناوي: الغدر: نقض العهد والإخلال بالشَّيء وتركه<sup>(٣)</sup>.

#### حكم الغدر:

عدَّ الإمام ابن حجر الغدر ضمن الكبائر، وقد عدَّ معه القتل والظلم لمن له أمان أو ذمَّة أو عهد، وقال: عدَّ هذه الثلاثة هو صريح الأحاديث وهو ظاهر، وبه قدح بعضهم في قتل المعاهد وعدَّه في الغدر، وقد جاء عن عليٍّ عليه السلام أنه عدَّ من الكبائر نكث الصفقة أي الغدر بالمعاهد<sup>(٤)</sup>. وإلى مثل هذا ذهب الإمام الذهبيُّ فعَدَّ الغدر وعدم الوفاء بالعهد الكبيرة الخامسة والأربعين، وذكر من الشواهد القرآنية والأحاديث ما يؤيد ذلك<sup>(٥)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٤ / ٤١٣)، والصحاح (٢ / ٧٦٦)، المفردات (٣٥٨)، ولسان العرب (٥ / ٨) ط. بيروت، ومختار الصحاح (٤٦٩).

(٢) تهذيب الأخلاق (٣٠).

(٣) التوقيف (٢٥٠).

(٤) الزواج (٦١٤).

(٥) انظر ذلك مفصلاً في «الكبائر» (١٦٨).

[للاستزادة: انظر صفات: الخيانة- الجحود العدوان- نقض العهد- اللؤم- شهادة الزور- النفاق.]

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الوفاء- الصدق المسئولية- الأمانة- إقامة الشهادة].

\*\*\*

### من مضار (الغدر)

- (١) الغادر يحمل لواء غدره يوم القيامة خزيًا (٤) الغادر ممقوت من الله والملائكة والناس وعارا بين الخلائق. أجمعين.
- (٢) وهو صفة ذميمة لا يتحلّى بها إلا فاقد (٥) يحذره الناس فلا يطمئنون إلى مخالطته الإيمان من كافر مشرك ويهودي نصراني ولا جبرته ولا معاملته.
- ومجوسيّ ومن حمل صفتهم. (٦) الغدر دليل على خسة النفس وحقارتها.
- (٣) يكفى الغادر سخطا وغضبا أن يكون الله (٧) يعامله الله بعكس مقصوده فلا يتم له أمرا. خصمه يوم القيامة.

### الغرور

#### الغرور لغة:

مصدر قولهم: غرّه يغرّه، وهو مأخوذ من مادة (غ ر ر)، التي تدلّ على النقصان، والمراد نقصان الفطنة، ولهذه المادة دالتان أخريان هما: المثال الذي يطبع عليه السهم (حتى تصير على نسق واحد) ومن ذلك: ولدت فلانة أولادها على غرار واحد (أي متشابهين)، والآخر: العتق والبياض والكرم، ومن ذلك الغرّة، إذ غرّة كلّ شيء أكرمه، والغرّة البياض، ويقال لثلاث ليال من الشهر: غرّة<sup>(١)</sup>، قال ابن فارس، ومما يقارب هذا (الأصل) الغرارة، وذلك أنّها من كرم الخلق، قد تكون في كلّ كريم، فأما (الغرور) المذموم فهو من الأصل الأوّل (أي النقصان) لأنّه من نقصان الفطنة<sup>(٢)</sup>، وذهب الراغب إلى أنّ الغرور مأخوذ من «غرّ الثوب» وهو أثر كسره، يقال: اطو الثوب

(١) انظر في المعاني الثلاثة التي تدل عليها المادة وهي: المثال، والنقصان، والكرم أو العتق والبياض، مقياس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٨٠-٣٨٢).

(٢) المرجع السابق، (٤/ ٣٨٢).

على غرّه، قال: وغرّه كذا غرورا كأنما طواه على غرّه، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] المراد: ما خدعك وسوّل لك؟، وقيل: كيف اجترأت عليه ولم تخفه فأضعت ما وجب عليك، وهذا توبيخ وتبكييت للعبد الذي يأمن مكر الله تعالى<sup>(١)</sup> وقال الفيروز آبادي: الغرّة: الغفلة، وغررته: أصبت غفلته ونلت منه ما أريد، والشيطان أقوى الغارّين وأخبثهم<sup>(٢)</sup>، وقال الجوهري: الغرور (يستعمل جمعا) مفردة «غرّ»، ومن ذلك الغرور: مكاسر الجلد، قال أبو النّجم:

حتّى إذا طار من خبيرها عن جدد صفر وعن غرورها

قال: وغرّ الثوب كسره الأوّل، قال الأصمعيّ: حدّثني رجل عن رؤية أنّه عرض عليه ثوب، فنظر إليه وقلبه ثمّ قال: اطوه على غرّه؛ واغتررت يا رجل: غفلت، واغترّه أي أناه على غرّة (أي غفلة) منه، واغترّ بالشّيء خدع به، وقال ابن السكّيت: الغرور (بالفتح): الشيطان، والغرور: ما يتغرّغ به من الأدوية والغرور (بالضمّ) ما اغترّ به من متاع الدّنيا، والغرار: النوم القليل، والغرار: نقصان لبن النّاقة، وفي الحديث: «لا غرار في الصّلاة» وهو ألا يتمّ ركوعها وسجودها، والغرار (أيضا): الطّريقة، وقولهم: غرّة يغرّه غرورا: خدعه، يقال: ما غرّك بفلان؟ أي كيف اجترأت عليه؟، والتّغريير: حمل النّفس على الغرر، وقد غرّر بنفسه تغريرا وتغرّة، كما يقال: حلّل تحليلا وتحلّة، وعلّل تعلّلا وتعلّة<sup>(٣)</sup>.

أمّا قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣] قيل: الغرور الشيطان، قال الرّجاج: ويجوز الغرور (بضمّ الغين)، وقال في تفسيره: الغرور: الأباطيل، ويجوز أن يكون الغرور جمع غارّ مثل شاهد وشهود، والغرور (أيضا) ما اغترّ به من متاع الدّنيا، وفي التّنزيل العزيز ﴿فَلَا تَغُرُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [لقمان: ٣٣] المعنى: إن كان لكم حظّ ينقص من دينكم فلا تؤثروا ذلك الحظّ، والشيطان غرور لأنّه يغرّ النّاس بالوعد الكاذب والتّمنية، والغرور (أيضا) الأباطيل كأنّها جمع غرّ (مصدر غررته)، وقيل: المراد بالغرور: زينة الأشياء في الدّنيا، وفي حديث سارق أبي بكر رضي الله عنه عجبت من غرّة أبي بكر أي اغتراره<sup>(٤)</sup>، قال ابن منظور: الغرارة من الغرّ، والغرّة من الغارّ، والتّغرّة

(١) تفسير القرطبي ١٩ / ١٦١، ولسان العرب (غرر) ص ٣٢٣٢ (ط: دار المعارف) بتصرف.

(٢) بصائر ذوي التمييز (٤ / ١٢٩).

(٣) الصحاح (٢ / ٧٦٧ - ٧٧٠) بتصرف واختصار.

(٤) النهاية لابن الأثير ٣ / ٣٥٥، ولسان العرب (غرر) ص، ٣٢٣٣.

من التَّغْرِير، وفي حديث عمر رضي الله عنه «أَيُّمَا رَجُلٍ بَايَعَ آخَرَ عَلَى مَشُورَةٍ فَإِنَّهُ لَا يُؤَمَّرُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا تَغْرَةً أَنْ يَقْتُلَا» التَّغْرَةُ هُنَا مَصْدَرٌ غَرَّرْتَهُ إِذَا أَلْقَيْتَهُ فِي الْغُرْرِ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الْمَعْنَى لَا يُبَايِعُ الرَّجُلُ إِلَّا بَعْدَ مَشَاوَرَةِ الْمَلَأِ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ وَاتِّفَاقِهِمْ، وَمَنْ بَايَعَ غَيْرَهُ عَنْ غَيْرِ اتِّفَاقٍ مِنَ الْمَلَأِ لَمْ يُؤَمَّرْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا تَغْرَةً بِمَكْرِ الْمُؤَمَّرِ مِنْهُمَا لَثَلَا يَقْتُلَا أَوْ أَحَدَهُمَا<sup>(١)</sup>.

### الغرور اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الغرور: هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع<sup>(٢)</sup>.  
وقال المناوي نقلاً عن الحرالي: الغرور: هو إخفاء الخدعة في صورة النصيحة<sup>(٣)</sup>.  
وقال الكفوي: الغرور: هو تزيين الخطأ بأنه صواب، وقيل: الغرور (والغرر أيضاً) ما يكون مجهول العاقبة لا يدرى أيكون أم لا<sup>(٤)</sup>.  
أما الغرور فهو كل ما يغرر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان وغير ذلك<sup>(٥)</sup> وقال الكفوي: كل من غر شيئاً فهو غرور (بالفتح)، والغرور (بالضم): الباطل<sup>(٦)</sup>.

### الفرق بين الجهل والغرور:

قال الغزالي: الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل، إذ الجهل هو أن يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به، ولكن ليس كل جهل غروراً.  
إذ الغرور يستدعي مغروراً فيه ومغروراً به، وهو الذي يغرره، ومهما كان المجتهد المعتقد شيئاً يوافق الهوى، وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن أنها دليل، ولا تكون دليلاً سمي الجهل الحاصل به غروراً، فالغرور - كما سبق - هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان، فمن اعتقد أنه خير إما في العاجل أو في

(١) لسان العرب (غرر) ص ٣٢٣٣، وقال ابن الأثير: معنى الحديث أن البيعة حقها أن تقع صادرة عن المشورة والاتفاق، فإذا استبد رجلان دون الجماعة فبايع أحدهما الآخر فذلك تظاهر منهما بشق العصا واطراح الجماعة. انظر النهاية (٣/ ٣٥٦).

(٢) التعريفات للجرجاني ص ١٦٧، والتوقيف على مهمات التعاريف لابن المناوي ص ٢٥١.

(٣) التوقيف ص ٢٥٢.

(٤) الكليات للكفوي ص ٦٧٢.

(٥) المفردات للراغب ص ٣٥٩ والتوقيف على مهمات التعاريف ص ٢٥١.

(٦) الكليات (٦٦٣).

الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور، وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه، فأكثر الناس على ذلك مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم (فيه) حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض<sup>(١)</sup>.

### أنواع الغرور:

قال الغزالي: أظهر أنواع الغرور وأشدّها غرور الكفّار وغرور العصاة والفسّاد وأورد- رحمه الله تعالى - لهذين النوعين وكشف عن كفيّة معالجهما على النحو الذي نلخصه فيما يلي:

**المثال الأوّل:** غرور الكفّار، فمنهم من غرّته الحياة الدّنيا، ومنهم من غرّه بالله الغرور، أمّا الذين غرّتهم الحياة الدّنيا: فهم الذين قالوا: التّقد خير من النّسيئة<sup>(٢)</sup>، والدّنيا نقد والآخرة نسيئة، فهي إذن خير (منها) فلا بدّ من إثارها، وقالوا أيضا: اليقين خير من الشكّ ولذات الدّنيا يقين ولذات الآخرة شكّ فلا نترك اليقين بالشكّ.

وعلاج هذا الغرور إمّا بتصديق الإيمان وإمّا بالبرهان: فأما التّصديق بالإيمان فهو أن يصدّق الله تعالى في قوله: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦]. وقوله ﴿ وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ [الضحى: ٤]، وأمّا المعرفة بالبيان والبرهان، فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان. وهذا القياس الذي نظمه الشيطان فيه أصلا: أن التّقد خير من النّسيئة وأنّ الدّنيا نقد والآخرة نسيئة.. فهذا محلّ التلبس لأنّ الأمر ليس كذلك، بل إن كان التّقد مثل النّسيئة في المقدار والمقصود فهو خير، وإن كان أقلّ منها فالنّسيئة خير، ولذلك فإنّ الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة.. ولا يقول التّقد خير من النّسيئة فلا أتركه، والإنسان إذا حدّره الطّيب الفواكه ولذات الأطلعمة ترك ذلك في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل. ثانيا: أنّ اليقين خير من الشكّ، فهذا القياس أكثر فسادا من الأوّل، إذ اليقين خير من الشكّ إذا كان مثله، وإلّا فالتاجر في تبعه علي يقين، وفي ربحه على شكّ، والمتفكّة في جهاده على يقين وفي إدراكه رتبة العلم على شكّ، والصيّاد في تردّده في المقتنص على يقين، وفي الظفر بالصّيد على شكّ.

وهذا القياس الخاطيء يتيقن منه المؤمن وليقينه مدركان. أحدهما: الإيمان والتّصديق، وتقليدا للأنبياء والعلماء، وذلك أيضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوامّ وأكثر الخواصّ،

(١) إحياء علوم الدين ٣ (٤٠٠).

(٢) المراد بالنقد البيع المعجل، أما النسيئة فهي البيع الآجل.

ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الأطباء على أن دواءه النبت الفلاني، فإن المريض تطمئن نفسه إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطيبة، بل يثق بقولهم ويعمل به. والخلاصة: أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك، يدفع إما بيقين تقليدي، وإما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن، والمؤمنون بألستهم وعقائدهم إذا ضيعوا وأمر الله تعالى وهجروا الأعمال الصالحة ولا بسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لأنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة، إلا أن أمرهم أخف لأن أهل الإيمان يعصمهم من عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين. ولكنهم أيضا من المغرورين الذين آثروا الحياة الدنيا، ومجرد الإيمان لا يكفي للفوز، قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٢٨].

#### المثال الثاني: غرور العصاة من المؤمنين..

بقولهم: إن الله كريم وإنا نرجو عفو، واتكالمهم على ذلك وإهمالهم الأعمال، وتحسين ذلك بتسمية تمنيةهم واغترارهم رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين، وأن نعمة الله واسعة ورحمته شاملة ويرجونه بوسيلة الإيمان. فإن قلت فأين الغلط في قولهم هذا، وقد قال المولى أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي خيرا فهذا كلام صحيح مقبول في الظاهر ولكن اعلم أن الشيطان لا يغوي الإنسان إلا بمثل هذا ولولا حسن الظاهر لما انخدع به القلب، ولكن النبي ﷺ كشف عن ذلك فقال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»، وهذا التمني على الله غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال، وقد شرح الله الرجاء فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢١٨]

يعني أن الرجاء بهم أليق، لأن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال فقد قال تعالى: ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فلو أن شخصا استوجر لإصلاح شيء وشرط له أجر، وكان الشارط كريما بما يفني بالوعد ويزيد عليه، فجاء الأجير وأخذ هذا الشيء ثم جلس ينتظر الأجر بزعم أن المستأجر كريم، أفيرى العامل ذلك تمنيا وغرورا أم رجاء؟

وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والغرّة، وقد قيل للحسن: قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل، فقال: هيهات هيهات تلك أمانيتهم يترجحون فيها، من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه.

فإن قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود:

فاعلم أنه محمود في موضعين:

أحدهما في حق العاصي المنهك إذا خطرت له التوبة فيقنطه الشيطان، هنا يجمع القنوط بالرجاء، ويتذكر قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] فإذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج.

ثانيهما: في حق من تغتر نفسه عن فضائل الأعمال ويقتصر على الفرائض، فيرجي نفسه نعيم الله تعالى وما وعد به الصالحين حتى ينبعث من رجائه نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ .. إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

المثال الثالث: غرور طوائف لهم طاعات ومعاصٍ إلا أن معاصيهم أكثر، وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم بذلك تترجح كفة حسناتهم، مع أن ما في كفة السيئات أكثر، وهذا غاية الجهل، فترى الواحد يتصدق بدراهم من الحلال والحرام، وما يتناوله من أموال المسلمين أضعاف ذلك ويظن أن إنفاق عشرة في الصدقة يكفر عن مائة من مشبوه المال، وذلك غاية في الجهل والاغترار<sup>(١)</sup>.

### أصناف المغترين:

الصنف الأول: أهل العلم والمغتررون منهم فرق:

وفرقة: أحكموا العلوم الشرعية والعقلية، وتعمقوا فيها، واشتغلوا بها، وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإلزامها الطاعات واغترروا بعلمهم، وظنوا أنهم عند الله بمكان، وأنهم بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم، بل يقبل في الخلق شفاعتهم، وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون<sup>(٢)</sup>.

وفرقة أخرى: أحكموا العلم والعمل، فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي، إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء، وطلب الرئاسة والعلاء وإرادة السوء للأقران.. ومثال هؤلاء كرجل قصد الملك ضيافته إلى داره فجصص باب داره، وترك المزابل في صدرها، ولا يخفى أن ذلك غرور.

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٤٠٠-٤٠٨ (بتصرف).

(٢) الإحياء ٣/ ٤٠٩، ٤١٠.

وفرقه أخرى: علموا أنّ هذه الأخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع إلا أنّهم لعجبهم بأنفسهم يظنون أنّهم منفكون عنها، وأنّهم أرفع عند الله من أن يبتليهم<sup>(١)</sup>.

**الصنف الثاني:** أرباب العبادة والعمل، والمغرور منهم فرق كثيرة، فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم في الحجّ، ومنهم في الغزو، ومنهم في الزهد، وكذلك كلّ مشغول بمنهج من مناهج العمل، فليس خاليا عن غرور إلا الأكياس وقليل ما هم<sup>(٢)</sup>.

**الصنف الثالث:** وهم المتصوّفة، وما أغلب الغرور عليهم والمغرّون منهم فرق كثيرة فمنهم من اغترّ بالزّيّ والهيئة والمنطق، ومنهم من رفضوا الأحكام وسوّوا بين الحلال والحرام وغير ذلك<sup>(٣)</sup>.

**الصنف الرابع:** أرباب الأموال، والمغرّون منهم فرق كثيرة، ومجمل القول فيهم أنّ الرياء قائدهم في كثير من أعمالهم وأنّ الشيطان يزين لهم أعمالهم فيغرّون بها<sup>(٤)</sup>.

#### الفرق بين الثقة بالله والغرور والعجز:

قال ابن القيم: الفرق بينها: أنّ الواثق بالله قد فعل ما أمره الله به، ووثق بالله في طلوع ثمرته وتنميتها وتزكيتها كغارس الشجرة وبأذر الأرض، والمغرّ العاجز قد فرط فيما أمر به، وزعم أنّه واثق بالله، والثقة إنّما تصحّ بعد بذل المجهود<sup>(٥)</sup>.

وقال رحمه الله: إنّ الثقة سكون يستند إلى أدلة وأمارات يسكن القلب إليها فكلمة قويت تلك الأمارات قويت الثقة واستحكمت ولا سيّما على كثرة التجارب وصدق الفراسة.

وأما الغرّة فهي حال المغرّ الذي غرّته نفسه وشيطانه وهواه وأمله الخائب الكاذب برّبّه حتّى أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني، والغرور ثقتك بمن لا يوثق به وسكونك إلى من لا يسكن إليه ورجاؤك النفع من المحلّ الذي لا يأتي بخير كحال المغرّ بالسراب.

ومن أعظم الغرّة أن ترى المولى ﷺ يتابع عليك نعمه وأنت مقيم على ما يكرهه، فالشيطان

(١) الإحياء ٣/ ٤١٢، وقد اكتفينا بذكر هذه الفرق الثلاث خوف الإطالة، وقد ذكر رحمه الله فرقا أخرى يرجع إليها من شاء في الموضوع المذكور.

(٢) الإحياء ٣/ ٤٢٢.

(٣) الإحياء ٣/ ٤٢٦، ٤٢٧ بتصرف واختصار.

(٤) الإحياء ٣/ ٤٢٩ - ٤٣٥ بتصرف واختصار.

(٥) مدارج السالكين ٢/ ١٢٩.

وكلّ بالغرور، وطبع النفس الأمانة الاغترار، فإذا اجتمع الرأى والبغى والشيطان الغرور والنفس المغترّة لم يقع هناك خلاف (في حدوث الغرّة) فالشياطين غرّوا المغترّين بالله وأطمعوههم - مع إقامتهم على ما يسخط الله ويبغضه - في عفوه وتجاوزته وحدّثوهم بالتوبة لتسكن قلوبهم ثمّ دافعوههم بالتسوية حتّى هجم الأجل فأخذوا على أسوء أحوالهم وقال تعالى في هؤلاء: ﴿وَعَزَّزْتُكُمْ بِالْأَمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّزْتُكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٤]. وأعظم الناس غرورا برّبّه من إذا مسّه الله برحمة منه وفضل، قال: ﴿هَذَا لِي﴾ [فصلت: ٥٠] أي أنا أهله وجدير به ومستحق له ثمّ قال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [فصلت: ٥٠] فظنّ أنّه أهل لما أولاه من النعم مع كفره بالله، ثمّ زاد في غروره فقال: ﴿وَلَيْنِ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] يعني الجنّة والكرامة وهكذا تكون الغرّة بالله، فالمغترّ بالشيطان مغترّ بوعوده وأمانيه وقد ساعده اغتراره بدنيته ونفسه فلا يزال كذلك حتّى يتردّى في آبار الهلاك<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الكبر والعجب - العتو - الطغيان - التكاثر - اتباع الهوى - الطيش .  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: التواضع - الإنابة - الإحبات - الخشية - الخوف - التقوى].

\*\*\*

### من مضار (الغرور)

- (١) غرور الكفّار والفسّاد والعصاة من أشدّ (٧) الغرور فيه جرأة عظيمة على الله ﷻ.
- أنواع الغرور إلحاقا للأذى.
- (٢) الغرور دليل فساد النفس وخبث الطويّة.
- (٣) الغرور بعفو الله يوقع في الهلاك.
- (٤) غرور العلماء بعلمهم يلهيهم عن العمل.
- (٥) غرور العبّاد يفسد ثواب عملهم.
- (٦) الغرور يؤدّي إلى الطغيان والكفر أو الفسق والفجور.
- (٧) الغرور يورث الكبر والعجب وغيرهما من أمراض القلب.
- (٨) هو خسران في الدّنيا وعذاب في الآخرة.
- (٩) فيه جهالة بحقيقة النفس وأنّ الإنسان قد خلق من صلصال من حمأ مسنون.
- (١٠) الغرور يتنافى مع العبوديّة الحقّة لله تعالى.
- (١١) الغرور يهلك الأمم ويصيب الأفراد بالأمراض النفسية الخطيرة.
- (١٢) الغرور يورث الكبر والعجب وغيرهما من أمراض القلب.

(١) الروح لابن القيم، ص ٢٢٠ - ٢٢١ (بتصرف واختصار).

## الغش

## الغش لغة:

الغش اسم من قولهم غشّه يغشّه غشًا - بالكسر - وهو مأخوذ من مادة (غ ش ش) يقول ابن فارس: «الغين والشين أصول تدلّ على ضعف في الشيء واستعجال فيه. من ذلك الغش، ويقولون: الغش ألا تمحض النصيحة<sup>(١)</sup>. واستغشّه خلاف استنصحه<sup>(٢)</sup>.

ويقول الفيومي: «غشّه غشًا من باب قتل، والاسم غش - بالكسر - لم ينصحه وزين له غير المصلحة، ولبن مغشوش، مخلوط بالماء<sup>(٣)</sup>.

وغشّه يغشّه غشًا لم يمحضه النصح، وأظهر له خلاف ما أضمره، وهو بعينه، عدم الإمحاض في النصيحة كغشّته تغشيشًا، وهو مبالغة في الغش.

والغش: الغلّ والحقد، وقد غشّ صدره يغشّ إذا غلّ<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن منظور: الغش نقيض النصح، وهو مأخوذ من الغشش وهو المشرب الكدر.

ومن هذا الغش في البياعات. وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «ليس منّا من غشنا».

قال أبو عبيدة: وقد غشّه يغشّه غشًا: لم يمحضه النصيحة، وشيء مغشوش، ورجل غشّ: غاشّ، والجمع: غشون، قال أوس بن حجر:

مخلفون، ويقضي الناس أمرهم غشوا الأمانة صنبور لـصنبور

واستغشّه واغتشّه: ظنّ به الغش، وهو خلاف استنصحه.

واغتششت فلانا: أي عددته غاشًا، قال الشاعر:

أيارب من تغتشه لك ناصح ومنتصح بالغيب غير أمين<sup>(٥)</sup>

(١) المقاييس (٤/ ٣٨٣).

(٢) الصحاح (٣/ ١٠١٣).

(٣) المصباح المنير (١٧٠).

(٤) التاج (٩/ ١٥٤).

(٥) لسان العرب (٦/ ٣٢٣).

**الغش اصطلاحاً:**

قال المناوي: الغش ما يخلط من الرديء بالجيّد<sup>(١)</sup>.

وقال ابن حجر: الغش (المحرّم) أن يعلم ذو السلعة من نحو بائع أو مشتر فيها شيئاً لو اطلع عليه مريد أخذها ما أخذها بذلك المقابل<sup>(٢)</sup>.

وقال الكفوي: الغش: سواد القلب وعبوس الوجه<sup>(٣)</sup>.

**أنواع الغش:**

للغش أنواع عديدة أهمّها:

١- الغش في البيوع وغيرها من المعاملات وهو ما أشار إليه المناوي وابن حجر في تعريفهما للغش.

٢- الغش في النصح، وهو ما أشار إليه الكفوي، ويراد به عدم الإخلاص في النصح، ومنه قول أبي عبيدة: «غشه غشاً» لم يحضه النصيحة.

٣- الغش للرعيّة، وهو ما أشار إليه الإمام الذهبي في حديثه عن الكبيرة السادسة عشرة، وعليه قوله ﷺ «أيما راع غش رعيتّه فهو في النار»<sup>(٤)</sup>.

**حكم الغش:**

عدّ الإمام ابن حجر النوع الأوّل من الغش:

وهو غش البيوع ونحوها من الكبائر، فقال: عدّ هذا كبيرة هو ظاهر ما في بعض الأحاديث من نفي الإسلام عن الغاش مع كونه لم يزل في مقت الله، أو كون الملائكة تلعنه، وما ذكره بعضهم من أنّه صغيرة فيه نظر لما ذكر من الوعيد الشّديد فيه<sup>(٥)</sup>.

أمّا النوع الثاني: وهو الغش في النصيحة فهو أيضاً من الكبائر الباطنة، لأنّ مرجعها سواد القلب، وينطبق عليها ما ينطبق على سائر الكبائر الباطنة التي يذمّ العبد عليها أكثر ممّا يذمّ على الرّنا والسّرقة وشرب الخمر<sup>(٦)</sup>.

(١) التوقيف (٢٥٢).

(٢) الزواج (٣٢٣).

(٣) الكليات (٦٧٢).

(٤) الكبائر (٧٣).

(٥) الزواج (٣٢٠).

(٦) المرجع السابق (٩٨)، وقد عدّ هذا الغش الكبيرة الخامسة.

أما النوع الثالث: وهو غش الإمام للرعية. فقد عدّه الإمام الذهبي من الكبائر أيضا. فقال: الكبيرة السادسة عشرة هي غش الإمام للرعية وظلمه لهم، وقد استدلّ على ذلك بآيات عديدة وأحاديث مختلفة منها الحديث رقم (٣) «... وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»<sup>(١)</sup>.  
[للاستزادة: انظر صفات: التطفيف - الخيانة التناجش - النفاق - أكل الحرام - سوء المعاملة.]

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأمانة - حسن المعاملة - النصيحة].

\*\*\*

### من مضار (الغش)

- |                                    |                                   |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) الغش طريق موصل إلى النار.      | (٥) حرمان البركة من المال والعمر. |
| (٢) دليل على دناءة النفس وخبثها.   | (٦) دليل على نقص الإيمان.         |
| (٣) البعد عن الله والبعد عن الناس. | (٧) يورث سخط الناس ومقتهم.        |
| (٤) حرمان إجابة الدعاء.            |                                   |

## الغضب

### الغضب لغة:

الغضب نقيض الرضا، وهو مصدر غضب يغضب غضبا، يقول ابن فارس: الغين والضاد والباء أصل صحيح يدلّ على شدّة وقوّة. يقال: إنّ الغضبة: الصخرة الصلبة. قالوا: ومنه اشتقّ الغضب، لأنّه اشتداد السخط.

وغضب عليه غضبا، ومغضبة، وأغضبته أنا فتغضب، ورجل غضبان وامرأة غضبي ولغة بني أسد غضبانة وملاّنة وأشباههما، وقوم غضبي وغضابي، مثل سكرى وسكارى. وغضب من لا شيء، أي من غير شيء يوجب، وتغضب عليه مثل غضب.

وقال ابن منظور: يقال: غضب له: أي غضب على غيره من أجله وذلك إذا كان حيّا، فإن كان ميتا قلت: غضب به (أي بسببه).

(١) انظر ذلك مفصلا في الكبائر (٧٢، ٧٦).

وقال ابن عرفة: الغضب من المخلوقين، شيء يداخل قلوبهم ومنه محمود ومذموم، فالمذموم ما كان في غير الحق، والمحمود ما كان في جانب الدين والحق، وأما غضب الله تعالى فهو من صفات الأفعال لله ﷻ حقيقة على ما يليق بجلاله، وأما لازم الغضب فهو إنكاره على من عصاه ومعاقبته إيّاه، (والوصف من ذلك): غضب وغضوب، وغضبان أي يغضب سريعا، وغاضبت الرجل أغضبت وأغضبني، وغاضبه: راغمه وفي التنزيل العزيز: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِّبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧] قيل مغاضبا لربه، وقيل: مغاضبا لقومه، قال ابن سيده: والأول أصح لأن العقوبة لم تحل به إلا لمغاضبته ربه، وقيل المعنى: ذهب مراغما لقومه، وقال القرطبي: المعنى مغاضبا من أجل ربه كما تقول: غضبت لك أي من أجلك، والمؤمن يغضب الله تعالى إذا عصي، وروى عن الأخفش أنه خرج مغاضبا للملك الذي كان على قومه<sup>(١)</sup>، وقولهم امرأة غضوب أي عبوس، والغضوب أيضا الحية الخبيثة، وغضب بصر فلان، إذا انتفخ من داء يصيبه يقال له: الغضاب والغضاب، والغضبة: الصخرة الصلبة المركبة في الجبل، المخالفة له، وقيل الأكمة، وقيل: الصخرة الرقيقة، وغضبي اسم للمائة من الإبل<sup>(٢)</sup>.

#### الغضب اصطلاحا:

قال الجرجاني: الغضب: تغيير يحصل عند فوران دم القلب ليحصل عنه التشفي في الصدر<sup>(٣)</sup>.

وقال الراغب: هو ثوران دم القلب إرادة الانتقام<sup>(٤)</sup>.

وقال التهانوي: الغضب هو حركة للنفس مبدؤها الانتقام، وقيل: هو كيفية نفسانية تقتضي حركة الروح إلى خارج البدن طلبا للانتقام<sup>(٥)</sup>.

قال الغزالي - رحمه الله تعالى - : الغضب: غليان دم القلب بطلب الانتقام.

(١) في الآية تفسيرات أخرى عديدة. انظر: تفسير القرطبي (١١ / ٢١٨، ٢١٩).

(٢) انظر مقاييس اللغة لابن فارس (٤ / ٤٢٨)، والصحاح (١ / ١٩٤)، لسان العرب (٥ / ٣٢٦٢ - ٣٢٦٤)، المصباح المنير (٤٤٨).

(٣) التعريفات (١٦٨).

(٤) المفردات (٣٧٤).

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون (٣ / ١٠٨٩).

**درجات الغضب:**

قال الغزالي: يتفاوت الناس في قوة الغضب على درجات ثلاث وهي: التفریط، والإفراط، والاعتدال.

أولاً: التفریط ويكون إما بفقد قوة الغضب بالكلية أو بضعفها، وحينئذ يقال للإنسان: إنه لا حمية له ويذمّ جدًا، ومن هنا قال الشافعي - رحمه الله تعالى -: من استغضب فلم يغضب فهو حمار. وهذا يثمر ثمرات مرّة، كقلّة الأنفة ممّا يؤنّف منه من التعرّض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الدّل من الأخصاء وصغر النفس.

ثانياً: الإفراط: ويكون بغلبة هذه الصفة حتّى تخرج عن سياسة العقل والدين والطاعة ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار، بل يصير في صورة المضطرّ، وسبب غلبته أمور غريزيّة، وأمور اعتياديّة، فربّ إنسان هو بالفطرة مستعدّ لسرعة الغضب حتّى كأنّ صورته في الفطرة صورة غضبان ويعيش على ذلك حرارة مزاج القلب.

وأما الأسباب الاعتياديّة: فهو أن يخالط قوماً يتججّحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمّون ذلك شجاعة ورجوليّة.

ثالثاً: الاعتدال: وهو المحمود وذلك بأن ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينظف في حيث يحسن الحلم وحفظه على حدّ الاعتدال هو الاستقامة التي كلّف الله بها عباده وهو الوسط. فمن مال غضبه إلى الفتور حتّى أحسّ من نفسه بضعف الغيرة وحسّة النفس في احتمال الدّل والضيم في غير محلّه فينبغي أن يعالج نفسه، ومن مال غضبه إلى الإفراط حتّى جرّه إلى التهور واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص سورة غضبه ويقف على الوسط الحقّ بين الطرفين وهذا هو الصراط المستقيم وهو أرقّ من الشعرة وأدقّ من السيف فإن عجز عنه فليطلب القرب منه<sup>(١)</sup>.

**أسباب الغضب:**

قال الغزالي - رحمه الله تعالى - مبيّناً أسباب الغضب: من أسباب الغضب: الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزاء والتعبير والمماراة، والمضادة (العناد) والغدر، وشدة الحرص على فضول المال والجاه ومن أشدّ البواعث عليه عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجوليّة

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١٧٩ - ١٨٠) بتصرف.

وعزة نفس وكبر همّة، وتلقيه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس إليه وتستحسنه، وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهيح الغضب إلى القلب بسببه.

### علاج الغضب وتسكينه :

يعالج الغضب إذا هاج بأمر منها:

- ١- أن يذكر الله ﷻ فيدعوه ذلك إلى الخوف منه ويبعثه الخوف منه على الطاعة له فعند ذلك يزول الغضب، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرَّ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]، قال عكرمة، يعني إذا غضبت.
- ٢- أن يتفكر في الأخبار الواردة في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثواب ذلك، فتمنعه شدة الحرص على ثواب هذه الفضائل عن التشنّي والانتقام وينظفي عنه غيظه.
- ٣- أن يخوف نفسه بعقاب الله تعالى، وهو أن يقول: قدرة الله عليّ أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيت فيه غضبي، لم آمن أن يمضي الله ﷻ غضبه عليّ يوم القيامة فأنا أحوج ما أكون إلى العفو.
- ٤- أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمير العدو في هدم أغراضه والشّماتة بمصائبه، فإنّ الإنسان لا يخلو من المصائب وهذا ما يعرف بتسليط شهوة على غضب، ولا ثواب عليه إلا أن يكون خائفاً من أن يتغيّر عليه أمر يعينه على الآخرة، فيثاب على ذلك.
- ٥- أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب وأنّه يشبه حينئذ الكلب الضّاري والسبع العادي وأنّه أبعد ما يكون مجانية لأخلاق الأنبياء والعلماء الفضلاء في أخلاقهم.
- ٦- أن يعلم أنّ غضبه إنّما كان من شيء جرى على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده هو فكيف يكون مراد نفسه أولى من مراد الله تعالى.
- ٧- أن يتذكر ما يتول إليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام.
- ٨- أن يتذكر أنّ القلوب تنحرف عنه وتحذر القرب منه فيبتعد الخلق عنه فيبقى وحيداً فريداً، فإنّ ذلك جدير بأن يصرف الغضب عنه.
- ٩- أن يتحوّل عن الحال التي كان عليها فإن كان قائماً جلس وإن كان جالساً اضطجع وعليه أن يتوضّأ أو يستنشق بالماء.

- ١٠- أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.
- ١١- أن يذكر ثواب العفو وحسن الصّفح فيقهر نفسه على الغضب.
- ١٢- أن يذكر انعطاف القلوب عليه وميل النفوس إليه، فلا يرى إضاعة ذلك بتغيير الناس منه ويكفّ عن متابعة الغضب<sup>(١)</sup>.

### بين الحزن والغضب:

قال الماوردي: سبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممّن دونها، وسبب الحزن هجوم ما تكرهه النفس ممّن فوقها، والغضب يتحرّك من داخل الجسد إلى خارجه والحزن يتحرّك من خارج الجسد إلى داخله، فلذلك قتل الحزن، ولم يقتل الغضب؛ لكمون الحزن وبروز الغضب، وصار الحادث عن الغضب السطوة والانتقام لبروزه، والحادث عن الحزن المرض والأسقام لكمونه، وكذلك أفضى الحزن إلى الموت، ولم يفض إليه الغضب<sup>(٢)</sup>.

### من الغضب ما هو محمود:

من الغضب ما يكون محموداً وذلك إذا صدر الغضب من الله ﷻ وليس مثل غضبه شيء، ومن ذلك غضبه تعالى على أعدائه الله من اليهود ومن كان على شاكرتهم من الكفار والمنافقين والطّغاة والمتجبرين، كما يكون الغضب محموداً إذا كان الله ﷻ عند ما تنتهك حرّماته، وقد أثبت القرآن ذلك للرّسل الكرام في مواضع عديدة، كما في الحديث الشريف أنّ النبي ﷺ كان يغضب في بعض الأحيان لله ﷻ لا لنفسه.

وقد ذكر الغزالي أنّ النوع الثالث من أنواع الغضب وهو الذي يوصف بالاعتدال غضب محمود وأنّ النوعين الآخرين وهما نوعا الإفراط والتفريط مذمومان<sup>(٣)</sup>، وقال الماوردي بعد أن ذكر الأسباب التي تؤدّي إلى الحلم: الأولى بالإنسان أن تدعوه إلى الحلم أفضل أسبابه، وإن كان الحلم كلّه فضلاً وإن عرا عن هذه الأسباب كان ذللاً، والحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب فإن فقد الغضب لسمع ما يغضب كان ذلك من ذلّ النفس وقلة الحميّة، وأنشد النابغة الجعديّ بحضرة النبي ﷺ:

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٥٠، ٢٥٢)، إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ١٧٥١٧٣)، مختصر منهاج القاصدين (١٨٠-١٨١).

(٢) أدب الدنيا والدين (٢٥٠، ٢٥٢).

(٣) انظر أنواع الغضب.

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرًا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلم إذا ما أورد الأمر أصدرًا

فلم ينكر ﷺ قوله عليه، ومن فقد الغضب في الأشياء المغضبة حتى استوت حالتاه قبل الإغضاب وبعده فقد عدم من فضائل النفس الشجاعة والأنفة والحمية والغيرة والدفاع والأخذ بالثأر لأنها خصال مرغبة من الغضب، فإذا عدمها الإنسان هان بها، وليس هذا القول إغراء بتحكم الغضب، ولكن إذا ثار به الغضب عند وجود ما يغضبه، كف سورتته بغضبه وأطفأ ثأرتته بحلمه،... ولو عزب عنه الحلم حتى انقاد لغضبه ضل عنه وجه الصواب<sup>(١)</sup>، والخلاصة أن الغضب الذي يتحكم فيه صاحبه بالحلم هو غضب محمود، ولا يكون كذلك إلا إذا بعد عن الإفراط والتفريط، لأنه في هذه الحالة «يتلقى قوة الغضب بحلمه فيصدها، ويقابل عوادي شرته بحزمه فيردّها، وحينئذ يحظى بانجلاء الحيرة ويسعد بحميد العاقبة»<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الحقد- السخط- الطيش- النعمة- العجلة- الحمق- الغل- الانتقام- سوء المعاملة- سوء الخلق.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الحلم- الرضا- السكينة- كظم الغيظ- الوقار- الصبر والمصابرة- الصمت وحفظ اللسان- العفو].

\*\*\*

### من مضار (الغضب)

(١) يغضب الرحمن الرحيم ويرضي الشيطان (٤) يتولد منه الحقد والحسد وهذا نقص في الرجيم. العقل والدين.

(٢) الصبر عليه أشد وأصعب من مجاهدة (٥) كثيرا ما يعقبه الاعتذار والندم، وقد يكون العدو. بعد فوات الأوان.

(٣) يؤول إلى التقاطع وإفساد ذات البين. (٦) يجعل صاحبه لا يستفيد من الموعدة والعبارة.

(١) باختصار عن أدب الدنيا والدين (٢٥٠-٢٦٨).

(٢) المرجع السابق (٢٥٠).

(٧) قد يؤثّر على البدن حتّى يعمي البصر نفسه بالكليّة.  
ويصمّ الآذان، ويخرس اللّسان، ويعجز (٨) نفرة الخلق عنه وخوفهم من القرب منه.  
الإنسان، بل قد يموت الإنسان وتزهق

## الغفلة

### الغفلة لغة:

الغفلة: السهو عن الشّيء. وهو مصدر غفل يغفل غفلة وغفولا، يقول ابن فارس: الغين والفاء واللّام أصل صحيح يدلّ على ترك الشّيء سهواً، وربّما كان عن عمد. والغفلة: غيبة الشّيء عن بال الإنسان، وعدم تذكّره له، وقد استعمل فيمن تركه إهمالا، وإعراضا، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] يقال منه: غفلت عن الشّيء غفولا، من باب قعد، وله ثلاثة مصادر، غفول، وهو أعمّها، وغفلة وزان تمرّة. وغفل وزان سبب، وغفّلته تغفيلاً، صيرّته كذلك، فهو مغفل، أي ليست له فطنة، وأغفلت الشّيء إغفالاً، تركته إهمالا من غير نسيان، وتغفّلت الرّجل، ترقّبت غفّلته، وتغافل، أرى من نفسه ذلك، وليس به.

والأغفال: الموات، يقال أرض غفل، لا علم بها، ولا أثر عمارة، وقال الكسائي: أرض غفل، لم تمطر، ودابة غفل، لا سمة عليها، وقد أغفلتها، إذا لم تسمها ورجل غفل، لم يجرب الأمور.  
ويقول سيوييه: «غفلت: صرت غافلا، وأغفلته وغفلت عنه: وصّلت غفلي إليه، أو تركته على ذكر، قال اللّيث: أغفلت الشّيء، تركته غفلا، وأنت له ذاكر، والتّغفّل: ختل في غفلة، والغفول من الإبل، البلهاء التي لا تمتنع من فصيل يرضعها، ولا تبالي من حلبها، والغفل: المقيّد الذي أغفل، فلا يرجى خيره، ولا يخشى شرّه، والجمع أغفال.

وقال ابن منظور: يقال غفل عنه يغفل غفولا وغفلة وأغفله عنه غيره. وأغفل الشّيء: تركه وسها عنه.

وأغفلت الرّجل: أصبته غافلا، وعلى ذلك فسّر بعضهم قوله ﷺ: ﴿وَلَا نُطْعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] قال: ولو كان على الظّاهر لوجب أن يكون قوله واتّبع هواه، بالفاء دون الواو.  
وسئل أبو العبّاس عن هذه الآية فقال: من جعلناه غافلا. وكلام العرب أكثره أغفلته سمّيته غافلا، وأحلمته سمّيته حلّما.

قال ابن سيده: وقوله تعالى: ﴿وَكَاثُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦] يصلح أن يكون - والله أعلم - كانوا في تركهم الإيمان بالله والنظر فيه والتدبر له بمنزلة الغافلين. قال: ويجوز أن يكون: وكانوا عمّا يراد بهم من الإثابة عليه غافلين، والاسم الغفلة والغفل، والغفلان. وفي الحديث: «من أتبع الصيد غفل» والتغافل: تعمّد الغفلة. والتغفيل: أن يكفيك صاحبك وأنت غافل لا تعنى بشيء. والمغفل: الذي لا فطنة له<sup>(١)</sup>.

#### الغفلة اصطلاحاً:

قال المناوي: الغفلة: فقد الشعور بما حقّه أن يشعر به<sup>(٢)</sup>.  
وقال الراغب: سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ<sup>(٣)</sup>.  
وقيل: متابعة النفس على ما تشتهي.  
وقال الجرجاني: الغفلة عن الشيء هي أن لا يخطر ذلك بباله، وقيل: إبطال الوقت بالبطالة<sup>(٤)</sup>.  
وقال الكفوي: الغفلة عدم إدراك الشيء مع وجود ما يقتضيه<sup>(٥)</sup>.

#### الفرق بين السهو والغفلة والنسيان:

قال الكفوي: السهو: غفلة القلب عن الشيء بحيث يتنبّه بأدنى تنبّه، والنسيان غيبة الشيء عن القلب بحيث يحتاج إلى تحصيل جديد.  
وقيل: النسيان زوال الصورة عن القوّة المدركة مع بقائها في الحافظة، والسهو زوالها عنهما معاً.  
والغفلة تشمل الأمرين، إذ الغفلة عمّا أنت عليه لتفقده سهو، وعمّا أنت عليه لتفقده غيره نسيان<sup>(٦)</sup>.

(١) لسان العرب: (١١ / ٤٩٧ - ٤٩٩)، والنهاية في غريب الحديث: (٣ / ٣٧٥)، ومقاييس اللغة (٤ / ٣٨٦)، الصحاح (٥ / ١٧٧٣).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٥٤٠).

(٣) المفردات (٣٧٥)، وبصائر ذوي التمييز (٤ / ١٤٠ - ١٤١).

(٤) التعريفات للجرجاني (١٦٢).

(٥) الكليات (٥٠٦).

(٦) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

**الغفلة قد نحمد أحياناً:**

قال الشيخ العزّ بن عبد السّلام: الغفلة عن القبائح مانعة من فعلها، إذ لا يتأتّى فعلها إلا بالعزم عليها، ولا عزم عليها مع عدم الشعور بها، وتحصل هذه الغفلة بالأسباب الشّاغلة<sup>(١)</sup>، وقد جعلها من المأمورات الباطنة، أمّا الغفلة عن ذكر الله فهي من المنهيات الباطنة<sup>(٢)</sup>، والأولى محمودة والثانية مذمومة.

[للاستزادة: انظر صفات: الإعراض - الأمن من المكر - التفریط والإفراط - التهاون - طول الأمل اللهو واللعب - اتباع الهوى].

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التذكر - تذكّر الموت - التدبر - التأمل - النظر والتبصر - الوعظ - التفكير - البصيرة - الإرشاد - الذكر].

\*\*\*

**من مضار (الغفلة) عن ذكر الله**

- (١) أنّها تجلب الشّيطان وتسخط الرّحمن. (٤) تورث العداوة والبغضاء وتذهب الحياء والوقار بين النّاس.
- (٢) تنزل الهمّ والغمّ في القلب وتبعد عنه الفرح والسّرور (تميت القلب).
- (٣) مدعاة للوسوسة والشّكوك.
- (٥) تبلّد الذّهن وتسدّ أبواب المعرفة.
- (٦) تبعد العبد عن الله ﷻ وتجّره إلى المعاصي.

**الغل****الغل لغة:**

الغلّ - بالكسر - مصدر غلّ يغلّ بمعنى غشّ وحقد، وهو مأخوذ من مادّة (غ ل ل) التي تدلّ على تخلّل شيء وثبات شيء، يقول ابن فارس: الغين واللام أصل صحيح يدلّ على تخلّل شيء، وثبات شيء كالشّيء يغرز، من ذلك قول العرب: غللت الشّيء في الشّيء، إذا أثبتّه فيه، كأنك غرزته. ومن الباب الغلّ وهو الضّغن، ينغلّ في الصّدر، والغلّ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا

(١) شجرة المعارف والأصول (٩٥).

(٢) المرجع السابق (١١٥).

غَلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴿ [الحشر: ١٠] قال: القرطبي في تفسيره، الغلّ هو الحقد والحسد (١).

والغليل: الحقد والحسد كالغلّ، بالكسر، وأيضا الضغن والغش، والعداوة. قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣]. الغلّ هو الحقد الكامن في الصدر. وقيل: ألا يحسد بعضهم بعضا في تفاضل منازلهم (٢).

وقال ابن منظور: الغلّ بالكسر، والغليل: الغش والعداوة والضغن والحقد والحسد. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ قال الزجاج: حقيقته، والله أعلم، أنه لا يحسد بعض أهل الجنة بعضا في علو المرتبة لأن الحسد غلّ وهو أيضا كدر، والجنة مبرأة من ذلك. ويقال: غلّ صدره يغلّ بالكسر، غلا إذا كان ذا غش أو ضغن، ورجل مغلّ، مضبّ على حقد وغلّ. ويقال: غلّ الرجل وأغلّ: خان (٣).

وقال الراغب: غلّ يغلّ إذا صار ذا غلّ أي ضغن، وأغلّ أي صار ذا إغلال أي خيانة، وغلّ يغلّ إذا خان وأغللت فلانا إذا نسبته إلى الغلول. قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ﴾ [آل عمران: ١٦١] وقريء أن يغلّ أي ينسب إلى الخيانة من أغلته.

قال: ﴿وَمَنْ يُغْلَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وروي «لا إغلال ولا إسلال» أي لا خيانة ولا سرقة. وقوله عليه الصلاة والسلام: «ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب المؤمن» أي لا يضطغن. وروي «لا يغلّ» أي لا يصير ذا خيانة. وأغلّ الجازر والسالخ إذا ترك في الإهاب من اللحم شيئا وهو من الإغلال (٤).

### الغل اصطلاحا:

قال الكفوي: الغلّ: أخذ الخيانة في القلب على الخلق (٥). وقال أيضا: الغلّ: هو بمعنى الخيانة من باب دخل (غلّ يغلّ) وهو الضغن إذا كان من باب ضرب (غلّ يغلّ) قلت: المصدر

(١) تفسير القرطبي (١٨ / ٢٣).

(٢) المرجع السابق (٧ / ١٣٣).

(٣) لسان العرب (١١ / ٤٩٩)، ومقاييس اللغة (٤ / ٣٧٦)، تاج العروس (١٥ / ٥٥٠).

(٤) المفردات للراغب (٣٦٣) مادة (غلّ)، والصحاح (٥ / ١٧٨٤).

(٥) الكليات (٦٧٢)، وانظر تفسير القرطبي (٧ / ١٣٣).

واحد ويختلف المعنى باختلاف الفعل المضارع. أمّا الغلول فهو الخيانة في بيت مال أو زكاة، أو غنيمة وقيدته بعضهم بالغنيمة.

وقال القرطبي: الغلّ: هو الحقد الكامن في الصدر<sup>(١)</sup>.

### حكم الغل:

عدّ العزّ بن عبد السّلام الغلّ من المنهيات الباطنة مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الحسد - السخط النعمة - الحقد - الغضب - الحمق - البغض.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: المحبة - الإخاء - الطهارة - الصبر والمصابرة - الحلم].

\*\*\*

### من مضار (الغل)

(١) دليل دناءة النفس وخبثها.

(٤) معول هدم وخراب في المجتمع.

(٢) يورث مقت الله وسخطه.

(٥) ينبأ عن سوء النية وفساد الطوية.

(٣) ينقص الإيمان وقد يذهب بالإسلام.

### الغلو

#### الغلو لغة:

الغلو: مصدر قولهم: غلا في الأمر يغلو غلواً، أي جاوز فيه الحدّ، يقول ابن فارس الغين واللام والحرف المعتلّ أصل صحيح في الأمر يدلّ على ارتفاع ومجازة قدر. يقال: غلا السّعر يغلو غلاءً، وذلك ارتفاعه، وغلا الرّجل في الأمر غلواً إذا جاوز حدّه، وقيل: مجاوزة الحدّ إذا كانت في السّعر فهي غلاءً، وإذا كانت في القدر والمنزلة فهي غلوّ، وفي السّهم غلو، وأفعالها جميعاً غلا يغلو، قال تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] قال القرطبي: المراد غلو اليهود في

(١) تفسير القرطبي (٧/ ١٣٣).

(٢) شجرة المعارف والأحوال (١١٥).

عيسى حتّى قذفوا مريم، وغلّو النّصارى فيه حتّى جعلوه إلها (١).

وفي الحديث: «إياكم والغلّو في الدّين» أي التّشدّد فيه ومجاوزه الحدّ، ومنه الحديث: «وحامل القرآن غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه»، إنّما قال ذلك لأنّ من آدابه وأخلاقه التي أمر بها القصد في الأمور، وخير الأمور، أو ساطها.

والغلواء بالضمّ وفتح اللّام، ويسكّن: الغلّو، وهو التّجاوز، يقال: خفّف من غلوائك. وغلّا في الدّين غلّوا من باب قعد، تصلّب وشدّد حتّى جاوز الحدّ... وغلّا في أمره مغلاة، بالغ (٢).

وقال ابن منظور: يقال غلا يغلو غلّوا وغلّوا وغلّانبة وغلّانيا. والغلاء: الارتفاع ومجاوزه القدر في كلّ شيء والإفراط فيه. فيقال للشّيء إذا ارتفع قد غلا. قال ذو الرّمّة:

فما زال يغلو حوب ميّة عندنا      ويزداد حتّى لم نجد ما نزيدها  
ويقال: غلا التّب: إذا ارتفع وعظم والتفّ (٣).

#### واصطلاحا:

قال المناوي: الغلّو: مجاوزه الحدّ، والغلّو في الدّين التّصلّب والتّشدّد فيه حتّى مجاوزه الحدّ (٤).

وقال القرطبي: الغلّو في الدّين: الإفراط فيه كما أفرطت اليهود والنّصارى في عيسى، غلّو اليهود في عيسى قولهم: ليس ولد رشدة، وغلّو النّصارى قولهم: إنّّه إله (٥).

#### أنواع الغلّو:

من يتأمّل الآيات والأحاديث الواردة في الغلّو يجد أنّ الغلّو علي ثلاثة أنواع:

الأوّل: الغلّو في الدّين وذلك بالاعتقادات الباطلة كما فعل بعض أهل الكتاب الذين قالوا

(١) تفسير القرطبي (٦ / ١٦).

(٢) الصحاح (٦ / ٢٤٤٨)، المقاييس (٤ / ٣٨٨)، المفردات (٣٦٥)، اللسان (٥ / ٣٢٩٠، ٣٢٩١)، الناج (٢٠، ٢٢)، المصباح (١٧٢).

(٣) لسان العرب (٦ / ٣٢٩٠).

(٤) التوقيف (٢٥٣) بتصرف.

(٥) تفسير القرطبي (٦ / ٧٧).

على الله غير الحقّ كقولهم: إنّ الله ثالث ثلاثة، وكقول اليهود والنصارى في عيسى: إنّ ابن الله أو إنّه إله، وقول اليهود: إنّهم ليس ابن رشة.

وعند المسلمين نجد كثيرا من الفرق الضالّة التي غلت في دينها كالرافضة والمرجئة.  
الثاني: الغلوّ في القرآن الكريم، وذلك بمجاوزة الحدّ في قراءته بالتّطويل والتّطريح والتّشدّق، والخروج والتّأويل المبالغ فيه.

الثالث: الغلوّ في العلم، وذلك الذي يؤدّي إلى تحريف الكلم عن مواضعه، كما فعل أهل الكتاب قديما، وكما يفعل كثير من الجهّال في هذه الأيام.

#### الإيغال في الدين برفق:

قال ابن المنير رحمته الله: رأينا ورأى الناس قبلنا أنّ كلّ متنطّع في الدين ينقطع. وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنّه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدّي إلى الملل، أو المبالغة في التّطوّع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصليّ الليل كلّه ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصّبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار. أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - مبينا أنّ الغلوّ سبب لتشديد الله على العبد وعلى الأمة: نهى النبيّ صلى الله عليه وآله عن التشديد في الدين بالزيادة على المشروع، وأخبر صلى الله عليه وآله أنّ تشديد العبد، على نفسه هو السّبب لتشديد الله عليه إمّا بالقدر وإمّا بالشرع. فبالقدر كفعل أهل الوسواس فإنّهم شدّدوا على أنفسهم فشدد عليهم حتّى استحكّم وصار صفة لازمة لهم.

وأما التشديد بالشرع: كمن شدّد على نفسه بالنذر، فشدد الله عليه فألزمه الوفاء به<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الابتداع - التكلف - التعسير - التنفير - الطغيان - الكفر - التفريط والإفراط - اتباع الهوى.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التوسط - الاتباع - التيسير - الرفق - العبادة - الطاعة].

\*\*\*

(١) الفتح (١ / ١١٧).

(٢) إغاثة اللفهان لابن القيم (١ / ١٣٢) بتصرف يسير.

## من مضار (الغلو)

- (١) مبعّد عن الله، وموجب للنّار.  
 (٤) دليل الجهل، وقلة الفهم.  
 (٢) الانقطاع عن العمل، وعدم المداومة عليه. (٥) يورث الوسواس.  
 (٣) دليل ضعف العقل، ومدخل لتسلّط الشيطان. (٦) ضيق النّفس ودوام الحزن.

## الغلول

## الغلول لغة:

مصدر قولهم: غلّ يغلّ إذا خان في الفياء أو الغنيمّة أو غيرهما، وهو مأخوذ من مادّة (غ ل ل) التي تدلّ على «تخلّل شيء وثباته، كالشيء يغرز، من ذلك قول العرب: غللت الشيء في الشيء إذا أثبتته فيه كأنك غرزته، ومن الباب الغلول في المغنم، وهو أن يخفى الشيء فلا يردّ إلى القسم، كأنّ صاحبه قد غلّه بين ثيابه»<sup>(١)</sup>.

وقال الرّاعب: أصل الغلل تدرّع الشيء وتوسّطه، ومن ذلك الغلل للماء الجاري بين الشجر، والغلول وهو تدرّع الخيانة، والغلّ: العداوة يقال منه: غلّ يغلّ إذا صار ذا غلّ أي ضغن (وعداوة)، وأغلّ أي صار ذا إغلال أي خيانة، وغلّ يغلّ إذا خان، وأغللت فلانا: نسبته<sup>(٢)</sup> إلى الغلول<sup>(٣)</sup>، وقال الفيروزآبادي: يقال: غلّ غلولا وأغلّ إغلالا إذا خان<sup>(٤)</sup>، وقيل: خان في الفياء خاصّة، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] قرأها بعضهم<sup>(٥)</sup>: أن يغلّ (بفتح الياء وضمّ الغين) وقرأها الآخرون «أن يغلّ» (بضمّ الياء وفتح الغين)<sup>(٦)</sup>، والمعنى على القراءة الأولى «يغلّ»: يخون، والمعنى على القراءة الثانية يحتمل أمرين،

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٣٧٦).

(٢) المفردات للراغب ص ٣٦٣ (ت: محمد سيد كيلاني).

(٣) يشير الراغب بذلك إلى أن صيغة أفعال من الغلول لها معنيان: الأول: الصيرورة، والآخر: النسبة إلى الشيء، وإلى أن الصيغة الأولى لازمة (أغلّ أي صار ذا غل)، والآخرى متعدية (أغل فلانا أي نسبه إلى الغلول).

(٤) يشير الفيروزآبادي بذلك إلى أن صيغة فعل وأفعال بمعنى واحد إذا اشتقتا من الغلول.

(٥) قرأها كذلك أبو عمرو وابن كثير وعاصم.

(٦) قرأها كذلك باقي السبعة (حمزة والكسائي ونافع وابن عامر). انظر في ذلك: كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو

الداني (ت: أوتو برتزل) ص ٩١، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٢٤٣).

الأول: يخان يعني أن يؤخذ من غنيمته، والثاني: يخون أي ينسب إلى الغلول<sup>(١)</sup>، وقال ابن منظور في توضيح معنى القراءة الأولى: ما كان لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلَّ قَالَ: أي يخون أمته. وتفسير ذلك أن الغنائم جمعها سيدنا رسول الله ﷺ في غزاة فجاء جماعة من المسلمين فقالوا: ألا تقسم غنائمنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «لو أفاء الله عليّ مثل أحد ذهباً ما منعتكم درهماً، أتروني أغلّكم مغنمكم؟» قال ابن منظور: وكان أبو عمرو (بن العلاء)، ويونس يختاران هذه القراءة، وكان يونس يقول: كيف لا يغلّ؟ بلى ويقتل<sup>(٢)</sup>. وقال ابن بريّ مرجحاً هذه القراءة أيضاً: قلّ أن تجد في كلام العرب: ما كان لفلان أن يضرب، على أن يكون الفعل مبنياً للمفعول، وإنما تجده مبنياً للفاعل، كقولك: ما كان لمؤمن أن يكذب، وما كان لنبيّ أن يخون، وما كان لمحرم أن يلبس، وبهذا (الدليل اللغوي) يعلم صحّة قراءة من قرأ «يغلّ» على إسناد الفعل للفاعل دون المفعول<sup>(٣)</sup>، وقال أبو عليّ الفارسيّ: والحجّة لمن قرأ «يغلّ» أنّ ما جاء من التّنزيل من هذا النحو أسند الفعل فيه إلى الفاعل نحو قوله سبحانه ﴿مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]. ولا يكاد يجيء منه نحو «ما كان زيد ليضرب»، وقد روي أنّ عبد الله بن عباس قيل له: إنّ ابن مسعود يقرأ «يغلّ» فقال: بلى والله ويقتل. وعنه أيضاً: قد كان النبيّ يقتل فكيف لا يخون. وقد احتجّ للقراءة الثانية أيضاً «يغلّ» بأنّ المعنى إمّا: أن ينسب إلى ذلك أي لا يقال له غللت، وذلك كقولهم: أكفرت فلانا أي نسبته إلى الكفر، كما في قول الشاعر:

### فطائفة قد أكفرتني بحببكم

أي نسبتي إلى الكفر، قال أبو عليّ: ويجوز أن يكون المعنى: ليس لأحد أن يغله فيأخذ من الغنيمة التي حازها.. لأنّ المعاصي تعظم بحضرته، فالغلول وإن كان كبيراً فهو بحضرته ﷺ أعظم (إثماً)<sup>(٤)</sup>.

(١) بصائر ذوي التمييز (٤/ ١٤٤ - ١٤٥) بتصرف يسير.

(٢) يعني كلام يونس (وهو من أئمة نحاة البصرة) أنّ سبب ترجيحه لهذه القراءة هو ضعف المعنى في القراءة الأخرى لأنه يجوز للسفهاء أن يخونوا أنبياءهم بل ويقتلوهم كما حدث مع أنبياء بني إسرائيل.

(٣) لسان العرب «غلل» (٣٢٨٦) ط. دار المعارف.

(٤) الحجّة في علل القراءات السبع لأبي عليّ الفارسي، ت: عليّ النجدي ناصف، وعبد الفتاح شلبي (٢/ ٣٩٦)، وقد سبق ليونس تعليل أشبه بهذا، وما ذكره ابن بري راجع أيضاً إلى ما ذكره أبو علي، بيد أن أبا علي احتج بأسلوب القرآن وابن بري بكلام العرب، وكلاهما مصيب إن شاء الله.

وقال الخليل: رجل مغلّ أي مضبّ على غلّ، والمغلّ أيضا: الخائن. والغلول: خيانة الفيء، ومن ذلك ما جاء في الحديث: «لا إسلال ولا إغلال» أي لا خيانة ولا سرقة<sup>(١)</sup>، قال الجوهري: ويقال: لا رشوة<sup>(٢)</sup>، وقال ابن الأثير: الإغلال: الخيانة أو السرقة الخفية، (فأما الإغلال فهو من قولهم أغلّ الرجل إغلا لا إذا خان، قال النمر بن تولب:

جزى الله عنا جهرة ابنة تولب جزاء مغلّ بالخيانة كاذب)<sup>(٣)</sup>

وأما الإسالال فهو من قولهم: سلّ البعير وغيره في جوف الليل إذا انتزعه من بين الإبل، وأما الغلول: فهو الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة، وكلّ من خان في شيء خفية فقد غلّ، وسمّي ذلك غلولا لأنّ الأيدي فيها مغلولة، أي ممنوعة مجعول فيها غلّ (أي قيد) وهو الحديدية التي تجمع يد الأسير إلى عنقه<sup>(٤)</sup>، وقد ذهب ابن حجر إلى أنّ الغلول مأخوذ من معنى الإخفاء فقال: سمّي الغلول غلولا لأنّ صاحبه يغله في متاعه أي يخفيه فيه<sup>(٥)</sup>، وربما ترجّح ذلك بما ذكره القرطبيّ من أنّ الغلول هو أن يأخذ الغالّ من المغنم شيئا يستره عن أصحابه وذكر من ذلك (المعنى) تغلغل الماء في الشجر إذا تخلّلها، والغلل وهو الماء الجاري في أصول الشجر لأنّه مستتر بين الأشجار، والغلالة للشوب الذي يلبس تحت الثياب<sup>(٦)</sup>، ثمّ أطلق لفظ الغلول على الخيانة في كلّ شيء، ومن ذلك الحديث الشريف: ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب مؤمن<sup>(٧)</sup> قال ابن الأثير: الغلول هنا الخيانة: في كلّ شيء، وقال أبو عبيد<sup>(٨)</sup>: يروى الحديث: لا يغلّ (بضمّ الياء وكسر الغين)، ويروى «لا يغلّ» (بفتح الياء وكسر الغين) فمن قال يغلّ بالفتح فإنّه يجعله من الغلّ وهو الصّغن والشحناء، ومن قال يغلّ (بضمّ الياء) جعله من الخيانة من الإغلال، وأما الغلول فإنّه من المغنم خاصّة، يقال منه: غلّ يغلّ غلولا ولا نراه من الأوّل ولا من الثاني، ومما بيّن ذلك أنّه

(١) كتاب العين (٤ / ٣٤٨).

(٢) الصحاح (٥ / ١٧٨٤).

(٣) ما بين القوسين من كلام الجوهري في الصحاح (٥ / ١٧٨٤).

(٤) النهاية (٣ / ٣٨٠).

(٥) فتح الباري (٦ / ١٦٥).

(٦) تفسير القرطبي (٤ / ١٦٥).

(٧) انظر الحديث كاملا في قسم الأحاديث رقم (٢١).

(٨) أبو عبيد هو القاسم بن سلام الهروي، له مؤلفات عديدة منها الغريب المصنف، وغريب الحديث، ويعد غريب الحديث لأبي عبيد أقدم ما وصلنا من كتب الغريب.

يقال من الخيانة أغلَّ يغلُّ، ويقال من الغلِّ: غلَّ يغلُّ، ويقال من الغلول: غلَّ يغلُّ (بضم الغين) فهذه الوجوه مختلفة<sup>(١)</sup>. وقال ابن الأثير وروي الحديث يغل بالتخفيف من الوغول وهو الدخول في الشرِّ. قال: والمعنى أن هذه الخلال الثلاث تستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والدغل والشرِّ<sup>(٢)</sup>.

### الغلول اصطلاحاً:

قال الكفوي: الغلول الخيانة في بيت مال أو زكاة أو غنيمة وقيد أبو عبيدة بالغنيمة فقط<sup>(٣)</sup>. وقال ابن حجر: الغلول (في الغنيمة) هو اختصاص أحد الغزاة، سواء الأمير أو غيره بشيء من مال الغنيمة قبل القسمة من غير أن يحضره إلى أمير الجيوش ليخمسه، وإن قلَّ المأخوذ<sup>(٤)</sup>.

### أنواع الغلول:

#### للغلول أنواع عديدة منها:

- ١- الغلول في الفياء أو الغنائم، وهذا هو المشهور الذي ينصرف إليه اللفظ عند الإطلاق.
- ٢- الغلول في الزكاة، بدليل ما رواه أبو مسعود الأنصاري من قوله ﷺ: «لا ألفينك يوم القيامة تجيء على ظهرك بعير من إبل الصدقة قد غلته..».
- ٣- ومن الغلول أيضا ما ذكره القرطبي من هدايا العمال (الموظفين) قال: وحكمه في الفضيحة في الآخرة حكم الغال<sup>(٥)</sup>.
- ٤- ومن الغلول: حبس الكتب عن أصحابها، ويدخل غيرها في معناها، وسيأتي في الآثار قول الزهري: إياك وغلول الكتب، فقليل له: وما غلول الكتب؟ قال: حبسها عن أصحابها<sup>(٦)</sup>.
- ٥- الاختلاس من الأموال العامة، بدليل ما رواه أبو داود عن المستورد بن شداد من قوله:

(١) غريب الحديث لأبي عبيد، ت: حسين شرف (١/ ٢٥٣)، وقد نقل كلامه ابن الأثير في النهاية (٣/ ٣٨١)، والفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز (٤/ ١٤٥)، وابن منظور في لسان العرب (غلل) (٣٢٨٦).

(٢) النهاية لابن الأثير (٣/ ٣٨١).

(٣) الكليات (٦٧١) ت: عدنان درويش، ومحمد المصري، وقد نقل الكفوي معنى «الغنيمة» خاصة عن أبي عبيدة، والصواب أبو عبيد القاسم بن سلام، انظر غريب الحديث لأبي عبيد (١/ ٢٥٣).

(٤) الزواجر لابن حجر (٢/ ٢٩٣-٢٩٤).

(٥) تفسير القرطبي (٤/ ١٦٨).

(٦) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

سمعت النبي ﷺ يقول: «من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادما، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا»، قال أبو بكر: قال النبي ﷺ: «من اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق».

٦- ومن الغلول أيضا اغتصاب الأرض أو العقار أو ما أشبه ذلك، بل إن ذلك من أعظم الغلول كما جاء في حديث الأشجعي الذي رواه أحمد.

### حكم الغلول:

قال ابن حجر: نقل النووي الإجماع على أن الغلول من الكبائر<sup>(١)</sup>، وقال الذهبي: الغلول من الغنيمة أو من بيت المال، أو من الزكاة من الكبائر، لما جاء في حديث مسلم عن أبي هريرة رضي عنه من قوله ﷺ «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء... الحديث»، قال الذهبي: فمن أخذ شيئا من هذه الأنواع المذكورة في الحديث من الغنيمة قبل أن تقسم بين الغانمين، أو من بيت المال بغير إذن الإمام، أو من الزكاة التي تجمع للفقراء جاء يوم القيامة حاملا له على رقبته، كما ذكر الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]<sup>(٢)</sup>. وقال ابن حجر: من الكبائر<sup>(٣)</sup>: الغلول من الغنيمة والستر عليه، وبعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدالة على ذلك، قال: عدّ الغلول من الكبائر هو ما صرحوا به، وكالغنيمة في ذلك، الغلول من الأموال المشتركة بين المسلمين، ومن بيت المال والزكاة، ولا فرق في غال الزكاة بين أن يكون من مستحقيها أو لا<sup>(٤)</sup>.

### حكم الغال في الدنيا:

قال القرطبي: إذا غلّ الرجل في المغنم ووجد (ما غلّه) أخذ منه وأدّب وعوقب بالتعزير، واختلف الفقهاء في حرق متاعه فذهب مالك والشافعي وأبو حنيفة والليث إلى أن متاعه لا يحرق وقال الأوزاعي: يحرق متاع الغال كله إلا سلاحه وثيابه التي عليه وسرجه ولا يحرق الشيء الذي غلّه<sup>(٥)</sup>، وهذا قول أحمد وإسحاق، وقاله الحسن أيضا<sup>(٦)</sup>، واستدل أصحاب الرأي الأول بأن

(١) فتح الباري (٦/ ٢١٥)، وقد ذكر القرطبي في تفسيره (٤/ ١٦٦) أنه من الكبائر.

(٢) الكبائر للذهبي (١٠٤).

(٣) انظر الكبيرة الأربعمئة، والحادية والأربعمئة، (٢/ ٢٩١)، وقد عدّ السّتر على الغال أيضا من الكبائر.

(٤) الزواجر (٢/ ٢٩٣) ت: أحمد عبد الشافي.

(٥) ولا تحرق دابته ولا مصحفه، انظر القرطبي (٤/ ١٦٧).

(٦) قال بذلك أيضا مكحول وسعيد بن عبد العزيز، انظر القرطبي (٤/ ١٦٧).

الرَّسُولَ ﷺ لم يحرق متاع الرَّجُل الَّذِي أَخَذَ الشَّمْلَةَ، وَلَا أَحْرَقَ مَتَاعَ صَاحِبِ الْخُرَزَاتِ الَّذِي تَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ حَرَقَ مَتَاعَهُ وَاجْبًا لَفَعَلَهُ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَلَوْ فَعَلَهُ لِنَقْلِ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ، وَاحْتِجَّ أَصْحَابُ الرَّأْيِ الثَّانِي بِمَا رَوَى مِنْ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ضَرَبَا الْغَالَ وَأَحْرَقَا مَتَاعَهُ، وَبِمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ صَالِحِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَائِدَةَ يَرْفَعُهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا وَجَدْتُمْ الرَّجُلَ قَدْ غَلَّ فَأَحْرَقُوا مَتَاعَهُ وَاضْرِبُوهُ»<sup>(١)</sup>، وَقَدْ أَجَابَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ الْأَوَّلُ بِأَنَّ مَا رَوَى عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَحْتِجُّ بِهِ لِأَنَّ مِنْ رَوَاتِهِ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ لَا يَحْتِجُّ بِمَا يَرَوِيهِ، وَقَدْ قَالَ عَنْهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ: هُوَ مِنْكَرُ الْحَدِيثِ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَهُوَ عِنْدَنَا (أَيُّ مَا رَوَاهُ صَالِحٌ) حَدِيثٌ لَا يَجِبُ بِهِ انْتِهَاكُ حَرَمَةٍ، وَلَا إِنفَاذُ حَكْمٍ، لِمَا يَعارِضُهُ مِنَ الْآثَارِ (وَالْأَحَادِيثِ) الَّتِي هِيَ أَقْوَى مِنْهُ، وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَالِكٌ (وَأَصْحَابُ الْفَرِيقِ الْأَوَّلِ) أَصَحَّ مِنْ جِهَةِ النَّظَرِ وَصَحِيحِ الْأَثَرِ<sup>(٢)</sup>، هَذَا وَلَا يَصِحُّ أَيضًا مَا رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنْ قَتْلِهِ (أَيُّ الْغَالَ) لِأَنَّ دَمَ الْمُسْلِمِ لَا يَحِلُّ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ لَيْسَ مِنْهَا الْغُلُولُ، وَبِمَا رَوَاهُ جَابِرٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «لَيْسَ عَلَى الْخَائِنِ وَلَا عَلَى الْمُنْتَهَبِ وَلَا عَلَى الْمُخْتَلَسِ قَطْعٌ» وَإِذَا انْتَفَى عَنْهُ الْقَطْعُ فَالْقَتْلُ أَوْلَى (بِأَنَّ يَنْتَفِي) <sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: أكل الحرام- الخيانة- السرقة- الغش- التطفيف- التناجش.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: أكل الطيبات- الأمانة- العفة- النزاهة- القناعة- التقوى].

\*\*\*

### من مضار (الغلول)

- (١) الغلول من الكبائر التي يعاقب عليها في (٤) الغلول عار وشنار على صاحبه يوم القيامة.
- الآخرة أشد عقاب حتى ليجيء الغال (٥) الغلول يفقد الثقة بأصحابه، وقد حذرنا
- يحمل ما غلّه على ظهره يوم القيامة. المصطفى ﷺ من السرية التي تكون
- (٢) الغال عقوبته الفضيحة في الدنيا والآخرة. هذه صفتها.
- (٣) المداراة على الغلول يعاقب عليها بعقوبة (٦) صدقة الغلول مرفوضة لا يقبلها الله ﷻ.
- الغلول نفسه. (٧) الغلول يبعد صاحبه من الجنة.

(١) لفظ الترمذي ٤ (١٤٦١)، «من وجدتموه غلّ في سبيل الله فاحرقوا متاعه».

(٢) بتلخيص وتصرف عن تفسير القرطبي ٤ / ١٦٦ - ١٦٧.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

- (٨) الغلول علامة من علامات التفاق.
- (١٠) الغلول من بيت المال وأموال الزكاة يعطل المصالح العامة ويفقد الفقراء والمساكين جزءا من حقوقهم التي كفلها الشارع الحكيم.
- (٩) الغلول يورث الكراهية ويضيع الحقوق.

## الغي والإغواء

### الإغواء لغة:

مصدر قولهم: أغواه يغويه، وهو مأخوذ من مادة (غ و ي) التي تدلّ على معنيين: الأول يدلّ على خلاف الرشد وإظلام الأمر، والآخر على فساد في شيء، فمن الأوّل: الغيّ وهو خلاف الرشد، والجهل بالأمر، والانهماك في الباطل، قال المرقّش:

فمن يلقي خيرا يحمد الناس أمره ومن يغول لا يعدم على الغيّ لائما  
قال ابن فارس: وذلك عندنا مشتقّ من الغياية وهي الغبرة والظلمة تغشيان، كأنّ ذا الغيّ قد غشيه ما لا يرى معه سبيل حقّ...، ومن الثاني قولهم: غوي الفصيل، إذا أكثر من شرب اللبن ففسد جوفه، والمصدر الغوى، قال لبيد:

معطفة الأثناء ليس فصيلها برازئها درّا، ولا ميّت غوى<sup>(١)</sup>  
وقال الجوهريّ: الغيّ: الضلال والخيبة، يقال: قد غوى (بالفتح) يغوي غيّا وغواية، فهو غاو وغو، وأغواه غيره فهو غويّ، على وزن (فعليل).  
قال دريد بن الصّمّة:

وهل أنا إلا من غزيّة إن غوت غويّت وإن ترشد غزيّة أرشد  
والتّغاوي: التّجمّع والتّعاون على الشرّ من الغواية أو الغيّ، ومن ذلك قول من قال: تغاوا  
على عثمان ~~جذبتنه~~ فقتلوه<sup>(٢)</sup>.

وفي القاموس: يقال: غوى يغوي غيّا، وغوي غواية فهو غاو وغويّ وغيان: أي ضلّ وغواه

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٩٩-٤٠٠).

(٢) الصحاح (٦/ ٢٤٥٠).

غيره وأغواه وغواه بمعنى<sup>(١)</sup>.

واستشهد ابن منظور على معنى (الضلال) بما جاء في الحديث الشريف: «سيكون عليكم أئمة إن أطعتموهم غويتم»، أي إن أطعتموهم فيما يأمر به من الظلم والمعاصي غويتم أي ضللتهم، وعلى معنى الخيبة بما جاء في حديث آدم وموسى عليهما السلام «أغويت الناس» أي خيبتهم، وعلى معنى الفساد بما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١]، المعنى فسد عليه عيشه<sup>(٢)</sup>.

وقيل: «غوى» أي ترك النهي وأكل من الشجرة فعوقب بأن طرد من الجنة<sup>(٣)</sup>.

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة:

فساد عيشه بنزوله إلى الدنيا، وهذا التفسير أولى من تأويل من يقول: معناه ضلّ أخذاً له من الغي الذي هو ضدّ الرشد. وقيل معناه: جهل موضع رشده أي جهل أن تلك الشجرة هي التي نهى عنها، واستحسن القرطبي قول من قال: إن هذا كان من آدم قبل النبوة<sup>(٤)</sup>.

وقال الخليل بن أحمد: مصدر غوى: الغي، والغواية: الانهماك في الغي، والتغوي: التجمع، والمغواة: حفرة الصياد<sup>(٥)</sup>، والإغواء: الإضلال أو جعل الإنسان غاوباً، وعلى هذين فسّر قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آغَوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].

فقد قيل في تفسيره قولان: قال بعضهم فيما أضللتني، وقال بعضهم: فيما دعوتني إلى شيء غويت به أي غويت من أجل آدم عليه السلام<sup>(٦)</sup>.

وأضاف الطبري إلى ذلك قول من قال: فيما آغويتني أي بما أهلكتني من قولهم غوي الفصيل يغوى غوى وذلك إذا فقد اللبن فمات، وكان بعضهم يتأول ذلك أنه بمعنى القسم كأن معناه عنده فباغوائك إياي لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم، وكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي (١٧٠١) ط. بيروت.

(٢) لسان العرب «غوى» (٣٣٢٠) ط. دار المعارف.

(٣) المرجع السابق، والصفحة نفسها، وقد ذكر الراغب في المفردات معان أخرى، انظرها في صفحة (٣٦٩).

(٤) تفسير القرطبي (١١ / ١٧٠) باختصار وتصرف يسير.

(٥) كتاب العين (٤ / ٤٥٦)، وقد نقل ابن منظور أنه يقال في مثل لهم: من حفر مغواة أو شك أن يقع فيها. انظر اللسان «غوى»

(٦) لسان العرب «غوى» (٣٣٢٠) ط. دار المعارف.

(٦) لسان العرب «غوى» (٣٣٢٠) ط. دار المعارف.

المجازاة كأنَّ معناه عنده فلا تُنكَّ أغويتني<sup>(١)</sup>، وقال القرطبي: المعنى فيما أوقعت في قلبي من الغيِّ والعناد والاستكبار، وذلك لأنَّ كفر إبليس ليس كفر جهل، بل كفر عناد واستكبار<sup>(٢)</sup>، وأمَّا قوله ﷺ: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤] فقد قيل: معناه: أن يعاقبكم على غيِّكم، وقيل يحكم عليكم بغيِّكم<sup>(٣)</sup>.

### الغيِّ والإغواء اصطلاحاً:

#### أولاً: الغيِّ:

قال الراغب: الغيِّ جهل من اعتقاد فاسد، وذلك أنَّ الجهل قد يكون في كون الإنسان غير معتقد اعتقاداً لا فاسداً ولا صالحاً، وقد يكون من اعتقاد فاسد، وهذا النحو الثاني يقال له غيِّ، قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ٢]<sup>(٤)</sup>.

وقال المناوي (نقلاً عن الحرالي): الغيِّ: سوء التصرّف في الشّيء وإجراؤه على ما تسوء عاقبته<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن الأثير: الغيِّ: هو الضلال والانهماك في الباطل<sup>(٦)</sup>.

وقد يستعمل بعض علماء المصطلحات لفظ الغواية في معنى الغيِّ، ومن ثمَّ يكون ما ذكره عن الغواية اصطلاحاً صالحاً لتعريف الغيِّ أيضاً، فمن ذلك: ما ذكره أبو البقاء الكفوي من أنَّ الغواية هي ألا يكون (للغاوي) إلى المقصد طريق مستقيم<sup>(٧)</sup>.

ما ذكره التّهانوي من أنَّ الغواية: هي سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب، وقيل هي حالة تحصل للسالك في سلوكه وهي كونه فاقداً لما يوصله إلى المطلوب مخطئاً فيه، فإنَّها بمعنى الضلالة وهي مقابلة للهدى بمعنى الاهتداء<sup>(٨)</sup>.

(١) تفسير القرطبي (٨/ ١٠٠).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ١١٢).

(٣) المفردات (٣٦٩)، والبصائر (٤/ ١٥٦).

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب (٣٦٩) ت. كيلاني.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٥٥)، وقد ذكر أيضاً ما ذكرناه عن الراغب.

(٦) النهاية (٣/ ٣٩٧).

(٧) الكليات للكفوي (٥٧٦).

(٨) كشف اصطلاحات الفنون (٣/ ١١٠١).

**ثانياً: الإغواء اصطلاحاً:**

لم تذكر كتب الاصطلاحات التي وقفنا عليها تعريفاً للإغواء ومن ثمّ يكون باقياً على أصل معناه في اللغة، وقد نصّ على ذلك الإمام الطبري عندما قال: أصل الإغواء في كلام العرب: تزيين الرجل للرجل الشيء حتى يحسنه عنده غاراً له به<sup>(١)</sup>، وقال القرطبي: الإغواء: إيقاع الغي في القلب<sup>(٢)</sup>.

ونستطيع في ضوء ما ذكره اللغويون والمفسرون أن نسوق تعريفاً للإغواء، فنقول: الإغواء: هو أن يزيّن شياطين الإنس أو الجنّ للمرء الشيء الفاسد (عملاً أو اعتقاداً) حتى يحسن عنده فيعتقد فيه اعتقاداً باطلاً بأنه صحيح حسن، ويتصرّف تبعاً لذلك.

**الفرق بين الغي والضلال:**

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى -: الضّالّ: هو الذي يسلك على غير طريق بغير علم، والغاوي: هو العالم بالحقّ العادل عنه قصداً إلى غيره<sup>(٣)</sup>.

**تدرّج الشيطان في الإغواء:**

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - ما خلاصته:

على الإنسان أن ينظر فيمن يأمره بالمعصية ويحضّبه عليها ويزيّنها له، وهو شيطانه الموكّل به، ويفيده هذا النّظر أن يتّخذ عدوّاً، وأن يحترز منه، والانتباه لما يريده عدوّه وهو لا يشعر، لأنّ هذا الشيطان يريد أن يظفر به في عقبة من سبع عقبات بعضها أصعب من بعض، وهو لا ينزل من العقبة الشاقّة إلى ما دونها إلا إذا عجز عن الظفر به فيها، وهذه العقبات هي:

**العقبة الأولى:** عقبة الكفر بالله تعالى وبدينه ولقائه، وبصفات كماله وبما أخبرت به رسله عنه، فإن ظفر به في هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح، وإن نجا الإنسان منها ببصيرة الهداية ونور اليقين طلبه في العقبة التي تليها وهي:

**العقبة الثّانية:** وهي عقبة البدعة، إمّا باعتقاد خلاف الحقّ، وإمّا بالتعمّد بما لم يأذن به الله من الأوضاع والرّسوم المحدثّة في الدّين وهي التي لا يقبل الله منها شيئاً، والبدعة الأولى (اعتقاد الباطل) والثّانية (التعبّد بما لم يأذن به الله) متلازمان، قلّ أن تنفك إحداهما عن الأخرى. فإذا قطع

(١) تفسير الطبري (٨ / ٩٩).

(٢) تفسير القرطبي (٧ / ١١٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٦٤).

الإنسان هذه البدعة بنور السنّة طلبه الشيطان في العقبة التّالية وهي:

**العقبة الثالثة:** وهي عقبة الكبائر، يزيّنّها له ويحسّنها في عينه، ويقول له: الإيمان هو نفس التّصديق فلا تقدر فيه الأعمال<sup>(١)</sup>. وربّما أجرى على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلق، وهي قوله:

«لا يضرّ مع التّوحيد ذنب، كما لا ينفع مع الشّرك حسنة» فإن قطع هذه العقبة بعصمة من الله، أو بتوبة نصوح تنجيه منها طلبه في العقبة التّالية وهي:

**العقبة الرّابعة:** وهي عقبة الصّغائر، يكيّل له منها بالقفران<sup>(٢)</sup> ويقول له: ما عليك إذا اجتنبت الكبائر ما غشيت من اللّمم<sup>(٣)</sup> فهذه تكفّر باجتناّب الكبائر وبالحسنات، ولا يزال يهوّن عليه أمرها حتّى يصرّ عليها، والإصرار على الذّنب أقبح منه إذ لا كبيرة مع التّوبة ولا صغيرة مع الإصرار، فإن نجا من هذه العقبة بالتّحرّز والتّحفّظ ودوام التّوبة والاستغفار وإتباع السيّئة الحسنة، طلبه في العقبة التّالية وهي:

**العقبة الخامسة:** وهي عقبة المباحات التي لا حرج على فاعلها، فشغله بها عن الاستكثار من الطّاعات، ويستدرجه من ذلك إلى ترك السنن ثمّ من ترك السنن إلى ترك الواجبات، فإن نجا من هذه ببصيرة تامّة ونور هاد، ومعرفة بقدر الطّاعات والاستكثار منها طلبه في العقبة التّالية، وهي:

**العقبة السادسة:** وهي عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطّاعات، يأمره بها ويحسّنها في عينه ويغريه بها ليشغله عمّا هو أفضل منها، وأعظم كسبا وربحا، وأصحاب هذه العقبة قليلون والأكثر قد ظفر بهم في العقبات السّابقة، فإن نجا منها بفقّه في الأعمال ومراتبها عند الله، ومنازلها في الفضل، والتّمييز بين عاليها وسافلها، لأنّه من أهل البصائر والصدّق من ذوي العلم السّائرين على جادة التّوفيق، فإن كان من النّاجين من هذه طلبه في العقبة التي تليها وهي:

**العقبة السّابعة:** وهي عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الأذى باليد واللّسان والقلب على حسب مرتبته في الخير، إذ كلّما علت مرتبته أجلب عليه الشيطان بخيله ورجله، وسلّط عليه حزبه بأنواع التّسليط، ولا نجاة من هذه العقبة إلاّ بعبوديّة المراغمة ولا ينتبه لها إلاّ أولو البصائر، ولا

(١) انظر ما ذكرناه عن العلاقة بين الإيمان والتّصديق نقلا عن ابن تيمية في صفة الإيمان.

(٢) القفران جمع قفيز وهو وعاء كبير يكال به.

(٣) اللّمم: يراد به صغائر الذنوب.

شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه، ومن تعبده سبحانه بمراغمة عدوه فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر<sup>(١)</sup>.

### من معاني الغي والإغواء في القرآن الكريم:

١- الإغواء بمعنى إيقاع الغي في القلب، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آغَوَيْتَنِي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]<sup>(٢)</sup>.

٢- الإغواء بمعنى الإهلاك، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥]. قال القرطبي: غيًّا أي هلاكًا<sup>(٣)</sup>.

٣- الإضلال والإبعاد، قاله ابن عباس في تفسير قوله تعالى في [الأعراف: ١٦]: ﴿فِيمَا آغَوَيْتَنِي﴾<sup>(٤)</sup>.

٤- الغي بمعنى الجهل والسفه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]<sup>(٥)</sup>. ومنه أيضا قوله سبحانه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢] أي وما جهل<sup>(٦)</sup>.

٥- الغي بمعنى الفساد ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١] أي فسد عيشه في الجنة<sup>(٧)</sup>.

٦- الغي واد في جهنم، قاله ابن مسعود في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾، قال القرطبي: والأظهر أن الغي اسم للوادي سمِّي به لأن الغاوين يصيرون إليه<sup>(٨)</sup>.

(١) بتصرف واختصار عن مدارج السالكين (١/ ٢٤٤ - ٢٤٩).

(٢) قال القرطبي: المعنى بما أوقعت في قلبي من الغي، انظر تفسير القرطبي (٧/ ١٧٤).

(٣) السابق، الصفحة نفسها، وقال الفيروزآبادي: الغي هنا العذاب، وقيل المعنى: أثر الغي، (وهذه المعاني متقاربة)، انظر بصائر ذوي التمييز (٤/ ١٥٦).

(٤) تفسير القرطبي (٧/ ١٧٤).

(٥) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: المعنى يزيدونهم في الغي، يعني الجهل والسفه، انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩١).

(٦) بصائر ذوي التمييز (٤/ ١٥٦).

(٧) قال القرطبي: هذا المعنى مأخوذ من قولهم: غوى الرجل غيًّا: إذا فسد عليه أمره، أو فسد هو في نفسه. وهذا أحد المعاني التي قيلت في الآية، وقيل أيضا: المعنى: ضل من الغي الذي هو ضد الرشد، وقيل معناه: جهل موضع رشده، وقيل: بشم من كثرة الأكل، والرأي الأول أولى. انظر تفسير القرطبي (١١/ ٢٥٧).

(٨) انظر آراء أخرى في تفسير الغي في هذا الموضوع في تفسير القرطبي (١/ ١٢٥).

٧- الغي هو الشرّ والخسران، نقل ذلك ابن كثير عن ابن عباس وقتادة في تفسير الآية السابقة<sup>(١)</sup>.

إنّه لما كان القرآن الكريم حمّالا ذا وجوه فإنّ الآية الواحدة قد يكون لها أكثر من معنى وتحمل أكثر من وجه، وسنحاول تصنيف الآيات وفقا لأشهر ما قيل فيها.

[للاستزادة: انظر صفات: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف - الفتنة - الضلال - الفجور - اتباع الهوى - التفريط والإفراط - التبرج.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - الإرشاد - الإنذار - التذكير - الدعوة إلى الله - الهدى - الوعظ - غض البصر - حفظ الفرج].

\*\*\*

### من مضار (الغي والإغواء)

- (١) الغي مهلك للإنسان مغضب للرحمن.
- (٢) الغي يجعل صاحبه من أعوان الشيطان وجنوده المخلصين.
- (٣) جهنم - والعياذ بالله تعالى - موعد الغاوين، ولا يجدون عنها محيصا.
- (٤) الغواية والمغوون والشياطين قرناء في الدنيا والآخرة.
- (٥) الذين يغوون الناس ويزيّنون لهم المعاصي يفسدون المجتمع ويشيعون فيه الفوضى والاضطراب.
- (٦) من الإغواء الشيطاني ما يهدم الأسر المستقرّة ويفرق بين الرجل وزوجه.
- (٧) النساء اللاتي يغوين الرجال بالملابس الخليعة ونحو ذلك يفقدن بهاء الإيمان ويبعثن يوم القيامة ولا نور لهنّ.
- (٨) الإغواء يجعل صاحبه من أهل جهنم وساءت مصيرا.
- (٩) الغاوي يضلّ الناس عن دينهم ويحسن لأهل البدع والأهواء أهواءهم، فيحسبون أنّهم يحسنون صنعا، وهم الأخسرون أعمالا.

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٥).

(١٠) الغيِّ والإغواء تضييع للفرد وللأسرة وللمجتمع كـلِّه لما فيه من صرف الهمم عن صالح الأعمال إلى سيئها، ومن البناء إلى الهدم.

(١١) الإغواء أقوى أسلحة المفسدين من شياطين الإنس والجنّ التي يجيدون استخدامها ضدّ الأفراد والجماعات والأمم فينهكون قواها ويدمّرون استقرارها ويعبثون بمقدّراتها.

## الغيبة

### الغيبة لغة:

الغيبة هي الاسم من الاغتيال وهو مأخوذ من مادة (غ ي ب) التي تدلّ على السّتر، يقول ابن فارس: «الغين والياء والباء» أصل صحيح يدلّ على تسّتر الشّيء عن العيون ثمّ يقاس من ذلك الغيب: ما غاب ممّا لا يعلمه إلّا الله. ويقال: غابت الشمس تغيب غيبة وغيوبا وغيبا. وغاب الرّجل عن بلده، وأغابت المرأة فهي مغيبة، إذا غاب بعلمها... والغيبة: الواقعة في النّاس من هذا، لأنّها لا تقال إلّا في غيبة، وتغيّب مثل غاب، ويتعدّى بالتّضعيف فيقال غيبتّه، وهو التّوّاري في المغيب، واغتابه اغتياها إذا ذكره بما يكره من العيوب، والاسم الغيبة، فإن كان باطلا فهو الغيبة في بهت.

وجعل الرّاغب أصل المادة الاستتار عن العين فيقول: «والغيب مصدر غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن العين، يقال: غاب عنيّ كذا، قال تعالى: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠] واستعمل في كلّ غائب عن الحاسّة، وعمّا يغيّب عن علم الإنسان بمعنى الغائب، والغيب في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] ما لا يقع تحت الحواسّ، ولا تقتضيه بداية العقول «وإنّما يعلم بخبر الأنبياء ﷺ وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد<sup>(١)</sup>» والغيب: الشكّ، وجمعه غياب وغيوب، والغيب أيضا ما غاب عن العيون، وإن كان محصّلا في القلوب... وكلّ مكان لا يدري ما فيه، فهو غيب، وكذلك الموضع الذي لا يدري ما وراءه، وجمعه غيوب. والمغاية خلاف المخاطبة، يقال: اغتاب الرّجل صاحبه اغتياها إذا وقع فيه، وهو أن يتكلّم خلف إنسان مستور بسوء، أو بما يغمّه لو سمعه وإن كان فيه، فإن كان صادقا، فهو غيبة، وإن كان كاذبا فهو البهت والبهتان، كذلك جاء عن النّبِيِّ ﷺ، ولا يكون ذلك إلّا من وراءه.

والاسم: الغيبة، وفي التّنزيل العزيز: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]. أي لا يتناول

رجلا بظهر الغيب بما يسوؤه مما هو فيه. وروي عن بعضهم أنه سمع: غابه يغيبه إذا غابه، وذكر منه ما يسوؤه.

قال ابن الأعرابي: غاب إذا اغتاب. وغاب إذا ذكر إنسانا بخير أو شر، والغيبة: فعلة منه، تكون حسنة وقبيحة<sup>(١)</sup>.

#### واصطلاحا:

قال الجرجاني: الغيبة: ذكر مساوىء الإنسان في غيبته وهي فيه<sup>(٢)</sup>.

وقال المناوي: الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه فقد اغتبتة...، قال: ومن أحسن تعاريفها «ذكر العيب بظهر الغيب»<sup>(٣)</sup>.

وقال الكفوي: أن يتكلم خلف إنسان مستور بكلام هو فيه<sup>(٤)</sup>.

وقال التهانوي: الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرت نقصانا في بدنه أو في لبسه، أو في خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في دينه، أو في دنياه، أو في ولده، أو في ثوبه، أو في داره، أو في دابته.

قال: ولا تقتصر الغيبة على القول، بل تجري أيضا في الفعل كالحركة والإشارة والكناية، لما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها أشارت بيدها إلى امرأة أنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم: «اغتبتها» والتّصديق بالغيبة غيبة<sup>(٥)</sup>.

قال ابن حجر: هي ذكر المرء بما يكرهه، سواء كان ذلك في بدن الشخص أو دينه أو دنياه، أو نفسه أو خلقه أو ماله. وقال الراغب: هي أن يذكر الإنسان عيب غيره من غير محوج إلى ذكر ذلك.

وقال ابن الأثير: الغيبة أن تذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه.

وقال ابن التّين: الغيبة ذكر المرء ما يكرهه بظهر الغيب<sup>(٦)</sup>.

(١) الصحاح للجوهري (١/ ١٩٦)، ولسان العرب (١/ ٦٥٦)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٠٣)، والمصباح المنير (١٦٤)، والمفردات (٣٦٧).

(٢) التعريفات (١٦٩).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٥٤).

(٤) الكلبيات (٦٦٩).

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ١٠٩١).

(٦) انظر فتح الباري (١٠/ ٤٨٤).



### أسباب الغيبة وبواعثها:

- قال الغزالي رحمته: للغيبة أسباب وبواعث، وفيما يلي خلاصتها:
- ١- شفاء المغتاب غيظه بذكر مساويء من يغتابه.
  - ٢- مجاملة الأقران والرفاق ومشاركتهم فيما يخوضون فيه من الغيبة.
  - ٣- ظن المغتاب في غيره ظناً سيئاً مدعاة إلى الغيبة.
  - ٤- أن يبرئء المغتاب نفسه من شيء وينسبه إلى غيره أو يذكر غيره بأنه مشارك له.
  - ٥- رفع النفس وتزكيتها بتنقيص الغير.
  - ٦- حسد من يثني عليه الناس ويذكرونه بخير.
  - ٧- الاستهزاء والسخرية وتحقير الآخرين<sup>(١)</sup>.

### الفرق بين الغيبة والبهتان والشتم:

- قال الجرجاني: الغيبة ذكر مساويء الإنسان التي فيه في غيبة. والبهتان ذكر مساويء للإنسان، وهي ليست فيه<sup>(٢)</sup>. والشتم: ذكر المساويء في مواجهة المقول فيه. وإلى هذا ذهب كل من المناوي والكفوي<sup>(٣)</sup>.

### حكم الغيبة:

عد الإمام ابن حجر الغيبة من الكبائر وقال: الذي دلّت عليه الدلائل الكثيرة الصحيحة الظاهرة أنها كبيرة: لكنّها تختلف عظماً وضده بحسب اختلاف مفسدتها. وقد جعلها من أوتي جوامع الكلم عديلة غصب المال، وقتل النفس بقوله صلى الله عليه وسلم «كلّ المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه» والغصب والقتل كبيرتان إجماعاً، فكذا ثلم العرض<sup>(٤)</sup>.

### علاج الغيبة:

إنّ الغيبة مرض خطير، وداء فتاك، ومعول هدام، وسلوك يفرّق بين الأحباب، وبهتان يغطّي

(١) إحياء علوم الدين (١٥٥-١٥٦) بتصرف.

(٢) التعريفات (١٦٩) بتصرف.

(٣) انظر التوقيف (٢٥٤)، والكفوي في الكليات (٦٦٩).

(٤) الزواجر (٣٧١).

على محاسن الآخرين، وبذرة تنبت شرورا بين المجتمع المسلم، وتقلب موازين العدالة والإنصاف إلى الكذب والجور، وعلاج هذا المرض لا يكون إلا بالعلم والعمل، فإذا عرف المغتاب أنه تعرّض لسخط الله يوم القيامة بإحباط عمله وإعطاء حسناته من يغتابه أو يحمل عنه أوزاره، وأنه يتعرّض لهجوم من يغتابه في الدنيا، وقد يسلّطه الله عليه، إذا علم هذا وعمل بمقتضاه من خير فقد وفق للعلاج.

### هل تحل الغيبة في بعض الأحيان؟

قال النووي رحمته: اعلم أنّ الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أسباب:

**الأول:** المتظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

**الثاني:** الاستعانة على تغيير المنكر، وردّ العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراما.

**الثالث:** الاستفتاء، فيقول للمفتي: ظلمني أبي، أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟

وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيل حقي، ودفع الظلم؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص، أو زوج، كان من أمره كذا؟ فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك، فالتعيين جائز.

**الرابع:** تحذير المسلمين من الشرّ ونصيحتهم.

وذلك من وجوه:

**منها:** جرح المجرّوحين من الرواة والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة.

**ومنها:** المشاورة في مصاهرة إنسان، أو مشاركته، أو إيداعه، أو معاملته، أو غير ذلك، أو مجاورته، ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله، بل يذكر المساوىء التي فيه بنية النصيحة.

**ومنها:** إذا رأى متفقها يتردد إلى مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرر المتفق بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا ممّا يغلط فيه. وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد، ويلبس الشيطان عليه ذلك، ويخيّل إليه أنه نصيحة فليفتن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها: إمّا بأن لا يكون صالحاً لها، وإمّا بأن يكون فاسقاً، أو مغفلاً، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن عليه ولاية عامّة ليزيله، ويولّي من يصلح، أو يعلم ذلك منه، ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغرّب به، وأن يسعى في أن يحثّه على الاستقامة أو يستبدل به.

**الخامس:** أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة الناس، وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلماً، وتولّي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر ممّا ذكرناه.

**السادس:** التعريف، فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب؛ كالأعمش والأعرج والأصم، والأعمى؛ والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك؛ ويحرم إطلاقه على جهة النقص؛ ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.

فهذه ستّة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه؛ ودلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الافتراء- الإفك- البهتان- الفضح- النميمة- الأذى- الإساءة- الهجاء- الغي والإغواء.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الثناء- الحمد- الصمت وحفظ اللسان- المحبة- الكلم الطيب- الستر- المداراة- الحياء].

\*\*\*

### من مضار (الغيبة)

- (١) صاحب الغيبة يعدّب في النار بأكل النّتن (٥) الغيبة معول هدام وشرّ مستطير. القذر.
- (٢) ينال عقاب الله في قبره.
- (٣) تذهب أنوار إيمانه وأثار إسلامه.
- (٤) لا يغفر له حتّى يعفو عنه المغتاب.
- (٥) الغيبة معول هدام وشرّ مستطير.
- (٦) تؤذي وتضرّ وتجلب الخصام والنّفور.
- (٧) مرض اجتماعي يقطع أواصر المحبّة بين المسلمين.
- (٨) دليل على خسة المغتاب ودناءة نفسه.

(١) انظر رياض الصالحين (٤٥٠-٤٥١)، والزواجر لابن حجر الهيتمي (٣٨٣-٣٨٤).

## الفتنة

## الفتنة لغة:

مصدر كالفتن والفتون، وكل ذلك مأخوذ من مادة (ف ت ن) التي تدل على «الابتلاء والاختبار» يقال: فنتت الذهب بالنار إذا امتحنته،<sup>(١)</sup> وقال الخليل: الفتن: إحراق الشيء بالنار كالورق الفتين أي المحترق، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣] أي يحرقون، قال: وكان أصحاب النبي ﷺ يفتنون بدينهم، أي يعذبون ليردوا عن دينهم، ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] الفتنة (هنا) العذاب، والفتنة (أيضا) أن يفتن الله قوما أي يتليهم، والفتن: ما يقع بين الناس من الحروب، ويقال في أمر العشق: فتن بها وافتن بها أي عشقها، والفتان: الشيطان، وفتن وأفتن واحد قال الشاعر (أعشى همدان):

لئن فتننتني لهي بالأمس أفتنت سعيديا فأمسى قد قلا كل مسلم<sup>(٢)</sup>

وقال الراغب: أصل الفتن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته واستعمل في إدخال الإنسان النار، والفتنة: العذاب كما في قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذاريات: ١٤]، وتارة يسمون (بها) ما يحصل عنه العذاب نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩]، وتارة يستعملونها في الاختبار نحو: ﴿وَفِتْنَتِكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]، وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالا قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال في الشدة: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَفُؤَلُّ أَثَدْنَ لِي وَلَا نَفْتِيَّ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩] المعنى: لا تبليني ولا تعذبني وهم بقولهم هذا وقعوا في البلية والعذاب، وقد سمي الله ﷻ الأموال والأولاد فتنة في قوله عز من قائل: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] اعتبارا بما ينال الإنسان من الاختبار بهم، وذلك كقوله تعالى: ﴿الْمَرَّةُ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ أي لا يختبرون فيميز خبيثهم من طيبهم<sup>(٣)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٤٧٢).

(٢) كتاب العين (٨/ ١٢٨).

(٣) المفردات للراغب (٣٧٢) تحقيق: سيد كيلاني.

وقال الفيروزآبادي: والفتنة أيضا: إعجابك بالشئ، والجمع فتن، قال الشاعر:

وفيك لنا فتن أربع تسلّ علينا سيوف الخوارج  
لحافظ الظباء وطوق الحمام ومشى القباج وزى التّدارج<sup>(١)</sup>

وقال الجوهري: يقال: افتتن الرجل وفتن فهو مفتون، إذا أصابته فتنة فذهب ماله أو عقله، وكذلك إذا اختبر، والفتون أيضا: الافتتان، يقال: فتنته المرأة، إذا ولّته، وافتنته أيضا، والفتان: المضلّ عن الحقّ، قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: فاتنين (اسم فاعل من فتن) وبنو تميم يقولون: مفتنين (اسم فاعل من أفتن)<sup>(٢)</sup>، وأما قوله تعالى: ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦]، والمفتون معناه الفتنة وهو مصدر كالمعقول والمجلود والمحلوف<sup>(٤)</sup>، وفتنته تفتينا فهو مفتن أي مفتون جدا<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن منظور: قال الأزهري وغيره: جماع معنى الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك فتنن الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد، وقال ابن الأعرابي: الفتنة: الاختبار، والفتنة: المحنة، والفتنة: المال، والفتنة: الأولاد، والفتنة: الكفر، والفتنة: اختلاف الناس بالآراء، والفتنة: الإحراق بالنار، وقيل (أيضا) الفتنة: الظلم، وقولهم: فلان مفتون في طلب الدنيا أي غلا في طلبها، وقيل (أيضا) الفتنة الخبرة وذلك كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ [الصفوات: ٦٣] أي خبرة، ومعناه: أنهم أفتنوا بشجرة الرقوم وكذبوا بكونها، وذلك أنهم لما سمعوا أنها تخرج في أصل الجحيم، قالوا: الشجر يحترق في النار فكيف ينبت الشجر في النار؟ فصارت فتنة لهم، وقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥].. المعنى لا تظهرهم علينا فيعجبوا ويظنوا أنهم خير منا، فالفتنة هنا: إعجاب الكفار بكفرهم<sup>(٦)</sup>، وقال القرطبي المعنى: لا تنصرهم علينا فيكون ذلك فتنة لنا عن الدين، أو لا تمتحننا بأن تعذبنا على أيديهم<sup>(٧)</sup>، وفي حديث قيلة: «المسلم أخو المسلم يسعهما الماء والشجر ويتعاونان

(١) القباج جمع قبجة وهو الحجلة (طائر في حجم الحمام)، والتدارج جمع تدرج وهو طائر حسن الصورة طويل الذنب.

(٢) بصائر ذو التمييز (٤ / ١٦٧، ١٦٨).

(٣) أنكر الأصمعي صيغة أفعال من الفتنة، وقد أثبت ذلك الفراء زاعما أنها لهجة بني تميم، ومن ثم يتأول إنكار الأصمعي على أنه خاص بلهجة الحجاز، وإذا كانت الصيغتان ترجعان إلى لهجتين مختلفتين فإن معناهما يكون واحدا.

(٤) أي أن المعقول مصدر مثل الغفل والمجلود مصدر كالجلد والمحلوف مصدر كالحلف.

(٥) يشير الجوهري بذلك إلى أن التفعيل هنا يفيد الكثرة والمبالغة، انظر الصحاح (٦ / ٢١٧٦).

(٦) لسان العرب «فتن» (٣٣٤٤) ط، دار المعارف.

(٧) تفسير القرطبي (٨ / ٢٣٦).

على الفتان» (بفتح الفاء وضمها)، الفتان (بفتح الفاء)، الشيطان الذي يفتن الناس بخداعه وغروره وتزيينه للمعاصي، فإذا نهى الإنسان أخاه عن ذلك (أي عن الفتنة) فقد أعانه على الشيطان، وقيل: الفتان: اللص الذي يعرض للرفقة في طريقهم فينبغي لهم أن يتعاونوا عليه، وأما رواية الضم (الفتان) فهو جمع فاتن، والمعنى حينئذ، يعاون أحدهما الآخر على الذين يضلون الناس عن الحق ويفتنونهم، وفتان من صيغ المبالغة<sup>(١)</sup>، وقال ابن الأثير: المراد بالفتان شياطين الإنس والجن الذين يظلمون الناس ويفتنونهم ويضلونهم عن الحق، أما التعاون على الشيطان فالمراد به ترك أتباعه والافتتان بخدعه<sup>(٢)</sup>، وقال ابن منظور: والفتنة تأتي بمعنى الإثم، وعلى ذلك قول الله تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُرُ أَلْفًا مِّنْ يَوْمٍ لِّي وَلَا تَقْتَتِي﴾ [التوبة: ٤٩] أي لا تؤثمني بأمرك إياي بالخروج، وذلك غير متيسر لي فأثم، وقال الزجاج: إن المنافقين هزئوا بالمسلمين في غزوة تبوك، فقالوا: يريدون بنات بني الأصفر، فقال (قائلهم)، لا تفتني بنات الأصفر (أي الروميات) فأعلم الله سبحانه أنهم سقطوا في الفتنة أي الإثم، ويقال: فتن الرجل الرجل: أي أزاله عما كان عليه، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] أي يميلونك ويزيلونك، أما قولهم: فتن فلانة فلانا فالمعنى أمالته عن القصد، والفتنة (أيضا) الفضيحة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ [المائدة: ٤١] قيل معناه: فضيحته وقيل: كفره، وقال بعضهم: يجوز أن يكون المراد اختباره بما يظهر به أمره، والفتنة ما يقع بين الناس من القتال، وأما قوله ﷺ «إني أرى الفتن خلال بيوتكم»<sup>(٣)</sup>، فإن المراد القتل والحروب والاختلاف الذي يكون بين فرق المسلمين إذا تحزبوا، ويكون ما يبلون به من زينة الدنيا وشهواتها فيفتنون بذلك عن الآخرة والعمل لها. وإذا أضيف لفظ الفتنة فإن معناه يختلف باختلاف ما يضم إليه، ففتنة الصدر: الوسواس، وفتنة المحيا: العدول عن الطريق، وفتنة الممات: سؤال القبر وفتان القبر منكر ونكير<sup>(٤)</sup>.

وقول الرسول ﷺ «المؤمن خلق مفتنا» المعنى ممتحننا يمتحنه الله بالذنوب، ثم يتوب، ثم يعود، ثم يتوب، وقال ابن الأثير: كثر استعمال الفتنة فيما أخرج الاختبار للمكروه، ثم كثر (هذا الاستعمال) حتى استعمل بمعنى الإثم، والكفر، والقتال والإحراق، والإزالة، والصرف عن

(١) لسان العرب «فتن» (٣٣٤٤) ط. دار المعارف.

(٢) منال الطالب، شرح طوال الغرائب (٩٩).

(٣) انظر الحديث في مسلم ٤ (٢٨٨٥).

(٤) لسان العرب «فتن» (٣٣٤٦).

الشيء، وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يتعوذ من الفتن، فقال: أتسأل ربك أن لا يرزقك أهلاً ولا مالاً؟ تأول قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] ولم يرد فتن القتال والاختلاف<sup>(١)</sup>.

### الفتنة اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الفتنة: هي ما يبين به حال الإنسان من الخير والشر<sup>(٢)</sup>.

وقال المناوي: الفتنة: البلية وهي معاملة تظهر الأمور الباطنة<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن حجر: الفتنة: ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطل<sup>(٤)</sup>.

### الفرق بين الفتنة والابتلاء والاختبار:

قال أبو هلال: الفرق بين الفتنة والاختبار: هو أن الفتنة أشد الاختبار وأبلغه وأصله عرض الذهب على النار لتبين صلاحه من فساده ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ﴾ [الذاريات: ١٣] ويكون في الخير والشر ألا تسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَلْوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا﴾ [الجن: ١٦، ١٧]، فجعل النعمة فتنة لأنه قصد بها المبالغة في اختبار المنعم عليه بها كالذهب إذا أريد المبالغة في تعرف حاله أدخل النار، والله تعالى لا يختبر العبد لتغيير حاله في الخير والشر وإنما المراد بذلك شدة التكليف. أما الفرق بين الاختبار والابتلاء: فهو أن الابتلاء لا يكون إلا بتحميل المكروه والمشاق.

والاختبار يكون بذلك وبفعل المحبوب ألا ترى أنه يقال اختبره بالإنعام عليه ولا تقول ابتلاه بذلك ولا هو مبتلى بالنعمة كما قد يقال إنه مختبر بها ويجوز أن يقال: إن الابتلاء يقتضي استخراج ما عند المبتلى من الطاعة والمعصية، والاختبار يقتضي وقوع الخبر بحاله في ذلك، والخبر العلم الذي يقع بكنه الشيء وحقيقته فالفرق بينهما بين<sup>(٥)</sup>.

(١) النهاية لابن الأثير (٣/ ٤١١).

(٢) التعريفات (١٧١)، وانظر أيضاً المفردات للراغب ص (٣٧١).

(٣) التوقيف على مهمات التعريف (٢٥٧).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٣٤).

(٥) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري (٢١٠، ٢١١).

**الفتنة تكون من الله ومن الإنسان :**

قال الراغب: الفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد كالبليّة والمصيبة والقتل والعذاب، وغير ذلك من الأفعال الكريهة ومتى كان ذلك من الله يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك، ولهذا يذم الله الإنسان بأنواع الفتنة في كل مكان كما في قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنَوُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [البروج: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنِينَ﴾ [الصفات: ١٦٢] أي بمصلين<sup>(١)</sup>.

**لفظ الفتنة في القرآن الكريم:**

قال يحيى بن سلام: تفسير الفتنة في القرآن الكريم على أحد عشر وجها:

**الأول:** الفتنة تعني الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾.

[البقرة: ١٩٣]

**الثاني:** الفتنة تعني الكفر كما في قوله تعالى: ﴿أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: ٧].

**الثالث:** الفتنة بمعنى الابتلاء كما في قوله تعالى: ﴿الْمَآءِ ۝ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا

ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢، ١].

**الرابع:** الفتنة بمعنى العذاب في الدنيا وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُودِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً

النَّاسِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

**الخامس:** الفتنة تعني الحرق بالنار وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنَوُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

[البروج: ١٠]

**السادس:** الفتنة بمعنى القتل كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ﴾ [النساء: ١٠١].

**السابع:** الفتنة بمعنى الصدود كما في قوله تعالى: ﴿وَأَحْذَرْتَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

**الثامن:** الفتنة بمعنى الضلالة كما في قوله تعالى: ﴿فَاتَّكُمُ وَمَاتَعَبُدُونَ﴾ [١٦١] مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنِينَ﴾.

[الصفات: ١٦١، ١٦٢]

التاسع: الفتنة بمعنى المعذرة كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتْنُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

العاشر: الفتنة بمعنى التسليط كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المتحنة: ٥].

الحادي عشر: الفتنة بمعنى المفتون المجنون كما في قوله تعالى: ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦].  
وزاد الفيروزآبادي: (١).

الثاني عشر: بمعنى الإثم كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣].

وزاد الكفوي المعاني الآتية:

الثالث عشر: الفتنة: المرض كما في قوله تعالى: ﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٢٦].

الرابع عشر: الفتنة: القضاء، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ٥٥].

الخامس عشر: الفتنة: العفو كما في قوله تعالى: ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

السادس عشر: الفتنة: النفي عن البلد، وذلك كما يحتمله قول الله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] (٢).

### أنواع الفتن وعلاج كل نوع:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى:

١- الفتنة نوعان: فتنة الشبهات. وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات. وقد يجتمعان للعبد. وقد ينفرد بإحدهما.

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٤ / ١٦٧).

(٢) الكليات للكفوي (٦٩٢).

ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهناك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سيء القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى مع ضعف بصيرته، وقلة علمه بما بعث الله به رسوله، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

٢- هذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم. فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال.

٣- وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع، فهي من عمى في البصيرة وفساد في الإرادة.

٤- لا ينجى من هذه الفتنة إلا تجريد أتباع الرسول، وتحكيمه في دق الدين وجله ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام.

أما النوع الثاني من الفتنة ففتنة الشهوات. وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٩]. أي تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها، والخلاق هو النصيب المقدر ثم قال: ﴿وَحُضِّمْتُمْ كَالَّذِي حَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩] فهذا الخوض بالباطل، وهو الشبهات. فأشار - سبحانه - في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان من الاستمتاع بالخلاق، والخوض بالباطل، لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح. فالأول: هو البدع وما والاها، والثاني: فسق العمل. فالأول: فساد من جهة الشبهات والثاني: من جهة الشهوات ولهذا كان السلف يقولون «احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنة هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه».

وكانوا يقولون «احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون». وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل.

فالأول: أصل فتنة الشبهة، والثاني: أصل فتنة الشهوة ففتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا

مَنْهُمْ أَيْمَةٌ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿السجدة: ٢٤﴾ فدلّ على أنّه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

وبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة والله المستعان<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الضلال- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف- الغي والإغواء- انتهاك الحرمات- الكذب- الافتراء- الإفك- التبرج.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الهدى- الإرشاد- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- الإصلاح- الأمانة- تعظيم الحرمات- الحجاب- الاستقامة].

\*\*\*

### من مضار (الفتنة)

- (١) ضررها أشدّ من ضرر القتل.
- (٢) هي من أكبر أسباب كثرة إراقة الدماء.
- (٣) خسران في الدنيا وفي الآخرة.
- (٤) أنّها تعمي عن الحقّ وعن الصّراط المستقيم.
- (٥) الفتنة والشيطان قرينان، ومن ثمّ فليس لأهل الفتنة سوى النار.
- (٦) تلقي بالشبهات في دين المؤمن.
- (٧) فتنة الرّجل في أهله قد تصرفه عن الدين.
- (٨) من أشدّ ما يقلّب قلب المؤمن.
- (٩) الفتنة بمعنى الاقتتال على الحكم من أهمّ عوامل خراب المجتمعات.
- (١٠) الاقتتال في الفتنة يحقّق غرض أعداء الدّين وينهك المسلمين اقتصادياً واجتماعياً وصحياً.
- (١١) الفتنة تفقد المجتمع عزّته وتجعل المقتتلين يتسوّلون الإحسان من أعداء الدّين.
- (١٢) الفتن من أهمّ عوامل تخلف المجتمعات الإسلاميّة وتجعل مقاديرهم في غير أيديهم.

### الفجور

#### الفجور لغة:

الفجر والفجور: الانبعاث في المعاصي، وهو مأخوذ من مادّة «ف ج ر» التي تدلّ على التفتّح

(١) إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان (٢/ ١٦٠-١٦٢).

في الشيء، يقول ابن فارس: الفاء والجيم والراء أصل واحد، وهو التفتّح في الشيء، من ذلك الفجر: انفجار الظلمة عن الصّبح، ومنه انفجر الماء انفجاراً: تفتّح..

ثمّ كثر هذا حتّى صار الانبعاث والتفتّح في المعاصي فجوراً، ولذلك سمّي الكذب فجوراً. ثمّ كثر هذا حتّى سمّي كلّ مائل عن الحقّ فاجراً، وكلّ مائل عندهم: فاجر<sup>(١)</sup>.

وجعل الرّاعب أصل المادّة الشّق فقال: الفجر شقّ الشيء شقاً واسعاً، يقال: فجرته فانفجر، يقال: فجر فجوراً فهو فاجر، وجمعه فجّار وفجرة، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينِ﴾ [المطففين: ٧] وقال سبحانه ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكُفَرَةُ الْفَجْرَةُ﴾ [عبس: ٤٢]، وسمّي الكاذب فاجراً لكون الكذب بعض الفجور<sup>(٢)</sup>.

ويقول الزبيدي: وأصل الفجر الشّق، ثمّ استعمل كالفجورة في الانبعاث في المعاصي والمحارم والزنى وركوب كلّ أمر قبيح من يمين كاذبة أو كذب ونحو ذلك، يقال: فجر الرّجل بالمرأة يفجر فجوراً، زنى، والمرأة زنت فهي فجور كصبور من قوم فجر ويقال للمرأة يا فجار كقطاع، وهو اسم معدول عن الفاجرة، يريد يا فاجرة. وفجر فجوراً عصي وخالف، وبه فسّر ثعلب قولهم في الدّعاء: «ونخلع ونترك من يفجرك» فقال: من يعصيك ومن يخالفك... ويقال: أفجر الرّجل، إذا كذب، وأفجر إذا زنى، وأفجر إذا كفر، وأفجر إذا عصى بفرجه، وأفجر إذا مال عن الحقّ<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن منظور: الفجور: الرّيبة والكذب. وأصله الميل عن الحقّ.

والفاجر: المائل، وقال الشاعر:

قتلتم فتى لا يفجر الله عامداً ولا يحتويه جاره حين يمحله  
أي لا يفجر أمر الله أي لا يميل عنه ولا يتركه.

وفجر الإنسان يفجر فجراً وفجوراً: انبعث في المعاصي. وفي الحديث: «إنّ التّجار يبعثون يوم القيامة فجّاراً إلّا من اتقى الله». الفجّار: جمع فاجر وهو المنبعث في المعاصي والمحارم.

(١) المقاييس (٤ / ٤٧٥).

(٢) المفردات (٣٧٣).

(٣) التاج (٧ / ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠). والمصباح (١٧٦).

وفجر فجورا أي فسق. وفجر إذا كذب.

وفجر الرجل بالمرأة يفجر فجورا: زنى، وفجرت المرأة: زنت (١).

وقال الخطابي فيما يروى عن أبي ذر قال: «كنا نتحدث أنّ التاجر فاجر»... وعنه: التاجر عندهم الخمار، اسم يخصونه به من بين التجار.

وأصل الفجور: الميل والعدول. وإنما قيل للكذب الفجور، وللكاذب الفاجر لميله عن الصدق وعدوله عنه. ومنه قول مطرف: «المعاذر متاجر» يريد أنّ العذر يشوبه الكذب. ومن هذا قول الأعرابي في عمر... يستحمله. فقال: إنّ أهلي بعيد وإني على ناقة دبراء عجفاء نقباء. وسأله أن يحمله على بعير فظنّ أنّه كذب فلم يحمله، فانطلق الأعرابي فحمل بعيره، ثمّ استقبل البطحاء فجعل يقول وهو يمشي خلف بعيره:

أقسم بالله أبو حفص عمر ما إن بها من نقب ولا دبر

اغفر له اللهم إن كان فاجر

وعمر مقبل من أعلى الوادي يمشي فجعل إذ قال: اغفر له اللهم إن كان فاجر. قال: اللهم صدق.

حتى التقيا. فأخذ عمر بيده فقال: ضع عن راحلتك، فوضع فإذا هي نقبة عجفاء دبرة، فانطلق فحمله على بعير وزوّده وكساه وخلّى عنه، يريد إن كان فاجر أي مال عن الصدق (٢).

#### واصطلاحاً:

قال الجرجاني: هو هيئة حاصلة للنفس، بها يباشر أموراً على خلاف الشرع والمروءة (٣).

وقال الراغب: الفجور: شقّ ستر الديانة (٤).

وقال الجاحظ: الفجور هو الانهماك في الشهوات، والاستكثار منها، والتوفّر على اللذات، والإدمان عليها، وارتكاب الفواحش، والمجاهرة بها، وبالجملة هو السرف في جميع الشهوات (٥).

(١) لسان العرب (٥ / ٤٧٤٦).

(٢) غريب الحديث للخطابي (٢ / ٢٧٧، ٢٧٩)، تحقيق عبد الكريم العزباوي جامعة أم القرى ط سنة ١٤٠٢ هـ.

(٣) التعريفات (١٧١).

(٤) المفردات (٢٧٣)، وقد جمع ابن المناوي بين ما ذكره الجرجاني والراغب في تعريفه للفجور، انظر التوقيف (٢٥٧).

(٥) تهذيب الأخلاق (٢٨).

**حكم الفجور:**

الفجور بكل أنواعه من كفر ومعصية وكذب وزنى وعدول عن الحق من الكبائر، وقد نهينا ليس فقط عن الفجور، وإنما عن معاملة الفجار والجلوس معهم، قال الإمام العزّ: فراق الفجرة من شيم البررة؛ لأنّ جليس السوء كنافخ الكير<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإسراف- الزنا- شرب الخمر- العصيان- الفسوق- المجاهرة بالمعصية- الكذب- اتباع الهوى.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاستقامة- الطاعة- حفظ الفرج- الإيمان- العبادة- الحجاب البر].

\* \* \*

**من مضار (الفجور)**

- (١) طريق موصل إلى النار.  
 (٢) عنوان للدناءة والخسة.  
 (٣) مزيل لكل محبة ومبعد عن كل مودة.  
 (٤) ينبيء عن سوء الخاتمة ووخيم العاقبة.  
 (٥) سبب لهلاك الإنسان في الدين والدنيا.

**الفحش****الفحش لغة:**

الفحش والفحشاء والفاحشة، القبح وفحش الشيء فحشا مثل قبح وزنا ومعنى وفي لغة من باب قتل، وهو فاحش، وكلّ شيء جاوز الحدّ فهو فاحش<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن فارس: الفاء: والحاء والشين كلمة تدلّ على قبح في شيء وشناعة، من ذلك الفحش والفحشاء والفاحشة... وأفحش الرجل.. قال الفحش، وفحش، وهو فحاش، ويقولون الفاحش: البخيل، هذا على الاتّساع، والبخل: أقبح خصال المرء<sup>(٣)</sup>.

(١) شجرة المعارف والأحوال (٢٨٧).

(٢) المصباح المنير (١٧٦).

(٣) المقاييس (٤ / ٤٧٨).

وفحش فلان صار فاحشا. والمتفحش، الذي يأتي بالفحش<sup>(١)</sup>.  
وقال الجوهري: الفحشاء: الفاحشة... وقد فحش الأمر بالضم فحشا، وتفاحش، وأفحش  
عليه في المنطق، أي قال الفحش، فهو فحاش، وتفحش في كلامه<sup>(٢)</sup>.  
والفاحش: البخيل جدا، ورجل فاحش، ذو فحش وخنا من قول أو فعل. وفحاش كشداد:  
كثير الفحش.

وفحش الأمر ككرم فحشا بالضم وتفاحش، وقد يكون الفحش بمعنى عدوان الجواب، أي  
التعدي فيه، وفي القول ومنه الحديث «لا تكوني فاحشة».

والمتفحش الذي يتكلف سب الناس ويتعمده والذي يأتي بالفاحشة المنهي عنها، وتفحش  
في كلامه، وتفحش عليهم بلسانه، إذا بدا، وتفحش بالشيء تفحشا: شنع، والفاحش السيء الخلق:  
وفحشت المرأة: قبحت وكبرت. والفحش كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي وقيل كل ما  
نهى الله عنه، وقيل كل خصلة قبيحة من الأقوال والأفعال، وقيل: كل أمر لا يكون موافقا للحق  
والقدر<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن منظور: الفحش والفحشاء والفاحشة: القبيح من القول والفعل، وجمعهما  
الفواحش، وأفحش عليه في المنطق، أي قال الفحش، والفحشاء اسم الفاحشة، وقد فحش  
وفحش، وأفحش وفحش علينا وأفحش إفحاشا وفحشا، والصحيح أن الإفحاش والفحش  
الاسم. ورجل فاحش: ذو فحش. وفي الحديث: «إن الله يبعث الفاحش المتفحش»، فالفاحش ذو  
الفحش والخنا من قول، أو فعل، والمتفحش الذي يتكلف سب الناس ويتعمده، وقد تكرر  
الفحش والفاحشة والفاحش في الحديث. وهو كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي، قال ابن  
الأثير: وكثيرا ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا، ويسمى الزنا فاحشة. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ  
بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ﴾ [النساء: ١٩].

قيل: الفاحشة المبينة أن تزني فتخرج للحد، وقيل: الفاحشة خروجها من بيتها بغير إذن  
زوجها، وقال الشافعي: أن تبدو على أحماؤها بذراية لسانها فتؤذيهم وتلوك ذلك، وكل خصلة

(١) المفردات (٣٧٣، ٣٧٤).

(٢) الصحاح (٣/ ١٠١٤).

(٣) التاج (٩/ ١٥٧، ١٥٨).

قبيحة، فهي فاحشة من الأقوال والأفعال، وكل شيء جاوز قدره وحدّه فهو فاحش حتى وإن لم تكن هذه المجاوزة فيما هو شرٌّ<sup>(١)</sup>.

#### واصطلاحاً:

ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم<sup>(٢)</sup>.

وقال الحرالي: ما يكرهه الطبع من رذائل الأعمال الظاهرة، كما ينكره العقل ويستخبثه الشرع فيتفق في حكمه: آيات الله الثلاث من الشرع والعقل والطبع<sup>(٣)</sup>.

وقال الراغب: الفحش والفحشاء: ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال<sup>(٤)</sup>.

وقال الكفوي: الفاحش كل شيء تجاوز قدره فهو فاحش، وكل أمر لا يكون موافقاً للحق فهو فاحش<sup>(٥)</sup> وقال أيضاً الفحش: هو عدوان الجواب وعليه قوله لعائشة: «لا تكوني فاحشة»<sup>(٦)</sup>.

وقال: كل فحشاء ذكرت في القرآن فالمراد الزنا إلا في قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨] فإن المراد البخل في أداء الزكاة<sup>(٧)</sup>.

#### حكم الفحش:

ذكر ابن حجر: أن ملازمة الشرّ والفحش من الكبائر مستدللاً بقوله ﷺ: «إن شرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة من ودعه (تركه) الناس اتقاء فحشه، وبما روي عن أحمد بن حنبل من أن الفحش والتفحش ليس من الإسلام في شيء، وأن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً»<sup>(٨)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإساءة- البذاءة الزنا- سوء الخلق- الفجور- العصيان-

العدوان- إطلاق البصر- القذف- الفسوق- انتهاك الحرمات.

(١) لسان العرب (٦/ ٣٢٥-٣٢٦).

(٢) التعريفات للجرجاني (١٧١).

(٣) التوقيف (٢٥٧).

(٤) المفردات (٣٧٣)، وأخذ ابن المناوي عنه هذا التعريف.

(٥) الكليات (٦٧٥).

(٦) المرجع السابق (٦٩٧).

(٧) المرجع السابق (٦٧٤).

(٨) الزواجر (١٥٢، ١٥٣).

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإيمان - حسن الخلق - العفة - حفظ الفرج - النزاهة - الكلم الطيب - التقوى - الاستقامة - غض البصر - تعظيم الحرمات - الطاعة].

\*\*\*

### من مضار (الفحش)

- (١) البعد من الله ومن الناس .  
 (٢) يوجب سخط الله وغضبه .  
 (٣) استحقاق الوعيد في الآخرة .  
 (٤) معول هدم في المجتمع .  
 (٥) دليل على سوء الخاتمة .

### الفساد

#### الفساد لغة:

الفساد: مصدر فسد يفسد فسادا وهو ضد الصّلاح، يقول ابن فارس: «الفاء والسّين والدّال كلمة واحدة، فسد الشّيء يفسد فسادا، وهو فاسد وفسيد<sup>(١)</sup>، قال الليث: الفساد: نقيض الصّلاح، والفعل فسد يفسد فسادا، قلت ولغة أخرى: فسد فسودا، واستفسد السّلطان قائده إذا أساء إليه حتّى استعصى عليه<sup>(٢)</sup>»، وقيل الفساد (في الأرض) مأخوذ من فسد اللحم. يقول ابن جرير الطبريّ في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] اختلف أهل التّأويل في معنى الإفساد الذي أضافه الله ﷻ إلي هذا المنافق: فقال: تأويله ما قلنا فيه من قطعه الطّريق، وإخافته السّبيل كما حدث من الأخنس بن شريق. وقال بعضهم: بل معنى ذلك قطع الرّحم وسفك دماء المسلمين... وقد يدخل في الإفساد جميع المعاصي، وذلك أنّ العمل بالمعاصي إفساد في الأرض، فلم يخصّص الله وصفه ببعض معاني الإفساد دون بعض<sup>(٣)</sup>.

وقال القرطبيّ في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ قال العبّاس بن الفضيل: الفساد هو

(١) المقاييس (٤ / ٥٠٣).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (١٢ / ٣٦٩ - ٣٧٠). ولسان العرب «فسد».

(٣) جامع البيان للطبري (٢ / ٣٣٠ - ٣٣١).

الخراب. وقال سعيد بن المسيّب: قطع الدّراهم من الفساد في الأرض. قلت: والآية بعمومها تضمّ كلّ فساد في أرض أو مال أو دين، وهو الصّحيح إن شاء الله تعالى. قيل: معنى لا يحبّ الفساد: أي لا يحبّه من أهل الصّلاح، أو لا يحبّه ديناً، ويحتمل أن يكون المعنى لا يأمر به، والله أعلم<sup>(١)</sup>، والفساد في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣] فمعناه أخذ المال ظلماً بغير حقّ. أمّا قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١] الفساد هنا الجذب في البرّ، والقحط في البحر<sup>(٢)</sup>.

قال ابن منظور: وفسد يفسد ويفسد وفسد فسادا وفسودا فهو فاسد وفسيد فيهما. ولا يقال انفسد. وأفسدته أنا. وقوله تعالى: ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: ٣٣] نصب فساداً لأنّه مفعول له، أراد يسعون في الأرض للفساد. وتفاسد القوم: تدابروا وقطعوا الأرحام. والمفسدة: خلاف المصلحة.

والاستفساد: خلاف الاستصلاح. وقالوا: هذا الأمر مفسدة لكذا: أي فيه فساد. قال الشّاعر:  
 إنّ الشّبَابَ والفِـرَاقَ والجِـدَّةَ مفسدة للعقل أي مفسده<sup>(٣)</sup>

#### الفساد اصطلاحاً:

قال الرّاعب: الفساد خروج الشّيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عليه أو كثيراً، ويستعمل في النّفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة<sup>(٤)</sup>.

وقال المناويّ: الفساد: هو انتقاض صورة الشّيء<sup>(٥)</sup>، وفساد (البيوع) عند الفقهاء ما كان مشروعاً بأصله غير مشروع بوصفه، وهو يرادف البطلان عند الشّافعيّة، وضده الصّحّة، ويشكّل قسماً قائماً برأسه عند الأحناف: فالشّيء عندهم إمّا صحيح، وإمّا باطل، وإمّا فاسد<sup>(٦)</sup>.

(١) القرطبي (٢/ ١٤).

(٢) تاج العروس (٥/ ١٦٤ - ١٦٥).

(٣) لسان العرب مادة «فسد» وبصائر ذوي التمييز (٤/ ١٩٢).

(٤) المفردات (٣٩٧).

(٥) التوقيف (٢٦٠).

(٦) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها، وقد نقل المناوي والجرجاني تعريف «الفساد» عند الحكماء (الفلاسفة)، وهو خارج عن المعنى المراد هنا. انظر التعريفات للجرجاني (١٧٣).

وقال ابن الجوزي: والفساد: تغيّر الشيء عمّا كان عليه من الصّلاح، وقد يقال في الشيء مع قيام ذاته، ويقال فيه مع انتقاضها، ويقال فيه إذا بطل وزال. ويذكر الفساد في الدّين كما يذكر في الدّات.

فتارة يكون بالعصيان، وتارة بالكفر، ويقال في الأقوال إنّها فاسدة إذا كانت غير منتظمة، وفي الأفعال إذا لم يعتدّ بها<sup>(١)</sup>.

### الفساد في الأرض:

من الفساد في الأرض ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٢٠٥] ويكون هذا الفساد بقطع الطّريق وإخافتها، وقيل بقطع الرّحم وسفك دماء المسلمين، وقد يدخل في هذا ارتكاب جميع المعاصي<sup>(٢)</sup>.

### الإفساد اصطلاحاً:

قال الكفوي: الإفساد هو جعل الشيء فاسداً خارجاً عمّا ينبغي أن يكون عليه وعن كونه منتفعاً به، وهو في الحقيقة: إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح<sup>(٣)</sup>.

### حكم الفساد (أو الإفساد في الأرض):

يقول ابن حجر بعد أن ذكر الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: ٣٣]: كما ذكر الله تعالى تغليظ الإثم في قتل النّفس بغير حقّ، والإفساد في الأرض أتبعه بيان نوع من أنواع الفساد في الأرض وذكر أنّ عدّ هذا الفساد كبيرة هو ما صرّح به جمع، وصرّح بعضهم أنّه بمجرد قطع الطّريق وإخافة السّبيل ترتكب الكبيرة، فكيف إذا أخذ المال، أو جرح، أو قتل، أو فعل كبائر<sup>(٤)</sup>.

### الفرق بين الفساد والظلم:

قال الكفوي: الفساد أعمّ من الظلم؛ لأنّ الظلم النّقص، فإنّ من سرق مال الغير مثلاً فقد

(١) نزهة الأعين النواظر (٤٧٠).

(٢) انظر تفسير القرطبي (٢/ ٣٣٠)، وراجع المقدمة اللغوية.

(٣) الكليات للكفوي (١٥٤).

(٤) الزواجر (٥٦٥، ٥٦٨)، وانظر أيضاً الكبائر للذهبي (١٠٠).

نقص حق الغير، أما الفساد فيقع على ذلك وعلى غيره كالاتباع واللهو واللعب<sup>(١)</sup>.

### الفرق بين الفاسد والباطل:

وقال رحمته: الفاسد ما أمكن الانتفاع به رغما عن رداءته، من قولهم فسد اللحم إذا أنتن، والباطل ما لا يمكن أن يتنفع به، من قولهم بطل اللحم إذا دوّد وسوّس بحيث لا يمكن الانتفاع به<sup>(٢)</sup>.

### من معاني كلمة «الفساد» في القرآن الكريم:

أحدها: المعصية. ومنه قوله تعالى في [البقرة: ١١]: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾.

والثاني: الهلاك، ومنه قوله تعالى في [الأنبياء: ٢٢]: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

الثالث: الخراب، ومنه قوله تعالى في [النمل: ٣٤]: ﴿إِذَا دَخَلُوا فَزِيحَةً آفَسَدُوهَا﴾.

الرابع: المنكر، ومنه قوله تعالى في [هود: ١١٦]: ﴿أُولَئِكَ بَقِيَّةُ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾.

الخامس: السحر، ومنه قوله تعالى في [يونس: ٨١]: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

قال ابن القيم رحمته في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]:

قال أكثر المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي، والدعاء إلى غير طاعة الله، بعد إصلاح الله لها ببعث الرسل، وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله، فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به ومخالفة أمره، فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره، ومطاع متبع غير رسول الله ﷺ، هو أعظم فساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود المطاع، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ. فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة. ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسلط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله، والدعوة إلى غير الله ورسوله<sup>(٣)</sup>.

(١) الكلبيات (٦٩٢).

(٢) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) فتح المجيد (٣٩٥).

[للاستزادة: انظر صفات: الابتداء- السحر السرقة- الظلم- العصيان- القتل- الطغيان- العتو- الغدر- نقض العهد- الفتنة- البغي.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الصلاح- الاستقامة- التقوى- الطاعة- تعظيم الحرمات- تكريم الإنسان].

\*\*\*

### من مضار (الفساد)

- (١) أعظم درجات الفساد الشُّرك بالله تعالى.
- (٢) المنافقون واليهود والنصارى والمجوس والمشركون ومن شايعهم ومائلهم من ملل الكفر كلهم فاسدون في معتقداتهم، ومفسدون في مجتمعاتهم.
- (٣) الفساد في الأرض كقتل النفس، أو أشدّ ولذا جعل الله جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض. وقد يجمع الحاكم بينها إذا عظم الفساد. وإن عظم الجزاء مع عظم الذنب.
- (٤) إذا كثرت مظاهر الفساد في مجتمع من المجتمعات فقد دنا ما ينتظرهم من سخط الله وأليم عقابه.
- (٥) المفسد معول هدم في المجتمع.
- (٦) تطبيق القوانين الوضعيّة من أعظم الفساد في الأرض.

### الفسوق

#### الفسوق لغة:

الفسق والفسوق: الخروج عن طريق الحقّ يقول ابن فارس: «الفاء والسّين والقاف كلمة واحدة، وهي الفسق، وهو الخروج عن الطّاعة<sup>(١)</sup>، وفسق فلان: خرج عن حجر الشّرع، وذلك من قولهم: فسق الرّطب، إذا خرج عن قشره، وهو أعمّ من الكفر. والفسق يقع بالقليل من الذّنوب، وبالكثير، لكن تعورف فيما كان كثيراً، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشّرع، وأقرّ به ثمّ

(١) المقاييس (٤/ ٥٠٢).

أخْلَ بِجَمِيعِ أَحْكَامِهِ، أَوْ بِبَعْضِهِ، وَإِذَا قِيلَ لِلْكَافِرِ الْأَصْلِيِّ فَاسِقٌ فَلَأَنَّهُ أَخْلَ بِحَكْمِ مَا أَلْزَمَهُ الْعَقْلُ، وَاقْتَضَتْهُ الْفِطْرَةُ (١).

يقال: فسق عن أمر ربّه، أي خرج، والفسّيق: الدائم الفسق، ويقال في النداء: يا فسق، ويا خبث، يريد: يا أيها الفاسق، ويا أيها الخبيث. وتقول للمرأة: يا فساق مثل قطام (٢).

يقول الزبيدي: «فسق كنصر، وضرب، وكرم فسقا وفسوقا، أي فجر فجورا، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفَسَقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١] أي خروج عن الحق، قال أبو الهيثم: ويكون الفسوق شركا، ويكون إثما، وقال القرطبي في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِنَّهُ لَفَسَقٌ﴾ أي لمعصية، والفسق: الخروج (٣).

وفسق، جار ومال عن طاعة الله ﷻ والتفسيق ضدّ التعديل، يقال: فسّقه الحاكم أي حكم بفسقه... وفسق في الدنيا فسقا: إذا اتسع فيها وهون على نفسه، واتسع بركوبه لها، ولم يضيّقها عليه (٤).

وقال ابن منظور: الفسق: العصيان والتّرك لأمر الله ﷻ، والخروج عن طريق الحق، يقال: فسق يفسق ويفسق فسقا وفسوقا وفسق: أي فجر.

وقيل: الفسوق، الخروج عن الدين، وكذلك الميل إلى المعصية كما فسق إبليس عن أمر ربّه. أي جار ومال عن طاعته، قال الشاعر: فواسقا عن أمره جوائرا.

والعرب تقول إذا خرجت الرّطبة من قشرها: قد فسقت الرّطبة من قشرها، وكأنّ الفأرة إنّما سمّيت فويسقة لخروجها من جحرها على الناس.

وفسق فلان ماله إذا أهلكه وأنفقه. ورجل فاسق وفسّيق وفسق: دائم الفسق. وفسّقه: نسبه إلى الفسق. والفواسق من النساء: الفواجر (٥).

### الفسوق اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الفاسق: من شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق (٦)، ومن ثمّ يكون الفسوق:

- (١) المفردات (٣٨٠).
- (٢) الصحاح (٤ / ١٥٤٣).
- (٣) تفسير القرطبي (٧ / ٥١).
- (٤) التاج (٤٠٢، ٤٠٣).
- (٥) لسان العرب (١٠ / ٣٠٨).
- (٦) التعريفات (٤١، ١٧٠).

هو عدم العمل بأحكام الشريعة مع الإقرار بالشهادتين والاعتقاد بالوحدانية (أي الإيمان القلبي).  
وقال المناوي: الخروج عن الطاعة بارتكاب الذنب، وإن قل، ولكن تعورف فيما إذا كان كبيرة.

وأكثر ما يقال عن الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأخل بأحكامه.  
والفاسق أعم من الكافر، والظالم أعم من الفاسق<sup>(١)</sup>.

وقال الكفوي: الفسق: التّرك لأمر الله تعالى والعصيان والخروج عن طريق الحق، والفجور<sup>(٢)</sup>.

### أنواع الفسوق:

الفسوق في كتاب الله نوعان. مفرد مطلق، ومقرون بالعصيان.

والمفرد نوعان أيضا: فسوق كفر يخرج عن الإسلام، وفسوق لا يخرج عن الإسلام،  
فالمقرون، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ إِلَّا يَمُنْ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ  
وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

والمفرد - الذي هو فسوق كفر - كقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا  
يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (٣٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ ﴿البقرة: ٢٦، ٢٧﴾ الآية. وقوله ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا  
إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة: ٩٩]، وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَاؤُنْهُمْ النَّارُ  
كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] الآية. فهذا كله فسوق كفر.

وأما الفسوق الذي لا يخرج عن الإسلام فكقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ﴾  
[البقرة: ٢٨٢] الآية وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْ فَاسِقٌ بُنْيَا﴾ [الحجرات: ٦] الآية. وههنا فائدة  
لطيفة. وهي أنه سبحانه لم يأمر بردّ خبر الفاسق وتكذيبه وردّ شهادته جملة، وإنما أمر بالتبيين، فإن  
قامت قرائن وأدلة من خارج تدلّ على صدقه عمل بدليل الصدق. ولو أخبر به من أخبر، فهكذا ينبغي  
الاعتماد في رواية الفاسق وشهادته، وكثير من الفاسقين يصدقون في أخبارهم ورواياتهم وشهاداتهم، بل  
كثير منهم يتحرّى الصدق غاية التّحرّي، وفسقه من جهات أخرى. فمثل هذا لا يردّ خبره ولا شهادته، ولو

(١) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٥٥٧).

(٢) المرجع السابق (٢).

ردت شهادة مثل هذا وروايته لتعطلت أكثر الحقوق، وبطل كثير من الأخبار الصحيحة، ولا سيما من فسقه من جهة الاعتقاد والرأي، وهو متحرر للصدق فهذا لا يرد خبره ولا شهادته.

وأما من فسقه من جهة الكذب، فإن كثر منه وتكرر بحيث يغلب كذبه على صدقه، فهذا لا يقبل خبره ولا شهادته، وإن ندر منه مرة أو مرتين، ففي رد شهادته وخبره بذلك قولان للعلماء، وهما روايتان عن الإمام أحمد رحمته الله.

والفسوق الذي تجب التوبة منه أعم من الفسوق الذي ترد به الرواية والشهادة.

وكلامنا الآن فيما تجب التوبة منه وهو قسمان:

فسق من جهة العمل، وفسق من جهة الاعتقاد.

فسق العمل نوعان: مقرون بالعصيان، ومفرد.

فالمقرون بالعصيان: هو ارتكاب ما نهى الله عنه، والعصيان: هو عصيان أمره. كما قال الله

تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ [التحریم: ٦]، وقال موسى لأخيه هارون عليه السلام: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ

ضَلُّوا ۗ أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٢، ٩٣]، وقال الشاعر:

أمرتك أمرا جازما فعصيتني فأصبحت مسلوب الإمارة نادما

فالفسق أخص بارتكاب النهي، ولهذا يطلق عليه كثيرا. كقوله تعالى: ﴿وإن تفعّلوا فإِنَّهُ

فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ [الحجرات: ٦]، والمعصية أخص بمخالفة الأمر كما تقدّم.

ويطلق كل منهما على صاحبه كقوله تعالى: ﴿إِلَّا إِلَيْسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾

[الكهف: ٥٠]، فسّمى مخالفته للأمر فسقا، وقال: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١]، فسّمى ارتكابه

للنهي معصية، فهذا عند الأفراد، فإذا اقترنا كان أحدهما لمخالفة الأمر والآخر لمخالفة النهي.

والتقوى اتقاء مجموع الأمرين، وبتحقيقها تصحّ التوبة من الفسوق والعصيان بأن يعمل

العبد بطاعة الله على نور من الله، ويرجو ثواب الله، ويترك معصية الله، على نور من الله، يخاف

عقاب الله.

وفسق الاعتقاد: كفسق أهل البدع الذين يؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر ويحرمون ما

حرم الله، ويوجبون ما أوجب الله، ولكن ينفون كثيرا ممّا أثبت الله ورسوله، جهلا وتأويلا، وتقليدا

للشيوخ، ويشبتون ما لم يشته الله ورسوله كذلك.

وهؤلاء كالخوارج المارقة، وكثير من الروافض، والقدرية، والمعتزلة، وكثير من الجهمية الذين ليسوا غلاة في التجهّم.

وأما غالبية الجهمية فكغلاة الرافضة، ليس للطائفتين في الإسلام نصيب<sup>(١)</sup>.

### الفسوق في القرآن الكريم:

ورد لفظ الفسوق في القرآن الكريم على وجوه:

١- بمعنى الكفر: ومنه قوله تعالى في [السجدة: ١٨-٢٠]: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ وفيها ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا لَهُمْ نَارٌ﴾.

٢- بمعنى المعصية من غير شرك: ومنه قوله تعالى في [المائدة: ٢٥]: ﴿فَأَفْرَقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْفَٰسِقِينَ﴾.

٣- بمعنى الكذب: ومنه قوله تعالى في [الحجرات: ٦]: ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنْهُ﴾.

٤- السب: ومنه قوله في [البقرة: ١٩٧]: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾<sup>(٢)</sup>. وقد ذكر الكفوي هذا الوجه إلا أنه قال «وبمعنى السيئات» مستدلاً<sup>(٣)</sup> بنفس الآية.

٥- بمعنى الإثم: نحو قوله تعالى في [البقرة: ٢٨٢]: ﴿وَإِنْ تَعَلَّوْا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

٦- بمعنى مخالفة أمر الرسول ﷺ، ومنه قوله تعالى في [التوبة: ٦٧]: ﴿إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الضلال- العصيان الكفر- النفاق- الفساد- اتباع الهوى- إطلاق البصر- الزنا- البغي- الإسراف- انتهاك الحرمات- ترك الصلاة- الغفلة- العصيان- الكبر والعجب.

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٨٩-٣٩٣).

(٢) نزهة الأعين النواظر (٤٦٥).

(٣) الكليات للكفوي (٦٩٣).

(٤) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) نزهة الأعين النواظر (٤٦٥).

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاستقامة- الإيمان- الطاعة- العبادة- تعظيم الحرمات- التقوى- الصلاة- الخوف- تكريم الإنسان- مجاهدة النفس- حسن الخلق- التواضع].

\*\*\*

### من مضار (الفسوق)

- (١) يجلب غضب الله ورسوله والمؤمنين. (٤) يلحق بالنفاق. والمنافقون في النار.  
 (٢) قد يخرج عن الملة. (٥) يجلب الدمار للمجتمع.  
 (٣) الفاسق إنسان ضارّ في المجتمع.

### الفضح

#### الفضح لغة:

الفضح مصدر فضحه يفضحه فضحا إذا كشفه ولم يستره. يقول ابن فارس: الفاء والضاد والحاء كلمتان متقاربتان: تدلّ إحداهما على انكشاف شيء ولا يكاد يقال إلا في قبيح، والأخرى على لون غير حسن أيضا. فالأول قولهم أفضح الصبح وفضّح إذا بدا، ثم يقولون في التّهتك: الفضوح<sup>(١)</sup>. والفضيحة: العيب والجمع فضائح، وفضحته فضحا من باب نفع: كشفته، وفي الدعاء: «لا تفضحننا بين خلقك» أي استر عيوبنا ولا تكشفها<sup>(٢)</sup>.

قال ابن منظور: ويقال للمفتضح: يا فضوح، قال الرّاجز:

قوم إذا ما رهبوا الفضائحا على النساء لبسوا الصّفائحا  
 ويقال: افتضح الرّجل يفتضح افتضاحا إذا ركب أمرا سيئا فاشتهر<sup>(٣)</sup> به. وفضح الشيء يفضحه فضحا فافتضح إذا انكشفت مساويه، والاسم الفضاحة والفضوحة والفضيحة، ورجل فضّاح وفضوح: يفضح الناس. وسئل بعض الفقهاء عن فضيح البسر فقال: ليس بالفضيح ولكنّه الفضوح. أراد أنّه يسكر فيفضح شاربه إذا سكر منه.

(١) المقاييس (٤/ ٥٠٩).

(٢) المصباح المنير (٤٧٥).

(٣) وفي (اشتهر) لغة أخرى بضم التاء وكسر الهاء.

والفضيحة: اسم من هذا لكل أمر سيء يشهر صاحبه بما يسوء<sup>(١)</sup>.

### الفضح اصطلاحاً:

قال المناوي: الفضيحة: انكشاف مساوىء الإنسان<sup>(٢)</sup> ومن ثم يكون الفضح: أن يكشف المرء عن مساوىء أخيه (ليعرف بها)، وهذا المعنى قريب من التشهير وكشف العورات.

### الموت أهون من الافتضاح:

عقد الشيخ العزّ بن عبد السلام فصلاً في بعض كتبه وجعل ترجمته: تمنّي الهلاك دون الافتضاح، وذكر قول الله تعالى حكاية عن مريم عليها وعلى ابنها وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿قَالَتْ يَلْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]<sup>(٣)</sup>، ويؤخذ من هذا عظم أمر الفضح عند ذوي النفوس الأبية.

### حكم فضح المسلم:

عدّ ابن حجر، هتك المسلم أو تتبّع عوراته حتّى يفضحه ويذلّه بها الناس من الكبائر مستدلّاً بقول المصطفى ﷺ: «من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتّى يفضحه بها في بيته» وعلّل لذلك بقوله: لأنّ كشف العورة، والافتضاح، فيه من الوعيد ما لا يخفى<sup>(٤)</sup>.

للاستزادة: انظر صفات: الأذى - إفشاء السر الإفك - البغض - الغيبة - النميمة - سوء الخلق الإساءة - اتباع الهوى.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: تكريم الإنسان الستر - كتمان السر - الكلم الطيب - حسن العشرة - حسن الخلق - الإحسان - العفو.

\*\*\*

(١) لسان العرب (٢/ ٥٤٥).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٦٢).

(٣) شجرة المعارف والأحوال (٣٩٠).

(٤) الزواجر (٥٣٧).

## من مضار (الفضح)

- (١) فضح الأسرار والأعراض اعتداءً، (٤) إذا وجد المجتمع قد نبذه ازداد حقداً على الناس وانعكس ذلك قلقاً واضطراباً في والاعتداء محظور شرعاً.
- (٢) من فضح سرّ أخيه أو عورته فضحه الله في نفسه.
- (٥) إذا كثرت الفضائح في مجتمع ما فليتودّع الدنيا والآخرة على رؤوس الأشهاد.
- (٣) الفاضح ممقوت، يتجنّب الناس مجالسته منه؛ إذ إنّه أصبح مجتمعاً منحلاً لا قيمة ومخالطته.

## القتل

## القتل لغة:

إزهاق الروح. وهو مأخوذ من مادّة (ق ت ل) التي تدلّ على إذلال وإماتة، يقال: قتلته قتلاً، والقتلة: الحال يقتل عليها يقال: قتله قتلة سوء، والقتلة: المرّة الواحدة<sup>(١)</sup>.

يقول الجوهري: القتل: معروف، وقلته قتلاً، وتقتالاً، ومقاتل الإنسان الموضع التي إذا أصيبت قتلته: يقال: مقتل الرجل بين فكّيه<sup>(٢)</sup>، وقلته قتلاً، أزهدت روحه، فهو قتيل، والمرأة قتيل أيضاً إذا كان وصفاً فإذا حذف الموصوف جعل اسماً، ودخلت الهاء نحو رأيت قتيلة بني فلان والجمع فيها قتلى<sup>(٣)</sup> والقتل بالكسر - العدو المقاتل... والقتل بالضّم وبضمّتين: جمع قتول كصبور لكثير القتلى، من أبنية المبالغة.

وأقلته عرّضه للقتل، وأصبره عليه... واستقتل.

استسلم للقتل مثل استمات... ورجل قتيل، وامرأة قتيل، مقتول ومقتولة. وامرأة قتول، أي قاتلة...

وتقاتلوا واقتتلوا بمعنى واحد... والمقاتلة، بكسر التاء الذين يلون القتال، وقيل: الذين يصلحون للقتال.

(١) المقاييس (٥ / ٥٦).

(٢) الصحاح (٥ / ١٧٩٧).

(٣) المصباح المنير (١٨٧).

وقتل الله فلانا، فإنه كذا وكذا، أي دفع الله شره<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّصُونَ﴾ لفظ قتل: دعاء عليهم، وهو من الله تعالى إيجاد ذلك، وقوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قيل: معناه ليقتل بعضكم بعضا.

وقيل: عني بقتل النفس إمطة الشهوات، وعنه استعير على سبيل المبالغة: قتلت الخمر بالماء إذا مزجتها، وقتلت فلانا وقتلته إذا ذللته... والمقاتلة: المحاربة وتحري القتل، قال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَهُ﴾ وقول الله تعالى: ﴿كَانَ اللَّهُ لِعَنَاهُمْ اللَّهُ﴾ قيل: معناه لعنهم الله، وقيل: معناه قتلهم، والصحيح أن ذلك هو المفاعلة، والمعنى صار بحيث يتصدى لمحاربة الله، فإن من قاتل الله فهو مقتول ومن غالبه فهو مغلوب<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن منظور: يقال: رجل قتيل أي مقتول والجمع قتلاء وقتلى وقاتلى، ولا يجمع جمع السلامة لأن مؤنثه لا تدخله الهاء (إلا إذا حذف الموصوف) فقلت: قتيلة بني فلان، وكذلك مررت بقتيلة، لأنك تسلك طريق الاسم. ويقال: قتل الرجل، فإن كان قتله العشق قيل تقتل والقتل بالكسر: العدو، قال الشاعر (ابن قيس الرقييات): واغترابي عن عامر بن لؤي... في بلاد كثيرة الأقتال الأقتال: الأعداء، والقتل أيضا: القرن في قتال وغيره، وهما قتلان أي مثلان، وقتل الرجل: نظيره وابن عمه، وإنه لقتل شر أي عالم به، ورجل مقتل أي مجرب للأموال<sup>(٣)</sup>.

### القتل اصطلاحاً:

قال الجرجاني: القتل: فعل يحصل به زهوق الروح<sup>(٤)</sup>.  
وقال الراغب: أصل القتل: إزالة الروح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتبر بفعل المتوَلَّى لذلك، يقال قتل، وإذا اعتبر بفوت الحياة قيل: موت (وفوت)<sup>(٥)</sup>.  
وقال الكفوي: القتل: إزالة الروح عن الجسد اعتباراً بفعل المتوَلَّى لذلك<sup>(٦)</sup>.

(١) التاج (١٥ / ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩).

(٢) المفردات (٣٩٣).

(٣) لسان العرب (٥ / ٣٥٢٧ - ٣٥٣٠).

(٤) التعريفات (١٧٩).

(٥) المفردات (٢٩٣)، وعنه أخذ المناوي، انظر التوقيف (٢٦٨).

(٦) الكلبيات (٧٢٩).

## القتل في القرآن الكريم:

ورد لفظ القتل في القرآن الكريم على سبعة أوجه:

- ١- الفعل المميت للنفس. ومنه قوله تعالى: في [آل عمران: ١٤٦] ﴿وَكَايِنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيثِيُونَ كَثِيرٌ﴾ وفي [النساء: ٩٣] ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾.
- ٢- القتال. ومنه قوله تعالى في [البقرة: ١٩١] ﴿فَإِنْ قَتَلْتُمْهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾.
- ٣- اللعن. ومنه قوله تعالى في الذاريات: الآية (١٠) ﴿قُلِ الْغُرُصُونَ﴾ وفي [المدثر: ١٩، ٢٠] ﴿فَقُلْ كَيْفَ نَدَرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُلْ كَيْفَ نَدَرَ﴾ وفي [البروج: ٤] ﴿قُلِ اصْحَابُ الْأَعْدُدِ﴾.
- ٤- التعذيب. ومنه قوله تعالى في [الأحزاب: ٦١] ﴿أَخِذُوا وَقْتًا بِالنِّسَاءِ﴾.
- ٥- الدفن للحَيِّ. ومنه قوله تعالى في [الأنعام: ١٥١] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ امْلَأَتْ﴾.
- ٦- القصاص. ومنه قوله تعالى في بني إسرائيل [الإسراء: ٣٣] ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾.
- ٧- الذبح. ومنه قوله تعالى في [الأعراف: ١٤١] ﴿يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

## حكم القتل:

قال ابن حجر: قتل المسلم أو الذمّي المعصوم عمداً أو شبه عمداً من الكبائر.. وللقتل أحكام كالقود والدية وقد ذكر في [البقرة: ١٧٨] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾<sup>(٢)</sup>، وعدّ من الكبائر أيضاً قتل الإنسان لنفسه، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قال: وعدّ ذلك كبيرة هو صريح الآية، ويدخل فيه وفيما يترتب عليه من الوعيد قتل المهدر لنفسه كالزاني المحصن، وقاطع الطريق المتحتم قتله<sup>(٣)</sup>، أما الإمام الذهبي فقد ذكر القتل باعتباره الكبيرة الثانية بعد الشرك، وقد أدخل في ذلك قتل الذمّي المعاهد<sup>(٤)</sup>.

(١) نزهة الأعين النواظر (٤٩٥-٤٩٧).

(٢) الزواجر (٤٨٢).

(٣) الزواجر (٤٩٢).

(٤) الكبائر (١٣، ١٤).

[للاستزادة: انظر صفات: الإجرام- الإرهاب الحرب والمحاربة- العدوان- البغي- الانتقام- الطغيان- الفساد- نقض العهد- الغدر.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: تكريم الإنسان السلم- العفو- السماحة- الصفح- الصلح- الإصلاح].

\*\*\*

### من مضار (القتل)

- (١) في القتل - بغير حق - اعتداء على المجتمع تعالى قتلها وهو من أهل النار. كله.
- (٢) القتل مجلبة لسخط الرب تعالى.
- (٣) من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا وفي ذلك ما فيه من تغليظ الجرم وبشاعة الذنب.
- (٤) من قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها.
- (٥) القتل من أكبر الكبائر.
- (٦) المنتحر قاتل للنفس التي حرم الله منهم وقد برئت منه ذمة الله ورسوله.
- (٧) حرص المسلم على قتل أخيه يجعله في النار حتى وإن لم يقتله فعلا.
- (٨) قتال المسلمين فيما بينهم جرم عظيم يصل بهم إلى الكفر.
- (٩) القتل من عادات الجاهلية التي نهى عنها الإسلام.
- (١٠) القاتل يضيّق عليه في الدنيا والآخرة.
- (١١) من حمل السلاح على المسلمين فليس منهم وقد برئت منه ذمة الله ورسوله.

### القدوة السيئة

#### القدوة لغة:

القدوة هي الاسم من الاقتداء، وكلاهما مأخوذ من مادة (ق د و) التي تدلّ على اقتياس بالشيء واهتداء، ومقادرة للشيء حتى يؤتى به مساويا لغيره، يقول ابن فارس: ومن ذلك قولهم: هذا قدي رمح أي قيسه، وفلان قدوة أي يقتدى به، ومن الباب: فلان يقدو به فرسه، إذا لزم سنن السيرة، وإنما سمّي ذلك قدوا لأنه تقدير في السيرة، وتقدي فلان على دابته، إذا سار سيرة على استقامة، وقيل: القدو (بالكسر) هو الأصل الذي يتشعب منه الفروع<sup>(١)</sup>.

(١) المقاييس (٥/ ٦٦)، الصحاح (٦/ ٢٤٦٠)، القاموس المحيط (١٧٠٦) (ط. بيروت).

وقال الجوهري: القدوة: الإسوة، يقال: فلان قدوة يقتدى به، وقد يضم فيقال: لي بك قدوة وقدوة وقدوة، ويقال: خذ في هديتك وقديتك. أي فيما كنت فيه، وأتتنا قادية من الناس، أي جماعة قليلة وهم أول من يطرأ عليك، وقال الفيروز آبادي: القدوة مثلثة، وكعدة: ما تسنت به، والقدوى: الاستقامة، وقال ابن منظور: القدو هو أصل البناء الذي يتشعب منه تصريف الاقتداء (أي أن أصل المادة (ق د و)، والقدة كالقدوة وجمع القدوة قدى، وقال ابن الأعرابي: القدوة: التقدّم، يقال: فلان لا يقاديه أحد، ولا يماديه أحد، ولا يباريه أحد ولا يجاربه أحد، وذلك إذا برز في الخلال كلها، والقدية: الهدية، والقدو: القدوم من السفر، والقدو أيضا القرب، وأقدى إذا استوى في طريق الدّين<sup>(١)</sup>.

### القدوة اصطلاحاً:

قال المناوي، القدوة: هي الاقتداء بالغير ومتابعته والتأسي به<sup>(٢)</sup>.  
والقدوة السيئة هي: الاقتداء بأهل الباطل ومتابعتهم والتأسي بهم في فعل السيئات وترك الحسنات<sup>(٣)</sup>.

### حكم القدوة السيئة:

إنّ من يقتدى بشخص ويتّخذه إماماً له فلا شكّ أنّه يحبه ويتمنّى أن يصير مثله، ويؤدّي الاقتداء بأهل الباطل إلى محبتهم والدّفاع عن سيئاتهم وشرورهم، والابتعاد عن الصّالحين ويدفع هذا بصاحبه إلى ارتكاب كبيرة نصّ عليها الأئمّة، يقول ابن حجر: الكبيرة الرّابعة والخمسون: محبة الظّلمة أو الفسقة بأيّ نوع كان فسقهم، قال: وعدّ هذا من الكبائر هو مادّلت عليه الأحاديث<sup>(٤)</sup>.  
[للاستزادة: انظر صفات: الابتداع - اتباع الهوى - موالاته الكفار - انتهاك الحرمات - الإساءة التفریط والإفراط.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأسوة الحسنة - الاتباع - الولاء والبراء - الطاعة - تعظيم الحرمات - الأدب - الإخلاص - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر].

(١) لسان العرب (٥ / ٣٥٥٦).

(٢) التوقيف (٢٦٩).

(٣) اقتبسنا هذا التعريف مما ذكره كل من المناوي في التوقيف (٢٦٩) وما ذكره العز بن عبد السلام عن الاقتداء بأهل الحق (انظر شجرة المعارف والأحوال (ص ٣٤٤).

(٤) الزواجر (١٤٢) بتصرف.

## من مضار (القدوة السيئة)

- (١) من يكون قدوة سيئة للناس يسخط الله (٤) يمقته الناس ويحترسون منه.  
عليه.  
(٥) يكون سببا للغواية والضلال ويدعو لاتباع  
(٢) يأتي في الآخرة يحمل لواء الخزي لأتباعه. سبل الشيطان.  
(٣) يتبرأ يوم القيامة من أتباعه ويلعن بعضهم (٦) يكره نفسه التي بين جنبيه إذ يعرف حقيقة  
بعضها. نفسه.

## القذف

## القذف لغة:

مصدر قولهم: قذف يقذف إذا رمى بالشيء، وهو مأخوذ من مادة (ق ذ ف) التي تدل على الرمي والطرح، ومن ذلك قذف بالشيء يقذفه إذا رمى به، وبلدة قذوف أي طروح لبعدها تترامى بالسفر، ومنزل قذف وقذيف أي بعيد، والقذيفة: الشيء يرمى به، والقذف بالحجارة، الرمي بها، يقال: هم بين حاذف وقاذف، فالحاذف بالعصا والقاذف بالحجارة، والتقاذف: سرعة ركض الفرس، وفرس متقاذف: سريع العدو، وأما ما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها «وعندها قيتان تغنيان بما تقاذفت به الأنصار يوم بعث» أي تشاتم في أشعارها التي قالتها في تلك الحرب». وقال ابن منظور: يقال: قذف بالشيء يقذف قذفا فانقذف: رمى. والتقاذف: الترامي، والقذف الرمي بقوة.

قال الليث: القذف الرمي بالسهم والحصى والكلام وكل شيء. وقذف المحصنة أي سبها ورماها بزنية. وفي حديث هلال بن أمية: أنه قذف امرأته بشريك. القذف هاهنا رمي المرأة بالزنا، أو ما كان في معناه، وأصله الرمي ثم استعمل في هذا المعنى حتى غلب عليه. وفي الحديث: إنني خشيت أن يقذف في قلوبكم شرا أي يلقي ويوقع<sup>(١)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٦٨)، الصحاح (٤/ ١٤١٤)، القاموس (١٠٩٠) ط. بيروت، النهاية (٤/ ٣٠). لسان العرب (٩/ ٢٧٦-٢٧٧). والمصباح المنير (٢/ ٢٥٨) وبصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٥٠).

## واصطلاحاً:

قال البغوي: القذف: الرمي بالزنا وكل من رمى محصناً أو محصنة بالزنا فقال له: زنيته أو يازاني فيجب عليه جلد ثمانين جلدة إن كان حرّاً. وإن كان عبداً فيجلد أربعين. وإن كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير، وشرائط الإحصان خمسة: الإسلام، والعقل، والبلوغ، والحريّة، والعفة من الزنا<sup>(١)</sup>.

وقال الكفوي: القذف: يقال للإلقاء والوضع، ويستعار للشتم والعيب والرمي البعيد<sup>(٢)</sup>.

قال المناوي: القذف: الرمي البعيد، واستعير للشتم والعيب، كما استعير للرمي (مطلقاً)<sup>(٣)</sup>.

## حكم القذف:

عدّ ابن حجر من الكبائر قذف المحصن أو المحصنة بزنا أو لواط أو السكوت على ذلك، وقال: أجمع العلماء على أن المراد من الرمي في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَافِلَاتِ﴾.. هو الرمي بالزنا وهو يشمل الرمي باللواط كقوله: يا زانية، أو بغيّة، أو قحبة، لها أو لزوجها كقوله: يا زوج القحبة، أو لولدها كيا ولد القحبة.. ثم قال: عدّ القذف كبيرة هو ما اتفقوا عليه، لما نصّت عليه الآيات عن لعن فاعله في الدنيا والآخرة وهذا من أقبح الوعيد وأشدّه<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإساءة- الأذى- الإفك- البهتان- سوء الظن- شهادة الزور- الكذب- الفضح- إفشاء السر- الافتراء- الزنا- البذاءة- الفحش.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: تكريم الإنسان حسن الظن- الصدق- كتمان السر- إقامة الشهادة- الكلم الطيب- الأدب- الصمت وحفظ اللسان- الإحسان- الصبر والمصابرة- كظم الغيظ].

\*\*\*

(١) تفسير البغوي (٣/ ٣٢٣).

(٢) الكليات (٤٨١).

(٣) التوقيف (٢٦٩).

(٤) الزواجر (٤٣٣- ٤٣٨) بتصرف واختصار.

## من مضار (القذف)

- (١) يمقت الله القذف ويعدّ فاعله فاسقا ملعونا فيها السّدج والأطفال.  
 في الدّنيا والآخرة. (٤) يسبّب العداوة والبغضاء بين النّاس.  
 (٢) القذف قد يكون فيه انتهاك لعرض مسلم (٥) هو من علامات الإفلاس الخلقيّ والخواء  
 أو مسلمة.  
 (٣) عادة سائدة في المجتمعات السّاقطة يقع في النّار.

## القسوة (الغلظة والفظاظة)

هذه الأمور الثلاثة (القسوة- الغلظة- الفظاظة) متقاربة إلى حدّ كبير، وفيما يلي تعريف بكلّ  
 منها لغة واصطلاحاً.

## القسوة لغة:

مصدر قولهم قسا يقسو إذا غلظ قلبه، وهو مأخوذ من مادّة (ق س و) التي تدلّ على شدّة  
 وصلابة، ومن ذلك الحجر القاسي أي الصّلب، والقاسية: اللّيلة الباردة، قال الرّاعب: القسوة:  
 غلظ القلب، وأصل ذلك من الحجر القاسي، والمقاساة معالجة ذلك (أي القسوة). قال تعالى:  
 ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبَهُمْ﴾ [البقرة: ٧٤] أي خلت من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى، قال القرطبي:  
 القسوة هي الصّلابة والشدّة واليبس<sup>(١)</sup>. وقال عزّ من قائل: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾  
 [الزمر: ٢٢] فالمراد تلك القلوب الصّلبة التي لا تعي خيراً ولا تفعله<sup>(٢)</sup>.

ويقال: أقساه الذّنب (جعله قاسياً)، والذّنب مقساة للقلب، ويوم قسيّ أي شديد من حرّ أو  
 برد، وقولهم: قسا الدرهم يقسو قسوا: معناه زاف أي ردؤ فهو قسيّ، وأرض قاسية: لا تنبت شيئاً،  
 وقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، وقرىء قسيّة أي ليست قلوبهم  
 بخالصة، من قولهم: درهم قسيّ وهو جنس من الفضة المغشوشة فيه قسوة أي صلابة، وقال ابن

(١) تفسير القرطبي (١/ ٣١٧).

(٢) المرجع السابق (٦/ ٧٦).

منظور: القسوة: الصلابة في كل شيء، والقسوة في القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه، يقال: قسا قلبه قسوة، وقساوة وقساء بالفتح والمد: وهو غلظ القلب وشدته، والمقاساة: مكابدة الأمر الشديد وقاساه أي كابده. ويوم قسي، مثال شقي: شديد من حرب أو شر<sup>(١)</sup>.

#### القسوة اصطلاحاً:

قال المناوي (تبعاً للراغب): القسوة غلظ القلب<sup>(٢)</sup>.

وقال العزّ بن عبد السلام: القسوة تصلّب القلب ونبوته عن اتباع الحقّ، ورقتّه (أي القلب) ولينه بخلاف ذلك<sup>(٣)</sup>.

وقال الجاحظ: القساوة: هي التّهاون بما يلحق الغير من الألم والأذى، وهي خلق مركّب من البغض والشّجاعة<sup>(٤)</sup>.

#### الغلظة لغة:

الغلظة والغلظة والغلظ ضدّ الرّقة، والفعل من ذلك غلظ وغلظ، والوصف غليظ وغلظة<sup>(٥)</sup>، ويقول ابن منظور: الغلظ ضدّ الرّقة في الخلق والطّبع والفعل والمنطق والعيش ونحو ذلك، يقولون: أرض غليظة: أي غير سهلة، وتغليظ اليمين تشديدها وتوكيدها، وفي فلان غلظة: أي شدة واستطالة، ورجل غليظ: فظّ فيه غلظة أي قساوة وشدة، وأمر غليظ: شديد صعب، وعهد غليظ كذلك، وبينهما غلظة ومغالظة: أي عداوة<sup>(٦)</sup>.

#### الغلظة اصطلاحاً:

قال المناوي: الغلظة ضدّ الرّقة، وأصله أن يستعمل في الأجسام، لكن قد يستعمل في المعاني أيضاً<sup>(٧)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٥ / ٨٧)، المفردات (٤٠٤)، لسان العرب لابن منظور (١٥ / ١٨٠ - ١٨١)، الصحاح (٦ / ٢٤٦٢)، تاج العروس (٢٠ / ٧٩ - ٨٠).

(٢) التوقيف (٢٧٢)، والمفردات للراغب (٤٠٤).

(٣) شجرة المعارف والأحوال (١٢٠).

(٤) تهذيب الأخلاق (٣٠).

(٥) القاموس المحيط (٩٠٠) ط. بيروت.

(٦) لسان العرب (٧ / ٤٤٩) ط. بيروت.

(٧) التوقيف (٢٥٣).

أما غلظ القلب: فكونه خلق صلبا لا يلين ولا يتأثر<sup>(١)</sup>.

### الفاظظة لغة:

الفاظظة كالفظظ أصلها ماء الكرش يعصر ويشرب في المفاوز (الصّحراوات)، وقولهم: رجل فظّ، معناه: غليظ الجانب، سيء الخلق، قاسي القلب، خشن الكلام<sup>(٢)</sup>، وفي اللسان: الففظ: خشونة الكلام، ورجل فظّ: أي ذو فظاظة جاف غليظ، في منطقه غلظ وخشونة<sup>(٣)</sup>.

### الفاظظة اصطلاحا:

قال أبو حيان: الفظاظة قيل هي بمعنى غلظ القلب، وقيل هي الجفوة قولا وفعلا<sup>(٤)</sup>.

### حكم القسوة:

عدّ ابن حجر قسوة القلب من الكبائر مستدلا بما روي عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: اطلبوا المعروف من رحماء أمتي تعيشوا في أكنافهم، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإنّ اللعنة تنزل عليهم، وبما ذكره الخرائطي في مكارم الأخلاق.. ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فإنّهم ينتظرون سخطي. قال ابن حجر: وعدّ هذا كبيرة هو صريح هذين الحديثين لأنّ اللعنة والسخط من علامات الكبيرة لما فيها من الوعيد الشديد<sup>(٥)</sup>.

### القسوة والغلظة قد يطلبان أحيانا:

قال الجاحظ: القساوة مكروهة من كلّ أحد إلا من الجند وأصحاب السلاح والمتولّين للحروب؛ فإنّ ذلك غير مكروه منهم إذا كان في موضعه<sup>(٦)</sup>.

أما الغلظة فإنّها مطلوبة، بل ومأمور بها في التّعامل مع الكفّار والمنافقين وخاصّة في مجال الجهاد (انظر الآيات / ٨ - ١٠)، ولكنّها منهي عنها في التّعامل مع المؤمنين شريطة ألا تفضي إلى

(١) البحر المحيط لان حيان (٣ / ١٠٤).

(٢) القاموس المحيط (٩٠٠) ط. بيروت.

(٣) لسان العرب (٧ / ٤٥٢) طز بيروت.

(٤) البحر المحيط (٣ / ١٠٤).

(٥) الزواجر (ص ١٥٢)، وذكر ابن حجر أنه ينبغي حمل القسوة المذكورة في الحديثين على كونها تحمل صاحبها على منع إطعام المضطر.

(٦) تهذيب الأخلاق (٣٠).

تضييع حق من حقوق الله تعالى<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: العنف - الأذى - الجفاء - سوء المعاملة - سوء الخلق - الكبر والعجب العتو - الطغيان - العدوان - الظلم - القتل - عقوق الوالدين.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الرأفة - الرحمة - الرفق - الشفقة - كفالة اليتيم - اللين - البر - بر الوالدين - تكريم الإنسان - التودد - الرحمة - صلة الرحم - حسن العشرة - حسن المعاملة - البشاشة].

\*\*\*

### من مضار (القسوة والغلظة والفظاظة)

- (١) القسوة تذهب اللين والرحمة والخشوع (٤) في الفظاظة وغلظ القلب مع المسلمين ما يؤذي إلى تفرق كلمتهم وطمع العدو من القلب.  
(٢) أن صاحب القلب القاسي بعيد من الله بعيد فيهم.  
(٥) الفظاظة والغلظة تؤديان - خاصة في مجال من الناس.  
(٣) القسوة تزيل النعم وتحلّ النقم. الدعوة إلى الله - إلى انصراف الناس عن الداعية، ونفورهم منه.

### قطيعة الرحم

#### القطيعة لغة:

هي الاسم من قولهم: قطع فلان كذا يقطعه، وهو مأخوذ من مادة (ق ط ع) التي تدلّ على صرم وإبانة شيء من شيء، يقال: تقاطع الرجلان، إذا تصارما وبعثت فلانة إلى فلانة بأفطوعة، وهي شيء تبعثه إليها علامة للصريمة، والقطع: الطائفة من الليل كأنه قطعة، وقطعت الطير قطوعاً، إذا خرجت من بلاد الحرّ إلى بلاد البرد، أو من تلك إلى هذه، ويقولون لليائس من الشيء: قد قطع به، كأنه أمل أمّله فانقطع.

(١) البحر المحيط (٣/ ١٠٤).

والقطع: إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فصلا. قطعه قطعا وقطيعه وقطوعا. والقطع والقطيعة: الهجران ضدّ الوصل، ورجل قطوع لإخوانه ومقطاع: لا يثبت على مؤاخاة، وتقاطع القوم: تصارموا.

وتقاطعت أرحامهم: تحاصت<sup>(١)</sup>. وقطع رحمه قطعا وقطيعه وقطّعها: عقّها ولم يصلها. والاسم القطيعة. ورجل قطعة وقطع ومقطع وقطّاع يقطع رحمه. وفي حديث صلة الرّحم: «هذا مقام العائذ بك من القطيعة»، والقطيعة: الصّدّ وهي فعيلة من القطع، ويريد به ترك البرّ والإحسان إلى الأهل والأقارب وهي ضدّ الصّلة.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أي تعودوا إلى أمر الجاهليّة فتفسدوا في الأرض وتندوا البنات، وقيل: تقطّعوا أرحامكم، تقتل قريش بني هاشم وبني هاشم قريشا. ويقال: رحم قطعاء بيني وبينك إذا لم توصل.

وقال القرطبي: ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ بالبغي والظلم والقتل، من التقطيع على التّكثير<sup>(٢)</sup>، وقال الطبري: أي تعودوا لما كنتم عليه في جاهليّتكم من التّشّت والتّفرّق بعدما جمعكم الله بالإسلام وألف به بين قلوبكم<sup>(٣)</sup>.

ويقال: مدّ فلان إلى فلان بثدي غير أقطع: أي توّسل إليه بقرابة قريبة<sup>(٤)</sup>.

**الرحم لغة:** انظر: صفة «صلة الرحم».

### قطيعة الرحم اصطلاحا:

لم تذكر كتب الاصطلاحات قطيعة الرّحم مصطلحا ويمكن أن نعرّف ذلك في ضوء ما ذكره عن صلة الرّحم وقطيعة فنقول: قطيعة الرّحم: هي أن يعقّ الإنسان أولى رحمه وذوي قرابته فلا يصلهم ببرّه ولا يمدّهم بإحسانه.

ويختلف ذلك بحسب حال القاطع والمقطوع، فتارة يكون ذلك بمنع المال، وتارة بحجب الخدمة والزيارة والسّلام، وغير ذلك.

(١) أي انقطعت وذهبت وهو مأخوذ من الحاصة وهو داء يتناثر منه الشعر. وتحاصت: تقاطعت.

(٢) تفسير القرطبي (١٦ / ١٦٢)، ومعنى قوله «من التقطيع على التّكثير» أي أنه صيغة فعّل تدل على المبالغة والتّكثير.

(٣) تفسير الطبري (٢ / ٣٥).

(٤) مقاييس اللغة (٥ / ١٠١)، ولسان العرب (٦ / ٣٦٧٤-٣٦٨٠)، وانظر الصحاح للجوهري (٣ / ١٢٦٦-١٢٦٩).

**حكم قطيعة الرحم:**

قال القاضي عياض - رحمه الله تعالى - : سَمِيَ العقوق قطعاً. والعقُّ الشَّقُّ كأنَّه قطع ذلك السَّبب المتَّصل.

ثمَّ قال رحمته: ولا خلاف في أنَّ صلة الرَّحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبرى والأحاديث تشهد بذلك، ولكنَّ الصَّلَة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسَّلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة فمنها واجب ومنها مستحبٌّ، ولو وصل بعض الشَّيء ولم يصل غايتها لا يسمَّى قاطعاً، ولو قصَّر عمَّا يقدر عليه وينبغي له لا يسمَّى واصلاً<sup>(١)</sup>.

**بم تكون القطيعة:**

قال الصَّنعاييّ - رحمه الله تعالى - : اختلف العلماء بأيِّ شيء تحصل القطيعة للرَّحم. فقال الرِّين العراقيّ: تكون بالإساءة إلى الرَّحم.

وقال غيره: تكون بترك الإحسان لأنَّ الأحاديث أمره بالصَّلَة ناهية عن القطيعة فلا واسطة بينهما، والصَّلَة: نوع من الإحسان. كما فسرها بذلك غير واحد، والقطيعة ضدها وهي ترك الإحسان. وقال الحافظ ابن حجر: القاطع الذي لا يتفضَّل عليه ولا يتفضَّل<sup>(٢)</sup>.

**قطيعة الرحم من الكبائر:**

قال صاحب العدة - رحمه الله تعالى - في معرض بيان الكبائر بعد أن ذكر كلام القاضي أبي سعيد الهرويِّ والقاضي الرويانيّ: أكل الرِّبَا، والإفطار في رمضان بلا عذر، واليمين الفاجرة، وقطع الرَّحم، وعقوق الوالدين والفرار من الرَّحف، وأكل مال اليتيم، والخيانة في الكيل والوزن، وتقديم الصَّلَاة على وقتها، وتأخيرها عن وقتها بلا عذر، وأخذ الرِّشوة، والسَّعاية عند السُّلطان، ومنع الرِّزَاة، وترك الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر مع القدرة، ونسيان القرآن بعد تعلُّمه، وإحراق الحيوان بالنَّار، وامتناع المرأة عن زوجها بلا سبب، واليأس من رحمة الله، والأمن من مكر الله، ويقال الواقعة في أهل العلم وحملة القرآن<sup>(٣)</sup>.

(١) شرح النووي على مسلم (١٦ / ١١٢ - ١١٣) بتصرف واختصار.

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٤ / ٣١٤).

(٣) تفسير ابن كثير (١ / ٤٨٧).

[للاستزادة: انظر صفات: الجحود- عقوق الوالدين- نكران الجميل- الإساءة- سوء المعاملة- سوء الخلق- الجفاء.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: البر- بر الوالدين- تكريم الإنسان- التودد- الرحمة- صلة الرحم- الاعتراف بالفضل- الإحسان- حسن العشرة- حسن المعاملة- حسن الخلق].

\*\*\*

### من مضار (قطيعة الرحم)

- (١) قطع الصلة بالله، والبعد عن رضاه.
- (٢) ضيق في الرزق وقلة البركة في العمر.
- (٣) يكسب سخط الربّ وبغض الناس.
- (٤) تقطيع أوامر العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة والأسر المرتبطة بالمصاهرة حتى يسود المجتمع كله.
- (٥) يوجب دخول النيران.
- (٦) يخرب الديار العامرة.

### القلق

#### القلق لغة:

القاف واللام والقاف كلمة تدلّ على الانزعاج. يقال: قلق يقلق. وقال ابن منظور: القلق الانزعاج يقال: بات قلقا وأقلقه غيره فقلق. وأقلق الشيء من مكانه وأقلقه: حرّكه. وقد أقلقه فقلق، وفي حديث عليّ: «أقلقوا السيوف في الغمد» أي حرّكوها في أغمادها قبل أن تحتاجوا إلى سلّها ليسهل عند الحاجة إليها.

القلق: الانزعاج، من قولهم: قلق الشيء قلقا فهو قلق.

وقلق الهمّ وغيره فلانا أزعجه، وقلق يقلق قلقا: لم يستقرّ في مكان واحد ولم يستقرّ على حال، وقلق فلان: اضطرب وانزعج فهو قلق، وأقلقت الناقة: قلق ما عليها، والمقلاق الشديد القلق، يستوي فيه المذكّر والمؤنّث، يقال: رجل مقلاق، وامرأة مقلاق.

ومقلاق الوشاح، أي لا يثبت الوشاح على خصرها لرقّته<sup>(١)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٢٣) والصحاح (٤/ ١٥٤٨)، ولسان العرب (٥/ ٣٧٢٦)، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٦٢).

## القلق اصطلاحاً:

لم تذكر كتب المصطلحات القديمة القلق ممّا يعنى أنّ المعنى واحد في اللّغة والاصطلاح، ولكنّ القلق قد اكتسب في العصر الحديث أبعاداً نفسيّة واجتماعيّة جديدة ممّا جعل المحدثين يذكرون له التعريفات الآتية: القلق: حالة انفعاليّة مصحوبة بالخوف أو الفزع تحدث كردّ فعل لتوقّع خطر حقيقيّ خارجيّ<sup>(١)</sup>.

وقال مؤلّفنا كتاب الصّحة النفسيّة في ضوء علم النفس والإسلام: القلق حالة نفسيّة مؤلّمة تنتج عن شعور الإنسان بالعجز في مواقف الإحباط والصّراع<sup>(٢)</sup>.

وقالاً- في موضع آخر: القلق: شعور عامّ غامض، غير سارّ، مبالغ فيه، له أعراض نفسيّة وجسميّة عديدة<sup>(٣)</sup>.

وقال حامد زهران: القلق هو حالة توتّر شامل ومستمرّ نتيجة توقّع تهديد خطر فعليّ أو احتماليّ يصحبها خوف غامض وأعراض جسميّة ونفسيّة<sup>(٤)</sup>.

## أقسام القلق:

قسّم العلماء المحدثون القلق تقسيمات عديدة أهمّها:

أ- التّقسيم باعتبار الأشخاص الذين يصابون به، وهنا نجد نوعين من القلق هما:

١- القلق الاجتماعيّ: وهو الاحتكاك والإحباط في علاقات الجماعات وهو نوعان: غير محدّد السّبب، ويسفر عن الاضطرابات والتّفكّك. محدّد السّبب، ويظهر في أفعال مختلفة يتوقّف اتّجاهها على القيادة القائمة (للجماعة)<sup>(٥)</sup>.

٢- القلق الشّخصيّ: وهو ما يعرف بـ «الحصر» الذي قسّموه إلى:

الحصر الواقعيّ، وهو القلق الموضوعيّ أي الذي له واقع خارجيّ يشكّل الدّافع إليه.

الحصر العصبيّ: وهو الذي ينتج تحت وطأة التّرفّعات الغريزيّة من جانب الهو (أي الغرائز الفطريّة).

(١) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (٢٢).

(٢) الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام لمحمد عودة وكمال مرسي، ص ١٤٠.

(٣) المقصود بهذا التعريف هو القلق المرضي أو التفاعلي، انظر في شرح هذا التعريف، المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٤) الصحة النفسية والعلاج النفسي لحامد زهران ص ٣٩٧.

(٥) معجم علم النفس والتحليل النفسي (١٧٨، ٣٦٩).

الحصر الأخلاقي: وهو الحادث نتيجة خطر داخلي من جانب الأنا الأعلى (الضمير) <sup>(١)</sup>.

ب- التقسيم بحسب الدرجة:

قسّم العلماء القلق بحسب درجته إلى:

١- القلق الموضوعي أو العادي، ويطلق عليه أحيانا القلق السوي أو الواقعي وهو ما كان مصدره خارجياً وموجوداً فعلاً، وذلك مثل القلق المتعلق بالنجاح في عمل جديد أو في امتحان أو إقدام على الزواج، أو وجود خطر قومي أو عالمي.

٢- القلق المرضي: وهو ما كان داخلي المصدر وأسبابه مكبوتة ولا شعورية، ولا يتفق مع الظروف الداعية إليه، ويتّصف هذا النوع عادة بأنه غامض وعمّ <sup>(٢)</sup>.

ولهذا النوع الأخير أسباب عديدة وأعراض متنوّعة تنظر في مظانها من كتب الصحة النفسية <sup>(٣)</sup>، وسنوجز - فيما يلي - أهم ما أورده هذه الكتب متعلّقاً ب:

### علاج القلق:

لهذا النوع من الأمراض أنواع عديدة من العلاج منها:

١- العلاج النفسي ويكون ذلك بتحديد أسبابه، ومشاركة المريض وجدانياً وإعادة ثقته بنفسه.

٢- الإرشاد والنصح وتقديم المشورة له (انظر هذه الصفات في مواضعها من الموسوعة).

٣- العلاج البيئي، وذلك بتعديل العوامل البيئية غير الملائمة بتخفيف الأعباء والضغوط ولا يتأتى ذلك إلا بالتعاون على البرّ والتقوى.

٤- وأهم أنواع العلاج هو اللجوء إلى الاستعاذة بالله من الهمّ والغمّ، والإيمان التام بالقضاء والقدر، والاستغفار والاستعاذة بالله ﷻ والتوبة النصوح <sup>(٤)</sup>.

(١) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (٣٩٨).

(٢) الصحة النفسية والعلاج النفسي ص ٣٩٩، وانظر أيضاً: الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام ص ١٤١.

(٣) انظر في ذلك على سبيل المثال: الإنسان وصحته النفسية لمصطفى فهمي ص ٣١٥، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام ص ١٨٧، الصحة النفسية والعلاج النفسي لحامد زهران ص ٣٩٨، أسس الصحة النفسية لعبد العزيز القوصي ص ٣٢٥.

(٤) انظر في ذلك المرجعين الأخيرين، الصفحات السابقة.

## بين القلق والهم والخوف:

استعمل العلماء المسلمون مصطلحات مرادفة للقلق، منها الخوف المفرط، الذي عرفه الإمام الغزالي بأنه: خوف زائد مذموم يخرج بالإنسان إلى اليأس والقنوط ويمنعه من العمل واستعمل ابن حزم مصطلح الهم، وأشار إلى أنه خبرة نفسية مؤلمة، وقال: أشد الأشياء على الناس الخوف والهم والفقر والمرض، وأشدّها الهم<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الجزع - سوء الظن الشك - العجلة - اليأس - القنوط - الوهن - اتباع الهوى - الضعف - الإحباط - الخوف - الوسوسة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: السكينة - التوكل - الثبات - الرضا - الطمأنينة - اليقين - الرضا - حسن الظن - الذكر - الاستعاذة - الإيمان - القناعة].

\*\*\*

## من مضار (القلق)

- (١) عدم استقرار النفس وعدم ثبات القلب.
- (٢) حصول الخوف والهلع لأحقق الأمور.
- (٣) دليل على ضعف الإيمان وقلة اليقين.
- (٤) يورد الإنسان موارد الهلاك.
- (٥) يورث الشك وعدم الثقة بالغير.
- (٦) حرمان النفس من الطمأنينة.
- (٧) سبب من أسباب الشقاء وحرمان الخير.
- (٨) فقدان المقدرة على التركيز السليم والتفكير والاستمرارية في العمل مما يؤدي إلى فقدان الانتاج وبالتالي ازدياد القلق والاضطراب في حلقة مفرغة.

## القنوط

## القنوط لغة:

مصدر قولهم: قنط يقنط إذا يئس يأسا شديدا وهو مأخوذ من مادة (ق ن ط) التي تدل على اليأس من الشيء، يقال: قنط يقنط قنوطا، مثل جلس يجلس جلوسا وكذلك قنط يقنط مثل قعد يقعد فهو قانط، وفيه لغة ثالثة، قنط يقنط قنطا مثل تعب يتعب تعباً، وقنطرة فهو قنط. قال تعالى:

(١) باختصار وتصرف عن: الصحة النفسية في ضوء علم النفس والاسلام، ص ١٤٠.

﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ [الحجر: ٥٥] أي اليائسين من الولد.

وكان إبراهيم عليه السلام، قد يئس من الولد لفرط الكبر<sup>(١)</sup>، وأما قنط يقنط بالفتح فيهما وقنط يقنط بالكسر فيهما فإنما هو على الجمع بين اللغتين.

وقال ابن الأثير: القنوط هو أشد اليأس من الشيء. وقيل القنوط: اليأس من الخير، وقيل: أشد اليأس من الشيء وقيل. شر الناس الذين يقنطون الناس من رحمة الله أي يؤيسونهم<sup>(٢)</sup>.

#### واصطلاحاً:

قال في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: هو استبعاد الفرج واليأس منه، وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكلاهما ذنب عظيم وينافيان كمال التوحيد<sup>(٣)</sup>.

قال المناوي: القنوط: هو اليأس من الرحمة<sup>(٤)</sup>.

وقال العز بن عبد السلام: القنوط استصغار لسعة رحمة الله عز وجل ومغفرته، وذلك ذنب عظيم وتضييق لفضاء جوده تعالى<sup>(٥)</sup>.

الفرق بين اليأس والقنوط (انظر صفة اليأس).

#### حكم القنوط:

قال الإمام ابن حجر: سوء الظن بالله تعالى والقنوط من رحمته من الكبائر. مستدلاً بقوله تعالى (في القنوط): ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، وقال: عدّ سوء الظن والقنوط كبيرتين مغايرتين لليأس هو ما ذهب إليه الجلال البلقيني وغيره... والظاهر أنّ القنوط أبلغ من اليأس، للترقّي إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩] وقد اتفقوا على أنّ الشخص الذي يئس من وقوع شيء من الرحمة له مع إسلامه فاليأس في حقه كبيرة اتفاقاً، ثمّ هذا اليأس قد ينضمّ إليه حالة هي أشد منه، وهي التصميم على عدم وقوع الرحمة له وهو القنوط، ثمّ قد ينضمّ إلى ذلك أنّ الله يشدّد عقابه له كالكفّار وهذا هو المراد بسوء الظنّ هنا<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير القرطبي (١٠ / ٢٥) وقد ذكر قراءات عديدة ليس هنا تفصيلها.

(٢) مقاييس اللغة (٥ / ٣٢)، الصحاح (٦ / ١١٥٥)، النهاية (٤ / ١١٣).

(٣) فتح المجيد (٣٥٩).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٧٦).

(٥) شجرة المعارف والأحوال - العز بن عبد السلام (١٢٠).

(٦) الزواجر (١١٤) بتصرف.

[للاستزادة: انظر صفات: اليأس - الجزع - سوء الظن - الضعف - الوهن - القلق - السخط .  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: حسن الظن - الرضا - الصبر والمصابرة - قوة الإرادة -  
السكينة - الطمأنينة - اليقين - الرجاء].

\*\*\*

### من مضار (القنوط)

- (١) دليل ضعف الإيمان .  
(٢) يقطع الإنسان عن الله .  
(٣) دليل قلة الفهم والعقل .  
(٤) يحبه الشيطان لتيئسه لبي الإنسان .  
(٥) يقعد بالإنسان أو يعجزه عن القيام بما أمر به .  
(٦) إذا غلب على الإنسان اليأس والقنوط  
حرمه الإبداع والتفوق واستسهل البطالة  
والكسل .

### الكبر والعجب

#### أولاً: الكبر:

#### الكبر لغة:

اسم كالكبرياء بمعنى العظمة، وهو مأخوذ من مادة (ك ب ر) التي تدل على خلاف الصغر. قال ابن فارس: ومن الباب الكبر وهو الهرم، والكبر: العظمة، وكذلك الكبرياء، يقال: ورثوا المجد كابرا عن كابر. أي كبيراً عن كبير في الشرف والعز، وأكبرت الشيء استعظمته، والتكبر والاستكبار: التعظم، وكبر الشيء معظمه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ [النور: ١١] أي معظم أمره.

وقال ابن منظور: الكبر بالكسر: الكبرياء، والكبر العظمة والتجبر، وقيل: الرفعة في الشرف، وقيل: هي عبارة عن كمال الذات ولا يوصف بها إلا الله تعالى.

يقال: تكبر، واستكبر، وتكابر. وقيل: تكبر: من الكبر وتكابر من السنن. والتكبر والاستكبار:

التعظم، وقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٦].

قال الزجاج: أي أجعل جزاءهم الإضلال عن هداية آياتي. قال: ومعنى يتكبرون: أي أنهم يرون أنهم أفضل الخلق، وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم. وهذه الصفة لا تكون إلا لله خاصة، لأن الله هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله.

**المتكبر من أسماء الله تعالى:**

قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى المتكبر والكبير، أي العظيم ذو الكبرياء، وقيل: المتعالي عن صفات الخلق، وقيل: المتكبر على عتاة خلقه<sup>(١)</sup>.

وقال الغزالي: المتكبر: هو الذي يرى الكل حقيرا بالإضافة إلى ذاته، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه، فينظر إلى غيره نظر الملوك إلى العبيد، فإن كانت هذه الرؤية صادقة كان التكبر حقا، وكان صاحبها متكبرا حقا، ولا يتصور ذلك على الإطلاق إلا لله تعالى<sup>(٢)</sup>. وإن كان ذلك التكبر والاستعظام باطلا، ولم يكن ما يراه من التفرد بالعظمة كما يراه، كان التكبر باطلا ومذموما، وكل من رأى العظمة والكبرياء لنفسه على الخصوص، دون غيره، كانت رؤيته كاذبة، ونظره باطلا<sup>(٣)</sup>.

**واصطلاحا:**

هو بطر الحق وغمط الناس.

وقال الغزالي: **جاء** هو استعظام النفس، ورؤية قدرها فوق قدر الغير.

وقال أيضا **جاء**: الكبر حالة يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وأن يرى نفسه أكبر من غيره<sup>(٤)</sup>.

وقال التهانوي: جهل الإنسان بنفسه وإنزالها فوق منزلتها. أمّا المكابرة، فهي المنازعة لا لإظهار الصواب ولا لإلزام الخصم<sup>(٥)</sup>.

وقال الجاحظ: الكبر هو استعظام الإنسان نفسه، واستحسان ما فيه من الفضائل، والاستهانة بالناس واستصغارهم والترفع على من يجب التواضع له<sup>(٦)</sup>.

وقال الكفوي: التكبر: هو أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره، والاستكبار طلب ذلك التشبع وهو التزيين بأكثر مما عنده<sup>(٧)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (٥ / ١٥٤)، والصحاح (٢ / ٨٠١)، ولسان العرب لابن منظور (٥ / ١٢٩، ١٣٠).

(٢) المقصد الأسنى ص ٧٥.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٣ / ٣٤٥).

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي (٣ / ٣٤٥).

(٥) كشف اصطلاحات الفنون (٣ / ١٢٤٧).

(٦) تهذيب الأخلاق (٣٢).

(٧) الكليات للكفوي (٢٨).

**الكبر مفتاح الشقاء:**

قال الغزالي رحمته مفتاح السعادة التيقظ والفطنة، ومنبع الشقاوة الكبر والغفلة، فلا نعمة الله على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة، ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة، ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية ولا داعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة، فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للإسلام والهدى، والمتكبرون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدرهم ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء. فالتكبر هو الذي لم تفتح بصيرته ليكون هداية نفسه كفيلاً، وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائداً والشيطان دليلاً.

فالكبر آفة عظيمة هائلة، وفيه يهلك الخواص من الخلق، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلاً عن عوام الخلق، وكيف لا تعظم آفته وقد قال عليه السلام: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر» وإنما صار حجاباً دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة، والكبر يغلق تلك الأبواب كلها، لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من الكبر. فما من خلق ذميم إلا وصاحب الكبر مضطراً إليه ليحفظ كبره، وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفاً من أن يفوته عزه. فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه. والأخلاق الذميمة متلازمة، والبعض منها داع إلى البعض لا محالة. وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له<sup>(١)</sup>.

**أسباب الكبر:**

أسباب الكبر ثلاثة: سبب في المتكبر، وسبب في المتكبر عليه، وسبب فيما يتعلق بغيرهما. أما السبب الذي في المتكبر: فهو العجب، والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد، والحسد، والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء، فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة.

**العجب، والحقد، والحسد، والرياء:**

أما العجب: فإنه يورث الكبر الباطن، والكبر يثمر التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال.

وأما الحقد: فإنه يحمل على التكبر من غير عجب، كالذي يتكبر على من يرى أنه مثله أو فوقه، ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقداً ورسخ في قلبه بغضه، فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقاً للتواضع.

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٥).

وأما الحسد: فإنه أيضا يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد، ويدعو الحسد أيضا إلى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم، فكم من جاهل يشاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا وبغيا عليه. فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه، ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق المتكبرين، وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه.

وأما الرياء: فهو أيضا يدعو إلى أخلاق المتكبرين، حتى إن الرجل لينظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد، ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه فيكون باعته على التكبر عليه الرياء المجرد، ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه<sup>(١)</sup>.

### درجات الكبر:

قال ابن قدامة رحمته: اعلم: أن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات:

**الأولى:** أن يكون الكبر مستقرا في قلب الإنسان منهم، فهو يرى نفسه خيرا من غيره، إلا أنه يجتهد ويتواضع، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة، إلا أنه قد قطع أغصانها.

**الثانية:** أن يظهر لك بأفعاله من الترفع في المجالس، والتقدم على الأقران، والإنكار على من يقصر في حقه، فترى العالم يصغر خده للناس كأنه معرض عنهم، والعابد يعيش ووجهه كأنه مستقذر لهم، وهذان قد جهلا ما أدب الله به نبيه ﷺ. حين قال: ﴿وَلُخْفِضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

**الدرجة الثالثة:** أن يظهر الكبر بلسانه كالدعاوى والمفاخرة، وتزكية النفس، وحكايات الأحوال في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التكبر بالنسب، فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملا.

قال ابن عباس: يقول الرجل للرجل: أنا أكرم منك، وليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وكذلك التكبر بالمال، والجمال،

والقوة، وكثرة الأتباع، ونحو ذلك، فالكبر بالمال أكثر ما يجري بين الملوك والتجار ونحوهم. والتكبر بالجمال أكثر ما يجري بين النساء، ويدعوهن إلى التنقص والغيبة وذكر العيوب. وأما التكبر بالاتباع والأنصار، فيجري بين الملوك بالمكاثرة بكثرة الجنود، وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين. وفي الجملة فكل ما يمكن أن يعتقد كمالا، فإن لم يكن في نفسه كمالا، أمكن أن يتكبر به. حتى إن الفاسق قد يفتخر بكثرة شرب الخمر والفجور لظنه أن ذلك كمالا<sup>(١)</sup>.

### أنواع الكبر:

للكبر أنواع ثلاثة:

الأول: الكبر على الله تعالى وهو أفحش أنواع الكبر، وذلك مثل تكبر فرعون ونمرود حيث استنكفا أن يكونا عبيد له.

الثاني: الكبر على رسول الله ﷺ بأن يمتنع المتكبر من الانقياد له تكبرا وجهلا وعنادا كما فعل كفار مكة.

الثالث: الكبر على العباد بأن يستعظم نفسه ويحتقر غيره ويزدرية فيتأبى عن الانقياد له ويرتفع عليه.. وهذا وإن كان دون الأولين إلا أنه عظيم إثمه أيضا؛ لأن الكبرياء والعظمة إنما يليقان بالله تعالى وحده<sup>(٢)</sup>.

### حكم الكبر:

ذكر الذهبي أن الكبر من الكبائر واستدلّ بآيات وأحاديث عديدة، ثم قال: وأشر الكبر من يتكبر على العباد بعلمه فإن هذا لم ينفعه علمه.. ومن طلب العلم للفخر والرياسة، وبطر على المسلمين، وتحامق عليهم وازدراهم، فهذا من أكبر الكبر، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر<sup>(٣)</sup>، وقد عدّه الإمام ابن حجر أيضا من الكبائر وجعل معه العجب والخيلاء<sup>(٤)</sup>.

### ثانيا: العجب:

#### العجب لغة:

قال ابن منظور: العجب: الزهو، ورجل معجب: مزهو بما يكون منه حسنا كان أو قبيحا،

(١) انظر مختصر منهاج القاصدين (٢٢٩).

(٢) الزواجر (٩٠) بتصرف.

(٣) الكبائر للذهبي (٧٦، ٧٨).

(٤) انظر الزواجر (٩٠).

وقيل المعجب هو الإنسان المعجب (أي المزهو) بنفسه أو بالشيء، وقيل: العجب فضلة من الحمق<sup>(١)</sup>، وقال الفيروزآبادي: العجب بالضم: الزهو والكبر<sup>(٢)</sup>، يقال: أعجب بنفسه وبرأيه (مبتيا للمجهول) فهو معجب، والاسم منه (العجب)<sup>(٣)</sup>، والمصدر: الإعجاب. أمّا العجب (بالتحريك) فهو إنكار ما يرد عليك لقلّة اعتياده، وأصله في اللّغة أنّ الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقلّ مثله قال: قد عجبت من كذا وإنّما يتعجب الإنسان من الشيء إذا عظم موقعه عنده، وخفي عليه سببه<sup>(٤)</sup>.

### العجب اصطلاحاً:

العجب في الاصطلاح: هو استعظام النعمة والرّكون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم عَلَيْهِ<sup>(٥)</sup>.

### الفرق بين العجب والكبر:

ذهب كثير من العلماء إلى أنّه لا فرق بين الأمرين وأنّهما شيء واحد، ولكن ذهب المحقّقون إلى أنّ بينهما فرقا لأنّ الكبر خلق باطن يصدر عنه أعمال، وذلك الخلق هو رؤية النّفس فوق المتكبرّ عليه، والعجب يتصوّر ولو لم يكن أحد غير المعجب، والمتكبرّ يرى نفسه أعلى من الغير فتحصل له هزّة وفرح وركون له إلى ما اعتقده<sup>(٦)</sup>.

وقال الماورديّ: الكبر يكون بالمنزلة، والعجب يكون بالفضيلة، فالمتكبرّ يجلّ نفسه عن رتبة المتعلّمين، والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدّبين<sup>(٧)</sup>.

وقال أبو هلال: الفرق بين العجب والكبر أنّ العجب بالشيء شدة السّرور به حتّى لا يعادله شيء عند صاحبه يقال: هو معجب بنفسه إذا كان مسرورا بخصالها، ولهذا يقال أعجبه كما يقال: سرّ به، وليس ذلك من الكبر في شيء، وقال بعضهم: العجب عقد النّفس على فضيلة لها ينبغي أن يتعجب منها وليست هي لها<sup>(٨)</sup>.

(١) لسان العرب ١ / ٥٨٢ (ط. بيروت).

(٢) القاموس المحيط ص ١٤٤ (ط. بيروت).

(٣) مختار الصحاح ص ٤١٣ (ط. دار الكتب).

(٤) لسان العرب ١ / ٥٨٠ (بتصرف واختصار).

(٥) إحياء علوم الدين ٣ / ٣٧٠.

(٦) غذاء الألباب ٢ / ٢٢٢.

(٧) أدب الدنيا والدين ص ٢٣١.

(٨) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٢٤٣.

## الفرق بين العجب والإدلال:

قال الغزالي: الإدلال وراء العجب، فلا مدلل إلا وهو معجب، وربّ معجب لا يدلّ، إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقّع جزاء عليه، والإدلال لا يتمّ إلا مع توقّع جزاء، فإن توقّع إنسان إجابة دعوته، واستنكر ردّها بباطنه وتعجّب منه كان مدلاً بعمله، لأنّه لا يتعجّب من ردّ دعاء الفاسق، ويتعجّب من ردّ دعاء نفسه، وكلاهما أي العجب والإدلال من مقدّمات الكبر وأسبابه<sup>(١)</sup>.

## آفة العجب:

للعجب آفات مباشرة وغير مباشرة، أمّا غير المباشرة فإنّه يدعو إلى الكبر، والكبر يتولّد عنه، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى<sup>(٢)</sup>، وإذا اجتمعا (الكبر والعجب) فإنّهما يسلبان الفضائل، ويكسبان الرذائل، وليس لمن استوليا عليه إصغاء لنصح ولا قبول لتأديب<sup>(٣)</sup>.

أمّا الآفات المباشرة فقد ذكرها الإمام الغزالي بقوله: العجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، ويستعظم صاحبه العبادات والأعمال ويتبجّع بها، ويمنّ على الله بفعلها ثمّ إذا أعجب بها نسي آفاتا، ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعا، والمعجب يغترّ بنفسه وبرأيه، ويأمن مكر الله وعذابه، ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدّها ويزكّيها، ويمنعه ذلك من الاستشارة والسؤال فيستبدّ بنفسه ويكتفي برأيه، وربّما أعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره، ويصرّ عليه، وربّما أودى به ذلك إلى الهلاك خاصّة لو كان هذا الرأى يتعلّق بأمر من أمور الدّين، ولذلك عدّ العجب من المهلكات، ومن أعظم آفات العجب فتور سعي المعجب لظنّه أنّه قد فاز، وأنّه قد استغنى وهذا هو الهلاك الصّريح الذي لا شبهة فيه<sup>(٤)</sup>.

وقال في غذاء الألباب: وربّما منع المعجب عجبه من الازدياد في (الطاعات) ولهذا قيل: عجب المرء بنفسه أحد حسّاد عقله، وما أضّرّ العجب بالمحاسن<sup>(٥)</sup>.

(١) إحياء علوم الدّين ٣ / ٣٧١.

(٢) إحياء علوم الدّين ٣ / ٣٧٠.

(٣) أدب الدنيا والدّين للماوردي ص ٢٣١.

(٤) إحياء علوم الدّين ٣ / ٣٧٠.

(٥) غذاء الألباب، شرح منظومة الآداب للسفاريني الحنبلي ٢ / ٢٢٥.

## منشأ العجب وعلاجه :

قال الغزالي: علّة العجب الجهل المحض<sup>(١)</sup>، ومن أعجب بطاعته (مثلاً) فما علم أنّها بالتّوفيق حصلت، فإن قال: رأني أهلاً لها فوقّني، قيل له: فتلك نعمة من منّه وفضله فلا تقابل بالإعجاب<sup>(٢)</sup>.

وقال الغزالي: وعلاجه المعرفة المضادّة لذلك الجهل، أي معرفة أنّ ذلك الذي أثار إعجابه نعمة من الله عليه، من غير حقّ سبق له، ومن غير وسيلة يدلي بها، ومن ثمّ ينبغي أن يكون إعجابه بوجود الله وكرمه وفضله<sup>(٣)</sup>. وإذا تمّ علم الإنسان لم ير لنفسه عملاً ولم يعجب به لأنّ الله هو الذي وفقه إليه. وإذا قيس بالنعم لم يف بمعشار عشرها، هذا إذا سلم من شائبة وسلم من غفلة، فأما والغفلات تحيط به، فينبغي أن يغلب الحذر من رده ويخاف العقاب على التّقصير فيه<sup>(٤)</sup>.

هذا في علاج العجب إجمالاً، أمّا علاج حالاته تفصيلاً فإنّ ذلك يختلف باختلاف ما يحدث به العجب: فإن كان ناشئاً عن حالة البدن وما يتمتّع به صاحبه من الجمال والقوّة ونحوهما، فعلاجه التّفكّر في أقدار باطنه، وفي أول أمره وآخره، وفي الوجوه الجميلة والأبدان النّاعمة، كيف تمرّغت في التراب وأنّنت في القبور حتّى استقدرتها الطّباع.

وإن كان العجب ناشئاً عن البطش والقوّة، فعلاج ذلك أن حمى يوم تضعف قوّته، وأنّها ربّما سلبت منه بأدنى آفة يسلّطها الله عليه.

وإذا كان العجب بالعقل والكياسة، فعلاجه شكر الله تعالى على ما رزق من عقل، والتّفكّر في أنّه بأدنى مرض يصيب دماغه، كيف يوسوس ويجنّ بحيث يضحك منه.

وإن كان العجب بالنّسب الشّريف، فعلاجه أن يعلم أنّه إن خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظنّ أنّه ملحق بهم فقد جهل، وإن اقتدى بهم فما كان العجب من أخلاقهم، وأنهم شرفوا بالطّاعة والعلم والخصال الحميدة.

وإذا كان العجب بنسب السّلاطين الظّلمة وأعوانهم، فعلاجه أن يتفكّر في مخازيهم، وأنهم ممقوتون عند الله تعالى، وما بالك لو انكشف له ذلّهم يوم القيامة.

وإذا كان العجب بكثرة الأموال والأولاد والخدم والأقارب والأنصار، فعلاجه أن يعلم ضعفه وضعفهم وأنّ للمال آفات كثيرة، وأنّه غاد ورائح ولا أصل له.

(١) إحياء علوم الدين ٣ / ٣٧١.

(٢) غذاء الألباب ٢ / ٢٢٥.

(٣) إحياء علوم الدين ٣ / ٢٧١ (بتصرف واختصار).

(٤) غذاء الألباب ٢ / ٢٢٦ (بتصرف واختصار).

أما إذا كان العجب بالرأي الخطأ، فعلاجه أن يتَّهم الإنسان رأيه وألا يغترَّ به<sup>(١)</sup>.  
[للاستزادة: انظر صفات: التحقير - طول الأمل - العتو - الغرور - اتباع الهوى - الطغيان -  
القسوة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإخبات - الإنابة - التواضع - الخشوع - تذكر الموت -  
مجاهدة النفس - محاسبة النفس - السماحة - اللين].

\*\*\*

### من مضار (الكبر والعجب)

- (١) طريق موصل إلى غضب الله وسخطه. (٧) هلاك النَّفس وذهاب البركة من العمر.  
(٢) دليل سفول النَّفس وانحطاطها. (٨) الكبر من الأسباب التي تبعد المتكبر عن  
(٣) يورث البعد عن الله والبعد عن النَّاس. طاعة الله ﷻ.  
(٤) الشَّعور بالعزلة وضيق النَّفس وقلقها. (٩) جزاء المتكبر الطرد من رحمة الله.  
(٥) اشمزاز النَّاس منه وتفريقهم من حوله. (١٠) المتكبرون يصرفهم الله ﷻ عن آياته  
(٦) استحقاق العذاب في النَّار. فتعمى بصائرهم ولا يرون الحق.

### أما مضار العجب فكثيرة منها:

- (١١) العجب يؤدِّي إلى الكبر وكفى به آفة. (١٥) العجب يؤدِّي إلى الغرور والتَّعالي على  
النَّاس ممَّا يجعلهم يكرهونه.  
(١٢) العجب يؤدِّي إلى نسيان الذَّنوب وإرجاء التَّوبة.  
(١٣) العجب يؤدِّي إلى التقليل من الطَّاعات والتَّقصير فيها.  
(١٤) أكثر سعي المعجب بنفسه المدلَّ بها سعي ضائع وغير مشكور.  
(١٧) المعجب بنفسه يلقي بها إلى الهلاك ويحرمها من رضوان الله ومن ثمَّ رضا النَّاس.

(١) إحياء علوم الدين ٣ / ٣٧٤ - ٣٧٨ (بتصرف واختصار).

## الكذب

## الكذب لغة:

مصدر قولهم: كذب يكذب، وهو مأخوذ من مادة (ك ذ ب) التي تدلّ على خلاف الصدق، قال ابن فارس: وتلخيص هذا: «أنّه لا يبلغ نهاية الكلام في الصدق» من ذلك: الكذب، خلاف الصدق، يقال كذب كذبا، وكذبت فلانا: نسبتته إلى الكذب، وأكذبت وجده كاذبا، وحمل فلان ثمّ كذب وكذّب. أي لم يصدق في الحملة، وقولهم: ما كذّب فلان أن فعل كذا، أي ما لبث، فأما قول العرب كذب عليك كذا، وكذبتك كذا، بمعنى الإغراء، أي عليك به، أو قد وجب عليك كما جاء في الحديث: «كذب عليكم الحجّ» أي وجب فكذا جاء عن العرب (١) (٢).

وقال الراغب: الكذب يقال في المقال والفعال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَاذِبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ١٦] (فهذا في القول)، وقال ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] وكذبهم في اعتقادهم لا في مقالهم، ومقالهم كان صدقا، أي قولهم ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] (٣)، وقول الله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ [النبا: ٢٨] كذّاب أحد مصادر المشدّد (أي كذّب)؛ لأنّ مصدره قد يجيء على تفعيل مثل تكليم، وعلى فعّال مثل كذّاب، وعلى تفعلة مثل توصية وعلى مفعّل مثل ممزّق، وقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢] كاذبة هو اسم يوضع موضع المصدر كالعاقبة والباقية (٤).

وقال القرطبي: الكاذبة مصدر بمعنى الكذب، والمعنى لا يسمع لها كذب، وقيل: الكاذبة صفة والموصوف محذوف، أي ليس لوقعها حال كاذبة، أو نفس كاذبة، أي كلّ من يخبر عن وقعها صادق.

وقال الثوري: ليس لوقعها أحد يكذب بها، وقال الكسائي: ليس لها تكذيب، أي ينبغي ألا يكذب بها أحد (٥).

(١) أي بمعنى الإغراء أو الوجوب فيكون على غير الأصل فيما استعملت له مادة (ك ذ ب).

(٢) مقاييس اللغة (٥ / ١٦٨).

(٣) المفردات للراغب (٤٢٧).

(٤) الصحاح (١ / ٢١٠).

(٥) تفسير القرطبي (١٧ / ١٢٧).

قال ابن منظور: الكذب نقيض الصدق، يقال: كذب يكذب كذبا وكذبا. وكذبة مثال همزة، وكذبان.

والكذّب: جمع كاذب، مثل راعع ورّكع.

والكذب: جمع كذوب، مثل صبور وصبر وكذب الرّجل: أخبر بالكذب<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الرّازي: وأكذبه: جعله كاذبا، أو ألفاه كاذبا: أو قال له: كذبت. وتكذّب فلان إذا تكلف الكذب.

وقد استعملت العرب الكذب في موضع الخطأ، قال الأخطل:

كذبتك عينك أم رأيت بواسطة غلس الظلام من الرّباب خيالا

ومنه حديث عروة، قيل له: إن ابن عباس يقول: إن النبي ﷺ لبث بمكة بضع عشرة سنة.

قال: كذب. أي أخطأ، ومنه قول عمر لسمره حين قال: المغمى عليه يصلي مع كل صلاة صلاة حتى يقضيها، فقال: كذبت، ولكنه يصليهن معا. أي أخطأت<sup>(٢)</sup>.

ويأتي الكذب بمعنى الجبن عن الثبات في الحرب. وبمعنى: معاريض الكلام والتورية<sup>(٣)</sup>.

#### الكذب اصطلاحا:

قال الجرجاني: كذب الخبر عدم مطابقته للواقع. وقيل هو إخبار لا على ما عليه المخبر عنه<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن حجر: الكذب: هو الإخبار بالشئ على خلاف ما هو عليه سواء كان عمدا أم خطأ<sup>(٥)</sup>.

قال التّهانوي: الكذب خلاف الصدق، قيل هو قبيح لعينه، وقيل لما يتعلّق به من المضارّ الخاصّة؛ لأنّ شيئا من الأقوال والأفعال لا يحسن لذاته ولا يقبح لذاته<sup>(٦)</sup>.

(١) لسان العرب: (١/ ٧٠٤، ٧٠٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث: ٤ (١٥٩، ١٦٠) باختصار.

(٣) انظر لسان العرب والصحاح والنهاية: مادة كذب.

(٤) التعريفات (١٨٣) وانظر التوقيف (٢٨٠).

(٥) فتح الباري (٦/ ٢٤٢).

(٦) كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ١٢٤٣).

وقال الجاحظ: الكذب: هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو به<sup>(١)</sup>.  
 وقال الكفوي: الكذب: إخبار عن المخبر به على خلاف ما هو به مع العلم بأنه كذلك وقيل:  
 عدم المطابقة لما في نفس الأمر مطلقا.  
 قال: وليس كذلك، بل هو عدم المطابقة عمّا من شأنه أن يطابق لما في نفس الأمر<sup>(٢)</sup>.

### الكذب قد يكون بالأفعال:

يقول الشيخ الميداني: وكما يكون الصدق والكذب في الأقوال يكونان في الأفعال. فقد يفعل الإنسان فعلا يوهم به حدوث شيء لم يحدث، أو يعبر به عن وجود شيء غير موجود، وذلك على سبيل المخادعة بالفعل مثلما تكون المخادعة بالقول، وربما يكون الكذب في الأفعال أشدّ خطرا وأقوى تأثيرا من الكذب في الأقوال. ومن أمثلة ذلك ما حكاه الله لنا من أقوال وأفعال إخوة يوسف عليهم السلام، إذ جاءوا أباهم عشاءا يبكون بكاء كاذبا، وقالوا - كذبا -: ﴿يٰٓأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ﴾ [يوسف: ١٧]، وجاءوا على قميص يوسف بدم كذب. فجمعوا بين كذب القول وكذب الفعل<sup>(٣)</sup>.

### الرخصة في الكذب:

قال النووي: اعلم أنّ الكذب يجوز - وإن كان أصله محرّما - يجوز في بعض الأحوال بشروط مختصرها: أنّ الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكلّ مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه، وإن لم يكن تحصيله إلا بالكذب، ثمّ إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحا كان الكذب مباحا، وإن كان واجبا كان الكذب واجبا. فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله، أو أخذ ماله، وأخفى ماله، وسئل إنسان عنه وجب الكذب بإخفائه. وكذا الوديعه... إلى أن قال والأحوط في هذا كلّهُ أن يورّي. ومعنى التورية: أن يقصد بعبارة مقصودا صحيحا ليس هو كاذبا بالنسبة إليه، وإن كان كاذبا في ظاهر اللفظ، وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب، ولو ترك التورية وأطلق عبارة الكذب فليس بحرام في هذا المجال<sup>(٤)</sup>.

(١) تهذيب الأخلاق للجاحظ ص ٣٢.

(٢) الكليات (٥٥٦).

(٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها (١ / ٥٢٩).

(٤) رياض الصالحين (٤٥٩).

قال الجاحظ: ما لم يكن لدفع مضرة لا يمكن أن تدفع إلا به، أو اجترار نفع لا غنى عنه، ولا يتوصّل إليه إلا به فإنّ الكذب عند ذلك ليس بمستقبح، وإنّما يستقبح الكذب إذا كان عبثاً، أو لنفع يسير لا خطر له<sup>(١)</sup>.

وقال الراغب: الكذب يكون قبيحاً بثلاثة شرائط:

الأوّل: أن يكون الخبر بخلاف المخبر عنه.

الثاني: أن يكون المخبر قد اختلقه قبل الإخبار به.

الثالث: أن يقصد إيراد ما في نفسه.

قال: ولا يلزم على هذا أن يقال: جوّزوا الكذب فيما يرجى منه نفع دنيويّ، فإنّ المنفعة الدنيويّة ولو كانت ملك الدّنيا بحذافيرها - لا تعادل الضّرر الحاصل من أدنى كذب، وإنّما يتصوّر ما قلناه في نفع أخرويّ يكون الإنسان فيه - عاجلاً وآجلاً - معذوراً، كمن سألك عن مسلم استتر في دارك وهو يريد قتله.

فيقول: هل فلان في دارك فتقول: لا فهذا يجوز؛ لأنّ نفع هذا الكذب موف على ضرره وهو فيه معذور<sup>(٢)</sup>.

وقال الماورديّ: وردت السنّة بإرخاص الكذب في الحرب وإصلاح ذات البين، على درجة التّورية دون التّصريح به؛ فإنّ السنّة لا ترد بإباحة الكذب؛ لما فيه من التّنفير، وإنّما ذلك على طريق التّورية والتّعريض، كما سئل ﷺ: ممّن أنت؟ قال: «من ماء»؛ فورى عن الإخبار بنسبه بأمر محتمل، وكما في إجابة أبي بكر رضي الله عنه عندما سئل عن الرّسول الكريم فقال: هاد يهديني السّبيل، فظنّوا أنّه يعني هداية الطّريق، وهو إنّما يريد هداية سبيل الخير<sup>(٣)</sup>.

### دواعي الكذب وأماراته:

للکذب دواع تدعو إليه وأمارات تدلّ عليه، ولا شكّ أنّ معرفة هذه الدّواعي وتلك الأمارات ممّا يساعد في محاولة العلاج؛ لأنّ الخطوة الأولى في علاج أيّ مرض، تنحصر في معرفة أسبابه وتحديد أعراضه للقضاء عليها والتخلّص منها، وقد ذكر الماورديّ من هذه الدّواعي أو الأسباب:

(١) تهذيب الأخلاق (٣٢).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٧٢).

(٣) باختصار عن أدب الدنيا والدين (٢٥٧).

- ١- اجتلاب النّفع واستدفاع الصّبر، فيرى الكذّاب أنّ الكذب أسلم وأغنم، فيرخص لنفسه فيه اغترارا بالخدع، واستشفافا للطّمع.
- ٢- أن يؤثر أن يكون حديثه مستعذبا، وكلامه مستظرفا، فلا يجد صدقا يعذب ولا حديثا يستظرف، فيستحلي الكذب الذي ليست غرائزه معوزة، ولا طرائفه معجزة.
- ٣- أن يقصد بالكذب التّشفي من عدوّه فيسمه بقبائح يخترعها عليه، ويصفه بفضائح ينسبها إليه.
- ٤- أن تكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتّى ألفها، فصار الكذب له عادة، ونفسه إليه منقادة<sup>(١)</sup>.
- ٥- حبّ التّراس، وذلك أنّ الكاذب يرى له فضلا على المخبر بما أعلمه، فهو يتشبه بالعالم الفاضل في ذلك<sup>(٢)</sup>.

#### أما أمارات الكذب فمنها:

- أنتك إذا لقتته الحديث تلقّنه، ولم يكن بين ما لقتته (إياه) وبين ما أورده فرق عنده، أي أنّه يخلط بين ما سمعه منك وما اخترعه من عنده.
- أنتك إذا شكّكته في الحديث تشكّك حتّى يكاد يرجع فيه.
- أنتك إذا رددت عليه قوله حصر وارتبك، ولم يكن عنده نصرّة المحتجّين ولا برهان الصّادقين.

ما يظهر عليه من ريبة الكذّابين، ولذلك قال بعض الحكماء «الوجوه مرايا، تريك أسرار البرايا» وإذا اتّسم بالكذب، نسبت إليه شوارد الكذب المجهولة (أي الشّائعات وما في حكمها) وأضيفت إلى أكاذيبه زيادات مفتعلة، حتّى يصير هذا الكاذب مكذوبا عليه فيجمع بين معرّة الكذب منه، ومضرّة الكذب عليه<sup>(٣)</sup>.

#### أنواع الكذب والأسماء الدّالة عليه:

قال الرّاغب: الكذب إمّا أن يكون اختراعا لقصة لا أصل لها، أو زيادة في القصة أو نقصانا يغيّر المعنى، أو تحريفا بتغيير عبارة. فما كان اختراعا يقال له الافتراء والاختلاق.

(١) أدب الدنيا والدين (٢٥٦).

(٢) جعل الراغب ذلك من محبة النّفع الدنيوي وحب التّراس الداعي إلى الكذب، انظر الذريعة (٢٧٥).

(٣) أدب الدنيا والدين (٢٥٦).

وما كان من زيادة أو نقصان يقال له: مين.

وكلّ من أورد كذباً في غيره، فهو إمّا أن يقوله في حضرة المقول فيه أو في غيبته فإن كان اختراعاً في حضرة المقول فيه فهو بهتان<sup>(١)</sup>. وإن كان في غيبته فهو كذب.

### حكم الكذب:

ذكر الإمامان ابن حجر والذهبيّ الكذب (الذي لا رخصة فيه) من الكبائر، وأفحش الكذب ما كان كذباً على الله ﷻ أو رسوله ﷺ، وقد صرح العلماء بعد هذين النوعين (الكذب على الله والكذب على الرسول) من الكبائر، وذهب بعضهم إلى أنّ الكذب على الرسول ﷺ كفر، قال ابن حجر: ولا ريب أنّ تعمّد الكذب على الله ورسوله في تحليل حرام أو تحريم حلال كفر محض، وإنّما الكلام في الكذب عليهما فيما سوى ذلك<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر الذهبيّ أنّ الكذب في الحالتين السابقتين كبيرة، وأنّ الكذب في غير ذلك أيضاً من الكبائر في غالب أحواله<sup>(٣)</sup>.

### من معاني كلمة «الكذب» في القرآن الكريم:

- ١- بمعنى النفاق: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] أي ينافقون.
- ٢- بمعنى الإنكار: ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١] أي ما أنكر.
- ٣- بمعنى خلف الوعد: ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢] أي ردّ وخلف.
- ٤- بمعنى الكذب اللغويّ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [ق: ٥]، ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ [القمر: ٩]، ﴿فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبأ: ٤٥]، ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا﴾ [الأنعام: ٣٤]<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الافتراء- الإفك- البهتان- شهادة الزور- الفجور- النفاق- الرياء- الخداع- الغدر- نقض العهد- الإساءة- الضلال.

(١) الدرعية (٢٧٥).

(٢) الزواجر (١٢٤، ١٢٥).

(٣) انظر تفصيل ذلك في الكبائر (١٢٥-١٢٨).

(٤) بصائر ذوي التمييز (٤ / ٣٤٠).

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الصدق - الأمانة - الإيمان - البر - الاستقامة - إقامة الشهادة  
الكلم الطيب - التقوى].

\*\*\*

### من مضار (الكذب)

- (١) الكذب وسيلة لدمار صاحبه أمما وأفرادا. (٦) الكاذب مهان ذليل.
- (٢) الكذب قد يؤدي بصاحبه إلى النار. (٧) الأمم التي كذبت الرّسل لاقت مصيرها من الدّمار والهلاك.
- (٣) الكذب سراب يقربّ البعيد ويبعدّ القريب.
- (٤) الكذب يذهب المروءة والجمال والبهاء. (٨) يورث فساد الدّين والدّنيا.
- (٥) الكذّاب لصّ يسرق العقل كما يسرق (٩) دليل على خسة النّفس ودناءتها.
- (١٠) اللّصّ المال. (١٠) احتقار النّاس له وبعدهم عنه.
- (١١) يمقت نفسه بنفسه ويحتقرها. (١١) يمقت نفسه بنفسه ويحتقرها.

### الكرب

#### الكرب لغة:

الكرب مأخوذ من مادّة (ك ر ب) التي تدلّ على شدّة وقوّة، يقال: مفاصل مكربة، أي شديدة قويّة... ومن الباب: الكرب وهو الضّمّ الشديد، والكربة الشديدة من الشّدائد<sup>(١)</sup>.  
وجعل الرّاعب أصل المادّة من كرب الأرض وهو قلبها بالحفر فقال: الكرب: الغمّ الشديد قال الله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: ٧٦] والكربة كالغمّة وأصل ذلك من كرب الأرض وهو قلبها بالحفر، فالغمّ يثير النّفس إثارة ذلك<sup>(٢)</sup>.  
ويقول القرطبيّ في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات: ٧٦] والكرب: الغمّ الشديد<sup>(٣)</sup>.

(١) المقاييس (٥ / ١٧٤).

(٢) المفردات (٤٢٨).

(٣) القرطبي (١١ / ٣٠٦).

وقال ابن منظور: الكرب: الحزن والغمّ الذي يأخذ بالنفس، وجمعه كربوب، يقال: كربه الأمر، والغمّ يكربه كربا: اشتدّ عليه، فهو مكروب، وكريب، والاسم: الكربة. وإنه لمكروب النفس، وأمر كارب.

واكترب لذلك: اغتمّ. والكرائب: الشدائد، الواحدة كربية.

وفي الحديث: «كان إذا أتاه الوحي كرب له» أي أصابه الكرب، فهو مكروب، والذي كربه كارب<sup>(١)</sup>.

### الكرب اصطلاحاً:

قال النووي: الكرب: هو الغمّ الذي يأخذ بالنفس<sup>(٢)</sup>.

وقال المناوي: الكرب: هو الغمّ والضيق، وأصله من التغطية<sup>(٣)</sup>.

وقال الكفوي: الكرب: هو الغمّ الذي يأخذ بالنفس<sup>(٤)</sup>، والكربة: الحزن الذي يذيب القلب، أي يحيرّه ويخرجه عن أعمال الأعضاء، وربما أهلك النفس، وهي (الكربة) أشدّ من الحزن والغمّ<sup>(٥)</sup>.

### الفرق بين الحزن والكرب:

قال أبو هلال العسكري: الفرق بين الحزن والكرب: أن الحزن تكاثف الغمّ وغلظه، مأخوذ من الأرض الحزن وهو ما غلظ منها وصلب، والكرب تكاثف الغمّ مع ضيق الصدر. ولهذا يقال لليوم الحارّ: يوم كرب أي كرب من فيه، وكرب الرّجل إذا غمّه وضيق صدره<sup>(٦)</sup>.

### وجه النهي عن الكرب:

إذا كان الكرب يمثّل أقصى درجات الغمّ، وهذا أمر قد لا يكون فيه دخل للإنسان فإنّ المطلوب من المسلم عند حدوث الكرب أن يسأل الله تعالى أن يفرّج كربّه حتّى لا يستمرّ الحزن ويعتاد عليه ممّا يضعف قواه، وعلى المسلمين أيضاً أن يمدّوا يد العون للمكروب، حتّى يرجع إلى سابق عهده هاشاً باشاً منشراح الصدر مستقبلاً للحياة بما يرضاه الله له من عمل جادّ، ونفس راضية مطمئنة.

(١) لسان العرب (١/ ٧١١-٧١٢).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٢٣٨).

(٣) التوقيف (٢٨١).

(٤) الكليات (١١٤).

(٥) المرجع السابق (٧٢٢).

(٦) الفروق اللغوية (٢٦٢).

إنّ مجتمعا تسود فيه روح الأنانية ويترك المكروب نفسه أو يتركه إخوانه فريسة لهذه الحالة التي تتابها رغما عنه، هو مجتمع مفكك لا تعاون فيه على البرّ والتقوى، من هنا كانت دعوة الإسلام صريحة للتخلّص من هذا الداء العضال الذي يفقد الفرد قدرته على العمل والإنتاج ويفقد المجتمع تماسكه وقوّته.

[للاستزادة: انظر صفات: الحزن- القنوط- الوهن- اليأس- الضعف- القلق- العبوس- التطير.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: تفريح الكربات التوكل- طلاقة الوجه- الفرح- البشاشة- التفاؤل- الرضا- السكينة- الطمأنينة].

\*\*\*

### من مضار (الكرب)

- (١) دليل ضعف الدّين وقلة اليقين.  
 (٢) يورث المرض من دون جدوى.  
 (٣) اتّباع للشيطان وإغصاب للرّحمن.  
 (٤) دليل عدم الرّضا بالقدر.

### الكسل

#### الكسل لغة:

الكسل مأخوذ من مادّة «ك س ل» التي تدلّ على التثاقل عن الشّيء، والقعود عن إتمامه<sup>(١)</sup>. يقول الجوهري: الكسل: التثاقل عن الأمر، وقد كسل بالكسر فهو كسلان<sup>(٢)</sup>: الكسل التثاقل عمّا لا ينبغي أن يتثاقل عنه، والفعل كسل يكسل كسلا. ويقال: فلان لا تكسله المكاسل، يقول: لا تثقله وجوه الكسل<sup>(٣)</sup>. وفحل كسل، يكسل عن الضّراب. وامرأة مكسال: فاترة عن التّحرّك<sup>(٤)</sup> وهذا الأمر مكسلة أي يؤدّي إلى الكسل، ومنه الشّعب مكسلة، وقد كسله تكسيلا، وفلان لا يستكسل المكاسل أي لا يعتلّ بوجود الكسل<sup>(٥)</sup>.

(١) المقاييس (٥ / ١٧٨).

(٢) الصحاح (٥ / ١٨١٠).

(٣) تهذيب اللغة (١٠ / ٦٠، ٦١).

(٤) المفردات (٤٣١).

(٥) التاج (١٥ / ٦٥٥).

وقال ابن منظور: الكسل التثاقل عن الشيء والفطور عنه، يقال كسل عنه، بالكسر، كسلا، فهو كسل وكسلان والجمع كسالى وكسالى وكسلى، والأنثى كسلة وكسلانة، والمكسال والكسول: التي لا تكاد تبرح مجلسها وهو مدح لها مثل نؤوم الضحى وقد أكسله الأمر<sup>(١)</sup>.

### الكسل اصطلاحاً:

قال المناوي: الكسل: التغافل عمّا لا ينبغي التغافل عنه ولذلك عدّ مذموماً<sup>(٢)</sup> وضده النشاط.

وقال الراغب: الكسل: التثاقل عمّا لا ينبغي التثاقل عنه<sup>(٣)</sup>.

### الكسل انسلاخ من الإنسانية:

قال الإمام الراغب: من تعطلّ وتبطلّ انسلخ من الإنسانية، بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى. ومن تعود الكسل ومال إلى الراحة فقد الراحة، وقد قيل: إن أردت ألا تتعب فاتعب لئلا تتعب، وقيل أيضاً: إياك والكسل والضجر، فإنك إن كسلت لم تؤدّ حقاً، وإن ضجرت لم تصبر على الحق، ولأن الفراغ يبطل الهيئات الإنسانية فكل هيئة، بل كل عضو ترك استعماله يبطل، كالعين إذا غمضت، واليد إذا عطلت، ولذلك وضعت الرياضات في كل شيء، ولما جعل الله -تعالى- للحيوان قوة التحرك لم يجعل له رزقا إلا بسعي ما منه؛ لئلا تتعطل فائدة ما جعل له من قوة التحرك، ولما جعل للإنسان قوة الفكرة ترك من كل نعمة أنعمها تعالى عليه جانبا يصلحه هو بفكرته لئلا تبطل فائدة الفكرة، فيكون وجودها عبثاً، وكما أن البدن يتعود الرفاهية بالكسل، كذلك النفس تتعوده بترك النظر، والتفكير ممّا يجعلها تتبدل وتبلى، وترجع إلى رتبة البهائم، وإذا تأملت قول النبي ﷺ: «سافروا تغنموا» ونظرت إليه نظراً عالياً، علمت أنه حثك على التحرك الذي يثمر لك جنة المأوى ومصاحبة الملائكة الأعلى، بل مجاورة الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

### أقسام الكسل:

الكسل قسمان: الأول: كسل العقل بعدم إعماله في التفكير والتدبر والنظر في آلاء الله من ناحية وفي

(١) لسان العرب (١١ / ٥٨٧).

(٢) التوقيف (٢٨١).

(٣) المفردات (٤٣١).

(٤) باختصار وتصرف يسير عن: الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٨٤).

تركه النظر إلى ما يصلح شأن الإنسان، ومن حوله في الدنيا التي فيها معاشه. وليس تأخر الأمم ناتجا إلا عن كسل أصحاب العقول فيها وقلة اكتراثهم بالقوة الإبداعية المفكرة التي أودعها الله فيهم.

الثاني: كسل البدن بما يشتمل عليه من الجوارح، وينجم عن هذا الكسل تأخر الأفراد، بله الأمم في مجالات النشاط المختلفة من زراعة وصناعة وغيرهما<sup>(١)</sup>.

قال في القاموس المحيط: الثقل: ضد الخفة.

وتثاقل عنه: ثقل وتباطأ، والقوم: لم ينهضوا للنجدة، وقد استنهضوا لها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر. ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوأ. ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام. ثم أمر رجلا، فيصلّي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر حيا من أحياء العرب، فتثاقلوا عليه، فأمسك عنهم المطر، فكان ذلك عذابهم<sup>(٣)</sup>.

وقال الألويسي رحمته الله في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]: أي اثاقلتم مائلين إلى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاقّ الجهاد ومتاعبه المستتعبة للراحة الخالدة والحياة الباقية أو إلى الإقامة بأرضكم ودياركم والأول أبلغ في الإنكار والتوبيخ ورجح الثاني بأنه أبعد عن توهم شائبة التكرار في الآية<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التهاون - صغر الهمة - الضعف - الوهن - الإهمال - التخلف عن

الجهاد - التفريط والإفراط - البلادة والغباء - التخاذل.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: النشاط - علو الهمة - العمل - القوة - قوة الإرادة - المسؤولية -

العزم والعزيمة - الشهامة].

(١) كتبت هذه الفقرة استنباطا مما ذكره الراغب في الذريعة تحت عنوان مدح السعي وذم الكسل (٢٨٣).

(٢) رواه البخاري - الفتح ٢ (٦٤٤) ومسلم (٦٥١) واللفظ له.

(٣) أخرجه الطبري: ١٤ / ٢٥٤ - ٢٥٥، وصححه الحاكم في المستدرک: ٢ / ١١٨.

(٤) روح المعاني، الألويسي (١٠ / ٩٥).

## من مضار (الكسل)

- (١) يؤدّي إلى موت الهمم وقبر التّبوغ. (٤) مظهر من مظاهر تأخّر الأمم والشّعوب.  
 (٢) طريق موصل إلى استباحة أموال الناس (٥) دليل على سقوط الهمة.  
 بغير حقّ. (٦) يورث الذلّ والهوان.  
 (٣) ينمّ عن عجز الإنسان وبعده عن ربّه.

## الكفر

## الكفر لغة:

مصدر قولهم: كفر يكفر كفرا وهو مأخوذ من مادة (ك ف ر) التي تدلّ على السّتر والتّغطية.  
 يقول ابن فارس: يقال لمن غطّى درعه بثوب قد كفر درعه، والمكفر: الرّجل المتغطّي  
 بسلاحه، فأما قوله:

حتّى إذا ألقيت يدا في كافر وأجنّ الثّغور ظلّامها  
 فيقال: إنّ الكافر مغيب الشّمس، وقيل البحر، ويشبه النّهر بالبحر فيقال كافر، والزّارع كافر  
 لأنّه يغطّي الحبّ بتراب الأرض قال تعالى: ﴿أَعَجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ﴾ [الحديد: ٢٠] قال القرطبي:  
 الكفّار هنا الزّراع لأنّهم يغطّون البذر<sup>(١)</sup>.

والكفر ضدّ الإيمان، سمّي بذلك لأنّه تغطية الحقّ، وكذا كفران النّعمة: جحودها وسترها<sup>(٢)</sup>.  
 وقال الرّاعب: الكفر في اللّغة: ستر الشّيء، ووصف اللّيل بالكافر لستره للأشخاص، والزّراع  
 لسترهم البذر في الأرض، وليس ذلك باسم لهما كما قال بعض أهل اللّغة، وكفر النّعمة وكفرانها  
 سترها بترك أداء شكرها، وأعظم الكفر جحود الوحدانيّة أو الشّريعة أو النّبوة، ولّمّا كان  
 الكفران يقتضي جحود النّعمة صار يستعمل في الجحود - قال تعالى -: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾  
 [البقرة: ٤١] أي جاحد له وساتر، وقد يقال كفر لمن أخلّ بالشّريعة وترك ما لزمه من شكر الله تعالى،

(١) تفسير القرطبي (١٧ / ١٦٥)، وفي الآية أقوال أخرى منها: أن المراد هم الكفار بالله لأنهم أشدّ إعجابا بزينة الدنيا من  
 المؤمنين.

(٢) مقاييس اللّغة (٥ / ١٩١).

قال سبحانه: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ [الروم: ٤٤] يدل على ذلك مقابلته بقوله: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤] (١).

والكفر نقيض الإيمان في قولهم: آمنّا بالله وكفرنا بالطّاغوت يقال: كفر بالله يكفر كفرا. وكفورا وكفرانا، ويقال لأهل دار الحرب: قد كفروا أي عصوا وامتنعوا. والكفر: كفر النعمة وهو نقيض الشكر، وكفر نعمة الله يكفرها كفورا وكفرانا، وكفر بها: جحدها وسترها.

ورجل مكفّر: مجحود النعمة مع إحسانه، ورجل كافر: جاحد لأنعم الله مشتق من الستر، وقيل: لأنّه مغطّى على قلبه، وجمع الكافر كفّار، وكفرة، وكفار، مثل جائع وجياع، ونائم ونيام، قال القطامي:

وشقّ البحر عن أصحاب موسى وغرقت الفراعنة الكفار  
وجمع الكافرة: الكوافر.

ويقال إنّما سمّي الكافر كافرا؛ لأنّ الكفر غطّى قلبه كلّهُ. وكلّ من ستر شيئا فقد كفره، وكفّره، وقولهم أكفرت الرّجل: دعوته كافرا، وكفّر الرّجل: نسبه إلى الكفر، والكفور: المبالغ في كفران النعمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفُورٌ﴾ [الزخرف: ١٥]، والكفّار أبلغ من الكافر، قال تعالى: ﴿كُلُّ كَفَّارٍ عِنْدِي﴾ [ق: ٢٤].

ويقال: كفر فلان: إذا اعتقد الكفر، ويقال: كفر إذا أظهر الكفر وإن لم يعتقد. والتكفير: الدّل والخضوع.

قال ابن الأثير: التكفير: هو أن ينحني الإنسان ويطأ طيء رأسه قريبا من الرّكوع كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه (٢).

### الكفر اصطلاحا:

هو ستر نعمة المنعم بالجحود أو بعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم (٣).

(١) المفردات للراغب (٤٣٤).

(٢) الصحاح، للجوهري (٢/ ٨٠٧، ٨٠٨)، والنهاية، لابن الأثير (٤/ ١٨٨)، ولسان العرب، لابن منظور (٥/ ١٤٦ - ١٤٩)، والقاموس المحيط (٦٠٥)، وبصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي (٤/ ٣٦١ - ٣٦٥).

(٣) التعريفات للجرجاني (١٨٥).

وقيل هو: الإنكار المتعمد لما جاء به محمد ﷺ أو بعض ما جاء به محمد ﷺ مما علم من دينه بالضرورة، وهذا هو الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة وما عداه فهو باطل.

وقال المناوي: الكفر: تغطية ما حقه الإظهار، والكفران: ستر نعمة المنعم بترك شكرها، وأعظم الكفر: جحود الوجدانية أو النبوة أو الشريعة، ولفظ الكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً والكفر في الدين أكثر، والكفور فيهما جميعاً<sup>(١)</sup>.

وقال التهانوي ما خلاصته: الكفر شرعاً: خلاف الإيمان عند كل طائفة.

فعند الأشاعرة عدم تصديق الرسول ﷺ في (كل أو بعض) ما علم مجيئه من الدين بالضرورة، ومن قال: إن الإيمان هو المعرفة بالله قال: الكفر هو الجهل بالله، ومن قال: إن الإيمان هو الطاعة قال: إن الكفر هو المعصية، وقد اختلف في المعصية التي تكفر صاحبها فقالت الخوارج: كل معصية كفر، وقسمت المعتزلة المعاصي إلى ثلاثة أقسام، يكفر منها ما دل على الجهل بالله ووحده وما لا يجوز عليه<sup>(٢)</sup>.

### أنواع الكفر:

قال بعض أهل العلم: الكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق، ومن لقي ربه بشيء من ذلك لم يغفر له، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فأما كفر الإنكار فهو أن يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد وكذلك روي في تفسير قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] أي الذين كفروا بتوحيد الله. وأما كفر الجحود فأن يعرف بقلبه ولا يقرب بلسانه، فهذا كافر جاحد ككفر إبليس، وكفر أمية بن أبي الصلت، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] يعني كفر الجحود، وأما كفر المعاندة فهو أن يعرف بقلبه ويقرب بلسانه، ويأبى أن يقبل ككفر أبي طالب حيث يقول:

ولقد علمت بأن دين محمد  
من خير أديان البرية ديناً  
لولا الملامة أو حذار مسبة  
لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

(١) التوقيف (٢٨٢).

(٢) والقسمان الآخران: أحدهما ما يجعل صاحبه في منزلة بين المنزلتين وهو مرتكب الكبائر والآخر لا يخرج صاحبه عن الإيمان وهو مرتكب الصغائر، انظر كشف اصطلاحات الفنون (٣/ ١٢٥١).

وأما كفر النفاق فإن يكفر بقلبه ويقرّ بلسانه<sup>(١)</sup>.

وقال ابن القيم رحمته: الكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر. فالكفر الأكبر: هو الموجب للخلود في النار. والأصغر: موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «اثنان في أمّتي، هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت» [رواه مسلم]<sup>(٢)</sup>.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» رواه البخاريّ ومسلم.

الكفر الأكبر: وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شكّ، وكفر نفاق.

فأما كفر التكذيب: فهو اعتقاد كذب الرّسل.

وهذا القسم قليل في الكفار. فإنّ الله تعالى أيد رسله، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجّة. وأزال به المعذرة. قال الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَانَّهُمْ لَا يُكذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]. وإن سمي هذا كفر تكذيب أيضاً فصحيح. إذ هو تكذيب باللسان.

وأما كفر الإباء والاستكبار: فنحو كفر إبليس.

فإنّه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار. وإنّما تلقاه بالإباء والاستكبار. ومن هذا كفر من عرف صدق الرّسول وإنّه جاء بالحقّ من عند الله. ولم ينقد له إباء واستكباراً، وهو الغالب على كفر أعداء الرّسل. كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَدِيدُونَ﴾؟ [المؤمنون: ٤٧].

وأما كفر الإعراض: فإنّ يعرض بسمعه وقلبه عن الرّسول لا يصدّقه ولا يكذّبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتّة.

وأما كفر الشكّ: فإنّه لا يجزم بصدقه ولا يكذّبه. بل يشكّ في أمره. وهذا لا يستمرّ شكّه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرّسول صلى الله عليه وسلم جملة فلا يسمعها ولا يلتفت إليها. وأما مع التفاتها إليها، ونظره فيها: فإنّه لا يبقى معه شكّ.

(١) تهذيب اللغة للأزهري (١٠ / ١٩٣، ١٩٤).

(٢) مسلم (٦٧).

وأما كفر النفاق: فهو أن يظهر بلسانه الإيمان. وينطوي بقلبه على التكذيب. فهذا هو النفاق الأكبر.

### كفر الجحود:

وأما كفر الجحود فهو نوعان: كفر مطلق عام، وكفر مقيد خاص: فالمطلق: أن يجحد جملة ما أنزله الله، وإرساله الرسول. والخاص المقيد: أن يجحد فرضا من فروض الإسلام، أو تحريم محرّم من محرّماته، أو صفة وصف الله بها نفسه، أو خبرا أخبر الله به، عمدا أو تقديما لقول من خالفه عليه لغرض من الأغراض<sup>(١)</sup>.

### كفر العمل وكفر الاعتقاد:

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله: من الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا ولا يكون كافرا، بل هو كافر مطلقا. إمّا كفر عمل، وإمّا كفر اعتقاد، وما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، من رواية طاوس وغيره يدلّ على أنّ الحاكم بغير ما أنزل الله كافر، إمّا كفر اعتقاد ناقل عن الملة. وإمّا كفر عمل لا ينقل عن الملة.

أما القسم الأوّل، وهو كفر الاعتقاد فهو أنواع:

**أحدها:** أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقيّة حكم الله ورسوله. وهو معنى ما روي عن ابن عباس، واختاره ابن جرير أنّ ذلك هو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم.

**الثاني:** أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقّا، لكن اعتقد أنّ حكم غير الرسول صلّى الله عليه وآله أحسن من حكمه، وأتمّ وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع، إمّا مطلقا أو بالنسبة إلى ما استجدّ من الحوادث. التي نشأت عن تطوّر الزمان وتغيّر الأحوال، وهذا أيضا لا ريب أنّه كفر، لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان وصرف حثالة الأفكار على حكم الحكيم الحميد.

**الثالث:** أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله، لكن اعتقد أنّه مثله، فهذا كالنوعين

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٦٤ - ٣٦٧)

اللذين قبله، في كونه كافرا الكفر الناقل عن الملة، لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق، والمناقضة والمعاندة لقوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

**الرابع:** أن لا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلا لحكم الله ورسوله. فضلا عن أن يعتقد كونه أحسن منه. لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله. فهذا كالذي قبله يصدق عليه ما يصدق عليه. لا اعتقاده جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه.

**الخامس:** وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع. ومكابرة لأحكامه، ومشاققة لله ولرسوله، وتشكيلا وتنويعا وحكما وإلزاما، ومراجع ومستندات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستندات، مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلهذه المحاكم مراجع هي: القانون الملقق من شرائع شتى وقوانين كثيرة.

**السادس:** ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر، والقبائل من البوادي ونحوهم، من حكايات آبائهم وأجدادهم، وعاداتهم التي يسمونها «سلومهم» يتوارثون ذلك منهم ويحكمون به ويحملون على التحاكم إليه عند النزاع. بقاء على أحكام الجاهلية وإعراضا ورغبة عن حكم الله ورسوله، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما القسم الثاني من قسمي الحاكم بغير ما أنزل الله: فهو مروى عن ابن عباس وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] كفر دون كفر، وقوله أيضا: «ليس بالكفر الذي تذهبون» وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغيرها ومجانبة الهدى. وهذا وإن لم يخرج كفه عن الملة، فإنه معصية عظمى أكبر من الكبائر كالزنا، وشرب الخمر، والسرقه، واليمين الغموس، وغيرها، فإن معصية سماها الله في كتابه: كفرا. أعظم من معصية لم يسمها كفرا، نسأل الله أن يجمع المسلمين على التحاكم إلى كتابه، انقيادا ورضاء إنه ولي ذلك والقادر عليه<sup>(١)</sup>.

### حكم الكفر:

ذكر ابن حجر: أن كفران نعمة الخلق المستلزم لكفران نعمة الحق من الكبائر وقال: عد هذا كبيرة هو ظاهر ما جاء في حديث الترمذي (من أعطي عطاء فوجد فليجز به، فإن لم يجد فليش؛ فإن

(١) رسالة تحكيم القوانين، للشيخ محمد بن إبراهيم (١٩-٢٢).

من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر) ومعنى الكفر هنا أنه يجبر إلى كفر نعم الله تعالى<sup>(١)</sup>.

أما الكفر الذي هو نقيض الإيمان فقد أشارت إلى حكمه الآية الكريمة ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨].

هذا في الآخرة، فأما في الدنيا فمنهم: أهل الكتاب، ومنهم المعاهدون ومنهم الملحدون، ومنهم المرتدون، ولكل حكمه الذي فصلته كتب الفقه.

### معاني كلمة «الكفر» في القرآن:

قال ابن الجوزي رحمته: ذكر أهل التفسير أن الكفر في القرآن على خمسة أوجه:

أحدها: الكفر بالتوحيد. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

والثاني: كفران النعمة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

والثالث: التبري. ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [العنكبوت: ٢٥] أي يتبرأ بعضهم من بعض.

والرابع: الجحود. ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩].

والخامس: التغطية. ومنه قوله تعالى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ [الحديد: ٢٠] يريد الزرّاع الذين يغطّون الحب<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الإلحاد- الجحود- الحكم بغير ما أنزل الله- الردة- الزندقة- الشرك- النفاق- نكران الجميل- الفسوق- العصيان- الفجور- موالة الكفار- الفساد- الأمن من المكر- الغي والإغواء- طول الأمل- الجهل- الإعراض.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإسلام- الاعتراف بالفضل- الإيمان- التقوى- الولاء والبراء الحكم بما أنزل الله- الصدق- الإحسان- الإخلاص- الاتباع- البصيرة- العلم].

\*\*\*

(١) الزواجر (٢٥٥).

(٢) نزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي (٥١٦).

## من مضار (الكفر)

- (١) الكفر الأكبر يخلد صاحبه في النار. (٥) ليس بعد الكفر ذنب.  
 (٢) يورث الذل في الدنيا والهوان على الله في (٦) اشمئزاز الناس منه وتأذيهم من شره.  
 الآخرة. (٧) معول هدم في المجتمع الذي يعيش فيه  
 (٣) الكافر خبيث النيّة فاسد الطويّة. وإن زعم الكافر أنه مصلح.  
 (٤) يورد صاحبه موارد الهلاك والردي. (٨) نجاسة الكافر وهوانه على الله ﷻ.

## الكنز

## الكنز لغة:

الكنز مصدر مأخوذ من مادّة (ك ن ز) التي تدلّ على تجمّع في شيء، من ذلك ناقة كناز اللحم أي مجتمعة، وكنزت التمر في وعائه أكنزه، وكنزت الكنز أكنزه<sup>(١)</sup>.  
 يقول الجوهري: الكنز المال المدفون، وقد كنّزته أكنزه، وفي الحديث: «كلّ مال لا تؤدّي زكاته فهو كنز» واكتنز الشيء اجتمع وامتلاً<sup>(٢)</sup>.  
 ويقال: كنزت البرّ في الجراب فاكتنزه، ويقال: شددت كنز القربة إذا ملأتها، ورجل مكنتز اللحم وكنيز اللحم<sup>(٣)</sup>.  
 وفي حديث أبي ذرّ «بشّر الكنازين برضف من جهنّم» هم جمع كناز، وهو المبالغ في كنز الذهب والفضّة، وادّخارهما وترك إنفاقهما في أبواب البرّ<sup>(٤)</sup>.  
 الكنز: اسم للمال إذا أحرز في وعاء، ولما يحرز فيه، ويقال: كنزه يكنزه كنزاً واكتنزه، وفي الحديث: «أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض»، قال العلاء بن عمرو الباهليّ: الكنز: الفضة

(١) مقاييس اللغة (٥ / ١٤١).

(٢) تهذيب اللغة (١٠ / ٩٨).

(٣) الصحاح (٣ / ٨٩٣).

(٤) النهاية (٤ / ٢٠٣).

في قوله:

كَانَ الْهَبْرَقِيُّ غَدَا عَلَيْهِمَا بِمَاءِ الْكَنْزِ أَلْبَسَهُ قَرَاهَا  
قال: وتسمي العرب كلّ كثير مجموع يتنافس فيه كنزا. وفي الحديث: «ألا أعلمك كنزا من  
كنوز الجنة: لا حول ولا قوّة إلا بالله»، وفي رواية: «لا حول ولا قوّة إلا بالله كنز من كنوز الجنة» أي  
أجرها مدّخر لقائلها والمتّصف بها كما يدّخر الكنز، وفي التّنزيل العزيز: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ  
الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤].

قال الطبري، اختلف أهل العلم في معنى الكنز: فقال بعضهم: هو كلّ مال وجبت فيه الزّكاة  
فلم تؤدّ زكاته، وقيل: كلّ ما زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز أدّيت فيه الزّكاة أو لم تؤدّ... وقيل  
الكنز كلّ ما فضل بعد المال عن حاجة صاحبه إليه والأصحّ في ذلك ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ  
كلّ مال أدّيت زكاته فليس بكنز، ولا يحرم اكتنازه وإن كثر، وكلّ مال لم تؤدّ زكاته فصاحبه مكنته  
معاقب مستحقّ وعيد الله - إلا أن يتفضّل عليه بعفوه - وإن قلّ إذا كان ممّا يجب فيه الزّكاة <sup>(١)</sup>.

وقال القرطبي: الكنز أصله في اللّغة: الضّمّ والجمع، ولا يختصّ ذلك بالذهب والفضّة،  
وقيل: الكنز كلّ شيء مجموع بعضه إلى بعض في بطن الأرض كان أو على ظهرها، قال ابن عمر:  
من كنزها فلم يؤدّ زكاتها فويل له، إنّما كان هذا قبل أن تنزل الزّكاة، فلمّا أنزلت جعلها الله طهرا  
للأموال، وقيل: الكنز ما لم تؤدّ منه الحقوق العارضة، كفك الأسير، وإطعام الجائع وغير ذلك  
وقيل: الكنز لغة: المجموع من التّقديين، وغيرهما من المال محمول عليهما بالقياس، وقيل:  
المجموع منهما ما لم يكن حليّا، لأنّ الحليّ مأذون في اتّخاذه ولا حقّ فيه، والصّحيح ما بدأنا  
بذكرة، وأنّ ذلك كلّه يسمّى كنزا لغة وشرعا والله أعلم <sup>(٢)</sup>.

ويقال: كنز الإنسان ما لا يكنزه. وكنزت السّقاء إذا ملأته، ويرى ابن عبّاس رضي الله عنهما في قوله  
تعالى في الكهف: ﴿وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] قال: ما كان ذهباً ولا فضّة ولكن كان علما  
وصحفا. وروي عن عليّ رضي الله عنه أنّه قال: أربعة آلاف وما دونها نفقة، وما فوقها كنز.  
والكنز في الأصل المال المدفون تحت الأرض فإذا أخرج منه الواجب عليه لم يبق كنزا وإن  
كان مكنوزا (أي مخبئا).

(١) جامع البيان (٦/ ٣٥٧-٣٥٩) بتصرف.

(٢) القرطبي (٤/ ٨١).

والكنّاز: المبالغ في كنز الذهب والفضة وادّخارهما وترك إنفاقهما في أبواب البرّ. وكنز الشيء في الوعاء والأرض يكثره كنزا: غمره بيده، وشدّ كنز القربة: ملاءها، وقد يستعمل الكنز اسما للشيء المكتنز. فيقال: هذا كنز عظيم أو كبير وما أشبه ذلك، ويرادفه «الخبئية» بمعنى المخبوءة وهي كلّ شيء ثمين خبيء في الأرض<sup>(١)</sup>.

### الكنز اصطلاحاً:

قال المناوي: الكنز: جمع المال بعضه على بعض وادّخاره، وقيل: المال المدفون وقد صار في الدين (الشرع) اسماً لكلّ مال لم يخرج منه الواجب وإن لم يكن مدفوناً<sup>(٢)</sup>.

وقال الكفوي: كلّ مال لم تؤدّ زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً، وكلّ مال أدّيت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً<sup>(٣)</sup>، وقيل: كلّ ما زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز، أدّيت منه الزكاة أو لم تؤدّها، وما دونه نفقة<sup>(٤)</sup>.

وقد يستعمل الكنز في معنى الشيء المكنوز ويصبح معناه الاصطلاحية حينئذ: المال الموضوع في الأرض، قاله الجرجاني<sup>(٥)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: اتباع الهوى - الأثرة - البخل - الشح - البر.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإنفاق - الجود الصدقة - السخاء - الكرم - الزكاة - الإحسان].

\*\*\*

### من مضار (الكنز)

- (١) يورث بغض الله ﷻ وكرهية الخلق.
  - (٢) يمنع القطر من السماء ويمنع البركة والنماء.
  - (٣) يعرّض صاحبه لأشدّ العقوبة في الآخرة
  - (٤) دليل سوء الظنّ بالله ﷻ.
  - (٥) دليل شحّ النفس ولؤم الطبع.
  - (٦) دليل على عدم حبّ الخير للآخرين.
- ويتعدّب صاحبه به في الدنيا.

(١) لسان العرب (٧/ ٣٩٣٧)، المصباح المنير (٢/ ٥٤١ - ٥٤٢).

(٢) التوقيف (٢٨٤).

(٣) الكليات (٧٤١) بتصرف.

(٤) المرجع السابق (٧٤٢).

(٥) انظر التعريفات (١٥٧).

## اللغو

## اللغو لغة:

اللغو مصدر لغا يلغو، وهو مأخوذ من مادة (ل غ و) التي تدلّ على معنيين: أولهما الدلالة على الشيء لا يعتدّ به، والآخر على اللهج بالشيء، فالأول اللغو: ما لا يعتدّ به من أولاد الإبل في الدية، يقال منه لغا يلغو لغوا، وذلك في لغو الأيمان، واللغا هو اللغو بعينه، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] أي ما لم تعقدوه بقلوبكم<sup>(١)</sup>.

ولغا الإنسان يلغو، ولغا يلغى، ولغى يلغى إذا تكلم بالمطرح من القول وما لا يعني، وألغى إذا أسقط<sup>(٢)</sup> يقول الطبري في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] اختلف أهل التأويل في معنى اللغو، فقال بعضهم لا يؤاخذكم الله بما سبقتكم به ألسنتكم من الأيمان على عجلة وسرعة فيوجب عليكم به كفارة إذا لم تقصدوا الحلف واليمين، وذلك كقول القائل فعلت هذا والله أو أفعله والله... إلخ.

وقال آخرون: بل اللغو من الأيمان التي يحلف بها صاحبها في حال الغضب على غير عقد قلب ولا عزم ولكن وصلة للكلام. وقال آخرون: هو الحلف على فعل ما نهى الله عنه وترك ما أمر الله بفعله. وقال آخرون: كلّ يمين وصل الرجل بها كلامه على غير قصد منه إيجابها على نفسه. قال: واللغو من الكلام كلّ كلام كان مذموماً وسقطاً لا معنى له مهجوراً، يقال: منه لغا فلان في كلامه يلغو لغوا إذا قال قبيحا من الكلام، ومنه ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]<sup>(٣)</sup>. وقال ابن منظور: اللغو واللغا: السقط وما لا يعتدّ به من كلام وغيره. ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع.

يقال: لغوت باليمين. ولغا في القول يلغو ويلغى لغوا ولغى - بالكسر - يلغى لغا وملغاة: أخطأ وقال باطلاً.

(١) المقاييس (٥ / ٢٥٥).

(٢) النهاية (٤ / ٢٥٧).

(٣) جامع البيان (٢ / ٤١٦، ٤٢٤).

قال رؤبة ونسبه ابن بَرِّي للعجاج:

وربَّ أسراب حجيج كظَّم عن اللُّغَا، ورفث التَّكَلَّم  
قال الشَّافعيّ: اللُّغو في لسان العرب، الكلام غير المعقود عليه، وجماع اللُّغو هو الخطأ إذا  
كان اللُّجاج والغضب والعجلة.  
وقيل: معنى اللُّغو الإثم، واللُّغو في الإيمان: ما لا يعقد عليه القلب، مثل قولك لا والله  
وبلى والله.

واللُّغو: ما لا يعتدّ به لقلته أو لخروجه على غير جهة الاعتماد من فاعله كقوله تعالى: ﴿لَا  
يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ ومنه قول عائشة رضي الله عنها: «إنَّ اللُّغو ما يجري في الكلام على غير عقد»،  
والغى: أسقط، واللاغية: اللُّغو، وفي حديث سلمان: إياكم وملغاة أول الليل يريد به اللُّغو. وكلمة  
لاغية: فاحشة، وفي التنزيل العزيز: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١] أي: كلمة ذات لغو، وقيل: أي  
كلمة قبيحة أو فاحشة، وقيل: أي باطلاً ومأثماً وقيل: شتماً، ولغا يلغو لغواً، تكلم، وفي الحديث  
«من قال يوم الجمعة والإمام يخطب لصاحبه: صه فقد لغا» أي تكلم، وقيل: فقد خاب، وألغيته أي  
خيّته، وفي الحديث: «من مسّ الحصى فقد لغا» أي تكلم، وقيل: عدل عن الصواب، وفي التنزيل  
العزيز: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ [الفرقان: ٧٢] أي مرّوا بالباطل <sup>(١)</sup>.

#### اللغو اصطلاحاً:

قال المناويّ: اللُّغو: ما تسبق إليه الألسنة من القول على غير عزم قصد إليه <sup>(٢)</sup>.  
وقال الجرجانيّ: اللُّغو: ضمّ الكلام ما هو ساقط العبرة منه، وهو الذي لا معنى له في حقّ  
ثبوت الحكم <sup>(٣)</sup>.

وقال الرَّاغب: اللُّغو من الكلام: ما لا يعتدّ به، وهو الذي يورد لا عن رويّة وفكر فيجري  
مجري اللُّغا <sup>(٤)</sup>، وقد يسمّى كلّ كلام قبيح لغواً <sup>(٥)</sup>.

(١) انظر لسان العرب (١٥ / ٤٥٠١).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٩٠).

(٣) التعريفات (٢٠٢).

(٤) اللغا: صوت العصافير ونحوها من الطيور.

(٥) المفردات (٤٥١).

وقال الكفوي: كل مطروح من الكلام لا يعتد به فهو لغو<sup>(١)</sup>. أمّا لغو اليمين فقد أوردت له كتب المصطلحات التعريفات الآتية.

يقول الجرجاني: لغو اليمين: هو أن يحلف على شيء ويرى الحالف أنه كذلك وليس هذا الشيء كما يرى في الواقع. هذا قول أبي حنيفة.

وقال الشافعي: هو ما لا يعقد الرجل قلبه عليه كقوله لا والله، بلى والله<sup>(٢)</sup>.

وقال المناوي: اللغو في الأيمان ما لا يعقد عليه القلب، وذلك ما يجري وصلاً للكلام بضرب من العادة كقولهم: كلاً والله<sup>(٣)</sup>. (وهذا يتفق مع رأي الشافعي - رضي الله عن الجميع).

### ونخلص مما سبق أنّ اللغو قسمان:

الأول: لغو الكلام، وهو ما يراد باللغو عند الإطلاق.

الثاني: لغو اليمين، وهو ما لا يعقد عليه القلب (رأي الشافعي) أو الحلف على شيء مطابق لاعتقاد الحالف، لا للواقع (رأي أبي حنيفة).

### الفرق بين اللغو واللغو:

قال الخليل: **اللغو**: كلام ليس من شأنك (أن تتكلم فيه) واللغو: كلام بشيء لم ترده<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: اللهو واللعب - الافتراء - البهتان - الغيبة - الفحش - الكذب - النميمة - البذاءة - الكذب - الاستهزاء - السخرية.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الصمت وحفظ اللسان حفظ الأيمان - كتمان السر - الكلم الطيب - تلاوة القرآن - الدعاء - الذكر].

\*\*\*

### من مضار (اللغو)

(١) يؤدّي إلى سخط الناس ومقتهم. (٢) الثرثارون بعيدون عن الله وعن الناس.

(١) الكليات (٧٧٨).

(٢) التعريفات (٢٠٢).

(٣) التوقيف (٢٩٠)، وقارن بالمفردات للراغب (٧٧٩).

(٤) المرجع السابق (٢٩٠).

- (٣) يورد صاحبه موارد الهلاك والردي. (٥) مظهر من مظاهر سوء الخلق.  
(٤) دليل على خفة العقل وقلة الفهم.

## اللهو واللعب

### اللهو لغة:

اللهو مصدر لها يلهو وهو مأخوذ من مادة (ل ه و) التي تدلّ على شغل عن شيء بشيء، فاللهو كل شيء شغلك عن شيء<sup>(١)</sup> واللهو: ما شغلك من هوى وطرب، يقال: لها يلهو، واللهو: الصدوف، يقال: لهوت عن الشيء ألهو لهوا، ولهيت عن الشيء ألهي لهيا ولهيانا إذا سلوت عنه، وتركت ذكره وأضربت عنه.

وألهاه: أي شغله، يقول ابن عرفة النحوي في قول الله جلّ وعزّ ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٣]: أي متشاغلة عمّا يدعون إليه قال: وهذا من لهي عن الشيء يلهي إذا تشاغل بغيره، قال: وهذا من قول الله جلّ وعزّ ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ [عبس: ١٠]: أي تشاغل، والنبي ﷺ لا يلهو لأنّه قال: ما أنا من دد ولا الدد مني<sup>(٢)</sup>.

وأصل اللهو الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة<sup>(٣)</sup>.

يقول الطبري في قوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام: ٧٠] يقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد ﷺ: ذر هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم إياه لعبا ولهوا فجعلوا حظوظهم من طاعتهم إياه اللّعب بآياته واللهو والاستهزاء بها إذا سمعوها وتليت عليهم فأعرض عنهم فإني لهم بالمرصاد<sup>(٤)</sup>.

وقال القرطبي: «أي لا تعلق قلبك بهم؛ فإنهم أهل تعنت، وإن كنت مأمورا بوعظهم. ومعنى لعبا ولهوا أي استهزاء بالدين الذي دعوتهم إليه، وقيل استهزؤوا بالدين الذي هم عليه فلم يعملوا

(١) المقاييس (٥ / ٢١٣).

(٢) التهذيب للأزهري (٦ / ٤٢٧ - ٤٢٩). والدّد: اللهو واللعب.

(٣) المصباح المنير (٢١٤).

(٤) جامع البيان للطبري (٥ / ٢٢٨).

به، والاستهزاء ليس مسوّغا في دين، وقيل: «لعبا ولهوا» باطلا وفرحا<sup>(١)</sup>.

اللهو: ما لهوت به ولعبت به. واللهو: اللّعب.

يقال: لهوت بالشّيء ألهو به لهوا وتلهّيت به إذا لعبت به وتشاغلته وغفلت به عن غيره. ولهيت عن الشّيء بالكسر، ألهى بالفتح، لهيا ولهيانا إذا سلوت عنه وتركت ذكره وإذا غفلت عنه واشتغلت.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾ [الجمعة: ١١]. قيل اللهو: الطّبل. وقيل: اللهو كلّ ما تلّهّي به، لها، يلهو، لهوا، والتّهى، وألهاه ذلك.

ولهت المرأة إلى حديث المرأة تلهو لهوا ولهوا: أنست به وأعجبها.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٦] وجاء في التفسير: أنّ لهو الحديث هنا الغناء؛ لأنّه يلهي به عن ذكر الله ﷻ، وكلّ لعب لهو. وقال قتادة في هذه الآية: أما والله لعلّه أن لا يكون أنفق مالا، وبحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق، وقد روي عن النبي ﷺ: أنّه حرّم بيع المغنّية وشراءها<sup>(٢)</sup>.

#### اللعب لغة:

اللّعب واللّعب ضدّ الجدّ، لعب يلعب لعبا ولعبا، ولعب وتلاعب وتلعب مرّة بعد أخرى<sup>(٣)</sup>. واللّعب كلّ عمل لا يجدي عليه نفعا.

والتّلعاب: اللّعب، صيغة تدلّ على تكثير المصدر وهي كثرة المزح والمداعبة ومنه حديث «أنّ عليّا كان تلعبا» والتّلعابة الكثير اللّعب<sup>(٤)</sup>.

#### اللهو اصطلاحا:

قال الجرجاني: اللهو الشّيء الذي يتلذّذ به الإنسان فيلهيه ثمّ ينقضي<sup>(٥)</sup>.

(١) القرطبي (٤ / ١٢).

(٢) لسان العرب (١٥ / ٢٥٨ - ٢٥٩). وانظر المصباح المنير (٢ / ٢٢٣).

(٣) لسان العرب (٥ / ٤٠٣٩).

(٤) المقاييس (٥ / ٢٥٣)، واللسان (٥ / ٤٠٣٩) والنهاية لابن الأثير (٤ / ٢٥٣).

(٥) التعريفات (ص ٢٠٤) وقد نقل ابن المناوي هذا التعريف في التوقيف (٢٩٣).

وقال المناوي: اللهو: ما يشغل الإنسان عمّا يعنيه ويهمّه، وقال الطّروشّي: أصل اللهو: التّرويح عن النّفس بما لا تقتضيه الحكمة<sup>(١)</sup>.

وقال الكفوي: كلّ باطل ألهى عن الخير وعمّا يعني فهو لهو<sup>(٢)</sup>.

#### اللعب اصطلاحاً:

قال الجرجاني: اللّعب: فعل الصّبيان من غير أن يعقب فائدة<sup>(٣)</sup>.

وقال الرّاعب: يقال: لعب فلان إذا فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً<sup>(٤)</sup>.

ومن ثمّ يكون اللّعب: هو أن يفعل الإنسان فعلاً لا يقصد به مقصداً صحيحاً (من جهة الشرع).

#### اللهو واللعب اصطلاحاً:

أن ينشغل الإنسان عمّا يعنيه ويهمّه ويمارس من الأفعال ما لا فائدة فيه ممّا لا يقصد به مقصد صحيح شرعاً<sup>(٥)</sup> ويكون ذلك بالإعراض عن الحقّ والإقبال على الباطل.

#### الفرق بين اللهو واللعب:

قال الكفوي: اللهو فيه صرف للهيمّ بما لا يحسن أن يصرف به. واللّعب فيه طلب للفرح (أو اللذة) بما لا يحسن أن يطلب به.

وقيل للهو: الاستمتاع بلذات الدّنيا (من غناء ونحوه).

واللّعب، العبث (بما لا طائل من ورائه).

وقيل: اللهو: الميل من الجدّ إلى الهزل، واللّعب: ترك ما ينفع إلى ما لا ينفع.

وقيل: اللهو: الإعراض عن الحقّ، واللّعب: الإقبال على الباطل<sup>(٦)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: اللغو - الإعراض انتهاك الحرمات - شرب الخمر - الفجور - الفسوق - التفريط والإفراط - اتباع الهوى.

(١) التوقيف (٢٩٣)، وانظر أيضاً المفردات للراغب (٤٥٥).

(٢) الكلبيات (٧٧٨).

(٣) التعريفات (٢٠٢).

(٤) المفردات (٤٥٠).

(٥) استنبطنا هذا التعريف من جملة أقوالهم في تعريف كل من اللهو واللعب.

(٦) الكلبيات للكفوي (٧٩٩) بتصرف.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التقوى- الذكر الصلاة- الطاعة- العبادة- العمل- تعظيم الحرمات].

\*\*\*

### من مضار (اللهو واللعب)

- (١) يقطع الصلة بين العبد وبين ربه شيئاً فشيئاً (٥) يضيع وقت المسلم بلا فائدة. ويصرفه عن من حيث لا يشعر. الطاعات وفعل الخيرات.
- (٢) يقع صاحبه في حبال الشيطان ويتعد عن (٦) يزرع النفاق في القلب. وينميه الشيطان ذكر الرحمن. ويحسنه ويزينه له حتى يصير منافقا خالصا.
- (٣) اللهو بأصنافه وأنواعه يجرّ المسلم إلى الباطل. (٧) تتضاءل شخصية صاحبه بين مجتمعه حتى
- (٤) سبب لهدر الأموال وإنفاقها بغير حقها. يحتقر وينبذ.

### اللؤم

#### اللؤم لغة:

اللؤم: شح النفس ودناءة الأصل، وهو مأخوذ من مادة (ل أم) التي تدل على ذلك، يقول ابن فارس: «اللأم والألف والميم أصلان: أحدهما: الاتفاق والاجتماع والآخر: خلق رديء، فمن الثاني: اللؤم: يقولون: إن اللئيم الشحيح المهين النفس الدني الأصل<sup>(١)</sup>.

اللؤم ضد الكرم. واللئيم: الدنا الأصل الشحيح النفس والمهين ونحوهم. وقد لؤم الرجل بالضم، يلؤم لؤماً على فعل، وملامة على مفعلة، ولامة على فعالة، فهو لئيم من قوم لئام ولؤماء، وملامان؛ وقد جاء في الشعر ألائم على غير قياس؛ قال:

إذا زال عنكم أسود العين كنتم كراماً، وأنتم ما أقام الأئام  
وأسود العين: جبل معروف، والأئى ملامانة، وقالوا في النداء: يا ملامان خلاف قولك يا مكرمان.

(١) المقاييس (٥ / ٢٢٦) بتصرف.

ويقال للرجل إذا سبَّ: يا لؤمان، ويا ملأمان ويا ملأم. والأم: أظهر خصال اللؤم. ويقال: قد أم الرجل إلاماً إذا صنع ما يدعوه الناس عليه لئما فهو ملثم. والأم: ولد اللثام؛ هذه عن ابن الأعرابي، واستلأم أصهاراً<sup>(١)</sup> لثاماً، واستلأم أباً إذا كان له أب سوء لثيم. ولأمه: نسبه إلى اللؤم. وأنشد ابن الأعرابي:

يروم أذى الأحرار كل ملأم وينطق بالعوراء من كان معورا

والملأم والملأم: الذي يعذر اللثام. والملثم:

الذي يأتي اللثام. والملثم: الرجل اللثيم<sup>(٢)</sup>.

### اللؤم اصطلاحاً:

لم تزد كتب المصطلحات في تعريفها للؤم على ما ذكره الكفوي من أن اللؤم ضد الكرم<sup>(٣)</sup> وهو عين ما ذكره اللغويون، ويمكننا في ضوء ذلك أن نعرف اللؤم بأنه: شحة النفس ومهانتها ودنوّ طبعها يقول ابن فارس: اللثيم: هو الشحيح المهين النفس، الدنيء<sup>(٤)</sup>.

ويقول الجوهري: اللثيم: الدنا الأصل الشحيح النفس<sup>(٥)</sup>. قلت: إنه إذا كان اللؤم ضد الكرم فإنه يمكن تعريفه بضد ما يعرف به الكرم، فإذا كان الكرم كما يقول الراغب: اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه<sup>(٦)</sup> (أي الكريم) فإن اللؤم يمكن أن يعرف بأنه: اسم للأخلاق والأفعال المذمومة التي تظهر من اللثيم، وكلّ خبث في بابه فهو لؤم كما أن كلّ شيء شرف في بابه فهو كرم. وإذا كان الكرم إفادة ما ينبغي لا لغرض كما يقول الجرجاني المناوي<sup>(٧)</sup>، فإن اللؤم: عدم إفادة ما ينبغي، أو إفادته لغرض كالرياء وجلب المنفعة والخلاص من الدّم ونحو ذلك.

[للاستزادة: انظر صفات: الخبث - الخداع - سوء المعاملة - الغش - المكر - نقض العهد.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الشهامة - المروءة - النبل - النزاهة - الأمانة].

(١) واستلأم أصهاراً لثاماً: هكذا في الأصل، وعبرة القاموس: واستلأم أصهاراً اتخذهم لثاماً.

(٢) لسان العرب (١٢ / ٥٣٠)، والصحاح (٥ / ٢٥٢٥)، والمصباح المنير (٢ / ٢٢٤).

(٣) الكليات للكفوي (٨٠٠).

(٤) مقاييس اللغة (٥ / ٢٢٦).

(٥) الصحاح (٥ / ٢٥٢٥).

(٦) المفردات للراغب (٤٢٩).

(٧) انظر التعريفات للجرجاني (١٩٣)، وو التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢٨١).

## من مضار (اللؤم)

- (١) يسخط الجبار ويؤذي إلى النار. (٤) لا يهنأ له عيش، ولا يقر له قرار.
- (٢) اللئيم مبعوض من الله والملائكة والناس (٥) يشوب قلبه الحسد والبغض لمن حوله. أجمعين.
- (٦) تستحکم فيه أنانية النفس ودناءتها.
- (٣) يشعر بالحقد والكراهية للمجتمع.

## المجاهرة بالمعصية

## المجاهرة لغة:

مصدر قولهم: جاهر يجاهر مجاهرة، وهو مأخوذ من مادة (ج هر) التي تدل على إعلان الشيء وكشفه وعلوه، يقال: جهرت بالكلام، أعلنت به، ورجل جهير الصوت، أي عاليه، قال الشاعر:

أخاطب جهرا إذ لهنّ تخافت وشتان بين الجهر والمنطق الخفت<sup>(١)</sup>

وقولهم: جهرت البئر واجتهرتها معناه نقيتها وأخرجت ما فيها من الحمأة، وهي بئر مجهورة (أي منقاة صافية)، وقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] أي عيانا يكشف ما بيننا وبينه<sup>(٢)</sup>، وأصل الجهر الظهور، ومن ذلك: الجهر بالقراءة إنما هو إظهارها والمجاهرة بالمعاصي، المظاهرة بها، ورأيت الأمير جهارا وجهرة أي غير مستتر بشيء<sup>(٣)</sup>، وقد لخص الفيروز ابادي معاني هذه المادة فقال: المادة موضوعة لإظهار الشيء بإفراط لحاسة البصر أو لحاسة السمع، أمّا البصر فنحو قولك: رأيت جهارا (بفتح الجيم وكسرها) وأمّا للسمع فنحو قولهم: جهر بالكلام<sup>(٤)</sup>، ومن الأخير ما جاء في حديث عمر رضي الله عنه أنه كان مجهرا، أي صاحب جهر ورفع لصوته<sup>(٥)</sup>، أمّا المجاهرون في قوله صلى الله عليه وسلم «كل أمتي معافي إلا المجاهرين»<sup>(١)</sup> فهم الذين جاهروا بمعاصيهم،

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ١ / ٤٨٧.

(٢) الصحاح ٢ / ٦١٧.

(٣) تفسير القرطبي ١ / ٤٠٤.

(٤) بصائر ذوي التمييز ٢ / ٤٠٤.

(٥) النهاية لابن الأثير ١ / ٣٢١، ووقع في اللسان تصحيف للفظ إذ ورد فيه «مجهرا» بكسر الميم وفتح الهاء، انظر اللسان ٤ /

الذين جاهروا بمعاصيهم، وأظهروها وكشفوا ما ستر الله عليهم منها فيتحدثون به<sup>(٢)</sup>.  
وقال ابن منظور: يقال: جهر بالقول، إذا رفع به صوته فهو جهير، وأجهر فهو مجهر إذا عرف  
بشدة الصوت، وجهر الشيء علن وبدا، وجهر بكلامه ودعائه وصوته وصلاته وقراءته يجهر جهرا  
وجهارا، وأجهر بذلك أعلنه وأظهره، وفرق بعضهم بين جهر وأجهر فقال: جهر: أعلى الصوت،  
وأجهر: أعلن، وكل إعلان جهر وجاهرهم بالأمر مجاهرة وجهارا: عالنهم، وأمر مجهر أي واضح  
بين، وقد أجهرته أنا إجهارا أي شهّرتة، فهو مجهور به مشهور، والمجهور من الآبار: المعمورة  
عذبة كانت أو ملحّة، والجهر أيضا: الاستخراج<sup>(٣)</sup> ومن ذلك ما جاء في حديث خبير: «وجد الناس  
بها بصلا وثوما فجهره» أي استخرجه وأكلوه (من قولهم: جهرت البئر إذا كانت مندفة  
فأخرجت ما فيها)<sup>(٤)</sup>، والأجهر من الرجال الذي لا يبصر في الشمس، والمجاهرة بالعداوة:  
المبادأة بها<sup>(٥)</sup> والمجاهرة بالسوء من القول في قوله ﷺ: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ  
ظَلَمَ﴾ [النساء: ١٤٨] فقد جاء في تفسيرها: لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول إلا من ظلم  
فلا يكره له الجهر به<sup>(٦)</sup>، وقال ابن كثير: فيما يرويه عن ابن عباس في هذه الآية: المعنى، لا يحب  
الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوما فقد رخص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك  
قوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ وإن صبر فهو خير له<sup>(٧)</sup>.

**المعصية لغة: انظر صفة العصيان.**

**المجاهرة بالمعصية اصطلاحاً:**

أن يرتكب الشخص الإثم علانية، أو يرتكبه سراً فيستره الله ﷻ، ولكنه يخبر به بعد ذلك  
مستهيناً بستر الله له.

(١) انظر في تخريج هذا الحديث، هامش (١) في قسم الاحاديث.

(٢) النهاية لابن الأثير ١ / ٣٢١.

(٣) لسان العرب ٤ / ١٥٢.

(٤) انظر النهاية لابن الأثير ١ / ٣٢١.

(٥) لسان العرب (باختصار وتصرف) ٤ / ١٤٩ - ١٥٢.

(٦) تفسير القرطبي ج ٦ ص ١، وقارن بالآثار التي وردت حول هذه الآية الكريمة في قسم الآثار.

(٧) تفسير ابن كثير ١ / ٤٨٥، وقد ذكر آراء أخرى في تفسير الآية سنذكرها في قسم الآثار، فلتنظر هناك.

قال ابن حجر: والمجاهر الذي أظهر معصيته، وكشف ما ستر الله عليه فيحدث بها<sup>(١)</sup>، أمّا المجاهرون في الحديث الشريف «كلّ أمّتي معافي إلاّ المجاهرين» فيحتمل أن يكون بمعنى: من جهر بالمعصية وأظهرها، ويحتمل أن يكون المراد: الذين يجاهر بعضهم بعضاً بالتحدّث بالمعاصي، قال ابن حجر: وبقية الحديث تؤكّد المعنى الأوّل<sup>(٢)</sup>.

### أنواع المجاهرة:

مما سبق يتّضح أنّ المجاهرة تكون على أنواع ثلاثة:

- ١- المجاهرة بمعنى إظهار المعصية وذلك كما يفعل المجّان والمستهترون بحدود الله، والذي يفعل المعصية جهاراً يرتكب محذورين: الأوّل: إظهار المعصية والآخر: تلبّسه بفعل المجّان، والمجانة (أي المجنون)، مذمومة شرعاً وعرفاً<sup>(٣)</sup>.
- ٢- المجاهرة بمعنى إظهار ما ستر الله على العبد من فعله المعصية، كأن يحدث بها تفاخراً أو استهتاراً بستر الله تعالى وهؤلاء هم الذين لا يتمتّعون بمعافة الله ﷻ.
- ٣- المجاهرة بمعنى أن يجاهر بعض الفسّاق بعضاً بالتحدّث بالمعاصي.

### هجر المجاهرين بالمعاصي:

قال شيخ الإسلام (ابن تيمية): إنّ المظهر للمنكر يجب الإنكار عليه علانية، ولا تبقى له غيبة، ويجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك، وينبغي لأهل الخير أن يهجروه ميتاً- إذا كان فيه ردع لأمثاله- فيتركون تشييع جنازته<sup>(٤)</sup>.

وقال صاحب الآداب الكبرى: يسنّ هجر من جهر بالمعاصي الفعلية والقولية والاعتقادية، وقيل: يجب ذلك إن ارتدع به، وإلاّ كان مستحباً، وقيل: يجب هجره مطلقاً إلاّ من السّلام بعد ثلاثة أيّام، وقيل ترك السّلام على من جهر بالمعاصي حتّى يتوب فرض كفاية، وظاهر كلام الإمام أحمد (بن حنبل) ترك السّلام والكلام مطلقاً<sup>(٥)</sup>.

(١) فتح الباري ١٠ / ٥٠٢.

(٢) انظر فتح الباري ١٠ / ٥٠٢.

(٣) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) غذاء الألباب ١ / ٢٥٩.

(٥) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

ونقل ابن حجر عن الإمام النووي قوله: من جاهر بفسقه أو بدعته جاز ذكره بما جاهر به دون ما لم يجاهر به<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: التفريط والإفراط الفسوق - الفجور - الكذب - الخداع - المكر. وفي ضد ذلك: انظر صفات: التقوى - الصدق - اليقين - محاسبة النفس].

\*\*\*

### من مضار (المجاهرة بالمعصية)

- (١) المجاهر بالمعصية ما جن أثيم يغضب الله ﷻ.  
 (٢) المجاهر يحرم نفسه من عفو الله تعالى.  
 (٣) المجاهرون بالمعاصي محتقرون من الناس مهجورون، لا يكلمهم الصالحون ولا يسلمون عليهم.  
 (٤) المجاهر بالمعصية يحلّ عرضه بحديث الناس عنه وعن جرائمه.  
 (٥) الجهر بالمعصية يؤدي إلى الإخلال بالقيم الدينيّة والأخلاقيّة في المجتمع.  
 (٦) الجهر بالمعاصي يستوجب ردع المجتمع للمجاهر وإنزال العقوبة اللائقة به.  
 (٧) المجاهر بالمعصية مفضوح بين الخلق حيّاً أو ميتاً، إذ لا يشترك الصالحون في تشييع جنازته، خاصّة إذا كان في ذلك ردع لأمثاله.

### المكر والكيد

#### المكر لغة:

المكر مصدر قولهم مكر به يمكر، وهو مأخوذ من مادة (م ك ر) التي تدلّ على الاحتيال والخداع<sup>(١)</sup>.

والمكر: احتيال بغير ما يضمّر، والاحتتيال بغير ما يبدي: هو الكيد، والكيد في الحرب حلال، والمكر في كلّ حلال حرام<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر فتح الباري ١٠ / ٥٠٢.

(٢) المقاييس (٥ / ٣٤٥).

(٣) العين للخليل بن أحمد (٥ / ٣٧٠).

المكر: احتيال في خفية، قال الله تعالى: ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ٥٠]. وقيل: المكر الخديعة والاحتيال، ويقال، مكر يمكر مكرًا ومكر به، ورجل مكار ومكور: مكار، وقال ابن سيدة: ولا أنكر أن يكون المكر الذي هو الخديعة<sup>(١)</sup>. وانظر صفة (الأمن من المكر).

#### المكر اصطلاحاً:

إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر<sup>(٢)</sup>. وعرفه بعضهم بأنه: صرف الغير عما يقصده بحيلة<sup>(٣)</sup>.

#### مكر الله ﷻ:

وأما المكر الذي وصف به نفسه فهو صفة فعل حقيقيّة على ما يليق بجلاله ومعناه مجازاته للماكرين بأوليائه ورسله، فيقابل مكرهم السيئ بمكره الحسن، فيكون المكر منهم أقبح شيء، ومنه أحسن شيء، لأنه عدل ومجازاة، وكذلك المخادعة منه جزاء على مخادعة رسله وأوليائه، فلا أحسن من تلك المخادعة والمكر<sup>(٤)</sup>.

وقال الجرجاني: المكر من جانب الحقّ تعالى هو إرداف النعم مع المخالفة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب وإظهار الكرامات من غير جهد. وقال الكفوي: مكر الله: إمهال العبد وتمكينه من أعراض الدنيا<sup>(٥)</sup>.

#### أنواع المكر:

أحدهما: مكر محمود، وذلك أن يتحرى بذلك فعل جميل، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾ [آل عمران: ٥٤].

والآخر: مذموم، وهو أن يتحرى به فعل قبيح كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر: ٤٣]<sup>(٦)</sup>.

(١) لسان العرب (٥ / ١٨٣).

(٢) التعريفات للجرجاني (٢٤٥).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (٦٧٣).

(٤) الفوائد لابن القيم (٢١٣).

(٥) التعريفات (٢٤٥)، والكليات (٧٧١).

(٦) المفردات (٤٧١)، والتوقيف (٣١٣)، والفوائد لابن القيم (٢١٣).

**حكم المكر:**

ذكر الذهبي وابن حجر أن المكر السيء من الكبائر، وقد احتج الذهبي بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، وبقوله ﷺ «المكر والخديعة في النار»<sup>(١)</sup>.  
 أما ابن حجر فقد عدّه من كبائر الباطن، التي يذمّ العبد عليها أعظم ممّا يذمّ على السرقة والزنا ونحوهما من كبائر الظاهر، وذلك لعظم مفسدتها وسوء أثرها ودوامه؛ لأن آثار هذه الكبائر الباطنة تدوم، بحيث تصير حالا وهيئة راسخة في القلب».

**الكيد نفة:**

الكيد مصدر قولهم: كاده يكيده وهو مأخوذ من مادة (ك ي د) التي تدلّ على معالجة شيء بشدة، ثم إنهم يتوسعون في ذلك فيسمون المكر كيدا<sup>(٢)</sup>، وقال الجوهري: المكر الكيد، وكلّ شيء تعالجه فأنت تكيده<sup>(٣)</sup>، وقال الراغب: الكيد ضرب من الاحتيال يكون مذموما وممدوحا، واستعماله في المذموم أكثر وكذلك الاستدراج والمكر، ومن أمثلة الم محمود قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]، وفي قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢] إشارة إلى أنه قد يهدي كيد من لم يقصد بكيد الخيانة ككيد يوسف لإخوته<sup>(٤)</sup>، وقال ابن منظور: الكيد: الخبث والمكر، والكيد الاحتيال والاجتهاد وبه سميت الحرب كيدا، والكيد التدبير بباطل أو حق، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾<sup>(٥)</sup> وأكيد كيدا [الطارق: ١٥، ١٦] قال فيه الزجاج: يعني به كيد الكفار وهو أنهم يخاتلون النبي ﷺ، ويظهرون ما هم على خلافه، أمّا كيد الله تعالى لهم فهو استدراجهم من حيث لا يعلمون، يقال: فلان يكيده أمرا ما أدري ما هو إذا كان يريد به ويحتال له ويسعى له ويختله<sup>(٥)</sup> (أي يدبره في خفاء).

**الكيد اصطلاحا:**

قال الجرجاني: هو إرادة مضرّة الغير خفية، وهو من الخلق: الحيلة السيئة، ومن الله تعالى:

(١) الكبائر للذهبي (٢٣٥).

(٢) مقاييس اللغة ٥ / ١٤٩.

(٣) الصحاح ٢ / ٥٣٣.

(٤) المفردات ص ٤٤٣.

(٥) لسان العرب ٣ / ٣٨٥ (ط. بيروت).

التدبير بالحقّ لمجازاة أعمال الخلق<sup>(١)</sup>.

وقال المناوي: الكيد إرادة مضرّة الغير حقيقة<sup>(٢)</sup> وهو ضرب من الاحتيال.

### العلاقة بين المكر والكيد:

كلّ من المكر والكيد فيه احتيال وإرادة الأذى بالغير خفية إلا أنّ الكيد - كما يقول الكفوي - أقوى من المكر<sup>(٣)</sup>، كما أنّ الكيد يجمع إلى المكر صفة الخبث<sup>(٤)</sup> وهو على ذلك مكر وزيادة، كما أنّ في الكيد مراعاة الاجتهاد كما قال عنه ابن الأثير<sup>(٥)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الأذى - الأمن من المكر - الخبث - الخداع - اللؤم - النفاق - نقض العهد - الغش - الغدر - الخيانة.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإحسان - الإخلاص - مجاهدة النفس - المراقبة - الأمانة - الاستقامة - الوفاء].

\*\*\*

### من مضار (المكر)

انظر مضار صفة (الأمن من المكر).

### المنّ

#### المنّ لغة:

المنّ مصدر منّ عليه منّا وهو مأخوذ من مادّة (م ن ن) التي تدلّ علي أصليين: أحدهما القطع والانتقطاع، والآخر على اصطناع خير، فمن الأوّل: مننت الحبل: قطعته، قال تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ مَّمْنُونٍ﴾ [التين: ٦] ومنه: منّ بيد أسداها، إذا قرّع بها.

(١) التعريفات ص ١٨٩.

(٢) وقد تصحّف على المناوي كلام الجرجاني فقال: وهو من الأخلاق الجبلية السيئة والصواب وهو من الخلق الجبلية السيئة، انظر التوقيف ص ٢٨٦.

(٣) انظر الكليات ٤ / ١٢٥.

(٤) انظر ما نقلناه عن اللسان في الكيد لغة.

(٥) قال ابن الأثير في النهاية (٤ / ٢١٧): الكيد: الاحتيال والاجتهاد فيه.

وهذا يدل على أنه قطع الإحسان. ومن الثاني: من يمنّ منّا، إذا صنع صنعا جميلا<sup>(١)</sup>.  
يقول الراغب: والمنّة: النعمة الثّقيلة، ويقال ذلك على وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك  
بالفعل، فيقال: من فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى.  
والثاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة، ولقبح  
ذلك قيل: المنّة تهدم الصّنيعة، ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كفرت النعمة حسنت المنّة،  
وقوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحجرات: ١٧] فالمنّة منهم بالقول، ومنّة الله عليهم بالفعل وهو  
هدايته إيّاهم كما ذكر<sup>(٢)</sup>.

ومنّ عليه منّا: أنعم، والمنان من أسماء الله تعالى. ومنّ عليه منّة، أي امتنّ عليه، قال أبو  
عبيد: رجل منونة: كثير الامتنان<sup>(٣)</sup>، ومننت عليه منّا عددت له ما فعلت له من الصّنائع، مثل أن  
تقول أعطيتك وفعلت لك، وهو تكدير وتغيير تنكسر منه القلوب، فلهذا نهى الشّارع عنه بقوله:  
﴿لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤] ومن هنا يقال: «المنّ أخو المنّ»، أي الامتنان  
بتعديد الصّنائع أخو القطع والهدم<sup>(٤)</sup>. وفي الحديث «ثلاثة يشنّوهم الله، منهم البخيل المنان» وقد  
يقع المنان على الذي لا يعطي شيئا إلا منّه، واعتدّ به على من أعطاه، وهو مذموم. والمنون من  
النساء التي تزوّج لمالها فهي أبدا تمنّ على زوجها، والمنانة كالمنون. وقال بعض العرب: لا  
تتزوّجنّ حنانة ولا منانة<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا

أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، أصل المنّ القطع، لأنّ  
المنعم يقطع قطعة من ماله لمن ينعم عليه، والمنّ (أيضا) النقص من الحقّ والبخس له، ومنه المنّ

(١) المقاييس (٥/ ٢٦٧). بتصرف.

(٢) المفردات (٤٩٤).

(٣) الصحاح (٦/ ٢٢٠٦).

(٤) المصباح المنير (٥٨١).

(٥) اللسان (٦/ ٤٢٧٩).

المذموم، وهو ذكر المنّة للمنعّم عليه على سبيل الفخر عليه بذلك والاعتداد عليه بإحسانه»<sup>(١)</sup>.

وقال - رحمه الله تعالى - قيل نزلت (هذه الآية) في عثمان، وقيل: في عليّ، وقيل: في عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهم أجمعين - وقد بين سبحانه أنّ هذا الجزاء إنّما هو لمن لا يتبع إنفاقه منّا ولا أذى - لأنّهما مبطلان للصدقة - ولكن يراعي جهة الاستحقاق لا جزاء من المنفق عليه، ولا شكرا له منه، ويكون قصده خالصا لوجه الله تعالى، فإذا التمس بإنفاقه الشكر والثناء كان صاحب سمعة ورياء، وإن التمس الجزاء كان تاجرا لا يستحقّ حمدا ولا شكرا، والمنّ من الكبائر لما ثبت في صحيح مسلم وغيره أنّ المانّ أحد الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم<sup>(٢)</sup>.

وظاهر الآية يدلّ على أنّ المنّ والأذى يكونان من المنفق على المنفق عليه، سواء أكان الإنفاق في الجهاد على سبيل التجهيز أو الإعانة فيه، أم كان في غير الجهاد، والأذى يشمل المنّ وغيره، ونصّ على المنّ وقدمه لكثرة وقوعه من المتصدّق، ومنه (مثلا) أن يقول: قد أحسنت إليك، أو تتحدّث بما أعطى فيبلغ ذلك المعطى فيؤذيه، ومن الأذى أن يسبّ المعطى أو يشتكي منه، أو ما أشبه ذلك<sup>(٣)</sup>.

وقال القرطبيّ في تفسير الآية: المنّ: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتفريع بها، مثل أن يقول: قد أحسنت إليك ونعشتك وشبهه. وقال بعضهم: المنّ: التحدّث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المعطى فيؤذيه. والمنّ من الكبائر<sup>(٤)</sup>.

منّ عليه يمنّ منّا، أحسن وأنعم، والاسم المنّة ومنّ عليه وامتنّ وتمنّن: قرّعه بمنّة، أنشد ثعلب:

أعطاك يا زيد الذي يعطي النعم من غير ما تمنّ ولا عدم

وقال أبو بكر في قوله تعالى: ﴿مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [القصص: ٨٢] يحتمل المنّ تأويلين: أحدهما إحسان المحسن غير معتدّ بالإحسان، يقال: لحقت فلانا من فلان منّة، إذا لحقته نعمة باستنقاذ من قتل أو ما أشبهه.

(١) تفسير البحر المحيط ٢ / ٣١٣.

(٢) انظر هذا الحديث الذي رواه أبو حيان بالمعنى في قسم الأحاديث ص ٥٥٦٨.

(٣) تفسير البحر المحيط ٢ / ٣١٨ - ٣١٩.

(٤) القرطبي (٣ / ٣٠٨).

والثاني: من فلان إذا عظم الإحسان وفخر به وأبدأ فيه وأعاد حتى يفسده، ويبغضه. فالأول حسن، والثاني قبيح، وهو المقصود هنا<sup>(١)</sup>.

قال القرطبي: المن غالباً يقع من البخيل والمعجب، فالبخيل تعظم في نفسه العطيّة وإن كانت حقيرة في نفسها، والمعجب يحمله العجب على النظر لنفسه بعين العظمة وأنه منعم بماله على المعطى، وإن كان أفضل منه في نفس الأمر، وموجب ذلك كله الجهل، ونسيان نعمة الله فيما أنعم به عليه، ولو نظر مصيره لعلم أن المنّة للأخذ لما يترتب له من الفوائد<sup>(٢)</sup>.

### المن اصطلاحاً:

#### للمن اصطلاحاً ثلاثة معان:

الأول: المنّ في الحرب وقد عرفه الجرجاني فقال: المنّ: هو أن يترك الأمير الأسير الكافر من غير أن يأخذ منه شيئاً<sup>(٣)</sup>. أي إطلاقه بلا عوض كما يقول الراغب<sup>(٤)</sup>.  
وقال المناوي: المنّ: أن يترك الأسير الكافر ولا يؤخذ منه شيء<sup>(٥)</sup>.

الثاني: المنّ الفعلّي وهو أن يثقل الإنسان بالنعمة، وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٤].

الثالث: أن يكون ذلك بالقول؛ بأن يذكر الإنسان ما يظنّ أنه أنعم به على أخيه، وذلك مستقبح فيما بين الناس، إلا عند كفران النعمة، ولقبح ذلك قيل: المنّة تهدم الصنّعة، ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كفرت النعمة حسنت المنّة<sup>(٦)</sup>.

### أحكام المن:

المنّ إذا كان من النوعين الأولين، كان محموداً، أمّا الثالث فقد يكون محموداً أيضاً عند كفران النعمة، ولكنّه مذموم فيما عدا ذلك.

(١) لسان العرب (١٣/ ٤١٧، ٤١٨).

(٢) فتح الباري (٣/ ٢٩٩) والمن هنا يراد به النوع الثالث من أنواع المن، انظر التعريف الاصطلاحي.

(٣) التعريفات (٢٥٤).

(٤) المفردات (٤٧٤).

(٥) التوقيف (٣١٧).

(٦) انظر المفردات للراغب (٤٧٤) بتصرف وإضافة.

[للاستزادة: انظر صفات: الأذى- الإساءة- التنفير- الكبر والعجب- اتباع الهوى- النفاق.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الشهامة- الكلم الطيب- المروءة- النبيل- تفريج الكربات-  
السماحة- الإحسان].

\*\*\*

### من مضار (المن)

- (١) ينقص الأجر وقد يذهب به بالكليّة.  
(٢) آفة من آفات النفس، ومظهر من مظاهر  
(٣) شدة الوعيد لمن حصل منه ذلك.  
(٤) يوغر الصدور، ويحبط الأعمال.  
(٥) يستجلب غضب الله سبحانه، ويستحق  
صاحبها الطرد من رحمته.  
(٦) إنها صفة يتشبه صاحبها بالمنافقين.  
(٧) يحرم صاحبها من نعمة نظر الله إليه وكلامه  
معها يوم القيامة.

### موالاة الكفار

#### الموالاة لغة:

ضدّ المعادة، يقال: ولي الشّيء وولي عليه ولاية بالكسر- وولاية- بالفتح. فبالكسر  
السّلطان وهو الاسم، وبالفتح النّصرة وهي المصدر. وزعم الفراء أنّ الكسر والفتح يطلق على  
المعنيين جميعاً، فكّل من ولي أمرك فهو وليّ.

ويقال: هو وليّ بين الولاية ووال بين الولاية، قال ابن الأعرابي: المعنى الذي يوضّحه: أن  
يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحاييه. والموالاة  
ضدّ المعادة.

وتقول: والى فلان فلانا: إذا أحبّه وناصره.

وروى ابن سلّام عن يونس أنّ المولى له مواضع في كلام العرب، فيطلق على المولى في  
الدين، والمولى في العصبية، وعلى الحليف الذي انضمّ إليك فعزّ بعزّك وامتنع بمنعتك، ويطلق  
على المعتق الذي ينتسب بنسبك، وكذا العتيق، وعلى ابن العمّ، والعمّ، والأخ، والابن، ويطلق

على النَّاصر، وعلى المحبِّ، وعلى التَّابع والملازم<sup>(١)</sup>.

### الكفار:

الكفَّار: جمع كافر، وهو في الأصل اسم فاعل من قولهم كفر بالله يكفر إذا لم يكن به مؤمناً، يقول ابن قتيبة: الكفر في اللِّغة من قولك: كفرت الشَّيء إذا غطَّيته، يقال: الليل كافر لأنَّه يستر بظلمته كلَّ شيء، ومن هذا المعنى أيضاً قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ [الحديد: ٢٠] يريد بالكفَّار الرِّزَّاع، سمَّاهم كفَّاراً لأنَّهم إذا ألقوا البذر في الأرض كفروه أي: غطَّوه وستروه. فكأنَّ الكافر بالله سائر للحقِّ ولنعم الله ﷻ<sup>(٢)</sup>.

### الكافر اصطلاحاً:

اسم لمن لا إيمان له، فإن أظهر الإيمان فهو منافق، وإن طرأ كفره بعد الإيمان فهو المرتدّ، وإن قال بالهين أو أكثر فهو المشرك، وإن كان متديناً ببعض الأديان والكتب المنسوخة فهو الكتابي، وإن قال بقدم الدهر، وإسناد الحوادث إليه فهو الدهري، وإن كان لا يثبت صفات الباري فهو المعطل، وإن كان مع اعترافه بالنبوة يبطن عقائد هي كفر بالاتفاق فهو زنديق<sup>(٣)</sup>.

### موالاة الكفار اصطلاحاً:

هي التَّقرُّب إلى أيِّ نوع منهم أو جميعهم بإظهار المودّة لهم أو الثَّقة فيهم أو التَّصادق معهم أو الوقوف في صفِّهم على أيِّ نحو كان. وقال بعض المحدثين: موالاة الكفَّار: هي التَّقرُّب إليهم وإظهار الودِّ لهم بالأقوال والأفعال والنَّوايا<sup>(٤)</sup>.

### معنى الولي في القرآن الكريم:

ورد لفظ الوليِّ في القرآن على أوجه عديدة منها:

أحدها: الرِّبِّ، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعْيَّرَ اللَّهُ أَخْذُ وِلْيًا﴾ [الأنعام: ١٤]، وفي «الأعراف»: ﴿وَلَا

(١) لسان العرب (٨/ ٤٩٢٠-٤٩٢٦)، الصحاح (٦/ ٢٥٢٨-٢٥٣٠)، المصباح المنير (٢/ ٦٧٢-٦٧٣)، بصائر ذوي

التمييز (٥/ ٢٨٠-٢٨٤)، نزهة الأعين النواظر (٦١٣).

(٢) تفسير غريب القرآن (٢٨)، وانظر تفصيلاً أكثر عن المعنى اللغوي للمادة في صفة الكفر.

(٣) الكليات للكفوي (٧٦٤)، وانظر صفة الكفر.

(٤) الإيمان لنعيم يس.

تَنْبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴿١﴾، وفي «حم عسق»: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾. والثاني: الناصر. ومنه قوله تعالى في «بني إسرائيل»: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ﴾. والثالث: الولد. ومنه قوله تعالى في «مريم»: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾. والرابع: الوثن. ومنه قوله تعالى في «العنكبوت»: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾.

والخامس: المانع. ومنه قوله تعالى في «البقرة»: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وفي «المائدة»: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ (١).

قال الفيروزابادي - رحمه الله تعالى - : نفى الله الولاية بين المؤمنين والكافرين في غير آية ﴿يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١]. وجعل بين الكافرين والشياطين موالاة في الدنيا ونفى عنهم الموالاة في الآخرة، قال تعالى في الموالاة بينهم في الدنيا ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وكما جعل بينهم وبين الشيطان موالاة جعل للشيطان في الدنيا سلطانا فقال: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ [النحل: ١٠٠] (٢).

#### معنى الولي في أسماء الله ﷻ :

الولي: هو الناصر المحب، وقيل: المتولي لأمر العالم والخلائق القائم بها وهو الناصر الذي يجمع أعداء الدين وينصر أولياءه. وأما اسم الوالي: فهو مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها. قال ابن الأثير: فكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع ذلك فيها لا يطلق عليه اسم الولي (٣). [للاستزادة: انظر صفات: الفتنة - النفاق - الحكم بغير ما أنزل الله - اتباع الهوى - النجاسة. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاتباع - الهجرة الولاء والبراء - الفرار إلى الله - الحكم بما أنزل الله].

(١) نزهة الأعين النواظر (٦١٣، ٦١٤).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٥ / ٢٨١ - ٢٨٢).

(٣) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى (١٢٩، ١٣٠)، لسان العرب (٨ / ٤٩٢٠).

## من مضار (موالاة الكفار)

- (١) تخرج المرء من الإسلام، وتلحقه بدین من (٤) تعین علی هدم الإسلام وتقویض أركانہ. والاه.
- (٥) تقوی الكفر والباطل.
- (٢) دلیل علی بغض الله ورسوله ودين الإسلام. (٦) توقع أعلى الأذیة علی المسلمین وعباد الله
- (٣) تحرم صاحبها من الجنان، وتورده النيران المؤمنین. مخلدا فیها.

## المیسر (\*)

## المیسر لغة:

اسم لنوع من لعب الكفار فی الجاهلیة ماخوذ من مادة (ي س ر) التي تدل علی انفتاح شيء وخفته<sup>(١)</sup>. ومن ذلك المعنى أخذ الیسر نقيض العسر، والیسار فی معنى الغنى، یقول ابن فارس: ومن الباب الأیسار، أي القوم یجتمعون علی المیسر، واحدهم یسر، والمیسر: القمار<sup>(٢)</sup>. وهو وجوب الشيء لصاحبه، یقال: یسر لی كذا إذا وجب<sup>(٣)</sup>. وهو مأخوذ من الیسر<sup>(٤)</sup> وقیل: المیسر قمار العرب بالأزلام، والیاسر اللاعب بالقداح، یقال: یسر الرجل ییسر.

قال الجوهري: ولم تحذف الیاء فیہ ولا فی بینع كما حذف فی یعد وما أشبهها لتقوی إحدى الیائین بالأخری، والیسر والیاسر بمعنی، قال أبو ذؤیب:

وكأنتهن ربابة وكأنته یسریض علی القداح ویصدع<sup>(٥)</sup>

ویسر القوم الجزور: اجتزروها واقتسموا أعضاءها.

(\*) المیسر ویدخل فیہ المراهنة والمقامرة واللعب بالنرد وغيره من آلات القمار المستحدثة.

(١) ولها معنى آخر هو الدلالة علی عضو من الأعضاء. انظر المقایس (٦ / ١٥٥).

(٢) المرجع السابق (٦ / ١٥٦).

(٣) هكذا قال الراغب. المفردات (٥٥٢).

(٤) انظر تفسیر القرطبي (٣ / ٣٦).

(٥) الصحاح (٢ / ٨٥٨).

وقال ابن منظور: يقال يسر الرجل يسر من باب وعد فهو ياسر وبه سمّي - الميسر على وزن مسجد، واليسر: هم الذين يتقامرون أو يلون قسمة الجزور المقامر عليها، وقد يقال: يسر ييسر (بإبقاء فاء الفعل) إذا جاء بقده للقمار.

والميسر: الجزور نفسه لأنّه يجزّأ أجزاء والياسر الجازر، ثمّ يقال للضّارين بالقдах والمتقامين على الجزور: ياسرون، ثمّ أطلق على اللاعب بالقдах.

وكان العرب إذا أرادوا أن ييسروا اشتروا جزورا نسيئة ونحروه قبل أن ييسروا، وقسموه ثمانية وعشرين قسما أو عشرة أقسام، فإذا خرج واحد واحد باسم رجل رجل ظهر فوز من خرج لهم ذوات الأنصباء، وغرم من خرج له الغفل<sup>(١)</sup>.

#### الميسر اصطلاحا:

إذا كان الميسر هو القمار فإنّه يعرف بما يعرف به ومن ثمّ يكون الميسر: هو أن يأخذ المقامر من صاحبه شيئا فشيئا في اللّعب<sup>(٢)</sup> قال الجرجاني: وهو في زماننا (أي في القرن الثامن للهجرة حيث توفي الجرجاني ٧٤٠ هـ) كلّ لعب يشترط فيه الغالب من المتغالين أخذ شيء من الملعب معه<sup>(٣)</sup>.

وذكر الكفوي أنّ الميسر: كلّ شيء فيه خطر<sup>(٤)</sup> والمعنى كلّ لعب يؤدّي إلى المخاطرة بفقد المال نتيجة لذلك اللّعب، وقد أكدّ الذهبيّ هذا المعنى عندما قال: الميسر: هو القمار بأيّ نوع كان، مثل النرد والشطرنج أو الفصوص، أو الكعاب، أو البيض، أو الجوز، أو الحصى، أو ما شابه ذلك، وهو من أكل أموال الناس بالباطل<sup>(٥)</sup>.

#### لماذا نهى الإسلام عن الميسر؟

للقمار أضرار عديدة منها: أنّه يوقع العداوة والبغضاء بين المتقامين، وأنّه يلهمي عن ذكر الله وعن الصّلاة وسائر الأعمال المفيدة، فضلا عن أنّه عادة جاهليّة، من دعا إليها أو مارسها فكأنّه حاكي الكفّار في لعبهم، وقد جاء النهي عن ذلك عقب النهي عن الحلف باللّات.

(١) لسان العرب (٥ / ٢٩٨ - ٢٩٩). المصباح المنير (٢ / ٣٥٨). وانظر محيط المحيط (٩٩٢).

(٢) انظر: تعريف القمار في التعريفات للجرجاني (١٨٧).

(٣) بتصرف عن التعريفات (١٨٧).

(٤) الكليات (٨٠٣).

(٥) الكبائر للذهبي (٨٨).

وقال الطيبي: الحكمة من ذكر القمار بعد الحلف باللات في قوله ﷺ أن من حلف باللات وافق الكفار في حلفهم فأمر بالتوحيد، ومن دعا إلى المقامرة وافقهم في لعبهم فأمر بكفارة ذلك بالتصدق. قال: وفي الحديث: أن من دعا إلى اللعب فكفارته أن يتصدق، ويتأكد ذلك في حق من لعب بطريق الأولى<sup>(١)</sup>.

قال الحكيم الترمذي: نهى الشارع عن التردد وعن اللعب به، وعن مخالفة اللاعب بالتردد ونهى عن القمار كله وعن اللعب بالجوز للصبيان فهذا كله من القمار وهو الميسر. قال القاسم بن محمد: كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فإنما نهى عن ذلك كله لأنه الأمر الملهي يدعو إلى القمار، فأما بيع الشطرنج والترد فهو شيء لا ثمن له؛ لأنه لا نفع فيه ولو كسر وأحرق لم يضمن الكاسر شيئاً، وقد رخص ابن عمر للصبيان في اللعب بالجوز في أيام العيد فيما روي عنه؛ لأن ذلك منهم غير طلب القمار والذي جاء من النهي عن رسول الله ﷺ تأديب لهم، واللعب كله باطل، وما خلق الخلق للعب<sup>(٢)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: اللهو واللعب - البغض - شرب الخمر - العصيان - الفسوق - انتهاك الحرمات - اتباع الهوى - التفریط والإفراط.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاستقامة - الذكر - الطاعة - العبادة - العمل - تعظيم الحرمات التقوى].

\*\*\*

### من مضار (الميسر)

- (١) الميسر مرض للشيطان مسخط للرحمن ﷻ. (٥) يلهي المسلمين عن الصلاة ويصدّهم عن ذكر الله.
- (٢) يوقع العداوة والبغضاء بين الناس ويوسّع شقة الخلاف.
- (٣) يوقد نار الأحقاد والضغائن بين اللاعبين به.
- (٤) يفكك عرى المجتمع ويجعله مجتمعاً ممزقاً لا خير فيه.
- (٥) يلهي المسلمين عن الصلاة ويصدّهم عن ذكر الله.
- (٦) الميسر والخمر من مصائد الشيطان التي يوقع الإنسان فيها بالمعاصي.
- (٧) المقامر يتبلد إحساسه ولا يعبأ بما يمسّ العرض والدين.
- (٨) يذهل عن نفسه وأهله.

(١) فتح الباري (٨ / ١١).

(٢) المنهيات (٦٩).

## النَّجَاسَةُ (\*)

## النَّجَاسَةُ نَغْرَةٌ:

النَّجَاسَةُ القَذَارَةُ، وهي مأخوذة من مادَّة (ن ج س) الَّتِي تدلُّ على خلاف الطَّهَارَةِ، وشيء نجس ونجس: قذر، وليس ببعيد أن يكون منها النَّجَسُ: الدَّاءُ لا دواء له. كأنَّه إذا طال بالإنسان نجسه (أو نجَّسه) أي قذره أو قذَّره (١).

ويقال: نجَّسه أي جعله نجسا، ونجَّسه أيضا أزال نجسه (٢)، وثوب نجس - بالكسر - اسم فاعل وبالفتح وصف بالمصدر، وقوم أنجاس، وتنجَّس الشَّيء ونجَّسته، والنَّجَاسَةُ في عرف الشَّرْع قذر مخصوص وهو ما يمنع جنسه الصَّلَاة كالبول والدم (٣).

وتنجَّس: فعل فعلا يخرج به عن النَّجَاسَةِ، كما قيل:

تأثم، وتحرَّج وتحنَّث إذا فعل فعلا يخرج به عن الإثم والحرَج والحنث. والتنجَّس: اسم شيء كانت العرب تفعله وهو تعليق شيء من القدر أو عظام الموتى، أو خرقة الحائض، كان يعلَّق على من يخاف عليه من ولوع الجنِّ به، كالصَّبيان وغيرهم (٤).

## النَّجَاسَةُ اصطلاحاً:

النَّجَاسَةُ فِي الاصطلاح على ضربين:

الأوَّل: النَّجَاسَةُ الحسِّيَّة أو العينيَّة، وهي الَّتِي تدرك بالبصر.

الآخر: النَّجَاسَةُ المعنويَّة: وهي الَّتِي تدرك بالبصيرة (٥) وهي النَّجَاسَةُ العقديَّة.

وقد عرَّف المناويُّ النَّوع الأوَّل فقال: النَّجَاسَةُ العينيَّة: كلُّ عين حرم تناولها على الإطلاق مع الإمكان حال الاختيار لحرمتها لا لاستقذارها ولا لضررها في بدن أو عقل (٦).

(\*) محتويات الصفة: نجاسة الأعيان، والأبدان، ونجاسة معنوية.

(١) المقاييس (٥/ ٣٩٣، ٣٩٤).

(٢) المفردات (٤٨٣).

(٣) المصباح المنير (٢٢٧).

(٤) التاج (٩/ ٤).

(٥) المفردات للراغب (٤٨٣)، وبصائر ذوي التمييز (٥/ ١٩).

(٦) التوقيف (٢٣٢).

أما النجاسة المعنوية: فهي نجاسة النفس التي لا تدرك إلا بالبصيرة.

يقول الراغب: وإياها قصد المولى ﷺ بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]. وبقوله جل من قائل: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥].

والنفس النجسة هي التي تتحرى الخبيث؛ لأن من لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر القول والفعل، فكل إناء بما فيه ينضح، ولهذا قيل من طابت نفسه طاب عمله، ومن خبثت نفسه خبث عمله<sup>(١)</sup>.

وجمع ابن القيم بين نوعي النجاسة فقال: النجاسة: هي المستقدر الذي يطلب مباعده والبعد منه بحيث لا يلمس ولا يشم ولا يرى<sup>(٢)</sup>.

### بم يتخلص من النجاسة؟

تطهر النفس وتتخلص من النجاسة بالعلم والعبادات، أما الذي يطهر به البدن فهو الماء وقد نبه المولى ﷺ على ذلك فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] فسُمي العلم والعبادة حياة من حيث إن النفس إذا فقدتهما هلكت هلاك الأبد، وقال تعالى في صفة الماء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﷺ: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧] عنى بالماء القرآن؛ إذ كان به طهارة النفس، وبالأودية القلوب التي احتملتها بقدر ما وسعته.

والذي يلزم تطهيره من النفس هو قوة الفكر بتهديبها حتى تحصل الحكمة والعلم، وقوة الشهوة بقمعها حتى تحصل العفة والجود، وقوة الحمية بإسلاستها حتى تنقاد للعقل فتحصل الشجاعة والحلم، وجميع الرذائل تنبعث من فساد هذه الثلاث<sup>(٣)</sup>.

### الفرق بين الرجس والنجس:

قال الكفوي: الرجس أكثر ما يقال في المستقدر طبعاً. والنجس أكثر ما يقال في المستقدر عقلاً وشرعاً<sup>(٤)</sup>.

(١) الذريعة (٩٦، ٦٧) باختصار وتصرف.

(٢) إغاثة اللفهان (١/ ٥٩).

(٣) بتصرف عن الذريعة (٩٩) وما بعدها.

(٤) الكليات (٤٧٩).

**حكم تناول النجس:**

قال ابن حجر الهيتمي: تناول النجس (والمستقذر والمضّر) من الكبائر، وقد صرح بذلك بعض المتأخرين من الفقهاء قياساً للنجس على الميتة التي تحرم لنجاستها، وإذا كانت قد حرّمت للنجاسة التي أسماها الله فسقا فيلحق بها كل نجاسة غير معفو عنها<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: أكل الحرام - الشرك - الفجور - شرب الخمر - العصيان - الفسوق - انتهاك الحرمات.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الطهارة - أكل الطيبات - النزاهة - تعظيم الحرمات - الإيمان - الصلاة].

\*\*\*

**من مضار (النجاسة)**

- (١) النجاسة المعنوية تمنع من دخول الجنة (٣) تورث مقت الناس وازدراءهم.  
وقد تحرم منها بالكلية.  
(٤) تسبب ضيق الصدر وتعاسة النفس.  
(٢) يبغضها الرحمن ويحبها الشيطان.

**النجوى****النجوى لغة:**

اسم مصدر من قولهم تناجى فلان وفلان إذا تسارّا، وقيل: هي مصدر من قولهم نجوت الشيء أنجوه إذا خلّصته، وهي مأخوذة من مادة (ن ج و) التي تدلّ على السّتر والإخفاء، ومن هذا المعنى قيل: النّجو والنّجوى: السّرّ بين اثنين، يقال: ناجيته، وتناجوا وانتجوا، وهو نجى فلان والجمع أنجية، وانتجيته: اختصته بمناجاتي<sup>(٢)</sup>، وقال الراغب: أصل النّجاء: الانفصال من الشيء، والنّجو والنّجاة المكان المرتفع المنفصل عمّا حوله، وأصل المناجاة: أن تخلو (بمن تناجيه) في نجوة (مكان مرتفع) من الأرض، وقيل: أصله من النّجاة وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه، وقيل: المراد أن تنجو بسرّك أن يطّلع عليه غيرك، والنّجوى أصله المصدر كما في قوله

(١) الزواجر (٢٩٨).

(٢) مقاييس اللغة (٥ / ٣٩٨).

تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ [المجادلة: ١٠] وقد يوصف به فيقال: هم نجوى، وهما نجوى (يستوي فيه المثنى والجمع). وكذلك النجوي بمعنى المناجى، أي الذي تسارّه يقال للواحد والجمع، وانتجيت فلانا: استخلصته لسري<sup>(١)</sup> والنجوى في قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ [النساء: ١١٤] جمع المتناجين خرج مخرج السكرى والجرحى، قال الطبري: هذا أظهر معانيه، وقال القرطبي: أراد ما تفاوض به بنو أبيرق من التدبير وذكره للنبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، أما قوله ﷺ: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ [الإسراء: ٤٧]، فالمراد بالنجوى المتناجون في أمره وكانت نجواهم قولهم: إنه ساحر وإنه يأتي بأساطير الأولين، وقيل نزلت حين دعا عبدة أشراف قريش إلى طعام صنعه لهم، فدخل عليهم النبي ﷺ، وقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى الله فتناجوا (أي تساروا) يقولون: ساحر ومجنون، وقال الزجاج: المعنى في وإذ هم نجوى أي ذو نجوى أي سرار<sup>(٣)</sup>، وقال الجوهرى: جعلهم هم النجوى وإنما النجوى فعلهم، كما تقول: قوم رضا، والنجوى والنجوي كلاهما يكون اسما ومصدرا والتجوة والنجاء: المكان المرتفع الذي تظن أنه نجاؤك لا يعلوه السيل، والتجو السر بين الاثنين يقال: نجوته نجوا إذا ساررته وكذلك ناجيته<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن منظور: والنجوى والنجوي: السر.

والنجو: السر بين اثنين، يقال: نجوته نجوا: أي ساررته. وكذلك ناجيته، والاسم النجوى، وناجى الرجل مناجاة ونجاء: سارّه. وانتجى القوم وتناجوا: تساروا.

والنجوى والنجوي المتناجون: أي المتسارون.

وفلان نجوي فلان أي يناجيه دون من سواه. وفي التنزيل العزيز: ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠]: أي اعتزلوه متناجين، والجمع أنجية.

وفي الحديث: «لا يتناجى اثنان دون الثالث» وفي رواية «لا يتنجى اثنان دون صاحبهما»: أي لا يتسارران منفردين عنه لأن ذلك يسوءه<sup>(٥)</sup>.

(١) المفردات للراغب (٤٨٣ / ٤٨٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٧٦ / ٥)، والقرطبي (١١٤ / ٥).

(٣) انظر تفسير القرطبي (١٠ / ١٧٦، ١١ / ١٤٤).

(٤) الصحاح (٦ / ٢٥٠٣).

(٥) لسان العرب (١٥ / ٣٠٨).

## النجوى اصطلاحاً:

قال القرطبي: النجوى: السرّ بين الاثنين وتكون أيضاً بمعنى المسارة<sup>(١)</sup> (بين اثنين أو أكثر).  
وقيل: النجوى: ما يكون من خلوة اثنين أو أكثر يسرون شيئاً ويتناجون به، والسرار ما كان بين اثنين<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام البغوي رحمه الله النجوى: هي الإسرار في التدبير. وقيل: النجوى ما يتفرد بتدبيره قوم سرا كان أو جهرا<sup>(٣)</sup>.

## حكم التناجي:

يختلف حكم النجوى باختلاف الأمر المتناجى فيه، فإن كان أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر، فهذا لا شيء فيه، وقد استثنى المولى ﷺ من فعل ذلك من انعدام الخيرية الغالبة على النجوى فقال:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

وفيما عدا ذلك فالتسار خصوصاً في وجود الآخرين أمر مذموم يسوّل به الشيطان ليقع سوء الظن بين الناس، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنسُ الْمُصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨]. وقد نزلت هذه الآيات في اليهود والمنافقين<sup>(٤)</sup>، وقد اشتملت آية أخرى على المحمود والمذموم من التناجي فقال ﷺ ناهياً عن التناجي المذموم وأمرًا بالتناجي المحمود ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامُرُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالْقَوَى وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٩] وعلى النوع الأول يحمل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ [المجادلة: ١٠] أي من تزيينه وغوايته ولا يكون ذلك منه إلا فيما يؤذي المؤمنين<sup>(٥)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الشك - سوء الظن سوء المعاملة.]

(١) تفسير القرطبي (٥ / ١١٤).

(٢) المرجع السابق (١٧ / ٨٨).

(٣) تفسير البغوي (١ / ٤٧٩).

(٤) انظر في سبب نزول هذه الآيات تفسير القرطبي (١٧ / ١٨٧).

(٥) كتبت هذه الفقرة اعتماداً على مجمل ما ورد في النجوى من الآيات الكريمة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: حسن الظن - حسن المعاملة - حسن العشرة - الفطنة - الحكمة - إقامة الشهادة].

\*\*\*

### من مضار (النجوى)

- (١) من رجل الشيطان وخيله ليحزن المؤمنين. (٤) تشكّل جيوب الغمز واللمز، ثمّ التفرقة  
(٢) من عمل المنافقين وأعداء المسلمين من التمزّق.  
يهود وغيرهم. (٥) هناك نجوى ممدوحة كالأمر بالصدقة أو  
(٣) النجوى يمقتها الله ﷻ وينهى أن تكون بين  
بمعروف أو إصلاح بين الناس فهي  
المجتمع المسلم. مستثناة من النجوى المذمومة.

### النفاق

#### النفاق لغة:

النفاق اسم مأخوذ من مادة (ن ف ق) التي تدلّ على الخروج، فالنفق سرب في الأرض له مخلص إلى مكان، والنفق: المسلك النافذ الذي يمكن الخروج منه<sup>(١)</sup> وعلى ذلك نبّه القرآن الكريم) بقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧] أي الخارجون من الشرع. وقد جعلهم الله شرّاً من الكافرين فقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]<sup>(٢)</sup>.

قال ابن منظور: نفق الفرس والدابة وسائر البهائم ينفق نفوقاً: مات. وفي حديث ابن عباس: «والجزور نافقة». أي ميتة من نفقت الدابة إذا ماتت.

ونفق البيع نفاقاً: راج. ونفقت السلعة تنفق نفاقاً، بالفتح: غلت ورغب فيها، وأنفقها هو ونفقها.

والنفقة والنافق: جحر الضبّ واليربوع، وقيل: النفقة والنافق موضع يرققه اليربوع من

(١) المقاييس (٥ / ٤٥٤ - ٤٥٥).

(٢) المفردات (٥٢٤).

جحره. فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج. ونفق اليربوع ونفق وانتفق ونفق، خرج منه.

ويقال: نافق اليربوع إذا دخل في نافقائه. وقصع إذا خرج من القاصعاء، وتنفق: خرج. قال أبو عبيد: سمى المنافق منافقا للنفق وهو السرب في الأرض، وقيل: إنما سمى منافقا لأنه نافق كاليربوع وهو دخوله نافقاه وله جحر آخر يقال له القاصعاء فإذا طلب من النافقاء قصع أي خرج من القاصعاء، فهو يدخل في النافقاء ويخرج من القاصعاء، أو يدخل في القاصعاء ويخرج من النافقاء، يقال: نفق به ونافق، وهكذا يفعل المنافق، يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه.

ومنه اشتقاق المنافق في الدين. والنفاق، بالكسر فعل المنافق. والنفاق: الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر، مشتق من نافقاء اليربوع، وقد نافق منافقة ونفاقا، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به<sup>(١)</sup>.

وخلاصة القول: ما قاله ابن رجب: والذي فسره به أهل العلم المعتبرون أن النفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر، وإظهار الخير وإبطان خلافه<sup>(٢)</sup>.

#### واصطلاحاً:

قال الجرجاني: النفاق: إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب<sup>(٣)</sup>.

#### أقسام النفاق:

ذكر الحافظ ابن رجب أن النفاق ينقسم شرعاً إلى قسمين:

أحدهما: النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه. وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، ونزل القرآن بدم أهلهم وتكفيرهم، وأخبر أن أهلهم في الدرك الأسفل من النار.

والثاني: النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل: وهو أن يظهر الإنسان علانية ويبطن ما يخالف ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب (١٠ / ٣٥٩)، مختار الصحاح (٦٧٣)، وجمهرة اللغة (٩ / ١٥٠).

(٢) جامع العلوم والحكم (٣٧٥).

(٣) التعريفات (٢٤٥).

(٤) جامع العلوم والحكم (٣٧٥).

وقال ابن الأثير: قد تكرر في الحديث ذكر النفاق «وما تصرّف منه اسما وفعلا». وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفا.

وفي حديث حنظلة «نافق حنظلة» أراد أنه إذا كان عند النبي ﷺ أخلص وزهد في الدنيا، وإذا خرج عنه ترك ما كان عليه ورغب فيها، فكأنه نوع من الظاهر والباطن ما كان يرضى أن يسامح به نفسه.

وفيه: «أكثر منافقي هذه الأمة قرآؤها» أراد بالنفاق ها هنا الرياء لأن كليهما إظهار غير ما في الباطن<sup>(١)</sup>.

والرياء داخل في النفاق العملي ويتّضح هذا من قول ابن رجب وقول ابن حجر عليهما رحمة الله: فالرياء كما عرفه ابن حجر: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها.

فالمقصود في الرياء والنفاق واحد، هو إظهار غير ما في السرائر. والله أعلم.

وقال ابن حجر: الرياء بكسر الراء وتخفيف التّحتانيّة والمدّ وهو مشتقّ من الرّئية. والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها.

وقال الغزالي: المعنى طلب المنزلة في قلوب الناس بأن يريهم الخصال المحمودّة، والمرائي هو العامل.

وقال ابن رجب: ومن أعظم خصال النفاق العملي، أن يعمل الإنسان عملا ويظهر أنه قصد به الخير، وإنما عمله ليتوصّل به إلى غرض له سيّء فيتمّ له ذلك ويتوصّل بهذه الخديعة إلى غرض ويفرح بمكره وخداعه وحمد الناس له على ما أظهره ويتوصّل به إلى غرضه السيّء الذي أبطنه<sup>(٢)</sup>.

### حكم النفاق:

النفاق إن كان عقدياً فهو كفر صراح، بل هو أشدّ منه، ولذلك جعلت للمنافقين درجة في جهنّم لا يصلها سواهم لعظم ضررهم، وشدة خطرهم يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] وقد فضحهم الله تعالى في القرآن الكريم في أكثر من موضع،

(١) النهاية في غريب الحديث (٥ / ٩٨).

(٢) جامع العلوم والحكم (٣٧٨).



[للاستزادة: انظر صفات: الرياء- الفسوق- الخيانة- الغدر- الخداع- الكذب- الفجور- العصيان- الافتراء.]

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإخلاص- التقوى- الإسلام- الولاء والبراء- الإيمان- الصدق- الإحسان- الأمانة- كتمان السر- الوفاء- الاستقامة- إقامة الشهادة.]

\*\*\*

### من مضار (النفاق)

- (١) المنافق لا يقبل الله منه عملاً صالحاً. (٧) المنافقون يلتمسون أدنى الأعذار للعود  
عن الجهاد.
- (٢) المنافق مريض القلب يفرح إذا أصاب  
المسلمين ضرراً، ويحزن إذا انتصروا،  
ويتربص بهم الدوائر.
- (٣) المنافقون بخلاء، ولكن ينفقون أموالهم  
رئاء الناس.
- (٤) المنافق ضالّ باعتقاده وعلمه وعمله.  
في الدنيا وغضب الله وأليم عقابه في  
الآخرة.
- (٥) المنافقون والمراءون يتعذّبون بأموالهم في  
الدنيا والآخرة.
- (٦) الشدائد والمحن سرعان ما تظهر المنافق  
على حقيقته.
- (٨) المنافقون في كلّ مكان وزمان إخوة  
للكافرين والمشركين والملحدين يشدّون  
أزر بعضهم.
- (٩) النفاق والرياء يوردان أصحابهما المهالك  
وهو محبط للأعمال مهما كثرت.
- (١٠) وانظر (الآيات، الأحاديث، الآثار) الواردة في  
الرياء

### نقض العهد

#### النقض لغة:

النقض مصدر نقضته أنقضه نقضاً وهو مأخوذ من مادة (ن ق ض) التي تدلّ على نكث شيء، وربما دلّ على معنى من المعاني وعلى جنس من الصّوت... والنقض في الشعر من هذا كآته يريد أن ينقض ما أزره صاحبه<sup>(١)</sup>. ونقض العهد منه أيضاً<sup>(٢)</sup>.

يقول الجوهري: النّقض: نقض البناء والحبل والعهد... والانتقاض: الانتكاث، وتنقضت

(١) أزره: من قولهم: أزر العقد: أحكمه، والتأريب: الإحكام فكأن ناقض الشعر ينقض إحكامه الذي صنعه الشاعر.

(٢) المقاييس (٥/ ٤٧٠، ٤٧١).

الأرض عن الكمأة أي تفتّرت.. والنقض: المنقوض مثل النكث<sup>(١)</sup>.

ونقض البناء: هدمه، وجعل الزمخشريّ نقض العهد من المجاز.. ونقضه ينقضه نقضا وانتقض، وتناقض. وانتقض الأمر بعد التثامه، وانتقض أمر الثغر بعد سدّه، ونقيضك: الذي يخالفك، والأنثى بالهاء<sup>(٢)</sup>.

والنقض اسم البناء المنقوض إذا هدم..

ونقضت الحبل نقضا: حللت برمه، ومنه يقال: نقضت ما أبرمه، إذا أبطلته، وانتقضت الطّهارة: بطلت، وانتقض الجرح بعد برئه والأمر بعد التثامه، فسد<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن منظور: أصل الكلمة نقض ينقض من باب قتل يقتل، والنقض والنقض (بالكسر والضمّ) مثل الحمل والقفل. واقتصر الأزهرىّ على الضمّ، واقتصر بعضهم على الكسر ومعناه: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، ويقال: نقض البناء والحبل والعهد يعني غيرّه، كما يقال نقض البناء إذا هدم، وأمّا المناقضة في القول: فمعناها أن يتكلّم بما يتناقض معناه. والتناقض: الانتكاث، ويقال: نقضت ما أبرمه: إذا حللته<sup>(٤)</sup>.

#### العهد لغة:

وأما العهد فهو: اليمين والأمان والوصية والموثق والذمّة، ومنه قيل للحربيّ يدخل بالأمان: ذو عهد ومعاهد (بكسر الهاء وفتحها)؛ وذلك لأنّ العهد لا يكون إلّا من اثنين فكلّ واحد يفعل بصاحبه مثل ما يفعله صاحبه به، فكلّ واحد من المتعاهدين فاعل ومفعول - والمعاهدة: المعاهدة والمحالفة، وتقول: عهدت إليه بكذا: أي أوصيته، ومنه اشتقّ العهد الذي يكتب للولاية<sup>(٥)</sup>.

#### النقض اصطلاحاً:

قال الراغب: النّقض: انتثار العقد من البناء والحبل والعقد، وهو ضدّ الإبرام، ومن نقض الحبل والعقد استعير نقض العهد<sup>(٦)</sup>.

(١) الصحاح (٣/ ١١١٠).

(٢) التاج (١٠/ ١٦٩، ١٧١).

(٣) المصباح المنير (٢٣٨).

(٤) الصحاح (٣/ ١١١٠)، ولسان العرب (٨/ ٤٥٢٤). والمصباح المنير (٢/ ٦٢١ - ٦٢٢).

(٥) الصحاح (٢/ ٥١٦). ولسان العرب (٥/ ٣١٤٨ - ٣١٥٠). والمصباح المنير (١/ ٤٣٥).

(٦) المفردات (٤٠٤)، وقد اقتصر كل من الجرجاني والتهانوي على النّقض عند الفلاسفة ولا يتعلق ذلك بما نحن فيه، انظر

وقال القرطبي: النقص: إفساد ما أبرمته من بناء أو حبل أو عهد<sup>(١)</sup>.

#### العهد اصطلاحاً:

قال الجرجاني: العهد: حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال. هذا أصله ثم استخدم في الموثق الذي يلزم مراعاته<sup>(٢)</sup>.

#### عهد الله اصطلاحاً:

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [البقرة: ٢٧].  
اختلف الناس في تعيين هذا العهد فقيل: هو الذي أخذه الله على بني آدم حين استخراجهم من ظهره.

وقيل: هو وصية الله تعالى إلى خلقه، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه على السنة رسله، ونقضهم ذلك ترك العمل به. وقيل: بل نصب الأدلة على وحدانيته بالسموات والأرض وسائر الصنعة هو بمنزلة العهد ونقضهم ترك النظر في ذلك. وقيل: هو ما عهده إلى من أوتي الكتاب أن يبينوا نبوة محمد ﷺ ولا يكتموا أمره. فالآية على هذا في أهل الكتاب. قال أبو إسحاق الزجاج: عهده - جل وعز - ما أخذه على النبيين ومن اتبعهم ألا يكفروا بالنبي ﷺ. ودليل ذلك: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٨١] إلى قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ أي عهدي<sup>(٣)</sup>.

وقال الراغب: عهد الله تارة يكون بما ركزه في عقولنا، وتارة يكون بما أمرنا به بالكتاب وبالسنّة، وتارة بما نلتزمه وليس بلازم في أصل الشرع كالنذور وما يجري مجراها<sup>(٤)</sup>.

#### نقض العهد اصطلاحاً:

عدم الوفاء بما أعلن الإنسان الالتزام به أو قطعه على نفسه من عهد أو ميثاق، سواء فيما بينه وبين الله تعالى أو فيما بينه وبين الناس<sup>(٥)</sup>.

التعريفات (٢٦٥). وكشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ١٤١٠).

(١) تفسير القرطبي (١/ ١٧١).

(٢) التعريفات (١٦٥)، المفردات للراغب (٣٥١).

(٣) تفسير القرطبي (١/ ١٧١).

(٤) المفردات (٣٥٠).

(٥) استنبطنا هذا التعريف مما ذكره اللغويون والمفسرون.

**الفرق بين العهد والعقد والميثاق:**

الميثاق: هو العهد المؤكّد باليمين<sup>(١)</sup>.

والعهد أيضا: ما أخذه الله على بني آدم من الإقرار بربوبيّته و وحدانيّته، ويشمل أيضا ما أخذه على هذه الأمة أن يوقّوا به ممّا أحلّ و حرّم و فوّض، ويتضمّن العهد أيضا ما يكون من اتّفاق بين المسلمين و المشركين.

أمّا العقد: فهو ما عقده الإنسان على نفسه للآخرين من بيع و شراء و نحوهما، أو ما عقده الله تعالى من الطّاعات كالحجّ و الصّوم و غيرهما من العبادات، و قيل: العهد إلزام (مطلق)، و العقد إلزام على سبيل الإحكام و الاستيثاق. و قيل: العقود ما أحلّ الله و حرّم و فرض و حدّ في جميع الأشياء<sup>(٢)</sup>.

**الفرق بين النّقض و الخيانة:**

أنّ الخيانة تقتضي نقض العهد سرّا<sup>(٣)</sup>، أمّا النّقض فإنّه يكون سرّا و جهرا، و من ثمّ يكون النّقض أعمّ من الخيانة و يرادفه الغدر، و ضدّ الخيانة الأمانة، و ضدّ النّقض: الإبرام.

**حكم نقض العهد:**

قال الذهبيّ: الكبيرة الخامسة والأربعون: الغدر و عدم الوفاء بالعهد، و احتجّ لذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤] و بقوله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] و بعدد من الأحاديث منها<sup>(٤)</sup>: الحديث الخامس.

أمّا الإمام ابن حجر فقد ذكر عدم الوفاء بالعهد على أنّه الكبيرة الثالثة والخمسون، و قال: عدّ هذا من الكبائر هو ما وقع في كلام غير واحد<sup>(٥)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الغدر - إفشاء السر الخيانة - التخاذل - التفريط والإفراط - التهاون - اتباع الهوى - الحرب و المحاربة.

(١) تفسير القرطبي (١ / ١٧١).

(٢) انظر تفسير القرطبي (٦ / ٢٣، ٢٤)، و الكبائر للذهبي ١٦٨، و الزواجر لابن حجر (١٤).

(٣) انظر المفردات (١٦٣)، و قارن بصفة الخيانة.

(٤) الكبائر للذهبي (١٦٨، ١٦٩).

(٥) الزواجر لابن حجر (١٤٠)، و فيه تفصيل كثير عن هذه الكبيرة و الفرق بينها و بين عدم الوفاء بالوعد، فانظره هناك.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الوفاء - كتمان السر - المسؤولية - الأمانة - الرجولة - الشهامة - السلم].

\*\*\*

### من مضار (نقض العهد)

- (١) بغض الله له، والوعيد للمنافقين بالنار. (٥) تفكك المجتمع وشيوع البغضاء والفساد فيه.  
 (٢) تسلط الخلق عليه ونزع الثقة منه.  
 (٣) من أمارات النفاق وصفات المنافقين. (٦) تسلط الأعداء على المجتمع، وسومهم إيّاه سوء العذاب.  
 (٤) يضر نفسه قبل أن يضر غيره.

### النقمة

#### النقمة لغة:

هي الاسم من قولهم: انتقم من فلان، وهي أيضا مصدر قولهم: نقم منه، ويراد بها حينئذ النقم، والنقوم وكل ذلك مأخوذ من مادة (ن ق م)، التي تدلّ على إنكار شيء وعيبه. ومن ذلك قولهم: نقت عليه أنقم: أنكرت عليه فعله، أو عاتبته عليه، ومن ذلك النقمة من العذاب، كأنه أنكر عليه فعاقبه<sup>(١)</sup>، وقال الراغب: يقال نقت الشيء ونقمته إذا نكرته إمّا باللسان وإمّا بالعقوبة<sup>(٢)</sup>، ونقت الأمر أيضا ونقمته إذا كرهته، وجمع النقمة نقمات ونقم مثل كلمة وكلمات وكلم<sup>(٣)</sup>، وقال في القاموس: النقمة بالكسر وبالفتح (نقمة)، وكفرحة (نقمة): المكافأة بالعقوبة، والجمع نقم مثل كلم، ونقم مثل عنب، ونقمت مثل كلمات<sup>(٤)</sup>، وقال ابن منظور: النقمة: العقوبة، والنقمة: الإنكار<sup>(٥)</sup>، وقول الله تعالى: ﴿هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا﴾ [المائدة: ٥٩]، أي تنكرون، وقيل: تسخطون

(١) مقاييس اللغة ٥ / ٤٦٤.

(٢) المفردات للراغب ص ٥٠٤، وبصائر ذوي التمييز ٥ / ١١٦.

(٣) الصحاح ٥ / ٢٠٤٥.

(٤) القاموس المحيط (نقم) ص ١٥٠٢ (ط. بيروت).

(٥) لسان العرب (نقم) ص ٤٥٣٠ (ط. دار المعارف).

وقيل: تكرهون<sup>(١)</sup>، وفي الحديث: «ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرا فأغناه الله» قال ابن الأثير: المعنى: ما ينقم شيئا من منع الزكاة إلا أن يكفر النعمة، فكأن غناه أذاه إلى كفر نعمة الله<sup>(٢)</sup>، أما قول الله ﷻ: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [البروج: ٨]، فالمعنى، المبالغة في الكراهية، قيل في تفسيرها: ما نقم الملك وأصحابه من الذين حرّقهم إلا التصديق بالله تعالى<sup>(٣)</sup> أي بالغوا في الكراهية ومن ثم في إنزال العقوبة بهم بسبب إيمانهم، وفي معنى الكراهية الشديدة يقول ابن قيس الرقيّات:

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلَمُونَ إِنْ غَضِبُوا  
يروى بالفتح والكسر (نقموا، نقموا)، قال ابن بري: يقال نقتت نقما ونقوما ونقمة ونقمة، ونقمت: إذا بالغت في كراهة الشيء<sup>(٤)</sup>.

### النقمة اصطلاحاً:

قال المناوي: النقمة: عقوبة المجرم بمبالغة<sup>(٥)</sup>.

وهذا التعريف إنما هو للنقمة التي هي الاسم من الانتقام، أما النقمة التي هي مصدر نقم عليه، وهي المقصود بهذه الصفة، فيمكن تعريفها بأنها: كراهية الشيء كراهية شديدة تصلى إلى حدّ السخط<sup>(٦)</sup>، وقد تستعمل النقمة ويراد بها ما ينجم عنها وهو الانتقام.

### الفرق بين النقمة والانتقام:

يتجلى الفرق بين النقمة والانتقام في أنّ النقمة من أعمال القلوب والانتقام من أعمال الجوارح، كما أنّ النقمة تسبق الانتقام وهو كالنتيجة لها، وأيضا فإنّ النقمة قد لا يعقبها عقوبة ولا انتقام، أما الانتقام فلا بدّ أن تسبقه النقمة.

### الفرق بين النقمة والسخط والكراهية:

رغما عن التقارب بين هذه الصفات المنهية عنها إلا أنّ بينها - عند التأمل - فروقا دقيقة منها: أنّ النقمة - كالغضب - تكون بين الأكفاء والنظراء وبين الكبراء والعظماء أما السخط فلا يكون إلا

(١) تفسير القرطبي ٦ / ١٥١.

(٢) النهاية لابن الأثير ٥ / ١١١.

(٣) تفسير القرطبي ١٩ / ١٩٤.

(٤) لسان العرب (نقم) ص ٤٥٣١ (ط. دار المعارف).

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٣٣٠.

(٦) لم تذكر كتب الاصطلاحات التي وقفنا عليها تعريفا للنقمة بهذا المعنى وقد استنبطناه مما ذكره المفسرون وعلماء اللغة.

من العظماء والكبراء دون الأكفاء والنظراء<sup>(١)</sup>، وفيما يتعلّق بالدرجة فإن الكراهية قد تكون شديدة وقد تكون يسيرة، أمّا النّعمة فلا تكون إلا شديدة، إذ هي المبالغة في الكراهية.

[للاستزادة: انظر صفات: الانتقام- السخط- الغل- الحقد- الغضب- العدوان.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الرضا- السماحة- الصفح- العفو- التقوى].

\*\*\*

### من مضار (النّعمة)

- (١) دليل شدة غضب الله على العبد. (٥) النّعمة من أمراض القلب التي تورث صاحبها الهلاك.
- (٢) نعمة العبد على الشّيء دليل عدم إيمانه بقضاء الله وقدره. (٦) النّعمة تدفع بالنّاقم إلى ظلم النّاس وتؤدّي إلى الكراهية.
- (٣) نعمة العبد على العبد دليل الحقد والحسد ووضع للنفس بإزاء الله في تقسيم الأرزاق. (٧) النّاقم غالباً ما يجاوز الحقّ في نعمته.
- (٤) النّاقم على رزقه مبغض من الله ومن النّاس. فيصيب بها أهل الخير والإيمان.

### نكران الجميل

#### النكران لغة:

النّكران اسم من أنكر الشّيء ينكره إنكاراً فهو منكر، ونكره ينكره نكراً فهو ناكراً، واستنكره فهو مستنكر، وهي مأخوذة من مادّة (ن ك ر) التي تدلّ على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب. ونكر الشّيء وأنكره لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه<sup>(٢)</sup>.

ويقول الرّاعب: الإنكار: ضدّ العرفان. يقال: أنكرت كذا ونكرت، وأصله أن يرد على القلب ما لا يتصوّره، وذلك ضرب من الجهل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ﴾ [هود: ٧٠]، وقال- جلّ من قائل-: ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَّفَهُمُ وَهُمْ لَهُمْ مُنْكَرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨]، وقد يستعمل

(١) الكليات للكفوي ص ٥١٥.

(٢) المقاييس (٥/ ٤٧٦).

ذلك فيما ينكر باللسان، وسبب الإنكار باللسان هو الإنكار بالقلب، لكن ربّما ينكر اللسان الشيء وصورته في القلب حاصلة ويكون في ذلك كاذبا، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].

والمنكر: كلّ فعل تحكم العقول الصّحيحة بقبحه، أو تتوقّف في استقباحه واستحسانه العقول فتحكم بقبحه الشريعة، وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] <sup>(١)</sup>.

والنكر: المنكر، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]، والنكراء مثله. والنكارة: الدّهاء، وكذلك النكر بالضمّ، يقال للرجل إذا كان فطنا منكرا: ما أشدّ نكره ونكره أيضا بالفتح.

وقد نكر الأمر بالضمّ، أي صعب واشتدّ <sup>(٢)</sup>، وقيل: النكران والإنكار (واحد) وهو الجحود، وهو نقيض المعرفة، والمناكرة المحاربة، وبينهما مناكرة أي معاداة وقتال، والتناكر: التّجاهل، فتقول: أنكره إنكارا ونكرا أي جهّله، ومثله أنا أنكره إنكارا ونكرته قال الأعشى:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا  
قيل: والصّحيح أن المصدر الإنكار والاسم النكر وقد يحرك مثل عسر وعسر فتقول: نكر ونكر قال الشاعر:

أتونني فلم أرض ما بيّتوا وكانوا أتونني بشيء نكر <sup>(٣)</sup>

### الجميل لغة:

الجميل في اللّغة وصف مشتقّ من مادّة (ج م ل) التي تدلّ على الحسن، ومنه الجمال الذي هو ضدّ القبح، وقيل: الجمال والحسن، وقيل: الحسن الكثير، ورجل جميل وجمال، أصله - فيما يقول ابن قتيبة - من الجميل وهو ودك الشحم المذاب، يريد أن ماء السمن يجري في وجهه، ويقال: جمالك أن تفعل ذلك، أي اجمل ولا تفعله، وقالت امرأة لابنتها: «تجملي وتعفّفي» أي

(١) المفردات (٥٠٥).

(٢) الصحاح (٢/ ٨٣٧).

(٣) لسان العرب (٨/ ٤٥٣٩ - ٤٥٤٠)، والصحاح: (٢/ ٨٣٦ ٨٣٧).

كلي الجميل (أي الشحم المذاب)، «واشربي العفافة» وهي بقية اللبن. ويقال: جمل الرجل جمالا فهو جميل، والمرأة جميلة وجملاء، وقول أبي ذؤيب:

جمالِك أيها القلب الجريح      ستلقى من تحب فتستريح

معناه: الزم تجملك وحياءك، ولا تجزع جزعا قبيحا، وأجملت الصنعة عند فلان، وأجمل فلان في صنيعه (أحسن)، والمجاملة: المعاملة بالجميل، وجمّله: زينته، والتجمّل: تكلف الجميل، والتجمّل أيضا: أكل السمن المذاب<sup>(١)</sup>، والجميل كما يكون صفة للأناسي يكون وصفا للأفعال والأشياء.

### نكران الجميل اصطلاحا:

ألا يعترف الإنسان بلسانه بما يقرّ به قلبه من المعروف والصنائع الجميلة التي أسديت إليه سواء من الله ﷻ أو من المخلوقين.

وهذا المعنى قريب من كفران نعمة المحسن، ومن معنى الجحود والإنكار<sup>(٢)</sup>.

### أسباب كفران النعم وجحودها:

قال الغزالي - رحمه الله تعالى -: لم يقصّر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة، فإنهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم، ولا يتصوّر شكر النعمة إلا بعد معرفة كونها نعمة، ثم إنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أنّ الشكر عليها أن يقول باللسان:

الحمد لله، الشكر لله. ولم يعرفوا أنّ معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله ﷻ فلا يمنع من الشكر بعد حصول المعرفتين إلا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان.

أما الغفلة عن النعم فلها أسباب، وأحد أسبابها أنّ الناس بجهلهم لا يعدّون ما يعمّ الخلق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة، فلذلك لا يشكرون على ما عمّ الله به الخلق من شتى النعم في الكون والنفس كالشمس والقمر والليل والنهار والحرارة والبرودة واستساغة الطعام ذلك ممّا لا يحصى كثرة، لأنّها عامّة للخلق، مبدولة لهم في جميع أحوالهم، فلا يرى كلّ واحد لنفسه منهم اختصاصا به فلا يعدّه نعمة، فلا تراهم يشكرون الله على روح الهواء ولو أخذ بمختنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا، ولو حبسوا في بيت حَمّام فيه هواء حارّ أو في بئر فيه هواء ثقل برطوبة الماء ماتوا غمّا، فإن ابتلي واحد منهم بشيء من ذلك ثم نجا ربّما قدر ذلك نعمة وشكر الله

(١) مقاييس اللغة (١ / ٤٨١)، والمفردات للراغب (ص ٩٧)، والصحاح (٤ / ١٦٦١) وما بعدها.

(٢) اقتبس هذا التعريف من جملة الأقوال المذكورة في كتب اللغة وغيرها.

عليها، وهذا غاية الجهل، إذ صار شكرهم موقوفاً على أن تسلب عنهم النعمة ثم تردّ عليهم في بعض الأحوال، والنعمة في جميع الأحوال أولى بأن تشكر في بعضها، فلا ترى البصير يشكر صحّة بصره إلا أن تعمي (عيناه) فعند ذلك لو أعيد عليه بصره أحسّ به وشكره وعده نعمة وهذا الجاهل الذي لم يقدر نعمة الله عليه مثل عبد سوء. حقّه أن يضرب دائماً حتّى إذا ترك ضربه ساعة تقلّد به منّة. فإن ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر، فصار النّاس لا يشكرون إلا المال الذي يتطرق إليه الاختصاص من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم. ولو أمعن الإنسان النّظر في أحواله رأى من الله نعماً كثيرة تخصّه لا يشاركه فيها النّاس كافة بل يشاركه عدد يسير من النّاس، وربما لا يشاركه فيها أحد من الخلق، وذلك يتمثل في ثلاثة أمور يعترف بها كلّ عبد:

أحدها: العقل فإنّه ما من عبد لله تعالى إلا وهو راض عن الله في عقله يعتقد أنّه أعقل النّاس، وقلّ من يسأل الله العقل، ولذا وجب على كلّ الخلق شكر الله.

والأمر الثّاني: الخلق، فما من عبد إلا ويرى من غيره عيوباً يكرهها، وأخلاقاً يذمّها، وإنّما يذمّها من حيث يرى نفسه بريئاً منها فإذا لم يشتغل بدمّ الغير وجب عليه أن يشكر الله إذ حسن خلقه وابتلي غيره بسوء الخلق.

والأمر الثّالث: الذي يقرب به كلّ أحد: العلم، فما من أحد إلا ويعرف بواطن أمور نفسه، وخفايا أفكاره، وما هو منفرد به ولو كشف الغطاء حتّى أطلع عليه أحد من الخلق لا فتضح، فكيف لو أطلع النّاس كافة، ألا يوجب ستر القبيح وإخفاؤه عن أعين النّاس شكر هذه النّعمة العظيمة، ولم يصرف الخلق عن شكر هذه النّعمة إلا الغفلة والجهل، وأعمّ من هذه الأمور أمور أخرى فما من أحد من الخلق إلا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو زوجه أو عزّه أو جاهه أو في سائر أمور، فإنّه لو سلب ذلك منه وأعطى ما خصّ به غيره فإنّه لا يرضى به. فإذا كان الأمر كذلك فقد وجب على كلّ الخلق أن يشكروه على أن جعلهم على هذه الحالة التي هم عليها ولم يجعلهم على حال الآخرين، ولكن غلب عليهم كفر النّعمة. وما سدّ على الخلق طريق الشكر إلا جهلهم بضروب النّعم الظّاهرة والباطنة والخاصّة والعامّة أو الغفلة عنها لحصولهم عليها بلا أدنى سبب<sup>(١)</sup>.

### حكم نكران الجميل:

إنّ نكران الجميل أو كفران نعمة المحسن يجيز للمحسن أن يمنّ بنعمته على من أنكرها،

(١) إحياء علوم الدين (٤ / ١٢٩ - ١٣٠) بتصرف، ط الريان.

يقول الرَّاعِب: ولحسن ذكرها (النَّعمة) عند الكفران قيل: إذا كفرت النَّعمة حسنت المنَّة، هذا في الدُّنيا أمَّا في الآخرة<sup>(١)</sup>، فقد عدَّها بعض العلماء من الكبائر خاصَّة إذا كانت النَّعمة من الله ﷻ أو ممَّن تجب مراعاته كالزَّوج. يقول الإمام ابن حجر: ذكر جماعة أنَّ كفران نعمة المحسن من الكبائر وهو بعيد، ويتعيَّن حمله على كفران نعمة الله ﷻ إذ هو المحسن على الحقيقة، ويمكن حمله أيضًا على كفران نعمة محسن تجب مراعاته كالزَّوج لما ورد في ذلك من الوعيد الشَّديد<sup>(٢)</sup>. وقال رحمه الله في موضع آخر: ومن الكبائر كفران نعمة الخلق المستلزم لكفران نعمة الحقِّ، وذكر أنَّ عدَّ ذلك من الكبائر هو ظاهر ما ورد في الحديث الذي رواه الترمذي (عن جابر): «من أعطي عطاء فوجد فليجز به.. ومن كتم فقد كفر ومعنى الكفر هنا أنَّه يجرُّ إلى كفر نعم الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الجحود- الكفر- الغرور- عقوق الوالدين.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاعتراف بالفضل- الشكر- الحمد- بر الوالدين].

\*\*\*

### من مضار (نكران الجميل)

- (١) دليل على ضعف الإيمان وسوء الأخلاق (٣) يسبب غضب الرّب وإعراض الخلق.  
ولؤم الطّبع.  
(٤) يجلب الشّقاء ونكد البال وسوء الحال.  
(٢) من أسباب زوال النّعمة بعد حصولها.

### النميمة

#### النميمة لغة:

النميمة اسم من نمّ الحديث ينمّه وينمّه نمّا وتدلّ مادّته على أصل صحيح له معنيان: أحدهما: إظهار شيء وإبرازه، والآخر لون من الألوان. فالأوّل ما حكاه الفراء، يقال إبل نمّة: لم يبق في أجوافها الماء، والنّمّام منه، لأنّه لا يبقى الكلام في جوفه، ورجل نمّام<sup>(٤)</sup>، ونمّ الحديث إذا

(١) المفردات للراغب (٤٧٥).

(٢) الزواجر لابن حجر (١٤٧).

(٣) المرجع السابق (٢٥٥).

(٤) المقاييس (٥/ ٣٥٨).

أظهره، وقيل: نقله. ونمّه ينمّه نمًا، أي قتّه، والاسم: النّميمة، والنّميمة أيضا: الهمس والحركة، ومنه قولهم: أسكت الله نامّته، أي ما ينمّ عليه من حركته<sup>(١)</sup>، ونمّ الرّجل الحديث نمًا من بابي قتل وضرب، سعى به ليوقع به فتنة أو وحشة<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن منظور: النّمّ: التحريش والإغراء ورفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد، وقيل: تزيين الكلام بالكذب، والفعل: نمّ ينمّ وينمّ، والأصل الضّمّ، ونمّ به وعليه نمًا ونميمة ونميما، وقيل: النّميم جمع نميمة. ورجل نموم ونّمّام ومنمّ ونمّ من قوم نمّين وأنماء، وامرأة نمّة، وقيل: النّمّام معناه في كلام العرب: الذي لا يمسك الأحاديث ولا يحفظها، من قولهم جلود نمّة إذا كانت لا تمسك الماء، يقال: نمّ فلان ينمّ نمًا إذا ضيّع الأحاديث ولم يحفظها، وأنشد الفراء:

بكت من حديث نمّه وأشاعه      ولصّقه واش من القوم واضع

ويقال للنّمّام: القتّات، يقال: قتّ إذا مشى بالنّميمة، ويقال للنّمّام قسّاس ودراج وغمّاز وهمّاز ومائس وممّاس<sup>(٣)</sup>.

#### واصطلاحا:

هي نقل كلام النَّاس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد. وقيل: إفشاء السّرّ، وهتك السّتر عمّا يكره كشفه<sup>(٤)</sup>.

وقال الجاحظ: النّميمة: وهو أن يبلغ إنسان عن آخر قولًا مكروها، استسرّ بذلك أو لم يستسرّ، والنّوع الأوّل من قبيل إفشاء السّرّ<sup>(٥)</sup>.

#### من النّمّام؟

قال الجرجانيّ (وتبعه المناويّ): النّمّام هو الذي يتحدّث مع القوم فينمّ عليهم فيكشف ما يكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو الثالث (أي النّمّام)، وسواء أكان الكشف بالعبارة أو بالإشارة أو بغيرهما<sup>(٦)</sup>.

(١) الصحاح (٥ / ٢٠٤٥).

(٢) المصباح المنير (٢٣٩).

(٣) لسان العرب (٥ / ٢٠٤٥).

(٤) الأذكار للنووي (٢٩٩ / ٣٠٩)، وانظر النهاية لابن الأثير (٥ / ١٢٠).

(٥) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٣١) بتصرف.

(٦) التعريفات (٢٦٧). والتوقيف على مهمات التعاريف (٣٣٠).

**الفرق بين الغيبة والنميمة:**

الغيبة - كما سبق - هي التكلّم خلف إنسان مستور بما هو فيه ممّا يكرهه. أمّا النميمة فهي نقل كلام صادر عن الغير بغية الإفساد. وعلى ذلك تكون الغيبة صادرة عن المغتاب في الأصل، أمّا النميمة فهي كلام صادر عن الغير، ومن الفرق أيضا أنّ الغيبة قد تباح أو تجب في بعض الأحيان لغرض شرعيّ (انظر صفة الغيبة) أمّا النميمة فلم ينقل جواز إباحتها أحد، ومن الغيبة ما يكون بالقلب بأن تظنّ السوء بأخيك وتصمّم عليه بقلبك<sup>(١)</sup> أمّا النميمة فلا تكون إلّا باللسان أو ما يحلّ محلّه في الكشف عن السوءات من كتابة أو رمز أو إيحاء.

**الباعث على النميمة:**

يبعث على النميمة أمور منها:

- ١- إرادة السوء بالمحكّي عنه.
- ٢- الحبّ للمحكّي له (وهذا في ظاهر الأمر وإلّا فإنّ من يجبّ إنسانا على الحقيقة فإنّه لا يبلغه ما يسوءه).
- ٣- الفرح بالخوض في الفضول<sup>(٢)</sup>.

**علاج النميمة:**

تعالج النميمة بما تعالج به الغيبة، وهو إمّا إجمالي بأن يعلم النّمّام أنّه قد تعرّض بها لسخط الله تعالى وعقوبته وأنها تحبط حسناته وبأن يتدبّر المرء في عيوبه ويجهتد في التطهّر منها وأن يعلم أنّ تأدّي غيره بالغيبة أو بالنميمة كتأدّيها فكيف يرضى لغيره ما يتأدّي به؟ وأمّا التفصيليّ فيتلخّص في النّظر في بواعثها فتقطعها من الأصل؛ إذ علاج العلة إنّما يكون بقطع سببها، وإلّا يعتقد المرء في أخيه سوءا، وأن يبادر إلى التوبة بشروطها<sup>(٣)</sup>.

**كيف تتعامل مع النّمّام؟**

قال الإمام الذهبيّ: كلّ من حملت إليه نميمة وقيل له: قال فيك فلان، كذا وكذا لزمه ستّة أحوال:

(١) انظر في معنى الغيبة بالقلب، الزواجر لابن حجر (٣٨٧).

(٢) الزواجر (٣٩٦).

(٣) المرجع السابق (٣٩١) بإيجاز.

الأول: ألا يصدّقه؛ لأنه نمام فاسق، وهو مردود الخبر.

الثاني: أن ينهائه عن ذلك وينصحه ويقبّح فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله ﷻ، فإنه يبغض عند الله، والبغض في الله واجب.

الرابع: ألا يظنّ في المنقول عنه السوء لقوله تعالى: ﴿أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ

إِنَّمُرٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

الخامس: ألا يحمله ما حكى له على التّجسس والبحث عن تحقّق ذلك مصداقا لقوله

تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١١].

السادس: ألا يرضى لنفسه ما نهى النّمام عنه، فلا يحكي نميمته<sup>(١)</sup>.

### حكم النميّة:

قال الذهبي: النميّة من الكبائر، وهي حرام بإجماع المسلمين، وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعيّة من الكتاب والسنة، وقد أجاب عمّا يوهّم أنّها من الصّغائر وهو قوله ﷺ: «وما يعدّبان في كبير» بأن المراد: ليس بكبير تركه عليهما، أو ليس بكبير في زعمهما، ولهذا قيل في رواية أخرى: «بلى إنّهُ كبير»<sup>(٢)</sup>، وقال ابن حجر: وجه كونه أي (النّم) كبيرة ما فيه من الإفساد وما يترتب عليه من المضارّ، والحكم على ما هو كذلك بأنّه كبير ظاهر جليّ، وليس في معناه، بل ولا قريبا منه مجرد الإخبار بشيء عمّن يكره كشفه من غير أن يترتب عليه ضرر ولا هو عيب ولا نقص، لأنّ الغيبة لا توجد إلّا مع كون الكلام المنقول نقصا وعبيا، ومن ثمّ فالنميّة الأقبح من الغيبة ينبغي ألاّ توجد بوصف كونها كبيرة إلّا إذا كان ما ينمّ به مفسدة<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الأذى - الإساءة الإفك - البهتان - الغيبة - الافتراء.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الستر - الصمت وحفظ اللسان - الكلم الطيب - الثناء - كظم

الغيظ - كتمان السر - المحبة - حسن العشرة].

\*\*\*

(١) الكبائر للذهبي (١٦١)، وانظر الزواجر لابن حجر (٣٩٦).

(٢) الكبائر للذهبي (١٦٠).

(٣) الزواجر (٣٩٥).

## من مضار (النميمة)

- (١) طريق موصل إلى النار. (٥) عنوان الدّناءة والجبن والضعف والدّسّ والكيد والملق والنفاق.
- (٢) تذكي نار العداوة بين المتآلفين. (٦) مزيلة كلّ محبّة ومبعدة كلّ مودّة وتآلف وتآخ.
- (٣) تؤذي وتضرّ، وتؤلم، وتجلب الخصام والنفور. (٤) تدلّ على سوء الخاتمة، وتمسخ حسن الصورة.

## الهجاء

## الهجاء لغة:

الهجاء: خلاف المدح، يقال هجوته هجوا وهجاء وتهجاء، قال الشاعر:

دعي عنك تهجاء الرجال وأقبلي

وهجاه هجوا وهجاء، شتمه بالشعر، وعدّد فيه معائبه. قال الليث: هو الواقعة في الأشعار. وأنشد القالي:

وكلّ جراحة توسى فتبراً ولا يبراً إذا جرح الهجاء

وفي الحديث «اللهم إنّ فلانا هجاني فاهجه، اللهم مكان ما هجاني» أي جازه على هجائه إيّاي جزاء هجائه، وهذا كقوله - جلّ وعزّ -: ﴿ وَحَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠] وفي حديث آخر «اللهم إنّ عمرو بن العاص هجاني<sup>(١)</sup>، وهو يعلم أنّي لست بشاعر، فاهجه، اللهم والعنه عدد ما هجاني أو مكان ما هجاني» أي جازه على الهجاء. ويقال: هجا فلان فلانا: شتمه وسبّه وعابه، والمرأة تهجو زوجها، أي تدمّه وتشكو صحبته، ويقال: بينهم أهجوّة وأهجيّة يتهاجون بها، وهاجيت فلانا: هجوته وهجاني<sup>(٢)</sup>.

## الهجاء اصطلاحاً:

ما وصف به الإنسان من الأخلاق الذميمة شعراً<sup>(٣)</sup>.

(١) وكان هذا قبل إسلام عمرو رضي الله عنه.

(٢) الصحاح (٦ / ٢٥٣٣)، التاج (٢٠ / ٣٢٦)، النهاية (٥ / ٢٤٨)، ولسان العرب (٦ / ٤٦٢٧).

(٣) استخلصنا هذا التعريف مما ذكره الكفوي في الكليات من أن للإنسان بحسب ما يوصف به أسماء فما وصف به من الشجاعة والشدة في الحرب والصبر في مواطنها يسمى حماسة، وما وصف به من حسب وكرم وطيب محتد يسمى

وقال بعضهم: الهجاء: نزع الصفات الحميدة عن المهجور ووصمه بأضدادها مثل ضعة الأصل، وقلة عدد القبيل، وبالجبين، والبخل<sup>(١)</sup>.

### دوافع الهجاء والفحش:

قال الغزالي رحمه الله: إنَّ السَّبَّ والفحش وبذاءة اللِّسان مذموم ومنهَيٌّ عنه، ومصدره الخبث واللُّؤم، والباعث عليه إمَّا قصد الإيذاء، وإمَّا الاعتياد الحاصل من مخالطة الفسَّاق وأهل الخبث واللُّؤم لأنَّ من عادتهم السَّبُّ<sup>(٢)</sup>.

### حكم الهجاء:

عدَّ ابن حجر من الكبائر الشُّعر المشتمل على هجو المسلم، ولو بصدق، وكذا إن اشتمل على فحش أو كذب فاحش. وتردَّ شهادة الهاجي لفسقه، وقد صرَّح بذلك بعض العلماء فقال: إن هجا مسلما فسق، أو ذمِّيا فلا بأس، وقال آخر: إذا آذى في شعره بأن هجا المسلمين أو رجلا مسلما فسق به لأنَّ إيذاء المسلم محرَّم، ويستوي في ذلك قليل الهجاء وكثيره لأنَّ الشُّعر يحفظ ويعلق بالأذهان ويعاود فيبقى على الأعصار والدَّهور بخلاف النَّثر، وكما يحرم الهجو يحرم إنشاده أيضا، ولكن ليس إثم حاكي الهجو كإثم منشده<sup>(٣)</sup>.

### هجاء الكافر والفاسق:

أطلق كثير من العلماء جواز هجو الكافر مستدلينَّ بأمره ﷺ لحسان جهنم بهجو المشركين. وألحق الغزالي وتبعه جمع من العلماء بالكفار المبتدعين حيث يجوز هجوهم ببدعتهم، ولكن لمقصد شرعي كاللَّحْذِير من هذه البدعة، ويجوز أيضا هجو المرتدِّ بخلاف الفاسق، فإنَّه لا يجوز هجاؤه، وإلا بما تجاهر به من فسق فقط لجواز غيبته به، ولقصد زجره<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الافتراء - انتهاك الحرمات - البغض - التحقير - السخط - اللغو -

مدحا (إن كان للغير)، وفخرا (إن كان صادرا من القائل) وما أثنى عليه من شيء من ذلك ميَّتا يسمى رثاء وتأيينا، وما وصف من أخلاقه الذميمة يسمَّى هجاء، وما وصف به النساء من حسن وجمال وغرام بهن يسمى غزلا ونسيبا. الكليات بتصريف واختصار (٩٦٠).

(١) تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ (١/ ٨٣).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ١٢١).

(٣) الزواجر (٦٦٣) (بتلخيص وتصرف).

(٤) بتلخيص وتصرف عن الزواجر (٦٦٥، ٦٦٦).

الكذب - الخبث - القذف - الإساءة - إفشاء السر السخرية - الاستهزاء.  
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الثناء - الحمد - الشكر - الكلم الطيب - تعظيم الحرمات -  
التقوى حسن الخلق - تكريم الإنسان].

\*\*\*

### من مضار (الهجاء)

- (١) دليل ضعف الإيمان.  
(٢) دليل خبث الطويّة وسوء الخلق.  
(٣) يسبّب قلة الأصحاب وبعد الأهل والأحباب.  
(٤) الذي يهجو يكثر اعتذاره لسرعة وقوعه في (٧) يبعد صاحبه عن الجنان ويعرضه للثيران.  
(٥) يؤدّي إلى أن تسود روح العداوة والشحناء بين أفراد المجتمع.  
(٦) يؤذي المسلمين بل جميع العالمين لما يصدر عنه من الغلط المبين.  
(٧) يبعد صاحبه عن الجنان ويعرضه للثيران.

### الهجر

#### الهجرة:

مصدر قولهم: هجر الشيء يهجره، وهو مأخوذ من مادة (هجر) التي تدلّ على القطيعة<sup>(١)</sup>، ومن هذا: الهجر ضدّ الوصل وكذلك الهجران، وهاجر القوم من دار إلى دار، تركوا الأولى للثانية كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكّة إلى المدينة، وتمهجر الرجل وتمهجر: أي تشبّه بالمهاجرين، ومن الباب الهجر بمعنى الهذيان، والهجر أيضا الإفحاش في المنطق والخنا. ورماه بالهجات، وهي الفضائح، وسمّي هذا كله (هجرا) لأنّه من المهجور الذي لا خير فيه<sup>(٢)</sup> وأهجرت بالرجل: استهزأت به. وقلت فيه قولاً قبيحاً.

وقال ابن منظور: يقال: هجره يهجره هجرا وهجرانا: صرّمه. وهما يهتجران ويتهاجران

(١) لهذه المادة معنى آخر هو شد الشيء وربطه. انظر المقييس (٦ / ٣٤).

(٢) المرجع السابق (٦ / ٣٥).

والاسم الهجرة: والتهاجر: التقاطع. وهجر الشيء وأهجره: تركه. والهجر: الاسم من الإهجار. يقال هجر المريض يهجر هجرا بالضم فهو هاجر والكلام مهجور.

قال أبو عبيد: يروى عن إبراهيم النخعي ما يثبت هذا القول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]. قال: قالوا فيه غير الحق. ألم تر إلى المريض إذا هجر قال غير الحق، وعن مجاهد نحوه. والهجر: الكلام المهجور لقبحه.

وفي الحديث: «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا». وأهجر فلان: إذا أتى بهجر من الكلام عن قصد. وهجر المريض: إذا أتى بذلك من غير قصد<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الأثير: وفي الحديث «لا هجرة بعد ثلاث» يريد به الهجر ضد الوصل، يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة، أو تقصير يقع في حدود العشرة والصحة، دون ما كان من ذلك في جانب الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة على مر الأوقات ما لم تظهر منهم التوبة، والرجوع إلى الحق، ومن ذلك أيضا ما جاء في الحديث لا يذكر الله إلا هجرا، يريد الترك له والإعراض عنه، يقال: هجرت الشيء إذا تركته وأغفلته، أما ما رواه ابن قتيبة من قوله ﷺ «ولا يسمعوا القول إلا هجرا» (بالضم) فالمراد الخنا، والقبیح من القول، وقول الله تعالى: ﴿وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَصَاجِعِ﴾ [النساء: ٣٤] أي في المنام توصلا إلى طاعتهم<sup>(٢)</sup>، وقال القرطبي في تفسير هذه الآية: قيل الهجر في المضاجع ألا يضاجعها ويوليها ظهره ولا يجامعها، وقيل: جنبوا مضاجعهم، أي أبعدها من الهجران وهو البعد.

وقيل: واهجروهم مأخوذ من الهجر وهو القبيح من الكلام، أي غلظوا عليهم في القول، وقيل غير ذلك وهذا الهجر غايته عند العلماء شهر<sup>(٣)</sup>.

### أنواع الهجر:

يختلف الهجر باختلاف المهجور ويمكن تلخيص ذلك في الأنواع الآتية:

١- هجر القرآن. وهذا ما ستحدث عنه في الصفة التالية.

٢- هجر الرجل زوجته، أو نساءه.

(١) لسان العرب لابن منظور (٥/ ٢٥٠-٢٥٢).

(٢) النهاية (٥/ ٢٤٤) وما بعدها.

(٣) تفسير القرطبي (٥/ ١١٢).



٣- هجر الأقارب (وهو نوع من قطيعة الرّحم).

٤- هجر أهل البدع والأهواء.

٥- هجر المسلمين بعضهم بعضا، ويسمى بالتّهاجر.

### الفرق بين التّهاجر والتدابير والتشاحن:

قال ابن حجر:

التّهاجر: أن يهجر المسلم أخاه فوق ثلاثة أيام لغير غرض شرعيّ.

والتدابير: هو الإعراض عن المسلم بأن يلقي أخاه فيعرض عنه بوجهه.

والتشاحن: هو تغيّر القلوب المؤدّي إلى التّهاجر والتدابير<sup>(١)</sup>.

### حكم الهجر:

يختلف حكم الهجر باختلاف المهجور فإن تعلّق الهجر بالمرأة كان ذلك جائزا، بل مأمورا

به في بعض الأحيان وذلك عند النشوز أو مخافته مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَاللّٰى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾

وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴿[النساء: ٣٤].

وإن تعلّق الهجر بالمسلم فإنه يعدّ كبيرة كما صرّح بذلك ابن حجر. شريطة أن يكون فوق

ثلاث وليس بغرض شرعيّ لما في ذلك من التقاطع والإيذاء والفساد، ويستثنى من تحريم هذا

الهجر مسائل حاصلها أنّه متى عاد (الهجر) إلى صلاح دين الهاجر والمهجور جاز وإلا فلا<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان المهجور من ذوي الرّحم فإنه كبيرة حتّى وإن لم تبلغ المدّة ثلاثة أيام؛ لأنّ الهجر

هنا أضيف إليه قطيعة الرّحم، وقد عدّ الإمام الذهبيّ هجر الأقارب مطلقا من الكبائر<sup>(٣)</sup>، أمّا هجر

أهل البدع والأهواء فإنه مطلوب على مرّ الأوقات ما لم تظهر منهم التّوبة والرجوع إلى الحقّ، كما

قال ابن الأثير<sup>(٤)</sup>، وفيما يتعلّق بحكم هجر القرآن.

### بم يكون الهجر؟

والهجر والهجران: يكون بالبدن وباللسان وبالقلب، وقوله تعالى: ﴿وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي

(١) الزواجر (٤١٨).

(٢) المرجع السابق (٤٢١).

(٣) الكبائر (٤٧).

(٤) النهاية (٥ / ٢٤٦).

﴿النساء: ٣٤﴾ أي بالأبدان. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] باللسان أو بالقلب. وقوله تعالى: ﴿وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠] محتمل للثلاثة. وقوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥] حث على المفارقة بالوجه كلها<sup>(١)</sup>.

واصطلاحاً:

قال المناوي: الهجر والهجران: مفارقة الإنسان غيره. إمّا بالبدن. أو اللسان. أو القلب<sup>(٢)</sup>.

وقال الكفوي: الهجر بالفتح: التّرك والقطيعة. والهجر بالضمّ: الفحش في المنطق<sup>(٣)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: قطيعة الرحم - هجر القرآن - الإعراض.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: صلة الرحم - إفشاء السلام - تلاوة القرآن - التودد - حسن

العشرة - الإخاء].

\*\*\*

### من مضار (الهجر)

(١) الهجر صفة قبيحة تسخط الله ﷻ على (٤) هجر المرأة فراش زوجها سبب في لعنة الله المتهاجرين. والملائكة لها.

(٢) وهو سبب في تأخير المغفرة من الله ﷻ. (٥) الهجر من حبائل الشيطان. يغوي بها أتباعه

(٣) الهجر بين الإخوان فوق ثلاث حرام، حتّى يسوقهم إلى الجحيم. ويسبب تفككا اجتماعياً.

### هجر القرآن

#### الهجر لغة:

انظر صفة الهجر.

(١) المفردات للراغب (٥٣٧)، وبصائر ذوي التمييز (٣٠٤ / ٥).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٤٢).

(٣) الكليات (٩٦١).

**تعريف القرآن:**

قال القرطبي: القرآن اسم لكلام الله تعالى وهو بمعنى المقروء، ويسمى المقروء قرآنا على عادة العرب في تسميتها المفعول باسم المصدر ثم اشتهر الاستعمال في هذا واقترب به العرف الشرعي فصار القرآن اسما لكلام الله وقيل: هو اسم علم لكتاب الله غير مشتق كالتوراة والإنجيل<sup>(١)</sup>.  
وقال الجرجاني: القرآن: هو المنزل على الرسول، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلا متواترا بلا شبهة<sup>(٢)</sup>.

قال أبو إسحاق النحوي: يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه ﷺ، كتابا وقرآنا وفرقانا ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآنا لأنه يجمع السور، فيضمها<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير - عليه رحمة الله -: كان الكفار إذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللغو والكلام في غيره حتى لا يسمعون، فهذا من هجرانه، وترك الإيمان به. وترك تصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه<sup>(٤)</sup>.

**هجر القرآن اصطلاحا:**

لم تذكر كتب المصطلحات «هجر القرآن» مصطلحا ويمكن في ضوء ما أوردته كتب اللغة وما ذكره المفسرون أن هجر القرآن له جانبان: أحدهما يتعلق بالقرآن دون أخذ له، وهذا صنيع الكفار والمنافقين، والآخر يتعلق به بعد الإقرار بأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا صنيع بعض المسلمين الذين لا يقرأون القرآن، أو يقرأونه لا يجاوز حناجرهم، فلا يعملون به، ومن هؤلاء صنف يحفظ القرآن أو شيئا منه ثم يهجر القراءة حتى ينسى ما قد يكون حفظه منه. وعلى ذلك فإن هجر القرآن: هو الإعراض عنه أو اللغو فيه والقول فيه بغير الحق - كالزعم بأنه سحر أو شعر ونحو ذلك من سبب القول - وترك تلاوته أو العمل به أو نسيانه بعد الحفظ.

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٢٩٨).

(٢) التعريفات للجرجاني (١٨١).

(٣) لسان العرب (١/ ١٨٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٢٩).

**مظاهر هجر القرآن:**

لهجر القرآن مظاهر عديدة منها:

١- القول فيه بغير الحق، وهذا صنيع الكفار الذين حكي عنهم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يُرَبِّ إِنَّا قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾.

قال القرطبي: أي قالوا فيه غير الحق من أنه سحر أو شعر<sup>(١)</sup>.

وقال الطبري: يعني قولهم فيه السب من القول، فقالوا غير الحق<sup>(٢)</sup>.

٢- الإعراض عن القرآن واللغو فيه.

وقد ورد هذا المعنى في تفسير الآية السابقة، يقول الطبري: وذلك أن الله أخبر عنهم بأنهم

قالوا ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦] وذلك هجرهم إياه<sup>(٣)</sup>.

٣- ترك تلاوة القرآن بالكليّة، وهذا المعنى قد أورده القرطبي في تفسير الآية الكريمة السابقة

عندما ذكر: وقيل معنى مهجورا «متروكا» وما جاء عن ابن عباس: «الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب».

٤- نسيان القرآن بعد حفظه، وإلى هذا المعنى أشارت الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن

ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾... إلى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ إِتْنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمُ نُنْسِي﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

٥- ترك العمل بالقرآن، ودليل ذلك ما رواه أبو عبيدة عن أنس مرفوعا «القرآن شافع مشفع

وما حل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه قاده إلى النار»<sup>(٤)</sup>.

ومعنى أن يجعل الإنسان القرآن خلفه أن يهمل تلاوته أو العمل به.

**حكم هجر القرآن:**

يختلف حكم هجر القرآن باختلاف نوع الهجر، فإن كان الهجر بالإعراض عنه واللغو فيه

(١) تفسير القرطبي (١٣ / ٢٠).

(٢) تفسير الطبري (٩ / ٣٨٥).

(٣) الطبري (٩ / ٣٨٥).

(٤) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (٢ / ١٥٢).

فهذا كفر صراح، وإن كان الهجر بمعنى التَّرك المؤدِّي إلى النسيان بعد الحفظ فقد ذكر ابن حجر أنه من الكبائر، وقال بأن ذلك هو ما ذهب إليه الرَّافعي وغيره، ونقل عن بعض العلماء أن محلَّ كون نسيان القرآن كبيرة عند من قال به مشروط بأن يكون عن تكاسل وتهاون، وهذا احتراز عمَّا لو اشتغل عنه بمرض مانع من القراءة، وعدم التَّأثيم بالنسيان حينئذ واضح، لأنَّه مغلوب عليه لا اختيار له فيه.

أمَّا إذا كان الهجر متعلِّقًا بعدم العمل به فذلك معصية يتوقَّف كونها كبيرة أو صغيرة على نوع المخالفة ذاتها، وأمَّا إذا كان الهجر بمعنى ترك التلاوة، فإن كان يقدر عليها ولم يفعل فهو كالبيت الخرب وإن لم يكن قادرًا فإنَّ الله لا يكلف نفسًا إلاَّ وسعها، هذا إلاَّ فيما تصحَّ به صلواته فإنَّه واجب على كلِّ مسلم ولا يجوز تركه بحال<sup>(١)</sup>.

### أنواع هجر القرآن والخرج منه:

هجر القرآن أنواع: أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه. والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمة والتَّحاكم إليه في أصول الدِّين وفروعه، واعتقاد أنَّه لا يفيد اليقين وأنَّ أدلته لفظية لا تحصِّل العلم. والرَّابع: هجر تدبُّره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلِّم به منه. والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكلَّ هذا داخل في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠]، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض. والسادس: الخرج الذي في الصِّدور منه، فإنَّه تارة يكون حرجًا من إنزاله وكونه حقًّا من عند الله.

وتارة من جهة المتكلِّم به أو كونه مخلوقًا من بعض مخلوقاته ألهم غيره أن تكلم به، وتارة يكون من جهة كفايته وعدمها وأنَّه لا يكفي العباد، بل هم محتاجون معه إلى المعقولات والأقيسة أو الآراء أو السياسات. وتارة يكون من جهة دلالاته وما أريد به حقائقه المفهومة منه عند الخطاب، أو أريد به تأويلها وإخراجها عن حقائقها إلى تأويلات مستكرهة مشتركة. وتارة يكون من جهة كون تلك الحقائق وإن كانت مرادة، فهي ثابتة في نفس الأمر أو أوهم أنَّها مرادة لضرب من المصلحة.

(١) الزواجر (١٥٧).

فكلّ هؤلاء في صدورهم حرج من القرآن، وهم يعلمون ذلك من نفوسهم ويجدون في صدورهم. ولا تجد مبتدعا في دينه قطّ إلا وفي قلبه حرج من الآيات التي تخالف بدعته. كما أنّك لا تجد ظالما فاجرا إلا وفي صدره حرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته. فتدبر هذا المعنى ثم ارض لنفسك بما تشاء<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الهجر- الإعراض الغفلة- اللغو- العصيان- انتهاك الحرمات. وفي ضد ذلك: انظر صفات: تلاوة القرآن- الذكر- الكلم الطيب- تعظيم الحرمات- الطاعة].

\*\*\*

### من مضار (هجر القرآن)

- (١) إنّ القلوب إذا لم تعمر بالقرآن سكتها (٤) الذي يقرأ القرآن ليتكسب به الأموال. يأتي الشياطين. يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم.
- (٢) هجر القرآن يضعف الإيمان بالله ﷻ وسائر (٥) من يقرأ القرآن ولا يعمل بموجبه تكون المغييات. قراءته عليه لا له.
- (٣) إنّ من هجر القرآن ترك تدبره وترك العمل (٦) من قرأ القرآن ليقال إنّه قارئ وليرائي به به وامثال أو امره واجتناب زواجه. الناس فهو منافق، من أول من يسحب على وجهه في النار يوم القيامة.

### الوسوسة

#### الوسوسة لغة:

الوسوسة: مصدر قولهم: وسوس يوسوس مأخوذة من مادة (وس س) التي تدلّ على صوت غير رفيع: يقال لصوت الحلي: وسواس، وهمس الصائد: وسواس، وإغواء الشيطان ابن آدم وسواس<sup>(٢)</sup>. يقال: وسوست إليه نفسه وسوسة ووسواسا بكسر الواو، والوسواس بالفتح

(١) الفوائد لابن القيم (١٠٧-١٠٨).

(٢) المقاييس (٦/٧٦).

الاسم مثل الزلزال، والزلزال<sup>(١)</sup>.

قال أبو عبيدة: الوسوسة في التنزيل هو ما يلقيه الشيطان في القلب<sup>(٢)</sup>.

والوسوسة: الكلام الخفي في اختلاط.

ووسوس به - بالضم: اختلط كلامه ودهش.

والموسوس: الذي تعتربه الوسواس. ووسوس: إذا تكلم بكلام لم يبينه<sup>(٣)</sup>. وفي حديث عثمان رضي الله عنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسوس ناس، وكنت فيمن وسوس، يريد أنه اختلط كلامه ودهش بموته صلى الله عليه وسلم، وقول الله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٠]. قال القرطبي: معناه وسوس إليهما، قيل داخل الجنة، وقيل من خارج بالسلطنة التي جعلت له، والوسوسة: الصوت الخفي وهي أيضا حديث النفس<sup>(٤)</sup>، وقال ابن منظور: الوسوسة والوسواس: الصوت الخفي، من ربح، والوسواس صوت الحلي، يقال: وسوست إليه نفسه وسوسة ووسواسا بكسر الواو، والوسواس بفتحها الاسم، ويطلق على الشيطان وكل ما حدثك ووسوس إليك به، والوسوسة: حديث النفس، والأفكار (السيئة التي تراودها) ورجل موسوس: غلبت عليه الوسوسة، أو الذي تعتربه الوسواس، وقولهم: وسوس الرجل: أي كلمه كلاما خفيا، ووسوس الرجل (بالضم) إذا تكلم بكلام لم يبينه<sup>(٥)</sup>.

#### الوسوسة اصطلاحاً:

الوسوسة والوسواس: ما يلقيه الشيطان في القلب<sup>(٦)</sup>.

وقال الراغب: الوسوسة: الخطرة الرديئة<sup>(٧)</sup>.

وقال الكفوي: الوسوسة القول الخفي لقصد الإضلال.

والوسواس: ما يقع في النفس من عمل الشر وما لا خير فيه<sup>(٨)</sup>.

(١) الصحاح (٣/ ٩٨٨).

(٢) البصائر (٥/ ٢٠٨).

(٣) التاج (٩/ ٣١).

(٤) تفسير القرطبي (٧/ ٢١).

(٥) لسان العرب (٦/ ٤٨٣٠).

(٦) بصائر ذوي التمييز (٥/ ٢٠٨).

(٧) المفردات للراغب (٥٢٢)، وانظر التوقيف (٣٣٧).

(٨) الكليات (٩٤١).

وقيل: الوسواس مرض يحدث من غلبة السوداء يختلط معه الذهن<sup>(١)</sup>.

وقال ابن القيم رحمته: الوسوسة: الإلقاء الخفي في النفس إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من ألقى عليه، وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد<sup>(٢)</sup>.

### أنواع الوسوسة:

قال ابن القيم رحمته في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّكَاسِ﴾ [الناس: ٦]: يعني أن الوسواس نوعان: إنس وجن، فإن الوسوسة الإلقاء الخفي، لكن الإلقاء الإنسي بواسطة الأذن، والجنّي لا يحتاج إليها.

ونظير اشتراكهما في الوسوسة اشتراكهما في الوحي الشيطاني في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرْوًا...﴾ [الأنعام: ١١٢]<sup>(٣)</sup>.

### الفرق بين الوسوسة والإلهام وما أشبههما مما يقع في النفس:

تقال الوسوسة لما يقع في النفس من الشرّ، أما الإلهام فهو لما يقع فيها من الخير، ولما يقع فيها من الخوف إيجاس، ولما يقع من تقدير نيل الخير أمل، ولما يقع من تقدير لا على الإنسان ولا له خاطر<sup>(٤)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: الشك - سوء الظن الوهم - القلق.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الطمأنينة - اليقين - الثبات - السكينة].



### من مضار (الوسوسة)

(١) طريق إلى الشك. والشك في الله كفر. (٢) تفقد الإنسان ثقته بنفسه وبغيره.

(١) المعجم الوسيط (٢/ ١٠٤٤) ومن هذا النوع المرضي ما يسمّى بالوسواس القهري، انظر في معناه وأنواعه معجم علم

النفس والتحليل النفسي (١٨٢).

(٢) مخطوط هدية المحب (ورقة ١٢٤).

(٣) المرجع السابق (الورقة الأخيرة).

(٤) الكليات للكفوي (٩٤١).

(٣) ينفر النَّاس من صاحب الوسواس (٥) يشدّد على نفسه حتّى يدخل في دائرة ويبتعدون عنه. المحظور.

(٤) الموسوس لا تكمل له عبادة ولا يستقرّ له (٦) قد يصل الأمر بالموسوس إلى الهلوسة ثمّ فكر. الجنون.

## الوهم

### الوهم لغة:

مصدر قولهم: وهم يهيم (مثل وعد يعد)، وهو مأخوذ من مادّة (وه م) التي تدلّ - فيما يقول ابن فارس - على معان متفرّقة لا تنقاس (أي لا ترجع إلى أصل واحد)، فمن ذلك الوهم، وهو البعير العظيم، وقيل الجمل الضخم العظيم، والوهم: الطّريق، وقيل الطّريق الواسع. والوهم: وهم القلب، يقال منه: وهمت في الشّيء أهم وهما، إذا ذهب وهمك إليه وأنت تريد غيره، ووهمت (بكسر الهاء) في الحساب أوهم وهما ووهما. إذا غلطت فيه وسهوت، ويقال أيضا أوهم من الحساب مائة، وأوهم من صلاته ركعة أي أسقط. وأوهمت غيري إيهاما ووهمته توهيما (أي جعلت ذلك في وهمه) وأوهمت الشّيء: تركته كلّه، وأوهمت في كتابي وكلامي: أي أسقطت منه شيئا، وتوهّمت: ظننت، واتّهمت فلانا بكذا (رميته به)، والاسم التّهمة (بالتّحريك) وأصل التّاء فيه واو مثل تكلة، وأتهم الرّجل: إذا صارت به ريبة، وقولهم لا وهم من كذا، أي لا بدّ منه.

وقال ابن منظور: الوهم: من خطرات القلب، والجمع أوهام، وللقلب وهم.

وتوهّم الشّيء: تخيّل وتمثّله، كان في الوجود أو لم يكن. وقال: توهّمت الشّيء وتفّرّسته وتوسّمته وتبيّنته بمعنى واحد، قال زهير:

وقفت بها من بعد عشرين حجّة فلأيا<sup>(١)</sup> عرفت الدّار بعد توهّم  
ويقال: وهمت في كذا وكذا أي غلطت.

وأوهمت الشّيء تركته كلّه أوهم. وفي حديث النّبي ﷺ: أنّه صلّى فأوهم في صلاته، فقيل:

(١) فلأيا: مشقة.

كأنك أوهمت في صلاتك، فقال: كيف لا أوهم ورفغ<sup>(١)</sup> أحدكم بين ظفره وأنملته؟ أي أسقط من صلاته شيئاً. قال الأصمعي: أوهم إذا أسقط، ووهم إذا غلط. وفي الحديث: أنه سجد للوهم وهو جالس أي للغلط.

وأورد ابن الأثير بعض هذا الحديث أيضاً فقال: قيل له كأنك وهمت، قال: وكيف لا إيهم؟ قال: هذا على لغة بعضهم؛ الأصل أوهم بالفتح والواو، فكسرت الهمزة، لأن قوماً من العرب يكسرون مستقبل - فعل - فيقولون أعلم وتعلم، فلما كسر همزة أوهم انقلبت الواو ياء. ووهم في الصلاة وهما ووهم، كلاهما: سها. فإذا ذهب وهمك إلى الشيء قلت: وهمت إلى كذا وكذا أهم وهما. وفي الحديث أنه وهم في تزويج ميمونة أي ذهب وهمه إليه. وقيل: أوهم ووهم ووهم سواء، وأنشد:

فإن أخطأت أو أوهمت شيئاً فقد يههم المصافي بالحبيب<sup>(٢)</sup>

#### الوهم اصطلاحاً:

قال الراغب: الوهم: انقياد النفس لقبول أثر ما يرد عليها<sup>(٣)</sup>.  
وقال الجرجاني والمناوي: الوهم: قوة جسمانية للإنسان محلها آخر التجويف الأوسط من الدماغ من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات<sup>(٤)</sup>.  
وقال الكفوي: الوهم (كما في القاموس) من خطرات القلب، وقيل: هو (إدراك) مرجوح طرفي المتردد فيه، وهو عبارة عما يقع في الحيوان من جنس المعرفة من غير سبب موضوع للعلم، وهو أضعف من الظن وكثيراً ما يستعمل الوهم في الظن الفاسد<sup>(٥)</sup>.  
أما التوهم فقد عرفه الجرجاني بقوله: التوهم هو إدراك المعنى الجزئي المتعلق بالمحسوسات<sup>(٦)</sup>.

(١) الرفع: وسخ الظفر، أي وسخ رفع أحدكم.

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ١٤٩)، الصحاح (٥/ ٢٠٥٤)، لسان العرب (١٢/ ٦٤٣-٦٤٤). والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٣٣-٢٣٤).

(٣) الذريعة (١٨٤).

(٤) التعريفات للجرجاني (٢٧٦)، والتوقيف للمناوي (٣٤١).

(٥) الكليات (بتصرف) (٩٤٣).

(٦) التعريفات (٧٥)، وقد عرف الوهم أيضاً بما لا يخرج عن ذلك في (٢٧٦). وقد تبعه في هذا التعريف للوهم، الكفوي في الكليات (٣١٤).

**الفرق بين الوهم والخطر والخيال:**

قال الراغب: الفرق بين الوهم والخطر أنّ الخاطر يقال فيما لا تقبله النفس، والوهم لا يقال إلا فيما تقبله، أمّا الخيال فإنّه يقال اعتبارا بما يكون من جهة الحاسة وفيما له صورة ما<sup>(١)</sup>.

**الفرق بين الوهم والظن والشك:**

قال الكفوي: الشكّ هو اعتدال التقيضين عند الإنسان وتساويهما، بمعنى أن يكون طرف الوقوع واللاوقوع على السوية، وإن كان أحد الطرفين مرجوحا فالمرجوح هو الوهم، والراجح هو الظنّ<sup>(٢)</sup>.

**الفرق بين التوهم والتصور:**

يكمن الفرق بينهما - كما يقول العسكري - في أنّ تصوّر الشيء يكون مع العلم به وتوهمه لا يكون مع العلم به، لأنّ التوهم من قبيل التجويز وهو ينافي العلم، وقال بعضهم: التوهم يجري مجرى الظنون يتناول المدرك وغير المدرك، وقال آخرون: التوهم هو تجويز ما لا يمتنع من الواجب والجائز، ولا يجوز أن يتوهم الإنسان ما يمتنع كونه (وجوده)، ألا ترى أنّه لا يجوز أن يتوهم (متوهم) الشيء متحرّكا ساكنا في حالة واحدة<sup>(٣)</sup>.

**التوهم بين المدح والذم:**

جعل الراغب جودة التوهم من توابع العقل عندما قال رحمته: العقل إذا أشرق في الإنسان يحصل عنه العلم والمعرفة والدراية والحكمة، كما يحصل عنه الذكاء، والذهن، والفهم، والفتنة، وجودة الخاطر، وجودة التوهم، والتخيّل، والبديهة...<sup>(٤)</sup>.

ومن هنا يكون التوهم أو الوهم أمرا محمودا فإذا كان التوهم سيئا كان صادرا عن الهوى لا عن العقل، ومن ثمّ يكون مذموما، أمّا الوهم بمعنى النسيان أو التّرك لما لا ينبغي تركه فإنّه لا يوصف بمدح أو ذمّ لأنّه لا حيلة للإنسان فيه، ويدخل في عموم قوله صلى الله عليه: «رفع عن أمّتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

(١) الذريعة (١٨٤).

(٢) الكليات (٥٢٨) باختصار.

(٣) الفروق في اللغة لابي هلال العسكري (٩١) باختصار.

(٤) الذريعة (١٨٣).

[للاستزادة: انظر صفات: الشك - الوسوسة سوء الظن - القلق.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: اليقين - حسن الظن - التوكل - الطمأنينة - السكينة].

\*\*\*

### من مضار (الوهم)

(١) انفاق الجهد فيما لا يفيد.

(٣) يؤدّي إلى مرض النفس والتذبذب في

العقيدة.

(٢) طاعة الشيطان في وسواسه.

### الوهن

#### الوهن لغة:

الوهن مأخوذ من مادة (وه ن) التي تدلّ على الضعف. تقول منه: وهن الشيء يهن وهنا: ضعف، وأوهنته أنا (أي أضعفته) <sup>(١)</sup>.

والوهن: الضعف في العمل وفي الأشياء، وكذلك في العظم ونحوه. وقد وهن العظم يهن وهنا، وأوهنه يوهنه، ورجل واهن في الأمر والعمل، وموهون في العظم والبدن، وقد يثقل <sup>(٢)</sup>.

يقول الراغب: الوهن ضعف من حيث الخلق أو الخلق، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ [مريم: ٤] وقال: ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٦] وقال: ﴿ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ ﴾ [لقمان: ١٤] أي كلما عظم في بطنها زادها ضعفا على ضعف <sup>(٣)</sup>. أي لزمها بحملها إياه أن تضعف مرّة بعد مرّة، وقيل: وهنا على وهن، أي جهدا على جهد، وفي حديث الطّواف: وقد وهنتهم حمى يشرب: أي أضعفتهم، وفي حديث عليّ عليه السلام: «ولا واهنا في عزم» أي ضعيفا في رأي. ورجل واهن: ضعيف لا بطش عنده، والأنثى واهنة. وقوله صلى الله عليه وآله: ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي ما فتروا وما جنبوا عن قتال عدوّهم. ويقال للطائر إذا أثقل من أكل الجيف فلم يقدر على النهوض قد توهّن توهّنا. والوهناتة من النساء الكسلى عن العمل تنعما، والوهناتة التي فيها فترة <sup>(٤)</sup>.

(١) المقاييس (٦ / ١٤٩).

(٢) العين (٤ / ٩٢).

(٣) المفردات (٥٧٢).

(٤) اللسان (٦ / ٤٩٣٥).

وقال ابن الأثير: وفي حديث عمران بن حصين: «أن فلانا دخل عليه وفي عضده حلقة من صفر (نحاس) فقال: ما هذا؟ قال: هذا من الواهنة.

قال: أما إنَّها لا تزيدك إلا وهنا، الواهنة: عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلَّها فيرقى منها، وقيل: هو مرض يأخذ في العضد وربَّما علَّق عليها جنس من الخرز يقال لها: خرز الواهنة وهي تأخذ الرِّجال دون النساء، وإنَّما نهاه عنها لأنَّه إنَّما اتَّخذها على أنَّها تعصمه من الألم فكان عنده في معنى التَّمائم المنهيِّ عنها<sup>(١)</sup>.

وقال الفيروزبادي: يقال: الوهن والوهن (محرّكة): والفعل منه: وهن يهن كوعد يعد، ووهن يهن كورث يرث، ووهن يوهن كوجل يوجل، وأوهنه ووهَّنه: أضعفه، وهو واهن وموهون: لا بطش عنده، وهي واهنة، والجمع: وهن<sup>(٢)</sup>.

#### الوهن اصطلاحاً:

قال الفيروزبادي: الوهن (والوهن): الضَّعف في العمل<sup>(٣)</sup>.

وقيل: الضَّعف في الخلق والخلق<sup>(٤)</sup>.

وقال القرطبي: الوهن انكسار الجدِّ بالخوف<sup>(٥)</sup>، وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا مَحْزُونُوا﴾ [آل عمران: ١٣٩] أي لا تضعفوا ولا تجبنوا يا أصحاب محمّد عن جهاد أعدائكم لما أصابكم<sup>(٦)</sup> ويؤخذ من ذلك أنّ الوهن: هو الضَّعف والجبن عن جهاد الأعداء عند ما ينزل بالمؤمن نازلة من أعدائه.

#### الوهن داء يأخذ بالأمم والأفراد:

الوهن بمعنى الضَّعف الخلقيّ أمر طبيعي لا يتعلّق به مدح أو ذمّ إلا إذا تسبّب فيه الإنسان كأن يتناول ما يضعف قوّته ويسلبه القدرة على العمل وهو في هذه الحالة يدخل في إطار الأمور

(١) النهاية (٥/ ٢٤٣).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٥/ ٢٨٧).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٥/ ٢٨٧).

(٤) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) تفسير القرطبي (٤/ ٢٣٠).

(٦) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

المذمومة لأنه إلقاء للنفس إلى التهلكة ودخول تحت ما يسلب عنه الخيرية وحبّ الله تعالى لما ورد من أن المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف.

وأما الوهن الخلقي المصحوب بالتخاذل والخوف من لقاء الأعداء والجبن عن منازلتهم فهو منهى عنه بنص الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقد أخبر المولى عليه السلام عن الأتباع الحقيقيين للرسل الذين جاهدوا معهم فأصابوا وأصيبوا، فلم يفتّ في عضدهم ما أصابهم في سبيل الله وما لحقهم وهن ولا ضعف ولا استكانة، وهكذا ينبغي أن يكون شأن المؤمنين في كل زمان ومكان. قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقد نهانا المولى عليه السلام عن الوهن في قتال الأعداء مهما كان الألم الذي أصابنا في جهادهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦]: تخشعوا.

وقال قتادة والربيع بن أنس - رحمهما الله -: ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ فما ارتدوا عن نصرتهم ولا عن دينهم أن قاتلوا ما قاتل عليه نبي الله حتى لحقوا به<sup>(١)</sup>. وقال مقاتل: ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم<sup>(٢)</sup>. وقال أبو العالية: ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ أي لما أصابهم في الجهاد، والاستكانة: الذلة والخضوع<sup>(٣)</sup>.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]: أي: لم يتواضعوا في الدعاء، ولم يخضعوا، ولو خضعوا لله لاستجاب لهم<sup>(٤)</sup>.

### معالجة الوهن:

أشار القرآن الكريم إلى العوامل التي تدفع هذه العلة وترجع للمسلمين تماسكهم وقوة عزمهم، من ذلك:

١- أن ما أصاب المسلمين من الألم قد أصاب الأعداء مثله. قال تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ

فَأِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤١٠).

(٢) تفسير البغوي (١/ ١١٧).

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ٢٣٠).

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٦)، وعزاه للعسكري في المواعظ.

٢- عند تساوي المسلمين وأعدائهم في درجة الألم فإن المسلمين يتمتعون بقوة إيمانهم ونبيل مسلكهم وانتظار الظفر أو الجنة. قال تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

٣- إن كيد الكافرين مهما كان قويًا فإنه لا ينبغي أن يخيف المسلمين لأن الله ﷻ موهنه ومضعفه ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨].

٤- أن المسلمين هم الأعلون بنصرة الله لهم ومن ثم فلا ينبغي أن يطلبوا وقف القتال (أي الدخول في سلم العدو) لأن حليفهم وناصرهم لا، ولم، ولن يهزم أبداً، ومن كان الله معه فكيف يخاف من عواقب معركة مهما كانت ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُكُمْ أَغْمَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

[للاستزادة: انظر صفات: الضعف - الجبن - التخاذل - الكسل - التولي - صغر الهمة - اليأس - القنوط.]

وفي ضد ذلك: انظر صفات: القوة - قوة الإرادة النشاط - علو الهمة - الرجولة - العمل.]

\*\*\*

### من مضار (الوهن)

- (١) يكسب بغض الله ورسوله. (٤) يضيّع الأمة ويشرد أبناءها.  
 (٢) يدخل العدو من كل جانب. (٥) يملأ الأرض خراباً بعد أن كانت عامرة  
 (٣) يسهّل هتك الأعراض وسفك الدّم بأهلها.  
 واغتصاب الأموال.

### اليأس

#### اليأس لغة:

مصدر قولهم: يئس يئاس، وهو مأخوذ من مادة (ي أس) التي تدلّ على قطع الأمل، يقال منه: يئس يئاس (مثل علم يعلم)، ويئس (مثل حسب يحسب)، وحكي أيضاً يئس بقلب الياء الثانية ألفاً وكله بمعنى انقطع أمله، وليس في كلام العرب ياء في صدر الكلام بعدها همزة إلا هذه،

وتأتي يئس بمعنى علم، قيل: ورد ذلك في لغة بعض العرب، وعلى ذلك قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الرعد: ٣١]. قال الفيروز ابادي والفرّاء في هذه الآية: أفلم يعلم قال: وهو في المعنى على تفسيرهم لأنّ الله تعالى قد أوقع إلى المؤمنين أن لو شاء لهدى الناس جميعا، فقال: أفلم يياسوا علما، يقول يؤيسهم العلم فيه مضمرا، كما تقول في الكلام: قد يئست منك ألا تفلح، كأنك قلت: قد علمته علما، وقيل معناه: أفلم يياس الذين آمنوا من إيمان من وصفهم الله تعالى بأنهم لا يؤمنون<sup>(١)</sup>، وقال القرطبي: والمعنى على ذلك: أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا من غير أن يشاهدوا الآيات، وقيل هو من اليأس المعروف (أي انقطاع الرجاء) ويكون المعنى أفلم ينقطع رجاء المؤمنين من إيمان هؤلاء الكفار لعلمهم أن الله تعالى لو أراد هدايتهم لهداهم<sup>(٢)</sup>. أمّا قوله سبحانه: ﴿كَمَا يَيْسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [المتحنة: ١٣] فالمعنى: انقطع رجاء الكفار في قبورهم من رحمة الله تعالى لأنهم آمنوا بالغيب بعد الموت فلم ينفعهم إيمانهم حينئذ، وقيل: كما يئسوا أن يحيوا ويعثوا.

وفي حديث أمّ معبد في صفته ﷺ: «ربعة لا يأس من طول» قال ابن الأثير: معناه أنه لا يؤيس من طوله، لأنه ﷺ كان إلى الطول أقرب منه إلى القصر. وقولهم: أيأسته وآيسته من كذا: قنطته. وقال ابن منظور: اليأس: قطع الأمل، والقنوط. وهو نقيض الرجاء، يقال: يئس من الشيء ييأس. والمصدر اليأس، واليأسه واليأس. وأيسه فلان من كذا فاستيأس منه بمعنى أيس.

قال طرفة بن العبد:

وأيأسني من كلّ خير طلبته      كأنّا وضعناه إلى رمس ملحد<sup>(٣)</sup>

#### اليأس اصطلاحا:

قال المناوي: اليأس: القطع بأن الشيء لا يكون، وهو ضدّ الرجاء<sup>(٤)</sup>.

وقال العزّ: اليأس من رحمة الله: هو استصغار لسعة رحمته ﷻ ومغفرته، وذلك ذنب عظيم

(١) بصائر ذوي التمييز (٥ / ٣٧٥).

(٢) تفسير القرطبي (٩ / ٢١٠).

(٣) مقاييس اللغة (٦ / ١٥٣) انظر الصحاح للجوهري (٣ / ٩٩٢)، والنهاية لابن الأثير (٥ / ٢٩١)، ولسان العرب لابن منظور (٦ / ٢٦٠)،، وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٥ / ٢٧٤).

(٤) التوقيف (٣٤٦).

وتضييق لفضاء جوده<sup>(١)</sup>.

وقال الكفوي: اليأس: انقطاع الرجاء<sup>(٢)</sup>.

وقال الراغب هو انتفاء الطمع<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن الجوزي: القطع على أن المطلوب لا يتحصّل لتحقيق فواته<sup>(٤)</sup>.

### اليأس في القرآن الكريم:

ذكر بعض المفسرين أن اليأس في القرآن على وجهين:

أحدهما: القنوط: ومنه قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. وإنما عبّر باليأس عن القنوط، لأن القنوط ثمرة اليأس.

الثاني: العلم: ومنه قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَأْتِسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]: أي أفلم يعلموا<sup>(٥)</sup>.

### الفرق بين اليأس والقنوط والخيبة:

قال أبو هلال العسكري: الفرق بين اليأس والقنوط والخيبة: أن القنوط أشدّ مبالغة من اليأس، وأما الخيبة فلا تكون إلا بعد الأمل. إذ هي امتناع نيل ما أمل، وأما اليأس فقد يكون قبل الأمل وقد يكون بعده، والرجاء واليأس نقيضان يتعاقبان تعاقب الخيبة والظفر<sup>(٦)</sup> ويستفاد ممّا ذكره ابن حجر: أن اليأس ألا يأمل في وقوع شيء من الرحمة وأن القنوط تصميم على عدم وقوعها<sup>(٧)</sup>.

### حكم اليأس:

عدّ ابن حجر اليأس من رحمته تعالى من الكبائر مستدلاً بقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ وبعد أن ذكر عددا من الأحاديث المبشرة بسعة رحمته ﷺ قال: عدّ

(١) شجرة المعارف والأحوال (١٢٠).

(٢) الكلبيات (٩٨٥).

(٣) المفردات (٥٥٢).

(٤) نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (٦٣٣).

(٥) المرجع السابق (٦٣٣).

(٦) الفروق اللغوية (٢٤٠).

(٧) انظر الزواجر (١١٤)، وقارن بالفقرة التالية.



هذا كبيرة هو ما أطبقوا عليه، وهو ظاهر، لما فيه من الوعيد الشديد<sup>(١)</sup>.

[للاستزادة: انظر صفات: القنوط - الحزن - الضعف - الوهن - سوء الظن - التخاذل.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: العزم والعزيمة - الابتهاال - الاستغاثة - الرغبة والترغيب -

اليقين - النشاط - التفاؤل - العمل - حسن الظن - التوكل].

\*\*\*

### من مضار (اليأس)

(١) دليل الضعف في الدين وعدم اليقين. (٤) هو آية السخط على قدر الله.

(٢) تعب وعناء بلا فائدة. (٥) يضعف القوى ويقتل الأجساد.

(٣) اليأس من رحمة الله كافر.



(١) المرجع السابق (١١٤).

## فهرس الموضوعات

أولاً: الصفات المستحبة	
الإصلاح .....	١١٠
الابتهاال .....	٩
الاعتبار .....	١١٢
الاتباع .....	١١
الاعتذار .....	١١٥
الاجتماع .....	١٧
الاعتراف بالفضل .....	١١٧
الاحتساب .....	٢٣
الاعتصام .....	١٢٠
الإحسان .....	٢٦
الإغاثة .....	١٢٢
الإخاء .....	٣٩
إفشاء السلام .....	١٢٧
الإخبارات .....	٤٥
إقامة الشهادة .....	١٣١
الإخلاص .....	٤٩
أكل الطيبات .....	١٣٤
الأدب .....	٥٤
الألفة .....	١٣٨
الإرشاد .....	٧٢
الأمانة .....	١٤٤
الاستئذان .....	٧٤
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .	١٥٠
الاستخارة .....	٧٦
الإنبابة .....	١٥٤
الاستعاذة .....	٧٩
الإنذار .....	١٥٧
الاستعانة .....	٨٤
الإنصاف .....	١٦٠
الاستغاثة .....	٩٠
الإنفاق .....	١٧٣
الاستغفار .....	٩٣
الإيثار .....	١٧٦
الاستقامة .....	٩٥
الإيمان .....	١٨٠
الإسلام .....	١٠١
البر .....	١٩٤
الأسوة الحسنة .....	١٠٦
بر الوالدين .....	١٩٩

البشارة .....	٢٠١	التكبير .....	٢٦٦
البشاشة .....	٢٠٤	تكريم الإنسان .....	٢٧٣
البصيرة والفراسة .....	٢٠٥	تلاوة القرآن .....	٢٩٢
البكاء .....	٢١٠	التناصر .....	٣٠٥
التأمل .....	٢١٢	التهيل .....	٣٠٩
التأني .....	٢١٨	التواضع .....	٣١٠
التبتل .....	٢٢٠	التوبة .....	٣١٤
التبليغ والتبيين .....	٢٢٢	التوحيد .....	٣١٩
التبين (الثبت) .....	٢٢٨	التودد .....	٣٣٧
التدبر .....	٢٢٩	التوسط .....	٣٣٩
التذكر .....	٢٣٢	التوسل .....	٣٤٤
تذكر الموت (قصر الأمل) .....	٢٣٤	التوكل .....	٣٤٤
التذكير .....	٢٣٩	التيشير .....	٣٥٤
التسييح .....	٢٤١	التيمن .....	٣٥٦
التعارف .....	٢٤٨	الثبات .....	٣٥٩
التعاون على البر والتقوى .....	٢٥٠	الثناء .....	٣٦١
تعظيم الحرمات .....	٢٥٣	جهاد الأعداء .....	٣٦٣
التفاؤل .....	٢٥٨	الجود .....	٣٦٨
تفريج الكربات .....	٢٦٠	الحجاب .....	٣٦٩
التفكير .....	٢٦١	الحج والعمرة .....	٣٧٧
التقوى .....	٢٦٣	الحذر .....	٣٨٠

٤٧٠ .....	الدعوة إلى الله	٣٨٣.....	حسن الخلق
٤٧٣ .....	الذكر	٣٨٨.....	حسن السمت
٤٨٥ .....	الرفقة	٣٩٠.....	حسن الظن
٤٨٧ .....	الرجاء	٣٩٤.....	حسن العشرة
٤٩١ .....	الرجولة	٣٩٧.....	حسن المعاملة
٤٩٦ .....	الرحمة	٣٩٩.....	حفظ الأيمان
٥٠٢ .....	الرضا	٤٠٣.....	حفظ الفرج
٥٠٦ .....	الرغبة والترغيب	٤٠٨.....	حق الجار
٥١٠ .....	الرفق	٤١٠.....	الحكمة
٥١٣ .....	الرهبنة والترهيب	٤١٦.....	الحكم بما أنزل الله
٥١٦ .....	الزكاة	٤٢٧.....	الحلم
٥٢٠ .....	الزهد	٤٣٣.....	الحمد
٥٢٥ .....	الستر	٤٣٧.....	الحنان
٥٢٧ .....	السخاء	٤٣٩.....	الحوقلة
٥٣٠ .....	السرور	٤٤١.....	الحياء
٥٣٢ .....	السكينة	٤٥٢.....	الحيطة
٥٣٤ .....	السلم	٤٥٣.....	الخشوع
٥٣٧ .....	السماحة	٤٥٦.....	الخشية
٥٤٢ .....	السماع	٤٥٨.....	خفض الصوت
٥٥١ .....	الشجاعة	٤٦٠.....	الخوف
٥٥٧ .....	الشرف	٤٦٤.....	الدعاء

الشفاعة .....	٥٥٩ .....	العدل والمساواة .....	٦٤٠ .....
الشفقة .....	٥٦٤ .....	العزة .....	٦٥٠ .....
الشكر .....	٥٦٦ .....	العزم والعزيمة .....	٦٥٥ .....
الشهامة .....	٥٧٢ .....	العطف .....	٦٥٧ .....
الشورى .....	٥٧٤ .....	العفة .....	٦٥٩ .....
الصبر والمصابرة .....	٥٧٦ .....	العفو والغفران .....	٦٦٢ .....
الصدق .....	٥٨٦ .....	العلم .....	٦٦٦ .....
الصدقة .....	٥٩٥ .....	علو الهمة .....	٦٧٢ .....
الصفح .....	٥٩٧ .....	العمل .....	٦٨٢ .....
الصلاة .....	٥٩٨ .....	عيادة المريض .....	٦٨٥ .....
الصلاح .....	٦٠٤ .....	غض البصر .....	٦٩٤ .....
صلة الرحم .....	٦٠٧ .....	الغيرة .....	٦٩٧ .....
الصمت وحفظ اللسان .....	٦١٠ .....	الفرار إلى الله .....	٦٩٩ .....
الصوم .....	٦١٥ .....	الفرح .....	٧٠٣ .....
الضراعة والتضرع .....	٦٢٠ .....	الفضل .....	٧٠٧ .....
الطاعة .....	٦٢١ .....	الفتنة .....	٧١٤ .....
طلاقة الوجه .....	٦٢٥ .....	الفقه .....	٧١٥ .....
الطمأنينة .....	٦٢٦ .....	القسط .....	٧١٨ .....
الطموح .....	٦٢٩ .....	القصاص .....	٧٢٠ .....
الطهارة .....	٦٣١ .....	القناعة .....	٧٢٢ .....
العبادة .....	٦٣٥ .....	القنوت .....	٧٢٤ .....

القوة والشدة	٧٢٧	النشاط	٨٣٣
قوة الإرادة	٧٣٠	النصيحة والتواصي	٨٣٦
كتمان السر	٧٣٥	النظام	٨٤١
الكرم	٧٤٠	النظر والتبصر	٨٤٤
كظم الغيظ	٧٤٤	الهجرة	٨٤٩
كفالة اليتيم	٧٤٧	الهدى	٨٥٢
الكلم الطيب	٧٥٢	الورع	٨٦٠
اللين	٧٦٢	الوعظ	٨٦٤
مجاهدة النفس	٧٦٥	الوفاء	٨٦٨
محاسبة النفس	٧٧٢	الوقار	٨٧٢
المحبة	٧٧٦	الوقاية	٨٧٥
المداراة	٧٨٥	الولاء والبراء	٨٧٦
المراقبة	٧٨٩	اليقظة	٨٨٤
المروءة	٧٩١	اليقين	٨٨٦
المسارعة في الخيرات	٧٩٨	<b>ثانياً: الصفات المذمومة</b>	
المسئولية	٨٠٠	الابتداع	٨٩٣
المعاتبة والمصارحة	٨١٢	اتباع الهوى	٩٠٠
معرفة الله ﷻ	٨١٦	الأثرة	٩٠٥
المواساة	٨٢٥	الإجرام	٩٠٧
النبيل	٨٢٩	الإحباط	٩٠٩
النزاهة	٨٣٠	الاحتكار	٩١٤

٩٧٨	البذاءة	٩١٦	الأذى
٩٨١	البذاذة والتبذل	٩١٩	الإرهاب
٩٨٣	البطر	٩٢١	الإساءة
٩٨٥	البغض	٩٢٩	الاستهزاء
٩٨٨	البغي	٩٣١	الإسراف
٩٩٢	البلادة (عدم الفقه)	٩٣٤	الإصرار على الذنب والعناد
٩٩٣	البهتان	٩٣٧	إطلاق البصر
٩٩٦	التبذير	٩٤٠	الإعراض
١٠٠٠	التبرج	٩٤٤	الاعوجاج
١٠٠٣	التجسس	٩٤٦	الافتراء
١٠٠٥	التحقير والاشمئزاز	٩٤٨	إفشاء السر
١٠٠٧	التخاذل	٩٥٢	الإفك
١٠٠٩	التخلف (القعود) عن الجهاد	٩٥٤	أكل الحرام
١٠١١	ترك الصلاة	٩٥٨	الإلحاد
١٠١٤	التسول	٩٦٢	الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف
١٠١٧	التشامل	٩٦٣	الإمعة
١٠١٨	التطيف	٩٦٤	الأمن من المكر
١٠٢١	التطير	٩٦٨	الانتقام
١٠٢٣	التعاون على الإثم والعدوان	٩٧٠	انتهاك الحرمات
١٠٢٧	التعسير	٩٧٢	الإهمال
١٠٢٩	التفرق	٩٧٤	البخل

١٠٩٧.....	الحمق	١٠٣١ .....	التفريط والإفراط
١٠٩٨.....	الخبث	١٠٣٤ .....	التكاثر
١١٠٢.....	الخداع	١٠٣٩ .....	التكلف
١١٠٤.....	الخنوثة والتخث	١٠٤١ .....	التناجش
١١٠٦.....	الخيانة	١٠٤٥ .....	التنازع
١١٠٩.....	الديانة	التنصل من المسؤولية والتهرب منها.	
١١١١.....	الذل	١٠٤٩ .....	
١١١٤.....	الربا	١٠٥١ .....	التنفير
١١١٨.....	الردة	١٠٥٣ .....	التهاون
١١٢١.....	الرشوة	١٠٥٥ .....	التولي
١١٢٧.....	الرياء	١٠٥٧ .....	التجبن
١١٣٤.....	الزنا	١٠٥٩ .....	التجود
١١٣٨.....	الزندقة	١٠٦٣ .....	الجدال والمرء
١١٤٣.....	السحر	١٠٦٦ .....	الجزع
١١٤٧.....	السخرية	١٠٧٠ .....	الجفاء
١١٥٢.....	السخط	١٠٧٢ .....	الجهل
١١٥٣.....	السرقه	١٠٧٦ .....	الحرب والمحاربة
١١٥٦.....	السفاهة	١٠٨٠ .....	الحزن
١١٥٨.....	سوء الخلق	١٠٨٢ .....	الحسد
١١٦٥.....	سوء الظن	١٠٨٧ .....	الحقد
١١٦٨.....	سوء المعاملة	١٠٩٣ .....	الحكم بغير ما أنزل الله

الشدح	١١٧٠	الغددر	١٢٤٨
شرب الخمر	١١٧٤	الغرور	١٢٥٠
الشرك	١١٧٧	الغش	١٢٥٨
الشك	١١٩٠	الغضب	١٢٦٠
الشماتة	١١٩٢	الغفلة	١٢٦٦
شهادة الزور	١١٩٤	الغل	١٢٦٨
صغر الهمة	١١٩٨	الغلو	١٢٧٠
الضعف	١٢٠١	الغلول	١٢٧٣
الضلال	١٢٠٢	الغبي والإغواء	١٢٧٩
الطغيان	١٢٠٦	الغبية	١٢٨٦
الطمع	١٢١٠	الفتنة	١٢٩١
طول الأمل (عدم تذكر الموت)	١٢١٣	الفجور	١٢٩٨
الطيش	١٢١٧	الفحش	١٣٠١
الظلم	١٢١٨	الفساد	١٣٠٤
العبوس	١٢٢٥	الفسوق	١٣٠٨
العتو	١٢٢٧	الفضح	١٣١٣
العجلة	١٢٣٠	القتل	١٣١٥
العدوان	١٢٣٢	القدوة السيئة	١٣١٨
العصيان	١٢٣٦	القذف	١٣٢٠
عقوق الوالدين	١٢٤٢	القسوة (الغلظة والفضاظة)	١٣٢٢
العنف والإكراه	١٢٤٦	قطيعة الرحم	١٣٢٥

١٣٨٤.....	الميسر.....	١٣٢٨.....	القلق.....
١٣٨٧.....	النجاسة.....	١٣٣١.....	القنوط.....
١٣٨٩.....	النجوى.....	١٣٣٣.....	الكبر والعجب.....
١٣٩٢.....	النفاق.....	١٣٤٢.....	الكذب.....
١٣٩٦.....	نقض العهد.....	١٣٤٨.....	الكرب.....
١٤٠٠.....	النقمة.....	١٣٥٠.....	الكسل.....
١٤٠٢.....	نكران الجميل.....	١٣٥٣.....	الكفر.....
١٤٠٦.....	النميمة.....	١٣٦٠.....	الكنز.....
١٤١٠.....	الهجاء.....	١٣٦٣.....	اللغو.....
١٤١٢.....	الهجر.....	١٣٦٦.....	اللهو واللعب.....
١٤١٥.....	هجر القرآن.....	١٣٦٩.....	اللؤم.....
١٤١٩.....	الوسوسة.....	١٣٧١.....	المجاهرة بالمعصية.....
١٤٢٢.....	الوهم.....	١٣٧٤.....	المكر والكيد.....
١٤٢٥.....	الوهن.....	١٣٧٧.....	المنّ.....
١٤٢٨.....	اليأس.....	١٣٨١.....	موالاة الكفار.....

